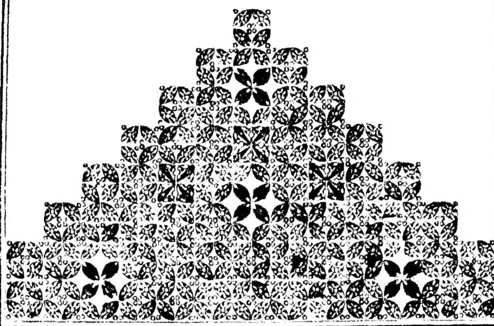
(فهرسة الجزء السادس من تفسير روح البيان)

الجزء السادس من كتاب تفسير القرآن
المسمى بروح البيان للفاضل
الكامل الشيخ
اسمعيل حقى
أفندى

م



(سورة النجم مكية وآيها احدى أو ثنتان وستون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم) سورة النجم أول سورة أعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهر بقراءتها في الحرم والمشركون يستمعون نزلت في شهر رمضان من السنة الخامسة من النبوة ولما بلغ عليه السلام السجدة سجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس غير أبي لهب في رواية فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفيني هذا وفي رواية كان ذلك الوليد بن المغيرة فانه رفع ترابا الى جبهته فسجد عليه لانه كان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود وفي رواية وصححت أمية بن خلف وقد يقال لا مانع أن يكونوا فعلوا ذلك جميعا بعضهم فعل ذلك تكبرا وبعضهم فعل ذلك عجزا وممن فعل ذلك تكبرا أبو لهب ولا يخالف ذلك ما نقل عن ابن مسعود رضي الله عنه ولقد رأيت الرجل أي الفاعل لذلك قتل كافرا لانه يجوز أن يكون المراد بقتل مات وانما سجد المشركون لان النبي عليه السلام لما بلغ الى قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الحق الشيطان به قوله تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى كما سبق في سورة الحج فسمعه المشركون وظنوا أنه من القرآن فسجدوا والتعظيم آلهتهم ومن ثم عجب المسلمون من سجود المشركين من غير ايمان اذهم لم يسمعوا ما ألقى الشيطان في آذان المشركين وأرادوا بالغرانيق العلا الاصنام شبهت الاصنام بالغرانيق التي هي طائر الماء جمع غرنوق بكسر الغين المعجمة واسكان الراء ثم النون المفتوحة أو غرنوق بضم الغين والنون أيضا أو غرنيق بضم الغين وفتح النون وهو طير طويل العنق وهو الكركي أو ما يشبهه ووجه الشبه بين الاصنام وتلك الطيور أن تلك الطيور تعلو وترتفع في السماء فالاصنام مشبهة بها في علو القدر وارتفاعه قال بعضهم

والنجم

والنجم أول سورة نزلت جملة كاملة فيها سجدة فلا ينافي أن اقرأ باسم ربك أول سورة نزلت
فيها سجدة لان النازل منها أوائلها لا مجموعها دفعة والواو للقسم * أصحاب معانى كفته اند
قسم در قرآن بر دو وجهست يكى قسم بذات وصفات خالق جل جلاله چنانكه فو ربك فبعزتك
والقرآن المجيد وهمچنين حروف تهجى در اوائل سور هر حرفى اشارتست بصفتى از صفات حق
وقسم بران ياد كرده وجه دوم قسمست بمخلوقات وآن بر چهار ضربست يكى اظهار قدرت
را چنانكه والذاريات والمرسلات والنازعات هذا وامثاله نبه العباد على معرفة القدرة فيها
ديكر قسم برستاخيز اظهار هيبت را كقوله لا أقسم بيوم القيامة أقسم بها لعلم هيبته فيها
سوم قسم ياد ميكند اظهار نعمت را تا بندكان نعمت خود از الله بشناسند وشكر آن
بكزارند كقوله والتين والزيتون چهارم قسمست ببعض مخلوقات بيان تشريف را تا خلق عز
وشرف آن چيز بدانند كه قسم بوى ياد كرده كقوله لا أقسم بهذا البلد يعنى مكة وكذلك قوله
وطور سينين وهذا البلد الامين ومن ذلك قوله للمصطفى عليه السلام لعمرك وهذا على عادة
العرب فانها تقسم بكل ما تستعظمه وتريد اظهار تعظيمه وقيل كل موضع أقسم فيه بمخلوق
فالرب فيه مضمر كقوله والنجم يعنى برب النجم ورب الذاريات واشباه ذلك والمراد بالنجم
اما الثريا فانه اسم غالب عليها ومنه قوله عليه السلام ما طلع النجم قط وفى الارض من العاهة
شئ الا رفع يريد بالنجم الثريا باتفاق العلماء وقال السهيلي رحمه الله وتعرف الثريا بالنجم أيضا
وبالية الحمل لانها تطلع بعد بطان الحمل وهى سبعة كواكب ولا يكاد يرى السابع منها لخفائه
وفى الحقيقة انها اثنا عشر كوكبا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يراها كلها لقوة جعلها
الله فى بصره وقال فى عين المعانى وهى سبعة أنجم ظاهرة والسابع تمتحن به الابصار وكانت قريش
تجلها وتقول أحسن النجم فى السماء الثريا والثريا فى الارض زين السماء وكانت رحلتاها عند
طلوعها وتوسطها فاذا طلعت بالغداة عد وهادا من الصيف واذا طلعت بالعشى عد وهادا من الشتاء
قال الشاعر

طلع النجم غديه * ابتغى الراعى شكيه

واما جنس النجم وهو يه كما قال تعالى (اذا هوى) غروبه وطلوعه يقال هوى يهوى من الثانى
هويا بوزن قبول اذا غرب فان الهوى سقوط من علو الى أسفل وهو يا بوزن دخول اذا علا
وصعد والعامل فى اذا القسم أى أقسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ عن معنى الاستقبال كما فى
قولك آتيك اذا احمر البسر فلا يلزم عمل فعل الحال فى المستقبل يعنى أن فعل القسم انشاء
والانشاء حال واذا لما يستقبل من الزمان فيكون المعنى أقسم الآن بالنجم وقت هويه بعد هذا
الزمان ثم ان الله تعالى أقسم بالنجم حين هوى أى وقت هويه لان شأنه أن يهتدى به السارى
الى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذى يهتدى به السابلة فى البر والجارية فى البحر الى سواء
السبيل والسمت (ما ضل صاحبكم) هو جواب القسم أى ما عدل عن طريق الحق الذى هو
مسلك الآخرة وهذا دليل على أن قوله ووجدك ضالا ليس من ضلال الغى فانه عليه السلام
قبل الوحى وبعده لم يزل يعبد ربه ويوحده ويتوقى مستقبحات الامور وفيه بيان فضل النبى
عليه السلام حيث ان الله تعالى قال فى حق آدم عليه السلام وعصى آدم ربه فغوى وقال فى

قوله من الثانى أى فعلها من الأول وللمتعدى اه

حقه ماضل صاحبكم (وماغوى) الغى هو الجهل المركب قال الراغب الغى جهل من اعتقاد فاسد وذلك أن الجهل قد يكون من كون الانسان غير معتقد أصلا لا صالحا ولا فاسدا وقد يكون من اعتقاد شئ فاسد وهذا الثانى يقال له غى فعطفه على ماضل من عطف الخاص على العام للاهتمام بشأن الاعتقاد بمعنى انه فرق بين الغى والضلال وليسا بمعنى واحد فان الغواية هى الخطأ فى الاعتقاد خاصة والضلال أعم منها يتناول الخطأ فى الاقوال والافعال والاخلاق والعقائد التى شرعها الله وبينها العباد فالمعنى وما اعتقد باطلا قط اى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية فى شئ أصلا وكانوا يقولون ضل محمد عن دين آبائه وخرج عن الطريق وتقول شيأ من تلقاء نفسه فرد الله عليهم بنفسه بتنزيل هذه السورة تعظيما له والخطاب لقريش وايراده عليه السلام بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله واحاطتهم خبرا ببراءته عليه السلام مما نفى عنه بالكلية وباتصافه بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له ومشاهدتهم محاسن شؤنه العظيمة مقتضية لذلك حتما كما فى الارشاد * وقال الكاشفى وتسمية صاحب بجهت آنست كه حضرت پيغمبر عليه السلام مأمور بود بصحبت كافران جهت دعوت ايشان ويؤيد ما فى الارشاد قول الراغب فى المفردات لا يقال الصاحب فى العرف الا لمن كثرت ملازمته وقوله تعالى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة سمى النبى عليه السلام صاحبهم تنبيها أى انكم صحبتموه وجربتموه وعرفتم ظاهره وباطنه ولم تجدوا به خبلا وجنة وتقييد القسم بوقت الهوى لان النجم لا يهتدى به السارى عند كونه فى وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدى به عند هبوطها وصعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلى جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام وقال سعدى المفتى ثم التقييد بوقت الهوى أى الغروب لكونه أظهر دلالة على وجود الصانع وعظيم قدرته كما قال الخليل عليه السلام لا أحب الآفلين قال ابن الشيخ فى حواشيه وفيه لطيفة وهى ان القسم بالنجم يقتضى تعظيمه وقد كان فيهم من يعبده فنبههم به على عدم صلاحيته للالهية بافوله وقيل خص الهوى دون الطلوع فان لفظة النجم دات على طلوعه فان أصل النجم الكوكب الطالع وقال الامام جعفر الصادق رضى الله عنه اراد بالنجم محمدا عليه السلام اذا نزل ليلة المعراج والهوى النزول * كفته اند آن روز كه اين آيت فرو آمد ورسول خدا بر قريش آشكارا كرد عتبة بن أبى لهب كفت كفرت برب النجم اذا هوى وبالذى دنا فتدلى ودختر رسول عليه السلام زن او بود طلاق داد رسول خدا دعا كرد وكفت اللهم سلط عليه كلبا من كلابك بعد از ان عتبه بتجارت شام رفت با پدر خويش ابو لهب در منزلى از منازل راه فرو آمدند وآنجا ديرى بود راهبى از دير فرو آمد وكفت هذه ارض مسبعة درين منزل سباع فراوان بود نكريد تا خويش را از سباع نكاه داريد ابو لهب اصحاب خويش را كفت اين پسرم را نكاه داريد كه من مى ترسم كه دعاى محمد در وى رسد ايشان همه كرد وى در آمدند واو را درميان كرفتند وپاس او مى داشتند درميانه شب رب العالمين خواب بر ايشان افكند وشير آمد وبايشان دركذشت ولطمه بر عتبه زد واو را هلاك كرد ولم يأكله لنجاسته ويحتمل من التأويل المصلى اذا سجد والقارى اذا قتل شهيدا والعالم اذا مات ووضع فى قبره فان هؤلاء

نجوم والاخبار ناطقة بها قال عليه السلام علماء أمتى كالنجوم بها يهتدى فى البر والبحر وقال الامام الغزالى رحمه الله هم الصحابة اذا ماتوا لقوله عليه السلام أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وعلماء الاسلام لقوله عليه السلام العلماء نجوم الارض وقال بعضهم هو قسم بنور المعرفة اذا وقع فى القلب قال تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح * وقال الكاشفى ونزد محققان سوكند ياد كرده بستارهٔ دل حضرت محمد عليه السلام بر فلك توحيد منقطع شده از ماسوى الله تعالى وأيضا أقسم الله بنجم الالهام حين سقط من صحائف الغيوب الى معادن القلوب وفى التأويلات النجمية قال الاخفش النجم نبت لاساق له فيكون هويه سقوطه على الارض كما قال والنجم والشجر يسجدان يشير الى أن الله تعالى ينبت حبة المحبة الدائمة المنزهة عن التغير المقدسة عن التبدل التى وقعت وسقطت من روض سماء ذاته المطلقة الكلية الجمعية الاحاطية فى أرض قلب نبيه وحبيبه القابل لانبات نباتات الولاية والنبوة والرسالة الموجبات لظهور رياحين الحقائق القرآنية وشقائق التجليات الربانية وأزهار التنزلات الحقانية وعرار اللطائف الاحسانية العرفانية كالمشاهدات والمكاشفات والمعاينات وأمثالها وجواب القسم ماضل صاحبكم وماغوى وه يشير الى أن وجود النبى عليه السلام لما كان أول نور وحدانى بسيط علوى لطيف شعشعانى تجلى به الحق وتعلقت به القدرة القديمة الازلية من غير واسطة كما أخبر عنه بقوله أنا من الله والمؤمنون منى وليست فيه ظلمة الوسائط الامكانية الموجبة للضلالة المنتجة للغى بل هو على نوريته الاصلية البسيطة الشعشعانية المقتضية للهدى والتقوى المستدعية للرشد والنهى باق كما هو وما أثرت فيه مصاحبتكم الطبيعية ولا مخالطتكم الصورية العنصرية وماضل بأمر الطبيعة وماغوى بحكم البشرية فانه صلى الله عليه وسلم قائم بالحق خارج عن الطبع كما أخبر عن نفسه الشريفة القدسية بقوله لست كأحدكم أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وهذا يدل على قيامه بالحق وخروجه عن الطبع وأحكامه انتهى * يقول الفقير أمده الله القدير لفظ النجم نون هى خمسون بحساب ابجد وجيم هى ثلاثة فالمجموع ثلاثة وخمسون وميم هى أربعون فأشار الى أن النبى عليه السلام بعث عند الاربعين وجعل خاتم الانبياء والمرسلين ومكث فى مكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة والمجموع ثلاثة وخمسون وقد سماه الله تعالى بالنجم فى هذه الآية كما سماه سراجا منيرا فى آية أخرى لانه يستضاء بنور وجهه وضياء علمه وهداه وهوى هذا النجم العالى غروبه من مكة بعد المدة المذكورة وهجرته الى المدينة ولذا أقسم الله على عدم ضلاله وغيه لانه فى غروبه ذلك وحركته راشد مهدى حيث كان بأمر الله تعالى واذنه فلما غرب من مكة أظلمت الدنيا على قريش وصاروا فى ظلمة شديدة ولما طلع على المدينة أشرقت الارض على المؤمنين حتى انهم وقعوا فى البدر التام فى السنة الثانية من الهجرة حيث نورهم الله تحت لواء حبيبه بنور النصرة على الاعداء ببدر وصار حال الاعداء الى ظلمة العدم وبهذا يظهر سر قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وسر قوله عليه السلام لاتقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض الله الله أى ينقطع أهل الذكر المتصل وكان هو النبى عليه السلام فى مكة وبخروجه عنها وبمفارقته عن أرضها واصرار القوم على الشرك والعناد وقع عليهم الطامة الكبرى ببدر كما تقوم الساعة عند انقطاع أهل الذكر

الدائم من الارض ففيه الناس يعنى الناسين لايعرفون قدر أهل الذكر والحضور فيما بينهم بل يعادونهم ويؤذونهم مع ان فى ذلك هلاكهم لانهم ملكوتهم وبانقطاع الملكوت والارواح عن الملك والاجسام يزول الملك وتخرب الاجسام لانقطاع سبب البقاء ومن هنا قالوا ان لله رجالا متصرفين فى اقطار الدنيا ولو فى دار الحرب فانه لابد للوجود من فيض البقاء والامداد أمدنا الله واياكم بمزيد فضله وجوده وشرفنا بوصاله وشهوده بحرمة النجم وهويه وسجوده آمين آمين

(وما ينطق عن الهوى) يقال نطق ينطق نطقا ومنطقا ونطوقا تكلم بصوت وحروف يعرف بها المعانى كما فى القاموس فلا يستعمل فى الله تعالى لان التكلم بالصوت والحروف من خواص المخلوق والهوى مصدر هويه من باب علم اذا أحبه واشتهاه ثم غلب على الميل الى الشهوات والمستلذات من غير داعية الشرع ومنه قيل صاحب الهوى للمبتدع لانه مائل الى ما يهواه فى أمر الدين فالهوى هو الميل المخصوص المذموم ولهذا نهى الله أنبياءه فقال لداود عليه السلام ولا تتبع الهوى ولنبينا عليه السلام ولا تتبع أهواءهم ولم يعل أحد من الانبياء اليه بدليل قوله عليه السلام ما أطلى نبى قط يقال أطلى الرجل اذا مال الى هواه حكى عن بعض الكبار أنه قال كنت فى مجلس بعض الغافلين فتكلم الى أن قال لا مخاص لاحد من الهوى ولو كان فلانا يعنى به النبى عليه السلام حيث قال حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة فقلت له اما تستحيى من الله تعالى فانه ما قال أحببت بل قال حبب فكيف يلام العبد على ما كان من عند الله تعالى ثم حصل لى غم وهم فرأيت النبى عليه السلام فى المنام فقال لا تغتم فقد كفينا أمره ثم سمعت انه خرج الى ضيعة له فقتل فى الطريق نعوذ بالله من الاطالة على الانبياء وورثتهم الاولياء وضمن ينطق معنى الصدور فتعدى بكلمة عن فالمعنى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه أصلا فان المراد استمرار نفى النطق عن الهوى لا نفى استمرار النطق عنه وقد يقال عن هنا بمعنى الباء أى وما ينطق بالهوى كما يقال رميت عن القوس أى بالقوس وفى التنزيل وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك أى بقولك قال ابن الشيخ قال أولا ما ضل وما غوى بصيغة الماضى ثم قال وما ينطق عن الهوى بصيغة المستقبل بيانا لحاله قبل البعثة وبعدها أى ما ضل وما غوى حين اعتزلكم وما تعبدون قبل أن يبعث رسولا وما ينطق عن الهوى الآن حين يتلو عليكم آيات ربه انتهى * يقول الفقير فيه بعد كما لا يخفى والظاهر ان صيغة الماضى باعتبار قولهم قد ضل وغوى اشارة الى تحقق ذلك فى زعمهم وأما صيغة المضارع فباعتبار تجدد النطق فى كل حال والله أعلم بكل حال (ان هو) أى ما الذى ينطق به من القرآن (الا وحى) من الله تعالى (يوحى) اليه بواسطة جبريل عليهما السلام وهو صفة مؤكدة لوحى رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى يعنى أن فائدة الوصف التنبيه على انه وحى حقيقة لانه يسمى به مجازا والوحى قد يكون اسما بمعنى الكتاب الالهى وقد يكون مصدرا وله معان الارسال والالهام والكتابة والكلام والاشارة والافهام وفيه اشارة الى ان النبى عليه السلام قد فنى عن ذاته وصفاته وافعاله فى ذات الله وصفاته وافعاله بحيث لم يبق منه لا اسم ولا رسم ولا أثر ولا عين فكان ناطقا بنطق الحق لا بنطق البشرية فلا يتوهم فيه أن يجرى عليه الخطرات الشيطانية والهواجس النفسانية ولذا قالوا ما يصدر عن الواصل شريعة اذ هو محفوظ كما ان النبى عليه السلام

معصوم قال بعض الكبار من وضع من الفقراء وردا من غير الوارد فى السنة فقد أساء الادب مع الله ورسوله الا أن يكون ذلك بتعريف من الله تعالى فيعرّفه خصائص كلمات يجمعها فيكون حينئذ ممتثلا لا مخترعا وذلك مثل حزب البحر للشاذلى قدس سره فانه سافر فى بحر القلزم مع نصرانى بقصد الحج فتوقف عليهم الريح أياما فرأى النبى عليه السلام فى مبشرة فلقنه اياه فقرأه وأمر النصرانى بالسفر فقال وأين الريح فقال افعل فانه الآن يأتيك فكان الامر كما قال وأسلم النصرانى بعد ذلك وقس عليه الالهام والتعريف فى اليقظة وقد أخبر أبو يزيد البسطامى قدس سره انه يولد بعد وفاته بمدة طويلة نفس من انفاس الله وهو الشيخ أبو الحسن الخرقانى قدس سره فكان كما قال * وكذا قال صاحب المثنوى لوح محفوظست اورا پيشوا * از چه محفوظست محفوظ از خطا * نى نجومست ونى رملست ونه خواب * وحى حق والله أعلم بالصواب * ازپى روپوش عامه در بيان * وحى دل كويند اورا صوفيان * وحى دل كيرش كه منظر كاه اوست * چون خطا باشد چودل آكاه اوست * مؤمنا ينظر بنور الله شدى * از خطا وسهو ايمن آمدى (علمه) أى القرآن الرسول أى نزل به عليه وقرأه عليه وبينه له هذا على أن يكون الوحى بمعنى الكتاب وان كان بمعنى الالهام فتعليمه بتبليغه الى قلبه فيكون كقوله نزل به الروح الامين على قلبك (شديد القوى) من اضافة الصفة الى فاعلها مثل حسن الوجه والموصوف محذوف أى ملك شديد قواه وهو جبريل فانه الواسطة فى ابداء الخوارق ويكفيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذى تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين ورأى ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقبات الارض المقدسة فنفحه نفحة بجناحه يعنى بادزد ويرا بجناح خود بارى وألقاه فى أقصى جبل فى الهند وكان هبوطه على الانبياء عليهم السلام وصعوده فى أسرع من رجعة الطرف (ذو مرّة) أى حصافة يعنى استحكام فى عقله ورأيه ومتانة فى دينه قال الراغب امررت الحبل اذا فتلته والمرير والممرّ المفتول ومنه فلان ذو مرّة كانه محكم الفتل وفى القاموس المرّة بالكسر قوة الخلق وشدته والجمع مرر وامرار والعقل والاصالة والاحكام والقوّة وطاقة الحبل كالمريرة وذو مرّة جبريل عليه السلام والمريرة الحبل الشديد الفتل (فاستوى) عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله ما اوحى بيان لكيفية التعليم أى فاستقام جبريل واستقر على صورته التى خلقه الله عليها وله ستمائة جناح موشحا أى مزينا بالجواهر دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى كصورة دحية أمير العرب كما أتى ابراهيم عليه السلام فى صورة الضيف وداود عليه السلام فى صورة الخصم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبل حراء وهو الجبل المسمى بجبل النور فى قرب مكة فقال ان الارض لا تسعنى ولكن انظر الى السماء فطلع له جبريل من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ الافق فخرّ رسول الله كما خرّ موسى فى جبل الطور فنزل جبريل فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وذلك فان الجسد وهو فى الدنيا لا يحتمل رؤية ما هو خارج عن طور العقل فمنها رؤية الملك على صورته جبل عليها وأعظم منها رؤية الله تعالى فى هذه

الدار قيل ما رآه أحد من الانبياء فى صورته غير نبينا عليه السلام فانه رآه فيها مرتين مرة فى
الارض ومرة فى السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى لما سيأتى وروى ان حمزة بن عبد المطلب
رضى الله عنه قال يا رسول الله أرنى جبرائيل فى صورته فقال انك لا تستطيع أن تنظر اليه قال
بلى يا رسول الله أرنيه فقعد ونزل جبرائيل على خشبة فى الكعبة كان المشركون يضعون ثيابهم
عليها اذا طافوا فقال عليه السلام ارفع طرفك يا حمزة فانظر فرفع عينيه فاذا قدماه كالزبرجد
الاخضر فخر مغشيا عليه * وروى انه رآه على فرس والدنيا بين كلكلها وفى وجهه أخدود من
البكاء لو ألقيت السفن فيه لجرت وانما رآه عليه السلام مرتين ليكمل له الامر مرة فى عالم الكون
والفساد وأخرى فى المحل الانزه الاعلى وانما قام بصورته ليؤكد أن ما يأتيه فى صورة دحية هو
هو فانه اذا رآه فى صورة نفسه عرفه حق معرفته ولم يبق عليه اشتباه بوجه ما وفى كشف الاسرار
فان قيل كيف يجوز أن يغير الملك صورة نفسه وهل يقدر غير الله على تغيير صورة المخلوقين وقد
قلتم ان جبرائيل أتى رسول الله مرة فى صورة رجل ومرة فى صورته التى ابتدأه الله عليها وان
ابليس أتى قريشا فى صورة شيخ من أهل نجد فالجواب عنه ان تغيير الصور الذى هو تغيير
التركيب والتأليف لا يقدر عليه الا الله وأما صنعة جبرائيل ففعل الله تعالى تنبيها للمصطفى
عليه السلام وليعلم أنه أمر من الله اذ رآه فى صور مختلفة فان ذلك لا يقدر عليه الا الله وهو أن
يراه مرة قد سد الافق وأخرى يجمعه مكان ضيق وأما ابليس فكان ذلك منه تخييلا للناظرين
وتمويها دون التحقيق كفعل السحرة بالعصى والحبال قال الله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم
يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى انتهى ما فى الكشف وقال فى آكام المرجان قال القاضى أبو
يعلى ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال فى الصور أى صور الانس والبهائم والطير
وانما يجوز أن يعلمهم الله تعالى كلمات وضربا من ضروب الافعال اذا فعله وتكلم به نقله الله من
صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصور والتخييل على معنى أنه قادر على قول اذا قاله أو على
فعل اذا فعله نقله الله من صورته الى صورة أخرى بجرى العادة وأما أن يصور نفسه فذلك محال
لان انتقالها من صورة الى صورة انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء واذا انتقضت بطل
الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة فكيف ينقل نفسه قال والقول فى تشكيل الملائكة
من ذلك انتهى وقال وانى الاسكوبى فيه ان من قال تمثل جبريل وتصور ابليس ليس مراده
انهما أحدثا تلك الصورة والمثال عن قدرة أنفسهما بل باقدار الله على التمثيل والتصوير
كيف يشاء فلا منافاة بين القولين غاية ما فى الباب أن العامل عن طريق اقدار الله به من
الاسباب المخصوصة انتهى وقال فى انسان العيون فان قيل اذا جاء جبريل على صورة الآدمى
دحية أو غيره هل هى الروح تتشكل بذلك الشكل وعليه هل يصير جسده الاصلى حيا من غير
روح أو ميتا أجيب بأن الجائى يجوز أن لا يكون هو الروح بل الجسد لانه يجوز أن الله تعالى
جعل فى الملائكة قدرة على التطور والتشكل بأى شكل أرادوه كالجن فيكون الجسد واحدا
ومن ثمة قال الحافظ ابن حجر ان تمثل الملك رجلا ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلا بل معناه أنه
ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائى
فقط وأخذ من ذلك بعض غلاة الشيعة انه لا مانع ولا بعد أن الحق تعالى يظهر فى صورة على

واولاده

وأولاده الاثني عشر رضي الله عنهم ويجوز أن يكون الجسد للملك متعددا وعليه فمن الممكن أن يجعل الله لروح الملك قوة يقتدر بها على التصرف في جسد آخر غير جسدها المعهود مع تصرفها في ذلك الجسد المعهود كما هو شأن الابدال لانهم يرحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلي بدلا منه وقد ذكر ابن السبكي في الطبقات أن كرامات الاولياء أنواع وعد منها أن يكون له أجساد متعددة قال وهذا هو الذي يسميه الصوفية بعالم المثال ومنه قصة قضيب البان وغيره أي كواقعة الشيخ عبد القادر الطحطوطي فقد ذكر الجلال السيوطي انه رفع اليه سؤال في رجل حلف بالطلاق ان ولي الله الشيخ عبد القادر الطحطوطي بات عنده ليلة كذا فحلف آخر بالطلاق انه بات عنده تلك الليلة بعينها فهل يقع الطلاق على أحدهما فأرسلت قاصدي الى الشيخ عبد القادر فسأله عن ذلك فقال لو قال اربعون اني بت عندهم لصدقوا فأفتيت بأنه لا حنث على واحد منهما لان تعدد الصور بالتخيل والتشكل ممكن كما يقع ذلك للجان قال الشعراني وأخبرني من صحب الشيخ محمدا الحضرمي انه خطب في خمسين بلدة في يوم واحد خطبة الجمعة وصلى بهم اماما وأما الشيخ حسين ابو علي المدفون بمصر المحروسة فاخبرني عنه اصحابه ان التطور كان دابه ليلا ونهارا حتى في صور السباع والبهائم ودخل عليه بعض اعدائه ليقتلوه فوجدوه فقطعوه بالسيوف ليلا ورموه على كوم بعيد ثم اصبحوا فوجدوه قائما يصلي وفي جواهر الشعراني وصورة التطور ان يقدر الله الروح على تدبير ما شاءت من الاجسام المتعددة بخاصية كن فللاولياء ذلك في الدنيا بحكم خرق العادة واما في الآخرة فان نفس نشأة اهل الجنة تعطي ذلك فيدبر الواحد الاجسام المتعددة كما يدبر الروح الواحد سائر أعضاء البدن فتكون تسمع وأنت تبصر وتبطش وتمشي ونحو ذلك وفي الفتوحات المكية والذي اعطاه الكشف الصحيح ان اجسام اهل الجنة تنطوي في ارواحهم فتكون الارواح ظروفا للاجسام عكس ما كانت في الدنيا فيكون الظهور والحكم في الدار الآخرة للجسم لا للروح ولهذا يتحولون في أي صورة شاؤا كما هو اليوم عندنا للملائكة وعالم الارواح انتهى وفي انسان العيون عالم المثال عالم متوسط بين عالم الاجساد والارواح الطف من عالم الاجساد واكثف من عالم الارواح فالارواح تتجسد وتظهر في صور مختلفة من عالم المثال وهذا الجواب اولى من جواب ابن حجر بأن جبرائيل كان يندمج بعضه في بعض وهل مجيء جبرائيل في صورة دحية كان في المدينة بعد اسلام دحية واسلامه كان بعد بدر فانه لم يشهدها وشهد المشاهد بعدها أو بعد مجيئه على صورة دحية قبل اسلامه قال الشيخ الاكبر رضي الله عنه دحية الكلبي كان أجمل اهل زمانه وأحسنهم صورة فكان الغرض من نزول جبريل على سيدنا محمد في صورته اعلاما من الله تعالى انه ما بيني وبينك يا محمد سفير الا صورة الحسن والجمال وهي التي عندي فيكون ذلك بشرى له عليه السلام ولاسيما اذا أتى بأمر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه ما يحركه ذلك الوعيد والزجر هذا كلامه وهو واضح لو كان لا يأتيه الا على تلك الصورة الا أن يدعى أنه من حين أتاه على صورة دحية لم يأته على صورة آدمي غيره بقي هنا كلام وهو أن السهيلي رحمه الله ذكر ان المراد بالاجنحة في حق الملائكة صفة ملكية وقوة روحانية وليست كأجنحة الطير ولا ينافي ذلك وصف كل جناح منها بأنه يسد ما بين المشرق والمغرب انتهى * يقول الفقير

هذا كلام عقلي ولا منع من ان يجمع الملك بين قوة روحانية و بين جناح يليق بعالمه سواء كان ذلك
كجناح الطير أو غيره فان المعقولات مع المحسوسات تدور والجمع أنسب بالحكمة والصق بالقدرة
وقد أسلفنا مثل هذا فى أوائل سورة الملائكة فلا كلام فيه عند أولى الالباب وانما يقتضى
المقام أن يبين وجه كون جناح جبريل ستمائة لا أزيد ولا أنقص ولم أظفر ببيانه لا فى كلام أهل
الرسوم ولا فى اشارات أهل الحقائق والذى يدور بالبال الهاما من الله تعالى لا تعملا وتأملا
أن النبى عليه السلام انما عرج ليلة الاسراء بالفناء التام ولذا وقع الاسراء فى الليل الذى هو
مظهر الفناء دون النهار الذى هو مظهر البقاء وكان مراتب الفناء سبعا على مراتب الاسماء
السبعة التى آخرها القيوم القهار وللاشارة الى هذا جعلت منارات الحرم المكى سبعا لان سر
البقاء انما ظهر فى حرم النبى عليه السلام ولذا جعلت مناراته خمسا على عدد مراتب البقاء التى
أشير اليها بالاسماء الخمسة الباقية من الاثنى عشر التى آخرها الاحد الصمد وكل واحد من تلك
الاسماء السبعة مائة على حسب تفصيلها الى الاسماء الحسنى مع احدية جمعها فيكون مجموعها
بهذا الحسب سبعمائة ولما كان جبريل دون النبى عليه السلام فى الفناء لم يتجاوز تلك الليلة
مقامه الذى هو سدرة المنتهى حتى قال لو دنوت أنملة لاحترقت وتجاوزها النبى عليه السلام الى
مستوى العرش وقهره وغلب عليه فى ذلك فانتهى سير جبريل الى الاسم القيوم فصار مقهورا
تحت سير النبى عليه السلام وقائما فى مكانه وقائما بوحيه للقلوب ولذا سمى بروح القدس لحياة
القلوب بوحيه كحياة الاجساد بالارواح فله من تلك الاجنحة السبعمائة ستمائة صورة ومعنى
وانتهى سير النبى عليه السلام الى الاسم القهار فصار ما حصر الكل من دونه فله سبعمائة جناح
معنوية فظهر أن القوة النبوية أزيد من القوة الملكية لانها القوة الالهية وقد قال تعالى يد الله
فوق أيديهم وان جبريل لكونه من الايدى انما يستفيد اليد والقوة من يد النبى عليه السلام
وقوته فاعرف ذلك وكن من الموقنين (وهو بالافق الاعلى) حال من فاعل استوى والافق هى
الدائرة التى تفصل بين ما يرى من الفلك وما لا يرى والافق الاعلى مطلع الشمس كما أن الافق
الادنى مغربها والمعنى والحال ان جبريل بأفق الشمس اى اقصى الدنيا عند مطلع الشمس
وبالفارسية وبكناره بلندتر بود از آسمان يعنى نزديك مطلع آفتاب ومنه يعلم ان مطلع الشمس
ومغربها كرأس الانسان ورجله وان كانت الدنيا كالكرة على ما عرف وايضا مثل روح الانسان
وجسده فان الروح علوى والجسد سفلى وقد طلع من عالم الارواح وغرب فى عالم الاجساد
(ثم دنا) أى أراد الدنو من النبى عليه السلام حال كونه فى جبل حراء والدنو القرب بالذات أو
بالحكم ويستعمل فى الزمان والمكان والمنزلة كما فى المفردات (فتدلى) التدلى استرسال مع تعلق
أى استرسل من الافق الاعلى مع تعلقه به فدنا من النبى عليه السلام يقال تدلت الثمرة ودلى
رجليه من السرير وفى الحديث لو دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله أى على علمه
وقدرته وسلطانه فى كل مكان وأدلى دلوه والدوالى الثمر المعلق وبالفارسية أونك (فكان) أى
مقدار امتداد ما بينهما وهو المسافة (قاب قوسين) من قسى العرب أى مقدارهما فى القرب
وذكر القوس لان القرآن نزل بلغة العرب والعرب تجعل مساحة الاشياء بالقوس وفى معالم
التنزيل معنى قوله كان بين جبريل ومحمد عليهما السلام مقدار قوسين أنه كان بينهما مقدار

ما بين

مابين الوتر والقوس كأنه غلب القوس على الوتر وهذا اشارة الى تأكيد القرب وأصله أن
الحليفين من العرب كانا اذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك
أنهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقيل قدر ذراعين ويسمى الذراع قوسا
لانه يقاس به المذروع أى بقدر فلم يكن قريبا قرب التصاق ولا بعيدا بحيث لا يتأتى معه الافادة
والاستفادة وهو الحد المعهود فى مجالسة الاحباء المتأدبين (أو أدنى) أى على تقديركم أيها
المخاطبون كما فى قوله أو يزيدون فان التشكيك لا يصح على الله فأولئك من جهة العباد كما أن كلمة
لعل كذلك فى مواضع من القرآن أى لو رآه مار امنكم لقال هو قدر قوسين فى القرب أو أدنى أى
لا التبس عليه مقدار القرب والمراد أى من قوله ثم دنا الى قوله او ادنى تمثيل ملكة الاتصال
وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد الملبس وحمله بعضهم على حقيقته حيث قال فكما دنا
جبريل من النبى عليهما السلام انتقص فلما قرب منه مقدار قوسين رآه على صورته التى كان يراه
عليها فى سائر الاوقات حتى لا يشك انه جبريل وهنا كلام آخر يجىء بعد تمام الآيات (فأوحى) اى
جبريل (الى عبده) اى عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما فى قوله تعالى ماترك
على ظهرها من دابة اى على ظهر الارض والمراد بالعبد المشرف بالاضافة الى الله هو الرسول
عليه السلام كما فى قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده (ما أوحى) اى من الامور العظيمة التى
لا تفى بها العبارة او فأوحى الله حينئذ بواسطة جبريل ما أوحى (ما كذب الفؤاد) اى فؤاد محمد
عليه السلام وما نافية (ما رأى) ما موصولة وعائدها محذوف اى ما رآه ببصره من صورة جبريل
اى ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره قال بعضهم
كذب مخففا ومشددا بمعنى واحد وقال بعضهم من خفف كذب جعل ما فى موضع النصب على
نزع الخافض واسقاطه أى ما كذب فؤاده فيما رآه ببصره اى لم يقل فيه كذبا وانما يقول ذلك
ان لو قال له لا اعرفك ولا اعتقدك (أفتمارونه على ما يرى) اى اتكذبون محمدا عليه السلام
فتجادلونه على ما يراه معاينة من صورة جبريل فالفاء للعطف على محذوف وابعد ماذكر من
احواله المنافية للمماراة تمارونه فالفاء للتعقيب وذلك ان النبى عليه السلام لما اخبر برؤية
جبريل تعجبوا منه وانكروا والمماراة والمراء المجادلة بالباطل فكان حقه ان يتعدى بفى يقال
جادلته فى كذا لكنه ضمن معنى الغلبة فتعدى تعديتها لان المماري يقصد بفعله غلبة الخصم
واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه يقال مريت الناقة
مريا مسحت ضرعها لتدر ومريت الفرس اذا استخرجت ما عنده من الجرى أو غيره يقول
الفقير كان الظاهر أن يقال على ما رأى وجوابه أنه لما كان أثر الرؤية باقيا صح أن يقال يرى وأيضا
ان رؤيته جبريل مستمرة الى وقت الانتقال ولو على غير صورته الاصلية وقال الحسن البصرى
رحمه الله وجماعة علمه شديد القوى أى علمه الله وهو وصف من الله نفسه بكمال القدرة والقوة
ذو مرة أى ذو احكام الامور والقضايا وبين المكان الذى فيه علمه بلا واسطة فاستوى أى محمد
عليه السلام وهو بالافق الاعلى أى فوق السموات ثم دنا * پس نزديك شد حضرت محمد بحضرت
احديت يعنى مقرب درگاه الوهيت گشت بمكانت ومنزلت نه بمنزل ومكان فتدلى پس فروتنى
كرد يعنى سجده خدمت آورد خدا برا وچون اين مرتبه بواسطه خدمت يافته بود ديگر باره در

وظيفهٔ خدمت افزود ودر سجده وعدهٔ قرب نيز هست كه أقرب ما يكون العبد من ربه أن يكون ساجدا فكان قاب قوسين أو أدنى كنايتست از تأكيد قربت وتقرير محبت وبواسطهٔ تقريب بافهام درصورت تمثيل مؤدّى شده چه عادت عظماء عرب آن مى بوده كه چون تأكيد عهدى وتوثيق عهدى خواستندى كه نقض بدان راه نيابد هر يك از متعاقدان كمان خود حاضر ساخته با يكديگر انضمام دادندى وهر دو يكبار قبضتين را گرفته و يكبار كشيده باتفاق يك تير از ان بينداختندى واين صورت از ايشان اشارت بدان معنى بودى كه موافقت كلى ميان ما تحقق پذيرفت ومصادقت واتحاد أصلى بروجهى ثبوت يافت كه بعد از ان رضا وسخط يكى عين رضا وسخط آن ديگرست پس گوييا درين آيت باعتبار آن معنى مؤدّى شده كه محبت وقربت حضرت پيغمبر با حق سبحانه وتعالى بمثابهٔ تأكيد يافته كه مقبول رسول مقبول خداوندست ومردود مصطفى مردود دركاه خداست وعلى هذا القياس ونزد محققان دنا اشارت نفس مقدس اوست وتدلى بمنزلهٔ دل مطهر او فكان قاب قوسين مقام روح مطيب او أو أدنى بمرتبهٔ سر منور او ونفس او در مكان خدمت بود ودل او در منزل محبت وروح او در مقام قربت وسر او در مرتبهٔ مشاهدت شيخ أبو الحسين نورى را قدس سره از معنى اين آيت پرسيدند جواب داد جايى كه جبرائيل نگنجد نورى كيست كه از ان سخن تواند گفت * خيمه برون زد ز حدود وجهات * پردهٔ او شد تتق نور ذات * تيرگى هستى از و دور گشت * پرده كى پردهٔ آن نور گشت * كيست كز ان پرده شود پرده ساز * زمزمهٔ گويد از ان پرده باز * ويدل على أن ضمير دنا يعود اليه عليه السلام أنه قال فى رواية لما أسري بى الى السماء قربنى ربى حتى كان بينى وبينه كقاب قوسين أو أدنى قيل لى قد جعلت أمتك آخر الامم لا أفضح الامم عندهم أى بوقوفهم على أخبارهم ولا أفضحهم عند الامم أى لتأخرهم عنهم وقال بعض الكبار ثم دنا اشارة الى العروج والوصول وقوله فتدلى الى النزول والرجوع وقوله فكان قاب قوسين بمنزلة النتيجة اشارة الى الوصول الى عالم الصفات المشار اليه بقوله تعالى الله الصمد وقوله أو أدنى اشارة الى الوصول الى عالم الذات المشار اليه بقوله تعالى الله أحد فى سورة الاخلاص فحاصل المعنى ثم دنا أى الى الحق من الخلق فتدلى الى الخلق من الحق فكان قاب قوسين فى مرتبة الوحدة الواحدية الجامعة بين شهادة الصفات والخلق وبين غيب الذات والحق أو أدنى فى الوحدة الاحدية المختصة بغيب ذات الحق واذن هنا أمران الاول الوصول الى مرتبة قاب قوسين وذلك بفناء فى الصفات فقط * والثانى الوصول الى مرتبة أو أدنى وذلك بفناء فى الصفات والذات معا فان يسر الله النزول والبقاء يكمل الامر فى هاتين الجهتين ولعمرى عزيز أهل هذا المقام جدا وقال بعضهم ضمير دنا الى آخره يعود الى الله تعالى قال فى كشف الاسرار دنو الله من العبد على نوعين أحدهما باجابة الدعوة واعطاء المنية ورفع المنزلة كما فى قوله فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان والثانى بمعنى القرب فى الحقيقة دون هذه المعانى كقوله ثم دنا فتدلى انتهى فالمعنى ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى أى زاد فى القرب حتى كان من محمد عليه السلام قاب قوسين أو أدنى فمعنى الدنو والتدلى الواقعين من الله تعالى كمعنى النزول منه الى السماء الدنيا كل ليلة فى ثلث الليل الاخير وهو أن ذلك عند

أهل الحقائق من مقام التنزل يعني انه تعالى يتلطف بعباده ويتنزل في خطابه لهم فيطلق على نفسه مايطلقونه على أنفسهم فهو في حقهم حقيقة وفي حقه تعالى مجاز كما في انسان العيون قال القاضي أبو الفضل في كتاب الشفاء اعلم أن ماوقع في اضافة الدنو والقرب من الله أو الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ومن الله له مبرة وتأنيس وبسط واكرام قال في فتح الرحمن فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان قوله فكان الخ عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد عليه السلام وعبارة اجابة الرغبة وقضاء المطالب قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المأمول فأوحى الى عبده ما أوحى قال في الاسئلة المقحمة أجمل ولم يفسره لانه كان يطول ذكر جميع ما أوحى اليه فذكره جملة من غير تعرض الى التفصيل فقال فأوحى الى عبده ما أوحى وقالت الشيوخ ستر الله بعض ما أوحى الى عبده محمد عليه السلام عن الخلق سترا على حاله لئلا يطلع عليه غيره فان ذلك لا يتعلق بغيره وانما ذلك من خواص محبته ومعرفته وعلو درجاته اذ بين الاحباب يجري من الاسرار مالا يطلع عليه الاجانب والاغيار قال عليه السلام لي وقت مع الله لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وسمعت الشيخ أبا علي الفارسي رحمه الله يقول في هذه الآية قولا يطول شرحه وقصاراه يرجع الى أنه تعالى ستر بعض ما أوحى الى نبيه عن الخلق لما علم أن علمهم بذلك يفتر عن السير في صراط العبودية اتكالا على محض الربوبية ولهذا قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال معاذ أأخبر الناس بذلك يارسول الله فقال لا تخبرهم بذلك لئلا يتكلوا انتهى

لا يكتم السر الا كل ذي خطر * والسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندي في بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والباب مختوم

وقيل

بين المحبين سر ليس يفشيه * قول ولا عمل للخلق يحكيه
سر يمازجه أنس يقابله * نور تحير في بحر من التيه

(وقيل) دردي كه من ازعشق تو دارم حاصل * نتوان داند ومن دانم ومن دانم ودل (قال الكاشفي) بعض علما كويند كه أولى آنست كه تعرض آن وحي نكنيم ودر برده بكذاريم وجمعي كويند انچه ازان وحي در خبري ويا أثري بما رسيده ذكر آن هيچ نقصان ندارد ودر امانت بسيار واقع شده ودر تفسير جواهر بسطي تمام يافته اينجا بسه وجه اختصاص مي يابد أول آنكه مضمون وحي اين بود كه يا محمد لولا اني أحب معاتبة أمتك لما حاسبتهم يعني اكرنه آنست كه دوست ميدارم معاتبه با أمت تو والا بساط محاسبه ايشان طي مي كردم دوم آنكه أي محمد أنا وأنت وماسوى ذلك خلقته لاجلك آن حضرت عليه السلام در جواب فرمودند أنت وأنا وماسوى ذلك تركته لاجلك سوم آنكه أمت تو طاعات من بجاي مي آرند وعصيان نيز مي ورزند طاعت ايشان برضاء منست ومعصيت ايشان بقضاء من پس آنچه برضاء من از ايشان ثابت شود اكر چه اندك وباقصور بود قبول كنم زيرا كه كريمم وآنچه بقضاء من از ايشان در وجود آيد اكر چه بزرك وبسيار باشد عفو كنم زيرا كه رحيمم * وقيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على

الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك وقيل كن آيسا من الخلق فليس بأيديهم شيء واجعل صحبتك معي فان مرجعك الي ولا تجعل قلبك معلقا بالدنيا فاني ما خلقتك لها وقيل أوحى اليه ألم يجدك يتيما فآوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل أوحى اليه آمن الرسول الخ بغير واسطة جبريل وقيل أوحى اليه عش ماشئت فانك ميت وأحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ماشئت فانك مجزى به (وروى) أنه عليه السلام قال شكا الي الله ليلة المعراج من أمتي شكايات * الاولى لم أكلفهم عمل الغد وهم يطلبون مني رزق الغد * والثانية لا أدفع أرزاقهم الى غيرهم وهم يدفعون عملهم الى غيري * والثالثة أنهم يأكلون رزقي ويشكرون غيري ويخونون معي ويصالحون خلقي * والرابعة أن العزة لي وأنا المعز وهم يطلبون العزة من سواي * والخامسة أني خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون أن يوقعوا أنفسهم فيها فقال قل لامتك ان أحببتم أحدا لاحسانه اليكم فأنا أولى به لكثرة نعمي عليكم وان خفتم أحدا من أهل السماء والارض فأنا أولى بذلك لكمال قدرتي وان أنتم رجوتم أحدا فأنا أولى به لاني أحب عبادي وان أنتم استحييتم من أحد لجفائكم اياه فأنا أولى به لان منكم الجفاء ومني الوفاء وان آثرتم أحدا بأموالكم وأنفسكم فأنا أولى بذلك لاني معبودكم وان صدقتم أحدا في وعده فأنا أولى بذلك لاني أنا الصادق * وقيل أوحى الله اليه يا محمد لم أكثر مال أمتك لئلا يطول حسابهم في القيامة ولم أطل أعمارهم لئلا تقسو قلوبهم ولم أفجأهم بالموت لئلا يكون خروجهم من الدنيا بدون التوبة وأخرتهم في الدنيا عن الآخرين لئلا يطول في القبور حبسهم قال بعضهم ان ما أوحى اليه مفسر في الاخبار ونطقت به الروايات من أهوال القيامة وغيرها ولهذا قال عليه السلام لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال جعفر الصادق رضي الله عنه فأوحى الى عبده ما أوحى بلا واسطة فيما بينه وبينه سرا الى قلبه لا يعلم به أحد سواه بلا واسطة أي في العقبى حين يعطيه الشفاعة لامته وقال البقلي أبهم الله سر ذلك الوحي الخفي على جميع فهوم الخلائق من العرش الى الثرى بقوله ما أوحى لانه لم يبين أي شيء أوحى الى حبيبه لان بين المحب والمحبوب سرا لا يطلع عليه غيرهما وأظن أنه لو بين كلمة من تلك الاسرار لجميع الاولين والآخرين لماتوا جميعا من ثقل ذلك الوارد الذي ورد من الحق على قلب عبده احتمل ذلك المصطفى عليه السلام بقوة ربانية ملكوتية لاهوتية ألبسه الله اياها ولولا ذلك لم يحتمل ذرة منها لانها أنباء عجيبة وأسرار أزلية لو ظهرت كلمة منها لتعطلت الاحكام وافنيت الارواح والاجسام واندرست الرسوم واضمحلت العقول والفهوم والعلوم يقول الفقير لاشك أن ما أوحى اليه عليه السلام تلك الليلة على أقسام قسم أداه الى الكل وهو الاحكام والشرائع وقسم أداه الى الخواص وهو المعارف الالهية وقسم أداه الى أخص الخواص وهو الحقائق ونتائج العلوم الذوقية وقسم آخر بقي معه لكونه مما خصه الله به وهو السر الذي بينه وبين الله المشار اليه بقوله لي مع الله وقت الخ فانه مجمل مخصوص وسر مكتوم لا يفشى وهكذا كل ورثته فان لهم نصيبا من هذا المقام حيث ان بعض علومهم يرتحل معهم الى الآخرة ولا يوجد له محل يؤدى اليه اما لكونه من خصائصهم وأما لفقدان من يستعد لادائه وذلك بحسب الزمان ولذا جاء نبي في الاولين وبقي معه الرسالة ولم يقبلها أحد من أمته لعدم الاستعداد فيهم * وفي التأويلات النجمية في هذه الآية يشير الى أن الله تعالى من مقام

جمعيته الجامعة لجميع المظهريات من غير واسطة جبريل وواسطة ميكائيل أوحى أو تجلى في صورة الوحي لعبده المضاف الى هاهويته المطلقة بحقائق من مقتضى حكم الوحدة والموحى به هو أن وجودك يا محمد عين وجود المتعين بأحدية جمع جميع الاعيان الظاهرة المشهودة والحقائق الباطنة الغيبية المفقودة في عين كونها موجودة مطلقا عن هذا التعين والجمع والاطلاق ما كذب الفؤاد ما رأى اعلم أن المرئي ان كان صورة جبريل عليه السلام فالرؤية من رؤية العين وان كان هو الله تعالى على ما ذهب اليه البعض فقد اختلفوا في أنه عليه السلام رأى الله تعالى ليلة الاسراء بقلبه أو بعين رأسه فقال بعضهم جعل بصره في فؤاده فرآه في فؤاده فيكون المعنى ما كذب الفؤاد ما رآه الفؤاد أي لم يقل فؤاده له ان ما رأيته هاجس شيطاني وانه ليس من شأنك أن ترى الرب تعالى بل تيقن أن ما رآه بفؤاده حق صحيح وقال بعضهم رآه بعينه لقوله عليه السلام ان الله أعطى موسى الكلام وأعطاني الرؤية وقوله عليه السلام رأيت ربي في أحسن صورة أي صفة قال في الكواشي هذا الاحتجاج فيه لانه يجوز أنه أراد الرؤية بالقلب بأن زاده معرفة على غيره يقول الفقير ايراد الرؤية في مقابلة الكلام يدل على رؤية العين لان موسى عليه السلام قد سألها ومنع منها فاقتضى أن يفضل النبي عليه السلام عليه بما منع منه وهو الرؤية البصرية ولاشك أن الرؤية القلبية الحاصلة بالانسلاخ يشترك فيها جميع الانبياء حتى الاولياء وقد صح أن موسى رأى ربه بعين قلبه حين خر في الطور مغشيا عليه وحملها على زيادة المعرفة لا يجدي نفعا وكانت عائشة رضي الله عنها تقول من زعم بأن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله قال في كشف الاسرار قول عائشة نفي وقول ابن عباس بأنه رأى اثبات والحكم للمثبت لا للنافي فالنافي انما نفاه لانه لم يسمعه والمثبت انما أثبته لانه سمعه وعلمه انتهى وقول أبي ذر رضي الله عنه للنبي عليه السلام هل رأيت ربك قال نوراني أراه بالنسبة الى تجرد الذات عن النسب والاضافات أي النور المجرد لا يمكن رؤيته على ما سبق تحقيقه وقال في عين المعاني ولا يثبت مثل هذا أي الرؤية بالعين الا بالاجماع وفي كشف الاسرار قال بعضهم رآه بقلبه دون عينه وهذا خلاف السنة والمذهب الصحيح أنه عليه السلام رأى ربه بعين رأسه انتهى وفي الكواشي يستحيل رؤيته هنا عقلا ومعتقد رؤية الله هنا بالعين لغير محمد غير مسلم أيضا انتهى قال ابن الشيخ اعلم ان رؤية الله تعالى جائزة لان دليل الجواز غير مخصوص بالآخرة ولان مذهب اهل السنة الرؤية بالاراءة لا بقدرة العبد فاذا حصل العلم بالشئ من طريق البصر كان رؤية بالاراءة وان حصل من طريق القلب كان معرفة والله تعالى قادر على أن يحصل العلم بخلق مدرك المعلوم في البصر كما قدر أن يحصله بخلق مدرك المعلوم في القلب والمسئلة مختلف فيها بين الصحابة والاختلاف في الوقوع مما ينبئ عن الاتفاق على الجواز انتهى وكان الحسن البصري رحمه الله يحلف بالله ان محمدا رأى ربه ليلة المعراج (وحكى) النقاش عن الامام أحمد رحمه الله أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس رضي الله عنهما بعينه رآه رآه حتى انقطع نفس الامام أحمد * كلام سرمدي بي نقل بشنيد * خداوند جهانرا بي جهت ديد * در ان ديدن كه حيرت حاصلش بود * دلش در چشم و چشمش در دلش بود * قال بعض الكبار الممنوع من رؤية الحق في هذه الدار انما هو عدم معرفتهم له والا فهم يرونه ولا يعرفون أنه

هو على غير ما يتعقل البصر فالخلق حجاب عليه دائماً فانه تعالى جل عن التكييف دنيا وأخرى فافهم فهم يرونه ولا يرونه وأكثر من هذا الافصاح لا يكون انتهى * يقول الفقير نعم ان الله جل عن الكيفية فى الدارين لكن فرق بين الدنيا والآخرة كثافة ولطافة فان الشهود فى الدنيا بالسر المجرد لغير نبينا عليه السلام بخلافه فى الآخرة فان القلب ينقلب هنالك قالبا فيفعل القالب هنالك ما يفعله القلب والسر فى هذه الدار فاذا كانت لطافة جسم النبى عليه السلام تعطى الرؤية فى الدنيا فما ظنك بلطافته ورؤيته فى الآخرة فيكون شهوده أكمل شهود فى الدارين حيث رأى ربه بالسر والروح فى صورة الجسم * قال فى التأويلات النجمية اتحد بصر ملكوته وبصر ملكه فرأى ببصر ملكوته باطن الحق من حيث اسمه الباطن ورأى ببصر ملكه ظاهر الحق من حيث اسمه الظاهر ورأى بأحديه جمع القوتين الملكوتية والملكية الحقيقة الجمعية المتعينة بجميع التعينات العلوية الروحانية والسفلية الجسمانية مع اطلاقه فى عين تعينه المطلق عن التعين واللاتعين والاطلاق واللااطلاق انتهى هذا وليس وراء عبادان قرية وقال البقلى رحمه الله ذكر الله رؤية فؤاده عليه السلام ولم يذكر العين لان رؤية العين سر بينه وبين حبيبه فلم يذكر ذلك غيرة عليه لان رؤية الفؤاد عام ورؤية البصر خاص أراه جماله عيانا فرآه ببصره الذى كان مكحولا بنور ذاته وصفاته وبقى فى رؤيته عيانا ما شاء الله فصار جسمه جميعه أبصارا رحمانية فرأى الحق بجميعها فوصلت الرؤية الى الفؤاد فرأى فؤاده جمال الحق ورأى ما رأى عينه ولم يكن بين ما رأى بعينه وبين ما رآه بفؤاده فرق فأزال الحق الابهام وكشف العيان بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى حتى لا يظن الظان أن ما رأى الفؤاد ليس كما رأى بصره أى صدق قلبه فيما رآه من لقائه الذى رآه ببصره الظاهر اذ كان باطن حبيبه هنالك ظاهرا وظاهره باطنا بجميع شعراته وذرات وجوده وليس فى رؤية الحق حجاب للعاشق الصادق بأن يغيب عن الرؤية شئ من وجوده فبالغ الحق فى كمال رؤية حبيبه ولذلك قال عليه السلام رأيت ربى بعينى وبقلبى رواه مسلم فى صحيحه قال ابن عطاء ما اعتقد القلب خلاف ما رأته العين وقال ليس كل من رأى سكن فؤاده من ادراكه اذ العيان قد يظهر فيضطرب السر عن حمل الوارد عليه والرسول عليه السلام كان محمولا فيها فى فؤاده وعقله وحسه ونظره وهذا يدل على صدق طويته وحمله فيما شوهد به (أفتمارونه على ما يرى) آيا مجادله ميكنيد با محمد برآنچه ديد در شب معراج ومجادله آن بودكه صفت بيت المقدس وخبر كاروان خود برسيدند * وقال بعضهم أفتجادلونه على رؤية الله تعالى أى ان رسول الله عليه السلام رأى الله وهم يجادلونه فى ذلك وينكرونها * وفى التأويلات النجمية يشير الى مماراة المحتجبين عن الحق بالخلق ومجادلاتهم فى شهود الخلق من دون الحق لقيامهم فى مقام الكثرة الاعتبارية من غير شهود الوحدة الحقيقية أعاذنا الله واياكم من عذاب جحيم الاحتجاب ومن شدة لهب النار والالتهاب (ولقد رآه نزلة أخرى) الضمير البارز فى رآه لجبريل ونزلة منصوب نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها والمعنى وبالله لقد رأى محمد جبريل عليهما السلام على صورته الحقيقية مرة اخرى من النزول وذلك أنه كان للنبى عليه السلام فى ليلة المعراج عرجات لمسألة التخفيف من

أعداد الصلوات المفروضة فيكون الكل عروجه نزلة فرأى جبريل فى بعض تلك النزلات (عند سدرة المنتهى) وهو مقام جبريل وكان قد بقى هنالك عند عروجه عليه السلام الى مستوى العرش وقال لو دنوت أنملة لاحترقت قال عليه السلام رأيته عند سدرة المنتهى عليه ستمائة جناح يتناثر منه الدر والياقوت وعند يجوز أن يكون متعلقا برأى وأن يكون حالا من المفعول المراد به جبريل لان جبريل لكونه مخلوقا يجوز أن يراه النبى عليه السلام فى مكان مخصوص وهو سدرة المنتهى وهى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيلة تنبع من أصلها الانهار التى ذكرها الله فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى مصدر ميمى بمعنى الانتهاء كما قاله الزمخشرى أو اسم مكان بمعنى موضع الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وقيل ينتهى اليها الملائكة ولا يتجاوزونها لان جبريل رسول الملائكة اذا لم يتجاوزها فبالحرى أن لا يتجاوزها غيره فأعلاها لجبريل كالوسيلة لنبينا عليه السلام فكما أن خواص الامة يشتركون مع النبى عليه السلام فى جنة عدن بدون أن يتجاوزوا الى مقامه المخصوص به فكذا الملائكة يشتركون مع جبريل فى السدرة بدون أن يتعدوا الى ما خص به من المكان وقيل اليها ينتهى علم الخلائق وأعمالهم ولا يعلم أحد ما وراءها وذلك لان الاعمال الصالحة فى عليين ولا تعرج الى الاعلى بيد الملائكة فتقف عندها كوقوف الملائكة هذا بالنسبة الى أعمال الامة وأما خواص الامة فلهم من الاعمال ما لا يقف عندها بل يتجاوز الى عالم الارواح فوق مستوى العرش بل الى ما وراءه حيث لا يعلمه الا الله فمثل هذه الصالحات الناشئة عن خلوص فوق خلوص العامة ليست بيد الملائكة اذ لا يدخل مقامها أحد وقيل ينتهى اليها أرواح الشهداء لانها فى أرض الجنان أو ينتهى اليها ما يهبط من فوقها من الاحكام ويصعد من تحتها من الآثار وعن أبى هريرة رضى الله عنه لما أسرى بالنبى عليه السلام انتهى الى السدرة فقيل له هذه السدرة ينتهى اليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك يعنى ميرسد بدين هركس از امت تو كه رفته باشد برسنت تو وقال كعب انها سدرة فى أصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهى الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله وبالجملة هى شجرة غير شجرة طوبى وقال مقاتل السدرة هى شجرة طوبى ولو أن رجلا ركب نجيبه وطاف على ساقها حتى أدركه الهرم لما وصل الى المكان الذى ركب منه تحمل لاهل الجنة الحلى والحلل وجميع ألوان الثمار ولو أن ورقة منها وضعت فى الارض لاضاءت أهلها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشئ الى مكانه كقولك أشجار البستان فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك أو اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم أو اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور أى سدرة المنتهى اليه وهو الله تعالى قال الى ربك المنتهى واضافة السدرة اليه كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم وقال بعضهم المرئى هو الله تعالى يعنى أن محمدا عليه السلام رأى ربه مرة أخرى يعنى مرتين كما كلم موسى مرتين وفيه اشعار بأن الرؤية الثانية كانت كالرؤية الاولى بنزول ودنو فقوله عند لا يجوز أن يكون حالا من المفعول المراد به الله تعالى لان الله تعالى منزه عن أن يحل فى زمان أو مكان فهو متعلق برأى يعنى أنه عليه السلام رأى ربه رؤية ثانية عند سدرة المنتهى على أن يكون الظرف ظرفا لرأى ورؤيته

لا لامرئى كما اذا قلت رأيت الهلال فقيل لك أين رأيت فتقول عند الشجرة الفلانية وجعل ابن
برجان الاسراء مرتين الاولى بالفؤاد وهذه بالعين ولما كان ذلك لايتأتى الا بتنزل يقطع مسافات
البعد التى هى الحجب لبصيره بحيث يراه البشر عبر بقوله نزلة أخرى وعين الوقت بتعين المكان
فقال عند سدرة المنتهى كما فى تفسير المناسبات (وروى) عن وكيع عن كعب الاحبار أنه قال
رأى ربه مرة أخرى فقال ان الله تعالى كلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين عليهما السلام فلما
بلغ ذلك عائشة رضى الله عنها قالت قد اقشعر جلدى من هيبة هذا الكلام فقيل لها يا أم
المؤمنين أليس يقول الله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا سألت النبى عليه السلام
عن ذلك فقال رأيت جبريل نازلا فى الافق على خلقته وصورته انتهى وقال بعضهم رآه بفؤاده
مرتين * يقول الفقير لما كان هذا المقام لايخلو عن صعوبة واحتمال وتأويل كفروا من أنكر
المعراج الى المسجد الاقصى لثبوته بالنص القطعى وهو قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده الخ
وضللوا من أنكره الى مافوقه لثبوته بالخبر المشهور قال الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر
ان معراجه عليه السلام أربع وثلاثون مرة واحدة بجسده والباقى بروحه رؤيا رآها * وفى
التأويلات النجمية يشير الى رد استجاب أهل الحجاب شهود النبى عليه السلام الحضرة الالهية
فى المظاهر الكونية والمجالى الغيبية وأنى لهم هذا الاستجاب والاستغراب وماقيده فى حضرة
دون حضرة وفى مشهد دون مشهد بل شهرة وعلانية مرة بعد مرة وساعة بعد ساعة بل مااحتجب
لحظة منه تعالى وماغاب عنه لمحة مرة شاهده فى مقام أحديته بفنائه عنه ونزلة عاينه فى مقام
واحديته بالبقاء به عند نزوله من المشهد الاحدى الى المشهد الواحدى المسمى سدرة المنتهى
التى هى شجرة الكثرة لابتداء الكثرة منها وانتهاء مظاهرها اليها بحسب الاعمال والاقوال
والافعال والاحوال شبهت السدرة بشجرة الكثرة لكثرة اظلالها وأغصانها كما فى شجرة
الكثرة التى هى الواحدية لظهور التعينات والتكثرات منها واستظلال المتعينات بها بالوجود
العينى الخارجى انتهى وقال البقلى ما الرؤية الثانية بأقل كشفا من الرؤية الاولى ولا الاولى
بأكشف من الرؤية الثانية أين أنت لوكنت أهلا لقلت لك انه عليه السلام رأى ربه فى لحافه
بعد أن رجع من الحضرة أيضا فى تلك الساعة وماغاب قلبه من تلك الرؤية لمحة وماذكر سبحانه
بيان أن مارأى فى الاولى فى الامكان ومارأى عند سدرة المنتهى كان واحدا لانظهوره هنالك
ظهور القدم والجلال وليس ظهوره يتعلق بالمكان ولا بالزمان اذ القدم منزه عن المكان
والجهات وكان العبد فى المكان والرب فى الامكان وهذا غاية فى كمال تنزيهه وعظيم لطفه اذ
تجلى نفسه لقلب عبده وهو فى الامكان والعبد فى مكان والعقل ههنا مضمحل والعلم متلاش
لان العقول عاجزة والاوهام متحيرة والقلوب والهة والارواح حائرة والاسرار فانية وفى هذه
الآية بيان كمال شرف حبيبه اذ رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ظن عليه السلام أن مارآه
فى الاولى لايكون فى الكون لكمال علمه بتنزيه الحق فلما رآه ثانية علم أن لايحجبه شئ من الحدثان
وعادة الكبراء اذا زارهم أحد يأتون معه الى باب الدار اذا كان كريما فهذا من الله اظهار كمال
حب لحبيبه وحقيقة الاشارة أنه سبحانه أراد أن يعرف حبيبه مقام الالتباس فلبس الامر
وأظهر المكر بأن بان الحق من شجرة سدرة المنتهى كما بان من شجرة العناب لموسى ليعرف حبيبه

بكمال المعرفة اذليس بعارف من لم يعرف حبيبه فى ألبسة مختلفة انتهى ولما أراد سبحانه أن يعظم السدرة ويبين شرفها قال (عندها) أى عند السدرة (جنة المأوى) والجملة حالية قيل الاحسن أن يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به بالفاعلية واضافة الجنة الى المأوى مثل اضافة مسجد الجامع أى الجنة التى يأوى اليها المتقون أى تنزل فيها وتصير وتعود اليها أرواح الشهداء وبالفارسية بهشتى كه آرامگاه متقيان يامأوى ومكان أرواح شهداست * أو آوى اليها آدم وحواء عليهما السلام يقال أويت منزلى واليه أويا وأويا وياعدت وأويته نزلته بنفسى والمأوى المكان قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر آدم عليه السلام أنزل من جنة المأوى التى هى اليوم مقام الروح الامين جبريل عليه السلام وهى اليوم برزخ لذرية آدم ونزل اليها جبريل من السدرة بنزول آدم وهذه الجنة لاتقتضى الخلود لذاتها فلذلك أمكن خروج آدم منها ولذلك تأثر بالاشتياق الى أن يكون ملكا بعد سجود الملائكة له بغرور ابليس اياه ووعده فى الخلود رغبة فى الخلود والبقاء مع جبريل والجنة التى عرضها السموات والارض تقتضى الخلود لذاتها يعلم من دخلها أنه لايمكن الخروج منها اذلاسبيل للكون والفساد اليها قال تعالى فى وصف عطائها انه غير مجذوذ أى غير منقطع انتهى فالجنة التى عرضها السموات والارض أرضها الكرسى الذى وسع السموات والارض وسقفها العرش المحيط فهى محيطة بالجنان الثمان وليست هى الجنة التى أنزل منها آدم كذا قاله الشيخ أيضا فى كتاب تلقيح الاذهان وقال نجم الدين رحمه الله فى تأويلاته يشير الى أن الجنة العلية التى يسعى بها الجانين العاشقون عن أنانيتهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وفى قوله عندها اشارة الى الهوية الظاهرة بالشجرة الواحدية المسماة بسدرة المنتهى لانتهاء أرواح الشهداء المقتولين بسيف الصدق والاخلاص ورمح الرياضات والمجاهدات اليها (اذ يغشى السدرة مايغشى) زيادة فى تعظيم السدرة واذ ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية فان ما النافية لايعمل مابعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة أو للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد والمعنى ولقد رأى محمد جبريل عند السدرة وقت ماغشيها وغطاها مالا يكتنهه الوصف ولايفى به البيان كيفا ولا كما وفى الحديث وغشيها ألوان لا أدرى ماهى فليس أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها وعنه عليه السلام رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف أى جماعة من طيور خضر وقيل يغشاها فراش أو جراد من ذهب (كما قال الكاشفى) وكويند پروانه آن فرشتكان طيران ميكردند چون پروانهاى زرين * وقيل يغشاها سبحات أنوار الله حين تجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت أقوى من الجبل حيث لم يصبها ما أصابه من الدك وذلك لان الجبل كان فى عالم الملك الضعيف والسدرة فى عالم الملكوت القوى ولذا لم يخر عليه السلام هنالك مغشيا عليه حين رأى جبريل كما غشى عليه حين رآه فى الافق الاعلى لقوة التمكين وغاية لطافة الجسد الشريف وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر يعبدون الله تعالى عندها أو يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها الملائكة النازلون للقاء النبى عليه السلام فانهم استأذنوا الله فأذن لهم وقيل لاتأتوه بغير نثار فجاء كل واحد منهم بطبق

من أطباق الجنة عليه من اللطائف ما لا يحصى فنثروه بين يديه تقربا اليه وفى الحديث انه أعطى رسول الله عندها يعنى السدرة ثلاثا يعنى سه چيز الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن مات من أمته لا يشرك بالله شيأ وفى التأويلات النجمية يشير الى تعظيم المظاهر الاسمائية والصفاتية الجمالية اللطيفة والجلالية القهرية الغاشية الساترة شجرة الواحدية المسماة بسدرة المنتهى بحيث لا تعد ولا تحصى لعدم نهاية مصادرها لان الاسماء بحسب الجزئيات غير متناهية وان كانت من حيث كلياتها متناهية وكان حقيقة السدرة وعودها مغشية مستورة بكثرة أغصانها وأوراقها وأزهارها وهذا الوصف يدل على عظمة شأن الشجرة عينها وجلالة قدرها وكيف لا والواحدية من حيث الحقيقة عين الاحدية ومن حيث الاعتبار العقلى غيرها فافهم جدا لا يفوتك الحقيقة بل الطريقة والشريعة انتهى وقال البقلى رحمه الله أبهم ما غشيها لان العقول لا تدرك حقائق ما يغشاها وكيف يغشاها والقدم منزه عن الحلول فى الاماكن وكانت الشجرة مرآة لظهوره سبحانه ما ألطف ظهوره لا يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون بعد عرفانهم به آمنا به (مازاغ البصر) الزيغ الميل عن الاستقامة أى ما مال بصر رسول الله عليه السلام أدنى ميل عما رآه (وما طغى) وما تجاوز مع ما شاهد هنالك من الامور المذهلة مما لا يحصى بل أثبته اثباتا صحيحا متيقنا أو ما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها واستدل على أن رؤية الله كانت بعين بصره عليه السلام يقظة بقوله مازاغ البصر الخ لان وصف البصر بعدم الزيغ يقتضى أن ذلك يقظة ولو كانت الرؤية قلبية لقال مازاغ قلبه وأما القول بأنه يجوز أن يكون المراد بالبصر بصر قلبه فلا بد له من القرينة وهى ههنا معدومة (قال الكاشفى فى معنى الآية) ميل نكرد چشم محمد عليه السلام و بچپ وراست ننكريست ودر نكذشت از حديكه مقرر بود نكريستن و برادر بن آيت ستايش آن حضرتست بحسن ادب وعلو همت كه دران شب بر توالتفات برهيچ ذره از ذرات كائنات نيفكند وديده دل بجز مشاهده جمال بى زوال الهى نكشود * در ديده كشيده كحل مازاغ * نى راغ نكاه كردونى باغ * ميراند براق عرش پرواز * تا جلوه كه نياز و پرده راز * پس پرده ز پيش ديده برخاست * بى پرده بديد آنچه دل خواست * وفى التأويلات النجمية يشير الى تحقق النبى عليه السلام بمقام حقيقة الفقر الكلى الذى هو الخلو المطلق عما سواه لانه قال الفقر فخرى وأى فقر أعظم وأفخم من أن يخرج العبد عن وجوده الكلى المجازى ويقوم بالوجود الحقيقى ويظهر بصفات سيده حتى يقال له عبد الله أى لا عبد غيره يعنى ما مال بصر ملكه الجسمانى الى ملك الدنيا وزينتها وزخارفها وجاهها ومالها وما طغى نظر ملكوته الروحانى الى عالم الآخرة ونعيمها ودرجاتها وقرباتها وغرفاتها بل اتحدا واجتمعا اتحادا كليا واجتماعا حقيقيا من غير فتور وقصور على شهود الحق وأسمائه وصفاته وعجائب تجلياته الذاتية وغرائب تنزلاته الصفاتية وأيضا مازاغ عين ظاهره الى الكثرة الاسمائية قائمة بالوحدة الذاتية وغرائب تنزلاته بكمال قيامه بشهود المرتبتين واحاطة علمه بوجود المرتبتين فافهم والا تندم وقال البقلى رحمه الله هذه الآية فى الرؤية الثانية لان فى الرؤية الاولى لم يكن شئ دون الله ولذلك ما ذكر هنالك غض البصر وهذا من كمال تمكين الحبيب فى محل الاستقامة وشوقه الى مشاهدة ربه اذ لم يمل الى شئ دونه وان كان محل

الشرف

الشرف والفضل (وفى كشف الاسرار) موسى عليه السلام چون ديدار خواست كه أرنى أنظر اليك اورا بصمصام غيرت لن ترانى جواب دادند پس چون تاوان زده آن سؤال گشت بغرامت تبت اليك وانا اول المؤمنين باز آمد باز چون نوبت بمصطفى عليه السلام رسيد ديده ويرا توتياى غيرت لا تمدن عينيك دركشيدند گفتند اى محمد ديده كه با آن ديدن ما را خواهى ديگر نگر تا بعاريت بكس ندهى مهتر عصابه عزت مازاغ البصر وما طغى برديده خود بست بزبان حال گفت * بربندم چشم خويش ونگشايم نيز * تا روز زيارت تواى يار عزيز * لاجرم چون حاضر حضرت گشت جمال وجلال ذو الجمال والجلال برديده او كشف كردند كه ما كذب الفؤاد ما رأى * همه تن ذكر گردد چو باتو راز كنم * همه كمال تو بينم چو ديده باز كنم

ان تذكرته فكلى قلوب * أو تأملته فكلى عيون

وگفته اند موسى عليه السلام چون از حضرت مناجات باز گشت باوى نور هيبت بود وعظمت هركه در روى نگريست نابينا گشت باز مصطفى عليه السلام چون از حضرت مشاهدت باز گشت باوى نور انس بود تا هركه بروى نگريد بينايى او بيفزود آن مقام أهل تلوين است واين مقام ارباب تمكين (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أى وبالله لقد رأى محمد عليه السلام ليلة المعراج الآيات التى هى كبراها وعظماها فأرى من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة فقوله من آيات ربه حال قدمت على ذيها وكلمة من للبيان لانه المناسب لمرام المقام وهو التعظيم والمبالغة ولذا لم تحمل على التبعيض على أن يكون هو المفعول ويجوز أن يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف أى شيأ أعظيما من آيات ربه وأن تكون من مزيدة يعنى على مذهب الاخفش وكان الاسراء ليلة السابع والعشرين من رجب على ما عليه الاكثر فى السنة الثانية عشرة من النبوة قبل الهجرة بقليل كما فى تفسير المناسبات وفيه اشكال فان هذه السورة نزلت فى السنة الخامسة من النبوة على ما مر فى أول السورة قال المفسرون رأى عليه السلام أى أبصر تلك الليلة رفرفا أخضر سد أفق السماء فجلس عليه وجاوز سدرة المنتهى والرفرف البساط وهو صورة همته البسيطة العريضة المحيطة بالآفاق مطلقا لانه عليه السلام فى سفر العالم البسيط ولا يصل اليه الا من له علو الهمة مثله وقد قال حسان رضى الله عنه فى نعته عليه السلام

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

ورأى تلك الليلة طوائف الملائكة وسدرة المنتهى وجنة المأوى وما فى الجنان لاهل الايمان وما فى النيران لاهل الطغيان والظلم والانوار وما يعجز عنه الافكار وتحار فيه الابصار ومن ذلك ما رآه فى السموات من الانبياء عليهم السلام اشارة بكل نبى الى أمر دقيق جليل وحالة شريفة قال الامام أبو القاسم السهيلى رحمه الله فى الروض الانف والذى أقول فى هذا ان مأخذ فهمه من علم التعبير فانه من علم النبوة وأهل التعبير يقولون من رأى نبيا بعينه فى المنام فان رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبى فى شدة أو رخاء أو غير ذلك من الامور التى أخبر بها عن الانبياء فى القرآن والحديث مثلا من رأى آدم عليه السلام فى مكان على حسنه وجماله وكان للولاية أهلا ملك ملكا عظيما لقوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة ومن رأى نوحا

عليه السلام فانه يعيش عيشا طويلا ويصيبه شدة وأذى من الناس ثم يظفر بهم ومن رأى ابراهيم عليه السلام فانه يعق اباه ويرزق الحج وينصر على أعدائه وينا له هول وشدة من ملك جائر ثم ينصر ومن رأى يوسف عليه السلام فانه يكذب عليه ويظلم وينا له شدة ويحبس ثم يملك ملكا ويظفر ومن رأى موسى وهرون عليهما السلام فان الله يهلك على يده جبارا عنيدا ومن رأى سليمان عليه السلام فانه يلي القضاء أو الملك أو يرزق الفقه ومن رأى عيسى عليه السلام فانه يكون رجلا مبارك نفاعا كثير الخير كثير السفر في رضا الله ومن رأى نبينا صلى الله عليه وسلم وليس في رؤياه مكروه لم يزل خفيف الحال وان رآه في أرض جدب أخصبت أو في أرض قوم مظلومين نصروا ومن رآه عليه السلام فان كان مغموما ذهب غمه وان كان مديونا قضى الله دينه وان كان مغلوبا نصر وان كان محبوسا أطلق وان كان عبدا أعتق وان كان غائبا رجع الى أهله سالما وان كان معسرا أغناه الله وان كان مريضا شفاه الله تعالى * وحديث الاسراء كان بمكة ومكة حرم الله وأمنه وقطانها جيران الله لان فيها بيته فأول من رأى عليه السلام من الانبياء كان آدم عليه السلام الذي كان في أمن الله وجواره فأخرجه ابليس عدوه منها وهذه القصة تشبهها الحالة الاولى من أحوال النبي عليه السلام حين أخرجه اعداؤه من حرم الله وجوار بيته وكربه ذلك وغمه فأشبهت قصته في هذا قصة آدم مع أن آدم تعرض عليه أرواح ذريته البر والفاجر منهم فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لان أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء ولا تفتح لهم أبوابها ثم رأى في الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام وهما الممتحنان باليهود أما عيسى عليه السلام فكذبته اليهود وآذته وهموا بقتله فرفعه الله وأما يحيى عليه السلام فقتلوه ورسول الله عليه السلام بعد انتقاله الى المدينة صار الى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته فيها باليهود آذوه وظاهروا عليه وهموا بالقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجى عيسى منهم ثم سموه في الشاة فلم تزل تلك الاكلة تعاوده حتى قطعت أبهره كما قال عند الموت (وفي المثنوي) چون سفيها نراست اين كار وكيا * لازم آمد يقتلون الانبياء * ومما يؤثر عن سعيد بن المسيب رحمه الله الدنيا نذلة تميل الى الانذال ومن استغنى بالله افتقر اليه الناس وأما لقاؤه ليوسف عليه السلام في السماء الثالثة فانه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حالة يوسف عليه السلام وذلك أن يوسف ظفر باخوته بعد ما أخرجوه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال لا تثريب عليكم اليوم الآية وكذلك نبينا عليه السلام أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من أطلق ومنهم من فداه ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم أقول ما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم ثم لقاؤه لادريس عليه السلام في السماء الرابعة وهو المكان الذي سماه الله مكانا عليا وادريس أول من آتاه الله الخط بالقلم فكان ذلك مؤذنا بحالة رابعة وهو علو شأنه عليه السلام حتى أخاف الملوك وكتب اليهم يدعوهم الى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبي عليه السلام ورأى ما رأى من خوف هرقل كسبحل وذ برج لقد أمر أمر ابن أبي كبشة حين أصبح يخافه ملك بني الاصفر وكتب عليه السلام بالقلم الى جميع ملوك الارض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي بالتخفيف وملك عمان ومنهم من هادنه وأهدى اليه وأتحفه كهرقل والمقوقس سلطان مصر ومنهم

من

من تعصى عليه فأظفره الله به فهذا مقام على وخط بالقلم جلى نحو ما أوتى ادريس ولقاؤه فى السماء السادسة لموسى عليه السلام يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بغزوة الشام وظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها وأدخل بنى اسرائيل البلد الذى خرجوا منه بعد اهلاك عدوهم وكذلك غزا رسول الله عليه السلام تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دومة الجندل حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيرا وافتتح مكة وأدخل أصحابه البلد الذى خرجوا منه ثم لقاؤه فى السماء السابعة لابراهيم عليه السلام لحكمتين احداهما انه رآه عند البيت المعمور مسندا ظهره اليه والبيت المعمور حيال الكعبة أى بازائها ومقابلتها واليه تحج الملائكة كما أن ابراهيم هو الذى بنى الكعبة وأذن فى الناس بالحج اليها والحكمة الثانية أن آخر أحوال النبى عليه السلام حجه الى البيت الحرام وحج معه ذلك العام نحو من سبعين ألفا من المسلمين ورؤية ابراهيم عليه السلام عند أهل التأويل تؤذن بالحج لانه الداعى اليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة قال الامام ان هذه الآية تدل على أن محمدا عليه السلام لم ير الله ليلة المعراج وانما رأى آيات الله وفيه خلاف ووجه الدلالة أنه ختم قصة المعراج ههنا برؤية الآيات وقال فى موضع آخر سبحان الذى أسرى بعبده ليلا الى أن قال لنريه من آياتنا ولو كان رآه لكان ذلك أعظم ما يمكن من الكرامة فكان حقه أن يختم به قصة المعراج انتهى يقول الفقير رؤية الآيات مشتملة على رؤية الله تعالى كما قال الشيخ الكبير رضى الله عنه فى الفكوك انما تعذر الرؤية والادراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والاضافات فأما فى المظاهر ومن وراء حجابية المراتب فالادراك ممكن كما قيل

كالشمس تمنعك اجتلاءك وجهها * فاذا اكتست برقيق غيم أمكنا انتهى

وأما اشتمال اراءة الآيات على اراءة الله تعالى فلما كانت تلك الآيات الملكوتية فوق الآيات الملكية أشهده تعالى فى تلك المشاهد ليكمل له الرؤية فى جميع المراتب والمشاهد ومن المحال أن يدعو كريم كريما الى داره ويضيف حبيب حبيبا فى قصره ثم يستتر عنه ولا يريه وجهه وفى التأويلات النجمية يشير الى أن الله تعالى آيات كبرى وصغرى أما الآيات الكبرى فهى الصفات القديمة الازلية المسماة عند القوم بالائمة السبعة كالحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام والآيات الصغرى هى الاسماء الالهية التى قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى وانما سميت الاولى بالكبرى والثانية بالصغرى لان الصفات مصادر الاسماء ومراجعها كما ان الحى يرجع فى الوجود الى الحياة والعليم الى العلم والقادر الى القدرة ولان الاسماء مظاهر الصفات كما أن الحى يرجع فى الوجود الى الافعال والافعال مظاهر الاسماء والآثار مظاهر الافعال وأما التخصيص بالكبرى دون الصغرى وان كانت من آيات الله كما قال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى لان شهود الآيات الكبرى يستلزم شهود الآيات الصغرى لان الله تعالى اذا تجلى لعبده بصفة الحياة والعلم والقدرة لابد للعبد أن يصير حيا بحياته عليما بعلمه قديرا بقدرته لخص المعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما عرج به الى سماء الجمعية الوحدانية وأدرج فى نور الفردانية تجلى الحق سبحانه أولا بصورة هذه الصفات الكبرى التى هى مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو بحيث صارت حياته

مادة حياة العالم كله علويه وسفليه روحانيه وجسمانيه معدنيه ونباتيه وحيوانيه وانسانيه كما قال وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وقال لولاك لما خلقت الافلاك وقال عليه السلام أنا من الله والمؤمنون منى وكذا صار علمه محيطا بجميع المعلومات الغيبية الملكوتية كما جاء فى حديث اختصام الملائكة أنه قال فوضع كفه على كتفى فوجدت بردها بين ثديى فعلمت علم الاولين والآخرين وفى رواية علم ما كان وما سيكون وكذا قدرته كسر بها أعناق الجبابرة وضرب بالسيف رقاب الاكاسرة وخرب حيطانهم وحصونهم فما بقين ولا بقوا وببركة هذا التجلى الجمعى الكلى الاحاطى صار آدم بتبعيته وخلافته خليفة العالم كما أخبر فى كتابه العزيز انى جاعل فى الارض خليفة وأسجد الله الملائكة لتلألؤ نوره الوحدانى فى وجه آدم هذا تحقيق قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اللام جواب القسم ومن مزيدة انتهى * وقال البقلى رحمه الله أراه سبحانه من آياته العظام ما لا يقوم برؤيتها أحد سواه أى المصطفى عليه السلام وذلك بأن ألبسه قوة الجبارية الملكوتية كما قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى وذلك ببروز أنوار الصفات فى الآيات وتلك الآيات لو رآها أحد لاستغرق فى رؤيتها فكان من كمال استغراقه فى بحر الذات والصفات لم يكبر عليه رؤية الآيات قال ابن عطاء رأى الآيات فلم تكبر فى عينه لكبر همته وعلو محله ولاتصاله بالكبير المتعال قال جعفر شاهد من علامات المحبة ما كبر عن الاخبار عنها (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) هى أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف أصلها لوية فأسكنت الياء وحذفت لالتقاء الساكنين فبقيت لوة فقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت لاة فهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وكانت على صورة آدمى قال سعدى المفتى فان قلت هذا يختص بقراءة الكسائى فانه يقف على اللاة بالهاء وأما الباقون فيقفون عليها بالتاء فلا يجوز أن تكون من تلك المادة قلت لا نسلم ذلك فانهم انما يقفون بها مراعاة لصورة الكتابة لا غير انتهى والعزى تأنيث الاعز كانت لغطفان وهى سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وهو يقول

يا عزى كفرانك لا سبحانك * انى رأيت الله قد أهانك

فخرجت من أصلها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهى تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فأخبر رسول الله عليه السلام فقال تلك لن تعبد أبدا وفى القاموس العزى صنم أو سمرة عبدتها غطفان أول من اتخذها ظالم بن أسعد فوق ذات عرق الى البستان بتسعة أميال بنى عليها بيتا وسماه بسا وكانوا يسمعون فيها الصوت فبعث اليها رسول الله خالد بن الوليد فهدم البيت وأحرق السمرة انتهى ومناة صخرة لهذيل وخزاعة سميت مناة لان دماء المناسك تمنى عندها أى تراق ومنه منى وفى انسان العيون مناة صنم كان للاوس والخزرج أرسل رسول الله عليه السلام سعد بن زيد الاشهلى رضى الله عنه فى عشرين فارسا الى مناة ليهدم محلها فلما وصلوا الى ذلك الصنم قال السادن لسعد ما تريد قال هدم مناة قال أنت وذاك فأقبل سعد الى ذلك الصنم فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال لها السادن مناة دونك بعض عصاتك فضربها سعد فقتلها وهدم محلها انتهى ووصف مناة بالثالثة تأكيدا لانهم لما عظموا عليها علم أنها ثالثتهما والاخرى صفة ذم لها وهى المتأخرة الوضيعة المقدار

أى مناة الحقيرة الذليلة لان الاخرى تستعمل فى الضعفاء كقوله تعالى قالت أخراهم لاولاهم أى ضعفاؤهم لرؤسائهم قال ابن الشيخ الاخرى تأنيث الآخر بفتح الخاء وهو فى الاصل من التاخر فى الوجود نقل فى الاستعمال الى المغايرة مع الاشتراك مع موصوفه فيما أثبت له ولا يصح حمل الاخرى فى الآية على هذا المعنى العرفى اذ لامشاركة لمناة فى كونها مناة ثالثة حتى توصف بالاخرى احترازا عنها فلذلك حمل على المعنى المذكور انتهى وقد جوز أن تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى فتكون مناة من التأخر الرتبى يعنى أن العزى شجرة وهى لكونها من أقسام النبات أشرف من مناة التى هى صخرة وجماد فهى متأخرة عنها رتبة ويقال ان المشركين أرادوا أن يجعلوا لآلهتهم من الاسماء الحسنى فأرادوا ان يسموا واحدا منها الله فجرى على ألسنتهم اللات وارادوا ان يسموا واحدا منها العزيز فجرى على السنتهم العزى وارادوا أن يسموا واحدا منها المنان فجرى على السنتهم المنات وقال الراغب أصل اللات اللاه فحذفوا منه الهاء وأدخلوا التاء فيه فأنثوه تنبيها على قصوره عن الله وجعلوه مختصا بما يتقرب به الى الله فى زعمهم وقال السهيلى أصل هذا الاسم أى اللات لرجل كان يلت السويق للحاج بسمن واقط اذا قدموا وكانت العرب تعظم ذلك الرجل باطعامه فى كل موسم فلما مات اتخذ مقعده الذى كان يلت فيه السويق منسكا ثم سخ الامر بهم الى أن عبدوا تلك الصخرة التى كان يقعد عليها ومثلوها صنما وسموها اللات أعنى لات السويق ذكر ذلك كثير ممن ألف فى الاخبار والتفسير انتهى وهذا على قراءة من يشدد اللات أى التاء منه وقد قرأ به أى بالتشديد ابن عباس وعكرمة وجماعة كما فى القاموس ثم انهم كانوا مع ماذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله فقيل لهم توبيخا وتبكيتا أفرأيتم والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ماذكر من شؤن الله المنافية لها غاية المنافاة وهى قلبية ومفعولها الثانى محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله فى ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وأحكام قدرته ونفاذ أمره فى الملا الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها بنات له تعالى قال بعضهم كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها اجنيات هن بناته تعالى أو هذه الاصنام هياكل الملائكة التى هن بناته تعالى * وفى التأويلات النجمية يخاطب عبدة الاصنام صنم لات النفس وصنم عزى الهوى ومناة الدنيا الدنية الخسيسة الحقيرة الواقعة فى أدنى المراتب لخسة وصفها ودناءة قدرها ويستفهم منهم انكارا لهم وردا عليهم أخبرونى عن حال آلهتكم التى اتخذتموها معبودات وتمكنتم على عبوديتها هل وجدتم فيها صفة من صفات الالهية من الايجاد والاعدام والنفع والضر وأمثالها الا والله بل اتخذتموها آلهة لغاية ظلوميتكم على أنفسكم ونهاية جهوليتكم بالاله الواحد الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (قال المغربى رحمه الله) بود وجود مغربى لات ومنات او بود * نيست بتى جو بود او درهمه سومنات تو (ألكم الذكر وله الانثى) توبيخ مبنى على التوبيخ الاول والمعنى بالفارسية اياشمارا فرزندان نرباشند ومر خدايرا ماده (تلك) اشارة الى القسمة المفهمة من الجملة الاستفهامية (اذا) آنهنكام كه چنين باشد (قسمة ضيزى) أى جائرة معوجة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور يعنى أن أصله ضيزى بضم الضاد

من ضاز فى الحكم يضيز ضيزا أى جار وضازه حقه يضيزه أى بخسه ونقصه لكن كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل فى البيض فان أصله بيض بضم الباء لانه جمع أبيض كحمر فى جمع أحمر وذلك لان فعلى بالكسر لم يأت فى الوصف وفيه اشارة الى استنكار شركهم وتخصيصهم الشرك ببعض الظاهر دون بعض يعنى أتخصصون ذكر الروح لكم وان كان مستاباسة بلا ظلمة نفوسكم الظلمانية عليه وتجعلون أنثى النفس فى عبوديتها واتباع مراداتها وانقيادا وامرها ونواهيها شريكا لله تعالى الله عما يقول الظالمون الذين وضعوا الجور موضع العدل وبالعكس ما هذا الا قسمة الجور والجائر لا قسمة العدل والعادل (ان هى) الضمير للاصنام أى ما الاصنام باعتبار الالوهية التى تدعونها أى باعتبار اطلاق اسم الاله (الا أسماء) أى أسماء محضة ليس تحتها مسميات أى ما تنبئ هى عنه من معنى الالوهية شئ ما أصلا كما اذا أردت أن تحقر من هو ملقب بما يشعر بالمدح وفخامة الشان تقول ما هو الا اسم (قال المولى الجامى) مرد جاهل جاه كيتى را اقب دولت نهد * همچنان آماس ببند طفل كويد فربهست (وقال فى ذم أبناء الزمان) شكل ايشان شكل انسان فعل شان فعل سباع * هم ذئاب فى ثياب أو ثياب فى ذئاب * ويجوز الحمل على الادعاء (سميتموها) صفة لاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها أسماء لا جعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا نسبت الى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى واذا نسبت الى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وانما اختير ههنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الاصنام التى يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما فى قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها الا أن هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية أى ما هى الا أسماء خالية من المسميات وضعتموها (أنتم وآباؤكم) بمقتضى أهوائكم الباطلة (ما أنزل الله بها) أى بصحة تسميتها (من سلطان) برهان تتعلقون به جميع القرآن أنزل بالالف الا فى الاعراف فانه نزل بالتشديد (ان يتبعون) التفات الى الغيبة للايذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم أى ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها (الا الظن) الا توهم أن ما هم عليه حق توهما باطلا (وما تهوى الانفس) أى تشتهيه أنفسهم الامارة بالسوء فما موصولة ويجوز كونها مصدرية والالف واللام بدل الاضافة وهو معطوف على الظن * وفى التأويلات النجمية يقول ليست هذه الاصنام التى تعبدونها بضلالة نفوسكم الدنية الشهوانية وجهالة عقولكم السخيفة الهيولانية الا أسماء صور وهمية لا مسميات لها أوجدتها أوهامكم الضعيفة وأدركتها عقولكم المريضة المشوبة بالوهم والخيال التى هى بمرتبة آبائكم ليس لها عند أصحاب الطلب وأرباب الكشف والقرب وجود ولا نمو بل هى خشب مسندة ما جعل الله فى تلك الاصنام النفسية والهوائية والدنيوية ولا ركب فيها التصرف فى الاشياء فى الايجاد والاعدام والقهر واللطف والنفع والضر والاشياء علويها وسفليها جمادها ونباتها حيوانها وانسانها كلها مظاهر الاسماء الالهية ومجالى الصفات الربانية الجمالية والجلالية أى اللطفية والقهرية تجلى الحق فى الكل بحسب الكل لا بحسبه الا الانسان الكامل فانه تجلى فيه بحسب الكلية المجموعية وصار خليفة الله فى الارض وأنتم أيها الجهلة الظلمة ما تتبعون تلك الصفات الالهية وما تشهدون فى الاشياء تلك الحقائق الروحانية والاسرار

الربانية المودعة فى كل حجر ومدر بل أعرضتم باتباع الشهوات الحيوانية وملازمة الجسمانية
الظلمانية عن ادراك تلك اللطائف الروحانية وشهود تلك العواطف الرحمانية واتبعتم مظنونات
ظنكم الفاسد وموهومات وهمكم الكاسد وآثرتم هوى النفس المشؤمة على رضا الحق وذلك
هو الخسران المبين وان الظن لا يغنى من الحق شيأ انتهى وقال الجنيد قدس سره رأيت سبعين
عارفا قد هلكوا بالتوهم أى توهموا أنهم عرفوه تعالى فالكل معزولون عن ادراك حقيقة الحق
وما أدركوا فهو أقدارهم وجل قدر الحق عن ادراكهم قال تعالى وما قدروا الله حق قدره
ولذلك اجترأ الواسطى رحمه الله فى حق سلطان العارفين أبى يزيد البسطامى قدس سره بقوله
كلهم ماتوا على التوهم حتى أبو يزيد مات على التوهم وقال البقلى يا عاقل احذر مما يغوى أهل
الغرة بالله من الاشكال والمخايل التى تبدو فى غواشى أدمغتهم وهم يحسبون أنها مكاشفات
الغيوب ونوادر القلوب ويدعون أنها عالم الملكوت وأنوار الجبروت وما يتبعون الا أهواء
نفوسهم ومخايل شياطينهم التى تصور عندهم أشكالا وعثالا ويزينون لهم أنها الحق والحق منزه
عن الاشكال والتمثال ايالك يا صاحبى وصحبة الجاهلين الحق الذين يدعون فى زماننا مشاهدة الله
ومشاهدة الله حق للاولياء وليست بمكشوفة للاعداء (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) حال من
فاعل يتبعون أو اعتراض وأياما كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة
تقبيح لحالهم فان اتباعهما من أى شخص كان قبيح وممن هداه الله بارسال الرسول وانزال الكتاب
أقبح فالهدى القرآن والرسول ولم يهتدوا بهما وفيه اشارة الى افساد استعدادهم الفطرى الغير
المجعول بواسطة تلبسهم بملابس الصفات الحيوانية العنصرية وانهماكهم فى الغواشى الظلمانية
الطبيعية فانهم مع أن جاءهم من ربهم أسباب الهدى وموجباته وهو النبى عليه السلام والقرآن
وسائر المعجزات الظاهرة والخوارق الباهرة الدالة على صدق نبوته وصحة رسالته اشتغلوا بمتابعة
النفس وموافقة الهوى وأعرضوا عن التوجه الى الولى والمولى وذلك لان هداهم ما جاءهم
الا فى يوم الدنيا الا فى يوم الازل ومن لم يجعل الله له نورا فى يوم الازل فما له من نور الى يوم الابد واعلم
أن الهدى ضد الهوى فلا بد من المتابعة للهدى قال بعض الكبار ليس لولى كرامة الا بحكم
الارث لمن ورثه من الانبياء عليهم السلام ولذلك لم يقدر من هو وارث عيسى عليه السلام أن
يمشى فى الهواء والماء ومن هو وارث محمد عليه السلام له المشى على الهواء والماء لعموم مقامه
وفى الحديث لو ازداد عيسى يقينا لمشى فى الهواء أى بموجب قوة يقينية لا بموجب صدق اتباعى
ولا نشك أن عيسى عليه السلام أقوى يقينا من سائر الاولياء الذين يمشون فى الهواء بالاتفاق
فانه من أولى العزم من الرسل فعلمنا قطعا أن مشى الولى منا فى الهواء انما هو بحكم
صدق التبعية لا بزيادة اليقين على يقين عيسى عليه السلام وعيسى أصدق فى تبعيته لمحمد عليه
السلام من جميع الاولياء فله القدرة بذلك على المشى على الهواء وان ترك ذلك من نفسه وبالجملة
فلا يمشى فى الهواء الا من ترك الهوى * هوى وهوس را عماند ستيز * چو بينند سر پنجهٔ عقل تيز
(أم للانسان ما تمنى) أم منقطعة وما فيهما من معنى بل للانتقال من بيان أن ما هم عليه غير مستند
الا الى توهمهم وهوى نفسهم الى بيان أن ذلك مما لا يجدى نفعا أصلا والهمزة للانكار والنفى
والتمنى تقدير شئ فى النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن رؤية

وبناء على أصل الكن لما كان أكثره عن تخمين صار الكذب له أملك فما كثر التمنى تصور ما لا حقيقة له والمعنى ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الامور التى من جملتها اطماعهم الفارغة فى شفاعة الآلهة ونظائرها التى لا تكاد تدخل تحت الوجود

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

(وقال الكاشفى) آيا هست مر انسان را بحق كافر را آنچه آرزو برد از شفاعت بتان يا آنكه كويد چرا نبوت بفلان وفلان ندادند وقيل أم للانسان ما اشتهى من طول الحياة وان لا بعث ولا حشر وفى الآية اشارة الى أن للانسان استعداد الكمال وهو الفناء عن أنانيته والبقاء بهوية الله تعالى لكن بسبب اشتغاله باللذات الجسمانية والروحانية يحصل له فى بعض الاوقات آفات العلائق الجسمانية وفترات العوائق الروحانية فيحرم من بلوغ مطلوبه ولا يتهيأ له كل ما تمناه اذ كل ميسر لما خلق له فمن خلق مظهر اللطف بيده اليمنى لا يقدر أن يجعل نفسه مظهر القهر ومن خلق مظهر القهر بيده اليسرى لا يمكن أن يجعل نفسه مظهر اللطف * توان پاك كردن ز زنك آينه * ولكن نيايد ز سنك آينه * وانما تمنى لما ليس له مخلوقية على صورة من جمع الضدين بقوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن أى هو الاول فى عين آخريته والظاهر فى عين باطنيته * وسئل الخراز قدس سره بم عرفت الله قال بالجمع بين الضدين لان الحقيقة متوحدة والتعين والظهور متعدد وتنافى التعينات لا يقدح فى وحدة الهوية المطلقة كما أن تنافى الزوجية والفردية لا يقدح فى العدد وتضاد السواد والبياض لا يقدح فى اللون المطلق * قال الحسين رحمه الله الاختيار وطلب الربوبية والتمنى الخروج من العبودية وسبب عقوبة الله عباده ظفرهم بتمنيهم (فلله الآخرة والاولى) تعليل لانتفاء أن يكون للانسان ما يتمناه حتما فان اختصاص أمور الآخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء أن يكون له أمر من الامور وفى التأويلات النجمية يشير الى قهرمانية الحق تعالى على العالم كله ملكه وملكوته الاخروى والدنيوى يعنى لا يملك الانسان شيأ حتى يتمكن من تحصيل ما تمناه نفسه بل ملك الآخرة تحت تصرف يده اليمنى المقتضية لموجبات حصول الآخرة من الاعمال الصالحة والافعال الحسنة يهبه بالاسم الواهب لمن يشاء أن يكون مظهر لطفه وجماله وملك الدنيا تحت تصرف يده اليسرى المستدعية لاسباب حصول الدنيا من حب الدنيا الدنية المنتجة للخطيئة ومتابعة النفس الخبيثة وموافقة الطبيعة اللئيمة يجعله باسمه المقسط لمن يشاء أن يكون مظهر صفة قهره وجلاله ولاذلك يزيد فى ملكه ولا هذا ينقص من ملكه وكلتا يدى الرحمن ملأى سحاء (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ) اقناط لهم عما علقوا به أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هى الجملة المنفية وجمع الضمير فى شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى أى وكثير من الملائكة لا تغنى شفاعتهم عند الله شيأ من الاغناء فى وقت من الاوقات أى لا تنفع شيأ من النفع وهو القليل منه أو شيأ أى أحدا وليس المعنى أنهم يشفعون فلا تنفع شفاعتهم بل معناه أنهم لا يشفعون لانه لا يؤذن لهم كما قال تعالى (الا من بعد أن يأذن الله) لهم فى الشفاعة (لمن يشاء) أن يشفعوا له (ويرضى) ويراه أهلا للشفاعة من أهل التوحيد والايمان وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من

أذن

اذن الله بمنزل ومن الشفاعة بالف منزل فاذا كان حال الملائكة فى باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام وفى الآية اشارة الى أن ملك الروح يشفع فى حق النفس الامارة بالسوء رجاء الانسلاخ عن أوصافها الذميمة والترقى الى مقام الفناء والبقاء ولكن لا تنفع شفاعته فى حقها لعلمه القديم الازلى بعدم استعدادها للترقى من مقامها اللهم الا أن تقبل شفاعته فى حق نفس رقيق الحجاب مستعد لقبول الفيض الالهى لصفاء فطرته الاولى وبقاء قابليته الكبرى للترقى فى المقامات العلية بالخروج من موافقة الطبع ومخالفة الشرع والدخول فى موافقة الشريعة ومخالفة الطبيعة (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصى (ليسمون الملائكة) المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق أى كل يسمون كل واحد منهم (تسمية الانثى) منصوب على أنه صفة مصدر محذوف اى تسمية مثل تسمية الانثى فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بأن كلا منهم بنته سبحانه وهى التسمية بالانثى فاللام فى الملائكة للتعريف الاستغراقى وفى تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بأنها فى الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة فى الآخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأسا قال ابن الشيخ فان قيل كيف يصح أن يقال انهم لا يؤمنون بالآخرة مع أنهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم أن يربطوا مركوب الميت على قبره ويعتقدون انه يحشر عليه أجيب بأنهم ما كانوا يجزمون به بل كانوا يقولون لا نحشر فان كان فلنا شفعاء بدليل ما حكى الله عنهم وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وأيضا ما كانوا يعترفون بالآخرة على الوجه الذى ورد به الرسل فهم لا يؤمنون بها على وجهها * واعلم أن الملائكة ليسوا بذكور ولا اناث وفى الحديث أتانى جبرائيل فى أول ما أوحى الى فعلمنى الوضوء والصلاة فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه أى رش بها فرجه أى محل الفرج من الانسان بناء على أنه لا فرج له وكون الملك لا فرج له لو تصور بصورة الانسان دليل على أنه ليس ذكرا ولا أنثى وفيه نظر لانه يجوز أن يكون له آلة ليست كآلة الذكر ولا كآلة الانثى كما قيل بذلك فى الخنثى ويقال لذلك فرج وبعضهم حمل الفرج على ما يقابل الفرج من الازار (وما لهم به من علم) حال من فاعل يسمون أى يسمونهم والحال أنه لا علم لهم بما يقولون أصلا (ان يتبعون) أى ما يتبعون فى ذلك ليس بتكرار لان الاول متصل بعبادتهم اللات والعزى ومناة والثانى بعبادتهم الملائكة (الا الظن) الفاسد (وان الظن) أى جنس الظن كما يلوح به الاظهار فى موقع الاضمار (لا يغنى من الحق شيأ) من الاغناء فان الحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشئ لا يدرك ادراكا معتبرا الا بالعلم والظن لا اعتداد به فى شأن المعارف الحقية وانما يعتد به فى العمليات وما يؤدى اليها كمسائل علم أصول الفقه وفيه ذم للظن ودلالة على عدم ايمان المقلد وقيل الحق بمعنى العلم أى لا يقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب أى أن ظنهم لا ينقذهم من العذاب وحقيقة هذه الآية العزيزة تحريض السالكين والطالبين على السعى والاجتهاد فى السير الى الله بقطع المنازل السفلية وتصحيح المقامات العلوية الى أن يصلوا الى عين الجمع ويغرقوا فى بحر التوحيد ويشهدوا الحقائق والمعانى المجردة بنور الوحدة الحقيقية الذاتية الدافعة ظلمة الكثرة النسبية لاسماء الله تعالى ثم ان الافراد يتفاوتون فى حضرة الشهود مع كونهم على

بساط الحق الذى لانقص فيه لانهم انما يشهدون فى حقائقهم ولو شهدوا عين الذات لتساووا فى الفضيلة قال بعض الكبار أصحاب الكشف الخيالى غلطهم أكثر من اصابتهم لان الخيال واسع والذى يظهر فيه يحتمل التأويلات المختلفة فلا يقع القطع بما يحصل منه الا بعلم آخر وراء ذلك وانما كان الخيال بهذا الحكم لكونه ليست له حقيقة فى نفسه بل هو امر برزخى بين حقيقتين وهما المعانى المجردة والمحسوسات فلهذا يقع الغلط فى الخيال لكونه ليست له حقيقة فى نفسه وانظر الى اشارته عليه السلام فى الكشف الخيالى وكونه يقبل الاصابة والغلط لما أتاه جبرائيل بصورة عائشة رضى الله عنها فى سرقة من حرير وقال له هذه زوجتك فقال عليه السلام أن يكن من عند الله يمضه بخلاف مالو أتاه ذلك بطريق الوحى المعهود المخصوص له أو بطريق المعانى المجردة الموجبة لليقين والعلم فانه اذا لا يمكنه الجواب بمثل ذلك الجواب الذى يشعر بالتردد المحتمل الذى يقتضيه حضرة الخيال بحقيقتها * سيراب كن زبحر يقين جان تشنه را * زين بيش خشك لب منشين برسراب ريب (فأعرض عن من تولى عن ذكرنا) أى فأعرض يا محمد عن دعوة من أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقينى ولم يؤمن به وهو القرآن المنطوى على علوم الاولين والآخرين المذكر لامور الآخرة ولا تتهالك على اسلامه أو عن ذكرنا كما ينبغى فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها والمرهوب عنها (ولم يرد الا الحياة الدنيا) راضيا بها قاصرا نظره على جمع حطامها وجلب منافعها فالمراد النهى عن دعوته والاعتناء بشانه فان من أعرض عما ذكر وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل والنهى عن الدعوة لا يستلزم نسخ الآية بآية القتال بل الاعراض عن الجواب والمناظرة شرط لجواز المقاتلة فكيف يكون منسوخا بها فالمعنى أعرض عنهم ولا تشتغل باقامة الدليل والبرهان فانهم لا ينتفعون به وقاتلهم واقطع دابرهم قال بعضهم ضيع وقته من اشتغل بموعظة طالبى الدنيا والراغبين فيها لان أحدا لا يقبل على الدنيا الا بعد الاعراض عن الله * باسيه دل جه سود كفتن وعظ * نرود ميخ آهنين درسنك * قال ابن الشيخ اعلم أن النبى عليه السلام كالطبيب للقلوب فأمره الله تعالى فى معالجة القلوب بما عليه الاطباء فى معالجة المرضى فان المرض اذا أمكن علاجه بالغذاء لا يستعملون فى ازالته الدواء واذا أمكن ازالته بالدواء الضعيف لا يستعملون الدواء القوى والكى فلذلك أمر عليه السلام بالذكر الذى هو غذاء القلوب حيث قال قولوا لا اله الا الله فان بذكر الله تطمئن القلوب كما ان بالغذاء تطمئن النفوس فانتفع به أبو بكر ومن كان مثله رضى الله عنهم ومن لم ينتفع بالحمل على الذكر والامر بذكراهم الدليل وقال أولم يتفكروا قل انظروا أفلا ينظرون فلما لم ينتفعوا أتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال أعرض عن المعالجة واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح فقوله عمن تولى الخ اشارة الى ما قلنا فان التولى عن ذكره كناية عن ملزومه الذى هو ترك النظر فى دلائل وجوده ووحدته وسائر صفاته وقوله ولم يرد الخ اشارة الى انكارهم الحشر ومن لم يقل بالحشر والحساب لا يخاف ولا يرجع عما هو عليه ومن ترك النظر فى دلائل الله لا يعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه كلامه فلا يبقى فى الدعاء فائدة فلم يبق الا ترك المعالجة والمسارعة الى المقاتلة انتهى كلامه ثم اعلم أن كل ما يبعد العبد عن حضرة سيده فهو من الحياة الدنيا فمن قصد بالزهد والورع

والتقى والكشف والكرامات وخوارق العادات قبول الناس والشهرة عندهم وحصول الجاه والمال فهو ممن لم يرد الا الحياة الدنيا فضاع جميع أحواله وكسد جملة أقواله وأفعاله اذ لاربح له عند الله ولا ثمرة * زعمروای پسر چشم اجرت مدار * چو در خانهٔ زید باشى بكار ولا يغترن هذا بحصول بعض الكشوف واقبال أهل الدنيا عليه فانه ثمرة عاجلة له وماله فى الآخرة من خلاق ألا ترى أن ابليس عبد الله تعالى تسعة آلاف سنة ثم لما كفر وقال أنظرنى الى يوم يبعثون أمهله الله تعالى فكانت تلك المهلة ثمرة عاجلة له فى حياته الدنيوية (ذلك) أى أمر الدنيا وفى بحر العلوم أى ارادة الدنيا وايثارها على الآخرة وفى الارشاد أى ما أداهم الى ما هم فيه من التولى وقصر الارادة على الحياة الدنيا (مبلغهم من العلم) لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى يجديهم الدعوة والارشاد كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فمبلغ اسم مكان وجمع الضمير فى مبلغهم باعتبار معنى من كما أن افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لقصر هممهم على الدنيا الدنية التى هى أبغض الخلق الى الله تعالى بشهادة قوله عليه السلام ان الله لم يخلق خلقا هو أبغض اليه من الدنيا وما نظر اليها منذ خلقها بغضا لها رواه أبو هريرة رضى الله عنه ومعنى هوان الدنيا على الله سبحانه أنه تعالى لم يجعلها مقصودة لنفسها بل جعلها طريقا موصلة الى ما هو المقصود لنفسه ولذلك قال عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها فما ورد من اباحة لعن الدنيا فباعتبار ما كان منها مبعدا عن الله تعالى وشاغلا عنه كما قال بعض أهل الحقيقة ما ألهاك عن مولاك فهو دنياك ومشؤم عليك وأما ما يقرب الى الله ويعين على عبادته فممدوح كما قال عليه السلام لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر ان العبد اذا قال لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله اعصانا لربه (وفى المثنوى) چيست دنيا از خدا غافل بدن * نى قماش ونقره وفرزند وزن * مال را كز بهر دين باشى حمول * نعم مال صالح خواندش رسول * آب در كشتى هلاك كشتى است * آب اندر زير كشتى پشتى است * چونكه مال وملك را از دل براند * زان سليمان خويش جز مسكين نخواند * قال بعض الكبار من ذم الدنيا فقد عق أمه لان جميع الانكاد والشرور التى ينسبها الناس الى الدنيا ليس هو فعلها وانما هو فعل أولادها لان الشر فعل المكلف لا فعل الدنيا فهى مطية العبد عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فهى تحب أن لا يشقى أحد من أولادها لانها كثيرة الحنو عليهم وتخاف أن تأخذهم الضرة الاخرى على غير أهبة مع كونها ما ولدتهم ولا تعبت فى تربيتهم فمن عقوق أولادها كونهم ينسبون جميع أفعال الخير الى الآخرة ويقولون أعمال الآخرة والحال أنهم ما عملوا تلك الاعمال الا فى الدنيا فللدنيا أجر المصيبة التى فى أولادها ومن أولادها فما أنصف من ذمها بل هو جاهل بحق أمه ومن كان كذلك فهو بحق الآخرة أجهل انتهى واعلم أن الارادة والنية واحد وهو قصد قلبى ينبعث الى قلب الانسان بالبعث الالهى فهذا البعث الالهى ان كان بالفجور على ما قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها فهو من اسم المضل وقبضة الجلال ويد القهر وسادنه هو الشيطان وان كان بالتقوى فهو من اسم الهادى وقبضة الجمال ويد اللطف وسادنه هو الملك والاول من عالم العدل والثانى من عالم الفضل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ثم ان نية الانسان

لا تضلوا واما أن يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الدنيا فهو سيئ نية وعملا واما أن يكون متعلقها فى لسانه هو الآخرة وفى جنانه هو الدنيا فهو أسوأ نية وعملا واما أن يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الآخرة فهو حسن نية وعملا واما يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو وجه الله فهو أحسن نية وعملا فالاول حال الكفار والثانى حال المنافقين والثالث حال الابرار والرابع حال المقربين وقد أشار الحق سبحانه وتعالى الى أحوال المقربين عبارة والى أحوال غيرهم اشارة فى قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا والمقربون قد فروا الى الله من جميع ما فى أرض الوجود ولم يلتفتوا الى شئ سوى وجهه الكريم ولم يريدوا من المولى غير المولى فكانوا أحسن نية وعملا هذا صراط مستقيم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله وهو أعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من أصر عليه ولم يرجع الى الهدى أصلا وبمن اهتدى من شانه الاهتداء فى الجملة أى هو المبالغ فى العلم بمن لا يرعوى عن الضلال أبدا وبمن يقبل الاهتداء فى الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك فى دعوتهم فانه من القبيل الاول * وفيه اشارة الى النفس الكافرة ويهود صفاتها فانهم لا يقبلون الدعوة لانتفاء استعدادهم لقبولها فمن كان مظهر القهر فى الازل لا يكون مظهر اللطف فى الابد وبالعكس وفى الحديث القدسى "خلقت الجنة وخلقت لها أهلا وخلقت النار وخلقت لها أهلا فطوبى لمن جعلته أهلا للجنة وويل لمن جعلته أهلا للنار قال بعض الكبار النفس لا تفعل الشر الا لحاجة من القرين واللجاج ممن لا قدرة على منعه ومخالفته بمنزلة الاكراه والمكره غير مؤاخذ بالشرع والعقل ولذا قال عليه السلام الخير عادة والشر لجاجة فهو بشارة عظيمة من العالم بالامور عليه السلام فانه أخبر أن النفس خيرة بالذات لان أباها الروح القدسى "الطاهر وما تقبل الشر الا لجاجة من القرين فلم يجعل عليه السلام الشر من ذاتها (ولله ما فى السموات وما فى الارض) أى خلقا وملكا لا لغيره أصلا لا استقلالا ولا اشتراكا (ليجزى) الخ متعلق بما دل عليه أعلم الخ وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى بأحوالهم ألا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزى (الذين أساؤا) بد كردند (بما عملوا) أى بعقاب ما عملوا من الضلال الذى عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله او بسبب ما عملوا شبه نتيجة علمه بكل واحد من الفريقين وهى مجازاته على حسب حاله بعلته الغائية فأدخل لام العلة عليها وصح بذلك تعلقها بقوله أعلم * بيش مراقب باش كردل بايدت * كزبى هر فعل جيزى زايدت (ويجزى الذين أحسنوا) اى اهتدوا (بالحسنى) اى بالمثوبة الحسنى التى هى الجنة فالحسنى للزيادة المطلقة والباء لتعدية الجزاء أو بسبب أعمالهم الحسنى فالباء للسببية والمقابلة (الذين يجتنبون كبائر الاثم) صفة للذين أحسنوا أو بدل منه لكن قال سعدى المفتى لاحسن فى جعل الذين الخ مقصودا بالنسبة وجعل الذين احسنوا فى حكم المتروك ولو كان النظم على العكس لكان لها وجه انتهى يقول الفقير الاجتناب من باب التخلية بالمعجمة وهى اقدم فلذا جعلت مقصودة بالنسبة وصيغة الاستقبال فى صلته دون صلة الموصوف أو المبدل منه للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره يعنى للاشعار

بأن ترك المعصية سواء كانت بارتكاب المحرمات او بترك الواجبات ينبغي ان يستمر عليه المؤمن ويجعل الاجتناب عنها دابا له وعادة حتى يستحق المثوبة الحسنى فان من اجتنب عنها مرة وانهمك عليها في باقي الازمان لا يستحقها بخلاف الحسنات المتطوع بها فان من اتى بها ولو مرة يؤجر عليها وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه كالشرك والزنا مطلقا خصوصا بحليلة جاره وقتل النفس مطلقا لاسيما الاولاد وهي الموؤدة وقال ابن جبير هي ما لا يستغفر منه لقوله عليه السلام لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وفي الحديث اياكم والمحقرات من الذنوب قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الى سبعين أقرب وتمام التفصيل سبق في حم عسق في نظير الآية (والفواحش) وما فحش من الكبائر خصوصا الزنا والقتل بغير حق وغيرهما فهو من قبيل التخصيص بعد التعميم قال الراغب الفحش والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه من الافعال والاقوال (الا اللمم) اللمم مقاربة المعصية ويعبر به عن الصغيرة من قولك ألممت بكذا أي نزلت به وقاربته من غير مواقعة وألم الغلام قارب البلوغ والاستثناء منقطع لان المراد باللمم الصغائر وهي لا تدخل في الكبائر والمعنى الا ما قل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر يعني أن الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبائر قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيآت وقال ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وقيل هي النظر بلا تعمد فان أعاد النظر فليس بلمم وهو مذنب والغمزة والقبلة كما روى أن نبهان التمار أتته امرأة لتشتري التمر فقال لها ادخلي الحانوت فعانقها وقبلها فقالت المرأة خنت أخاك ولم تصب حاجتك فندم وذهب الى رسول الله عليه السلام فنزلت وقيل هي الخطرة من الذنب أي ما خطر من الذنب على القلب بلا عزم وازقوت بفعل نيايد وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقال بعضهم اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له عادة ولا اقامة عليه قال محمد ابن الحنفية كل ما هممت به من خير وشر فهو لمم دليله قوله عليه السلام ان للشيطان لمة وللملك لمة فلمة الشيطان الوسوسة ولمة الملك الالهام وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه الا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ولم يثبت عليها فان الله يقبل توبته ويؤيده قوله عليه السلام ان تغفر اللهم فاغفر جما * وأي عبد لك ما ألما فالاستثناء على هذا متصل وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما رأيت شيأ أشبه باللمم مما قاله أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله عليه السلام ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق وزنا الشفتين القبلة وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه فان تقدم فرجه كان زانيا والا فهو اللمم وفي الاسئلة المقحمة الذنوب كلها كبائر على الحقيقة لان الكل تتضمن مخالفة أمر الله تعالى لكن بعضها أكبر من بعض عند الاضافة ولا كبيرة أعظم من الشرك واما اللمم فهو من جملة الكبائر والفواحش أيضا الا أن الله تعالى أراد باللمم الفاحشة التي يتوب عنها مرتكبها ومجترحها وهو قول مجاهد والحسن وجماعة من الصحابة منهم أبو هريرة رضي الله عنه (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على أن اخراجه من حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية * وفي

التأويلات النجمية كبائر الاثم ثلاث مراتب محبة النفس الامارة بالسوء ومحبة الهوى النافخ في نيران النفس ومحبة الدنيا التي هي رأس كل خطيئة ولكل واحدة من هذه المحبات الثلاث فاحشة لازمة غير منفكة عنها أما فاحشة محبة النفس الامارة بالسوء فموافقة الطبيعة ومخالفة الشريعة وأما فاحشة محبة الهوى فحب الدنيا وشهواتها وأما فاحشة محبة الدنيا فالاعراض عن الله والاقبال على ماسواه قوله الا اللمم أى الميل اليسير الى النفس والهوى والدنيا بحسب الضرورة البشرية من استراحة البدن ونيل قليل من حظوظ الدنيا بحسب الحقوق لا بحسب الحظوظ فان مباشر الحقوق مغفور ومبادر الحظوظ مغرور كما قال ان ربك واسع المغفرة ومن سعة غفرانه ستر ظلمة الوجود المجازى بنور الوجود الحقيقى بالفناء عن ناسوتيته والبقاء بلاهوتيته انتهى قال بعض الكبار من استرقه الكون بحكم مشروع كالسعى فى مصالح العباد والشكر لاحد من المخلوقين من جهة نعمة أسداها اليه فهو لم يبرح عن عبوديته لله تعالى لانه فى أداء واجب أوجبه الحق عليه وأما تعبد العبد لمخلوق عن أمر الله لا يقدح فى العبودية بخلاف من استرقه الكون لغرض نفسى ليس للحق فيه رائحة أمر فان ذلك يقدح فى عبوديته لله تعالى ويجب عليه الرجوع الى الحق تعالى وقال بعض العارفين من المحال أن يأتى مؤمن معصية توعد الله عليها بالعقوبة فيفرغ منها الا ويجد فى نفسه الندم على وقوعها منه وقد قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقد قام بهذا المؤمن الندم فهو تائب بلا شك فسقط حكم الوعيد لهذا الندم فانه لا بد للمؤمن أن يكره المخالفة ولا يرضى بها فهو من كونه كارها لها ومؤمنا بأنها معصية ذو عمل صالح وهو من كونه فاعلا لها ذو عمل سيء فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد قال تعالى فيهم عسى الله أن يتوب عليهم يعنى ليتوبوا والله غفور رحيم انتهى فعلى العاقل أن يندم على المعاصى الواقعة منه ولا يغتر بالرب الكريم وان كان الله واسع المغفرة فانه تعالى أيضا شديد البطش والاخذ نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة (هو) تعالى (أعلم) منكم (بكم) أى بأحوالكم يعلمها (اذ أنشأكم) أى خلقكم فى ضمن انشاء أبيكم آدم عليه السلام (من الارض) انشاء اجماليا (واذ أنتم أجنة) ووقت كونكم أجنة (فى بطون أمهاتكم) على أطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التى من جملتها اللمم الذى لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله وضرره والاجنة جمع جنين مثل أسرة وسرير والجنين الولد مادام فى البطن وهو فعيل بمعنى مفعول أى مدفون مستتر والجنين الدفين فى الشيء المستتر فيه من جنه اذا ستره واذا خرج من بطن أمه لا يسمى الا ولدا أو سقطا وفى الاشباه هو جنين مادام فى بطن أمه فاذا انفصل ذكرا فصبى ويسمى رجلا كما فى آية الميراث الى البلوغ فغلام الى تسعة عشر فشاب الى أربعة وثلاثين فكهل الى أحد وخمسين فشيخ الى آخر عمره هذا فى اللغة وفى الشرع يسمى غلاما الى البلوغ وبعده شابا وفتى الى ثلاثين فكهل الى خمسين فشيخ وتمامه فى ايمان البزازية فان قيل الجنين اذا كان اسما له مادام فى البطن فما فائدة قوله تعالى فى بطون أمهاتكم قلنا فائدته المبالغة فى بيان كمال علمه وقدرته فان بطون الامهات فى غاية الظلمة ومن علم حال الجنين فيها لا يخفى عليه شيء من أحواله (فلا تزكوا أنفسكم) الفاء لترتيب النهى عن تزكية النفس على ما سبق من أن عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض

مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم أى اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة من المعصية بالكلية أو بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته وبالفارسية پس ستايش مكنيد نفسهاى خودرا به بى گناهى وبسيارى خير وخوبى أوصاف وقال الحسن رحمه الله علم الله من كل نفس ما هى صانعة والى ما هى صائرة فلا تزكوا أنفسكم ولا تطهروها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال لان كل واحد من التخلية والتحلية انما يعتد به اذا كان خالصا لله تعالى واذا كان هو أعلم بأحوالكم منكم فأى حاجة الى التزكية * همان به كر آبستن گوهرى * كه همچون صدف سر بخود در برى * اگر مشك خالص ندارى مگوى * وگر هست خود فاش گردد ببوى * منه آب زر جان من بر پشيز * كه صراف دانا نگيرد بچيز * وأما من زكاء الغير ومدحه فقد ورد فيه (احثوا فى وجه المداحين) أى الذين يمدحون بما ليس فى الممدوح (التراب) على حقيقته أو هو مجاز عن ردهم عن المدح لئلا يغتر الممدوح فيتجبر وقيل المراد به أن لا يعطوهم شيأ لمدحهم أو معناه الامر بدفع المال اليهم لينقطع لسانهم ولا يشتغلوا بالهجو وفيه اشارة الى أن المال حقير فى الواقع كالتراب قال أبو الليث فى تفسيره المدح على ثلاثة أوجه الاول أن يمدحه فى وجهه فهو الذى نهى عنه والثانى أن يمدحه بغير حضرته ويعلم أنه يبلغه فهذا أيضا نهى عنه ومدح يمدحه فى حال غيبته وهو لا يبالى بلغه أو لم يبلغه ومدح يمدحه بما هو فيه فلا بأس به انتهى (وفى المثنوى) خلق ما در صورت خود كرد حق * وصف ما از وصف أو گيرد سبق * چونكه آن خلاق شكر وحمد جوست * آدمى را مدح جويى نيز خوست * خاصه مرد حق كه در فضلست چست * پر شود زان باد چون خيك درست * ورنه باشد اهل زان باد دروغ * خيك بدريدست كى گيرد فروغ * وأما المدح بعد الموت فلا بأس به اذا لم يجاوز الحد كالروافض فى مدح أهل البيت (هو أعلم بمن اتقى) المعاصى جميعا وهو استئناف مقرر للنهى ومشعر بأن فيهم من يتقيها بأسرها وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر * وفى التأويلات النجمية يشير به الى أن علم الانسان بنفسه علم اجمالى وعلمه تعالى به تفصيلى والعلم التفصيلى أكمل وأشمل من العلم الاجمالى وأيضا علم الانسان بنفسه علم مقيد بقواه البشرية وهو متناه بحسب تناهى قواه البشرية وعلمه تعالى به علم مطلق اذ علمه عين ذاته فى مقام الاحدية غير ذاته فى مقام الواحدية والعلم المطلق أحوط وأجمع من العلم المقيد وأيضا الانسان مخلوق على صورة الله كما قال عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته وفى رواية أخرى على صورة الرحمن والله تعالى عالم بصورته المنزهة عن الشكل المقدسة عن الهيئة والانسان غير عالم بها على كيفية علم الله اذ لا يعلم الله الا الله كما قال وما قدروا الله حق قدره اللهم الا أن يفنى عن علمه المقيد ويبقى بعلمه المطلق هذا هو تحقيق أعلمية الحق تعالى وقوله وهو أعلم بمن اتقى أى بمن اتقى بالله عما سواه بحيث جعل الله تعالى وقاية نفسه لينسب كل ما يصدر عنه من العلم والعمل اليه فانه هو المؤثر فى الوجود ومنه كل فيض وفضل وخير وجود (أفرأيت الذى تولى) أى أعرض عن اتباع الحق والثبات عليه وبالفارسية آيا ديدى آن

كسى راكه از پيروئ حق روى بكردانيد (وأعطى قليلا) أى شيأ قليلا من ماله أو اعطاء قليلا وبالفارسية وبداد اندكى از مال خود براى رشوت تحمل عذاب ازو (وأكدى) أى قطع عطاءه وأمسك بخلا من قولهم أكدى الحافر أى حافر البئر اذا بلغ الكدية أى الصلابة كالصخرة فلا يمكنه أن يحفر ثم استعمل فى كل من طلب شيأ فلم يصل اليه ولم يتممه ولم يبلغ آخره وفى القاموس أكدى بخل أو قل خيره أو قل عطاؤه وفى تاج المصادر قوله تعالى وأكدى أى قطع القليل قالوا نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه السلام يعنى در پى حضرت رسالت ميرفت واستماع كلام وى ميكند در مجلس او وطمع النبى عليه السلام فى اسلامه فعيره بعض المشركين وعاتبه وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال أخشى عذاب الله فضمن أن يتحمل عنه العذاب وكل شئ يخافه فى الآخرة ان اعطاه بعض ماله فارتد وتولى عن الوعظ واستماع الكلام النبوى وأعطاه بعض المشروط وبخل بالباقى فالذم آيل الى سبب القطع وهو البخل فلا يتوهم أن الآية مسوقة لذم فعل المتولى وقطع العطاء عن المتحمل المذكور ليس بمذموم (وقال الكاشفى) واكدى وبازداشت باقى را پس جهل وبخل با يكديكر جمع كرد * يقول الفقير الظاهر أن الآية مسوقة لذم التولى وسوء الاعتقاد فى نفع التحمل يوم القيامة كما دلت عليه الآية الآتية وقوله وأعطى قليلا وأكدى مجرد بيان لحال المتولى والمعطى فيما جرى بينه وبين المتحمل لاذم لبخله فى ذلك لكن لا يخلو عن التهكم حيث انه بخل فيما اعتقد نفعه وقال مقاتل أنفق الوليد على أصحاب محمد عليه السلام نفقة قليلة ثم انتهى عن ذلك انتهى ولا يخفى أنه ليس لهذا المعنى ارتباط بما بعده من الآيات وفيه اشارة الى السالك المنقطع فى أثناء السلوك الراجع من السير الى الله الى نفسه البشرية واستيفاء لذاتها الحيوانية بسبب سآمته المشوقة من المجاهدات البدنية والرياضات النفسانية بعد أن صرف فى طريق السير والسلوك قليلا من رأس مال عمره ثم بخل به وقطعه عن الصرف فى طريق السعى والاجتهاد فى الله وصرف بقية رأس مال عمره فى تحصيل لذات النفس الحيوانية البشرية واستيفاء شهواتها وحب الدنيا الدنية الخسيسة وهذا كله لعدم استعداده للوصول والوصال نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن النكرة بعد المعرفة * اندرين ره مى تراش ومى خراش * تادم آخر دمى فارغ مباش (أعنده) آيا نزديك أوست (علم الغيب فهو يرى) الفاء للسببية والرؤية قلبية أى أعنده علم بالامور الغيبية التى من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة فهو يعلم أن صاحبه يتحمل عنه قال ابن الشيخ أرأيت بمعنى أخبرت وأعنده علم الغيب مفعوله الثانى أى أخبرت أن هذا المعطى المكدى هل عنده علم ما غاب عنه من أحوال الآخرة فهو يعلم أن صاحبه يتحمل أوزاره على أن قوله يرى بمعنى يعلم حذف مفعولاه لدلالة المقام عليهما (أم) أهو جاهل (لم ينبأ) لم يخبر (بما فى صحف موسى) أى اسفار التوراة قال الراغب الصحيفة المبسوطة من كل شئ كصحيفة الوجه والصحيفة التى كان يكتب فيها وجمعها صحائف وصحف والمصحف ما جعل جامعا للصحف المكتوبة وقال القهستانى المصحف مثلث الميم ما جمع فيه القرآن والصحف (وابراهيم الذى وفى) عطف على موسى أى وبما فى صحف ابراهيم الذى وفى أى وفر وأتم ما ابتلى به من الكلمات كما مر فى سورة البقرة أو أمر به من غير اخلال واهمال يقال أوفاه حقه ووفاه بمعنى أى أعطاه تاما وافيا

ويجوز أن يكون التشديد فيه للتكثير والمبالغة في الوفاء بما عاهد الله أي بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمل غيره كالصبر على نار نمروذ حتى انه أتاه جبريل حين ألقي في النار فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا وعلى ذبح الولد وعلى الهجرة وعلى ترك أهله وولده في واد غير ذي زرع وروي انه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وجده أكرمه والانوى الصوم ونعم ما قيل وفي يبذل نفسه للنيران وقلبه للرحمن وولده للقربان وماله للاخوان وعن النبي عليه السلام وفي عمل كل يوم بأربع ركعات وهي صلاة الضحى وفي الحديث القدسي ابن آدم اركع الى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره وروي الا أخبركم لم سمى الله خليله الذي وفي كان يقول اذا أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى يختم الآيتين ذكره أحمد في مسنده الآيات الثلاث في عين المعاني وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله كم من كتاب أنزل الله قال مائة كتاب وأربعة كتب أنزل الله على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وأنزل الله التوراة والانجيل والزبور والفرقان قلت يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا منها أيها الملك المبتلى المغرور اني لم أبعثك فتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك كي لا ترد دعوة المظلوم فاني لا أردها وان كانت من كافر وكان فيها أمثال منها وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه ويتفكر في صنع الله وساعة يحاسب نفسه فيما قدم وأخر وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ويأتي ما نقل من صحف موسى في آخر سورة سبح اسم ربك الاعلى كذا في فتح الرحمن وتقديم موسى لما أن صحفه التي هي التوراة أشهر عندهم وأكثر * يقول الفقير وأيضا هو من باب الترقي من الاقرب الى الابعد لكون الاقرب أعرف وأيضا ان موسى صاحب كتاب حقيقة بخلاف ابراهيم (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أصله أن لا تزر على ان أن هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن هو اسمها المحذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على أنها بدل مما في صحف موسى أو الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما في صحفهما فقيل هو أنه أي الشأن لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى من حيث تتعرى منه المحمول عنها ولا يؤاخذ أحد بذنب غيره ليتخلص الثاني من عقابه فالمراد بالوازرة هي التي يتوقع منها الوزر والحمل لا التي وزرت وحملت ثقلا والافكان المقام أن يقال لا تحمل فارغة وزر أخرى اذ لا تحمل مثقلة بوزرها غير الذي عليها وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة أن يحمل عنه الاثم ولا يقدح في ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا اذ ليس المعنى أن عليه اثم مباشرة سائر القاتلين بل المعنى أن عليه فوق اثم مباشرته للقتل المحظور اثم دلالته وسببيته لقتل هؤلاء وهما ليستا الامن أوزاره فهو لا يحمل الاوزر نفسه وكذا قوله عليه السلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أن مخففة من الثقيلة كأختها معطوفة عليها وللانسان خبر ليس والا ما سعى اسمها وما مصدرية ويجوز أن تكون موصولة

والسعى المشى الذريع وهو دون العدو ويستعمل للجد فى الامر خيرا كان أو شرا والمعنى وانه أى الشأن ليس للانسان فى الآخرة الا سعيه فى الدنيا من العمل والنية أى كما لا يؤاخذ أحد بذنب الغير لا يثاب بفعله فهو بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اثر بيان عدم انتفاعه من حيث دفع الضرر عنه وظاهر الآية يدل على أنه لا ينفع أحدا عمل أحد واختلفوا فى تأويلها فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عدم اثابة الانسان بسعى غيره وفعله وهذا منسوخ الحكم فى هذه الشريعة بقوله تعالى ألحقنا بهم ذريتهم فيدخل الابناء الجنة بصلاح الآباء ويجعل الولد الطفل يوم القيامة فى ميزان أبيه ويشفع الله الآباء فى الابناء والابناء فى الآباء يدل على ذلك قوله تعالى آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم اقرب لكم نفعا قال عكرمة كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى وأما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روى أن امرأة رفعت صبيا لها من محفة وقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر وقال رجل للنبى عليه السلام ان أمى افتلتت نفسها أى ماتت فجأة فهل لها أجر ان تصدقت عنها قال نعم وقال الربيع ابن أنس وأن ليس للانسان الا ما سعى يعنى الكافر وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره وكثير من الاحاديث يدل على هذا القول ويشهد له أن المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره روى أن عائشة رضى الله عنها اعتكف عن أخيها عبد الرحمن رضى الله عنه بعد موته وأعتقت عنه وقال سعد للنبى عليه السلام ان أمى توفيت أفأتصدق عنها قال نعم قال فأى الصدقة أفضل قال سقى الماء فحفر بئرا وجعلها فى سبيل الله وقال القرطبى فى تذكرته ويحتمل أن يكون قوله وأن ليس للانسان الا ما سعى خاصا بالسيئة بدليل قوله عليه السلام قال الله اذا هم عبدى بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة فان عملها كتبتها عشرا الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فان عملها كتبتها سيئة واحدة والقرآن دال على هذا قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهذا ونحوه تفضل من الله وطريق العدل وأن ليس للانسان الا ما سعى الا أن الله يتفضل عليه بما لم يجب له كما ان زيادة الاضعاف فضل منه كتب لهم بالحسنة الواحدة عشرا الى سبعمائة ضعف الى ألف ألف حسنة وقد تفضل الله على الاطفال بادخالهم الجنة بغير عمل والحاصل أن ما كان من السعى فمن طريق العدل والمجازاة وما كان من غير السعى فمن طريق الفضل والتضعيف فكرامة الله تعالى أوسع وأعظم من ذلك فانه يضاعف الحسنات ويتجاوز عن السيآت فمرتبة النفس والطبيعة وكذا الشريعة والطريقة من الطريق الاولى ومرتبة الروح والسر وكذا المعرفة والحقيقة من الطريق الثانية قال فى الاسئلة المقحمة اشارت الآية الى أصل النجاة المعهودة فى حكم الشريعة فان النجاة الاصلية الموعودة فى الكتاب والسنة بالعمل الصالح وهى النجاة بشرط المجازاة والمكافأة فأما التى هى من غير طريق المجازاة والمكافأة فهى بطريق تفضل الله وبطوله وعميم رحمته وكريم لطفه وقد فسرها رسول الله عليه السلام حيث قال ادخرت شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى أترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للخطائين الملوثين وبيان الكتاب الى الرسول عليه السلام وسمعت الامام أبا بكر الفارسى بسمرقند يقول سمعت الاستاذ أبا اسحق الاسفراينى يقول ان عبد الله بن طاهر أمير خراسان قال للحسين بن الفضل البجلى أشكلت على ثلاث آيات أريد أن تكشف عنى وتشفى الغليل أولاها

قوله تعالى فى قصة ابن آدم فأصبح من النادمين وصح الخبر بأن الندم توبة ولم يكن هذا الندم توبة فى حق قابيل وثانيتها قوله تعالى كل يوم هو فى شان وصح الخبر بأن القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وثالثتها قوله تعالى اضعافا مضاعفة فأجابه وقال أما الآية الاولى فالندم لم يكن توبة فى شريعة من الشرائع وانما صار توبة فى شريعة محمد عليه السلام تخصيصا له على ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل وانما كان على حمله حين حمله على عاتقه أياما فلم يعلم ماذا يعمل به لانه كان أول قتيل حتى بعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه وأما الآية الثانية فان الشأن المذكور فيهما ما هو التقدير بطريق الابتداء وانما هو سوق المقادير الى المواقيت وأما الآية الثالثة فهو أنه ليس للانسان الا ما سعى من طريق العدل والمجازاة وله أن يجزيه بواحدة عشرا وأضعافا مضاعفة بطريق الفضل والطول لا على سبيل العدل والجزاء فقام عبد الله بن طاهر وقبل رأسه وسوغ خراجه وكان خمسين ألف درهم وقد ذكر الخرائطى فى كتاب القبور قال سنة فى الانصار اذا حملوا الميت أن يقرؤا معه سورة البقرة يقول الفقير فيه دليل على سنية الذكر عند حمل الجنازة لان الذكر من القرآن ولذا كان على الذاكر أن ينوى التلاوة والذكر معا حتى يثاب بثواب التلاوة فحيث سن القرآن سن الذكر المأخوذ منه ولقد أحسن من قال فى أبيات

زرو الديك وقف على قبريهما * فكأننى بك قد حملت اليهما

الى أن قال فى آخرها

وقرأت من آى الكتاب بقدر ما * تسطيعه وبعثت ذاك اليهما

قال الشيخ تقى الدين أبو العباس من اعتقد أن الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة أحدها أن الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير والثانى أن النبى عليه السلام يشفع لاهل الموقف فى الحساب ثم لاهل الجنة فى دخولها ولاهل الكبائر فى الاخراج من النار وهذا انتفاع بسعى الغير والثالث أن كل نبى وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير والرابع أن الملائكة يدعون و يستغفرون لمن فى الارض وذلك منفعة بعمل الغير والخامس ان الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم والسادس أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير وكذا الميت بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع وهو من عمل غيره وأن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة وكذا تبرأ ذمة الانسان من ديون الخلق اذا قضاها عنه قاض كما قال الشافعى اذا أمات فلغسلنى فلان أى من الدين وذلك انتفاع بعمل الغير وكذا من عليه تبعات ومظالم اذا حلل منها سقطت عنه وأن الجار الصالح ينتفع بجواره فى الحياة والممات كما جاء فى الاثر وأن جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس معهم لذلك بل لحاجة أخرى والاعمال بالنيات وكذا الصلاة على الميت والدعاء له فيها ينتفع بها الميت مع أن جميع ذلك انتفاع بعمل الغير ونظائر ذلك كثيرة لا تحصى والآيات الدالة على مضاعفة الثواب كثيرة أيضا فلا بد من توجيه قوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فانه لاشتماله على النفى والاستثناء يدل على أن الانسان لا ينتفع الا بعمل نفسه ولا يجزى على عمله الا بقدر سعيه ولا يزاد وهو يخالف الاقوال الواردة فى انتفاعه بعمل غيره وفى مضاعفة ثواب

قوله وثالثتها قوله تعالى أضعافا مضاعفة الظاهر أن الآية الثالثة قوله تعالى وأن ليس للانسان الخ مع قوله تعالى أضعافا كثيرة كما يدل على ذلك الجواب عن الثالث اه

أعماله ولا يصح أن يؤول بما يخالف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة فأجابوا عنه بوجوه منها أنه منسوخ ومنها أنه في حق الكافر ومنها أنه بالنسبة الى العدل لا الفضل وقد ذكرت ومنها أن الانسان انما ينتفع بعمل غيره اذا نوى الغير أن يعمل له حيث صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعا فكان سعي الغير بذلك كأنه سعيه وأيضا ان سعي الغير انما لم ينفعه اذا لم يوجد له سعي قط فاذا وجد له سعي بأن يكون مؤمنا صالحا كان سعي الغير تابعا لسعيه فكأنه سعي بنفسه فان علاقة الايمان وصلة وقرابة كما قال عليه السلام مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وقال عليه السلام المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه فاذا سعى أحد في الايمان والعمل الصالح فكأنه سعى بتأييد عضو أخيه وسد ثلمه فكان سعيه سعيه والحاصل أنه لما كان مناط منفعة ما ذكر من الفوائد عمله الذي هو الايمان والصلاح ولم يكن لشيء منه نفع ما بدونهما جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام غيره اليه وفي أول باب الحج عن الغير من الهداية الانسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوما أو صدقة أو غيرها عند أهل السنة والجماعة وفي فتح الرحمن واختلف الائمة فيما يفعل من القرب كالصلاة والصيام وقراءة القرآن والصدقة ويهدى ثوابه للميت المسلم فقال أبو حنيفة وأحمد يصل ذلك اليه ويحصل له نفعه بكرم الله ورحمته وقال مالك والشافعي يجوز ذلك في الصدقة والعبادة المالية وفي الحج وأما غير ذلك من الطاعات كالصلاة والصوم وقراءة القرآن وغيره لا يجوز ويكون ثوابه لفاعله وعند المعتزلة ليس للانسان جعل ثواب عمله مطلقا لغيره ولا يصل اليه ولا ينفعه لقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى ولان الثواب الجنة وليس في قدرة العبد أن يجعلها لنفسه فضلا عن غيره واختلفوا فيمن مات قبل أن يحج فقال أبو حنيفة ومالك يسقط عنه الحج بالموت ولا يلزم الحج عنه الا أن يوصي بذلك وقال الشافعي وأحمد لا يسقط عنه ويلزم الحج عنه من رأس ماله واختلفوا فيمن لم يحج عن نفسه هل يصح أن يحج عن غيره فقال أبو حنيفة ومالك يصح ويجزي عن الغير مع الكراهة وقال الشافعي وأحمد لا يصح ولو فعل وقع عن نفسه وأما الصلاة فهي عبادة بدنية لا تصح فيها النيابة بمال ولا ببدن بالاتفاق وعند أبي حنيفة اذا مات وعليه صلوات يعطى لكل صلاة نصف صاع من بر أو صاع من تمر أو شعير أو قيمة ذلك فدية تصرف للمساكين وليس للمدفوع اليه عدد مخصوص فيجوز أن يدفع لمسكين واحد الفدية عن عدة صلوات ولا يجوز أن تدفع فدية صلاة لاكثر من مسكين ثم لا بد من الايصاء بذلك فلو تبرع الورثة بذلك جاز من غير لزوم وذلك عند أبي حنيفة خلافا للثلاثة (وروى) أن رجلا سأل النبي عليه السلام فقال كان لي أبوان أبرهما حال حياتهما فكيف أبرهما بعد موتهما فقال ان من البر بعد الموت أن تصلي لهما مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك رواه الدارقطني عن علي رضي الله عنه وهذا الحديث حجة لابي حنيفة في تجويز جعل العبادة البدنية أيضا لغيره خلافا للشافعي كما مر وروى أيضا من مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد عشر مرات ثم وهب أجرها للاموات أعطي من الاجر بعدد الاموات رواه الدارقطني عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا فهذا أيضا حجة له في تجويز جعل ثواب التلاوة للغير خلافا للشافعي (وروى) عن النبي عليه السلام أنه ضحى بكبشين أملحين أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته المؤمنين متفق عليه أي جعل

ثوابه لها وهذا تعليم منه عليه السلام بأن الانسان ينفعه عمل غيره والاقتداء به عليه السلام هو الاستمساك بالعروة الوثقى وكذا قال الحسن البصري رحمه الله رأيت عليا رضي الله عنه يضحي بكبشين وقال ان رسول الله أوصاني أن أضحي عنه وكان الشيخ الفقيه القاضي الامام مفتي الانام عز الدين بن عبد السلام يفتي بأنه لا يصل الى الميت ثواب ما يقرأ له ويحتج بقوله وأن ليس للانسان الا ما سعى فلما توفي رآه بعض أصحابه ممن يجالسه وسأله عن ذلك وقال له انك كنت تقول لا يصل الى الميت ثواب ما يقرأ ويهدى اليه فكيف الامر فقال له كنت أقول ذلك في دار الدنيا والآن قد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله في ذلك وأنه يصل اليه ذلك وقد قيل ان ثواب القراءة للقارئ وللميت ثواب الاستماع ولذلك تلحقه الرحمة قال الله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون قال القرطبي ولا يبعد من كرم الله أن يلحقه ثواب القراءة والاستماع جميعا ويلحقه ثواب ما يهدى من قراءة القرآن وان لم يسمعه كالصدقة والاستغفار ولان القرآن دعاء واستغفار وتضرع وابتهال وما تقرب المتقربون الى الله بمثل القرآن انتهى * يقول الفقير فيه حجة على من أنكر من أهل عصرنا جهر آية الكرسي أعقاب الصلوات وأوجب اخفاءها وتلاوتها الكل واحد من الجماعة وذلك لان استماع القرآن أثوب من تلاوته فاذا قرأ المؤذن واستمع الحاضرون كانوا كأنهم قرؤا جميعا واذا جاز وصول ثواب القراءة والاستماع جميعا الى الميت فما ظنك بالحي أصلحنا الله واياكم وروى أن بعض النساء توفيت فرأتها في المنام امرأة كانت تعرفها واذا عندها تحت السرير آنية من نور مغطاة فسألتها ما في هذه الاوعية فقالت فيها هدية أهداها الي أبو أولادي البارحة فلما استيقظت المرأة ذكرت ذلك لزوج الميتة فقال قرأت البارحة شيأ من القرآن وأهديته اليها وفي الحديث اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له قال القرطبي القراءة في معنى الدعاء وذلك صدقة من الولد ومن الصاحب والصديق والمؤمنين قال ابن الملك في شرح الحديث (اذا مات الانسان انقطع عنه عمله) أي تجدد الثواب له (الا من ثلاث صدقة جارية) كالاوقاف (أو علم ينتفع به) قيل هو الاحكام المستنبطة من النصوص والظاهر أنه عام متناول ما خلفه من تصنيف أو تعليم في العلوم الشرعية وما يحتاج اليه في تعلمها قيد العلم بالمنتفع به لان ما لا ينتفع به لا يثمر أجرا (أو ولد صالح يدعو له) قيد بالصالح لان الاجر لا يحصل من غيره وأما الوزر فلا يلحق بالاب من سيئة ولده اذا كانت نيته في تحصيل الخير وانما ذكر الدعاء له تحريضا للولد لان الاجر يحصل للوالد من ولده الصالح كلما عمل عملا صالحا سواء دعا لابيه أولا كمن غرس شجرة يحصل له من أكل ثمرتها ثواب سواء دعا له من أكلها أو لم يدع وكذلك الام قال بعض الكبار النكاح سنة نبيك فلا ترغب عنه واطلب من الله من يقوم مقامك بعد موتك حتى لا ينقطع عملك بموتك فان ابن آدم اذا مات انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم بثه في الناس أو ولد صالح يدعو له وفي لفظ الصدقة الجارية اشارة الى أفضلية الماء ولذا حفر سعد بئر الامه فان قلت ما التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله عليه السلام من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة وقوله عليه السلام من مات يختم على عمله الا المرابط في سبيل الله فانه ينمو له عمله الى يوم القيامة قلنا السنة المسنونة من جملة العلم المنتفع به ومعنى حديث المرابط أن

ثواب عمله الذى قدمه فى حياته يمحوا الى يوم القيامة وأما الثلاثة المذكورة فى الحديث فانها أعمال تحدث بعد وفاته لا تنقطع عنه لانه سبب لها فيلحقه منها ثواب والحاصل أن المراد بهذا الحديث عمله المضاف الى نفسه فهو منقطع وأما العمل المضاف الى غيره فلا ينقطع وللغير أن يجعل ماله من أجر عمله الى من أراد وقال بعضهم فى الآية ليس كل عمل للانسان انما بعضه لله مثل الصوم كما قال الصوم لى وأنا أجزى به فثوابه فضل الله وهو رؤيته وتمسك بعض العلماء بهذا الحديث وظن أن الصيام مختص بعامله موفر له أجره لا يؤخذ منه شئ لمظلمة ظلمها وهذا القول مردود فان الحقوق تؤخذ من جميع الاعمال صياما كان أو غيره وقيل ان الصوم اذا لم يكن معلوما لاحد ولا مكتوبا فى الصحف هو الذى يستره الله ويخبؤه لعامله حتى يكون له جنة من العذاب فتطرح أولئك عليه سيآتهم فتنصرف عنهم ويقيه الصوم فلا تضر بأصحابهم الزوالها عنهم ولا به لان الصوم جنته وهذا تأويل حسن دافع للتعارض قال البقلى رحمه الله فى تأويل الآية ليس للصورة الانسانية الا ما سعت من الاعمال الزكية عن الرياء والسمعة يؤول ثوابها اليها من درجات الجنان أما ما يتعلق بفضل الله وجوده من مشاهدته وقربته فهو للروح والروحانى الذى فى تلك الصورة فانه اذا استوى فى درجات الجنات التى هى جزاء عماله الصالحة تمتع أيضا بما يجد روحه من فضل الله المتعلق بكشف حجاب جماله وأيضا ليس للانسان الا ما يليق بالانسان من الاعمال وأما الفضل كالمشاهدة والقربة فهو لله يؤتيه من يشاء فاذا وصل الى مشاهدة الله وتمتع بها فليس ذلك له انما ذلك لله وان كان هو متمتعا به وقال ابن عطاء ليس للانسان من سعيه الا ما نواه ان كان سعيه لرضى الرحمن فان الله يرزقه الرضوان وان كان سعيه للثواب والعطاء والاعواض فله ذلك وقال النصراباذى سعى الانسان فى طريق السلوك لا فى طريق التحقيق فاذا تحقق يسعى به ولا يسعى هو بنفسه وأما قول العارف الجامى * سالكان بى كشش دوست بجايى نرسند * سالها كرجه درين راه تك وبوى كنند * فقد دل بناؤه فانه لا فائدة فى السعى بدون الجذبة الالهية فالسعى منسوب الى السالك والجذبة مضافة الى الله تعالى وأما المنتهى فالسعى والجذبة بالنسبة اليه كلاهما من الله تعالى اذ ليس بمحقق من لم يكن حركاته وسكناته بالله ثم ان الطريق قد يثنى كطريق الحج من البر والبحر وأما طريق الحق فمفرد أى من حيث الجمعية الوحدانية والا فالطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق فعند النهاية يحصل الالتقاء ولذا قال تعالى وان الى ربك المنتهى مع انه فرق بين وصول ووصول كالناظرين كل ينظر بحسب قوة نور بصره وضعفه وان كان المرئى واحدا ثم ان الله يوصل السالك بعد موته الى محل همته لانه كأنه حاصل بسعيه وقد مر تحقيقه فى محله نسأل الله الوصول الى غاية المطالب بحرمة اسمه الواهب (وأن سعيه) أى سعى الانسان وهو عمله كما فى قوله تعالى ان سعيكم لشتى وهو مع خبره معطوف على ما قبله من ألا تزر الخ على معنى أن المذكورات كلها فى الصحف (سوف يرى) أى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة فى صحيفته وميزانه من أريته الشئ عرضته عليه وفيه اشارة الى أن الانسان له مراتب فى السعى وبحسب كل مرتبة يجد سعيه فى الحال لا يزيد ولا ينقص وأيضا فى المآل وأول مراتبه فى السعى مرتبة النفس وسعيه فى هذه المرتبة تزكية النفس عن المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية بالموافقات الشرعية

والمخالفات

والظلمات الطبيعية اذ العلاج بضدها وأثر هذا السعي ونتيجته حصول الجنان التي تجرى من تحتها الانهار والحور والقصور والغلمان كما أخبر الكتاب العزيز في غير موضع والمرتبة الثانية والسعي فيها تصفية القلب عن صدا الظلمات البشرية وغطاء الكدورات الطبيعية وأثر هذا السعي ونتيجته ترك حب الدنيا وشهواتها ولذاتها وزخارفها ومالها وجاهها * والمرتبة الثالثة والسعي فيها تحلية السر بالصفات الالهية والاخلاق الربانية وأثر هذا السعي ونتيجته حصول شواهد التجليات الصفاتية والاسمائية * والمرتبة الرابعة والسعي فيها تحلية الروح بالتجليات الذاتية والمشاهدات الحقانية وأثر هذا السعي ونتيجته هو الفناء عن انانيته والبقاء بهويته الاحدية المطلقة عن التقييد والاطلاق واللاتقييد واللااطلاق وقال الواسطي في الآية انه لم يكن مما يستجاب به شيء من الثواب وقال سهل سوف يرى سعيه فيعلم انه لا يصلح للحق ويعلم ما الذي يستحق بسعيه وأنه لولم يلحقه فضل ربه لهلك بسعيه (ثم يجزاه) أي يجزى الانسان سعيه أي جزاء عمله يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وايصال الفعل (الجزاء الاوفى) أي الاوفر الاتم ان خيرا فخير وان شرا فشر وهو مفعول مطلق مبين للنوع قال الوراق وأن ليس للانسان الا ما سعى ذلك في بدايته وأن سعيه سوف يرى ذلك في توسط اموره ثم يجزاه الجزاء الاوفى ذلك في نهاياته وله نهايتان باعتبار الفناء والبقاء ففي الفناء يحصل الجزاء الذي هو الشهود وفي البقاء يحصل الجزاء الذي هو تربية الجسد والوجود وذلك باستيفاء ما تركه في بداية سلوكه من المباحات المشروعة من الاكل والشرب والملبس والمنكح والتوسعة في معايش الدنيا وأسبابها فبعد تحققه بعالم الوحدة يرد الى عالم الكثرة ولكن لا تضره الكثرة اذا أصلا (وأن الى ربك المنتهى) مصدر بمعنى الانتهاء أي انتهاء الخلق في رجوعهم الى الله تعالى بعد الموت لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازيهم بأعمالهم وفي الحقيقة انتهاء الخلق اليه تعالى في البداية والنهاية ألا الى الله تصير الامور اذ لا اله الا هو (وفي المثنوى) دست بر بالاى دست اين تا كجا * تا بيزدان كه اليه المنتهى * كان يكى دريايست بى غور وكران * جمله درياها چو سيلى پيش آن * حيلها وچارها كر اژدهاست * پيش الا الله انها جمله لاست * قال ابن عطاء من كان منه مبدأه كان اليه منتهاه واذا وصل العبد الى معرفة الربوبية ينحرف عنه كل فتنة ولا يكون له مشيئة غير اختيار الله له قيل للحسين ما التوحيد قال أن تعتقد أنه معلل الكل بقوله هو الاول وعند ذلك تطلب المعلومات منه الابتداء واليه الانتهاء ذهبت المعلولات وبقي المعلل بها قال بعض الكبار من أدل دليل على توحيد الله تعالى عند من لا كشف عنده كونه تعالى عند النظار والفلاسفة علة العلل وهذا توحيد ذاتي ينتفي معه الشريك بلا شك غير أن اطلاق هذا اللفظ عليه تعالى لم يرد به الشرع فلا ندعوه به ولا نطلقه عليه فاعلم ذلك (وأنه) تعالى (هو) وحده (أضحك وأبكى) الضحك انبساط الوجه وتكشر الاسنان من سرور النفس ولظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان الضواحك والبكاء بالمد سيلان الدمع عن حزن وعويل يقال اذا كان الصوت أغلب كالرغاء وسائر هذه الابنية الموضوعة للصوت وبالقصر يقال اذا كان الحزن أغلب وقوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اشارة الى الفرح والترح وان لم يكن مع الضحك قهقهة ولا مع البكاء اسالة دمع كما في المفردات والمعنى هو خالق قوتي الضحك والبكاء في الانسان منهما ينبعث

الضحك والبكاء والانسان لايعلم ماتلك القوة أوهما كنايتان عن السرور والحزن كأنه قيل أفرح وأحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء أو عما يسر ويحزن وهو الاعمال الصالحة والاعمال الطالحة أو أضحك فى الدنيا أهل النعمة وأبكى أهل الشدة والمصيبة أو أضحك فى الجنة أهلها وأبكى فى النار أهلها أو أضحك الارض بالنبات وأبكى السماء بالمطر أو الاشجار بالانوار والسحاب بالامطار أو القراطيس بالارقام والاقلام بالمداد أو أضحك القرد وأبكى البعير أو أضحك بالوعد وأبكى بالوعيد أو أضحك المطيع بالرضا وأبكى العاصى بالسخط أو أضحك قلوب العارفين بالحكمة وأبكى عيونهم بالحزن والحرقة أو أضحك قلوب أوليائه بأنوار معرفته وأبكى قلوب أعدائه بظلمات سخطه او أضحك المستأنسين بنرجس مودته وياسمين قربته وطيب شمال جماله وأبكى المشتاقين بظهور عظمته وجلاله أو أضحك بالاقبال على الحق وأبكى بالادبار عنه أو أضحك الاسنان وأبكى الجنان أو بالعكس قال الشاعر

السن تضحك والاحشاء تحترق * وانما ضحكها زور ومختلق
يارب باك بعين لادموع لها * ورب ضاحك سن مابه رمق

أو أضحك بتجليه اللطفى الجمالى القلب المنور بنور اللطف والجمال وأبكى بتجليه القهرى الجلالى النفس المظلمة بظلمة القهر والجلال أو أضحك بتجليه الجلالى النفس على القلب عند استيلاء ظلمة النفس على القلب وأبكى بتجليه الجمالى القلب على النفس عند غلبة أنوار القلب على النفس وفى الآية دلالة على أن كل مايعمله الانسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء قالت عائشة رضى الله عنها مر النبى صلى الله عليه وسلم على قوم يضحكون فقال لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول وأنه هو أضحك وأبكى فرجع اليهم فقال ماخطوت أربعين خطوة حتى أتانى جبريل فقال ائت هؤلاء فقل لهم ان الله يقول هو أضحك وأبكى وسئل طاهر المقدسى أتضحك الملائكة فقال ماضحك من دون العرش منذ خلقت جهنم وقال النبى عليه السلام لجبرائيل مالى لم أر ميكائيل ضاحكا قط قال ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار وقيل لعمر رضى الله عنه هل كان أصحاب رسول الله عليه السلام يضحكون قال نعم والله والايمان أثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى وعن سماك ابن حرب قال قلت لجابر بن سمرة رضى الله عنه أكنت تجالس النبى عليه السلام قال نعم وكان أصحابه يجلسون فيتناشدون الشعر ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعنى النبى عليه السلام والتقى يحيى عيسى عليهما السلام فتبسم عيسى فى وجه يحيى فقال مالى أراك لاهيا كأنك آمن فقال مالى أراك عابسا كأنك آيس فقالا لانبرح حتى ينزل علينا الوحى فأوحى الله تعالى أحبكما الى أحسنكما ظنابى وروى أحبكما الى الطلق البسام وقال الحسن يا ابن آدم تضحك ولعل كفنك خرج من عند القصار وبكى نوح عليه السلام ثلثمائة سنة بقوله ان ابنى من أهلى وقال كعب لان أبكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على وجنتى أحب الى من أن أتصدق بجبل ذهب والنافع بكاء القلب لا العين فقط * بر ارزد وصد چشمه ديده جوى * ورآلايشى دارى ازخود بشوى (وأنه هو أمات وأحيى) لايقدر على الاحياء والاماتة غيره لاخلقا ولا كسبا فان أثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت

عنده بفعل الله على العادة فللعبد نقض البنية كما دون الاماتة وبالفارسية قادر برامانه
واحيا اوست وبس مى ميراند بوقت أجل دردنيا وزنده ميسازد درقبر يا اوسازنده اسباب موت
وحياتست وكفته اند مرده ميسازد كافرانرا بنكرت وزنده ميكند مؤمنانرا بمعرفت وبقول
بعض اماته واحيا بجهل وعلمست يا ببخل وجود يا بعدل وفضل يا به منع واعطا وقيل الخصب
والجدب أو الآباء والابناء أو أيقظ وأنام أو النطفة والنسمة ونزد محققان بهيبت وانس يا باستتار
وتجلى وامام قشيرى فرموده كه ميراند نفوس زاهدانرا بآثار مجاهدات وزنده كرداند قلوب
عارفانرا بانوار مشاهدات يا هركه را مرتبه فنا فى الله رساند جرعه از ساغر بقا بالله چشاند أو أمات
النفس عن الشهوات الجسمانية واللذات الحيوانية وأحيا القلب بالصفات الروحانية والاخلاق
الربانية أو أمات النفس بغلبة القلب عليها واحيائه أو أمات القلب باستيلاء النفس عليه واحيائها
وهذه الاحكام المختلفة مادام القلب فى مقام التلوين فاما اذا ترقى الى مقام الاطمئنان والتمكين
فلا يصير القلب مغلوبا بالنفس بل تكون النفس مغلوبة للقلب أبد الآباد الى أن تموت تحت
قهره بأمر ربه يقول الفقير قدم الاماتة على الاحياء رعاية للفاصلة ولان النطفة قبل النسمة
ولان موت القلب قبل حياته ولان موت الجسد قبل حياته فى القبر وأيضا فى تقديم الاماتة
تعجيل لاثر القهر لينتبه المخاطبون وأيضا ان العدم قبل الوجود ثم ان مآل الوجود الى الفناء
والعدم فلا ينبغى الاغترار بحياة بين الموتين ووجود بين العدمين والله الموفق (وانه) وآنكه
خداى تعالى (خلق الزوجين) بيافريد از انسان دو صنف وفى بعض التفاسير من كل الحيوان
وفيه ان كل حيوان لا يخلق من النطفة بل بعضه من الريح كالطير فان البيضة المخلوقة منها
الدجاجة مخلوقة من ريح الديك (الذكر والانثى) نر وماده (من نطفة) هى الماء الصافى ويعبر
بها عن ماء الرجل كما فى المفردات (اذا تمنى) تدفق فى الرحم وتصب وبالفارسية از آب منى
وقتى كه ريخته شود در رحم وآدم وحواء وعيسى عليهما السلام ازين مستثنى اند فهو من امنى
يمنى امناء وهو بالفارسية منى آوردن قال تعالى أفرأيتم ما تمنون وفى القاموس منى وأمنى ومنى
بمعنى أو معنى تمنى يقدر منها الولد من مناه الله يمنيه قدره اذ ليس كل منى يصير ولدا وفيه اشارة
الى أنه تعالى خلق زوج ذكر الروح موصوفا بصفة الفاعلية وخلق زوجة انثى النفس موصوفة
بصفة القابلية ليحصل للقلب من مقدمتى الروح والنفس نتيجة صادقة صالحة لحصول المطالب
الدنيوية والاخروية من نطفة واقعة كائنة مستقرة فى رحم الارادة الازلية اذا تمنى اذا تحرك
وتدفق فى رحم الارادة القديمة أو اذا قدر المقدر بالحكمة البالغة قدم الذكر رعاية للفاصلة
ولشرفه الرتبى وان كان الاصل فى العالم الانوثة ولذلك سرت فيه بأسره ولكن لما كانت فى النساء
أظهر حبيت الا كابر حتى آجر موسى عليه السلام نفسه فى مهر امرأة عشر سنين وحتى ان أعظم
ملوك الدنيا يكون عند الجماع كهيئة الساجد فاعلم ذلك فلما كان لا يخلو العوالم عن نكاح صورى
أو معنوى كان نصف الخلق الذكر ونصفه الانثى وان شئت قلت الفاعل والقابل والانسان
برزخ هاتين الحقيقتين (وأن عليه) أى على الله تعالى (النشأة الاخرى) أى الخلقة الاخرى
وهو الاحياء بعد الموت وفاء بوعده لا لانه يجب على الله كما يوهمه ظاهر كلمة على وفيه تصريح
بأن الحكمة الالهية اقتضت النشأة الثانية الصورية للجزاء والمكافأة وايصال المؤمنين

بالتدريج الى كمالهم اللائق بهم ولو أراد تعجيل أجورهم فى هذه الدار لضاقت الدنيا بأجر واحد منهم فما ظنك بالباقى ومن طلب تعجيل نتائج أعماله وأحواله فى هذه الدار فقد أساء الأدب وعامل الموطن بما لا يقتضيه حقيقته وأما اذا استقام العبد فى مقام عبوديته وعجل له الحق نتيجة ما أوكرامة فان من الادب قبولها ان كانت مطهرة من شوائب الحظوظ وبالجملة فالخير فيما اختاره الله لك ثم ان النشأة الاخرى الصورية مترتبة على كمال الفناء الصورى مع الاستعداد والتهيئ لقبول الروح فكذا النشأة الاخرى المعنوية وهى البقاء والاتصاف بالصفات الالهية موقوفة على تمام الفناء المعنوى والانسلاخ عن الاوصاف البشرية بالكلية مع الاستعداد والتهيئ لقبول الفيض وبالجملة فلا بد فى كلتا النشأتين من صحة المزاج ألا ترى أن الجنين اذا فسد فى الرحم سقط بل الرحم اذا فسدت لم تقبل العلوق والى الولادة الثانية التى هى النشأة الاخرى أشار عيسى عليه السلام بقوله لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين ومعنى ملكوت السموات حقائقها وأنوارها وأسرارها فكل نبى وولى وارث متحقق بهذا الولوج والولادة الثانية (وأنه هو أغنى) أعطى الغنى للناس بالاموال (وأقنى) وأعطى القنية وهى ما يتأثل من الاموال أى يتخذ أصلا ويدخر بأن يقصد حفظه استثمارا واستنماء وأن لا يخرج عن ملكه وفى المثل لا تقتن من كلب سوء جرو ويقال قنوت الغنم وغيرها وقنيتها قنوة وقنية اذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة وفى تاج المصادر الاقتناء سرمايه دادن وخشنود كردن قال بعضهم أغنى الناس بالكفاية والاموال وأعطى القنية وما يدخرونه بعد الكفاية وقال الضحاك أغنى بالذهب والفضة والثياب والمسكن وأقنى بالابل والبقر والغنم والدواب وافراد القنية بالذكر أى بعد قوله أغنى لانها أشرف الاموال وأفضلها أو معنى أقنى أرضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية والاوفق لما تقدمه من الآى المشتملة على مراعاة صنعة الطباق أن يحمل على معنى أفقر على أن تكون الهمزة أى فى أقنى للازالة كما قاله سعدى المفتى قال الجنيد قدس سره أغنى قوما به وأفقر قوما منه وقال بعضهم فيه اشارة الى افاضة الفيض الالهى على القلب السليم المستقيم الثابت على دين الله كما قال عليه السلام اللهم ثبت قلبى على دينك وابقاء ذلك الفيض الالهى عليه بحيث لا يتم لمنه ذلك الفيض ولا يضمحل تحت غاشية ظلمة النفس الامارة بالسوء لتمكن ذلك القلب وعدم تلونه بخلاف القلب المتلون فانه لعدم تمكنه فى بعض الاوقات يتكدر بظلمة النفس ويزول عنه ذلك النور المفاض عليه المضاف اليه وهو المعنى بقوله أقنى أى جعل فيه ذلك النور قنية ثم ان الآية دلت على اباحة التأثل من الاموال النافعة دون غيرها ولذا نهى عن اقتناء الكلب أى امساكه بلا فائدة من جهة حفظ الزرع أو الضرع أو نحو ذلك والنفس الامارة أشد من الكلب العقور فى اقتناء الروح النامى مندوحة عن اقتنائها لانها أبتر عقيم لا خير فيها ألا ترى أن مرتبة النفس والطبيعة تبقى هنا ولا تستصحب الانسان الكامل فى النشأة الجنانية اذ الجنان كمرعى الطيب والروض الانف فلا يرعى فيها الا الروح الطيب والجسد المنظف (وأنه هو رب الشعرى) أى رب معبودهم فاعبدوا الرب دون المربوب والشعرى كوكب نير خلف الجوزاء يقال لها العبور بالمهملة كالصبور وهى أشد ضياء من الغميصاء بالغين المعجمة المضمومة وفتح الميم والصاد المهملة وهى احدى الشعريين يعنى ان

الشعرى

الشعرى شعريان احداهما الشعرى اليمانية وتسمى أيضا الشعرى العبور وثانيتهما الشعرى الشامية وتسمى أيضا الشعرى الغميصاء فصلت المجرة بينهما تزعم العرب ان الشعر بين اختنا سهيل وان الثلاثة كانت مجتمعة فانحدر سهيل نحو اليمن وتبعته العبور فعبرت المجرة واقبت سهيلا وأقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل فغمصت عينها أى كانت أقل نورا من العبور وأخفى والغمص فى العين ماسال من الرمص يقال غمصت عينه بالكسر غمصا وكانت خزاعة تعبد الشعرى سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم فقال لقومه ان النجوم تقطع السماء عرضا وهذه تقطعها طولا فليس شئ مثلها فعبدتها خزاعة وخالف أبو كبشة قريشا فى عبادة الاوثان ولذلك كانت قريش يسمون الرسول عليه السلام ابن أبى كبشة لا يريدون بذلك اتصال نسبه اليه وان كان الامر كذلك أى لان أبا كبشة أحد اجداد النبى عليه السلام من قبل أمه بل يريدون به موافقته عليه السلام له فى ترك عبادة الاوثان واحداث دين جديد فالنبى عليه السلام كما وافق أبا كبشة فى مخالفة قريش بترك عبادة الاصنام خالفه أيضا بترك عبادة الشعرى وهو اشارة الى شعرى النفس المسماة بكلب الجبار التى عبدها خزاعة أهل الاهواء وأبو كبشة أهل البدع من الفلاسفة والزنادقة (وأنه أهلك عادا الاولى) هى قوم هود عليه السلام أهلكوا بريح صرصر وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم أولى الامم هلاكا بعد قوم نوح أى المراد بعاد جميع من انتسب الى عاد بن أرم بن عوص بن سام بن نوح ووصفهم بالاولية ليس للاحتراز عن عاد الاخيرة بل لتقدم هلاكهم بحسب الزمان على هلاك سائر الامم بعد قوم نوح قال فى التكملة وصف عاد بالاولى يدل على ان لها ثانية فالاولى هى عاد بن ارم قوم هود والثانية من ولدها وهى التى قاتلها موسى عليه السلام بأريحاء كانوا تناسلوا من الهزيلة بنت معاوية وهى التى نجت من قوم عاد مع بنيها الاربعة عمرو وعمرو وعامر والعتيد وكانت الهزيلة من العماليق (وثمود) عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه لمنع ما النافية عن العمل وهم قوم صالح عليه السلام أهلكهم الله بالصيحة (فما أبقى) أى احدا من الفريقين ويجوز أن يكون المعنى فما أبقى عليهما فالابقاء على هذا المعنى الترحم وهو بالفارسية بخشودن وانما لم يترحم عليهم لكونهم من أهل الغضب ورحمة الله لاهل اللطف دون القهر وفيه اشارة الى التربية فأولا باللطف وثانيا بالعتاب وثالثا بالعقاب فان لم يحصل التنبه فبالازالة والاهلاك وهكذا عادة الله فى خلقه فليتنبه العباد وليحافظوا على المراتب فى تربية عبيدهم وامائهم وخدمهم مطلقا (وقوم نوح) عطف عليه أيضا (من قبل) أى من قبل اهلاك عاد وثمود (انهم) أى قوم نوح (كانوا هم أظلم) لنبيهم (وأطغى) من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى لا يكون به حراك وما أثر فيهم دعوته قريبا من ألف سنة وما آمن معه الا قليل * باسيه دل چه سود گفتن وعظ * نرود ميخ آهنين درسنگ * وفيه اشارة الى اهلاك صفات القلب من قبل أن تتمكن فى سفينة التوحيد فانهم كانوا مذبذبين متقلبين بين القلب وبين النفس ظالمين على القلب بمشاهدة الكثرة طاغين عليه بالميل الى النفس وصفاتها (والمؤتفكة) هى قرى قوم لوط عليه السلام يعنى شهرستان قوم لوط عليه السلام ائتفكت بأهلها أى انقلبت بهم وهو منصوب بعطفا على عادا أى وأهلك المؤتفكة وقيل ع و

منصوب بقوله (أهوى) أى أسقطها الى الارض مقلوبة بعد أن رفعها على جناح جبريل الى السماء فالاهواء بمعنى انداختن وقال الزجاج ألقاها فى الهاوية (فغشاها ماغشى) من فنون العذاب (وقال الكاشفى) پس بپوشانيد آن شهرهارا آنچه بپوشانيد يعنى سنكهاى نشان داده بران بارانيد وفيه من التهويل والتفظيع مالاغاية وراءه وقوله ماغشى مفعول ثان ان قلنا ان التضعيف للتعدية أى ألبس الله المؤتفكة ماألبسها اياه من العذاب كالحجارة المنضودة المسومة فهو لا الفعل الاول مذكوران والثانى محذوفان وان قلنا انه للمبالغة والتكثير فهو فاعل كقوله فغشيهم من اليم ماغشيهم وفى الآية اشارة الى قرية القالب وانقلابها من أعلى الكمال الى أسفل النقصان ومن اعتدال المزاج الى انحرافه وذلك بسبب ظلم النفس الامارة عليها باستيفاء الحظوظ والشهوات كما قال تعالى وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها الآية (فبأى آلاء ربك تتمارى) الآلاء النعم واحدها الى والى والى كما فى القاموس والتمارى والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه مرية أى شك وتردد قال فى تاج المصادر التمارى بشك شدن وبا يكديكر بستيهيدن واسناد فعل التمارى الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه والخطاب للرسول عليه السلام فهو من باب الالهاب والتعريض بالغير على طريقة قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك أو لكل واحد وجعل الامور المعدودة آلاء مع ان بعضها نقم لما انها أيضا نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين قال فى بحر العلوم وهلاك أعداء الله والنجاة من صحبتهم وشرهم والعصمة من مكرهم من أعظم آلائه الواصلة الى المؤمنين قال المتنبى

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له مامن صداقته بد

وقد أمر نوحا بالحمد على ذلك فى قوله فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقد حمد هو بنفسه على ذلك فى موضع آخر تعليما للعباد حيث قال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقد سجد عليه السلام سجدة الشكر حين رأى رأس أبى جهل قد قطعت فى غزوة بدر * وفى التأويلات النجمية يشير الى استحقاق الشكر الجزيل على آلائه التى عددها وسماها آلاء لاشتمالها على نعم المواعظ ونعم الزواجر واستبعاد الشك والمماراة فيها والخطاب لافراد الامة لاشتمال النبى عليه السلام على أمته كما قال ان ابراهيم كان أمة قانتا انتهى ومعنى الآية اذا عرفت يا محمد هذه المذكورات فبأى نعمة من نعم ربك تتشكك بأنها ليست من عند الله أو فى كونها نعمة وبالفارسية پس بكدام يك از نعمتهاى آفريدكار خود شك مى آرى وجدال ميكنى فكما نصرت اخوانك من الانبياء الماضين ونصرت أولياءهم وأهلكت أعداءهم فكذلك أفعل بك فلا يكن قلبك فى ضيق وحرج مما رأيت من اصرار هؤلاء القوم وعنادهم واستكبارهم (هذا نذير من النذر الاولى) هذا اما اشارة الى القرآن والنذير مصدر أى هذا القرآن الذى تشاهدونه انذار كائن من قبيل الانذارات المتقدمة التى سمعتم عاقبتها أو الى الرسول والنذير بمعنى المنذر أى هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين والاولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم أحوال قومهم المنذرين وفى التأويلات النجمية يشير الى القرآن أو الى الرسول وشبه انذارهما بانذار الكتب الماضية والرسل المتقدمة يقول الفقير فيه اشارة الى نذارة كل ورثته عليه السلام فان كل نذير متأخر فهو من قبيل النذر الاولى لاتحاد كلمتهم

ودعوتهم الى الله على بصيرة وكذا ما ألهموا به من الانذارات بحسب الاعصار والمشارب فطوبى لاهل المتابعة وويل لاهل المخالفة * بكوى آنجه دانى سخن سودمند * وكر هيج كس را نيايد پسند * كه فردا پشيمان برارد خروش * كه اوخ چرا حق نكردم بكوش * بكمراه كفتن نكو ميروى * كناه بزركست وجور قوى * مكو شهد شيرين شكر فايقست * كسى را كه سقمونيا لايقست * چه خوش كفت يكروز دارو فروش * شفا بايدت دارو تلخ نوش (أزفت الآزفة) فى ايراده عقيب المذكورات اشعار بان تعذيبهم مؤخر الى يوم القيامة تعظيما للنبى عليه السلام وان كانوا معذبين فى الدنيا أيضا فى الجملة واللام للعهد فلذا صح الاخبار بدونها ولو كانت للجنس لما صح لانه لا فائدة فى الاخبار بقرب آزفة ما فان قلت الاخبار بقرب الآزفة المعهودة لا فائدة فيه أيضا قلت فيه فائدة وهو التأكيد وتقرير الانذار والأزف ضيق الوقت لقرب وقت الساعة وعلى ذلك عبر عن القيامة بالساعة يقال أزف الترحل كفرح أزفا وأزوفا دنا والازف محركة الضيق كما فى القاموس والمعنى دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله تعالى اقتربت الساعة أى فى الدلالة على كمال قربها لما فى صيغة الافتعال من المبالغة ففى الآية اشارة الى كمال قربها حيث نسب القرب الى الموصوف به (ليس لها من دون الله كاشفة) أى ليس لها نفس قادرة على كشفها أى ازالتها وردها عند وقوعها فى وقتها المقدر لها الا الله لكنه لا يكشفها من كشف الضر أى ازاله بالكلية فالكاشفة اسم فاعل والتاء للتأنيث والموصوف مقدر أو ليس لها الآن نفس كاشفة بتأخيرها الا الله فانه المؤخر لها يعنى لو وقعت الآن لم يردها الى وقتها أحد الا الله فالكشف بمعنى الازالة لا بالكلية بل بالتأخير الى وقتها أو ليس لها كاشفة لوقتها الا الله أى عالمة به من كشف الشئ اذا عرف حقيقته أو مبينة لها متى تقوم وفى القرآن لا يجليها لوقتها الا هو أو ليس لها من غير الله كشف على ان كاشفة مصدر كالعاقبة والخائنة وأما جعل التاء للمبالغة كما فى علامة فالمقام يأباه لايهامه ثبوت أصل الكشف لغيره وفى الآية اشارة الى قرب القيامة الكبرى ووقوع الطامة العظمى وهى ظهور الحقيقة المثلى لاهل الفناء عن نفوسهم والاقبال على الله بجمع الهمة وقوة العزيمة ليس لها من دون الله كاشفة بالنسبة الى أهل الحجاب لانهم مستغرقون فى بحر الغفلة مستهلكون فى أسر الشهوة والانسان فان فى كل آن وزمان وله شعور بذلك فالقيامة كشف عن غطائه وتشرف برؤية الله ولقائه وقد قالوا القيامة العارفين دائمة أى لانهم فى شهود الامر على ما كان عليه ولا يتوقف شهودهم على وقوع القيامة الظاهرة ومن هنا قال الامام على كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فطوبى لمن زاد يقينه ووصل الى حق اليقين وتمكن فى مقام التحقيق والله المعين (أفمن هذا الحديث) آيا ازين سخن كه قرآنست (تعجبون) انكارا قال الراغب العجب والتعجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشئ ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه (وتضحكون) استهزاء مع كونه أبعد شئ من ذلك قال الراغب واستعير الضحك للسخرية فقيل ضحكت منه (ولا تبكون) حزنا على ما فرطتم فى شأنه وخوفا من أن يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة روى أنه عليه السلام لم ير ضاحكا بعد نزول هذه الآية وعن أبى هريرة رضى الله عنه لما نزلت هذه الآية بكى أهل الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله

عليه السلام حينئذ بكى معهم فبكينا لبكائه فقال عليه السلام لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ثم يغفر لهم وروى أن النبي عليه السلام نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي فقال له من هذا فقال فلان فقال جبريل انا نزن أعمال بني آدم كلها الا البكاء فان الله ليطفئ بالدمعة بحورا من نيران جهنم وفي الحديث ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وذلك فان الحزن يؤدي الى السرور والبكاء الى الضحك قال الصائب مثال أي ساكن بيت الحزن از چشم تاريكي * كه خواهد صيقلي كشت از جمال روشن يوسف (وقال خنده) كردن رخنه در قصر حيات افكندنست * خانه در بسته باشد تا غمين باشد كسى (وأنتم سامدون) أي لاهون أو مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع رأسه قال الراغب السامد اللاهي الرافع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير كانوا اذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء واللهو ليشغلوهم عن الاستماع أو خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا أن مضمونها على الوجه الاخير قيد للمنفي والانكار وارد على نفي البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الاول قيد للنفي والانكار متوجه الى نفي البكاء ووجود السمود والاول أوفق بحق المقام فتدبر كما في الارشاد (فاسجدوا لله واعبدوا) الفاء لترتيب الامر أو موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع أي واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذي أنزله واعبدوه ولا تعبدوا غيره من ملك أو بشر فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع كالاصنام والكواكب قال في عين المعاني فاسجدوا أي في الصلاة والاصح أنه على الانفراد وهي سجدة التلاوة انتهى وهذا محل سجود عند أبي حنيفة والشافعي وأحمد وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لانه صح عن رسول الله عليه السلام انه سجد بالنجم يعني بعد تلاوته هذه السورة على قريش سجد وسجد معه المؤمن والمشرك والانس والجن كما سبق وليس يراها مالك لما روى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قرأ على النبي عليه السلام والنجم فلم يسجد فيها (قال الكاشفي) اين سجده دوازدهمست از سجدات قرآني در فتوحات اين را سجدهٔ عبادت كفته كه امر الهي بذلت ومسكنت متقرنست بوى وجز سالكان طريقت عبادت وعبوديت بسر منزل سر اين سخن نرسيده اند وفي تأويلات البقلي أي اذا قرب أيام الوصال فاشتاقوا وسارعوا في بذل الوجود ووضع الخدود على التراب واعبدوا رب الارباب لوجود كشف النقاب قال شيخي وسندي روح الله روحه في كتاب البرقيات له يعني اسجدوا لله واعبدوا الله بالله لا بالنفس اذا سجدتم وعبدتم له بسجدة القالب بالانقياد وعبادته بالاذعان في مرتبة الشريعة وبسجدة القلب بالفناء وعبادته بالاستهلاك في مرتبة الحقيقة حتى تكون سجدتكم وعبادتكم محض قربة الى الله في المرتبة الاولى وصرف وصلة الى الله في المرتبة الثانية وتكونوا من المقربين أولا ومن الواصلين ثانيا هذا شأن عباد الله الموحدين المخلصين الفانين في الله الباقين بالله وأما طاعة من عداهم فبأنفسهم وهواهم لعدم تخلصهم من الشوائب النفسانية في مقام الشريعة ومن الشوائب الغيرية في مقام الحقيقة واعلم أن سجدة القالب وعبادته منقطعة

لانقطاع

لانقطاع سببها ومحلها وموطنها الانها حادثة فانية زائلة وأما سجدة القلب وعبادته وهي فناؤه في الله أزلا وأبدا بحسب نفسه وان كان باقيا بالله بحسب تحلية الوجود فغير منقطعة بل هي دائمة لدوام سببها وباقية لبقاء محلها وموطنها أزلا وأبدا والمقصود من وضع السجدة والعبادة القالبية هو الوصول الى شهود السجدة والعبادة القلبية ولذا حبب الى النبي عليه السلام ثلاث الطيب والنساء والصلاة أما الاول فلانه يوجد في نفسه ذوق الانس والمحاضرة وأما الثاني فلانه يوجد فيه ذوق القربة والوصلة وأما الثالث فلانه يوجد فيه ذوق المكاشفة والمشاهدة وهذه الاذواق انما يتحقق بها من الانس من هو الانسان الحقيقي المتحقق بسر الحضرة الاحدية والمتنور بنور الحضرة الواحدية وهو المنتفع بانسانيته انتفاعا تاما وأما الانسان الحيواني فلا حظ له من ذلك التحقق ولا نصيب له من هذا الانتفاع بل حظه ونصيبه انما هو الشهوات الطبيعية والانسان الاول في أعلى عليين والثاني في أسفل السافلين وبينهما بون بعيد كما بين الاوج والحضيض وبكمال علو الاول قد يستغني عن الاكل والشرب كالملائكة بالاذواق الروحانية والتجليات الربانية وذلك مدة كثيرة كما وقع لبعضهم ولتمام تسفل الثاني يأكل كما تأكل الانعام فلا يقنع في اليوم والليلة بمرة من الاكل بل يحتاج الى مرات منها والا يقع في الاضطراب والذبول والنحول وربما تؤدي قلة الاكل الى هلاكه كما حكي أن شخصين أحدهما سمين والآخر هزيل حبسا في تهمة ومنع عنهما الغذاء أسبوعا فبعد الاسبوع تبين ان ليس لهما جرم فاذا السمين قد مات والهزيل حي وذلك لان من اعتاد الاكل اذا لم يجده هلك

تمت سورة النجم بعون الله تعالى في الحادي عشر من شهر رمضان المنتظم في سلك شهور سنة أربع عشرة ومائة وألف ويتلوها سورة القمر وآيها خمس وخمسون وهي مكية عند الجمهور والله أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة) الاقتراب نزديك امدن والساعة جزء من أجزاء الزمان عبر بها عن القيامة تشبيها لها بذلك لسرعة حسابها أو لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لانها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم أو لغير ذلك كما بين فيما سبق والمعنى دنت القيامة وقرب قيامها ووقوعها لانه مابقي من الدنيا الا القليل كما قال عليه السلام ان الله جعل الدنيا كلها قليلا فما بقي منها الا قليل من قليل ومثل مابقي مثل الثغب أي الغدير شرب صفوه وبقي كدره فالاقتراب يدل على مضي الاكثر وبقي الاقل عن قريب كما مضى الاكثر وبيانه أنه مضى من يوم السنبلة وهو سبعة آلاف سنة وقد صح أن مدة هذه الامة تزيد على ألف بنحو أربعمائة سنة الى خمسمائة سنة ولا يجوز الزيادة الى خمسمائة سنة بعد الالف لعدم ورود الاخبار في ذلك ولاقتضاء البراهين والشواهد عند أهل الظواهر والبواطن من أهل السنة وقد قال عليه السلام الآيات بعد المائتين والمهدي بعد المائتين فتنتهي دورة السنبلة بظهور عيسى عليه السلام فيكون آدم فاتحها وعيسى خاتمها فعلى هذا فآدم ونبينا عليهما السلام أي وجودهما من أشراط الساعة كما قال عليه السلام مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان فاذا كان وجوده من أشراط الساعة فمعجزاته من انشقاق القمر ونحوه تكون كذلك * يقول الفقير فان قلت فكم عمر الدنيا بأسرها وما قول العلماء فيه قلت اتفقوا على حدوث الدنيا وما قطعوا بشيء في مدتها والذي يلوح لي والله أعلم بحقيقة المدة أنها

ثلثمائة وستون ألف سنة وذلك لانه قد مثل دور السنبلة بجمعة من جمع الآخرة أى سبعة أيام وكل يوم من أيام الآخرة ألف سنة كما قال تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة ولا شك ان بالجمعة أى الاسبوع يتقدر الشهر وبالشهر تتقدر السنة وعليه يحمل ما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة فقد مضى ستة آلاف سنة ومائة سنة وليأتين عليها زمن من سنين ليس عليها من يوحد وقد خاطبت الدنيا آدم عليه السلام فقالت يا آدم جئت وقد انقضى شبابى يعنى انقضى من عمرها ستون ألف سنة تقريبا وهى اجمال ما ذكرنا من المدة ولا شك أن ما بين الستين والسبعين دقاقة الرقاب فآدم انما جاء الى الدنيا وقد انقضى عمرها وبقى شئ قليل منها وعلى هذا المعنى يحمل قول من قال ان عمر الدنيا سبعون ألف سنة فاعرف جدا فالساعة مقتربة عند الله وعند الناس لان كل آت قريب وان طالت مدته فكيف اذا قصرت وأما قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا فبالنسبة الى الغافلين المنكرين ولا عبرة بهم والحكمة فى ذكر اقتراب الساعة تحذير المكلف وحثه على الطاعة تنبيها لعباده على أن الساعة من أعظم الامور الكونية على خلقه من أهل السموات والارض وأما تعيين وقت الساعة فقد انفرد الحق تعالى بعلمه وأخفاه عن عباده لانه أصلح لهم ولذا كان كل نبى قد أنذر أمته الدجال وفى الحديث ان بين يدى الساعة كذابين فاحذروهم والمراد بالكذابين الدجاجلة وهم الائمة المضلون يقول الفقير لا شك ان انذار الانبياء عليهم السلام حقيقة من أمثال هؤلاء الدجاجلة من أممهم اذ لم يخل قرن منهم والا فهم يعرفون ان الساعة انما تقوم بعد ظهور خاتم النبيين وختم الامم وان الدجال الاعور الكذاب متأخر عن زمانه وانما يخرج فى الالف الثانى بعد المائتين والله أعلم فكل كذاب بين يدى الساعة سواء كان قبل مبعث النبى عليه السلام أو بعده فانما هو من مقدمات الدجال المعروف كما أن كل أهل صدق من مقدمات المهدى رضى الله عنه

(وانشق القمر) الانشقاق شكافته شدن ودلت صيغة الماضى على تحقق الانشقاق فى زمن النبى عليه السلام ويدل عليه قراءة حذيفة رضى الله عنه وقد انشق القمر أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق وقد خطب حذيفة بالمدائن ثم قال ألا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم وحذيفة بن اليمان رضى الله عنه صاحب سر رسول الله عليه السلام كابن مسعود رضى الله عنه وعلى هذا القول عامة الصحابة ومن بعدهم وبه أخذ أكثر المفسرين فلا عبرة بقول من قال انه سينشق يوم القيامة كما قال تعالى اذا السماء انشقت والتعبير بالماضى للدلالة على تحققه على أنا نقول يجوز أن يكون انشقاقه مرتين مرة فى زمانه عليه السلام اشارة الى قرب الساعة ومرة يوم القيامة حين انشقاق السماء وفى فتح البارى لابن حجر حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث انتهى وقال الطيبى أسند أبو اسحق الزجاج عشرين حديثا الا واحدا فى تفسيره الى رسول الله عليه السلام فى انشقاق القمر وفى شرح الشريف للمواقف هذا متواتر رواه جمع كثير من الصحابة كابن مسعود وغيره قال سعدى المفتى فيه انهم لم يجعلوا حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقد رواه ستون أو أكثر من الصحابة وفيهم العشرة من المتواتر فكيف يجعل هذا منه انتهى * يقول الفقير قد جعل ابن الصلاح ومن تبعه ذلك الحديث أى

حديث من كذب الخ من المتواتر كما فى أصول الحديث على أنه يجوز أن لا يكون بعض ما رواه
جمع كثير من المتواتر لعدم استجماع شرائطه (امام زاهد رحمه الله) آورده كه شبى ابوجهل
و جهودى بحضرت پيغمبر عليه السلام رسيدند ابوجهل كفت أى محمد آيتى بمن نماى والا سر
تو بشمشير برميدارم آن حضرت فرمود كه چه ميخواهى ابوجهل بجب وراست نكريست كه چه
خواهد كه وقوع آن متعذر باشد يهودى كفت او ساحرست او را بكوى كه ماه را بشكافد كه
سحر در زمين متحقق ميشود و ساحر را در آسمان تصرّف نيست ابوجهل كفت أى محمد ماه را
براى ما بشكاف آن حضرت انكشت شهادت برآورد و اشارت فرمود ماه را بشكافت فى
الحال دو نيم شد يك نيم برجاى خود قرار كرفت و يكى ديكر جايى ديكر رفت و باز كفت بكوى
تا ملتئم شود اشارت كرد هر دو نيمه بهم پيوستند * شق كشت ماه چارده بر لوح سبز چرخ * چون
خامهٔ دبير ز تيغ بنان او (قال العطار قدس سره) ماه را انكشت او بشكافته * مهر از
فرمانش از پس تافته (وفى المثنوى) پس قمر كه امر بشنيد و شتافت * پس دو نيمه كشت
بر چرخ و شكافت (وقال الجامى) چو مه را بر سر تير اشارت * زد از سبابهٔ معجز بشارت * دو نون
شد ميم دور حلقه ماه * جهل را ساخت او شصت از دو پنجاه * بلى چون داشت دستش بر قلم پشت
* رقم زد خط شق بر مه بر انكشت * يهودى ايمان اورد و ابوجهل لعين كفت چشم
ما بسحر رفته است و قمر را منشق نمودند * وقال بعض المفسرين اجتمع بعض صناديد قريش فقالوا
ان كنت صادقا فاشق لنا القمر فرقتين و وعدوا الايمان وكانت ليلة البدر فرفع عليه السلام
اصبعه وأمر القمر بأن ينشق نصفين فانفلق فلقتين أى شقين فلقة ذهبت عن موضع القمر
وفلقة بقيت فى موضعه وقال ابن مسعود رضى الله عنه رأيت حراء بين فلقى القمر فعلى هذا
فالنصفان ذهبا جميعا عن موضع القمر فقال بعضهم نصف ذهب الى المشرق ونصف الى المغرب
وأظلمت الدنيا ساعة ثم طلعا والتقيا فى وسط السماء كما كان أول مرة فقال عليه السلام اشهدوا
اشهدوا وعند ذلك قال كفار قريش سحركم ابن أبى كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر
القمر بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره أن يسحر جميع أهل الارض فاسألوا من يأتيكم من البلاد
هل رأوا هذا يعنى از جماعت مسافران كه از اطراف آفاق برسند سؤال كنيد تا ايشان ديده اند
يانه فسألوا أهل الآفاق فأخبروا كلهم بذلك يعنى چون از آينده و رونده پرسيدند همه جواب
دادند كه در فلان شب ماه را دو نيمه ديديم وهذا الكلام كما لا يخفى يدل على أنه لم يختص برؤية القمر
منشقا أهل مكة بل رآه كذلك جميع أهل الآفاق وبه يرد قول بعض الملاحدة لو وقع انشقاق
القمر لاشترك أهل الارض كلهم فى رؤيته ومعرفته ولم يختص بها أهل مكة ولا يحسن الجواب
عنه بأنه طلبه جماعة فاختصت رؤيته بمن اقترح وقوعه ولا بأنه قد يكون القمر حينئذ فى بعض
المنازل التى تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض ولا بقول بعضهم ان انشقاق القمر آية ليلية
جرى مع طائفة فى جنح ليلة ومعظم الناس نيام كما فى انسان العيون وقال فى الاسئلة المقحمة
لا يستبعد اختفاؤه عن قوم دون قوم بسبب غيم أو غيره يمنع من رؤيته أى فكان انشقاق القمر
صحيحا لكنه لم ينقل بطريق التواتر ولم يشترك فيه العرب والعجم فى جميع الاقطار القاصية
والدانية ولذا وقع فيه الاختلاف كما وقع فى المعراج والرؤية والى انشقاق القمر أشار الامام

السبكي في تائيته بقوله

وبدر الدياجي انشق نصفين عندما * أرادت قريش منك اظهار آية

وصاحب القصيدة البردية بقوله

أقسمت بالقمر المنشق أن له * من قلبه نسبة مبرورة القسم

يعني لو أقسم أحد أن للقمر المنشق نسبة وشبها بقلبه المنشق يكون بارا وصادقا وصاحب الهمزية بقوله

شق عن صدره وشق له البد * ر ومن شرط كل شرط جزاء

أي شق عن صدره عليه السلام وشق لاجله القمر ليلة أربع عشرة وانما شق له لان من شرط كل شرط جزاء لانه لما شق صدره جوزي على ذلك بأعظم مشابه له في الصورة وهو شق القمر الذي هو من أظهر المعجزات بل أعظمها بعد القرآن (كما قال الصائب) هر مخنتي مقتدهٔ را حق بوده * شد همزبان حق چو زبان كليم سوخت * موسى كليم را انفلاق بحر بود ومصطفى حبيب را انشقاق قمر بود چه عجب كر بحر بر موسى بضرب عصا شكافته شد كه بحر مركب وب وملوست دهت ادمى بدو رسد وقصد آدمي بوى اثر دارد اعجوبه مملكت انشقاق قمرست كه عالميان از دريافت اين عاجز ودست جن وانس از رسيدن بوى قاصر * وبيان شق الصدر أنه قالت حليمة أمه عليه السلام من الرضاعة وهي من بنات بني سعد بن بكر أسلمت مع أولادها وزوجها بعد البعثة لما كان يوم من الايام خرج محمد مع اخوته من الرضاعة وكان يومئذ ابن خمس سنين على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما فلما انتصف النهار اذا انا بابني حمزة يعدو وقد علاه العرق باكيا ينادي يا أماه يا أبتاه أدركا أخي القرشي فما أراكما تلحقانه الا ميتا قلت وما قصته قال بينا نحن نترامى بالجلة اذ أتاه رجل فاختطفه من بيننا وعلا به ذروة الجبل وشق صدره الى عانته فما أراه الا مقتولا قالت فأقبلت أنا وزوجي نسعى سعيا فاذا أنا به قاعد على ذروة الجبل شاخص بعينه نحو السماء يتبسم فانكببت عليه وقبلت بين عينيه وقلت له فدا لك نفسي ما الذي دهاك قال خيرا يا أمه بينا أنا الساعة قائم مع اخوتي نتقاذف بالجلة اذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض وفي رواية فأقبل الي طيران أبيضان كأنهما نسران وفي رواية كركيان والمراد ملكان وهما جبريل وميكائيل وفي رواية أتاني ثلاثة رهط أي وهم جبريل وميكائيل واسرافيل لان جبريل ملك الوحي الذي به حياة القلوب وميكائيل ملك الرزق الذي به حياة الاجساد واسرافيل مظهر الحياة مطلقا في يد أحدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمرد أخضر مملوءة ثلجا وهو ثلج اليقين فأخذوني من بين أصحابي وانطلقوا بي الى ذروة الجبل وفي رواية الى شفير الوادي فأضجعني بعضهم على الجبل اضجاعا لطيفا ثم شق صدري وأنا أنظر اليه فلم أجد لذلك حسا ولا ألما ثم أدخل يده في جوفي فأخرج احشاء بطني فغسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها أي بالغ في غسلها ثم أعادها مكانها وقام الثاني وقال للاول تنح فقد أنجزت ما أمرك الله فدنا مني فأدخل يده في جوفي فانتزع قلبي وشقه باثنين فأخرج منه علقة سوداء فرمى بها وقال هذا حظ الشيطان أي محل غمزه ومحل ما يلقيه من الامور التي لا تنبغي لان تلك العلقة خلقها الله في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فأزيلت من قلبه وبعض ورثته الكمل يتقيء دما أسود محترقا من نور التوحيد

فيحصل به شرح الصدر وشق القلب أيضا ولا يلزم من وجود القابل لما يلقيه الشيطان حصول الالقاء بالفعل قبل هذا الشق فانه عليه السلام معصوم على كل حال فان قلت فلم خلق الله هذا القابل فى هذه الذات الشريفة وكان من الممكن أن لا يخلق فيها قلت لانه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانسانى ثم نزعت تكرمة له أى لانه لو خلق خاليا عنها لم تظهر تلك الكرامة وفيه أنه يرد على ذلك ولادته عليه السلام من غير قلفة وهى جلدة الذكر التى يقطعها الخاتن وأجيب بالفرق بينهما لان القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل أحد مع ما يلزم على ازالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال قال عليه السلام ثم حشا قلبى بشئ كان معه وهو الحكمة والايمان ورده مكانه ثم ختمه بخاتم من نور يحار الناظرون دونه وفى رواية وأقبل الملك وفى يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه ولا مانع من تعدد الختم فختم القلب لحفظ ما فيه وبين الكتفين مبالغة فى حفظ ذلك لان الصدر وعاؤه القريب وجسده وعاؤه البعيد وخص بين الكتفين لانه أقرب اليه من القلب من بقية الجسد وهو موضع نفوذ خرطوم ابليس لان العدو يجئ من وراء ولذا سن الحجامة فيه ثم قال عليه السلام أنا الساعة أجد برد الخاتم فى عروقى ومفاصلى وقام الثالث فقال تنحيا فقد أنجزتما ما أمر الله فيه فدنا منى وأمر يده على مفرق صدرى الى منتهى الشق فالتأم وأنا أنظر اليه وكانوا يرونه أثرا كاثر المخيط فى صدره وهو أثر مرور يد جبريل ثم أنهضنى من الارض انهاضا لطيفا ثم قال الاول الذى شق صدرى زنه بعشرة من أمته فوزننى فرجحتهم ثم قال زنه بعشرين فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فرجحتهم ثم قال زنه بألف فرجحتهم ثم قال دعه فلو وزنتموه بأمته كلهم لرجحهم * يقول الفقير هذا يدل على أنه عليه السلام كما أنه أفضل من كل فرد فرد من أفراد الموجودات فكذا أفضل من المجموع ولا عبرة بقول من قال فى كونه أفضل من المجموع توقف لانه جهل بشأنه العالى وانه أحدية مجموع الاسماء الالهية وبرزخيتها فاعرف قال عليه السلام ثم انكبوا على وقبلوا رأسى وما بين عينى وقالوا يا حبيباه انك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وتركونى قاعدا فى مكانى هذا وجعلوا يطيرون حتى دخلوا خلال السماء وأنا أنظر اليهم ولو شئت لاريتك موضع دخولهم * واعلم أن صدره الشريف شق مرارا مرة لاخراج حظ الشيطان كما مر لانه لا يليق به وعند مجئ الوحى لتحمل ثقله وعند المعراج لتحمل اسراره ففى شرح الصدر مرارا مزيد تقوية لباطنه وهذا الشرح معنوى لاكامل أمته ولا بد منه فى حصول الفيض الالهى يسره الله لى ولكم ثم انه بقى هنا معنى آخر كما قاله البعض وهو ان انشقاق القمر مجاز عن وضوح الامر ولا يبعد أن يحمل بيت المثنوى على ذلك وهو * سايه خواب آرد ترا همچون سمر * چون برآيد شمس انشق القمر * أى وضح الامر واستبان وذلك لانه عند اقتراب الساعة ينكشف كل خفى ويظهر كل مستور ويستبين الحق من الباطل من كل وجه ويدل على هذا المعنى قوله عليه السلام اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب فان المراد وضوح الامر فى آخر الزمان وظهور حقيقته ولذا يصير الناس بحيث ينكشف لادنى سالك منهم فى مدة قليلة ما لم ينكشف للامم الماضية فى مدة طويلة وذلك لان الله تعالى قال فى حق يوم القيامة يوم تبلى السرائر فاذا قرب الزمان من ذلك اليوم يأخذ حكمه فيكون كشف الامور أكثر والخفايا أظهر وقال البقلى رحمه الله علم الله

انتظار أرواح الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين والاولياء العارفين وجميع الصالحين كشف جماله وقرب وصاله والدخول فى جواره فبشرهم الله تعالى بأنه مقرون بقدوم محمد عليه السلام فلما خرج بالنبوة شك فيه المشركون فأراهم الله صدق وعده بانشقاق القمر حتى يعرفوا أن الله تعالى يريد بالعالمين اتيان الساعة التى فيها كشوف العجائب وظهور الغرائب من آيات الله وصفاته وذاته * وفى التأويلات النجمية اعلم أن الساعة أى القيامة ساعتان الكبرى وهى عامة بالنسبة الى جميع الخلائق وهى التى اقتربت والصغرى وهى خاصة بالنسبة الى السالكين الى الله برفع الاوصاف البشرية وقطع العلائق الطبيعية السائرين فى الله بالتحلى بالاوصاف الالهية والاخلاق الربانية الراجعين من الحق الى الخلق بالبقاء الحقانى بعد الفناء الخلقانى وبالجمع بعد الفرق وهى أعنى الساعة الصغرى واقعة اليوم فى كل آن ولله تجل جلالى يفنى وجمالى يبقى واليه اشارة قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته فقد انشق قمر قلب السالك عن ظلمة النفس المظلمة باستيلاء نور شمس فلك الروح عليها فلا جرم وقعت الساعة بالنسبة الى القلب الحى المنور بالنور الالهى ووقعت القيامة الخاصة الشاملة على الموت والحشر والنشور فافهم ولا تعجب لئلا تكون ممن قال تعالى فيهم أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون والله الموفق والمعين (وان يروا) يعنى قريشا (آية) من آيات الله دالة على قدرته وصدق نبوة حبيبه عليه السلام مثل انشقاق القمر ونظائره ومعنى تسمية ما جاءت به الانبياء معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها (يعرضوا) عن التأمل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها فيؤمنوا (ويقولوا) هذا (سحر مستمر) مطرد دائم يأتى به محمد عليه السلام على ممر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر فالاستمرار بمعنى الاطراد يقال اطرد الشئ تبع بعضه بعضا وجرى وهو يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخرى مترادفة حتى قالوا ذلك وفيه تأييد ان انشقاق القمر قد وقع لأنه سينشق يوم القيامة كما قاله بعضهم وذلك لانه لو لم يكن الانشقاق من جنس الآيات لم يكن ذكر هذا القول مناسبا له تام أو مطردا بالنسبة الى جميع الاشخاص والبلاد حيث رأوه منشقا وقال بعضهم ان جادو يست دائم وروندة از زمين تا آسمان ويجوز أن يكون مستمر من المرة بالكسر بمعنى القوة امررته فاستمر اذا أحكمته فاستحكم فالاستمرار بمعنى الاستحكام أى قوى مستحكم لا يمكن ازالته أو قوى شديد يعلو كل سحر وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى عن قريب تمنية لانفسهم وتعليلا لها وهو من المرور (وكذبوا) أى بالنبى عليه السلام وما عاينوه من المعجزات التى أظهرها الله على يده (واتبعوا أهواءهم) التى زينها الشيطان لهم من رد الحق بعد ظهوره أو كذبوا الآية التى هى انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحاله ولم يصبه شئ أو انه خسوف القمر وظهور شئ من جانب آخر من الجو أشبه نصف القمر فهذه أهواؤهم الباطلة * بدكمانى لازم بدباطنان افتاده است * كوشه أز خانى جا كردم كين بنداشتند * وذكرهما بلفظ الماضى أى بعد يعرضوا ويقولوا بلفظ المستقبل للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وفيه اشارة الى المحجوبين المستغرقين فى بحر الدنيا وشهواتها فانهم اذا ظهر لهم خاطر رحمانى بالاقبال على الله ومتابعة الرسول وترك حب الدنيا ورفع شهواتها يعرضوا عن هذا الخاطر الرحمانى وينفوه ولا يلتفتوا اليه ولا يعتبروه بل يزدادوا فيما هم عليه من حب الدنيا

ومتابعة النفس وموافقة الهوى ويرموه بالكذب وريما يرى بعضهم فى منامه أنه لبس خرقة الفقراء من خارج ولكن تحتها قميص حرير فهذا يدل على أن تجرده لبس من باطنه فتجرده الظاهرى وملاحظة الفناء القشرى ليس بنافع له جدا (وكل أمر مستقر) أى وكل أمر من الامور مستقر أى منته الى غاية يستقر عليها لامحالة ومن جملتها أمر النبى عليه السلام فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيقته وعلو شأنه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به أو كل أمر من أمرهم وأمره عليه السلام مستقر أى سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة فى الدنيا وشقاوة أو سعادة فى الآخرة فان الشئ اذا انتهى الى غاية ثبت واستقر يعنى أن الاستقرار كناية عن ملزومه وهو الانتهاء الى الغاية فان عنده يتبين حقيقة كل شئ من الخير والشر والحق والباطل والهوى والحجة وينكشف جلية الحال ويضمحل الشبه والالتباس فان الحقائق انما تظهر عند العواقب فهذا وعيد للمشركين ووعد وبشارة للرسول والمؤمنين ونظيره لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون أى كل نبأ وان طالت مدته فلا بد أن ينتهى الى غاية وتنكشف حقيقته من حق وباطل وفى عين المعانى وكل أمر وعدهم الله كائن فى وقته أى لا يتغير شئ عن مراد الله ولا يغيره أحد دون الله فهو يمضيه على الخلق فى وقته لانه مستقر لا يزول وفيه اشارة الى ان أمر محمد الروح وأمر ابى جهل النفس له نهاية وغاية يستقر فيها اما الى السعادة الابدية بواسطة التخلق بالاخلاق الالهية واما الى الشقاوة السرمدية بسبب الاتصاف بالصفات البشرية الحيوانية (ولقد جاءهم) أى وبالله لقد جاء أهل مكة فى القرآن (من الانباء) جمع نبا وهو خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر فى الاصل نبا حتى يتضمن هذه الاشياء الثلاثة أى أنباء القرون الخالية أو انباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار فاللام عوض عن المضاف اليه وهو حال مما بعده (مافيه مزدجر) أى ازدجار من تعذيب ان أريد بالانباء أنباء القرون الخالية أو وعيد ان أريد بها أنباء الآخرة أو موضع ازدجار على أن فى تجريدية والمعنى أنه فى نفسه موضع ازدجار ومظنة له كقوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة أى هو فى نفسه اسوة حسنة وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاى للتناسب فى المخرج أو لتحصيل التناسب فان التاء مهموسة وهذه الحروف مجهورة يعنى ان أصله مزتجر لانه مفتعل من الزجر قلبت التاء دالا لان الزاى حرف مجهور والتاء حرف مهموس والدال تناسب الزاى فى الجهر وتناسب التاء فى المخرج يقال زجره وازدجره أى نهاه عن السوء ووعظه غير أن افتعل أبلغ فى المعنى من فعل قال الراغب الزجر طرد بصوت يقال زجرته فانزجر ثم يستعمل فى الطرد تارة وفى الصوت تارة وقوله تعالى مزدجر أى طرد ومنع عن ارتكاب المآثم (حكمة بالغة) غايتها متناهية فى كونها حكمة لاخلل فيها أو قد بلغت الغاية فى الانذار والنهى والموعظة وهو بدل من ما أو خبر لمحذوف وفى القاموس الحكمة بالكسر العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن وفى المفردات الحكمة اصابة الحق بالعلم والفعل فالحكمة من الله معرفة الاشياء أو ايجادها على غاية الاحكام ومن الانسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات واذا وصف القرآن بالحكيم فلتضمنه الحكمة وهى علمية وعملية والحكمة

المنطوق بها هى العلوم الشرعية والطريقة والحكمة المسكوت عنها هى أسرار الحقيقة التى لا يطلع عليها علماء الرسوم والعوام على ما ينبغى فتضرهم أو تهلكهم (فما تغنى النذر) نفى للاغناء ومفعول تغنى محذوف أى لم تغن النذر شيأ أو استفهام انكار فما منصوب به على انها مفعول مقدم لتغنى أى فأى اغناء تغنى النذر اذا خالفوا وكذبوا أى لا تنفع كقوله وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون جمع نذير بمعنى المنذر أو مصدر بمعنى الانذار وفيه اشارة الى عدم انتفاع النفوس المتمردة بانذار منذر الروح وانذار منذر القلب اذ الروح مظهر منذر القرآن والقلب مظهر منذر الحقيقة (فتول عنهم) لعلمك بأن الانذار لا يؤثر فيهم البتة ولا ينفع فالفاء للسببية وبالفارسية پس روى بكردان از ايشان تا وقت أمر بقتال ومنتظر باش جزاء ايشانرا (يوم يدع الداع) أصله يوم يدعو الداعى بالواو والياء لما حذف الواو من يدعو فى التلفظ لاجتماع الساكنين حذفت فى الخط أيضا اتباعا للفظ وأسقطت الياء من الداعى للاكتفاء بالكسرة تخفيفا قال بعضهم حذفت الياء من الداعى مبالغة فى التخفيف أجراء لال مجرى ما عاقبها وهو التنوين فكما تحذف الياء مع التنوين كذلك مع ما عاقبه ويوم منصوب بيخرجون أو باذكر والداعى اسرافيل عليه السلام ينفخ فى الصور قائما على صخرة بيت المقدس ويدعو الاموات وينادى قائلا أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء أو ان اسرافيل ينفخ وجبريل يدعو وينادى بذلك وعلى كلا القولين فالدعاء على حقيقته وقال بعضهم هو مجاز كالامر فى قوله تعالى كن فيكون يعنى أن الدعاء فى البعث والاعادة مثل كن فى التكوين والابتداء بأن لا يكون ثمة داع من اسرافيل أو غيره بل يكون الدعاء عبارة عن نفاذ مشيئته وعدم تخلف مراده عن ارادته كما لا يتخلف اجابة دعاء الداعى المطاع يقول الفقير الاولى بقاؤه على حقيقته لان اسرافيل مظهر الحياة وبيده الصور والله تعالى ربط الاشياء بعضها ببعض وان كان الكل بارادته ومشيئته (الى شئ نكر) بضمتين صفة على فعل وقرئ بسكون الكاف وكلاهما بمعنى المنكر أى منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول يوم القيامة ومنه منكر ونكير فتانى القبر لانه لم يعهد عند الميت مثلهما (خشعا أبصارهم) حال من فاعل (يخرجون) والتقديم لان العامل فعل متصرف أى يخرجون (من الاجداث) جمع جدث محركة وهو القبر أى من قبورهم حال كونهم أذلة أبصارهم من شدة الهول خاضعة عند رؤية العذاب والخشوع ضراعة وأكثر ما يستعمل فيما يوجد فى الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد فى القلب كما روى اذا ضرع القلب خشعت الجوارح وخص الابصار بالخشوع لانه فيها أظهر منه فى سائر الجوارح وكذلك سائر ما فى نفس الانسان من حياء أو خوف ونحوه انما يظهر فى البصر (كأنهم جراد) أى يشبهون الجراد وهو بالفارسية ملخ سمى بذلك لجرده الارض من النبات يقال أرض مجرودة أى أكل ما عليها حتى تجردت كما فى المفردات (منتشر) فى الكثرة والتموج والتفرق فى الاقطار ومثله قوله كالفراش المبثوث (مهطعين الى الداع) حال أيضا أى مسرعين الى جهة الداعى مادى أعناقهم اليه أو ناظرين اليه لا يقلعون بأبصارهم يقال هطع الرجل اذا أقبل ببصره على الشئ لا يقلع عنه وأهطع اذا مد عنقه وصوب رأسه وأهطع فى عدوه اذا أسرع كما فى الجوهرى

وفيه اشارة الى ذلة أبصار النفوس وعلتها فانها رمدت من حب الدنيا وانطفاء أبصار القلوب عن شواهد الحق وانطماس أبصار الارواح عن شهود الحق والى أن هذه النفوس الردية تخرج من قبور صفاتها الرذيلة كالجراد الحريص على أكل زروع مزارع القلب من الاخلاق الروحانية منتشرين فى مزارع الروح ومغارس القلب بالفساد والافساد وترى هذه النفوس الخبيثة مسرعة الى اجابة داعى الشهوات النفسانية واللذات الجسمانية راغبة الى دعوته مقبلة على طلبه (يقول الكافرون) استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال وأهله بسوء الحال كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون (هذا يوم عسر) أى صعب شديد علينا فيمكثون بعد الخروج من القبور واقفين أربعين سنة يقولون أرحنا من هذا ولو الى النار ثم يؤمرون بالحساب وفى أسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بأن المؤمنين ليسوا فى تلك المرتبة من الشدة بل ذلك اليوم يوم يسير لهم ببركة ايمانهم وأعمالهم بل المطهرون المحفوظون الذين ماتدنست بواطنهم بالشبه المضلة ولا ظواهرهم أيضا بالمخالفات الشرعية آمنون يغبطهم النبيون فى الذى هم عليه من الامن لما هم والنبيون عليه من الخوف على أممهم يعنى أن الانبياء والرسل عليهم السلام يخافون على أممهم للشفقة التى جبلهم الله عليها للخلق فيقولون فى ذلك اليوم سلم سلم وان كان لايحزنهم الفزع الاكبر لانهم آمنون من خوف العاقبة * وفيه اشارة الى كفار النفوس اللئيمة يقولون بلسان الحال ولا ينفعهم المقال يوم قيامة اضطرابهم لما رأوا الفضيحة والقطيعة هذا يوم عسر صعب خلاصنا ومناصنا منه لانجاة لنا ولا منجاة الا الاستمساك بعروة وثقى الروح والقلب ومايقدرون على مايقولون لافساد استعدادهم بيد الامانى الكاذبة واختيار تلك الامانى الفاسدة الدنيوية على المطالب الصالحة الاخروية فعلى العاقل أن يختار الباقى على الفانى ولا يغتر بالامانى بل يجتهد قبل الموت بأسباب الخلاص والنجاة لكى يحصل له فى الآخرة النعيم والدرجات والا فاذا خرج الوقت من اليد وبقيت اليد صفرا فى الغد فلا ينفع الاسف والويل نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الذين أجابوا داعى الله ورسوله وتشرفوا بالعمل بالقرآن وقبوله وييسر لنا الفناء المعنوى قبل الفناء الصورى ويهيء لنا من أمرنا رشدا فانا آمنا به ولم نشرك بربنا أحدا وهو المعين فى الآخرة والاولى وبيده الامور ردا وقبولا (كذبت قبلهم قوم نوح) أى فعل التكذيب قبل قومك يا محمد قوم نوح أو كذبوا نوحا فالمفعول محذوف وهو شروع فى تعداد بعض الانباء الموجبة للازدجار وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فكذبوا عبدنا) نوحا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ فالمكذب فى المقامين واحد والفاء تفسيرية تفصيلية تعقيبية فى الذكر فان التفصيل يعقب الاجمال وفى ذكره بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه فان تكذيب عبد السلطان أشنع من تكذيب عبد غيره وفيه اشارة الى أنه لاشئ أشرف من العبودية فان الذلة الحقيقية التى يقابلها مقام الربوبية مختصة بالله تعالى فكذا العبودية مختصة بالعبد وهى المرادة بالتواضع وهى غير التملق فان التملق لاعبرة به وفى الحديث أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى ليس الفخر لى بالرسالة وانما الفخر لى بالعبودية وخصوصا بالفقر الذى هو الخروج عن الوجود المجازى بالكلية (وقالوا) فى حقه

هو أو قالوا له انك (مجنون) أى لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون واختلال العقل وهو مبالغة فى التكذيب لان من الكاذبين من يخبر بما يوافق العقل ويقبله والمجنون لا يقول الا ما لا يقبله العقل و يأباه (وازدجر) عطف على قالوا فهو من كلام الله أى وزجر عن التبليغ بأنواع الاذية مثل الشتم والضرب والخنق والوعيد بالرجم قال الراغب وازدجر أى طرد واستعمال الزجر فيه لصياحهم بالمطرود نحو أن يقال اعزب عنى وتنح ووراءك وقيل هو من جملة ما قالوه أى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته أى أفسدته وتصرفت فيه وذهبت بلبه وطارت بقلبه وفيه اشارة الى أن كل داع حق لا بد وأن يكذب لكثرة أهل البطلان وغلبة أهل البدع والاهواء والطغيان وذلك فى كل عصر وزمان وأيضا قوم نوح الروح وهم النفس الامارة وصفاتها لا يقبلون دعوته الى الله لانهما كهم فى الشهوات واللذات وصعوبة الفطام عن المألوفات والله المعين فى جميع الحالات والمقامات * اين جهان شهوتى بتخانه ايست * انبيا و كافران را لانه ايست * ليك شهوت بندهٔ پاكان بود * زر نسوزد زانكه نقد كان بود * ذلة الارواح من أشباحها * عزة الاشباح من أرواحها * كم نشين بر اسب توسن بى لكام * عقل ودين را پيشوا كن والسلام (فدعا ربه) أى لما زجروا نوحا عن الدعوة و بلغ مدة التبليغ تسعمائة وخمسين سنة دعا ربه (أنى) أى بأنى (مغلوب) من جهة قومى مالى قدرة على الانتقام منهم (فانتصر) أى فانتقم لى منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتى فقد روى أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا فيفيق و يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون فلما أذن الله له فى الدعاء للاهلاك دعا فأجيب كما قال فى الصافات ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون (ففتحنا أبواب السماء) أى طرقها و بالفارسية پس بكشاديم براى عذاب ايشان درهاى آسمانرا از طرف مجره كما قال على رضى الله عنه (بماء منهمر) الهمر صب الدمع والماء يقال همره يهمره و يهمره صبه فهمر هو وانهمر أى انسكب وسال والمعنى بماء كثير منصب انصبابا شديدا كما ينصب من أفواه القرب لم ينقطع أربعين يوما وكان مثل الثلج بياضا و بردا وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها سواء جعل الباء فى قوله بماء للاستعانة أو جعل الماء كالآلة لفتح أبواب السماء وهو ظاهر أو للملابسة (وفجرنا الارض عيونا) أى جعلنا الارض كلها كأنها عيون منفجرة أى جارية وكان ماء الارض مثل الحميم حرارة وأصله وفجرنا عيون الارض فغير عن المفعولية الى التمييز قضاء لحق المقام من المبالغة لان قولنا فجرنا عيون الارض يكفى فى صحة تفجر ما فيها من العيون ولا مبالغة فيه بخلاف فجرنا الارض عيونا فان معناه فجرنا أجزاء الارض كلها بجعلها عيون الماء ولا شك فى أنه أبلغ (فالتقى الماء) أى ماء السماء وماء الارض وارتفع على أعلى جبل فى الارض ثمانين ذراعا والافراد حيث لم يقل الماآن لتحقيق أن التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد (على أمر قد قدر) أى كائنا على حال قد قدرها الله من غير تفاوت أو على حالة قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل من السماء على قدر ما أخرج من الارض أو على أمر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان فكلمة على على هذا للتعليل يقول الفقير انما وقع العذاب بالطوفان العام لان الماء اشارة الى العلم فلما لم ينتفعوا بعلم نوح عليه السلام فى المدة الطويلة لم تغرق أرواحهم فيه أخذوا بالماء حتى غرقت

أجسادهم وتأثير الطوفان يظهر فى كل ثلاثين سنة مرة واحدة لكن على الخفة فيقع مطر كثير ويغرق بعض القرى والبيوت من السيل (وحملناه) أى نوحا ومن آمن معه (على ذات ألواح) أى سفينة صاحبة أخشاب عريضة فان الالواح جمع لوح وهو كل صحيفة عريضة خشبا أو عظما وكانت سفينة نوح من ساج وهو شجر عظيم ينبت فى أرض الهند أو من خشب شمشاد ويقال من الجوز (ودسر) ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد بقهر يقال دسره بالرمح (وروى) أنه ليس فى العنبر زكاة انما هو شئ دسره البحر سمى به المسمار لانه يدسر به منفذه أى يدفع قال فى عين المعانى دسرت بها السفينة أى شدت أو لانها تدسر أى تدفع بالدق فقوله ذات ألواح ودسر صفة للسفينة أقيمت مقامها بأن كنى بها عنها كما يكنى عن الانسان بقولهم هو مستوى القامة عريض الاظفار (تجرى بأعيننا) أى تجرى السفينة وتسير بمرأى منا أى محفوظة بحفظنا ومنه قولهم للمودع عين الله عليك وقيل بأوليائنا يقال مات عين من عيون الله أى ولى من أوليائه (جزاء لمن كان كفر) مفعول له لما ذكر من فتح أبواب السماء وما بعده وكفر من كفران النعمة أى فعلنا ذلك المذكور أجرا وثوابا لنوح لانه كان نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله على أمته ورحمة أى نعمة ورحمة فكان نوح نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما حكى أن رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام فقال أنت نعمة حمدت الله عليها (ولقد تركناها) أى السفينة (آية) يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة أبقاها الله بقردى من بلاد الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الامة وكم من سفينة كانت بعد قد صارت رمادا وفى تفسير أبى الليث قال بعضهم يعنى أن تلك السفينة كانت باقية على الجبل قريبا من خروج النبى عليه السلام وقيل بقيت خشبة من سفينة نوح هى فى الكعبة الآن وهى ساجة غرست حتى ترعرعت أربعين سنة ثم قطعت فتركت حتى يبست أربعين سنة وقيل بقى بعض خشبها على الجودى الى هذه الاوقات * يقول الفقير لعل بقاء بعض خشبها لكونها آية وعبرة والا فهو ليس بأفضل من أخشاب منبر نبينا صلى الله عليه وسلم فى المدينة وقد احترقت أو أكلتها الارضة فاتخذت مشطا ونحوه مما يتبرك به ألا ترى أن مقام ابراهيم عليه السلام مع كونه حجرا صلدا لم يبق أثره بكثرة مسح الايدى ثم لم يبق نفسه أيضا على ما هو الاصح والمعروف بالمقام الآن هو مقام ذلك المقام فاعرف وفى عين المعانى ولقد تركناها أى الغرق العام وهو اضمار الآية قبل الذكر كقوله انها تذكرة وقال بعضهم يعنى جنس السفينة صارت عبرة لان الناس لم يعرفوا قبل ذلك سفينة واتخذوا السفن بعد ذلك فى البحر فلذلك كانت آية للناس يقول الفقير كيف يعرفونها ولم يكن فى الدنيا قبل الطوفان الا البحر المحيط وذلك أن الله تعالى أمر الارض بعد الطوفان فابتلعت ماءها وبقى ماء السماء لم تبتلعه الارض فهذه البحور على وجه الارض منها وأما البحر المحيط فغير ذلك بل هو جزر عن الارض حين خلق الله الارض من زبده واليها الاشارة بقوله وكان عرشه على الماء أى العذب والبحور سبعة منها البحر المحيط وبعضهم لم يعد المحيط منها بل هو غير السبعة وكان نوح عليه السلام نجارا فجاءه جبريل وعلمه صنعة السفينة (فهل من مدكر) أى معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار فيخاف من الله ويترك المعصية وأصله مذتكر على وزن مفتعل من الذكر فأدغمت الذال

فى التاء ثم قلبت دالا مشددة (فكيف كان عذابى ونذر) استفهام تعظيم وتعجيب أى كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار وأصله نذرى بالياء حذفت اكتفاء بالكسرة ووحد العذاب وجمع الانذارات اشارة الى غلبة الرحمة لان الانذار اشفاق ورحمة فقال الانذارات التى هى نعم ورحمة تواترت عليهم فلما لم تنفع وقع العذاب وقعة واحدة فكانت النعم كثيرة والنقمة واحدة (ولقد يسرنا القرآن) الخ جملة قسمية وردت فى أواخر القصص الاربع تنبيها على أن كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية فى الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة فى حيز الاعتبار أى وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم كما قال فانما يسرناه بلسانك وشحناه بأنواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد (للذكر) أى للتذكير والاتعاظ وعن الحسن عن النبى عليه السلام لولا قول الله ولقد يسرنا القرآن للذكر لما أطاقت الالسن أن تتكلم به (فهل من مدكر) انكار ونفى للمتعظ على أبلغ وجه وآكده حيث يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قرأت على النبى عليه السلام فهل من مذكر بالذال فقال عليه السلام فهل من مدكر بالدال قال فى برهان القرآن قوله فكيف كان الخ ختم به قصة نوح وعاد وثمود ولوط لما فى كل واحدة منها من التخويف والتحذير وما حل بهم فيتعظ به حافظ القرآن وتاليه ويعظ غيره * وفى الآيات اشارة الى مغلوبية نوح القلب فى يد النفس الامارة بغلبات الصفات البشرية عليه حتى دعا ربه فأجابه الله حتى غلبت صفاته الروحانية النورانية على صفاتها الحيوانية الظلمانية وأفاض من سماء الارواح العلوية مياه الرأفة والرحمة والكرامة ومن أرض البشرية عيون المعارف والحقائق فأهلك قومه المعبر عنهم بالنفس وصفاتها ونجاه على سفينة صفاته الروحانية وفيه اشارة أخرى وهى أنه اذا زاد الكشف والعيان تستشرف الارواح على الفناء فيدخلها الله فى سفن العصمة ويجريها بشمال العناية وأيضا ان الانبياء والاولياء سفن عناية تعالى يتخلص العباد بهم من الاستغراق فى بحار الضلالة وظلمات الشقاوة لانهم محفوظون بحسن عنايته وعين كلاءته ومن استن بسنتهم نجا من الطغيان والنيران ودخل فى جوار الرحمن (وفى المثنوى) ابنچنين فرمود آن شاه رسل * كه منم كشتى درين درياى كل * يا كسى كو در بصيرتهاى من * شد خليفه راستى برجاى من * كشتى نوحيم در دريا كه تا * رو نكردانى ز كشتى اى فتى * نسأل الله سبحانه أن يحفظنا فى سفينة الشريعة من الاعتماد على العقل والخيال ويعصمنا من الزيغ والضلال (كذبت عاد) أى هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب (فكيف كان عذابى ونذر) هو لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتم أو فاسمعوا كيف كان عذابى وانذاراتى لهم فالنذر جمع نذير بمعنى الانذار (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) استئناف لبيان ما أجمل أولا وصرصر من الصر وهو البرد أو من صر الباب والقلم أى صوت أى أرسلنا وسلطنا عليهم ريحا باردة أو شديدة الصوت والهبوب وهى ريح الدبور وتقدم تفصيله فى فصلت وغيرها (فى يوم نحس) النحس ضد السعد أى شؤم (مستمر) صفة

ليوم أو نحس أي مستمر شؤمه عليهم أو أبد الدهر فان الناس يتشاءمون بأربعاء آخر الشهر قال ابن الشيخ واشتهر بين بعض الناس التشاؤم بالاربعاء الذي يكون في آخر الشهر بناء على قوله تعالى في يوم نحس مستمر ومعلوم أن ليس المراد أنه نحس على المصلحين بل على المفسدين حيث لم تظهر نحوسته في حق الانبياء والمؤمنين وفي الروضة الاربعاء مشؤم عندهم والذي لا يدور وهو آخر أربعاء في الشهر أشأم وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر قال الشاعر

اقبا ولك للمبكر فأل سوء * ووجهك أربعاء لايدور

وقيل يحمد في الاربعاء الاستحمام فانه يقال يخلط في ذلك اليوم ماء من الجنة مع المياه وكذا يحمد ابتداء الامور والمعنى مستمر عليهم شؤمه ونحوسته أزمنة ممتدة الى أن أهلكهم فاليوم بمعنى الحين والا فاليوم الواحد لا يمكن أن يستمر سبع ليال وثمانية أيام والاستمرار على هذين الوجهين بحسب الزمان أو المعنى شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم فالمستمر بمعنى المطرد بالنسبة الى الاشخاص أو مشتد مرارته أي بشاعته وكان ابتداؤه يوم الاربعاء آخر الشهر يعني كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء آخر الشهر الى غروب الاربعاء الآخر (وروى) أنه كان آخر أيامهم الثمانية في العذاب يوم الاربعاء وكان سلخ صفر وهي الحسوم في سورة الحاقة (تنزع الناس) صفة لريحا أي ريحا تقلعهم روى أنهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى وقال مقاتل تنزع أرواحهم من أجسادهم وقال السهيلي دامت عليهم سبع ليال وثمانية أيام كي لا يبقى منهم أحد ممن في كهف أو سرب فأهلكت من كان ظاهرا بارزا وانتزعت من البيوت من كان في البيوت وأهدمتها عليهم وأهلكت من كان في الكهوف والاسراب بالجوع والعطش ولذلك قال فهل ترى لهم من باقية أي فهل يمكن أن يبقى بعد هذه الثمانية الايام باقية منهم (كأنهم أعجاز نخل منقعر) حال من الناس والاعجاز جمع عجز وعجز الانسان مؤخره وبه شبه مؤخر غيره ومنه العجز لانه يؤدي الى تأخر الامور والنخل من الجنس الذي يفرق بينه وبين واحده بالتاء واللفظ مفرد لكنه كثيرا ما يسمى جمعا نظرا الى المعنى الجنسي والمنقعر المنقلع عن أصله يقال قعرت النخلة قلعتها من أصلها فانقعرت أي انقلعت وفي المفردات منقعر أي ذاهب في قعر الارض وانما أراد تعالى أن هؤلاء اجتثوا كما اجتث النخل الذاهب في قعر الارض فلم يبق لهم رسم ولا أثر انتهى والمعنى منقلع عن مغارسه قيل شبهوا بأعجاز النخل وهي أصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤسهم فتبقى أجسادا وجثثا بلا رؤس وقال بعضهم كانت الريح تقلعهم وتصرعهم على رؤسهم فتدق رقابهم فيبين الرأس من الجسد وفيه اشارة الى قوتهم وثباتهم في الارض فكأنهم بحسب قوتهم وجسامتهم يجعلون أرجلهم غائرة نافذة في الارض ويقصدون به المقاومة على الريح ثم ان الريح لما صرعتهم فكأنها قلعت أعجاز نخل منقعر وقال أبو الليث صرعتهم وكبتهم على وجوههم كأنهم أصول نخل منقلعة من الارض فشبههم لطولهم بالنخل الساقطة قال مقاتل كان طول كل واحد منهم اثني عشر ذراعا وقال في رواية الكلبي كان طول كل واحد منهم سبعين ذراعا فاستهزؤا حين ذكر لهم الريح فخرجوا الى الفضاء وضربوا بأرجلهم وغيبوا في الارض الى قريب من الركبة فقالوا قل للريح حتى ترفعنا فجاءت الريح فدخلت تحت الارض وجعلت ترفع كل اثنين

وتضرب أحدهما بالآخر بعدما ترفعهما فى الهواء ثم تلقيهما فى الارض والباقون ينظرون
اليهما حتى رفعتهم كلهم ثم رمت بالرمل والتراب عليهم وكان يسمع أنينهم من تحت التراب كذا
وكذا يوما وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما أن تأنيثها فى قوله أعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى
وكذا قوله جاءتها ريح عاصف ولسليمان الريح عاصفة (فكيف كان عذابى ونذر) تهويل لهما
وتعجيب من أمرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار كما فى الارشاد وقال فى برهان القرآن
أعاد فى قصة عاد فكيف كان عذابى ونذر مرتين لان الاول فى الدنيا والثانى فى العقبى كما قال
فى هذه القصة لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وقيل الاول
لتحذيرهم قبل هلاكهم والثانى لتحذير غيرهم بعد هلاكهم اه (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مذكر) الكلام فيه كالذى مرّ فيما سبق * وفيه اشارة الى أهل النفوس الامّارة فانهم بواسطة
انهماكهم فى الشهوات الجسمانية احتجبوا عن الله وموائد كرمه فأرسل الله عليهم صرصر
ريح أهوائهم الظلمانية وبدعهم الشيطانية فى يوم نحوسة الاحتجاب وسلطها عليهم فسقطوا على
أرض الهوان والخذلان كأنهم أعجاز نخل منقلع عن تخوم الارض ساقط على وجه الارض
مثل أجساد جامدة بلا رؤس نعوذ بالله من تجليات قهره وتسلط عذابه وغضبه فى يومه وشهره
فعلى العاقل أن يتذكر بهذه الذكرى ويعتبر بهذه الآية الكبرى * چو بركشته بختى درافتد به
بند * ازو نيكبختان بكيرند پند * تو پيش ازعقوبت در عفو كوب * كه سودى ندارد فغان
زير چوب * فلو آمن ايمان بأس او تاب توبة يأس لم يقبل * فرا شو چو بينى در صلح باز
* كه نا كه در توبه كردد فراز * مرو زير بار كناه أى پسر * كه حمال عاجز بود در سفر * كما ورد
خفف الحمل فان العقبة كؤود * پى نيك مردان ببايد شتافت * كه هر كين سعادت
طلب كرد يافت * وليكن تو دنبال ديو خسى * ندانم كه در صالحان كى رسى * ثم ان
سبب هلاك عاد بالريح اعتمادهم على قوتهم والريح أشد الاشياء قوة فاستأصلهم الله بها حتى
يحصل الاعتبار لمن بعدهم من القرون فلا يعتمدوا على قواهم وفيه اشارة الى أن الريح هو
الهواء المتحرك فالخلاص من ذلك الهواء انما هو بترك الهوى ومتابعة الهدى نسأل الله من
فضله ذلك (كذبت ثمود بالنذر) أى الانذارات والمواعظ التى سمعوها من صالح عليه السلام
أو بالرسل فان تكذيب أحدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على الشرائع (فقالوا أبشرا منا) أى
كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره مابعده فأداة الاستفهام داخلة على الفعل وان كان
تقديرا كما هو الاصل (واحدا) أى منفردا لاتبع له أو واحدا من آحادهم لامن أشرافهم وتأخير
هذه الصفة عن منا للتنبيه على أن كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدمت عليه
لفاتت هذه النكتة (نتبعه) فى أمره (انا اذا) أى على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن
أمة جمة وأيضا ليس بملك لما كان فى اعتقاد الكفرة من التنافى بين الرسالة والبشرية (لفى ضلال)
عن الصواب (وسعر) أى جنون فان ذلك بمعزل عن مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم
ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر أى نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم
فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول (أألقى الذكر) أى الكتاب والوحى (عليه من بيننا)
وفينا من هو أحق بذلك والاستفهام للانكار ومن بيننا حال من ضمير عليه أى أخص بالرسالة

منفردا من بين آل ثمود والحال أن فيهم من هو أكثر مالا وأحسن حالا (بل هو كذاب أشر) أى ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادّعاه وأشر اسم فاعل مثل فرح بمعنى خود بسند وايشرنده ويكسارو بابه علم والاشر التجبر والنشاط يقال فرس أشر اذا كان مرحا نشيطا (سيعلمون غدا من) كيست فهو استفهام (الكذاب الاشر) حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعداله ووعيد القومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والغد اليوم الذى يلى يومك الذى أنت فيه والمراد به وقت نزول العذاب فى الزمان المستقبل لا يوم بعينه ولا يوم القيامة لان قوله انا مرسلوا الناقة استئناف لبيان مبادى الموعود حتما والمعنى سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذى حمله أشره وبطره على الترفع والتجبر أصالح أم من كذبه وفيه تشريف لصالح حيث ان الله تعالى سلب عنه بنفسه الوصف الذى أسندوه اليه من الكذب والاشر فان معناه لست أنت بكذاب أشر بل هم (انا مرسلوا الناقة) مخرجوها من الهضبة التى سألوا والهضبة الجبل المنبسط على الارض أو جبل خلق من صخرة واحدة أو الجبل الطويل الممتنع المنفرد ولا يكون الا فى حمر الجبال كما فى القاموس (روى) أنهم سألوه متعنتين أن يخرج من صخرة منفردة فى ناحية الجبل يقال لها الكاثبة ناقة حمراء جوفاء وبراء عشراء وهى التى أتت عليها عشرة أشهر من يوم أرسل عليها الفحل فأوحى الله اليه انا مخرجوا الناقة على ما وصفوا (فتنة لهم) أى امتحانا فان المعجزة محنة واختبار اذ بها يتميز المثاب من المعذب (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ما يصنعون (واصطبر) على أذيتهم صبرا بليغا (ونبئهم) أخبرهم (ان الماء قسمة بينهم) مقسوم لها يوم ولهم يوم فالماء قسمة من قبيل تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وبينهم لتغليب العقلاء (كل شرب) أى كل نصيب من الماء ونوبة الانتفاع منه (محتضر) يحضره صاحبه فى نوبته فليس معنى كون الماء مقسوما بين القوم والناقة أنه جعل قسمين قسم لها وقسم لهم بل معناه جعل الشرب بينهم على طريق المناوبة يحضره القوم يوما وتحضره الناقة يوما وقسمة الماء اما لان الناقة عظيمة الخلق ينفر منها حيواناتهم أو لقلة الماء (فنادوا) پس بخواندند قوم ثمود (صاحبهم) هو قدار بن سالف بضم القاف والدال المهملة وهو مشؤم آل ثمود ولذا كانت العرب تسمى الجزار قدارا تشبيها له بقدار ابن سالف لانه كان عاقر الناقة كما سيجىء وكان قصيرا اشريرا أزرق أشقر أحمر وكان يلقب بأحيمر ثمود تصغيرا أحمر تحقيرا وفى كشف الاسرار يقال له أحمر ثمود وقيل أشأم عاد يعنى عادا الآخرة وهى ارم تشاءم به العرب الى يوم القيامة ومن هذا يظهر الجواب عما قال السجاوندى فى عين المعانى وقد ذكره زهير فى شعره

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم * كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

قيل هو غلط وهو أحمر ثمود انتهى (فتعاطى فعقر) التعاطى مجاز عن الاجتراء لان التعاطى هو تناول الشئ بتكلف وما يتكلف فيه لا بدّ أن يكون أمرا هائلا لا يباشره أحد الا بالجراءة عليه وبهذا المجاز يظهر وجه التعقيب بالفاء فى فعقر والا فالعقر لا يتفرع على نفس مباشرة القتل والخوض فيه والعقر بالفارسية پى كردن يقال عقر البعير والفرس بالسيف فانعقر أى ضرب به قوائمه وبابه ضرب والمعنى فاجترأ صاحبهم قدار على تعاطى الامر العظيم غير مكترث له

فأحدث العقر بالناقة (قال الكاشفى) محرك عقر ناقه دو زن بودند عنيزة أم غنم وصدوف بنت المختار وفى التفاسير صدقة بدل صدوق وذلك لما كانت الناقة قد أضرت بمواشيها پس صدوق ابن عم خود مصدع بن دهر را بوصال خود وعده داد وعنيزة يكى از دختران خود را نامزد قدار كرده وهر دو براه گذر ناقه كمين كردند چون ناقه از آب باز گشت اول مصدع رسيده او تيرى بيفكند كه پايهاى ناقه بهم دوخت قدار نيز از كمين گاه بيرون آمده بشمشير ناقه را پى كرد يعنى فنادوا صاحبهم فنبهوه على مجيئها وقربها من مكمنه أو أنه لما هم بها هابها فناداه أصحابه فشجعوه أو نادى مصدع بعد ما رماها بسهم دون الناقة فأمر بها فضربها وچون از پاى در آمد او را قطعه قطعه كردند وميان قوم منقسم ساختند وبچه او حنو بر آمد سه بانك كرد واز آنجا باسمان رفت وگفته اند او نيز كشته شد وبعد از سه روز عذاب ثمود نازل شد (فكيف كان عذابى ونذر) الكلام فيه كالذى مر فى صدر قصة عاد (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) هى صيحة جبريل عليه السلام وذلك لانها هى الجزاء الوفاق لفعلهم فانهم صاروا بالصيحة الولد بقتل أمه وفى الحديث (لا توله والدة بولدها) أى لا تجعل والهة وذلك فى السبايا بأن يفرق بينها وبين ولدها وفى الحديث من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة كما فى المقاصد الحسنة للسخاوى (فكانوا) أى فصاروا لاجل تلك الصيحة بعد أن كانوا فى نضارة وطيب وعيش (كهشيم المحتظر) الهشم كسر الشئ الرخو كالنبات والهشيم بمعنى المهشوم أى المكسور وهو اليابس المتكسر من الشجر وغيره والحظر جمع الشئ فى حظيرة والمحظور الممنوع والمحتظر بكسر الظاء الذى يعمل الحظيرة ويتخذها قال الجوهرى الحظيرة التى تعمل للابل من الشجر لتقيها البرد والريح والمعنى كالشجر اليابس الذى يتخذه من يعمل الحظيرة أو كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وفى الآيات اشارة الى ثمود النفس الامارة بالسوء ومعاملتها مع نذير القلب فانه يدعوها الى الانسلاخ عن الصفات البشرية والتلبس بالصفات الروحانية وهى تدعى المجانسة معه اذ النفس والقلب والروح بل النفس أخت القلب من جانب أيسر البطن وكذا تدعى تقدم رتبتها على القلب وتصرفها فى القالب وما يحتوى عليه من القوى البشرية والطبيعية وتأخر رتبة القلب لانه حصل بعد ازدواج الروح مع النفس فبسبب تقدم رتبة النفس على القلب استنكفت النفس عن اتباعه والامتثال لاوامره وما عرفت أن تقدم الشرف والحسب أعلى وأفضل من تقدم الشرف والنسب ولذا قالت الحكماء توانكرى بهنرست نه بمال وبزركى بعقلست نه بسال وقال بعضهم

وما ينفع الاصل من هاشم * اذا كانت النفس من باهله

وهى قبيلة عرفت بالدناءة والخساسة جدا فخطأت النفس نذير القلب مع أن الخاطئة نفسها وامتحنته باخراج الناقة وذلك أن حقيقة النفس واحدة غير متعددة لكن بحسب توارد الصفات المختلفة عليها تسمى بالاسماء المختلفة فاذا توجهت الى الحق توجها كليا تسمى بالمطمئنة واذا توجهت الى الطبيعة البشرية توجها كليا تسمى بالامارة واذا توجهت الى الحق تارة والى الطبيعة أخرى تسمى اللوامة فثمود النفس الامارة طلبت على جهة المكر والاستكبار من صالح

رسول القلب المرسل من حضرة الروح أن يظهر ناقة النفس المطمئنة من شاهق جبل النفس الامارة بأن يبدل صفتها من الامارية الى الاطمئنان فسأل صالح رسول القلب من حضرة الروح مسؤلها فأجابه اظهارا للقدرة والحكمة حتى غلبت أنوار الروح وانطمست ظلمة النفس كما ينطمس عند طلوع الشمس ظلام الليل وكان للنفس المطمئنة شرب خاص من المعارف والحقائق كما كان للنفس الامارة شرب خاص من المشارب الجسمانية فنادى الهوى وأعوانه بعضهم بعضا باستخلاص النفس الامارة من استيلاء نور الروح عليها مخافة أن ينغمس الهوى أيضا تحت هذا النور فتعاطى بعض أصحاب الهوى ذلك وكانت النفس الامارة ماتمكنت فى مقام الاطمئنان تمكنا مستحكما بحيث لا تتأثر بل كان لها بقية تلوين فقتلوها بابطال طمأنينتها فرجعت القهقرى فانقهرت النفس والهوى تحت صيحة القهر وصارت متلاشية فى حضرة القهر والخذلان محترقة بنار القطيعة والهجران كما قال فكيف كان عذابى ونذر فمن كان من أهل الذكر والقرآن أى الشهود الجمعى يعتبر بهذا الفراق ويجتهد الى أن يصل الى نهاية الاطمئنان على الاطلاق فان النفس وان تبدلت صفتها الامارية الى المطمئنة لايؤمن مكرها وتبدلها من المطمئنة الى الامارية ولو وكلت الى نفسها طرفة عين لعادت المشؤمة الى طبعها وجبلتها كما كان حال بلعام وبرصيصا ولذا قال عليه السلام لا تكلنى الى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك وقال الجنيد قدس سره لا تألف النفس الحق أبدا ألا ترى أن الذمى وان قبل الخراج فانه لا يألف المسلم ألفة مسلم وفرخ الغراب وان ربى من الصغر وعلم فانه لا يخلو من التوحش فالنفس ليست بأهل الاصطناع والمعروف والملاطفة أبدا وانما شأنها تضييقها ومجاهدتها ورياضتها الى مفارقة الروح من الجسد (ولذا قال فى المثنوى) اندرين ره مى تراش ومى خراش * تادم آخر دمى فارغ مباش * ومنه يعلم سر قولهم ان ورد الاستغفار لا يسقط بحال ولذا قال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره مع ظهور الفتح المطلق نسأل الله تعالى أن يجعلنا من العلماء العاملين والادباء الكاملين بسر النبى الامين (كذبت قوم لوط بالنذر) أى بالانذارات أو بالمنذرين كما سبق (انا أرسلنا عليهم حاصبا) أى ريحا تحصبهم أى ترميهم بالحصباء وهى حجارة دون ملء الكف فالحصب الرمى بالحصى الصغار ومنه المحصب موضع الجمار وقول عمر رضى الله عنه حصبوا المسجد والحاصب اسم فاعل بمعنى رامى الحصباء وتذكيره مع اسناده الى ضمير الريح وهى مؤنث سماعى لتأويلها بالعذاب يقول الفقير لعل سر تعذيبهم بالحجارة لانهم حجروا ومنعوا من اللواطة فلم يمتنعوا بل رموا نطفهم الى غير محل الحرث فرماهم الله بالحجر ومن ثمة ذهب أحمد بن حنبل رحمه الله الى أن حكم اللوطى أن يرجم وان كان غير محصن وأيضا انهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان أولى به واما الريح فلانهم كانوا يضرطون فى مجالسهم علانية ولا يتحاشون واما انقلاب قراهم فلانهم كانوا يقلبون المرد عند اللواطة فجازاهم الله بحسب أعمالهم وأيضا قلبوا الحقيقة وعكسوها بأن تركوا محل الحرث وأتوا الادبار (الا آل لوط) وهم أهل بيته الذين نجوا من العذاب وكانوا ثلاثة عشر وقيل يعنى لوطا وابنتيه وفى كشف الاسرار يعنى بناته ومن آمن به من أزواجهن (نجيناهم بسحر) أى فى سحر من الاسحار وهو آخر الليل أو السدس

الاخير منه وفى المفردات السحر اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار وجعل اسما لذلك الوقت ويجوز أن يكون حالا أى ملتبسين بسحر (روى) أن الله أمره حتى خرج بهم بقطع من الليل فجاء العذاب قومه وقت السحر والاستثناء منقطع لانه مستثنى من الضمير فى عليهم وهو للمكذبين من قوم لوط ولا يدخل فيهم آل لوط لان المراد به من تبعه على دينه (نعمة من عندنا) أى انعاما كائنا منا وهو علة لنجيناهم ويجوز أن يكون مصدرا من فعله أو من معنى نجيناهم لان تنجيتهم انعام (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء العجيب (نجزى من شكر) نعمتنا بالايمان والطاعة يعنى كذلك ننجى المؤمنين (ولقد أنذرهم) لوط (بطشتنا) أى أخذتنا الشديدة بالعذاب (فتماروا) فكذبوا (بالنذر) متشاكين فتماروا ضمن معنى التكذيب فعدى تعديته من المرية وأصله تماريوا على وزن تفاعلوا (ولقد راودوه عن ضيفه) المراودة أن تنازع غيرك فى الارادة فترود غير ما يروده وسبق تحقيقها فى سورة يوسف والضيف بالفارسية مهمان والمعنى ولقد أرادوا من لوط تمكينهم ممن أتاه من أضيافه وهم الملائكة فى صورة الشبان ومعهم جبريل وقصدوا الفجور بهم ظنا منهم أنهم بشر (فطمسنا أعينهم) الطمس المحو واستئصال أثر الشئ أى مسخناها وسويناها كسائر الوجه بحيث لم ير لها شق (روى) أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركتهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط والصفق الضرب الذى له صوت (فذوقوا) أى فقلنا لهم على ألسنة الملائكة ذوقوا (عذابى ونذر) والمراد به الطمس فانه من جملة ما أنذروه من العذاب وفيه اشارة الى أن طمس الابصار كان من نتائج مسخ الابصار ولذا ورد فى القرآن ونحشره يوم القيامة أعمى لانه أعرض عن ذكر الله ولم يلتفت اليه أصلا (ولقد صبحهم بكرة) التصبيح بامداد بنزديك كسى آمدن أى جاءهم وقت الصبح (عذاب) أى الخسف والحجارة (مستقر) يستقر بهم ويثبت لا يفارقهم حتى يفضى بهم الى النار يعنى عذاب دائم متصل بعذاب الآخرة وفى وصفه بالاستقرار ايماء الى أن ما قبله من العذاب الطمس ينتهى به والحاصل أن العذاب الذى هو قلب قريتهم عليهم وجعل أعلاها أسفلها ورميهم بالحجارة غير العذاب الذى نزل بهم من طمس الاعين فانه عذاب دنيوى غير موصول بعذاب الآخرة وأما عذاب الخسف والحجارة فموصول به لانهم بهذا العذاب ينتقلون الى البرزخ الموصول بالآخرة كما أشار اليه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته أى من حيث اتصال زمان الموت بزمان القيامة كما أن أزمنة الدنيا يتصل بعضها ببعض (فذوقوا عذابى ونذر) حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) مر ما فيه من الكلام وفيه استئناف للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وكذا تكرير قوله تعالى فبأى آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما من الانباء والقصص والمواعيد والزواجر والقواطع فان فى التكرير تقريرا للمعانى فى الاسماع والقلوب وتثبيتا لها فى الصدور وكلما زاد تكرير الشئ وترديده كان أقرّ له فى القلب وأمكن فى الصدر وأرسخ فى الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان وفى القصة اشارة الى معاملة لوط الروح مع قوم النفس الامارة ومعاملة الله بهم من انجاء لوط الروح بسبب صفاته الروحانية واهلاك قومه بسبب صفاتهم البشرية الطبيعية وكل من غلب عليه الشهوة البهيمية التى هى

شهوة الجماع يجب عليه أن يقهر تلك الصفة ويكسرها باجبار ذكر لا اله الا الله ويعالج تلك الصفة بضدها وهو العفة التى هى هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذى هو افراط هذه القوة والخمود الذى هو تفريطها فالعفيف من يباشر الامور على وفق الشرع والمروءة بخلاف أهل الشهوة فان الشهوة حركة للنفس طلبا للملائم وسائل النفس اما افراط أو تفريط فلا بد من اصلاحهما من جميع القوى والصفات فانها هى التى حملت الناس على الفجور وايقاع الفتنة بينهم وتحريك الشرور * نى تازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرفتن عنان * نسأل الله العون والتوفيق والثبات فى طريق التحقيق (ولقد جاء آل فرعون النذر) اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بالنذر أى وبالله لقد جاءهم الانذارات من جهة موسى وهرون عليهما السلام كأنه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل (كذبوا بآياتنا كلها) يعنى الآيات التسع وهى اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وحل عقدة من لسانه وانفلاق البحر (فأخذناهم) بالعذاب عند التكذيب (أخذ عزيز) لا يغالب يعنى كرفتن غالبى كه مغلوب نكردد دركرفتن (مقتدر) لا يعجزه شئ والمقصود أن الله تعالى هو العزيز المقتدر ولذا أخذهم بتكذيبهم ولم يمنعه من ذلك مانع والمراد بالعذاب هو الاغراق فى بحر القلزم أو النيل يقول الفقير اعلم سر الغرق أن فرعون وصل الى موسى بسبب الماء الذى ساقه اليه فى تابوته فلم يشكر لا نعمة الماء ولا نعمة موسى فانقلب الحال عليه بضد ذلك حيث أهلكه الله وقومه بالماء الذى هو سبب الحياة لغيرهم ووجه ادخال الطمس فى العذاب بالنسبة الى قوم لوط ودرج الطوفان ونحوه فى الآيات بالاضافة الى آل لوط ظاهر لان المقصود هو العذاب المتعلق بالوجود والطمس كذلك دون بعض آيات فرعون (أكفاركم) يا معشر العرب (خير) عند الله قوة وشدة وعدة وعدة (من أولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون والمعنى أنه أصابهم ما أصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون أن لا يصيبكم مثل ذلك وأنتم شر منهم مكانا وأسوأ حالا (أم لكم براءة فى الزبر) اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر أى بل ألكم براءة وأمن من عذاب الله بمقابلة كفركم ومعاصيكم نازلة فى الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما أنتم عليه وتأمنون بتلك البراءة والمعنى به الانكار يعنى لم ينزل لكم فى الكتب السماوية أن من كفر منكم فهو فى امن من عذاب الله (أم يقولون) جهلا منهم (نحن جميع منتصر) تبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم يقال نصره من عدوه فانتصر أى منعه فامتنع أى بل أيقولون واثقين بشوكتهم نحن أولو حزم ورأى أمرنا مجتمع لا نرام ولا نضام أو منتصر من الاعداء منتقم لا نغلب أو متناصر ينصر بعضنا بعضا على أن يكون افتعل بمعنى تفعل كاختصم والافراد فى منتصر باعتبار لفظ الجميع قال أبو جهل وقد ركب يوم بدر فرسا كميتا كان يعلفه كل يوم فرقا من ذرة وقد حلف أنه يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فقتلوه يومئذ وجز رأسه الى رسول الله ابن مسعود رضى الله عنه * وفيه اشارة الى كفار صفات النفس واختلاف أنواعها مثل البهيمية والسبعية والشيطانية والهوائية والحيوانية وتناصر بعضها بنصر بعض وتعاون بعض بمعاونة بعض

(سيهزم الجمع) رد وابطال لذلك والسين للتأكيد أى سيهزم جمع قريش البتة (ويولون الدبر) أى
الادبار والتوحيد لارادة الجنس يعنى ينصرفون عن الحرب منهزمين وينصر الله رسوله
والمؤمنين وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه
يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدرى أى جمع فلما كان يوم بدر رأيت رسول
الله عليه السلام يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وهذا من
معجزات رسول الله عليه السلام لانه أخبر عن غيب فكان كما أخبر قال ابن عباس رضى
الله عنهما كان بين نزول هذه الآية وبين يوم بدر سبع سنين فالآية على هذا مكية (بل الساعة
موعدهم) أى ليس هذا تمام عقوبتهم بل القيامة موعد أصل عذابهم وهذا من طلائعه
(والساعة) اظهارها فى موقع اضمارها للتربية تهويلها (أدهى) أعظم داهية وفى أقصى غاية
من الفظاعة والداهية الامر الفظيع لا يهتدى الى الخلاص منه (وأمر) أشد مرارة وفى
أقصى نهاية من المرارة وحاصله أن موقف القيامة أهول من موقف بدر وعذابها أشد وأعظم
من عذابه لان عذاب الدنيا مثل الاسر والقتل والهزيمة ونحوها انموذج من عذاب الآخرة كما
ان نارها جزء من سبعين جزأ من نارها (ان المجرمين) أى المشركين من الاولين والآخرين
(فى ضلال وسعر) أى فى هلاك ونيران مسعرة والتسعير آتش نيك آفروختن وقيل فى ضلال عن
الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة (يوم يسحبون) منصوب اما بما يفهم من قوله فى ضلال أى
كائنون فى ضلال وسعر يوم يجرون (فى النار على وجوههم) واما بقول مقدر بعده أى يوم
يسحبون يقال لهم (ذوقوا مس سقر) سقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف وقيل اسم لطبقتها الخامسة
من سقرته النار اذا لوحته أى غيرته والمس كاللمس وهو ادراك بظاهر البشرة والمعنى قاسوا
حرها وألمها فان مسها سبب للتألم بها فمس سقر مجاز عن ألمها بعلاقة السببية وفى القاموس
ذوقوا مس سقر أى أول ما ينالكم منها كقولك وجد مس الحمى انتهى وعن النبى صلى الله عليه
وسلم أول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت
فيها قال قاتلت فى سبيلك حتى استشهدت قال كذبت انما أردت أن يقال فلان جرىء فقد قيل
فأمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل تعلم العلم وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه
فعرفها فقال ما عملت فيها فقال تعلمت العلم وقرأت القرآن وعلمت قال كذبت انما أردت أن يقال
فلان عالم وفلان قارئ فقد قيل فأمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل آتاه الله تعالى
من أنواع المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال ما تركت من شئ يجب أن ينفق
فيه لك قال كذبت انما أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل فأمر به فسحب على وجهه حتى
ألقى فى النار وعن عطاء السلمى قال خرجت يوما مع أصحابى نستسقى فلقينى سعدون فقال يا عطاء
هل خرجتم بقلوب سماوية أو بقلوب أرضية قلت بل بقلوب سماوية فقال يا عطاء لا تتعوج فان
الناقد بصير فخجلت منه فلما دعونا ولم نمطر قلت له ادع الله حتى يسقينا فرفع رأسه الى السماء
فقال بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال بحرمة ما كان بينى وبينك البارحة أن تسقينا فلم يفرغ من
كلامه حتى مطرنا ثم بكى ورجع والكلام فى تصحيح النية وتطهير القلب عن الغير والاخلاص لله
تعالى ومن بقى فى صفات نفسه وأعرض عن الحق وأقبل على الدنيا وشهواتها فهو يجرى فى نار

جهنم البعد والطرد ويذوق حرّ نار الهجران والخذلان (انا كل شئ) من الاشياء وهو منصوب بفعل يفسره مابعده (خلقناه) حال كون ذلك الشئ ملتبسا (بقدر) متعين اقتضته الحكمة التى عليها يدور أمر التكوين فقدر بمعنى التقدير وهو تسويته صورته وشكله وصفاته الظاهرة والباطنة على مقدار مخصوص اقتضته الحكمة وترتبت عليه المنفعة المنوطة بخلقه أو خلقناه مقدرا مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه لا يغير ولا يبدل (مصراع) قضى الله أمرا وجف القلم * سر برخط لوح ازلى دار وخوش * كزهرجه قلم رفته قلم درنكشند * فالمراد بالقدر تقديره فى علمه الازلى وكتبه فى اللوح المحفوظ وهو القدر المستعمل فى جنب القضاء فالقضاء وجود جميع المخلوقات فى اللوح المحفوظ مجتمعة والقدر وجودها فى الاعيان بعد حصول شرائطها ولذا عبر بالخلق فانه انما يتعلق بالوجود الظاهرى فى الوقت المعين وفى الحديث (كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء) وعنه عليه السلام (كل شئ بقدر الله حتى العجز والكيس) وعنه عليه السلام لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره أى حلوه ومره قال فى كشف الاسرار مذهب أهل سنت آنست كه نيكى وبدى هرچند فعل بنده است وبنده بدان مثاب ومعاقبست اما بخواست الله است وبقضا وتقديرا وچنانكه رب العزة كفت (قل كل من عند الله) وقال تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر وقال عليه السلام القدر خيره وشره من الله ففى الآية ردّ على القدرية والمعتزلة والخوارج * وفى التأويلات النجمية خلقنا كل شئ أى موجود علمى وعينى فى الازل بمقدار معين مثل ما قال الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى أى كل شئ مخلوق على مقتضى استعداده الذاتى وقابليته الاصلية الازلية لا زائد فيه ولا ناقص كما قال الغزالى رحمه الله ليس فى الامكان أبدع من هذا الوجود لانه لو كان ولم يظهر لكان بخيلا وهو جواد ولو كان عاجزا وهو قادر (وما أمرنا) لشئ نريد تكوينه (الا واحدة) أى كلمة واحدة لا تثنى سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن أو الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة (كلمح بالبصر) فى اليسر والسرعة فان اللمح النظر بالعجلة فمعنى كلمح كنظر سريع قال فى القاموس لمح اليه كمنع اختلس النظر كألمح وفى المفردات اللمح لمعان البرق ورأيته لمحة برق قال ابن الشيخ لما اشتملت الآيات السابقة على وعيد كفار أهل مكة بالاهلاك عاجلا وآجلا والوعد للمؤمنين بالانتصار منهم جئ بقوله انا كل شئ خلقناه بقدر تأكيدا للوعيد والوعد يعنى أن هذا الوعيد والوعد حق وصدق والموعود مثبت فى اللوح مقدر عند الله لا يزيد ولا ينقص وذلك على الله يسير لان قضاءه فى خلقه أسرع من لمح البصر وقيل معنى الآية معنى قوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر قال بعض الكبار ليس المراد بكلمة كن حرف الكاف والنون انما المراد بها المعنى الذى به كان ظهور الاشياء فكن حجاب للمعنى لمن فهم وكل انسان له فى باطنه قوة كن وماله فى ظاهره الا المعتاد وفى الآخرة يكون حكم كن منه فى الظاهر وقد يعطى الله ذلك لبعض الرجال فى هذه الدار بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه تصرف بها فى عدة مواطن منها قوله فى غزوة تبوك كن أبا ذر فكان أبا ذر ثم لا يخفى أنه لم يعط أحد من الملائكة وغيرهم حرف كن انما هى خاصة

بالانسان لما انطوى عليه من الخلافة والنيابة * وفى التأويلات النجمية وما أمر تجلينا للاشياء كلها علويها وسفليها الا تجلى واحد أى وحدانى الوصف لا كثرة فيه لكن يتكثر بحسب المتجلى له ويظهر فيه بحسبه ظهور الصورة الواحدة فى المرائى المتكثرة يظهر فى الكبير كبيرا وفى الصغير صغيرا وفى المستطيل مستطيلا وفى المستدير مستديرا والصورة على حالتها المخلوقة عليها باقية لا تتغير ولا تتبدل بها كلمح الناظر ويرى فى اللمحة الواحدة ما يحاذى ببصره (ولقد أهلكنا أشياعكم) أى أشباهكم فى الكفر من الامم جمع شيعة وهو من يتقوى به الانسان وينتشر عنه كما فى المفردات وقال فى القاموس شيعة الرجل بالكسر اتباعه وأنصاره والفرقة على حدة ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث (فهل من مدكر) متعظ يتعظ بذلك فيخاف * وفيه اشارة الى أنا بقدرتنا الازلية وحكمتنا البالغة أهلكنا وأفنينا أشباهكم وأمثالكم يا أرباب النفوس الامارة ويا أصحاب القلوب الجوالة اما بالموت الطبيعى واما بالموت الارادى فهل من معتبر يعتبر هذا وهذا ويختار لنفسه الاليق والاحرى (وكل شئ فعلوه) من الكفر والمعاصى مكتوب على التفصيل (فى الزبر) أى فى ديوان الحفظة جمع زبور بمعنى الكتاب فهو بمعنى مزبور كالكتاب بمعنى مكتوب وقال الغزالى رحمه الله كل شئ فعله الامم فى كتب أنبيائهم المنزلة عليهم كأفعال كفار زماننا فى كتابنا (وكل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) مسطور فى اللوح المحفوظ بتفاصيله يقال استطره كتبه كما فى القاموس قال يحيى بن معاذ رحمه الله من علم أن أفعاله تعرض عليه فى مشهد الصدق وأنه مجازى عليها اجتهد فى اصلاح أفعاله واخلاص أعماله ولزم الاستغفار لما سلف من افراطه وقد روى أن النبى عليه السلام ضرب لصغائر الذنوب مثلا فقال انما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بفلاة من الارض وحضر جميع القوم فانطلق كل واحد منهم يحطب فجعل الرجل يجئ بالعود والآخر بالعود حتى جمعوا سوادا وأججوا نارا فشووا خبزهم وان الذنب الصغير يجتمع على صاحبه فيهلكه الا أن يغفر الله اتقوا محقرات الذنوب فان لها من الله طالبا ولقد أحسن من قال

خل الذنوب صغيرها * وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق أر * ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة * ان الجبال من الحصى

(ان المتقين) أى من الكفر والمعاصى (فى جنات) أى بساتين عظيمة الشان بحيث لا يوصف نعيما وما أعد فيها لاهلها (ونهر) أى أنهار كذلك يعنى أنهار الماء والخمر والعسل واللبن والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل (فى مقعد صدق) خبر بعد خبر وهو من اضافة الموصوف الى الصفة والصدق بمعنى الجودة والمعنى فى مكان مرضى ومجلس حق سالم من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل ان سلمت من ذلك (عند مليك) المراد من العندية قرب المنزلة والمكانة دون قرب المكان والمسافة والمليك أبلغ من المالك وهو بالفارسية بادشاه والتنكير للتعظيم والمعنى حال كونهم مقربين عند عزيز الملك واسعه لا يقادر قدر ملكه فلا شئ الا وهو تحت ملكوته فأى منزلة أكرم من تلك وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها (مقتدر) قادر لا يعجزه شئ عال أمره فى الاقتدار * وفى التأويلات النجمية يعنى المتقين بالله عما سواه

فى جنات الوصلة وأنهار مياه المعرفة والحكمة ينغمسون فيها ويخرجون منها درر المعارف ولآلى العوارف فى مقعد صدق هو مقام الوحدة الذاتية فى مقام العندية كما قال عليه السلام أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ودر كشف الاسرار آورده كه كلمهٔ عند رقم تقريب وتخصيص دارد يعنى أهل قرب فردا دران سرا بدان اختصاص خواهند داشت وحضرت پيغمبر عليه السلام امروز درين سرا مخصوص بآن بوده كه (أبيت عند ربى) وچون رتبهٔ كه فردا خواص بآن نازند امروز پايهٔ ادناى وى بوده پس از مرتبه اعلاى فرداى او كه نشان تواند داد * أى محرم سرلايزالى * مرآت جمال ذى الجلالى * مهمان ابيت عند ربى * صاحب دل لاينام قلبى * از قربت حضرت الهى * هست بعنايه كه خواهى * قربى كه عبارتش نسنجد * در حوصلهٔ خرد نگنجد * كم كشته بود عبارت آنجا * بلكه نرسد عبارت آنجا * وفى الآية اشارة الى أن التقوى توصل العبد الى جنات الدرجات وأنهار العلوم والمعارف الحقيقية الالهية ثم الى مقام الصديقين ثم الى مقام الوحدة الذاتية المشار اليها بالعندية قال الامام جعفر الصادق رضى الله عنه مدح الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا أهل الصدق وهو المقام الذى يصدق الله فيه وعده لاوليائه بأن يبيح لهم النظر الى وجهه الكريم قيمت وعز آن بقعه نه بمرغ زاريان وجوى روان وخيرات حسانست بلكه بديدار رحمانست كه قيمت صدف بدر شاهوار كما قيل

وما عهدى بحب تراب أرض * ولكن من يحل بها حبيب

أى خوشا عيشا كه مؤمنانراست دران مجلس انس وحظيرهٔ قدس باديه انتظار بريده بكعبه وصال رسيده خلعت رضا پوشيده شربت سرور از چشمه وفا نوشيده عيش بى عتاب ونعمت بى حساب وديدار بى حجاب يافته * روى صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة أنه قال فى هذه الآية ان أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار تعالى فيقرؤن عليه القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذى هيئ له على منابر الدر والياقوت والزمرذ والذهب والفضة بأعمالهم فلم تقر أعينهم بشئ قط كما تقر أعينهم بذلك ولم يسمعوا شيأ أعظم ولا أحسن منه ثم ينصرفون الى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم الى مثلها من الغد قال بعضهم المراد بمن فى الآية هم الذين لا تحجبهم الجنة ولا النعيم ولا شئ عنه تعالى قال البقلى يا أخى هؤلاء غرباء الله فى الدنيا والآخرة أدخلهم فى أغرب المنازل وهو مقام المجالسة معه بحيث لا يطلع عليه الا أهل الصدق فى طلبه وهم فقراء المعرفة الذين قال عليه السلام فيهم الفقراء جلساء الله سئل أبو يزيد البسطامى قدس سره عن الغريب قال الغريب من اذا طلبه الخلق فى الدنيا لم يجدوه ولو طلبه مالك فى النار لم يجده ولو طلبه رضوان فى الجنة لم يجده فقيل أين يكون يا أبا يزيد فقال ان المتقين فى جنات الخ فلا بد من الصدق وخدمة الصادقين حتى يصل الانسان الى هذا المطلب الجليل وهو على وجوه ومراتب أما الصدق فى القول فصون اللسان عن الكذب الذى هو أقبح الذنوب قال عليه السلام التجار هم الكفار فقيل أليس الله قد أحل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال عليه السلام الكذب ينقص الرزق وفى الحديث أربع من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم أنه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وأما الصدق فى الحال فصون الحال عما ينقصه مثلا اذا عزم على أمر وحال من التسليم

والتوكل وغيرهما فصدقه بالاستمرار على عزيمته والاحتراز عن النقض وأهل السلوك يهتمون في صدق الحال أشد الاهتمام روى أن واحدا منهم كان كثير الوجد والزعقات فجاء يوما وأودع خرقته عند الشيخ في الحرم الشريف وقال ان صيحتي الآن لا مرآة عشقتها وأنا لا أريد أن أكون كاذبا في حالي بأن ألبس لباس العشاق وأنا على تلك الحال ثم انه بعد أيام جاء وأخذ خرقته وقال الحمد لله الذي خلاني منها وعدت الى حالي ومن قبيل الصدق في الحال صدق المريد في ارادته فانه اذا وقع منه حركة مخالفة لارادة الشيخ فهو كاذب في ارادته فان المريد من أفنى ارادته في ارادة الشيخ ففي أي مرتبة من القال والحال وجد الصدق كان سبب النجاة وباعثا لرفع الدرجات قال الشاعر

سيعطى الصادقين بفضل صدق * نجاة في الحياة وفي الممات

وسبب هذا الشعر أن ثلاثة اخوة من الشام كانوا يغزون فأسرهم الروم مرة فقال لهم الملك اني أجعلكم ملوكا وأزوجكم بناتي ان قبلتم النصرانية فأبوا وقالوا يا محمداه فأدخل اثنين في الزيت المغلي وأخذ الثالث علج وسلط عليه ابنته وكانت من أجمل النساء فأخذ الشاب في صيام النهار وقيام الليل فأسلمت البنت وخرجا الى الشام فجاء أخواه الشهيدان مع الملائكة ليلة وزوجاه المرأة وسألهما أخوهما عن حالهما فقالا ما كانت الا التي رأيت حتى دخلنا في الفردوس وان الله تعالى أرسلنا اليك لنشهد تزويجك بهذه الفتاة وكانا مشهورين بالشام حتى قال الشعراء فيهما أبياتا منها ما ذكرناه وروى جنيد البغدادي قدس سره عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال الصوف ثلاثة أحرف فالصاد صدق وصبر وصفاء والواو ود وورد ووفاء والفاء فقر وفرد وفناء فاذا لم توجد هذه الصفات في الصوفي لا يكون صوفيا قال سهل رحمه الله أول خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم وسئل فتح الموصلي رحمه الله عن الصدق فأدخل يده في كير الحديد وأخرج حديدة محماة ووضعها على كفه وقال هذا هو الصدق قال جنيد البغدادي رحمه الله الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة والمرائي يثبت على حاله واحدة أربعين سنة وذلك لان مطلب العارفين من الله الصدق والعبودية والقيام بحق الربوبية من غير مراعاة حظ النفس وكل من عداهم من العابد والزاهد والعالم لا يفارقون الحظوظ والاغراض نسأل الله العافية

تمت سورة القمر بعون خالق القوى والقدر في العشر الثالث من العشر الثالث من شوال المنتظم في سلك شهور سنة أربع عشرة ومائة وألف وتليها سورة الرحمن وتسمى عروس القرآن مكية أو مدنية وآيها ست أو سبع أو ثمان وسبعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الرحمن) مبتدأ خبره ما بعده أي الذي له الرحمة الكاملة الشاملة كما جاء في بعض الدعاء رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لانه عم الرزق في الدنيا كما قيل * اديم زمين سفرهٔ عام اوست * برين خوان يغما چه دشمن چه دوست * وخص المؤمنين بالعفو في الآخرة وبالفارسية خداوند بخشايش بسيار كه رحمت او همه چيزرا رسيده * والرحمة في الحقيقة العطف والحنو أعني الميل الروحاني ومنه الرحم لانعطافها الحسي على ما فيها وأريد بها بالنسبة الى الله تعالى ارادة الخير أو الانعام

لان من عطف على أحد أصابه باحدهما قال الامام الغزالى رحمه الله الرحمن هو العطوف على العباد بالايجاد أولا وبالهداية الى الايمان وأسباب السعادة ثانيا والاسعاد بالآخرة ثالثا والانعام بالنظر الى وجهه الكريم رابعا انتهى ولما كانت هذه السورة الكاملة شاملة لتعداد النعم الدنيوية والاخروية والجسمانية والروحانية طرزها بطراز اسم الرحمن الذى هو اسم الذات المشتمل على جميع الاسماء والصفات ليسند اليه النعم المختلفة بعده ولما كان القرآن أعظم النعم شأنا لانه مدار لجميع السعادات ولذا قال عليه السلام اشراف أمتى حملة القرآن أى ملازموه وقراءته وأصحاب الليل وقال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وفيه جميع حقائق الكتب السماوية وكان تعليمه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها بدأ به فقال (علم) محمدا صلى الله عليه وسلم (القرآن) بواسطة جبريل عليه السلام وبواسطة محمد عليه السلام غيره من الامة (قال الكاشفى يعنى آسان كرد آيه مصرا ورا آموختن وديكرانرا آموزانيدن * قال ابن عطاء رحمه الله لما قال الله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها أراد أن يخص أمة محمد بخاصة مثله فقال الرحمن علم القرآن أى الذى علم آدم الاسماء وفضله بها على الملائكة هو الذى علمكم القرآن وفضلكم به على سائر الامم فقيل له متى علمهم قال علمهم حقيقة فى الازل وأظهر لهم تعليمه وقت الايجاد وفيه اشارة الى أن تعليم القرآن وان كان فى الصورة بواسطة جبريل من الوجه العام لكنه كان بلا واسطة فى المعنى من الوجه الخاص على ماسنزيده وضوحا فى محله ان شاء الله تعالى وقال بعضهم علم القرآن اى أعطى الاستعداد الكامل فى الازل لجميع المستعدين ولذلك قال علم القرآن ولم يقل علم الفرقان كما فى قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان فان الكلام الالهى قرآن باعتبار الجمع والبداية وفرقان باعتبار الفرق والنهاية فهو بهذا المعنى لايتوقف على خلق الانسان وظهوره فى هذا العالم وانما الوقوف عليه تعليم البيان ولذا قدم تعليم القرآن على خلق الانسان وخلقه على تعليم البيان انتهى وفى الآية اشارة الى أن التعليم والتسهيل انما هو من الله تعالى لامن المعلمين والحافظين وقد علم آدم الاسماء ووفقه لتعلمها وسهله باذنه وعلم داود صنعة الدرع كما قال وعلمناه صنعة لبوس لكم وعلم عيسى علم الطب كما قال ويعلمه الكتاب والحكمة وعلم الخضر العلم اللدنى كما قال وعلمناه من لدنا علما وعلم نبينا عليه السلام القرآن وأسرار الالوهية كما قال وعلمك مالم تكن تعلم وعلم الانسان البيان قال فى فتح الرحمن ومن الدليل على أن القرآن غير مخلوق أن الله تعالى ذكره فى كتابه العزيز فى أربعة وخمسين موضعا مافيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق ولا أشار اليه وذكر الانسان فى ثمانية عشر موضعا كلها يدل على خلقه وقد اقترنا فى هذه السورة على هذا النحو قاله المولى أبو السعود رحمه الله ثم قيل (خلق الانسان علمه البيان) تبيينا للمعلم وكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ماهو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما فى الضمير قال الراغب البيان الكشف عن الشئ وهو أعم من النطق لان النطق مختص بالانسان وسمى الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود واظهاره انتهى وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره أيضا اذ هو الذى يدور عليه تعليم القرآن والمراد به جنس الانسان الشامل لجميع أصنافه وأفراده وفى بحر العلوم خلق الانسان أى آدم وعلمه الاسماء واللغات كلها وكان آدم يتكلم بسبعمائة ألف

لغة أفضلها العربية انتهى * يقول الفقير فيه اشارة الى أن الله تعالى قد تكلم بجميع اللغات سواء كان التعليم بواسطة أم لا فان قلت كيف يتكلم الله باللغات المختلفة والكلام النفسى عار عن جميع الاكسية قلت نعم ولكنه فى مراتب التنزلات والاسترسالات لا بد له من الكسوة فالعربية مثلا كسوة عارضة بالنسبة الى الكلام فى نفسه وقد ذقنا فى أنفسنا أنه يجيء الالهام والخطاب تارة باللفظ العربى وأخرى بالفارسى وبالتركى مع كونه بلا واسطة ملك لان الاخذ عن الله لا ينقطع الى يوم القيامة وذلك بلا واسطة وان كان الغالب وساطة الملك من حيث لا يرى فاعرف ذلك (الشمس والقمر بحسبان) مبتدأ وخبر والحسبان بالضم مصدر بمعنى الحساب كالغفران والرجحان يقال حسبه عده وبابه نصر حسابا بالكسر وحسبانا بالضم وأما الحسبان بالكسر فبمعنى الظن من حسب بالكسر بمعنى ظن والمعنى يجريان بحساب مقدر فى بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب فالسنة القمرية ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما والشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم أو أقل * وفيه اشارة الى شمس فلك البروج وقمر كرة القلب وسيرانهما فى بروج التجليات الذاتية ومنازل التجليات الاسمائية والصفاتية وكل ذلك السيران بحسب استعداد كل واحد منهما بحساب معلوم وأمر مقسوم (والنجم) أى النبات الذى ينجم أى يطلع من الارض ولا ساق له مثل الكرم والقرع ونحو ذلك (والشجر) الذى له ساق وفى المنتقى كل نابت اذا ترك حتى يبرز انقطع فليس بشجر وكل شيء يبرز ولا ينقطع من سنته فهو شجر (يسجدان) أى ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا أو يسجد ظلهما على ما بين فى قوله تعالى يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وكفته اند مراد بر سجود ايشان وقوف نيست جنانجه بر تسبيح ايشان كما قال تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم ذكر فى مقابلة النعمتين السماويتين اللتين هما الشمس والقمر نعمتين أرضيتين وهما النجم والشجر وكلاهما من قبيل النبات الذى هو أصل الرزق من الحبوب والثمار والحشيش للدواب واخلاء الجمل الاولى عن العطف لورودها على منهاج التعديد تنبيها على تقاعدهم فى الشكر كما فى قولك زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد وأما عطف جملة والنجم على ما قبلها فلتناسبهما من حيث التقابل لما أن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله تعالى ولما كانت هذه الاربعة مغايرة لجنس الانسان فى ذاته وصفاته غير النظم بايرادها فى صورة الاسمية تحقيقا للتغاير بينهما وضعا وطبعا صورة ومعنى * وفيه اشارة الى سجود نجم العقل الذى به يهتدى الى معرفة الاشياء واستهلاكه وتلاشيه عند النظر الى الحقائق الالهية والمعارف الربانية لعدم قوة ادراكه اياها مستعدا بنفسه غير مستفيض من الفيض الالهى بطريق الكشف والشهود والى سجود شجر الفكر المتشجر بالقوى الطبيعية والقوى الوهمية والخيالية وانحصاره فى القوة المزاجية العنصرية وعدم تمكنه من ادراك الحقائق على ما هى عليه كما قيل العقل والفكر جالا حول سرادق الكون فاذا نظرا الى المكون ذابا وكيف لا وهما مخلوقان محصوران تحت حصر الخلقية والحدوث وأنى للخلق المحدث معرفة الخالق القديم وما قدروا الله حق قدره

(والسماء

(والسماء رفعها) انتصابه بمحذوف يفسره المذكور أى خلقها مرفوعة محلا كما هو محسوس مشاهد وكذا رتبة حيث جعلها منشأ أحكامه وقضاياه وتنزل أوامره ومحل ملائكته وقال بعضهم رفعها من السفل الى العلو سقفا لمصالح العباد وجعل ما بينهما مسيرة خمسمائة عام وذلك لان السماء دخان قاربه موج الماء الذى كان فى الارض (ووضع الميزان) أى شرع العدل وأمر به بأن وفر كل مستحق لما استحقه ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم به أمر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض قيل فعلى هذا الميزان هو القرآن وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما فالمعنى خلق كل ما توزن به الاشياء وتعرف مقاديرها موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل فى أخذهم واعطائهم قال سعدى المفتى وأنت خبير بأن قوله أن لا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن أشد ملاءمة لهذا المعنى ولهذا اقتصر عليه الزمخشرى (قال الكاشفى) ووضع الميزان وبيافريد يا منزل كردانيد ترازو ويا الهام داد خلق را بكيفيت ايجاد ان ليتوصل به الى الانصاف والانتصاف وكان ذلك فى زمان نوح عليه السلام اذلم يكن قبله كيل ووزن وذرع قال قتادة فى هذه الآية اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك وأوف كما تحب أن يوفى لك فان العدل صلاح الناس (أن لا تطغوا فى الميزان) أن ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بوضع الميزان أى وضعه لئلا تطغوا فيه ولا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وبالفارسية از حد نكذريد در ترازو بوقت داد وستد يعنى از عدل تجاوز نكنيد وبراستى معامله نماييد قال ابن الشيخ الطغيان مجاوزة الحد فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذى هو آلة التسوية قال طغيانه البخس أى النقص * جون ترازوى تو كج بود ودغا * راست جون جويى ترازوى جزا (وأقيموا الوزن بالقسط) قوموا وزنكم بالعدل أى اجعلوه مستقيما به وفى المفردات الوزن معرفة قدر الشئ والمتعارف فى الوزن عند العامة ما يقدر بالقسطاس والقبان وقوله وأقيموا الوزن بالقسط اشارة الى مراعاة المعدلة فى جميع ما يتحراه الانسان من الافعال والاقوال (ولا تخسروا الميزان) يقال خسرت الشئ بالفتح وأخسرته نقصته وبابه ضرب وأما خسر فى البيع فبالكسر كما فى المختار وقال فى القاموس خسر كفرح وضرب ضل والخسر والاخسار النقص أى لا تنقصوه لان من حقه أن يسوى لانه المقصود من وضعه قال سعدى المفتى المراد لا تنقصوا الموزون فى الميزان لا الميزان نفسه أمر أولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتأكيدا للامر باستعماله والحث عليه (قال الكاشفى) اين همه تأكيد اهل ترازو جهت آنست كه بوقت وضع ميزان قيامت شرمنده نشوند * هر جو وهر حبه كه بازوى تو * كم كند از كفه ترازوى تو * هست يكايك همه برجاى خويش * روز جزا جمله بيارند بيش * با تو نمايند شبهانيت را * كم دهى وبيش ستانيت را * روى عن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك جبلان من نار بين يدى أكلف الصعود عليهما قال فسألت أهله فقالوا كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال ما يزداد الامر على

الاعظم وفى المفردات قوله ولا تخسروا الميزان يجوز أن يكون اشارة الى تحرى العدالة فى الوزن وترك الحيف فيما يتعاطاه فى الوزن ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى تعاطى مالا يكون ميزانه به يوم القيامة خاسرا فيكون ممن قال فيه فمن خفت موازينه وكلا المعنيين يتلازمان وكل خسران ذكره الله فى القرآن فهو على هذا المعنى الاخير دون الخسران المتعلق بالقنيات الدنيوية والتجارات البشرية * يقول الفقير وجه توسيط الميزان بين رفع السماء ووضع الارض هو الاشارة الى أنه بالعدل قامت السموات والارض كما ورد فى الحديث والى أنه لا بد من ميزان العقل بين الروح والجسد حتى يعتدلا ولا يتجاوز أحدهما الآخر والاعتدال الحقيقى هو الوقوف بين طرفى الافراط والتفريط المذموم بين عقلا وشرعا وعرفا والموزونات هى الامور العلمية والعملية المعدلة بالعقل المبنى على الاستعداد الذاتى (والارض وضعها) أى خفضها مدحوة على الماء أى مبسوطة (للانام) أى لمنافع الانام وهو جمع لا واحد له من لفظه بمعنى الخلق والجن والانس مما على الارض كما فى القاموس فهى كالمهاد والفراش لهم يتقلبون عليها ويتصرفون فوقها وقال ابن عباس رضى الله عنهما الناس ويدل عليه قوله

مبارك الوجه يستسقى الغمام به * ما فى الانام له عدل ولا مثل

وقال قتادة كل ذى روح لانه ينام وقيل من ونم الذباب همس * وفيه اشارة الى بسط أرض البشرية لتنتعش كل قبيلة بما يلائم طبعها أما انتعاش أهل النفوس البشرية فباستيفاء الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية وأما انتعاش أصحاب القلوب المعنوية فبالواردات القلبية والالهامات الغيبية وأما انتعاش أرباب الارواح العلوية فبالتجليات الروحانية والمحاضرات الربانية وأما انتعاش صناديد الاسرار اللاهوتية المقدسة فبالتجليات الذاتية الاحدية المفنية لكل ما سواه (فيها فاكهة) ضروب كثيرة مما يتفكه به ويتلذذ فاكهة تشعر باختلاف الانواع (والنخل ذات الاكمام) وهى أوعية الثمر وغلفها قبل التفتق يعنى خوشهاى آن درغلاف جمع كم بالكسر وهو الغلاف الذى يكون فيه الثمر أول ظهوره تا ما دامكه منشق نشده درغلاف باشد ومعنى النخل بالفارسية يعنى درخت خرما أو هو أى الكم كل ما يكم بضم الكاف من باب نصر أى يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كما ينتفع من المكموم من ثمره وجماره وجذوعه فالليف يغطى الجذع والسعف الجمار وهو كرمان شحم النخل بالفارسية دل درخت خرما والكفرى الثمر (والحب) ودر زمين دانه است وهو كل ما يتغذى به ويقتات كالحنطة والشعير وغيرهما (ذو العصف) هو ورق الزرع أو ورق النبات اليابس كالتين (قال الكاشفى) وعصف كياهست كه از دانه جدا ميشود وفى المفردات العصف والعصيفة الذى يعصف من الزرع قال فى تاج المصادر العصف برك كشت ببريدن (والريحان) قال فى المفردات الريحان ماله رائحة وقيل الرزق ثم يقال للحب المأكول ريحان كما فى قوله والحب ذو العصف وقيل لاعرابى الى أين قال أطلب ريحان الله أى رزقه والاصل ما ذكرنا انتهى قال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو الرزق بلغة حمير فالمراد بالريحان هنا اما الرزق أو المشموم كما قال الحسن الريحان هو ريحانكم هذا الذى يشم وهو كل ما طابت رائحته من النبات أو الشاهفرم وعند الفقهاء الريحان ما لساقه رائحة طيبة كما لورقه كالآس والورد

ما لورقه ورائحة طيبة فقط كالياسمين كذا في المغرب قال ابن الشيخ كل بقلة طيبة الرائحة سميت ريحانا لان الانسان يراح لها رائحة طيبة أي يشم يقال راح الشئ يراحه ويريحه وأراح الشئ يريحه اذا وجد ريحه وفي الحديث من قتل نفسا معاهدة لم يرح رائحة الجنة وروى لم يرح من راحه يريحه والريحان في الاصل ريحان كفعلان من روح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف بحذف عين الكلمة كما في ميت أو كفوعلان قلبت واوه ياء للتخفيف أو للفرق بينه وبين الروحان وهو ماله روح (فبأي آلاء ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام لعمومه لهما واشتماله عليهما وسينطق به قوله تعالى أيه الثقلان وكذا في ذكر أبوى الفريقين بقوله خلق الانسان وخلق الجان اشعار بأن الخطاب لهما جميعا والآلاء النعم واحدها الى وألو وألى وإلى كما في القاموس قال في بحر العلوم الآلاء النعم الظاهرة والباطنة الواصلة الى الفريقين وبهذا يظهر فساد ما قيل من أن الآلاء هي النعم الظاهرة فحسب والنعماء هي النعم الباطنة والصواب أنهما من الالفاظ المترادفة كالاسود والليوث والفلك والسفن * وفي التأويلات النجمية الآلاء هي النعمة الظاهرة والنعماء الباطنة والآيات المتوالية تدل على هذا لانها كل نعمة ظاهرة بالنسبة الى أهل الظاهر ومعنى تكذيبهم بالآلاء كفرهم بها والتعبير عن الكفر بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة أي فاذا كان الامر كما فصل فبأي فرد من أفراد آلاء مالككما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع أن كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق فالاستفهام للتقرير أي للحمل على الاقرار بتلك النعم ووجوب الشكر عليها اروى عن جابر رضي الله عنه أنه قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها قال مالي اراكم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية مرة فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد قال في بحر العلوم وفيه دلالة بينة على أن الآلاء أراد بها النعم المطلقة الشاملة للظاهرة والباطنة لا المقيدة بالظاهرة كما سبق اليه بعض الاوهام انتهى قال في آكام المرجان دلت الآية على أن الجن كلهم مكلفون ولا خلاف فيه بين أهل النظر وزعمت الحشوية أنهم مضطرون الى أفعالهم وأنهم ليسوا مكلفين والدليل على أنهم مكلفون ما في القرآن من ذم الشياطين ولعنهم والتحذير من غوائلهم وشرهم وذكر ما أعده الله لهم من العذاب وهذه الخصال لا يفعلها الله الا لمن خالف الامر والنهي وارتكب الكبائر وهتك المحارم مع تمكنه من أن لا يفعل ذلك وقدرته على فعل خلافه ويدل على ذلك أيضا أنه كان من دين النبي عليه السلام لعن الشياطين والبيان عن حالهم وأنهم يدعون الى الشر والمعاصي ويوسوسون بذلك وتكرار هذه الآية في هذه السورة لطرد الغفلة وتأكيد الحجة وتذكير النعمة وتقرير الكرامة من قولهم كم نعمة كانت لكم كم وكم وكقولك لرجل أحسنت اليه بأنواع الايادي وهو ينكرها ألم تكن فقيرا فأغنيتك افتنكر هذا ألم تكن عريانا فكسوتك أفتنكر هذا ألم تكن خاملا فعززتك أفتنكر هذا وقال الشاعر

لا تقطعن الصديق ما طرفت * عيناك من قول كاشح أشر

ولا تملن من زيارته * زره وزره زر ثم زر وزر

وقال فى برهان القرآن تكررت الآية احدى وثلاثين مرة ثمان منها ذكرها عقيب آيات فيها
تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبع منها عقيب آيات فيها ذكر
النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم وحسن ذكر الآلاء عقيبها لان فى خوفها ودفعها نعما
توازى النعم المذكورة أو لانها حلت بالاعداء وذلك يعد من أكبر النعماء وبعد هذه السبع
ثمان فى وصف الجنات وأهلها على عدد أبواب الجنة وثمان أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما
فمن اعتقد الثمانى الاولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله ووقاه الله السبع السابقة
يقول الفقير من لطائف أسرار هذا المقام أن لفظ أل فى أول اسم الرحمن المعنون به هذه السورة
الجليلة دل على تلك الاحدى والثلاثين (خلق الانسان من صلصال كالفخار) يعنى آفريد انسانرا
از گل خشك مانند سفال پخته كه دست بروى زنى آواز كند الصلصال الطين اليابس الغير
المطبوخ الذى له صلصلة أى صوت يسمع من يبسه وصح عن رسول الله عليه السلام أنه قال
اذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السموات لصوته صلصلة كصلصلة الجرس على الصفوان والفخار
الخزف أى الطين المطبوخ بالنار وتشبيهه بالفخار لصوته باليبس اذا نقر كأنه صور بصورة من
يكثر التفاخر أو لانه أجوف وقد خلق الله آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم
صلصالا ثم صب عليه ماء الاحزان فلا ترى ابن آدم الا يكابد حزنا فلا تنافى بين الآية الناطقة
باحدها وبين مانطق باحد الآخرين (وخلق الجان) أى الجن أو أبا الجن أو ابليس وبه قال
الضحاك وفى الكشف الجان أبو الجن كما أن الانسان أبو الانس وابليس أبو الشياطين (من
مارج) أى من لهب صاف من الدخان وقال مجاهد المارج هو المختلط بعضه ببعض من اللهب
الاحمر والاصفر والاخضر الذى يعلو النار اذا وقدت من مرج أمر القوم اذا اختلط واضطرب
فمعنى من مارج من لهب مختلط (من نار) بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا
اضطرب وفى كشف الاسرار خلق الجن من مارج من نار والملائكة من نورها والشياطين
من دخانها وقال بعضهم من النار التى بين الكلة الرقيقة وبين السماء وفيها يكون البرق ولاترى
السماء الا من وراء تلك الكلة در باب نهم از سفر ثانى فتوحات مذكورست كه مارج آتشست
ممتزج بهوا كه آنرا هواى مشتعل كويند پس جان مخلوقست ازدو عنصر آتش وهوا وآدم
آفريده شده ازدو عنصر آب وخاك چون آب وخاك بهم شوند آنرا طين كويند وچون هوا
وآتش مختلط كردد آنرا مارج خوانند وچنانكه تناسل در بشر بالقاء آبست در رحم تناسل
در جن بالقاء هواست در رحم انثى وميان آفرينش جان وآدم شصت هزار سال بود (فبأى آلاء
ربكما تكذبان) مما أفاض عليكما فى تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم حتى صيركما أفضل المركبات
وخلاصة الكائنات * وفيه اشارة الى أن الحق سبحانه تجلى لحقيقة انسان الروح بصورة صفة
صلصال اللطف والجمال ولحقيقة ابليس النفس بصورة صفة مارج القهر والجلال فصار أحدهما
مظهرا لصورة لطفه والآخر لصورة قهره فبأى آلاء ربكما تكذبان أيها الروح اللطيف
والنفس الخبيثة لان كل واحد منكما قد ذاق ماجبل عليه من اللطف والقهر والطيب
والخبث (رب المشرقين ورب المغربين) خبر مبتدأ محذوف أى الذى فعل ماذكر من الافاعيل
البديعة رب مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته أن يكون رب ما بينهما من

الموجودات قاطبة يعنى أن ذكر غاية ارتفاعهما وغاية انحطاطهما اشارة الى أن الطرفين
يتناولان ما بينهما كما اذا قلت فى وصف ملك عظيم الملك له المشرق والمغرب فانه يفهم منه
أن له ما بينهما أيضا قال فى كشف الاسرار أحد المشرقين هو الذى تطلع منه الشمس فى أطول
يوم من السنة والثانى الذى تطلع منه فى أقصر يوم وبينهما مائة وثمانون مشرقا وكذا الكلام
فى المغربين وقيل أحد المشرقين للشمس والثانى للقمر وكذا المغربان وأما قول عبد الله
ابن عمر رضى الله عنهما ما بين المشرق والمغرب قبلة يعنى لاهل المشرق وهو أن تجعل مغرب
الصيف على يمينك ومشرق الشتاء على يسارك فتكون مستقبل القبلة (فبأى آلاء ربكما
تكذبان) مما فى ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث
ما يناسب كل فصل فى وقته الى غير ذلك (مرج البحرين) أى أرسلهما من مرجت الدابة اذا
أرسلتها وخليتها للرعى والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب وبالفارسية راه داد ودريارا كه
يكى شوش وشيرين ويكى تلخ وشور (يلتقيان) حال من البحرين قريبة من الحال المقدرة أى
يتجاوران ويتماس سطوحهما الافصل فى مرأى العين وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه
فتجرى فى خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل أرسل بحر فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما
خليجان يتشعبان منه (قال سعدى المفتى) وعلى هذا فقوله يلتقيان اما حال مقدرة ان كان
المراد ارسالهما الى المحيط أو المعنى اتحاد أصليهما ان كان المراد ارسالهما منه فلكل وجه
(بينهما برزخ) أى حاجز من قدرة الله أو من الارض والبرزخ الحائل بين الشيئين ومنه سمى
القبر برزخا لانه بين الدنيا والآخرة وقيل للوسوسة برزخ الايمان لانها طائفة بين الشك واليقين
(لا يبغيان) أى لا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية مع أن شأنهما الاختلاط
على الفور بل يبقيان على حالهما زمانا يسيرا مع أن شأنهما الاختلاط وانفعال كل واحد منهما
عن الآخر على الفور أو لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما من الارض لتكون الارض
بارزة يتخذها أهلها مسكنا ومهادا فقوله لا يبغيان اما من الابتغاء وهو الطلب أى لا يطلبان غير
ما قدر لهما أو من البغى وهو مجاوزة كل واحد منهما ما حد له (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وليس
من البحرين شئ يقبل التكذيب لما فيه من الفوائد والعبر (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)
اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور ويقال يلقيه الجن فى البحر وقال فى خريدة العجائب
اللؤلؤ يتكون فى بحر الهند وفارس والمرجان ينبت فى البحر كالشجر واذا كلس المرجان عقد
الزئبق فمنه أبيض ومنه أحمر ومنه أسود وهو يقوى البصر كحلا وينشف رطوبة العين انتهى
وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره واعلم أنه ان أريد بالبحرين هنا بحر فارس وبحر الروم فلا
حاجة فى قوله منهما الى التأويل اذ اللؤلؤ والمرجان بعينيه يخرجان منهما الآن كلا منهما ملح
ولا عذب فى البحار السبعة الا على قول من قال فى الآية يخرج من مالح بحرى فارس والروم
ومن عذب بحر الصين وفى بحر العلوم ان اللؤلؤ يخرج من بحر فارس والمرجان من بحر الروم
يعنى لا من كليهما وان أريد بهما البحر الملح والبحر العذب فنسبة خروجهما حينئذ الى البحرين
مع أنهما انما يخرجان من البحر الملح أو مع أنهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه كما
يقال يخرج الولد من الذكر والانثى وانما تلده الانثى وهو الاظهر أو لانهما لا يخرجان الا من ملتقى

الملح والعذب وهذا يحتمل معنيين أحدهما أن الملتقى اسم مكان والمروج بمعنى الانتقال من الباطن الى الظاهر فانه قال الجمهور يخرج من الاجاج من المواضع التي يقع فيها الانهار والمياه العذبة فناسب اسناد ذلك اليهما وهذا مشهور عند القراء ين والثاني أنه مصدر ميمي بمعنى الالتقاء والمروج بمعنى الحدوث والحدوث بمعنى الوجود فانه يحدث ويكون من التقائهما واجتماعهما كما قال الرازي يكون العذب كاللقاح للملح ونقل عن ابن عباس وعكرمة مولاه أن تكون هذه الاشياء في البحر بنزول المطر لان الصدف تفتح أفواهها للمطر فيكون الاصداف كالارحام للنطف وماء البحر كالجسد الغاذي ويدل على أنه من المطر ما اشتهر من أن السنة اذا أجدبت هزلت الحيتان وقلت الاصداف والجواهر وعلى هذا فضميرمنهما للبحرين باعتبار الجنس فتأمل (فبأى آلاء ربكما تكذبان) زيرا آن جوهرها كه بدان آرايش كنيد وازخريد وفروخت آن فوائد يابيد نفع ظاهر است پس بكدام از ين نعمتهاى برودكار خود تكذيب مينماييد وكفته اند مراد بحر آسمان وبحر زمينست كه هرسال متلاقى شوند وابر حاجزيست كه منع ميكند درياى آسمانرا ازنزول ودرياى زمين را ازصعود ودرياى فلك قطرات بردرياى زمين ريخته بدهان صدف درمى آيد وازان درمنعقد كردد وقيل البحران على وفاطمة رضى الله عنهما والبرزخ النبي صلى الله عليه وسلم ويخرج منهما الحسن والحسين رضى الله عنهما وقيل هما العقل والهوى والبرزخ بينهما لطف الله ويخرج منهما التوفيق والعصمة وقيل هما المعرفة والمعصية والحاجز العصمة ويخرج منهما الشوق والتوبة لا يبغيان لا تؤثر المعصية فى المعرفة وقيل هما الدنيا والآخرة والبرزخ القبر وقيل الحياة والوفاة والبرزخ الاجل وقيل الحجة والشبهة والبرزخ النظر ويخرج منهما الحق والصواب (امام قشيرى رحمه الله) فرموده كه بحرين خوف ورجاست يا قبض وبسط وبرزخ قدرت بى علت ولؤلؤ احوال صافيه ومرجان لطائف وافيه صاحب كشف الاسرار شرح ميكندكه بحر خوف ورجا عامه مسلمانراست وازان كوهر زهد وورع وطاعت وتقوى بيرون آيد وبحر قبض وبسط خواص مؤمنانراست وازان جواهر فقر ووجد زايد وبحر انس وهيبت انبيا وصديقانرا كه ازان كوهر فنا روى نمايد تا صاحبش بمنزل بقا باز آيد * زقعر بحر فنا كوهر فنا يابى * وكرنه غوطه خورى اين كهر كجا يابى * وقال بعض الكبار يشير الى مروج بحر الروح وحركته بالتجليات الذاتية والى مروج بحر القلب وحركته بالتجليات الصفاتية والتقائهما فى مقام الوحدة مع بقاء برزخ معنوى بين هذين البحرين المشار بهما الى ما ذكر بحيث لا يبغى بحر الروح على بحر القلب لعدم نزوله بالكلية لئلا يفنى خاصية بحر القلب ولا يغلب بحر القلب على بحر الروح لعدم عروجه بالكلية لئلا يفنى خاصية بحر الروح كما قال وما منا الا له مقام معلوم يخرج لؤلؤ التجليات الذاتية من ناحية بحر الروح ومرجان التجليات الصفاتية من جهة بحر القلب ويجوز أن يخرجا مجتمعين من اتحاد بحر الروح وبحر القلب مع بقاء امتياز ما بينهما وقال بعضهم يشير الى بحر القدم والحدوث وبحر القدم عذب من حيث القدم وبحر الحدوث ملح من حيث علل الحدوثية وبينهما حاجز من قدرة الالهية بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر لانه منزه عن الحلول فى الاماكن والاستقرار فى المواطن يخرج من بحر القدم القرآن والاسماء والنعوت ومن بحر الحدوث المعرفة والنطاعة وأيضا يشير الى بحر القلب والنفس

هو بحر الاخلاق المحمودة وبحر النفس الذى هو بحر الاخلاق المذمومة ولا يختلطان بحيث يصير القلب نفسا والنفس قلبا الا انه يتم بهما العقل والعلم والشريعة والطريقة فاذا صارت النفس مطمئنة يخرج منها ومن القلب الايمان والايقان والصفاء والنور والطمأنينة وقال ابن عطاء رحمه الله بين العبد وبين الرب بحران عميقان أحدهما بحر النجاة وهو القرآن من تعلق به نجا لان الله تعالى يقول واعتصموا بحبل الله جميعا وبحر الهلاك وهو الدنيا من ركن اليها هلك انتهى

(وله الجوار) هذه اللام لها معنيان أحدهما أنها لام الملك والثانى أنها لام الاستحسان والتعجب كقولهم لله أنت لله درك كما فى كشف الاسرار والجوار بكسر الراء أصله الجوارى بالياء بمعنى السفن جمع جارية أقيمت الصفة مقام الموصوف قال ابن الشيخ اعلم أن الاركان أربعة التراب والماء والهواء والنار فالله تعالى بين بقوله خلق الانسان من صلصال أن التراب أصل لمخلوق شريف مكرم عجيب الشان وبين بقوله وخلق الجان من مارج من نار أن النار أيضا أصل لمخلوق آخر عجيب الشأن وبين بقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أن الماء أيضا أصل لمخلوق آخر له قدر وقيمة ثم ذكر أن الهواء له تأثير عظيم فى جرى السفينة كالاعلام فقال وله الجوار وخصها بالذكر لان جريانها فى البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك فيقولون لك الفلك ولك الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله خاصة وسميت السفينة جارية لان شأنها الجرى فى البحر وان كانت واقفة فى الساحل والمرسى كما تسمى المملوكة أيضا جارية لان شأنها الجرى والسعى فى حوائج سيدها (المنشآت) المرفوعات الشرع على أن يكون من أنشأه اذا رفعه والشرع بضمتين جمع شراع وهو الذى يسمى بالفارسية بادبان ولا يبعد أن يكون المنشآت بمعنى المرفوعات على الماء فتكون جارية على ما هى له كما فى حاشية سعدى المفتى أو بمعنى المنشآت المصنوعات أى المخلوقات على أن يكون من أنشأه الله أى خلقه (فى البحر كالاعلام) جمع علم وهو الجبل الطويل أى كالجبال الشاهقة عظما وارتفاعا وهو حال من ضمير المنشآت والسفن فى البحر كالجبال فى البر كما أن الابل فى البر كالسفن فى البحر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من خلق مواد السفن والارشاد الى أخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر بأسباب لقطع المسافات الكثيرة فى الاوقات القليلة وحصول المعاملات والتجارات لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه وفيه اشارة الى جريان سفن الشريعة والطريقة المرفوعات الشرع بأحكام الشريعة وآداب الطريقة فى بحر الوحدة الحقيقية كالجبال العظام مشحونات بمنافع كثيرة من الطاعات والعبادات على مقتضى علم الشريعة والواردات القلبية والالهامات الغيبية على قانون أرباب الطريقة كما فى التأويلات النجمية (كل من عليها فان) الهاء كناية عن غير مذكور كقولهم اذا نهى السفيه جرى اليه والمعنى كل من على الارض من الحيوانات أو المركبات ومن للتغليب على الوجهين أو من الثقلين فان أى هالك لا محالة يعنى سر انجام كار فانى شوند ولما نزلت هذه الآية قالت الملائكة هلكت بنو آدم فلما نزلت كل نفس ذائقة الموت أيقنوا بهلاك أنفسهم فانهم أجسام لطيفة وأرواحها متعلقة بتلك الاجسام كأرواح الانسان وأما الارواح المجردة المهيمة العالية فلا تفنى (ويبقى وجه ربك) أى ذاته ومنه كرم الله وجهه أى ذاته فالوجه العضو المعروف استعير للذات لانه أشرف الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخشوع قال

القاضى ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية فى حد ذاتها الا وجه الله الذى يلى جهته انتهى (قال سعدى المفتى فى حاشية هذا المحل) هذا اشارة الى وجه آخر وهو أن يكون الوجه بمعنى القصد أى ما يقصد وينوى به الله والجهات بمعنى المقاصد وفى العبارة نوع تسامح وقوله يلى جهته أى مقصده والاضافة للبيان أى يتوجه اليه انتهى وقال ابن الشيخ اشارة الى أن الوجه يجوز أن يكون كناية عن الجهة بناء على أن كل جهة لا تخلو عن وجه يتوجه اليها كما ذكر فى قوله فى جنب الله أى كل من عليها من الثقلين وما اكتسبوه من الاعمال هالك الا ما توجهوا به جهة الله وعملوا ابتغاء لمرضاته انتهى وقال الشيخ ابن نور الدين رحمه الله الماهيات تنقسم الى ثلاثة أقسام واجب الوجود وممتنع الوجود وممكن الوجود أما الواجب فهو وجود بحت وأما الممتنع فهو عدم محض وأما الممكن فهو مركب منهما وذلك لان له وجودا وماهية عارضة على وجوده فماهيته أمر اعتبارى معدوم فى الخارج لا يقبل الوجود فيه من حيث هو هو ووجوده موجود لا يقبل العدم من حيث هو هو فكان الممكن موجودا ومخلوقا من وجود وعدم وهذه الجمعية تقبل الوجود والعدم ومن هذا ظهر حقيقة ما قال البيضاوى ولو استقريت الخ وما قاله الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى تفسير قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه حيث قال الضمير راجع الى الشئ انتهى (ذو الجلال والاكرام) صفة وجه أى ذو الاستغناء المطلق أو العظمة فى ذاته وصفاته وذو الفضل التام وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال عليه السلام ألظوا بياذا الجلال والاكرام يعنى ملازم بكوييد ياذا الجلال والاكرام وفى تاج المصادر الالظاظ ملازم كرفتن ودائم شدن باران والالحاح أيضا وفى القاموس اللظ اللزوم والالحاح وعنه عليه السلام أنه مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال استجيب لك الدعاء فالدعاء بهاتين الكلمتين مرجو الاجابة وفى وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بأنه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم أيضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم أجل النعماء وأعظم الآلاء قال الطيبى كيف أفرد الضمير فى قوله وجه ربك وثناه فى ربكما والمخاطب واحد فلان اقتضى الاول تعميم الخطاب لكل من يصلح للخطاب لعظم الامر وفخامته فيندرج فيه الثقلان اندراجا أوليا ولا كذلك الثانى فتركه على ظاهره وفى قوله كل من عليها فان اشارة الى فناء كل من على أرض البشرية اما بالموت الطبيعى منغمسا فى بحر الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية واما بالموت الارادى منسلخا عن الصفات البشرية متلبسا بالصفات الروحانية وتغليب من اشارة الى ذوى العقول السليمة عن آفات القوة الوهمية والخيالية فانهم بذكاء فطرتهم ونقاء طينتهم ينفرون عن الاحكام الطبيعية ويتعلقون بالتجليات الالهية وبقوله ويبقى وجه الخ اشارة الى فناء الكثرة النسبية الاسمائية وبقاء الوحدة الحقيقية الذاتية الموصوفة بالصفة الجلالية القهرية والجمالية اللطفية فبأى آلاء ربكما تكذبان مما ذكرنا من افناء الحياة المجازية وابقاء الحياة الحقيقية واظهار الصفة اللطفية فى حق مستحق اللطف واظهار الصفة القهرية فى حق مستحق القهر لعلمه المحيط باستحقاقهما وقال بعضهم لو نظرت بنظر التحقيق فى الكون وأهله لرأيت حقيقة فنائه وفناء أهله وان كان فى الظاهر على رسم

الوجود

الوجود لان من يكون قيامه بغيره فهو فان فى الحقيقة اذ لا يقوم بنفسه ولا نفس له فى الحقيقة
فان الوجود الحقيقى وجود القديم لذلك أثنى على نفسه بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام (قال الشيخ المغربى) سايه هستى مينمايد ليك اندر اصل نيست * نيست را از هست كر
بشناختى يابى نجات (وقال المولى الجامى) تو درميانه هيچ نه هرچه هست اوست * هم خود الست
كويد وهم خود بلى كند * وفى ذكر وجهه الباقى تسلية لقلوب العشاق أى أنا أبقى لكم أبدا
لا تغتموا فان لكم ما وجدتم فى الدنيا من كشف جمالى وتيسر مد ذلك لكم بلا حجاب أبدا وفى ذكر
الجلال تهييج لاهل المحبة والهيبة وفى كاف الوحدة اشارة الى حبيبه عليه السلام يعنى كشف
الوجه باق لك أبدا أريتك وجهى خاصة ثم العشاق أتباع لك فى النظر الى وجهى فأول الكشف
لك ثم للعموم واعلم أن وجود الباقى جميعه وجه وبين التجليات تفاوت وفى الحديث ان الله يتجلى
لابى بكر خاصة ويتجلى للمؤمنين عامة (يسأله) ميخواهند او را يعنى مى طلبند از وى (من فى
السموات والارض) قاطبة ما يحتاجون اليه فى ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر
أحوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال وبلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة
بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين
العناية الالهية من العلائق لم يشموا رائحة الوجود أصلا فهم فى كل آن مستمرون على الاستدعاء
والسؤال وعن ابن عباس رضى الله عنهما فأهل السماء يسألونه المغفرة وأهل الارض يسألونه
الرزق والمغفرة * وفى كشف الاسرار مؤمنان دو كروهند عابدان وعارفان هر سؤال بر يكى بر قدر
همت او ونواخت هر يكى سزاى حوصلهٔ او * هر كسى از همت والاى خويش * سود برد در
خور كالاى خويش * عابد همت از وخواهد عارف خود او را خواهد أحمد بن أبى الحوارى
حق را بخواب ديد كفت جل جلاله يا أحمد كل الناس يطلبون منى الا أبا يزيد فانه يطلبنى

فسرت اليك فى طلب المعالى * وسار سواى فى طلب المعاش

(كل يوم) أى كل وقت من الاوقات وهو اليوم الالهى الذى هو الآن الغير المنقسم وهو بطن
الزمان فى الحقيقة (هو) تعالى (فى شان) من الشؤون التى من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى
لا يزال ينشئ أشخاصا ويفنى آخرين ويأتى بأحوال ويذهب بأحوال من الغنى والفقر والعزة
والذلة والنصب والعزل والصحة والمرض ونحو ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم
والمصالح البالغة وفى الحديث من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين * قال
الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال خلق
الله تعالى لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر فيه كل يوم ثلثمائة وستين
نظرة يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شان
وهو مأخوذ من قوله عليه السلام ان الرب لينظر الى عباده كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يبدئ ويعيد
وذلك من حبه خلقه ويدل على هذا الحب ما يقال من أن الله تعالى يحيى كل يوم ألفا واحدا ويميت
ألفا فالحياة الفانية اذا كانت خيرا لتحصيل الحياة الباقية فما ظنك بفضيلة الحياة الباقية وعن
عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهى
والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب والثواب

والعقاب قال مقاتل نزلت الآية في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيأ فقيها رقاتهم وقوله كل ظرف لما دل عليه هو في شان أي يتقلب الامور كل يوم أو يحدثها كل يوم أو نحوه كما في بحر العلوم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه * وفي بحر الحقائق يشير الى تجلي الحق في كل زمن فرد ونفس فرد على حسب المتجلى له واستعداده ولانهاية للتجليات فبأى آلاء ربكما تكذبان من تجلى الحق بصور مظاهر وبكم وايجاده من كتم العدم ووجود محبوبكم * كل يوم هو في شان بجه شانست بدو * هر زمان جلوه ديكر شود از برده عيان * جلوه حسن ترا غايت وبايانى نيست * يعنى اوصاف كمال تو ندارد بايان * قال البقلي يسأله من في السموات من الملائكة كلهم على قدر مقاماتهم يسأله الخائف النجاة من البعد والحجاب ويسأله الراجي الوصول الى محل الفرح ويسأله المطيع قوة عبادته وثواب طاعته ويسأله المحب أن يصل اليه ويسأله المشتاق أن يراه ويسأله العاشق أن يقرب منه ويسأله العارف أن يعرفه بمزيد المعرفة ويسأله الموحد أن يفنى فيه ويستغرق في بحر شهوده ويسأله الجاهل علم ما يحجبه عنه ويسأله العالم ما يعرفه به وكذا كل قوم على قدر مراتبهم ودرجاتهم وهو تعالى في كل يوم هو في شان والشأن الحال والامر العظيم (سنفرغ لكم) أي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤن الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شان فلا يبقى حينئذ الا شأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم على المجاز المرسل فان الفراغ يلزمه التجرد والا فليس المراد الفراغ من الشغل لانه تعالى لا يشغله شأن عن شأن وقيل هو مستعار من قول المهدد لصاحبه سأفرغ لك أي سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه فالخطاب للمجرمين منهما بخلافه على الاول (أيه الثقلان) قال الراغب الثقل والخفة متقابلان وكل ما يترجح على ما يوزن به أو يقدر به يقال هو ثقيل وأصله في الاجسام ثم يقال في المعاني أثقله الغرم والوزر انتهى والمراد هنا الانس والجن سميا بذلك لانهما أثقلا الارض يعني أنهما شبها بثقلي الدابة وفي حواشي ابن الشيخ شبه الارض بالحمولة التي تحمل الاثقال والانس والجن جعلا أثقالا محمولة عليها وجعل ما سواهما كالعلاوة أو لرزانة آرائهما أو لانهما مثقلان بالتكليف أو لعظم قدرهما في الارض كما في الحديث اني خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وقال الصادق رضي الله عنه سميا ثقلين لانهما يثقلان بالذنوب أو لما فيهما من الثقل وهو عين تأخرهما بالوجود لان من عادة الثقيل الابطاء كما أن من عادة الخفيف الاسراع والانس أثقل من الجن للركن الاغلب عليهم (فبأى آلاء ربكما) التي من جملتها التنبيه على ما سيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدي الى سوء الحساب (تكذبان) بأقوالكما وأعمالكما قال في كشف الاسرار اعلم أن بعض هذه السور ذكر فيه الشدائد والعذاب والنار والنعمة فيها من وجهين أحدهما في صرفها عن المؤمنين الى الكفار وتلك النعمة عظيمة تقتضي شكرا عظيما والثاني أن في التخويف منها والتنبيه عليها نعمة عظيمة لان اجتهاد الانسان رهبة مما يؤلمه أكثر من اجتهاده رغبة فيما ينعمه (يا معشر الجن والانس) هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان أن قدرتهم لا تفي بما كلفوه والمعشر الجماعة العظيمة سميت به لبلوغه غاية الكثرة فان العشر هو

العدد الكامل الكثير الذى لا عدد بعده الا بتركيبه بما فيه من الآحاد تقول أحد عشر واثنا عشر وعشرون وثلاثون أى اثنا عشرات وثلاث عشرات فاذا قيل معشر فكأنه قيل محل العشر الذى هو الكثرة الكاملة وقدم الجن على الانس فى هذه الآية لتقدم خلقه والانس على الجن فى قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن لفضله فان التقديم يقتضى الافضلية قال ابن الشيخ لما بين الله تعالى أنه سيجىء وقت يتجرد فيه لمحاسبتهم ومجازاتهم وهددهم بما يدل على شدة اهتمامه بها كان مظنة أن يقال فلم ذلك التسمع ما هو من كمال الاهتمام به فأشار الى جوابه بما محصوله انهم جميعا فى قبضة قدرته وتصرفه لا يفوته منهم أحد فلم يتحقق باعث يبعثه على الاستعجال لان ما يبعث المستعجل على الاستعجال انما هو خوف الفوت وحيث لم يخف ذلك قسم الدهر كله الى قسمين أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة وجعل المدة الاولى أيام التكليف والابتلاء والمدة الثانية للحساب والجزاء وجعل كل واحد من الدارين محل الرزايا والمصائب ومنبع البلايا والنوائب ولم يجعل لواحد من الثقلين سبيلا للفرار منهما والهرب مما اقتضاه فيهما فقوله يا معشر الجن متعلق بقوله سنفرغ لكم فكأنا بمنزلة كلام واحد (ان استطعتم) لم يقل ان استطعتما لان كل واحد منهما فريق كقوله فاذا هم فريقان يختصمون أى كل فريق منهم يختصم فجمع الضمير هنا نظرا الى معنى الثقلين وثناه فى قوله يرسل عليكما كما سيأتى نظرا الى اللفظ أى ان قدرتم على (أن تنفذوا من أقطار السموات والارض) قال فى القاموس النفاذ جواز الشئ عن الشئ والخلوص منه كالنفوذ ومخالطة السهم جوف الرمية وخروج طرفه من الشق الآخر وسائره فيه كالنفذ ونفذهم جازهم وتخلفهم كأنفذهم والنافذ الماضى فى جميع أموره انتهى والاقطار جمع قطر بالضم وهو الجانب والمعنى أن تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه (فانفذوا) فاخرجوا منها وخلصوا أنفسكم من عقابى وهو أمر تعجيز والمراد أنهم لا يفوتونه ولا يعجزونه حتى لا يقدر عليهم (لا تنفذون) لا تقدرون على النفوذ (الا بسلطان) أى بقوة وقهر وأنتم من ذلك بمعزل بعيد روى أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فيهرب الانس والجن فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة أحاطت به فتقول لهم الملائكة ذلك فكما لا يقدر أحد على الفرار يوم القيامة كذلك لا يقدر فى الدنيا فيدركه الموت والقضاء لا محالة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة (يرسل عليكما شواظ) هو اللهب خالص لا دخان فيه أو دخان النار وحرها كما فى القاموس قال سعدى المفتى والله أعلم انه استئناف جوابا عن سؤال الداعى الى الهرب والفرار وان ذلك حين يساق الى المحشر كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أى يرسل عليكما لهب بلا دخان ليسوقكم الى المحشر (من نار) متعلق بيرسل والتنوين فيهما للتفخيم (ونحاس) أى دخان أو صفر مذاب يصب على رؤسهم وفى المفردات النحاس اللهب بلا دخان وذلك تشبيه فى اللون بالنحاس وفى القاموس النحاس مثلثة عن أبى العباس الكواشى القطر والنحاس ما سقط من شرار الصفر أو الحديد اذا طرق (فلا تنتصران) أى لا تمتنعان من ذلك العذاب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من بيان عاقبة الكفر والمعاصى والتحذير عنها فانه لطف ونعمة وأى لطف ونعمة (فاذا انشقت السماء) أى انصدعت يوم القيامة وانفك بعضها من

بعض لقيام الساعة أو انفرجت فصارت أبوابا لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وفى الخبر من نار جهنم اذا كشف عنها (فكانت وردة) كوردة حمراء فى اللون وهى الزهرة المعروفة التى تشم والغالب على الورد الحمرة قال

ولو كنت وردا لونه لعشقتنى * ولكن ربى شانى بسواديا

وقيل لان أصل لون السماء الحمرة وانما ترى زرقاء للبعد والحوائل ولان لون النار اذا خالط الازرق كساه حمرة (كالدهان) خبر ثان لكانت أى كدهن الزيت فكانت فى حمرة الوردة وفى جريان الدهن أى تذوب وتجرى كذوبان الدهن وجريه فتصير حمراء من حرارة جهنم وتصير مثل الدهن فى رقته وذوبانه وهو اما جمع دهن أو اسم لما يدهن به كالادام لما يؤتدم به وجواب اذا محذوف أى يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال قال سعدى المفتى ناصب اذا محذوف أى كان ما كان من الامر الهائل الذى لا يحيط به نطاق العبارة أو رأيت أمرا عظيما هائلا وبهذا الاعتبار تتسبب هذه الجملة عما قبلها لان ارسال الشواظ يكون سببا لحدوث الامر الهائل أو رؤيته فى ذلك الوقت (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع عظم شأنها (فيومئذ) أى يوم اذا انشقت السماء حسبما ذكر (لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان) لانهم يعرفون بسيماهم فلا يحتاج فى تمييز المذنب عن غيره الى أن يسأل عن ذنبه ان أراد أحد أن يطلع على أحوال أهل الحشر وذلك أول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف فوجا فوجا على اختلاف مراتبهم وأما قوله فوربك لنسألنهم أجمعين ونحوه ففى موقف المناقشة والحساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا فانه أعلم بذلك منهم ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا وعنه أيضا لا يسألون سؤال شفاء وراحة وانما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما أن المراد فرد من الانس كأنه قيل لا يسأل عن ذنبه انسى ولا جنى وأراد بالجان الجن كما يقال تميم ويراد ولده (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدى اليه * وفيه اشارة الى شعاشع أنوار الطاعة والعبادة على صفحات وجنات أنس الروح والى تراكم ظلمات المعصية والتمرد وسلاسل الطغيان وأغلال العصيان على صفحات وجوه جن النفس المظلمة وأعناقهم المتمردة الآبية عن الطاعة والانقياد فبأى آلاء ربكما تكذبان مما أنعم الله على عباده المنقادين فى هذا اليوم ومما انتقم من عباده المتمردين فى ذلك اليوم فان الانتقام من الاعداء نعمة على الاحباب ولذا ورد الحمد عقيبه كما قال تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وكمال الانتقام بافناء أوصاف النفس الامارة بالكلية (يعرف المجرمون بسيماهم) السيما والسيماء بالكسر والقصر والمد العلامة والجملة استئناف يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن كما يعرف الصالحون بأضداد ذلك (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) النواصى جمع ناصية وهى مقدم الرأس والمراد هنا شعرها والجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال أخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه وأخذ به اذا كان المأخوذ شيأ من ملابسات المقصود بالاخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى وقول المستغيث خذ بيدى أخذ الله بيدك والمعنى تأخذ

الملائكة بنواصيهم أى بشعور مقدم رؤسهم وأقدامهم فيقذفونهم فى النار أو تسحبهم الملائكة الى النار تارة تأخذ بالنواصى وتجرهم على وجوههم أو يجمع بين نواصيهم وأقدامهم فى سلسلة من وراء ظهورهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من المواعظ والزواجر (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون) على ارادة القول أى يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ (يطوفون بينها) أى يدورون بين النار يحرقون بها (وبين حميم آن) أى ماء بالغ من الحرارة أقصاها يصب عليهم أو يسقون منه أى يطوفون من النار الى الحميم ومن الحميم الى النار دهشا وعطشا أبدا من أنى يأنى فهو آن مثل قضى يقضى فهو قاض اذا انتهى فى الحر والنضج قال أبو الليث يسلط عليهم الجوع فيؤتى بهم الى الزقوم الذى طلعها كرؤس الشياطين فأكلوا منها فأخذت فى حلوقهم فاستغاثوا بالماء فأتوا به من الحميم فاذا قربوه الى وجوههم تناثر لحم وجوههم ويشربون فتغلى أجوافهم ويخرج جميع ما فيها ثم يلقى عليهم الجوع فمرة يذهب بهم الى الحميم ومرة الى الزقوم وقال كعب الاحبار ان واديا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد أشير الى سر كون بيان أمثال هذه الامور من قبيل الآلاء مرارا فالآلاء فى أمثالها حكاياتها فقط للانزجار عما يؤدى الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصى بخلاف ما فصل فى أول السورة الى قوله كل يوم الخ فانها نعم واصلة اليهم فى الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدى الى استدامتها * وفى الآية اشارة الى الكاسبين بقدم مخالفة الشرع وموافقة الطبع الصفات الذميمة والاخلاق الرذيلة وهم يطوفون بين نار المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية وبين حميم الجهل فانه لا يقطع العطش ولا يروى الظمآن وانما ينفع الانسان فى الدنيا والآخرة العلم القطعى والكشف الصحيح ألا ترى الى علوم أهل الجدل فانها فى حكم الجهل لان أهلها منغمسون فى الشهوات واللذات مستغرقون فى الاوهام والخيالات ولما نبهه الله الامام الغزالى رحمه الله وأيقظه ونظر فاذا علومه التى صرف شطرا من عمره فى تعلمها وتعليمها لا تنقذه فى الآخرة رجع الى كتب الصوفية فتيقن أنه ليس أنفع من علومهم لكون معاملاتها ذات الله وصفاته وأفعاله وحقائق القرآن وأسراره فترك التدريس ببغداد وخرج الى طلب أهل تلك العلوم حتى يكون منها على ذوق بسبب صحبتهم فوفقه الله فكان من أمره ما كان وقد قال أبو يزيد البسطامى قدس سره أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت وقال الامام فخر الدين للشيخ نجم الدين قدس سره بم عرفت ربك قال بواردات ترد على القلوب فتعجز النفوس فى تكذيبها فالنفس كجهنم فيها نار الشهوات وحميم الجهالات فمن زكاها فى الدنيا عن أوصافها نجا يوم القيامة من الاحتراق والافتراق نعوذ بالله من سوء الحال وسيئات الاعمال وقبائح الاحوال * نمى تازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند گرفتن عنان * كه با نفس وشيطان برآيد بزور * مصاف پلنگان نيايد زمور (ولمن خاف مقام ربه) وبراى كسى كه بترسد از ايستادن پيش خداى تعالى وهو شروع فى تعداد النعم الفائضة عليهم فى الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم فى الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية والمقام اسم مكان ومقامه تعالى موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب كما قال

يوم يقوم الناس لرب العالمين فالاضافة للاختصاص الملكى اذ لا ملك يومئذ الا لله تعالى قال
فى عين المعانى نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه حين شرب لبنا على ظما فأعجبه ثم أخبر أنه من غير
حل فاستقاء فقال صلى الله عليه وسلم لما سمعه رحمك الله لقد أنزلت فيك آية ودخل فيه من
يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله (جنتان) جنة للخائف الانسى وجنة للخائف
الجنى على طريق التوزيع فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة
لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصى أو جنة يثاب بها وأخرى
يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد وقال فى الموضح دو باغ دهد ايشانرا در
بهشت كه يكى از ايشان صدساله راه طول وعرض داشته باشد ودرميان هر باغ سراهاى خوش
وحوران دلكش وقال الاستاذ القشيرى رحمه الله جنة معجلة هى لذة المناجاة والتلذذ بحقائق
المشاهدات وما يرد على قلوبهم من صدق الوردات وجنة مؤجلة وهى الموعودة فى الآخرة
وفى بحر العلوم قيل جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى لان الخطاب للثقلين وفيه نظر لقوله
عليه السلام ان مؤمنى الجن لهم ثواب وعليهم عقاب وليسوا من أهل الجنة مع أمة محمد هم على
الاعراف حائط الجنة تجرى فيه الانهار وتنبت فيه الاشجار والثمار يقول الفقير قد سبق فى
أواخر الاحقاف أن المذهب أن الجن فى حكم بنى آدم ثوابا وعقابا لانهم مكلفون مثلهم وان لم نعلم
كيفية ثوابهم فارجع الى التفصيل فى تلك السورة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قال محمد بن الحسن
رحمه الله بينا كنت نائما ذات ليلة اذا أنا بالباب يدق ويقرع فقلت انظروا من هو فقالوا رسول
الخليفة يدعوك فخفت على روحى فقمت ومضيت اليه فلما دخلت عليه قال دعوتك فى مسئلة
ان أم محمد يعنى زبيدة قلت لها انى امام العدل وامام العدل فى الجنة فقالت انك ظالم عاص
قد شهدت لنفسك بالجنة فكذبت بذلك على الله تعالى وحرمت عليك فقلت له يا امير المؤمنين
اذا وقعت فى معصية فهل تخاف الله فى تلك الحال أو بعدها فقال أى والله أخافه خوفا شديدا
فقلت له أنا أشهد أن لك جنتين لا جنة واحدة قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فلاطفنى
وأمرنى بالانصراف فلما رجعت الى دارى رأيت البدر متبادرة الى قال بعضهم هو المقام الذى
يقوم بين يدى ربه يوم القيامة عند كشف الستور وظهور حقائق الامور وسكوت الكل من
الانبياء والاولياء لظهور القدرة والجبروت فلا بد من الخوف من القيام فى ذلك المقام الهائل
* مالك بن دينار كفته دلى كه در وخوف نه همچون خانهٔ كه در وى خداوند نه خانهٔ كه در وى
خداوند نبود عنقريب آن خانه خراب شود ودلى كه در وخوف بود علامتش آنست كه خاطر را
از حرمت بر كند واخلاق را مهذب كرداند واطراف با دب دارد ابو القاسم حكيم كفته كه ترس
از خالق ديكرست وترس از مخلوق ديكر هركه از مخلوق ترسد از وى بكريزد وهركه از خالق ترسد
با وى كريزد يقول الله تعالى (ففروا الى الله) ترس از الله با شهوت ودينار نسازد هركه اسير شهوت
كشت ترس از دل وى رخت برداشت ودر دست ديو افتاد تا بهر درى كه ميخواهد اورا
مى كشد در آثار بيارند كه يحيى عليه السلام بر ابليس رسيد ودر دست ابليس بندها ديد از هر جنس
وهر رنك كفت اى شقى اين چه بندهاست كه در دست تو مى بينم كفت اين انواع شهوات فرزند
آدمست كه ايشانرا باين دربند آرم وبر مراد خويش مى دارم كفت يحيى را هيچ چيز شناسى كه با آن

دو وى طمع كنى كفت نه مكر يك چيز كه هركه كه طعام سير خورد كرانى طعام اورا ساعتى از غاز وذكر الله مشغول داردى يعنى كفت از خداى عزوجل پذيرفتم وباوى عهد بستم كه هركز طعام سير نخورم بزركى را پرسيدند كه خداى تعالى با اندوه كنان وترسندكان چه خواهد كرد كفت اكر اندوه براى او دارند وتحمل ترس از بهر او كشند هنوز نفس ايشان منقطع نشده باشد كه جام رحيق بردستشان نهند برآن نبشته كه أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة * اندوه غريبان بسر آيد روزى * دركاغريبان نظر آيد روزى * ترسند كانرا واندوه كانرا چهار بهشتست دو بهشت سيمين ودو بهشت زرين كما قال عليه السلام جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما * وفى التأويلات النجمية يشير الى من يخاف مقام الشهود ابقاء على نفسه لان الشهود الحقيق يفنى الشاهد عن شاهديته فى المشهود ويبقيه بالمشهود من آخر مراتب المشاهدة اذ لا لذة فى أوائل المشاهدة واليه أشار عليه السلام بقوله اللهم ارزقنا لذة النظر الى لقائك وبهذا المعنى كان يقول لعائشة رضى الله عنها حين يغيب عن حسه كلمينى يا حميراء للتبليغ والارشاد وقوله جنتان أى جنة الفناء فى نعمة المشهود وجنة البقاء بالمشهود قوله مقام ربه أى مقام شهود ربه بحذف المضاف فبأى آلاء ربكما تكذبان من نعمة الفناء فى الله ونعمة البقاء بالله (ذواتا أفنان) صفة للجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ وذواتا تثنية ذات بمعنى صاحبة وفى تثنيتها لغتان الرد على الاصل فان أصلها ذوية لانها مؤنثة ذوى والتثنية على اللفظ أن يقال ذاتا والافنان جمع فن اى ذواتا أنواع من الاشجار والثمار أو جمع فنن وهو الغصن المستقيم طولا أو الذى يتشعب من فروع الشجرة أى ذواتا أغصان متشعبة من فروع الشجرة وتخصيصها بالذكر لانها التى تورق وتثمر وتمد الظل وتجتنى منها الثمار يعنى أن فى الوصف تذكيرا لها على سبيل الكناية كأنه قيل ذواتا أوراق وأثمار وأظلال (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وليس فيها شئ يقبل التكذيب (فيهما عينان تجريان) صفة أخرى للجنتان فصل بينهما بقوله فبأى الخ مع أنه لم يفصل به بين الصفات الكائنة من قبيل العذاب حيث قال يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس مع أن ارسال النحاس غير ارسال الشواظ أى فى كل واحدة منهما عين من ماء غير آسن تجرى كيف يشاء صاحبها فى الاعالى والاسافل لما علم من وصف أنهار الجنة لامن حذف المفعول وقيل تجريان من جبل من مسك عن ابن عباس والحسن رضى الله عنهم تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقال أبو بكر الوراق رحمه الله فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه فى الدنيا تجريان من مخافة الله تعالى * برار از دو مرچشمهٔ ديده جوى * ورآلايشى دارى از خود بشوى * نريزد خدا آب روى كسى * كه ريزد كناه آب چشمش بسى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وفيه اشارة الى أن فى جنة الفناء عينا يجرى فيها ماء الحياة وهى البقاء بعد الفناء وفى جنة البقاء عينا يجرى فيها ماء العلم والمعرفة والحكمة والبقاء بعد الفناء يستلزم أنواع المعارف والحكم وأصناف الموائد والنعم فبأى آلاء ربكما تكذبان يا أصحاب السكر والغيبة ويا أرباب الصحو والحضور كما فى التأويلات النجمية (فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان معهود وغريب لم يره أحد ولم يسمع أورطب ويابس أو حلو وحامض ويقال لونان وقيل فى المنظر دون المطعم وعن

ابن عباس رضى الله عنهما مافى الدنيا حلوة ولا مرة الا وهى فى الجنة حتى الحنظل الا انه حلو وذلك لان مافى الجنة خلق من حلاوة الطاعات فلا يوجد فيها المر المخلوق من مرارة السيآت كزقوم جهنم ونحوه ولكون الجنة دار الجمال لا يوجد فيها اللون الاسود أيضا لانه من آثار الجلال والجملة صفة أخرى لجنتان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى من هذه النعم اللذيذة (متكئين) حال من الخائفين لان من خاف فى معنى الجمع والمعنى يحصل لهم جنتان متكئين أى جالسين جلسة الملوك جلوس راحة ودعة معتمدين (على فرش) جمع فراش بالكسر وهو مايفرش ويبسط ويستمهد للجلوس والنوم (بطائنها) جمع بطانة وهى بالكسر من الثوب خلاف ظهارته بالفارسية آستر (من استبرق) قرأ ورش عن نافع ورويس عن يعقوب من استبرق بحذف الالف وكسر النون لالقاء حركة الهمزة عليها والباقون باسكان النون وكسر الالف وقطعها والاستبرق ماغلظ من الديباج قيل هو استفعل من البريق وهو الاضاءة وقيل من البرقة وهو اجتماع ألوان وجعل اسما فأعرب اعرابه وقد سبق شرحه فى الدخان والمعنى من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها يعنى أن الظهارة كانت أشرف وأعلى كما قال عليه السلام لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذه الحلة فذكر المنديل دون غيره تنبيها بالادنى على الاعلى وقيل ظهائرها من سندس أو من نور أو هو مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين (وجنى الجنتين دان) جنى اسم بمعنى المجنى كالقبض بمعنى المقبوض لقول على رضى الله عنه

هذا جناى وخياره فيه * وكل جان يده الى فيه

ودان من الدنو وهو القرب أصله دانو مثل غازو أى مايجتنى من أشجارها من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع وبالفارسية وميوه درختان آن دو بهشت نزديكست كه دست قائم وقاعد ومضطجع بدان رسد وقال ابن عباس رضى الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقال قتادة لا يرد يده بعد ولاشوك وكفته اند كسانى كه تكيه دارند وميوه آرزو كنند شاخ درخت سر فرود آرد وآن ميوه كه خواهد بدهان وى درآيد يقول الفقير ان البعد انما نشأ من كثافة الجسم ولا كثافة فى الجنة وأهلها أجسام لطيفة نورانية فى صور الارواح وقد قال من قال (مصرع) بعد منزل نبود در سفر روحانى * وأيضا ان الطاعات فى الدنيا كانت فى مشيئة المطيع فثمراتها أيضا فى الجنة تكون كذلك فمتناولها بلا مشقة بل لاتناول أصلا فان سهولة التناول تصوير لسهولة الاكل فتلك الثمار تقع فى الفم بلا أخذ على ماقال البعض (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من هذه الآلاء اللذيذة الباقية (فيهن) أى فى الجنان المدلول عليها بقوله جنتان لما عرفت أنهما لكل خائفين من الثقلين أو لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية فى قوله متكئين (قاصرات الطرف) من اضافة اسم الفاعل الى منصوبه تخفيفا ومتعلق القصر وهو على أزواجهن محذوف للعلم به والمعنى نساء يقصرن أبصارهن على أزواجهن لاينظرن الى غيرهم وتقول كل منهن لزوجها وعزة ربى ما أرى فى الجنة شيأ أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجك وقصر الطرف أيضا من الحياء والغنج وبه ون قصر الطرف بر معناى حيا وغنج بود معنى قاصرات الطرف آنست كه

كنيزكان بهشتى نازنينانند از نازفروشكسته چشمانند * وقد يقال المعنى قاصرات طرف غيرهن عليهن أى اذا رآهن احد لم يتجاوز طرفه الى غيرهن لكمال حسنهن (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) الجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية يقال طمث المرأة من باب ضرب اذا افتضها بالتدمية أى أخذ بكارتها فالطمث الجماع المؤدى الى خروج دم البكر ثم أطلق على كل جماع طمث وان لم يكن معه دم وفى القاموس الطمث المس والمعنى لم يمس الانسيات أحد من الانس ولا الجنيات أحد من الجن قبل أزواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف يعنى حوران كه براى انس مقرر اند دست آدمى بدامن ايشان نرسيده باشد وآنانكه براى جن مقرر اند جن نيز دز ايشان تصرف نكرده باشد فهن كالرياض الانف وهى التى لم ترعها الدواب قط وفيه ترغيب لمصليهن اذ الرغبة للابكار فوق الرغبة للثيبات ودليل على أن الجن من أهل الجنة وأنهم يطمثون كما يطمث الانس فان مقام الامتنان يقتضى ذلك اذ لولم يطمثوا كن قبلهم لم يحصل لهم الامتنان به ولكن ليس لهم ماء كماء الانسان بل لهم هواء بدل الماء وبه يحصل العلوق فى أرحام اناثهم كما فى الفتوحات المكية وهذا يستدعى أن لا تصح المناكحة بين الانس والجن وكذا العكس وقد ذهب الى صحتها جم غفير من العلماء منهم صاحب آكام المرجان وأما قول ابن عباس رضى الله عنهما المخنثون أولاد الجن لان الله ورسوله نهيا أن يأتى الرجل امرأته وهى حائض فاذا أتاها سبقه اليها الشيطان فحملت فجاءت بالمخنث وكذا قول مجاهد اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه فلا يدل دلالة قطعية على أن جماعهم كجماع الانس وان من جماعهم الانس يحصل العلوق بل فيه دلالة على شركة الجن معه بسبب الحيض وعدم التسمية كشركة الشيطان فى الطعام الذى لم يسم عليه ونحوه فهو افساد بالخاصية واضرار بما يليق بمقامه والعلم عند الله تعالى ثم ان هؤلاء أى قاصرات الطرف من حور الجنة المخلوقات فيها ما يتبذلن ولم يمسسن وهذا قول الجمهور وقال الشعبى والكلبى من نساء الدنيا أى لم يجامعهن بعد النشأة الثانية أحد سواء كن فى الدنيا ثيبات أو أبكارا (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من هذه النعم التى هى لتمتع نفوسكم * وفيه اشارة الى أن فى الجنات للفانين فى الله الباقين به حورا من التجليات الذاتية والمعارف الالهية والحكم الربانية مستورات عن عيون الاغيار لا يتبرجن ولا يظهرن على غير أربابهن لم يطلع عليهن انس الروح ولا جان النفس لبقائهم بهم وظلمة نفسهم وكثافة طينتهم (كأنهن الياقوت والمرجان) صفة لقاصرات الطرف قد سبق بيان المرجان وأما الياقوت فهو حجر صلب شديد اليبس رزين صاف منه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر وأزرق وهو حجر لا تعمل فيه النار لقلة دهنيته ولا يثقب لغلاظة رطوبته ولا تعمل فيه المبارد لصلابته بل يزداد حسنا على مر الليالى والايام وهو عزيز قليل الوجود سيما الاحمر وبعده الاصفر أصبر على النار من سائر أصنافه وأما الاخضر منه فلا صبر له على النار أصلا وفى الطب أجود اليواقيت وأغلاها قيمة الياقوت الرمانى وهو الذى يشابه الرمان فى لونه ومن تختم بهذه الاصناف أمن من الطاعون وان عم الناس وأمن أيضا من اصابة الصاعقة والغرق ومن حمل شيأ منها أو تختم به كان معظما عند الناس ووجيها عند الملوك وأكل معجون الياقوت يدفع ضرر السم ويزيد فى القوة ومعنى الآية مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجنة

والمرجان أى صغار الدر فى بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر أنصع بياضا من كباره وقال قتادة فى صفاء الياقوت وبياض المرجان (وروى) عن أبى سعيد فى صفة أهل الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحمها ودمها وجلدها وعنه عليه السلام أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على أثرهم كأشد كوكب اضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة وريحهم المسك وعنه عليه السلام ان المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها ان الله يقول كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه وقال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من قدامها كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من النعم المتعلقة بالنظر والتمتع * وفيه اشارة الى أن هذه الحوراء العرفانية والحسناء الاحسانية ياقوت تجليات البسط والانشراح ومرجان تجليات الجمال والكمال من لطافة الوجنة كالياقوت الاحمر ومن طراوة البشرة كالمرجان الابيض فبأى آلاء ربكما تكذبان أبالمشبه أم بالمشبه به (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) هل يجىء على أربعة أوجه الاول بمعنى قد كقوله تعالى هل أتى والثانى بمعنى الامر كقوله تعالى فهل أنتم منتهون أى فانتهوا والثالث بمعنى الاستفهام كقوله تعالى فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا والرابع بمعنى ما الجحد كما فى هذه الآية أى ما جزاء الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب وعن أنس رضى الله عنه أنه قال قرأ رسول الله عليه السلام هل جزاء الخ ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتى وتوحيدى الا أن أسكنه جنتى وحظيرة قدسى برحمتى (قال الكاشفى) حاصل آيت آنست جزاء نيكى نيكست پس جزا دهند طاعات را درجات ومكافات كنند شكرها بزيادة ونفوس را بفرح وتوبه را بقبول ودعا را باجابت وسؤال را بعطا واستغفار را بمغفرت وخوف دنيا را بأمن آخرت وجزاء فنا فى الله بقا بالله

* هركه درراه محبت شد فنا * يافت از بحر لقا در بقا * هركرا شمشير شوقش سر بريد
* ميوهٔ وصل از درخت شوق چيد *

فغاية الاحسان من العبد الفناء فى الله ومن المولى اعطاء الوجود الحقانى اياه فعليك بالاحسان كل آن وحين فان الله لا يضيع أجر المحسنين (حكى) أن ذا النون المصرى قدس سره رأى عجوزا كافرة تنفق الحبوب للطيور وقت الشتاء فقال انه لا يقبل من الاجنبى فقالت أفعل قبل أو لم يقبل ثم انه رآها فى حرم الكعبة فقالت يا ذا النون أحسن الى نعمة الاسلام بقبضة من الحبة وروى أن مخالوفا مهيبا اعترض فى طريق الحج فمنع القافلة عن المرور فقال بعضهم لعله عطشان فأخذ بيده سقاء وبيده قربة ماء حتى دنا اليه فصب فى فيه قربة الماء حتى ارتوى وغاب ثم انه نام فى الرجوع من الحج فلما استيقظ رأى القافلة قد ذهبت فبقى وحيدا فى البرية وفى تلك الحيرة جاءه رجل معه راحلة وأمره بالقيام فركبها حتى لحق الحجاج فأقسم عليه من هو فقال أنا الذى رفعت عطشى بقربة الماء (وروى)

أن امرأة أعطت لقمة للسائل فأخذ ذئب ولدها في الصحراء فظهر شخص فأخرجه من فم الذئب وأعطاها اياه وقال هذه اللقمة بتلك اللقمة قال الحسن الاحسان أن يعم ولا يخص فيكون كالمطر والريح والشمس والقمر قال بعض أهل التحقيق الجنة جزاء الاعمال وأما جزاء التوحيد فرؤية الملك المتعال فذكر الله تعالى أحسن صنوف الاحسان (يروى) أن العبد اذا قال لا اله الا الله أتت أي هذه الكلمة الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وعن أبي ذر رضي الله عنه قال يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار فقال عليه السلام اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فانها بعشر أمثالها فقال يارسول الله لا اله الا الله من الحسنات فقال عليه السلام هي أحسن الحسنات ويكفي في شرف التوحيد أن الايمان الذي هو أصل الطاعات وتنوير القلب الذي هو محل نظر الحق وتصفية الباطن من أكدار السوى انما يحصل به (فبأي آلاء ربكما تكذبان) من نعمه الواصلة في الدنيا والآخرة (ومن دونهما جنتان) مبتدأ وخبر أي ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان أخريان لمن دونهم من أصحاب اليمين فالخائفون قسمان المقربون وأصحاب اليمين وهم دون المقربين بحسب الفضائل العلمية والعملية فدون بمعنى الادنى مرتبة ومنزلة لا بمعنى غير فالجنتان الاوليان أفضل من الاخريين كفضل المقربين على الابرار وقيل ليس دون من الدناءة بل من الدنو وهو القرب أي ومن دون هاتين الجنتين الى العرش أي أقرب اليه وأرفع منهما وحمله بعض المفسرين على معنى الغير (كما قال الكاشفي) وبجزاين بوستان كه مذكور شد دو بوستان ديكرست وكفته اند دو بوستان أول از زرست براى سابقان واين دو بوستان از نقره براى أصحاب يمين وأطلقهما صاحب كشف الاسرار حيث قال ومن دون الجنتين الاوليين جنتان أخريان جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ولكل رجل وامرأة من أهل الجنة جنتان احداهما جزاء عمله والاخرى ورثوها عن الكفار وقيل لكل واحد منهم أربع جنان في الجهات الاربع ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة الى جنة ويكون أمتع لانه أبعد من الملل فيما طبع عليه البشر وجملة معاني من دونهما فوقهما أو من دون صفتيهما أو من دونهما في الدرج أو أمامهما أو قبلهما

وفلاة من دونها سفرطا * ل وميل يفضي الى أميال

ويؤيد معنى الادنى مرتبة قول الشيخ نجم الدين في تأويلاته يشير الى جنتي الابرار القائمين بالاعمال الصحيحة والاقوال المستقيمة الناظرين الى المراتب السنية الطالبين للمراتب والمقامات العلية يعني أن لهم جنتين من دون جنتي المذكورين أعني الفانين عن ناسوتيتهم والباقين بلاهوتيته (فبأي آلاء ربكما تكذبان) مما ذكر من الجنتين (مدهامتان) صفة لجنتان يقال ادهام الشيء يدهام ادهيماما فهو مدهام اسود وفي تاج المصادر في باب الافعيلال الادهيمام سياه شدن لان الدهمة بالضم السواد والادهم الاسود ومنه قوله تعالى مدهامتان أي سوداوان يعني علا لونهما دهمة وسواد من شدة الخضرة والري وان شئت قلت خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وبالفارسية دو بهشت سبزاز بسيارى سبزى بسياهى رسيده والنظر الى الخضرة يجلو البصر كما قال عليه السلام ثلاث يجلون البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجاري والى

الوجه الحسن قال ابن عباس رضى الله عنهما والاثمد عند القوم وهو الكحل الاسود وأجوده
الاصفهانى وهو بارد يابس ينفع العين اكتحالا ويقوى أعصابها ويمنع عنها كثيرا من الآفات
والاوجاع سيما الشيوخ والعجائز وان جعل معه شئ من المسك كان غاية فى النفع وينفع من
حرق النار طلاء مع الشحم ويقطع النزف ويمنع الرعاف اذا كان من أغشية الدماغ
وفى الحديث خير أكحالكم الاثمد ينبت الشعر ويجلو البصر كما فى خريدة العجائب وفى قوله
مدهامتان اشعار بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض
وعلى الاولين الاشجار والفواكه ودل هذا على فضل الاولين على الاخرين * قال
فى التأويلات النجمية يشير به الى غلبة القوة النباتية على أصحاب هاتين الجنتين وهم أصحاب
اليمين والى غلبة القوة الروحانية على أصحاب الجنتين الاولين لان فيهما كثرة الاشجار والفواكه
وهم المقربون (فبأى آلاء ربكما تكذبان) حيث تتمتع أبصاركم بخضرة نباتات هاتين الجنتين
وتنتفع أنوفكم بشم رياحينهما قال الفقهاء اذا قرأ فى الصلاة آية واحدة هى كلمة واحدة نحو قوله
تعالى مدهامتان أو حرف واحد نحو ق وص ون فان كل حرف منها آية عند البعض فالاصح
أنه لا يجزى عن فرض القراءة لانه لا يسمى قارئا لان القراءة ضم الحروف والكلمات بعضها الى
بعض فى الترتيل (فيهما عينان نضاختان) يقال نضخه كمنعه رشه ونضخ الماء اشتد فورانه
من ينبوعه كما فى القاموس أى فوارتان بالماء لا تنقطعان وبالفارسية جوشنده بآب يعنى
هرچند از و بردارند ديكر جوشد وهذا يدل أيضا على فضل الاولين على الاخرين لانه تعالى
قال فى الاولين عينان تجريان وفى الاخرين نضاختان والنضخ دون الجرى لان النضخ هو
الفوران وهو يتحقق بأن يكون الماء بحيث كلما أخذ منه شئ فار آخر مكانه ولا يكفى هذا القدر
فى جريانه فلا شك أن الجرى أبلغ منه وقال ابن عباس رضى الله عنهما نضاختان بالمسك والعنبر
وقال الكلبى بالخير والبركة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) حيث يحصل لكم الرى من شراب تينك
العينين (فيهما فاكهة ونخل ورمان) عطف الاخيرين على الفاكهة كعطف جبريل وميكائيل
على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان بالفارسية انار فاكهة
ودواء يعنى بحسب حال الدنيا والا فالكل فى الجنة للتفكه ومن هذا قال أبو حنيفة رحمه الله
من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث خلافا لصاحبيه يعنى أن أبا حنيفة
لا يجعلهما من الفاكهة بخلاف صاحبيه وغيرهما فلا يحنث من حلف أن لا يأكل فاكهة
فأكل تمرا أو رمانا عنده وكذا الحكم عنده فى العنب ومن جعلهما من الفاكهة حملهما على
التخصيص بذكرهما بيانا لفضلهما كما مر آنفا وقد سبق بيان النخل مفصلا قال ابن عباس رضى
الله عنهما نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لاهل الجنة
منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال أو الدلاء أشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
وألين من الزبد ليس له عجم كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وأنهارها تجرى فى غير أخدود
والرمان من الاشجار التى لا تقوى الا بالبلاد الحارة (روى) عن ابن عباس رضى الله عنهما
ما لقحت رمانة قط الا بحبة من الجنة وقال الامام على رضى الله عنه اذا أكلتم الرمان فكلوه
بعض شحمه فانه دباغ للمعدة وما من حبة منه تقيم فى جوف مؤمن الا أنارت قلبه وأخرجت

شيطان الوسوسة منه أربعين يوما وفى الحديث من أكل رمانا أنار الله قلبه أربعين يوما ولا يخفى ما فى جمع الرمان مع أنار من اللطافة وأجوده الكبار الحلو المليس وهو حار رطب يلين الصدر والحلق ويجلو المعدة وينفع من الخفقان ويزيد فى الباءة وقشره تهرب منه الهوام * وفى التأويلات النجمية يشير الى ضعف استمداد أصحاب اليمين بالنسبة الى المقربين لان الرمان للدواء لا للتفكه وتهيئة الدواء فى البيت تدل على ضعف مزاج ساكن البيت (فبأى آلاء ربكما تكذبان) حيث هيأ لكم ما به تتلذذون من الفواكه (فيهن خيرات حسان) صفة أخرى لجنتان كالجملة التى قبلها والكلام فى جمع الضمير كالذى مر وفيما مر وخيرات مخففة من خيرات جمع خيرة لان خيرا الذى بمعنى أخير لا يجمع فلا يقال فيه خيرون ولا اخيرات ومعناها بالفارسية زنان بركزيده وقيل فى تفسير الخيرات أى لسن بذمرات ولا بخرات الذمر النتن والبخر بالتحريك النتن فى الفم والابط وغيرهما ولا متطلعات التطلع چشم داشتن وقولهم عافى الله من لم يتطلع فى فمك أى لم يتعقب كلامك (ولا متشوقات) التشوق خويشتن اراستن وچشم داشتن ويعدى بالى وفى القاموس شفته شوفا جلوته وشيفت الجارية تشاف زينت وتشوف تزين والى الخبر تطلع ومن السطح تطاول ونظر وأشرف (ولا ذربات) يقال ذرب كفرح ذربا وذرابة فهو ذرب حد والذربة بالكسر السليطة اللسان (ولا سليطات) السلط والسليط الشديد والطويل اللسان (ولا طماحات) يقال طمح بصره اليه كمنع ارتفع والمرأة طمحت فهى طامح وككتاب النشوز (ولا طوافات فى الطرق) أى دوارات (حسان) جمع حسنة وحسناء أى حسان الخلق والخلق يعنى نيكورويان ونيكو خويان وهن من الحور وقيل من المؤمنات الخيرات ويدل على الاول ما بعد الآية وفى الحديث لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على السموات والارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولعصابتها على رأسها خير من الدنيا وما فيها وروى لو أن حوراء بزقت فى بحر لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها وروى انهن يقلن نحن الناعمات فلا نبأس يعنى ما يم بانعمت كه درويش نمى شويم (الراضيات فلا نسخط) يعنى ما يم راضى كه غضب نمى كنيم (نحن الخالدات فلا نبيد) يعنى ما يم جاويد كه هلاك نمى شويم (طوبى لمن كنا له وكان لنا) وفى الاثر اذا قلن هذه المقالة أجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن فغلبنهن والله غلبنهن وفيه بيان أن هاتين الجنتين دون الاوليين لانه تعالى قال فى الاوليين فى صفة الحور العين كأنهن الياقوت والمرجان وفى الاخريين فيهن خيرات حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان قال فى التأويلات النجمية فيهن خيرات حسان من المعاملات الفاضلات والمكاشفات العاليات وهذا الوصف أيضا يدل على أن جنة المقربين أفضل من جنة الابرار وأصحاب اليمين لان ثمرة تلك الجنة الفناء والبقاء وثمرة هذه الجنة المعاملات وتحسين الاخلاق (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد أنعم عليكم بما به تستمتعون من النساء (حور) بدل من خيرات جمع حوراء وهى البيضاء ووصفت فى غير هذه الآية بالعين وهى جمع عيناء بمعنى عظيمة العين وقال بعضهم شديدة سواد العين يعنى سياه چشمانند (مقصورات فى الخيام) قصرن فى خدورهن وحبسن (قال الكاشفى) از چشمهاى بيكانكان نكاه داشته ودر خيمها بداشته

وفيه اشارة الى أنهن لا يظهرن لغير المحارم وان لم تكن الجنة دار التكليف وذلك لانهن من قبيل الاسرار وهي تصان عن الاغيار غيرة عليها يقال امرأة قصيرة وقصورة أي مخدرة مستورة لا تخرج ومقصورات الطرف على أزواجهن لا يبغين بهم بدلا والخيام جمع خيمة وهي القبة المضروبة على الاعواد هكذا أجمع خيام الدنيا وهي لا تشبه خيام الجنة الا بالاسم فانه قد قيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهلون ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون وقال ابن مسعود لكل زوجة خيمة طولها ستون ميلا وكفته اند مراد خانه است يعني مستورات في الحجال وحجله خانه بود براى داماد وعروس قال في القاموس الحجلة محركة كالقبة موضع يزين بالثياب والستور للعروس والجمع حجل وحجال قال البقلي رحمه الله وصف الله جواري جنانه اللاتي خلقهن لخدمة أوليائه وألبسهن لباس نوره وأجلسهن على سرير أنسه في حجال قدسه وضرب عليهن خيام الدر والياقوت ينتظرن أزواجهن من العارفين والمؤمنين المتقين لا يصرفن أبصارهن في انتظارهن عن مسالك الاولياء من أزواجهن الى غيره وفي الآية اشارة الى أن الاسماء تنقسم بالقسمة الاولى قسمين بعضها كونية أي لها مظاهر في الكون وبعضها غير كونية أي ليس لها مظاهر في الكون بل هي من المستأثرات الغيبية كما جاء في دعاء النبي عليه السلام اللهم اني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا أو استأثرت به في علم غيبك المكنون وقوله حور مقصورات يعني أن من خصائص هاتين الجنتين أن فيهما معاني وحقائق ما ظهرت مظاهرها في هذا العالم بل بعد في خيام الغيب المكنون في جنة السر (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقد خلق من النعم ما هي مقصورة ومحبوسة لكم (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) كالذي مر في نظيره في جميع الوجوه وقال بعضهم أي قبل أصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين قال في كشف الاسرار كرر ذلك زيادة في التشويق وتأكيدا للرغبة وفيه أنه ليس بتكرير لان الاول في أزواج المقربين وهذا في أزواج الابرار وقال محمد بن كعب ان المؤمن يزوج ألف ثيب وألف بكر وألف حوراء (فبأي آلاء ربكما تكذبان) مع أنه ليست كنعم الدنيا اذ قد تطمث المرأة في الدنيا ثم يتزوجها آخر نبيا فهن نعم باكورة فيها من طيب وصالها وبها من حسنها وبراعة جمالها لا يقدر أحد على حكايتها ولا يبلغ وصف الى نهايتها والعقول فيها حيارى والقلوب سكارى (متكئين) حال صاحبه محذوف يدل عليه الضمير في قبلهم (على رفرف) اما اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما تدلى من الاسرة من عالي الثياب أو ضرب من البسط أو الوسائد قال في المفردات الرفرف ضرب من الثياب مشبه بالرياض انتهى ومن معاني الرفرف الرياض وكان بساط انوشروان ستين ذراعا في ستين ذراعا يبسط له في ايوانه منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على الوان زهر الربيع وينشر اذا عدمت الزهور وفي القاموس الرفرف ثياب خضر تتخذ منها المجالس وتبسط وفضول المجالس والفرش وكل ما فضل فثني والفراش والرقيق من الديباج (خضر) نعت لرفرف جمع أخضر والخضرة أحد الالوان بين البياض والسواد وهو الى السواد أقرب فلهذا سمي الاسود أخضر والاخضر اسود (وعبقري) عطف على رفرف والمراد به الجنس ولذا وصف بالجمع وهو قوله (حسان) حملا على المعنى وهو جمع حسن والعبقري منسوب الى

عبقر تزعم العرب انه اسم بلد كثير الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب وقال قطرب ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسي وبختي قال في القاموس وعبقر موضع كثير الجن وقرية ثيابها في غاية الحسن والعبقري ضرب من البسط كالعباقري انتهى وفي المفردات قيل هو موضع للجن ينسب اليه كل نادر من انسان وحيوان وثوب قال الله تعالى وعبقري حسان وهو ضرب من الفرش جعله الله مثلا لفرش الجنة وفي التكملة عبقر اسم موضع يصنع فيه الوشي كانت العرب اذا رأت شيأ نسبته اليه فخاطبهم الله على عادتهم وفي فتح الرحمن العبقري بسط حسان فيها صور وغير ذلك والعرب اذا استحسنت شيأ واستجادته قالت عبقري قال ابن عطية ومنه قول النبي عليه السلام رأيت عمر بن الخطاب في المنام يستقي من بئر فلم أر عبقريا يفري فريه أي سيدا يعمل عمله وقيل عبقر اسم رجل كان بمكة يتخذ الزرابي ويجيدها فنسب اليه كل شئ جيد حسن وبالفارسية وبساطي قيمتي درغايت نيكوبي قوله تعالى في الاولين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وترك ذكر الظهارة لرفعة شأنها او خروجها عن كونها مدركة بالعقول والافهام وفي الآخرين متكئين على رفرف خضر وعبقري وبه يعلم تفاوت ما بينهما وقيل الاستبرق ديباج والعبقري موشى والديباج أعلى من الموشى قال ابن الشيخ الرفرف فراش اذا استقر عليه الولي طاربه من فرحه وشوقه اليه يمينا وشمالا وحيثما يريده الولي وروي في حديث المعراج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطاربه الى سند العرش فذكر عليه السلام أنه طاربي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي ولما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوي به حتى أداه الى جبريل فالرفرف خادم بين يدي الله من جملة الخدم مختص بخواص الامور في محل الدنو والقربة كما أن البراق دابة يركبها الانبياء مخصوصة بذلك فهذا الرفرف الذي سخره لاهل الجنتين هو متكؤهم وفرشهم يرفرف بالولي ويطير به على حافات تلك الانهار وحيث يشاء من خيامه وأزواجه وقصوره انتهى وهذا التقرير على تقدير ان يكون دون من الدنو ومعنى من دونهما أرفع منهما كما لا يخفى ويدل عليه أن الرفرف أعظم خطرا من الفرش المذكورة في قوله متكئين على فرش (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقد هيأ لكم ما تتكئون عليه فتستريحون (تبارك اسم ربك) تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من آلائه الفائضة على الانام أي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الآلاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشأنه من الامور التي من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه كذلك فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم مثل ثم اسم السلام عليكما اي ثم السلام عليكما قال في فتح الرحمن وهذا الموضع مما أريد فيه بالاسم مسماه * وفي التأويلات النجمية هذا يدل على أن الاسم هو المسمى لان الله تعالى هو المسمى في ذاته لا الاسم وان كان فبتبعيته وكذا الموصوف بالقهر واللطف والجلال والاكرام هو المسمى بحسب انتهى وفي الامالي وليس الاسم غير المسمى وفي شرح الاسماء الحسنى للزروقي الصحيح ان الاسم غير المسمى وأباه قوم وفصل آخرون وتوقف آخرون امتناعا لكن السلف لم يتكلموا في الاسم والمسمى ولا في الصفة والموصوف ولا في التلاوة والمتلو طلبا للسلامة وحذرا على الغير وهو

الورع (ذى الجلال والاكرام) وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير كفته اند اول چيزى كه از قرآن در مكه بر قريش آشكارا خواندند بعضى آيات از اول اين سوره بود روايت كردند از عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه كه كفت رسول عليه السلام مجتمع شدند كفتند تا اين غايت مردم قريش از قرآن هيچ نشنيدند درميان ما كيست كه ايشانرا قرآن بشنواند آشكارا عبد الله بن مسعود كفت آنكس من باشم كه قرآن آشكارا بر ايشان خوانم اكرچه ازان رنج وكزند آيد پس بيامد ودر انجمن قريش بيستاد وابتدا سوره رحمن خواندن دركرفت وخلقى ازان آيات برخواند قريش چون آن بشنيدند از سر غيظ وعداوت اورا زخمها كردند ورنجانيدند پس چون بعضى خوانده اورا فرا كذاشتند ونزديك اصحاب باز كشت فقالوا هذا الذى خشينا عليك يا ابن مسعود وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام كما فى كشف الاسرار قال الزروقى ذو الجلال والاكرام هو الذى له العظمة والكبرياء والافضال التام المطلق من عرف أنه ذو الجلال والاكرام هابه لمكان الجلال وأنس به لمكان الاكرام فكان بين خوف ورجاء وهو اسم الله الاعظم وقال بعضهم أسماء الله تعالى كلها أعظم لدلالتها على العظيم فانه اذا عظم الذات والمسمى عظم الاسماء والصفات وانما الكلام فى ذكرها بالحضور والشهود والاستغراق فى بحر الجود وهو ذكر الكمل من أفراد الانسان نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذاكرين له ظاهرا وباطنا أولا وآخرا

تمت سورة الرحمن بعون الملك المنان فى أواخر ذى القعدة الشريف من شهور سنة أربع عشرة ومائة وألف

(سورة الواقعة مكية وآيها تسع وتسعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا وقعت الواقعة) انتصاب اذا بمضمر أى اذا قامت القيامة وحدثت وذلك عند النفخة الثانية يكون من الاهوال ما لا يفى به المقال سماها واقعة مع أن دلالة اسم الفاعل على الحال والقيامة مما سيقع فى الاستقبال لتحقق وقوعها ولذا اختير اذا وصيغة الماضى فالواقعة من أسماء القيامة كالصاخة والطامة والآزفة (ليس لوقعتها كاذبة) قال الراغب يكنى عن الحرب بالوقعة وكل سقوط شديد يعبر عنه بذلك قال أبو الليث سميت القيامة الواقعة لصوتها والمعنى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله وتفترى بالشريك والولد والصاحبة وبأنه لا يبعث الموتى لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كاذبة مكذبة فاللام للتوقيت والكاذبة اسم فاعل أو ليس لاجل وقعتها أو فى حقها كذب بل كل ما ورد فى شأنها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه فاللام للتعليل والكاذبة مصدر كالعاقبة (خافضة) أى هى خافضة لاقوام (رافعة) لآخرين وهو تقرير لعظمتها على سبيل الكناية فان الوقائع العظام يرتفع فيها أناس الى مراتب ويتضع أناس وتقديم الخفض على الرفع للتشديد فى التهويل قال بعضهم خافضة لاعداء الله الى النار رافعة لاولياء الله الى الجنة أو تخفض أقواما بالعدل وترفع أقواما بالفضل أو تخفض أقواما بالدعاوى وترفع أقواما بالحقائق وعن ابن عباس رضى الله

عنهما

عهم ما تخفض أقواما كانوا مرتفعين فى الدنيا وترفع أقواما كانوا متضعين فيها آنرو زبلال
درويش را رضى الله عنه مى آرند با تاج وحله ومركب برد ابرد ميرتند تا بفردوس اعلى برند
وخواجه اورا امية بن خلف با اغلال وانكال وسلاسل بروى مى كشند تا بدرك اسفل برند آن
طيلسان پوش منافق را بآتش مى برند وآن قبا بسته مخلص را ببهشت مى فرستندان پيرمناجاتى
مبتدع را بآتش قهرمى سوزند وآن جوان خراباتى معتقد را بر تخت بخت مى نشانند * بسا پير
مناجاتى كه بى مركب فروماند * بسا رند خراباتى كه زين بر شيرنر بندد (اذا رجت الارض رجا)
الرج تحريك الشئ وازعاجه والرجرجة الاضطراب أى خافضة رافعة اذا حركت الارض
تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل ولا تسكن زلزلتها حتى تلقى جميع ما فى بطنها
على ظهرها (وبست الجبال بسا) أى فتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق
اذا لته والبسيسة سويق يلت فيتخذ زادا أو سيقت وسيرت من أماكنها من بس الغنم اذا ساقها
(فكانت) أى فصارت بسبب ذلك (هباء) أى غبارا وهو ما يسطع من سنابك الخيل أو الذى يرى
فى شعاع الكوة أو الهباء ما يتطاير من شرر النار أو ما ذرته الريح من الاوراق (منبثا) أى
منتشرا متفرقا وفى التفسير ان الله تعالى يبعث ريحا من تحت الجنة فتحمل الارض والجبال
وتضرب بعضها ببعض ولا تزال كذلك حتى تصير غبارا ويسقط ذلك الغبار على وجوه الكفار
كقوله تعالى وجوه يومئذ عليها غبرة وقال بعضهم ان هذه الغبرة هى التراب الذى أشار اليه
تعالى بقوله يا ليتنى كنت ترابا وسيجئ تحقيقه فى محله * وفى الآية اشارة الى قيامة العارفين وهى
قيامة العشق وسطوته وجذبة التوحيد وصدمته وهى تخفض القوى الجسمانية البشرية
المقتضية لاحكام الكثرة وترفع القوى الروحانية الالهية المستدعية لانوار الوحدة وصرصر
هذه القيامة اذا ضربت على أرض البشرية ومرت على جبال الانانية الانسانية جعلت
تعينهما متلاشيا فانيا فى ذاتهما وصفاتهما لا اسم لهما ولا رسم ولا أثر ولا عين بل هباء منبثا
لا حقيقة له فى الوجود كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله
عنده واليه الاشارة بقولهم اذا تم الفقر فهو الله ولا بد فى سلوك طريق الحق من ارشاد أستاذ
حاذق وتسليك شيخ كامل مكمل حتى تظهر حقيقة التوحيد بتغليب القوى الروحانية على
القوى الجسمانية كما قال العارف الربانى أبو سعيد الخراز قدس سره حين سئل عن التوحيد
ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة (وكنتم) اما خطاب للامة الحاضرة
والامم السالفة تغليبا أو للحاضرة فقط (أزواجا) أى أصنافا (ثلاثة) اثنان فى الجنة وواحد
فى النار وكل صنف يكون مع صنف آخر فى الوجود أو فى الذكر فهو زوج فردا كان أو شفعا
(فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) تقسيم للازواج الثلاثة
فأصحاب الميمنة مبتدأ خبره ما أصحاب الميمنة على أن ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره
والاصل ما هم أى أى شئ هم فى حالهم وصفتهم والمراد تعجب السامع من شأن الفريقين
فى الفخامة والفظاعة كأنه قيل ما عرفت حالهم أى شئ فاعرفها وتعجب منها فأصحاب الميمنة
فى غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة فى نهاية سوء الحال نحو زيد ما زيد حيث لا يقال الا فى
موضع التعظيم والتعجب وأصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة

لدنية أخذا من تيمنهم بالميامن أى بطرف اليمين وتشؤمهم بالشمائل أى بجانب الشمال كما تقول فلان منى باليمين والشمال اذا وصفته عندك بالرفعة والضعة تريد ما يلزم من جهتى اليمين والشمال من رفعة القدر وانحطاطه أو الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم أو الذين يكونون يوم القيامة على يمين العرش فيأخذون طريق الجنة والذين يكونون على شمال العرش فيقطع بهم الى النار أو أصحاب اليمن وأصحاب الشؤم فان السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم أو أصحاب الميمنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق وقال الله تعالى فى حقهم هؤلاء من اهل الجنة ولا أبالى واصحاب المشأمة الذين كانوا على شماله وقال الله تعالى فيهم هؤلاء من اهل النار ولا ابالى وفى القاموس اليمن البركة كالميمنة يمن فهو ميمون وأيمن والجمع ميامين وايامن واليمين ضد اليسار والجمع أيمن وايمان وايامن وأيامين والبركة والقوة والشؤم ضد اليمن والمشأمة ضد الميمنة (والسابقون السابقون) هم القسم الثالث من الازواج الثلاثة أخر ذكرهم ليقترن ببيان محاسن أحوالهم وأصل السبق التقدم فى السير تجوز به فى غيره من التقدم والجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقوله أنا أبو النجم وشعرى شعرى أو السابقون الاول مبتدأ والثانى تأكيد له كرر تعظيما لهم والخبر جملة قوله أولئك الخ وفى البرهان التقدير عند بعضهم السابقون ما السابقون فحذف ما لدلالة ما قبله عليه وهم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان فالمراد بالسبق هو السبق بالزمان أو الذين سبقوا فى حيازة الكمالات الدينية والفضائل اليقينية فالمراد بالسبق هو السبق بالشرف كما قال الراغب يستعار السبق لاحراز الفضل وعلى ذلك والسابقون السابقون أى المتقدمون الى ثواب الله وجنته بالاعمال الصالحة (أولئك) الموصوفون بذلك النعت الجليل وهو مبتدأ خبره قوله (المقربون) اى الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية * يقول الفقير عرف هذا المعنى من قوله عليه السلام اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن فانه يظهر منه أن الفردوس مقام المقربين لقربه من العرش الذى هو سقف الجنة ولم يقل أولئك المتقربون لانهم بتقريب ربهم سبقوا لا بتقرب انفسهم ففيه اشارة الى الفضل العظيم فى حق هؤلاء يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (فى جنات النعيم) متعلق بالمقربون أو بمضمر هو حال من ضميره أى كائنين فى جنات النعيم يعنى در بوستانها مشتمل بر أنواع نعمت قيل السابقون أربعة سابق أمة موسى عليه السلام وهو حزقيل مؤمن آل فرعون وسابق امة عيسى وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابقا أمة محمد عليه السلام وهما ابو بكر وعمر رضى الله عنهما وقال كعب هم اهل القرآن المتوجون يوم القيامة فانهم كادوا أن يكونوا انبياء الا انه لا يوحى اليهم والمراد بأهل القرآن الملازمون لقراءته والعاملون به وكان خلق النبى عليه السلام القرآن وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير فى حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر فى حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال وقال حضرة شيخى وسندى قدس سره فى بعض تحريراته العباد

ثلاثة أصناف صنف هم أهل اللسان وصنف هم أهل الذكر وصنف هم أهل الاحسان والصنف الاول أهل الفتور مطلقا وليس فيه بوجه من الحضور شئ أصلا وهم أهل البعد قطعا وليس لهم من القرب شئ جدا وهم أصحاب المشأمة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة وهم أرباب الغضب والقهر والجلال ولهم فى نار الجحيم عذاب اليم وماء حميم والصنف الثانى أهل الفتور من وجه وأهل الحضور من وجه وهم أهل البعد بوجه وأهل القرب بوجه وهم أصحاب الميمنة وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وهم أرباب الرحمة واللطف والجمال ولهم فى نور النعيم ثواب عظيم وسرور مقيم والصنف الثالث أهل الحضور مطلقا وليس فيهم بوجه من الفتور شئ أصلا وهم أهل القرب مطلقا وليس لهم من البعد شئ أصلا وهم السابقون والسابقون السابقون أولئك المقربون وهم أصحاب كمال الرضا والاجتباء والاصطفاء ولهم فى سر نعيم جنة الوصال دوام الصحبة والمشاهدة والمعاينة وبقاء تجلى الوجه الحق والجمال المطلق وهم أرباب الكمال المتوجه بوجه الجمال والجلال والصنف الاول قفا بلا وجه فى الظاهر والباطن والثانى وجه بلا قفا فى الظاهر وقفا بلا وجه فى الباطن والثالث وجه بلا قفا فى الظاهر والباطن لكونهم على تعين الوجه المطلق * وفى رسالته العرفانية أصحاب اليمين ممن سوى المقربين وجه بلا قفا فى الظاهر لحصول الرؤية لهم وقفا بلا وجه فى الباطن أى لعدم انكشاف البصيرة لهم وأصحاب الشمال قفا بلا وجه فى الظاهر أى باعتبار البداية ووجه بلا قفا فى الباطن أى باعتبار النهاية * وقال فى اللائحات البرقيات لهذكر بعضهم بمجرد اللسان فقط وهم فريق الغافلين من الفجار ولهم رد مطلقا فانهم يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل فقط وهم فريق المتيقظين من الابرار ولهم قبول بالنسبة الى من تحتهم لا بالنسبة الى من فوقهم وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل والقلب فقط وهم فريق أهل البداية من المقربين وقبولهم نسبى أيضا وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل والقلب والروح فقط وهم أهل الوسط من المقربين وقبولهم اضافى أيضا وذكر بعضهم كان مطلقا حيث تحقق لهم ذكر اللسان وفكر المذكور ومطالعة الآثار بالعقل وحضور المذكور ومكاشفة الاطوار بالقلب وأنس المذكور ومشاهدة الانوار بالروح والفناء فى المذكور ومعاينة الاسرار بالسر فلهم قبول مطلقا وليس لهم رد أصلا لان كمالهم وتمامهم كان حقيقيا جدا وهم أرباب النهاية من المقربين من الانبياء والمرسلين والاولياء الكاملين الاكملين * وفى التأويلات النجمية يشير الى مراتب أعاظم المملكة الانسانية ومقامات أكابرها وصناديدها وهم الروح السابق المقرب وجودا ورتبة والقلب المتوسط صاحب الميمنة والنفس الاخيرة صاحبة المشأمة أما تسمية الروح بالسابق فلسبقه بالتجليات الذاتية الرحمانية والتنزلات الربانية وبقاء طهارته ونزاهته ابتداء وانتهاء ووصف القلب بصاحب الميمنة لمنه والتيمن به وغلبة التجليات الصفاتية والاسمائية عليه ووصف النفس بصاحبة المشأمة لشؤمها وشؤميتها وتلعثمها عند اجابة دواعى الحق بالانقياد من غير عناد واعتناد وأما تقديم القلب والنفس على الروح فلسعة الرحمانية الواسعة كل شئ كما قال ورحمتى وسعت كل شئ وقال رحمتى سبقت غضبى اذ جعل النفس برزخا بين القلب والروح لتستفيد برحمته مرة من هذا وتارة من هذا وتصير منصبغة بنورانيتهما وتؤمن

بهما ان شاء الله تعالى كما قال تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ويقوله فى جنات النعيم يشير الى جنة الذات وجنة الصفات وجنة الافعال لان السابقين المقربين هم الفانون فى الله بالذات والصفات والافعال والباقون بالله بالذات والصفات والافعال واصاحب كل مقام من هذه المقامات الثلاثة جنة مختصة به جزاء وفاقا وهذه الجنات كلها شاملة للنعيم الدنيوى والاخروى ان فهمت الرموز الالهية فزت بالكنوز الرحمانية (ثلة من الاولين) أى هم أمم كثيرة من الاولين غير محصورة العدد وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهما السلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام وهذا التفسير مبنى على أن يراد بالسابقين غير الانبياء واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر وجماعة السابقين مع كثرتهم مقطوعة مكسورة من جملة بنى آدم وقال الراغب الثلة قطعة مجتمعة من الصوف ولذلك قيل للغنم ثلة ولاعتبار الاجتماع قيل ثلة من الاولين أى جماعة (وقليل من الآخرين) أى من هذه الامة ولا يخالفه قوله عليه السلام ان أمتى يكثرون سائر الامم أى يغلبونهم بالكثرة فان أكثرية سابقى الامم السالفة من سابقى هذه الامة لا تمنع أكثرية تابعى هؤلاء من تابعى أولئك مثل أن يكون سابقوهم ألفين وتابعوهم ألفا فالمجموع ثلاثة آلاف ويكون سابقوا هذه الامة ألفا وتابعوهم ثلاثة آلاف فالمجموع أربعة آلاف فرضا وهذا المجموع أكثر من المجموع الاول وفى الحديث أنا أكثر الناس تبعا يوم القيامة ولا يرده قوله تعالى فى أصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين فى أنفسهما لا تنافى أكثرية أحدهما من الآخر وسيأتى أن الثلتين من هذه الامة وقد روى مرفوعا أن الاولين والآخرين ههنا أيضا متقدموا هذه الامة ومتأخروهم وهو المختار كما فى بحر العلوم فالمتقدمون مثل الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ولما نزلت بكى عمر رضى الله عنه فنزل قوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين يعنى كريان شد وكفت يا نبى الله ما بتو كرويديم وتصديق كرديم واز ما اهل نجات نباشد مكر اندك اين آيت امد كه وثلة من الآخرين حضرت صلى الله عليه وسلم ايت بروى خواند وعمر فرمود كه رضينا من ربنا وفى الحديث أترضون أن تكونوا ربع اهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذى نفس محمد بيده انى لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة يعنى كونكم نصف أهلها بسبب أنه لا يدخلها الا نفس مسلمة وما أنتم فى أهل الشرك الا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود أو كالشعرة السوداء فى جلد الثور الاحمر أى فلا يستبعد دخول كلهم الجنة وقد ترقى عليه السلام فى حديث آخر من النصف الى الثلثين وقال ان أهل الجنة مائة وعشرون صفا وهذه الامة منها ثمانون قال السهيلى رحمه الله فى كتاب التعريف والاعلام قال عليه السلام نحن الآخرون السابقون يوم القيامة فهم اذا محمد صلى الله عليه وسلم وامته وأول سابق الى باب الجنة محمد عليه السلام وفى الحديث أنا أول من يقرع باب الجنة فأدخل ومعى فقراء المهاجرين وأما آخر من يدخل الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل اسمه جهينة فيقول أهل الجنة تعالوا نسأل جهينة فعنده الخبر اليقين فيسألونه هل بقى أحد فى النار ممن يقول لا اله الا الله * نماند بزندان دوزخ اسير * كسى راكه باشد چنين دستكير * يقول الفقير هذه خلاصة ما أورده أهل التفسير فى هذا

المقام والذي يلوح لي أن المقربين وان كانوا داخلين في أصحاب اليمين الا أن المراد بقوله تعالى
وثلة من الآخرين هي الثلة التي من أصحاب اليمين وهم هنا غير المقربين بقرينة تقسيم الازواج
وتبيين كل فريق منهم على حدة وكلامنا في المقربين خصوصا أعني السابقين من هذه الامة
هل هم أقل من سابقي الامم كما يدل عليه ظاهر قوله تعالى وقليل من الآخرين أو هم أكثر
كما يدل عليه بعض الشواهد والظاهر أنهم أكثر مثل أصحاب اليمين والآية محمولة على
متقدمي هذه الامة ومتأخريها كما أشير اليه سابقا وذلك لان النبي عليه السلام شبه علماء هذه
الامة بأنبياء بني اسرائيل ولا شك أن الانبياء كلهم من المقربين وعلماء هذه الامة لا نهاية
لهم دل عليه أن الاولياء في كل عصر من أعصار هذه الامة عدد الانبياء وهم مائة ألف وأربعة
وعشرون ألفا وقد يزيد عددهم على عدد الانبياء بحسب نورانية الزمان وقد ثبت أن كل
أربعين مؤمنا في قوة ولي عرفي فاذا كان صفوف هذه الامة يوم القيامة ثمانين فظاهر
أن عددهم يزيد على عدد الاولين وبزيادة العدد يزيد الاولياء أصحاب اليمين وبزيادتهم يزيد
الاولياء المقربون السابقون فان في العدد المذكور منهم الغوث والاقطاب والكمل فاعرف
وفي التأويلات النجمية يشير بقوله ثلة من الاولين الى كثرة أرباب القلوب صواحب التجليات
الجزئية الصفاتية والاسمائية وكثرة أصحاب اللذات النفسانية الظلمانية وبقوله وقليل من
الآخرين المحمديين يشير الى أرباب الارواح الطاهرة صواحب التجليات الذاتية المقدسة عن
كثرات الاسماء والصفات الاعتبارية (على سرر موضونة) حال أخرى من المقربين والسرر جمع
سرير بالفارسية تخت والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت أو المتواصلة من
الوضن وهو نسج الدرع ثم استعير لكل نسج محكم (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير
المستكن فيما تعلق به على سرر والتقابل أن يقبل بعضهم على بعض اما بالذات واما بالعناية
والمودة أي مستقرين على سرر متكئين عليها أي قاعدين قعود الملك للاستراحة متقابلين
لا ينظر بعضهم من أقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب
وقال أبو الليث متقابلين في الزيارة (وقال الكاشفي) برابر يكديكر يعني روى باروى تابديدار
يكديكر مستأنس ومسرور باشند (يطوف عليهم) أي يدور حولهم للخدمة حال الشرب وغيره
(ولدان) جمع وليد وخدمة الوليد أمتع من خدمة الكبير يعني خدمت كودك زيباترست از
خدمت كبار (مخلدون) مبقون أبدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها لانهم خلقوا
للبقاء ومن خلق للبقاء لا يتغير قال في الاسئلة المقحمة هؤلاء هل يدخلون تحت قوله تعالى كل
نفس ذائقة الموت والجواب أنهم لا يموتون فيها بل يلقى عليهم بين النفختين نوم انتهى * وازين
معلوم شدكه اين كودكان راحق تعالى بجهت كرم خود آفريده باشد براى خدمت بهشتيان
* فهم للخدمة لا غير والحور العين للخدمة والمتعة وقيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات
فيثابون عليها ولا سيآت فيعاقبون عليها وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة ولفظ
الولدان يشهد لابي حنيفة رحمه الله في أن أطفال المشركين خدم أهل الجنة لان الجنة لا ولادة
فيها ويجوز أن يكون معنى مخلدون مقرطون يعني آراستكان بكوشوارهاى زرين والخلد
السوار والقرط كالخلدة محركة والجمع كقردة وولدان مخلدون مقرطون أو مسورون أو لا

بهرمون ابداولايتجاوزون حد الوصافة كما فى القاموس وقال فى كشف الاسرار الخلادة القلادة لغة قطانية (بأكواب) من الذهب والجواهر أى بآنية لاعرى لها ولا خراطيم وهى الاباريق الواسعة الرأس لاخرطوم لها ولا يعوق الشارب منها عائق عن شربه من أى موضع أراد منها فلا يحتاج أن يحول الاناء من الحالة التى تناولها بها ليشرب (وأباريق) جمع ابريق وهو الذى له عروة وخرطوم يبرق لونه من صفائه وقيل انها أعجمية معربة آبريز أى بآنية ذات عرى وخراطيم ويقال الكوب للماء وغيره والابريق لغسل الايدى والكأس لشرب الخمر كما قال (وكأس من معين) أى وبكأس من خمر جارية من العيون أخبر أن خمر الآخرة ليست كخمر الدنيا تستخرج بتكلف وعلاج وتكون فى أوعية بل هى كثيرة جارية كما قال وأنهار من خمر والكأس القدح اذا كان فيها شراب والا فهو قدح يقال معن الماء اذا جرى فهو فعيل بمعنى الفاعل أوظاهرة تراها العيون فى الانهار كالماء المعين وهو الظاهر الجارى فيكون بمعنى مفعول من المعاينة من عانه اذا شخصه وميزه بعينه قال فى القاموس المعن الماء الظاهر ومعن الماء أساله وأمعن الماء جرى والمعنان بالضم مجارى الماء فى الوادى فان قلت كيف جمع الاكواب والاباريق وأفرد الكأس فالجواب أن ذلك على عادة أهل الشرب فانهم يعدون الخمر فى الاوانى المتعددة ويشربون بكأس واحدة (لايصدعون عنها) الصدع شق فى الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما ومنه استعير الصداع وهو الانشقاق فى الرأس من الوجع ومنه الصديع للفجر أى لا ينالهم بسبب شربها صداع كما ينالهم ذلك من خمر الدنيا وحقيقته لايصدر صداعهم عنها قال ابن عباس رضى الله عنهما فى الخمر أربع خصال السكر والصداع والقىء والبول وليست فى خمر الجنة بل هى لذة بلا أذى (ولا ينزفون) أى لا يسكرون يعنى لاتذهب عقولهم أو لا ينفد شرابهم من أنزف الشارب اذا نفد عقله أو شرابه فالنفاد اما للعقل وهو من عيوب خمر الدنيا أو للشراب فان بنفادها تختل الصحبة (وفاكهة مما يتخيرون) يقال تخيرت الشئ أخذت خيره أى يختارونه ويأخذون خيره وأفضله من ألوانها وكلها خيار وهو عطف على بأكواب أى يطوف عليهم ولدان بفاكهة وهو ما يؤكل من الثمار تلذذا لاحفظا للصحة لاستغنائهم عن حفظ الصحة بالغذاء فى الجنة وليس ذلك كقوت الدنيا الذى يتناوله من يضطر اليه ويضيق عليه التأخر عنه وهو اشارة الى أنه يتناول المأكولات التى يتنعم بها ثم ذكر اللحم الذى هو سيد الادام وكانت العرب يتوسعون بلحمان الابل ويعز عندهم لحم الطير الذى هو أطيب اللحوم ويسمون بها عند الملوك وعدوها ثقيلا (ولحم طير مما يشتهون) أى يتمنون مشويا أو مطبوخا يتناولونها مشتهين لها لامضطرين ولا كارهين وآن آن بودكه مومنان برخوان نشسته باشند مرغ بيايد ودر پيش ايشان برشاخ طوبى نشيند وآواز دهد كه من آنم كه هيچ چشمه نيست در بهشت كه ازان نچشيده ام وهيچ درختى نيست كه من از ميوۀ آن نخورده ام كوشت من خوشترين همه كوشتهاست پس بهشتى كوشت ويرا آرزو كند مرغ ازان شاخ طوبى دركرد وبرسر خوان فتد سه قسمت شود يكى پخته ويكى قديد ويكى بريان پس بهشتى چندانكه خواهد بخورد ديكر باره بقدرت حق زنده شود وبپرد * وفى الاسئلة المقحمة انما قال وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ففارق بين اللفظين والجواب لان الفواكه كما تكون للاكل

تكون

فيكون أيضا للنظر والشم وأما لحم الطير فيختلف الشهوات فى أكل بعض أجزائه دون البعض ولما لم يكن بعد الاكل والشرب أشهى من الجماع قال (وحور عين) عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أى وفيها أولهم حور عين أى نساء وحور جمع حوراء وهى البيضاء أو الشديدة بياض العين والشديدة سوادها وعين جمع عيناء وهى الواسعة الحسنة العين وهن خلقن من تسبيح الملائكة كما فى عين المعانى (كأمثال اللؤلؤ المكنون) صفة لحور أو حال أى الدر المخزون فى الصدف لم تمسه الايدى ولم تره الاعين أو المصون عما يضربه ويدنسه فى الصفاء والنقاء ولما بالغ فى وصف جزائهم بالحسن والصفاء دل على أن أعمالهم كانت كذلك لان الجزاء من جنس العمل فقال (جزاء بما كانوا يعملون) مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم الصالحة فى الدنيا فما جزاء الاحسان الا الاحسان فالمنازل منقسمة على قدر الاعمال وأما نفس دخول الجنة فبفضل الله ورحمته لا بعمل عامل فمن طمع فى أن يدخل الجنة ويأكل من النعم اللذيذ ويشرب من الشراب الهنىء ويستمتع بالحور العين آثر وجه زواجها (ويروى) أن الحوراء اذا مشت سمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك فى نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ تصران أى تصوتان بالتسبيح على كل امرأة سبعون حلة ليست منها حلة على لون الاخرى وسبعون لونا من الطيب ليس منها لون على لون الآخر لكل امرأة سبعون سريرا من ياقوت أحمر منسوجة بالدر على كل سرير سبعون فراشا بطائنها من استبرق وفوق السبعين فراشا سبعون أريكة لكل امرأة منهن سبعون وصيفة بيد كل وصيفة صحفتان من ذهب فيهما لون من طعام يجد لآخر لقمة منه لذة لا يجدها لاولها ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سواران من ذهب موشح بياقوت أحمر وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول اخطب زوجة لا تسلبها منك المنايا واعرس بها فى دار لا يخربها دوران البلايا واسلك لها حجلة لا تحرقها نيران الرزايا (وروى) أنهن خلقن من الزعفران كما فى كشف الاسرار (لا يسمعون فيها لغوا) أى باطلا قال فى القاموس اللغو واللغا السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره وفى المفردات اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذى يورد لا عن روية وفكر فيجرى مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور (ولا تأثيما) ولا نسبة الى الاثم أى لا يقال لهم أثمتم أى لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع والاثم اسم للافعال المبطئة عن الثواب والجمع آثام (الا قيلا) أى قولا (سلاما سلاما) بدل من قيلا والاستثناء منقطع أى لكنهم يسمعون فيها قولا سلاما سلاما أو هو من باب لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى فى أنه من التعليق بالمحال ومعنى سماعهم السلام أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام أو لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الاسلام الآخر بدأ أو ردا * وفى الآية اشارة الى أن جنان السابقين المقربين صافية عن الكدورات المنغصة لساكنيها فارغة عن العاملات المعبسة لقاطنيها لا يقول أهلها الا مع الحق ولا يسمعون الا من الحق بتجلى الحق لهم عن اسمه السلام المشتمل على السلامة من النقائص والآفات المتضمن للقربات والكرامات اعلم أن أعز السلام سلام الله على عباده كما قال سلام قولا من رب رحيم ثم سلام الارواح العالية كما حكى عن بعض الصالحين أنه قال كان لى ابن استشهد فلم أره فى المنام الا ليلة توفى عمر بن عبد العزيز رضى

الله عنه وهو سابع الخلفاء الاثنى عشر تراءى لى تلك الليلة فقلت يابنى ألم تكن ميتاً فقال لا ولكنى استشهدت وأتانى عبد الله أرزق فقلت له ما جاء بك فقال نودى فى أهل السماء ألا لا يبقى نبى ولا صديق ولا شهيد الا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلاة ثم جئتكم لاسلم عليكم (يقول) الفقير شاهدت فى الحرمين الشريفين حضور الارواح للصلوات والطواف وسلام بعضهم على بعض حتى سلمت أنا فى السحر الاعلى عند مقام جبرائيل على الخلفاء الاربعة والملائكة الاربعة ولله الحمد على ذلك

سلام من الرحمن نحو جنابه * لان سلامى لا يليق ببابه

(وأصحاب اليمين) شروع فى تفصيل ما أجمل عند التقسيم من شؤنهم الفاضلة اثر تفصيل شؤن السابقين وهو مبتدأ خبره جملة قوله (ما أصحاب اليمين) أى لا تدرى ما لهم من الخير والبركة بسبب فواضل صفاتهم وكوامل محاسنهم (فى سدر) أى هم فى سدر (مخضود) أى غير ذى شوك لا كسدر الدنيا فان سدر الدنيا مخلوق بشوك وسدر الجنة بلا شوك كأنه خضد شوكه أى قطع ونزع عنه فقوله سدر مخضود اما من باب المبالغة فى التشبيه أو مجاز بعلاقة السببية فان الخضد سبب لانقطاع الشوك وقيل مخضود أى مثنى أغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب فمخضود على هذا الوجه من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والسدر شجر النبق وهو غير معروف محبوب عند العرب يتخذون من ورقه الحرض وفى المفردات السدر شجر قليل الغذاء عند الاكل وقد يخضد ويستظل به فجعل ذلك مثلا لظل الجنة ونعيمها قال بعضهم ليس شئ من ثمر الجنة فى غلف كما يكون فى الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه (وطلح منضود) قد نضد حمله وتراكب بعضه على بعض من أسفله الى أعلاه ليست له سوق بارزة وهو شجر الموز وهو شجر له أوراق كبار وظل بارد كما أن أوراق السدر صغار أو هو أم غيلان وله أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة يقصد العرب منه النزهة والزينة وان كان لا يؤكل منه شئ وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن مجاهد كان لاهل الطائف واد معجب فيه الطلح والسدر فقالوا ياليت لنا فى الجنة مثل هذا الوادى فنزلت هذه الآية وقد قال تعالى ولكم فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فذكر لكل قوم ما يعجبهم ويحبون مثله وفضل طلح الجنة وسدرها على ما فى الدنيا كفضل سائر ما فى الجنة على ما فى الدنيا (وظل ممدود) ممتد لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس والعرب تقول للشئ الذى لا ينقطع ممدود وفى الحديث فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها وعن ابن عباس رضى الله عنهما شجرة فى الجنة على ساق يخرج اليها أهل الجنة فيتحدثون فى أصلها ويتذكر بعضهم ويشتهى لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا وقال فى كشف الاسرار ويحتمل أن الظل عبارة عن الحفظ تقول فلان فى ظل فلان أى فى كنفه لانه لا شمس هناك انتهى * يقول الفقير بل المراد منه الراحة كما فى قوله تعالى وندخلهم ظلا ظليلا لانه انما يجلس المرء فى الظل للاستراحة وكانت العرب يرغبون فيه لقلته فى بلادهم وغلبة حرارة الشمس ومنه قوله عليه السلام السلطان ظل الله فى أرضه يأوى اليه كل مظلوم أى يستريح عند عدله ومنه قولهم مد الله ظلاله أى ظلال

عدله ورأفته حتى يصل أثر الاستراحة الى الناس كلهم (وماء مسكوب) يسكب لهم ويصب أينما شاؤا وكيفما أرادوا بلا تعب أو مصبوب سائل يجرى على الارض فى غير أخدود ولا ينقطع يعنى كون الماء مسكوبا كثيرا اما عبارة عن كونه ظاهرا مكشوفا غير مختص ببعض الاماكن والكيفيات أو عن كونه جاريا وأكثر ماء العرب من الآبار والبرك فلا ينسكب فلا يصلون الى الماء الا بالدلو والرشاء فوعدوا بالماء الكثير الجارى حتى يجرى فى الهواء على حسب الاشتهاء كأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لاهل المدن وحال أصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لاهل البوادى ايذانا بالتفاوت بين الحالين فكما ان بينهما تفاوتا فكذا بين حاليهما (وفاكهة كثيرة) بحسب الانواع والاجناس (لا مقطوعة) فى وقت من الاوقات كفواكه الدنيا (ولا ممنوعة) عن متناوليها بوجه من الوجوه كبعد المتناول وانعدام ثمن يشترى به وشوك فى الشجر يؤذى من يقصد تناولها وحائط يمنع الدخول ونحوها من المحظورات وفى الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا أبدل الله مكانها ضعفين (وفرش) جمع فراش وهو ما يبسط ويفرش أى هم فى بسط (مرفوعة) أى رفيعة القدر أو مرتفعة وارتفاعها كما بين السماء والارض وهو مسيرة خمسمائة عام أو مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش هى النساء حيث يكنى بالفراش وباللباس والازار عن المرأة وفى الحديث الولد للفراش فسمى المرأة فراشا وارتفاعها كونهن على الارائك دل عليه قوله تعالى (انا أنشأناهن انشاء) وعلى الاول أضمرهن لدلالة ذكر الفرش التى هى المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولاد ابداء واعادة أما الابداء فكما فى الحور لانهن أنشأهن الله فى الجنة من غير ولادة وأما الاعادة فكما فى نساء الدنيا المقبوضة عجائز وفى الحديث (هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا) جمع شمطاء والشمط بياض شعر الرأس يخالطه سواد (رمصا) جمع رمصاء والرمص بالتحريك وسخ يجتمع فى الموق جعلهن الله تعالى بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد فى الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رضى الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال عليه السلام ليس هناك وجع وقد فعل الله فى الدنيا بزكريا عليه السلام فقال تعالى وأصلحنا له زوجه سئل الحسن عن ذلك الصلاح فقال جعلها شابة بعد أن كانت عجوزا وولودا بعد أن كانت عقيما وذلك قوله تعالى (فجعلناهن) بعد أن كن عجائز (أبكارا) أى عذارى جمع بكر والمصدر البكارة بالفتح قال الراغب البكرة أول النهار وتصور منها معنى التعجيل لتقدمها على سائر أوقات النهار فقيل لكل متعجل بكر وسميت التى لم تفتض بكرا اعتبارا بالثيب لتقدمها عليها فيما يراد له النساء قال سعدى المفتى ان أريد بالانشاء معنى الابداء فالجعل بمعنى الخلق وقوله أبكارا حال وان أريد به الاعادة فهو بمعنى التصيير وأبكارا مفعوله الثانى قال بعضهم دل قوله فجعلناهن أبكارا على أن المراد بهن نساء الدنيا لان المخلوقة ابتداء معلوم أنها بكر وهن أفضل وأحسن من حور الجنة لانهن عملن الصالحات فى الدنيا بخلاف الحور وعن الحسن رضى الله عنه قالت عجوز عند عائشة رضى الله عنها من بنى عامر يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت وهى تبكى فقال عليه السلام أخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية (عربا) جمع عروب كرسل جمع رسول وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل واشتقاقه من أعرب اذا

بين والعرب تبين محبتها لزوجها بشكل وغنج وحسن وفى المفردات امرأة عروبة معربة بحالها عن عفتها ومحبة زوجها وفى بعض التفاسير عربا أى كلامهن عربى (أترابا) جمع ترب بالكسر وهى اللدة والسن ومن ولد معك وهى تربى أى مستويات فى سن بنت ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن والقامة ستون ذراعا فى سبعة أذرع على قامة أبيهم آدم شباب جرد مكحولون أحسنهم كالقمر ليلة البدر وآخرهم كالكوكب الدرى فى السماء يبصر وجهه فى وجهها وتبصر وجهها فى وجهه لا يبزقون ولا يتمخطون وما كان فوق ذلك من الاذى فهو أبعد وفى الحديث ان الرجل ليفتض فى الغداة سبعين عذراء ثم ينشئهن الله أبكارا وقال عليه السلام ان الرجل من أهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف ثيب وثمانية آلاف بكر يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا * ودر تبيان آورده كه جمله را ببهشت آرند بدين سن سازند وبشوهر دهند وعجوزه را نيز رد كنند بدين سن اگر شوهر نداشته باشد در دنيا بعضى از اهل بهشت دهند واگر شوهر داشته باشد اما شوهر او از اهل بهشت نبوده چون امرأة فرعون اورا بيكى از بهشتيان دهند واگر زوج او بهشتى بود باز بدو ارزانى دارند واگر زياده از يك شوهر داشته باشد وهمه بهشتى باشند بزوج اخرين نامزد كنند * وفى الحديث أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء الجابية بالجيم بلد بالشام وصنعاء بلد باليمن كثيرة الاشجار والمياه تشبه دمشق وفى الحديث تقول الحوراء لولى الله كم من مجالس من مجالس ذكر الله قد أكرمك به العزيز أشرفت عليك بدلالى وغنجى وأترابى وأنت قاعد بين أصحابك تخطبنى الى الله فترى شوقك كان يعدل شوقى أو جدك كان يعدل جدى والذى أكرمنى بك وأكرمك بى ما خطبتنى الى الله مرة الا خطبتك الى الله سبعين مرة فالحمد لله الذى أكرمنى بك وأكرمك بى (لاصحاب اليمين) متعلقة بأنشأنا (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) أى هم أمة من الاولين وأمة من الآخرين وفى الحديث هم جميعا من أمتى أى الثلتان من أمتى فعلى هذا التابعون باحسان ومن جرى مجراهم ثلة أولى وسائر الامة ثلة أخرى فى آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال عرضت على الامم فجعل يمر النبى معه الرجل والنبى معه الرجلان والنبى معه الرهط والنبى ليس معه رهط والنبى ليس معه أحد ورأيت سوادا كثيرا سد الافق فقيل لى انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا سد الافق فقيل لى هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وفى رواية عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الانبياء الليلة باتباعها حتى أتى على موسى فى كبكبة من بنى اسرائيل أى فى جماعة منهم فلما رأيتهم أعجبونى فقلت أى رب من هؤلاء قيل هذا أخوك موسى ومن معه من بنى اسرائيل فقلت فأين أمتى قيل انظر عن يمينك فاذا ظراب مكة قد سدت بوجوه الرجال وهو جمع ظرب ككتف وهو ما نتأ من الحجارة وحد طرفه والجبل المنبسط أو الصغير كما فى القاموس قيل هؤلاء أمتك أرضيت قلت رب رضيت رب رضيت قيل انظر عن يسارك فاذا الافق قد سد بوجوه الرجال قيل هؤلاء أمتك أرضيت قلت رب رضيت رب رضيت فقيل ان مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بلا حساب عليهم فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ان استطعتم أن

تكونوا من السبعين فكونوا وان عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الطراب وان عجزتم فكونوا من الافق فانى قد رأيت ثمة أناسا يتهاوشون كثيرا * يعنى اكر عاجز آييد پس باشيد از اهل افق كه من ديده ام آنجا مردم بسيار مختلط وبند قال فى القاموس الهوش العدد الكثير والهوشة الاختلاط والهويشة الجماعة المختلطة والهواشات بالضم الجماعات من الناس والتهاوش فى الحديث جمع تهواش مقصور من التهاويش تفعال من الهوش وتهوشوا اختلطوا كتهاوشوا وعليه اجتمعوا وهاوشهم خالطهم وروى أنه قال صلى الله عليه وسلم انى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ثم تلا ثلة من الاولين وثلة من الآخرين * يقول الفقير الذى يحصل من هذا أن الابرار كثير من هذه الامة فى أوائلها وأواخرها وكذا من الامم السابقة وأما السابقون فكثير من هذه الامة فى أوائلها دون أواخرها كما دلت عليه الآية المتقدمة وكذا قول الحسن البصرى رحمه الله حيث قال رأيت سبعين بدريا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم وكانوا بالبلاء أشد منكم فرحا بالرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا أخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا أشراركم حكموا بأنهم لا يؤمنون بيوم الحساب ان عرض عليهم الحلال من المال تركوه خوفا من فساد قلوبهم انتهى وأما السابقون من الامم السالفة فان انضم اليهم الانبياء فهم أكثر من سابقى هذه الامة والا فلا كما حققناه سابقا وذلك أن زهاد الامم وان كانوا أكثر من زهاد هذه الامة لكنهم لعدم استقرار أكثرهم على اليقين قلوا وأما هذه الامة فمع قلتهم بالنسبة اليهم كثروا لثباتهم على اليقين والاعتقاد والاعتصام بالقرآن كما ورد فى بعض الاخبار (وأصحاب الشمال) شروع فى تفصيل أحوالهم وهم الكفار لقوله تعالى والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة (ما أصحاب الشمال) أى لا تدرى ما لهم من الشر وشدة الحال يوم القيامة (فى سموم) أى هم فى حر نار تنفذ فى المسام وهى ثقب البدن وتحرق الاجساد والاكباد قال فى القاموس السموم الريح الحارة تكون غالبا فى النهار والحرور الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار (وحميم) وهو الماء المتناهى فى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان أسود بهيم فان اليحموم الدخان والاسود من كل شئ كما فى القاموس يفعول من الحمة بالضم وهو الفحم تقول العرب أسود يحموم اذا كان شديد السواد قال الضحاك النار سوداء وأهلها سود وكل شئ فيها أسود ولذا لا يكون فى الجنة اسود الا الخال وأشفار العين والحاجب * يقول الفقير فيه تحذير عن شرب الدخان الشائع فى هذه الاعصار فانه يرتفع حين شربه ويكون كالظل فوق شاربه مع ما شربه من الغوائل الكثيرة ليس هذا موضع ذكرها فنسأل الله العافية لمن ابتلى به اذ هو مما يستخبثه الطباع السليمة وهو حرام كما عرف فى التفاسير (لا بارد) كسائر الظلال (ولا كريم) ولا نافع من أذى الحر لمن يأوى اليه نفى بذلك ما أوهم الظل من الاسترواح يعنى أنه سماه ظلا ثم نفى عنه وصفية البرد والكرم الذى عبر به عن دفع أذى الحر لتحقيق أنه ليس بظل والكرم صفة لكل ما يرضى ويحمد فى بابه والظل يقصد لفائدتين لبرودته ودفع أذى الحر وان لم تحصل الاستراحة بالبرد لعدمه كما فى البيوت المسدودة الاطراف بحيث لا يتحرك فيها الهواء فان من يأوى اليها يتخلص بها من أذى حر الشمس وان لم يستروح ببردها وفيه تهكم بأصحاب المشأمة وأنهم لا يستأهلون للظل البارد والكريم الذى هو لأضدادهم فى

الجنة (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب يقال ترف كفرح تنعم وأترفته النعمة أطغته وأنعمته وفلان أصر على البغى والمترف كمكرم المتروك يصنع مايشاء فلا يمنع كما فى القاموس أى انهم كانوا قبل ماذكر من سوء العذاب فى الدنيا متنعمين بأنواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين فى الشهوات فلاجرم عذبوا بنقائضها (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أى الذنب العظيم الذى هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف بر فيها وقال بعضهم الحنث هنا الكذب لانهم كانوا يحلفون بالله مع شركهم لايبعث الله من يموت يقول الفقير يدل على هذا ما يأتى من قوله ثم انكم أيها الضالون المكذبون والحكمة فى ذكر سبب عذابهم مع أنه لم يذكر فى أصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين التنبيه على أن ذلك الثواب منه تعالى فضل لاتستوجبه طاعة مطيع وشكر شاكر وان العقاب منه تعالى عدل فاذا لم يعلم سبب العقاب يظن أن هناك ظلما * وفى الآية اشارة الى سموم نار البعد والحجاب وحميم القهر والغضب وظل شجرة الجهل مافيه برد اليقين كما ترالظلال ولايسكن حرارة عطشهم من طلب الدنيا ولذاتها ومافيه كرم الهمة أيضا حتى يعينهم على ترك الدنيا وزينتها وزخارفها بل لايزالون يطلبون من الدنيا ماليس فيها من الاستراحة والاسترواح انهم كانوا قبل ذلك مترفين يعنى ماكان استظلالهم بشجرة الجهل المركب التى ليس فيها برد اليقين ولا كرم الهمة الابسبب استعداداتهم الذاتية المجبولة على حب الشهوات واللذات قبل دخولهم فى الوجود العينى وأيضا كان استظلالهم بشجرة الجهل لانهم كانوا فى محبة النفس والدنيا متمكنين فى الازل اذ الحنث العظيم هو حب النفس وحب الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة * مراطاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتش قبلهٔ ديكرست * برمرد هشيار دنيا خسست * كه هر مدتى جاى ديكر كسست (وكانوا

مع شركهم (يقولون) لغاية عتوهم وعنادهم (أئذا متنا) آياوقتى كه بميريم (وكنا ترابا وعظاما) أى كان بعض أجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية واذا محضة للظرفية والعامل فيها مادل عليه قوله تعالى (أئنا لمبعوثون) لانفسه لان مابعد ان واللام والهمزة لايعمل فيما قبلها وهو البعث وهو المرجع للانكار وتقييدها بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه فى حالة منافية له بالكلية وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة (أو آباؤنا الاولون) الواو للعطف على المستكن فى لمبعوثون يعنى آبا مادران وپدران پيشين مانيز مبعوث شوند (قل) ردا لانكارهم وتحقيقا للحق (ان الاولين والآخرين) من الامم الذين من جملتهم أنتم وآباؤكم وبالفارسية بدرستى كه پيشينان از آباى شما وغير آن وپسينان از شما وغير شما وفى تقديم الاولين مبالغة فى الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم أشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى (لمجموعون)

بعد الموت وكأنه ضمن الجمع معنى السوق فعدى تعديته بالى ولذا قال (الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معلوم لله معين عنده وهو يوم القيامة والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات هو الوقت المضروب للشئ ينتهى عنده أو يبتدأ فيه ويوم القيامة ميقات تنتهى الدنيا عنده وأول جزء منها فالميقات الوقت المحدود وقد يستعار للمكان ومنه مواقيت الاحرام للحدود التى لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الامحرما (ثم انكم) الخطاب لاهل مكة وأضرابهم عطف على ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخى زمانا أو رتبة (أيها الضالون) عن الحق والهدى (المكذبون) أى البعث (لآكلون) بعد البعث والجمع ودخول جهنم (من شجر من زقوم) من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أى مبتدئون الاكل من شجر هو الزقوم وهو شجر كريه المنظر والطعم حار فى اللمس منتن فى الرائحة وهى الشجرة الملعونة فى القرآن قال أهل الحقيقة سدرة المنتهى أغصانها نعيم لاهل الجنة وأصولها زقوم لاهل النار فهى مبدأ اللطف والقهر والجمال والجلال (فمالئون) پس پر كنند كان باشيد يقال ملأ الاناء فهو مملوء من باب قطع والملء بالكسر مقدار ما يأخذه الاناء اذا امتلأ (منها) أى من ذلك الشجر والتأنيث باعتبار المعنى (البطون) أى بطونكم من شدة الجوع أو بالقسر وفيه بيان لزيادة العذاب وكماله أى لا يكتفى منكم بنفس الاكل كما لا يكتفى من يأكل الشئ تحلة القسم بل تلزمون بأن تملؤا منها البطون أى يملأ كل واحد منكم بطنه أو بطون الامعاء والاول أظهر والثانى أدخل فى التعذيب (فشاربون عليه) أى على شجر الزقوم أى عقيب ذلك بلاريث لعطشكم الغالب وتذكير ضمير الشجر باعتبار اللفظ (من الحميم) أى الماء الحار فى الغاية (فشاربون شرب الهيم) كالتفسير لما قبله أى لا يكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهى الابل التى بها الهيام وهو داء يصيبها يشبه الاستسقاء فتشرب ولا تروى الى أن تموت أو تسقم سقما شديدا جمع أهيم وهيماء فأصله هيم كأحمر وحمر فقلبت الضمة كسرة لتصح الياء والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار فى أحشائهم ما يضطرهم الى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملؤا منه بطونهم وهو فى غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الابل العطاش وفيه بيان لزيادة العذاب أيضا أى لا يكون شربكم أيها الضالون كشرب من يشرب ماء حارا منتنا فانه يسك عنه اذا وجده مؤلما معذبا بخلاف شربكم فانكم تلزمون بأن تشربوا منه مثل ما يشرب الجمل الاهيم فانه يشرب ولا يروى وفى الآية اشارة الى افراط النفس والهوى فى شرب ماء حميم الجهل والضلال وفى أكل زقوم المشتهيات المورثة للوبال ولغاية حرصها لا تزيد الا جوعا وعطشا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب * كاذ كر كنجد درانبان آز * بسختى نفس ميكند باد راز (هذا) الذى ذكر من الزقوم والحميم أول ما يلقونه من العذاب (نزلهم) أى رزقهم المعد لهم أى كالنزل الذى يعد للنازل مما حضر تكرمة له (يوم الدين) أى يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم فما ظنك بحالهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار فى النار وفيه من التهكم ما لا يخفى كما فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم لان ما يعد لهم فى جهنم ليس مكرمة لهم والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة

مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) أى فهلا تصدقون أيها الكفرة بالخلق فان ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق فى شئ أو بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة اعلم أن الله تعالى اذا أخبر عن نفسه بلفظ الجمع يشير به الى ذاته وصفاته وأسمائه كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكما قال انا أنزلناه واذا أخبر عن نفسه بلفظ المفرد يشير الى ذاته المطلقة كما قال انى أنا الله رب العالمين هذا اذا كان القائل المخبر هو الله تعالى وأما اذا كان العبد فينبغى أن يقول أنت يارب لا أنتم لا يهامه الشرك المنافى لتوحيد القائل ولذا يقال أشهد أن لا اله الا الله ليدل على شهادته بخصوصه فيتعين توحيده ويظهر تصديقه (أفرأيتم ماتمنون) أى تقذفونه وتصبونه فى ارحام النساء من النطف التى يكون منها الولد فقوله أفرأيتم بمعنى أخبرونى وماتمنون مفعوله الاول والجملة الاستفهامية مفعوله الثانى يقال أمنى الرجل يمنى لاغير ومنيت الشئ أمنيه اذا قضيته وسمى المنى منيا لان الخلق منه يقضى (أأنتم تخلقونه) أى تقدرونه وتصورونه بشرا سويا فى بطون النساء ذكرا أو أنثى (أم نحن الخالقون) له من غير دخل شئ فيه وأم قيل منقطعة لان مابعدها جملة فالمعنى بل أنحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجئ الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية اصالة وفيه اشارة الى معنى أن وقوع نطف الاعمال والافعال وموادها فى ارحام قلوبكم ونفوسكم بخلقى وارادتى لا بخلقكم وارادتكم ففيه تخصيص مواد الخواطر المقتضية للافعال والاعمال والاقوال بنفسه وقدرته وسلبها عن الخلق (نحن قدرنا بينكم الموت) أى قسمناه عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة فنهم من يموت صغيرا ومنهم من يموت كبيرا يقول الفقير قيل لى فى بعض الاسحار اصبر ولا يكون الا ماقدر الله تعالى فمرضت بعد أيام ابنتى أمة الله حتى ماتت جعلها الله فرطا وذخرا وشافعة ومشفعة وقد ثبت أن ابراهيم عليه السلام تعلق باسمعيل فابتلى بذبحه وكذا يعقوب عليه السلام تعلق بيوسف فابتلى بالفراق فهذه كلها مقادير يجب الرضا بها (وما نحن بمسبوقين) أى انا قادرون (على أن نبدل) منكم (أمثالكم) لا يغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتى مكانكم بأشباهكم من الخلق يقال سبقته على كذا أى غلبته عليه وغلب فلان فلانا على الشئ اذا أخذه منه بالغلبة (وننشئكم فيما لا تعلمون) من الخلق والاطوار التى لا تعهدون بمثلها وقال الحسن البصرى رحمه الله أى نجعلكم قردة وخنازير كمن مسخ قبلكم ان لم تؤمنوا برسلنا يعنى لسنا عاجزين عن خلق أمثالكم بدلا منكم ومسخكم من صوركم الى غيرها ويحتمل أن الآية تنحو الى الوعيد فالمراد اما انشاؤهم فى خلق لا يعلمونها أو صفات لا يعلمونها يعنى كيفيات من الالوان والاشكال وغيرها وفى الحديث ان أهل الجنة جرد مرد وان الجهنمى ضرسه مثل أحد وفى الآية اشارة الى أن الله تعالى ليس بعاجز عن تبديل الصفات البشرية بالصفات الملكية وجعل السالكين مظهر الصفات غير صفاتهم التى هم عليها اذ توارد الصفات المختلفة المتباينة على نفس واحدة على مقتضى الحكمة البالغة ليس من المحال ألا ترى الى الجوهر الواحد فانه يصير تارة فضة وأخرى ذهبا بطرح الاكسير (ولقد علمتم النشأة) أى الخلقة (الاولى) هى خلقتهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هى فطرة آدم

من التراب (فلولا تذكرون) فهلا تتذكرون أن من قدر عليها قادر على النشأة الاخرى حتما فانها أقل صنعا لحصول المواد وتخصص الاجزاء وسبق المثال * آنكه مارا ازخلوت نابود * مى كشد تا بجلوه كاه وجود * بارديكركه ازسموم هلاك * راوى بوشيم زير بردۀ خاك * هم تواند بامر كن فيكون * كرداز كوشۀ لحد بيرون * وفى الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور وفى الآية دليل على صحة القياس حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى وترك القياس اذا كان جهلا كان القياس علما وكل ما كان من قبيل العلم فهو صحيح (وفى المثنوى) مجتهد هركه كه باشد نص شناس * اندرآن صورت نينديشد قياس * جون نيابد نص اندر صورتى * ازقياس آنجا نمايد عبرتى * اين قياسات وتحرى روزابر * تا بشب مر قبله راكردست حبر * ليك باخورشيد وكعبه بيش رو * اين قياس واين تحرى رامجو * ومنه يعلم بطلان قياس ابليس فانه قياس على خلاف الامر عند وروده (كما قال فى المثنوى) اول انكس كين قياسكها نمود * بيش انوار خدا ابليس بود * كفت نار ازخاك بى شك بهترست * من زنار واوزخاك اكدرست * بس قياس فرع بر اصلش كنيم * اوزظلمت مازنور روشنيم * كفت حق نى بلكه لا انساب شد * زهد وتقوى فضل رامحراب شد * وفيه اشارة الى أنا اذا قدرنا على انشاء النشأة الاولى البشرية الطبيعية الدنيوية مع عدم مادة من المواد الصفاتية فمن استعجز قدرة الله فقد كفر ألا ترى الى محرومى البداية مرزوقى النهاية مثل ابراهيم بن أدهم وفضيل بن عياض ومالك بن دينار وغيرهم قدس الله أسرارهم فان الله تعالى أنشأهم نشأة أخرى ولو بعد حين (أفرأيتم) اخبرونى و بالفارسية اخبار كنيد (ما تحرثون) أى تبذرونه من الحب وتعملون فى أرضه بالسقى ونحوه والحرث القاء البذر فى الارض وتهيئتها للزرع (أأنتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا يربو وينمو الى أن يبلغ الغاية (أم نحن الزارعون) أى المنبتون لا أنتم والزرع الانبات وحقيقة ذلك يكون بالامور الالهية دون البشرية ولذا نسب الحرث اليهم ونفى عنهم الزرع ونسبه الى نفسه وفى الحديث لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت فان الزارع هو الله) والحاصل أن الحرث فعلهم من حيث ان اختيارهم له مدخل فى الحرث والزرع خالص فعل الله فان انبات السنبل والحب لا مدخل فيه لاختيار العبد أصلا واذا نسب الزرع الى العبد فلكونه فاعلا للاسباب التى هى سبب الزرع والانبات وفى الاسئلة المقحمة الاصح أن الحرث والزرع واحد كقوله تعالى ولا تسقى الحرث فهلا أضاف الحرث الى نفسه أيضا والجواب أن اضافة الحرث الينا اضافة الاكتساب واضافته الى نفسه اضافة الخلق والاختراع كقوله تعالى وما رميت اذ رميت قال الحليمى يستحب لكل من ألقى فى الارض بذرا أن يقرأ بعد الاستعاذة أفرأيتم الى قوله بل نحن محرومون ثم يقول الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ويقال ان هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات الدود والجراد وغير ذلك وفى الآية امتنان ليشكروا على نعمة الزرع واستدلال بأن من قدر على الانبات قدر على الاعادة فكما أنه ينبت الحب فى الارض وينبت بذر النطفة فى الرحم فكذا ينبت من حب عجب

قوله اذا قدرنا الخ لم يذكر لاذا جوابا نحو نقدر على انشاء الاخرى بالاولى ولعله فى الاصل سقط من النساخ

الذنب فى القبر فان كلها حب وذلك لان بذر النطفة وكذا عظم عجب الذنب شئ كخردلة كما أسلفناه (لو نشاء) لو للمضى وان دخل على المضارع ولذا لا يجزمه فهو شرط غير جازم أى لو أردنا (لجعلناه) أى الزرع بمعنى المزروع (حطاما) الحطم كسر الشئ مثل الهشم ونحوه ثم استعمل لكل كسر متناه والمعنى هشيما أى يابسا متكسرا متفتتا بعد ما أنبتناه وصار بحيث طمعتم فى حيازة غلاله وجمعها (فظلتم) أى فصرتم بسبب ذلك (تفكهون) تتعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ما فعلتم فيه من الاجتهاد وأنفقتم عليه أو تندمون على ما أصبتم لاجله من المعاصى فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكنون بالنون والتفكن التعجب والتفكر والتندم ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبيناهم اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم يتفكنون أى يتندمون والحمة العين الحارة من الحميم وهو الماء الحار يستشفى به الاعلاء والمرضى (انا لمغرمون) حال من فاعل تفكهون أى قائلين انا لملزمون غرامة ما أنفقنا والغرامة أن يلزم الانسان ما ليس فى ذمته وعليه كما فى المغرب أو مهلكون بهلاك رزقنا أو بشؤم معاصينا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن محرومون) حرمنا رزقنا أو محدودون لا مجدودون أى ممنوعون من الحد وهو المنع لا حظ لنا ولا جد ولا بخت ولو كنا مجدودين لما فسد علينا هذا (روى) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأرض الانصار فقال ما يمنعكم من الحرث قالوا الجدوبة قال أفلا تفعلون فان الله تعالى يقول أنا الزارع ان شئت زرعت بالماء وان شئت زرعت بالريح وان شئت زرعت بالبذر ثم تلا رسول الله عليه السلام أفرأيتم ما تحرثون الآية ففى الحديث اشارة الى أن الله تعالى هو الذى يعطى ويمنع بأسباب وبغيرها فالتوحيد هو أن يعتقد أن التأثير من الله تعالى لا من غيره كالكوكب ونحوه فانه يتهم النفس بالمعصية القاطعة للرزق وفى الحديث ما سنة بأمطر من أخرى ولكن اذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافى والبحار وفى الحديث دم على الطهارة يوسع عليك الرزق فاذا كان توسيع الرزق فى الطهارة فتضييقه فى خلافها والرزق ظاهر وباطن وكذا الطهارة والنجاسة فلا بد لطالب الرزق مطلقا أن يكون على طهارة مطلقة دائما فان قلت فما حال أكثر السلف فانهم كانوا فقراء مع دوام الطهارة قلت كان السلف فى الرزق المعنوى أكثر من الخلف وهو المقصود الاصلى من الرزق وانما كانوا فقراء فى الظاهر لكمال افتقارهم الحقيقى كما قال عليه السلام اللهم أغننى بالافتقار اليك فمنعوا عن الغنى الصورى تطبيقا للكل من الظاهر والباطن بالآخرة فهم أغنى الاغنياء فى صورة الفقراء وما عداهم ممن ليس على صفتهم أفقر الفقراء فى صورة الاغنياء فالمرزوق من رزق غذاء الروح من الواردات والعلوم والفيوض والمحروم من حرمه فاعرفه (وفى المثنوى) فهم نان كردن نه حكمت أى رهى * زانكه حق كفتت كلوا من رزقه * رزق حق حكمت بود در مرتبت * كان كلو كيرت نباشد عاقبت * اين دهان بستى دهانى باز شد * كه خورنده لقمهاى راز شد * كر ز شير ديو تن را ببرى * در فطام أو بسى نعمت خورى (أفرأيتم) خبرونى بيد (الماء الذى تشربون) عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر

مع كثرة منافعه لان الشرب أهم المقاصد المنوطة به (أأنتم أنزلتموه من المزن) أى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه أعذب (أم نحن المنزلون) له بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فعلقة بالاستفهام وان كانت بمعنى الابصار أو المعرفة فالجملة الاستفهامية استئناف وهذا هو اختيار الرضى (لو نشاء جعلناه اجاجا) ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع اثباتها فى الشرطية الاولى للفرق بين المطعوم والمشروب فى الاهمية وصعوبة الفقد يعنى ان أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم (فلولا تشكرون) فهلا تشكرون ماذكر جميعا من المطعوم والمشروب بتوحيد منعمه واطاعة أمره أو فلولا تشكرون على أن جعلناه عذبا وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن تحت العرش بحرا تنزل منه أرزاق الحيوانات يوحى الله اليه فيمطر ماشاء من سماء الى سماء حتى ينتهى الى سماء الدنيا ويوحى الى السماء أن غربليه فتغربله فليس من قطرة تقطر الا ومعها ملك يضعها موضعها ولا ينزل من السماء قطرة الا بكيل معلوم ووزن معلوم الا ما كان من يوم الطوفان فانه نزل بغير كيل ولا وزن وقال بعض الحكماء ان المطر يأخذه قوس الله من البحر الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض قال بعضهم هو أدخل فى القدرة لان ماء البحر زعاق فيصعد ملحا وينزل عذبا وفى الآية اشارة الى أن بعض بلاد العرب ليس لها آبار ولا أنهار جارية فلا يشرب أهلها الا من المطر فى المصانع منها القدس الشريف وينبع وجدة المحروسة ونحوها وللماء العذب مزيد فضل فى هذه البلاد ولذا امتن الله به على العباد وفيها اشارة الى ماء المعرفة والعلم الالهى فانه ليس بالكسب والاجتهاد بل بمحض عطاء الله تعالى ولو شاء الله لجعل الماء العذب الجارى من مشرب الكشف والشهود ماء ملحا جاريا من مشرب الحجاب والاحتجاب والجهالة والضلالة فلا بد من الشكر على نعم المعارف والحقائق والحكم واعلم أن من حفر بئرا فاما أن يصل الى الماء أولا فان وصل فاما أن يكون ذلك الماء ملحا او عذبا فعلى تقدير كونه عذبا ليس كالمطر الحاصل بلا أسباب فانه طيب طاهر خالص فهذا مثل علم علماء الرسوم ومثل علم علماء الحقيقة فان الانبياء والاولياء ملهمون من عند الله تعالى ولا خطأ فى الوحى والالهام أصلا ولذا نقول ان علم الصوفية هو العلم الصواب كله فعلمهم تذكرى ليس لهم احتياج الى ترتيب المقدمات بخلاف علماء الرسوم فان علمهم تفكرى محتاج الى ذلك ولا بد لطالب الفيض من تهيئة المحل قبل وروده ألا ترى الى صاحب الحرث فانه يشتغل بتهيئة الارض والقاء البذر ولا يدرى متى ينزل المطر فاذا نزل أصاب محزه ثم اعلم أن الروح ينزل بالمطر وله تعين فى كل نشأة بما يناسبه فعند تمام الخلقة فى الرحم ينفخ الله تعالى الروح وهو عبارة عن تعين الروح وظهوره لكن عبر عنه بالنفخ لان العقل قاصر عن دركه وكان عليه السلام يكشف رأسه عند نزول المطر ويقول حديث عهد بربه فالروح أى روح كان سبب للحياة مطلقا فينبغى تلقى التجليات الواردة من قبل الحق بتهيئة المحل كما أن النبى عليه السلام كشف رأسه وهيأ محل نزول المطر وذلك لان المطر ينزل من العلو فيلقى على أعلى شئ فى الانسان وهو الرأس (أفرأيتم النار التى تورون) الايراء آتش از آتش زنه بيرون كردن أى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى الزند والاسفل

الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة يقال ناقة طروقة أى بلغت أن يضرب بها الفحل لان الطرق الضرب (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى منها الزناد وهى المرخ والعفار كامر فى سورة يس (أم نحن المنشؤن) لها بقدرتنا (نحن جعلناها تذكرة) استئناف مبين لمنافعها أى جعلنا نار الزناد تذكيرا لنار جهنم من حيث علقنا بها أسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما أوعدوا به من نار جهنم أو تذكرة وموعظة وأنموذجا من جهنم لما روى عن النبى عليه السلام ناركم هذه التى يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزأ من حر جهنم وقيل تبصرة فى أمر البعث فانه ليس أبدع من اخراج النار من الشئ الرطب وفى عين المعانى وهو حجة على منكرى عذاب القبر حيث تضمن النار ما لا يحرق ظاهره (ومتاعا) ومنفعة وبلغة لان حمل النار يشق (للمقوين) للذين ينزلون القواء بالفتح وهو القفر الخالى عن الماء والكلا والعمارة وهم المسافرون وتخصيصهم بذلك لانهم أحوج اليها يهرب منها السباع ويصطلوا من البرد ويجففوا ثيابهم ويصلحوا طعامهم فان المقيمين أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على أن الاهم هو النفع الاخروى يقال أقوى الرجل اذا نزل فى الارض القواء كأصحر اذا دخل فى الصحراء وفى الحديث قال النبى عليه السلام لجبريل مالى لم أر ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وعن أنس رضى الله عنه يرفعه ان أدنى أهل النار عذابا الذى يجعل له نعلان يغلى منهما دماغه فى رأسه وفيه بيان شدة نار جهنم وانها ليست كنار الدنيا وقانا الله وايا كم منها وفى الآية اشارة الى نار المحبة المشتعلة الموقدة بمقدح الطلب فى حراقة قلب المحب الصادق فى سلوك طريق الحق وشجرتها هى العناية الالهية السرمدية يدل على هذا التأويل قول العارف أبى الحسين المنصور قدس سره حين سئل عن حقيقة المحبة هى العناية الالهية السرمدية لولاها ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان نحن جعلناها تذكرة لأرباب النفوس البشرية ليهتدوا بنورها الى سلوك طريق الحق ومتاعا للمقوين أى غذاء لأرواح المحبين الطاوين أياما وليالى عن الطعام والشراب كما حكى عن سهل التسترى رحمه الله انه كان يطوى ثلاثين يوما وعن أبى عقيل المغربى قدس سره انه ما أكل ستين وهو مجاور بمكة وعن كثير من المرتاضين السالكين وانما رفع ادريس عليه السلام الى السماء الرابعة لمبالغته فى التجريد والترويح حتى ان الروحانية غلبت عليه فخلع بدنه وخالط الملائكة واتصل بروحانية الافلاك وترقى الى عالم القدس وقد أقام ستة عشر عاما لم ينم ولم يطعم شيأ ولم يتزوج قط لزوال الشهوة بالكلية حتى صار عقلا مجردا من كثرة الرياضة ورفع الى أعلى الامكنة وهو المكان الذى تدور عليه رحى عالم الافلاك وهو فلك الشمس ثم ان نار المحبة أشد النيران قال الجنيد قدس سره قالت النار يا رب لو لم أطعك هل كنت تعذبنى بشئ هو أشد منى قال نعم كنت أسلط عليك نارى الكبرى قالت هل نار أعظم منى قال نعم نار محبتى أسكنها قلوب أوليائى المؤمنين كما فى فتح القريب * مهر جانان آتشست عشاق را * مى بسوزد هستئ مشتاق را

(فسبح باسم ربك العظيم) لم يقل فسبح ربك لان سبح منزل منزلة اللازم ولم يعتبر تعلقه بالمفعول ومعناه فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى على اضمار المضاف شكرا على تلك النعم وان جحدها الجاحدون أو بذكره على المجاز فان اطلاق الاسم للشئ ذكرله والباء للاستعانة أو الملابسة

والمراد

والمراد بذكر به هنا تلاوة القرآن والعظيم صفة للاسم أو الرب قال ابن عطاء رحمه الله سبحانه الله أعظم من أن يلحقه تسبيحك أو يحتاج الى شئ منك لكنه شرف عبيده بأن أمرهم أن يسبحوه ليطهروا أنفسهم عما ينزهونه به (فلا أقسم) أى فأقسم ولا مزيدة للتأكيد وتقوية الكلام كما فى قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب وما قيل ان المعنى فلا أقسم اذ الامر أوضح من أن يحتاج الى قسم خصوصا الى مثل هذا القسم العظيم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به (بمواقع النجوم) أى بمساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير أولان ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم أو بمنازلها ومجاريها فان له تعالى فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته مالا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها واليه ذهب ابن عباس رضى الله عنهما وقيل النجوم الصحابة والعلماء الهادون بعدهم ومواقعهم القبور وقيل غير ذلك (وانه) أى القسم بالمذكور (لقسم لو تعلمون عظيم) لما فى المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى بغير كتاب قوله لو تعلمون اعتراض بين الصفة والموصوف لتأكيد تعظيم المحلوف به وجوابه متروك أريد به نفى علمهم أو محذوف ثقة بظهوره أى لعظمتموه أو لعملتم بموجبه ففيه تنبيه على تقصير المخاطبين فى الامر وعظيم صفة قسم وهذه الجملة أيضا اعتراض بين القسم وجوابه الذى هو قوله تعالى (انه لقرآن كريم) هو المقسم عليه أى لكتاب كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد على أن يستعار الكرم ممن يقوم به الكرم من ذوى العقول الى غيرهم أو حسن مرضى فى جنسه من الكتب أو كريم عند الله وقال بعضهم كريم لانه يدل على مكارم الاخلاق ومعالى الامور وشرائف الافعال وقيل كريم لنزوله من عند كريم بواسطة الكرام الى أكرم الخلق (فى كتاب مكنون) أى مصون عن غير المقربين من الملائكة أى لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح المحفوظ (لا يمسه الا المطهرون) اما صفة أخرى للكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية وأوضار الاوزار أو للقرآن فالمراد المطهرون من الاحداث مطلقا فيكون نفيا بمعنى النهى أى لا ينبغى أن يمسه الا من كان على طهارة من الادناس كالحدث والجنابة ونحوهما على طريقة قوله عليه السلام المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أى لا ينبغى له أن يظلمه أو يسلمه الى من يظلمه فالمراد من القرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن الى أرض العدو وأراد به المصحف وفى الفقه لا يجوز لمحدث بالحدث الاصغر وهو مايوجب الوضوء مس المصحف الا بغلافه المنفصل الغير المشرز كالخريطة ونحوها لان مسه ليس مس القرآن حقيقة لا المتصل فى الصحيح وهو الجلد المشرز لانه من المصحف يعنى تبع له حتى يدخل فى بيعه بلاذكر وهذا أقرب الى التعظيم وكره المس بالكم لانه تابع للحامل فلا يكون حائلا ولهذا لو حلف لا يجلس على الارض فجلس وذيله بينه وبين الارض حنث وانما منع الاصغر عن مس المصحف دون تلاوته لانه حل اليد دون الفم ولهذا لم يجب غسله فى الوضوء والجنابة كانت حالة كليهما ولا يرد العين لان الجنب حل نظره الى مصحف بلا قراءة وكذا لا يجوز لمحدث

مس درهم فيه سورة الا بصرته ولا الجنب دخول المسجد الا لضرورة فان احتاج الى الدخول تيمم ودخل لانه طهارة عند عدم الماء ولا قراءة القرآن ولو دون آية لان ما دونها شيء من القرآن أيضا الا على وجه الدعاء أو الثناء كالبسملة والحمدلة وفي الاشباه لو قرأ الفاتحة في صلاته على الجنازة ان قصد الدعاء والثناء لم يكره وان قصد التلاوة كره وفيه اشارة الى أن حكم القراءة يتغير بالقصد ويجوز للجنب الذكر والتسبيح والدعاء * والحائض والنفساء كـ الجنب في الاحكام المذكورة ويدفع المصحف الى الصبي اذ في الامر بالوضوء حرج بهم وفي المنع يضيع حفظ القرآن اذ الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر وفي الاشباه ويمنع الصبي من مس المصحف انتهى والتوفيق ظاهر وفي كشف الاسرار وأما الصبيان فلاصحابنا فيهم وجهان أحدهما أنهم يمنعون منه كالبالغين والثاني أنهم لا يمنعون لمعنيين أحدهما أن الصبي لو منع ذلك ادى الى أن لا يتعلم القرآن ولا يحفظه لان وقت تعلمه وحفظه حال الصغر والثاني أن الصبي وان كانت له طهارة فليست بكاملة لان النية لا تصح منه فاذا جاز أن يحمله على غير طهر كامل جاز أن يحمله محدثا * ودر أنوار مذكورست كه جنب وحائض را بقول أبي يوسف جائزست كتابت قرآن وقتي كه لوح بر زمين بوده بر كنار ونزد محمد بهيچ وجه روا نيست ومحمد بن فضل رحمه الله فرموده كه مراد ازين طهارت توحيدست يعني بايد كه از غير موحدان كسى قرآن نخواند وابن عباس رضي الله عنه نهى ميكرد ازانكه يهود ونصارى را تمكين دهند از قرائت قرآن وقال بعضهم يجوز للمؤمن تعليم القرآن للكافر رجاء هدايته الى الاسلام * ومحققان كفته اند مراد از مس اعتقادست يعني معتقد نباشد قرآن را الا پاكيزه دلان كه مؤمنانند ويا تفسير وتأويل آن ندانند الا آنها كه سر ايشان پاك باشد از ما سوى الله * جمال حضرت قرآن نقاب انكه براندازد * كه دار الملك معنى را مجرد بيند از غوغا * ودر بحر الحقائق فرموده كه مكاشف نشود بأسرار قرآن مكر كسى كه پاكيزه كردد از لوث توهم غير وبرسد بمقام شهود حق در مراى خلق وأين معنى ميسر نشود جز بفناى مشاهد وشهود در مشهود * چون تجلى كرد اوصاف قديم * پس بسوزد وصف حادث را كليم * وتحقيقه أن الهاء اشارة الى الهوية الالهية فانه لا يمس سرها الا المطهرون عن جنابة كل مقام من المقامات الوجودية وهي التعلق به والبعد بواسطته عن الحق المطلق والمطهر بالفتح لا بد له من المطهر بالكسر وهو الله تعالى فالعبد لا يطهر نفسه ولا يزكيها وانما يطهره الله ويزكيه فاذا طهره الله وزكاه فهم مراد القرآن ولذا قال بعض الكبراء ان القرآن بكر اى بالنسبة الى علماء الظاهر والرسم فان الذي فهموه من القرآن انما هو ظاهره ومزاياه المتعلقة به وانما حل عقدته علماء الباطن والحقيقة لان الله تعالى قال واتقوا الله ويعلمـ كم الله فهم أهل التقوى الحقيقي ولذا علمهم الله ما لم يعلم أحدا من العالمين وان كان القرآن لا تنقضي عجائبه وقس عليه الحديث فان مراد رسول الله عليه السلام على الحقيقة لا يفهمه الا أهل الحقيقة ومن ثمة اقتصر علماء الحديث وشراحه على بيان الاعراب والمفهوم الظاهري من غير أن يتعرضوا الحقائقه فأين شرح النووي والكرماني وابن حجر ونحوهم من شرح الصدر القنوي ونحوه رضي الله عنهم (تنزيل من رب العالمين) صفة أخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه يعني أن التنزيل

بمعنى المنزل سمى المنزل تنزيلا على اتساع اللغة كما يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق على قول من يجيزه (أفبهذا الحديث) الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن الكريم وسماه حديثا لان فيه ذكر حوادث الامور كما فى كشف الاسرار وهو متعلق بقوله مدهنون وجاز تقديمه على المبتدا لان عامله يجوز فيه ذلك والاصل أفأنتم مدهنون بهذا الحديث (أنتم) يا أهل مكة (مدهنون) الادهان فى الاصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة وترك الجد والمعنى متهاونون به ومستحقرون كمن يدهن فى الامر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وفى تاج المصادر الادهان مداهنت كردن وغسل كردن قال فى الاحياء الفرق بين المداهنة والمداراة بالغرض الباعث على الاغضاء فان أغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح أخيك بالاغضاء فأنت مدار وان أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن قال أبو الدرداء رضى الله عنه انا لنبش فى وجوه أقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع شر من يخاف شره (وتجعلون رزقكم) أى شكر رزقكم بتقدير المضاف ليصح المعنى والرزق فى الاصل مصدر سمى به ما يرزق والمراد نعمة القرآن (أنكم تكذبون) أى تضعون التكذيب لرازقه موضع الشكر أو تجعلون شكر رزقكم الصورى انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى الانواء وكان عليه السلام يقول لو حبس الله القطر عن أمتى عشر سنين ثم أنزل لاصبحت طائفة منهم يقولون سقينا بنوء كذا وقال عليه السلام أخوف ما أخاف على أمتى حيف الائمة والتكذيب بالقدر والايمان بالنجوم وروى أنه عليه السلام صلى صلاة الصبح بالحديبية فى اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب وفى الحديث ثلاث من أمر الجاهلية الطعن فى الانساب والنياحة والانواء فالطعن معروف والنياحة البكاء على الميت مع تعديد محاسنه والانواء جمع نوء المنازل الثمانى والعشرون للقمر والعرب كانت تعتقد أن الامطار والخير كله يجيء منها وفى حواشى ابن الشيخ فى سورة الفرقان الانواء النجوم التى يسقط واحد منها فى جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه فى جانب المشرق من ساعته والعرب كانت تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها وقيل الى الطالع منها انتهى وفى القاموس النوء النجم مال للغروب أو سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق انتهى فظهر أن التأثير من الله تعالى فى الاشياء فيجب على المؤمن أن يعتقده منه تعالى لا من الافلاك والنجوم والدهر ونحوها وفى هدية المهديين لو صاحت الهامة أو طير آخر فقال رجل يموت المريض يكفر ولو خرج الى السفر ورجع فقال ارجع لصياح العقعق كفر عند بعضهم وقيل لا ولو قال عند صياح الطير خدا كران مى خواهد شد فقد اختلف المشايخ فى كفره وجه الكفر ظاهر لانه ادعى الغيب انتهى والناس يتشاءمون بأصوات بعض الطيور كالهامة والبوم (كما قال الشيخ سعدى) بلبلا مژده بهار بيار * خبر بد بيوم باز كذار * فان يكن هذا الاعتقاد التأثير منها فذلك كفر والا فمجرد التشاؤم لا يوجب الكفر خصوصا اذا كان القول بطريق الاستدلال من الامارات والاليق

بحال المؤمن حمل مثل ذلك على التنبيهات الالهية فان لله فى كل شئ حكمة لا القطع على المقدورات والجزم فيما لايبلغ علمه كنهه فان الله يحيى ويميت ويوقظ وينيم باسباب وبغيرها (فلولا) يس چرا (اذا بلغت الحلقوم) لولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا ظرفية والحلقوم مجرى الطعام وفى كشف الاسرار مجرى النفس والبلعوم مجرى الطعام أى فهلا اذا بلغت النفس أى الروح أو نفس أحدكم وروحه الحلقوم وتداعت الى الخروج وهو كناية عن غير مذكور وفى الحديث ان ملك الموت له أعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيأ فشيأ حتى ينتهى بها الى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت (وأنتم) الواو للحال من فاعل بلغت أى والحال أنتم أيها الحاضرون حول صاحبها (حينئذ) آن هنكام (تنظرون) الى ما هو فيه من الغمرات ولكم تعطف عليه ووفور رغبة فى انجائه من المهالك (ونحن أقرب اليه) أى الى المحتضر علما وقدرة وتصرفا قال بعضهم عبر عن العلم بالقرب الذى هو أقوى سبب الاطلاع (منكم) حيث لا تعرفون حاله الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها ولا أن تقدروا على دفع أدنى شئ منها ونحن المتولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت الذين يقبضون روحه (ولكن لا تبصرون) لا تدركون كنه ما يجرى عليه لجهلكم بشؤننا فقوله لا تبصرون من البصيرة لا من البصر والاقرب تفسيره بقوله لا تدركون كوننا أعلم به منكم كما فى حواشى سعد المفتى قال البقلى رحمه الله قرب الله بالتفاوت قرب بالعلم وقرب بالاحاطة وقرب بالفعل وقرب بالصفة وقرب بالقهر وقرب باللطف والمسافة والمكان منفى عن ذاته وصفاته ولكن يحلى القلوب من عين العظمة لاذابتها برؤية القهر والقلوب من عين الجمال ليعرفها الاصطفائية وذلك القرب لا يبصره الا أهل القرب وشواهده ظاهرة لاهل المعرفة وفى الخطاب تحذير وترهيب (فلولا) بمعنى هلا (ان كنتم غير مدينين) أى غير مربوبين مملوكين اذلاء من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم وفى المفردات أى غير مجزيين فان الدين الجزاء أيضا وهو ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعى عدم المحضض عليه حتما (ترجعونها) أى النفس الى مقرها وتردون روح ميتكم الى بدنه من الرجع وهو الرد وهو العامل فى اذا والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية مكررة للتأكيد وهى مع ما فى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم (ان كنتم صادقين) فى اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم أى فاذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الامر الى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به وهو تكرير للتأكيد لا من اعتراض الشرط اذ لا معنى له هنا (فأما ان كان من المقربين) هو قرب درجاتهم من العرش لا من الله من حيث الجهة حسبما قال به الحشوية وهو شروع فى بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة أى فاما ان كان المتوفى من المقربين وهم أجل الازواج الثلاثة (فروح) أى فله استراحة وقرئ بضم الراء وفسر بالرحمة لانها سبب لحياة المرحوم فاطلاقه على الرحمة استعارة تصريحية وبالحياة الدائمة التى لا موت فيها قال بعضهم الروح يعبر به عن معان فالروح روح الاجسام الذى يقبض عند الممات وفيه حياة النفس والروح جبريل لانه كان يأتى الانبياء بما فيه حياة القلوب وعيسى روح الله لانه كان من

نفخ جبريل أضيف الى الله تعظيما وكلام الله روح لانه حياة من الجهل وموت الكفر ورحمة الله روح كقوله تعالى وأيدهم بروح منه أى برحمة والروح الرزق لانه حياة الاجساد وفى القاموس الروح بالضم مابه حياة الانفس وبالفتح الراحة والرحمة ونسيم الريح ومكان روحانى طيب والروحانى بالضم مافيه الروح وفى كتاب الملل والنحل الروحانى بالضم من الروح والروحانى بالفتح من الروح والروح والروح متقاربان فكأن الروح جوهر والروح حالته الخاصة به انتهى (وريحان) وورزق أوهو مايشم وعن أبى العالية لايفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى ببعض من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض روحه وقال الزجاج الريحان هنا التحية لأهل الجنة * يكى ازبزركان دين كفته است كه روح وريحان هم درد نياست هم درعقبى روح در دنياست وريحان درعقبى روح آنست كه دل بنده مؤمن را بنظر خويش بيارايد ناحق ازباطل واشناسد انكه بعلم فراخ كند تاقدرت در ان جاى يابد آنكه بينا كند تا بنور رحمت مى بيند شنوا كند تا بندا ازلى مى شنود پاك كند تا همه صحبت او جويد بعطر وصال خوش كند تادران مهر دوست رويد بنور خويش روشن كند تا ازو باردبكر بصيقل عنايت بزدايد تادرهرچه نكردا ورا بيند بنده چون بدين صفت بسراى سعادت رود آنجا ريحان كرامت بيند نسيم انس ازباغ قدس دميده زير درخت وجود بحث رضا نهاده بساط انس كسترده شمع عطف افروخته وبر فلك نشسته ودوست ازلى برده بركرفته بسمع بنده سلام رسانيده وديدار ذوالجلال نموده (وجنت نعيم) أى ذات تنعم فالاضافة لادنى الملابسة (وقال الكاشفى) بوستان پر نعمت قال بعض أهل الحقيقة فله روح الوصال وريحان الجمال وجنة الجلال لروحه روح الانس ولقلبه ريحان القدس ولنفسه جنة الفردوس أو الروح النظر الى وجه الجبار والريحان الاستماع لكلامه وجنة النعيم هو أن لايحجب العبد فيها عن مولاه اذا قصد زيارته وللمقربين ذلك فى دار الدنيا وروحهم المشاهدة وريحانهم سرور الخدمة وجنة النعيم السرور بذكره وقال بعضهم الروح للعابدين والريحان للعارفين وجنة النعيم لعوام المؤمنين أو فله روح الشهود الذاتى وريحان السرور وجنة نعيم اللذات بالوصول اليها والدخول فيها يقول الفقير الروح للنفوس والاجسام لانها تستريح بعد الموت برفع التكاليف عنها وان كان أهل الله على نشاط دائم فى باب الخدمة لان التعب يرتفع بالوصول الى الله لكونه من آثار النفس والطبيعة ولانفس ولاطبيعة بعد الوصول والريحان للقلوب والارواح ولذا حبب الى النبى عليه السلام الطيب لانه يوجد منه ذوق الانس والمحاضرة وجعل عليه السلام الولد من الريحان لانه يشم كما يشم المشموم وأنه من تنزلات أبيه كما أن القلوب من تنزلات الارواح والارواح من تنزلات الاسرار ووجد عليه السلام نفس الرحمن من قبل اليمن وانما وجده قلبه وروحه وكان ذلك النفس عصام الدين عمر أويس القرنى وكان حينئذ قطب الابدال وكان عليه السلام يستنشق بحس شمه ايضا روائح الجنة ونحوها وجنة نعيم للاسرار وهى الجنة المضافة الى الله تعالى فى قوله وادخلى جنتى وعند دخولهم هذه الجنة لايراهم احد أبد العلو طبقتهم ورفعة درجتهم فلا يعرفهم أحد لافى الدنيا ولافى العقبى فهم من قبيل المعلوم المجهول (وأما ان كان من أصحاب اليمين) عبر عن السابقين بالمقربين لكونه أجل أوصافهم وعبر عن أصحاب اليمين بالعنوان السابق اذ لم يذكرهم فيما سبق وصف واحد ينبئ عن شأنهم سواه كما ذكر للفريقين

الآخرين واستعير اليمين للتيمن والسعادة قاله الراغب (فسلام لك) يا صاحب اليمين (من أصحاب اليمين) من اخوانك يسلمون عليك عند الموت وبعده فيكون السلام اشارة له أنه من أهل الجنة قال في الارشاد هذا اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية لانشاء سلام بعضهم على بعض والا قيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف قال سهل رحمه الله أصحاب اليمين هم الموحدون أى العاقبة لهم بالسلامة لانهم أمناء الله قد أدوا الامانة يعنى أمره ونهيه لم يحدثوا شيأ من المعاصى والزلات قد أمنوا الخوف والهول الذى ينال غيرهم وحقيقته ان المقرب بين أصحاب الشهود الذاتى وأصحاب اليمين أصحاب الشهود الاسمائى والصفاتى فله السلامة من اسمه السلام على لسان اخوانه الاسمائية نسأل الله تعالى ولكم السلامة والنجاة والانس والحضور والشهود فى أعلى المقامات والدرجات (وأما ان كان من المكذبين الضالين) وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى ثم انكم أيها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب وهو تكذيب البعث ونحوه والضلال عن الحق والهدى (فنزل) أى فله نزل كائن (من حميم) يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل وبالفارسية پس مرا وراست پيشكش درقبر ازاب كرم كرده در دوزخ باد ودآتش دوزخ (وتصلية جحيم) أى ادخال فى النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك ما يجده فى القبر من سموم النار ودخانها يقال أصلاه النار وصلاه أى جعله يصلاها والمصدر ههنا مضاف الى المفعول (ان هذا) أى الذى ذكر فى هذه السورة الكريمة (لهو حق اليقين) أى حق الخبر اليقين فهو من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة على الاتساع والمجاز وقيل الحق الثابت من اليقين أى الحق الثابت الذى لا يطرأ عليه التبدل والتغير وقال أبو الليث أى يقين حق اليقين انتهى واليقين علم يحصل به ثلج الصدر ويسمى برد اليقين فهو العلم الذى يحصل به اطمئنان النفس ويزول ارتيابها واضطرابها والمراد ههنا المعلوم المتيقن به لان المبتدأ عبارة عن المعلوم فيجب أن يكون الخبر أيضا كذلك والتقدير ان هذا لهو ثابت الخبر المتيقن به أى الثابت منه على أن الاضافة بمعنى من وفى فتح الرحمن هذه عبارة فيها مبالغة لانها بمعنى واحد كما تقول فى أمر تؤكده هذا يقين اليقين وصواب الصواب بمعنى أنه نهاية الصواب فهى عبارة مبالغة وتأكيد معناه أن هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته انتهى قال ابن الملك اضافة العلم الى اليقين اضافة الشئ الى مرادفه كما فعلوا مثل ذلك فى العطف وفى شرح النصوص بالنون العلم اليقينى هو العلم الحاصل بالادراك الباطنى بالفكر الصائب والاستدلال وهذا للعلماء الذين يوقنون بالغيب ولا تزيد هذه المرتبة العلمية الا بمناسبة الارواح القدسية فاذا يكون العلم عينا ولا مرتبة للعين الا اليقين الحاصل من مشاهدة المعلوم ولا تزيد هذه المرتبة الا بزوال حجاب الاثنينية فاذا يكون العين حقا ولا مرتبة للحق الا الادراك بأحديه جمعك أى بحقيقتك المشتملة على المدركات الظاهرة والباطنة والجامعة بين روحانيتك وجسمانيتك أى يدركهما بها ادراكا يستوعب معرفة كل ما اشتملت عليه حقيقة المدرك من الامور الظاهرة والباطنة وهو حال الكامل وصفة من صار قلبه مستوى الحق الذى قد وسعه كما أخبره لانه حال جمع الجمع وزيادة هذه المرتبة أى حق اليقين عدم ورود الحجاب بعده وعينه للاولياء وحقه للانبياء وأما

حقيقة اليقين وهو باطن حق اليقين فهو لنبينا عليه السلام وهذه الدرجات والمراتب لا تحصل الا بالمجاهدة مثل دوام الوضوء وقلة الاكل والذكر والسكوت بالفكر فى ملكوت السموات والارض وبأداء السنن والفرائض وترك ما سوى الحق والغرض وتقليل المنام والعرض وأكل الحلال وصدق المقال والمراقبة بقلبه الى الله تعالى فهذه مفاتيح المعاينة والمشاهدة انتهى وقال ابن عطاء رحمه الله ان هذا القرآن لحق ثابت فى صدور الموقنين وأهل اليقين وهو الحق من عند الحق فلذلك تحقق فى قلوب المحققين واليقين ما استقر فى قلوب أوليائه وقد قال سيدنا على رضى الله عنه وكرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا * حال خلد وجحيم دانستم * بيقين انچنانكه مى بايد * كر حجاب از ميانه بركيرند * آن يقين ذره نيفزايد * يعنى اكر احوال آخرت منكشف شود وجمله را معاينه كنم يك ذره در يقين من زياده نشود كه علم اليقين من امروز چو عين اليقين منست در فردا وقال عليه السلام اللهم انى أسألك ايمانا يباشر قلبى ويقينا ليس بعده كفر وهو اليقين الحاصل بالعيان وظهور الحقيقة ولذا نقول أهل علم اليقين ذو خطر لا يحصل منه الارشاد بخلاف أهل عين اليقين فانه قطب ارشاد وبخلاف أهل حق اليقين فانه قطب الاقطاب فالتجليات ثلاثة تجل علمى وتجل عينى وتجل حقى فالاول كعلم الكعبة علما ضروريا من غير رؤية والثانى مثل رؤيتها من بعيد والثالث كدخولها قال قتادة ان الله ليس تاركا أحدا من الناس حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن أما المؤمن فأيقن فى الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه (قال المولى الجامى) سيراب كن ز بحر يقين جان تشنه را * زين بيش خشك لب منشين بر سراب ريب (فسبح) يا محمد (باسم ربك العظيم) الفاء لترتيب التسبيح أو الامر به على ما قبلها فان حقية ما فصل فى تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الامور التى من جملتها الاشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق وقال أبو عثمان قدس سره فسبح شكرا لما وفقنا امتك اليه من التمسك بسنتك وفى فتح الرحمن هذه عبارة تقتضى الامر بالاعراض عن أقوال الكفار وسائر أمور الدنيا المختصة بها وبالاقبال على أمور الآخرة وعبادة الله والدعاء اليه روى أنه لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكان عليه السلام يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الاعلى وسر اختصاص سبحان ربى العظيم بالركوع والاعلى بالسجود أن الاول اشارة الى مرتبة الحيوان والثانى اشارة الى مرتبة النبات والجماد فلا بد من الترقى فى التنزيه والحق سبحانه فوق التحت كما أنه فوق الفوق ونسبة الجهات اليه على السواء لنزاهته عن التقيد بالجهات فلهذا شرع التسبيح فى الهبوط واختلف الائمة فى التسبيح المذكور فى الصلاة فقال أحمد هو واجب تبطل الصلاة بتركه عمدا ويسجد لتركه سهوا والواجب عنده مرة واحدة وأدنى الكمال ثلاث وقال أبو حنيفة والشافعى هو سنة وقال مالك يكره لزوم ذلك لئلا يعد واجبا فرضا والاسم هنا بمعنى الجنس أى بأسماء ربك والعظيم صفة ربك * در خبرست كه عثمان بن عفان رضى الله عنه عيادت كرد عبد الله بن مسعود را رضى الله عنه در بيمارئ مرك كفت يا عبد الله اين ساعت از چه مى نالى كفت أشتكى ذنوبى يعنى بر كناهان خود مى نالم عثمان كفت چه آرزوست ترا درين وقت كفت رحمة ربى يعنى

آرزوى من آنست كه الله تعالى بر من رحمت كند وبر ضعف وعجز من ببخشايد عثمان كفت أفلا ندعو الطبيب يعنى طبيب را بخوانيم تا درد ترا مداوات كند كفت الطبيب امرضنى يعنى طبيب مرا بدين بيمارى افكند كفت خواهى تا ترا عطايى فرمايم كه بمعنى حاجتهاى خود صرف كنى كفت لا حاجة لى به يعنى وقتى مرا باين حاجت نيست وهيچ در بايست نيست كفت دستورى هست تا بدختران تو دهم تا چاره ايشانرا حاجت بود كفت نه كه ايشانرا حاجت نيست واكر حاجت بودبه ازين من ايشانرا عطايى داده ام كفته ام كه بوقت حاجت وضرورت سورة الواقعة برخوانيد كه من از رسول خدا شنيدم كه عليه السلام من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا قال سعدى المفتى هو حديث صحيح وفى حديث آخر من داوم على قراءة سورة الواقعة لم يفتقر أبدا قال ابن عطية فيها ذكر القيامة وحظوظ الناس فى الآخرة وفهم ذلك غنى لا فقر معه ومن فهمه يشتغل بالاستعداد قال الغزالى رحمه الله فى منهاج العابدين قراءة هذه السورة عند الشدة فى أمر الرزق والخصاصة شئ وردت به الاخبار المأثورة عن النبى عليه السلام وعن الصحابة رضى الله عنهم حتى ابن مسعود رضى الله عنه حين عوتب فى أمر ولده اذلم يترك لهم الدنيا قال لقد خلفت لهم سورة الواقعة فان قلت ارادة متاع الدنيا بعمل الآخرة لا تصح قلت مراده أن يرزقهم الله تعالى قناعة أو قوتا يكون لهم عدة على عبادة الله تعالى وقوة على درس العلم وهذه من جملة ارادة الخير دون الدنيا فلا رياء انتهى كلامه وعن هلال بن يساف عن مسروق قال من أراد أن يعلم نبأ الاولين والآخرين ونبأ أهل الجنة وأهل النار ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة فليقرأ سورة الواقعة

تمت سورة الواقعة بعون الله تعالى فى اوائل صفر الخير من سنة خمس عشرة ومائة وألف

(سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما فى السموات والارض) التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه بدأ الله بالمصدر فى الاسراء لانه الاصل ثم بالماضى فى الحديد والحشر والصف لانه أسبق الزمانين ثم بالمستقبل فى الجمعة والتغابن ثم بالامر فى الاعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها ففيه تعليم عباده استمرار وجود التسبيح منهم فى جميع الازمنة والاوقات والحاصل أن كلا من صيغتى الماضى والمضارع جردت عن الدلالة على مدلولها من الزمان المخصوص فأشعر باستمراره فى الازمنة لعدم ترجيح البعض على البعض فالمكونات من لدن اخراجها من العدم الى الوجود مسبحة فى كل الاوقات لا يختص تسبيحها بوقت دون وقت بل هى مسبحة أبدا فى الماضى وتكون مسبحة أبدا فى المستقبل وفى الحديث أفضل الكلام أربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت وسئل على رضى الله عنه عن سبحان فقال كلمة رضى الله لنفسه وسبح متعد بنفسه كما فى قوله تعالى وتسبحوه واللام اما مزيدة للتأكيد كما فى نصحت له وشكرت له فى نصحته وشكرته أو للتعليل والفعل منزل منزلة اللازم أى فعل التسبيح وأوقعه وأحدثه لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه والمراد بما فى السموات والارض جميع المخلوقات من حى وجماد وجاء بما تغليبا للاكثر مع ان أكثر العلماء على ان ما يعم العقلاء وغيرهم والمراد بتسبيح

الكل تسبيح عبادة ومقال كما قال بعض الكبار قد أخذ الله بأبصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله والاشياء كلها انما خلقت له سبحانه لتسبح بحمده وأما انتفاعنا بها انما هو بحكم التبعية لا بالقصد الاول قال الحسن البصري رحمه الله لولا ما يخفى عليكم من تسبيح من معكم في البيوت ما تقاررتم ثم وقال بعضهم لا يصدر عن الحي الا حي ولو وجد من العالم موجود غير حي لكان غير مستند الى حقيقة الهية وذلك محال فالجماد ميت في نظر المحجوب حي في نفس الامر لا ميت لان حقيقة الموت مفارقة حي مدبر لحي مدبر والمدبر والمدبر حي والمفارقة نسبة عدمية لا وجودية فان الشان انما هو عزل عن ولاية وانتقال من دار الى دار وليس من شرط الحي أن يحس لان الاحساس والحواس أمر معقول زائد على كونه حيا وانما هما من شرط العلم وقد يحس وقد لا يحس وتأمل صاحب الآكلة اذا أكل ما يغيب به احساسه كيف يقطع عضوه ولا يحس به مع أنه حي ليس بميت وقال بعضهم كل شيء في العالم يسبح الله بحمده الذي أطلعه الله على أنه حمد به نفسه ويختلف ذلك باختلاف فهم الا الانسان خاصة فان بعضه يسبح بغير حمده ولا يقبل من الحق بعض ما أثنى به على نفسه فهو يؤمن ببعض وهو قوله ليس كمثله شيء ويكفر ببعض وهو تنزيه الله عما أضافه الى نفسه ووصف نفسه به من التشبيه بالمحدثات فقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده أي بالثناء الذي أثنى به الحق على نفسه وأنزله على ألسنة رسله لا بما ولده العقل فان الله تعالى قال في حق من سبح الحق بعقله سبحان ربك رب العزة عما يصفون اعلاما لنا أنه وراء كل ثناء وأهل الله تعالى لا بدلهم في سلوكهم من سماع تسبيح كل شيء بلسان طلق لا لسان حال كما يعتقده بعضهم ثم ان الله تعالى من رحمته يأخذ أسماعهم بعد تحققهم ذلك ويبقى معهم العلم لانه لو أسمعهم ذلك على الدوام لطاشت عقولهم وفي الحديث ان كل شيء من الجماد والحيوان يسمع عذاب القبر الا الثقلين فثبت أن السموات والارض بجميع أجزائهما وما فيهما من الملك والشمس والقمر والنجوم والانس والجن والحيوان والنبات والجماد لها حياة وفهم وادراك وتسبيح وحمد كما قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم واعلم ان الله تعالى هو المسبح اسم مفعول في مقام التفصيل والمسبح اسم فاعل في مقام الجمع فالتسبيح تنزيه الحق بحسب مقام الجمع والتفصيل من النقائص الامكانية ومن الكمالات الانسانية المختصة من حيث التقييد والتعين (وهو العزيز) بقدرته وسلطانه لا يمانعه ولا ينازعه شيء (الحكيم) بلطفه وتدبيره لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة وفيه اشعار بعلية الحكم فان العزة وهي الغلبة على كل شيء تدل على كمال القدرة والحكمة تدل على كمال العلم والعقل يحكم بأن الموصوف بهما يكون منزها عن كل نقص كالعجز والجهل ونحوهما ولذا كان الامن كفرا لان فيه نسبة العجز الى الله تعالى وكذا اليأس لان فيه نسبة البخل الى الله الجواد (له ملك السموات والارض) أي التصرف الكلي ونفوذ الامر فيهما وما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلم وما لا نعلم (يقول الفقير) فان قلت كيف اضاف الملك الى ما هو متناه وكمال ملكه تعالى غير متناه قلت ان للسموات والارض ظاهرا وهو ما كان محسوسا ومرئيا من عالم الملك وهو متناه لانه من قبيل الاجسام والصور وباطنا وهو ما كان غائبا غير محسوس من اسرارهما وحقائقهما وهو غير متناه لانه من عالم الملكوت والمعاني فاضافة

الملك الى الله تعالى اضافة مطلقة يندرج تحتها الملك والملكوت وهما غير متناهيين فى الحقيقة ألاترى ان القرآن لاتنقضى عجائبه فهو بحر لاساحل له من حيث اسراره ومن حيث ان المتكلم به هو الذى لانهاية له وان كان أى القرآن متناهيا فى الظاهر والحس فالمراد بالملك هو الملك الحقيقى لان ملك البشر مجاز كما سيتضح بيانا فى هذه السورة (يحيي ويميت) استئناف مبين لبعض أحكام الملك أى يحيي الموتى والنطف والبيض ويميت الاحياء ومعنى الاحياء والاماتة جعل الشئ حيا وجعله ميتا وقد يستعاران للهداية والاضلال فى نحو قوله أومن كان ميتا فأحييناه وهو يحيي القلوب بتجلى اسم المحيي ويميت النفوس بتجلى اسم المميت أو يحيي النفوس بموت القلوب ويميت القلوب بحياة النفوس على طريق المغالبة وقال ابن عطاء رحمه الله هو مالك الكل وله الملك أجمع يميت من يشاء بالاشتغال بالملك ويحيي من يشاء بالاقبال على الملك (وهو على كل شئ) من الاشياء التى من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة على مقتضى الحكمة والارادة (قدير) تام القدرة فان الصيغة للمبالغة (هو الاول) السابق على سائر الموجودات بالذات والصفات لما أنه مبدئها ومبدعها فالمراد بالسبق والاولية هو الذاتى لا الزمانى فان الزمان من جملة الحوادث أيضا (والآخر) الباقى بعد فنائها حقيقة أو نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهى فانية*
أول أو أول بى ابتدا * آخر أو آخر بى انتها * بود ونبود اين چه بلندست و پست * باشد واين نيز نباشد كه هست (والظاهر) وجودا لكثرة دلائله الواضحة (والباطن) حقيقة فلا يحوم العقل حول ادراك كنهه وليس يعرف الله الا الله وتلك الباطنية سواء فى الدنيا والآخرة فاضمحل ما فى الكشاف من أن فيه حجة على من جوز ادراكه فى الآخرة بالحاسة وذلك فان كونه باطنا بكنهه حقيقته لاينافى كونه مرئيا فى الآخرة من حيث صفاته (وهو بكل شئ عليم) لايعزب عن علمه شئ من الظاهر والخفى فان عليم صيغة مبالغة تدل على أنه تعالى تام العلم بكل شئ جليه وخفيه وفى هذا المقام معان أخر هو الاول الذى تبتدأ منه الاسباب والآخر الذى تنتهى اليه المسببات أى اذا نظرت الى سلسلة الموجودات المتكونة بعضها من بعض وجدت الله مبدأ تلك السلسلة ومنتهاها تبتدئ منه سلسلة الاسباب وتنتهى اليه سلسلة المسببات ولذا قالوا لاتعتمد على الريح فى استواء السفينة وسيرها وهذا شرك فى توحيد الافعال وجهل بحقائق الامور ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح لايتحرك بنفسه بل له محرك الى أن ينتهى الى المحرك الاول الذى لامحرك له ولا يتحرك هو فى نفسه أيضا بل هو منزه عن ذلك وعما يضاهيه والظاهر أى الغالب على كل شئ والباطن أى العالم بباطن كل شئ على أن يكون الظاهر من ظهر عليه اذا علاه وغلب والباطن من بطنه اذا علم باطنه ولم يرتضه الزمخشرى لفوات المطابقة بين الظاهر والباطن حينئذ (وروى) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال دخلت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته خادما فقال لها عليه السلام ألا أدلك على ما هو خير لك من ذلك أن تقولى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ منزل التوراة والانجيل والفرقان فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك

شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنى الدين وأغننى من الفقر عنى بالظاهر الغالب والباطن العالم ببواطن الاشياء يعنى انه الغالب الذى يغلب كل شئ ولا يغلب عليه فيتصرف فى المكونات على سبيل الغلبة والاستيلاء اذ ليس فوقه أحد يمنعه والعالم ببواطن الاشياء فهو الملجأ والمنجى يلتجئ اليه كل ملتجئ لا ملجأ ولا منجى دونه أى غيره وقال الامام احتج كثير من العلماء فى اثبات أن الاله واحد بقوله هو الاول قالوا الاول هو الفرد السابق ولهذا لو قال أحد أول مملوك اشتريته فهو حر ثم اشترى عبدين لم يعتقا لان شرط كونه أولا حصول الفردية وهنا لم تحصل فلو اشترى بعد ذلك عبدا واحدا لم يعتق لان شرط الاولية كونه سابقا وههنا لم يحصل فثبت ان الشرط فى كونه أولا أن يكون فردا فكانت الآية دالة على أن صانع العالم واحد فرد وأيضا هو الاول خارجا لانه موجد الكل والآخر ذهنا كما يدل عليه براهين اثبات الصانع أو بحسب ترتيب سلوك العارفين فاذا نظرت الى ترتيب السلوك ولاحظت منازل السالكين السائرين اليه تعالى فهو آخر ما يرتقى اليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهى مرقاة الى معرفته والمنزل الاقصى هو معرفة الله فهو آخر بالاضافة الى السلوك فى درجات الارتقاء فى باب المعارف وأول بالاضافة الى الوجود الخارجى فمنه المبتدأ أولا واليه المرجع آخرا وقال بعض الكمل هو الاول باعتبار بدء السير نزولا والآخر باعتبار ختم السير عروجا والظاهر بحسب النظر الى وجود الحق والباطن بحسب النظر الى وجود الخلق وهذا ما قالوا ان ظاهر الحق باطن الخلق وباطن الخلق ظاهر الخلق لان الهوية برزخ بينهما لا يبغيان وبالنظر الى الخلق هوية الهية وبالنظر الى الحق هوية كونية وهذه مرتبة قاب قوسين وفوقها مرتبة أو أدنى وتكلم يوما عند الشبلى رحمه الله فى الصفات فقال اسكتوا فان ثمة متاهات لا تخرقها الاوهام ولا تحويها الافهام وكيف يمكن الكلام فى صفات من تجتمع فيه الاضداد من قوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن خاطبنا على قدر أفهامنا وقال الراغب الاول هو الذى يترتب عليه غيره ويستعمل على أوجه أولها المتقدم بالزمان كقولك عبد الملك أولا ثم منصور والثانى المتقدم بالرياسة فى الشئ وكون غيره محتذيا به نحو الامير أولا ثم الوزير والثالث المتقدم بالوضع والنسبة كقولك للخارج من العراق القادسية أولا ثم فيد وهو قرية فى البادية على طريق الحاج وللخارج من مكة فيد أولا ثم القادسية والرابع المتقدم بالنظام الصناعى نحو أن يقال الأساس أولا ثم البناء واذا قيل فى صفة الله هو الاول فمعناه الذى لم يسبقه فى الوجود شئ والى هذا يرجع قول من قال هو الذى لا يحتاج الى غيره ومن قال هو المستغنى بنفسه والظاهر والباطن فى صفة الله لا يقال مزدوجين كالاول والآخر فالظاهر قيل اشارة الى معرفتنا البديهية فان الفطرة تقضى فى كل ما نظر اليه الانسان انه تعالى موجود كما قال تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله ولذلك قال بعض الحكماء مثل طالب معرفته مثل من طوف الآفاق فى طلب ما هو معه والباطن اشارة الى معرفته الحقيقية وهى التى أشار اليها أبو بكر الصديق رضى الله عنه بقوله يا من غاية معرفته القصور عن معرفته وقيل ظاهر بآياته باطن بذاته وقيل ظاهر بأنه محيط بالاشياء مدرك لها باطن فى أن يحاط به كما قال لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وقد روى عن أمير المؤمنين ما دل على تفسير اللفظين حيث قال تجلى لعباده

من غير أن رأوه وأراهم نفسه من غير أن تجلى لهم ومعرفة ذلك تحتاج الى فهم ثاقب وعقل وافد كما فى المفردات وأيضا هو الاول فى عين آخريته والآخر فى عين أوليته والظاهر فى عين باطنيته والباطن فى عين ظاهريته من حيثية واحدة وباعتبار واحد فى آن واحد لاقتضاء ذاته المطلقة عن هذه الاعتبارات المختلفة والحيثيات المتنافرة المتباينة لاحاطته بالكل واستغنائه عن الكل قيل للعارف الربانى أبى سعيد الخراز قدس سره بم عرفت الله قال بجمعه بين الاضداد فتلا هو الاول والآخر والظاهر والباطن ولا يتصور الجمع بين الاضداد الا من حيثية واحدة واعتبار واحد فى آن واحد وهو بكل شئ من الاولية والآخرية والظاهرية والباطنية عليم اذ علمه عين ذاته وذاته محيط بالاشياء كما قال والله بكل شئ محيط كما فى التأويلات النجمية * وقال الواسطى رحمه الله لم يدع للخلق نفسا بعد ما أخبر عن نفسه هو الاول والآخر والظاهر والباطن وقال أيضا من كان حظه من اسمه الاول كان شغله بما سبق ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مربوطا بما يستقبل ومن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى فى السر من أنواره وقال أيضا حظوظ الانبياء عليهم السلام مع تباينها من أربعة أسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها فمن جمعها كلها فهو أوسطهم ومن فنى عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام وهى قوله هو الاول الخ وقال أيضا من ألبسه الاولية فالتجلى له فى الآخرية محال لانه لا يتجلى الا لمن فقده أو كان بعيدا عنه فقربه وقال الجنيد قدس سره نفى القدم عن كل أول بأوليته ونفى البقاء عن كل آخر بآخريته واضطر الخلق الى الاقرار بربوبيته بظاهريته وحجب الافهام عن ادراك كنهه وكيفيته بباطنيته وقال السدى هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيته يستر عليك وقال ابن عمر رضى الله عنه هو الاول بالخلق والآخر بالرزق والظاهر بالاحياء والباطن بالاماتة وأيضا الاول بلا تأويل أحد والآخر بلا تأخير أحد والظاهر بلا اظهار أحد والباطن بلا ابطان أحد والاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحليم والباطن العليم والاول يكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبوا فيها والآخر يكشف أحوال العقبى حتى لا يشكوا فيها والظاهر على قلوب أوليائه حتى يعرفوه والباطن على قلوب أعدائه حتى ينكروه والاول بالازلية والآخر بالابدية والظاهر بالاحدية والباطن بالصمدية والاول بالهيبة والآخر بالرحمة والظاهر بالحجة والباطن بالنعمة والاول بالعطاء والآخر بالجزاء والظاهر بالثناء والباطن بالوفاء والاول بالهداية والآخر بالكفاية والظاهر بالولاية والباطن بالرعاية * صاحب كشف الاسرار فرموده كه زبان رحمت از روى اشارت ميكويد اى فرزند ادم خلق در حق تو چهار كروهند أول كروهى كه دار أول حال ترا بكار آيند چون پدر ومادر دوم جمعى كه در آخر زندكانى دست كيرند چون أولاد وأحفاد سوم زمرۀ كه آشكارا با تو باشند چون دوستان وياران * چهارم فرقۀ كه پنهان با تو معاش كنند چون زنان وكنيزان * رب العالمين ميفرمايد كه اعتماد بر اينها مكن وكارساز خود ايشانرا مپندار كه اول منم كه ترا از عدم بوجود اوردم آخر منم كه بازكشت تو بمن خواهد بود ظاهر منم كه صورت تو بنحو بترو جهى بياراستم باطن منم كه اسرار وحقايق در سينۀ تو وديعت نهادم * اول وآخر

توبى كيست حدوث وقدم * ظاهر وباطن توبى كيست وجود وعدم * اول بى ابتدا آخر بى ارتحال ظاهر بى چند وچون باطن بى چه وكيف وكم * ويقال هو الاول خالق الاولين والآخر خالق الآخرين والظاهر خالق الادميين وهم ظاهرون والباطن خالق الجن والشياطين وهم لا يظهرون وقال الترمذى هو الاول بالتأليف والآخر بالتكليف والظاهر بالتصريف والباطن بالتعريف والاول بالانعام والآخر بالاتمام والظاهر بالاكرام والباطن بالالهام وقال بعض المحققين من أهل الاصول هذا مبالغة فى نفى التشبيه لان كل من كان أولا لا يكون آخرا وكل من كان ظاهرا لا يكون باطنا فأخبر أنه الاول الآخر الظاهر الباطن ليعلم أنه لا يشبه شيأ من المخلوقات والمصنوعات وقال بعض المكاشفين هو الاول اذ كان هو ولم تكن صور العالم كما قال عليه السلام كان الله ولا شئ معه فهو متقدم عليها وهذا التقدم هو المراد بالاولية وهو الآخر اذ كان عين صور العالم عند ظهورها ولها التأخر فهو باعتبار ظهوره بها له الآخرية فالآخر عين الظاهر والباطن عين الاول هذا باعتبار التنزل من الحق الى الخلق وأما باعتبار الترقى من الخلق الى الحق فالآخر عين الباطن والظاهر عين الاول وقال الامام الغزالى رحمه الله لا تعجبن من هذا فى صفات الله فان المعنى الذى به الانسان انسان ظاهر باطن فانه ظاهر ان استدل عليه بأفعاله المرئية المحكمة باطن ان طلب من ادراك الحس فان الحس انما يتعلق بظاهر بشريته وليس الانسان انسانا ببشريته المرئية منه بل لو تبدلت تلك البشرية بل سائر أجزائه فهو هو والاجزاء متبدلة ولعل أجزاء كل انسان بعد كبره غير الاجزاء التى كانت فيه عند صغره فانها تحللت بطول الزمان وتبدلت بأمثالها بطريق الاغتذاء وهويته لم تتبدل فتلك الهوية باطنة عن الحواس ظاهرة للعقل بطريق الاستدلال عليها بآثارها وأفعالها وقال الزروقى الاول الآخر هو الذى لا مفتتح لوجوده ولا مختتم له بثبوت قدمه واستحالة عدمه وكل شئ منه بدئ واليه يعود وانما عطف بالواو لتباعد ما بين موقعى معناهما ومن عرف أنه الاول غاب عن كل شئ به ومن عرف أنه الآخر رجع بكل شئ اليه * وخاصية الاول جمع الشمل فاذا واظب عليه المسافر فى كل يوم جمعة انجمع شمله * وخاصية الآخر صفاء الباطن عما سوى الله تعالى فاذا واظب عليه انسان فى كل يوم مائة مرة خرج من قلبه سوى الحق * والظاهر الباطن هو الواضح الربوبية بالدلائل المحتجب عن الكيفية والاوهام فهو الظاهر من جهة التعريف الباطن من جهة التكييف ومجراهما فى العطف مجرى الاسمين السابقين ومن عرف أنه الظاهر لم يستدل بشئ عليه ورجع بكل شئ اليه ومن عرف أنه الباطن استدل بكل شئ عليه ورجع به اليه * وخاصية الظاهر اظهار نور الولاية على قلب قارئه اذا قرأه عند الاشراق وخاصية الباطن وجود النفس لمن قرأه فى اليوم ثلاث مرات فى كل ساعة زمانية * ومن قال بعد صلاة ركعتين خمسا وأربعين مرة هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم حصل له ما طلبه أيا كان * وقال بعض الكبار حقيقة الاول هو الذى افتتح وجوده عن عدم وهذا ممتنع فى حق الحق بلا شك فهو الاول لا باولية تحكم عليه ولاجل ذلك سمى نفسه الآخر ولو كانت أوليته مثل أولية الموجودات لم يصح أن يكون آخرا اذ الآخر عبارة عن انتهاء الموجودات المقيدة فهو الآخر لا بآخرية تحكم عليه اذ آخريته عبارة عن فناء الموجودات كلها ذاتا وصفة وفعلا فى ذاته وصفاته وأفعاله تعالى

بظهور القيامة وأما غير الحق فله أولية يحكم عليه مثل قوله عليه السلام أول ما خلق الله العقل أى أول ما افتتح به من العدم الى الوجود العقل الذى هو نور محمد صلى الله عليه وسلم وله آخرية يحكم عليه مثل قوله عليه السلام نحن الآخرون الاولون وفى رواية السابقون يعنى الآخرون فى الظهور من حيث النشأة العنصرية الجسمانية الاولون فى العلم الالهى من حيث الظهور فى النشأة الروحانية ومن صلى فى أول الوقت من حيث أولية الحق المنزهة عن أن يتقدمها أولية لشئ فهو المصلى الصلاة لاول وقتها فتنسحب عبادة هذا المصلى من هنالك الى وقت وجود هذا المصلى فن بادر لاول هذا الوقت فقد حاز الخير بكلتى يديه وهو مشهد نفيس أشار وافيه بتلك الاولية الى معنى اصطلحوا عليه لا الى ما يتبادر لذهن غيرهم كما فى كتاب الجواهر للشعرانى رحمه الله * يقول الفقير عمل الشافعى رحمه الله بقوله عليه السلام أول الوقت رضوان الله فصلى الفجر فى أول وقته وعمل أبو حنيفة رضى الله عنه بقوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وفى الاولية الآخرية وبالعكس ولكل وجهة بحسب الفناء والبقاء وقد أشير الى فى بعض الاسحار أن الكعبة وضعت عند الفجرة أى عند انفجار الصبح الصادق على ما بينت وجهه فى كتاب الواردات الحقية نسأل الله النور (هو الذى خلق السموات والارض) بقدرته الكاملة وحكمته البالغة (فى ستة أيام) من أيام الآخرة أو من أيام الدنيا قال ابن عطية هو الاصوب أولها الاحد وآخرها الجمعة * تا ملائكه مشاهده كنند حدوث انها را چيزى پس از چيزى وسنت تدريج وتأنى در هر كار حاصل آيد وكذا وقع الاختلاف فى الاربعين التى خمر الله فيها طينة آدم هل هى بأيام الدنيا أو بأيام الآخرة وفيه اشارة الى مراتب الصفات الست وهى الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر أى هو الذى تجلى للاشياء كلها بذاته الموصوفة بالصفات الست اذ تجلى الوجود لا يكون الامع لوازمه ولواحقه كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده والتسبيح يستلزم الحياة وما يترتب عليها من العلم بالتسبيح وبالمسبح ومن القدرة على التسبيح والارادة بتخصيص المسبح ومن السمع اذ كل مسبح لابد له من استماع تسبيحه ومن البصر اذ لابد لكل مسبح أن يشاهد المسبح فى بعض مراتب الشهود كما فى التأويلات النجمية (ثم استوى) أى استولى (على العرش) المحيط بجميع الاجسام برحانيته لان استوى متى عدى بعلى اقتضى معنى الاستيلاء واذا عدى بالى اقتضى معنى الانتهاء اليه اما بالذات أو بالتدبير قال بعض الكبار هو محمول على التمثيل وقد سبق بيانه مرارا (قال الكاشفى) پس قصد كرد بتدبير عرش واجراء امور متعلقه بد و بروفق ارادت * وفى التأويلات النجمية يعنى استتم وتمكن تجليه على عرش استعدادات المظاهر السماوية الروحانية والمظاهر الارضية الجسمانية ما تجلى العرش استعداد شئ الا بحسب قابليته وقبوله لا زائد ولا ناقص كما قال العارف * يكى موى از بن كم نبايد همى * وكر بيش باشد نشايد همى (يعلم ما يلج فى الارض) كالكنوز والدفائن والموتى والبذور وكالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى الآخر والولوج الدخول فى مضيق وفى المناسبات الدخول فى الساتر لجملة الداخل (وما يخرج منها) كالجواهر من الذهب والفضة والنحاس وغيرها والزروع والحيوانات والماء وكالكنوز والموتى يوم القيامة * وفى التأويلات النجمية يعنى يعلم بعلمه المحيط ما يدخل فى أرض البشرية

من

من بذور النباتات النفسانية مثل مخالفات الشرع وموافقات الطبع وزروع الاحوال القلبية من مخالفات الطبع وموافقات الشرع والواردات القلبية والالهامات الغيبية وزروع الاذواق والوجدانيات من التجليات الرحمانية والتنزلات الربانية لترتب الاعمال على النيات كما قال عليه السلام انما الاعمال بالنيات وقال أيضا لكل امرئ مانوى اذ النية بمرتبة البذر والعمل بمرتبة الزرع والقلب والنفس والروح بمنزلة الارض المستعدة لكل نوع من البذر وقال بعضهم يعلم مايلج فى أرض قلب المؤمن من الاخلاص والتوحيد وفى أرض قلب الكافر من الشك والشرك ومايخرج منها بحسب حالهما (ومايترل من السماء) كالكتب والملائكة والاقضية والصواعق والامطار والثلوج (ومايعرج فيها) كالملائكة الذين يكتبون الاعمال والدعوات والارواح السعيدة والابخرة والادخنة وقال بعضهم ومايترل من السماء على قلوب اوليائه من الالطاف والكشوف وفنون الاحوال العزيزة ومايعرج فيها من أنفاس الاولياء المشتاقين اذا تصاعدت حسراتهم وعلت زفراتهم (وهو معكم أينما كنتم) فى الارض وهو تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا وفى الحديث أفضل ايمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان * يار باتست هركجاهستى * جاى ديكر چه خواهى اى اوباش * بااودر زير يك كليم جواوست * پس برواى حريف خودراباش * قال موسى عليه السلام أين أجدك يارب قال ياموسى اذا قصدت الى فقد وصلت الى * وفى التأويلات النجمية وهو معكم لابالمعية المفهومة للعوام والخواص أيضا * اين معيت مى نكنجد دربيان * نى زمان داردخبرزونى مكان * بل بالمعية المذوقة بالذوق الكشفى الشهودى أى انامعكم بحسب مراتب شهوداتكم ان كنتم فى المشهد الفعلى فانامعكم بالتجلى الذاتى ماأتقدم ولاأتأخر عنكم وقال بعض الكبار تلك المعية ليست هى مثل مايتصور بالعقل حسا أو ذهنا أوخيالا أووهما تعالى شأنه عن ذلك علوا كبيرا وانما هى معية تفرد الحق سبحانه بعينها وتحققها وعلمها لايعلم سرها الاالله ومن أطلعه عليه من الكمل ويحرم كشفها ترحما على العقول القاصرة عن درك الاسرار الخفية كما قال ابن عباس رضى الله عنهما أبهموا ماأبهم الله وبينوا مابين الله يعنى اذا اقتضى المقام الابهام كما اذا طلب بيان المبهم على ماهو عليه فى نفسه وعقل الطالب قاصر عن دركه فلا جرم أنه حرام لمافيه من هلاكه واما اذا طلب بيان المبهم لاعلى ماهو عليه فى نفسه بل على وجه يدركه عقله بضرب تأويل يستحسنه الشرع ففيه رخصة شرعية اعتبرها المتأخرون دفعا لانقلاب قلب الطالب وترسيخا على عقيدته حتى تندفع عن صدره الوساوس والهواجس والمراد على هذا المعية حفظه أو معية أمره أو غير ذلك مما لااضطراب فيه لاشرعا ولاعقلا ولاخارجا والاين المذكور فى الآية متناول لجميع الاينات الازلية والابدية من المعنوية والروحانية والمثالية والحسية والدنيوية والبرزخية والحشرية والنيرانية والجنانية والغيبية والشهادية مطلقا كلية كانت أوجزئية وهذه الاينية كالمعية من المبهمات والمتشابهات ومايعلم تأويلها الاالله ومايتذكر سرها الاأولوا الالباب قال بعضهم فى هذه الآية بشارة للعاشقين من حيث هو معهم أينما كانوا وتوفيق للمتوكلين وسكينة للعارفين وبهجة للمحبين ويقين للمراقبين ورعاية للمقبلين واشارة الى سر الوحدة للموحدين قال الحسين

رحمه الله ما قارب الحق الاكوان ولا فارقها كيف يفارقها وهو موجدها وحافظها وكيف يقارب القدم الحدوث به قوام الكل وهو بائن عن الكل انتهى (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه ثوابا وعقابا وهو عبارة عن احاطته بأعمالهم فتأخيره عن الخلق لما أن المراد ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من أن الخلق دليل على العلم فبالخلق يستدل على العلم والدليل يتقدم على المدلول وفي الآية ايقاظ للغافلين وتنشيط للمستيقظين ودلالة لهم على الخشية والحياء من رب العالمين واشارة لهم الى أن أعمالهم محفوظة وانهم مجزيون بها ان خيرا فخير وان شرا فشر قال بعض الكبار والله بما تعملون بصير لانه العامل بكم وفيكم ولا بد لكل عامل أن يبصر عمله وما يتعلق به (له ملك السموات والارض) تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى (والى الله ترجع الامور) على البناء للمفعول من رجع رجعا أى رد ردا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمعنى اليه تعالى وحده لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا ترد جميع الامور فاستعدوا للقائه باختيار أرشد الامور وأحسنها عند الله * پس تكرير كلام جهت آنست كه أول تعلق بابداء دارد وثانى باعاده ولذا قرن بالاول يحيي ويميت وبالثانى ما يكون فى الآخرة من رد الخلق اليه وجزائه اياهم بالثواب والعقاب وفيه اشارة الى أنه له ملك علوم السموات الروحانية وهى العلوم الكشفية اللدنية الموهوبة بالاسم الوهاب من غير تحصيل الاسباب لعباده الخاصين بافاضته عليهم وله أيضا ملك العلوم الرسمية الكسبية الارضية بالسعى والاجتهاد للعلماء بافاضة توفيق الكسب والاجتهاد بأمور العلوم الكشفية والكسبية ترجع الى عناية الله الازلية والابدية (يولج الليل فى النهار) الايلاج الادخال يعنى از زمان شب در روز افزايد حتى يصير النهار أطول ما يكون خمس عشرة ساعة والليل أقصر ما يكون تسع ساعات (ويولج النهار فى الليل) يعنى از زمان روز بشب زياده كند باختلاف الفصول وبحسب مطالع الشمس ومغاربها حتى يصير الليل أطول ما يكون خمس عشرة ساعة والنهار أقصر ما يكون تسع ساعات والليل والنهار أبدا أربع وعشرون ساعة قال فى فتح الرحمن فيه تنبيه على العبرة فيما يأخذ به الليل والنهار من الطول والقصر وذلك متشعب مختلف حسب اختلاف الاقطار والازمان الاربعة وذلك بحر من بحار الفكرة لمن تأمله (وهو عليم) أى مبالغ فى العلم (بذات الصدور) أى بمكنوناتها اللازمة لها من الاسرار والمعتقدات وذلك أغمض ما يكون وهو بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه فى نياتهم بعد بيان احاطته بأعمالهم التى يظهرونها وفى الآية اشارة الى أنه يستهلك ظلمة ليل البشرية والطبيعة فى نور نهار الروح بطريق تغليب نور نهار الروح وهو تعالى عالم بكل ما يصدر من أصحاب ليل النفوس من السيئات ومن أرباب نهار الارواح من الحسنات لا يفوته منهما شئ قال ابن عباس رضى الله عنهما اسم الله الاعظم فى أول سورة الحديد فى ست آيات من أولها فاذا علقت على المقاتل فى الصف لم ينفذ اليه حديد كما فى فتح الرحمن (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) روى أن الآية نزلت فى غزوة ذى العشيرة وهى غزوة تبوك وفى عين المعانى يحتمل الزكاة والنفقة فى سبيل الله والمعنى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة عبر عما بأيديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم فى الانفاق فان من علم أنه ما لله وأنه بمنزلة الوكيل والنائب بحيث يصرفها الى ما عينه

الله من المصارف هان عليه الانفاق أو جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بأيديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به قال الشاعر ويكفيك قول الناس فيما ملكته * لقد كان هذا مرة لفلان فلا بد من انفاق الاموال التى هى للغير وستعود الى الغير فكان الانفاق من مال الغير يهون على النفس اذا أذن فيه صاحبه فكذا من المال الذى على شرف الزوال * مكن تكيه برملك وجاه وحشم * كه پيش از تو بودست وبعد از تو هم * خور وپوش وبخشاى وراحت رسان * نكه مى چه دارى زبهر كسان * بخيل توانكر بدينار وسيم * طلسمست بالاى كنجى مقيم ازان سالها مى بماند زرش * كه لرزد طلسم چنين برسرش * بسنك اجل ناكهان بشكنند * با سودكى كنج قسمت كنند * (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا) حسبما أمروا به (وقال الكاشفى) ونفقه كردند مال خود را بزكات وجهاد وسائر خيرات (لهم) بسبب ذلك (أجر كبير) مزدى بزرك ونوابى عظيم كه جنت ونعيمست قال فى فتح الرحمن الاشارة فيه الى عثمان رضى الله عنه وحكمها باق يندب الى هذه الافعال بقية الدهر * وفى التأويلات النجمية يخاطب كل واحد من المشايخ والعلماء ويأمرهم بالايمان بالله وبرسوله ايمانا كاملا جامعا شرائط الايمان الحقيقى الشهودى العيانى ويوصيهم بافاضة علوم الوهب على مستحقيها وتعليم علوم الدراسة لمستعديها اذ العلماء فى العلوم الكسبية والمشايخ فى المعرفة والحكمة الوهبية خلفاء فيما فوضه اليهم أن ينفقوا على الطالبين المستحقين الذين ينفق الله ورسوله عليهم كما قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى أنفق أنفق عليك وقال عليه السلام لا توك فيوكى عليك وفى الحديث من كتم علما يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ويشمل هذا الوعيد حبس الكتب عمن يطلبها للانتفاع بها لاسيما مع عدم التعدد لنسخها الذى هو أعظم أسباب المنع وكون المالك لا يهتدى لراجعه منها والابتلاء بهذا كثير كما فى المقاصد الحسنة للامام السخاوى رحمه الله فالذين آمنوا من روح القلب والايمان الشهودى وأنفقوا من تلك العلوم الوهبية والكسبية على النفس وصفاتها بالارشاد الى موافقات الشرع ومخالفات الطبع وفى التسلك فى طريق السير والسلوك بالاتصاف بصفات الروحانية والانسلاخ عن صفات البشرية النفسانية لهم أجر كبير كما قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها (وما لكم لا تؤمنون بالله) لا تؤمنون حال من الضمير فى لكم لما فيه من معنى الفعل أى أى شىء ثبت لكم وحصل حال كونكم غير مؤمنين وحقيقته ما سبب عدم ايمانكم بالله على توجيه الانكار والنفى الى السبب فقط مع تحقق المسبب (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه أى وأى عذر فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه بالحجج والآيات فان الدعوة المجردة لا تفيد فلولم يجب الداعى دعوة مجردة وترك ما دعاه اليه لم يستحق الملامة والتوبيخ فلام لتؤمنوا بمعنى الى ولا يبعد حملها على التعليلية أى يدعوكم الى الايمان لاجل أن تؤمنوا (وقد أخذ ميثاقكم) حال من مفعول يدعوكم والميثاق عقد يؤكد بيمين وعهد والموثق الاسم منه أى وقد أخذ الله ميثاقكم بالايمان من قبل دعوة الرسول اياكم اليه وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وحمله بعض العلماء على المأخوذ يوم الذر أى حين

أخرجهم من صلب آدم في صورة الذر وهي النمل الصغير (ان كنتم مؤمنين) لموجب مّا فان هذا موجب لا موجب وراءه وفي عين المعاني أي ان كنتم مصدقين بالميثاق وفي فتح الرحمن أي ان دمتم على ما بدأتم به (هو الذي ينزل) بواسطة جبرائيل عليه السلام (على عبده) المطلق محمد عليه السلام (آيات بينات) واضحات من الامر والنهي والحلال والحرام (ليخرجكم) الله أيها القوم محمد أو العبد بسبب تلك الآيات (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر والشرك والشك والجهل والمخالفة والحجاب الى نور الايمان والتوحيد واليقين والعلم والموافقة والتجلي (وان الله بكم لرؤف رحيم) حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية (وقال الكاشفي) مهربانست كه قرآن ميفرستد بخشاينده است كه رسول رابدعوت ميفرمايد وقال بعضهم لرؤف بافاضة نور الوحي رحيم بازالة ظلمة النفس البشرية (وما لكم أن لا تنفقوا في سبيل الله) أي أي شيء لكم من أن لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله ما هو له في الحقيقة وانما أنتم خلفاؤه في صرفه الى ما عينه من المصارف فقوله في سبيل الله مستعار لما يكون قربة اليه وقال بعضهم معناه لاجل الله (ولله ميراث السموات والارض) حال من فاعل لا تنفقوا أو مفعوله المحذوف أي وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال أنه لا يبقى لكم منها شيء بل تبقى كلها لله بعد فناء الخلق واذا كان كذلك فانفاقها بحيث تستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان أولى من الامساك لانها اذا تخرج من أيديكم مجانا بلا عوض وفائدة قال الراغب وصف الله نفسه بأنه الوارث من حيث ان الاشياء كلها صائرة اليه وقال أبو الليث انما ذكر لفظ الميراث لان العرب تعرف أن ما ترك الانسان يكون ميراثا فخاطبهم بما يعرفون فيما بينهم قال بعض الكبار لولا أن القلوب مجبولة على حب المال ما فرضت الزكاة ومن هنا قال بعضهم ان العارف لا زكاة عليه والحق أن عليه الزكاة كما أن عليه الصلاة والطهارة من الجنابة ونحوهما لانه يعلم أن نفسه مجموع العالم ففيها من يحب المال فيوفيه حقه من ذلك الوجه باخراجها فهو زاهد من وجه وراغب من وجه آخر وقد أخرج رسول الله عليه السلام صدقة ماله فالكامل من جمع بين الوجهين اذ الوجوب حقيقة في المال لا على المكلف لانه انما كلف باخراج الزكاة من المال لكون المال لا يخرج بنفسه فللعارفين المحبة في جميع العالم كله وان تفاضلت وجوهها فيحبون جميع ما في العالم بحب الله تعالى في ايجاد ذلك لا من جهة عين ذلك الموجود فلا بد للعارف أن يكون فيه جزء يطلب مناسبة العالم ولولا ذلك الجزء ما كانت محبة ولا محبوب ولا تصور وجودها وفي كلام عيسى عليه السلام قلب كل انسان حيث ماله فاجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء فحث أصحابه على الصدقة لما علم أن الصدقة تقع بيد الرحمن وهو يقول أأمنتم من في السماء فانظر ما أعجب كلام النبوة وما أدقه وأحلاه وكذلك لما علم السامري أن حب المال ملصق بالقلوب صاغ لهم العجل من حليهم لرأيه منهم لعلمه أن قلوبهم تابعة لاموالهم ولذلك لما سارعوا الى عبادة العجل دعاهم اليها فعلم أن العارف من حيث سره الرباني مستخلف فيما بيده من المال كالوصي على مال المحجور عليه يخرج عنه الزكاة وليس له فيه شيء ولكن لما كان المؤمن بجنابه يخرجها بحكم الملك فرضت عليه الزكاة لينال بركات ثواب من رزئ في محبوبه والعارف لا يخرج شيأ بحكم الملك والمحبة كالمؤمن انما يخرج امتثالا للامر

ولا تؤثر

ولا تؤثر محبته للمال فى محبته لله تعالى لانه ما أحب المال الا بتحبيب الله ومن هنا قال سليمان عليه السلام هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك أنت الوهاب فما طلب الا من نسبة فاقة فقير الى غنى ثم اعلم أن المال انما سمى مالا لميل النفوس اليه فان الله تعالى قد أشهد النفوس ما فى المال من قضاء الحاجات المجبول عليها الانسان اذ هو فقير بالذات ولذلك مال الى المال بالطبع الذى لا ينفك عنه ولو كان الزهد فى المال حقيقة لم يكن مالا ولكان الزهد فى الآخرة أتم مقاما من الزهد فى الدنيا وليس الامر كذلك فان الله تعالى قد وعد بتضعيف الجزاء الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف فلو كان القليل منه حجابا لكان الكثير منه أعظم حجابا فالدنيا للعارف صفة سليمانية كمالية وما أليق قوله انك أنت الوهاب أتراه عليه السلام سأل ما يحجبه عن الله تعالى أو سأل ما يبعده من الله تعالى كلا ثم انظر الى تميم النعمة عليه بدار التكليف بقوله تعالى له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فرفع عنه الحرج فى التصرف بالاسم المانع والمعطى واختصه بجنة معجلة فى الدنيا وما حجبه ذلك المال عن ربه فانظر الى درجة العارف كيف جمع بين الجنتين وتحقق بالحقيقتين وأخرج زكاة المال الذى بيده عملا بقوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فجعله مالكا للانفاق من حقيقة الهية فيه فى مال هو ملك لحقيقة أخرى فيه هو وليها من حيث الحقيقة الالهية (لا يستوى منكم) يا معشر المؤمنين روى أن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم أنفقوا نفقات كثيرة حتى قال ناس هؤلاء أعظم أجرا من كل من أنفق قديما فنزلت الآية مبينة أن النفقة قبل فتح مكة أعظم أجرا (من أنفق من قبل الفتح) أى فتح مكة الذى أزال الهجرة وقال عليه السلام فيه لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وهذا قول الجمهور وقال الشعبى هو صلح الحديبية فانه فتح كما سبق فى سورة الفتح (وقاتل) العدو تحت لواء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والاستواء يقتضى شيئين فقسيم من أنفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه اى لا يستوى فى الفضل من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعده وقاتل والظاهر أن من أنفق فاعل لا يستوى وقيل من مبتدأ ولا يستوى خبره ومنكم حال من ضمير لا يستوى لا من ضمير أنفق لضعف تقديم ما فى الصلة على الموصول أو الصفة على الموصوف ولضعف تقديم الخبر على منكم لان حقه أن يقع بعده ثم فى أنفق اشارة الى انفاق المال وما يقدر عليه من القوى وفى قاتل اشارة الى انفاق النفس فان الجهاد سعى فى بذل الوجود ليحصل بالفناء كمال الشهود ولذا قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فهذه الحياة حياة أخروية باقية عند ربه فكيف تساويها الحياة الدنيوية الفانية الخلقية مع أن رزق الحياة الفانية ينفد وما عند الله باق ولذا قال أكلها دائم وظلها أى راحتها فالانسان العاقل يترك الراحة الدنيوية اليسيرة لله تعالى ليصل الى الراحة الكثيرة الاخروية فشأنه يقتضى الجهاد والقتال (أولئك) المنفقون المقاتلون قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار (أعظم درجة) وأرفع منزلة عند الله وبعظم الدرجة يكون عظم صاحبها فالدرجة بمعنى المرتبة والطبقة وجمعها درجات واذا كانت بمعنى المرقاة فجمعها درج (من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) لانهم انما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة أهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهؤلاء فعلوا ما فعلوا

بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه أفواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال وقد صرح
عليه السلام أيضا بفضل الاولين بقوله لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم
ولا نصيفه قال في القاموس المد بالضم مكيال وهو رطلان أو رطل وثلث أو ملء كفي الانسان
المعتدل اذا ملأهما ومديده بهما وبه سمي مدا وقد جربت ذلك فوجدته صحيحا والنصيف
والنصف واحد وهو أحد شقي الشئ والضمير في نصيفه راجع الى أحدهم لا الى المد والمعنى
ان أحدكم أيها الصحابة الحاضرون لايدرك بانفاق مثل جبل أحد ذهبا من الفضيلة ما أدرك
أحدهم بانفاق مد من الطعام أو نصيف له وفيه اشارة الى أن صحبة السابقين الاولين كاملة
بالنسبة الى صحبة اللاحقين الآخرين لسبقهم وتقدمهم وفي الحديث سيأتي قوم بعدكم
تحقرون أعمالكم مع أعمالهم قالوا يارسول الله نحن أفضل أم هم قال لو أن أحدهم أنفق مثل
أحد ذهبا ما أدرك فضل أحدكم ولا نصفه فرقت هذه الآية بينكم وبين الناس لايستوي
منكم الآية ذكره أبو الليث في تفسيره وفيه اشارة الى أن الصحابة متفاوتون في الدرجة
بالنسبة الى التقدم والتأخر واحراز الفضائل فكذا الصحابة ومن بعدهم فالصحابة مطلقا أفضل
ممن جاء بعدهم مطلقا فانهم السابقون من كل وجه (وكلا) أي كل واحد من الفريقين وهو
مفعول أول لقوله (وعد الله الحسنى) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط ولكن
الدرجات متفاوتة (والله بما تعملون خبير) بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه قال في
المناسبات لما كان زكاء الاعمال انما هو بالنيات وكان التفضيل مناط العلم قال مرغبا في
حسن النيات مرهبا من التقصير فيها والله بما تعملون أي تجددون عمله على ممر الاوقات خبير
أي عالم بباطنه وظاهره علما لا مزيد عليه بوجه فهو يجعل جزاء الاعمال على قدر النيات التي
هي أرواح صورها * عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد زبى مغز پوست * وقال
الكلبي نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفيها دلالة ظاهرة وحجة باهرة على
تفضيل ابي بكر وتقديمه فانه أول من أسلم وذلك فيما روى أن أبا امامة قال لعمر بن عبينة بأى
شئ تدعى أنك ربع الاسلام قال اني كنت أرى الناس على الضلالة ولا أرى للاوثان شيأ
ثم سمعت عن رجل يخبر عن أخبار مكة فركبت راحلتي حتى قدمت عليه فقلت من أنت قال
أنا نبي قلت وما نبي قال رسول الله قلت بأى شئ أرسلك قال أوحد الله لا أشرك به شيأ وأكسر
الاوثان وأصل الارحام قلت من معك على هذا قال حر وعبد واذا معه أبو بكر وبلال فأسلمت
عند ذلك فرأيتني ربع الاسلام يعني پس دانستم خود را ربع اسلام وانه أى أبا بكر أول من
أظهر الاسلام على ماروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كان أول من أظهر الاسلام
رسول الله عليه السلام وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد وانه أول من
قاتل على الاسلام وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا أشرف به على الهلاك على ماقاله ابن مسعود
رضي الله عنه أول من أظهر الاسلام بسيفه النبي عليه السلام وأبو بكر رضي الله عنه وانه أول
من أنفق على رسول الله وفي سبيل الله قال ابن عمر رضي الله عنهما كنت عند النبي عليه السلام
وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد كبة قد خللها في صدره بخلال يعني بر وى كليمي بود كه استوار كرده
و بر ادر سينه خود بخلال قال في القاموس خل الكساء شده بخلال وذو الخلال أبو بكر

الصديق

الصديق رضى الله عنه لانه تصدق بجميع ماله وخل كساء بخلال انتهى فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال مالى أرى أبابكر عليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال فقال أنفق ماله على قبل الفتح قال فان الله تعالى يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أأسخط على ربى انى عن ربى راض انى عن ربى راض ولهذا قدمه الصحابة رضى الله عنهم على أنفسهم وأقروا له بالتقدم والسبق وذلك فيما روى عبد الله بن سلمة عن على رضى الله عنه قال سبق رسول الله عليه السلام وثنى أبو بكر وثلث عمر يعنى سابقست رسول الله ودر پى وى ابو بكر رست وسوم عمر ست فلا أوتى برجل فضلنى على أبى بكر وعمر الاجلدته جلد المفترى وأطرح شهادته يعنى طرح شهادت وى كنم ودر صفت وى كفته اند * صاحب قدم مقام تجريد * سر دفتر جمله اهل توحيد * در جمع مقربان سابق * حقا كه جواونبود صادق * وفى الآية اشارة الى ان من تقدمت مجاهدته على مشاهدته وهو المريد المراد والسالك المجذوب والمحب المحبوب أعلى وأجل وأسبق درجة ومرتبة من درجات المشاهدة ومراتبها ممن تقدمت مشاهدته على مجاهدته وحين يقعد أرباب المشاهدة فى مقعد صدق عند مليك مقتدر لمشاهدة وجهه ورؤية جماله فى جنة وصاله يفوقه ويسبقه ويتقدمه وهو المراد المريد والمجذوب السالك والمحبوب المحب فان المجاهدة قدمت على المشاهدة فى قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فيصير سلوك الاول واقعا على وفق العادة الالهية والسنة الربانية وسلوك الثانى على خارقها والمعتبر فى الترتيب الالهى تقدما وتأخرا باعتبار الاكمل انما هو وفق العادة والسنة الالهية وهماوان كانا متحدين باعتبار أصل حسن المشاهدة لكنهما متفاوتان باعتبار قدرها ودرجتها فانهم الصافون وما منا الا له مقام معلوم كذا فى كتاب اللائحات البرقيات لحضرة شيخى وسندى روح الله روحه (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) من مبتدأ خبره ذا والذى صفة ذا أو بدله والاقراض حقيقة اعطاء العين على وجه يطلب بدله وقرضا حسنا مفعول مطلق له بمعنى اقراضا حسنا وهو الاخلاص فى الانفاق أى الاعطاء لله وتحرى أكرم المال وأفضل الجهات والمعنى من ذا الذى ينفق ماله فى سبيل الله رجاء أن يعوضه فانه كمن يقرضه وقال فى كشف الاسرار كل من قدم عملا صالحا يستحق به مثوبة فقد أقرض ومنه قولهم الايادى قروض وكذلك كل من قدم عملا سيأ يستوجب به عقوبة فقد أقرض فلذلك قال تعالى قرضا حسنا لان المعصية قرض سيئ قال أمية

لا تخلطن خبيثات بطيبة * واخلع ثيابك منها وانج عريانا
كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا * أو سيأ ومدين مثل ما دانا

وقيل المراد بالقرض الصدقة انتهى وههنا وجه آخر وهو أن القرض فى الاصل القطع من قرض الثوب بالمقراض اذا قطعه به ثم سمى به ما يقطعه الرجل من أمواله فيعطيه عينا بشرط رد بدله فعلى هذا يكون قرضا حسنا مفعولا به والمعنى من ذا الذى يقرض الله مالا حسنا أى حلالا طيبا فانه تعالى لا يقبل الا الحلال الطيب (فيضاعفه له) بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قيل أيقرض الله أحد فيضاعفه له أى فيعطيه أجره اضعافا من فضله وانما قلنا باعتبار المعنى لان الفاء انما تنصب فعلا مردودا على فعل مستفهم عنه كما قاله أبو على الفارسى

وههنا السؤال لم يقع عن القرض بل عن فاعله (وله أجر كريم) أى وذلك الأجر المضموم اليه الاضعاف كريم حسن مرضى فى نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا كثيرة وروى أنه لما نزلت هذه الآية جعل أبو الدحداح يتصدق بنصف كل شئ يملكه فى سبيل الله حتى انه خلع احدى نعليه ثم جاء الى أم الدحداح فقال انى بايعت ربى فقالت ربح بيعك فقال النبى عليه السلام كم من نخلة مدلاة عذوقها فى الجنة لابى الدحداح قال بعضهم سأل الله منهم القرض ولو كانوا على نعت المروأة لخرجوا من وجودهم قبل سؤاله فضلا عن المال فان العبد وما يملكه لمولاه فاذا بذلوا الوجود المجازى وجدوا من الله بدله الوجود الحقيقى وله أجر كريم بحسب الاجتهاد فى السير الى الله والتوجه الى عتبة بابه الكريم * هركسى از همت والاى خويش * سود برد در خور كالاى خويش * وفى الآية اشارة الى القرض الشرعى لمن يستقرض كما دل عليه قوله تعالى عبدى استطعمتك فلم تطعمنى فاعطاء القرض للعبد اعطاء لله تعالى والقرض أفضل من الصدقة لانه ربما سأل سائل وعنده ما يكفيه وأما المستقرض فلا يستقرض الا من حاجة وقال بعضهم هذا القرض هو أن يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وهو أفضل الاذكار وعن الحسن هو التطوعات وفى المرفوع النافلة هدية المؤمن الى ربه فليحسن أحدكم هديته وليطيبها والحاصل أن الكريم يرد القرض بأحسن ما يكون من الرد ويحسن أيضا فى مقابلة الهدية (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم أى اذكر وقت رؤيتهم يوم القيامة على الصراط (يسعى نورهم) حال من مفعول ترى أى نور ايمانهم وطاعتهم والسعى المشى السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد فى الامر خيرا كان أو شرا وأكثر ما يستعمل فى الافعال المحمودة (بين أيديهم وبأيمانهم) جمع يمين بمعنى الجارحة والمراد جهة اليمين وبين ظرف للسعى قال أبو الليث يكون النور بين أيديهم وبأيمانهم وعن شمائلهم الا أن ذكر الشمال مضمر وقال فى فتح الرحمن وخص بين الايدى بالذكر لانه موضع حاجة الانسان الى النور وخص ذكر جهة اليمين تشريفا وناب ذلك مناب أن يقول وفى جميع جهاتهم وفى كشف الاسرار لان طريق الجنة يمنة ويجاههم وطريق أهل النار يسرة ذات شمال وفى الحديث بينا أنا على حوضى انادى هلم اذا أناس أخذتهم ذات الشمال فاختلجوا دونى فأنادى الاهلم فيقال انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا * يقول الفقير ذكر بين الايدى اشارة الى المقربين الذين هم وجه بلا قفا ظاهرا وباطنا فلهم نور مطلق يضئ من جميع الجهات وذكر الايمان اشارة الى أصحاب اليمين الذين هم وجه من وجه وقفا من وجه آخر فنورهم نور مقيد بأيمانهم وأما أصحاب الشمال فلا نور لهم أصلا لانهم الكفرة الفجرة فلذا طوى ذكر الشمال من البين * از ابن مسعود منقولست كه نور هر كسى بقدر عمل وى بود نور يكى از صنعا باشد تا بعدن وادنى نورى آن بود كه صاحبش قدم خود را ببيند بارى هيچ مؤمن بى نور نباشد وقال منهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا يؤتى نوره على ابهام قدميه فيطفأ مرة ويتقد أخرى فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعى نورهم جنيبا لهم ومتقدما ومر ورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب

ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذى أعطى نوره على ابهام قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه ويقف مرة ويمشى أخرى وتصيب جوارحه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص وكما أن لهم يوم القيامة نورا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم فاليوم لهم فى قلوبهم نور يهتدون به فى جميع الاحوال ويبدو أيضا فى بشرتهم فمن ظهر له ذلك النور انقاد له وخضع وكان من المقربين ومن لم يظهر له ذلك تكبر عليه ولم يستسلم وكان من المنكرين وحين تعلق نظر عبد الله بن سلام الى وجه النبى عليه السلام آمن به وقال ما هو بوجه كذاب وكذا اضرابه بخلاف أبى جهل وأحزابه * قال بعض الكبار نور الايمان كناية عن تمكن اجتهادهم وسعيهم الى الله بالسير والسلوك وذلك لان قوة الانسان فى يمينه وبها يعرف اليمين من الشمال (بشراكم اليوم جنات) أى تقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم بشراكم أى ما تبشرون به اليوم جنات أو بشراكم دخول جنات فحذف المضاف وأقيم مقامه المضاف اليه فى الاعراب (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك) أى ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة (هو الفوز العظيم) الذى لا غاية وراءه لكونهم ظفروا بكل ما أرادوا (قال الكاشفى) رستكارئ بزركست جه از همه اهوال قيامت ايمن شده بدار الجلال ميرسند وديدار ملك متعال مى بينند (مصراع) هزار جان مقدس فداى ديدارت (يوم يقول المنافقون والمنافقات) بدل من يوم ترى (للذين آمنوا) أى أخلصوا الايمان بكل ما يجب الايمان به (انظرونا) أى انتظرونا يقولون ذلك لما أن المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذى بين أيديهم فانظرونا على هذا الوجه من باب الحذف والايصال لان النظر بمعنى الابصار لا يتعدى بنفسه انما يتعدى بالى وقرأ حمزة أنظرونا من النظرة وهى الامهال على أن تأنيهم فى المضى ليلحقوا بهم انظار لهم وامهال (نقتبس من نوركم) أى نستضئ منه ونمش فيه معكم وأصله اتخاذ القبس وهو محركة شعلة نار تقتبس من معظم النار كالمقباس قال الراغب القبس المتناول من الشعلة والاقتباس طلب ذلك ثم يستعار لطلب العلم والهداية قال بعضهم النار والنور من أصل واحد وهو الضوء المنتشر يعين على الابصار وكثيرا ما يتلازمان لكن النار متاع للمقوين فى الدنيا والنور متاع لهم فى الدنيا والآخرة ولاجل ذلك استعمل فى النور الاقتباس وقيل نقتبس من نوركم أى نأخذ من نوركم قبسا سراجا أو شعلة وقيل ان الله يعطى المؤمنين نورا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط ويعطى المنافقين أيضا نورا خديعة لهم وهو قوله تعالى وهو خادعهم فبينماهم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فأطفأ نور المنافقين فذلك قوله يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب المنافقون وقال الكلبى بل يستضئ المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون وبقوا فى الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل) طردا لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين أو من جهة الملائكة (ارجعوا وراءكم) أى الى الموقف (فالتمسوا نورا) أى فاطلبوا نورا فانه من ثمة يقتبس أو الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة * كار اينجا كن كه تشويشست در محشر بسى * آب ازينجا بركه

در عقبى بس شور وشر ست * وروى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه انه قال بينا العباد يوم
القيامة عند الصراط اذ غشيهم ظلمة يقسم الله النور بين عباده فيعطى الله المؤمن نورا ويبقى
المنافق والكافر لا يعطيان نورا فكما لا يستضىء الاعمى بنور البصير لا يستضىء الكافر والمنافق
بنور المؤمن فيقولون انظرونا نقتبس من نوركم فيقولون لهم ارجعوا حيث قسم النور فيرجعون
فلا يجدون شيأ فيرجعون وقد ضرب بينهم بسور أو ارجعوا خائبين خاسئين وتنحوا عنا فالتمسوا
نورا آخر وقد علموا أن لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم أو أرادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة
الكثيفة تهكما بهم وقال بعض أهل الاشارة كأن استعداداتهم الفطرية الفائتة عنهم تقول
بلسان الحال ارجعوا الى استعداداتكم الفطرية التى أفسدتم بحب الدنيا ولذاتها وشهواتها
واقتبسوا منها نورا اذ ما تصلون الى مطلوباتكم الا بحسب استعداداتكم وهى فائتة عنكم
باشتغالكم بالامور الدنيوية واعراضكم عن الاحكام الاخروية والتوجهات المعنوية
(فضرب بينهم) أى بين الفريقين وهم المؤمنون والمنافقون يعنى ملائكه بحكم الهى بزنند ولما
كان البناء مما يحتاج الى ضرب باليد ونحوها من الآلات عبر عنه بالضرب ومنه ضرب الخيمة
لضرب أوتادها بالمطرقة (بسور) أى حائط بين شق الجنة وشق النار فان سور المدينة حائطها
المشتمل عليها والباء زائدة وبالفارسية ديوارى نزديك جون بارۀ شهرى قال بعضهم هو سور بين
أهل الجنة والنار يقف عليه أصحاب الاعراف يشرفون على أهل الجنة وأهل النار وهو السور
الذى يذبح عليه الموت يراه الفريقان معا (له) أى لذلك السور (باب) يدخل فيه المؤمنون
فيكون السور بينهم باعتبار ثانى الحال أعنى بعد الدخول لا حين الضرب (باطنه) أى باطن
السور أو الباب (فيه الرحمة) لانه يلى الجنة (وظاهره من قبله) أى من جهته وعنده (العذاب)
لانه يلى النار وقال بعضهم هو سور بيت المقدس الشرقى باطنه فيه المسجد الاقصى وظاهره من
قبله العذاب وهو واد يقال له وادى جهنم وكان كعب يقول فى الباب الذى يسمى باب الرحمة فى
بيت المقدس انه الباب الذى قال الله فضرب بينهم بسور له باب الآية يعنى ان هذا الموضع
المعروف بوادى جهنم موضع السور قال ابن عطية وهذا القول فى السور بعيد يعنى بل
المراد بالسور الاعراف * يقول الفقير لا بعد فيه بالنسبة الى من يعرف الاشارة وقد روى أن
عبادة قام على سور بيت المقدس الشرقى فبكى فقال بعضهم ما يبكيك يا أبا الوليد فقال ههنا أخبرنا
رسول الله عليه السلام أنه رأى جهنم وفى الحديث بيت المقدس أرض المحشر والمنشر فيجوز أن
يكون الموضع المعروف بوادى جهنم موضع السور على أنه سور الاعراف بعينه لكن على كيفية
لا يعرفها الا الله لانه تبدل الارض غير الارض يوم القيامة وقد صح أن مواضع العبادات تلتحق
بارض الجنة فلا بعد فى أن يكون المسجد الاقصى من الجنة وخارجه من النار وبينهما السور
(ينادونهم) كأنه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادى المنافقون
المؤمنين من وراء السور (وقال الكاشفى) منافقون جون زبس نكرند ونورى نه بينند باز
متوجه مؤمنان شوند ديوارى بينند ميان خود وايشان حاجز شده ازان در بنكرند مؤمنانرا
مشاهده نمايند كه خرامان متوجه رياض شدند بخوانند ايشانرا بزارى كويند أى مؤمنان
(ألم نكن) فى الدنيا (معكم) يريدون به موافقتهم لهم فى الامور الظاهرة كالصلاة والصوم

والمناكحة

والمناكحة والموارثة ونحوها (قالوا بلى) كنتم معنا بحسب الظاهر (ولكنكم فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها اضافة الفتنة الى النفس اضافة الميل والشهوة والى الشيطان فى قوله لا يفتننكم الشيطان اضافة الوسوسة والى الله تعالى فى قوله قال فانا قد فتنا قومك اضافة الخلق لانه خلق الضلال فيه ليفتتن (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر والتربص الانتظار وقال مقاتل وتربصتم بمحمد عليه السلام الموت وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه وهو وصف قبيح لان انتظار موت وسائل الخير ووسايط الحق من عظيم الجرم والقباحة اذ شأنهم أن يرجى طول حياتهم ليستفاد منهم ويغتنم بمجالستهم (وارتبتم) وشككتم فى أمر الدين أو فى النبوة أو فى هذا اليوم (وغرتكم الامانى) الفارغة التى من جملتها الطمع فى انتكاس أمر الاسلام جمع أمنية كأضحية بالفارسية آرزو وفى عين المعانى وغرتكم خدع الشيطان وقال أبو الليث أباطيل الدنيا (حتى جاء أمر الله) أى الموت (وغركم بالله) الكريم (الغرور) أى غركم الشيطان بأنه عفو كريم لا يعذبكم قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار وقال الزجاج الغرور على ميزان فعول وهو من أسماء المبالغة يقال فلان أكول كثير الاكل وكذا الشيطان الغرور لانه يغر ابن آدم كثيرا (قال فى المفردات) الغرور كل ما يغر الانسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وقد فسر بالشيطان اذ هو أخبث الغارين بالدنيا لما قيل الدنيا تغر وتضر وتمر (فاليوم لا يؤخذ منكم) أيها المنافقون (فدية) أى فداء تدفعون به العذاب عن أنفسكم يعنى جيزى كه فداى خود كنيد تا از عذاب برهيد والفداء حفظ الانسان من النائبة بما يبذله عنه من مال أو نفس أى لا يؤخذ منكم دية ولا نفس أخرى مكان أنفسكم (ولا من الذين كفروا) أى ظاهرا وباطنا وفيه دلالة على أن الناس ثلاثة أقسام مؤمن ظاهرا وباطنا وهو المخلص ومؤمن ظاهرا لا باطنا وهو المنافق وكافر ظاهرا وباطنا (مأواكم) مرجعكم (النار) لا ترجعون الى غيرها أبدا (هى) أى النار (مولاكم) تتصرف فيكم تصرف المولى فى عبيده لما أسلفتم من المعاصى أو أولى بكم فالمولى مشتق من الاولى بحذف الزوائد وحقيقته مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم أى مكان لقول القائل انه كريم فهو مفعل من أولى كما أن مئنة مفعلة من ان التى للتأكيد والتحقيق غير مشتقة من لفظها لان الحروف لا يشتق منها بل ربما تضمن الكلمة حروفها دلالة على أن معناها فيها أو ناصركم على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * فان مقصوده نفى التحية فيما بينهم قطعا لان الضرب الوجيع ليس بتحية فيلزم أن لا تحية بينهم البتة فكذا اذا قيل لاهل النار هى ناصركم يراد به أن لا ناصر لكم البتة أو متوليكم أى المتصرف فيكم تتولاكم كما توليتم فى الدنيا موجباتها (وبئس المصير) أى المرجع النار * وفى التأويلات النجمية أى نار القطيعة والهجران مولاكم ومتسلطة عليكم وبئس الرجوع الى تلك النار وعن الشبلى قدس سره أنه رأى غصنا طريا قد قطع عن أصله فبكى فقال أصحابه ما يبكيك فقال هذا الفرع قد قطع عن أصله وهو طرى بعد ولا يدرى أن مآله الى الذبول واليبس * شبلى ديدزنى را كه ميكريد وميكويد يا ويلاه من فراق ولدى شبلى كريست وكفت يا ويلاه من فراق الاخدان زن كفت جرا چنين ميكويى شبلى كفت تو كريه ميكنى بر مخلوقى كه هر آينه فانى خواهد شد من جرا كريه نكنم بر فراق خالقى كه باقى باشد * فرزند ويار جونكه بميرند

عاقبت * اى دوست دل مينديجز جى لايموت (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله)
من أنى الامر يأنى أنيا وأناء وانى اذا جاء اناه أى وقته وحان حينه وأدرك والخشوع ضراعة
وذل أى ألم يجئ وقت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال
لاوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور قال بعضهم الذكران كان غير القرآن
يكون المعنى ان ترق وتلين قلوبهم اذا ذكر الله فان ذكر الله سبب لخشوع القلوب أى سبب
فالذكر مضاف الى مفعوله واللام بمعنى الوقت وان كان القرآن فهو مضاف الى الفاعل واللام
للعلة أى لمواعظ الله تعالى التى ذكرها فى القرآن ولآياته التى تتلى فيه وبالفارسية آيا وقت
نيامد مر آنانرا كه كرويده اند آنكه بترسد ونرم شود دلهاى ايشان براى ياد كردن خداى
(وما نزل من الحق) أى القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به أيضا فالعطف لتغاير
العنوانين فانه ذكر وموعظة كأنه حق نازل من السماء والا فالعطف كما فى قوله تعالى انما
المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له
الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التى من جملتها ما سبق
وما لحق من الانفاق فى سبيل الله روى أن المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا
الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه من الخشوع فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه
ما كان بين اسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية أربع سنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما
ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن وعن الحسن
رحمه الله والله لقد استبطأهم وهم يقرؤن من القرآن أقل مما تقرؤن فانظروا فى طول ما قرأتم
منه وما ظهر فيكم من الفسق * وقولى آنست كه مزاح ومضاحك درميان اصحاب بسيار شد آيت
نازل كشت كما قال الامام الغزالى رحمه الله فى منهاج العابدين ثم الصحابة الذين هم خير قرن كان
يبدو منهم شئ من المزاح فنزل قوله تعالى ألم يأن الخ وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ان هذه
الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا
كنا قست القلوب قال السهروردى فى العوارف حتى قست القلوب أى تصلبت وأدمنت سماع
القرآن وألفت أنواره فما استغربته حتى تتغير والواجد كالمستغرب ولهذا قال بعضهم حالى قبل
الصلاة كحالى فى الصلاة اشارة منه الى استمرار حال الشهود انتهى فقوله حتى قست القلوب
ظاهره تقييح للقلوب بالقسوة والتلوين وحقيقته تحسين لها بالشهود والتمكين قال البقلى رحمه
الله فى الآية هذا فى حق قوم من ضعفاء المريدين الذين فى نفوسهم بقايا الميل الى الحظوظ حتى
يحتاجوا الى الخشوع عند ذكر الله وأهل الصفوة احترقوا فى الله بنيران محبة الله ولو كان هذا
الخطاب للاكابر لقال أن تخشع قلوبهم لله لان الخشوع لله موضع فناء العارف فى المعروف
وارادة الحق بنعت الشوق اليه فناؤهم فى بقائه بنعت الوله والهيمان والخشوع للذكر موضع
الرقة من القلب فاذا رق القلب خشع بنور ذكر الله كأنه تعالى دعاهم بلطفه الى سماع ذكره
بنعت الخشوع والخضوع والمتابعة لتوله والاستلذاذ بذكره حتى لا يبقى فى قلوبهم لذة فوق لذة
ذكره قال أبو الدرداء رضى الله عنه أستعيذ بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال
أن ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع * ور آوازه خواهى دراقليم فاش * برون حله كن

كودرون حشو باش * اكر بيخ اخلاص در بوم نيست * ازين دركسى جون تو محروم نيست * زر اندود كانرا باتش برند * بديد آيد انكه كه مس يازرند (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) عطف على تخشع والمراد النهى عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله (فطال عليهم الامد) أى الاجل والزمان الذى بينهم وبين أنبيائهم أو الاعمار والآمال وغلبهم الجفاء والقسوة وزالت عنهم الروعة التى كانت تأتيهم من التوراة والانجيل اذا تلوهما وسمعوهما (فقست قلوبهم) فهى كالحجارة أو أشد قسوة والقسوة غلظ القلب وانما تحصل من اتباع الشهوة فان الشهوة والصفوة لا تجتمعان (وكثير منهم فاسقون) أى خارجون عن حدود دينهم رافضون لما فى كتابهم بالكلية لفرط الجفاء والقسوة ففيه اشارة الى أن عدم الخشوع فى أول الامر يفضى الى الفسق فى آخر الامر وكفته اند نتيجه سختئ دل غفلتست ونشأه نرمئ دل توجه بطاعت * دلى كز نور معنى نيست روشن * مخوانش دل كه آن سنكست وآهن * دلى كز كرد غفلت زنك دارد * ازان دل سنك وآهن ننك دارد * روى أن عيسى عليه السلام قال لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم فان القلب القاسى بعيد من الله ولا تنظروا فى ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا فى ذنوبكم كأنكم عبيد فانما الناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية (اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها) تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب فى الخشوع والتحذير عن القساوة (وقال الكاشفى) بدانيد اى منكران بعث أن الله يحيى الارض بعد موتها وبهمان منوال زنده خواهد ساخت اموات را (قد بينا لكم الآيات) التى من جملتها هذه الآيات (لعلكم تعقلون) كى تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين سبب توبة فضيل بن عياض رحمه الله ميكويند كه سماع اين آيت يعنى ألم يأن الخ بود در بدو كار مردانه راه زدندى وبرناشايسته قدم نهادندى وقتى سوداى عشق صاحب جمالى درسروى افتاد باوى ميعادى نهاد درميانه شب بسر آن وعده باز شد بديوار برمى شد كه كوينده كفت ألم يأن للذين الخ اين آيت تيروار درنشانه دل وى نشست دردى وسوزى از درون وى سربرزد كمين عنايت بروكشادند اسير كمند توفيق كشت ازانجا بازكشت وهمى كفت بلى والله قد آن ازانجا بركشت ودر خرابه شد جماعتى كاروانيان انجا بودند وبايكديكر ميكفتند فضيل درراهست اكر برويم راه ما زند ورخت ببرد فضيل خود را ملامت كرد كفت اى بد مرد اكه منم اين چه شقاوتست كه روى بمن نهاده درميانه شب بقصد معصيت از خانه بدر آمده وقومى مسلمانان از بيم من درين كنج كريخته روى سوى آسمان كرد وازدل صافى توبت نصوح كرد كفت اللهم انى تبت اليك وجعلت توبتى اليك جوار بيتك الحرام الهى از بدسرايى خود بدردم وازنا كسئ خود بفغان دردمرا درمان سازاى درمان سازهمه دردمندان اى پاك صفت از عيب اى عالى صفت از شوب اى بى نياز از خدمت من اى بى نقصان از خيانت من من بجاى رحمت ببخشا برمن اسير بند هواى خويشم بكشاى مرا ازين بند الله تعالى دعاء ويرا مستجاب كرد وبوى كرامتها كرد از انجا بركشت وروى بخانه كعبه نهاد سالها انجا مجاور شد واز جملة اوليا كشت * كداى كوى تو از هشت خلد مستغنيست * اسير عشق تو از هر دو كون ازادست * وقال ابن المبارك رحمه الله

كنت يوما في بستان وأنا شاب وكان معي أصحابي فأكلنا وشربنا وكنت مولعا بضرب العود
فأخذت العود في الليل لاضرب به فنطق العود وقال ألم يأن للذين الخ فضربته بالارض وكسرته
وتركت الامور الشاغلة عن الله تعالى وعن مالك بن دينار رحمه الله أنه سئل عن سبب توبته فقال
كنت شرطيا وكنت منهمكا على شرب الخمر ثم اني اشتريت جارية نفيسة ووقعت مني أحسن موقع
فولدت لي بنتا فشغفت بها فلما دبت على الارض ازدادت في قلبي حبا وألفتني وألفتها فكنت اذا
وضعت المسكر جاءت الي وجاذبتني اياه وأراقته على ثوبي فلما تم لها سنتان ماتت فأكمدني الحزن
عليها فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة الجمعة بت ثملا من الخمر ولم أصل صلاة العشاء
فرأيت كأن أهل القبور قد خرجوا وحشر الخلائق وأنا معهم فسمعت حسا من ورائي
فالتفت فاذا أنا بتنين عظيم أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعا نحوي فمررت بين يديه هاربا
فزعا مرعوبا فمررت في طريقي بشيخ نقي الثياب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له
أجرني وأغثني فقال أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه ولكن مر وأسرع فلعل الله
يسبب لك ما ينجيك منه فوليت هاربا على وجهي فصعدت على شرف من شرف القيامة فأشرفت
على طبقات النيران فنظرت الى أهلها فكدت أهوي فيها من فزع التنين وهو في طلبي فصاح بي
صائح ارجع فلست من أهلها فاطمأننت الى قوله ورجعت ورجع التنين في طلبي فأتيت الشيخ
فقلت يا شيخ سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل فبكى الشيخ وقال أنا ضعيف ولكن سر الى
هذا الجبل فان فيه ودائع للمسلمين فان كان لك فيه وديعة فستنصرك فنظرت الى جبل مستدير
فيه كوى مخرقة وستور معلقة على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الاحمر مفصلان
باليواقيت مكللان بالدر وعلى كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت الى الجبل هربت اليه
والتنين ورائي حتى اذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع
وأشرفوا لعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه واذا الستور قد رفعت والمصاريع قد
فتحت فأشرف علي أطفال بوجوه كالاقمار وقرب التنين مني فتحيرت في أمري فصاح بعض
الاطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه فأشرفوا فوجا بعد فوج فاذا ابنتي التي ماتت قد
أشرفت علي معهم فلما رأتني بكت وقالت أبي والله ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم
حتى مثلت بين يدي فمدت يدها الشمال الى يدي اليمنى فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى فولى هاربا
ثم أجلستني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى الى لحيتي وقالت يا أبت ألم يأن للذين آمنوا
أن تخشع قلوبهم لذكر الله فبكيت وقلت يا بنية وأنتم تعرفون القرآن فقالت يا أبت نحن أعرف
به منكم قلت فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني قالت ذلك عملك السوء قويته فأراد أن
يغرقك في نار جهنم قلت فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي قالت يا أبت ذلك عملك
الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء قلت يا بنية وما تصنعون في هذا الجبل قالت نحن
أطفال المسلمين قد أسكنا فيه الى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم فانتبهت
فزعا فلما أصبحت فارقت ما كنت عليه وتبت الى الله تعالى وهذا سبب توبتي * سر ز جيب غفلت
برآور كنون * كه فردا نماند بخجلت نگون * كنون بايد اى خفته بيدار بود * چو مرگ اندر آرد ز
خوابت چه سود * ز هجران طفلي كه در خاك رفت * چه نالي كه پاك آمد و پاك رفت * تو پاك

آمدى برحذر باش وبالك * كه تشكست نابالك رفتن بحالك (ان المصدقين والمصدقات) أى المتصدقين والمتصدقات (وأقرضوا الله قرضا حسنا) عطف على الصلة من حيث المعنى أى ان الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا الله قرضا حسنا وأقرضن والاقراض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة ففيه دلالة على أن المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص فيندفع توهم التكرار لان هذا تصدق مقيد وما قبله تصدق مطلق وفى الحديث (يا معشر النساء تصدقن فانى أريتكن أكثر أهل النار) وفيه اشارة الى زيادة احتياجهن الى التصدق وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه أنه قال شهدت مع رسول الله عليه السلام صلاة العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا اقامة ثم قام متوكئا على بلال رضى الله عنه فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى الى النساء فوعظهن وذكرهن فقال تصدقن فان أكثركن حطب جهنم قالت امرأة لم يا رسول الله فقال لانكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير أى المعاشر وهو الزوج فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقين فى ثوب بلال حتى اجتمع فيه شئ كثير قسمه على فقراء المسلمين (يضاعف لهم) على البناء للمفعول مسند الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما فى حيز الصلة على حذف مضاف أى ثواب التصدق (ولهم أجر كريم) وهو الذى يقترن به رضا واقبال * بدنيا توانى كه عقبى خرى * بخرجان من ورنه حسرت خورى (والذين آمنوا بالله ورسله) كافة وهو مبتدأ (أولئك) مبتدأ ثان (هم) مبتدأ ثالث خبره قوله (الصديقون والشهداء) وهو مع خبره خبر للاول أو هم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك والجملة خبر للموصول أى أولئك (عند ربهم) بمنزلة الصديقين والشهدا المشهورين بعلو المرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله قال فى فتح الرحمن الصديق نعت لمن كثر منه الصدق وهم ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا أهل الارض فى زمانهم الى الاسلام أبو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ألحقه الله بهم وان تم به الاربعون لما عرف من صدق نيته وقيل الشهداء على ثلاث درجات الدرجة الاولى الشهيد بين الصفين وهو أكبرهم درجة ثم كل من قضى بقارعة أو بلية وهى الدرجة الثانية مثل الغرق والحرق والهالك فى الهدم والمطعون والمبطون والغريب والميتة فى نفاسها والميتة بالوضع والميت يوم الجمعة وليلة الجمعة والميت على الطهارة والدرجة الثالثة ما نطقت به هذه الآية العامة للمؤمنين وقال بعضهم فى معنى الآية هم المبالغون فى الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع أخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله بالوحدانية ولهم بالايمان أو على الامم يوم القيامة وقال بعض الكبار يعنى الذين آمنوا بالله ايمانا حقيقيا شهوديا عيانيا لا علميا بيانيا وذلك بطريق الفناء فى الله نفسا وقلبا وسرا وروحا والبقاء به وآمنوا برسله بفناء صفات القلب والبقاء بصفات الروح أولئك هم المتحققون بصفة الصديقية البالغون أقصى مراتب الصدق والشهداء على نفوسهم بالصدق والوفاء بالعهد لترشح رشحات الصدق عنهم لا جرم لهم أجر الصديقين ونور الشهداء مختص بهم لا بمن آمن بالتقليد وصدق وشهد باللسان من غير العيان والعيان يترتب على الفناء وفرقوا بين الصادق والصديق بأن الصادق كالمخلص بالكسر من تخلص من شوائب الصفات النفسانية مطلقا

والصديق كالمخلص بالفتح من تخلص أيضا عن شوائب الغيرية والثانى أوسع فلكاوأ كثر احاطة فكل صديق ومخلص بالفتح صادق ومخلص بالكسر من غير عكس قال أبو على الجرجانى قدس سره قلوب الابرار متعلقة بالكون مقبلين ومدبرين وقلوب الصديقين معلقة بالعرش مقبلين بالله لله (لهم أجرهم ونورهم) مبتدأ وخبر والجملة خبر ثان للموصول والضمير الاول على الوجه الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء ولا باس بالفك عند الامن أى لهم مثل أجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف أداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ماللفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ماللاخيرين من الاصل بدون الاضعاف ليحصل التفاوت وأما على الوجه الثانى فرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم قال بعض الكبار لا يكون الاجر الامكتسبا فان أعطاك الحق تعالى ما هو خارج عن الكسب فهو نور وهبات ولا يقال له أجر ولهذا قال تعالى لهم أجرهم ونورهم فان أجرهم ما اكتسبوه ونورهم ما وهبه الحق لهم من ذلك حتى لا ينفرد الاجر من غير أن يخالطه الوهب لان الاجر فيه شائبة الاستحقاق اذ هو معاوضة عن عمل متقدم يضاف الى العبد فاتم أجر الا ويخالطه نور وذلك لتكون المنة الالهية مصاحبة للعبد حيث كان فان تسمية العبد أجيرا مشعر بأن له نسبة فى الطاعات والاعمال الصادرة عنه فتكون الاجارة من تلك النسبة ولذلك طلب العبد العون على خدمة سيده فان قلت من أى جهة قبل العبد الاجرة والعبد واجب عليه الخدمة لسيده من غير أن يأخذ أجرة وان جعلناه أجنبيا فمن أى جهة تعين الفرض عليه ابتداء قبل الاجرة والاجير لا يفترض عليه الاحين يؤجر نفسه قلت الانسان مع الحق تعالى على حالتين حالة عبودية وحالة اجارة فمن كونه عبدا فهو مكلف بالفرض كالصلاة والزكاة وجميع الفرائض ولا أجر له على ذلك جملة واحدة ومن كونه أجيرا له الاجرة بحكم الوعد الالهى ولكن ذلك مخصوص بالاعمال المندوبة لا المفروضة فعلى تلك الاعمال التى ندب الحق اليها فرضت الاجور فان تقرب العبد بها الى سيده أعطاه اجارته وان لم يتقرب لم يطلب بها ولا عوتب عليها ومن هنا كان العبد حكمه حكم الاجنبى فى الاجارة للفرض الذى يقابله الجزاء اذ هو العهد الذى بين الله وبين عباده وأما النوافل فلها الاجور المنتجة للمحبة الالهية كما قال لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه والحكمة فى ذلك أن المتنفل عبد اختيارى كالاجير فاذا اختار الانسان أن يكون عبد الله لا عبد هواه فقد آثر الله على هواه وهو فى الفرائض عبد اضطرار لا عبد اختيار وبين عبودية الاضطرار وعبودية الاختيار ما بين الاجير والعبد المملوك اذ العبد الاصلى ماله على سيده استحقاق الا ما لا بد منه من مأكل وملبس ثم يقوم بواجبات مقام سيده ولا يزال فى دار سيده لا يبرح ليلا ولا نهارا الا اذا وجهه فى شغل آخر فهو فى الدنيا مع الله وفى القيامة مع الله وفى الجنة مع الله لانها جميعا ملك لسيده فيتصرف فيها تصرف الملاك والاجير ماله سوى ما عين له من الاجرة منها نفقته وكسوته وما له دخول على حرم سيده ومؤجره ولا له اطلاع على أسراره ولا تصريف فى ملكه الا بقدر ما استؤجر عليه فاذا انقضت مدة اجارته وأخذ أجرته فارق مؤجره واشتغل بأهله وليس له من هذا الوجه حقية ولا نسبة تطلب ممن استأجره الآن عين عليه

رب المال بأن يبعث خلفه ويجالسه ويخلع عليه فذلك من باب المنة وقد ارتفعت عنه فى الآخرة
عبودية الاختيار فان تفطنت لهذا نبهك على مقام جليل تعرف منه من أى مقام قالت الانبياء
عليهم السلام مع كونهم عبيدا خلصا لم يملكهم هوى نفوسهم ولا أحد من خلق الله ومع هذا
قالوا ان أجرى الا على الله وذلك لان قولهم هذا راجع الى تحققهم بدخولهم تحت حكم الاسماء
الالهية بخلاف غيرهم ومن هنالك وقعت الاجارة فهم فى حال الاضطرار والاختيار عبيد للذات
وهم لها ملك فان الاسماء الالهية تطلبهم لتظهر آثارها فيهم وهم مخيرون فى الدخول تحت أى
اسم الهى شاؤا وقد علمت الاسماء الالهية ذلك فعينت لهم الاجور وكل اسم يناديهم ادخلوا
تحت أمرى وأنا أعطيكم كذا وكذا فلا يزال أحدهم فى خدمة ذلك الاسم حتى يناديه السيد
من حيث عبودية الذات فيترك كل اسم الهى ويقوم لدعوة سيده فاذا فعل ما أمر به حينئذ رجع
الى أى اسم شاء ولهذا يتنفل الانسان ويتعبد بما شاء حتى يسمع اقامة الصلاة المفروضة فيقوم
بها ويترك النافلة فهو دائما مع سيده بحكم عبودية الاضطرار كذا فى كتاب الجواهر للامام
الشعرانى قدس سره (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك) الموصوفون بالصفات القبيحة
(أصحاب الجحيم) بحيث لا يفارقونها أبدا وفيه دليل على أن الخلود فى النار مخصوص بالكفار من
حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا وأراد بالكفر الكفر
بالله فهو فى مقابلة الايمان بالله وبتكذيب الآيات تكذيبه بأيدى الرسل من الآيات الالهية
وتكذيبها تكذيبهم فهو فى مقابلة الايمان والتصديق بالرسل وفيه وصف لهم بالوصفين القبيحين
اللذين هما الكفر والتكذيب وفيه اشارة الى أن الذين كفروا بذاتنا وكذبوا بصفاتنا الكبرى
كفرا صريحا بيننا قلبا وسرا وروحا أولئك أصحاب جحيم البعد والطرد واللعن المخصوص بالخلود
وعبر عن الصفات بالآيات لان الكتب الالهية صفات الله تعالى وأيضا الانبياء عليهم السلام
صفات الله من حيث انهم مظاهر أسمائه الحسنى وصفاته العليا وقس عليهم سائر المجالى والمرائى
لكنهم متفاوتون فى الظهور بالكمال واذا كان تكذيب الانبياء وآياتهم مما يوجب الوعيد فكذا
تكذيب الاولياء وآياتهم فان العلماء العاملين ورثة الانبياء والمرسلين والمراد بآيات الاولياء
الكرامات العلمية والكونية فالذين صدقوهم من معاصريهم وغير معاصريهم أولئك أصحاب
النعيم والذين كذبوهم أولئك أصحاب الجحيم وهذه الآيات وأصحابها لا تنقطع الى قيام الساعة
فان باب الولاية مفتوح نسأل الله سبحانه أن يتولانا بعميم افضاله بحرمة النبى وآله (اعلموا)
بدا ندى طالبان دنيا (انما الحياة الدنيا) لفظ الحياة زائد والمضاف مضمر أى أمور الدنيا ويجوز
أن تجعل الحياة الدنيا مجازا عن أمورها بعلاقة اللزوم وفى كشف الاسرار الحياة القربى فى
الدار الاولى وبالفارسية زندكانى اين سراى وما له فان المقصود الحياة فى هذه الدار فكل ما قبل
الموت دنيا وكل ما تأخر عنه أخرى (لعب) أى عمل باطل تتعبون فيه أنفسكم اتعاب اللاعب
بلا فائدة * بازيچه ايست طفل فريب اين متاع دهر * بى عقل مردمانكه بدو مبتلا شوند
(ولهو) تلهون به أنفسكم وتشغلونها عما يهمكم من أعمال الآخرة (وزينة) من الملابس
والمراكب والمنازل الحسنة تتزينون بها (وتفاخر بينكم) بالانساب والاحساب تتفاخرون بها
والفخر المباهاة فى الاشياء الخارجة عن الانسان كالمال والجاه ويعبر عن كل نفيس بالفاخر

كما فى المفردات (وتكاثر فى الاموال والاولاد) بالعدد والعدد يعنى ومباهات بكثرت أموال وأولاد لاسيما التطاول بهما على أولياء الله وبدانيد كه در اندك زمانى آن بازى برطرف شود ولهو وفرح بغم وترح مبدل كردد وزينتها از همه فرو ريزد وتفاخر وتكاثر چون شرارهٔ آتش نابود شود وقيل لعب كلعب الصبيان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان قال على لعمار رضى الله عنهما لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فأكبر طعامها العسل وهو بزقة ذبابة وأكبر شرابها الماء ويستوى فيه جميع الحيوان وأكبر الملبوس الديباج وهو نسج دودة وأكبر المشموم المسك وهو دم ظبية وأكبر المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال وأكبر المنكوح النساء وهو مبال فى مبال وفى الحديث مالى وللدنيا انما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب قام فى ظل شجرة فى يوم صائف ثم راح وتركها * جهان اى پسر ملك جاويد نيست * ز دنيا وفادارى اميد نيست (كمثل غيث) محل الكاف النصب على الحالية من الضمير فى لعب لان فيه معنى الوصف أى تثبت لها هذه الاوصاف مشبهة غيثا أو خبر مبتدأ محذوف أى هى كمثل أو خبر بعد خبر للحياة الدنيا والغيث مطر محتاج اليه يغيث الناس من الجدب عند قلة المياه فهو مخصوص بالمطر النافع بخلاف المطر فانه عام (أعجب الكفار) أى الحراث قال الازهرى العرب تقول للزراع كافر لانه يكفر أى يستر بذره بتراب الارض والكفر فى اللغة التغطية ولهذا يسمى الكافر كافرا لانه يغطى الحق بالباطل والكفر القرية لسترها الناس وفى الحديث أهل الكفور أهل القبور والليل كافر لستره الاشخاص (نباته) أى النبات الحاصل منه والمراد الكافرون بالله لانهم أشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما أحس به فيستغرق فيه اعجابا وقد منع فى بعض المواضع عن اظهار الزينة صونا لقلوب الضعفاء كما فى الاعراس ونحوها (ثم يهيج) أى يجف بعد خضرته ونضارته بآفة سماوية أو أرضية يقال هاج النبت يهيج هيجا وهيجانا وهياجا بالكسر يبس والهائجة أرض يبس بقلها أو اصفر وأهاجه أيبسه وأهيجها وجدها هائجة للنبات (فتراه مصفرا) بعد ما رأيته ناضرا مونقا وانما لم يقل فيصفر ايذانا بأن اصفراره مقارن لجفافه وانما المرتب عليه رؤيته كذلك (ثم يكون) پس كردد بعد از زردى (حطاما) درهم شكسته وكوفته وريزه ريزه شده قال فى القاموس الحطم الكسر أو خاص باليابس فالآية تحقير لامور الدنيا أعنى ما لا يتوصل به الى الفوز الآجل ومنه التمثيل ببيان أنها أمور خيالية أى باطلة لا حقيقة لها وعن على رضى الله عنه الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا قليلة النفع سريعة الزوال لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وتمثيل لحالها فى سرعة تقضيها وقلة نفعها بحال النبات المذكور زينة الحياة الدنيا هى زينة الله الا انها تختلف بالقصد وهى محبوبة بالطبع فاذا تحرك العبد اليها بطبعه كانت زينة الحياة الدنيا فذم بذلك وان كانت غير محرمة شرعا واذا تحرك اليها بأمر من ربه كانت زينة الله وحمد بها وذلك لان أمر الله وكل ما يرجع اليه جد كله والحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر وفخر الانسان على مثله انما هو من جهله بحقيقته فهذا سبب الذم قال بعض الكبار الشهوات سبع وهى ما ذكر فى قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير

المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وقد أنزلها الله الى خمس فى هذه الآية وهى اعلموا أنما الحياة الدنيا الخ ثم أنزل هذه الخمس الى أمرين فى آية أخرى كما قال فى سورة محمد انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم جعل هذين الامرين أمرا واحدا فى قوله تعالى فاما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فالهوى جامع لانواع الشهوات فمن تخلص من الهوى من كل قيد وبرزخ بلغ مسالك الوصول الى المطلب الاعلى والمقصد الاقصى (وفى الآخرة عذاب شديد) لمن أقبل عليها ولم يطلب بها الآخرة وقدم ذكر العذاب لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من أحوال الحياة الدنيا (ومغفرة) عظيمة كائنة (من الله ورضوان) كثير لا يقادر قدره لمن أعرض عنها وقصد بها الآخرة بل الله تعالى فان الدنيا والآخرة حرامان على أهل الله * اى طالب دنيا تو بسى مغرورى * وى مائل عقبى تو يكى مزدورى * وى آنكه زميل هر دو عالم دورى * تو طالب نور بلكه عين نورى * وفيه اشارة الى فضل النية الحسنة وأنها تحيل المباح ونحوه طاعة قال بعض الكبار من استقامت سريرته وصلحت نيته أدرك جميع ما تمناه من الاعمال الصالحة وفى الخبر من نام على طهارة وفى عزمه أنه يقوم من الليل فأخذ الله بنفسه الى الصباح كتب الله له قيام ليله وورد مثل ذلك فيمن خرج لجهاد أو حج وتأمل الطباخ والخباز يقوم من الليل يهيئ الطعام والخبز للآكلين وهم نائمون وهو طالب للربح ناسيا حاجة الناس ولو كان ذا بصيرة لفعل ذلك بقصد مصالح العباد وجعل ربحه ونفعه بحكم التبع والحاصل أن أهل الكسب سواء كانوا من أهل السوق أو من غيرهم ينبغى أن تكون نيتهم السعى فى مصالح العباد والتقوى بكسبهم على طاعة الله حتى يكونوا مأجورين فى ذلك ومن استرقه الكون بحكم مشروع كالسعى فى مصالح العباد والشكر لاحد من المخلوقين من جهة نعمة أسداها اليه فهو لم يبرح عن عبوديته لله تعالى لانه فى أداء واجب أوجبه الحق عليه وتعبد العبد لمخلوق عن أمر الله لا يقدح فى العبودية بخلاف من استرقه الكون لغرض نفسى ليس للحق فيه رائحة أمر فان ذلك يقدح فى عبوديته لله ويجب عليه الرجوع الى الحق تعالى قال بعض الكبار من ذم الدنيا فقد عق أمه لان جميع الانكاد والشرور التى ينسبها الناس الى الدنيا ليس هو فعلها وانما هو فعل أولادها لان الشر فعل المكلف لا فعل الدنيا فهى مطية العبد عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فهى تحب أن لا يشقى أحد من أولادها لانها كثيرة الحنو عليهم وتخاف أن تأخذهم الضرة الاخرى على غير أهبة مع كونها ما ولدتهم ولا تعبت فى تربيتهم فمن عقوق أولادها كونهم ينسبون جميع أفعال الخير الى الآخرة ويقولون أعمال الآخرة والحال أنهم ما عملوا تلك الاعمال الا فى الدنيا فللدنيا أجر المصيبة التى فى أولادها ومن أولادها فما أنصف من ذمها بل هو جاهل بحق أمه ومن كان كذلك فهو بحق الآخرة أجهل وفى الحديث اذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه وقال بعضهم طلب الثواب على الاعمال بحسن النيات والرغبة فيه لا يختص بالعامة بل لا يتحاشى عنه الكمل لعلمهم أن الله تعالى أنشأهم على أمور طبيعية وروحانية فهم يطلبون ثواب ما وعد الله به ويرغبون فيه ثباتا للحكم الالهى فان المكابرة بالربوبية غير جائزة فهم مشاركون للعامة فى طلب الرغبة ويتميزون فى الباعث على ذلك فكان طلب العارفين ذلك لاعطاء كل ذى حق حقه ليخرجوا عن ظلم أنفسهم اذا وفوها حقها فمن لم

يوف نفسه حقها فقد نزل عن درجة الكمال وكان غاشا لنفسه (وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور) أى كالمتاع الذى يتخذ من نحو الزجاج والخزف مما يسرع فناؤه ويميل اليه الطبع أول ما رآه فاذا أخذه وأراد أن ينتفع به ينكسر ويفنى حكى أنه حمل الى بعض الملوك قدح فيروزج مرصعا بالجواهر لم يرله نظير وفرح به الملك فرحا شديدا فقال لمن عنده من الحكماء كيف ترى هذا قال أراه فقرا حاضرا او مصيبة عاجلة قال وكيف ذلك قال ان انكسر فهو مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه وقد كنت قبل أن يحمل اليك فى أمن من المصيبة والفقر فاتفق أنه انكسر القدح يوما فعظمت المصيبة على الملك وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا ثم كونها متاع الغرور والخدعة انما هو لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة وأما من اشتغل فيها بطلب الآخرة فهى له متاع بلاغ الى ما هو خير منها وهى الجنة فالدنيا غير مقصودة لذاتها بل لاجل الآخرة وفى الحديث نعم المال الصالح للرجل الصالح (وفى المثنوى) مال را كزبهر حق باشى حمول * نعم مال صالح كفتش رسول * فما شغل العبد عن الآخرة فهو من الدنيا ومالا فهو من الآخرة قال بعض الكبار ورد خطاب الهى يقول فيه خلقت الخلق لينظروا الى مفاتيح الدنيا ومحاسن الناس فيؤديهم النظر فى مفاتيح الدنيا الى الزهد فيها ويؤديهم النظر فى محاسن الناس الى حسن الظن بهم فعكسوا القضية فنظروا الى محاسن الدنيا فرغبوا فيها ونظروا الى مساوى الناس فاغتابوهم حكى أن الشيخ أبا الفوارس شاهين بن شجاع الكرمانى رحمه الله خرج للصيد وهو ملك كرمان فأمعن فى الطلب حتى وقع فى برية مقفرة وحده فاذا هو بشاب راكب على سبع وحوله سباع فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب عنه فلما دنا اليه سلم عليه وقال له يا شاه ما هذه الغفلة عن الله اشتغلت بدنياك عن آخرتك وبلذتك وهواك عن خدمة مولاك انما أعطاك الله الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة الى الاشتغال عنه فبينما الشاب يحدثه اذ خرجت عجوز وبيدها شربة ماء فناولتها الشاب فشرب ودفع باقيه الى الشاه فشربه فقال ما شربت شيأ ألذ منه ولا أبرد ولا أعذب ثم غابت العجوز فقال الشاب هذه الدنيا وكلها الله الى خدمتى فما احتجت الى شئ الا أحضرته الى حين يخطر ببالى أما بلغك أن الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها يا دنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه فلما رأى ذلك تاب واجتهد الى أن كان من أهل الله تعالى فان قلت ان الله تعالى خلق للانسان جميع ما فى الارض ولا ينبغى للعروس أن تجمع ما نثر عليها بطريق الاعزاز والاكرام فمن عرف شأنه الجليل ما نظر الى الامر الحقير القليل بل كان من أهل المروأة والهمة العالية فى الاعراض عما سوى الله تعالى والاقبال والتوجه الى الله تعالى (سابقوا) أى سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم فى المضمار وهو الميدان (الى مغفرة) عظيمة كائنة (من ربكم) أى الى أسبابها وموجباتها كالاستغفار وسائر الاعمال الصالحة أى بحسب وعد الله والا فالعمل نفسه غير موجب وفى دعائه عليه السلام اسألك عزائم مغفرتك أى أن توفقنى للاعمال التى تغفر لصاحبها لا محالة ويدخل فيها المسابقة الى التكبيرة الاولى مع الامام ونحوها سلمى قدس سره كفت وسيلهٔ مغفرت حضرت رسالتست عليه السلام بس حق سبحانه وتعالى ميفرمايد كه بشتاب نمايد بمتابعت اوكه سبب آمر زشست * بيمبر كسى را شفاعت كرست * كه برجادهٔ شرع بيغمبرست * قال الشيخ الشهير بافتاده قدس سره ان الله تعالى أرسلنا من عالم

الامر

الامر الى عالم الارواح ثم منه الى عالم الاجسام وخلقنا فى أحسن تقويم وأعطانا اختيارا جزئيا وقال ان كنتم صرفتم ذلك الاختيار الى جانب العبادات والطاعات والى طريق الوصول الى الحسنات أدخلكم الجنة وأيسر لكم الوصال ورؤية الجمال وأمرنا بالاسراع الى تلك الطريق على وجه المبالغة فان صيغة المفاعلة للمبالغة وانما أمر بمبالغة الاسراع لقلة عمر الدنيا وقد ذهب الانبياء والاولياء ونحن نذهب أيضا فينبغى أن نسرع فى طريق الحق لئلا يفوت الوصول الى الدرجات العالية بالاهمال والتكاسل وطريق الاسراع فى مرتبة الطبيعة الامتثال بالاوامر والاجتناب عن النواهى وفى مرتبة النفس تزكيتها عن الاخلاق الرديئة كالكبر والرياء والعجب والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه وتحليتها بالاخلاق المحمودة كالتواضع والاخلاص ورؤية التوفيق من الله والحلم والصبر والرضا والتسليم والعشق والارادة ونحوها وفى مرتبة الروح بتحصيل معرفة الله تعالى وفى مرتبة السر بنفى ماسوى الله تعالى وقال البقلى قدس سره دعا المريدين الى مغفرته بنعت الاسراع ودعا المشتاقين الى جماله بنعت الاشتياق وقد دخل الكل فى مظنة الخطاب لان الكل قد وقعوا فى بحار الذنوب حين لم يعرفوه حق معرفته ولم يعبدوه حق عبادته فدعاهم جميعا الى التطهير فى بحر رحمته حتى صاروا متطهرين من غرورهم بأنهم عرفوه فاذا وصلوا الى الله عرفوا أنهم لم يعرفوه فيأخذ الله بأيديهم بعد ذلك ويكرمهم بأنواع ألطافه ثم ان المسابقة انما تكون بعد القصد والطلب (وفى المثنوى) كركران وكرشتابنده بود * انكه جوينده است يابنده بود (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) أى كعرض سبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض على أن يكون اللام فى السماء والارض للاستغراق واذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها فان طول كل شئ أكثر من عرضه قال اسمعيل السدى رحمه الله لو كسرت السموات والارض وصرن خردلا فبكل خردلة لله جنة عرضها كعرض السموات والارض ويقال هذا التشبيه تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع فى نفوسهم مقدار السموات والارض وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية (أعدت) هيئت (للذين آمنوا بالله ورسله) فيه دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل كما هو مذهب أهل السنة وأن الايمان وحده كاف فى استحقاقها اذ لم يذكر مع الايمان شئ آخر ولكن الدرجات بالاعمال وفيه شئ فان الايمان بالرسل انما يكمل بالايمان بما فى أيديهم من الكتب الالهية والعمل بما فيها (ذلك) الذى وعد من المغفرة والجنة (فضل الله) وعطاؤه وهو ابتداء لطف بلا علة (يؤتيه) تفضلا واحسانا (من يشاء) ايتاءه اياه من غير ايجاب لا كما زعمه أهل الاعتزال (والله ذو الفضل العظيم) ولذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك الفضل الذى لا غاية وراءه والمراد منه التنبيه على أن عطاء العظيم عظيم والاشارة الى أن أحدا لا يدخل الجنة الا بفضل الله نبيا أو وليا قال عليه السلام خرج من عندى خليلى جبريل عليه السلام آنفا فقال يا محمد والذى بعثك بالحق ان عبدا من عباد الله عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل يحيط به بحر فاخرج الله له عينا عذبة فى أسفل الجبل وشجرة رمان كل يوم تخرج رمانة فاذا أمسى نزل وأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام للصلاة فسأل ربه أن يقبض روحه ساجدا وأن لا يجعل للارض ولا لشئ على جسده سبيلا حتى يبعثه الله وهو ساجد ففعل ونحن

تمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا وهو على حاله فى السجود قال جبريل فنحن نجد فى العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدى الله فيقول له الرب أدخلوا عبدى الجنة برحمتى فيقول العبد بل بعملى فيقول الله قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت عليه النعم الباقية بلا عبادة فى مقابلتها فيقول الله أدخلوا عبدى النار فيجر الى النار فينادى ويقول برحمتك أدخلنى الجنة فيقول الله ردوه الى فيوقف بين يديه فيقول عبدى من خلقك ولم تك شيأ فيقول أنت يارب فيقول أكان ذلك بعملك أو برحمتى فيقول بل برحمتك فيقول من قواك على عبادة خمسمائة سنة فيقول أنت يارب فيقول من أنزلك فى جبل وسط البحر وأخرج الماء العذب من بين المالح وأخرج لك رمانة كل ليلة وانما تخرج فى السنة مرة واحدة وسألتنى أن أقبضك ساجدا من فعل بك ذلك كله فيقول أنت يارب قال فذلك كله برحمتى وبرحمتى أدخلك الجنة * چو روى بخدمت نهى برزمين * خدا را ثنا كوى وخود را مبين * اميدى كه دارم بفضل خداست * كه برسعى خود تكيه كردن خطاست * همين اعتمادم بيارئ حق * اميدم بآمرزكارئ حق * (ما أصاب من مصيبة فى الارض) ما نافية والمصيبة أصلها فى الرمية يقال أصاب السهم اذا وصل الى المرمى بالصواب ثم اختص بالنائبة أى ما حدث من حادثة كائنة فى الارض كجدب وعاهة فى الزروع والثمار (ولا فى أنفسكم) كمرض وآفة وموت ولد وخوف عدو وجوع (الا فى كتاب) أى الا مكتوبة مثبتة فى علم الله أو فى اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) نخلق الانفس أو المصائب أو الارض فان البرء فى اللغة هو الخلق والبارئ الخالق وذكر ربيع بن صالح الاسلمى قال دخلت على سعيد بن جبير حين جىء به الى الحجاج حين أراد قتله فبكى رجل من قومه فقال سعيد ما يبكيك قال ما أصابك قال فلا تبك قد كان فى علم الله أن يكون هذا ألم تسمع قول الله تعالى ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها * قال فى الروضة رؤى الحجاج فى المنام بعد وفاته فقيل ما فعل الله بك فقال قتلنى بكل قتيل قتلة وبسعيد بن جبير سبعين قتلة وفى الآية دليل على أن جميع الحوادث الارضية قبل دخولها فى الوجود وكذا جميع أعمال الخلق بتفاصيلها مكتوبة فى اللوح المحفوظ ليستدل الملائكة بذلك المكتوب على كونه تعالى عالما بجميع الاشياء قبل وجودها وليعرفوا حلمه فانه تعالى مع علمه أنهم يقدمون على المعاصى خلقهم ورزقهم وأمهلهم وليحذروا من أمثال تلك المعاصى وليشكروا الله على توفيقه اياهم للطاعات وعصمته اياهم من المعاصى وفيها دليل أيضا أنه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها الا أن اثباتها فى الكتاب محال ولو سأل سائل أن الله تعالى هل يعلم عدد أنفاس أهل الجنة يقال له ان الله يعلم أنه لا عدد لانفاسهم (ان ذلك) أى اثباتها فى كتاب مع كثرتها (على الله) متعلق بقوله (يسير) لاستغنائه فيه عن العدة والمدة وان كان عسيرا على العباد قال الجنيد قدس سره من عرف الله بالربوبية وافتقر اليه فى اقامة العبودية وشهد بسره ما كشف الله له من آثار القدرة بقوله ما أصاب الخ فسمع هذا من ربه وشهد بقلبه وقع فى الروح والراحة وانشرح صدره وهان عليه ما يصيبه فان قلت كان الله قادرا على أن يوصل العباد اليه بلا تعب ولا مصيبة فكيف أوقعهم فى المحن والبلايا قلت أراد أن يعرفهم بامتحان القهر حقائق الربوبية وغرائب الطرق اليه حتى يصلوا اليه من طريق الجلال

والجمال ففى الآية توطين للنفوس على الرضا بالقضاء والصبر على البلاء وحمل لها على شهود المبتلى فى عين البلاء فانه به يسهل التحمل والا فمن كان غافلا عن مبدا اللطف والقهر فهو غافل فى اللطف والقهر ولذا تعظم عليه المصيبة بخلاف حال أهل الحضور فانهم يلتذون بالبلاء التذاذهم بالعافية بل ولذة البلاء فوق لذة العافية * ازدست تومشت بردهانم خوردن * خوشتركه بدست خويش نانم خوردن * ومن أمثال العرب ضرب الحبيب زبيب أى لذيذ (لكيلا تأسوا) يقال أسى على مصيبته يأسى أسى من باب علم أى حزن أى أخبرناكم باثباتها وكتابتها فى كتاب كيلا يحصل لكم الحزن والألم (على مافاتكم) من نعم الدنيا كالمال والخصب والصحة والعافية (ولا تفرحوا بما آتاكم) أى أعطاكم الله منها فان من علم أن كلا من المصيبة والنعمة مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتى ما قدر اتيانه لامحالة لا يعظم جزعه على مافات ولا فرحه بما هو آت اذ يجوز أن يقدر ذهابه عن قريب وقيل لبزرجمهر أيها الحكيم مالك لا تحزن على مافات ولا تفرح بما هو آت قال لان الفائت لا يتلافى بالعبرة والآتى لا يستدام بالحبرة أى بالحبور والسرور لا التأسف يرد فائتا ولا الفرح يقرب معدوما قال ابن مسعود رضى الله عنه لأن أمس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب الى من أن أقول لشئ لم يكن ليته كان (قال الكاشفى) اخبارست بمعنى نهى يعنى ازاد بار دنيا ملول واز اقبال أو مسرور مشويد كه نه آنرا قرار يست ونه اين را اعتبارى كردست دهد كراى شادى نكند * ورفوت شود نيرزد بغمى * وازمرتضى رضى الله عنه منقولست كه هركه بدين آيت كار كند هر آينه فرا كيرد زهدرا وبهره وطرف او يعنى زاهدى تمام باشد وجه زيبا كفته اند * مال ارشود ونه شو شاد ازان * ورفوت شود مشو بفرياد ازان * بندست بسند يده بكن ياد ازان * تادنيى ودين شود آباد ازان * والمراد بالآية نفى الأسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذا عقب بقوله تعالى (والله لا يحب كل مختال فخور) فان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت فى نفسه اختال وافتخر بها لامحالة والمختال المتكبر المعجب وهو من الخيلاء وهو التكبر من تخيل فضيلة تتراءى للانسان من نفسه ومنها يتأول لفظ الخيل لما قيل انه لا يركب أحد فرسا الا وجد فى نفسه نخوة وبالفارسية وخداى تعالى دوست ندارد هر متكبرى راكه برنعمت دنيا برديكرى تطاول كند فخور نازنده بدنيا فخر كننده بدان برا كفاء وأقران قال فى بحر العلوم المختال ذو الخيلاء والكبر وهو من العام المخصوص بدليل قول النبى عليه السلام ان من الخيلاء ما يحبها الله ومنها ما يبغضها الله أما الخيلاء التى يحبها الله فالاختيال عند الصدقة واختيال الرجل بنفسه عند اللقاء وأما الخيلاء التى يبغضها الله فالاختيال فى البغى والفجور أى لا يحب كل متكبر بما أوتى من الدنيا فخور مبالغ فى الفخر به على الناس انتهى وصف بعض البلغاء متكبرا فقال كأن كسرى حامل غاشيته وقارون وكيل نفقته وبلقيس احدى داياته وكأن يوسف لم ينظر الا بمقلته ولقمان لم ينطق الا بحكمته وكأن الخضراء له عرشت والغبراء باسمه فرشت وفى تخصيص التذييل بالنهى عن الفرح المذكور ايذان بأنه أقبح من الأسى وفى الآية اشارة الى أنه يلزم أن يثبت الانسان على حاله فى السراء والضراء فان كان لا بد له من فرح فليفرح شكرا على عطائه لا بطرا وان كان لا بد من حزن فليحزن صبرا على

قضائه لا ضجرا قال قتيبة بن سعيد دخلت على بعض احياء العرب فاذا أنا بفضاء مملوء من الابل الميتة بحيث لاتحصى ورأيت شخصا على تل يغزل صوفا فسألته فقال كانت باسمى فارتجعها من أعطاها ثم أنشأ يقول

لا والذى أنا عبد من خلائقه * والمرء فى الدهر نصب الرزء والمحن
ماسرنى أن ابلى فى مباركها * وماجرى من قضاء الله لم يكن

قال البقلى قدس سره طالب الله بهذه الآية أهل معرفته بالاستقامة والاتصاف بصفاته أى كونوا فى المعرفة بأن لايؤثر فيكم الفقدان والوجدان والقهر واللطف والاتصال والانفصال والفراق والوصال لان من شرط الاتصاف أن لايجرى عليه أحكام التلوين والاضطراب فى اليقين والاعوجاج فى التمكين قال القاسم رحمه الله ولاتأسوا على مافاتكم من أوقاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم من توبتكم وطاعتكم فانك لاتدرى ماقدر الله فيك وقضى وقال الواسطى رحمه الله الفرح بالكرامات من الاغترارات والتلذذ بالافضال نوع من الاغفال والجمود تحت جريان الامور زين لكل مأمور وقال شيخى وسندى رحمه الله فى كتاب اللائحات البرقيات لاتحزنوا بمافاتكم مماسوى الله ولاتفرحوا بما آتاكم مما عدا الله حتى لاتظلموا الحزن والفرح بوضعهما فى غير موضعهما واحزنوا بمافاتكم من الله وافرحوا بما آتاكم من الله حتى تعدلوا فيهما بوضعهما فى موضعهما الا ان الله تعالى حق وماخلاه باطل فكما أن الحزن والفرح بالحق حق وعدل لهما والفاعل للحق محق وعادل فكذلك ان الحزن والفرح بالباطل باطل وظلم لهما والفاعل بالباطل مبطل وظالم ولايفرح ولايحزن بالله الا المهاجرون الى الله ولايحزن ولايفرح بماسوى الله الا المعرضون عن الله فعليك بسبيل العابدين فى جميع أحوالك واياك وطريق الظالمين وبماسوى الله المال والملك قال الحسن رضى الله عنه لصاحب المال فى ماله مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما يسلب عن كله ويسأل عن كله * همه تخت وملكى بذيرد زوال * بجز ملك فرمان ده لايزال * هنر بايد وفضل ودين وكمال * كه كاه آيد وكه رود جاه ومال * حكى أن طيرا فى عهد سليمان عليه السلام كان له صورة حسنة وصوت حسن اشتراه رجل بألف درهم وجاء طير آخر فصاح صيحة فوق قفصه وطار فسكت الطير وشكا الرجل الى سليمان فقال أحضروه فلما أحضروه قال سليمان لصاحبك عليك حق فقد اشتراك بثمن غال فلم سكت قال يانبى الله قل له حتى يرفع قلبه عنى انى لا أصيح أبدا مادمت فى القفص قال لم قال لان صياحى كان من الجزع الى الوطن والاولاد وقد قال لى ذلك الطير انما حبسك لاجل صوتك فاسكت حتى تنجو فقال سليمان للرجل ماقال الطير فقال الرجل أرسله يانبى الله فانى كنت أحبه لصوته فأعطاه سليمان ألف درهم ثم أرسل الطير فطار وصاح سبحان من صورنى وفى الهواء طيرنى ثم فى القفص صيرنى ثم قال سليمان ان الطير مادام فى الجزع لم يفرج عنه فلما صبر فرج عنه وبسببه خلص الرجل من التعلق به ففيه اشارة الى الفناء عن أوصاف النفس فاذا فنى العبد عنها تخلص من الاضطراب وجاز الى عالم السكون ومعرفة سر القدر وفى الحديث الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم قدس سره ولقد مرضت فى سالف أيامى مرضة فلما شفانى الله منها مثلت نفسى بين ما دبر الله لى من هذه العلة فى مقدار هذه المدة

وبين عبادة الثقلين فى مقدار أيام علتى فقلت لو خيرت بين هذه العلة وبين أن تكون لى عبادة الثقلين فى مقدار مدتها الى أيهما تميل اختيار افصح عزمى ودام يقينى ووقعت بصيرتى على ان مختار الله تعالى لى أكثر شرفا وأعظم خطرا وأنفع عاقبة وهى العلة التى دبرها لى ولا شوب فيه اذ كان فعله فشتان بين فعله بك لتنجو به وبين فعلك لتنجو به فلما رأيت هذا دق فى عينى عبادة الثقلين مقدار تلك المدة فى جنب ما آتانى الله فصارت العلة عندى نعمة وصارت النعمة منة وصارت المنة أملا وصار الامل عطفا فقلت فى نفسى بهذا كانوا يستمرون فى البلاء على طيب النفوس مع الحق وبهذا الذى انكشف كانوا يفرحون بالبلاء انتهى (قال الصائب) ترك هستى كن كه اسودست از تاراج سيل * هركه پيش از سيل رخت خود برون از خانه ريخت (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به وهذا غاية الذم انه يبخل الانسان ويأمر غيره بالبخل والمعنى يمسكون أموالهم ولا يخرجون منها حق الله فان البخل امساك المقتنيات عما يحق اخراجها فيه ويقابله الجود يقال بخل فهو باخل وأما البخيل فالذى يكثر منه البخل كالرحيم من الراحم والبخل ضربان بخل بقنيات نفسه وبخل بقنيات غيره وهو أكثرهما وعلى ذلك قوله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل كما فى المفردات وبالفارسية مختال وفخور آنانند كه با وجود دنيادارى وجمع اسباب آن بخل كنند ومال خود در راه خدا صرف نمايند وبا وجود بخل خود امر نمايند مردمان را به بخيلى كردن * وعن النبى عليه السلام أنه قال لبنى سلمة من سيدكم قالوا الجد بن قيس وانا لنبخله فقال وأى داء أدوأ من البخل بل سيدكم الجعد الابيض عمرو بن الجموح وفى الحديث أربعة لا يجدون ريح الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام البخيل والمنان ومدمن الخمر والعاق للوالدين (ومن) وهركه (يتول) يعرض عن الانفاق (فان الله هو الغنى) عنه وعن انفاقه (الحميد) المحمود فى ذاته لا يضره الاعراض عن شكره ولا ينفعه التقرب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد واشعار بأن الامر بالانفاق لمصلحة المنفق واشارة الى ان من أعرض عن الاقبال على الله والادبار عن الانفاق فان الله غنى بحسب ذاته عن اقباله وبحسب صفاته عن ادباره بل هو حميد فى ذاته وصفاته لا ينفعه اقباله ولا يضره ادباره اذ الضار النافع هو لا غيره وأيضا الى النفوس البشرية الامارة بالسوء بالتقاعد عن الاقدام على الطاعة والعبادة ودعوة القلوب والارواح الى الارتكاب للمعاصى والاجتناب عن الطاعات بحسب الغلبة فى بعض الاوقات لاستهلاك القوى الروحانية بحسب ظلمات القوى الجسمانية قال بعض الكبار الانسان من حيث نشأته الطبيعية سعيد وكذلك من حيث نفسه الناطقة ما دامت كل نشأة منفردة عن صاحبتها فما ظهرت المخالفة الا بالمجموع وانما جبل الانسان على الامساك لان أصله التراب وفيه يبس وقبض لم يرض بذهاب مال نفسه وغيره فلذا بخل وأمر بالبخل * زر از بهر خوردن بود اى پدر * ز بهر نهادن چه سنك وچه زر (لقد أرسلنا رسلنا) أى الملائكة الى الانبياء أو الانبياء الى الامم وهو الاظهر كما فى الارشاد (بالبينات) بحجتهاى روشن كه معجزاتست يا بشريعتهاى واضحة فان قلت المعجزات يخلقها الله على يدى مدعى النبوة كاحياء الموتى وقلب العصا واليد البيضاء وشق القمر من غير نزول الملك بها نعم معجزة القرآن نزل بها الملك ولكن نزوله بها على كل رسول غير ثابت قلت معنى

نزول الملك بها أن الله يخبره على لسانه بوقوع تلك المعجزة على يده (وأنزلنا معهم الكتاب) اى جنس الكتب الشامل للكل لتبيين الحق وتمييز صواب العمل أى لتكميل القوة النظرية والعملية * قوله معهم يجعل على تفسير الرسل بالانبياء حالا مقدرة من الكتاب أى مقدرا كونه معهم والا فالانبياء لم ينزلوا حتى ينزل معهم الكتاب فالنزول مع الكتاب شأن الملائكة والانزال اليهم شان الانبياء ولذا قدم الوجه الاول اذ لو كان المعنى لقد أرسلنا الانبياء الى الامم لكان الظاهر أن يقال وأنزلنا اليهم الكتاب (والميزان) بالفارسية ترازو (ليقوم الناس بالقسط) ليتعاملوا بينهم بالعدل ايفاء واستيفاء ولا يظلم احد أحدا فى ذلك وانزاله انزال أسبابه والامر باعداده والا فالميزان من مصنوعات البشر وليس بمنزل من السماء وروى أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان نفسه فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به يعنى تا تسوية حقوق كنند بدان درميان يكديكر بوقت معاملات وقال الامام الغزالى رحمه الله أتظن أن الميزان المقرون بالكتاب هو ميزان البر والشعير والذهب والفضة أم تتوهم أنه هو الطيار والقبان ما أبعد هذا الحسبان وأعظم هذا البهتان فاتق الله ولا تتعسف فى التأويل واعلم يقينا أن هذا الميزان هو ميزان معرفة الله ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته ليتعلم كيفية الوزن به من أنبيائه كما تعلموا من ملائكته فالله هو المعلم الاول والثانى جبريل والثالث الرسول والخلق كلهم يتعلمون من الرسول ما لهم طريق فى المعرفة سواه والكل عبارته بلا تغيير وليت شعرى ما دليله على ما ذهب اليه من العدول عن الظاهر كذا فى بحر العلوم يقول الفقير لعل دليله قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط أى حاكما بالعدل أو مقيما للعدل فى جميع أموره فاذا كان الله قائما بالعدل فى جميع الامور كان الواجب على العباد أن يقوموا به أيضا وان يقوموا به حقيقة لا بعد العلم الشامل والمعرفة الكاملة وهى معرفة الله فهى الميزان الكلى وما عداه من جميع الامور مبنى عليه وموزون به (وأنزلنا الحديد) قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد الاول السندان وهو سندان الحداد بالفتح كما فى القاموس واياه عنى الشيخ سعدى فى قوله * چو سندان كسى سخت رويى نبرد * كه خايسك تأديب بر سر نخورد * والثانى الكلبتان وهو ما يأخذ به الحداد الحديد المحمى كما فى القاموس والثالث الميقعة بكسر الميم بعدها ياء مثناة تحتانية أصله موقعة قال فى القاموس الميقعة خشبة القصار يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل وقد وقعته بالميقعة فهو وقيع حددته بها والرابع المطرقة وهى آلة الطرق أى الضرب والخامس الابرة وهى مسلة الحديد وروى ومعه المر والمسحاة قال فى القاموس المر بالفتح المسحاة وهى ما سحى به أى قشر وجرف وفى الحديث ان الله أنزل الله أربع بركات من السماء الى الارض أنزل الحديد والنار والماء والملح وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثلاثة أشياء نزلت مع آدم عليه السلام الحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وعصا موسى وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع والحديد وعن الحسن رحمه الله وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأنزل لكم من الانعام وذلك أن أوامره وقضاياه وأحكامه تنزل من السماء قال بعضهم وأخرجنا الحديد من المعادن لان العدل انما يكون بالسياسة والسياسة مفتقرة الى العدة والعدة مفتقرة الى الحديد وأصل الحديد ماء وهو

منزل من السماء (فيه) أي في الحديد (بأس شديد) وهو القتال به أو قوة شديدة يعني السلاح للحرب لان آلات الحرب انما تتخذ منه وبالفارسية كارزار سخت است يعني آلتها كه در كارزار بكار آيد از وسازند خواه از براي دفع دشمن چون سنان وشمشير وپيكان وخنجر وامثال ان وخواه براي حفظ نفس خود چون زره وخود وجوشن وغيران * وفيه اشارة الى أن تمشية قوانين الكتاب واستعمال آلة التسوية يتوقفان على دال صاحب سيف ليحصل القيام بالقسط فان الظلم من شيم النفوس والسيف حجة الله على من عنده ظلم (ومنافع للناس) كالسكين والفأس والمر والابرة ونحوها ومامن صنعة الا والحديد أو ما يعمل بالحديد آلتها وفيه اشارة الى أن القيام بالقسط كما يحتاج الى القائم بالسيف يحتاج أيضا الى مابه قوام التعايش من الصنائع وآلات المحترفة والى سيف الجذبة المتخذ من حديد القهر اذ لابد لكل تجل جلالي من كون التجلي الجمالي فيه وبالعكس وهم الاولياء وهم يميلون الى الحق بكثرة الالطاف والاعطاف الربانية كما قال تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين (وليعلم الله من ينصره ورسله) عطف على محذوف يدل عليه ماقبله فانه حال متضمنة للتعليل كانه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الاسلحة في مجاهدة أعدائه (بالغيب) حال من فاعل ينصر أي غائبين عنه تعالى كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه وانما يحمد ويثاب من أطاع بالغيب من غير معاينة للمطاع أو من مفعوله أي حال كونه تعالى غائبا عنهم غير مرئي لهم (ان الله قوي) على اهلاك من أراد اهلاكه (عزيز) لا يفتقر الى نصرة الغير وانما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه والقوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف وهي في حق الله بمعنى القدرة وهي الصفة التي بها يتمكن الحي من الفعل وتركه بالارادة والعزة الغلبة على كل شئ قال الزروقي رحمه الله القوي هو الذي لا يلحقه ضعف في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فلا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز في نقض ولا ابرام وخاصية هذا الاسم ظهور القوة في الوجود فما تلاه ذو همة ضعيفة الا وجد القوة ولا ذو جسم ضعيف الا كان له ذلك ولو ذكره مظلوم بقصد اهلاك الظالم ألف مرة كان له ذلك وكفي أمره وخاصية الاسم العزيز وجود الغنى والعز صورة أو معنى فمن ذكره أربعين يوما في كل يوم أربعين مرة أعانه الله وأعزه فلم يحوجه لاحد من خلقه وفي الاربعين الادريسية يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شئ يعادله قال السهروردي رحمه الله من قرأه سبعة أيام متواليات كل يوم ألفا أهلك خصمه وان ذكره في وجه العسكر سبعين مرة ويشير اليهم بيده فانهم ينهزمون (ولقد أرسلنا) أي وبالله لقد بعثنا (نوحا) الى قومه وهم بنو قابيل وهو الاب الثاني (وابراهيم) الى قومه أيضا وهم نمرود ومن تبعه ذكر الله رسالتهما تشريفا لهما بالذكر ولانهما من أول الرسل وأبوان للانبياء عليهم السلام فالبشر كلهم من ولد نوح والعرب والعبرانيون كلهم من ولد ابراهيم (وجعلنا في ذريتهما) أي في نسلهما (النبوة والكتاب) بان استنبأنا بعض ذريتهما وأوحينا اليهم الكتب مثل هود وصالح وموسى وهرون وداود وغيرهم فلا يوجد نبي ولا كتاب الا وهو مدل اليهما بأمتن الاسباب وأعظم الانساب (فمنهم) أي فمن ذرية هذين الصنفين أو من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين يعني پس بعضي

ازانهاكه أنبيا برايشان آمدند (مهتد) الى الحق يعنى ايمان أورده بكتاب ونبى وثابت شدبردين خود (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن الطريق المستقيم فيكونون ضالين لامحالة (ثم قفينا على آثارهم برسلنا) أى ثم أرسلنا بعدهم رسلنا والضمير لنوح وابراهيم ومن أرسلا اليهم من الامم يعنى بعد ازنوح وهود وصالح را وبعد ازابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف را أو من عاصرهما من الرسل ولا يعود الى الذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية يقال قفا أثره اتبعه وقفى على أثره بفلان أى اتبعه اياه وجاء به بعده والآثار جمع اثر بالكسر تقول خرجت على اثره أى عقبه فالمعنى اتبعنا من بعدهم واحدا بعد واحد من الرسل قال الحريرى فى درة الغواص يقال شفعت الرسول بآخر أى جعلتهما اثنين فاذا بعثت بالثالث فوجه الكلام أن يقال عززت بثالث أى قويت كما قال تعالى فعززنا بثالث فان واترت الرسل فالاحسن أن يقال قفيت بالرسل كما قال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا (وقفينا بعيسى ابن مريم) أى أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى ابن مريم فأتينا به بعدهم يعنى وازپى درآورديم اين رسل را واتمام كرديم أنبياى بنى اسرائيل را بعيسى بن مريم فأول أنبياء بنى اسرائيل موسى وآخرهم عيسى (وآتيناه الانجيل) دفعة واحدة (وجعلنا فى قلوب) المؤمنين (الذين اتبعوه) أى عيسى فى دينه كالحواريين واتباعهم (رأفة) وهى اللين (ورحمة) وهى الشفقة أى وفقنا رأفة أى أشد رقة على من كان تيسبب الى الاتصال بهم ورحمة أى رقة وعطفا على من لم يكن له سبب فى الصلة بهم كما كان الصحابة رضى الله عنهم رحماء بينهم حتى كانوا أذلة على المؤمنين مع أن قلوبهم فى غاية الصلابة فهم أعزة على الكافرين قيل أمروا فى الانجيل بالصفح والاعراض عن مكافأة الناس على الاذى * بدى را بدى سهل باشد جزا * اكر مردى احسن الى من اسا * وقيل لهم من لطم خدك الايمن فوله خدك الايسر ومن سلب رداءك فأعطه قميصك ولم يكن لهم قصاص على جناية فى نفس أو طرف فاتبعوا هذه الاوامر وأطاعوا الله وكانوا متوادين ومتراحمين ووصفوا بالرحمة خلاف اليهود الذين وصفوا بالقسوة (ورهبانية) منصوب اما بفعل مضمر يفسره الظاهر أى وابتدعوا أى أتباع عيسى رهبانية (ابتدعوها) أى حملوا أنفسهم على العمل بها واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها أى وجعلنا فى قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم أى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها قال فى فتح الرحمن المعتزلة تعرب رهبانية على انها نصب باضمار فعل يفسره ابتدعوها وليست بمعطوفة على رأفة ورحمة ويذهبون فى ذلك الى أن الانسان يخلق أفعاله فيعربون الآية على مذهبهم انتهى والرهبانية المبالغة فى العبادة بمواصلة الصوم ولبس المسوح وترك أكل اللحم والامتناع عن المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبد فى الغيران ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان بالفتح وهو الخائف فان الرهبة مخافة مع تحزن واضطراب كما فى المفردات فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرئ بضم الراء كانها نسبة الى الرهبان جمع راهب كراكب وركبان ولعل التردد لاحتمال كون النسبة الى المفتوح والضم من تغيير النسب يعنى أن الرهبان لما كان اسما لطائفة مخصوصة صار بمنزلة العلم وان كان جمعا فى نفسه فالتحق بأنصار وأعراب وفرائض فقيل رهبانى كما قيل انصارى وأعرابى وفرائضى بدون رد الجمع الى واحده

في النسبة وقال الراغب في المفردات الرهبان يكون واحدا وجمعا فمن جعله واحدا جمعه على
رهابين ورهبانية بالجمع أليق انتهى وهي الخصال المنسوبة الى الرهبان وسبب ابتداعهم اياها
أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى فقاتلوا ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم
الا القليل فخافوا أن يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين
أنفسهم للعبادة منتظرين البعثة النبوية التي وعدها لهم عيسى عليه السلام كما قال تعالى
ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد الآية وروى أن الله لما أغرق فرعون وجنوده
استأذن الذين كانوا آمنوا من السحرة موسى عليه السلام في الرجوع الى الاهل والمال بمصر
فأذن لهم ودعا لهم فترهبوا في رؤس الجبال فكانوا أول من ترهب وبقيت طائفة منهم مع موسى
عليه السلام حتى توفاه الله ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتى ابتدعها بعد ذلك أصحاب المسيح
عليه السلام (ما كتبناها عليهم) جملة مستأنفة والنفي متوجه الى أصل الفعل أي ما فرضنا
عليهم تلك الرهبانية في كتابهم ولا على لسان رسولهم (الا) استثناء منقطع أي لكن ابتدعوها
(ابتغاء رضوان الله) أي لطلب رضاه تعالى (فما رعوها حق رعايتها) أي فما رعوا جميعا حق
رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه السلام ونحوها اليه
قال عليه السلام من آمن بي وصدقني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم
الهالكون قال مقاتل لما استضعفوا بعد عيسى التزموا الغيران فما صبروا وأكلوا الخنازير
وشربوا الخمور ودخلوا مع الفساق وفي المناسبات فما رعوها أي لم يحفظها المقتدون بهم بعدهم
كما وجبوا على أنفسهم حق رعايتها أي بكمالها بل قصروا فيها ورجعوا عنها ودخلوا في دين
ملوكهم ولم يبق على دين عيسى عليه السلام الا القليل ذمهم الله بذلك من حيث ان النذر عهد مع
الله لا يحل نكثه سيما اذا قصد رضاه تعالى (فآتينا الذين آمنوا منهم) أي من العيسيين ايمانا
صحيحا وهو الايمان برسول الله عليه السلام بعد رعاية رهبانيتهم لا بمجرد رعايتها فانها بعد البعثة
لغو محض وكفر بحت وأنى لها استتباع الاجر قال في كشف الاسرار لما بعث النبي عليه
السلام ولم يبق منهم الا قليل حط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير
من ديره فآمنوا به والصومعة كل بناء متصومع الرأس أي متلاصقه والدير خان النصارى
وصاحبه ديار (أجرهم) أي ما يحسن ويليق بهم من الاجر وهو الرضوان (وكثير منهم) أي من
العيسيين وهم الذين ابتدعوا وضيعوا وكفروا بمحمد عليه السلام (فاسقون) خارجون عن حد
الاتباع وهم الذين تهودوا وتنصروا قال في تفسير المناسبات وكذلك كان في هذه الامة فانه
لما توفي رسول الله تبعه خلفاؤه باحسان فلما مضت الخلافة الراشدة وتراكمت الفتن كما أخبر
عليه السلام واشتد البلاء على المتمسكين بصريح الايمان ورجم البيت بحجارة المنجنيق وهدم
وقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه واستبيحت مدينة رسول الله عليه السلام ثلاثة أيام وقتل
فيها خيار المسلمين رأى المؤمنون العزلة واجبة فلزموا الزوايا والمساجد وبنوا الربط على سواحل
البحر وأخذوا في الجهاد للعدو والنفوس وعالجوا تصفية اخلاقهم ولزموا الفقر أخذا من
أحوال أهل الصفة وتسموا بالصوفية وتكلموا على الورع والصدق والمنازل والاحوال
والمقامات فهؤلاء وزان أولئك انتهى وفي الحديث يا ابن أم معبد أتدري ما رهبانية أمتي قلت

الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع
روى ان نفرا من الصحابة رضى الله عنهم أخذهم الخوف والخشية حتى أراد بعضهم أن يعتزل
عن النساء وبعضهم الاقامة فى رؤس الجبال وبعضهم ترك الاكل والشرب وبعضهم غير ذلك
فنهاهم عليه السلام عن ذلك كله وقال لا رهبانية فى الاسلام وقال رهبانية أمتى فى المسجد يعنى
المتعبدون من أمتى لا يأخذون مأخذ النصارى بل يعتكفون فى المساجد دون رؤس الجبال
وقال فى نهى صوم الوصال انى لست كهيئتكم انى أبيت لى مطعم يطعمنى وساق يسقينى (وفى
المثنوى) هين مكن خودرا خصى رهبان مشو * زانكه عفت هست شهوت را كروه بى هوا نهى
ازهوا ممكن نبود * غازئ برمردكان نتوان نمود * پس كلوا ازبهردام شهوتست * بعد ازان
لا تسرفوا آن عفتست * چونكه رنج صبر نبود مرترا * شرط نبود پس فرونايد جزا * حبذا آن
شرط رشادا آن جزا * آن جزاى دلنواز جان فزا * قال الشافعى رحمه الله أربعة لا يعبأ الله بهم
يوم القيامة زهد خصى وتقوى جندى وأمانة امرأة وعبادة صبى وهو محمول على الغالب كما فى
المقاصد الحسنة ثم ذكر لا تنبغى الخلوة والعزلة قال فى الاحياء لما بنى عروة قصره بالعقيق وهو
كالأمير وضع بالمدينة لزمه فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله فقال رأيت
مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية والفاحشة فى فجاجكم عالية وفيما هنالكم عما أنتم فيه عافية
(وحكى) ان جماعة من السلف مثل مالك وغيره تركوا اجابة الدعوات وعيادة المرضى والجنائز
بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة وزيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز
الى قلال الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل واختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم
المنكرات فى الاسواق والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضى لزوم الهجرة وفى
الآية دليل على أن الشروع فى نفل العبادة ملزم وأن من شرع فيما ليس عليه ثم تركه استحق
اسم الفسق والوعيد فيجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه وروى عن
بعض الصحابة رضى الله عنهم عليكم باتمام هذه التراويح لانها لم تكن واجبة عليكم وقد
أوجبتموها على أنفسكم فانكم ان تركتم صرتم فاسقين ثم قرأ هذه الآية وكثير منهم فاسقون
* يقول الفقير وهكذا شأن الصلاة المعروفة بالرغائب والبراءة والقدر فانها ملحقة بالتراويح
لكونها من صلاة الليل وقد كانت سنة مسلوكة للعلماء بالله فلا تترك أبدا عند من اعتقد اعتقادهم
قال فى فتح الرحمن واختلاف الائمة فيما اذا أنشأ صوما أو صلاة تطوعا فقال ابو حنيفة لم يجز له
الخروج منه فان أفسده فعليه القضاء لقوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم وقال مالك رحمه الله كذلك
الا انه اعتبر العذر فقال ان خرج منه لعذر فلا قضاء والا وجب وقال الشافعى وأحمد رحمهما
الله متى انشأ واحدا منهما استحب اتمامه فان خرج منه لم يجب عليه قضاء على الاطلاق
وأما اذا كان التطوع حجا أو عمرة فيلزم اتمامه فان أفسده وجب قضاؤه لوجوب المضى
فى فاسده انتهى قال بعض الكبار جميع ما ابتدع من السنة الحسنة على طريق القربة الى الله
تعالى داخل فى الشريعة التى جاءت بها الرسل عن أمر الله قال تعالى ورهبانية الخ فأقرهم تعالى
عليها ولم يعب عليهم فعلها انما عاب عليهم عدم رعايتهم لها فى دوام العمل فقط وخلع عليها اسم
البدعة فى حقهم بخلاف هذه الامة خلع على ما استحسنوه اسم السنة تشريفا لهم كما قال عليه

السلام

السلام من سن سنة حسنة وما قال من ابتدع بدعة حسنة فافهم فأجاز لنا ابتداع ما هو حسن وجعل فيه أجرا لمن ابتدعه ولمن عمل به وأخبر أن العابد لله تعالى بما يعطيه نظره اذا لم يكن على شرع من الله معين أنه يحشر أمة وحده بغير امام يتبعه كما قال تعالى في ابراهيم ان ابراهيم كان أمة قانتا لله وذلك لنظره في الأدلة قبل أن يوحى اليه وقال عليه السلام بعثت لأتمم مكارم الأخلاق فمن كان على أخلاقه فهو على شرع من ربه وان لم يعلم وقال بعضهم جميع ما ابتدعه العلماء والعارفون مما لم تصرح الشريعة بالأمر به لا يكون بدعة الا ان خالف صريح السنة فان لم يخالفها فهو محمود وذلك كحلق الرأس ولبس المرقعات والرياضة بقلة الطعام والمنام والمواظبة على الذكر والجهر به على الهيئة المشهورة ونحو ذلك من جميع أوصافهم فانها كلها نواميس حكمية لم يجئ بها رسول الله عليه السلام في عموم الناس من عند الله لكونها طريقة أهل الخصوص السالكين طريق الحق وهذه الطريق لا تحتمل العامة الأمر بها ولا تجب هي عليهم فقد علمت أن طريق القوم صادرة عن الله ولكن من غير الطريق الصريح النبوي ولولا أنه عليه السلام فتح لأمته باب الامتنان ما اجترأ أحد منهم على أن يزيد حكما ولا وضعا ففي الصحيح من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وقال بعضهم المقصود بالوضع الشرعي الالهي هو تكميل النفوس علما أو عملا وهم أتوا بأمور زائدة على الطريقة النبوية موافقة لها في الغاية والغرض كالأمور التي التزمها الصوفية في هذه الأمة بغير ايجاب من الله كتقليل الطعام وكثرة الصيام والاجتناب عن مخالطة الأنام وقلة المنام والذكر على الدوام وقال بعضهم ما يصدر عن الواصل من الأفعال شريعة وكذا الباقي فلا بد من الاعتدال ولذلك قال عليه السلام الشريعة أقوالي والطريقة أطواري والمعرفة رأس مالي والحقيقة نقد حالي وقال بعضهم لا تبتدع فيوجب الله ذلك الابتداع عليك وفي شرعنا من سن سنة حسنة فما هي بدعة فان شرعنا قد قررها فاذا شكر الله صاحب هذه البدعة ولم يلزمها حيث ألحقه تعالى بأنبيائه ورسله وأباح له أن يسن ما سنته الرسل مما يقرب الى الله تعالى ولا يخفى أن الكامل من عباد الله من سد باب الابتداع ولم يزد في التكاليف حكما واحدا موافقة لمراد الله ومراد رسول الله من طلب الرفق والرحمة وقال بعضهم لا تجعل وردك غير ما ورد في الكتاب والسنة تكن من العلماء الأدباء لأنك حينئذ تجمع بين الذكر والتلاوة فيحصل لك أجر التالين والذاكرين فما ترك الكتاب والسنة مرتبة يطلبها الانسان من خير الدنيا والآخرة الا وقد ذكرها فمن وضع من الفقراء وردا من غير الوارد في السنة فقد أساء الأدب مع الله ورسوله الا أن يكون ذلك بتعريف من الله فيعرفه خصائص كلمات يجمعها فيكون حينئذ ممتثلا لا مخترعا وذلك مثل حزب البحر للشاذلي رحمه الله ونحوه فانه رحمه الله صرح بأنه ما وضع حرفا منه الا باذن الله ورسوله وقال من دعا بغير ما دعا به رسول الله فهو مبتدع وقال بعضهم العبد في أداء الفرائض عبد اضطرار وفي فعل النوافل عبد اختيار وعبودية الاضطرار أشرف وأسلم في حقه من عبودية الاختيار لما قد يخطر بباله في عبودية الاختيار من شائبة الامتنان ومن هنا ترك أكابر الرجال من الملامتية فعل النوافل واقتصروا على أداء الفرائض خوفا من خطور ذلك على قلوبهم فيجرح عبوديتهم وفي الحكم العطائية من علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام

بحقوق الواجبات وهذا حال غالب الخلق الا من عصمه الله ترى الواحد منهم يقوم بالنوافل
الكثيرة ولا يقوم بفرض واحد على وجهه (يا أيها الذين آمنوا) أى بالرسل المتقدمة
(اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) أى بمحمد عليه السلام وفى اطلاقه ايذان بأنه علم
فرد الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره (يؤتكم كفلين) نصيبين وأجرين نقل عن الراغب الكفل
الحظ الذى فيه الكفالة كأنه تكفل بأمره والكفلان هما النصيبان المرغوب فيهما بقوله
تعالى ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة (من رحمته) از بخشايش خود وذلك لايمانكم
بالرسول وبمن قبله من الرسل لكن لا على أن شريعتهم باقية بعد البعثة بل على أنها كانت حقا
قبل النسخ وعن أبى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتون
أجرهم مرتين الرجل يكون له الامة فيعلمها فيحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن تأديبها ثم يعتقها
ويتزوجها فله أجران ومؤمن أهل الكتاب الذى كان مؤمنا ثم آمن بالنبى فله أجران والعبد الذى
يؤدى حق الله وينصح لسيده ولذا بكى بعض العبيد حين أعتق لانه ذهب أجر النصح لسيده وبقى
أجر أداء حق الله * تادلت هست اسير عشق سليم * مسند تخت سلطنت مطلب (وقال الشيخ
سعدى) اسيرش نخواهد رهايى زبند * شكارش نجويد خلاص از كمند (وقال المولى الجامى)
مريض عشق تو چون مائل شفا گردد * اسير قيد تو كى طالب نجات شود (ويجعل لكم نورا
تمشون به) يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم فهو الضياء
الذى يمشون به على الصراط الى أن يصلوا الى الجنة وذلك لان جهنم خلقت من الظلمة اذ هى
صورة النفس الامارة وهى ظلمانية فنور الايمان والتقوى يدفعها ويزيلها (ويغفر لكم)
ما أسلفتم من الكفر والمعاصى فأما حسنات الكفار فقبولها بعد اسلامهم على ما ورد فى
الحديث الصحيح (والله غفور رحيم) أى مبالغ فى المغفرة والرحمة وفيه اشارة الى مغفرة الذنب
الذى هو ملاحظة النفس فانه من أكبر الذنوب والمعاصى كما قالوا وجودك ذنب لا يقاس عليه
ذنب آخر (مصراع) چو مرد راه شدى بگذر از سر دستار (لئلا يعلم أهل الكتاب) متعلق بمضمون
الجملة الطلبية المتضمنة معنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا
لئلا يعلم الذين لم يسلموا من أهل الكتاب أى ليعلموا ولا مزيدة كهى فى ما منعك ألا تسجد كما ينبئ
عنه قراءة ليعلم ولكى يعلم ولأن يعلم بادغام النون فى الياء قال فى كشف الاسرار وانما يحسن
ادخالها فى كلام يدخل فى أواخره أو أوائله جحد (أن لا يقدرون على شئ من فضل الله) أن مخففة
من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف والجملة فى حيز النصب على أنها مفعول يعلم أى
ليعلموا أنهم لا ينالون شيأ مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله
حيث لم يأتوا بشرطه الذى هو الايمان برسوله (وأن الفضل بيد الله) عطف على أن لا يقدرون
يعنى افزونى ثواب وجزا وامثال آن بدست قدرت خداست (يؤتيه) عطا كند (من يشاء)
هر كرا خواهد وهو خبر ثان لأن (والله ذو الفضل العظيم) والعظيم لا بد أن يكون احسانه عظيما
(قال الكاشفى) وخداى تعالى خداوند فضل بزرگست يعنى نعمتى تمام كه خواص وعوام
را دراو رسيده * فيض كرم رسانده از شرق تا بغرب * خوان نعم نهاده از قاف تا بقاف * هستند
بيش وكم ز نوال تو بهره مند * دارند نيك وبد بعطاء تو اعتراف * وقد جوز أن يكون الامر بالتقوى

والايمان لغير أهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من
آمن من أهل الكتاب من الكفلين فى قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين ولا ينقصكم من
مثل أجرهم لانكم مثلهم فى الايمانين لاتفرقون بين أحد من رسله وروى أن مؤمنى أهل الكتاب
افتخروا على سائر المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وفى الحديث
انما مثلنا ومثل الذين أوتوا الكتاب من قبلنا مثل رجل استأجر أجراء فقال من يعمل الى آخر
النهار على قيراط قيراط فعمل قوم ثم تركوا العمل نصف النهار ثم قال من يعمل نصف النهار الى
آخر النهار على قيراط قيراط فعمل قوم الى العصر على قيراط قيراط ثم تركوا العمل ثم قال من
يعمل الى الليل على قيراطين قيراطين فعمل قوم الى الليل على قيراطين قيراطين فقال الطائفتان
الاوليان مالنا أكثر عملا وأقل أجرا فقال هل نقصتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال ذلك فضلى
أوتيه من أشاء فقيه اشارة الى أن أهل الكتاب أطول زمانا وعمرا وأكثر اجتهادا وأقل أجرا
وهذه الامة أقصر مدة وأقل سعيا وأعظم أجرا والى أن الثواب على الاعمال ليس من جهة
الاستحقاق لان العبد لايستحق على مولاه بخدمته أجرة بل من جهة الفضل ولله أن يتفضل
على من يشاء بما يشاء قال البقلى رحمه الله أخرج فضله من الاكتساب وعلل الجهد والطلب
يؤتى كراماته من يشاء من عباده المصطفين وهو ذو العطاء فى الازل الى الابد والفضل العظيم
مالا ينقطع عن المنعم عليه أبدا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل
أن يرقد ويقول ان فيهن آية أفضل من ألف آية ويعنى بالمسبحات الحديد والحشر والصف
والجمعة والتغابن يقول الفقير انما أخفى عليه السلام تلك الآية ولم يصرح بها ليجتهد الامة
بتلاوة جميع السور كما أخفى الله ساعة الاجابة وليلة القدر ونحوهما بعثا للعباد على الاجتهاد
واحياء الليالى (قال الشيخ سعدى) جوهر كوشه تيرنيازا فكنى * اميدست ناكه كه صيدى زنى
* همه سنكها پاس دارای پسر * كه لعل از ميانش نباشد بدر * غم جمله خور در هوای يكی
* مراعات صد كن برای يكی

تمت سورة الحديد بعون الملك المجيد فى أواخر شهر ربيع الاول من سنة خمس عشرة ومائة
وألف من الهجرة

(سورة المجادلة اثنتان وعشرون آية مدنية)

(الجزء الثامن والعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) سمع مجاز مرسل عن اجاب بعلاقة السببية والمجادلة
المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة يعنى كار براندن با كسى بر سبيل نزاع وأصله من جدلت
الحبل أى أحكمت فتله فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه والمراد هنا المكالمة
ومراجعة الكلام أى معاودته والمعنى قد أجاب الله دعاء المرأة التى تكالمك فى حق زوجها
استفتاء وتراجعك الكلام فى شأنه وفيما صدر عنه فى حقها من ظهاره اياها بغير وجه مشروع
وسبب مقبول (وتشتكى الى الله) عطف على تجادلك أى تتضرع الى الله تعالى وتظهر ما بها من

المكروه قال فى المفردات الشكاية والشكاة والشكوى اظهار البث يقال شكوت واشتكيت وأصل الشكوى فتح الشكوة واظهار ما فيها وهى سقاء صغير يجعل فيه الماء وكان فى الاصل استعارة كقولك بثثت له ما فى وعائى ونفضت ما فى جرابى اذا أظهرت ما فى قلبك وفى كشف الاسرار الاشتكاء اظهار ما يقع بالانسان من المكروه والشكوى اظهار ما يصنعه غيره به وفى تاج المصادر الاشتكاء كله كردن وشكوه كردن وهى قربه صغيرة والمجادلة هى خولة بنت ثعلب بن مالك بن خزاعة الخزرجية وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة روى أنها كانت حسنة البدن رآها أوس وهى تصلى فاشتهى مواقعتها فلما سلمت راودها فأبت وكان به خفة فغضب عليها بمقتضى البشرية وقال أنت على كظهر أمى وكان أول ظهار وقع فى الاسلام ثم ندم على ما قال بناء على أن الظهار والايلاء كانا من طلاق الجاهلية فقال لها ما أظنك الا وقد حرمت على فشق ذلك عليها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضى الله عنها تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله ان زوجى أوس بن الصامت أبو ولدى وابن عمى وأحب الناس الى ظاهر منى وما ذكر طلاقا وقد ندم على فعله فهل من شئ يجمعنى واياه فقال عليه السلام ما أراك الا وقد حرمت عليه فقالت لا تقل ذلك يا رسول الله وذكرت فاقتها ووحدتها بتفانى أهلها وأن لها صبية صغارا فقالت ان ضممتهم اليه جاعوا وان ضممتهم الى أبيهم ضاعوا فأعاد النبى عليه السلام قوله الاول وهو حرمت عليه فجعلت تراجع رسول الله مقالتها الاولى وكلما قال لها رسول الله حرمت عليه هتفت وقالت أشكو الى الله ما لقيت من زوجى حال فاقتى ووحدتى وقد طالت معه صحبتى ونفضت له بطنى تريد بذلك أنى قد بلغت عنده سن الكبر وصرت عقيما لا ألد بعد وكانت فى كل ذلك ترفع رأسها الى السماء على ما هو عادة الناس استنزالا للامر الالهى من جانب العرش وتقول اللهم أنزل على لسان نبيك فقامت عائشة تغسل الشق الآخر من رأسه عليه السلام وهى ما زالت فى مراجعة الكلام مع رسول الله وبث الشكوى الى الله حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات الاربع معا لدعائها وقبولا لشكواها فكانت سببا لظهور أمر الظهار وفى قد اشعار بأن الرسول والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله حكم الحادثة ويفرج عنها كربها لانها انما تدخل على ماض متوقع (والله يسمع تحاوركما) أى يعلم تراجعكما الكلام وتخاطبكما وتجاوبكما فى أمر الظهار فان التحاور بمعنى التجاوب وهو رجع الكلام وجوابه يعنى يكديكر را جواب دادن من الحور بمعنى الرجوع وذلك برجوع الرسول الى الحكم بالحرمة مرة بعد أخرى ورجوع المجادلة الى طلب التحليل كذلك ومنه المحاورة فى البحث ومنه قولهم فى الدعاء نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى الرجوع الى النقصان بعد الوصول الى الزيادة أو الى الوحشة بعد الانس وقال الراغب الحور التردد اما بالذات واما بالتفكر وقيل نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى من التردد فى الامر بعد المضى فيه أو من نقصان وتردد فى الحال بعد الزيادة فيها وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفى نظمها فى سلك الخطاب مع أفضل البرايا تغليب اذ القياس تحاورها وتحاورك تشريفا لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها فى المسئلة ومبالغتها فى التضرع الى الله ومدافعته عليه السلام اياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحى وعلمه تعالى بحالهما من

دواعى الاجابة (وفى كشف الاسرار) ليس هذا تكرارا لان الاول لما حكته عن زوجها والثانى لما كان يجرى بينها وبين رسول الله لان الاول ماض والثانى مستقبل (ان الله سميع بصير) مبالغ فى العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته أن يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيآت التى من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع

يامن يرى ما فى الضمير ويسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع

يامن يرجى للشدائد كلها * يامن اليه المشتكى والمفزع

مالى سوى قرعى لبابك حيلة * ولئن رددت فأى باب أقرع

حاشى لفضلك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع

وفى الآية دليل على ان من انقطع رجاؤه عن الخلق ولم يبق له فى مهمه أحد سوى ربه وصدق فى دعائه وشكواه كفاه الله ذلك ومن كان أضعف فالرب به ألطف * دعاى ضعيفان اميدوار * زبازوى مردى به آيد بكار * وفيها ان من استمع الله ورسوله والورثة الى كلامه فسائر الناس أولى روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بهذه المرأة فى خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه من أيقن الموت خاف الفوت ومن أيقن الحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف الطويل فقال والله لو حبستنى من أول النهار الى آخره ما زلت الا للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز هى خولة بنت ثعلب سمع الله قولها من فوق سبع سموات أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وهذه الفوقية لا يلزم منها الجهة لان الله هو العلى المتعال فاعرف ثم انه من اكبر الذنوب أن يقول الرجل لاخيه اتق الله فيقول فى جوابه عليك نفسك أى الزم نفسك أأنت تأمرنى بهذا وذلك لانه اذا ذكر اسم الله يلزم التعظيم له سواء صدر من مسلم أو كافر وأعلم الناس لا يستغنى عن تنبيه وايقاظ * بگوى آنچه دانى سخن سودمند * وگر هيچ كس را نيايد پسند * يقال اللائق بالعاقل أن يكون كالنحل يأخذ من كل شئ ثم يخرجه عسلا فيه شفاء من كل داء وشمعا له منافع لاسيما الضياء فطالب الحكمة يأخذها من كل مقام سواء قعد أو قام

المرء لولا عرفه فهو الدمى * والمسك لولا عرفه فهو الدم

العرف الاول بالضم بمعنى المعروف والثانى بالفتح الرائحة والدمى بضم الدال وفتح الميم جمع دمية وهى الصورة المنقشة من رخام أو عاج (الذين يظاهرون منكم) أيها المؤمنون فلا يلحق بهم الذمى لانه ليس من أهل الكفارة لغلبة جهة العبادة فيها فلا يصح ظهاره (من نسائهم) هذا شروع فى بيان الظهار فى نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار لغة مصدر ظاهر الرجل أى قال لزوجته أنت على كظهر أمى والظهر العضو والجارحة ويعبر عن البطن بالظهر أى أنت على حرام كبطن أمى فكنى عن البطن بالظهر الذى هو عمود البطن لئلا يذكر ما يقارب الفرج تأدبا ثم قيل ظاهر من امرأته فعدى بمن لتضمين معنى التجنب لاجتناب أهل الجاهلية من المرأة المظاهر منها اذ الظهار طلاق عندهم كما مر فى قولهم آلى منها لما ضمنه من معنى التباعد من الالية بمعنى الحلف وفى القرآن واجنبنى وبنى

أن نعبد الاصنام أى بعدنى واياهم من عبادة الاصنام فمعنى البعد انما هو فى الاجتناب ونحوه المتعدى بمن لان معنى الابتداء الذى هو معنى من لا يخلو عن البعد فانه من معانى عن لا من ثم انه ألحق الفقهاء بالظهر نحو البطن والفخذ والفرج مما يحرم النظر اليها من الام فمن قال أنت على كبطن أمى أو فخذها أو فرجها كان ظهارا بخلاف مثل اليد أو الرجل وكذا ألحقوا بالام سائر المحارم فلو وضع المظاهر مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب كالخالة والعمة أو رضاع أو صهر كان ظهارا مثل أن يقول أنت على كظهر خالتى أو عمتى أو أختى نسبا أو رضاعا أو كظهر امرأة ابنى أو أبى ولو شبهها بالخمر أو الخنزير أو الدم أو الميتة أو قتل المسلم أو الغيبة أو النميمة أو الزنا أو الربا أو الرشوة فانه ظهار اذا نوى وفى أنت على كأمى صح نية الكرامة أى استحقاق البر فلا يقع طلاق ولا ظهار وصح نية الظهار بأن يقصد التشبيه بالام فى الحرمة فيترتب عليه أحكام الظهار لا غير ونية الطلاق بأن يقصد ايجاب الحرمة فان لم ينو شيأ لغا وأنت على حرام كأمى صح فيه مانوى من ظهار أو طلاق أو ايلاء ولو قال أنت أمى أو أختى أو بنتى بدون التشبيه فهو ليس بظهار يعنى ان قال ان فعلت كذا فأنت أمى وفعلته فهو باطل وان نوى التحريم ولو قالت لزوجها أنت على كظهر أمى فانه ليس بشئ وقال الحسن انه يمين وفى ايراد منكم مع كفاية من نسائهم مزيد توبيخ للعرب وتقبيح لعادتهم فى الظهار فانه كان من أيمان جاهليتهم خاصة دون سائر الامم فلا يليق بهم بعد الاسلام أن يراعوا تلك العادة المستهجنة فكأنه قيل منكم على عادتكم القبيحة المستنكرة ويحتمل أن يكون لتخصيص نفع الحكم الشرعى للمؤمنين بالقبول والاقتداء به أى منكم أيها المؤمنون المصدقون بكلام الله المؤتمرون بأمر الله اذ الكافرون لا يستمعون الخطاب ولا يعملون بالصواب وفى من نسائهم اشارة الى ان الظهار لا يكون فى الامة ومن ذلك قالوا ان للظهار ركنا وهو التشبيه المذكور وشرطا وهو أن يكون المشبه منكوحة حتى لا يصح من الامة وأهلا وهو من كان من أهل الكفارة حتى لا يصح للذمى والصبى والمجنون وحكما وهو حرمة الوطء حتى يكفر مع بقاء أصل الملك (ماهن أمهاتهم) خبر للموصول أى ما نساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت يعنى أن من يقول لامرأته أنت على كظهر أمى ملحق فى كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين وكانوا يريدون بالتشبيه الحرمة فى المظاهر منها كالحرمة فى الام تغليظا وتشديدا فان قيل فحاصل الظهار مثلا أنت محرمة على كما حرمت على أمى وليس فيه دعوى الامومة حتى تنفى وتثبت للوالدات يقال ان ذلك التحريم فى حكم دعوى الامومة أو أن المراد نفى المشابهة لكن نفى الامومة للمبالغة فيه (ان) نافية بمعنى ما (أمهاتهم) فى الحقيقة والصدق (الا اللائى) جمع التى أى النساء اللاتى (ولدنهم) أى ولدن المظاهرين فلا تشبه بهن فى الحرمة الا من ألحقها الشرع بهن من أزواج النبى عليه السلام والمرضعات ومنكوحات الآباء لكرامتهن وحرمتهن فدخلن بذلك فى حكم الامهات وأما الزوجات فأبعد شئ من الامومة فلا تلحق بهن بوجه من الوجوه (وانهم) أى وان المظاهرين منكم (ليقولون) بقولهم ذلك (منكرا من القول) على ان مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فانه أمر محقق بل كونه منكرا أى عند الشرع وعند العقل والطبع أيضا كما يشعر به تنكيره وذلك لان زوجته ليست بامه حقيقة ولا ممن ألحقه الشرع بها فكان التشبيه بها الحاقا

لاحد المتباينين بالآخر فكان منكرا مطلقا غير معروف (وزورا) أى كذبا باطلا منحرفا عن الحق فان الزور بالتحريك الميل فقيل للكذب زور بالضم لكونه مائلا عن الحق قال بعضهم ولعل قوله وزورا من قبيل عطف السبب على المسبب فان قلت قوله أنت على كظهر أمى انشاء لتحريم الاستمتاع بها وليس بخبر والانشاء لا يوصف بالكذب قلت هذا الانشاء يتضمن الحاق الزوجة المحللة بالام المحرمة أبدا وهذا الحاق مناف لمقتضى الزوجية فيكون كاذبا وعن أبى بكرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس وقال ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت رواه البخارى قال بعضهم لما كان مبنى طلاق الجاهلية الامر المنكر الزور لم يجعله الله طلاقا ولم تبق الحرمة الا الى وقت التكفير وقال الظهار الذى هو من طلاق الجاهلية ان كان فى الشرع بمقدار من الزمان أولا طلاقا فكانت الآية ناسخة والا فلا لان النسخ انما يدخل فى الشرائع وما قاله عليه السلام انها حرمت فلا يعين شيأ من الطرفين الا أن بعض المفسرين جعله مؤيدا للوجه الاول

(وان الله لعفو غفور) أى مبالغ فى العفو والمغفرة لما سلف منه على الاطلاق على المذهب الحق أو بالمتاب عنه على مذهب الاعتزال وذلك أن مادون الشرك حكمه موكول الى مشيئة الله ان شاء يغفره وان لم يتب العبد عنه وان شاء يغفره بعد التوبة وأما اذا لم يتب عنه فعذبه عليه فانما يعذبه على حسب ذنبه لكن الظاهر هنا الحث على التوبة لكون الكلام فى ذم الظهار وانكاره

(والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اللام والى يتعاقبان كثيرا نحو يهدى للحق والى الحق فالمعنى والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون الى ما قالوا والى ما فات عنهم بسببه من الاستمتاع بالتدارك والتلافى بالتقرر والتكرر ومنه قولهم عاد الغيث على ما أفسد أى تداركه بالاصلاح فافساده امساكه واصلاحه احياؤه ففيه اطلاق اسم السبب على المسبب فان العود الى الشئ من أسباب التدارك والوصول اليه فيكون مجازا مرسلا قال ابن الشيخ العود يستعمل على معنيين أحدهما أن يصير الى شئ قد كان عليه قبل ذلك فتركه فيكون بمعنى الرجوع الى ما فارق عنه والآخر أن يصير ويتحول الى شئ وان لم يكن على ذلك قبل والعود بهذا المعنى لا يلزم أن يكون رجوعا الى ما فارق عنه والعود الذى هو سبب للتدارك والوصول هو العود بهذا المعنى وهو العود الى شئ مطلقا فحاصل المعنى ثم يعودون الى تدارك ما قالوا ودفع ما لزم عليهم به من الفساد من حرمة الحلال ويجوز أن يكون المعنى ثم يريدون العود الى ما حرموا على أنفسهم بلفظ الظهار من الاستمتاع ففيه تنزيل القول منزلة المقول فيه (فتحرير رقبة) التحرير جعل الانسان حرا وهو خلاف العبد والرقبة ذات مرقوق مملوك سواء كان مؤمنا أو كافرا ذكرا أو أنثى صغيرا أو كبيرا هنديا أو روميا فالمعنى فتداركه أو فالواجب اعتاق رقبة أى رقبة كانت وان كان تحرير المؤمن أولى والصالح أحسن فيعتقها مقرونا بالنية وان كان محتاجا الى خدمتها فلو نوى بعد العتق أو لم ينو لم يجزئ وان وجد ثمن الرقبة وهو محتاج اليه فله الصيام كما فى الكواشى ولا تجزئ أم الولد والمدبر والمكاتب الذى أدى شيأ فان لم يؤد جاز ويجب أن تكون سليمة من العيوب الفاحشة بالاتفاق وعند الشافعى يشترط الايمان قياسا

على كفارة القتل كما قال تعالى فتحرير رقبة مؤمنة قلنا حمل المطلق على المقيد انما هو عند اتحاد الحادثتين واتحاد الحكم أيضا وهنا ليس كذلك والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار لان تكرر السبب يوجب تكرر المسبب كقراءة آية السجدة في موضعين فلو ظاهر من امرأته مرتين أو ثلاثا في مجلس واحد أو مجالس متفرقة لزمه بكل ظهار كفارة (من قبل أن يتماسا) أي من قبل أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا وتقبيلا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وذلك لان اسم التماس يتناول الكل وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه أن يستغفر لانه ارتكب الحرام ولا يعود حتى يكفر وليس عليه سوى الكفارة الاولى بالاتفاق وان أعتق بعض الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبي حنيفة رحمه الله ولا تسقط الكفارة بل يأتي بها على وجه القضاء كما لو أخر الصلاة عن وقتها فانه لا يسقط عنه اتيانها بل يلزمه قضاؤها وفي الآية دليل على أن المرأة لا يسعها أن تدع الزوج أن يقربها قبل الكفارة لانه نهاهما جميعا عن المسيس قبل الكفارة قال القهستاني لها مطالبة التكفير والحاكم يجبر عليه بالحبس ثم بالضرب فالنكاح باق والحرمة لا تزول الا بالتكفير وكذا لو طلقها ثم تزوجها بعد العدة أو زوج آخر حرم وطؤها قبل التكفير ثم العود الموجب لكفارة الظهار عند أبي حنيفة رحمه الله هو العزم على جماعها فمتى عزم على ذلك لم تحل له حتى يكفر ولو ماتت بعد مدة قبل أن يكفر سقطت عنه الكفارة لفوت العزم على جماعها (ذلكم) أي الحكم بالكفارة أيها المؤمنون (توعظون به) الوعظ زجر يقترن بتخويف أي تزجرون به من ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر من تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والحاصل أن في المؤاخذة الدنيوية نفعا لكل من المظاهر وغير المظاهر بأن يحصل للمظاهر الكفارة والتدارك ولغير المظاهر الاحتياط والاجتناب كما قيل * نرود مرغ سوى دانه فراز چون دگر مرغ بيند اندر بند (والله بما تعملون) من جناية الظهار والتكفير ونحو ذلك من قليل وكثير (خبير) أي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها (فمن لم يجد) أي فالمظاهر الذي لم يجد الرقبة وعجز عنها بأن كان فقيرا وقت التكفير وهو من حين العزم الى أن تغرب الشمس من الغروب من اليوم الاخير مما صام فيه من الشهرين فلا يتحقق العجز الحقيقي الا به والاعتبار بالمسكن والثياب التي لا بد منها فان المعتبر في ذلك هو الفضل والذي غاب ماله فهو واجد (فصيام شهرين) أي فعليه صيام شهرين (متتابعين) ليس فيهما رمضان ولا الايام الخمسة المحرم صومها أي يوما العيد وأيام التشريق فيصلهما بحيث لا يفصل يوما عن يوم ولا شهرا عن شهر بالافطار فان أفطر فيهما يوما أو أكثر بعذر أو بغير عذر استأنف ولم يحسب ما صام الا بالحيض كما سيجيء (من قبل أن يتماسا) ليلا أو نهارا عمدا أو خطأ ولو جامع زوجة أخرى ناسيا لا يستأنف ولو أفطرت المرأة للحيض في كفارة القتل أو الفطر في رمضان لا تستأنف لكنها تصل صومها بأيام حيضها ثم انه ان صام بالاهلة أجزأه وان صام ثمانية وخمسين بأن كان كل من الشهرين ناقصا وان صامها بغيرها فلا بد من ستين يوما حتى لو أفطر صبيحة تسعة وخمسين وجب

عليه

عليه الاستئناف (فمن لم يستطع) أي الصيام بسبب من الأسباب كالهرم والمرض المزمن أي الممتد الغير المرجو برؤه فانه بمنزلة العاجز من كبر السن وان كان يرجى برؤه واشتدت حاجته الى وطء امرأته فالمختار أن ينتظر البرء حتى يقدر على الصيام ولو كفر بالاطعام ولم ينتظر القدرة على الصيام أجزأه ومن الاعذار الشبق المفرط وهو أن لا يصبر عن الجماع فانه عليه السلام رخص للاعرابي أن يعطي الفدية لاجله (فاطعام ستين مسكينا) الاطعام جعله الغير طاعما فقيه رمز الى جواز التمليك والاباحة في الكفارة والمسكين وتفتح ميمه من لا شيء له أوله ما لا يكفيه وأسكنه الفقر أي قلل حركته والذليل والضعيف كما في القاموس قال القهستاني في شرح مختصر الوقاية قيد المسكين اتفاقي لجواز صرفه الى غيره من مصارف الزكاة يقول الفقير انما خص المسكين بالذكر لكونه أحق بالصدقة من سائر مصارف الزكاة كما ينبئ عنه ما سبق آنفا من تفسير القاموس واطعام ستين مسكينا يشمل ما كان حقيقيا وحكميا بأن يطعم واحدا ستين يوما فانه في حكم ستين مسكينا وان أعطاه في يوم واحد ولو بدفعات لا يجزء على الصحيح فيطعم لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره كما في الفطرة والصاع أربعة أمداد ونصفه مدان ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف ان مس في خلال الاطعام لان الله تعالى لم يذكر التماس مع الاطعام هذا عند أبي حنيفة رحمه الله وأما عند الآخرين فالاطعام محمول على المقيد في العتق والصيام ويجوز دفع الكفارة لكافر واخراج القيمة عند أبي حنيفة رحمه الله خلافا للثلاثة وفي الفقه هذا اذا كان المظاهر حرا فلو كان عبدا كفر بالصوم وان أعطاه المولى المال وليس له منعه عن الصوم فان أعتق وأيسر قبل التكفير كفر بالمال (ذلك) أي ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها واقع أو فعلنا ذلك (لتؤمنوا بالله ورسوله) وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم ان قيل اذا كان ترك الظهار مفروضا فما بال الفقهاء يجعلونه بابا في الفقه أجيب بأن الله وان أنكر الظهار وشنع على من تعود به من الجاهلين الا أنه تعالى وضع له احكاما يعمل بها من ابتلي به من الغافلين فبهذا الاعتبار جعلوه بابا بينوا تلك الاحكام وزادوا قدر ما يحتاج اليه مع أن المحققين قالوا ان أكثر الاحكام الشرعية للجهال فان الناس لو احترزوا عن سوء المقال والفعال لما احتيج الى تكثير القيل والقال ودلت الآية على ان الظهار أكثر خطأ من الحنث في اليمين لكون كفارته أغلظ من كفارة الحنث واللام في لتؤمنوا للحكمة والمصلحة لانها اذا قارنت فعل الله تكون للمصلحة لانه الغني المطلق واذا قارنت فعل العبد تكون للغرض لانه المحتاج المطلق فأهل السنة لا يقولون لتلك المصلحة غرضا اذ الغرض في العرف ما يستكمل به طالبه استدفاعا للنقصان فيه يتنفر عنه طبعه والله منزه عن هذا بلا خلاف والمعتزلة يقولون بناء على أنه هو الشيء الذي لاجله يراد المراد ويفعل عندهم ولو قلنا بهذا المعنى لكنا قائلين بالغرض وهم لو قالوا بالمعنى لما كنا قائلين به (وتلك) اشارة الى الاحكام المذكورة من تحريم الظهار وايجاب العتق للواجد وايجاب الصوم لغير الواجد ان استطاع وايجاب الاطعام لمن لم يستطع (حدود الله) التي لا يجوز تعديها وشرائعه الموضوعة لعباده التي لا يصح تجاوزها الى ما يخالفها جمع حد وهو في اللغة المنع والحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وحد الزنا وحد الخمر سمي بذلك لكونه مانعا لمتعاطيه عن

المعاودة مثله وجميع حدود الله على أربعة أضرب اما شئ لا يجوز أن يتعدى بالزيادة عليه ولا القصور عنه كأعداد ركعات صلاة الفرض واما شئ يجوز الزيادة عليه ولا يجوز النقصان منه واما شئ يجوز النقصان منه ولا يجوز الزيادة عليه واما شئ يجوز الزيادة عليه والنقصان منه كما في المفردات (وللكافرين) أي الذين لا يعملون بها ولا يقبلونها (عذاب أليم) عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين يعني أن اطلاق الكفر لتأكيد الوجوب والتغليظ على تارك العمل لا لانه كفر حقيقة كما زعمه الخوارج قال بعضهم في قوله عليه السلام من ترك الصلاة فقد كفر أي قارب الكفر يقال دخل البلد لمن قاربها قال في برهان القرآن قوله وللكافرين عذاب أليم وبعده وللكافرين عذاب مهين لان الاول متصل بضده وهو الايمان فتوعدهم على الكفر العذاب الاليم هو جزاء الكافرين والثاني متصل بقوله كبتوا وهو الاذلال والاهانة فوصف العذاب بمثل ذلك فقال وللكافرين عذاب مهين انتهى والأليم بمعنى المؤلم أي الموجع كالبديع بمعنى المبدع أو بمعنى المتألم لكن أسند مجازا الى العذاب مبالغة كأنه في الشدة بدرجة تتألم بها نفسه وفي اثبات العذاب للكافرين حث للمؤمنين على قبول الطاعة ولما نزلت هذه الآيات الاربع تلاها عليه السلام فقال لاوس بن الصامت رضي الله عنه هل تستطيع عتق رقبة قال اذن يذهب جل مالي قال فصيام شهرين متتابعين قال يا رسول الله اذا لم آكل في اليوم ثلاث مرات كل بصري وخشيت أن تعشو عيني قال فاطعام ستين مسكينا قال لا الا أن تعينني عليه قال أعينك بخمسة عشر صاعا وأنا داع لك بالبركة وتلك البركة بقيت في آله كما في عين المعاني يقول الفقير في وجوه الاحكام المذكورة أما وجه العتق فلان العاصي استحق النار بعصيانه العظيم فجعل عتق المملوك فداء لنفسه من النار كما قال عليه السلام من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل ارب منها اربا منه من النار ودل تقييد الرقبة بالمؤمنة على أفضلية اعتاق المؤمن وأيضا ان ثمن العبد أكثر غالبا من فدية الاطعام والمال يعد من النفس لشدة علاقة النفس به ففي بذله تخليص لها من رذيلة البخل ونجاة لها من النار وأما الوجه في الصيام فلان الاصل فيه صيام شهر رمضان وهو ثلاثون يوما ففي صيام ستين يوما تضعيف المشقة وتشديد المحنة على النفس وأما الوجه في اطعام المساكين أما في نفس الاطعام فلان الصوم التخلق بوصف الصمدية فاذا فات عنه ذلك لزم المعالجة بضده وهو الاطعام لان في بذل المال اذابة النفس كما في الصوم ومن هذا يعرف سر التنزيل من الرقبة الى الصوم ثم منه الى الاطعام وأما في عدد المساكين فلان الاطعام بدل من الصيام وخلف له فروعي فيه من العدد ما روعي في الصيام ويجوز أن يقال ان الله تعالى خلق آدم عليه السلام من ستين نوعا من طبقات الارض فأمر باطعام ستين مسكينا من أولاد آدم حتى تقع المكافأة لجميع أولاده لانه لا يخرج أحد منهم عن هذه الستين نوعا وأيضا سر العدد كون عمر هذه الامة بين الستين والسبعين فمن راعى العدد فكأنما عبد الله ستين سنة التي هي مبلغ عمره ومنتهى أمده بحسب الغالب فيتخلص من النار ولكن فيه اشارة الى فضيلة الوقت فانه اذا فات العمل من محله لا ينجبر بالقضاء بكماله الاولي بل يصير ساقطا عن درجة الكمال الاولي بستين درجة ولذا وجب صيام ستين واطعامها (قال المولى الجامي) هر دم از عمر گرامي هست گنج بى بدل * ميرود گنجى چنين هر لحظه بر باد آخ آخ

(وقال الشيخ سعدى) مكن عمر ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزست والوقت سيف * وفى الآية اشارة الى أن النفس مطية الروح وزوجته فاذا ظاهر زوج الروح من زوجة النفس بقطع الاستمتاع عنها لغلبة الروحانية عليها ثم بحسب الحكمة الالهية المقتضية لتعلق زوج الروح مع زوجة النفس أراد أن يستمتع منها فعلى زوج الروح يجب من طريق الكفارة تحرير رقبة عن ذلك الاستمتاع والتصرف فيها بأن لا يستمتع ولا يتصرف فيها الا بأمر الحق ومقتضى حكمته لا بمقتضى طبعه ومشتهيات هواه فانه لا يجوزله وعلى تقدير شدة اشتباك زوج الروح بزوجة النفس وقوة ارتباطهما الذاتية ارتباط الراكب بالمركوب وارتباط ربان السفينة بالسفينة ان لم يقدر على تحرير رقبة عن هذا الارتباط فيجب على زوج الروح أن يصوم شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا يعنى أن يمسك نفسه عن الالتفات الى الكونين على الدوام والاستمرار من غير تخلل التفات وان لم يتمكن من قطع هذا الالتفات لبقاء بقية من بقايا انانيته فيه فيجب عليه اطعام ستين مسكينا من مساكين القوى الروحانية المستهلكة تحت سلطنة النفس وصفاتها ليقيهم على التخلق بالاخلاق الالهية والتحقق بالصفات الروحانية (ان الذين يحادون الله ورسوله) أى يعادونهما او يشاقونهما وكذا أولياء الله فان من عادى أولياء الله فقد عادى الله وذلك لان كلا من المتعاديين كما أنه يكون فى عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون فى حد غير حد الآخر غير أن لورود المحادة فى اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع مالا غاية وراءه وبالفارسية مخالفت ميكنند با خدا ورسول او از حدود أمر ونهى تجاوز مينمايند وقال بعضهم المحادة مفاعلة من لفظ الحديد والمراد المقابلة بالحديد سواء كان فى ذلك حديد حقيقة أو كان ذلك منازعة شديدة تشبيها بالخصومة بالحديد وقال بعضهم فى معنى الآية يحادون أى يضعون أو يختارون حدودا غير حدودهما ففيه وعيد عظيم للملوك والامراء السوء الذين وضعوا أمورا خلاف ما حده الشرع وسموها القانون ونحوه * بادشاهى كه طرح ظلم افكند * باى ديوار ملك خويش بكند (كبتوا) أى اخزوا * يعنى خوار ونكونسار كرده شوند * وفى المفردات الكبت الرد بعنف وتذليل وفى القاموس كبته يكبته صرعه وأخزاه وصرفه وكسره ورد العدو بغيظه وأذله قال ابن الشيخ وهو يصلح لان يكون دعاء عليهم واخبارا عما سيكون بالماضى لتحققه أى سيكبتون ويدخل فيهم المنافقون والكافرون جميعا أما الكافرون فمحادتهم فى الظاهر والباطن وأما المنافقون ففى الباطن فقط (كما كبت الذين من قبلهم) من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام مثل أقوام نوح وهود وصالح وغيرهم * وكان المصرى رحمه الله يقول عجبت من ضعيف عصى قويا فقال له كيف ذلك فيقول وخلق الانسان ضعيفا (وقد أنزلنا آيات بينات) حال من واو كبتوا أى كبتوا لمحادتهم والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم أو آيات بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به والسؤال بأن الانزال نقل الشئ من الاعلى الى الاسفل وهو انما يتصور فى الاجسام والآيات التى هى من الكلام من الاعراض الغير القارة فكيف يتصور الانزال فيها مجاب عنه بأن المراد منه انزال من يتلقف من الله ويرسل الى عباده تعالى فيسند اليها مجازا لكونها المقصودة منه أو المراد منه

الايصال والاعلام على الاستعارة (وللكافرين) بتلك الآيات أو بكل ما يجب الايمان به (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم من الاهانة بمعنى التحقير والمراد عذاب الكبت الذي هو في الدنيا فيكون ابتداء كلام أو عذاب الآخرة فيكون للعطف بمعنى ان لهم الكبت في الدنيا ولهم عذاب مهين في الآخرة فهم معذبون في الدارين قال بعضهم وصف الله العذاب الملحق بالكافرين أولا بالايلام وثانيا بالاهانة لان الايلام يلحق بهم أولا ثم يهانون به واذا كانت الاهانة ما في الآخرة فالتقديم ظاهر وقد سبق غير هذا وفي الآية اشارة الى أن من يعادون مظاهر الله وهم الاولياء المتحققون بالله المجتمعون بأسماء الله ويشاققون مظاهره وله وهم العلماء القائمون بأحكام الشرائع بجوا وأفحموا بأبلغ الحجج وأظهر البراهين من الكرامات الظاهرة ونشر العلوم الباهرة وكيف لا وقد أنزلت بحجة ولايتهم وآثار وراثتهم آيات بينات في سترها بستائر ظلمات أنكاره فله عذاب القطيعة القطعية والاهانة من غير ابانة (يوم يبعثهم الله) منصوب باذكر المقدر تعظيما لليوم وتهويلا له والمراد يوم القيامة أي يحييهم الله بعد الموت للجزاء (جميعا) أي كلهم بحيث لا يبقى منهم أحد غير مبعوث فيكون تأكيد الضمير أو مجتمعين في حالة واحدة فيكون حالا منه (فينبئهم بما عملوا) من القبائح ببيان صدورها منهم أو بتصويرها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤس الاشهاد وتخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم والافلا فائدة في نفس الانباء لينبئهم واعلى ما صدر منهم (أحصاه الله) كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهي أعراض منقضية متلاشية فقيل أحصاه الله أي أحاط به عددا وحفظه كما عمل لم يفت منه شئ ولم يغب قال الراغب الاحصاء التحصيل بالعدد يقال أحصيت كذا وذلك من لفظ الحصى واستعمال ذلك فيه لانهم كانوا يعتمدون اعتمادنا فيه على الاصابع وقال بعضهم الاحصاء عد باحاطة وضبط اذ أصله العد بآحاد الحصى للتقوى في الضبط فهو أخص من العد لعدم لزوم الاحاطة فيه (ونسوه) أي والحال أنهم قد نسوه لكثرته أو لتهاونهم حين ارتكبوه لعدم اعتقادهم (والله على كل شئ شهيد) لا يغيب عنه امر من الامور فالشهيد بمعنى الشاهد من الشهود بمعنى الحضور وكفته اند كواهست ومناسب أن مكافات خواهد فرمود وكسى كواهى اورد تواند كرد * حاكم ز حكم دم نزند كر كواه نيست * حاكم كه خود كواه بود قصه مشكلست * فلا بد من استحضار الذنوب والبكاء عليها وطلب التوبة من الله الذي يحصى كل شئ ولا ينساه قبل أن يجئ يوم يفتضح فيه المصر على رؤس الاشهاد ولا يقبل الدعاء والمعذرة من العباد واعلم ان القول بأنه تعالى شهيد قول بأنه حاضر لكن بالحضور العلمي لا بالحضور الجسماني فانه منزه عن ذلك فقول من قال الله حاضر محمول على الحضور العلمي فلا وجه لاكفاره قائله مع وجوده في القرآن (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض) استشهاد على شمول شهوده تعالى والهمزة للانكار المقرر بالرؤية لما أن الانكار نفي معنى ونفي النفي يقرر الاثبات فتكون الرؤية ثابتة مقررة والخطاب للرسول عليه السلام أو لكل من يستحق الخطاب والمعنى ألم تعلم علما يقينيا برتبة المشاهدة أنه تعالى يعلم ما في السموات وما في الارض من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما (روى) عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوما

يتحدثون فقال أحدهم أترى الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضه فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم فنزلت الآية (ما يكون من نجوى ثلاثة) ما نافية ويكون تامة بمعنى يوجد ويقع ومن مقحم ونجوى فاعله وهو مصدر بمعنى التناجي كالشكوى بمعنى الشكاية يقال نجاه نجوا ونجوى ساره كناجاه مناجاة والنجوى السر الذى يكتم اسم ومصدر كما فى القاموس وأصله أن تخلو فى نجوة من الارض أى مكان مرتفع منفصل بارتفاعه عما حوله كان المتناجى بنجوة من الارض لئلا يطلع عليه أحد والمعنى ما يقع من تناجى ثلاثة نفر ومسارتهم فالنجوى مصدر مضاف الى فاعله (الا هو) أى الله تعالى (رابعهم) أى جاعلهم أربعة من حيث انه تعالى يشاركهم فى الاطلاع عليها كما قال الحسين النورى قدس سره الا هو رابعهم علما وحكما لا نفسا وذاتا وهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال أى ما يوجد فى حال من الاحوال الا فى هذه الحال وفى الكلام اعتبار التصيير قال النصراباذى من شهد معية الحق معه زجره عن كل مخالفة وعن ارتكاب كل محذور ومن لا يشاهد معيته فانه متخط الى الشبهات والمحارم (ولا خمسة) أى ولا نجوى خمسة نفر (الا هو سادسهم) أى الا وهو تعالى جاعلهم ستة فى الاطلاع على ما وقع بينهم وتخصيص العددين بالذكر لخصوص الواقعة لان المنافقين المجتمعين فى النجوى كانوا مرة ثلاثة وأخرى خمسة ويقال ان التشاور غالبا انما يكون من ثلاثة الى ستة ليكونوا أقل لفظا وأجدر رأيا وأكتم سرا ولذا ترك عمر رضى الله عنه حين علم بالموت امر الخلافة شورى بين ستة أى على أن يكون امر الخلافة بين ستة ومشاورتهم واتفاق رأيهم وفى الثلاثة اشارة الى الروح والسر والقلب وفى الخمسة اليها باضافة النفس والهوى ثم عمم الحكم فقال (ولا أدنى من ذلك) أى أقل مما ذكر كالاثنين والواحد فان الواحد أيضا يناجى نفسه وبالفارسية ونه كمتر باشد از اين عدد (ولا أكثر) كالستة وما فوقها (الا هو معهم) أى الله مع المتناجين بالعلم والسماع يعلم ما يجرى بينهم ولا يخفى عليه ما هم فيه فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المشاهدة والحضور معهم حضورا جسمانيا (أينما كانوا) أى فى أى مكان كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا * اين معيت در نيابد عقل وهوش * زين معيت دم مزن بنشين خموش * قرب حق با بنده دور است از قياس * بر قياس خود منه آنرا أساس * قال بعض العارفين اكر مؤمنان امت أحمد را خود اين تشريف بودى كه رب العالمين درين سوره ميكويد كه ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الى قوله هو معهم تمام بودى أصحاب كهف را با جلال رتبت ايشان وكمال منزلت ميكويد ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم فانظر كم من فرق بين من كان الله رابعهم وسادسهم وبين من كان أخس الحيوانات رابعهم وسادسهم وحظية المؤمن من المعية أن يعلم ان الخير فى أن يكون جليسه صالحا وكلامه نافعا ولا يتكلم بما لا طائل تحته فيكون عيبا فى صحيفته وعيبا فى صحبته ومعية الله تعالى على العموم كما صرح به قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم ثم انه قد يكون له تعالى معية مخصوصة ببعض عباده بحسب فيضه وايصال لطفه اليه ونحو ذلك (ثم ينبئهم بما عملوا) أى يخبرهم بالذى عملوه فى الدنيا (يوم القيامة) تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب

عذابهم (ان الله بكل شئ عليم) لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء يعنى نسبت علم
أو باهمه معلومات يكسانست حالات اهل آسمانرا جنان داندكه حالات أهل زمين راو علم
أو بخفيات امور بدان وجه احاطه كندكه بجليات * نهان وآشكارا هردو يكسانست بر علمت
* نه ابن رازود تر بينى نه آنرا دير تر دانى * من عرف انه العالم بكل شئ راقبه فى كل شئ واكتفى
بعلمه فى كل شئ فكان واثقا به عند كل شئ ومتوجها به بكل شئ قال ابن عطاء الله متى علمت عدم
اقبال الناس عليك أو توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك فان كان لا يقنعك علمه
فيك فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الاذى منهم انتهى والتخلق بهذا
الاسم تحصيل العلم وافادته للمحتاجين اليه ومن أدمن ذكر يا علام الغيوب بصيغة النداء الى
أن يغلب عليه منه حال فانه يتكلم بالمغيبات ويكشف ما فى الضمائر وترقى روحه الى أن يرقى فى
العالم العلوى ويتحدث بأمور الكائنات والحوادث قال الفقهاء من قال بأن الله تعالى عالم
بذاته أى لا عالم بعلمه قادر بذاته أى لا قادر بقدرته يعنى لا يثبت له صفة العلم القائمة بذاته ولا صفة
القدرة كالمعتزلة والجهمية يحكم بكفره لأن نفى الصفات الالهية كفر قال الزاهدى من أقر
بوحدانية الله وأنكر الصفات كالفلاسفة والمعتزلة لا يكون ايمانه معتبرا كذا قالوا وفيه شئ
بالنسبة الى المعتزلة لانهم من أهل القبلة ومن ثمة قال فى شرح العقائد والجمع بين قولهم لا يكفر
أحد من أهل القبلة وقولهم يكفر من قال بخلق القرآن واستحالة الرؤية وسب الشيخين وأمثال
ذلك مشكل انتهى (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) نزلت فى اليهود
والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتحلقون ثلاثة وخمسة ويتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين
يريدون أن يغيظوهم فنهاهم رسول الله عليه السلام ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول
والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار
صورته العجيبة قال الخدرى رضى الله عنه خرج عليه السلام ذات ليلة ونحن نتحدث فقال هذه
النجوى ألم تنهوا عن النجوى فقلنا تبنا الى الله انا كنا فى حديث الدجال قال ألا أخبركم بما هو
أخوف عليكم منه هو الشرك الخفى يعنى المراآة (ويتناجون) وراز ميكويند (بالاثم
والعدوان ومعصيت الرسول) عطف على قوله يعودون داخل فى حكمه وبيان لما نهوا عنه لضرره
فى الدين أى بما هو اثم فى نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول والعدوان الظلم
والجور والمعصية خلاف الطاعة (واذا جاؤك) وجون بتو آيند يعنى اهل النجوى (حيوك)
ترا تحيت وسلام كنند والتحية فى الاصل مصدر حياك على الاخبار من الحياة معنى حياك
الله جعل لك حياة ثم استعمل للدعاء بها ثم قيل لكل دعاء فغلب فى السلام فكل دعاء تحية
لكون جميعه غير خارج عن حصول حياة او سبب حياة اما فى الدنيا واما فى الآخرة (بما لم يحيك
به الله) أى بشئ لم يقع من الله أن يحييك به فيقولون السام عليك والسام بلغة اليهود
مركيست يا قتل بشمشير وهم يوهمون أنهم يقولون السلام عليك وكان عليه السلام يرد
عليهم فيقول عليكم بدون الواو وفى رواية وعليكم بالواو وخطأ كذا فى عين المعانى أو يقولون أنعم
صباحا وهو تحية الجاهلية من النعومة أى ليصر صباحك ناعما لينا لا بؤس فيه والله سبحانه
يقول وسلام على المرسلين واختلفوا فى رد السلام على أهل الذمة فقال ابن عباس والشعبى

وقتادة

وقتادة هو واجب لظاهر الامر بذلك وقال مالك ليس بواجب فان رددت فقل عليك وقال بعضهم يقول في الرد علاك السلام أي ارتفع عنك وقال بعض المالكية يقول في الرد السلام عليك بكسر السين يعني الحجارة (ويقولون في أنفسهم) أي فيما بينهم اذا خرجوا من عندك (لولا يعذبنا الله بما نقول) لولا تحضيضية بمعنى هلا أي هلا يعذبنا الله ويغضب علينا ويقهرنا بجراءتنا على الدعاء بالشر على محمد لو كان نبيا حقا (حسبهم) بسبب ايذائنا (جهنم) عذابا مبتدأ أو خبر أي محسبهم وكافيهم جهنم في التعذيب من أحسبه اذا كفاه (يصلونها) يدخلونها ويقاسون حرها لامحالة وان لم يعجل تعذيبهم لحكمة والمراد الاستهزاء بهم والاستخفاف بشأنهم لكفرهم وعدم ايمانهم (فبئس المصير) أي جهنم قال في برهان القرآن الفاء لما فيه من معنى التعقيب أي فبئس المصير ما صاروا اليه وهو جهنم انتهى قال بعض المفسرين وقولهم ذلك من جملة ما غفلوا عما عندهم من العلم فانهم كانوا أهل كتاب يعلمون أن بعض الانبياء قد عصاه أمته وآذوه ولم يعجل تعذيبهم لحكمة ومصلحة علمها عند الله تعالى انتهى ثم ان الله يستجيب دعاء رسول الله عليه السلام كما روى ان عائشة رضي الله عنها سمعت قول اليهود فقالت عليكم السام والذام واللعن فقال عليه السلام يا عائشة ارفقي فان الله يحب الرفق في كل شئ ولا يحب الفحش والتفحش الاسمعت ما رددت عليهم فقلت عليكم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في وقس عليه حال الورثة الكاملين فان أنفاسهم مؤثرة فمن تعرض لواحد منهم بالسوء فقد تعرض لسوء نفسه وفي البستان * كزيري بچاهي درافتاده بود * كه از هول أو شير نرماده بود * همه شب زفرياد وزاري نخفت * يكي برسرش كوفت سنگي وگفت * تو هرگز رسيدي بفرياد كس * كه ميخواهي امروز فرياد رس * كه برجان ريشت نهد مرهمي * كه جانها بنالد زدستت همي * تو ما راهمي چاه كندي براه * بسر لاجرم برفتادي بچاه (يا أيها الذين آمنوا) بألسنتهم وقلوبهم (اذا تناجيتم) چون راز كوييد با يكديكر يعني في انديتكم وخلواتكم (فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) كما يفعله المنافقون واليهود (وتناجوا بالبر والتقوى) أي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول قال سهل رحمه الله بذكر الله وقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (واتقوا الله الذي اليه تحشرون) وحده لا الى غيره استقلالا أو اشتراكا فيجازيكم بكل ما تأتون وما تذرون يعني بسوى او جمع كرده خواهيد شد پس ازو بترسيد دلت الآية على ان التناجي ليس بمنهي عنه مطلقا بل مأمور به في بعض الوجوه ايجابا او استحبابا او اباحة على مقتضى المقام ان قيل كيف يأمر الله بالاتقاء عنه وهو المولى الرحيم والقرب منه ألذ المطالب والانس به أقصى المآرب فالتقوى توجب الاجتناب والحشر اليه يستدعي الاقبال اليه يجاب بأن في الكلام مضافا اذ التقدير واتقوا عذاب الله أو قهر الله أو غيرهما فان قيل ان العبد لو قدر على الخلاص من العذاب والقهر لاسرع اليه لكنه ليس بقادر عليه كما قال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله والامر انما يكون بالمقدور ولا يكلف الله نفسا الا وسعها أجيب بأن المراد الاتقاء عن السبب من الذنوب والمعاصي الصادرة عن العبد العاصي فالمراد واتقوا ما يفضي الى عذاب الله ويقتضي قهره في الدارين من الاثم والعدوان ومعصية الرسول التي هي السبب الموجب لذلك فالمراد النهي

عن مباشرة الاسباب والامر بالاجتناب عنها ان قيل ان ذلك الاتقاء انما يكون بتوفيق الله له فان وفق العبد له فلا حاجة الى الامر به وان لم يوفقه فلا قدرة له عليه والامر انما يحسن فى المقدور أجيب بأنه تعالى علمه الحق أولا ووهب له ارادة جزئية يقدر بها على اختيار شئ فله الاختيار السابق على ارادة الله تعالى ووجود الاختيار فى الفاعل المختار أمر يطلع عليه كل أحد حتى الصبيان (انما النجوى) المعهودة التى هى التناجى بالاثم والعدوان بقرينة ليحزن (من الشيطان) لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها فكأنها منه (ليحزن الذين آمنوا) خبر آخر من الحزن بالضم بعده السكون متعد من الباب الاول لا من الحزن بفتحتين لازما من الرابع كقوله تعالى يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيكون الموصول مفعوله وفى القاموس الحزن بالضم ويحرك الهم والجمع احزان وحزن كفرح وحزنه الامر حزنا بالضم وأحزنه جعله حزينا وحزنه جعل فيه حزنا وقال الراغب الحزن والحزن خشونة فى الارض وخشونة فى النفس لما يحصل فيها من الغم ويضاده الفرح ولاعتبار الخشونة بالغم قيل خشنت بصدره اذا أحزنته والمعنى انما هى ليجعل الشيطان المؤمنين محزونين بتوهمهم انها فى نكبة أصابتهم فى سريتهم يعنى ان غزاتهم غلبوا وان أقاربهم قتلوا متألمين بذلك فاترين فى تدبير الغزو الى غير ذلك مما يشوش قلوب المؤمنين وفى الحديث اذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه (وليس) أى الشيطان أو التناجى (بضارهم) بالذى يضر المؤمنين (شيأ) من الاشياء أو شيأ من الضرر يعنى ضرر رساننده مؤمنان بحيزى (الا باذن الله) أى بمشيئته وارادته أى ما أراده من حزن أو وسوسة كما روى ان فاطمة رضى الله عنها رأت كأن الحسن والحسين رضى الله عنهما أكلا من أطيب جزور بعثه رسول الله اليهما فماتا فلما غدت سألته عليه السلام وسأل هو جبريل وجبريل ملك الرؤيا فقال لا علم لى به فعلم انه من الشيطان وفى الكشاف الا باذن الله أى بمشيئته وهو أن يقضى الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة قال فى الاسئلة المفحمة أين ضرر الحزن قلت ان الحزن اذا سلمت عاقبته لا يكون حزنا فى الحقيقة وهذه نكتة أصولية اذ الضرر اذا كانت عاقبته الثواب لا يكون ضررا فى الحقيقة والنفع اذا كانت عاقبته العذاب لا يكون نفعا فى الحقيقة (وعلى الله) خاصة (فليتوكل المؤمنون) ليفوضوا أمورهم اليه وليثقوا به ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شرها وضررها * دركمان سخن خصم تند خوى مكوى * كه أهل مجلس ما را ازان حسابى نيست وفى الآية اشارة الى أن الشيطان يناجى النفس الامارة ويزين لها المعارضات ونحوها ليقع القلب والروح فى الحزن والاضطراب وضيق الصدر ويتباعدان من شؤم المعارضة عن السير والطير فى عالم الملكوت ويحرمان من مناجاة الله تعالى فى عالم السر لكنهما محروسان برعاية الحق وتأييده ومنه يعلم ان كل مخالفة فهى فى النفس والطبيعة والشيطان لانها ظلمانية وان كل موافقة فهى فى القلب والروح والسر لانها نورانية الا أن يغلب عليها ظلمة أهل الظلمة وتختفى أنوارها تحت تلك الظلمة اختفاء نور الشمس تحت ظلمة السحاب الكثيف فليكن العبد على المعالجة دائما لكن ينبغى له التوكل التام فان المؤثر فى كل شئ هو الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) يعنى المخلصين (اذا قيل لكم) من أى قائل كان من الاخوان (تفسحوا) التفسح جاى فراخ كردن وفراخ نشستن در مجلس وكذا

الفسح لكن التفسح يعدى بفى والفسح باللام أى توسعوا ليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عنى أى تنح وأنت فى فسحة من دينك أى فى وسعة ورخصة وفلان فسيح الخلق أى واسع الخلق (فى المجالس) قال فى الارشاد متعلق بقيل وقول الفقير الظاهر أنه متعلق بقوله تفسحوا لان اليه فى صرح فى تاج المصادر بأن التفسح يعدى بفى على ما أشرنا اليه آنفا (فافسحوا) پس جاى كشاده كنيد بر مردم (يفسح الله لكم) أى فى كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها فان الجزاء من جنس العمل والآية عامة فى كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر سواء كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضايقون تنافسا فى القرب منه عليه السلام وحرصا على استماع كلامه أو مجلس حرب وكانوا يتضامون فى مراكز الغزاة ويأتى الرجل الصف ويقول تفسحوا ويأبون لحرصهم على الشهادة أو مجلس ذكر أو مجلس يوم الجمعة وأن كل واحد وان كان أحق بمكانه الذى سبق اليه لكنه يوسع لاخيه ما لم يتأذ لذلك فيخرجه الضيق من موضعه وفى الحديث لا يقيمن أحدكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وفى رواية لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا وقيل ان رجلا من الفقراء دخل المسجد وأراد أن يجلس بجنب واحد من الاغنياء فلما قرب منه قبض الغنى اليه ثوبه فرأى رسول الله عليه السلام ذلك فقال للغنى أخشيت أن يعديه غناك أو يعديك فقره وفيه حث على التواضع والجلوس مع الفقراء والتوسعة لهم فى المجالس وان كانوا شعثا غبرا (واذا قيل انشزوا) يقال نشز الرجل اذا نهض وارتفع فى المكان نشزا والنشز كالعلس وكذا النشز بفتحتين المكان المرتفع من الارض ونشز فلان اذا قصد نشزا ومنه نشز فلان عن مقره وقلب ناشز ارتفع عن مكانه رعبا والمعنى واذا قيل لكم قوموا للتوسعة على المقبلين أى على من جاء بعدكم (فانشزوا) فارتفعوا وقوموا يعنى اذا كثرت المزاحمة وكانت بحيث لا تحصل التوسعة بتنحى احد الشخصين عن الآخر حال قعود الجماعة وقيل قوموا جميعا وتفسحوا حال القيام فانشزوا ولا تثاقلوا عن القيام أو اذا قيل لكم قوموا عن مواضعكم فانتقلوا منها الى موضع آخر لضرورة داعية اليه أطيعوا من أمركم به وقوموا من مجالسكم وتوسعوا لاخوانكم ويؤيده انه عليه السلام كان يكرم أهل بدر فأقبلت جماعة منهم فلم يوسعوا لهم فقال عليه السلام قم يا فلان ويا فلان فأقام من المجالس بعدد المقبلين من أهل بدر فتغامز به المنافقون أنه ليس من العدل أن يقيم أحدا من مجلسه وشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف رسول الله عليه السلام الكراهية فى وجوههم فأنزل الله الآية فالقائل هو الرسول عليه السلام ويقال واذا قيل انشزوا أى انهضوا عن مجلس رسول الله اذا أمرتم بالنهوض عنه فانهضوا ولا تملوا رسول الله بالارتكان فيه أو انهضوا الى الصلاة أو الى الجهاد أو الشهادة أو غير ذلك من أعمال الخير فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا فالقائل يعم الرسول وغيره (يرفع الله الذين آمنوا منكم) جواب للامر أى من فعل ذلك طاعة للامر وتوسعة للاخوان يرفعهم الله بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا والايواء الى غرف الجنان فى الآخرة لان من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه فالمراد الرفعة المطلقة الشاملة للرفعة الصورية والمعنوية (والذين أوتوا العلم) أى ويرفع العلماء منهم خاصة فهو من عطف الخاص على العام للدلالة على علو شأنهم

وسمو مكانهم حتى كأنهم جنس آخر (درجات) أى طبقات عالية ومراتب مرتفعة بسبب ما جمعوا من العلم والعمل فان العلم لعلو درجته يقتضى للعمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العارى عنه وان كان فى غاية الصلاح ولذا يقتدى بالعالم فى أفعاله ولا يقتدى بغيره فعلم من هذا التقرير أنه لا شركة للمعطوف عليه فى الدرجات كما قال ابن عباس رضى الله عنهما تم الكلام عند قوله منكم وينتصب الذين أوتوا العلم بفعل مضمر أى ويرفعهم درجات وانتصاب درجات اما على اسقاط الخافض أى الى درجات أو على المصدرية أى رفع درجات فحذف المضاف أو على الحالية من الموصول أى ذوى درجات (والله بما تعملون) أى بعملكم أو بالذى تعملونه (خبير) عالم لا يخفى عليه شئ منه لا ذاته جنسا أو نوعا ولا كيفيته اخلاصا أو نفاقا أو رياء أو سمعة ولا كميته قلة أو كثرة فهو خبير بتفسحكم ونشزكم ونيتكم فيهما فلا تضيع عند الله وجعله بعضهم تهديدا لمن لم يمتثل بالامر أو استكرهه فلا بد من التفسح والطاعة وطلب العلم الشريف ويعلم من الآية سر تقدم العالم على غيره فى المجالس والمحاضر لان الله تعالى قدمه وأعلاه حيث جعل درجاته عالية وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب أى فضل العالم الباقى بالله على العابد الفانى فى الله كما فى التأويلات النجمية وقال فى عين المعانى المراد علم المكاشفة فيما ورد فضل العالم على العابد كفضلى على أمتى اذ غيره وهو علم المعاملة تبع للعمل لثبوته شرطا له اذ العمل انما يعتد به اذا كان مقرونا بعلم المعاملة قال بعضهم المتعبد بغير علم كحمار الطاحونة يدور ولا يقطع المسافة * علم جندانكه بيشتر خوانى * جون عمل در تونيست نادانى * وحيث يمدح العلم فالمراد به العلم المقرون بالعمل * رفعت آدمى بعلم بود * هركرا علم بيش رفعت بيش * قيمت هركسى بدانش اوست * سازد افزون بعلم قيمت خويش (وقال بعضهم) مرا بتجربه معلوم كشت آخر حال * كه عز مرد بعلمست وعز علم بمال * وعن بعض الحكماء ليت شعرى أى شئ أدرك من فاته العلم وأى شئ فات من أدرك العلم وكل علم لم يوطد بعمل فالى ذل يصير وعن الزهرى رضى الله عنه العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال قال مقاتل اذا انتهى المؤمن الى باب الجنة يقال له لست بعالم ادخل الجنة بعملك ويقال للعالم قف على باب الجنة واشفع للناس وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال لأن أعلم مسئلة أحب الى من أن أصلى مائة ركعة ولأن أعلم مسئلة أحب الى من أن أصلى ألف ركعة قال أبو هريرة وأبو ذر رضى الله عنهما سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جاء الموت طالب العلم على هذه الحال مات وهو شهيد واعلم ان جميع الدرجات اما باعتبار تعدد أصحابها فان لكل عالم ربانى درجة عالية أو باعتبار تعددها لقوله عليه السلام بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجة حضر الجواد المضمر سبعين سنة الحضر بضم الحاء المهملة ارتفاع الفرس فى عدوه والجواد الفرس السريع السير وتضمير الفرس أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوت وذلك فى أربعين يوما والمضمار الموضع يضمر فيه الخيل وغاية الفرس فى السباق (يا أيها الذين آمنوا) بالايمان الخالص (اذا ناجيتم الرسول) المناجاة باكسى راز كفتن أى اذا كالمتموه سرا فى بعض شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه السلام ومكالمته سرا وبالفارسية جون خواهيد كه راز كوييد با رسول وفى بعض التفاسير اذا كالمتموه سرا استفسارا لحال ما يرى لكم من الرؤيا ففيه ارشاد للمقتدين الى عرضها على المقتدى بهم

ليعبروها لهم ومن ذلك عظم اعتبار الواقعات وتعبيرها بين أرباب السلوك حتى قيل ان على المريد أن يعرض واقعته على شيخه سواء عبر الشيخ أولم يعبر فان الله تعالى قال ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وهي من جملة الامانة عند المريد لابد أن يؤديها الى الشيخ لما فيها من فائدة جليلة له وقوة لسلوكه وفي التعبير أثر قوي على ماقال عليه السلام الرؤيا على ما أولت (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أي فتصدقوا قبلها على المستحق كقول عمر رضي الله عنه أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته فهو مستعار ممن له يدان على سبيل التخييل فقوله نجواكم استعارة بالكناية وبين يدي تخييلية وفي بعض التفاسير اذا أردتم عرض رؤياكم عليه ليعبرها لكم فتصدقوا قبل ذلك بشيء ليكون ذلك قوة لكم ونفعا في أموركم والآية نزلت حين أكثر الناس عليه السؤال حتى أسأموه وأملوه فأمرهم الله بتقديم الصدقة عند المناجاة فكف كثير من الناس أما الفقير فلعسرته وأما الغني فلشحه وفي هذا الامر تعظيم الرسول ونفع الفقراء والزجر عن الافراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب أو للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم الآية وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا على ماهو شأن الناسخ واختلف في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ فقيل كان ساعة من النهار والظاهر أنه عشرة أيام لما روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فصرفته وفي رواية فاشتريت به عشرة دراهم فكنت اذا ناجيته عليه السلام تصدقت بدرهم يعني كنت أقدم بين يدي نجواي كل يوم درهما الى عشرة أيام وأسأله خصلة من الخصال الحسنة كما قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سألهن رسول الله عليه السلام وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدته وهي عشرة أيام في بعض الروايات اما لعدم المحوج اليها أو الاشفاق وعلى التقديرين لا يلزم مخالفة الامر وان كان للاشفاق وفي بعض التفاسير ولا يظن ظان ان عدم عمل غيره من الصحابة رضي الله عنهم بهذا العدم الاقدام على التصدق كلا كيف ومن المشهور صدقة أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما بألوف من الدراهم والدنانير مرة واحدة فهل لا يتقدم من هذا شأنه على تصدق دينار أو دينارين وكذا غيرهما فلعله لم يقع حال اقتضت النجوى حينئذ وهذا لاينافي الجلوس في مجلسه المبارك والتكلم معه لمصلحة دينية أو دنيوية بدون النجوى اذ المناجاة تكلم خاص وعدم الخاص لا يقتضي عدم العام كما لا يخفى وعن علي رضي الله عنه قال لما نزلت الآية دعاني رسول الله فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت حبة أو شعيرة قال انك لزهيد أي رجل قليل المال زهد لقلته فقدرت على حالك وما في بالك من الشفقة على المؤمنين وقوله حبة أو شعيرة أي مقدارهما من ذهب وعن ابن عمر رضي الله عنه كان لعلي رضي الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة رضي الله عنها واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قوله حمر النعم بسكون ميم الحمر وهي من أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه قال بعضهم ان رسم النثارات للملوك والرؤساء مأخوذ من أدب الله تعالى في شأن رسوله حيث قال يا أيها

الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة (ذلك) التصدق (خير لكم)
أيها المؤمنون من امساكه وبالفارسية بهترست مرشمارا از ريا كه طاعت بيفزايد (وأطهر)
لانفسكم من دنس الريبة ودرن البخل الناشئ من حب المال الذي هو من أعظم حب الدنيا وهو
رأس كل خطيئة وبالفارسية وپاكيزه تر براى آنكه كناهان محو كند وهذا يشعر بالندب لكن
قوله تعالى (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) منبئ عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد في
المناجاة بلا تصدق والمعنى بالفارسية پس اكر نيابيد چيزى كه صدقه دهيد پس خداى تعالى
آمرزنده است هر كسى را كه اين كناه كند مهربانست بنده را كه تكليف مالا يطاق نمى نمايد قال
بعض أهل الاشارة ان الله تعالى أدب أهل الارادة بهذه الآية أن لا يناجوا شيوخهم في تفسير
الالهام واستفهام علم المكاشفة والاسرار الا بعد بذل وجودهم لهم والايمان بهم بشرط المحبة
والارادة فان الصحبة بهذه الصفة خير لقلوبهم وأطهر لنفوسهم فان ضعفوا عن بعض القيام
بحقوقهم ومعهم الايمان والارادة وعلموا قصورهم في الحقيقة فان الله تعالى يتجاوز عن ذلك
التقصير وهو رحيم بهم يبلغهم الى درجة الاكابر (قال المولى الجامي) چه سود اى شيخ هر ساعت
فزون خرمن طاعت * چو نتوانى كه يك جو از وجود خويشتن كاهى (أأشفقتم أن تقدموا بين
يدي نجواكم صدقات) الاشفاق الخوف من المكروه ومعنى الاستفهام التقرير كأن بعضهم ترك
المناجاة للاشفاق ولا لمخالفة للامر وجمع صدقات لجمع المخاطبين قال في بعض التفاسير أفرد
الصدقة أولا لكفاية شئ منها وجمع ثانيا نظرا الى كثرة التناجي والمناجي والمعنى أخفتم الفقر
يا أهل الغنى من تقديم الصدقات فيكون المفعول محذوفا للاختصار وأن تقدموا في تقدير لان
تقدموا أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر قال الشاعر

هون عليك ولا تولع باشفاق * فانما مالنا للوارث الباقى

(فاذ لم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم ذلك وبالفارسية پس چون نكرديد اين كاررا (وتاب
الله عليكم) بأن رخص لكم في أن لا تفعلوه وأسقط عنكم تقديم الصدقة وذلك لانه لا وجه
لحمله على قبول التوبة حقيقة اذ لم يقع منهم التقصير في حق هذا الحكم بأن وقعت المناجاة بلا
تصدق وفيه اشعار بأن اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام مقام
توبتهم واذ على بابها يعني الظرفية والمضي بمعنى انكم تركتم ذلك فيما مضى وتجاوز الله عنكم
بفضله فتداركوه بما تؤمرون به بعد هذا وقيل بمعنى اذا للمستقبل كما في قوله اذ الاغلال
في أعناقهم أو بمعنى ان الشرطية وهو قريب مما قبله الا ان ان يستعمل فيما يحتمل وقوعه
واللاوقوعه (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) مسبب عن قوله فاذ لم تفعلوا أى فاذا فرطتم فيما
أمرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمواظبة على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة المفروضة
(وأطيعوا الله ورسوله) في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط
وهو تعميم بعد التخصيص لتتميم النفع (والله خبير بما تعملون) عالم بالذي تعملونه من الاعمال
الظاهرة والباطنة لا يخفى عليه خافية فيجازيكم عليه فاعملوا ما أمركم به ابتغاء لمرضاته لا لرياء
وسمعة وتضرعوا اليه خوفا من عقوباته خصوصا بالجماعة يوم الجمعة ومن الادعية النبوية
اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الخيانة انك تعلم خائنة

الاعين وما تخفى الصدور وفى تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر من بين العبادات المرادة بالامر بالاطاعة العامة اشارة الى علو شأنهما وانافة قدرهما فان الصلاة رئيس الاعمال البدنية جامعة لجميع أنواع العبادات من القيام والركوع والسجود والقعود ومن التعوذ والبسملة والقراءة والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة على النبى عليه السلام ومن الدعاء الذى هو مخ العبادة ومن ذلك سميت صلاة وهى الدعاء لغة فهى عبادة من عبد الله تعالى بها فهو محفوظ بعبادة العابدين من أهل السموات والارضين ومن تركها فهو محروم منها فطوبى لأهل الصلاة وويل لتاركها وان الزكاة هى أم الاعمال المالية بها يطهر القلب من دنس البخل والمال من خبث الحرمة فعلى هذا هى بمعنى الطهارة وبها ينمو المال فى الدنيا بنفسه لانه يمحق الله الربا ويربى الصدقات وفى الآخرة بأجره لانه تعالى يضاعف لمن يشاء وفى الحديث من تصدق بقدر تمرة من كسب حلال ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل فعلى هذا هى من الزكاء بمعنى النماء أى الزيادة وفى البستان * بدنيا توانى كه عقبى خرى * بخر جان من ورنه حسرت خورى * زرونعمت آيد كسى را بكار * كه ديوار عقبى كند زرنكار * (ألم تر) تعجيب من حال المنافقين الذين يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم أسرار المؤمنين والخطاب للرسول عليه السلام أولكل من يسمع ويعقل وتعدية الرؤية بالى لكونها بمعنى النظر أى ألم تنظر يعنى آيانمى نكرى (الى الذين تولوا) من التولى بمعنى الموالاة لا بمعنى الاعراض أى والوا يعنى دوست كرفتند (قوما غضب الله عليهم) وهم اليهود كما أنبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والغضب حركة للنفس مبدؤها ارادة الانتقام وهو بالنسبة اليه تعالى نقيض الرضا أو ارادة الانتقام أو تحقيق الوعيد أو الاخذ الاليم والبطش الشديد أو هتك الاستار والتعذيب بالنار أو تغيير النعمة (ما هم) أى الذين تولوا (منكم) فى الحقيقة (ولا منهم) أى من القوم المغضوب عليهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك فهم وان كانوا كفارا فى الواقع لكنهم ليسوا من اليهود حالا لعدم اعتقادهم بما اعتقدوا وعدم وفاقهم اياهم ومآلا لان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار والجملة مستأنفة (ويحلفون على الكذب) الحلف العهد بين القوم والمحالفة المعاهدة والحلف أصله اليمين التى يأخذ بعضهم من بعض بها العهد ثم عبر به عن كل يمين أى يقولون والله انا المسلمون فالكذب المحلوف عليه هو ادعاء الاسلام وهو عطف على تولوا وأدخل فى حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه (وهم يعلمون) ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وهو الحلف على فعل أو ترك ماض كاذبا عمدا سمى بالغموس لانه يغمس صاحبه فى الاثم ثم فى النار ولم يجعل حلفهم غموسا لان الغموس حلف على الماضى وحلفهم هذا على الحال والجملة حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه كذب فى غاية القبح وفى هذا التقييد دلالة على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه فيكون حجة على النظام والجاحظ وروى انه عليه السلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق بتقديم النون على الباء الموحدة بجعفر وكان أزرق فقال له عليه السلام علام تشتمنى أنت وأصحابك

فحلف بالله مافعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق بأصحابه فحلفوا بالله ماسبوه فنزلت فالكذب المحلوف عليه على هذه الرواية هو عدم شتمهم (أعدّ الله لهم) بسبب ذلك (عذابا شديدا) در دنيا بخوارى ورسوايى ودر آخرت بآتش دوزخ والمراد نوع من العذاب عظيم فالنوعية مستفادة من تنكير عذابا والعظيم من توصيفه بالشدة (انهم ساء ما كانوا يعملون) أى تمرنوا عليه وأصرّوا وتمرنهم أى اعتيادهم واستمرارهم على مثل ما عملوه فى الحال من العمل السوء مستفاد من كان الدالة على الزمان الماضى أى العمل السيئ دأبهم (اتخذوا أيمانهم) الفاجرة التى يحلفون بها عند الحاجة واليمين فى الحلف مستعار من اليد اعتبارا بما يفعله الحالف والمعاهد عنده (جنة) وهى الترس الذى يجن صاحبه أى يستره والمعنى وقاية وسترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم ونهب أموالهم يعنى پناهى كه خون ومال ايشان در امان ماند فالاتخاذ عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضا كما يعرب عنه الفاء فى قوله (فصدّوا) أى منعوا الناس وصرفوهم (عن سبيل الله) أى عن دينه فى خلال أمنهم وسلامتهم وتثبيط من لقوا عن الدخول فى الاسلام وتضعيف أمر المسلمين عندهم (فلهم) بسبب كفرهم وصدّهم (عذاب مهين) مخزيين أهل المحشر وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) أى من عذابه تعالى (شيأ) قليلا من الاغناء يقال أغنى عنه كذا اذا كفاه يعنى انهم يحلفون كاذبين للوقاية المذكورة ولا تنفعهم اذا دخلوا النار أموالهم ولا أولادهم التى صانوها وافتخروا بها فى الدنيا أو يقولون ان كان ما يقول محمد حقا لندفعن العذاب عن أنفسنا بأموالنا وأولادنا فأكذبهم الله بهذه الآية فان يوم القيامة يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يكفى أحد أحدا فى شأن من الشؤن (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة قال فى برهان القرآن بغير واو موافقة للجمل التى قبلها وهو قوله أولئك حزب الله (أصحاب النار) أى ملازموها ومقارنوها أو مالكوها لكونها حاصلهم وكسبهم الذى اكتسبوه فى الدنيا بالسيئة المردية المؤدية الى التعذيب (هم فيها خالدون) لا يخرجون منها أبدا وضمير هم لتقوية الاسناد ورعاية الفاصلة لا للحصر لخلود غير المنافقين فيها من الكفار (يوم يبعثهم الله جميعا) ياد كن روزى را كه بر انگيزد خداى تعالى همه منافقان از قبور وزنده كند پس از مرك وجميعا حال من ضمير المفعول بمعنى مجموعين (فيحلفون) فى ذلك اليوم وهو يوم القيامة (له) أى لله تعالى على انهم مسلمون مخلصون كما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا (ويحسبون) فى الآخرة مصدره الحسبان وهو أن يحكم لاحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله فيحسبه ويعقد عليه الاصبع ويكون بعرض أن يعتريه فيه شك ويقاربه الظن لكن الظن أن يخطر النقيضين بباله فيغلب أحدهما الآخر (أنهم) بتلك الايمان الكاذبة (على شئ) من جلب منفعة أو دفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم ويستجرون بها فوائد دنيويه (ألا انهم هم الكاذبون) البالغون فى الكذب الى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدى علام الغيوب وزعموا أن أيمانهم

الفاجر فتروج الكذب لديه كما تروج عند العاقلين والا حرف تنبيه والمراد التنبيه على توغلهم فى النفاق وتعودهم به بحيث لا ينفكون عنه موتا ولا حياة ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون (استحوذ عليهم الشيطان) من حذت الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وسقتها سوقا عنيفا أى استولى عليهم الشيطان وملكهم لطاعتهم له فى كل ما يريد منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق أى على خلاف القياس فان القياس أن يقال استحاذ فهو فصيح استعمالا وشاذ قياسا وحكى ان عمر رضى الله عنه قرأ استحاذ (فأنساهم ذكر الله) المصدر مضاف الى المفعول أى كان سببا لاستيلائه عليهم انه تعالى فلم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم (أولئك) المنافقون الموصوفون بما ذكر من القبائح (حزب الشيطان) أى جنوده وأتباعه الساعون فيما أمرهم به والحزب الفريق الذى يجمعهم مذهب واحد (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) أى الموصوفون بالخسران الذى لا غاية وراءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا بدله العذاب الاليم قال بعض المشايخ بوأه الله الدرجات الشوامخ علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس ويشغل قلبه عن التفكر فى آلاء الله ونعمه عليه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب واللغو والغيبة والبهتان وسمعه عن الحق بسماع اللهو والهذيان * قال بعض أهل الاشارة اذا أراد الشيطان أن ينبت فى سبخة أرض النفس الامارة حنظل الشهوة يقرب اليها ويغريها على انفاذ مرادها فتكون النفس مركبه فيهجم الى بلد القلب ويخربه بأن يدخل فيه ظلمة الطبيعة ألا ترى عين القلب مسالك الذكر وصفاته فلما احتجب عن الذكر صار وطن ابليس وجنوده وغلب الملعون عليه وهذا يكون بارادة الله تعالى وسببه استحواذ غرور الملعون وتزيينه بان يلبس أمر الدين بأمر الدنيا ويغويه من طريق العلم فاذا لم يعرف دقائقه صار قرينه الشيطان دون الملك والرحمن اذ لا يجتمع الحق مع الباطل * نظر دوست نادر كند سوى تو * چو در روى دشمن بود روى تو * ندانى كه كمتر نهد دوست پاى * چو بيند كه دشمن بود در سراى (ان الذين يحادون الله ورسوله) أى يعادونهما ويخالفون أمرهما ويتعدون حدودهما ويفعلون معهما فعل من ينازع آخر فى أرض فيغلب على طائفة منها ويجعل لها حدا لا يتعداه خصمه ولما كانوا لا يفعلون ذلك الا لكثرة أعوانهم وأتباعهم فيظن من رآهم أنهم الاعزاء الذين لا أحد أعز منهم قال تعالى نفيا لهذا الغرور الظاهر (أولئك) الاباعد والاسافل بما فعلوا من المحادة (فى الاذلين) أى فى جملة من هو أذل خلق الله من الاولين والآخرين لا ترى أحدا أذل منهم لان ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك وذلك بالسبى والقتل فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة سواء كانوا فارس والروم أو أعظم منهم سوقة كانوا أو ملوكا كفرة كانوا أو فسقة (كتب الله) استئناف وارد لتعليل كونهم فى الاذلين أى قضى وأثبت فى اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم أجيب بما يجاب به (لأغلبن أنا ورسلى) أكده لما لهم من ظن الغلبة بالكثرة والقوة والمراد الغلبة بالحجة والسيف أو بأحدهما والغلبة بالحجة ثابتة لجميع الرسل لانهم الفائزون بالعاقبة الحميدة فى الدنيا والآخرة وأما الغلبة بالسيف فهى ليست بثابتة للجميع لان منهم من لم يؤمر بالحرب قال الزجاج غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب

بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة واذا انضم الى الغلبة بالحجة الغلبة بالسيف كان أقوى * محالست جون دوست دارد ترا * كه دردست دشمن كذارد ترا * وعن مقاتل أنه قال قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا أن يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال رئيس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول أتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم لاكثر عددا وأشد بطشا من أن تظنوا فيهم ذلك فنزل قوله تعالى كتب الله الآية قال البقلي رحمه الله كتب الله على نفسه في الازل أن ينصر أولياءه على أعدائه من شياطين الظاهر والباطن ويعطيهم رايات نصرة الولاية فحيث تبدو راياتهم التي هي سطوع نور هيبة الحق من وجوههم صار الاعداء مغلوبين بتأييد الله ونصرته قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله أهل الحق لهم الغلبة أبدا ورايات الحق تسبق رايات غيره جميعا لان الله تعالى جعلهم أعلاما في خلقه وأوتادا في أرضه ومفزعا لعباده وعمارة لبلاده فمن قصدهم بسوء كبه الله لوجهه وأذله في ظاهر عزه (ان الله) تعليل للقهر والغلبة أكده لان أفعالهم مع أوليائه أفعال من يظن ضعفه (قوى) على نصر أنبيائه قال بعضهم القوى هو الذى لا يلحقه ضعف في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز في نقض ولا ابرام والقوة في الاصل عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف ويراد بها القدرة بالنسبة الى الله تعالى (عزيز) لا يغلب عليه في مراده * حكمى كه آن ز باركه كبريا بود * كس را دران مجال تصرف كجا بود * فان قلت فاذا كان الله قويا عزيزا غير عاجز فما وجه انهزام المسلمين في بعض الاحيان وقد وعد النصرة قلت ان النصرة والغلبة منصب شريف فلا يليق بالكافر لكن الله تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين لانه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وأزالها عن المؤمنين في جميع الاوقات لحصل العلم الضرورى بأن الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على أهل الايمان وأخرى على أهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله ولان المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي فيكون تشديد المحنة عليه في الدنيا تمحيصا لذنوبه وتطهيرا لقلبه وأما تشديد المحنة على الكافر فهو من قبيل الغضب ألا ترى أن الطاعون مثلا رحمة للمؤمنين ورجز للكافرين وما من سابق عدل الا له لاحق فضل ولا سابق فضل الا له لاحق عدل غير أن أثرى العدل والفضل قد يتعلقان بالبواطن خاصة وقد يتعلق أحدهما بالظاهر والآخر بالباطن وقد يكون اختلاف تعلقهما في حالة واحدة وقد يكون على البدل وعلى قدر تعلق الاثر السابق يكون تعلق الاثر اللاحق وقد أجرى الله سبحانه آثار عدله على ظواهر أصفيائه دون بواطنهم ثم عقب ذلك بايراد آثار فضله على بواطنهم وظواهرهم حتى صار من قاعدة الحكمة الالهية تعويض ممالك الارض للمستضعفين فيها كالنجاشي حيث بيع في صغره وذلك كثير موجود بالاستقراء فمن كمال تربية الحكيم لمن يريد اعلاء شأنهم أن يجرى على ظاهرهم من آثار العدل ما فيه تكميل لهم وتنوير لمداركهم وتطهير لوجودهم وتهذيب وتأديب الى غير ذلك من فوائد التربية ومن تتبع أحوال الاكابر من آدم عليه السلام وهلم جرا

رأى

رأى من أحسن بلاء الله ما يشهد له باثر بالصحة والمبتلى به يصبر على ذلك بل يتلذذ كما هو شأن الكبار * هرچه از دست تو آيد خوش بود * گر همه دريای پر آتش بود * وفى الآية اشارة الى أعداء النفوس الكافرة فانهم يحملون القلوب والارواح على مخالفات الشريعة وموافقات الطبيعة ويمحو الذكر من ألواحها لغلبة محبة الدنيا وشهواتها لكن الله تعالى ينصرها ويؤيدها حتى تغلب على النفوس الكافرة بسطوات الذكر فيحصل لها غاية الذلة كأهل الذمة فى بلدة المسلمين وذلك لأن الله تعالى كتب فى صحائف الاستعدادات غلبتها على النفوس وذلك من باب الفضل والكرم (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) الخطاب للنبى عليه السلام أو لكل أحد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى (يوادون من حاد الله ورسوله) مفعوله الثانى أو الى واحد بأن كان بمعنى صادف فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وهو يؤمنون والموادة المحابة مفاعلة من المودة بمعنى المحبة وهى حالة تكون فى القلب أولا ويظهر آثارها فى القالب ثانيا والمراد بمن حاد الله ورسوله المنافقون واليهود والفساق والظلمة والمبتدعة والمراد بنفى الوجدان نفى الموادة على معنى أنه لا ينبغى أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وان جد فى طلبه كل أحد وجعل ما لا ينبغى وجوده غير موجود لشركته فى فقد الخير ويجوز أن يقال لا تجد قوما كاملى الايمان على ما يدل عليه سياق النظم فعدم الوجدان على حقيقته (قال فى كشف الاسرار) أخبر أن الايمان يفسد بموادة الكفار وكذا بموادة من فى حكمهم وعن سهل بن عبد الله التسترى قدس سره من صحح ايمانه وأخلص توحيده فانه لا يأنس الى مبتدع ولا يجالسه ولا يؤاكله ولا يشاربه ولا يصاحبه ويظهر من نفسه العداوة والبغضاء ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن تحبب الى مبتدع لطلب عز فى الدنيا أو عرض منها أذله الله بتلك العزة وأفقره الله بذلك الغنى ومن ضحك الى مبتدع نزع الله نور الايمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب وأما المعاملة للمبايعة العادية أو للمجاورة أو للمرافقة بحيث لا تضر بالدين فليست بمحرمة بل قد تكون مستحبة فى مواضعها قال ابن الشيخ المعنى لا يجتمع الايمان مع وداد أعداء الله فان قيل اجتمعت الامة على أنه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه الموادة المحرمة فالجواب ان الموادة المحرمة هى ارادة منافعه دينا ودنيا مع كونه كافرا وما سوى ذلك جائز روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر عندى نعمة فانى وجدت فيما أوحى الى لا تجد قوما الخ فعلم منه أن الفساق وأهل الظلم داخلون فيمن حاد الله ورسوله أى خالفهما وعاداهما واستدل مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم وهم القائلون بنفى كون الخير والشر كله بتقدير الله ومشيئته يعنى هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصى بتقدير الله وسموا بذلك لمبالغتهم فى نفيه وكثرة مدافعتهم اياه وقيل لاثباتهم للعبد قدرة الايجاد وليس بشئ لان المناسب حينئذ القدرى بضم القاف (ولو كانوا) أى من حاد الله ورسوله وبالفارسية واگرچه باشند از مخالفان خدا ورسول والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فيما قبله باعتبار لفظها (آباءهم) أى آباء الموادين (أو أبناءهم) قدم الاقدم حرمة ثم الاحكم محبة (أو اخوانهم) نسبا (أو عشيرتهم) العشيرة أهل الرجل الذين يتكثر بهم أى يصيرون بمنزلة العدد الكامل وذلك أن العشرة هو العدد الكامل فصار العشيرة لكل جماعة من أقارب الرجل يتكثر بهم والعشير

لمعاشرة قريبا أو معاشرا وفى القاموس عشيرة الرجل بنو أبيه الادنون أو قبيلته انتهى يعنى ان المؤمنين المتصلبين فى الدين لا يوالون هؤلاء الاقربا بعد أن كانوا محادين الله ورسوله فكيف بغيرهم فان قضية الايمان بالله أن يهجر الجميع بالكلية بل أن يقتلهم ويقصدهم بالسوء كما روى ان أبا عبيدة قتل أباه الجراح يوم بدر وأن عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول جالس الى جنب رسول الله عليه السلام فشرب رسول الله الماء فقال عبد الله رضى الله عنه يا رسول الله أبق فضلة من شرابك قال فما تصنع بها فقال استيها أبى لعل الله يطهر قلبه نفعل فأتاها اباه فقال ما هذا قال فضلة من شراب رسول الله جئتك بها لتشرب بها لعل الله يطهر قلبك فقال له أبوه هلا جئتنى ببول أمك فرجع الى النبى عليه السلام فقال يا رسول الله ائذن لى فى قتل أبى فقال عليه السلام بل ترفق به وتحسن اليه وان أبا قحافة قبل أن أسلم سب النبى عليه السلام فصكه أبو بكر رضى الله عنه صكة أى ضربه ضربا سقط منها فقال عليه السلام أو فعلته قال نعم قال فلا تعد اليه قال والله لو كان السيف قريبا منى لقتلته قال فى التكملة فى هذه الرواية نظر لان هذه السورة مدنية وأبو بكر مع أبيه الآن بمكة انتهى يقول الفقير لعله على قول من قال ان العشر الاول من هذه السورة مدنى والباقى مكى وأن أبا بكر رضى الله عنه دعا ابنه عبد الرحمن الى البراز يوم بدر فأمره عليه السلام أن يقعد قال يا رسول الله دعنى أكن فى الرعلة الاولى وهى القطعة من الفرسان فقال عليه السلام متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك بمنزلة سمعى وبصرى يقول الفقير يعلم منه فضل أبى بكر على على رضى الله عنهما فان هذا فوق قوله عليه السلام لعلى أنت منى بمنزلة هرون من موسى فتفطن لذلك وان مصعبا رضى الله عنه قتل أخاه عبيد بن عمير بأحد وان عمر رضى الله عنه قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وأن عليا وحمزة وعبيد بن الحرث رضى الله عنهم قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة وكانوا من عشيرتهم وقرابتهم وكل ذلك من باب الغيرة والصلابة كما قال عليه السلام الغيرة من الايمان والمنية من النفاق ومن لا غيرة له لا دين له وروى عن الثورى أنه قال كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان ففيه زجر عن مصاحبتهم وعن عبد العزيز بن أبى دواد أنه لقيه المنصور فى الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وفى الحديث من مشى خلف ظالم سبع خطوات فقد أجرم وقد قال الله تعالى انا من المجرمين منتقمون (أولئك) اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا أقرب الناس اليهم وأمسهم رحما (كتب) الله سبحانه (فى قلوبهم الايمان) أى أثبته فيها وهو الايمان الوهبى الذى وهبه الله لهم قبل خلق الاصلاب والارحام اذ لا يزال بحال أبدا لا كالايمان المستعار وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان الجزء الثابت فى القلب ثابت فيه قطعا ولا شئ من أعمال الجوارح يثبت فيه وهو حجة ظاهرة على القدرية حيث زعموا أن الايمان والكفر يستقل بعملهما العبد (وأيدهم) أى قواهم وأصله قوى يدهم (بروح منه) أى من عند الله فمن لابتداء الغاية وهو نور القرآن أو النصر على العدو أو نور القلب وهو بادراك حقيقة الحال والرغبة فى الارتقاء الى المدارج الرفيعة الروحانية والخلاص من درك عالم الطبيعة الدنية وكل ذلك سمى روحا لكونه سببا للحياة قال سهل رحمه الله حياة الروح بالتأييد وحياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة الذكر بالذاكر وحياة الذاكر بالمذكور (ويدخلهم) فى الآخرة (جنات تجرى من تحتها) أى من تحت أشجارها

أو قصورها (الانهار) الاربعة يعنى جويها از آب وشير وخمر وعسل (خالدين فيها) أبد الآباد
لا يقرب منهم زوال ولا موت ولا مرض ولا فقر كما قال عليه السلام ينادى مناد آن لكم أن تصحوا
فلا تسقموا أبدا وآن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وآن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وآن لكم
أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا (رضى الله عنهم) خشنود شد خداى از ايشان بطاعتى كه در دنيا كردند
وفى الارشاد استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة
والرضا ترك السخط (ورضوا عنه) وخشنود شدند ايشان از خداى بكرامتى كه وعده كرده ايشانرا
در عقبى وفى الارشاد بيان لابتهاجهم بما أوتوا عاجلا وآجلا (أولئك حزب الله) تشريف لهم
ببيان اختصاصهم به عز وجل أى جنده وأنصار دينه قال سهل رضى الله عنه الحزب الشيعة وهم
الابدال وأرفع منهم الصديقون (ألا ان حزب الله هم المفلحون) الناجون من المكروه والفائزون
بالمحبوب دون غيرهم المقابلين لهم من حزب الشيطان المخصوصين بالخذلان والخسران وهو
بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين وخير الدارين وقال بعض أهل الاشارة حزب الله
أهل معرفته ومحبته وأهل توحيده هم الفائزون بنصرة الله من مهالك القهريات ومصارع
الامتحانات وجد والله بالله اذا ظهر واحد منهم ينهزم المبطلون ويتفرق المغالطون لان الله تعالى
أسبل على وجوههم نور هيبته وأعطى لهم أعلام عظمته ينهزم منهم الاسود ويخضع لهم الشامخات
كلأهم الله بحسن رعايته ونورهم بسنا قدرته ورفع لهم أذكارهم فى العالمين وعظم أقدارهم
وكتم أسرارهم وامام ثعلبى از جرجانى كه او از مشايخ خود شنيده كه داود عليه السلام از حق
تعالى پرسيد كه حزب تو كيست خطاب آمد از حضرت عزت كه الغاضة أبصارهم والسليمة
أكفهم والنقية قلوبهم أولئك حزبى وحول عرشى هركه چشم او از محارم فرو بسته بود ودست
او از آزار خلق واخذ حرام كوتاه باشد ودل خود از ماسوى پاكيزه كرده از جمله حزب حضرت
الله است ودرين باب كفته اند * از هرچه ناروا است بر ديدها ببند * وز هرچه ناپسند بود دست
باز دار * لوح دل از غبار تعلق بشوى پاك * تا باشدت بحلقة أهل قلوب بار * وفى الآية اشارة
الى أبوة الروح بالنسبة الى السر والخفى والقلب والنفس والهوى وصفاتها لولادة الكل عن
مادة ازدواج الروح مع القالب والى بنوة الكل الى الروح والى أخوة السر مع النفس وأخوة
القلب مع الهوى وعشيرة صفاتهما مع الخفى لكون الكل من واد واحد وأصل متحد هو الروح
فى قطع ارتباط التعلق مع النفس والهوى وصفاتهما الظلمانية الشيطانية بالتوجه الكلى الروحى
والسرى والقلب والخفى الى الحضرة الالهية فهم الذين كتب الله فى ألواح قلوبهم وصفاح
أسرارهم الايمان الحقيقى الشهودى العيانى وأيدهم بروح الشهود الكلى الجمعى الجامع بين
شهود الوحدة الذاتية الحقيقية وبين شهود الكثرة الاسمائية النسبية والجمع بين الشهودين
دفعة واحدة من غير تخلل بينهما ومن غير احتجاب أحدهما عن الآخر ويدخلهم جنات تجرى
من تحتها الانهار مياه التجليات الذاتية والصفاتية والاسمائية المشتملة على العلوم والمعارف
والحقائق والحكم على الدوام والاستمرار رضى الله عنهم بفنائهم عن الناسوتية ورضوا عنه
ببقائهم باللاهوتية أولئك حزب الله أى مظاهر ذاته وصفاته وأسمائه ألا ان حزب الله هم المفلحون
لقيامهم بقيومية الحق تعالى واعلم أنه كان الدنيا والآخرة يومان متعاقبان متلاصقان فى ذلك

يعبر عن الدنيا باليوم وعن الآخرة بغد ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فانكم اليوم فى دار العمل ولا حساب وأنتم غدا فى دار الآخرة ولا عمل ونعيم الدنيا منقطع دون نعيم الآخرة ثم ان هذا شأن الابرار وأما المقربون فهم أهل الله لا أهل الدارين ونعيمهم ما ذكر من التجليات فهم حزب الله حقيقة لكمال نصرتهم فى الدين ظاهرا وباطنا تمت سورة المجادلة بعون الله تعالى فى أواخر جمادى الاولى من شهور سنة خمس عشرة ومائة وألف

(سورة الحشر مدنية وآيها أربع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض) التسبيح تبعيد الله عن السوء وتطهيره عما لا يليق بشأن الوهيته ويكون بالجنان واللسان والحال والاول اعتقاد العبد بتعاليه عما لا يليق بالالوهية وذلك لان من معانى التفعيل الاعتقاد بشئ والحكم به مثل التوحيد والتمجيد والتعظيم بمعنى الاعتقاد بالوحدة والمجد والعظمة والحكم بها وعلى هذا المعنى مثل التكفير والتضليل ومثل التجويز والترجيح والثانى القول بما يدل على تعاليه مثل التكبير والتهليل والتأمين بمعنى أن يقول الله أكبر ولا اله الا الله وآمين وهو المشهور عند الناس والثالث دلالة المصنوعات على أن صانعها متصف بنعوت الجلال متقدس عن الامكان وما يتبعه والمفسرون فسروا ما فى القرآن من أمثال الآية الكريمة على كل من الثانى والثالث ليعم تسبيح الكل كذا فى بعض التفاسير وجمهور المحققين على أن هذا التسبيح تسبيح بلسان العبارة والاشارة لا بلسان الاشارة فقط لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم سبحه تعالى يعنى تسبيح ميكويد وبه پاكى مستأنس ميكند مر خدا را كه مستحق ثناست كما سبق تحقيقه فى أول سورة الحديد وفى مواضع أخر من القرآن *بذكرش هرچه بينى در خروشست* دلى داند درين معنى كه كوشست *نه بلبل بر كلش تسبيح خوانيست* كه هر خارى به توحيدش زبانيست* وفى الحديث انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث انى لأعرفه الآن وعن ابن مسعود رضى الله عنه ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل على أن شهادة الجوارح والجلود مما نطق به القرآن الكريم وقال مجاهد كل الاشياء تسبح لله حيا كان أو جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده وهذا على الاطلاق وأما بالنسبة الى كل موجود فالتسابيح مختلفة فلكل موجود تسبيح مخصوص به من حيث ما تقتضيه نشأته كما قال بعض الكبار فاذا رأيت هؤلاء العوالم مشتغلين بالذكر الذى أنت عليه فكشفك خيالى غير صحيح لا حقيقى وانما ذلك خيالك أقيم لك فى الموجودات فاذا شهدت فى هؤلاء تنوعات الاذكار فهو الكشف الصحيح انتهى (وهو العزيز) ذو العزة القاهرة (الحكيم) ذو الحكمة الباهرة وفى ايراد الوصفين بعد التسبيح اشارة الى الباعث له والداعى اليه لان العزة أثر الجلال والحكمة أثر الجمال فله الاتصاف بصفات الكمال وفى التأويلات النجمية سبح لله ما فى سموات العقول عن معقولاتهم المقتنصة بشبكة الفكر بطريق ترتيب المقدمات وتركيب القياسات واقامة البراهين القطعية والادلة الفكرية لعدم جدواها فى تحصيل المطلوب فان ذاته منزهة عن التنزيهات العقلية المؤدية الى التعطيل وما فى سموات النفوس من التشبيه بل ذاته المطلقة جامعة للتنزيه العقلى والتشبيه النفسى كما قال ليس كمثله شئ وهو التنزيه وهو السميع البصير وهو التشبيه بجمعت

ذاته المطلقة بأحدية الجمعية بين التنزيه والتشبيه دفعة واحدة بحيث يكون التنزيه عين التشبيه
والتشبيه عين التنزيه كما قال العارف المحقق قدس سره

فان قلت بالامرين كنت مسددا * وكنت اماما فى المعارف سيدا

فان التنزيه نتيجة اسمه الباطن والتشبيه نتيجة اسمه الظاهر فافهم جدا وهو العزيز المنيع
جنابه أن يتنزه من غير التشبيه الحكيم الذى تقتضى حكمته أن لا يشبه من غير التنزيه
روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صالح بنى النضير كأمير وهم رهط
من اليهود من ذرية هرون أخى موسى عليه السلام قال السهيلى رحمه الله ونسبتهم الى هرون
صحيحة لان النبى عليه السلام قال لصفية رضى الله عنها بنت حيى بن أخطب سيد بنى النضير وقد
وجدها تبكى لكلام قيل لها أبوك هرون وعمك موسى وبعلك محمد عليهم السلام والحديث
معروف مشهور وفى بعض الكتب من أولاد الكاهن بن هرون ونزلوا قريبا من المدينة فى فتن بنى
اسرائيل انتظارا لبعثة النبى عليه السلام وكان يقال لهم ولبنى قريظة الكاهنان لانهم من
أولاده أيضا وكان بنو النضير وقريظة وبنو قينقاع فى وسط أرض العرب من الحجاز وان كانوا
يهودا والسبب فى ذلك أن بنى اسرائيل كانت تغير عليهم العماليق فى أرض الحجاز وكانت
منازلهم يثرب والجحفة الى مكة فشكت بنو اسرائيل ذلك الى موسى عليه السلام فوجه اليهم
جيشا وأمرهم أن يقتلوهم ولا يبقوا منهم أحدا ففعلوا ذلك وترك منهم ابن ملك لهم كان غلاما
حسنا فرقوا له ثم رجعوا الى الشأم وموسى قد مات فقالت بنو اسرائيل قد عصيتم وخالفتم
فلا نؤويكم فقالوا نرجع الى البلاد التى غلبنا عليها ونكون بها فرجعوا الى يثرب فاستوطنوها
وتناسلوا بها الى أن نزل عليهم الاوس والخزرج بعد سيل العرم فكانوا معهم الى الاسلام فلما
هاجر عليه السلام عاهد بنى النضير على أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام أى غلب
يوم بدر قالوا فيما بينهم النبى الذى نعته فى التوراة لا ترد له راية يعنى نتوان بودكه كسى بروى ظفر
يابد با رايات اقبال وى كسى بيفكند فلما كان يوم أحد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن
الاشرف فى أربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه السلام وعاهدوا
على الاضرار به ناقضين العهد كعب أشرف با قوم خود بمدينه بازآمد وجبريل امين رسول را
خبرداد از آن عهد و پيمان كه درميان ايشان رفت فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصارى
بفتح الميم وكان أخا كعب من الرضاعة فقتل كعبا غيلة بالكسر أى خديعة فان الغيلة أن يخدعه
فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله وذلك أنه أتاه ليلا فاستخرجه من بيته بقوله انى أتيتك
لاستقرض منك شيأ من التمر فخرج اليه فقتله ورجع الى النبى عليه السلام وأخبره ففرح به لانه
أضعف قلوبهم وسلب قوتهم وفى بعض الاخبار أنه عليه السلام ذهب الى بنى النضير لاستعانة
فى دية فى نفر من أصحابه أى دون العشرة فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم فقالوا له نعم
يا أبا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك وكان عليه السلام جالسا الى جنب جدار من بيوتهم
فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فهل من رجل يعلو على
هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه فقال أحد ساداتهم وهو عمرو بن جحاش أنا لذلك فقال
لهم أحد ساداتهم وهو سلام بن مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به انه لنقض للعهد الذى بيننا

وبينه فلما صعد الرجل ليلقي الصخرة أتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم فقام عليه
السلام مظهرا أنه يقضي حاجته وترك أصحابه في مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ولم يعلم من
كان معه من أصحابه فقاموا في طلبه لما استبطؤه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه فقال
رأيته داخل المدينة فأقبل أصحابه حتى انتهوا اليه فأخبرهم بما أرادت بنو النضير فندم اليهود
وقالوا قد أخبر بأمرنا فأرسل عليه السلام اليهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه أن اخرجوا من بلدي
أي لأن قريتهم زاهرة كانت من أعمال المدينة فلا تساكنوني بها فلقد هممتم بما هممتم من الغدر
فسكتوا ولم يقولوا حرفا فأرسل اليهم المنافقون أن أقيموا في حصونكم فانا نمدكم فأرسلوا الى
رسول الله انا لا نخرج من ديارنا فافعل ما بدا لك وكان المتولي أمر ذلك سيد بني النضير حيي بن
أخطب والد صفية أم المؤمنين فاغتر بقول المنافقين فسار رسول الله عليه السلام مع المؤمنين
وهو على حمار مخطوم بليف وحمل رايته علي رضي الله عنه حتى نزل بهم وصلى العصر بفنائهم وقد
تحصنوا وقاموا على حصنهم يرمون النبل والحجارة وزربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي
عليه السلام احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين
طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من متاعهم
الا السلاح پس ششصد شتر بار خود را بر آراستند واظهار جلادت نموده دف ميزدند وسرود
كويان از بازار مدينه كذشتند فجاؤا الشأم الى اريحا من فلسطين والى أذرعات من دمشق
الا اهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة
وهي بالكسرة بلد بقرب الكوفة ولم يسلم من بني النضير الا رجلان أحدهما سفيان بن عمير بن وهب
والثاني سعد بن وهب أسلما على أموالهم فأحرزاها فأنزل الله تعالى سبح لله الى قوله والله على كل
شئ قدير قال محمد جلاء بني النضير كان مرجع النبي عليه السلام من أحد سنة ثلاث من الهجرة
وكان فتح بني قريظة مرجعه من الاحزاب في سنة خمس من الهجرة وبينهما سنتان ﴿ وفي انسان
العيون كانت غزوة بني النضير في ربيع الأول من السنة الرابعة والجلاء بالفتح الخروج من البلد
والتفرق منه يقال أجليت القوم عن منازلهم وجلوتهم فجلوا عنها وجلوا أي أبرزتهم عنها فان
أصل الجلو الكشف الظاهر ومنه الطريقة الجلوتية بالجيم فانها الجلاء والظهور بالصفات الالهية
كما عرف في محله والجلاء أخص من الخروج لانه لا يقال الجلاء الا لخروج الجماعة أو لاخراجهم
والخروج والاخراج يكون للجماعة والواحد وقيل في الفرق بينهما أن الجلاء كان مع الاهل
والولد بخلاف الخروج فانه لا يستلزم ذلك قال العلماء مصالحة أهل الحرب على الجلاء من ديارهم
من غير شئ لا تجوز الآن وانما كان ذلك في أول الاسلام ثم نسخ والآن لا بد من قتالهم أو سبيهم
أو ضرب الجزية عليهم (هو الذي) اوست خداوندى كه از روى اذلال (أخرج الذين كفروا من
أهل الكتاب) بيان لبعض آثار عزته واحكام حكمته أي أمر باخراج أهل التوراة يعني بني
النضير (من ديارهم) جمع دار والفرق بين الدار والبيت أن الدار دار وان زالت حوائطها والبيت
ليس ببيت بعد ما انهدم لان البيت اسم مبنى مسقف مدخله من جانب واحد بني للبيتوتة سواء
كان حيطانه أربعة أو ثلاثة وهذا المعنى موجود في الصفة الا أن مدخلها واسع فيتناولها اسم
البيت والبيوت بالمسكن اسم أخص والابيات بالشعر كما في المفردات (لأول الحشر) اللام

تتعلق بأخرج وهي للتوقيت أي عند أول حشرهم الى الشأم وفي كشف الاسرار اللام لام العلة أي اخرجوا ليكون حشرهم الى الشأم أول الحشر والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط اذ كان انتقالهم من بلاد الشأم الى جانب المدينة عن اختيار منهم وهم أول من أخرج به من جزيرة العرب الى الشأم فعلى هذا الوجه ليس الاول مقابلا للآخر وسميت جزيرة لانه أحاط بها بحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات قال الخليل بن أحمد مبدأ الجزيرة من حفر أبي موسى الى اليمن في الطول ومن رمل يبرين وهو موضع بحذاء الاحساء الى منقطع السماوة في العرض والسماوة بالفتح موضع بين الكوفة والشأم أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الى الشأم وذلك حين بلغه الخبر عن النبي عليه السلام لا يبقين دينان في جزيرة العرب وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لان المحشر يكون بالشأم (ما ظننتم) أيها المسلمون (أن يخرجوا) من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعددهم (وظنوا) أي هؤلاء الكافرون ظنا قويا هو بمرتبة اليقين فانه لا يقع الا بعد فعل اليقين أو ما نزل منزلته (أنهم مانعتهم حصونهم من الله) الحصون جمع حصن بالكسر وهو كل موضع حصين لا يوصل الى جوفه والقلعة الحصن الممتنع على الجبل فالاول أعم من الثاني وتحصن اذا اتخذ الحصن مسكنا ثم تجوز به فقيل درع حصينة لكونها حصنا للبدن وفرس حصان لكونه حصنا لراكبه والمعنى ظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله وقهره وقدم الخبر وأسند الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي بسببها فتقديم المسند يفيد قصر المسند اليه على المسند فان معنى قائم زيد أن زيدا مقصور على القيام لا يتجاوزه الى القعود وكذا معنى الآية أن حصونهم ليس لها صفة غير المانعية ويجوز أن يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية لاعتماده على المبتدا فان قيل ما المانع من جعل مانعتهم مبتدأ وحصونهم خبرا فان كليهما معرفة قلت كون مانعتهم نكرة لان اضافتها غير محضة وأن القصد الى الاخبار عن الحصون (فأتاهم الله) أي أمر الله وقدره المقدور لهم (من حيث لم يحتسبوا) ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد أخيه فانه مما أضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب والفاء اما للتعقيب اشارة الى أن البأس لم يكن متراخيا عن ظنهم أو للسبب اشارة الى أنهم انما أخذوا بسبب اعجابهم بأنفسهم وقطعهم النظر الى قدرة الله وقوته (وقذف في قلوبهم الرعب) القذف الرمي البعيد والمراد هنا الالقاء قال في الكشاف قذف الرعب اثباته وركزه ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف لما أنه قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل أجزائه والرعب الانقطاع من امتلاء الخوف ولتصور الامتلاء منه قيل رعبت الحوض أي ملأته وباعتبار القطع قيل رعبت السنام أي قطعته قال بعضهم الرعب خوف يملأ القلب فيغير العقل ويعجز النفس ويشوش الرأي ويفرق التدبير ويضر البدن والمعنى أثبت فيها الخوف الذي يرعبها ويملؤها لان المعتبر هو الثابت وما هو سريع الزوال فهو كغير الواقع وقال بعضهم فلا يلزم التكرار لان الرعب الذي اشتمله قوله فأتاهم الله هو أصل الرعب وفرق بين حصول أصله وبين ثباته ودلت الآية على أن

وقوع ذلك الرعب صار سببا فى اقدامهم على بعض الافعال وبالجملة فالفعل لا يحصل الا عند حصول داعية متأكدة فى القلب وحصول تلك الداعية لا يكون الا من الله فكانت الافعال باسرها مستندة الى الله بهذا الطريق كذا فى اللباب (يخربون بيوتهم بأيديهم) الجملة استئناف لبيان حالهم عند الرعب أى يخربونها بأيديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة أفواه الازقة ولئلا تبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل والاخراب والتخريب واحد يقال خرب المكان خرابا وهو ضد العمارة وقد أخربه وخربه أى أفسده بالنقض والهدم غير أن فى التشديد مبالغة من حيث التكثير لكثرة البيوت وهو قراءة أبى عمرو وفرق أبو عمرو بين الاخراب والتخريب فقال خرب بالتشديد بمعنى هدم ونقض وأفسد وأخرب بالهمزة ترك الموضع وقال أى أبو عمرو وانما اخترت التشديد لان الاخراب ترك الشئ خرابا بغير ساكن وبنو النضير لم يتركوها خرابا وانما خربوها بالهدم كما يدل عليه قوله بأيديهم وأيدى المؤمنين ان قيل البيوت هى الديار فلم يقل يخربون ديارهم على وفق ما سبق وأيضا كيفما كان الاخراج من ديارهم وهى مخربة أجيب بأن الدار ماله بيوت فيجوز اخراب بعضها وابقاء بعضها على مقتضى الرأى فيكون الخروج من الباقى على أن الاخراج لا يقتضى العمارة اذ يجوز أن يكون باخراج المساكن والطرح منها قال سهل رحمه الله يخربون بيوتهم بأيديهم أى قلوبهم بالبدع وفى كشف الاسرار نخست دين ودل خويش از روى باطن خراب كردند تا حراى باطن بظاهر سرايت كرد وخانه خود نيز خراب كردند (وأيدى المؤمنين) حيث كانوا يخربونها ازالة لتحصنهم وتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال واضرارا بهم واسناد هذا اليهم لما أنهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم اياه وأمروهم به وهذا كما فى قوله عليه السلام لعن الله من لعن والديه وهو كقوله عليه السلام من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه فقالوا وكيف يسب الرجل والديه فقال يساب الرجل فيسب أباه ويسب أباه ويسب أمه فيسب أمه * يقول الفقير فيه اشارة الى أن استناد الكفار الى الحصون والاحجار وأن اعتماد المؤمنين على الله الملك الغفار ولا شك أن من اعتمد على المأمن الحقيقى ظفر بمراده فى دنياه وآخرته ومن استند الى ما سوى الله تعالى خسر خسرانا مبينا فى تجارته وان الانسان بنيان الرب فريع قتل المرء نفسه أو تسبب له فهدم بنيان الله فصار ملعونا وقس على هذا حال القلب فانه بيت الله واجتهد حتى لا يغلب عليه النفس والشيطان (قال الحافظ) من آن نكين سليمان بهيچ نستانم * كه كاه كاه برو دست اهرمن باشد (فاعتبروا) پس عبرت كيريد (يا أولى الابصار) أى يا أولى الالباب والعقول والبصائر يعنى اتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدى اليه الافكار واتقوا مباشرة ما أداهم اليه من الكفر والمعاصى وانتقلوا من حال الفريقين الى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الاسباب كبنى النضير الذين اعتمدوا على حصونهم ونحوها بل توكلوا على الله تعالى وفى عين المعانى فاعتبروا بها خراب جميع الدنيا * جهان أى پسر ملك جاويد نيست * ز دنيا وفادارى اميد نيست * والاعتبار مأخوذ من العبور وهو المجاوزة من شئ الى شئ ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد وسمى أهل التعبير لان صاحبه ينتقل من المتخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعانى من لسان القائل الى عقل المستمع ويقال

السعيد

السعيد من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله من حال ذلك الغير الى حال نفسه * جو بر كشته بختى
درافتد ببند * ازو نيك بختان بكيرند بند * والبصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة التى فيها
و يقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة كما فى المفردات قال
فى بعض التفاسير الابصار جمع بصر وهو ما يكون فى الرأس وبه يشاهد عالم الملك وهو عالم الشهادة
حتى لو كان بين الرائى والمرئى مقدار عدة آلاف سنة يشاهده فى طرفة عين بوصول نور من
حدقة العين الى المرئى حكاية للرائى والبصيرة فى القلب كالبصر فى الرأس وبها يشاهد عالم
الملكوت وهو عالم الغيب حتى لو كان المشاهد فى العالم الاعلى وفى اللوح المحفوظ بل فى علم الله
تعالى مما تعلق مشيئة الله بمشاهدة أحد اياه من عباده لشاهده فى آن واحد وقد يشاهد الممتنع
والمحال وغير المتناهى بنوع مشاهدة كما نجده فى وجداننا وكل ذلك من غرائب صنع الله وجعل
البعض البصر ههنا مجازا عن المشاهدة لانه كثيرا ما يكون آلة لمشاهدتها ويكون هو معتبرا
باعتبارها حتى لولاها يكون هو فى حكم المفقود وبهذا الاعتبار أورد الابصار فى مقام البصائر
فقال فى تفسيره فاتعظوا وانظروا فيما نزل بهم ياذوى العقول والبصائر وهذا هو الاليق بشأن
الاتعاظ والاوفق لقوله تعالى فاعتبروا يا أولى الالباب اذ اللب وهو العقل الخالص عن
الكدورات البشرية والبصيرة التى هى عين القلب حين ما كانت مجلوة خاصة بالعقلاء اللائقين
للخطاب بالامر بالاعتبار وأما البصر فيوجد فى البهائم والبصيرة الغير المجلوة فتوجد فى العوام
وجعله البعض الآخر على حقيقته فقال فى تفسيره فاعتبروا يا معاينى تلك الوقائع لكن مآل
القولين واحد اذ مجرد البصر المعاين لا يفيد الاعتبار بلا بصيرة صحيحة وفى الوسيط معنى الاعتبار
النظر فى الامور ليعرف بها شئ آخر من جنسها قال يحيى بن معاذ رحمه الله من لم يعتبر بالمعاينة
استغنى عن الموعظة وقد استدل بالآية على حجية القياس من حيث انه أمر بالمجاوزة من حال الى
حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له كما فصل فى الكتب الاصولية وأشار
بأهل الكتاب الى يهودىّ النفس ونصرانىّ الهوى وانما نسبنا التنصر الى الهوى والتهوّد الى
النفس لغلبة عطالة النفس فان الهوى بالنسبة الى النفس كالروح بالنسبة الى الجسم البدنىّ
ولهذا المعنى قيل الهوى روح النفس ينفخ فيها هوى الشهوات الحيوانية ويهوى الى هاوية
الجحيم والله تعالى يستأصلها من ديار صفاتها الظلمانية بالصدمة الاولى من قتال الحشر الاول
وظنوا أن حصون طباعهم الرديئة تمنعهم عن الانسلاخ من صفاتهم الخبيثة فأتاهم الله
بالتجلى القهرى وقذف فى قلوب النفس والهوى رعب المفارقة بينهما فان كل واحد منهما
كان متمسكا بالآخر تمسك الروح بالبدن وقيام البدن بالروح يخربون بيوت صفاتهم بأيدى
أهوائهم المضلة وبقوة أيدى الروح والسر والقلب لغلبة نورتهم عليها فاعتبروا يا أولى الابصار
الذين صار الحق تعالى بصرهم كما قال فبى يبصر وبى يسمع وبى يبطش الحديث بطوله (ولولا أن
كتب الله) حكم (عليهم) أى على بنى النضير (الجلاء) أى الخروج من أوطانهم على ذلك الوجه
الفظيع وقد سبق الكلام فى الجلاء ولولا امتناعية وما بعدها مبتدأ فان أن مخففة من
الثقيلة اسمها ضمير الشأن المقدر أى ولولا أنه وكتب الله خبرها والجملة فى محل الرفع بالابتداء
بمعنى ولولا كتاب الله عليهم الجلاء واقع فى علمه أو فى لوحه (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما

فعل ببنى قريظة من اليهود قال بعضهم لما استحقوا بجرمهم العظيم قهرا عظيما أخذوا بالجلاء الذى جعل عديلا لقتل النفس لقوله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم مع أن فيه احتمال ايمان بعضهم بعد مدة وايمان من يتولد منهم (ولهم فى الآخرة عذاب النار) استئناف غير متعلق بجواب لولا اذ لو كان معطوفا عليه لزم أن ينجوا من عذاب الآخرة أيضا لان لولا تقتضى انتفاء الجزاء لحصول الشرط وانما جيء به لبيان أنهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة * يقول الفقير لا يلزم من نجاتهم من عذاب الدنيا أن لا يكون جلاؤهم من قبيل العذاب وانما لم يكن منه بالنسبة الى عذاب الاستئصال والوجه فى جلائهم أنهم قصدوا قتل النبى عليه السلام وقتله شر من ألف قتل فأخذوا بالجلاء ليموتوا كل يوم ألف مرة لان انقطاع النفس عن مألوفاتها بمنزلة موتها فجاء الجزاء من جنس العمل قال بعض أهل الاشارة ولولا أن كتب الله على يهودى النفس ونصرانى الهوى جلاء الانسلاخ من ديار وجوداتهم لعذبهم فى طلب الدنيا ومحبتها ولهم فى آخر الامر عذاب نار القطيعة عن مألوفاتهم الطبيعية ومستحسناتهم الحسية (ذلك) أى ما حاق بهم وسيحيق (بأنهم) أى بسبب أنهم (شاقوا الله ورسوله) خالفوا أمرهما وفعلوا ما فعلوا مما حكى عنهم من القبائح والمشاقة كون الانسان فى شق ومخالفه فى شق (ومن يشاق الله) كائنا من كان (فان الله شديد العقاب) له فهو نفس الجزاء بحذف العائد أو تعليل للجزاء المحذوف أى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب فاذا لهم عقاب شديد أيضا لكونهم من المشاقين وأيا ما كان فالشرطية تحقيق للسببية بالطريق البرهانى وفيه اشعار بأن المخالفة تقتضى المؤاخذة بقدر قوتها وضعفها فليحذر المؤمنون من العصيان مطلقا * همينت بسندست اكر بشنوى * كه كر خار كارى سمن ندروى * اعلم أن الله الذى هو الاسم الاعظم جامع لجميع الاسماء الالهية المنقسمة الى الاسماء الجلالية القهرية والجمالية اللطفية والتشاقق فيه استدعاء أحد الشقين من التجليين الجمالى والجلالى بأن يطلب الطالب منه اللطف والجمال وهو ممن يستحق القهر والجلال لا ممن يستحق اللطف والجمال فهو يستدعى من الحق شيأ لا تقتضى حكمته البالغة اعطاءه اياه وهو من قبيل التحكم الذى لا يجوز بالنسبة الى الله تعالى كما قال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه (قال الحافظ) درين چمن مكنم سرزنش بخود رويى * چنانكه پرورشم ميدهند مى رويم * والمشاقة مع الرسول عليه السلام المنازعة فى حكمة أمره ونهيه مثل أسرار الصلوات الخمس واختلاف أعدادها وقراءتها جهرا وسرا ومثل أسرار الزكاة واختلاف أحكامها ومثل أحكام الحج ومناسكه ونحن أمرنا بمحض الامتثال والانقياد وما كلفنا بمعرفة أسرارها وحقائقها والنبى عليه السلام مع كمال عرفانه وجلال برهانه يقول ان أتبع الا ما يوحى الى وقال نحن نحكم بالظواهر والله يعلم السرائر وقوله فان الله شديد العقاب ومن شدة عقابه ابتلاء عبده بامتثال هذه الاشياء مع عدم تكليفه اياه بمعرفة حقائقها والمراد بالعقاب الاتعاب والا فالاحكام من قبيل الرحمة لا العذاب ولذا من قال هذه الطاعات جعلها الله علينا عذابا من غير تأويل كفر (ما قطعتم من لينة) ما شرطية نصب بقطعتم واللينة فعلة نحو حنطة من اللون

على أن أصلها لونة فيا أوها متلوبة عن واو لكسرة ما قبلها نحو ديمة وقيمة وتجمع على ألوان وهى
ضروب النخل كلها وقيل من اللين وتجمع على لين وأليان وهى النخلة الكريمة الشجرة بكونها
قريبة من الارض والطيبة الثمرة قال الراغب فى المفردات اللين ضد الخشونة ويستعمل ذلك
فى الاجسام ثم يستعار للخلق ولغيره من المعانى فيقال فلان لين وفلان خشن وكل واحد منهما
يمدح به طورا ويذم به طورا بحسب اختلاف المواضع وقوله ماقطعتم من لينة أى من نخلة ناعمة
ومخرجه مخرج فعلة نحو حنطة ولا يختص بنوع منه دون نوع انتهى والمعنى أى شئ قطعتم
من نخلة من نخيلهم بأنواعها وقيل اللينة ضروب النخل كلها ماخلا العجوة والبرنية وهما أجود
النخل (أوتركتموها) الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما فى قوله تعالى مايفتح الله للناس من
رحمة فلا ممسك لها (قائمة) حال من ضمير المفعول (على أصولها) كما كانت من غير أن تتعرضوا
لها بشئ من القطع جمع أصل وهو مايتشعب منه الفرع (فباذن الله) فذلك أى قطعها وتركها
بأمر الله فلا جناح عليكم فيه فان فى كل من القطع والترك حكمة ومصلحة (وليخزى الفاسقين)
أى وليذل اليهود الخارجين عن دائرة الاسلام أذن فى قطعها وتركها فهو علة لمحذوف يقال
خزى الرجل لحقه انكسار اما من نفسه وهو الحياء المفرط ومصدره الخزاية واما من غيره وهو
ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزى أذن الله فى قطعها وتركها لانهم اذا رأوا المؤمنين
يتحكمون فى أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون
غيظا ويتضاعفون حسرة وذلك أن رسول الله عليه السلام حين أمر أن تقطع نخيلهم وتحرق
قالت اليهود وهم بنو النضير يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل
واحراقها فشق ذلك على النبى عليه السلام وكان فى أنفس المؤمنين أيضا من ذلك شئ فنزلت
وجعل أمر رسول الله أمره تعالى لانه عليه السلام ماينطق عن الهوى واستدل به على جواز
هدم ديار الكفرة وقطع أشجارهم مثمرة كانت أو غير مثمرة واحراق زروعهم زيادة لغيظهم
وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الالوان ليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية اللتين هما
كرام النخل وان كانت هى الكرام ليكون غيظهم أشد ويقال ان العتيق والعجوة كانتا مع
نوح فى السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة أصل الاناث كلها فلذا شق على اليهود قطعها
وظهر من هذا أن اللون هو ماعدا العجوة والبرنى من أنواع التمر بالمدينة والبرنى بالفارسية حمل
مبارك أو جيد لان أصله برنيك فعرب ومن أنواع تمر المدينة الصيحانى وفى شرح مسلم للنووى
أن أنواع التمر مائة وعشرون وفى تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى ان أنواع التمر بالمدينة
التى أمكن جمعها بلغت مائة وبضعا وثلاثين ويوافقه قول بعضهم اختبرناها فوجدناها أكثر
مماذكره النووى قال ولعل مازاد على ماذكر حدث بعد ذلك وأما أنواع التمر بغير المدينة
كالمغرب فلا تكاد تنحصر فقد نقل أن عالم فاس محمد بن غازى أرسل الى عالم سلجماسة ابراهيم بن
هلال يسأله عن حصر أنواع التمر بتلك البلدة فأرسل اليه جملا أو حملين من كل نوع تمرة واحدة
وأرسل اليه هذا مايتعلق به علم الفقير وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها وفى نسق الازهار أن بهذه
البلدة رطبا يسمى البتونى وهو أخضر اللون وأحلى من عسل النحل ونواه فى غاية الصغر
وكانت العجوة خير أموال بنى النضير لانهم كانوا يقتاتونها وفى الحديث العجوة من الجنة وثمرها

يغذى أحسن الغذاء وروى أن آدم عليه السلام نزل بالعجوة من الجنة وفى البخارى من تصبح كل يوم على سبع تمرات عجوة لم يصبه فى ذلك اليوم سم ولا سحر وقد جاء فى العجوة العالية شفاء وانها ترياق أول البكرة وفى كلام بعضهم العجوة ضرب من التمر أكبر من الصيحانى تضرب الى السواد وهى مما غرسه النبى عليه السلام بيده الشريفة وقد علمت أنها فى نخل بنى النضير وعن ابن عباس رضى الله عنهما اهبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء بالآسة وهى سيدة ريحان الدنيا والسنبلة وهى سيدة طعام الدنيا والعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا وفى الحديث ان العجوة من غرس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر البرنى فكلوه فانه يسبح فى شجره ويستغفر لآكله وانه من خير تمركم وانه دواء وليس بداء وجاء بيت لا تمر فيه جياع أهله قال ذلك مرتين ولما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل كما فى انسان العيون قال بعض أهل الاشارة يشير الى من قطع نخلة محبة الدنيا من أرض قلبه بأمر الله وحكمته المقتضية لذلك الامر بالقطع وهم المحرومون المنقطعون عن الدنيا ومحبتها وشهواتها ولذاتها المتوجهون الى طريق السلوك الى الله بتزكية النفس وتصفية القلب وتخلية السر وتحلية الروح والى من ترك الدنيا فى أرض قلبه قائمة على أصولها على حالها باذن الله وحكمته البالغة المقتضية لابقائها وهم الكاملون المكملون الواصلون المواصلون الذين ليس للدنيا ولا للآخرة عندهم قدر ومقدار ما زاغ نظر ظاهرهم ولا بصر باطنهم اليهما لاشتغالهم بذكر الله أى بذكر ذاته وصفاته وأسمائه كما قال فى حقهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وليخزى الفاسقين الذين خرجوا من مقام المعرفة والعرفان وما عرفوا أن للحق عبادا ليس للدنيا والآخرة عندهم قدر ومقدار وما زاغ بصر ظاهرهم ولا نظر باطنهم اليهما وطعنوا فيهم بمحبة الدنيا ونسبوا اليهم حب الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية فأخزاهم الله بشؤم هذا الطعن والله يشهد انهم الكاذبون (قال الحافظ) بس تجربه كرديم درين دير مكافات * با درد كشان هركه در افتاد بر افتاد (وما أفاء الله على رسوله) شروع فى بيان حال ما أخذ من أموالهم بعد بيان ما حل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع وما موصولة مبتدأ وقوله فما أوجفتم خبره ويجوز جعلها شرطية وقوله فما أوجفتم جوابا والفىء فى الاصل بمعنى الرجوع وأفاء أعاد وأرجع فهو على أصل معناه هنا والمعنى ما أعاده اليه من مالهم أى جعله عائدا ففيه اشعار بأنه كان حقيقا بأن يكون له عليه السلام وانما وقع فى أيديهم بغير حق فرجعه الله الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين وهو عليه السلام رأسهم ورئيسهم وبه أطاع من أطاع فكان أحق به فالعود على هذا بمعنى أن يتحول الشىء الى ما فارق عنه وهو الاشهر ويجوز أن يكون معناه صيره له فالعود على هذا بمعنى أن يتحول الشىء الى ما فارق عنه وان لم يكن ذلك التحول مسبوقا بالحصول له والحمل هنا على هذا المعنى لا يحوج الى تكلف توجيه بخلاف الاول وكلمة على تؤيد الثانى وقال بعضهم أفاء الله مبنى على أن الفىء الغنيمة فمعنى أفاء الله على رسوله جعله فيئا له خاصة وقال الراغب الفىء والفيئة الرجوع الى حالة محمودة وقيل للغنيمة التى لا يلحق فيها مشقة فىء قال بعضهم سمى ذلك بالفىء تشبيها بالفىء الذى هو الظل تنبيها على ان أشرف

أعراض الدنيا يجرى مجرى ظل زائل والفئة الجماعة المتظاهرة التى يرجع بعضهم الى بعض فى التعاضد وقال المطرزى فى المغرب فى الفرق بين الغنيمة والفىء والنفل أن الغنيمة عن أبى عبيد ما نيل من أهل الشرك عنوة والحرب قائمة وحكمها أن تخمس وسائرها بعد الخمس للغانمين خاصة والفىء ما نيل منهم بعد ما تضع الحرب أوزارها وتصير الدار دار اسلام وحكمه أن يكون لكافة المسلمين ولا يخمس والنفل ما ينفله الغازى أى يعطاه زائدا على سهمه وهو أن يقول الامام أو الامير من قتل قتيلا فله سلبه أو قال للسرية ما أصبتم فلكم ربعه أو نصفه ولا يخمس وعلى الامام الوفاء به وعن على بن عيسى الغنيمة أعم من النفل والفىء أعم من الغنيمة لانه اسم لكل ما صار للمسلمين من أموال أهل الشرك قال أبو بكر الرازى فالغنيمة فىء والجزية فىء ومال أهل الصلح فىء والخراج فىء لان ذلك كله مما أفاء الله على المسلمين من المشركين وعند الفقهاء كل ما يحل أخذه من أموالهم فهو فىء (منهم) أى بنى النضير (فما) نافية (أوجفتم عليه) أى فما أجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير يقال أوجفت البعير أسرعته وفى القاموس الوجيف ضرب من سير الخيل والابل وقيل أوجف فأعجف (من خيل) من زائدة بعد النفى أى خيلا وهو جماعة الافراس لا واحد له أو واحده خائل لانه يختال والجمع أخيال وخيول كما فى القاموس وقال الراغب الخيلاء التكبر من تخيل فضيلة تتراءى للانسان من نفسه ومنها تتأول لفظة الخيل لما قيل انه لا يركب أحد فرسا الا وجد فى نفسه نخوة والخيل فى الاصل اسم للافراس والفرسان جميعا قال تعالى ومن رباط الخيل ويستعمل فى كل واحد منهما منفردا نحو ما روى يا خيل الله اركبى فهذا للفرسان وقوله عليه السلام عفوت لكم عن صدقة الخيل يعنى الافراس انتهى * والخيل نوعان عتيق وهجين فالعتيق ما أبواه عربيان سمى بذلك لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه بالامور المنقصة وسميت الكعبة بالبيت العتيق لسلامتها من عيب الرق لانه لم يملكها ملك قط واذا ربط الفرس العتيق فى بيت لم يدخله شيطان والهجين الذى أبوه عربى وأمه عجمية والفرق أن عظم البرذونة أعظم من عظم الفرس وعظم الفرس أصلب وأثقل والبرذونة أحمل من الفرس والفرس أسرع منه والعتيق بمنزلة الغزال والبرذونة بمنزلة الشاة والفرس يرى المنامات كبنى آدم ولا طحال له وهو مثل لسرعته وحركته كما يقال للبعير لا مرارة له أى له جسارة (ولا ركاب) هى ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير وأما راكب الفرس فانهم يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحلة قال فى المفردات الركوب فى الاصل كون الانسان على ظهر حيوان وقد يستعمل فى السفينة والراكب اختص فى التعارف بممتطى البعير جمعه ركب وركبان وركوب واختص الركاب بالمركوب والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كانت قرى بنى النضير على ميلين من المدينة وهى ساعة واحدة بحساب الساعات النجومية فذهبوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبى عليه السلام وكان يركب جمارا مخطوما بليف على ما سبق أو جملا على ما قاله البعض فافتتحها صلحا من غير أن يجرى بينهم مسايفة كأنه قال وما أفاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) أى سنته تعالى جارية على أن يسلطهم على من يشاء من أعدائهم

تسليطا خاصا وقد سلط النبي عليه السلام على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير أن تقتحموا
مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في أموالهم يعني أن الامر فيه مفوض
اليه يضعه حيث يشاء فلا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا وذلك أنهم
طلبوا القسمة كخيبر فنزلت (والله على كل شئ قدير) فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه
المعهودة وأخرى على غيرها * تيغى كه آسمانش از فيض خود دهد آب * تنها جهان بكيرد بى منت
سپاهى * اعلم أن الفيض الالهى الفائض من الله على ساحة قلب السالك على قسمين * اما
بالوهب المحض من خزانة اسمه الوهاب من غير تعمل من العامل فيه من ركض خيل النية
الصالحة ومن سوق ركاب العمل الصالح من الفرائض والنوافل فهو مقطوع الروابط من
جانب السالك العامل فليس للسالك أن يضيف ذلك الفيض والوارد القلبي الى نفسه بوجه من
الوجوه ولا الى الاعمال الصادرة منه بسبب الاعضاء والجوارح بل يتركه على صرافة الوهب
الرباني وطراوة العطاء الامتناني والآية الكريمة دالة على هذا القسم * واما مشوب بتعمله
فهو من خزانة اسمه الجواد فله أن يضيفه الى نفسه وأعضائه وجوارحه ليظهر أثره عليها كلها
والآية الثالثة الآتية تشير الى القسم الثاني وقد جمع بينهما قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن
تحت أرجلهم فان الاول اشارة الى الاول والثاني الى الثاني وأراد برسوله رسول القلب وانما
سمي القلب بالرسول لان الرسالة من حضرة الروح الى النفس الكافرة والهوى الظالم بدعوتهما
الى الحق تعالى بالايمان والهدى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) بيان لمصارف الفئ
بعد بيان افاءته عليه صلى الله عليه وسلم من غير أن يكون للمقاتلة فيه حق ولذا لم يعطف عليه
كأنه لما قيل ما أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير شئ لم تحصلوه بالقتال والغلبة فلا يقسم
قسمة الغنائم فكأنه قيل فكيف يقسم فقيل ما أفاء الله الخ قال في برهان القرآن قوله وما أفاء
الله وبعده ما أفاء الله بغير واو لان الاول معطوف على قوله ما قطعتم من لينة والثاني استئناف
وليس له به تعلق وقول من قال بدل من الاول مزيف عند أكثر المفسرين انتهى واعادة عين
العبارة الاولى لزيادة التقرير ووضع أهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقاراتهم
أيضا فالمراد بالقرى قرى بني النضير (وقال الكاشفى) من أهل القرى از اموال واملاك اهل
دهها وشهرها كه بحرب كرفته نشود وفي عين المعاني أي قريظة والنضير بالمدينة وفدك وخيبر
* وفي انسان العيون وفسرت القرى بالصغرى ووادي القرى أي بثلث ذلك كما في الامتاع وينبع
وفسرت بني النضير وخيبر أي بثلاثة حصون منها وهي الكتيبة والوطيح والسلالم كما في الامتاع
وفدك أي نصفها قال العلماء كانت الغنائم في شرع من قبلنا لله خاصة لا يحل منها شئ لاحد واذا
غنمت الانبياء عليهم السلام جمعوها فتنزل نار من السماء فتأخذها فخص نبينا عليه السلام من
بينهم بأن أحلت له الغنائم قال عليه السلام أحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي (فلله وللرسول)
يأمران ما أحبا وقيل ذكر الله للتشريف والتعظيم والتبرك وسهم النبي عليه السلام سقط بموته
(روى) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن أموال بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله مما لم
يوجف المسلمون عليه فكانت لرسول الله خالصة وكان ينفق على أهله منها نفقة سنة وما بقي جعله
في الخيل والسلاح عدة في سبيل الله (ولذى القربى) وهم بنو هاشم وبنو المطلب الفقراء منهم لما

حرموا الصدقة أي الزكاة وروى أبو عصمة عن أبي حنيفة رحمه الله أنه يجوز دفع الزكاة الى الهاشمي وانما كان لا يجوز في ذلك الوقت ويجوز النفل بالاجماع وكذا يجوز النفل للغني كذا في فتاوى العتابي وذكر في المحيط بعد ما ذكر هذه الرواية وروى ابن سماعة عن أبي يوسف رحمه الله أنه لا بأس بصدقة بني هاشم بعضهم على بعض ولا أرى الصدقة عليهم وعلى مواليهم من غيرهم كذا في النهاية وقال في شرح الآثار عن أبي حنيفة رحمه الله ان الصدقات كلها جائزة على بني هاشم والحرمة كانت في عهد النبي عليه السلام لوصول خمس الخمس اليهم فلما سقط ذلك بموته حلت لهم الصدقة قال الطحاوي وبالجواز نأخذ كذا في شرح الوقاية لابن الملك (واليتامى) جمع يتيم واليتم انقطاع الصبي عن أبيه قبل بلوغه وفي سائر الحيوانات من قبل أمه (والمساكين) جمع مسكين ويفتح ميمه وهو من لا شيء له أو له ما لا يكفيه أو أسكنه الفقر أي قلل حركته والذليل الضعيف كما في القاموس وهو من السكون فنونه أصلية لا نون جمع ولذلك تجري عليه الاعاريب الثلاثة (وابن السبيل) أي المسافر البعيد عن ماله وسمي به لملازمته له كما تقول للص القاطع ابن الطريق وللمعمر ابن الليالي ولطير الماء ابن الماء وللغراب ابن دأية باضافة الابن الى دأية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت والدأية الجنب قال أهل التفسير اختلف في قسمة الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد ويصرف ما بقي وهي خمسة أسداس الستة الى المصارف الخمسة التي يصرف اليها خمس الغنيمة وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف كل خمس الى مصارف خمس الغنيمة ويصرف الآن سهم الرسول عليه السلام الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول وهو الاصح عند الشافعية والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء أي كان يقسم الفيء أخماسا ويصرف الاخماس الاربعة لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ويخمس الخمس الباقي ويختار خمس الخمس لنفسه ويصرف الاخماس الاربعة الباقية كما يشاء والآن على الخلاف المذكور من صرف سهمه عليه السلام الى الامام أو العساكر والثغور أو مصالح المسلمين * وفي التأويلات النجمية ذوو القربى الروح والقلب والسر والخفاء وهم مقربو الحق تعالى بقرب الحسب والنسب واليتامى المتولدات من النفس الحيوانية الباقية بعد فناء النفس بحسب سطوات تجليات القهر والمساكين هم الاعضاء والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس المسافرون الى عوالم المعقولات والمتخيلات والموهومات والمحسوسات بقدم العقل والخيال والوهم والحس وقال بعض أهل الاشارة ذوو القربى هم الذين شاركوه في بعض مقاماته عليه السلام واليتامى هم الذين انقطعوا عما دون الحق الى الحق فبقوا بين الفقدان والوجدان طلاب الوصول والمساكين هم الذين ليس لهم بلغة المقامات وليسوا بمتمكنين في الحالات وابن السبيل هم الذين سافروا من الحدثان الى القدم (كي لا يكون) علة لقوله فلله وللرسول أي تولى الله قسمة الفيء وبين قسمته لئلا يكون أي الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء يعيشون به (دولة) بضم الدال وقرئ بفتحها وهي ما يدول للانسان أي يدور من الغنى والجد والغلبة أي كي لا يكون جدا (بين الاغنياء منكم) يتكاثرون به والخطاب للانصار لانه لم يكن

فى المهاجرين فى ذلك الوقت غنى كما فى فتح الرحمن أوكى لا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء
منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عزبز أى من غلب سلب فيجعلون الاستقلال بمال
الغنيمة والانفراد به منوطا بالغلبة عليه فكل من غلب على شئ منه يستقل به ولا يعطى الفقراء
والضعفاء شيأ منه (قال الكاشفى) درمعالم آورده كه اهل جاهليت چون غنيمتى كرفتندى مهتر
ايشان ربعى برداشتى واز باقى نيز براى خود تحفه اختيار كردى وانرا صفى كفتندى وباقى
را با قوم كذاشتى وتوانكران قوم بردرويشان دران قسمت حيف كردندى جمعى از رؤساى
اهل ايمان درغنايم بنى النضير همين خيال بسته كفتند يا رسول الله شما ربعى وصفى مغنم را
برداريد وبكذاريد تا باقى را قسمت كنيم حق سبحانه وتعالى انرا خاصة حضرت پيغمبر عليه
السلام كردانيد وقسمت انرا بروجهى كه مذكور شد مقرر ساخت وفرمود كه حكم فيء پيدا
كرديم تا نباشد آن فيء كردان دست بدست ميان توانكران از شما كه زياده از حق خود
بردارند وفقرا را اندك دهند يا محروم سازند چنانكه در زمان جاهليت بوده * وقيل الدولة بالضم
ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف أى ان الدولة اسم للشئ الذى يتداوله القوم بينهم فيكون مرة
لهذا ومرة لهذا والتداول بالفارسية از يكديكر فرا كرفتن وتداول القوم كذا وداول الله بينهم
كذا فالمعنى كى لا يكون الفئ شيأ يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة
بالفتح مصدر بمعنى التداول وفيه اضمار محذوف فالمعنى كى لا يكون ذا تداول بينهم أوكى لا يكون
امساكه وأخذه تداولا لا يخرجونه الى الفقراء وقيل هى بالفتح بمعنى انتقال حالة سارة الى
قوم عن قوم وتستعمل فى نفس الحالة السارة التى تحدث للانسان يقال هذه دولة فلان وقيل
الضم للاغنياء والفتح للفقراء وفى الحديث اغتنموا دولة الفقراء كما فى الكواشى وفى الآية
اشارة الى اعطاء كل ذى حق حقه كى لا يحصل بين الاغنياء والفقراء نوع من الجور والدولة
الجاهلية يقال كان الفقراء فى مجلس سفيان الثورى أمراء أى كالامراء فى التقديم والاكرام
والعزة (وما آتاكم الرسول) ما موصولة والعائد محذوف والايتاء الاعطاء والمناولة أى
ما أعطاكموه أيها المؤمنون من الفيء (فخذوه) فانه حقكم (وما نهاكم عنه) أى عن أخذه (فانتهوا)
عنه (واتقوا الله) فى مخالفته عليه السلام (ان الله شديد العقاب) فيعاقب من يخالف أمره
ونهيه والاولى حمل الآية على العموم فالمعنى وما آتاكم الرسول من الامر مطلقا فيأ أو غيره
امرا لا اعتقاديا أو فرعيا عمليا فخذوه أى فتمسكوا به فانه واجب عليكم هر شربتى از دست
او درآيد بستانيد كه حيات شما درآنست وآن لوح را خوانيد كه نويسد زيرا ضرور يات شما در
صفحه او بيانست وما نهاكم عن تعاطيه أيا كان فانتهوا عنه زيرا امر ونهى او بحقيقت
هركه ممتثل امر او كردد نجات يابد وهركه از نهى أو اجتناب ننمايد در ورطه هلاك افتد * آنكس
كه شد متابع امر تو قد نجا * وانكو خلاف راى تو ورزيد قد هلك * وفيه دليل على أن كل ما أمر
به النبى عليه السلام أمر من الله تعالى قال العلماء اتباع الرسول عليه السلام فى الفرائض
العينية فرض عين وفرض كفاية فى الفروض على سبيل الكفاية وواجب فى الواجبات وسنة
فى السنن فما علمنا من أفعاله واقعا على جهة نقتدى به فى ايقاعه على تلك الجهة وما لم نعلم على أى
جهة فعله فلنا فعله على أدنى منازل أفعاله وهو الاباحة روى ان ابن مسعود رضى الله عنه لقى

رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل أتقرأ على بهذا آية من كتاب الله قال نعم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه (قال لعن الله الواشمات) أى فاعلات الوشم وهو ما يوشم به اليد من نؤر أو نيلج قال فى القاموس الوشم كالوعد غرز الابرة فى البدن وذر النيلج عليه والنؤر كصبور النيلج ودخان الشحم وحصاة كالاثمد تدق فيسفها اللثة (والمستوشمات) يقال استوشمت الجارية طلبت أن يوشم بها (والمتنمصات للحسن) وهى أى المتنمصة التى تنتف شعرها يعنى بركنند موى از براى حسن قال فى القاموس النمص نتف الشعر ولعنت النامصة وهى مزينة النساء بالنمص والمتنمصة وهى المزينة به (المغيرات خلق الله) آن زنانى كه تغيير كنند آفريدۀ خدا را ويدخل فيه تحديد الاسنان واصلاحها ببعض الآلات وثقب الانف وأما ثقب الاذن فمباح للنساء لاجل التزيين بالقرط وحرام على الرجال كحلق اللحية (فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت) پس آمد آن زن نزد (ابن مسعود رضى الله عنه فقالت قد بلغنى أنك قلت كيت وكيت) يعنى مرا رسيده است كه تو گفتۀ چنين وچنين (فقال ومالى لا ألعن من لعن رسول الله ومن هو فى كتاب الله) يعنى ابن مسعود گفت چگونه لعنت نكنم انرا كه لعنت كرده است رسول الله وانرا كه در كتاب الله هست (فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول قال ان كنت قرأته لقد وجدته أما قرأت وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه عليه السلام قد نهى عنه) ولذلك قرأ ابن عباس رضى الله عنه هذه الآية للنهى عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت والدباء بالضم والمد القرعة والحنتم بفتح الحاء والتاء وسكون النون قبلها جرة خضراء والنقير ما نقب من حجر وخشب ونحوهما والمزفت بالضم والتشديد جرة أو خابية طليت ولطخت بالزفت بالكسر أى القار وحل عند الامام الاعظم اتخاذ نبيذ التمر والذرة ونحوه بأن يلقى فى هذه الاوعية وان حصل الاشتداد بسببها وفى الحديث (القرآن صعب عسر على من كرهه ميسر على من تبعه وحديثى صعب مستصعب وهو الحكمة فمن استمسك بحديثى وحفظه كان مع القرآن ومن تهاون بحديثى خسر الدنيا والآخرة وأمرتم أن تأخذوا بقولى وتتبعوا سنتى فمن رضى بقولى فقد رضى بالقرآن ومن استهزأ بقولى فقد استهزأ بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وسئل سهل رحمه الله عن شرائع الاسلام فقال ما آتاكم الرسول من خبر الغيب ومكاشفة الرب فخذوه باليقين وما نهاكم عنه من النظر الى غير الله فانتهوا عنه * وفى التأويلات النجمية يخاطب به ذوى الحقوق من المراتب الاربع ويقال لهم ما أعطاكم رسول القلب من الفيض الذى حصل له بعددكم الصورى ومعونتكم المعنوية من قبل قتل النفس الكافرة والهوى الظالم فاقبلوه منه بحسن التلقى ولطف القبول فانه أعطاكم على حسب استعدادكم وما منع عنه فامتنعوا عن الاعتراض عليه واتقوا الله فى الاعتراض فان الله شديد العقاب بحرمانكم من حسن التوجه اليه ولطف الاستفاضة عنه (للفقراء المهاجرين) بدل من لذى القربى وما عطف عليه لا من الله والرسول وإلا يلزم دخول الرسول فى زمرة الفقراء وهو لا يسمى فقيرا لانه يوهم الذم والنقصان لان أصل الفقر كسر فقار الظهر من قولهم فقرته ولهذا سميت الحاجة والداهية فاقرة لانهما تغلبان

الانسان وتكسر ان فقار ظهره واذا لم يصح تسمية الرسول فقيرا فلأن لا يصح تسميته تعالى فقيرا أولى مع أن الله تعالى أخرجه عليه السلام من الفقراء هنا بقوله وينصرون الله ورسوله بقي أن ابن السبيل الذي له مال في وطنه لا يسمى فقيرا نص عليه في التلويح وغيره ومن أعطى أغنياء ذوي القربى كالشافعي خص الابدال بما بعده بخلاف أبي حنيفة رحمه الله فان استحقاق ذوي القربى الفيء مشروط عنده بالفقر وأما تخصيص اعتبار الفقر بفيء بني النضير فتعسف ظاهر كما في الارشاد (الذين أخرجوا من ديارهم) از سراهاى ايشان كه در مكه داشتند (وأموالهم) ودور افتاده اند از مالهاى خود حيث اضطرهم كفار مكة الى الخروج وأخذوا أموالهم وكانوا مائة رجل فخرجوا منها والا فهم هاجروا باختيارهم حبا لله ورسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من الشدة حتى كان الرجل يعصب الحجر على بطنه ليقيم صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها وصح عن رسول الله عليه السلام أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين وقال عليه السلام أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة عام (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أي حال كونهم طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضاة في الآخرة وصفوا أولا بما يدل على استحقاقهم للفيء من الاخراج من الديار وقد أعاد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده فهو حال من واو اخرجوا وفي ذكر حالهم ترق من العالي الى الاعلى فان رضوان الله أكبر من عطاء الدنيا (وينصرون الله ورسوله) عطف على يبتغون فهي حال مقدرة أي ناوين نصرة الله باعلاء دينه ونصرة رسوله ببذل وجودهم في طاعته أو مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة وأي نصرة (أولئك) المهاجرون الموصوفون بما ذكر من الصفات الحميدة (هم الصادقون) الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا كأن الصدق مقصور عليهم لكمال آثاره الصدق صدقة السر يعني صدقة ملك سر است وصداق الجنة يعني صداق سراى سرور است وصديق الحق يعني صديق پادشاه حقست * راست كارى پيشه كن كاندر مصاف رستخيز * نيستند از خشم حق جز راستكاران رستكار * مصطفى عليه السلام كفت ما مهتر كايت عالميم وبهتر ذريت آدم وما را بدين فخر نه شربتهاى كرم بر دست ما نهادند وهديتهاى شريف بحجرهٔ ما فرستادند ولباسهاى نفيس در ما پوشيدند وطراز اعزاز بر استين ما كشيدند وما را بدان هيچ فخر نه كفتند مهترا پس اختيار تو چيست وافتخار تو چيست كفت اختيار ما آنست وافتخار ما بدانست كه روزى ساعتى جوييم وبا اين فقراى مهاجرين چون بلال وصهيب وسلمان وعمار ساعتى حديث او كوييم * بر دل ز كرامتش شارست مرا * وز فقر لباس اختيارست مرا * دينار ودرم بچه كارست مرا * با حق همه كار چون بكارست مرا * بدانكه فقر دو است يكى آنست كه رسول خدا ازان استعاذه كرده وكفته أعوذ بك من الفقر وديكر آنست كه رسول خدا كفته الفقر فخرى آن يكى نزديك بكفر واين يكى نزديك بحق اما آن فقر كه بكفر نزديكست فقر دلست كه علم وحكمت واخلاص وصبر ورضا وتسليم وتوكل از دل ببرد تا دل ازين ولايتها درويش كردد وچون زمين خراب شود دل خراب شود منزل شيطان كردد آنكه چون شيطان فرود آمد سپاه شيطان روى بوى نهند

شهوت وغضب وحسد وشرك وشك وشبه ونفاق ونشان اين فقر آن بود كه هرچه بيند همه كژ بيند سمع او همه مجاز شنود زبان او همه دروغ وغيبت كويد قدم بكوى همه ناشايست نهد اين آن فقرست كه رسول خدا كفت كاد الفقر أن يكون كفرا اللهم انى أعوذ بك من الفقر والكفر اما آن فقر كه كفت الفقر فخرى آنست كه مرد از دنيا برهنه كردد ودرين برهنكى بدين نزديك كردد وفى الخبر الايمان عريان ولباسه التقوى همانست كه متصوفه از ان تجريد كويند كه مرد مجرد شود از رسوم انسانيت چنانكه تيغ مجرد شود از نيام خويش وتيغ مادام كه در نيام باشد هنرش آشكارا نكردد وفعل او پيدا نيايد همچنين دل تا در غلاف انسانيت هنروى آشكارا نكردد وازوى كارى نكشايد چون از غلاف انسانيت برهنه كردد صورتها وصفتها دروبنمايد وقال الشيخ نجم الدين الكاشفى رحمه الله الافتقار على ثلاثة أقسام افتقار الى الله دون الغير واليه الاشارة بقوله عليه السلام الفقر سواد الوجه فى الدارين انتهى وفى كل من الاحاديث المذكورة معان أخر جلية على أولى الالباب وطعن أهل الحديث فى قوله الفقر فخرى لكن معناه صحيح اللهم أغننى بالافتقار اليك وسئل الحسين رحمه الله من الفقراء قال الذين وقفوا مع الحق راضين على جريان ارادته فيهم وقال بعضهم هم الذين تركوا كل سبب وعلاقة ولم يلتفتوا من الكونين الى شئ سوى ربهم فجعلهم الله ملوكا وخدمهم الاغنياء تشريفا لهم وفى التأويلات النجمية أبدل الله من ذوى القربى المهاجرين الى الله أى ذووا القربى هم المهاجرون من قرية النفس الى مدينة الروح والقلب بالسير والسلوك وقطع المفاوز النفسانية والبوادى الحيوانية المخرجون من ديار وجوداتهم وأموال صفاتهم وأخلاقهم الى حضرة خالقهم ورازقهم طالبين من فضله وجوده وجوده ونور رضوان صفاته ونعوته ناصرين الله بمظهريتهم لله الاسم الجامع ورسوله بمظهريتهم لاحكامه وشرائعه الظاهرة أولئك هم الصادقون فى مقام الفناء عنهم فى ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم والبقاء به أى بذاته وصفاته وأفعاله جعلنا الله واياكم هكذا بفضله (والذين تبوأوا الدار والايمان) كلام مستأنف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفىء بهم أحسن رضا وأكمله والانصار بنو الاوس والخزرج ابنى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة ابن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان قال فى القاموس قحطان بن عامر بن شالخ أبو حى انتهى وهو أصل العرب العرباء ومن الانصار غسان كشداد ماء قرب الجحفة نزل عليه قوم من ولد الازد فشربوا منه فنسبوا اليه وأصل البواء مساواة الاجزاء فى المكان خلاف النبو الذى هو منافاة الاجزاء يقال مكان بواء اذا لم يكن نابيا بنازله وبوأت له مكانا سويت وروى أنه عليه السلام كان يتبوأ لبوله كما يتبوأ لمنزله وتبوأ المنزل اتخاذه منزلا والتمكن والاستقرار فيه فالمتبوأ فيه لابد أن يكون من قبيل المنازل والامكنة والدار هى المدينة وتسمى قديما يثرب وحديثا طيبة وطابة كذلك بخلاف الايمان فانه ليس من هذا القبيل فمعنى تبوئهم الدار والايمان انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما أشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوؤ معنى اللزوم وقيل تبوأوا الدار وأخلصوا الايمان أو قبلوه أو آثروه كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا أى

قوله ابن عامر صوابه عابر بعين مهملة وموحدة مفتوحة اه

وسقيتها ماء باردا فاختصر الكلام وقيل غير ذلك * يقول الفقير لعل أصل الكلام والذين تبوؤا دار الايمان فان المدينة يقال لها دار الايمان لكونها مظهره ومأوى أصله كما يقال لها دار الهجرة وانما عدل الى ماذكر من صورة العطف تنصيصا على ايمانهم اذ مجرد التبوؤ لا يكفى فى المدح (من قبلهم) أى من قبل هجرة المهاجرين فقدر المضاف لان الانصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين بل منهم من آمن قبل الهجرة ومنهم من آمن بعدها قال بعضهم مراد انصارند كه در ديار خود ايمان آوردند وبدو سال پيش از قدوم حضرت مساجد ساختند ورب الاسلام كما يربى الطير الفرخ قال فى الارشاد يجوز أن يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه عبارة عن اقامة كافة حقوقه التى من جملتها اظهار عامة شعائره وأحكامه ولا ريب فى تقدم الانصار فى ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم فى ذلك وفى الآية اشارة الى دار القلب التى هى دار الصدق والاخلاص والى الايمان الاختصاصى الوهبى بتحقيقه وتثبيته (يحبون من هاجر اليهم) خبر للموصول أى يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ولان الله وحبيبه أحباهم وحبيب الحبيب حبيب (وفى كشف الاسرار) كاى دوست ازمهمان دوستى انصار (ولا يجدون فى صدورهم) أى فى نفوسهم (حاجة) أى شيأ محتاجا اليه (مما أوتوا) أى مما أوتى المهاجرون من الفيء وغيره ومن بيانية يقال خذ منه حاجتك أى ما تحتاج اليه والمراد من نفى الوجدان نفى العلم لان الوجدان فى النفس ادراك علمى وفيه من المبالغة ما ليس فى يعلمون وقال بعضهم طلب محتاج اليه يعنى ان نفوسهم لم تتبع ما أوتوا ولم تطمح الى شئ منه يحتاج اليه وقيل وجدا على تقديمهم عليهم وغيظا وحسدا ونحو ذلك قال الراغب الحاجة الى الشئ الفقر اليه مع محبته (ويؤثرون) أى يقدمون المهاجرين فالمفعول محذوف (على أنفسهم) فى كل شئ من أسباب المعاش جودا وكرما حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم والايثار عطاؤك ما أنت تحتاج اليه وفى الخبر لم يجتمع فى الدنيا قوم قط الا وفيهم أسخياء وبخلاء الا فى الانصار فان كلهم أسخياء ما فيهم من بخيل (ولو كان بهم خصاصة) أى حاجة وخلة وأصلها خصاص البيت وهى فرجه شبه حالة الفقر والحاجة ببيت ذى فرج فى الاشتمال على مواضع الحاجة قال الراغب عبر عن الفقر الذى لا يسد بالخصاصة كما عبر عنه بالخلة والخص بيت من قصب وشجر وذلك لما يرى منه من الخصاصة وكان عليه السلام قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة رضى الله عنهم وروى لم يعط الا رجلين سهلا وأبا دجانة فان الحرث بن الصمة قتل فى بئر معونة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شئ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وكان عليه السلام أعطى بعض الاراضى وأبقى بعضها يزرع له وانما أعطى المهاجرين أمرهم برد ما كان للانصار لاستغنائهم عنهم ولانهم لم يكونوا ملكوهم وانما كانوا دفعوا لهم تلك النخيل لينتفعوا بثمرها ويدخل فى ايثارهم المهاجرين بالفيء سائر الايثارات وعن أنس رضى الله عنه أنه قال أهدى لرجل من

الانصار رأس شاة وكان مجهودا فوجه به الى جارله زاعما أنه أحوج اليه منه فوجه جاره ايضا الى آخر فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداول ذلك الرأس سبعة بيوت الى أن رجع الى المجهود الاول قال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شئ من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به فقلت أسقيك فأشار برأسه أن نعم فاذا برجل يقول آه آه فأشار الى ابن عمى أن أنطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فأشار أن نعم فسمع آخر يقول آه آه فأشار هشام أن انطلق اليه فجئت اليه فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات وهذا من قبيل الايثار بالنفس وهو فوق الايثار بالمال * فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ * كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد * وقال فى التكملة الصحيح أن الآية نزلت فى أبى طلحة الانصارى رضى الله عنه حين نزل برسول الله عليه السلام ضيف ولم يكن عنده ما يضيفه به فقال ألا رجلا يضيف هذا رحمه الله فقام أبو طلحة فانطلق به الى رحله وقال لامرأته أكرمى ضيف رسول الله فنومت الصبية وأطفأت السراج وجعل الضيف يأكل وهما يريان أنهما يأكلان معه ولا يفعلان فنزلت الآية وكان قناعة السلف أوفر ونفوسهم أقنع وبركتهم أكثر ونحن نؤثر أنفسنا على الغير فاذا وضعت مائدة بين أيدينا يريد كل منا أن يأكل قبل الآخر ويأخذ أكثر مما يأخذ الرفيق ولذلك لم توجد بركة الطعام وينفد سريعا (ويروى) أنه وقع بين ملك ووزيره أنه قال الملك ان العلماء أحسن حالا وأصلح بالامن الفقراء وقال الوزير بخلاف ذلك ثم قال الوزير نمتحنهما فى أمرين فبعث أحدا بعدة آلاف درهم الى أهل المدرسة فقال اذهب وقل لهم ان الملك أمرنى أن أعطى هذه الدراهم أفضلكم وأكملكم فمن هو فقال واحد منهم أنا وقال الآخر كذب بل هو أنا وهكذا ادّعى كل منهم الافضلية فقال الرسول لم يتميز الافضل عندى ولم أعرفه ولم يعط شيأ فعاد وأخبر بما وقع ثم أرسل الوزير تلك الدراهم الى اهل الخانقاه ففعلوا عكس ما فعله العلماء وأعطى بيده سيفا فقال اذهب فقل لهم ان الملك أمرنى أن أضرب عنق رئيسكم فمن هو فقال واحد منهم أنا وقال الآخر بل أنا وهكذا قال كل منهم ايثارا بقاء أخيه واختيارا فداء رفيقه بنفسه فقال الرسول لم يتميز ما هو الواقع عندى فرجع وأخبر بما وقع فأرسل السيف الى العلماء ففعلوا عكس ما فعله الفقراء فحج بذلك الوزير على الامير وأنت تشاهد أن فقراء زماننا على عكس هؤلاء الفقراء فى البلاد والممالك * قال أبو يزيد البسطامى قدس سره غلبنى رجل شاب من أهل بلخ حيث قال لى ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هذا فعل كلاب بلخ عندنا بل اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا * كريم كامل از اى شناسم اندرين دوران * كه كر نانى رسد از آسياى چرخ كردانش * ز استغناى همت با وجود فقر وبى بركى * ز خود وا كيرد وسازد نثار بى نوايانش * وفى العوارف من أخلاق الصوفية الايثار والمواساة وحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا لانهم يؤثرون الموجود ويصبرون على المفقود قال يوسف بن الحسين رحمه الله من رأى لنفسه ملكا لا يصح له الايثار لانه يرى نفسه أحق بالشئ برؤية ملكه انما الايثار لمن يرى الاشياء للحق فمن وصل اليه فهو أحق به فاذا وصل شئ من ذلك اليه يرى نفسه ويده فيه يد غصب أو يد أمانة يوصلها الى صاحبها ويؤديها اليه معاذ بن جبل را ديدند كه در بازار مكه

ميكرديدوز يره تره ميجيد وميكفت هـذا ملكك مع رضاك وملك الدنيا مع سخطك * خيز يارا تا بجشانه زمانى دم زنيم * آتش اندر ملكت آل بنى آدم زنيم * هرچه اسبابست جمع آييم وبس جمع آوريم * پس بحكم حال بيزارى همه برهم زنيم (ومن يوق شح نفسه) وهركه نكاه داشته شود از بخل نفس او يعنى منع كند نفس را از حب مال وبغض انفاق والوقاية حفظ الشئ مما يؤذيه ويضره والشح بالضم والكسر بخل مع حرص فيكون جامعا بين ذميمتين من صفات النفس واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذى هو البخل أى ومن يوق بتوفيق الله شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه والفلاح اسم لسعادة الدارين والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم فان الفتوة هى الاوصاف المذكورة فى حقهم فلهم جلائل الصفات ودقائق الاحوال ولذا قال عليه السلام آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار وقال عليه السلام اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار وأبناء أبناء الانصار وقال السهروردى فى العوارف السخاء صفة غريزية فى مقابلة الشح والشح من لوازم صفة النفس حكم الله بالفلاح لمن يوقى الشح أى لمن أنفق وبذل والنبى عليه السلام نبه بقوله ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فجعل احدى المهلكات شحا مطاعا ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا بل انما يكون مهلكا اذا كان مطاعا فاما كونه موجودا فى النفس غير مطاع لا ينكر ذلك لانه من لوازم النفس مستمد من أصل جبلتها الترابى وفى التراب قبض وامساك وليس ذلك بالعجب من الآدمى وهو جبلى فيه وانما العجب وجود السخاء فى الغريزة وهو فى نفوس الصوفية الداعى لهم الى البذل والايثار والسخاء أتم وأكمل من الجود وفى مقابلة الجود البخل وفى مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء اذ كانا من ضرورة الغريزة وكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا والحق تعالى لا يوصف بالسخاء لان السخاء من نتيجة الغرائز والله تعالى منزه عن الغريزة والجود يتطرق اليه الرياء ويأتى به الانسان متطلعا الى عوض من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لا يتطرق اليه الرياء لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعواض دنيا وآخرة لان طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولا بالعوض فما تمحض سخاء فالسخاء لاهل الصفاء والايثار لاهل الانوار وقال الحسن رحمه الله الشح هو العمل بالمعاصى كأنه يشح بالطاعة فدخل فيه ما قيل الشح أن تطمح عين الرجل الى ما ليس له وقال عليه السلام من الشح نظرك الى امرأة غيرك وذلك فان الناظر يشح بالغض والعفة فلا يفلح وروى أن رجلا قال لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه انى أخاف أن أكون قد هلكت قال وماذاك قال أسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدى شئ فقال عبد الله ليس المراد بالشح الذى ذكر الله فى القرآن أن تأكل مال اخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبئس الشئ البخل وفسر الشح بغير ذلك وعن الحكيم الترمذى قدس سره الشح أضر من الفقر لان الفقير يتسع اذا وجد بخلاف الشحيح وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله عليه السلام يقول لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد أبدا وقال عليه السلام من أدى الزكاة المفروضة وقرى

الضيف

الضيف وأعطى فى النائبة فقد برئ من الشح والشح أقبح البخل وقال عليه السلام اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم (قال الحافظ) احوال كنج قارون كايام داد برباد * باغنچه باز كوييد تازرنهان ندارد (وقال المولى الجامى فى ذم الخسيس الشحيح) هر چند زند لاف كرم مرد دژم دوست * دريوزهٔ احسان ز درا نتوان كرد * ديرين مثلى هست كه از فضلهٔ حيوان * نارنج توان ساخت ولى بو نتوان كرد (والذين جاؤا من بعدهم) هم الذين هاجروا بعد ما قوى الاسلام فالمراد جاؤا الى المدينة أو التابعون باحسان وهم الذين بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين فالمراد حينئذ جاؤا الى فضاء الوجود وفى الحديث مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره يعنى در منفعت وراحت همچون باران بهاراند باران را نداننده كه اول آن بهترست يا آخر نفعيست عالم را وعامهٔ خلق را حال امت من همچنين است هم از درويشان آخر الزمان آن شكستكان سرافكنده وهمين عزيزان و بزركواران همه برادراننده ودر مقام منفعت وراحت همه يكدست ويكسانند هم كالمطر حيثما وقع نفع بر مثال بارانند باران هر كجا كه رسد نفع رساند هم در بوستان هم در خارستان هم بر ريحان وهم برام غيلان همچنين اهل اسلام در راحت يكديكر ورأفت بر يكديكر يكسانند ويك نشانند (يقولون) خبر للموصول والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة فى الدين والسبق بالايمان أى يدعون لهم قائلين (ربنا اغفر لنا) ما فرط منا (ولاخواننا) أى فى الدين الذى هو أعز وأشرف عندهم من النسب (الذين سبقونا بالايمان) وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم * چو خواهى كه نامت بود جاودان * مكن نام نيك بزركان نهان * قدموا أنفسهم فى طلب المغفرة لما فى المشهور من أن العبد لابد أن يكون مغفورا له حتى يستجاب دعاؤه لغيره وفيه حكم بعدم قبول دعاء العاصين قبل أن يغفر لهم وليس كذلك كما دلت عليه الاخبار فلعل الوجه أن تقديم النفس لكونها أقرب النفوس مع أن فى الاستغفار اقرارا بالذنب فالاحسن للعبد أن يرى أولا ذنب نفسه كذا فى بعض التفاسير * يقول الفقير نفس المرء أقرب اليه من نفس غيره فكل جلب أو دفع فهو انما يطلبه أولا لنفسه لاعطاء حق الاقدم وأما غيره فهو بعده ومتأخر عنه وأيضا ان ذنب نفسه مقطوع بالنسبة اليه وأما ذنب غيره فمحتمل فلعل الله قد غفر له وهو لا يدرى وأيضا تقديمهم فى مثل هذا المقام لا يخلو عن سوء أدب وسوء ظن فى حق السلف (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) أى حقدا وهو ذميمة فاحشة فورد المؤمن ليس بحقود يعنى كينه كش قال الراغب الغل والغلول تدرع الخيانة والعداوة لأن الغلالة اسم ما يلبس بين الشعار والدثار وتستعار للدرع كما تستعار الدرع لها (للذين آمنوا) على الاطلاق صحابة أو تابعين وفيه اشارة الى أن الحقد على غيرهم لاجل غيرة الدين وان لم يكن الحسد لائقا (قال الشيخ سعدى) دلم خانهٔ مهر يارست وبس * از ان مى نكنجد درو كين كس (ربنا انك رؤف رحيم) أى مبالغ فى الرأفة والرحمة فحقيق بأن تجيب دعاءنا وفى الآية دليل على أن الترحم والاستغفار واجب على المؤمنين الآخرين للسابقين منهم لاسيما الآباء والمعلمين أمور الدين قالت عائشة رضى الله عنها أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم

وفى الحديث لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها وعن عطاء قال قال عليه السلام من حفظنى فى أصحابى كنت له يوم القيامة حافظا ومن شتم أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فالرافضة والخوارج ونحوهم شر الخلائق خارجون من أقسام المؤمنين لان الله تعالى رتبهم على ثلاثة منازل المهاجرين والانصار والتابعين الموصوفين بما ذكر الله فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسامهم قال حجة الاسلام الغزالى رحمه الله يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين رضى الله عنه وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فانه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة ولعل ذلك لخطأ فى الاجتهاد لا لطلب الرياسة أو الدنيا كما لا يخفى وقال فى شرح الترغيب والترهيب المسمى بفتح القريب والحذر ثم الحذر من التعرض لما شجر بين الصحابة فانهم كلهم عدول خير القرون مجتهدون مصيبهم له أجران ومخطئهم له أجر واحد وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى فصل آفات اللسان الخوض فى الباطل هو الكلام فى المعاصى كحكاية أحوال الوقاع ومجالس الخمور وتجبر الظلمة وحكاية مذاهب أهل الاهواء وكذا حكاية ما جرى بين الصحابة رضى الله عنهم * أى دل از مهر اكر بجويى پند * رو باصحاب مصطفى دل بند * همه ايشان آمده ذيشان * خواهئى كن ثناى ز ايشان * وقال بعض أهل الاشارة ربنا اغفر لنا أى استر ظلمة وجودنا بنور وجودك واستر وجودات اخواننا الذين سبقونا بالايمان وهم الروح والسر والقلب السابقون فى السلوك من قرية النفس الى مدينة الروح المؤمنين بأن الفناء الوجودى الامكانى يستلزم الوجود الواجبى الحقانى ولا تجعل فى قلوبنا شك الاثنينية والغيرية للذين آمنوا باخوانية المؤمنين لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة انك رؤف عن شاهد الكثرة قائمة بالوحدة رحيم عن شاهد الوحدة ظاهرة بالكثرة وفى تكرير ربنا اظهار لكمال الضراعة وفى الاثر من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف قال الامام الرازى اعلم أن العقل يدل على تقديم ذكر الله فى الدعاء لان ذكر الله تعالى بالثناء والتعظيم بالنسبة الى جوهر الروح كالاكسير الاعظم بالنسبة الى النحاس فكما ان ذرة من الاكسير اذا وقعت على عالم النحاس انقلب الكل ذهبا ابريزا فكذا اذا وقعت ذرة من اكسير معرفة جلال الله تعالى على جوهر الروح قوى صفاء وكمل اشراقا ومتى صار كذلك كانت قوته أقوى وتأثيره أكمل وكان حضور الشئ المطلوب عنده أقوى وأكمل وهذا هو السبب فى تقديم الدعاء بالثناء انتهى والوارد فى القرآن من الدعاء مذكور غالبا بلفظ الرب فان على العبد أن يذكر أولا ايجاد الله واخراجه من العدم الى الوجود الذى هو أصل المواهب ويتذكر فى تربية الله اياه ساعة فساعة وأما دعوات رسول الله عليه السلام فأكثرها الابتداء بقوله اللهم لانه مظهر الاسم الجامع وقد كان يجمع بينهما ويقول اللهم ربنا كما جمع عيسى عليه السلام وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء والله سميع الدعاء وقابل الرجاء (ألم تر) استئناف لبيان التعجب مما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة والمعنى ألم تنظر يا محمد أو يا من له حظ من الخطاب (الى الذين نافقوا) من أهل المدينة قال الراغب النفق الطريق النافذ والسرب فى الارض النافذ ومنه نافقاء اليربوع وقد نافق

اليربوع ونفق ومنه النفاق وهو الدخول فى الشرع من باب والخروج عنه من باب وعلى هذا نبه بقوله ان المنافقين هم الفاسقون أى الخارجون عن الشرع (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) اللام للتبليغ والمراد بالاخوان بنو النضير وبأخوتهم انهم وافقوهم فى الكفر فان الكفر ملة واحدة أو صداقتهم وموالاتهم (لئن أخرجتم) اللام موطئة للقسم وهى اللام الداخلة على حرف الشرط بعد تمام القسم ظاهرا أو مقدرا ليؤذن أن الجواب له لا للشرط وقد تدخل على غير الشرط والمعنى والله لئن أخرجتم أيها الاخوان من دياركم وقراكم قسرا باخراج محمد وأصحابه اياكم منها (لنخرجن معكم) البتة ونذهبن فى صحبتكم أينما ذهبتم لتمام المحبة بيننا وبينكم وهو جواب للقسم وجواب الشرط مضمر ولما كان جواب القسم وجواب الشرط متماثلين اقتصر على جواب القسم وأضمر جواب الشرط وجعل المذكور جوابا للقسم بسعة وكذا قوله لايخرجون معهم وقوله لاينصرونهم كل واحد منهما جواب القسم ولذلك رفعت الافعال ولم تجزم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه (ولانطيع فيكم) أى فى شأنكم (أحدا) يمنعنا من الخروج معكم (أبدا) وان طال الزمان ونصبه على الظرفية وهو لاستغراق المستقبل كما ان الازل لاستغراق الماضى ولاستعمالهما فى طول الزمانين جدا قد يضافان الى جمعهما فيقال أبد الآباد وأزل الآزال وأما السرمد فلاستغراق الماضى والمستقبل يعنى لاستمرار الوجود لا الى نهاية فى جانبيهما (ومنه قول المولى الجامى) درددت ز ازل آيد تا روز ابد پايد * چون شكر كزارد كس اين دولت سرمد را (وان قوتلتم) أى قاتلكم محمد وأصحابه حذفت منه اللام الموطئة (لننصرنكم) أى لنعاونكم على عدوكم ولانخذلكم (والله يشهد انهم لكاذبون) فى مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة (لئن أخرجوا) قهرا واذلالا (لايخرجون معهم) الخ تكذيب لهم فى كل واحد من أقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم فى الكل على الاجمال (ولئن قوتلوا لاينصرونهم) وكان الامر كذلك فان ابن أبى وأصحابه أرسلوا الى بنى النضير وذلك سرا ثم أخلفوهم يعنى أن ابن أبى أرسل اليهم لاتخرجوا من دياركم وأقيموا فى حصونكم فان معى ألفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون حصنكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل اليكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع بنو النضير فيما قاله اللعين وهو جالس فى بيته حتى قال أحد سادات بنى النضير وهو سلام بن مشكم لحيى بن أخطب الذى كان هو المتولى لامر بنى النضير والله ياحيى ان قول ابن أبى لباطل وليس بشئ وانما يريد أن يورطك فى الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس فى بيته ويتركك فقال حيى نأبى الا عداوة محمد والا قتاله فقال سلام فهو والله جلاؤنا من أرضنا وذهاب أموالنا وشرفنا وسبى ذرارينا مع قتل مقاتلينا فكان ما كان كما سبق فى أول السورة وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن أما الاول فلانه أخبر عما سيقع فوقع كما أخبر وذلك لان نزول الآية مقدم على الوقعة وعليه يدل النظم فان كلمة ان للاستقبال وأما الثانى فمن حيث الاخبار عن الغيب (ولئن نصروهم) على الفرض والتقدير (ليولن الادبار) فرارا وانهزاما جمع دبر ودبر الشئ خلاف القبل أى الخلف وتولية الادبار كناية عن الانهزام الملزوم لتولية الادبار قال فى تاج المصادر التولية روى فرا كردن و پشت بكردانيدن وهى من الاضداد (ثم لاينصرون) أى المنافقون بعد ذلك أى يهلكهم

الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم بنصرهم اليهود أولينهزمن اليهود ثم لا تنفعهم نصرة المنافقين وفى الآية تنبيه على أن من عصى الله ورسوله وخالف الامر فهو مقهور فى الدنيا والآخرة وان كان سلطانا ذا منعة وما يقع أحيانا من الفرصة فاستدراج وغايته الى الخذلان * صعوه كو با عقاب سازد جنك * دهد از خون خود پرش را رنك * واشارة الى أن الهوى وصفاته كالمنافقين والنفس الكافرة وأتباعها كاليهود وبينهما أخوة وهى الظلمة الذاتية والصفاتية وبين حقائقهما وحقائق الروح والسر والقلب تنافر كتنافر النور والظلمة فالهوى وصفاته يقولون للنفس وصفاتها لان أخرجكم الروح والسر والقلب من ديار وجوداتكم وانانياتكم بسبب غلبة أنوارهم على ظلمات وجوداتكم لنخرجن معكم ولا نخالفكم وان قوتلتم بسيف الرياضة ورمح المجاهدة لنقوينكم بالقوى الشهوانية الحيوانية البهيمية السبعية وهم لا يقدرون على شئ بغير اذن الله فهم كاذبون فى قولهم ولا يخرج الهوى وصفاته معهم لان الهوى والنفس وان كانا متحدين بالذات لكنهما مختلفان بالصفات كاختلاف زيد وعمرو فى الصفات واتحادهما فى الذات وهو الانسانية وارتفاع أحدهما لا يستلزم ارتفاع الآخر والهوى بسبب غلبة روحانية القالب عليه يميل الى الروح تارة وبسبب غلظته أيضا يميل الى النفس أخرى فلا ينصر النفس دائما ولئن نصرها بنفخ نار الظلمة فى حطب وجودها لينهزم بسبب سطوات أشعة أنوار الروح والسر والقلب انهزام النور من الظلمة وفرار الليل من النهار ألا ان حزب الله هم الغالبون (لأنتم) يا معشر المسلمين وبالفارسية هر آينه شما كه مؤمنانيد (أشد رهبة) الرهبة مخافة مع تحزن واضطراب وهى هنا مصدر من المبنى للمفعول وهو رهب أى أشد مرهوبية وذلك لان أنتم خطاب للمسلمين والخوف ليس واقعا منهم بل من المنافقين فالمخاطبون مرهوبون غير خائفين (فى صدورهم) أى صدور المنافقين (من الله) أى من رهبة الله يعنى مرهوبيته قال فى الكشاف قوله فى صدورهم دال على نفاقهم يعنى انهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وانتم أهيب فى صدورهم من الله فان قلت كأنهم كانوا يرهبون من الله حتى يكون رهبتهم منه أشد قلت معناه أن رهبتهم فى السر منكم أشد من رهبتهم من الله التى يظهرونها لكم وكانوا يظهرون رهبة شديدة من الله * يقول الفقير انما رهبوا من المؤمنين لظهور نور الله فيهم فكما ان الظلمة تنفر من النور ولا تقاومه فكذا أهل الظلمة ينفر من أهل النور ولا يقوم معه ومرادنا بالظلمة ظلمة الشرك والكفر والرياء والنفاق وبالنور نور التوحيد والايمان والاخلاص والتقوى ولذلك قال تعالى اعلموا أن الله مع المتقين حيث ان الله تعالى أثبت معيته لاهل التقوى فنصرهم على مخالفيهم (ذلك) أى ما ذكر من كون رهبتهم منكم أشد من رهبة الله (بأنهم) أى بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) أى شيأ حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته قال بعض الكبار ليس العظمة بصفة للحق تعالى على التحقيق وانما هى صفة للقلوب العارفة به فهى عليها كالرداء على لابسه ولو كانت العظمة وصفا للعظيم لعظمه كل من رآه ولم يعرفه وفى الحديث ان الله يتجلى يوم القيامة لهذه الامة وفيها منافقوها فيقول أنا ربكم فيستعيذون به منه ولا يجدون له تعظيما وينكرونه لجهلهم به فاذا تجلى لهم فى العلامة التى يعرفونه بها وجدوا عظمته فى قلوبهم وخروا له ساجدين والحق اذا تجلى لقلب عبد ذهب منه أخطار الاكوان

وما بقى الا عظمة الحق وجلاله وفيه تنبيه على أن من علامات الفقه أن يكون خوف العبد من الله أشد من خوفه من الغير وتقبيح لحال أكثر الناس على ما ترى وتشاهد قال عليه السلام من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين قال بعض العارفين الفقيه عند أهل الله هو الذى لا يخاف الا من مولاه ولا يراقب الا اياه ولا يلتفت الى ما سواه ولا يرجو الخير من الغير ويطير فى طلبه طيران الطير قال بعض الكبار لا ينقص الكمل من الرجال خوفهم من سبع أو ظالم أو نحو ذلك لان الجزع فى النشأة الانسانية أصلى فالنفوس أبدا مجبولة على الخوف ولذة الوجود بعد العدم لا يعدلها لذة وتوهم العدم العينى له ألم شديد فى النفوس لا يعرف قدره الا العلماء بالله فكل نفس تجزع من العدم أن يلحق بها أو بما يقاربها وتهرب منه وترتاع وتخاف على ذهاب عينها فالكامل أضعف الخلق فى نفسه لما يشهده من الضعف فى تألمه بقرصة برغوث فهو آدم ملآن بذله وفقره مع شهوده أصله علما وحالا وكشفا ولذلك لم يصدر قط من رسول ولا نبى ولا ولى كامل فى وقت حضوره أنه ادعى دعوى تناقض العبودية أبدا (لا يقاتلونكم) أى اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم ولا يجترئون عليه (جميعا) أى مجتمعين متفقين فى موطن من المواطن (الا فى قرى) جمع قرية وهى مجتمع الناس للتوطن (محصنة) محكمة بالدروب والخنادق وما أشبه ذلك قال الراغب أى مجعولة بالاحكام كالحصون (أو من وراء جدر) دون أن يحضروا لكم ويبارزوكم أى يشافهوكم بالمحاربة لفرط رهبتهم جمع جدار وهو كالحائط الا أن الحائط يقال اعتبارا بالاحاطة بالمكان والجدار يقال اعتبارا بالنتو والارتفاع ولذا قيل جدر الشجر اذا خرج ورقه كأنه حمص وجدر الصبى اذا خرج جدريه تشبيها بجدر الشجر (بأسهم بينهم شديد) استئناف سيق لبيان أن ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم فى أنفسهم فان بأسهم وحربهم بالنسبة الى أقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله فى قلوبهم من الرعب وأيضا ان الشجاع يجبن والعز يذل اذا حارب الله ورسوله قال فى كشف الاسرار اذا أراد الله نصرة قوم استأسد أرنبهم واذا أراد الله قهر قوم استرنب أسدهم * أكر مردى از مردى خود مكوى * نه هر شهسوارى بدر برد كوى * ان قيل ان البأس شدة الحرب فما الحاجة الى الحكم عليه بشديد أجيب بأنه أريد من البأس هنا مطلق الحرب فأخبر بشدته لتصريح الشدة أو أريد المبالغة فى اثبات الشدة لبأسهم مبالغة فى شدة بأس المؤمنين لغلبته على بأسهم بتأييد الله ونصرته لهم عليهم والظرف متعلق بشديد والتقديم للحصر ويجوز أن يكون متعلقا بمقدر صفة أو حالا أى بأسهم الواقع بينهم أو واقعا بينهم فقولهم الظرف الواقع بعد المعرفة يكون حالا البتة ليس بمرضى فان الامرين جائزان بل قد ترجح الصفة (تحسبهم) يا محمد أو يا كل من يسمع ويعقل (جميعا) مجتمعين متفقين ذوى ألفة واتحاد (وقلوبهم شتى) أى والحال أن قلوبهم متفرقة لا ألفة بينها فهم بخلاف من وصفهم بقوله ولكن الله ألف بينهم جمع شتيت كمرضى ومريض وبالفارسية براكنده وبريشان يقال شت يشت شتا وشتاتا وشتيتا فرق وافترق كانشت وتشتت وجاؤا أشتاتا أى متفرقين فى النظام وفى الآية تشجيع لقلوب المؤمنين على قتالهم وتحسيرا لهم وان اللائق بالمؤمن الاتفاق والاتحاد صورة ومعنى كما كان المؤمنون متفقين فى عهد النبى عليه السلام ويقال الاتفاق قوة والافتراق هلكة والعدو ابليس يظفر فى الافتراق بمراده قال سهل

أهل الحق مجتمعون أبدا متوافقون وان تفرقوا بالابدان وتباينوا بالظواهر وأهل الباطل متفرقون أبدا وان اجتمعوا بالابدان وتوافقوا بالظواهر لان الله تعالى يقول تحسبهم الخ (ذلك بأنهم) أى ماذكر من تشتت قلوبهم بسبب أنهم (قوم لا يعقلون) أى لا يعقلون شيأ حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون فى تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه وتشتت القلوب يوهن قواهم لان صلاح القلب يؤدى الى صلاح الجسد وفساده الى فساده كما قالوا كل اناء يترشح بما فيه اعلم أن الله تعالى ذم الكفار فى القرآن بكل من عدم الفقه والعلم والعقل قال الراغب الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم والعلم ادراك الشئ بحقيقته وهو نظرى وعملى وأيضا عقلى وسمعى والعقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ولهذا قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه (وان العقل عقلان * فمسموع ومطبوع ولا ينفع مطبوع * اذا لم يك مسموع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع) والى الاول أشار عليه السلام بقوله ما خلق الله شيأ أكرم عليه من العقل والى الثانى أشار بقوله ما كسب أحد شيأ أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يرده عن ردى وهذا العقل هو المعنى بقوله وما يعقلها الا العالمون وكل موضع ذم الكفار بعدم العقل فاشارة الى الثانى دون الاول وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فاشارة الى الاول انتهى وفى الحديث العقل نور فى القلب يفرق به بين الحق والباطل وعن أنس رضى الله عنه قيل يا رسول الله الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب قال وما من آدمى الا وله ذنوب وخطايا يقترفها فمن كان سجيته العقل وغريزته اليقين لم تضره ذنوبه قيل كيف ذلك يا رسول الله قال لانه كلما أخطأ لم يلبث أن يتداركه ذلك بتوبة وندامة على ما كان منه فيمحو ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة وعنه أيضا رضى الله عنه أثنى قوم على رجل عند رسول الله حتى بالغوا فى الثناء بخصال الخير فقال رسول الله كيف عقل الرجل فقالوا يا رسول الله نخبرك عنه باجتهاده فى العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال نبى الله ان الاحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا فى الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم قال على بن عبيدة العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه أعرابى فقال هذا الكلام يقطر عسله وقال بعضهم اذا كمل العقول نقص الفضول أى لان العقل يعقله ويمنعه عما لا يعنيه وكل شئ اذا كثر رخص غير العقل فانه اذا كثر غلا وقال اعرابى لو صور العقل لاظلمت معه الشمس ولو صور الحق لاضاء معه الليل فالعقل أنور شئ والحق أظلمه وقيل العاقل يعيش بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته أى فنى العقل قوة شجاعة الاسد ويعلم منه بالمقايسة أن فى الحمق ضعف حال الارنب ونحوه * كشتى بى لنكر آمد مرد شر * كه زباد كژ نيابد او حذر * لنكر عقلست عاقل را امان * لنكرى در يوزه كن از عاقلان (كمثل الذين من قبلهم) خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم أى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين وصفتهم العجيبة وحالهم الغريبة كمثل أهل بدر وهم مشركو أهل مكة أو كمثل بنى قينقاع على ما قيل انهم أخرجوا قبل بنى النضير وبنو قينقاع مثلثة النون والضم أشهر كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغى والحسد ونبذوا

العهد كبنى النضير فأخرجهم رسول الله من المدينة الى الشأم أى لان قريتهم كانت من أعمالها ودعا عليهم فلم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعون وقد عرفت قصتهم فى المجلد الاول (قريبا) انتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الذين الخ يعنى بدلالة المقام لا لاقتضاء الاقرب أى فى زمان قريب قال مجاهد كانت وقعة بدر قبل غزوة بنى النضير بستة أشهر فلذلك قال قريبا فتكون قبل وقعة أحد وقيل بسنتين فتكون تلك الغزوة فى السنة الرابعة لان غزوة بنى النضير كانت بعد أحد وهى كانت بعد بدر بسنة (ذاقوا وبال أمرهم) قال الراغب الوبل والوابل المطر الثقيل القطار ولمراعاة الثقل قيل للامر الذى يخاف ضرره وبال وطعام وبيل والامر واحد الامور لا الاوامر أى ذاقوا سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا وهو عذاب القتل ببدر وكانت غزوة بدر فى رمضان من السنة الثانية من الهجرة قبل غزوة بنى النضير (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) مؤلم لا يقادر قدره حيث يكون ما فى الدنيا بالنسبة اليه كالذوق بالنسبة الى الاكل والمعنى ان حال هؤلاء كحال أولئك فى الدنيا والآخرة لكن لا على أن حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك وأما حال المنافقين فهو ما نطق به قوله تعالى (كمثل الشيطان) فانه خبر ثان للمبتدا المقدر مبين لحالهم متضمن لحال أخرى لليهود وهى اغترارهم بمقالة المنافقين أولا وخيبتهم آخرا وقد أجمل فى النظم الكريم حيث أسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما أسند اليه بخصوصه ثقة بأن السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كأنه قيل مثل اليهود فى حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين فى اغرائهم اياهم على القتال حسبما حكى عنهم كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) قول الشيطان مجاز عن الاغواء والاغراء اى أغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور على المأمور به (فلما كفر) الانسان المذكور طاعة لاغوائه وتبعا لاهوائه (قال) الشيطان (انى برىء منك) أى بعيد عن عملك وأملك غير راض بكفرك وشركك وبالفارسية من بيزارم ازتو يقال برئ يبرأ فهو برىء وأصل البرء والبراءة والتبرى التفصى مما يكره مجاورته قال العلماء ان أريد بالانسان الجنس فهذا التبرى من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ عنه قوله تعالى (انى أخاف الله رب العالمين) وان أريد أبو جهل على أن يكون اللام للعهد فقوله تعالى اكفر أى دم على الكفر پس چون بران ثبات ورزيد ونهال شرك درزمين دل او استحكام يافت قال انى الخ عبارة عن قول ابليس له يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب يعنى لما قاتلوا ورأى ابليس جبرائيل مع محمد عليهما السلام خافه فتبرأ منهم وانهزم قال بعضهم هذا من كذبات اللعين فانه لو خاف حقيقة وقال صدقا لما استمر على ما أدى الى الخوف بعد ذلك كيف وقد طلب الانظار الى البعث للاغواء وقال أبو الليث قال ذلك على وجه الاستهزاء ولا يبعد أن يقول له ليوقعه فى الحسرة والحرقة انتهى * يقول الفقير الظاهر أن الشيطان يستشعر فى بعض المواد جلال الله تعالى وعظمته فيخافه حذرا من المؤاخذة العاجلة وان كان منظرا ولا شك أن كل أحد يخاف السطوة الالهية عند ظهور أماراتها ألا ترى الى قوله تعالى وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين على أن نحو قاطع الطريق وقاتل النفس ربما فعل ما فعل وهو خائف من الاخذ (فكان

عاقبتهما) أي عاقبة الشيطان وذلك الانسان وهو بالنصب على أنه خبر كان واسمها قوله (أنهما
في النار) وقرئ بالعكس وهو أوضح (خالدين فيها) مقيمين لا يبرحان وهو حال من الضمير المقدر
في الجار والمجرور المستقر وروى خالدان على أنه خبر أن وفي النار لغو لتعلقه بخالدان (وذلك)
أي الخلود في النار (جزاء الظالمين) على الاطلاق دون هؤلاء خاصة وقال بعض أهل التفسير
المراد بالانسان برصيصا الراهب من بني اسرائيل * در روز كار فترت صومعه ساخته بود هفتاد
سال دران صومعه مجاور كشته وخدا را پرستيده وابليس در كار وى فرومانده روزى مردهٔ
شياطين را جمع كرد وكفت من يكفيني أمر هذا الرجل يكى كفت من اين كار كفايت كنم ومراد
تو از وى حاصل كنم بدر صومعهٔ وى رفت بر زى راهبان ومتعبدان كفت من مردم عزلت
وخلوت مى طلبم ترا چه زيان اكر من بصحبت تو بيايم ودر خلوت خدا را عبادت كنم برصيصا
بصحبت وى تن درنداد وكفت انى لفي شغل عنك يعنى مرا در عبادت الله چندان شغلست كه
پرواى صحبت تو نيست وعادت برصيصا آن بود كه چون در نماز شدى ده روز از نماز بيرون نيامدى
وروزه دار بودى مرده روز افطار كردى شيطان برابر صومعهٔ وى در نماز ايستاد وجهد وعبادت
خود بر جهد وعبادت برصيصا بيفزود چنانكه چهل روز از نماز بيرون نيامدى وبهر چهل روز
افطار كردى آخر برصيصا اورا بخود راه داد چون آن عبادت وجهد فراوان وى ديد وخود را در
جنب وى قاصر ديد انكه شيطان بعد از يك سال كفت مرا رفيقى ديكرست وظن من چنان بود كه
تعبد واجتهاد تو از وى زيادتست اكنون كه ترا ديدم نه چنانست كه مى پنداشتم وباز ديك وى
ميروم برصيصا مفارقت وى كراهيت داشت وبصحبت وى رغبتى تمام مى نمود شيطان كفت
مرا ناچارست رفتن اما ترا دعايى آموزم كه بيمار ومبتلى وديوانه كه بروى خوانى در وقت الله
تعالى اورا شفا دهد وترا اين به باشد از هزار عبادت كه كنى كه خلق خدا را از تو نفع بود وراحت
برصيصا كفت اين نه كار منست كه آنكه از وقت ورد خود باز مانم وسيرت وسريرت من در شغل
مردم شود شيطان تا آنكه ميكوشيد كه آن دعا وى را در آموخت واورا بر سر آن شغل داشت
از وى باز كشت وبا ابليس كفت والله لقد أهلكت الرجل پس برفت ومردى را تخنيق كرد
چنانكه ديو با مردم كند آنكه بصورت طبيبى بر آمد بر در آن خانه كفت ان بصاحبكم جنونا
فأعالجه چون اورا بديد كفت انى لا اقوى على جنه يعنى من با ديو او بر نيايم لكن شما را ارشاد كنم
بكسى كه اورا دعا كند در وقت شفا يابد واو برصيصاى راهبست كه در صومعه نشيند اورا بروى
بردند ودعا كرد وآن ديو از وى باز شد وصحت يافت پس اين شيطان برفت وزنى را از دختران
ملوك بنى اسرائيل رنجه وديوانه كرد وآن زن جمال با كمال داشت واورا سه برادر بودند شيطان
بصورت طبيب پيش ايشان رفت وآن دختر را بوى نمودند كفت أن الذي عرض لها مارد
لا يطاق ولكن سأرشدكم الى من يدعو له يعنى بران راهب شويد كه دعا كند وشفا يابد كفتند ترسيم
كه فرمان ما نبرد كفت صومعهٔ سازيد در جنب صومعهٔ وى وزن را دران صومعه بخوابانيد
وباوى كوييد اين امانتست بنزديك تو نهاديم وما رفتيم از بهر خدا وامید ثواب نظر از وى باز
مكير ودعايى كن تا شفا يابد ايشان همچنان كردند وراهب از صومعهٔ خود بزير آمد واورا ديد زنى

بقايت

بغايت جمال وازجمال وى درفتنه افتاد شيطان اورا آن ساعت وسوسه كرد كه واقعها ثم تب زيرا كه درتوبه كشاده ورحمت خدا فراوانست راهب بفرمان شيطان كام خود ازوى برداشت وزن باركرفت راهب پشيمان كشت وازفضيحت ترسيد همان شيطان دردل وى افكند كه اين زن رابايد كشت وپنهان بايد كرد چون برادران آيند كويم كه ديوا ورا ببرد وايشان مرا براست دارند وازفضيحت ايمن كردم آنكه اززنا وازقتل توبه كنم برصيصا اورا كشت ودفن كرد چون برادران آمدند وخواهررا نديدند كفت جاء شيطانها فذهب بها ولم أقو عليه ايشان اورا راست داشتند وباز كشتند شيطان آن برادرانرا بخواب نمود كه راهب خواهر شما كشت ودرفلان جايكه دفن كرد سه شب پيا پى ايشانرا چنين خوابى نمود تا ايشان رفتند وخواهررا كشته ازخاك برداشتند برادران اورا ازصومعه بزيرآوردند وصومعه خراب كردند واورا پيش پادشاه وقت بردند تا بفعل وكناه خود مقر آمد وپادشاه بفرمود تا اورا بردار كنند آن ساعت شيطان برابروى آمد وكفت اين همه ساخته وآراسته منست اكر آنچه من فرمايم بجاى آرى ترا نجات وخلاص بديد آيد كفت هرچه فرمايى ترا اطاعت كنم كفت مرا سجده بكن آن بدبخت اورا سجده كرد وكافر كشت واورا دركفر بردار كردند وشيطان آنكه كفت انى برىء منك انى اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما يعنى الشيطان وبرصيصا العابد كان آخر أمرهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين * خيالات نادان خلوت نشين * بهم بركند عاقبت كفر ودين * كزودست بايد كزو برخورى * نبايد كه فرمان دشمن برى * پى نيك مردان ببايد شتافت * كه هركين سعادت طلب كرديافت * وليكن تودنبال ديو خسى * ندانم كه درصالحان كى رسى والمراد من هذا الشيطان هو الشيطان الابيض الذى يأتى الصلحاء فى صورة الحق (قال الكاشفى) آن بى سعادت بعد ازعبادت هفتاد سال بورطهٔ شقاوت ابدى كرفتار كشت * غافل مشوكه مركب مردان مردرا * درسنكلاخ وسوسه پيها بريده اند وفى زهرة الرياض غير الله الايمان على برصيصا بعد ما عبد الله مائتين وعشرين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وكان ستون ألفا من تلامذته يمشون فى الهواء ببركته وعبد الله حتى تعجب الملائكة من عبادته قال الله تعالى لهم لماذا تتعجبون منه انى لاعلم مالا تعلمون فى علمى أنه يكفر ويدخل النار أبدا فسمع ابليس وعلم أن هلاكه على يده فجاء الى صومعته على شبه عابد وقد لبس المسح فناداه فقال له برصيصا من أنت وما تريد قال أنا عابد أكون لك عونا على عبادة الله قال له برصيصا من أراد عبادة الله فالله يكفيه صاحبا فقام ابليس يعبد الله ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب قال برصيصا أنا أفطر وأنام وآكل وأشرب وأنت لا تأكل ثم قال انى عبدت الله مائتين وعشرين سنة فلا أقدر على ترك الاكل والشرب قال ابليس أنا أذنبت ذنبا فتى ذكرته يتنغص على النوم والاكل والشرب قال برصيصا ما حيلتى حتى أصير مثلك قال اذهب واعص الله ثم تب اليه فانه رحيم حتى تجد حلاوة الطاعة قال كيف أعصيه بعد ما عبدته كذا وكذا سنة قال ابليس الانسان اذا أذنب يحتاج الى المعذرة قال أى ذنب تشيربه قال الزنا قال لا أفعله قال أن تقتل مؤمنا قال لا أفعله قال اشرب الخمر المسكر فانه أهون وخصمك الله قال أين أجده قال اذهب الى قرية كذا فذهب فرأى امرأة جميلة تبيع خمرا فاشترى منها الخمر وشربها وسكر وزنى بها فدخل عليهم زوجها فضربه وقتله ثم ان ابليس

تمثل فى صورة الانسان وسعى به الى السلطان فأخذه وجلده للتهمة ثمانين جلدة وللزنا مائة وأمر بالصلب لاجل الدم فلما صلب جاء اليه ابليس فى تلك الصورة قال كيف ترى حالك قال من أطاع قرين السوء فجزاؤه هكذا قال ابليس كنت فى بلائك مائتين وعشرين سنة حتى صلبتك فلو أردت النزول أنزلتك قال أريد وأعطيك ما تريد قال اسجد لى مرة واحدة قال كيف أسجد على الخشب قال اسجد بالايماء فسجد وكفر فذلك قوله تعالى كمثل الشيطان الخ قال ابن عطية هذا أى كون المراد بالانسان برصيصا العابد ضعيف والتأويل الاول هو وجه الكلام وفى القصة تحذير عن فتنة النساء روى أنه عليه السلام كان يصلى فى بيت أم سلمة رضى الله عنها فقام عمر ابن أم سلمة ليمر بين يديه فأشار اليه أن قف فوقف ثم قامت زينب بنت أم سلمة لتمر بين يديه فأشار اليها أن قفى فأبت ومرت فلما فرغ من صلاته نظر اليها وقال ناقصات العقل ناقصات الدين صواحب يوسف صواحب كرسف يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام قال الخبازى فى حواشى الهداية قال مولانا حميد الدين رحمه الله كرسف اسم زاهد وقع فى الفتنة بسبب امرأة وقال المطرزى فى المغرب كرسف رجل من زهاد بنى اسرائيل كان يقوم الليل ويصوم النهار فكفر بسبب امرأة عشقها ثم تداركه الله بما سلف منه فتاب عليه هكذا فى الفردوس ومنه الحديث صاحبات يوسف صاحبات كرسف انتهى قال ابن عباس رضى الله عنهما وكانت الرهبان فى بنى اسرائيل لا يمشون الا بالتقية والكتمان وطمع أهل الفجور والفسق فى الاخيار فرموهم بالبهتان والقبيح حتى كان أمر جريج الراهب فلما برأه الله مما رموه به انبسطت بعدها الرهبان وظهروا للناس وفى الحديث كان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة وكان فيها فأتته أمه وهو يصلى فقالت يا جريج فقال أى بقلبه أى رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان الغد أتته وهو يصلى فقالت يا جريج فقال أى رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان الغد أتته وهو يصلى فقالت يا جريج فقال أى رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر الى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال أى النبى عليه السلام فتعرضت له فلم يلتفت اليها فأتت راعيا كان يأوى الى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى فولدت منك فقال أين الصبى فجاؤا به فقال دعونى حتى أصلى فصلى فلما انصرف أتى بالصبى فطعن فى بطنه وقال يا غلام من ابوك فقال فلان الراعى قال أى النبى عليه السلام فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبنى لك صومعتك من ذهب قال لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبى يرضع من أمه فمر رجل راكبا على دابة فارهة وهيئته حسنة فقالت أمه اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الثدى وأقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلنى مثله ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع قال أى الراوى وهو أبو هريرة رضى الله عنه فكأنى أنظر الى رسول الله عليه السلام وهو يحكى ارتضاعه باصبعه السبابة فى فمه فجعل يمصها قال أى النبى عليه السلام ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت وهى تقول حسبى الله ونعم الوكيل فقالت أمه اللهم لا تجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلنى مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت أمه قد مر رجل

حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لا تجعلنى مثله ومر وا بهذه الامة وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت فقالت اللهم لا تجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها قال أى الرضيع ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلنى مثله وان هذه يقولون لها زنيت سرقت ولم تزن ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها انتهى الحديث وفيه اشارة الى أنه ينبغى للمؤمن أن لا يمد عينيه الى زخارف الدنيا ولا يدعو الله فيما لا يدرى أهو خير له أم شر بل ينبغى له أن يطلب منه البراءة من السوء وخير الدارين كما قال تعالى ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار نسأل الله سبحانه العفو والعافية مطلقا (يا أيها الذين آمنوا) ايمانا خالصا (اتقوا الله) فى كل ما تأتون وما تذرون فتحرزوا عن العصيان بالطاعة وتجنبوا عن الكفران بالشكر وتوقوا عن النسيان بالذكر واحذروا عن الاحتجاب عنه بأفعالكم وصفاتكم بشهود أفعاله وصفاته (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) ما شرطية أى أى شئ قدمت من الاعمال ليوم القيامة تاا كر تقديم خيرات وطاعات كند شكر كزارى غايد ودرز باد تى آن كوشد وا كر معاصى فرستاده توبه كند و پشيمان شود عبر عن يوم القيامة بالغد لدنوه لان كل آت قريب يعنى سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له وعن الحسن رحمه الله لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله تعالى كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضى أو عبر عنه به لان الدنيا أى زمانها كيوم والآخرة كغد لاختصاص كل منهما باحوال وأحكام متشابهة وتعقيب الثانى الاول فقوله لغد استعارة * يقول الفقير انما كانت الآخرة كالغد لان الناس فى الدنيا نيام ولا انتباه الا عند الموت الذى هو مقدمة القيامة كما ورد به الخبر فكل من الموت والقيامة كالصباح بالنسبة الى الغافل كما أن الغد صباح بالنسبة الى النائم فى الليل ودل هذا على أن الدنيا ظلمانية والآخرة نورانية وتنكيره لتفخيمه وتهويله كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه وأصله غدو حذفوا الواو بلا عوض واستشهد عليه بقول لبيد

وما الناس الا كالديار واهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

ادخا به على أصله والبيت من أبيات العبرة وأما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كانه قيل ولتنظر نفس واحدة فى ذلك قال بعضهم الاستقلال يكون بمعنى عد الشئ قليلا وبمعنى الانفراد فى الامر فعلى الاول يكون المراد استقلال الله النفوس الناطقة كما قال تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولكن أكثرهم يجهلون فكانه أقيم الاكثر مقام الكل مبالغة فأمر على الوحدة فلا يضره وجود النفس الكاملة العاقلة الناظرة الى العواقب بالنظر الصائب والرأى الثاقب وعلى الثانى يكون المراد انفراد النفوس فى النظر واكتفاؤها فيه بدون انضمام نظر الاخرى فى الاطلاع على ما قدمت خيرا أو شرا قليلا أو كثيرا وجودا أو عدما وفيه بحث عظيم * جهل من وعلم تو فلك را چه تفاوت * آنجا كه بصر نيست چه خوبى وچه زشتى (واتقوا الله) تكرير للتأكيد والاهتمام فى شأن التقوى واشارة الى أن اللائق بالعبد أن يكون كل أمره مسبوقا بالتقوى ومختوما بها أو الاول فى أداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل والثانى فى ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله سبحانه (ان الله خبير بما تعملون) أى عالم بما تعملونه من المعاصى فيجزيكم يوم الجزاء عليها ودر كشف الاسرار فرموده كه

قول اشارتست باصل تقوى ودوم بكمال آن يا اول تقواى عوامست وآن پرهيز كرده باشد از محرمات ودوم تقواى خواص وآن اجتناب بود از هرچه مادون حقست * اصل تقوى كه زاد اين راهست * ترك مجموع ماسوى اللهست * والتقوى هو التجنب عن كل مايؤثم من فعل أو ترك وقال بعض الكبار التقوى وقاية النفس فى الدنيا عن ترتب الضرر فى الآخرة فتقوى العامة عن ضرر الافعال وتقوى الخاصة عن ضرر الصفات وتقوى أخص الخواص عن جميع ماسوى الله تعالى عزيزى گفته است كه دنيا سه ايست وآن نيز در خواب وآخرت نيز چو هريست يافته در بيدارى مرد نه آنست كه در سفال بخواب ديده متقى شود مرد مردان آنست كه در كوهر در بيدارى يافته متقى شود فلابد من التقوى مع وجود العمل (قال الصائب) بى عمل دامن تقوى ز مناهى چيدن * احتراز سك مسلخ بود از شاشه خويش * وفى الآية ترغيب فى الاعمال الصالحة وفى الآثار ابن آدم اذا مات قالت الناس ماخلف وقالت الملائكة ماقدم وعن مالك بن دينار رحمه الله مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ماقدمنا خسرنا ماخلفنا

بقدر الكد تكتسب المعالى * ومن طلب العلا سهر الليالى

(وحكى) عن مالك بن دينار رحمه الله أيضا أنه قال دخلت جبانة البصرة فاذا أنا بسعدون المجنون فقلت له كيف حالك وكيف أنت فقال يا مالك كيف حال من أصبح وأمسى يريد سفرا بعيدا بلا أهبة ولا زاد ويقدم على رب عدل حاكم بين العباد ثم بكى بكاء شديدا فقلت ما يبكيك قال والله مابكيت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت والبلى ولكن بكيت ليوم مضى من عمرى ولم يحسن فيه عملى أبكانى والله قلة الزاد وبعد المسافة والعقبة الكؤد ولا أدرى بعد ذلك أصير الى الجنة أم الى النار فقلت ان الناس يزعمون أنك مجنون فقال وأنت اغتررت بما اغتر به بنو الدنيا زعم الناس أنى مجنون ومابى جنة ولكن حب مولاى قد خالط قلبى وجرى بين لحمى ودمى فأنا من حبه هائم مشغوف فقلت يا سعدون فلم لا تجالس الناس ولا تخالطهم فأنشد

كن من الناس جانبا * وارض بالله صاحبا

قلب الناس كيف شئـ * ـت تجدهم عقاربا

* وفى التأويلات النجمية يا أيها الذين آمنوا بالايمان الحقيقى الشهودى الوجودى اجعلوا الله وقاية نفوسكم فى اضافة الكمالات اليه ولتنظر نفس كاملة عارفة بذات الله وصفاته ماهيأت لغد يوم الشهود واتقوا الله عن الالتفات الى غيره ان الله خبير بما تعملون من الاقبال على الله والادبار عن الدنيا ومن الادبار عن الله والاقبال على الدنيا انتهى ويدخل فى قوله نفس النفوس الجنية لانهم من المكلفين الملهمين التقوى والعمل مثل الانس كما عرف فى مواضع كثيرة (ولا تكونوا) أيها المؤمنون (كالذين) أى كاليهود والمنافقين فالمراد بالموصول المعهود دون عمومه المقام أو الجنس كائنا من كان من الكفار أمواتا وأحياء (نسوا الله) فيه حذف المضاف أى نسوا حقوقه تعالى وماقدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب أموره ونواهيه حق رعايتها (فأنساهم) بسبب ذلك (أنفسهم) أى جعلهم ناسين لها فلم يسمعوا ماينفعها ولم يفعلوا مايخلصها فالمعنى على أصله أو أراهم يوم القيامة من الاهوال ما أنساهم أنفسهم فالمضى باعتبار التحقق قال الراغب النسيان ترك الانسان ضبط ما استودع اما لضعف قلبه واما عن غفلة أو عن قصد

حتى ينحذف عن القلب ذكره وكل نسيان من الانسان ذمه الله به فهو ما كان أصله من تعمد وما عذر فيه نحو ماروى عن النبي عليه السلام رفع عن أمتى الخطأ والنسيان فهو مالم يكن سببه منه فقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا هو ما كان سببه عن تعمد منهم وتركه على طريق الاهانة واذا نسب ذلك الى الله فهو تركه اياهم استهانة بهم ومجازاة لما تركوه كما قال فى اللباب قد يطلق النسيان على الترك ومنه نسوا الله فنسيهم أى تركوا طاعة الله ترك الناسى فتركهم الله وقال بعض المفسرين ان قيل النسيان يكون بعد الذكر وهو ضد الذكر لانه السهو الحاصل بعد حصول العلم فهل كان الكفار يذكرون حق الله ويعترفون بربوبيته حتى نسوا بعد أجيب بأنهم اعترفوا وقالوا بلى يوم الميثاق ثم نسوا ذلك بعد ما خلقوا والمؤمنون اعترفوا بها بعد الخلق كما اعترفوا قبله بهداية الله وراعوا حقها قل أو كثر جل أو صغر سئل ذو النون المصرى قدس سره عن سر ميثاق مقام ألست بربكم هل تذكره فقال كأنه الآن فى أذنى ودر نفحات مذكورست كه على سهل اصفهانى را گفتند كه روز بلى را ياد دارى گفت چون ندارم كويى دى بود شيخ الاسلام خواجه انصارى فرموده كه درين سخن نقصست صوفى را دى وفردا چه بود آن روز را هنوز شب نيامده وصوفى در همان روزست ويدل عليه قوله الآن أنه على ما كان عليه ثم ان قوله تعالى ولا تكونوا الخ تنبيه على أن الانسان بمعرفته لنفسه يعرف الله فنسيانه هو من نسيانه لنفسه كما قال فى فتح الرحمن لفظ هذه الآية يدل على أنه من عرف نفسه ولم ينسها عرف ربه وقد قال على رضى الله عنه اعرف نفسك تعرف ربك وقال سهل رحمه الله نسوا الله عند الذنوب فأنساهم أنفسهم عند الاعتذار وطلب التوبة ومن لطائف العرفى * مالب آلوده بهر توبه بكشاييم ليك * بانك عصيان ميزند ناقوس استغفار ما (أولئك) الناسون المخذولون بالانساء (هم الفاسقون) الكاملون فى الفسوق والخروج عن طريق الطاعة وهم للحصر فأفاد أن فسقهم كان بحيث ان فسق الغير كأنه ليس بفسق بالنسبة اليه فالمراد هنا الكافرون لكن على المؤمن الغافل عن رعاية حق ربوبية الله ومراعاة حظ نفسه من السعادة الابدية والقربة من الحضرة الاحدية خوف شديد وخطر عظيم وفيه اشارة الى أن الذين نسوا الله هم الخارجون عن شهود الحق فى جميع المظاهر الجمالية والجلالية وحضوره الداخلون فى مقام شهود أنفسهم فمن اشتغل بقضاء حظوظ نفسه نسى طيب العيش مع الله وكان من الغافلين عن اللذات الحقيقية ومن فنى عن شهوات نفسه بقى مع تجليات ربه (لا يستوى أصحاب النار) الذين نسوا الله فاستحقوا الخلود فى النار والنار باللام من أعلام جهنم كالساعة للقيامة ولذا كثيرا ما تذكر فى مقابلة الجنة كما فى هذا المقام وجاء فى الشعر

الجنة الدار فاعلم ان عملت بما * يرضى الاله وان فرطت فالنار

هما محلان ما للناس غيرهما * فانظر لنفسك ماذا أنت تختار

والصحبة فى الاصل اقتران الشئ بالشئ فى زمان ما قل أو كثر وبذلك يكون كل منهما صاحب الآخر وان كانت على المداومة والملازمة يكون كمال الصحبة ويكون الصاحب المصاحب عرفا وقد يطلق على الطرفين حينئذ صاحب ومصاحب أيضا ومن ذلك يكنى عن الزوجة بالصاحبة وقد يقال للمالك لكثرة صحبته بمملوكه كما قيل له الرب لوقوع تربية المالك على مملوكه فيقال

صاحب المال كما يقال رب المال فاطلاق أصحاب النار وأصحاب الجنة على أهلهما اما باعتبار
الصحبة الابدية والاقتران الدائم حتى لا يقال للعصاة المعذبين بالنار مقدار ما شاء الله أصحاب النار
أو باعتبار الملك مبالغة ورمزا الى أنهما جزاء لاهلهما باعتبار كسبهما بأعمالهم الحسنة
أو السيئة (وأصحاب الجنة) الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة قال فى الارشاد لعل تقديم
أصحاب النار فى الذكر للايذان من أول الامر بان القصور الذى ينبئ عنه عدم الاستواء من
جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان
جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل
يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور الى غير ذلك من المواضع وأما قوله تعالى
هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة والاعدام
مسبوقة بملكاتها وقال بعضهم قدم أصحاب النار لذكر الذين نسوا الله قبله ولكثرة أهلها ولان أول
طاعة أكثر الناس بالخوف ثم بالرجاء ثم بالمحبة فى البعض ولا دلالة فى الآية الكريمة على أن المسلم
لا يقتص بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر كما هو مذهب الشافعى لان المراد
عدم الاستواء فى الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير من الفريقين بصاحبية النار وصاحبية
الجنة وكذا قوله تعالى (أصحاب الجنة هم الفائزون) فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء
بين الفريقين فالفوز الظفر مع حصول السلامة أى هم الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل
مكروه فهم أهل الكرامة فى الدارين وأصحاب النار أهل الهوان فيهما وفيه تنبيه للناس بأنهم
لفرط غفلتهم ومحبتهم العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار وبين
أصحابهما حتى احتاجوا الى الاخبار بعدم الاستواء كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة
من لا يعرفه فتنبه بذلك على حق الابوة الذى يقتضى البر والتعطف فكذا نبه الله تعالى الناس
بتذكير سوء حال أهل النار وحسن حال أهل الجنة على الاعتبار والاحتراز عن الغفلة ورفع
الرأس عن المعاصى والتحاشى من عدم المبالاة قال عليه السلام ان أدنى أهل الجنة منزلة من
ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى
وجهه غدوة وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال عليه السلام ان أهون أهل
النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه
عذابا وروى الشيخ الحجازى ليلة يردد قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض ويبكى فقيل له
لقد أبكتك آية ما يبكى عند مثلها فقال فما ينفعنى عرضها اذا لم يكن لى فيها موضع قدم وخرج على
سهل الصعلوكى من مستوقد حمام يهودى فى طمر أسود من دخانه فقال ألستم ترون الدنيا سجن
المؤمن وجنة الكافر فقال سهل على البداهة اذا صرت الى عذاب الله كانت هذه جنتك واذا
صرت الى نعيم الله كانت هذه سجنى فتعجبوا من كلامه (قال الشيخ سعدى) چو مارا بدنيا تو كردى
عزيز * بعقبى همان چشم داريم نيز * عزيزى وخوارى تو بخشى وبس * عزيز تو خوارى نبيند
ز كس * خدايا بعزت كه خوارم مكن * بذل گنه شرمسارم مكن * قال بعض أهل الاشارة
أصحاب النار فى الحقيقة أصحاب المجاهدات الذين احترقوا بنيرانها وأصحاب الجنة أصحاب
المواصلات الذين وقعوا فى روح المشاهدات وفى الظاهر أصحاب النار أصحاب النفوس

والاهواء الذين أقبلوا على الدنيا وأصحاب الجنة أصحاب القلوب والمراقبات قال الحسين النورى قدس سره أصحاب النار أصحاب الرسوم والعادات وأصحاب الجنة أصحاب الحقائق والمشاهدات والمعاينات (لو أنزلنا هذا القرآن) العظيم الشأن المنزل عليكم أيها الناس المنطوى على فنون القوارع أو المنزل عليك يا محمد أو على محمد بحسب الالتفات فى الخطاب. قال ابن عباس رضى الله عنهما ان السماء أطت يعنى آواز داد من ثقل الالواح لما وضعها الله عليها فى وقت موسى فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها على موسى وكذلك الانجيل على عيسى والفرقان على محمد عليهم السلام ثم انه لا يلزم فى الاشارة وجود جملة المشار اليه ذى الابعاض المترتبة وجودا بل يكفى وجود بعض الاشارة حقيقة ووجود بعض آخر حكما ويحتمل أن يكون المشار اليه هنا الآية السابقة من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا الخ فان لفظ القرآن كما يطلق على المجموع يطلق على البعض منه حقيقة بالاشتراك أو باللغة أو مجازا بالعلاقة فيكون التذكير باعتبار تذكير المشار اليه (على جبل) من الجبال وهى ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلا سوى التلول كما فى زهرة الرياض وهى محركة كل وتد للارض عظم وطال فان انفرد فأكمة وقنة بضم القاف واعتبر معانيه فاستعير واشتق منه بحسبه فقيل فلان جبل لا يتدحرج تصورا لمعنى الثبات وجبله الله على كذا اشارة الى ما ركب فيه من الطبع الذى يأبى على الناقل نقله (لرأيته) يا من من شأنه الرؤية أو يا محمد مع كونه علما فى القسوة وعدم التأثر مما يصادمه (خاشعا) خاضعا ذليلا وهو حال من الضمير المنصوب فى قوله لرأيته لانه من الرؤية البصرية قال بعضهم الخشوع انقياد الباطن للحق والخضوع انقياد الظاهر له وقال بعضهم الخضوع فى البدن والخشوع فى الصوت والبصر قال الراغب الخشوع ضراعة وأكثر ما يستعمل فيما يوجد فى الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد فى القلب ولذلك قيل فيما روى اذا ضرع القلب خشعت الجوارح (متصدعا من خشية الله) أى متشققا منها أن يعصيه فيعاقبه والصدع شق فى الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما ومنه استعير الصداع وهو الانشقاق فى الرأس من الوجع قال العلماء هذا بيان وتصوير لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ أريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه والمعنى لو ركب فى الجبل عقل وشعور كما ركب فيكم أيها الناس ثم أنزل عليه القرآن ووعد وأوعد حسب حالكم لخشع وخضع وتصدع من خشية الله حذرا من أن لا يؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرآن والامتثال لما فيه من أمره ونهيه والكافر المنكر أقسى منه ولذا لا يتأثر أصلا (مصراع) أى دل سنكين تو يك ذره سوهان كير نيست * وهو كما تقول لمن تعظه ولا ينجع فيه وعظك لو كلمت هذا الحجر لاثر فيه ونظيره قول الامام مالك للشافعى لو رأيت أبا حنيفة رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقامت بحجته * دلرا اثر روى تو كل پوش كند * جانرا سخن خوب تو مدهوش كند * آتش كه شراب وصل تو نوش كند * از لطف تو سوختن فراموش كند * يقول الفقير فيه ذهول عن ان الله تعالى خلق الاشياء كلها ذات حياة وادراك فى الحقيقة والا لما اندك الجبل عند التجلى ولما شهد للمؤذن كل رطب ويابس سمع صوته ونحو ذلك وقد كاشف عن هذه الحياة أهل الله وغفل عنها المحجوبون على ما حقق مرارا ثم فرق بين الجبل عند التجلى وعند ما أنزل عليه القرآن وبينه عند الاستتار

وعدم الانزال فان اثر الحياة فى الصورة الاولى محسوس من مشاهد للعامة والخاصة واما فى الصورة الثانية محسوس للخاصة فقط فاعرف (وتلك الامثال) اشارة الى هذا المثل والى امثاله فى مواضع من التنزيل أى هذا القول الغريب فى عظمة القرآن ودناءة حال الانسان و بيان صفتهما العجيبة وسائر الامثال الواقعة فى القرآن فان لفظ المثل حقيقة عرفية فى القول السائر ثم يستعار لكل امر غريب وصفة عجيبة الشأن تشبيها له بالقول السائر فى الغرابة لانه لا يخلو عن غرابة (نضربها للناس) بيان ميكنيم مرانسانرا قد جاء فى سورة الزمر ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل بالاخبار على المضى مع انها مكية وقال هنا نضربها بالاستقبال مع ان السورة مدنية فلعل الاول من قبيل عد ماسيحقق مما حقق لتحققه بلا خلف والثانى من قبيل التعبير عن الماضى بالمضارع لاحضار الحال او لارادة الاستمرار على الاحوال يعنى ان شأننا ان نضرب الامثال للناس (لعلهم يتفكرون) أى لمصلحة التفكر ومنفعة التذكر يعنى شايد كه انديشه كنند دران و بهره بردارند ازان بايمان ولا يقتضى كون الفعل معللا بالحكمة والمصلحة ان يكون معللا بالغرض حتى تكون افعاله تعالى معللة بالاغراض اذ الغرض من الاحتياج والحكمة اللطف بالمحتاج وعن بعض العلماء أنه قال من عجز عن ثمانية فعليه بثمانية أخرى لينال فضلها من أراد فضل صلاة الليل وهو نائم فلا يعص بالنهار ومن أراد فضل صيام التطوع وهو مفطر فليحفظ لسانه عما لا يعنيه ومن أراد فضل العلماء فعليه بالتفكر ومن أراد فضل المجاهدين والغزاة وهو قاعد فى بيته فليجاهد الشيطان ومن أراد فضل الصدقة وهو عاجز فليعلم الناس ماسمع من العلم ومن أراد فضل الحج وهو عاجز فليلتزم الجمعة ومن أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس ولا يوقع العداوة ومن أراد فضل الابدال فليضع يده على صدره ويرض لاخيه ما يرضى لنفسه قال عليه السلام أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا ما حظها من العبادة يارسول الله قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه (وفى المثنوى) خوش بيان كرد آن حكيم غزنوى * بهر محجوبان مثال معنوى * كه زقرآن كرنه بيند غير قال * اين عجب نبود ز اصحاب ضلال * كز شعاع آفتاب پرز نور * غير كرمى مى نيابد چشم كور * وعن ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وعن الحسن البصرى رحمه الله من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره عبرة فهو لهو وعن أبى سليمان رحمه الله الفكرة فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكرة فى الآخرة تورث الحكمة وتحيى القلب وكثيرا ما ينشد سفيان بن عيينة ويقول

اذا المرء كانت له فكرة * ففى كل شئ له عبرة

والتفكر اما أن يكون فى الخالق أو الخلق والاول اما فى ذاته أو فى صفاته أو فى أفعاله أما فى ذاته فممنوع لانه لا يعرف الله الا الله الا أن يكون التفكر فى ذاته باعتبار عظمته وجلاله وكبريائه من حيث وجوب الوجود ودوام البقاء وامتناع الامكان والفناء والصمدية التى هى الاستغناء عن الكل وأما فى صفاته فهو فيها باعتبار كمالها بحيث يحيط علمه بجميع المعلومات وقدرته بجميع الاشياء وارادته بجميع الكائنات وسمعه بجميع المسموعات وبصره بجميع المبصرات ونحو ذلك وأما فى أفعاله فهو فيها بحسب شمولها وكثرتها ومتانتها ووقوعها على الوجه الاتم كل يوم هو

في شأن والثاني اما أن يكون فيما كان من العلويات والسفليات أو فيما يكون من أحوال القيامة وأحوال الآخرة الى الآباد قال بعض العارفين الفكر اما في آيات الله وصنائعه فيتولد منه المعرفة واما في عظمة الله وقدرته فيتولد منه الحياء واما في نعم الله ومنته فيتولد منه المحبة واما في وعد الله بالثواب فيتولد منه الرغبة في الطاعة واما في وعيد الله بالعقاب فيتولد منه الرهبة من المعصية واما في تفريط العبد في جنب الله فيتولد منه الحياء والندامة والتوبة ومن مهمات التفكر أن يتفكر المتفكر في أمر نفسه من مبدئه ومعاشه ومن اطاعته لربه ببدنه ولسانه وفؤاده ولو صرف عمره في فكر نفسه نظرا الى أول أمره وأوسطه وآخره لما أتم وفي الآية اشارة الى أن الله لو تجلى بصورة القرآن الجمعي المشتمل على حروف الموجودات العلوية وكلمات المخلوقات السفلية على جبل الوجود الانساني لتلاشى من سطوة التجلي والى أن العارف ينبغي أن يذوب تحت الخطاب الالهي من شدة التأثير والى أن هذه الامة حملوا بهمتهم مالم تحمله الجبال بقوتها كما قال تعالى فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان (هو الله الذي لا اله الا هو) هو في أصل وضعه كناية عن المفرد المذكر الغائب وهي كناية عن المفردة المؤنثة الغائبة وكثيرا ما يكنى به عمن لا يتصور فيه الذكورة والانوثة كما هو ههنا فانه راجع الى الله تعالى للعلم به ولك أن تقول هو موضوع لمفرد ليس فيه تأنيث حقيقة وحكما وهي لمفرد يكون فيه ذلك وهو مبتدأ خبره لفظة الله بمعنى هو المعبود بالحق المسمى بهذا الاسم الاعظم الدال على جلال الذات وكمال الصفات فلا يلزم أن يتحد المبتدأ والخبر بأن يكون التقدير الله الله اذ لا فائدة فيه أو الله بدل من هو والموصول مع صلته خبر المبتدأ أو هو اشارة الى الشأن والله مبتدأ والذي لا اله الا هو خبره والجملة خبر ضمير الشأن ولا في كلمة التوحيد لنفي أفراد الجنس على الشمول والاستغراق واله مبني على الفتح بها مرفوع المحل على الابتداء والمراد به جنس المعبود بالحق لا مطلق جنس المعبود حقا أو باطلا والا فلا يصح في نفسه لتعدد الآلهة الباطلة ولا يفيد التوحيد الحق والا هو مرفوع على البدلية من محل المنفي أو من ضمير الخبر المقدر للا والخبر قد يقدر موجود فيتوهم أن التوحيد يكون باعتبار الوجود لا الامكان فان نفي وجود اله غير الله لا يستلزم نفي امكانه وقد يقدر ممكن فيتوهم أن اثبات الامكان لا يقتضي الوقوع فكم من شيء ممكن لم يقع وقد يقدر لنا فيتوهم أنه لابد من مقدر فيعود الكلام والجواب أنه اذا كان المراد بالاله المعبود بالحق كما ذكر فهو لا يكون الا رب العالمين مستحقا لعبادة المكلفين فاذا انتفت الالوهية على هذا المعنى عن غيره تعالى وأثبتت له سبحانه يندفع التوهم على التقادير كلها ان قيل ان أراد القائل لا اله الا الله شمول النفي له تعالى ولغيره فهو مشكل نعوذ بالله مع أن الاستثناء يكون كاذبا وان أراد شموله لغيره فقط فلا حاجة الى الاستثناء أجيب بأن مراده في قلبه هو الثاني الا أنه يرى التعميم ظاهرا في أول الامر ليكون الاثبات بالاستثناء آكد في آخر الامر فالمعنى لا اله غيره وهذا حال الاستثناء مطلقا قال الشيخ أبو القاسم هذا القول وان كان ابتداؤه النفي لكن المراد به الاثبات ونهاية التحقيق فان قول القائل لا أخ لي سواك ولا معين لي غيرك آكد من قوله أنت أخي ومعيني وكل من لا اله الا الله ولا اله الا هو كلمة توحيد لورودها في القرآن بخلاف لا اله الا الرحمن فانه ليس بتوحيد مع أن اطلاق الرحمن على غيره تعالى غير جائز واطلاق هو جائز ثم ان الاولى كونه

توحيدا الا أنه لم يشتهر به التوحيد أصالة بخلافهما اعلم أن هو من أسماء الذات عند أهل المعرفة لانه بانفراده عن انضمام لفظ آخر اشارة الى الله المستجمع لجميع الصفات المدلول عليها بالأسماء الحسنى فهو من جملة الأذكار عند الابرار وقال الامام القشيري رحمه الله هو للاشارة وهو عند هذه الطائفة اخبار عن نهاية التحقيق فاذا قالت هو لا يسبق الى قلوبهم غيره تعالى فيكتفون به عن كل بيان يتلوه لاستهلاكهم في حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم وقال الامام الفاضل محمد بن أبي بكر الرازي رحمه الله في شرح الاسماء الحسنى اعلم ان هذا الاسم عند أهل الظاهر مبتدأ يحتاج الى خبر ليتم الكلام وعند أهل الطريق لا يحتاج بل هو مفيد وكلام تام بدون شئ آخر يتصل به أو ينضم اليه لاستهلاكهم في حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم وقال الشيخ العارف أحمد الغزالي أخو الامام محمد الغزالي رحمه الله كاشف القلوب بقول لا اله الا الله وكاشف الارواح بقول الله وكاشف الاسرار بقول هو لا اله الا الله قوت القلوب والله قوت الارواح وهو قوت الاسرار فلا اله الا الله مغناطيس القلوب والله مغناطيس الارواح وهو مغناطيس الاسرار والقلب والروح والسر بمنزلة درة في صدفة في حقة فانظر أنه رحمه الله في أي درجة وضع هو وعن بعض المشايخ رأيت بعض الوالهين فقلت له ما اسمك فقال هو وقلت من أنت قال هو وقلت من أين تجيء فقال هو وقلت من تعني بقولك هو فقال هو فما سألته عن شئ الا قال هو فقلت لعلك تريد الله فصاح وخرجت روحه فكن من الذاكرين بهو ولا تلتفت الى المخالفين فانهم من أهل الاهواء ولكل من العقل والنفس والقلب والروح معنيان أما العقل فيطلق على قوة دراكة توجد في الانسان بها يدرك مدركاته وعلى لطيفة ربانية هي حقيقة الانسان المستخدمة للبدن في الامور الدنيوية والاخروية وهي العالم والعارف والعاقل وهي الجاهل والقاصر والغافل الى غير ذلك وكذا النفس تطلق على صفة كائنة في الانسان جامعة للاخلاق المذمومة داعية الى الشهوات باعثة على الاهواء والآفات وتطلق على تلك اللطيفة المذكورة كما قال بعض الافاضل

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته * وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضائلها * فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

وكذا القلب يطلق على قطعة لحم صنوبرية تكون في جوف الانسان وعلى تلك اللطيفة وكذا الروح يطلق على جسم لطيف وعلى اللطيفة الربانية المذكورة فكل من الالفاظ الاربعة يطلق على نفس الانسان الذي هو المتكلم والمخاطب والمثاب والمعاقب بالاصالة وبتبعيتها يقع الثواب والعقاب للجسد الذي هو القفص لها فالتغاير على هذا اعتباري فان النفس نفس باعتبار أنها نفس الشئ وذاته وعقل باعتبار ادراكها وقلب باعتبار انقلابها من شئ الى شئ وروح باعتبار استراحتها بالاشياء أو تلذذها به وعلى المعاني الاخر لها تحقيق ثم ان النفس اما أن تكون تابعة للهوى فهي الامارة لمبالغة أمرها للاعضاء بالسيئات فذكر دائرة النفس لا اله الا الله واما أن يهب الله لها الانصاف والندامة على تقصيراتها والميل الى التدارك لما فات من المهمات فهي اللوامة للومها صاحبها بل نفسها على سوء عملها فذكر هذه الدائرة الله الله ويقال لها دائرة القلب لانقلابها الى جانب الحق واما ان تطمئن الى الحق وتستقر

فى الطاعة وتتلذذ بالعبادة فهى المطمئنة لاطمئنانها تحت أمر الله بحب الله ويقال لهذه الدائرة دائرة الروح لاستراحتها بعبادة الله وذكره وتلذذها بشكره وذكر هذه الدائرة هو وأما ما قال بعض الكبار من أن الذكر بلا اله الا الله أفضل من الذكر بكلمة الله الله وهو هو من حيث انها جامعة بين النفى والاثبات ومحتوية على زيادة العلم والمعرفة فبالنسبة الى حال المبتدى فكلمة التوحيد تطهر مرآة النفس بنارها فتوصل السالك الى دائرة القلب وكلمة الله تنور القلب بنورها فتوصل الى دائرة الروح وكلمة هو تجلى الروح فتوصل من شاء الله الى دائرة السر والسر لفظ استأثره المشايخ للحقيقة التى هى ثمرة الطريقة التى هى خلاصة الشريعة التى هى لازمة القبول للكل ومن اما اخذه مما روى عن النبى عليه السلام أنه قال حكاية عن الله بينى وبين عبدى سر لا يسعه ملك مقرب ولا نبى مرسل واما لكونه مستورا عن أكثر الناس ليس من لوازم الشريعة والطريقة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يشهد الله أيضا بيد وأنه لا اله الا هو

هست هر ذرة بوحدت خويش * پيش عارف گواه وحدت او * بالك كن جامى از غبار دوبى * لوح خاطر كه حق يكيست نه دو (عالم الغيب والشهادة) اللام للاستغراق فيعلم كل غيب وكل شهادة أى ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها وما حضر له من الاجرام وأعراضها ومن المعدوم والموجود فالمراد بالغيب حينئذ ما غاب عن الوجود ومن السر والعلانية ومن الآخرة والاولى ونحو ذلك قال الراغب ما غاب عن حواس الناس وبصائرهم وما شهدوه بهما والمعلومات اما معدومات يمتنع وجودها أو معدومات يمكن وجودها واما موجودات يمتنع عدمها أو موجودات لا يمتنع عدمها ولكل من هذه الاقسام الاربعة أحكام وخواص والكل معلوم لله تعالى وقدم الغيب على الشهادة لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به من حيث كونه موجودا واعلم ان ما ورد من اسناد علم الغيب الى الله فهو الغيب بالنسبة الينا لا بالنسبة اليه تعالى لانه لا يخفى على الله شئ فى الارض ولا فى السماء واذا انتفى الغيب بالنسبة اليه انتفى العلم به أيضا وأيضا المسقطت جميع النسب والاضافات فى مرتبة الذات البحت والهوية الصرفة انتفت النسبة العلمية مطلقا فانتفى العلم بالغيب فافهم (هو الرحمن الرحيم) كرره لان لشأنا شريفا وقاما منيفا من اشتغل به ملك ومن أعرض عنه هلك والله تعالى رحمته الدنيوية عامة لكل انسى وجنى مؤمنا كان أو كافرا * أديم زمين سفرة عام اوست * برين خوان يغما چه دشمن چه دوست * على ما قال عليه السلام أيها الناس ان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وان الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر يحق فيها الحق ويبطل الباطل كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان كل أم يتبعها ولدها ولذلك يقال يا رحمن الدنيا لان فيه زيادة حرف يراد به زيادة فى المعنى ورحمته الاخروية خاصة بالمؤمنين ولذا يقال يا رحيم الآخرة فعلى هذا فى معنى الرحمن زيادة باعتبار المنعم عليه ونقصان باعتبار الانواع والافراد وفى تخصيص هذين الاسمين المنبئين عن وفور رحمته فى الدارين تنبيه على سبق رحمته وتبشير للعاصين أن لا يقنطوا من رحمة الله وتنشيط للمطيعين بأنه يقبل القليل ويعطى الجزيل وحظ العبد من اسم الرحمن الرحيم أن يكون كثير الرحمة بأن يرحم نفسه أولا

ظاهرا وباطنا ثم يرحم غيره بتحصيل مراده وارشاده والنظر اليه بعين الرحمة كما قال بعض المشايخ

وارحم بنى جميع الخلق كلهمو * وانظر اليهم بعين اللطف والشفقه
وقر كبيرهمو وارحم صغيرهمو * وراع فى كل خلق حق من خلقه

قال الزروقى رحمه الله كل الاسماء يصح التخلق بمعانيها الا الاسم الله فانه للتعلق فقط وكل الاسماء راجعة اليه فالعرفة به معرفة بها ولا بد للعبد من قلب مفرد فيه توحيد مجرد وسر مفرد وبه يحصل جميع المقاصد مثل الجنيد قدس سره كيف السبيل الى الانقطاع الى الله تعالى قال بتوبة تزيل الاصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل واهانة النفس بقربها من الاجل وبعدها من الامل قيل له بماذا يصل العبد الى هذا قال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد انتهى وهو عجيب * وفى التأويلات النجمية تشير الآية الى هويته الجامعة عالم غيب الوجود المسمى باسم الباطن وعالم شهادة الوجود المسمى باسم الظاهر هو الرحمن الرحيم أى هو المتجلى بالتجلى الرحمانى العام وهو المتجلى بالتجلى الرحيمى الخاص وهو المطلق عن العموم والخصوص فى عين العموم والخصوص غير اعتباراته وحيثياته (هو الله الذى لا اله الا هو) كرره لابراز الاعتناء بامر التوحيد يعنى اوست خداى كه هيچ وجه نيست خداى سزاى پرستش مكر وى (الملك) پادشاهى كه جلال ذاتش از وجه احتياج مصونست وكمال صفاتش باستغناء مطلق مقرون فمعناه ذو الملك والسلطان والملك بالضم هو التصرف بالامر والنهى فى الجمهور وذلك يختص بسياسة الناطقين ولهذا يقال ملك الناس ولا يقال ملك الاشياء فقوله تعالى ملك يوم الدين تقديره الملك فى يوم الدين كما فى المفردات وعبد الملك هو الذى يملك نفسه وغيره بالتصرف فيه بما شاء الله وأمره به فهو أشد الخلق على خليقته قال الامام الغزالى قدس سره مملكة العبد الخاصة به قلبه وقالبه وجنده شهوته وغضبه وهواه ورعيته لسانه وعيناه ويداه وسائر أعضائه فاذا ملكها ولم تملكه ولم يطعها فقد نال درجة الملك فى عالمه (قال الشيخ سعدى) وجود تو شهريست پرنيك وبد * تو سلطان ودستور دانا خرد * همانا كه دونان كردن فراز * درين شهر كبرست وسودا وآز * چو سلطان عنايت كند بابدان * كجا ماند آسايش بخردان * فان انضم اليه استغناؤه عن كل الناس واحتاج الناس كلهم اليه فى حياتهم العاجلة والآجلة فهو الملك فى العالم الارضى وتلك رتبة الانبياء عليهم السلام فانهم استغنوا فى الهداية الى الحياة الآخرة عن كل أحد الا عن الله تعالى واحتاج اليهم كل أحد ويليهم فى هذا الملك العلماء الذين هم ورثة الانبياء وانما ملكهم بقدر مقدرتهم على ارشاد العباد واستغنائهم عن الاسترشاد وهذا الملك عطية للعبد من الملك الحق الذى لا مثنوية فى ملكه والا فلا ملك للعبد كما قيل لبعض العارفين ألك ملك فقال أنا عبد لمولاى فليس لى نملة فمن أنا حتى أقول لى شئ هذا كلام من استغرق فى ملاحظة ملكية الله ومالكيته كما حكى أن بعض الامراء قال لبعض الصلحاء سلنى حاجتك قال أولى تقول هذا ولى عبدان هما سيداك قال من هما قال الشهوة والغضب وفى بعض الروايات الحرص والهوى غلبتهما وغلباك وملكتهما وملكاك فهو اخبار عن لطف الله وعنايته من ضبط نفسه واستخدامها فيما يرضاه الله نعما لذلك الامير ولغيره من السامعين شاهدين أو غائبين قال بعضهم لبعض الشيوخ أوصنى فقال

كن ملكا فى الدنيا تكن ملكا فى الآخرة معناه اقطع طمعك وشهوتك فى الدنيا فان الملك فى الحرية والاستغناء ومن مقالات أبى يزيد البسطامى قدس سره فى مناجاته الهى ملكى أعظم من ملكك وذلك لان الله تعالى ملك أبا يزيد وهو فان متناه وأبا يزيد ملك الله وهو باق غير متناه وخاصية اسم الملك صفاء القلب وحصول الفناء والامرة ونحوها فمن واظب عليه وقت الزوال كل يوم مائة مرة صفا قلبه وزال كدره ومن قرأه بعد الفجر مائة واحدى وعشرين مرة أغناه الله من فضله اما بأسباب أو بغيرها (القدوس) هو من صيغ المبالغة من القدس وهو النزاهة والطهارة أى البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا ما وعن كل عيب وهو بالعبرى قديسا ونظيره السبوح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح قال الزمخشرى ان الضفادع تقول فى نقيقها سبحان الملك القدوس قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول الا السبوح والقدوس فان الضم فيهما أكثر وقد يفتحان وقال بعضهم المفتوح قليل فى الصفات كثير فى الاسماء مثل التنور والسمور والذود وغيرها قال بعض المشايخ حقيقة القدس الاعتلاء عن قبول التغير ومنه الارض المقدسة لانها لا تتغير بملك الكافر كما يتغير غيرها من الارضين وأتبع هذا الاسم اسم الملك لما يعرض للملوك من تغير احوالهم بالجور والظلم والاعتداء فى الاحكام وفيما يترتب عليها فان ملكه تعالى لا يعرض له ما يغيره لاستحالة ذلك فى وصفه وقال بعضهم التقديس التطهير وروح القدس جبريل عليه السلام لانه ينزل بالقدس من الله أى بما يطهر به نفوسنا من القرآن والحكمة والفيض الالهى والبيت المقدس هو المطهر من النجاسة أى الشرك أو لانه يتطهر فيه من الذنوب وكذلك الارض المقدسة وحظيرة القدس الجنة (قال الكاشفى) قدوس يعنى پاك از شوائب مناقص ومعايب ومنزه از طرق آفات ونوائب وقال الامام الغزالى رحمه الله هو المنزه عن كل وصف يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق اليه وهم أو يختلج به ضمير أو يقضى به تفكر ولست أقول منزه عن العيوب والنقائص فان ذلك يكاد يقرب من ترك الادب فليس من الادب أن يقول القائل ملك البلد ليس بحائك ولا حجام ولا حذاء فان نفى الوجود يكاد يوهم امكان الوجود وفى ذلك الايهام نقص بل أقول القدوس هو المنزه عن كل وصف من أوصاف الكمال الذى يظنه أكثر الخلق كمالا قال الزروقى رحمه الله كل تنزيه توجه الخلق به الى الخالق فهو عائد اليهم لان الحق سبحانه فى جلاله لا يقبل ما يحتاج للتنزيه منه لاتصافه بعلى الصفات وكريم الاسماء وجميل الافعال على الاطلاق فليس لنا من تقدسه الا معرفة أنه القدوس فافهم وعبد القدوس هو الذى قدسه الله عن الاحتجاب فلا يسع قلبه غير الله وهو الذى وسع قلبه الحق كما قال لا يسعنى أرضى وسمائى ويسعنى قلب عبدى ومن وسع الحق قدس عن الغير اذ لا يبقى عند تجلى الحق شئ غيره فلا يسع القدوس الا القلب المقدس من الاكوان قال بعضهم حظ العارف منه أن يتحقق أنه لا يحق الوصول الا بعد العروج من عالم الشهادة الى عالم الغيب وتنزيه السر عن المتخيلات والمحسوسات والتطواف حول العلوم الالهية والمعارف الزكية عن تعلقات الحس والخيال وتطهير القصد عن أن يحوم حول الحظوظ الحيوانية واللذائذ الجسمانية فيقبل بشراشره على الله سبحانه شوقا الى لقائه مقصورا الهم على معارفه ومطالعة جماله حتى يصل الى جناب العز وينزل بحبوحة

القدوس وخاصية هذا الاسم أنه اذا كتب سبوح قدوس رب الملائكة والروح على خبز اثر صلاة الجمعة وأكله يفتح الله له العبادة ويسلمه من الآفات وذلك بعد ذكر عدد ما رقع عليه وفى الاربعين الادريسية يا قدوس الطاهر من كل آفة فلا شئ يعادله من خلقه قال السهروردى من قرأه كل يوم ألف مرة فى خلوة أربعين يوما شاهد عجائب يد وظهرت له قوة التأثير فى العالم (السلام) ذو السلامة من كل آفة ونقص (وبالفارسية) سالم از عيوب وعالى وصبرا از ضعف وعجز وخلل وهو مصدر بمعنى السلامة وصف به للمبالغة لكونه سليما من النقائص أو فى اعطائه السلامة فيكون بمعنى التسليم كالكلام بمعنى التكليم فما ورد من قوله أنت السلام معناه أنت الذى سلم من كل عيب وبرئ من كل نقص وقوله ومنك السلام أى الذى يعطى السلامة فيسلم العاجز من المكاره ويخلصه من الشدائد فى الدارين ويستر ذنوب المؤمنين وعيوبهم فيسلمون من الخزى يوم القيامة أو يسلم على المؤمنين فى الجنة لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقوله واليك يرجع السلام اشارة الى أن كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وقوله وحينا ربنا بالسلام طلب السلامة منه فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال الامام الغزالى رحمه الله هو الذى يسلم ذاته من العيب وصفاته من النقص وأفعاله من الشر يعنى ليس فى فعله شر محض بل فى ضمنه خير أعظم منه فالمقضى بالاصالة هو الخير وهو والقدوس من الاسماء الذاتية السلبية الا أن يكون بمعنى المسلم قال الراغب السلام والسلامة التعرى من الآفات الظاهرة والباطنة قيل وصف الله بالسلام من حيث لا تلحقه العيوب والآفات التى تلحق الخلق انتهى وعبد السلام هو الذى تجلى له اسم السلام فسلمه من كل نقص وآفة وعيب فكل عبد سلم من الغش والحقد والحسد وارادة الشر قلبه وسلم من الآثام والمحظورات جوارحه وسلم من الانتكاس والانعكاس صفاته فهو الذى يأتى الله بقلب سليم وهو السلام من العباد القريب فى وصفه من السلام المطلق الحق الذى لا مثنوية فى صفاته وأعنى بالانتكاس فى صفاته أن يكون عقله أسير شهوته وغضبه اذ الحق عكسه وهو أن تكون الشهوة والغضب أسيرى العقل وطوعه فاذا انعكس فقد انتكس ولا سلامة حيث يصير الامير مأمورا والملك عبدا ولن يوصف بالسلام والاسلام الا من سلم المسلمون من لسانه ويده وخاصية هذا الاسم صرف المصائب والآلام حتى أنه اذا قرئ على مريض مائة واحدى عشرة مرة برئ بفضل الله ما لم يحضر أجله أو يخفف عنه (المؤمن) أى الموحد نفسه بقوله شهد الله أنه لا اله الا هو قاله الزجاج أو واهب الامن وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الذى آمن الناس من ظلمه وآمن من آمن من عذابه وهو من الايمان الذى هو ضد التخويف كما فى قوله تعالى وآمنهم من خوف وعنه أيضا أنه قال اذا كان يوم القيامة أخرج أهل التوحيد من النار وأول من يخرج من وافق اسمه اسم نبى حتى اذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبى قال الله لباقيه أنتم المسلمون وأنا السلام وأنتم المؤمنون وأنا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين (قال الكاشفى) ايمن كننده مؤمنان از عقوبت نيران يا داعى خلق بايمان وامان يا مصدق رسل باظهار معجزة وبرهان قال الامام الغزالى رحمه الله المؤمن المطلق هو الذى لا يتصور امن وأمان الا ويكون مستفادا من جهته وهو الله تعالى وليس يخفى أن الاعمى يخاف أن يناله هلاك من

حيث

حيث لا يرى فعينه البصيرة تشهد أمانا منه والاقطع يخاف آفة لا تندفع الا باليد واليد السليمة أمان منها وهكذا جميع الحواس والاطراف والمؤمن خالقها ومصورها ومقومها ولو قدرنا انسانا وحده مطلوبا من جهة أعدائه وهو ملقى فى مضيق لا تتحرك عليه أعضاؤه لضعفه وان تحركت فلا سلاح معه وان كان معه سلاح لم يقاوم أعداءه وحده وان كانت له جنود لم يأمن أن تنكسر جنوده ولا يجد حصنا يأوى اليه فجاء من عالج ضعفه فقواه وأمده بجنود وأسلحة وبنى حوله حصنا فقد أفاده أمنا وأمانا فبالحرى أن يسمى مؤمنا فى حقه والعبد ضعيف فى أصل فطرته وهو عرضة الامراض والجوع والعطش من باطنه وعرضة الآفات المحرقة والمغرقة والجارحة والكاسرة من ظاهره ولم يؤمنه من هذه المخاوف الا الذى أعد الادوية دافعة لامراضه والاطعمة مزيلة لجوعه والاشربة مميطة لعطشه والاعضاء دافعة عن بدنه والحواس جواسيس منذرة بما يقرب من مهلكاته ثم خوفه الاعظم من هلاك الآخرة ولا يحصنه منها الا كلمة التوحيد والله هاديه اليها ومرغبه فيها حيث قال لا اله الا الله حصنى فمن دخله أمن من عذابى فلا أمن فى العالم الا وهو مستفاد من أسباب هو منفرد بخلقها والهداية الى استعمالها وعبد المؤمن هو الذى آمنه الله من العتاب وآمنه الناس على ذواتهم وأموالهم وأعراضهم من المصطلحات فحظ العبد من هذا الوصف أن يأمن الخلق كلهم جانبه بل يرجو كل خائف الاعتضاد به فى دفع الهلاك عن نفسه فى دينه ودنياه كما قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليأمن جاره بوائقه وفى ترجمة وصايا الفتوحات اكر خواهى كه از هيچكس نترسى هيچ كس را مترسان تا از همه آمن باشى چون همه كس از تو آمن باشند شيخ أكبر قدس سره الاطهر فرموده كه در عنفوان شباب كه هنوز بدين طريق رجوع نكرده بودم در صحبت والده وجمعى در سفر بودم ناكاه ديدم كله كورخر در مرعى ومن بر صيد ايشا عظيم حريص بودم وكودكان من پاره دور بودند در نفس من اين فكر افتاد كه ايشانرا نرنجانم ودل بران نهادم وخاطررا بر ترك تعرض وايذاء ايشان تسكين كردم وحصانى كه بروى سوار بودم بجانب ايشان ميل ميكرد سراو محكم كردم ونيزه بدست من بود چون بديشان رسيدم ودر ميانه ايشان درآمدم وقت بود كه سنان نيزه بعضى ميرسيد واو در چرا كردن خود بود والله هيچ يكى سر برنداشت تا من از ميان ايشان كذشتم بعد از ان كودكان وغلامان در رسيدند وآن جماعات حمر وحش از ايشان رميدند ومتفرق شدند ومن سبب آن نمى دانستم تا وقتى كه بطريق الله رجوع كردم مرا در معامله نظر افتاد دانستم كه آن امان كه در نفس من بود در نفوس ايشان سرايت كرد وأحق العباد باسم المؤمن من كان سببا لامن الخلق من عذاب الله بالهداية الى طريق الله والارشاد الى سبيل النجاة وهذه حرفة الانبياء والعلماء ولذلك قال عليه السلام انكم تتهافتون فى النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم ولعلك تقول الخوف من الله على الحقيقة فلا مخوف الا هو فهو الذى خوف عباده وهو الذى خلق أسباب الخوف فكيف ينسب اليه الامن فجوابك ان الخوف منه والامن منه وهو خالق سبب الامن والخوف جميعا وكونه مخوفا لا يمنع كونه مؤمنا كما أن كونه مذلا لم يمنع كونه معزا بل هو المعز والمذل وكونه خافضا لم يمنع كونه رافعا بل هو الرافع الخافض فكذلك هو المؤمن المخيف لكن المؤمن ورد التوقيف به خاصة

دون الخوف وخاصية هذا الاسم وجود التأمين وحصول الصدق والتصديق وقوة الايمان في العموم لذاكره ومن ذلك أن يذكره الخائف ستا وثلاثين مرة فانه يأمن على نفسه وماله ويزداد في ذلك بحسب القوة والضعف (المهيمن) قال بعض المشايخ هذا الاسم من أسمائه التي علت علو معناها عن مجارى الاشتقاق فلا يعلم تأويله الا الله تعالى وقال بعضهم هو المبالغ في الحفظ والصيانة عن المضار من قولهم هيمن الطائر اذا نشر جناحه على فرخه حماية له وفي الارشاد الرقيب الحافظ لكل شئ وقال الزروقي هو لغة الشاهد ومنه قوله تعالى ومهيمنا عليه يعني شاهدا عالما وقال بعضهم مفيعل من الامن ضد الخوف وأصله مؤأمن بهمزتين فقلبت الهمزة الثانية ياء لكراهة اجتماعهما فصار مؤيمن ثم صيرت الاولى هاء كما قالوا في أراق الماء هراقه فيكون في معنى المؤمن (حكى) أن ابن قتيبة لما قال في المهيمن انه مصغر من مؤمن والاصل مؤيمن فأبدلت الهمزة هاء قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله قائله وذلك لان فيه ترك التعظيم وقال الامام الغزالي رحمه الله معنى المهيمن في حق الله أنه القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم وانما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه وكل مشرف على كنه الامر مستول عليه حافظ له فهو مهيمن عليه والاشراف يرجع الى العلم والاستيلاء الى كمال القدرة والحفظ الى الفعل فالجامع بين هذه المعاني اسمه المهيمن ولن يجمع ذلك على الاطلاق والكمال الا الله تعالى ولذلك قيل انه من أسماء الله تعالى في الكتب القديمة وعند المهيمن هو الذي شاهد كون الحق رقيبا شهيدا على كل شئ فهو يرقب نفسه وغيره بايفاء حق كل ذي حق عليه لكونه مظهر الاسم المهيمن يعني حظ العارف منه أن يراقب قلبه ويحفظ قواه وجوارحه ويأخذ حذره من الشيطان ويقوم بمراقبة عباد الله وحفظهم فمن عرف أنه المهيمن خضع تحت جلاله وراقبه في كل أحواله واستحيا من اطلاعه عليه فقام بمقام المراقبة لديه (حكى) أن ابراهيم بن أدهم رحمه الله كان يصلي قاعدا فجاس ومد رجليه فهتف به هاتف هكذا تجالس الملوك وان الحريري كان لا يمد رجليه في الخلوة فقيل له ليس يراك أحد فقال حفظ الادب مع الله أحق * يقول الفقير يقرب من هذا ما وقع لي عند الكعبة فاني بعد ما طفت بالبيت استندت الى مقام ابراهيم حياله فقيل لي من قبل الله تعالى ما هذا البعد في عين القرب فعلمت أن ذلك من ترك الادب في مجالسة الله معي فلم أزل الازم باب الكعبة في الصف الاول مدة مجاورتي بمكة وخاصية هذا الاسم الاشراف على البواطن والاسرار ومن قرأه مائة مرة بعد الغسل والصلاة في خلوة بجمع خاطر نال ما أراد ومن نسبته المعنوية علام الغيوب عند التأمل وفي الاربعين الادريسية يا علام الغيوب فلا يفوت شئ من علمه ولا يؤده قال السهروردي من داوم عليه قوى حفظه وذهب نسيانه (العزيز) غالب درحكم يا بخشندهٔ عزت قال بعضهم من عز اذا غلب فرجعه القدرة المتعالية عن المعارضة والممانعة أو من عز عزازة اذا قل فالمراد عديم المثل كقوله تعالى ليس كمثله شئ وقال الامام الغزالي رحمه الله العزيز هو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فما لم يجمع هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه العزيز فكم من شئ يقل وجوده ولكن اذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزا وكم من شئ يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره ولكن اذا لم يصعب الوصول اليه لم يسم عزيزا كالشمس مثلا

فانهما لانظير لهما والارض كذلك والنفع عظيم في كل واحد منهما والحاجة شديدة اليهما ولكن لا توصفان بالعزة لانه لا يصعب الوصول الى مشاهدتهما فلا بد من اجتماع المعاني الثلاثة ثم في كل واحد من المعاني الثلاثة كمال ونقصان فالكمال في قلة الوجود أن يرجع الى الواحد اذ لا أقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله وليس هذا الا الله تعالى فان الشمس وان كانت واحدة في الوجود فليست واحدة في الامكان فيمكن وجود مثلها والكمال في النفاسة وشدة الحاجة أن يحتاج اليه كل شئ في كل شئ حتى في وجوده وبقائه وصفاته وليس ذلك الكمال الا لله تعالى وعبد العزيز هو الذي أعزه الله بتجلي عزته فلا يغلبه شئ من أيدي الحدثان والاكوان وهو يغلب كل شئ قال الغزالي رحمه الله العزيز من العباد من يحتاج اليه عباد الله في مهام أمورهم وهي الحياة الاخروية والسعادة الابدية وذلك مما يقل لا محالة وجوده ويصعب ادراكه وهذه رتبة الانبياء عليهم السلام ويشاركهم في العز من يتفرد بالقرب منهم أي من درجتهم في عصرهم كالخلفاء وورثتهم من العلماء وعزة كل واحد بقدر علو رتبته عن سهولة النيل والمشاركة وبقدر غنائه في ارشاد الخلق وقال بعضهم حظ العبد من هذا الاسم أن يعز نفسه فلا يهينها بالمطامع الدنية ولا يدنسها بالسؤال من الناس والافتقار اليهم قيل انما يعرف عزيزا من أعز أمر الله بطاعته فأما من استهان بأوامره فمن المحال أن يكون متحققا بعزته وقال الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله والله ما رأيت العز الا في رفع الهمة عن المخلوقين فمن عرف أنه العزيز لا يعتقد لمخلوق جلالا دون جلال الله تعالى فالعزيز بين الناس في المشهور من جعله الله ذا قدر ومنزلة بنوع شرف باق أو فان فمنهم من يكون عزيزا بطاعة الله تعالى ومنهم من يكون بالجاه ومنهم من يكون عزيزا بالعلم والمعرفة والكمال ومنهم من يكون بالسطوة والشوكة والمال ثم منهم من يكون عزيزا في الدارين ومنهم من يكون في الدنيا الا في العقبى ومنهم من يكون على العكس فكم من ذليل عند الناس عزيز عند الله وكم من عزيز عند الناس ذليل عند الله والعزيز عند المولى هو الاصل والاولى قال في أبكار الافكار غير رسول الله عليه السلام اسم العزيز لان العزة لله وشعار العبد الذلة والاستكانة وخاصية هذا الاسم وجود الغنى والعز صورة أو حقيقة أو معنى فمن ذكره أربعين يوما في كل يوم أربعين مرة أعانه الله وأعزه فلم يحوجه الى أحد من خلقه وفي الاربعين الادريسية يا عزيز المنيع الغالب على أمره فلا شئ يعادله قال السهروردي رحمه الله من قرأه سبعة أيام متواليات كل يوم ألفا أهلك خصمه وان ذكره في وجه العسكر سبعين مرة ويشير اليهم بيده فانهم ينهزمون (الجبار) الذي جبر خلقه على ما أراد أي قهرهم وأكرههم عليه أو جبر أحوالهم أي أصلحها فعلى هذا يكون الجبار من الثلاثي لا من الافعال وجبر بمعنى أجبر لغة تميم وكثير من الحجازيين واستدل بورود الجبار من يقول ان أمثلة المبالغة تأتي من المزيد على الثلاثي فانه من أجبره على كذا أي قهره وقال الفراء لم أسمع فعالا من أفعل الا في جبار ودراك فانهما من أجبر وأدرك قال الراغب أصل الجبر اصلاح الشئ بضرب من القهر وقد يقال في الاصلاح المجرد نحو قول علي رضي الله عنه يا جابر كل كسير ومسهل كل عسير والاجبار في الاصل حمل الغير على أن يجبر الامر لكن تعورف في الاكراه المجرد وسمي الذين يدعون أن الله تعالى يكره العباد على المعاصي في تعارف المتكلمين مجبرة وفي قول المتقدمين جبرية والجبارية

فى صفة الانسان بقال ان يجبر نفسه بادعاء منزلة من المعالى لا يستحقها وهذا الايقال الاعلى طريقة الذم وفى وصف الله لانه الذى يجبر الناس بفائض نعمه أو يقهرهم على مايريده من مرض وموت وبعث وفوز وعار وهو لا يقهر الاعلى ماتقتضى الحكمة أن يقهر عليه فالجبار المطلق هو الذى ينفذ مشيئته على سبيل الاجبار فى كل أحد ولا ينفذ فيه مشيئة أحد روى أن فى بعض الكتب الالهية عبدى تريد وأريد ولا يكون الا ماأريد فان رضيت بما أريد كفيتك ماتريد وان لم ترض بما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ماأريد وعبد الجبار هو الذى يجبر كسر كل شئ ونقصه لان الحق جبر حاله وجعله بتجلى هذا الاسم جابر الحال كل شئ مستعليا عليه ومن علم أنه الجبار دق فى عينه كل جبار وكان راجعا اليه فى كل أمر بوصف الافتقار بجبر المكسور من أحواله وترك النقص من آماله فتم له الاسلام والاستسلام وارتفعت همته عن الاكوان فيكون جبارا على نفسه جابر الكسر عباده وقال بعضهم حظ العارف من هذا الاسم أن يقبل على النفس ويجبر نقائصها باستكمال الفضائل ويحملها على ملازمة التقوى والمواظبة على الطاعة ويكسر منها الهوى والشهوات بأنواع الرياضات ويترفع عما سوى الحق غير ملتفت الى الخلق فيتحلى بحلى السكينة والوقار بحيث لا يزلزله تعاور الحوادث ولا يؤثر فيه تعاقب النوازل بل يقوى على التأثير فى الانفس والآفاق بالارشاد والاصلاح وقال الامام الغزالى رحمه الله الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء ومتابعته فى سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد ويؤثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع ولا يشاهده أحد الا ويفنى عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفى الهم غير ملتفت الى ذاته ولا يطمع أحد فى استدراجه واستتباعه وانما تحلى بهذا الوصف سيد الاولين والآخرين عليه السلام حيث قال لو كان موسى بن عمران حيا ماوسعه الا اتباعى وأنا سيد ولد آدم ولا فخر وخاصية هذا الاسم الحفظ من ظلم الجبابرة والمعتدين فى السفر والاقامة يذكر بعد قراءة المسبعات عشرا صباحا ومساء احدى وعشرين مرة ذكره الزروقى فى شرح الاسماء الحسنى (المتكبر) الذى تكبر عن كل مايوجب حاجة أو نقصانا أو البليغ الكبرياء والعظمة يعنى ان صيغة التفعل للتكلف بما لم يكن فاذا قيل تكبر فلان دل على أنه يرى ويظهر الكبر والسخاء وليس بكبير ولا سخى والتكلف بما لم يكن لما كان مستحيلا فى حق الله تعالى حمل على لازمه وهو أن يكون ماقام به من الفعل على أتم مايكون وأكمله من غير أن يكون هناك تكلف واعتمال حقيقة ومنه ترحمت على ابراهيم يعنى رحمته كمال الرحمة وأتممتها عليه فاذا قيل انه تعالى متكبر كان المعنى أنه البالغ فى الكبر أقصى المراتب روى عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال رأيت رسول الله عليه السلام قائما على هذا المنبر يعنى منبر رسول الله فى المدينة وهو يحكى عن ربه تعالى فقال ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة جمع السموات والارضين فى قبضته تبارك وتعالى ثم قال هكذا وشد قبضته ثم بسطها ثم يقول أنا الله أنا الرحمن أنا الرحيم أنا الملك أنا القدوس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن أنا العزيز أنا الجبار أنا المتكبر أنا الذى بدأت الدنيا ولم تك شيأ أنا الذى أعدتها أين الملوك أين الجبابرة * قهار بى منازع وغفار بى ملال * ديان بى عادل وسلطان بى سپاه * با امرا واضافت شاهى بود جنان * بريك دو چوب پاره

زشطرنج نام شاه * قال الراغب التكبر يقال على وجهين أحدهما أن تكون الافعال الحسنة كثيرة فى الحقيقة وزائدة على محاسن غيره وعلى هذا وصف الله بالمتكبر وهو ممدوح والثانى أن يكون متكلفا لذلك متشبعا وذلك فى وصف عامة الناس والموصوف به مذموم وفى الحديث الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى شئ منهما قصمته قال بعضهم الفرق بين المتكبر والمستكبر أن المتكبر عام لاظهار الكبر الحق كما فى أوصاف الحق تعالى ولاظهار الكبر الباطل كما فى قوله سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق والكبر ظن الانسان أنه أكبر من غيره والتكبر اظهاره ذلك كما فى العوارف والاستكبار اظهار الكبرياء باطلا كما فى قوله تعالى فى حق ابليس استكبر وغير ذلك كما تجده فى موارد استعمالاته فى القرآن والحديث وقال فى الاسئلة المقحمة ما معنى المتكبر من أسماء الله فان التكبر مذموم فى حق الخلق والجواب معناه هو المتعظم عما لا يليق به سبحانه وهو من الكبرياء لا من التكبر ومعناه المبالغة فى العظمة والكبرياء فى الله وهو الامتناع عن الانقياد فلهذا كان مذموما فى حق الخلق وهو صفة مدح فى حق الله تعالى انتهى فان قلت ما تقول فى قوله عليه السلام حين قال له عمه أبو طالب ما أطوع ربك لك يا محمد وأنت يا عم لو أطعته أطاعك قلت هذه الاطاعة والانقياد للمطيع لا للخارج عن أمره فلا ينافى عدم انقياده لغيره فهو المتكبر للمتكبر كما أنه المطيع للمطيع قال بعضهم المتكبر هو الذى يرى غيره حقيرا بالاضافة الى ذاته فينظر الى الغير نظر المالك الى عبده وهو على الاطلاق لا يتصور الا لله تعالى فانه المتفرد بالعظمة والكبرياء بالنسبة الى كل شئ من كل وجه ولذلك لا يطلق على غيره تعالى الا فى معرض الذم لما أنه يفيد التكلف فى اظهار ما لا يكون قال عليه السلام تحاجت النار والجنة فقالت هذه يدخلنى الجبارون المتكبرون وقالت هذه يدخلنى الضعفاء والمساكين فقال الله لهذه أنت عذابى أعذب بك من أشاء وقال لهذه أنت رحمتى أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها ومن عرف علوه تعالى وكبرياءه لازم طريق التواضع وسلك سبيل التذلل قيل الفقير فى خلقه أحسن منه فى جديد غيره فلا شئ أحسن على الخدم من لباس التواضع بحضرة السادة قال بعض الحكماء ما أعز الله عبدا بمثل ما يدل على ذل نفسه وما أذله بمثل ما يدل على عز نفسه (حكى) أن بعضهم قال رأيت رجلا فى الطواف وبين يديه خادمان يطردان الناس ثم بعد ذلك رأيته يتكفف على جسر فسألته عن ذلك فقال انى تكبرت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى الله فى موضع يترفع فيه الناس وعبد المتكبر هو الذى فنى تكبره بتذلله للحق حتى قام كبرياء الله مقام كبره فيتكبر بالحق على ما سواه فلا يتذلل للغير قال الامام الغزالى قدس سره المتكبر من العباد هو الزاهد ومعنى زهد العارف أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتكبر فى كل شئ سوى الله تعالى فيكون مستحقرا للدنيا والآخرة مترفعا عن أن يشغله كلتاهما عن الحق وزهد غير العارف معاملة ومعاوضة فهو انما يشترى بمتاع الدنيا متاع الآخرة فيترك الشئ عاجلا طمعا فى اضعافه آجلا وانما هو سلم ومبايعة ومن استعبدته شهوة المطعم والمنكح فهو حقير وانما المتكبر من يستحقر كل شهوة وحظ يتصور أن تشاركه فيها البهائم وخاصية هذا الاسم الجليل ظهور الخير والبركة حتى ان من ذكره ليلة دخوله بزوجته عند دخوله عليها وقرأه قبل جماعها عشرا رزق منها ولدا صالحا ذكرا وفى الاربعين الادريسية يا جليل المتكبر على كل شئ

فالعدل أمره والصدق وعده قال السهروردى رحمه الله مداومته بلا فترة يجل قدره ويعز أمره
ولا يقدر أحد على معارضته بوجه ولا بحال (سبحان الله عما يشركون) تنزيه له تعالى عما
يشركون به تعالى أو عن اشراكهم به اثر تعداد صفات لا يمكن أن يشاركه تعالى فى شئ منها شئ ما
أصلا اى سبحوا الله تسبيحا ونزهوه تنزيها عما يشركه الكفار به من المخلوقات فالله تعالى أورده
لاظهار كمال كبريائه أو للتعجب من اثبات الشريك بعد ما عاينوا آثار اتصافه بجلال الكبرياء
وكمال العظمة * وفى التأويلات النجمية قوله سبحانه هو الله الذى لا اله الا هو الملك الخ يشير الى
وحدانية ذاته وفردانية صفاته وتصرفه فى الاشياء على مقتضى حكمته الازلية والى نزاهته
من النقائص الامكانية ووصف الامن من العدم المحض بسبب التحقق بالوجود المطلق والى حفظ
الاشياء فى عين شيئيته واعزازه أولياءه وقهره واذلاله أعداءه والى كمال كبريائه بظهوره فى جميع
المظاهر والى نزاهة ذاته عما يشركون معنى فى ذاته وفى صفاته وفى عرائس البقلى سبحان الله عما
يشركون اليه بالنواظر والخواطر انتهى (هو الله الخالق) أى المقدر للاشياء على مقتضى حكمته
ووفق مشيئته فان أصل معنى الخلق التقدير كما يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بقياس
وان شاع فى معنى الايجاد على تقدير واستواء سواء كان من مادة كخلق الانسان من نطفة ونحوه
أو من غير مادة كخلق السموات والارض وعبد الخالق هو الذى يقدر الاشياء على وفق مراد
الحق لتجليه له بوصف الخلق والتقدير فلا يقدر الا بتقديره تعالى وخاصية هذا الاسم أن يذكر
فى جوف الليل ساعة فما فوقها فيتنور قلب ذاكره ووجهه وفى الاربعين الادريسية خالق من فى
السموات ومن فى الارض وكل اليه معاده قال السهروردى يذكر لجمع الضائع والغائب البعيد
الغيبة خمسة آلاف مرة (البارئ) الموجد للاشياء بريئة من التفاوت فان البرء الايجاد على
وجه يكون الموجد بريئا من التفاوت والنقصان عما يقتضيه التقدير على الحكمة البالغة
والمصلحة الكاملة وعبد البارئ هو الذى يبرأ عمله من التفاوت والاختلاف فلا يفعل الا ما يناسب
حضرة الاسم البارئ متعادلا متناسبا بريئا من التفاوت كقوله تعالى ما ترى فى خلق الرحمن من
تفاوت وخاصية هذا الاسم أن يذكره سبعة أيام متوالية كل يوم مائة مرة للسلامة من الآفات
حتى من تعدى التراب عليه فى القبر وفى الاربعين الادريسية يا بارئ النفوس بلا مثال خلا من
غيره قال السهروردى يفتح لذاكره أبواب الغنى والعز والسلامة من الآفات واذا كتب فى
لوح من قبر وعلق على المجنون نفعه وكذلك أصحاب الامراض الصعبة (المصور) الموجد لصور
الاشياء وكيفياتها كما أراد يعنى بخشنده صورت هر مخلوق كما صور الاولاد فى الارحام بالشكل
واللون المخصوص فان معنى التصوير تخصيص الخلق بالصور المتميزة والاشكال المتعينة قال
الراغب الصورة ما تتميز به الاعيان عن غيرها وهى محسوسة كصورة الانسان ومعقولة كالعقل
وغيره من المعانى وقوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته أراد بالصورة ما خص الانسان
به من الهيئة المدركة بالبصر وبالبصيرة وبها فضله على كثير من خلقه واضافته الى الله على سبيل
الملك لا على سبيل البعضية والتشبيه بل على سبيل التشريف له كقوله بيت الله وناقة الله وروح
الله * يقول الفقير الضمير المجرور فى صورته يرجع الى الله لا الى آدم والصورة الالهية عبارة عن
الصفات السبع المرتبة وهى الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وآدم

مظهر هذه الصفات بالفعل بخلاف سائر الموجودات واطلاق الصورة على الله تعالى مجاز عند
أهل الظاهر اذ لا تستعمل في الحقيقة الا في المحسوسات وأما عند أهل الحقيقة فحقيقة لان العالم
الكبير بأسره صورة الحضرة الالهية تفرقا وتفصيلا وآدم صورته جمعا واجمالا * اى زهمه صورت
خوب تو به * صورك الله على صورته * روى تو آينه حق بينى است * در نظر مردم خود بين منه
* بلكه حق آينه وتو صورتى * وهم تو بى را ميان ره مده * صورت از آينه نباشد جدا * أنت به
متحد فانتبه * هركه سر رشته وحدت نيافت * پيش وى اين نكته بود مشتبه * رشته يكى دان
وكره صد هزار * كيست كزين نكته كشايد كره * هركه چو پيمانه بكره بند شد * كر بسر رشته رود
باز به * والحاصل أن الخالق هنا المقدر على الحكمة الملائمة لنظام العالم والبارئ الموجد على
ذلك التقدير والمصور المبدع لصور الكائنات وأشكال المحدثات بحيث يترتب عليها خواصهم
ويتم بها كمالهم وبهذا ظهر وجه الترتيب بينها واستلزام التصوير البرء والبرء الخلق استلزام
الموقوف للموقوف عليه كما قال الامام الغزالي رحمه الله وقدس سره قد يظن أن هذه الاسماء
مترادفة وأن الكل يرجع الى الخلق والاختراع ولا ينبغي أن يكون كذلك بل كل ما يخرج من
العدم الى الوجود يفتقر الى التقدير أولا والى الايجاد على وفق التقدير ثانيا والى التصوير بعد
الايجاد ثالثا والله تعالى خالق من حيث انه مقدر وبارئ من حيث انه مخترع موجد ومصور
من حيث انه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب وهذا كالبناء مثلا فانه يحتاج الى مقدر
يقدر ما لا بد منه من الخشب واللبن ومساحة الارض وعدد الابنية وطولها وعرضها وهذا
يتولاه المهندس فيرسمه ويصوره ثم يحتاج الى بناء يتولى الاعمال التي عندها تحدث وتحصل
أصول الابنية ثم يحتاج الى مزين ينقش ظاهره ويزين صورته فيتولاه غير البناء هذه هي العادة
في التقدير والبناء والتصوير وليس كذلك في أفعال الله تعالى بل هو المقدر والموجد والمزين
فهو الخالق البارئ المصور فقدم ذكر الخالق على البارئ لان الارادة والتقدير متقدمة على تأثير
القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات متقدم على ايجاد الصفات وعن حاطب بن أبي
بلتعة رضي الله عنه أنه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء الذي يبرئ المصور أى يميز
ما يصوره بتفاوت الهيآت واختلاف الاشكال وعبد المصور هو الذي لا يتصور ولا يصور
الا ما طابق الحق ووافق تصويره لان فعله يصدر عن مصوريته تعالى ولذا قال بعضهم حظ العارف
من هذه الاسماء أن لا يرى شيأ ولا يتصور أمرا الا ويتأمل فيما فيه من باهر القدرة وعجائب
الصنع فيترقى من المخلوق الى الخالق وينتقل من ملاحظة المصنوع الى ملاحظة الصانع حتى
يصير بحيث كلما نظر الى شئ وجد الله عنده وخاصية الاسم المصور الاعانة على الصنائع العجيبة
وظهور الثمار ونحوها حتى ان العاقر اذا ذكرته في كل يوم احدى وعشرين مرة على صوم بعد
الغروب وقبل الافطار سبعة أيام زال عقمها وتصور الولد في رحمها باذن الله تعالى (له الاسماء
الحسنى) لدلالتها على المعاني الحسنة كما سبق في سورة طه (قال الكاشفى) مر اوراست
نامهاى نيكى كه در شرع وعقل پسنديده ومستحسن باشد والحسنى صيغة تفضيل لانها تأنيث
الاحسن كالعليا في تأنيث الاعلى ووصف الاسماء بها للزيادة المطلقة اذ لا نسبة لاسمائه الى غير
الاسماء من أسماء الغير كما لا نسبة لذاته المتعالية الى غير الذوات من ذوات الغير وأسماء الله تسعة

وتسعون على ما جاء فى الحديث ونقل صاحب اللباب عن الامام الرازى أنه قال رأيت فى بعض
كتب الذكر ان لله تعالى أربعة آلاف اسم ألف منها فى القرآن والاخبار الصحيحة وألف فى
التوراة وألف فى الانجيل وألف فى الزبور روى أن من دعاء رسول الله عليه السلام أسألك
بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم
الغيب فلعل كونها تسعة وتسعين بالنظر الى الاشهر الاشرف الاجمع وتعدد الاسماء لا يدل على
تعدد المسمى لان الواحد يسمى أبا من وجه وجدا من وجه وخالا من وجه وعما من وجه وذاته
متحدة قال عبد الرحمن البسطامى قدس سره فى ترويح القلوب اعلم أن من السر المكتوم فى
الدعاء أن تأخذ حروف الاسماء التى تذكر بها مثل قولك الكبير المتعال ولا تأخذ الالف
واللام بل تأخذ كبير متعال وتنظر كم لها من الاعداد بالجمل الكبير فتذكر ذلك العدد
فى موضع خال من الاصوات بالشرائط المعتبرة عند أهل الخلوة لا تزيد على العدد ولا تنقص منه
فانه يستجاب لك بالوقت وهو الكبريت الاحمر باذن الله تعالى فان الزيادة على العدد المطلوب
اسراف والنقص منه اخلال والعدد فى الذكر بالاسماء كاسنان المفتاح لانها ان زادت أو نقصت
لا تفتح الباب وقس عليه باب الاجابة فافهم السر وصن الدر ثم اعلم أن العارفين يلاحظون
فى الاسماء آلة التعريف وأصل الكلمة والملامتية يطرحون منها آلة التعريف لانها زائدة
على أصل الكلمة قال العلماء الاسم هو اللفظ الدال على المعنى بالوضع والمسمى هو المعنى الموضوع
له والتسمية وضع اللفظ له أو اطلاقه عليه واطلاق الاسم على الله تعالى توقيفى عند البعض بحيث
لا يصح اطلاق شئ منه عليه الا بعد ان كان واردا فى القرآن أو الحديث الصحيح وقال آخرون
كل لفظ دل على معنى يليق بجلال الله وشأنه فهو جائز الاطلاق والا فلا ومن أدلة الاولين ان الله
عالم بلا مرية فيقال له عالم وعليم وعلام لوروده فى الشرع ولا يقال له عارف أو فقيه أو متيقن
الى غير ذلك مما يفيد معنى العلم ومن أدلة الآخرين أن أسماء الله وصفاته مذكورة
بالفارسية والتركية والهندية وغيرها مع أنها لم ترد فى القرآن والحديث ولا فى الاخبار وان
المسلمين أجمعوا على جواز اطلاقها ومنها أن الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها والاسم
لا يحسن الا لدلالته على صفات الكمال ونعوت الجلال فكل اسم دل على هذه المعانى كان اسما
حسنا وأنه لا فائدة فى الالفاظ الا رعاية المعانى فاذا كانت المعانى صحيحة كان المنع من اطلاق
اللفظ المفيد غير لائق غاية ما فى الباب أن يكون وضع الاسم علما له مستحدثا وذكر ما يوهم معنى
غير لائق به تعالى ليس بأدب أما ذكر ما هو دال على معنى حسن ليس فيه ايهام معنى مستنكر
مستنفر فليس فيه من سوء الادب شئ (يسبح له ما فى السموات والارض) ينطق بتنزهه عن جميع
النقائص تنزها ظاهرا قال فى كشف الاسرار يسبح له جميع الاشياء اما بيانا أو نطقا واما برهانا
وخلقا وقد مر الكلام فى هذا التسبيح مرارا وجمهور المحققين على أنه تسبيح عبارة وهو لا ينافى
تسبيح الاشارة وكذا العكس (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها
وتشعبها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم قال الامام الغزالى رحمه الله الحكيم ذو الحكمة
والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الاشياء بأجل العلوم وأجل الاشياء هو الله تعالى وأجل العلوم
هو العلم الازلى الدائم الذى لا يتصور زواله فليس يعلم الله حقيقة الا الله ومن عرف جميع الاشياء

ولم يعرف الله بقدر الطاقة البشرية لم يستحق أن يسمى حكيما فمن عرف الله فهو حكيم وان كان ضعيف القوة فى العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها الا أن نسبة حكمة العبد الى حكمة الله كنسبة معرفته الى معرفته بذاته وشتان بين المعرفتين فشتان بين الحكمتين ولكنه مع بعده عنه هو أنفس المعارف وأكثرها خيرا ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب وعبد الحكيم هو الذى بصره الله بمواقع الحكمة فى الاشياء ووفقه للسداد فى القول والصواب فى العمل فلا يرى خللا فى شئ الا يسده ولا فسادا الا يصلحه وخاصية هذا الاسم دفع الدواهى وفتح باب الحكمة فمن أكثر ذكره صرف الله عنه ما يخشاه من الدواهى وفتح له باب الحكمة وانما مدح الله نفسه بهذه الصفات العظام تعليما لعباده المدح بصفاته العلا بعد فهم معانيها ومعرفة استحقاقه بذلك طلبا لزيادة تقربهم اليه قال أبو الليث فى تفسيره فان قال قائل قد قال الله فلا تزكوا أنفسكم فما الحكمة فى أن الله تعالى نهى عباده عن مدح أنفسهم ومدح نفسه قيل له عن هذا السؤال جوابان أحدهما أن العبد وان كان فيه خصال الخير فهو ناقص واذا كان ناقصا لا يجوز له أن يمدح نفسه والله تعالى تام الملك والقدرة فيستوجب بهما المدح فمدح نفسه ليعلم عباده فيمدحوه والجواب الآخر أن العبد وان كان فيه خصال الخير فتلك افضال من الله تعالى ولم يكن ذلك بقوة العبد فلهذا لا يجوز أن يمدح نفسه ونظير هذا أن الله تعالى نهى عباده أن يمنوا على أحد بالمعروف وقد من على عباده للمعنى الذى ذكر فى المدح قال بعض الكبار تزكية الانسان لنفسه سم قاتل وهى من باب شهادة الزور لجهله بمقامه عند الله الا أن يترتب على ذلك مصلحة دينية فللانسان ذلك كما قال عليه السلام أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر أى لا أفتخر عليكم بالسيادة انما الفخر بالعبودية والفخر بالذات لا يكون الا لله وحده وأما الفخر فى عباده فانما هو للرتب فيقال صفة العلم أفضل من صفة الجهل ونحو ذلك ولا يخفى أن الرتب نسبة عدمية فما افتخر من افتخر الا بالعدم ولذلك أمر الله نبيه أن يقول انما أنا بشر مثلكم فلم ير لذاته فضلا على غيره ثم ذكر شرف الرتبة بقوله يوحى الى اعلم أن الاولى لك أن تسكت عن بحثين وتكل العلم فيهما الى الله العليم الخبير أحدهما ما يكون بين العلماء من أن صفات الله الثابتة هل هى موجودات بوجودات مستقلة غير وجوده تعالى أو لا بعد الايمان باتصافه تعالى بها وكمالها ودوامها والثانى ما يكون بين المشايخ من أن الوجود هل هو واحد والله سبحانه وتعالى هو ذلك الوجود وسائر الموجودات مظاهر له لا وجود لها بالاستقلال أوله تعالى وجود زائد على ذاته واجب لها مقتضية هى اياه ولغيره تعالى من الموجودات وجودات أخر غير الوجود الواجب على ما هو البحث الطويل بينهم والى ذلك يرشد لئما قالوا من أن ما اتصف الله به فهو واجب لا يتغير أصلا وما لم يتصف به فهو ممتنع لا يكون قطعا فاذا اختلف اثنان فى ذاته وصفاته تعالى فلا يجزم أن واحدا منهما ما ينفى الواجب أو يثبت الممتنع وكلاهما مشكل وان ما أبهم علمه فالادب فيه السكوت بعد الايمان بما ظهر من القرآن والحديث واتفاق الصحابة رضى الله عنهم فان المرء لا يسأل الا عن علم لزمه فى اقامة الطاعة وادامة العبادة لمولاه قال صاحب الشرعة ولا يناظر أحد فى ذات الله وصفاته المتعالى عن القياس والاشباه والاوهام والخطرات وفى الحديث ان هلاك هذه الامة اذا نطقوا فى ربهم وان ذلك من أشراط الساعة

قد كان عليه السلام يخر ساجدا لله تعالى متى ما سمع ما يعالى عنه رب العزة ولا يجيب السائل عن الله الا بمثل ما جاء به القرآن فى آخر سورة الحشر من ذكر أفعاله وصفاته ولا يدقق الكلام فيه تدقيقا فان ذلك من الشيطان وضرر ذلك وفساده أكثر من نفعه قال بعض الكبار ما فى الفرق الاسلامية أسوأ حالا من المتكلمين لانهم ادعوا معرفة الله بالعقل على حسب ما أعطاهم نظرهم القاصر فان الحق منزه عن أن يدرك أو يعلم بأوصاف خلقه عقلا كان أو علما روحا كان أو سرا فان الله ما جعل الحواس الظاهرة والباطنة طريقا الا الى معرفة المحسوسات لا غير والعقل بلا شك منها فلا يدرك الحق بها لانه تعالى ليس بمحسوس ولا بمعلوم معقول وقد تبين لك بهذا خطأ جميع من تكلم فى الحق وصفاته بما لم يعلمه من الحق ولا من رسله عليهم السلام وقال بعض العارفين سبب توقف العقول فى قبول ما جاء فى الكتاب والسنة من آيات الصفات وأخبارها حتى يؤول مضمونها وعدم ذوقها فلو ذاقوا كاذاقة الانبياء وعملوا على ذلك بالايمان كما عملت الطائفة لأعطاهم الكشف ما أحاله العقل من حيث فكره ولم يتوقفوا فى نسبة تلك الاوصاف الى الحق فاعلم ذلك واعمل به تعرف أن علم القوم هو الفلك المحيط الحاوى على جميع العلوم (حكى) أن الفاضل محمدا الشهرستانى صاحب كتاب الملل والنحل كان من كبار المتكلمين وفحولهم وكان له بحث كثير فى علم الكلام ربما لم يسبق اليه سواه حتى جمع فى ذلك الكتاب تلك المباحث القطعية ثم انتهى أمره الى العجز فيه والتحير فى ذاته حتى رجع الى مذهب العجائز فقال عليكم بدين العجائز فانه من أسنى الجوائز وأنشد

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها * وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كف حائر * على ذقن أو قارعا سن نادم

ثم قال والوجه أن يعتقد العبد الدين الذى جاء به محمد عليه السلام ودعا اليه واليه أناب ولا يدخل فى ذلك شيأ من نظر عقله لا فى تنزيه ولا فى تشبيه بل يؤمن بكل آية جاءت فى ذات الله وصفاته على بابها ويكل علمها الى الله الذى وصف ذاته بها هذا هو طريق السلامة والدين الصحيح وعلى ذلك كانت الصحابة والسلف الصالحون رضى الله عنهم واليه ينتهى الراسخون فى العلم والعقلاء المحققون عند آخر أمرهم ومن فقهه الله سبحانه عليه وآل نظره اليه ومن بقى على ما أعطاه نظره واجتهاده فليس ذلك بمتبع محمدا عليه السلام فيما جاء به مطلقا لانه أدخل فيه حاصل نظره وتأويله واتكل على رأيه وعقله وهذه وصيتى اليكم ان أردتم السلامة وعدم المطالبة ومن أراد غير ذلك لم ينج من السؤال وكان على خطر فى المآل لان التطلع بما أراد الله غير قانا رأينا العقلاء اختلفت أدلتهم فى الله فالمعتزلى يخالف الاشعرى وبالعكس وهم يخالفون الحكماء وبالعكس كل طائفة تجهل الاخرى وتكفرها فعلمنا أن سبب ذلك هو اختلاف نظرهم وعدم عثورهم على الدليل الصحيح اما كلهم أو بعضهم ورأينا الانبياء عليهم السلام لم يختلف منهم اثنان فى الله قط عز وجل وكل دعوا اليه تعالى على باب واحد وكان اختلافهم فى فروع الاحكام بحكم الله تعالى لا فى أصولها قط قال الله تعالى سبحانه شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فقوله ولا تتفرقوا فيه دليل على اجتماعهم على أمر واحد فى الاصول لان الفروع معلومة بوقوع

الاختلاف

الاختلاف فيها وذلك لايضر وانما يضر الاختلاف فى الاصول اذ لو وقع الاختلاف فيها لما وقع الاتفاق ولكانت الدعوة لاتصح لان الاله الذى يدعو اليه هذا غير الاله الذى يدعو ذلك اليه والله تعالى قال والهكم اله واحد وعم الطوائف كلها من آدم عليه السلام بالخطاب وهلم جرا الى يوم القيامة الى هنا من كلامه أورده حضرة الشيخ صدر الدين قدس سره فى رسالته المعمولة وصية للطالبين وعظة للراغبين ثم اعلم أن من شرف هذه الاسماء المذكورة فى الآخر ما قال أبو هريرة رضى الله عنه سألت حبيبى رسول الله عليه السلام عن اسم الله الاعظم فقال هو فى آخر الحشر وفى عين المعانى قال عليه السلام سألت جبريل عن اسم الله الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فاكثر قراءته فأعدت عليه فأعاد على وعنه عليه السلام من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه وفى بعض الروايات يحرسونه حتى يمسى فان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة رواه معقل بن يسار رضى الله عنه وانما جمع بين الاستعاذة وقراءة آخر الحشر والله أعلم لان فى الاستعاذة الاشعار بكمال العجز والعبودية وفى آخر الحشر الاقرار بجلال القدرة والعظمة والربوبية فالاول تخلية عن العجب والثانى تحلية بالايمان الحق وبهما يتحقق منزل قوله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فيترتب عليه قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا الآية كما فى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى رحمه الله وعن أبى امامة رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ خواتيم الحشر من ليل أونهار فقبض من ذلك اليوم أو الليلة فقد استوجب الجنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولانار ولاعرش ولاكرسى ولاحجاب ولاالسموات السبع والارضون السبع والهوام والطير والريح والشجر والدواب والجبال والشمس والقمر والملائكة الاصلوا عليه فان مات أى من يومه أوليلته مات شهيدا كما فى كشف الاسرار وقوله مات شهيدا أى يثاب ثواب الشهادة على مرتبة وللشهادة مراتب قدمرت

تمت سورة الحشر فى أواخر شهر الله رجب المنتظم فى سلك شهور سنة خمس عشرة ومائة وألف

(سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لعل الممتحنة مأخوذة من قول الله تعالى فيما بعد يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن أمر الله المؤمنين هناك بالامتحان فهم الممتحنون بكسر الحاء مجازا للمبالغة واضيفت السورة اليها وسميت بسورة الممتحنة مثل سورة الفاتحة قيل ان اضافة السورة الى الفاتحة من قبيل اضافة العام الى الخاص ولا بعد أن تكون من قبيل اضافة المسمى الى اسمه مثل كتاب الكشاف فان الفاتحة من جملة أسماء سورة الفاتحة وقس على ذلك سورة الممتحنة ويحتمل أن يكون المراد الجماعة الممتحنة أى المأمور بامتحانهم ويؤيده ماروى أنه

قد تفتح الحاء فيكون المراد النساء المختبرة فالاضافة بمعنى اللام التخصيصية أي سورة تذكر فيها النساء الممتحنة مثل سورة البقرة وأمثالها ويحتمل أن يكون مصدرا ميميا بمعنى الامتحان على ماهو المشهور من أن المصدر الميمي وأسماء المفعول والزمان والمكان فيما زاد على الثلاثي تكون على صيغة واحدة أي سورة الامتحان مثل سورة الاسراء وغيرها (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) نزلت في حاطب بن أبي بلتعة العبسي وحاطب بالحاء المهملة قال في كشف الاسرار ولد في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصله من الازد وهو حي باليمن وأعتقه عبيد الله بن حميد بن زهير الذي قتله علي رضي الله عنه يوم بدر كافرا وكان حاطب يبيع الطعام ومات بالمدينة وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان من المهاجرين وشهد بدرا وبيعة الرضوان وعم الله الخطاب في الآية تعميما للنصح والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر أوقع على الجمع ايقاعه على الواحد والمراد هنا كفار قريش وذلك أنه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم للغزو الفتح في السنة الثامنة من الهجرة كتب حاطب الى أهل مكة أن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فانه قد توجه اليكم في جيش كالليل وأرسل الكتاب مع سارة مولاة بني عبد المطلب أي معتقتهم وأعطاها عشرة دنانير وبردة وكانت سارة قدمت من مكة وكانت مغنية فقال لها عليه السلام لماذا جئت فقالت جئت لتعطيني شيأ فقال ما فعلت بعطياتك من شبان قريش فقالت منذ قتلتهم ببدر لم يصل الى شيء الا القليل فأعطاها شيأ فرجعت الى مكة ومعها كتاب حاطب فنزل جبرائيل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله عليه السلام عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ موضع بين الحرمين وخاخ بالمعجمتين ينصرف ويمنع فان بها ظعينة وهي المرأة مادامت في الهودج واذا لم تكن فيه فهي المرأة معها كتاب حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت فسل علي رضي الله عنه سيفه فأخرجته من عقاصها أي من ضفائرها روي أن رسول الله عليه السلام أمن جميع الناس يوم فتح مكة الا أربعة هي أحدهم فأمر بقتلها فاستحضر رسول الله حاطبا فقال ما حملك على هذا فقال يارسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك الغش ترك النصح والنصح عبارة عن التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لاوامره ونواهيه ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش أي حليفا ولم أكن من أنفسهم ومن معك من المهاجرين كان له فيهم قرابات يحمون أهاليهم وأموالهم وليس فيهم من يحمي أهلي فأردت أن آخذ عندهم يدا أي أجعل عندهم نعمة ولم أفعله كفرا وارتدادا عن ديني وقد علمت أن كتابي لا يغني عنهم شيأ فصدقه رسول الله وقبل عذره فقال عمر رضي الله عنه يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال يا عمر انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله عنه وفي القصة اشارة الى جواز هتك ستر الجواسيس وهتك أستار المفسدين اذا كان فيه مصلحة أو في ستره مفسدة وان من تعاطى أمرا محظورا ثم ادعى له تأويلا محتملا قبل منه فان العذر مقبول عند كرام الناس (روي) أن حاطبا رضي الله عنه لما سمع يا أيها الذين آمنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان لما علم أن الكتاب المذكور ما أخرجه عن الايمان لسلامة عقيدته ودل قوله وعدوكم على اخلاصه فان الكافر

أليس بعد ترك المنافق بل للمخلص (تلقون اليهم بالمودة) الود محبة الشئ وتمنى كونه ويستعمل فى كل واحد من المعنيين أى توصلون محبتكم بالمكاتبة ونحوها من الاسباب التى تدل على المودة على أن الباء زائدة فى المفعول كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو تلقون اليهم أخبار النبى عليه السلام بسبب المودة التى بينكم وبينهم فيكون المفعول محذوفا للعلم به والباء للسببية والجملة حال من فاعل لا تتخذوا أى لا تتخذوا حال كونكم ملقين المودة فان قلت قد نهوا عن اتخاذهم أولياء مطلقا فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء والتقييد بالحال يوهم جواز اتخاذهم أولياء اذا انتفى الحال قلت عدم جوازه مطلقا لما علم من القواعد الشرعية تبين أنه لا مفهوم للحال هنا البتة فان قلت كيف قال لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء والعداوة والمحبة لكونهما متنافيين لا تجتمعان فى محل واحد والنهى عن الجمع بينهما فرع امكان اجتماعهما قلت انما كان الكفار أعداء للمؤمنين بالنسبة الى معاداتهم لله ورسوله ومع ذلك يجوز أن يتحقق بينهم الموالاة والصداقة بالنسبة الى الامور الدنيوية والاغراض النفسانية فنهى الله عن ذلك يعنى فلم يتحقق وحدة النسبة من الوحدات الثمان وحيث لم يكتف بقوله عدوى بل زاد قوله وعدوكم دل على عدم مروأتهم وفتوتهم فانه يكفى فى عداوتهم لهم وترك موالاتهم كونهم أعداء الله سواء كانوا أعداء لهم أم لا (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) حال من فاعل تلقون والحق هو القرآن أو دين الاسلام أو الرسول عليه السلام (يخرجون الرسول واياكم) حال من فاعل كفروا أى مخرجين الرسول واياكم من مكة والمضارع لاستحضار الصورة (أن تؤمنوا بالله ربكم) تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب أى على الرسول والالتفات من التكلم الى الغيبة حيث لم يقل أن تؤمنوا بى للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية (ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) متعلق بلا تتخذوا كأنه قيل لا تتولوا أعدائى ان كنتم أوليائى وانتصاب جهادا وابتغاء على أنهما مفعول لهما لخرجتم أى ان كنتم خرجتم عن أوطانكم لاجل هذين فلا تتخذوهم أولياء ولا تلقوا اليهم بالمودة والجهاد بالكسر القتال مع العدو كالمجاهدة وفى التعريفات هو الدعاء الى الدين الحق وفى المفردات الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع فى مدافعة العدو وهو جهاد العدو الظاهر وجهاد الشيطان وجهاد النفس ويكون باليد واللسان والمرضاة مصدر كالرضا وفى عطف وابتغاء مرضاتى على جهادا فى سبيلى تصريح بما علم التزاما فان الجهاد فى سبيل الله انما هو لاعلاء دين الله لا لغرض آخر واسناد الخروج اليهم معللا بالجهاد والابتغاء يدل على أن المراد من اخراج الكفرة كونهم سببا لخروجهم بأذيتهم اياهم فلا ينافى تلك السببية كون ارادة الجهاد والابتغاء علة له (تسرون اليهم بالمودة) استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ كأنهم سألوا ماذا صدر عنا حتى عوتبنا فقيل تلقون اليهم المودة سرا على أن الباء صلة جئ بها للتأكيد التعدية أو الاخبار بسبب المودة ويجوز أن يكون تعدية الاسرار بالباء حملا على نقيضه الذى هو الجهر (وأنا أعلم) حال من فاعل تسرون أى والحال أنى أعلم منكم (بما أخفيتم وما أعلنتم) من مودة الاعداء والاعتذار وغير ذلك فاذا كان بينهما استواء فى العلم فأى فائدة فى الاسرار والاعتذار (ومن) وهركه (يفعله منكم) أى الاتخاذ المنهى عنه أى ومن يفعل ما نهيت عنه

من مو الاتهم والاقرب ومن يفعل الاسرار (فقد ضل سواء السبيل) فقد أخطأ طريق الحق والصواب الموصل الى الفوز بالسعادة الابدية و بالفارسية پس بدرستى كه اوازراه راست كم شد وهو من اضافة الصفة الى الموصوف وضل متعد وسواء السبيل مفعوله و يجوز أن يجعل قاصرا وينتصب سواء السبيل على الظرفية قال القرطبي هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله ونصيحته لرسول الله وصدق ايمانه فان المعاتبة لاتكون الامن حبيب لحبيب كما قيل

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود مابقى العتاب

والعتاب اظهار الغضب على أحد لشئ مع بقاء المحبة بالترك * وفى الآية اشارة الى عداوة النفس والهوى والشيطان فانها تبغض عبادة الله وتبغض عباد الله أيضا اذ الم يكونوا مطيعين لها فى انفاذ شهواتها وتحصيل مراداتها وأصل عداوة النفس أن تفطمها من مألوفاتها وتحبسها فى محبس المجاهدة وعلامة حب الله بغض عدو الله قال عليه السلام أفضل الايمان الحب فى الله والبغض فى الله قال أبو حفص رحمه الله من أحب نفسه فقد اتخذ عدو الله وعدوه وليا وان النفس تخالف ما أمرت به وتعرض عن سبيل الرشد وتهلك محبها ومتبعها فى أول قدم وجاء فى أخبار داود عليه السلام يا داود عاد نفسك فليس لى فى المملكة منازع غيرها (وفى كشف الاسرار) لشكر اندك روم ازقيصر بتوان ستد وجملة اولياى روى زمين يكى را ازنفس نتوان ستد نزيرا نفس راحيل بسيارست احمد حضرويه بلخى رحمه الله كويد نفس خودرا بانواع رياضات ومجاهدات مقهور كرده بودم روزى نشاط غزا كرد عجب داشتم كه ازنفس نشاط طاعت نيايد كفتم دروزيرا اين كوبى چه مكر باشد مكر در كرسنكى طاقت نمى دارد كه پيوسته اورا روزه همى فرمايم خواهد درسفر روزه بكشايد كفتم اى نفس اكراين سفر پيش كيرم روزه نكشايم كفت روادارم كفتم مكرازانست كه طاقت نمازشب نميدارد ميخواهد كه درسفر بخسبد كفتم درسفرقيام شب كم نكنم چنانكه درحضر كفت روادارم نفكر كردم كه مكرازان نشاط سفرغزا كرده كه درحضر باخلق مى نياميزدكه أورا درخلوت وعزلت ميدارم مرادش آنست كه باخلق صحبت كند كفتم أى نفس هرجاكه روم درين سفر ترا بخرابه فرو آرم كه هيچ خلق رانبينى كفت روادارم ازدست وى عاجز ماندم بالله تعالى زاريدم وتضرع كردم تا ازمكروى مرا آكاهى دادكه درغزا كشته شدن بيكباركى باشد وبهمه جهان كفته شودكه احمد حضرويه بغزا شهادت يافت كفتم سبحان الله آن خدا ويديكه نفسى آفريند بدين معيوبى كه بدنيا منافق باشد وبعدازمرك مرايى باشد نه درين جهان حقيقت اسلام خواهد نه دران جهان آنكه كفتم اى نفس اماره والله كه بابن غزا نروم تاتودوزبر طاعت زنار بندى پس درحضر آن رياضات ومجاهدات كه دران بودم زيادت كردم قوله بما أخفيتم اى من دعوى الانانية وما أعلنتم من العبودية كما هو شأن النفس وقال أبو الحسين الوراق رحمه الله بما أخفيتم فى باطنكم من المعصية وما أعلنتم فى ظاهركم للخلق من الطاعة انتهى (ان يثقفوكم) أى يظفروا بكم و يتمكنوا منكم والثقف الحذق فى ادراك الشئ وفعله وثقفت كذا اذا ادركته ببصرك لحذق فى النظر ثم قد تجوز به فاستعمل فى الادراك وان لم يكن معه ثقافة كما فى هذا الموضع ونحوه (يكونوا لكم أعداء) أى يظهروا ما فى قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها أحكامها ولا ينفعكم القاء المودة اليهم

(ويبسطوا)

(ويبسطوا) ويطلقوا (اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) أى بما يسوءكم من القتل والاسر والشتم (وودوا لو تكفرون) أى تمنوا ارتدادكم وكونكم مثلهم كقوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم فكلمة لوهنا مصدرية وصيغة الماضى للايذان بتحقق ودادتهم قبل أن يثقفوهم أيضا فهو معطوف على يبسطوا (لن تنفعكم أرحامكم) أى قراباتكم قال الراغب الرحم رحم المرأة وهى فى الاصل وعاء الولد فى بطن أمه ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة (ولا أولادكم) الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم جمع ولد بمعنى المولود يعم الذكر والانثى (يوم القيامة) بجلب نفع أو دفع ضر ظرف لقوله لن تنفعكم فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده (يفصل بينكم) استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ أى يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه الآية فما لكم ترفضون حق الله لمراعاة حق من يفر منكم غدا وقيل يفرق بين الوالد وولده وبين القريب وقريبه فيدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم به وهو أبلغ من خبير لانه جعله كالمحسوس بحس البصر مع أن المعلوم هنا أكثره المبصرات من الكتاب والاتيان بمن يحمل الكتاب واعطاء الاجرة للحمل وغيرها * وفى الآية اشارة الى عداوة النفس وصفاتها للروح واخلاقه فان النفس ظلمانية سفلية كثيفة والروح وقواه نورانية علوية لطيفة ولاشك أن بين النور والظلمة تدافعا ولذا تجتهد النفس أن تغلب الروح بظلمانيتها حتى يكون الحكم لها فى مملكة الوجود وهو تصرفها باليد وأما بسط لسانها بالسوء فبمدح الاخلاق الذميمة وذم الاخلاق الحميدة فالقالب كبلد فيه أشراف وأرذال كل من بطن واحد لان القوى الخيرة والشريرة انما حصلت من ازدواج الروح مع القالب فالنفس وصفاتها من الارذال وعلى مشرب قابيل وكنعان ولدى آدم ونوح عليهما السلام فليست من الاهل فى الحقيقة والروح وقواه من الاشراف وعلى مشرب هابيل ونحوه فهى من الاهل فى الحقيقة ولذا تنقطع هذه النسبة يوم القيامة فيكون الروح فى النعيم والنفس فى الجحيم عند تجلى اللطف والجمال والقهر والجلال جعلنا الله واياكم من أهل الكمال والنوال (قد كانت لكم) أيها المؤمنون (أسوة حسنة) قال الراغب الاسوة والاسوة كالقدوة والقدوة وهى الحالة التى يكون الانسان عليها فى اتباع غيره ان حسنا وان قبيحا وان سارا وان ضارا والاسى الحزن وحقيقته اتباع الفائت بالغم والمعنى خصلة حميدة حقيقة بأن يؤتسى ويقتدى بها او يتبع أثرها فقوله أسوة اسم كانت ولكم خبرها وحسنة صفة أسوة مقيدة ان عمت الاسوة المحمودة والمذمومة وكاشفة مادحة ان لم تعم (فى ابراهيم والذين معه) أى من أصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة وقولهم لى فى فلان أسوة أى قدوة من باب التجريد لا أن فلانا نفسه هو القدوة ويجوز أن يكون على حذف المضاف أى لى فى سننه وأفعاله وأقواله وقيل المراد الانبياء الذين كانوا فى عصره وقريبا منه قال ابن عطية وهذا القول أرجح لانه لم يرد أن ابراهيم كان له أتباع مؤمنون فى مكافحة نمروذ وفى البخارى أنه قال لسارة حين رحل بها الى الشأم مهاجرا بلاد نمروذ ما على الارض من يعبد الله غيرى وغيرك (اذ قالوا) ظرف لخبر كان ومعمول له أو لكان نفسها عند من جوز عملها فى الظرف وهو الاصح (لقومهم)

الكفار (انا برآء منكم) جمع برئ كظريف وظرفاء يعنى ما بيزاريم ازشما (ومما تعبدون من دون الله) من الاصنام أظهروا البراءة أولا من أنفسهم مبالغة وثانيا من عملهم الشرك اذ المقصود من البراءة من معبودهم هو البراءة من عبادته ويحتمل أن تكون البراءة منهم أن لا يصاحبوهم ولا يخالطوهم ومن معبودهم أن لا يقربوا منه ولا يلتفتوا نحوه ويحتمل أن تكون البراءة منهم بمعنى البراءة من قرابتهم لان الشرك يفصل بين القرابات ويقطع الموالاة وحاصل الآية هلا فعلتم كما فعل ابراهيم حيث تبرأ من أبيه وقومه لكفرهم وكذا المؤمنون (كفرنا بكم) أى بدينكم على اضمار المضاف والكفر مجاز عن عدم الاعتداد والجحد والانكار فان الدين الباطل ليس بشئ اذ الدين الحق عند الله هو الاسلام (وبدا) بدا الشئ بدوا وبداء أى ظهر ظهورا بينا والبادية كل مكان يبدو ما يعن فيه أى يعرض (بيننا) ظرف لبدا (وبينكم العداوة والبغضاء أبدا) أى هذا دأبنا معكم لا نتركه والبغض ضد الحب (وقال الكاشفى) وآشكارا شد ميان ما وشما دشمنى بدل ودشمنى بدست يعنى محاربه ابدا هميشه يعنى پيوسته دشمنى قائم خواهد بود در ميان بدل ودست (حتى) غاية لبدا (تؤمنوا بالله وحده) وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة والمقت مقة والوحشة ألفة فالبغض نفور النفس من الشئ الذى ترغب عنه والحب انجذاب النفس الى الشئ الذى ترغب فيه فان قلت ما وجه قوله حتى تؤمنوا بالله وحده ولا بد فى الايمان من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر قلت الايمان بالله فى حال وحدته يستلزم الايمان بالجميع مع أن المراد الوحدة الالهية ردا للاصنام قال بعض المشايخ أسوة ابراهيم خلة الله والتبرى مما دون الله والتخلق بخلق الله والتأوه والبكاء من شوق الله وقال ابن عطاء رحمه الله الاسوة القدوة بالخليل فى الظاهر من الاخلاق الشريفة وهو السخاء وحسن الخلق واتباع ما أمر به على الكرب وفى الباطن الاخلاص فى جميع الافعال والاقبال عليه فى كل الاوقات وطرح الكل فى ذات الله تعالى وأسوة رسول الله عليه السلام فى الظاهر العبادات دون البواطن والاسرار لان أسراره لا يطيقها أحد من الخلق لانه باين الامة بالمكان ليلة المعراج ووقع عليه تجلى الذات * سپهدار رسل سرخيل دركاه * سريرافروز ملك لى مع الله (الا قول ابراهيم لابيه) آزر (لاستغفرن لك) بأبى استثناء من قوله تعالى أسوة حسنة فان استغفاره عليه السلام لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين أنه من أصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغى أن يؤتسى به أصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتى من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فاستثناؤه من الاسوة انما يفيد عدم استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل وأما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وحمل الاب على العم يخالف العقل والنقل لان الله تعالى يخرج الحى من الميت والعبرة بالحسب لا بالنسب وعن على رضى الله عنه شرف المرء بالعلم والادب لا بالاصل والنسب * هنر بنماى اكردارى نه كوهر * كل از خارست وابراهيم از آزر (وما أملك لك من الله من شئ) من تمام القول المستثنى محله النصب على أنه حال من فاعل لاستغفرن لك أى أستغفر لك وليس فى طاقتى الا الاستغفار دون منع العذاب ان لم تؤمن فورد

الاستثناء ففى الاستغفار لا قيده الذى هو فى نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وفى هذه الآية دلالة بينة على تفضيل نبيه محمد عليه السلام وذلك أنه حين أمر بالاقتداء به أمر على الاطلاق ولم يستثن فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحين أمر بالاقتداء بابراهيم استثنى وأيضا قال تعالى فى سورة الاحزاب لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا فأطلق الاقتداء ولم يقيده بشئ (قال الصائب) هلاك حسن خداداد او شوم كه سراپا * چوشعر حافظ شيرازى انتخاب ندارد (ربنا) الخ من تمام مانقل عن ابراهيم ومن معه من الاسوة الحسنة (عليك توكلنا) اعتمدنا يعنى از خلق بريديم واعتماد كلى بركرم تو نموديم (واليك أنبنا) رجعنا بالاعتراف بذنوبنا وبالطاعة (واليك المصير) أى الرجوع فى الآخرة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى * سوى تو كرديم روى ودل بتو بستيم * زهمه بازآمديم وبا تو نشستيم * هر چه نه پيوند يار بود بريديم * هر چه نه پيمان دوست بود كسستيم * قالوه بعد المجاهدة وشق العصا التجاء الى الله تعالى فى جميع أمورهم لا سيما فى مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه فالفتنة بمعنى المفعول وربنا بدل من الاول وكذا قوله ربنا فيما بعده وقال بعضهم ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا فتقتر علينا الرزق وتبسطه عليهم فيظنوا أنهم على الحق ونحن على الباطل (واغفر لنا) ما فرط منا من الذنوب والا كان سببا لظهور العيوب وباعثا للابتلاء المهروب (ربنا) تكرير النداء للمبالغة فى التضرع والجؤار فيكون لاحقا بما قبله ويجوز أن يكون سابقا لما بعده توسلا الى الثناء باثبات العزة والحكمة والاول أظهر وعليه ميل السجاوندى حيث وضع علامة الوقف الجائز على ربنا وهو فى اصطلاحه ما يجوز فيه الوصل والفصل باعتبارين وتلك العلامة الجيم بعد ما هو ج (انك أنت العزيز) الغالب الذى لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وقال بعض أهل الاشارة تعز أولياءك بالفناء فيك وتحييهم ببقائك بلطائف حكمتك فيكون المراد بالفتنة غلبة ظلمة النفس والهوى وبالمغفرة الستر بالهوية الاحدية عن الانيات وبالصفات الواحدية عن التعينات (لقد كان لكم فيهم) أى فى ابراهيم ومن معه (أسوة حسنة) تكرير للمبالغة فى الحث على الائتساء به عليه السلام ولذلك صدر بالقسم وجعله الطيبى من التعميم بعد التخصيص وفى برهان القرآن كرر لان الاول فى القول والثانى فى الفعل وفى فتح الرحمن الاولى أسوة فى العداوة والثانية فى الخوف والخشية (وفى كشف الاسرار) الاولى متعلقة بالبراءة من الكفار ومن فعلهم والثانية أمر بالائتساء بهم لينالوا من ثوابهم ما نالوا وينقلبوا الى الآخرة كانقلابهم (لمن كان يرجو الله) بالايمان بلقائه (واليوم الآخر) بالتصديق بوقوعه وقيل يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة لان الرجاء والخوف يتلازمان والرجاء ظن يقتضى حصول ما فيه مسرة وفى المفردات الرجاء والطمع توقع محبوب عن امارة مظنونة أو معلومة والخوف توقع مكروه عن امارة مظنونة أو معلومة وفى بعض التفاسير الرجاء يجئ بمعنى توقع الخير وهو الامل وبمعنى توقع الشر وهو الخوف وبمعنى التوقع مطلقا وهو فى الاول حقيقة وفى

الاخيرين مجاز وفى الثانى من قبيل ذكر الشئ وارادة ضده وهو جائز وفى الثالث من قبيل ذكر الخاص وارادة العام وهو كثير * قوله لمن كان الخ بدل من لكم وفائدته الايذان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) فانه مما يوعد بأمثاله الكفرة أى ومن يعرض عن الاقتداء بهم فى التبرى من الكفار ووالاهم فان الله هو الغنى وحده عن خلقه وعن موالاتهم ونصرتهم لاهل دينه لم يتعبدهم لحاجته اليهم بل هو ولى دينه وناصر حزبه وهو الحميد المستحق للحمد فى ذاته (ومن صحاح الاحاديث القدسية) ياعبادى انكم ان تبلغوا ضرى فتضرونى وان تبلغوا نفعى فتنفعونى ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيأ ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى شيأ ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان مسئلته مانقص ذلك من عندى الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر ياعبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه * قوله هى ضمير القصة يعنى ماجزاء أعمالكم الا محفوظ عندى لاجلكم ثم أؤديها اليكم وافية ثم الحميد فعيل بمعنى المفعول وجوز الامام القشيرى رحمه الله أن يكون بمعنى الفاعل أى حامد لنفسه وحامد للمؤمنين من عباده قال شارح المشكاة وحظ العبد من اسم الحميد أن يسعى لينخرط فى سلك المقربين الذين يحمدون الله لذاته لا لغيره قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله حمد الله الذى هو من شكره يجب أن يكون على شهود المنعم لان حقيقة الشكر الغيبة لشهود المنعم عن شهود النعمة (روى) أن داود عليه السلام قال فى مناجاته كيف أشكرك وشكرى لك نعمة منك على فأوحى الله اليه الآن قد شكرتنى وقال بعض أهل الاشارة لقد كان فى ابراهيم الخفاء ومن معه من قواه الروحانية المجردة من المواد الحسية والمثالية والعقلية أسوة حسنة وهى البراءة من قومه أى النفس الامارة والهوى المتبع فمن تأسى واستمر على ذلك بلغ المطلوب المحبوب ومن أعرض عن ذلك التأسى فان الله غنى عن تأسيه حميد فى ذاته وان لم يكن حمده انتهى كلامه (عسى الله أن يجعل) شايد آنكه خداى تعالى بيدا كند (بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أى من أقاربكم المشركين وعسى من الله وعد على عادة الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى ولعل فلا يبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك وقال الراغب ذكر الله فى القرآن عسى ولعل تذكرة ليكون الانسان منه على رجاء لا على أن يكون هو تعالى راجيا أى كونوا راجين فى ذلك والمعاداة والعداء * باكسى دشمنى كردن (مودة) أى بأن يوافقوكم فى الدين وعدهم الله بذلك لما رأى منهم من التصلب فى الدين والتشدد فى معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر أقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد أنجز وعده الكريم حين أباح لهم الفتح فأسلم قومهم كأبى سفيان وسهل بن عمرو وحكيم بن حزام والحرث بن هشام وغيرهم من صناديد العرب وكانوا أعداء أشد العداوة فتم بينهم من التحاب والتصافى ماتم (والله قدير) أى مبالغ فى القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) فيغفر لمن أسلم من المشركين ويرحمهم بقلب

معاداة أقاربهم موالاة وقيل غفور لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم قال ابن عطاء رحمه الله لا تبغضوا عبادى كل البغض فانى قادر على أن أنقلكم من البغض الى المحبة كنقلى من الحياة الى الموت ومن الموت الى النشو وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر الى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل قرأ يخرج الحى من الميت لانهما من خيار الصحابة وأبواهما أعدى عدو لله ورسوله وكان بعضهم يبغض عكرمة ويسب أباه لما سلف منه من الاذى حتى ورد النهى عنه بقوله عليه السلام لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات فقلب الله ذلك محبة فكانوا اخوانا فى الله (وفى الحديث) من نظر الى أخيه نظر مودة لم يكن فى قلبه احنة لم يطرف حتى يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وقال سقراط أثن على ذى المودة خيرا عند من لقيت فان رأس المودة حسن الثناء كما ان رأس العداوة سوء الثناء * وعنه لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك فكيف بك اذا لم يأمنك صديقك قال داود عليه السلام اللهم انى أعوذ بك من مال يكون على فتنة ومن ولد يكون على ربا ومن حليلة تقرب المشيب وأعوذ بك من جار ترانى عيناه وترعانى أذناه ان رأى خيرا دفنه وان سمع شرا طار به ومن بلاغات الزمخشرى محك المودة والاخاء حال الشدة دون الرخاء (قال الحافظ) وفا مجوى زكس ورسخن نمى شنوى * بهرزه طالب سيمرغ وكيميامى باش (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين) أى على الدين أو فى حق الدين واطفاء نوره (ولم يخرجوكم من دياركم) أى لا ينهاكم الله عن مبرة هؤلاء فان قوله تعالى (أن تبروهم) بدل من الموصول بدل الاشتمال لان بينهم وبين البر ملابسة بغير الكلية والجزئية فكان المنهى عنه برهم بالقول وحسن المعاشرة والصلة بالمال لا أنفسهم وبالفارسية ازانكه نيكويى كنيد با ايشان (وتقسطوا اليهم) تفسير لتبروا وضمن تقسطوا معنى الافضاء فعدى تعديته أى تفضوا اليهم بالقسط والعدل ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم أخيه المسلم كما فى الكشاف وقال الراغب القسط النصيب بالعدل كالنصف والنصفة فالمعنى عدل كنيد وبفرستيد قسطى وبهره براى ايشان ازطعام وغيرآن (ان الله يحب المقسطين) أى العادلين فى المعاملات كلها (روى) أن قتيلة بنت عبد العزى على زنة التصغير قدمت فى المدة التى كانت فيها المصالحة بين رسول الله عليه السلام وبين كفار قريش مشركة على بنتها أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وكانت قتيلة زوجة أبى بكر وكان طلقها فى الجاهلية وآورده اند كه قوم خزاعه را باحضرت رسول عليه السلام عهد وپيمان بود وهركز قصد مسلمانان نكردند ودشمنان دين رايارى ندادند حق تعالى دربارۀ ايشان اين آيت فرستاد يامراد زنان وكودكانند كه ايشانرا در قتل واخراج چندان مدخلى نيست وفى فتح الرحمن نسختها اقتلوا المشركين والاكثر على أنها غير منسوخة وفى بعض التفاسير القسوط الجور والعدول عن الحق والقسط بالكسر العدل فالاقساط اما من الاول بمعنى ازالة القسوط فهمزته للسلب كأشكيته بمعنى أزلت عنه الشكاية وسلبتها فمن أزال الظلم اتصف بالعدل واما من الثانى بمعنى أن يصير ذا قسط فهمزته للصيرورة مثل أورق الشجر أى صار ذا ورق

وفى الآية مدح للعدل لان المرء به يصير محبوبا لله تعالى ومن الاحاديث الصحيحة قوله عليه السلام ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا (قال الحافظ) شاه را به بود از طاعت صد ساله وزهد * قدر يكساعته عمرى كه درو داد كند * وقال خطابا لبعض الملوك * جو يباره ملك را آب از سر شمشير تست * خوش درخت عدل بنشان بيخ بدخواهان بكن (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين) واطفاء نوره (وأخرجوكم من دياركم) وهم عتاة أهل مكة وجبابرتهم (وظاهروا على اخراجكم) وهم سائر أهلها يعنى معاونت كردند وهم پشت شدند با عادى (أن تولوهم) بدل اشتمال من الموصول أى انما ينهاكم عن أن تتولوهم والتولى دوستى داشتن با كسى (ومن يتولهم) وهركه دوست دارد ايشانرا (فأولئك هم الظالمون) لوضعهم الولاية فى موضع العداوة وهم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب وحساب المتولى أكبر وفساد التولى أكثر ولذلك أورد كلمة الحصر تغليظا وجمع الخبر باعتبار معنى المبتدا * بكسل زدوستان دغاباز وحيله ساز * يارى طلب كه طالب نقش بقا بود * جعلنا الله واياكم من الذين يطلبون الباقى لا الفانى * يقول الفقير كان الظاهر من أمر المقابلة فى الآيتين أن يقال فى الاولى أن تولوهم كما فى الثانية أو بعكس ويقال فى الثانية أن تبروهم كما فى الاولى أو يذكر كل منهما فى كل من الآيتين لكن الدلائل العقلية والشواهد النقلية دلت على أن موالاة الكافر غير جائزة مقاتلا كان أو غيره بخلاف المبرة فانها جائزة لغير المقاتل غير جائزة للمقاتل كالموالاة فحيث أثبت المبرة بناء على أمر ظاهر فى باب الصلة نفى الموالاة ضمنا وحيث نفى الموالاة نفى المبرة ضمنا وانما لم تجز المبرة للمقاتل لغاية عداوته ونهاية بغضه ان قيل ان الاحسان الى من أساء من أخلاق الابرار قلنا ان المبرة تقتضى الالفة فى الجملة والاحسان بقطع اللسان وبثلم السيف فيكون حائلا بين المجاهد والجهاد الحق وقد أمر الله باعلاء الدين (يا أيها الذين آمنوا) بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقى الكافرين (اذا جاءكم المؤمنات) أى بدلالة ظاهر حالهن واقرارهن بلسانهن أو المشارفات للايمان ولا يبعد أن تكون التسمية بالمؤمنات لكونهن كذلك فى علم الله وذلك لا ينافى امتحان غيره تعالى (مهاجرات) من بين الكفار حال من المؤمنات (فامتحنوهن) فاختبروهن بما تغلب به على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن فى الايمان قيل انه من أرادت منهن اضرار زوجها قالت سأهاجر الى محمد عليه السلام فلذلك أمر النبى بامتحانهن وكان عليه السلام يقول للتى يمتحنها بالله الذى لا اله الا هو ماخرجت من بغض زوج أى غير بغض فى الله لحب الله بالله ماخرجت رغبة عن أرض الى أرض بالله ماخرجت التماس دنيا بالله ماخرجت عشقا لرجل من المسلمين بالله ماخرجت لحدث أحدثته بالله ماخرجت الا رغبة فى الاسلام وحبا لله ولرسوله فاذا حلفت بالله الذى لا اله الا هو على ذلك أعطى النبى عليه السلام زوجها مهرها وما أنفق عليها ولا يردها الى زوجها قال السهيلى نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وهى امرأة عبد الرحمن بن عوف ولدت له ابراهيم بن عبد الرحمن وكانت أم كلثوم أخت عثمان بن عفان رضى الله عنه لامه أروى وأفادت الآية أن الامتحان فى محله حسن نافع ولذا تمتحن المنكوحة ليلة الزفاف وتستوصف الاسلام مع سهولة فى السؤال واشارة الى الجواب لانها الوقاحات ما أعرف باتت من زوجها * خوش

بود كرمحك تجربه آمد بعيان * تا سيه روى شود هركه دروغش باشد (الله أعلم بإيمانهن) منكم لانه المطلع على ما فى قلوبهن فلا حاجة له الى الامتحان وليس ذلك للبشر فيحتاج اليه والجملة اعتراض (فان علمتموهن) بعد الامتحان (مؤمنات) العلم الذى يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بأنه جار مجرى العلم فى وجوب العمل به فى علمتموهن استعارة تبعية (فلا ترجعوهن الى الكفار) من الرجع بمعنى الرد لا من الرجوع ولذلك عدى الى المفعول أى لا تردوهن الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) فانه تعليل للنهى عن رجعهن اليهم يعنى لا تحل مؤمنة لكافر لشرف الايمان ولا نكاح كافر لمسلمة لخبث الكفر وبالفارسية نه ايشان يعنى زنان حلال اند مر كافرانرا ونه كافران حلال ميشوند مرين زنانرا چه تباين دارين جدايى افكنده ميان ايشان والتكرير اما لتأكيد الحرمة والا فيكفى نفى الحل من أحد الجانبين أو لان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثانى لبيان امتناع النكاح الجديد (وآتوهم ما أنفقوا) هذا هو الحكم الثانى أى وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك أى بيان المراد بما أنفقوا هو المهور أن صلح الحديبية كان على أن من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبى عليه السلام بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومى طالبا لها فقال يا محمد اردد على امرأتى فانك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا فنزلت لبيان أن الشرط انما كان فى الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وهو المهر بالاتفاق وتزوجها عمر رضى الله عنه وانما رد الرجال دون النساء لضعف النساء عن الدفع عن أنفسهن وعجزهن عن الصبر على الفتنة وفى اللباب أن المخاطب بهذا هو الامام ليؤتى من بيت المال الذى لا يتعين له مصرف وان المقيمة منهن على شركها مردودة عليهم وان المؤمن يحل له أن ينكح كتابية فان الرجال قوامون على النساء فليس تسلطه عليها كتسلط الكافر على المسلمة ولعل المراد بايتاء ما أنفقوا رعاية جانب المؤمنين بالحث على اظهار المروءة وايثار السخاء والا ففى المسائل المشهورة أن المرأة تملك تمام المهر بخلوة صحيحة فى قطعة من اليوم أو الليلة وان لم يقع استمتاع أصلا وأيضا ان فى الانفاق تأليف القلوب وامالتها الى جانب الاسلام وأفادت الآية أن اللائق بالولى كائنا من كان أن يحذر تزويج مؤمنة له ولاية عليها بمبتدع تفضى بدعته الى الكفر وللحاكم أن يفرق بينه وبينها ان ظهرت منه تلك البدعة الا أن يتوب ويجدد ايمانه ونكاحه (سئل الرستغفنى) عن المناكحة بين أهل السنة وبين أهل الاعتزال فقال لا تجوز كما فى مجمع الفتاوى وقس عليه سائر الفرق الضالة التى لم يكن اعتقادهم كاعتقاد أهل السنة ولزمهم بذلك الاعتقاد اكفار أو تضليل ولهم كثرة فى هذه الاعصار جدا قال فى بعض التفاسير أخاف أن يكون من تلك المبتدعة بعض المتصوفة من أهل زماننا الذى يدعى أن شيخه قطب الزمان يجب الاقتداء به على كل مسلم حتى ان من لم يكن من جملة مريديه كان كافرا وان مات لم يمت مؤمنا فيستدل بقوله عليه السلام من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ويقول المراد بالامام هو القطب وشيخنا هو القطب فمن لم يعرف قطبيته ولم يتبعه مات على سوء الحال وجوابه أن المراد بالامام هو الخليفة والسلطان وقريش أصل فيه لقوله عليه السلام الامام من قريش ومن عداهم تبع لهم كثيريف

الكعبة مع آل عثمان فالشريف أحدى الذات ولذا لا قوة له وآل عثمان واحدى الذات ولذا
صار مظهر سر قوله تعالى هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين فاعرف الاشارة وأيضا المراد من
الامام نبى ذلك الزمان وهو فى آخر الزمان رسولنا محمد عليه السلام ولا شك أن من لم يعرفه ولم
يصدقه مات ميتة جاهلية ولئن سلم أن المراد بالامام هو القطب من طريق الاشارة فلا شك أن
للقطبية العظمى شرائط لا يوجد واحد منها فى الكذابين فلا يثبت لهما قطبية أصلا على أن
التصديق بالقطب لا يستلزم صحبته لأن مبنى هذا الامر على الباطن فالاقطاب لم يهتد اليهم الا
أقل الافراد فاظهارهم لقطبيتهم خارج عن الحكمة ولما قربت القيامة وقع أن يتغير أحوال
كل طائفة عاما فعاما شهرا فشهرا أسبوعا فأسبوعا يوما فيوما ولا يزال هذا التغير الى انقراض
الاخيار لانه لا تقوم الساعة الا على الاشرار وفى المرفوع لا يأتيكم زمان الا والذى بعده شر
منه حتى تلقوا ربكم (قال الحافظ) روزى اكر غمى رسدت تنك دل مباش * رو شكر كن مبادكه
از بد بتر شود * وفى الحديث ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون
وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون
ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن
جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل رواه مسلم وقال عليه السلام
يذهب الصالحون الاول فالاول ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله وأول التغير
كان فى الامراء ثم فى العلماء ثم فى الفقراء ففى كل طائفة أهل هدى وأهل هوى فكن من أهل
الهدى أو المتشبهين بهم فان من تشبه بقوم فهو منهم ومن كثر سواد قوم فهو منهم وفى الحديث
من أحب قوما على عملهم حشر فى زمرتهم وحوسب بحسابهم وان لم يعمل بعملهم (ولا جناح
عليكم) هذا هو الحكم الثالث يقال جنحت السفينة أى مالت الى أحد جانبيها وسمى الاثم المائل
بالانسان عن الحق جناحا ثم سمى كل اثم جناحا (أن تنكحوهن) أى تنكحوا المهاجرات
وتتزوجوهن وان كان لهن أزواج كفار فى دار الحرب فان اسلامهن حال بينهن وبين أزواجهن
الكفار (اذا آتيتموهن أجورهن) اذا ظرفية محضة أو شرطية جوابها محذوف دل عليه
ما تقدمها شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بأن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر لأن
ظاهر النظم يقتضى ايتاءين ايتاء الى الازواج وايتاء اليهن على سبيل المهر وفى التيسير التزمتم
مهورهن ولم يرد حقيقة الاداء كما فى قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد أى يلتزموها استدل
بالآية أبو حنيفة رحمه الله على أن أحد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما أو بذمة وبقى
الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ولا على الذمية المطلقة ولا على المتوفى
عنها زوجها ويبيح نكاحها الا أن تكون حاملا لانه تعالى نفى الجناح من كل وجه فى نكاحهن
بعد ايتاء المهور ولم يقيد بمضى العدة وقالا عليها العدة وفى الهداية قول أبى حنيفة فيما اذا كان
معتقدهم أنه لا عدة وأما اذا كانت حاملا فقد قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فلا يسقين ماءه زرع غيره (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) هذا هو الحكم الرابع
والامساك چنك درزدن ويعدى بالباء والعصم جمع عصمة وهى ما يعتصم به من عقد وسبب
والكوافر جمع كافرة والكوافر طائفتان من النساء طائفة قعدت عن الهجرة وثبتت على

الكفر فى دار الحرب وطائفة ارتدت عن الهجرة ولحقت بأزواجها الكفار والمعنى لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علاقة زوجية وقال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه كما قال بعض أهل التفسير المراد بالعصمة هنا النكاح يعنى من كانت له زوجة كافرة بمكة أو ارتدت ورجعت اليها فلا يعتد بها ولا يعدها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه فجاز له أن يتزوج بأربع سواها وبرابعة وبأختها من غير تربص وعدة وبالفارسية وما يستيد بنكه داشتن زنان كافره وايشانرا بزنان خود مشمريد فيكون اشارة الى حكم اللاتى بقين فى دار الكفر وما أسلمن ولا هاجرن بعد اسلام أزواجهن وهجرتهم وعن النخعى هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر فيكون قوله ولا تمسكوا بمقابلة قوله اذا جاءكم المؤمنات يعنى ان قوله اذا جاءكم الخ اشارة الى حكم اللاتى أسلمن وخرجن من دار الكفر وقوله ولا تمسكوا الخ اشارة الى حكم المسلمات اللاتى ارتددن وخرجن من دار الاسلام الى دار الكفر وعلى التفسيرين زال عقد النكاح بينهن وبين أزواجهن وانقطعت عصمتهن عنهم باختلاف الدارين فالعصمة هى المنع أريد بها فى الآية عقد النكاح الذى هو سبب لمنع أزواجهن اياهن عن الاطلاق أى لا تعتدوا بما كان بينكم وبينهن من العقد الكائن قبل حصول اختلاف الدارين والفرقة عند الحنفية تقع بنفس الوصول الى دار الاسلام فلا حاجة الى الطلاق بعد وقوع الفرقة وكانت زينب بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام امرأة أبى العاص بن الربيع فلحقت بالنبى عليه السلام وأقام أبو العاص بمكة مشركا ثم أتى المدينة فأسلم فردها عليه رسول الله عليه السلام واذا أسلم الزوجان معا أو أسلم زوج الكتابية فهما على نكاحهما بالاتفاق واذا أسلمت المرأة فان كان مدخولا بها فأسلم فى عدتها فهى امرأته بالاتفاق وان كانت غير مدخول بها وقعت الفرقة بينهما وكان فسخا عند الثلاثة وقال أبو حنيفة يعرض عليه الاسلام فان أسلم فهى امرأته والا فرق القاضى بينهما باباءته عن الاسلام وتكون هذه الفرقة طلاقا عند أبى حنيفة ومحمد وفسخا عند أبى يوسف ولها المهران كانت مدخولا بها والا فلا بالاتفاق وأما اذا ارتد أحد الزوجين المسلمين فقال أبو حنيفة ومالك تقع الفرقة حال الردة بلا تأخير قبل الدخول وبعده وقال الشافعى وأحمد ان كانت الردة من أحدهما قبل الدخول انفسخ النكاح وان كانت بعده وقعت الفرقة على انقضاء العدة فان أسلم المرتد منهما فى العدة ثبت النكاح والا انفسخ بانقضائها ثم ان كان المرتد الزوجة بعد الدخول فلها المهر وقبله لا شئ لها وان كان الزوج فلها الكل بعده والنصف قبله بالاتفاق كذا فى فتح الرحمن وقال سهل رحمه الله فى الآية ولا توافقوا أهل البدع فى شئ من آرائهم (واسئلوا ما أنفقتم) هذا هو الحكم الخامس أى واسألوا الكفار أيها المؤمنون ما أنفقتم يعنى آنچه خرج كرده ايد من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار أى اذا ارتدت امرأة أحدكم ولحقت بدار الحرب فاسألوا مهرها ممن تزوجها ولعل هذا التطرية قلوب بعض المؤمنين بالمقابلة والمعادلة والا فاظهر حال الكرام الاستغناء عنه (وليسئلوا) أى الكفار منكم (ما أنفقوا) من مهور أزواجهم المهاجرات أى يسأل كل حربى أسلمت امرأته وهاجرت الينا ممن تزوجها منا مهرها وبالفارسية چون عصمت زوجيه منقطع شد ميان مؤمن وكافره وميان كافر ومؤمنه پس هر يك بايد كه رد كند مهر يرا كه بصاحبه

خود داده اند وظاهر قوله واسألوا يدل على أن الكفار مخاطبون بالاحكام وهو أمر للمؤمنين
بالاداء مجازا من قبيل اطلاق الملزوم وارادة اللازم كما فى قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة فانه
بمعنى وأغلظوا عليهم (ذلكم) الذى ذكر فى هذه الآية من الاحكام (حكم الله) ما حكم الله به
لان يراعى وقوله تعالى (يحكم بينكم) كلام مستأنف للتأكيد والحث على الرعاية والعمل به قال
فى فتح الرحمن ثم نسخ هذا الحكم بعد ذلك الا قوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن (والله عليم)
بمصالحكم (حكيم) يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة قال ابن العربى كان حكم الله هذا
مخصوصا بذلك الزمان فى تلك النازلة خاصة وقال الزهرى ولولا هذه الهدنة والعهد الذى كان
بين رسول الله وبين قريش يوم الحديبية لامسك النساء ولم يرد الصداق وكذا كان يصنع بمن جاءه
من المسلمات قبل العهد (روى) أنه لما نزلت الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من مهور
المهاجرات الى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيأ من مهور الكوافر الى
أزواجهن المسلمين وقالوا نحن لا نعلم لكم عندنا شيأ فان كان لنا عندكم شئ فوجهوا به
فنزل قوله تعالى (وان فاتكم) الفوت بعد الشئ عن الانسان بحيث يتعذر ادراكه وتعديته بالى
لتضمنه معنى السبق أو الانقلاب دل عليه قوله فآتوا الذين ذهبت أزواجهم أى الى الكفار
والمعنى سبقكم وانفلت منكم أى خرج وفر منكم فجأة من غير تردد ولا تدبر وبالفارسية
واكر فوت شود از شما اى مؤمنان (شئ من أزواجكم الى الكفار) أى أحد من أزواجكم الى
الكفار ورد ارهم ومهرا وبدست شما نيايد وقد قرئ به وايقاع شئ موقعه للتحقير والاشباع فى
التعميم لان النكرة فى سياق الشرط تفيد العموم والشئ لكونه أعم من الاحد أظهر احاطة
لاصناف الزوجات أى أى نوع وصنف من النساء كالعربية أو العجمية أو الحرة أو الامة
أو نحوها أو فاتكم شئ من مهور أزواجكم على حذف المضاف ليطابق الموصوف وصفته
والزوج هنا هى المرأة (روى) أنها نزلت فى أم الحكم بنت أبى سفيان فرت فتزوجها ثقفى ولم
ترتد امرأة من قريش غيرها وأسلمت مع قريش حين أسلموا وسيأتى غير ذلك (فعاقبتم) من العقبة
وهى النوبة والمعاقبة المناوبة يقال عاقب الرجل صاحبه فى كذا أى جاء فعل كل واحد منهما
بعقب فعل الآخر والمعنى فجاءت عقبتكم ونوبتكم من أداء المهر بأن هاجرت امرأة
الكافر مسلمة الى المسلمين ولزمهم أداء مهرها الى زوجها الكافر بعد ما فاتت امرأة المسلم الى
الكفار ولزم أن يسأل مهر زوجته المرتدة ممن تزوجها منهم شبه ما حكم به على المسلمين
والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر
يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب ونحوه أى يتناوب والا فأداء كل واحد من المسلمين
والكفار لا يلزم أن يعقب أداء الآخر لجواز أن يتوجه الاداء لاحد الفريقين مرارا متعددة
من غير أن يلزم الفريق الآخر شئ وبالعكس فلا يتعاقبون فى الاداء (فآتوا الذين ذهبت
أزواجهم مثل ما أنفقوا) أى من المهاجرة التى تزوجتموها ولا تؤتوا زوجها الكافر يعنى ان فاتت
امرأة مسلم الى الكفار ولم يعط الكفار مهرها فاذا فاتت امرأة كافر الى المسلمين أى هاجرت
اليهم وجب على المسلمين أن يعطوا المسلم الذى فاتت امرأته الى الكفار مثل مهر زوجته الفائتة
من مهر هذه المرأة المهاجرة ليكون كالعوض لمهر زوجته الفائتة ولا يجوز لهم أن يعطوا مهر

هذه المهاجرة زوجها الكافر قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت أمية كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي أخت أم سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت أبي جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر رضي الله عنه وأعطاهم رسول الله عليه السلام مهور نسائهم من الغنيمة كما في الكشاف (واتقوا الله الذي أنتم به) لا بغيره من الجبت والطاغوت (مؤمنون) فان الايمان به تعالى يقتضي التقوى منه تعالى قال بعضهم حكم اين آيات تابقاى عهد باقى بود چون مرتفع كشت اين احكام منسوخ كشت وفي الآية اشارة الى المكافأة ان خيرا فخير وان شرا فشر (حكي) أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا في ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا الرواح خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فألقته اليهما فقالا ان هذا لمن كنز فأقاما عليه ثلاثة أيام كل يوم تخرج لهما دينارا فقال أحدهما للآخر الى متى ننتظر هذه الحية ألا نقتلها ونحفر عن هذا الكنز فنأخذه فنهاه أخوه وقال ما تدري لعلك تعطب ولا تدرك المال فأبى عليه فأخذ فأسا معه ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها فبادرت الحية فقتلته ورجعت الى جحرها فدفنه أخوه وأقام حتى اذا كان الغد خرجت الحية معصوبا رأسها ليس معها شيء فقال يا هذه اني والله ما رضيت بما أصابك ولقد نهيت أخي عن ذلك فهل لك أن نجعل الله بيننا لا تضريني ولا أضرك وترجعين الى ما كنت عليه فقالت الحية لا فقال ولم قالت لاني أعلم أن نفسك لا تطيب لي أبدا وأنت ترى قبر أخيك ونفسي لا تطيب لك وأنا أذكر هذه الشجة فظهر من هذه الحكاية سر المكافأة وشرف التقوى فانه لو اتقى الله ولم يضع الشر موضع الخير بل شكر صنيع الحية لازداد مالا وعمرا * كرم كن نه برخاش وجنك آورى * كه عالم بزير نكين آورى * چو كارى برآيد بلطف وخوشى * چه حاجت بتندى وكردن كشى * نمى ترسى اى كرك ناقص خرد * كه روزى پلنكيت برهم درد (يا أيها النبي) نداء تشريف وتعظيم (اذا جاءك المؤمنات) چون بيايند بتو زنان مؤمنه (يبايعنك) أي مبايعات لك أي قاصدات للمبايعة فهي حال مقدرة نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة النساء سميت البيعة لان المبايع يبيع نفسه بالجنة فالمبايعة مفاعلة من البيع ومن عادة الناس حين المبايعة أن يضع احد المتبايعين يده على يد الآخر لتكون معاملتهم محكمة مثبتة فسميت المعاهدة بين المعاهدين مبايعة تشبيها لها بها في الاحكام والابرام فبايعة الامة رسولهم التزام طاعته وبذل الوسع في امتثال أوامره وأحكامه والمعاونة له ومبايعته اياهم الوعد بالثواب وتدبير أمورهم والقيام بمصالحهم في الغلبة على أعدائهم الظاهرة والباطنة والشفاعة لهم يوم الحساب ان كانوا ثابتين على تلك المعاهدة قائمين بما هو مقتضى المواعدة كما يقال بايع الرجل السلطان اذا أوجب على نفسه الاطاعة له وبايع السلطان الرعية اذا قبل القيام بمصالحهم وأوجب على نفسه حفظ نفوسهم وأموالهم من أيدي الظالمين (على أن لا يشركن بالله شيأ) أي شيأ من الاشياء أو شيأ من الاشراك والظاهر أن المراد الشرك الاكبر ويجوز التعميم له وللشرك الاصغر الذي هو الرياء

فالمعنى على أن لا يتخذن الهاً غير الله ولا يعملن الا خالصاً لوجهه * مرايى هر كسى معبود سازد
* مرايى را ازان كفتند مشرك (قال الحافظ) كو بيا باور نمى دارند روز داورى * كين همه
قلب ودغل در كار داور ميكنند (ولا يسرقن) السرقة أخذ ما ليس له أخذه فى خفاء وصار ذلك
فى الشرع لتناول الشئ من موضع مخصوص وقدر مخصوص أى لا يأخذن مال أحد بغير حق
ويكفى فى قبح السرقة أن النبى عليه السلام لعن السارق (ولا يزنين) الزنا وطء المرأة من غير
عقد شرعى يقصر واذا مد يصح أن يكون مصدر المفاعلة قال مظهر الدين الزنا فى اللغة عبارة
عن المجامعة فى الفرج على وجه الحرام ويدخل فيه اللواطة واتيان البهائم تم كلامه قال عليه
السلام يقتل الفاعل والمفعول به وثبت أن علياً رضى الله عنه أحرقهما وان أبا بكر رضى الله
عنه هدم عليهما حائطاً وذلك بحسب ما رأيا من المصلحة وقال عليه السلام ملعون من أتى امرأته
فى دبرها وأما الاتيان من دبرها فى قبلها فمباح قال فى اللباب اتفق المسلمون على حرمة الجماع فى
زمن الحيض واختلفوا فى وجوب الكفارة على من جامع فيه فذهب أكثرهم الى أنه لا كفارة
عليه فيستغفر وذهب قوم الى وجوب الكفارة عليه تم كلامه وقال عليه السلام من أتى بهيمة
فاقتلوه واقتلوها معه قيل لابن عباس رضى الله عنهما ما شأن البهيمة قال ما سمعت فيها من رسول
الله شيأ ولكن أكره أن يحل لحمها وينتفع بها كذلك (ولا يقتلن أولادهن) أريد به وأد البنات
أى دفنهن أحياء خوف العار والفقر كما فى الجاهلية قال عليه السلام لا تنزع الرحمة الا من شقى
(قال الحافظ) هيچ رحمى نه برادر به برادر دارد * هيچ شوقى نه پدر را به پسر مى بينم * دختران را
همه جنكست وجدل با مادر * پسران را همه بدخواه پدر مى بينم * حكى أن هرون الرشيد
زوج أخته من جعفر بشرط أن لا يقرب منها فلم يصبر عنها فظهر حملها فأفدتهما هرون حين غضبا
عليهما ويقال ولا يشربن دواء فيسقطن حملهن كما فى تفسير أبى الليث وفى نصاب الاحتساب تمنع
القابلة من المعالجة لاسقاط الولد بعد ما استبان خلقه ونفخ فيه الروح ومدة الاستبانة والنفخ
مقدرة بمائة وعشرين يوماً وأما قبله فقيل لا بأس به كالعزل وقيل يكره لان ماء ل الماء الحياة
كما اذا أتلف محرم بيضة صيد الحرم ضمن لان ما ل لها الحياة فلها حكم الصيد بخلاف العزل لان
ماء الرجل لا ينفخ فيه الروح الا بعد صنع آخر وهو الالقاء فى الرحم فلا يكون ما ل له الحياة ولعل
اسناد الفعل الى النساء اما باعتبار الرضا به أو بمباشرته بأمر زوجها (ولا يأتين ببهتان يفترينه
بين أيديهن وأرجلهن) الباء للتعدية والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه أى يدهشه
ويجعله متحيراً فيكون أقبح أنواع الكذب وهو فى الاصل مصدر يقال بهت زيد عمراً بهتاً وبهتاً
وبهتاناً أى قال عليه ما لم يفعله فزيد باهت وعمرو مبهوت والذى بهت به مبهوت به واذا قالت
لزوجها هذا ولدى منك لصبى التقطته فقد بهتته به أى قالت عليه ما لم يفعله جعله نفس البهتان
ثم وصفه بكونه مفترى مبالغة فى وصفهن بالكذب والافتراء الاختلاق يقال فرى فلان كذباً اذا
خلقه وافتراه اختلقه قوله يفترينه اما فى موضع جر على أنه صفة لبهتان أو نصب على أنه حال
من فاعل يأتين وقوله بين أيديهن متعلق بمحذوف هو حال من الضمير المنصوب فى يفترينه أى
يختلقنه مقدراً وجوده بين أيديهن وأرجلهن على أن يكون المراد بالبهتان الولد المبهوت
به كما ذهب اليه جمهور المفسرين وليس المعنى على نهيهن عن أن يأتين بولد من الزنا فينسبنه

الى

الى الازواج لان ذلك نهى بقوله ولا يزنين بل المراد نهيهن عن أن يلحقن بأزواجهن ولدا التقطنه من بعض المواضع وكانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك فى بطنى الذى بين يدى ووضعته من فرجى الذى هو بين رجلى فكنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها والمعنى ولا يجئن بصبى ملتقط من غير أزواجهن فانه افتراء وبهتان لهم والبهتان من الكبائر التى تتصل بالشرك (ولا يعصينك فى معروف) أى لا يخالفن أمرك فيما تأمرهن به وتنهاهن عنه على أن المراد من المعروف الامور الحسنة التى عرف حسنها فى الدين فيؤمر بها والشؤون السيئة التى عرف قبحها فيه فينهى عنها كما قيل كل ما وافق فى طاعة الله فعلا أو تركا فهو معروف وكما روى عن بعض أكابر المفسرين من أنه هو النهى عن النياحة والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه ونشره وخمش الوجه وأن تحدث المرأة الرجال الا ذا رحم محرم وأن تخلو برجل غير محرم وأن تسافر الا مع ذى رحم محرم فيكون هذا التعميم بعد التخصيص ويحتمل أن يكون المراد من المعروف ما يقابل المنكر فيكون ما قبله للنهى عن المنكر وهذا للامر بالمعروف لتكون الآية جامعة لهما والتقييد بالمعروف مع أن الرسول عليه السلام لا يأمر الا به للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق لانه لما شرط ذلك فى طاعة النبى عليه السلام فكيف فى حق غيره وهو كقوله الا ليطاع باذن الله كما قال فى عين المعانى فدل على أن طاعة الولاة لا تجب فى المنكر ولم يقل ولا يعصين الله لان من أطاع الرسول فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله وتخصيص الامور المعدودة بالذكر فى حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن ووجه الترتيب بين هذه المنهيات أنه قدم الاقبح على ما هو أدنى قبحا منه ثم كذلك الى آخرها ولذا قدم ما هو الاظهر والاغلب فيما بينهن وقال صاحب اللباب ذكر الله تعالى فى هذه الآية لرسول الله عليه السلام فى صفة البيعة خصالا ستا هن أركان ما نهى عنه فى الدين ولم يذكر أركان ما أمر به وهى أيضا ست الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لان النهى عنها دائم فى كل زمان وكل حال فكان التنبيه على اشتراط الدائم أهم وآكد (فبايعهن) جواب لاذا فهو العامل فيها فان الفاء لا تكون مانعة وهو أمر من المبايعة أى فبايعهن على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح أمره وظهور أصالته فى المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر أركان الدين وشعائر الاسلام أى بايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء فان المبايعة من جهة الرسول هو الوعد بالثواب ومن جهة الآخر التزام طاعته كما سبق وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها (واستغفر لهن الله) زيادة على ما فى ضمن المبايعة من ضمان الثواب والاستغفار طلب المغفرة للذنوب والستر للعيوب (ان الله غفور رحيم) أى مبالغ فى المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه بزركى فرموده مردمان ميكويند رحمت موقوفست بر ايمان يعنى تا بنده ايمان نيارد مستحق رحمت نشود ومن ميكويم كه ايمان موقوفست برحمت يعنى تا رحمت خود توفيق نبخشد كسى بدولت ايمان نرسد (مصراع) توفيق عزيزست بهر كس ندهند * يقول الفقير الامر بالاستغفار لهن اشارة الى قبول شفاعة حبيبه عليه السلام فى حقهن فهو من رحمته الواسعة وقد عم هذا

الامر في سورة الفتح فاستفاد جميع عباده وامانه الى يوم القيامة من بحر هذا الفضل ما يغنيهم ويرويهم وهو الفياض قال الامام الطيبي لعل المبالغة في الغفور باعتبار الكيفية وفي الغفار باعتبار الكمية كما قال بعض الصالحين انه غافر لانه يزيل معصيتك من ديوانك وغفور لانه ينسي الملائكة أفعالك السوء وغفار لانه تعالى ينسيك أيضا ذنبك كي لا تستحيي وحظ العارف منه أن يستر من أخيه ما يجب أن يستره منه ولا يفشي منه الا أحسن ما كان فيه ويتجاوز عما يندر عنه ويكافئ المسيء اليه بالصفح عنه والانعام عليه نسأل الله سبحانه أن يجعلنا متخلقين بأخلاقه الكريمة ومتصفين بصفاته العظيمة انه هو الغفور الرحيم واختلف في كيفية مبايعته عليه السلام لهن يوم الفتح فروى أنه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا وشرع في بيعة النساء ودعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن فجاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة خوفا من رسول الله أن يعرفها لما صنعته بحمزة رضي الله عنه يوم أحد من المثلة فلما قال عليه السلام أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيأ رفعت هند رأسها فقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فلما قال عليه السلام ولا يسرقن قالت ان أبا سفيان رجل شحيح واني أصبت من ماله هنات أي شيأ يسيرا فما أدري أيحل لي فقال أبو سفيان ما أصبت فهو لك حلال فضحك عليه السلام وقال أنت هند قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فعفا عنها فقال ولا يزنين فقالت وهل تزني الحرة فقال عمر رضي الله عنه لو كان قلب نساء العرب على قلب هند ما زنت امرأة قط فقال ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء (وروى) أنه عليه السلام بايعهن وبين يديه وأيديهن ثوب قطري والقطر بالكسر ضرب من البرود يأخذ بطرف منه ويأخذن بالطرف الآخر توقيا عن مساس أيدي الاجنبيات (وروى) أنه جلس على الصفا ومعه عمر رضي الله عنه أسفل منه فجعل عليه السلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن (وروى) أن عمر رضي الله عنه كان يبايع النساء بأمره عليه السلام ويبلغهن عنه وهو أسفل منه عند الصفا (وروى) أنه عليه السلام كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وهي أميمة أخت خديجة رضي الله عنها خالة فاطمة رضي الله عنها والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها والله ما أخذ رسول الله على النساء قط الا بما أمر الله وما مست كف رسول الله كف امرأة قط وكان يقول اذا أخذ عليهن قد بايعتكن على كلها وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله يمتحنهن بقول الله يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات الخ فاذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن * يقول الفقير انما بايع عليه السلام الرجال مع مس الايدي دون النساء لان مقام الشارع يقتضي الاحتياط وتعليم الامة والا فاذا جازت مصافحة عمر رضي الله عنه لهن كما في بعض الروايات جازت مصافحته عليه السلام لهن لانه أعلى حالا من عمر من كل وجه وبالجملة كانت البيعة مع النساء والرجال أمرا مشروعا بأمر الله وسنته بفعل رسول الله ومن ذلك كانت عادة مستحسنة

بين الفقراء الصوفية حين ارادة التوبة تثبيتا للايمان وتجديدا لنور الايقان على ما أشبعنا
الكلام عليه فى المبايعة فى سورة الفتح وذكرنا كل طرف منها فيها فارجع * وفى التأويلات
النجمية قوله تعالى يا أيها النبى اذا جاءك الخ يخاطب نبى الروح ويشير الى النفوس المؤمنة
الداخلة تحت شريعة نبى الروح يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيأ من حب الدنيا وشهواتها
ولذاتها وزينتها وزخارفها ولا يسرقن من أخلاق الهوى المتبع وصفاته الرديئة ولا يزنين أى
مع الهوى بالاتفاق معه والاتباع له ولا يقتلن أولادهن أى لا يمنعن ولا يرددن أولاد الخواطر
الروحانية والالهامات الربانية ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وأرجلهن يعنى لا يدعين بما لم
يحصل لهن من المواهب العلوية من المشاهدات والمعاينات والتجريد والتفريد ولا من العطايا
السفلية من الزهد والورع والتوكل والتسليم لانهن ما بلغن بعد اليها ولا يعصينك فى معروف
أى فى كل ما تأمرهن من الاخلاق والاوصاف فبايعهن أى فاقبل ما بايعتهن بين يديك بالصدق
والاخلاص واستغفر لهن الله مما وقع منهن قبل دخولهن فى ظل انوارك من المخالفات
الشرعية والموافقات الطبيعية ان الله غفور يسترها بالموافقات الشرعية رحيم بهن يرحمهن
بالمخالفات الطبيعية (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما) دوستى مكنيد با كروهى كه فالتولى هنا
بمعنى الموالاة والموادة (غضب الله عليهم) صفة لقوما وكذا قد يئسوا وهم جنس الكفار لان كلهم
مغضوب عليهم لا رحمة لهم من الرحمة الاخروية وقيل اليهود لما روى أنها نزلت فى بعض فقراء
المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم وهو قول الاكثرين وقد قال تعالى فى حق
اليهود وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير والقوم الرجال وربما دخل النساء فيه على سبيل
التبع لان قوم كل نبى رجال ونساء (قد يئسوا من الآخرة) اليأس انقطاع الطمع يعنى نوميد
شده اند از آخرت لكفرهم بها وعدم ايقانهم على أن يراد بقوما عامة الكفرة ومن لابتداء الغاية
أو لعلمهم بأنه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت فى التوراة المؤيد بالآيات على أن يراد به
اليهود والتقدير من ثواب الآخرة يعنى أنهم أهل الكتاب يؤمنون بالقيامة لكنهم لما أصروا على
الكفر حسدا وعنادا يئسوا من ثوابها قال عليه السلام يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله
الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئتكم بحق فاسلموا (كما يئس الكفار من
أصحاب القبور) من بيان للكفار أى كائنين منهم أى كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على
حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال
اليأس منها قال مقاتل ان الكافر اذا وضع فى قبره أتاه ملك شديد الانتهار ثم يسأله من ربك
وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدرى فيقول الملك أبعدك الله انظر الى منزلك من النار فيدعو
بالويل والثبور ويقول هذا لك فيفتح باب الجنة فيقول هذا لمن آمن بالله فلو كنت آمنت بربك
نزلت الجنة فيكون حسرة عليه وينقطع رجاؤه ويعلم أنه لا حظ له فيها وييأس من خير الجنة وقيل
من متعلقة بيئس فالمعنى كما يئسوا من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا أحياء والاظهار فى
موضع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم وهو الكفر والقبر مقر الميت والمقبرة موضع القبور وفى
الآية اشارة الى الابدان المريضة المعتلة النجسة الخبيثة المظلمة فان الكفار أيسوا من خروج
ضيق قبور أخلاقهم السيئة الى سعة فضاء صفاتهم الحسنة وكذا سائرهم من أهل الحجب الكثيفة

ومن أصحاب القبور ومن حاله على عكس هذا كما أشار النبي عليه السلام بقوله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور وهم من ماتوا بالاختيار قبل الموت بالاضطرار وذلك بالفناء التام فكانت أجسادهم لارواحهم كالقبور للموتى نسأل الله الختم بالسعادة بحرمة من له كمال السيادة والدفن في أحب البقاع اليه والقدوم بكمال البشرى عليه والقيام بمزيد الفخر لديه * خدايا بحق بني فاطمه * كه برقول ايمان كنم خاتمه * خدوندكار نظركن بجود * كه جرم آيد از بندكان در وجود * چو ما را بدنيا تو كردى عزيز * بعقبى همين چشم داريم نيز

تمت سورة الممتحنة في العشر الاخير من شهر رمضان المنتظم في سلك شهور سنة خمس عشرة ومائة وألف

* (سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها أربع عشرة بلا خلاف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله) نزهه عن كل ما لا يليق بجنابه العلي العظيم (ما في السموات) من العلويات الفاعلة (وما في الارض) من السفليات القابلة آفاقا وأنفسا أي نزهه جميع الاشياء من غير فرق بين موجود وموجود كما قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده (وهو العزيز) الغالب الذي لا يكون الامايريد (الحكيم) الذي لا يفعل الا بالحكمة فلا عزيز ولا حكيم على الاطلاق غيره فلذا يجب تسبيحه قال في كشف الاسرار من أراد أن يصفو له تسبيحه فليصف عن آثار نفسه قلبه ومن أراد أن يصفو له في الجنة عيشه فليصف عن أوضار الهوى دينه (يا أيها الذين امنوا) ايمانا رسميا (لم تقولون ما لا تفعلون) روى أن المسلمين قالوا لو علمنا أحب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت تعييرا لهم بترك الوفاء ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت ألفها تخفيفا لكثرة استعمالها معا كما في عم وفيم ونظائرهما معناها لاي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلون من الخير والمعروف على أن مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجهه الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان أن المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به أيضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه أن المنكر هو ترك الموعود فليس المراد من ما حقيقة الاستفهام لان الاستفهام من الله محال لانه عالم بجميع الاشياء بل المراد الانكار والتوبيخ على أن يقول الانسان من نفسه ما لا يفعله من الخير لانه ان أخبر أنه فعل في الماضي والحال ولم يفعله كان كاذبا وان وعد أن يفعله في المستقبل ولا يفعله كان خلفا وكلاهما مذموم كما قال في الكشاف هذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعد وهذا بخلاف ما اذا وعد فلم يف بميعاده لعذر من الاعذار فانه لا اثم عليه وفي عرائس البقلي حذر الله المريدين أن يظهروا بدعوى المقامات التي لم يبلغوا اليها لئلا يقعوا في مقت الله وينقطعوا عن طريق الحق بالدعوى بالباطل وأيضا زجر الاكابر في ترك بعض الحقوق ومن لم يوف بالعهود ولم يأت بالحقوق لم يصل الى الحق والحقيقة وأيضا ليس للعبد فعل ولا تدبير لانه أسير في قبضة العزة يجري عليه أحكام القدرة وتصاريف المشيئة فمن قال فعلت أو أتيت أو شهدت فقد نسي مولاه وادعى ما ليس له ومن شهد من نفسه

طاعة كان الى العصيان أقرب لان النسيان من العمى * وفى التأويلات النجمية يا أيها المؤمنون المقلدون لم تدعون الدنيا بلسان الظاهر وتمدحونها بلسان الباطن بشهادة ارتكابكم أنواع الشهوات الحيوانية وأصناف اللذات الجسمانية أو تمدحون الجهاد بلسانكم وتذمونه بقلوبكم وذلك يدل على اعراضكم عن الحق واقبالكم على النفس والدنيا وهذا كبر مقتا عند الله تعالى كما قال (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) كبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وأن تقولوا هو المخصوص بالذم والمقت البغض الشديد لمن يراه متعاطيا القبيح يقال مقته فهو مقيت وممقوت وكان يسمى تزوج امرأة الاب نكاح المقت وعند الله ظرف للفعل يعنى فى علمه وحكمته والكلام بيان لغاية قبح ما فعلوه أى عظم بغضا فى حكمته تعالى هذا القول المجرد فهو أشد ممقوتية ومبغوضية فمن مقته الله فله النار ومن أحبه الله فله الجنة (قال الكاشفى) ونزد بعضى علما آيت عامست يعنى هركه سخنى كويد ونكند در ين عتاب داخلست وبا آن علمايى كه خلق را بعمل خير فرمايند وخود ترك نمايند اين سياست خواهد بود

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى وحضرت پيغمبر عليه السلام در شب معراج ديدكه لبهاى جنين كسان بمقراض آتشين مى بريدند * از من بكوى عالم تفسير كوى را * كر در عمل نكوشى نادان مفسرى * بار درخت علم ندانم بجز عمل * با علم اكر عمل نكنى شاخ بى برى * قيل لبعض السلف حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال لهم أتأمروننى أن أقول مالا أفعل فأستعجل مقت الله قال القرطبى رحمه الله ثلاث آيات منعتنى أن أقص على الناس أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون وقد ورد الوعيد فى حق من يترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر أيضا أى كما ورد فى حق من يترك العمل فالخوف اذا كان على كل منهما فى درجة متناهية فكيف على من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف وأكثر الناس فى هذا الزمان هكذا والعياذ بالله تعالى قال فى اللباب ان الآية توجب على كل من ألزم نفسه عملا فيه طاعة الله أن يفى به فان من التزم شيأ لزم شرعا اذ الملتزم اما نذر تقرب مبتدأ كقوله لله على صلاة أو صوم أو صدقة ونحوه من القرب فيلزم الوفاء اجماعا أو نذر مباح وهو ما علق بشرط رغبة كقوله ان قدم غائبى فعلى صدقة أو بشرط رهبة كقوله ان كفانى الله شر كذا فعلى صدقة ففيه خلاف فقال مالك وأبو حنيفة يلزمه الوفاء به وقال الشافعى فى قول لا يلزم وعموم الآية حجة لنا لانها باطلاقها تتناول ذم من قال مالا يفعله على أى وجه كان من مطلق أو مقيد بشرط (ان الله يحب الذين يقاتلون) أعداء الله (فى سبيله) فى طريق مرضاته واعلاء دينه أى يرضى عنهم ويثنى عليهم (صفا) صف زده در برابر خصم وهو بيان لما هو مرضى عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح فى أن ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال وصفا مصدر وقع موقع الفاعل أو المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون أى صافين أنفسهم أو مصفوفين والصف أن يجعل الشئ على خط مستو كالناس والاشجار (كأنهم بنيان مرصوص) حال من المستكن فى الحال الاولى والبنيان الحائط وفى القاموس البناء ضد الهدم بناه بنيا وبناء وبنيانا وبنية وبناية

والبناء المبنى والبنيان واحد لاجمع دل عليه تذكير مرصوص وقال بعضهم بنيان جمع بنيانة على حد نخل ونخلة وهذا النحو من الجمع يصح تأنيثه وتذكيره والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه كما قال فى تاج المصادر الرص استوار بر آوردن بنا قال ابن عباس رضى الله عنهما يوضع الحجر على الحجر ثم يرص بأحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فيسميه أهل مكة المرصوص والمعنى حال كونهم مشبهين فى تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيأ واحدا وقال الراغب بنيان مرصوص أى محكم كأنما بنى بالرصاص يعنى كوييا ايشان در استحكام بنا اند يعنى از زير كابتست ازثبات قدم ايشان درمعركه حرب و بيكديكر باز بسته اند وهو قول الفراء وتراصوا فى الصلاة أى تضايقوا فيها كما قال عليه السلام تراصوا بينكم فى الصلاة لا يتخللكم الشياطين فالزحمة فى مثل هذا المقام رحمة فلا بد من سد الخلل أو المحاذاة بالمناكب كالبنيان المرصوص ولا ينافيه قول سفيان ينبغى أن يكون بين الرجلين فى الصف قدر ثلثى ذراع فذلك فى غيره كما فى المقاصد الحسنة وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة كما فى الكشاف يقول الفقير الدليل على فضل الراكب على الراجل أن له سهمين من الغنيمة وانما حث عليه السلام على التراص لان المسلمين يومئذ كانوا راجلين غالبا ولم يجدوا راحلة ونحوها الا قليلا قال سعيد بن جبير رضى الله عنه هذا تعليم من الله للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم ولذلك قالوا لا يجوز الخروج من الصف الا لحاجة تعرض للانسان أو فى رسالة يرسله الامام أو منفعة تظهر فى المقام المنتقل اليه كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها وفى الخروج عن الصف للمبارزة خلاف لا بأس بذلك ارهابا للعدو وطلبا للشهادة وتحريضا على القتال وقيل لا يبرز أحد لذلك لان فيه رياء أو خروجا الى ما نهى الله عنه وانما تكون المبارزة اذا طلبها الكافر كما كانت فى حروب النبى عليه السلام يوم بدر وفى غزوة خيبر قال فى فتح الرحمن أما حكم الجهاد فهو فرض كفاية على المستطيع بالاتفاق اذا فعله البعض سقط عن الباقين وعند النفير العام وهو هجوم العدو يصير فرض عين بلا خلاف ففى الآية زجر عن التباطئ وحث على التسارع ودلالة على فضيلة الجهاد وروى فى الخبر أنه لما كان يوم مؤتة بالضم موضع بمشارف الشأم قتل فيه جعفر بن أبى طالب وفيه كانت تعمل السيوف كما فى القاموس وكان عبد الله بن رواحة رضى الله عنه أحد الامراء الذين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداهم يا أهل المجلس هذا الذى وعدكم ربكم فقاتل حتى قتل وكان عبد الله بن رواحة الانصارى شاعر رسول الله وكان يقص على أصحاب رسول الله فى مسجده على حيانه وجلس اليه رسول الله يوما وقال أمرت أن أجلس اليكم وأمر ابن رواحة أن يمضى فى كلامه كما فى كشف الاسرار ثم ان الجهاد اما مع الاعداء الظاهرة كالكفار والمنافقين واما مع الاعداء الباطنة كالنفس والشيطان وقال عليه السلام المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله والمهاجر من هاجر الخطايا والذنوب وأعظم المجاهدة فى الطاعة الصلاة لان فيها سر الفناء وتشق على النفس (واذ قال موسى لقومه) كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى عليه السلام بطريق التلوين أى اذكر لهؤلاء المؤمنين المتقاعدين عن القتال وقت قول موسى لبنى اسرائيل حين ندبهم الى قتال

الجبابرة

الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بأمره وعصوه أشد عصيان حيث قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وأصروا على ذلك وآذوه عليه السلام كل الاذية كذا فى الارشاد

* يقول الفقير لاشك أن قتل الاعداء من باب التسبيح لانهم الذين قالوا اتخذ الله ولدا وعبدوا معه الاصنام فكان فى مقاتلتهم توسيع ساحة التنزيه ولذا بدأ الله تعالى فى عنوان السورة بالتسبيح وأشار بلفظ الحكيم الى أن القتال من باب الحكمة وأنه من باب دفع القضاء بالقضاء على ما يعرفه أهل الله وبلفظ العزيز الى غلبة المؤمنين المقاتلين ثم انهم كرهوا ذلك كأنهم لم يثقوا بوعد الله بالغلبة ووقعوا من حيث لم يحتسبوا فى ورطة نسبة العجز الى الله سبحانه ولذا تقاعدوا عن القتال وبهذا التقاعد حصلت الاذية له عليه السلام لان مخالفة أولى الامر أذية لهم فأشار الحق تعالى بقصة موسى الى أن الرسول حق وأن الخروج من طاعته فسق وأن الفاسق مغضوب الله تعالى لان الهداية من باب الرحمة وعدمها من باب السخط والعياذ بالله تعالى من سخطه وغضبه وأليم عذابه وعقابه (يا قوم) أى كروه من فأصلها يا قومى ولذا تكسر الميم ولولا تقدير الياء لقيل يا قوم بالضم لانه حينئذ يكون مفردا معرفة فيبنى على الضم وهو نداء بالرفق والشفقة كما هو شأن الانبياء ومن يليهم (لم تؤذوننى) جرا مى رنجانيد مرا أى بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به والاذى ما يصل الى الانسان من ضرر اما فى نفسه أو فى جسمه أو قنياته دنيويا كان أو أخرويا قال فى القاموس آذى فعل الاذى وصاحبه أذى وأذاة وأذية ولا تقل ايذاء انتهى فلفظ الايذاء فى أفواه العوام من الاغلاط وربما تراه فى عبارات بعض المصنفين (وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم) جملة حالية مؤكدة لانكار الاذية ونفى سببها وقد لتحقيق العلم لا للتوقع ولا للتقريب ولا للتقليل فانهم قالوا ان قد اذا دخلت على الحال تكون للتحقيق واذا دخلت على الاستقبال تكون للتقليل وصيغة المضارع للدلالة على استمرار العلم أى والحال أنكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدى من المعجزات أنى مرسل من الله اليكم لارشدكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك أن تبالغوا فى تعظيمى وتسارعوا الى طاعتى فان تعظيمى تعظيم لله واطاعتى اطاعة له وفيه تسلية للنبى عليه السلام بأن الاذية قد كانت من الامم السالفة أيضا لانبيائهم والبلاء اذا عم خف وفى الحديث رحمة الله على أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر وذلك أنه عليه السلام لما قسم غنائم الطائف قال بعض المنافقين هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فتغير وجهه الشريف وقال ذلك (فلما زاغوا) الزيغ الميل عن الاستقامة والتزايغ التمايل أى أصروا على الزيغ عن الحق الذى جاء به موسى واستمروا عليه (أزاغ الله قلوبهم) أى صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغى والضلال وقال الراغب فى المفردات أى لما فارقوا الاستقامة عاملهم بذلك وقال جعفر لما تركوا أوامر الخدمة نزع الله من قلوبهم نور الايمان وجعل للشيطان اليهم طريقا فأزاغهم عن طريق الحق وأدخلهم فى مسالك الباطل وقال الواسطى لما زاغوا عن القربة فى العلم أزاغ الله قلوبهم فى الخلقة وقال بعضهم لما زاغوا عن العبادة أزاغ الله قلوبهم عن الارادة يقول الفقير لما زاغوا عن رسالة موسى

قوله ولا تقل الخ فى الصحاح والمصباح ما يفيد أنه يقال ذلك فراجع

ونبوته أزاغ الله قلوبهم عن ولايته وبجعيته فهم رأوا موسى على أنه موسى لا على أنه رسول نبي فحرموا من رؤية الحق تعالى (والله لا يهدى القوم الفاسقين) اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ومؤذن بعليته أى لا يهدى القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لا هداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد جنس الفاسقين وهم داخلون فى حكمهم دخولا أوليا ووصفهم بالفسق نظرا الى قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقوله تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين قال الامام هذه الآية تدل على عظم أذى الرسول حتى انه يؤدى الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى انتهى * ويتبعه أذى العالمين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر لان العلماء ورثة الانبياء فأذاهم فى حكم أذاهم فكما أن الانبياء والاولياء داعون الى الله تعالى على بصيرة فكذلك رسل القلوب فانهم يدعون القوى البشرية والطبيعية من الصفات البشرية السفلية الى الاخلاق الروحانية العلوية ومن ظلمة الخلقية الى نور الحقية فمن مال عن الحق وقبول الدعوة لعدم الاستعداد الذاتى ضل بالتوجه الى الدنيا والاقبال عليها فأنى يجد الهداية الى حضرة الحق سبحانه (واذ قال عيسى ابن مريم) اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها او معمول لمضمر معطوف على عاملها وابن هنا وفى عزير ابن الله باثبات الالف خطا لندرة وقوعه بين رب وعبد وذكر وأنثى (يا بنى اسرائيل) أى فرزندان يعقوب ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه فى قوله (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة) فان تصديقه عليه السلام اياها من أقوى الدواعى الى تصديقهم اياه أى أرسلت اليكم لتبليغ أحكامه التى لا بد منها فى صلاح أموركم الدينية والدنيوية درحالتى كه باوردارنده ام من آنجيزرا كه بيش منست از كتاب تورات يعنى قبل از من نازل شده ومن تصديق كرده ام كه آن از نزد خداست وقال أبو الليث يعنى أقرأ عليكم الانجيل موافقا للتوراة فى التوحيد وبعض الشرائع قال القاضى فى تفسيره ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم اذ النسب الى الآباء والام من بنى اسرائيل لان اسرائيل لقب يعقوب ومريم من نسله ثم ان هذا دل على أن تصديق المتقدم من الانبياء والكتب من شعائر أهل الصدق ففيه مدح لامة محمد عليه السلام حيث صدقوا الكل (ومبشرا) التبشير مژده دادن (برسول يأتى من بعدى) معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه السلام من حيث ان البشارة به واقعة فى التوراة والعامل فيهما ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات بمعزل عن تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل أى أرسلت اليكم حال كونى مصدقا لما تقدمنى من التوراة ومبشرا بمن يأتى من بعدى من رسول وكان بين مولده وبين الهجرة ستمائة وثلاثون سنة وقال بعضهم بشرهم به ليؤمنوا به عند مجيئه أو ليكون معجزة لعيسى عند ظهوره والتبشير به تبشير بالقرآن أيضا وتصديق له كالتوراة (اسمه أحمد) أى محمد صلى الله عليه وسلم يريد أن دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر فذكر أول الكتب المشهورة الذى يحكم به النبيون والنبى الذى هو خاتم النبيين وعن أصحاب رسول الله أنهم قالوا أخبرنا يا رسول الله عن نفسك قال أنا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورأت أمى رؤيا حين حملتنى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور بصرى فى أرض الشام وبصرى كحبلى بلد بالشام وكذا بشر كل

نبى

قوله وفى عزير الخ فيه أن ابن هنا خبر لا نعت فلا يحتاج لهذا التعليل اه

نبي قومه بنبينا محمد عليه السلام والله تعالى أفرد عيسى عليه السلام بالذكر في هذا الموضع لانه آخر نبي قبل نبينا فبين أن البشارة به عمت جميع الانبياء واحدا بعد واحد حتى انتهت الى عيسى كما في كشف الاسرار وقال بعضهم كان بين رفع المسيح ومولد النبي عليه السلام خمسمائة وخمس وأربعون سنة تقريبا وعاش المسيح الى أن رفع ثلاثا وثلاثين سنة وبين رفعه والهجرة الشريفة خمسمائة وثمان وتسعون سنة ونزل عليه جبريل عشر مرات وأمته النصارى على اختلافهم ونزل على نبينا عليه السلام أربعة وعشرين ألف مرة وأمته أمة مرحومة جامعة لجميع الملكات الفاضلة قيل قال الحواريون لعيسى يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة محمد حكماء علماء أبرار أتقياء كانهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل وأحمد اسم نبينا صلى الله عليه وسلم قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر في كتاب تلقيح الاذهان سمي من حيث تكرر حمده محمدا ومن حيث كونه حامل لواء الحمد أحمد انتهى قال الراغب أحمد اشارة للنبي عليه السلام باسمه تنبيها على أنه كما وجد اسمه أحمد يوجد جسمه وهو محمود في أخلاقه وأفعاله وأقواله وخص لفظ أحمد فيما بشر به عيسى تنبيها أنه أحمد منه ومن الذين قبله انتهى ويوافقه ما في كشف الاسرار من أن الالف فيه للمبالغة في الحمد وله وجهان أحدهما أنه مبالغة من الفاعل أي الانبياء كلهم حامدون لله تعالى وهو أكثر حمدا من غيره والثاني أنه مبالغة من المفعول أي الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مناقب وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها انتهى * زصد هزار محمد كه درجهان آيد * يكى بمنزلت وفضل مصطفى نرسد * قال ابن الشيخ في حواشيه يحتمل أن يكون أحمد منقولا من الفعل المضارع وأن يكون منقولا من صفة وهي أفعل التفضيل وهو الظاهر وكذا محمد فانه منقول من الصفة أيضا وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فانه محمود في الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة ومحمود في الآخرة بالشفاعة وقال الامام السهيلي في كتاب التعريف والاعلام أحمد اسم علم منقول من صفة لا من فعل وتلك الصفة أفعل التي يراد بها التفضيل فمعنى أحمد أحمد الحامدين لربه عز وجل وكذلك قال هو في المعنى لانه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد ربه بها وكذلك يعقد لواء الحمد وأما محمد فمنقول من صفة أيضا وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة كما أن المكرم من أكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله تعالى سماه به قبل أن يسمي به نفسه فهذا علم من أعلام نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود في الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان أحمد ربه فنبأه وشرفه ولذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى عليه السلام فقال اسمه أحمد وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك أمة أحمد فقال اللهم اجعلني من أمة أحمد فبأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون أحمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف كان ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر في الذكر وفي الوجود وفي الدنيا

وفى الآخرة تلح لك الحكمة الالهية فى تخصيصه بهذين الاسمين وانظر كيف أنزلت عليه سورة الحمد وخص بها دون سائر الانبياء وخص بلواء الحمد وخص بالمقام المحمود وانظر كيف شرع له سنة وقرآنا أن يقول عند اختتام الافعال وانقضاء الامور الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وقال أيضا وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين تنبيها لنا على أن الحمد مشروع عند انقضاء الامور وسن عليه السلام الحمد بعد الاكل والشرب وقال عند انقضاء السفر آيبون تائبون لربنا حامدون ثم انظر لكونه عليه السلام خاتم الانبياء ومؤذنا بانفصال الرسالة وانقطاع الوحى ونذيرا بقرب الساعة وتمام الدنيا مع ان الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الامور مشروع عندها تجد معانى اسمه جميعا وما خص به من الحمد والمحامد مشاكلا لمعناه مطابقا لصفته وفى ذكره برهان عظيم وعلم واضح على نبوته وتخصيص الله له بكرامته وانه قدم له هذه المقامات قبل وجوده تكرمة له وتصديقا لامره عليه السلام انتهى كلام السهيلى * يقول الفقير الذى يلوح بالبال أن تقدم الاسم أحمد على الاسم محمد من حيث انه عليه السلام كان اذ ذاك فى عالم الارواح متميزا عن الاحد بميم الامكان فدل قلة حروف اسمه على تجرده التام الذى يقتضيه موطن عالم الارواح ثم انه لما تشرف بالظهور فى عالم العين الخارجى وخلع الله عليه من الحكمة خلعة أخرى زائدة على الخلع التى قبلها ضوعف حروف اسمه الشريف فقيل محمد على ما يقتضيه موطن العين ونشأة الوجود الخارجى ولا نهاية للاسرار والحمد لله تعالى قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى كتاب مواقع النجوم ما انتظم من الوجود شئ بشئ ولا انضاف منه شئ الى شئ الا لمناسبة بينهما ظاهرة أو باطنة فالمناسبة موجودة فى كل الاشياء حتى بين الاسم والمسمى ولقد أشار أبو زيد السهيلى وان كان أجنبيا عن أهل هذه الطريقة الى هذا المقام فى كتاب المعارف والاعلام له فى اسم النبى عليه السلام محمد وأحمد وتكلم على المناسبة التى بين أفعال النبى عليه السلام وأخلاقه وبين معانى اسميه محمد وأحمد انتهى كلام الشيخ أشار رضى الله عنه الى ما قدمناه من كلام السهيلى وقال بعض العارفين سمى عليه السلام بأحمد لكون حمده أتم وأشمل من حمد سائر الانبياء والرسل اذ محامدهم لله انما هى بمقتضى توحيد الصفات والافعال وحمده عليه السلام انما هو بحسب توحيد الذات المستوعب لتوحيد الصفات والافعال انتهى * قال فى فتح الرحمن لم يسم بأحمد أحد غيره ولا دعى به مدعو قبله وكذلك محمد أيضا لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم الى أن شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده أى من الكهان والاحبار أن نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الاوسى ومحمد بن مسلمة الانصارى ومحمد بن البراء البكرى ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمدان الجعفى ومحمد بن خزاعة السلمى فهم ستة لا سابع لهم ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدعى النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا فى أمره حتى تحققت السمتان له عليه السلام ولم ينازع فيهما انتهى * واختلف فى عدد أسماء النبى عليه السلام فقيل له عليه السلام ألف اسم كما أن لله تعالى ألف اسم وذلك فانه عليه السلام مظهر تام له تعالى فكما ان أسماءه تعالى أسماء له عليه السلام من جهة الجمع فله عليه السلام أسماء أخر من جهة الفرق على ما تقتضيه الحكمة فى هذا الموطن

فمن أسمائه محمد أى كثير الحمد لان أهل السماء والارض حمدوه فى الدنيا والآخرة ومنها أحمد أى أعظم حمدا من غيره لانه حمد الله تعالى بمحامد لم يحمد بها غيره ومنها المقفى بتشديد الفاء وكسره لانه أتى عقب الانبياء وفى قفاهم وفى التكملة هو الذى قفى على آثار الانبياء أى اتبع آثارهم ومنها نبى التوبة لانه كثير الاستغفار والرجوع الى الله أو لان التوبة فى أمته صارت أسهل الا ترى أن توبة عبدة العجل كانت بقتل النفس أو لان توبة أمته كانت أبلغ من غيرهم حتى يكون التائب منهم كمن لا ذنب له لا يؤاخذ به فى الدنيا ولا فى الآخرة وغيرهم يؤاخذ فى الدنيا لا فى الآخرة ومنها نبى الرحمة لانه كان سبب الرحمة وهو الوجود لقوله تعالى لولاك لما خلقت الافلاك وفى كتاب البرهان للكرمانى لولاك يا محمد لما خلقت الكائنات خاطب الله النبى عليه السلام بهذا القول انتهى قيل الاولى أن يحترز عن القول بأنه لولا نبينا عليه السلام لما خلق الله آدم وان كان هذا شيأ يذكره الوعاظ على رؤس المنابر يرون به تعظيم محمد عليه السلام لان النبى عليه السلام وان كان عظيم المرتبة عند الله لكن لكل نبى من الانبياء مرتبة ومنزلة وخاصية ليست لغيره فيكون كل نبى أصلا لنفسه كما فى التاتارخانية * يقول الفقير كان عليه السلام نبى الرحمة لانه هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية على وجه الزمان قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال امير المؤمنين على رضى الله عنه كان فى الارض أمانان فرفع أحدهما وبقى الآخر فأما الذى رفع فهو رسول الله عليه السلام وأما الذى بقى فالاستغفار وقرأ بعد هذه الآية ومنها نبى الملحمة أى الحرب لانه بعث بالقتال فان قلت المبعوث بالقتال كيف يكون رحمة قلت كان أمم الانبياء يهلكون فى الدنيا اذا لم يؤمنوا بهم بعد المعجزات ونبينا عليه السلام بعث بالسيف ليرتدعوا به عن الكفر ولا يستأصلوا وفى كونه عليه السلام نبى الحرب رحمة ومنها الماحى وهو الذى محا الله به الكفر أو سيآت من اتبعه ومنها الحاشر وهو الذى يحشر الناس على قدمه أى على أثره ويجوز أن يراد بقدمه عهده وزمانه فيكون المعنى ان الناس يحشرون فى عهده أى فى دعوته من غير أن تنسخ ولا تبدل ومنها العاقب وهو الذى ليس بعده نبى لا مشرعا ولا متابعا أى قد عقب الانبياء فانقطعت النبوة قال عليه السلام يا على أنت منى بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبى بعدى أى بالنبوة العرفية بخلاف النبوة الحقيقية التى هى الانباء عن الله فانها باقية الى يوم القيامة الا أنه لا يجوز أن يطلق على أهلها النبى لايهامه النبوة العرفية الحاصلة بمجىء الوحى بواسطة جبرائيل عليه السلام ومنها الفاتح فان الله فتح به الاسلام ومنها الكاف قيل معناه الذى أرسل الى الناس كافة وليس هذا بصحيح لان كافة لا يتصرف منه فعل فيكون منه اسم فاعل وانما معناه الذى كف الناس عن المعاصى كذا فى التكملة * يقول الفقير هذا اذا كان الكاف مشددا وأما اذا كان مخففا فيجوز أن يشار به الى المعنى الاول كما قال تعالى يس أى يا سيد البشر ومنها صاحب الساعة لانه بعث مع الساعة نذيرا للناس بين يدى عذاب شديد ومنها الرؤف والرحيم والشاهد والمبشر والسراج المنير وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وقثم أى الجامع للخير ومنها ن اشارة الى اسم النور والناصر ومنها المتوكل والمختار والمحمود والمصطفى واذا اشتقت أسماؤه من صفاته كثرت جدا ومنها الخاتم بفتح التاء أى أحسن الانبياء خلقا وخلقا فكأنه جمال الانبياء كالخاتم الذى يتجمل

به أي لما أتقنت به النبوة وكملت كان كالخاتم الذي يختم به الكتاب عند الفراغ منه وأما الخاتم بكسر التاء فمعناه أنه آخر الانبياء فهو اسم فاعل من ختم ومنها راكب الجمل سماه به شعياء النبي عليه السلام فان قلت لم خص بركوب الجمل وقد كان يركب غيره كالفرس والحمار قلت كان عليه السلام من العرب لا من غيرهم كما قال أحب العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي والجمل مركب العرب مختص بهم لا ينسب الى غيرهم من الامم ولا يضاف اليهم ومنها صاحب الهراوة سماه به سطيح الكاهن والهراوة بالكسر العصا فان قلت لم خص بالعصا وقد كان غيره من الانبياء يمسكها قلت العصا كثيرا ما تستعمل في ضرب الابل وتخص بذلك كما قال به كثير في صفة البعير

ينوخ ثم يضرب بالهراوى * فلا عرف لديه ولا نكير

فركوبه الجمل وكونه صاحب هراوة كناية عن كونه عربيا وقيل هي اشارة الى قوله في الحديث في صفة الحوض أذود الناس عنه بعصاي ومنها روح الحق سماه به عيسى عليه السلام في الانجيل وسماه أيضا المنحمنا يعني محمد باخود آنكه خداى بفرستد او را بعد از مسيح وفي التكملة هو بالسريانية ومنها حمياطي بالعبرانية وبرقليطس بالرومية يعني محمد ومأذ مأذ يعني طيب طيب وفارقليطا مقصورا يعني أحمد وروى بارقليطا بالباء وقيل معناه الذي يفرق بين الحق والباطل وروى أن معناه بلغة النصارى ابن الحمد فكأنه محمد وأحمد وروى أنه عليه السلام قال اسمي في التوراة أحمد لاني أحمد أمتي عن النار واسمي في الزبور الماحي محا الله بي عبدة الاوثان واسمي في الانجيل أحمد وفي القرآن محمد لاني محمود في أهل السماء والارض فان قلت قال رسول الله عليه السلام لي خمسة أسماء فذكر محمدا وأحمد والماحي والحاشر والعاقب وقد بلغت أكثر من ذلك قلت تخصيص الوارد لا ينافي ما سواه فقد خص الخمسة اما لعلم السامع بما سواها فكأنه قال لي خمسة زائدة على ما تعلم أو لفضل فيها كأنه قال لي خمسة أسماء فاضلة معظمة أو لشهرتها كأنه قال لي خمسة أسماء مشهورة أو لغير ذلك مما يحتمله اللفظ من المعاني وقيل لانه أوحى اليه في ذلك الوقت كان هذه الاسماء وقيل كانت هذه الاسماء معروفة عند الامم السالفة ومكتوبة في الكتب المتقدمة وفيه أن أسماءه الموجودة في الكتب المتقدمة تزيد على الخمسة كما في التكملة لابن عسكر (فلما جاءهم) أي الرسول المبشر به الذي اسمه أحمد كما يدل عليه الآيات اللاحقة وأما ارجاعه الى عيسى كما فعله بعض المفسرين فبعيد جدا وكون ضمير الجمع راجعا الى بني اسرائيل لا ينافي ما ذكر لان نبينا عليه السلام مبعوث الى الناس كافة (بالبينات) أي بالمعجزات الظاهرة كالقرآن ونحوه والباء للتعدية ويجوز أن تكون للملابسة (قالوا هذا) مشيرين الى ما جاء به أو اليه عليه السلام (سحر مبين) ظاهر سحريته بلا مرية وتسميته عليه السلام سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر وفي الآية اشارة الى عيسى القلب واسرائيل الروح وبنيه النفس والهوى وسائر القوى الشريرة فانهم تولدت من الروح والقالب منسلخة عن حكم أبيها فدعاها عيسى القلب من الظلمات الطبيعية الى الانوار الروحانية وبشرها بأحمد السر لكونه أحمد من عيسى القلب لعلو مرتبته عليه فلما جاءها بصور التجليات الصفاتية والاسمائية قالت هذا أمر وهمي متخيل لا وجود له ظاهر البطلان

وهكذا براهين أهل الحق مع المنكرين (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) وكيست ستمكارتر ازان كس كه دروغ مى سازد بر الله والفرق بين الكذب والافترا هو أن الافتراء افتعال الكذب من قول نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه (وهو) اى والحال أن ذلك المفترى (يدعى) من لسان الرسول (الى الاسلام) الذى به سلامة الدارين أى أى الناس أشد ظلما من يدعى الى الاسلام الذى يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر فاللام فى الكذب للعهد أى هو أظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفى المساوى ومن الافتراء على الله الكذب فى دعوى النسب والكذب فى الرؤيا والكذب فى الاخبار عن رسول الله عليه السلام واعلم أن الداعى فى الحقيقة هو الله تعالى كما قال تعالى والله يدعوا الى دار السلام بأمره الرسول عليه السلام كما قال ادع الى سبيل ربك * وفى الحديث عن ربيعة الجرشى قال أتى نبى الله عليه السلام فقيل له لتنم عينك ولتسمع أذنك وليعقل قلبك قال فنامت عيناى وسمعت أذناى وعقل قلبى قال فقيل لى سيد بنى دارا فصنع مأدبة وأرسل داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ورضى عنه السيد ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة وسخط عليه السيد قال فالله السيد ومحمد الداعى والدار الاسلام والمأدبة الجنة ودخل فى دعوة النبى دعوة ورثته لقوله أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ولا بد أن يكون الداعى أميرا أو مأمورا وفى المصابيح فى كتاب العلم قال عوف بن مالك رضى الله عنه لا يقص الا أمير أو مأمور أو مختال رواه أبو داود وابن ماجه قوله أو مختال هو المتكبر والمراد به هنا الواعظ الذى ليس بأمير ولا مأمور مأذون من جهة الامير ومن كانت هذه صفته فهو متكبر فضولى طالب للرياسة وقيل هذا الحديث فى الخطبة خاصة كما فى المفاتيح (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه (يريدون ليطفؤا نور الله) الاطفاء الاخماد وبالفارسية فروكشتن آتش وچراغ أى يريدون أن يطفؤا دينه أو كتابه أو حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها فى لا أبالك أو يريدون الافتراء ليطفؤا نور الله وقال الراغب فى المفردات الفرق أن فى قوله تعالى يريدون أن يطفؤا نور الله يقصدون خفاء نور الله وفى قوله تعالى ليطفؤا يقصدون أمرا يتوصلون به الى اطفاء نور الله (بأفواههم) بطعنهم فيه وبالفارسية بدهنهاى خود يعنى بكفتار ناپسنديده وسخنان بى ادبانه مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس ليطفئه (والله متم نوره) أى مبلغه الى غايته بنشره فى الآفاق واعلائه جملة حالية من فاعل يريدون أو يطفؤا (ولو كره الكافرون) اتمامه ارغاما لهم وزيادة فى مرض قلوبهم ولو بمعنى ان وجوابه محذوف أى وان كرهوا ذلك فالله يفعله لا محالة (قال الكاشفى) وكراهت ايشانرا اثرى نيست در اطفاى چراغ صدق وصواب همچون ارادت خفاش كه غير مؤثرست در نابودن آفتاب * شب پره خواهد كه نبود آفتاب * تا ببيند ديدۀ ومرزوبوم * دست قدرت هر صباحى شمع مهر * مى فروزد كورئ خفاش شوم (وفى المثنوى) شمع حق را پف كنى تو اى عجوز * هم تو سوزى هم سرت اى كنده پوز * كى شود دريا ز پوز سك نجس * كى شود خورشيد از پف منطمس * هركه بر شمع خدا آرد پفو * شمع كى ميرد بسوزد پوز او * چون تو خفاشان بسى

ببندد خواب * كين جهان مانديتيم از آفتاب * اى بريده آن اب وحلق ودهان * كه كند تف سوى مه يا آسمان * تف برو يش باز كردد بى شكى * تف سوى كردون نيايد مسلكى * تا قيامت تف برو بارد ز رب * همچو تبت بر روان بولهب * قال ابن الشيخ اتمام نوره لما كان من أجل النعم كان استكراه الكفار اياه أى كافر كان من أصناف الكفرة غاية فى كفران النعمة فلذلك أسند كراهة اتمامه الى الكافرين فان لفظ الكافر أليق بهذا المقام وأما قوله ولو كره المشركون فانه قد ورد فى مقابلة اظهار دين الحق الذى معظم أركانه التوحيد وابطال الشرك وكفار مكة كارهون له من أجل انكارهم للتوحيد واصرارهم على الشرك فالمناسب لهذا المقام التعرض لشركهم لكونه العلة فى كراهتهم الدين الحق قال بعضهم جحدوا ما ظهر لهم من صحة نبوة النبى عليه السلام وأنكروه بألسنتهم وأعرضوا عنه بنفوسهم فقيض الله لقبوله أنفسا أوجدها على حكم السعادة وقلوبا زينها بأنوار المعرفة وأسرارا نورها بالتصديق فبذلوا له المهج والاموال كالصديق والفاروق وأجلة الصحابة رضى الله عنهم * يقول الفقير هكذا أحوال ورثة النبى عليه السلام فى كل زمان فان الله تعالى تجلى لهم بنور الازل والقدم فكرهه المنكرون وأرادوا أن يطفؤه لكن الله أتم نوره وجعل لاهل تجليه أصحابا واخوانا يذبون عنهم وينفذون أمورهم الى أن يأتيهم أمر الله تعالى ويقضوا نحبهم وفى الآية اشارة الى أن النفس لابد وأن تسعى فى ابطال نور القلب واطفائه لان النفس والهوى من المظاهر القهرية الجلالية المنسوبة الى اليد اليسرى والروح والقلب من المظاهر الجمالية اللطفية المنسوبة الى اليد اليمنى كما جاء فى الحديث الربانى ان الله مسح يده اليمنى على ظهر آدم الايمن فاستخرج منه ذرارى كالفضة البيضاء وقال هؤلاء للجنة ومسح يده اليسرى على ظهر آدم الايسر فاستخرج منه كالحمة السوداء وقال هؤلاء للنار فلابد للنفس من السعى فى اطفاء نور القلب وللقلب أيضا من السعى فى اطفاء نار النفس ولو كره الكافرون الساترون القلب بالنفس الزارعون بذر النفس فى أرض القلب (هو الذى أرسل رسوله) محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى) بالقرآن أو بالمعجزات فالهدى بمعنى ما به الاهتداء الى الصراط المستقيم (ودين الحق) والملة الحنيفية التى اختارها لرسوله ولامته وهو من اضافة الموصوف الى صفته مثل عذاب الحريق (ليظهره على الدين كله) ليجعله ظاهرا أى عاليا وغالبا على جميع الاديان المخالفة له (ولو كره المشركون) ذلك الاظهار ولقد أنجز الله وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام فليس المراد أنه لا يبقى دين آخر من الاديان بل العلو والغلبة والاديان خمسة اليهودية والنصرانية والمجوسية والشرك والاسلام كما فى عين المعانى للسجاوندى وقال السهيلى فى كتاب الامالى فى بيان فائدة كون أبواب النار سبعة وجدنا الاديان كما ذكر فى التفسير سبعة واحد للرحمن وستة للشيطان فالتى للشيطان اليهودية والنصرانية والصابئية وعبادة الاوثان والمجوسية وأمم لا شرع لهم ولا يقولون بنبوة وهم الدهرية فكأنهم كلهم على دين واحد أعنى الدهرية وكل من لا يصدق برسول فهؤلاء ستة أصناف والصنف السابع هو من أهل التوحيد كالخوارج الذين هم كلاب النار وجميع أهل البدع المضلة والجبابرة الظلمة والمصرين على الكبائر من غير توبة ولا استغفار فان فيهم من ينفذ فيه الوعيد ومنهم من يعفو الله عنه فهؤلاء كلهم صنف واحد غير أنه لا يحتم عليهم بالخلود فيها

فهؤلاء سبعة أصناف ستة مخلدون فى النار وصنف واحد غير مخلد وهم منتزعون يوم القيامة من أهل دين الرحمن ثم يخرجون بالشفاعة فقد وافق عدد الابواب عدد هذه الاصناف وتبينت الحكمة فى ذكرها فى القرآن لما فيها من التخويف والارهاب فنسأل الله العفو والعافية والمعافاة وفى بعض التفاسير الاشراك هو اثبات الشريك لله تعالى فى الالوهية سواء كانت بمعنى وجوب الوجود أو استحقاق العبادة لكن أكثر المشركين لم يقولوا بالاول لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فقد يطلق ويراد به مطلق الكفر بناء على أن الكفر لا يخلو عن شرك مما يدل عليه قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك فان من المعلوم فى الدين أنه تعالى لا يغفر كفر غير المشركين المشهورين من اليهود والنصارى فيكون المراد لا يغفر أن يكفر به وقد يطلق ويراد به عبدة الاصنام وغيرها فان أريد الاول فى قوله ولو كره المشركون يكون ايراده ثانيا لوصفهم بوصف قبيح آخر وان أريد الثانى فلعل ايراد الكافرين أولا لما أن اتمام الله نوره يكون بنسخ غير الاسلام والكافرون كلهم يكرهون ذلك وايراد المشركين ثانيا لما أن اظهار دين الحق يكون باعلاء كلمة الله واشاعة التوحيد المنبئ عن بطلان الآلهة الباطلة وأشد الكارهين لذلك المشركون والله أعلم بكلامه * وفى التأويلات النجمية هو الذى أرسل رسول القلب الى أمة العالم الاصغر الذى هو المملكة الانفسية الاجمالية المضاهية للعالم الاكبر وهو المملكة الآفاقية التفصيلية بنور الهداية الازلية ودين الحق الغالب على جميع الاديان وهو الملة الحنيفية السهلة السمحاء ولو كره المشركون الذين أشركوا مع الحق غيره وما عرفوا أن الغير والغيرية من الموهومات التى أوجدتها قوة الوهم والا ليس فى الوجود الا الله وصفاته انتهى (قال الكمال الخجندى)

له فى كل موجود علامات وآثار * دو عالم پر ز معشوقست كو يك عاشق صادق (وقال المولى الجامى) كر تو بى جمله در فضاى وجود * هم خود انصاف ده بكو حق كو * در همه اوست پيش چشم شهود * چيست پندارى هستى من وتو * يقول الفقير هذه الكلمات المنبئة عن وحدة الوجود قد اتفق عليها أهل الشهود قاطبة فالطعن لواحد منهم بأنه وجودى طعن لجميعهم وليس الطعن الا من الحجاب الكثيف والجهل العظيم والا فالامر أظهر على البصير

(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم) آيا دلالت كنم شمارا (على تجارة) سيأتى بيان معناها (تنجيكم) أى تكون سببا لانجاء الله اياكم وتخليصه وأفادت الصفة المقيدة أن من التجارة ما يكون على عكسها كما أشار اليها قوله تعالى يرجون تجارة لن تبور فان بوار التجارة وكسادها يكون لصاحبها عذابا أليما كجمع المال وحفظه ومنع حقوقه فانه وبال فى الآخرة فهى تجارة خاسرة وكذا الاعمال التى لم تكن على وجه الشرع والسنة أو أريد بها غير الله (من عذاب أليم) أى مؤلم جسمانى وهو ظاهر وروحانى وهو التحسر والتضجر كأنهم قالوا كيف نعمل أو ماذا نصنع فقيل (تؤمنون بالله ورسوله) مراد آنست كه ثابت باشيد بر ايمان كه داريد (وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم) بمالهاى خود كه زاد وسلاح مجاهدان خريد (وأنفسكم) وبنفسهاى خود كه متعرض قتل وحرب شويد وقدم الاموال لتقدمها فى الجهاد أو للترقى من الادنى الى الاعلى وقال بعضهم قدم ذكر المال لان الانسان ربما يضن بنفسه ولانه اذا كان له مال فانه يؤخذ به النفس

لتغزو وهذا خبر في معنى أمر جي به للايذان بوجوب الامتثال فكأنه وقع فأخبر بوقوعه كما
تقول غفر الله لهم ويغفر الله لهم جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت وقس عليه
نحو سلمكم الله وعافاكم الله وأعاذكم الله وفي الحديث جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم
وألسنتكم ومعنى الجهاد بالالسنة اسماعهم ما يكرهونه ويشق عليهم سماعه من هجو وكلام
غليظ ونحو ذلك وأخر الجهاد بالالسنة لانه أضعف الجهاد وأدناه ويجوز أن يقال ان اللسان
أحد وأشد تأثيرا من السيف والسنان قال علي رضي الله عنه

جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان

فيكون من باب الترقي من الادنى الى الاعلى وكان حسان رضي الله عنه يجلس على المنبر فيهجو
قريشا باذن رسول الله عليه السلام ثم ان التجارة التصرف في رأس المال طلبا للربح والتاجر
الذي يبيع ويشتري وليس في كلام العرب تاء بعدها جيم غير هذه اللفظة وأما تجاه فأصلها وجاه
وتجوب وهي قبيلة من حمير فالتاء للمضارعة قال ابن الشيخ جعل ذلك تجارة تشبيها له في الاشتمال
على معنى المبادلة والمعاوضة طمعا لنيل الفضل والزيادة فان التجارة هي معاوضة المال بالمال
لطمع الربح والايمان والجهاد شبها بها من حيث ان فيهما بذل النفس والمال طمعا لنيل رضا الله
تعالى والنجاة من عذابه (قال الحافظ) فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ * كه كار عشق
زما اين قدر نمى آيد (ذلكم) أى ما ذكر من الايمان والجهاد بقسميه (خير لكم) على الاطلاق
ومن أموالكم وأنفسكم (ان كنتم تعلمون) أى ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد
بأفعالهم أو ان كنتم تعلمون أنه خير لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الايمان
والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون فعلى العاقل تبديل الفانى بالباقى
فانه خير له وجاء رجل بناقة مخطومة وقال هذه في سبيل الله فقال عليه السلام لك بها يوم القيامة
سبعمائة ناقة كلها مخطومة بزركى فرموده كه اصل مرابحه درين تجارت اينست كه غير حق را
بدهى وحق را بستانى ودر نفحات از ابى عبد الله البسرى قدس سره نقل ميكند كه پسرى آمد
وكفت سبوى روغن داشتم كه سرمايهٔ من بود از خانه بيرون مى آوردم بيفتاد وبشكست
وسرمايه من ضايع شد كفت اى فرزند سرمايهٔ خود آن ساز كه سرمايه بدرنست والله كه بدتر از هيچ
نيست در دنيا وآخرت غير الله شيخ الاسلام عبد الله الانصارى قدس سره فرموده كه سوده تمام آن
بودى كه بدرش هم نبودى اشارت بمرتبهٔ فناست در باختن سود وسرمايه در بازار شوق لقا
* تا چند ببازار خودى پست شوى * بشتاب كه از جام فنا مست شوى * از مايه سود دوجهان
دست بشوى * سود تو همان به كه تهى دست شوى * ودخل في الآية جهاد أهل البدعة وهم
ثنتان وسبعون فرقة ضالة آن كافر خرابى حصن اسلام خواهد اين مبتدع ويرانى حصار سنت
جويد آن شيطان در تشويش ولايت دل كوشد اين هواى نفس زير وزبرى دين تو خواهد حق
تعالى ترا بر هر يكى ازين دشمنان سلاحى داده تا وا ايشان قهر كنى قتال با كافران بشمشير سياست
است وبا مبتدعان بتيغ زبان وحجت وبا شيطان بمداومت ذكر حق وتحقيق كلمه وبا هواى نفس
بتير مجاهده وسنان رياضت اينست بهين أعمال بنده وكزيده طاعات رونده چنانچه رب العزة
كفت ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وقال بعض الكبار يا أيها الذين آمنوا بالايمان التقليدى

هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله أى تحقيقا ويقينا استدلالا لما وبعد صحة الاستدلال تجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم لان بذل المال والنفس فى سبيل الله لا يكون الا بعد اليقين واعلم أن التوحيد اما لسانى واما عيانى أما التوحيد اللسانى المقترن بالاعتقاد الصحيح فأهله قسمان قسم بقوا فى التقليد الصرف ولم يصلوا الى حد التحقيق فهم عوام المؤمنين وقسم تشبثوا بذيل الحجج والبراهين النقلية والعقلية فهؤلاء وان خرجوا عن حد التقليد الصرف لكنهم لم يصلوا الى نور الكشف والعيان كما وصل أهل الشهود والعرفان وأما التوحيد العيانى فعلى مراتب المرتبة الاولى توحيد الافعال والثانية توحيد الصفات والثالثة توحيد الذات فمن تجلى له الافعال توكل واعتصم ومن تجلى له الصفات رضى وسلم ومن وصل الى تجلى الذات فنى فى الذات بالمحو والعدم (يغفر لكم ذنوبكم) فى الدنيا وهو جواب الامر المدلول عليه بلفظ الخبر ويجوز أن يكون جوابا لشرط أو لاستفهام دل عليه الكلام تقديره أن تؤمنوا وتجاهدوا أو هل تقبلون وتفعلون ما دللتكم عليه يغفر لكم وجعله جوابا لهل أدلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة (ويدخلكم) فى الآخرة (جنات) أى كل واحد منكم جنة ولا بعد من لطفه تعالى أن يدخله جنات بأن يجعلها خاصة له داخلة تحت تصرفه والجنة فى اللغة البستان الذى فيه أشجار متكاثفة مظللة تستر ما تحتها (تجرى من تحتها) أى من تحت أشجارها يعنى تحت أغصان أشجارها فى أصولها على عروقها أو من تحت قصورها وغرفها (الانهار) من اللبن والعسل والخمر والماء الصافى (ومساكن طيبة) أى ويدخلكم مساكن طيبة ومنازل نزهة كائنة (فى جنات عدن) أى اقامة وخلود بحيث لا يخرج منها من دخلها بعارض من العوارض وهذا الظرف صفة مختصة بمساكن وهى جمع مسكن بمعنى المقام والسكون ثبوت الشئ بعد تحرك ويستعمل فى الاستيطان يقال سكن فلان فى مكان كذا استوطنه واسم المكان مسكن فمن الاول يقال سكنت ومن الثانى يقال سكنته قال الراغب أصل الطيب ما يستلذه الحواس وقوله ومساكن طيبة فى جنات عدن أى طاهرة زكية مستلذة وقال بعضهم طيبتها سعتها ودوام أمرها وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه المساكن الطيبة فقال قصر من لؤلؤ فى الجنة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة قال فيعطى الله المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله قال فى الكبير أراد بالجنات البساتين التى يتناولها الناظر لانه تعالى قال بعده ومساكن طيبة فى جنات عدن والمعطوف يجب أن يكون مغايرا للمعطوف عليه فتكون مساكنهم فى جنات عدن ومناظرهم الجنات التى هى البساتين ويكون فائدة وصفها بأنها عدن أنها تجرى مجرى الدار التى يسكنها الانسان وأما الجنات الاخر فهى جارية مجرى البساتين التى قد يذهب الانسان اليها لاجل التنزه وملاقاة الاحباب وفى بعض التفاسير تسمية دار الثواب كلها بالجنات التى هى بمعنى البساتين لاشتمالها على جنات كثيرة مترتبة على مراتب بحسب استحقاقات العاملين من الناقصين والكاملين ولذلك أتى بجنات جمعا منكرا ثم اختلفوا فى عدد الجنات المشتملة على جنات متعددة فالمروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انها سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار

الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفى كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على تفاوت الاعمال والعمال (وروى) عنه أنها ثمان دار الجلال ودار القرار ودار السلام وجنة عدن وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم وقال أبو الليث الجنان أربع كما قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذلك جنان أربع احداهن جنة الخلد والثانية جنة الفردوس والثالثة جنة المأوى والرابعة جنة عدن وأبوابها ثمانية بالخبر وخازن الجنة يقال له رضوان وقد ألبسه الله الرأفة والرحمة كما ان خازن النار ويقال له مالك قد ألبسه الله الغضب والهيبة ويميل الامام الغزالى رحمه الله الى كون الجنان أربعا فلعل الجنات فى الآية باعتبار الافراد لا باعتبار الانواع وما يستفاد من قلتها بحسب أن الجمع السالم من جموع القلة ليس بمراد فانها فى الوجود الانسانى أربع جنان فالغالب فى الجنة الاولى التنعم بمقتضى الطبيعة من الاكل والشرب والوقاع وفى الثانية التلذذ بمقتضى النفس كالتصرفات وفى الثالثة التلذذ بالاذواق الروحانية كالمعارف الالهية وفى الرابعة التلذذ بالمشاهدات وذلك أعلى اللذات لانها من الخالق وغيرها من المخلوق ان قلت لم تذكر أبواب الجنة فى القرآن وأنها ثمانية كما ذكرت أبواب النار كما قال تعالى لها سبعة أبواب قلت ان الله سبحانه انما يذكر من أوصاف الجنة ما فيه تشويق اليها وترغيب فيها وتنبيه على عظم نعيمها وليس فى كونها ثمانية أو أكثر من ذلك أو أقل زيادة فى معنى نعيمها بل لو دخلوا من باب واحد أو من ألف باب لكان ذلك واحدا فى حكم السرور بالدخول ولذلك لم يذكر اسم خازن الجنة اذ لا ترغيب فى ان يخبر عن أهل الجنة أنهم عند فلان من الملائكة أو فى كرامة فلان وقد قال وسقاهم ربهم شرابا طهورا ولا شك أن من حدثت عنه أنه عند الملك يسقيه أبلغ فى الكرامة من أن يقال هو عند خادم من خدام الملك أو فى كرامة ولى من أوليائه بخلاف ذكر أبواب النار وذكر مالك فان فيه زيادة ترهيب قال سهل قدس سره أطيب المساكن ما أزال عنهم جميع الاحزان وأقر أعينهم بمجاورته فهذا الجوار فوق سائر الجوار وقال بعضهم ومساكن طيبة برؤية الحق تعالى فان المساكن انما تطيب بملاقاة الاحباب وروية العاشق جمال المعشوق ووصول المحب الى صحبة المحبوب وكذا مساكن القلوب انما تطيب بتجلى الحق ولقاء جماله جعلنا الله واياكم من أهل الوصول واللقاء والبقاء (ذلك) أى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات المذكورة بما ذكر من الاوصاف الجميلة (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه قال بعض المفسرين الفوز يكون بمعنى النجاة من المكروه وبمعنى الظفر بالبغية والاول يحصل بالمغفرة والثانى بادخال الجنة والتنعيم فيها وعظمه باعتبار أنه نجاة لا ألم بعده وظفر لا انتقاص فيه شأنا وزمانا ومكانا لانه فى غاية الكمال على الدوام فى مقام النعيم اعلم ان الآية الكريمة أفادت أن التجارة دنيوية وأخروية فالدنيا موسم التجارة والعمر مدتها والاعضاء والقوى رأس المال والعبد هو المشترى من وجه والبائع من وجه فمن صرف رأس ماله الى المنافع الدنيوية التى تنقطع عند الموت فتجارته دنيوية كاسدة خاسرة وان كان بتحصيل علم دينى او كسب عمل صالح فضلا عن غيرهما فانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ومن صرفه الى المقاصد الاخروية التى لا تنقطع أبدا فتجارته رائجة رابحة حرية بان يقال فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ولعل المراد من التجارة هنا بذل المال والنفس فى سبيل الله

وذكر الايمان لكونه أصلا فى الاعمال ووسيلة فى قبول الآمال ووصف التجارة بالانجاء لان النجاة يتوقف عليها الانتفاع فيكون قوله تعالى يغفر لكم بيان سبب الانجاء وقوله ويدخلكم بما يتعلق به بيان المنفعة الحاصلة من التجارة مع أن التجارة الدنيوية تكون سبب النجاة من الفقر المنقطع والتجارة الاخروية تكون سببا للنجاة من الفقر الغير المنقطع قال عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ يعنى ان نعمتى الصحة والفراغ كرأس المال للمكلف فينبغى أن يعامل الله بالايمان به وبرسوله ويجاهد مع النفس لئلا يغبن ويربح فى الدنيا والآخرة ويجتنب معاملة الشيطان لئلا يضيع رأس ماله مع الربح (قال الحافظ) كارى كنيم ورنه خجالت براورد * روزى كه رخت جان بجهان دكر كشيم (وقال أيضا) كوهر معرفت اندوزكه باخود ببرى * كه نصيب دكرانست نصاب زر وسيم (وقال أيضا) دلا دلالت خيرت كنم براه نجات مكن بفسق مباهات وزهد هم مفروش (وقال المولى الجامى) از كسب معارف شده مشغوف زخارف * درهاى ثمين داده وخرمهره خريده (وقال) جان فداى دوست كن جامى كه هست * كمترين كارى درين ره بذل روح (وأخرى) أى ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة أخرى عاجلة فأخرى مبتدأ حذف خبره والجملة عطف على يغفر لكم على المعنى (تحبونها) ترغبون فيها وفيه تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل وتوبيخ على محبته وهو صفة بعد صفة لذلك المحذوف (نصر من الله) بدل أو بيان لتلك النعمة الاخرى يعنى نصر من الله على عدوكم قريش وغيرهم (وفتح قريب) أى عاجل عطف على نصر (قال الكاشفى) مراد فتح مكه است يا فتح روم وفارس ابن عطا فرموده كه نصر توحيدست وفتح نظر بجمال ملك مجيد وقد بين أنواع الفتوح فى سورة الفتح فارجع * أشارت الآية الى أن الايمان الاستدلالى اليقينى وبذل المال والنفس بمقتضاه فى طريق الجهاد الاصغر وان كان تجارة رابحة الا أن أصحابها لم يتخلصوا بعد من الاعواض والاغراض فللسالك الى طريق الجهاد الاكبر تجارة أخرى فوق تلك التجارة أربح من الاولى هى نصر من الله بالتأييد الملكوتى والكشف النورى وفتح قريب الوصول الى مقام القلب ومطالعة تجليات الصفات وحصول مقام الرضا وانما سماه تجارة لان صفاتهم الظلمانية تبدل بتلك بصفات الله النورانية وانما قال تحبونها لان المحبة الحقيقية لا تكون الا بعد الوصول الى مقام القلب ومن دخل مقام المحبة بالوصول الى هذا المقام فقد دخل فى أول مقامات الخواص فالمعتبر من المنازل منزل المحبة وأهله عبيد مخلص لا يتوقعون الاجرة بعملهم بخلاف من تنزل عن منزلة المحبة فانهم أجراء يعملون للاجرة قال بعض العارفين من عبد الله رجاء للثواب وخوفا من العقاب فمعبوده فى الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق واسطة فالعبادة لاجل تنعم النفس فى الجنة والخلاص من النار معلول ولهذا قال المولى جلال الدين الرومى قدس سره * هشت جنت هفت دوزخ پيش من * هست پيدا همچوبت پيش شمن (وقال بعضهم) طاعت از بهر جزا شرك خفيست * باخدا حر باش وباعشق طلب * واعلم أن من جاهد فانما يجاهد لنفسه لانه يتخلص من الحجاب فيصل الى الملك الوهاب (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل يا أيها الذين آمنوا وبشرهم يا أكمل الرسل بأنواع البشارة الدنيوية والاخروية فلهم من الله فضل واحسان فى الدارين وكان فى هذا دلالة على صدق النبى لانه أخبر عما يحصل ويقع فى المستقبل

من الايام على ما أخبر به * وفى التأويلات النجمية يشير الى تواتر النعم وتواليها وفتح مكة القلب بعد النصر بخراب بلدة النفس وبشر المؤمنين المحبين الطالبين بالنصر على النفس فتح مكة القلب انتهى وفيه اشارة الى أن بلدة النفس انما تخرب بعد التأييد الملكوتى وامداد جنود الروح بأن تغلب القوى الروحانية على القوى النفسانية كما يغلب أهل الاسلام على أهل الحرب فيخلصون القلعة من أيدى الكفار ويزيلون آثار الكفر والشرك بجعل الكنائس مساجد وبيوت الاصنام معابد ومساكن الكفار منازل المؤمنين الخالصين والله المعين على الفتح المطلق كل حين

(يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) أى أنصار دينه جمع نصير كشريف وأشراف (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين) ســ أى يانم (من) كيستند (أنصارى الى الله) قال بعض المفسرين من يحتمل أن يكون استفهاما حقيقة ليعلم وجود الانصار ويتسلى به ويحتمل العرض والحث على النصرة وفيه دلالة على أن غير الله تعالى لا يخلو عن الاحتياج والاستنصار وأنه فى حقه جائز حسن اذا كان لله فى الله والمعنى من جندى متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى (قال الحواريون نحن أنصار الله) فان قول عيسى لا يطابق جواب الحواريين بحسب الظاهر فان ظاهر قول عيسى يدل على أنه يسأل من ينصره فكيف يطابقه جواب الحواريين بأنهم ينصرون الله وأيضا الاوجه لبقاء قول عيسى على ظاهره لان النصرة لا تتعدى بالى فحمل الانصارى على الجند لانهم ينصرون ملكهم ويعينونه فى مراده ومراده عليه السلام نصرة دين الله فسأل من يتبعه ويعينه فى ذلك المراد ويشاركه فيه فقوله متوجها حال من ياء المتكلم فى جندى والى متعلق به لا بالنصرة والاضافة الاولى اضافة أحد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص يعنى الملابسة المصححة للاضافة المجازية لظهوران الاختصاص الذى تقتضيه الاضافة حقيقة غير متحقق فى اضافة انصارى والاضافة الثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى أى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى من أنصارى الى الله أو قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون أصفياؤه وخلصاؤه من الحور وهو البياض الخالص وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا قال مقاتل قال الله لعيسى اذا دخلت القرية فأت النهر الذى عليه القصارون فاسألهم النصرة فأتاهم عيسى وقال من أنصارى الى الله فقالوا نحن ننصرك فصدقوه ونصروه (وقال الكاشفى) وفى الواقع نصرت كردند دين عيسى را بعد از رفع وى وخلق را بخدا دعوت نمودند فالحواريون كانوا قصارين وقيل كانوا صيادين قال بعض العلماء انما سموا حواريين لصفاء عقائدهم عن التردد والتلوين أو لانهم كانوا يطهرون نفوس الناس بافادتهم الدين والعلم المشار اليه بقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وانما قيل كانوا قصارين على التمثيل والتشبيه وانما قيل كانوا صيادين لاصطيادهم نفوس الناس وقودهم الى الحق وقوله عليه السلام الزبير ابن عمتى وحوارى وقوله يوم الاحزاب من يأتينى بخبر القوم فقال الزبير أنا فقال عليه السلام ان لكل نبى حواريا وحوارى الزبير فشبههم فى النصرة وقال بعض المفسرين دل الحديث على ان الحواريين ليسوا بمختصين بعيسى اذ هو فى معنى الاصحاب الاصفياء وقال معمر رضى الله عنه كان بحمد الله لنبينا عليه السلام حواريون نصروه حسب طاقتهم وهم سبعون رجلا وهم الذين بايعوه ليلة

العقبة

العقبة وقال السهيلي كونوا أنصار الله فكانوا أنصارا وكانوا حواريين والانصار الاوس والخزرج ولم يكن هذا الاسم قبل الاسلام حتى سماهم الله به وكان له عليه السلام حواريون أيضا من قريش مثل الخلفاء الاربعة والزبير وعثمان بن مظعون وحمزة بن عبد المطلب وجعفر ابن أبي طالب ونحوهم (فآمنت طائفة) أي جماعة وهي أقل من الفرقة لقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة (من بني اسرائيل) أي آمنوا بعيسى وأطاعوه فيما أمرهم به من نصرة الدين (وكفرت طائفة) أخرى به وقاتلوه (فأيدنا الذين آمنوا) أي قوينا مؤمني قومه بالحجة أو بالسيف وذلك بعد رفع عيسى (على عدوهم) أي على الذين كفروا وهو الظاهر فأراد العدو اعلام منه أن الكافرين عدو للمؤمنين عداوة دينية وقيل لما رفع عيسى عليه السلام تفرق القوم ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه الله اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه الله وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم (فأصبحوا) صاروا (ظاهرين) غالبين عالين يقال ظهرت على الحائط علوته وقال قتادة فأصبحوا ظاهرين بالحجة والبرهان كما سبق لانهم قالوا فيما روي ألستم تعلمون ان عيسى عليه السلام كان ينام والله تعالى لا ينام وأنه يأكل ويشرب والله منزه عن ذلك * وفي الآية اشارة الى غلبة القوى الروحانية على القوى النفسانية لان القوى الروحانية مؤمنون متنورون بنور الله متقون عما سوى الله تعالى والقوى النفسانية كافرون مظلمون بظلمة الاكوان متلوثون بالعلاقات المختلفة ولاشك أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فبنور الاسلام والايمان والتقوى والهدى يزيل ظلمة الشرك والكفر والتملق والهوى مع ان أهل الايمان وان كانوا أقل من أهل الكفر في الظاهر لكنهم أكثر منهم في الباطن فهم السواد الاعظم والمظاهر الجمالية واعلم ان الجهاد دائم باق ماض الى يوم القيامة أنفسا وآفاقا لان الدنيا مشتملة على أهل الجمال والجلال وكذا الوجود الانساني مادام في هذا الموطن فاذا صار الى الموطن الآخر فاما أهل جمال فقط وهو في الجنة وأما أهل جلال فقط وهو في النار والله يحفظنا واياكم

تمت سورة الصف بعون الله تعالى في أواسط ذي الحجة من شهور سنة خمس عشرة ومائة وألف

(سورة الجمعة احدى عشرة آية مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما في السموات وما في الارض) جميعا من حي وجامد تسبيحات مستمرة فما في السموات هي البدائع العلوية وما في الارض هي الكوائن السفلية فلا كل نسبة الى الله تعالى بالحياة والتسبيح (الملك) پادشاهي كه ملك اورا دائمست وبي زوال (القدوس) بالغ زمست عيب وصفت اختلال (العزيز) الغالب على كل ما أراد (الحكيم) صاحب الحكمة البديعة البالغة وقد سبق معاني هذه الاسماء في سورة الحشر والجمهور على جر الملك وما بعده على أنها صفات لاسم الله عز وجل يقول الفقير بدأ الله تعالى هذه السورة بالتسبيح لما فيها من ذكر البعثة اذ اخلاء العالم من المرشد مناف للحكمة ويجب تنزيه الله عنه ولما اشتملت عليه من بيان ادعاء اليهود

كونهم ابناء الله واحباءه ولما ختمت به من ذكر ترك الذكر واستماع الخطبة المشتملة على الدعاء
والحمد والتسبيح ونحو ذلك * وفى التأويلات النجمية يعنى ينزه ذاته المقدسة ما فى سموات المفهوم
من مفهومات العامة ومفهومات الخاصة ومفهومات أخص الخاصة وما فى أرض المعلوم من
معلومات العامة ومعلومات الخاصة ومعلومات أخص الخاصة وانما أضفنا السموات الى المفهوم
وأضفنا الارض الى المعلوم لفوقية رتبة الفهم على رتبة العلم وذلك قوله ففهمناها سليمان وكلا
آتينا حكما وعلما ويدل على ذلك اصابة سليمان حقيقة المسئلة المخصوصة بحسب نور الفهم لا بحسب
قوة العلم وهو العزيز الذى يعز من يشاء بخلعة نور الفهم الحكيم الذى يشرف من يشاء بحكمته
لبسه ضياء العلم (هو الذى بعث فى الاميين) جمع أمى منسوب الى أمة العرب وهم قسمان
فعرب الحجاز من عدنان وترجع الى اسمعيل عليه السلام وعرب اليمن ترجع الى قحطان وكل منهم
قبائل كثيرة والمشهور وعند أهل التفسير أن الامى من لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وعند أهل الفقه
من لا يعلم شيأ من القرآن كانه بقى على ما تعلمه من أمه من الكلام الذى يتعلمه الانسان بالضرورة
عند المعاشرة * والنبى الامى منسوب الى الامة الذين لم يكتبوا لكونه على عادتهم كقولك عامى
لكونه على عادة العامة وقيل سمى بذلك لانه لم يكتب ولم يقرأ من كتاب وذلك فضيلة له لاستغنائه
بحفظه واعتماده على ضمان الله عنه بقوله سنقرئك فلا تنسى وقيل سمى بذلك لنسبته الى أم
القرى وفى كشف الاسرار سمى العرب أميين لانهم كانوا على نعت أمهاتهم مذ كانت بلا خط
ولا كتاب نسبوا الى ما ولدوا عليه من أمهاتهم لان الخط والقراءة والتعليم دون ما جبل الخلق
عليه ومن يحسن الكتابة من العرب فانه أيضا أمى لانه لم يكن لهم فى الاصل خط ولا كتابة قيل
بدئت الكتابة بالطائف تعلمها ثقيف وأهل الطائف من أهل الحيرة بكسر الحاء وسكون المثناة من
تحت بلد قرب الكوفة وأهل الحيرة أخذوها من أهل الانبار وهى مدينة قديمة على الفرات بينها
وبين بغداد عشرة فراسخ ولم يكن فى أصحاب رسول الله عليه السلام كاتب الا حنظلة الذى يقال له
غسيل الملائكة ويسمى حنظلة الكاتب ثم ظهر الخط فى الصحابة بعد فى معاوية بن أبى سفيان
وزيد بن ثابت وكانا يكتبان لرسول الله عليه السلام وكان له كتاب أيضا غيرهما واختلفوا فى
رسول الله عليه السلام أنه هل تعلم الكتابة بآخره من عمره أولا وللعلماء فيه وجهان وليس فيه
حديث صحيح ولما كان الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بالآلة الجسمانية لم يحتج اليه
من كان القلم الاعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره وعدم كتابته مع علمه بها معجزة باهرة له
عليه السلام اذ كان يعلم الكتاب علم الخط وأهل الحرف حرفتهم وكان أعلم بكل كمال أخروى
أو دنيوى من أهله ومعنى الآية هو الذى بعث فى الاميين أى فى العرب لان أكثرهم لا يكتبون
ولا يقرؤن من بين الامم فغلب الاكثر وانما قلنا أكثرهم لانه كان فيهم من يكتب ويقرأ وان كانوا
على قلة (رسولا) كائنا (منهم) أى من جملتهم ونسبهم عربيا أميا مثلهم قا رسالت او از تهمت دور
باشد فوجه الامتنان مشاكلة حاله لاحوالهم ونفى التعلم من الكتب فهم يعلمون نسبه وأحواله
ودر كتاب شعيا عليه السلام مذكورست كه انى أبعث أميا فى الاميين وأختم به النبيين
(قال الكاشفى) ودر اميت آن حضرت عليه السلام نكته است اينجا به سه بيت اختصار برورده
فيض ام الكتاب پروردش * لقب أمى از آن خدا كردش * لوح تعليم نا كرفته ببر * همه ز اسرار لوح

داده

داده خبره بر خطا وسـ انس وجان رامـره * كه نخواندست خط ازان جه خطر * والبعث
فى الاميين لا ينافى عموم دعوته عليه السلام فالتخصيص بالذكر لا مفهوم له ولو سلم فلا يعارض
المنطوق مثل قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس على أنه فرق بين البعث فى الاميين والبعث
الى الاميين فبطل احتجاج أهل الكتاب بهذه الآية على أنه عليه السلام كان رسول الله الى
العرب خاصة ورد الله بذلك ما قال اليهود للعرب طعنا فيه نحن أهل الكتاب وأنتم أميون لا كتاب
لكم (يتلو عليهم آياته) أى القرآن مع كونه أميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم والفرق بين
التلاوة والقراءة أن التلاوة قراءة القرآن متتابعة كالدراسة والاوراد الموظفة والقراءة أعم
لانها جمع الحروف باللفظ لا اتباعها (ويزكيهم) صفة أخرى لرسولا معطوفة على يتلو أى يحملهم
على ما يصيرون به أزكيا من خبائث العقائد والاعمال وفيه اشارة الى قاعدة التسليك فان المزكى فى
الحقيقة وان كان هو الله تعالى كما قال بل الله يزكى من يشاء الا أن الانسان الكامل مظهر الصفات
الالهية جميعا ويؤيد هذا المعنى اطلاق نحو قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (ويعلمهم
الكتاب والحكمة) قال فى الارشاد صفة أخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على التلاوة وانما وسط
بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على
تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصلة بالعلم المترتب على التلاوة للايذان بأن كلا من الامور
المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعى ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم
كون الكل نعمة واحدة وهو السر فى التعبير عن القرآن تارة بالآيات وأخرى بالكتاب
والحكمة رمزا الى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة انتهى وقال بعضهم ويعلمهم القرآن
والشريعة وهى ما شرع الله لعباده من الاحكام أو لفظه ومعناه أو القرآن والسنة كما قاله
الحسن أو الكتاب الخط كما قاله ابن عباس أو الخير والشر كما قاله ابن اسحق والحكمة الفقه كما
قاله مالك أو العظة كما قاله الاعمش أو كتاب أحكام الشريعة وأسرار آداب الطريقة وحاصل
معانيه الحكمية والحكمية ولكن تعليم حقائق القرآن وحكمه مختص بأولى الفهم وهم
خواص الاصحاب رضى الله عنهم وخواص التابعين من بعدهم الى قيام الساعة لكن معلم
الصحابة عموما وخصوصا هو النبى عليه السلام بلا واسطة ومعلم التابعين قرنا بعد قرن هو عليه
السلام أيضا لكن بواسطة ورثة أمته وكمل أهل دينه وملته ولو لم يكن سوى هذا التعليم معجزة
لكفاه قال البوصيرى فى القصيدة البردية

كفاك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

أى كفاك العلم الكائن فى الامى فى وقت الجاهلية وكفاك أيضا تنبيهه على الآداب لعلمه بها فى
وقت اليتم معجزة (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) ان ليست شرطية ولا نافية بل هى المخففة
واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والمعنى وان الشان كان الاميون من قبل بعثته ومجيئه لفى
ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية لا ترى ضلالا أعظم منه وهو بيان لشدة افتقارهم الى
من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه السلام من القرآن المبعوث فيهم اذا كانوا فى
ضلال قبل البعثة زال توهم أنه تعلم ذلك من أحد منهم قال سعدى المفتى والظاهر أن نسبة الكون
فى الضلال الى الجميع من باب التغليب والا فقد كان فيهم مهتدون مثل ورقة بن نوفل وزيد بن

نفيل وقس بن ساعدة وغيرهم ممن قال رسول الله عليه السلام فى كل منهم يبعث أمة وحده يقول الفقير هو اعتراض على معنى الازاحة المذكورة لكنه ليس بشئ فان اهتداء من ذكر ومن نحو ورقة انما كان فى باب التوحيد فقط فقد كانوا فى ضلال من الشرائع والاحكام ألاترى الى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى مع أنه عليه السلام لم يصدر منه قبل البعثة شرك ولا غيره من شرب الخمر والزنا واللغو واللهو فكونهم مهتدين من وجه لا ينافى كونهم ضالين من وجه آخر دل على هذا المعنى قوله تعالى يتلو عليهم الخ فان بالتلاوة وتعليم الاحكام والشرائع حصل تزكية النفس والنجاة من الضلال مطلقا فاعرفه (وآخرين منهم) جمع آخر بمعنى غير وهو عطف على الاميين أى بعثه فى الاميين الذين على عهده وفى آخرين من الاميين أو على المنصوب فى يعلمهم أى يعلمهم ويعلم آخرين منهم وهم الذين جاؤا من العرب فمنهم متعلق بالصفة لآخرين أى وآخرين كائنين منهم مثلهم فى العربية والامية وان كان المراد العجم فمنهم يكون متعلقا بآخرين (قال الكاشفى) اصح أقوال آنست كه هركه باسلام درآمده ودرمى آيد بعد از وفات آن حضرت عليه السلام همه درين آخرين داخلند فيكون شاملا لكل من أسلم وعمل صالحا الى يوم القيامة من عربى وعجمى وفى الحديث (ان فى اصلاب رجال من أمتى رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب) ثم تلا الآية (لما يلحقوا بهم) صفة لآخرين أى لم يلحقوا بالاميين بعد ولم يكونوا فى زمانهم وسيلحقون بهم ويكونون بعدهم عربا وعجما وذلك لما ان منفى لما لابد أن يكون مستمر النفى الى الحال وأن يكون متوقع الثبوت بخلاف منفى لم فانه يحتمل الاتصال نحو ولم أكن بدعائك رب شقيا والانقطاع مثل لم يكن شيأ مذكورا ولهذا جاز لم يكن ثم كان ولم يجز لما يكن ثم كان بل يقال لما يكن وقد يكون (روى) سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن النبى عليه السلام قال رأيتنى أسقى غنما سودا ثم أتبعتها غنما عفرا أولها يا أبابكر فقال يا نبى الله أما السود فالعرب وأما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال عليه السلام كذلك أولها الملك يعنى جبرائيل عليه السلام يقال شاة عفراء يعلو بياضها حمرة ويجمع على عفر مثل سوداء وسود وقيل لما يلحقوا بهم فى الفضل والمسابقة لان التابعين لا يدركون شيأ مع الصحابة وكذلك العجم مع العرب ومن شرائط الدين معرفة فضل العرب على العجم وحبهم ورعاية حقوقهم وفى الآية دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول نفسه وبلاغه حجة لاهل زمانه ومن بلغ لقوله تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده (وهو العزيز) المبالغ فى العزة والغلبة ولذلك مكن رجلا أميا من ذلك الامر العظيم (الحكيم) المبالغ فى الحكمة ورعاية المصلحة ولذلك اصطفاه من بين كافة البشر (ذلك) الذى امتاز به من بين سائر الافراد وهو أن يكون نبى أبناء عصره ونبى أبناء العصور الغوابر (فضل الله) واحسانه (يؤتيه من يشاء) تفضلا وعطية لا تأثير للاسباب فيه فكان الكرم منه صرفا لا تمازجه العلل ولا تكسبه الحيل (والله ذو الفضل العظيم) الذى يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة وفى كشف الاسرار والله ذو الفضل العظيم على محمد وذو الفضل العظيم على الخلق بارسال محمد اليهم وتوفيقهم لمتابعته انتهى * يقول الفقير وأيضا والله ذو الفضل العظيم على أهل الاستعداد من أمة محمد بارسال ورثة محمد فى كل عصر اليهم وتوفيقهم للعمل بموجب اشاراتهم ولولا أهل الارشاد والدلالة لبقى الناس كالعميان لا يدرون أين يذهبون وانما كان هذا الفضل عظيما لان

غايته الوصول الى الله العظيم وقال بعض الكبار والله ذو الفضل العظيم اذ جميع الفضائل الاسمائية تحت الاسم الاعظم وهو جامع أحديه جميع الاسماء وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالاجور فقال قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقالوها وقالها الاغنياء فقيل انهم شاركونا فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وفى بعض الروايات اذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر مخلصا وقال الغنى مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير فى فضله وتضاعف الثواب وان أنفق الغنى معها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها (قال الشيخ سعدى قدس سره) بقنطار زر بخش كردن ز كنج * نباشد چو قيراطى از دست رنج (مثل الذين حملوا التوراة) أى علموها وكلفوا العمل بها وهم اليهود ومثلهم صفتهم العجيبة (ثم لم يحملوها) أى لم يعملوا بما فى تضاعيفها من الآيات التى من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله عليه السلام واقتنعوا بمجرد قراءتها (كمثل الحمار) الكاف فيه زائدة كما فى الكواشى والحمار حيوان معروف يعبر به عن الجاهل كقولهم هو أكفر من الحمير أى أجهل لان الكفر من الجهالة فالتشبيه به لزيادة التحقير والاهانة ولنهاية التهكم والتوبيخ بالبلادة اذ الحمار يذكر بها والبقر وان كان مشهورا بالبلادة الا انه لا يلائم الحمل

تعلم يا فتى فالجهل عار * ولا يرضى به الا حمار

(يحمل أسفارا) أى كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل أو صفة للحمار اذ ليس المراد معينا فان المعرف بلام العهد الذهنى فى حكم النكرة كما فى قول من قال * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * والاسفار جمع سفر بكسر السين وهو الكتاب كشبر وأشبار قال الراغب السفر الكتاب الذى يسفر عن الحقائق أى يكشف وخص لفظ الاسفار فى الآية تنبيها على أن التوراة وان كانت تكشف عن معانيها اذا قرئت وتحقق ما فيها فالجاهل لا يكاد يستبينها كالحمار الحامل لها وفى القاموس السفر الكتاب الكبير أو جزء من أجزاء التوراة وفى هذا تنبيه من الله على أنه ينبغى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه ويعمل به لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء (قال الشيخ سعدى) مراد از نزول قرآن تحصيل سيرت خوبست نه ترتيل سورهٔ مكتوب * علم چندانكه بيشتر خوانى * چون عمل در تو نيست نادانى * نه محقق بود نه دانشمند * چارپايى برو كتابى چند * آن تهى مغز را چه علم وخبر * كه برو هيزمست يا دفتر * (وفى المثنوى) كفت ايزد يحمل اسفاره * بار باشد علم كان نبود ز هو * علمهاى أهل دل حمالشان * علمهاى أهل تن احمالشان * علم چون بر دل زند يارى بود * علم چون بر كل زند بارى بود * چون بدل خوانى ز حق كيرى سبق * چون بكل خوانى سيه سازى ورق * وفى التأويلات النجمية يعنى مثل يهود النفس فى حمل توراة العلم والمعرفة بصحة رسالة القلب وعدم اتباع رسومه وأحكامه كمثل حمار البدن فى حمله أثقال الامتعة النفيسة والاقمشة الشريفة والملابس الفاخرة والطيالس الناعمة فكما ان حمار البدن لا يعرفها ولا يعرف شرفها ولا كرامتها كذلك يهود النفس لا تعرف رفعة رسول القلب ولا رتبته ونعم ما يحكى عن بعض الظرفاء انه حضر دعوة لطعام فلم يلتفتوا اليه وأجلسوه فى مكان نازل ثم انه خرج واستعار ألبسة نفيسة وعاد الى

المجلس فلما رأوه على زى الاكابر عظموه وأجلسوه فوق الكل فلما حضر الطعام قال ذلك الظريف خطابا للكمه كل والكم لايدرى ما الطعام وما اللذة لكن نظر أهل الصورة مقصور على الظاهر لايرون الفضل الا بالزخارف والزين فما أبعد هؤلاء عن ادراك المعانى والحقائق (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على أن التمييز محذوف والفاعل المفسر له مستتر والمذكور هو المخصوص بالذم وهم اليهود الذين كفروا بما فى التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد عليه السلام (والله لايهدى القوم الظالمين) الواضعين للتكذيب فى موضع التصديق أو الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد باختيار الضلالة على الهداية والشقاوة على السعادة والعداوة على العناية كاليهود ونظائرهم وفيه تقبيح لهم بتشبيه حالهم بحال الحمار والمشبه بالقبيح قبيح وقد قال تعالى ان أنكر الاصوات لصوت الحمير فصوت الجاهل والمدعى منكر كصوت الحمار وأضل وأرذل فهو ضار محض وفى الحمار نفع لانه يحمل الاثقال ويركبه النساء والرجال وقد قال فى حياة الحيوان ان اتخذ خاتم من حافر الحمار الاهلى ولبسه المصروع لم يصرع ثم ان فى الحمار شهوة زائدة على شهوات سائر الحيوانات وهى من الصفات الطبيعية البهيمية فمن أبدلها بالعفة نجا وسلم من التشبيه المذكور وكم ترى من العلماء الغير العاملين أن أعينهم تدور على نظر الحرام ومع مالهم من النكاح يتجاوزون الى الزنا لعدم اصلاح قوتهم الشهوية بالشريعة فان الشريعة أقوالهم لا أعمالهم وأحوالهم نسأل الله العصمة مما يوجب المقت والنقمة انه ذو المنة والفضل والنعمة (قل يا أيها الذين هادوا) من هاد يهود اذا تهود أى تهودوا والتهود جهود شدن ودين جهود داشتن وبالفارسية ايشان كه جهود شدند وازراه راست بكشتند فان المهاداة الممايلة ولذا قال بعض المفسرين أى مالوا عن الاسلام والحق الى اليهودية وهى من الاديان الباطلة كما سبق قال الراغب الهود الرجوع برفق وصار فى التعارف التوبة قال بعضهم يهود فى الاصل من قولهم انا هدنا اليك أى تبنا وكان اسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازما لهم وان لم يكن فيه معنى المدح كما أن النصارى فى الاصل من قولهم نحن أنصار الله ثم صار لازما لهم بعد نسخ شريعتهم ثم ان الله تعالى خاطب الكفار فى أكثر المواضع بالواسطة ومنها هذه الآية لانهم ادخلوا الواسطة بينهم وبين الله تعالى وهى الاصنام وأما المؤمنون فان الله تعالى خاطبهم فى أغلب المواضع بلا واسطة مثل يا أيها الذين آمنوا لانهم أسقطوا الوسائط فأسقط الله بينه وبينهم الواسطات (ان زعمتم) الزعم هو القول بلا دليل والقول بأن الشئ على صفة كذا قولا غير مستند الى وثوق نحو زعمتك كريما وفى القاموس الزعم مثلثة القول الحق والباطل والكذب ضد واكثر ما يقال فيما يشك فيه انتهى فبطل ما قال بعضهم من ان الزعم بالضم بمعنى اعتقاد الباطل وبالفتح بمعنى قول الباطل قال الراغب الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب ولهذا جاء فى القرآن فى كل موضع ذم القائلون به وقيل للمتكفل والرئيس زعيم للاعتقاد فى قولهم انه مظنة للكذب (أنكم أولياء لله) جمع ولى بمعنى الحبيب (من دون الناس) صفة أولياء أى من دون الاميين وغيرهم ممن ليس من بنى اسرائيل وقال بعضهم من دون المؤمنين من العرب والعجم يريد بذلك ما كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه ويدعون أن الدار الآخرة لهم عند الله خالصة وقالوا لن يدخل الجنة الا من

كان هودا فأمر رسول الله عليه السلام بأن يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك (فتمنوا الموت) أي فتمنوا من الله أن يميتكم من دار البلية الى دار الكرامة وقولوا اللهم أمتنا والتمنى تقدير شئ فى النفس وتصويره فيها وبالفارسية آرزو خواستن قال بعضهم الفرق بين التمنى والاشتهاء أن التمنى أعم من الاشتهاء لانه يكون فى الممتنعات دون الاشتهاء (ان كنتم صادقين) جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أى ان كنتم صادقين فى زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فان من أيقن أنه من أهل الجنة أحب أن يتخلص اليها من هذه الدار التى هى قرارة الاكدار ولا يصل اليها أحد الا بالموت قال البقلى جرب الله المدعين فى محبته بالموت وأفرز الصادقين من بينهم لما غلب عليهم من شوق الله وحب الموت فتبين صدق الصادقين ههنا من كذب الكاذبين اذ الصادق يختار اللحوق اليه والكاذب يفر منه قال عليه السلام من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه قال الجنيد قدس سره المحب يكون مشتاقا الى مولاه ووفاته أحب اليه من البقاء اذ علم ان فيه الرجوع الى مولاه فهو يتمنى الموت أبدا (ولا يتمنونه أبدا) اخبار بما سيكون منهم وأبدا ظرف بمعنى الزمان المتطاول لا بمعنى مطلق الزمان والمراد به ماداموا فى الدنيا وفى البقرة ولن يتمنوه لان دعواهم فى هذه السورة بالغة قاطعة وهى كون الجنة لهم بصفة الخلوص فبالغ فى الرد عليهم بلن وهو أبلغ ألفاظ النفى ودعواهم فى الجمعة قاصرة مترددة وهى زعمهم أنهم أولياء الله فاقتصر على لا كما فى برهان القرآن (بما قدمت أيديهم) الباء متعلقة بما يدل عليه النفى أى يأبون التمنى بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصى الموجبة لدخول النار نحو تحريف أحكام التوراة وتغيير النعت النبوى وهم يعرفون أنهم بعد الموت يعذبون بمثل هذه المعاصى ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة أفاعيله عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة يعنى أن الايدى هنا بمعنى الذوات استعملت فيها لزيادة احتياجها اليها فكأنها هى (والله عليم بالظالمين) وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم فى كل أمورهم أى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى المفضية الى أفانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدى الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم أحد موته وفى الحديث لا يتمنين أحدكم الموت اما محسنا فان يعش يزدد خيرا فهو خير له واما مسيئا فلعله أن يستعتب أى يسترضى ربه بالتوبة والطاعة وما روى عن بعض أرباب المحبة من التمنى فلغاية محبتهم وعدم صبرهم على الاحتراق بالافتراق ولا كلام فى المشتاق المغلوب المجذوب كما قال بعضهم * غافلان از مرك مهلت خواستند * عاشقان كفتند نى زودباد * فللتمنى أوقات وأحوال يجوز باعتبار ولا يجوز بآخر أما الحال فكما فى الاشتياق الغالب وأما الوقت فكما أشار اليه قوله عليه السلام اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين فاذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون (روى) أنه عليه السلام قال فى حق اليهود لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى ثم ان الموت هو الفناء عن الارادات النفسانية والاوصاف الطبيعية كما قال عليه السلام موتوا قبل أن تموتوا فمن له صدق ارادة وطلب يحب أن يموت عن نفسه ولا يبالى سقط على الموت أم سقط الموت عليه وان كان ذلك مرا فى الظاهر لكنه حلو فى الحقيقة وفيه حياة حقيقية وشفاء للمرض

القلب * جه خوش كفت بكروزد اروفروش * شفا بايدت دارويى تلخ نوش * واما من ليس له صدق ارادة وطلب فانه يهرب من المجاهدة مع النفس ويشفق أن يذبح بقرة الطبيعة فهو عند الموت الطبيعى يقاسى من المرادات مالاتفى ببيانه العبارات والله الحفيظ (قل ان الموت الذى تفرون منه) ولا تجسرون على أن تتمنوه مخافة أن تؤخذوا بوبال كفركم (فانه ملاقيكم) البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه يعنى بكير دشمار اوشربت آن بجشيد وفرار سودى ندارد والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف أى باعتبار كون الموصوف بالموصول فى حكم الموصول أى ان فررتم من الموت فانه ملاقيكم كان الفرار سبب لملاقاته وسرعة لحوقه اذلا يجد الفار بركة فى عمره بل يفر الى جانب الموت فيلاقيه الموت ويستقبله وقد قيل اذا أدبر الامر كان العطب فى الحيلة (ثم) أى بعد الموت الاضطرارى الطبيعى (تردون) الرد صرف الشئ بذاته أو بحالة من أحواله يقال رددته فارتد والآية من الرد بالذات مثل قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومن الرد الى حالة كان عليها قوله تعالى يردوكم على أدباركم (الى عالم الغيب والشهادة) الذى لا تخفى عليه أحوالكم أى ترجعون الى حيث لا حاكم ولا مالك سواه وانما وصف ذاته بكونه عالم الغيب والشهادة باعتبار أحوالهم الباطنة وأعمالهم الظاهرة وقد سبق تمام تفسيره فى سورة الحشر (فينبئكم) پس خبردهد شمارا (بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصى والفواحش الظاهرة والباطنة بأن يجازيكم بها * وفى التأويلات النجمية يشير الى الموت الارادى الذى هو ترك الشهوات ودفع المستلذات الذى تجتنبون منه لضعف هممتكم الروحانية ووهن نهمتكم الربانية فانه ملاقيكم لا يفارقكم ولكن لا تشعرون به لانهماككم فى بحر الشهوات الحيوانية واستهلاككم فى تيار مشتهيات تكم الظلمانية فانكم فى لبس من خلق جديد ولا تزالون فى الحشر والنشر كما قال وجاءهم الموج من كل مكان أى موج الموت فى كل لذة شهية ونعمة نعيمة ثم تردون الى عالم الغيب غيب النيات وغيب الطويات القلبية السرية والشهادة شهادة الطاعات والعبادات فينبئكم أى فيجازيكم بما كنتم تعملون بالنية الصالحة القلبية أو بالنية الفاسدة النفسية انتهى وفيه اشارة الى أنه كما لا ينفع الفرار من الموت الطبيعى كذلك لا ينفع الفرار من الموت الارادى لكن ينبغى للعاقل أن يتنبه لتماته فى كل آن ويختار الفناء حبا للبقاء مع الله الملك المنان اعلم أن الفرار الطبيعى من الموت بمعنى استكراه الطبع وتنفره منه معذور صاحبه لان الخلاص منه عسير جدا الا للمشتاقين الى لقاء الله تعالى (حكى) انه كان ملك من الملوك أراد أن يسير فى الارض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات وكذا طلب دابة فلم تعجبه حتى أتى بدواب فركب أحسنها فجاء ابليس فنفخ فى منخره فملاءه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما قال ان لى اليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الا الآن فقهره على لجام دابته قال اذكرها قال هو سر فدنا اليه فساره وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعنى حتى أرجع الى أهلى وأقضى حاجتى فأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك ومالك أبدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة ثم مضى فلقى عبدا مؤمنا فى تلك الحال فسلم فرد عليه السلام فقال ان لى اليك حاجة

أذكرها فى أذنك فقال هات فسارة أنا ملك الموت فقال مرحبا وأهلا بمن طالت غيبته فوالله ما كان فى الارض غائب أحب الى أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التى خرجت لها فقال مالى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله قال فاختر على أى حالة شئت أن أقبض روحك فقال أتقدر على ذلك قال نعم انى أمرت بذلك قال فدعنى حتى أتوضأ وأصلى فاقبض روحى وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد (وفى المثنوى) پس رجال از نقل عالم شادمان * وز بقايش شادمان اين كودكان * چونكه آب خوش نديد آن مرغ كور * پيش او كوثر نمايد آب شور * وأما الفرار العقلى يعنى استكراه الموت أو يعنى الانتقال من مكان الى مكان فالاول منهما ان كان من الانهماك فى حظوظ الدنيا فمذموم وان كان من خوف الموقف فصاحبه معذور كما حكى أن سليمان الدارانى قدس سره قال قلت لامى أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لانى لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته وقس على الاستكراه رجاء الاستعداد لما بعد الموت وأما الثانى منهما فغير موجه عقلا ونقلا اذ المشاهدة تشهد أن لا مخلص من الموت فأينما كان العبد فهو يدركه وأما الفرار من بعض الاسباب الظاهرة للموت كهجوم النار المحرقة للدور والسيل المفرط فى الكثرة والقوة وحمل العدو الغالب والسباع والهوام الى غير ذلك فالظاهر أنه معذور فيه بل مأمور وأما الفرار من الطاعون فما يرجحه العقل والنقل عدم جوازه * أما العقل فما قاله الامام الغزالى رحمه الله من أن سبب الوباء فى الطب الهواء المضر وأظهر طرق التداوى الفرار من المضر ولا خلاف أنه غير منهى عنه الا أن الهواء لا يضر من حيث انه يلاقى ظاهر البدن من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة ووصل الى الرئة والقلب وباطن الاحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر الا بعد طول التأثير فى الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذى استحكم من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما وأنه لو رخص للاصحاء فى الخروج لما بقى فى البلد الا المرضى الذين أقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم ولم يبق فى البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهما بأنفسهم فيكون ذلك سعيا فى اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما ان خلاص الاصحاء منتظر فلو أقاموا لم تكن الاقامة قاطعة لهم بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع فى اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى الى الاشتكاء سائر أعضائه هذا هو الذى يظهر عندنا فى تعليل النهى وينعكس هذا فيما اذا لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهواء فى باطنه وليس لهم حاجة اليهم * وأما النقل فقوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم فانه انكار لخروجهم فرارا منه وتعجيب بشأنهم ليعتبر العقلاء بذلك ويتيقنوا أن لا مفر من قضاء الله فالمنهى عنه هو الخروج فرارا فان الفرار من القدر لا يغنى شيأ وفى الحديث الفار من الطاعون كالفار من الزحف والصابر فيه له أجر شهيد وفى الحديث يختصم الشهداء والمتوفون على فراشهم الى ربنا عز وجل فى الذين يتوفون فى الطاعون فيقول الشهداء اخواننا قتلوا كما قتلنا ويقول المتوفون اخواننا ماتوا

على فراشهم كما متنا فيقول ربنا انظروا الى جراحهم فان أشبهت جراحهم جراح المقتولين فانهم منهم فاذا جراحهم قد أشبهت جراحهم يقول الفقير دل عليه قوله عليه السلام فى الطاعون انه وخز أعدائكم من الجن والوخز طعن ليس بنافذ والشيطان له ركض وهمز ونفث ونفخ ووخز والجنى اذا وخز العرق من مراق البطن أى مارق منها ولان خرج من وخزه الغدة وهى التى تخرج فى اللحم فيكون وخز الجنى سبب الغدة الخارجة فحصل التوفيق بين حديث الوخز وبين قوله عليه السلام غدة كغدة البعير تخرج من مراق البطن وباقى ما يتعلق بالطاعون سبق فى سورة البقرة وقد تكفل بتفاصيله رسالة الشفاء لادواء الوباء لابن طاش كبرى فارجع (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة) النداء رفع الصوت وظهوره ونداء الصلاة مخصوص فى الشرع بالالفاظ المعروفة والمراد بالصلاة صلاة الجمعة كما دل عليه يوم الجمعة والمعنى فعل النداء لها أى أذن لها والمعتبر فى تعلق الامر الآتى هو الاذان الاول فى الاصح عندنا لان حصول الاعلام به لا الاذان بين يدى المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فاذا نزل أقام الصلاة ثم كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما على ذلك حتى اذا كان عثمان رضى الله عنه وكثرت الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فأمر بالتأذين الاول على دار له بالسوق يقال لها الزوراء ليسمع الناس فاذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثانى فاذا نزل أقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه (من يوم الجمعة) بضم الميم وهو الاصل والسكون تخفيف منه ومن بيان لاذا وتفسير لها أى لا بمعنى أنها لبيان الجنس على ما هو المتبادر فان وقت النداء جزء من يوم الجمعة لا يحمل عليه فكيف يكون بيانا له بل المقصود انه البيان ان ذلك الوقت فى أى يوم من الايام اذ فيه ابهام فيجامع كونها بمعنى فى كما ذهب اليه بعضهم وكونها للتبعيض كما ذهب اليه البعض الآخر وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة فهو على هذا اسم اسلامى وقيل أول من سماه جمعة كعب بن لؤى بالهمزة تصغير لأى سماه بها الاجتماع قريش فيه اليه وكانت العرب قبل ذلك تسميه العروبة بمعنى الظهور وعروبة وبالله يوم الجمعة كما فى القاموس وقال ابن الاثير فى النهاية الافصح أنه لا يدخلها الالف واللام وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجمعون فيه فى كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة رضى الله عنه بضم الزاى فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه وحين اجتمعوا ذبح لهم شاة فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم وبقى فى أكثر القرى التى يفعل فيها الجمعة عادة الاطعام بعد الصلاة الى يومنا هذا فأنزل الله آية الجمعة فهى أول جمعة فى الاسلام وأما أول جمعة جمعها رسول الله عليه السلام فهى انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين امتد الضحى ومن تلك السنة يعد التاريخ الاسلامى فأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم قد اتخذ القوم فى ذلك الموضع مسجدا فخطب وصلى الجمعة وهى أول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله وأستعينه وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادى من يكفر به

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا أوصيكم بتقوى الله فان خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله وأحذر ما حذركم الله من نفسه فان تقوى المرء ومخافته من ربه عنوان صدق على ما يبغيه من الآخرة ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمره فى السر والعلانية لا ينوى به الا وجه الله يكون له ذكرا عاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد هو الذى صدق قوله وأنجز وعده ولا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته وتوقى سخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضى الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله فقد علمكم فى كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله اليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فان من يصلح ما بينه وبين الله يكفر الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انتهت الخطبة النبوية ثم ان هذه الآية رد لليهود فى طعنهم للعرب وقولهم لنا السبت ولا سبت لكم (فاسعوا الى ذكر الله) قال الراغب السعى المشى السريع وهو دون العدو أى امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلاة لاشتمال كل منهما على ذكر الله وما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو فى حكم ذكر الله وأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل كما فى الكشاف وبالفارسية رغبت كنيد بدان وسعى نماييد دران وعن الحسن رحمه الله أما والله ما هو بالسعى على الاقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنيات والخشوع والابتكار وقد ذكر الزمخشرى فى الابتكار قولا وافيا حيث قال وكانت الطرقات فى أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة أى مملوأة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وفى الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم فاذا خرج الامام طويت الصحف واجتمعوا للخطبة والمهجر الى الصلاة كالمهدى بدنة ثم الذى يليه كالمهدى بقرة ثم الذى يليه كالمهدى شاة حتى ذكر الدجاجة والبيضة وفى عبارة السعى اشارة الى النهى عن التثاقل وحث على الذهاب بصفاء قلب وهمة لا بكسل نفس وغمة وفى الحديث اذا أذن المؤذن أى فى الاوقات الخمسة أدبر الشيطان وله حصاص وهو بالضم شدة العدو وسرعته وقال حماد بن سلمة قلت لعاصم

ابن أبى النجود ما الحصاص قال أما رأيت الحمار اذا أصر باذنيه أى ضمهما الى رأسه ومصع بذنبه
أى حركه وضرب به وعدا أى أسرع فى المشى فذلك حصاصه وفيه اشارة الى أن ترك السعى من
فعل الشيطان وهذا بالنسبة الى غير المريض والاعمى والعبد والمرأة والمقعد والمسافر فانهم
ليسوا بمكلفين فهم غير منادين أى لا سعى من المرضى والزمنى والعميان وقد قال تعالى فاسعوا
واما النسوان فهن أمرن بالقرار فى البيوت بالنص والعبد والمسافر مشغولان بخدمة المولى
والنقل قال النصرابادى العوام فى قضاء الحوائج فى الجمعات والخواص فى السعى الى ذكره
لعلمهم بأن المقادير قد جرت فلا زيادة ولا نقصان وقال بعضهم الذكر عند المذكور حجاب والسعى
الى ذكر الله مقام المريدين يطلبون من المذكور محل القربة اليه والدنو منه وأما المحقق فى
المعرفة فقد غلب عليه ذكر الله اياه بنعت تجلى نفسه لقلبه (وذروا البيع) يقال فلان يذر الشئ
أى يقذفه لقلة اعتداده به ولم يستعمل ماضيه وهو وذر أى اتركوا المعاملة فالبيع مجاز عن
المعاملة مطلقا كالشراء والاجارة والمضاربة وغيرها ويجوز ابقاء البيع على حقيقته ويلحق به
غيره بالدلالة وقال بعضهم النهى عن البيع يتضمن النهى عن الشراء لانهما متضايفان لا يعقلان
الا معا فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وأراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل
الدنيا وانما خص البيع والشراء من بينها لان يوم الجمعة يوم تجمع فيه الناس من كل ناحية فاذا
دنا وقت الظهيرة يتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول عن ذكر الله والمضى
الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذى لا شئ
أنفع منه وأربح وذروا البيع الذى نفعه يسير وربحه قليل (ذلكم) أى السعى الى ذكر الله
وترك البيع (خير لكم) من مباشرته فان نفع الآخرة أجل وأبقى (ان كنتم تعلمون) الخير والشر
الحقيقيين (روى) أنه عليه السلام خطب فقال ان الله افترض عليكم الجمعة فى يومى هذا وفى
مقامى هذا فمن تركها فى حياتى وبعد مماتى وله امام عادل أو جائر من غير عذر فلا بارك الله له ولا
جمع الله شمله ألا فلا حج له ألا فلا صوم له ومن تاب تاب الله عليه (فاذا قضيت الصلاة) التى نوديتم
لها أى أديت وفرغ منها (فانتشروا فى الارض) لاقامة مصالحكم والتصرف فى حوائجكم
أى تفرقوا فيها بأن يذهب كل منكم الى موضع فيه حاجة من الحوائج المشروعة التى لا بد من
تحصيلها للمعيشة فان قلت ما معنى هذا الامر فانه لو لبث فى المسجد الى الليل يجوز بل هو
مستحب فالجواب ان هذا أمر الرخصة لا أمر العزيمة أى لا جناح عليكم فى الانتشار بعد
ما أديتم حق الصلاة (وابتغوا من فضل الله) أى الربح يعنى اطلبوا لانفسكم وأهليكم من الرزق
الحلال بأى وجه يتيسر لكم من التجارة وغيرها من المكاسب المشروعة دل على هذا المعنى
سبب نزول قوله واذا رأوا تجارة الخ كما سيأتى فالامر للاطلاق بعد الحظر أى للاباحة لا للايجاب
كقوله واذا حللتم فاصطادوا وذكر الامام السرخسى ان الامر للايجاب لما روى انه عليه
السلام قال طلب الكسب بعد الصلاة هو الفريضة بعد الفريضة وتلا قوله تعالى فاذا قضيت
الصلاة وقيل انه للندب فعن سعيد بن جبير اذا انصرفت من الجمعة فساوم بشئ وان لم تشتره
وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شئ من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور
الجنائز وزيارة أخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم (كما قال الكاشفى) وكفته

أمد

اند انتشارهم درزمين مسجد بست جهت رفتن بمجلس علما ومذكران وقيل صلاة التطوع
والظاهر ان مثل هذا ارشاد للناس الى ماهو الاولى ولا شك فى أولوية المكاسب الاخروية مع
ان طلب الكفاف من الحلال عبادة وربما يكون فرضا عند الاضطرار (واذكروا الله) بالجنان
واللسان جميعا (كثيرا) أى ذكرا كثيرا أو زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة يقول
الفقير انما أمر الله تعالى بالذكر الكثير لان الانسان هو العالم الاصغر المقابل للعالم الاكبر وكل
ما فى العالم الاكبر فانه يذكر الله تعالى بذكر مخصوص له فوجب على أهل العالم الاصغر أن يذكروا
الله تعالى بعدد اذكار أهل العالم الاكبر حتى تتقابل المرآتان وينطبق الاجمال
والتفصيل فان قلت فهل فى وسع الانسان أن يذكر الله تعالى بهذه المرتبة من الكثرة قلت
نعم اذا كان من مرتبة السر بالشهود التام والحضور الكامل كما قال أبو يزيد البسطامى قدس
سره الذكر الكثير ليس بالعدد لكنه بالحضور انتهى وقد يقيم الله القليل مقام الكثير
كما روى أن عثمان رضى الله عنه صعد المنبر فقال الحمد لله فأرتج عليه فقال ان أبا بكر وعمر
رضى الله عنهما كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال
وستأتيكم الخطب ثم نزل ومنه قال امامنا الاعظم أبو حنيفة رحمه الله ان اقتصر الخطيب على
مقدار ما يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وذلك لان الله تعالى سمى الخطبة ذكرا له
على أنا نقول قول عثمان ان أبا بكر وعمر الخ كلام أى كلام فى باب الخطبة لاشتماله على معنى
جليل فهو يجامع قول صاحبيه والشافعى لابد من كلام يسمى خطبة وهذا مما لا ينتبه له أحد
والحمد لله على الهامه وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه الذكر طاعة الله فمن أطاع الله
فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح والذكر بهذا المعنى يتحقق فى جميع
الاحوال قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والذكر الذى أمر بالسعى اليه
أولا هو ذكر خاص لا يجامع التجارة أصلا اذ المراد منه الخطبة والصلاة أمر به أولا ثم قال اذا
فرغتم منه فلا تتركوا طاعته فى جميع ما تأتونه وتذرونه (لعلكم تفلحون) كى تفوزوا بخيرى
الدارين الحاصل ذكرى موجب جمعيت ظاهر وباطن وسبب نجات دنيا وآخرتست * از
ذكر خدا مباش يكدم غافل * كز ذكر بود خير دو عالم حاصل * ذكر است كه اهل شوق را در همه
حال * آسايش جان باشد وآرامش دل * وفى التأويلات النجمية اذا حصلت لكم يا أهل
كمال الايمان الذوقى العيانى صلاة الوصلة والجمعية والبقاء والفناء فسيروا فى أرض البشرية
بالاستمتاع بالشهوات المباحة والاسترواح بالروائح الفائحة والمراتعة فى المراتع الارضية
وابتغوا من فضل الله من التجارات المعنوية الرابحة واذكروا نعم الله عليكم الظاهرة من الفناء
من ناسوتيتكم الظلمانية والباطنة من البقاء بلاهوتيته النورانية لعلكم تفوزون بهذه النعم
الظاهرة والباطنة بارشاد الطالبين الصادقين المتوجهين الى الله بالروح الصافى والقلب الوافى
قال فى الاشباه والنظائر اختص يوم الجمعة باحكام لزوم صلاة الجمعة واشتراط الجماعة لها وكونها
ثلاثة سوى الامام والخطبة لها وكونها قبلها شرط وقراءة السورة المخصوصة لها وتحريم السفر
قبلها بشرطه واستنان الغسل لها والطيب ولبس الاحسن وتقليم الاظفار وحلق الشعر ولكن
بعدها أفضل والبخور فى المسجد والتبكير لها والاشتغال بالعبادة الى خروج الخطيب ولا

يسن الابراد بها ويكره افراده بالصوم وافراد ليلته بالقيام وقراءة الكهف فيه ونفى كراهة النافلة وقت الاستواء على قول أبى يوسف المصحح المعتمد وهو خير أيام الاسبوع ويوم عيد وفيه ساعة اجابة وتجتمع فيه الارواح وتزار فيه القبور ويأمن الميت فيه من عذاب القبر ومن مات فيه أوفى ليلته أمن من فتنة القبر وعذابه ولا تسعر فيه جهنم وفيه خلق آدم وفيه أخرج من الجنة وفيه تقوم الساعة وفيه يزور أهل الجنة ربهم سبحانه وتعالى انتهى واذا وقعت الوقفة بعرفة يوم الجمعة ضوعف الحج سبعين لان حج الوداع كان كذلك ذكره فى عقد الدرر واللاكى (واذا رأوا) أى علموا (تجارة) هى تجارة دحية بن خليفة الكلبى (أو) سمعوا (لهوا) هو مايشغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال ألهى عن كذا اذا شغله عما هو أهم والمراد هنا صوت الطبل ويقال له اللهو الغليظ وكان دحية اذا قدم ضرب الطبل ليعلم به (كما قال الكاشفى) وكاروان چون رسيدى طبل شادى زدندى كما يرمى أصحاب السفينة فى زماننا البنادق ومايقال له بالتركى طوب أوكانوا اذا أقبلت العير استقبلوها أى أهلها بالطبول والدفوف والتصفيق وهو المراد باللهو (انفضوا اليها) الفض كسر الشئ وتفريق بين بعضه وبعض كفض ختم الكتاب ومنه استعير انفض القوم أى تفرقوا وانتشروا كما فى تاج المصادر الانفضاض شكسته شدن ويراكنده شدن ووحد الضمير لان العطف بأو لا يثنى معه الضمير وكان المناسب ارجاعه الى أحد الشيئين من غير تعيين الا ان تخصيص التجارة برد الكناية اليها لانها المقصودة أولالدلالة على أن الانفضاض اليها مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فماظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم فى نفسه ويجوز أن يكون الترديد للدلالة على أن منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته فاذا كان الطبل من اللهو وان كان غليظا فاظنك بالمزمار ونحوه وقد يقال الضمير للرؤية المدلول عليها بقوله رأوا وقرئ اليهما على أن أو للتقسيم (روى) أن دحية بن خليفة الكلبى قدم المدينة بتجارة من الشام وكان ذلك قبل اسلامه وكان بالمدينة مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع مايحتاج اليه من بر ودقيق وزيت وغيرها والنبى عليه السلام يخطب يوم الجمعة فلما علم أهل المسجد ذلك قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه يعنى تاپيشى كيرند از يكديكر بخريدن طعام فابقى معه عليه السلام الا ثمانية أو احد عشر أو اثنا عشر أو أربعون فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود وفى رواية عمار بن ياسر بدل عبد الله وذكر مسلم أن جابرا كان فيهم وكان منهم أيضا امرأة فقال عليه السلام والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وفى عين المعانى لولا الباقون لنزلت عليهم الحجارة (وتركوك) حال كونك (قائما) أى على المنبر (روى) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان النبى عليه السلام يخطب يوم الجمعة خطبتين قائما يفصل بينهما بجلوس ومن ثمة كانت السنة فى الخطبة ذلك وفيه اشعار بأن الاحسن فى الوعظ على المنبر يوم الجمعة القيام وان جاز القعود لانه والخطبة من واد واحد لاشتماله على الحمد والثناء والتصلية والنصيحة والدعاء قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره ان الخطبة عبارة عن ذكر الله والموعظة للناس وكان عليه السلام مستغرقا فى ذكر الله تعالى ثم لما أراد التنزل لارشاد الناس بالموعظة جلس جلسة

حقيقة غايته أن ماذكره الفقهاء من معنى الاستراحة لازم لماذكرنا وكان عليه السلام يكتفى
فى الاوائل بخطبة واحدة من غير أن يجلس اما لانه لعظم قدره كان يجمع بين الوصال والفرقة
أولان أفعاله كانت على وفق الوحى ومقتضى أمر الله فيجوز أن لا يكون مأمورا بالجلسة
فى الاوائل ثم صار على قياس النسخ وأيضا وجه عدم جلوسه عليه السلام فى الخطبة فى بعض
الاوقات هو أنه عليه السلام كان يرشد أهل الملكوت كما يرشد أهل الملك فمتى كان ارشاده
فى الملكوت لا ينزل ولا يجلس ومتى كان فى الملك بأن لم يكن فى مجلس الخطبة من هو من أهل
الملكوت ينزل ويجلس مجلس الملك فانا معاشر الانبياء نكلم الخلق على قدر عقولهم
ومراتبهم وكان عليه السلام متى أراد الانتقال من ارشاد أهل الملك الى ارشاد أهل الملكوت
يقول أرحنى يابلال ومتى أراد التنزل من ارشاد أهل الملكوت الى ارشاد أهل الملك يقول لعائشة
رضى الله عنها كلمينى ياحميراء اعلم أنه كان من فضل الاصحاب رضى الله عنهم وشأنهم أن لا يفعلوا
مثل ماذكر من التفرق من مجلس النبى عليه السلام وتركه قائما فذكر بعضهم وهو مقاتل بن
حيان ان الخطبة يوم الجمعة كانت بعد الصلاة مثل العيدين فظنوا أنهم قد قضوا ما كان عليهم
وليس فى ترك الخطبة شئ فحولت الخطبة بعد ذلك فكانت قبل الصلاة وكان لا يخرج واحد
لرعاف أو احداث بعد النهى حتى يستأذن النبى عليه السلام يشير اليه باصبعه التى تلى الابهام
فيأذن له النبى عليه السلام يشير اليه بيده قال الامام السهيلى رحمه الله وهذا الحديث الذى
من أجله ترخصوا لانفسهم فى ترك سماع الخطبة وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل
بأصحاب رسول الله عليه السلام موجب لانه كان صحيحا * يقول الفقير هب انهم ظنوا أنهم
قد قضوا ما كان عليهم من فرض الصلاة فكيف يليق بهم أن يتركوا مجلس النبى عليه السلام
ومن شأنهم أن يستمعوا ولم يتحركوا كأن على رؤسهم الطير ولعل ذلك من قبيل سائر الهفوات
التى تضمنت المصالح والحكم الجليلة ولو لم يكن الا كونه سبب النزول هذه الآية التى هى خير من
الدنيا وما فيها لكفى وفيها من الارشاد الالهى لعباده ما لا يخفى (قل ما عند الله) من الثواب
يعنى ثواب نماز واستماع خطبه ولزوم مجلس حضرت پيغمبر عليه السلام وما موصولة خاطبهم
الله بواسطة النبى عليه السلام لان الخطاب مشوب بالعتاب (خير) بهترست وسودمندتر (من
اللهو) از استماع لهو (ومن التجارة) واز نفع تجارت فان نفع ذلك محقق مخلد بخلاف
ما فيهما من النفع المتوهم فنفع اللهو ليس بمحقق ونفع التجارة ليس بمخلد وما ليس بمخلد فمن قبيل
الظل الزائل ومنه يعلم وجه تقديم اللهو فان للاعدام تقدما على الملكات قال البقلى وفيه تأديب
المريدين حيث اشتغلوا عن صحبة المشايخ بخلواتهم وعباداتهم لطلب الكرامات ولم يعلموا أن
ما يجدون فى خلواتهم بالاضافة الى ما يجدون فى صحبة مشايخهم لهو قال سهل رحمه الله من شغله
عن ربه شئ من الدنيا والآخرة فقد أخبر عن خسة طبعه ورذالة همته لان الله فتح له الطريق
اليه وأذن له فى مناجاته فاشتغل بما يفنى عما لم يزل ولا يزال وقال بعضهم ما عند الله للعباد والزهاد
غدا خير مما نالوه من الدنيا نقدا وما عند الله للعارفين نقدا من واردات القلوب وبوادر الحقيقة
خير مما فى الدنيا والعقبى (والله خير الرازقين) لانه موجد الارزاق فاليه اسعوا ومنه اطلبوا
الرزق (وقال الكاشفى) وخداى تعالى بهترين روزى دهنده كانست يعنى آنانكه وسائط

ايصال رزقند وقت باشد كه بخيلي كند وشايد نيز مصلحت وقت نداشند نقلست كه يكي ازخلفاى بغداد بهلول را كفت بيا تا روزى هر روز توبة تر كنم تا وقت متعلق بدان نباشد بهلول جواب داد كه جنين ميكردم اكر جند عيب نبودى اول آنكه تو ندانى كه مرا جه بايد دوم نشناسى كه مرا كى بايد سوم معلوم ندارى كه مرا جند بايد وحق تعالى كافل رزق منست اين همه ميداند واز روى حكمت بمن ميرساند وديكر شايد كه برمن غضب كنى وآن وظيفه ازمن باز كيرو حق سبحانه وتعالى بكناه ازمن روزى باز نميدارد * خدايى كه اوساخت ازنيست هست * بعصيان در رزق بر كس نبست * ازو خواه روزى كه بخشنده اوست * برازنده كارهر بنده اوست * وقيل لبعضهم من أين تأكل فقال من خزانة ملك لايدخلها اللصوص ولا يأكلها السوس وقال حاتم الاصم قدس سره لامرأته انى أريد السفر فكم أضع لك من النفقة قالت بقدر ماتعلم أنى أعيش بعدسفرك فقال ومادرى كم تعيش قالت فكله الى من يعلم ذلك فلما سافر حاتم دخل النساء عليها يتوجعن لها من كونه سافر وتركها بلا نفقة فقالت انه كان أكالا ولم يكن رزاقا قال بعضهم قوله تعالى خير من اللهو وقوله خير الرازقين من قبيل الفرض والتقدير اذ لاخيرية فى اللهو ولا رازق غير الله فكان المعنى ان وجد فى اللهو خير فما عند الله أشد خيرية منه وان وجد رازقون غير الله فالله خيرهم وأقواهم قوة وأولاهم عطية والرزق هو المنتفع به مباحا كان أو محظورا وفى التأويلات النجمية والله خير الرازقين لاحاطته على رزق النفس وهو الطاعة والعبادة بمقتضى العلم الشرعى ورزق القلب وهو المراقبة والمواظبة على الاعمال القلبية من الزهد والورع والتوكل والتسليم والرضا والبسط والقبض والانس والهيبة ورزق الروح بالتجليات والتنزلات والمشاهدات والمعاينات ورزق السر برفع رؤية الغير والغيرية ورزق الخفاء بالفناء فى الله والبقاء به وهو خير رزق فهو خير الرازقين (وفى المثنوى) هرجه ازيارت جدا اندازد آن * مشنو آنرا كه زيان دارد زيان * كر بود آن سود صد درصد مكير * بهر زر مكسل زكنجور اى فقير * آن شنو كه جند يزدان زجر كرد * كفت اصحاب نبى را كرم وسرد * زانكه در بانك دهلى درسال تنك * جمعه را كردند باطل بى درنك * تانبايد ديكران ارزان خرند * زان سبب صرفه زما ايشان برند * ماند پيغمبر بخلوت درنماز * با دو سه درويش ثابت پرنياز * كفت طبل ولهو وبازركانى * جونتان ببريد ازربانى * قد فضضتم نحو قمح هائما * ثم خليتم نبيا قائما * بهر كندم تخم باطل كاشتند * وآن رسول حق را بكذاشتند * صحبت او خير من لهوست ومال * بين كرا بكذاشتى جشمى بمال * خود نشد حرص شمارا اين يقين * كه منم رزاق وخير الرازقين * آنكه كندم را زخود روزى دهد * كى توكلهات را ضايع كند * ازبى كندم جدا كشتى ازان * كه فرستادست كندم زآسمان * وفى الاحياء يستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة اللهم ياغنى ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود أغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عن سواك فيقال من داوم على هذا الدعاء اغناه الله تعالى عن خلقه ورزقه من حيث لايحتسب وفى الحديث من قال يوم الجمعة اللهم أغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك سبعين مرة لم تمر به جمعتان حتى يغنيه الله رواه أنس بن مالك رضى الله عنه

تمت سورة الجمعة فى ثانى صفر الخير يوم الخميس من سنة ست عشرة ومائة وألف

(سورة المنافقين احدى عشرة آية مدنية بلا خلاف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا) جونت (جاءك المنافقون) أى حضروا مجلسك وبالفارسية جون آيند دوريان والنفاق اظهار الايمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب فالمنافق هو الذى يضمر الكفر اعتقادا ويظاهر الايمان قولا وفى المفردات النفاق الدخول فى الشرع من باب والخروج منه من باب من النافقاء احدى جحرة اليربوع والثعلب والضب يكتمها ويظهر غيرها فاذا أتى من قبل القاصعاء وهو الذى يدخل منه ضرب النافقاء برأسه فانتفق والنفق هو السرب فى الارض النافذ (قالوا) مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم والظاهر أنه الجواب لاذا الان الآية نظير قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وقيل جوابه مقدر مثل أرادوا أن يخدعوك وقيل استئناف لبيان طريق خدعتهم وقيل جوابه قوله فاحذرهم (نشهد) الآن أو على الاستمرار (انك لرسول الله) والشهادة قول صادر عن علم حصل بشهادة بصر أو بصيرة (والله يعلم انك لرسوله) اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم لكونه مطابقا للواقع ولازالة ايهام أن قولهم هذا كذب لقوله والله يشهد الخ وفيه تعظيم للنبى عليه السلام وقال أبو الليث والله يعلم انك لرسوله من غير قولهم وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله اعلم ان كل ماجاء فى القرآن بعد العلم من لفظة أن فهى بفتح الهمزة لكونها فى حكم المفرد الا فى موضعين احدهما والله يعلم انك لرسوله فى هذه السورة والثانى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فى سورة الانعام وانما كان كذلك فى هذين الموضعين لانه يأتى بعدهما لام الخبر فانكسر أى لان اللام لتأكيد معنى الجملة ولاجله الا فى صورة المكسورة وقال بعضهم اذا دخلت لام الابتداء على خبرها تكون مكسورة لاقتضاء لام الابتداء الصدارة كما يقال لزيد قائم وتؤخر اللام لئلا يجتمع حرفا التأكيد واختير تأخيرها لترجيح ان فى التقديم لعامليته فكسرت لاجل اللام (والله يشهد) شهادة حقة (ان المنافقين لكاذبون) أى انهم والاظهار فى موضع الاضمار لذمهم والاشعار بعلية الحكم أى لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من أنها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب فان الشهادة وضعت للاخبار الذى طابق فيه اللسان اعتقاد القلب واطلاقها على الزور مجاز كاطلاق البيع على الفاسد نظيره قولك لمن يقول أنا اقرأ الحمد لله رب العالمين كذبت فالتكذيب بالنسبة الى قراءته لا بالنسبة الى المقروء الذى هو الحمد لله رب العالمين ومن هنا يقال ان من استهزأ بالمؤذن لا يكفر بخلاف من استهزأ بالاذان فانه يكفر قال بعضهم الشهادة حجة شرعية تظهر الحق ولا توجبه فهى الاخبار بما علمه بلفظ خاص ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله والله يعلم الخ دلت الآية على ان العبرة بالقلب والاخلاص وبخلوصه يحصل الخلاص وكان عليه السلام يقبل من المنافقين ظاهر الاسلام وأما حكم الزنديق فى الشرع وهو الذى يظهر الاسلام ويسر الكفر فانه يستتاب وتقبل توبته ولا تقبل عند أبى حنيفة والشافعى رحمهما الله قال سهل رحمه الله أقروا بألسنتهم ولم يعترفوا بقلوبهم فلذلك سماهم الله منافقين ومن اعترف بقلبه وأقر بلسانه ولم يعمل بأركانه ما فرض الله من غير عذر ولا جهل كان كابليس وسئل حذيفة من المنافق قال

الذى يصف الاسلام ولا يعمل به وهم اليوم شر منهم لانهم كانوا يومئذ يكتمونه وهم اليوم يظهرونه
وفى الآية اشارة الى أن المنافقين الذامين للدنيا وشهواتها باللسان المقبلين عليها بالقلب وان
كانوا يشهدون بصحة الرسالة لظهور أنوارها عليهم من المعجزات والكرامات لكنهم كاذبون
فى شهاداتهم لاعراضهم عنه عليه السلام ومتابعته واقبالهم على الدنيا وشهواتها فالحقيقة
الشهادة انما تحصل بالمتابعة وقس عليه شهادة أهل الدنيا عند ورثة الرسول قال حسن
البصرى رحمه الله يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من أحب فانك لا تلحق الابرار
الا بأعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم وهذه اشارة الى أن مجرد ذلك
من غير موافقة فى بعض الاعمال أو كلها لا ينفع كما فى احياء العلوم ولذا قال حضرة الشيخ الاكبر
قدس سره الاطهر المرء مع من أحب فى الدنيا بالطاعة والأدب الشرعى وفى الآخرة بالمعاينة
والقرب المشهدى انتهى فاذا كانت المحبة المجردة بهذه المثابة فما ظنك بالنفاق الذى هو هدم
الاس والاصل وبناء الشرع فلا اعتداد بدعوى المنافق ولا بعمله * وفى التأويلات القاشانية
المنافقون هم المذبذبون الذين يجذبهم الاستعداد الاصلى الى نور الايمان والاستعداد العارضى
الذى حدث برسوخ الهيئات الطبيعية والعادات الرديئة الى الكفر وانما هم كاذبون فى
شهادة الرسالة لان حقيقة معنى الرسالة لا يعلمها الا الله والراسخون فى العلم الذين يعرفون الله
ويعرفون بمعرفته رسول الله فان معرفة الرسول لا تمكن الا بعد معرفة الله وبقدر العلم بالله
يعرف الرسول فلا يعلمه حقيقة الا من انسلخ عن علمه وصار عالما بعلم الله وهم محجوبون عن الله
بحجب ذواتهم وصفاتهم وقد أطفؤا نور استعداداتهم بالغواشى البدنية والهيئات الظلمانية
فأنى يعرفون رسول الله حتى يشهدوا برسالته انتهى قال الشيخ أبو العباس معرفة الولى أصعب
من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله وحتى متى يعرف مخلوقا مثله يأكل كما يأكل ويشرب
كما يشرب (اتخذوا) أى المنافقون (أيمانهم) الفاجرة التى من جملتها ما حكى عنهم لان الشهادة
تجرى مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن أشهد يمين
واليمين فى الحلف مستعار من اليمين التى بمعنى اليد اعتبارا بما يفعله المحالف والمعاهد عنده
واليمين بالله الصادقة جائزة وقت الحاجة صدرت من النبى عليه السلام كقوله والله والذى
نفسى بيده ولكن اذا لم يكن ضرورة قوية يصان اسم الله العزيز عن الابتذال (جنة) أى وقاية
وترسا عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبى أو غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن
اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة لا عن استعمالها
بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل
المؤاخذة وعن سببها أيضا كما ينفصح عنه الفاء فى قوله (فصدوا عن سبيل الله) يقال صده عن
الامر صدا أى منعه وصرفه وصد عنه صدودا أى أعرض والمعنى فمنعوا وصرفوا من أراد
الدخول فى الاسلام بأنه عليه السلام ليس برسول ومن أراد الانفاق فى سبيل الله بالنهى عنه
كما سيحكى عنهم ولا ريب فى أن هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وأصل الجن ستر الشئ
عن الحاسة يقال جنه الليل وأجنه والجنان القلب لكونه مستورا عن الحاسة والمجن والجنة
الترس الذى يجن صاحبه والجنة كل بستان ذى شجر يستر بأشجاره الارض (انهم ساء

ما كانوا يعملون) أى ساء الشئ الذى كانوا يعملونه من النفاق والصد والاعراض عن سبيله تعالى وفى ساء معنى التعجب وتعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) القول الشاهد بأنهم اسوأ الناس أعمالا وبالفارسية اين حكم حق بيدئ أعمال ايشان (بأنهم) أى بسبب أنهم (آمنوا) أى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل الاسلام (ثم كفروا) أى ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله من قولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم فى غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن يفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات فثم للتراخى أو كفروا سرا فثم للاستبعاد ويجوز أن يراد بهذه الآية أهل الردة منهم كما فى الكشاف (فطبع على قلوبهم) ختم عليها يعنى مهر نهاده شد حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وصارت بحيث لا يدخلها الايمان جزاء على نفاقهم ومعاقبة على سوء أفعالهم فليس لهم أن يقولوا ان الله ختم على قلوبنا فكيف نؤمن والطبع أن يصور الشئ بصورة ما كطبع السكة وطبع الدراهم وهو أعم من الختم وأخص من النقش كما فى المفردات (فهم لا يفقهون) حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيته أصلا كما يعرفه المؤمنون والفقه لغة الفهم واصطلاحا علم الشريعة لانه الاصل فيما يكتسب بالفهم والدراية وان كان سائر العلوم أيضا لا ينال الا بالفهم دل الكلام على أن ذكر بعض مساوى العاصى عند احتمال الفائدة لا يعد من الغيبة المنهى عنها بل قد يكون مصلحة مهمة على ما روى عنه عليه السلام اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس وفى المقاصد الحسنة ثلاثة ليست لهم غيبة الامام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذى يدعو الناس الى بدعته وقال القاشانى ذلك بسبب أنهم آمنوا بالله بحسب بقية نور الفطرة والاستعداد ثم كفروا أى ستروا ذلك النور بحجب الرذائل وصفات نفوسهم فطبع على قلوبهم برسوخ تلك الهيئات وحصول الرين من المكسوبات فحجبوا عن ربهم بالكلية فهم لا يفهمون معنى الرسالة ولا علم التوحيد والدين (واذا رأيتهم) وچون بينى منافقانرا چون ابن أبى وأمثال أو الرؤية بصرية (تعجبك أجسامهم) بشگفت آرد ترا أجسام ايشان لضخامتها و يروقك منظرهم لصباحة وجوههم وأصله من العجب والشئ العجيب هو الذى يعظم فى النفس أمره لغرابته والتعجب حيرة تعرض للنفس بواسطة ما يتعجب منه (وان يقولوا) وچون سخن كويند (تسمع لقولهم) لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم واللام صلة وقيل تصغى الى قولهم وكان ابن أبى جسيما صبيحا فصيحا يحضر مجلس رسول الله عليه السلام فى نفر من أمثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه السلام ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم فان الصباحة وحسن المنظر لا يكون الا من صفاء الفطرة فى الاصل ولذا قال عليه السلام اطلبوا الخير عند حسان الوجوه أى غالبا وكم من رجل قبيح الوجه قضاء للحوائج قال بعضهم

يدل على معروفه حسن وجهه * ومازال حسن الوجه احدى الشواهد

وفى الحديث اذا بعثتم الى رجلا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم ثم لما رأى عليه السلام غلبة الرين على قلوب المنافقين وانطفاء نور استعدادهم وابطال الهيئات الدنية العارضة خواصهم الاصلية أيس منهم وتركهم على حالهم (وروى) عن بعض الحكماء أنه رأى غلاما حسنا وجهه فاستنطقه لظنه ذكاء فطنته فما وجد عنده معنى فقال ما أحسن هذا البيت لو كان

فيه ساكن وقال آخر طشت ذهب فيه خل (كأنهم خشب مسندة) فى حيز الرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أى هم كأنهم أو كلام مستأنف لا محل له والخشب بضمتين جمع خشبة كأكم وأكمة أو جمع خشب محركة كأسد وأسد وهو ماغلظ من العيدان والاسناد الامالة ومسندة للتكثير فان التسنيد تكثير الاسناد بكثرة المحال أى كأنها أسندت الى مواضع والمعنى بالفارسية كويا ايشان چوبهاى خشك شده اند بديوار بازنهاده شبه وافى جلوسهم فى مجالس رسول الله مستندين فيها بأخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم والخير والانتفاع ولذا اعتبر فى الخشب التسنيد لان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع فكما أن مثل هذا الخشب لانفع فيه فكذا هم لانفع فيهم وكان الروح النامية قد زالت عنهم فهم فى زوال استعداد الحياة الحقيقية والروح الانسانى بمثابتها يقول الفقير فيه اشارة الى أن الاستناد فى مجالس الاكابر أو فى مجالس العلم من ترك الادب ولذا منع الامام مالك رحمه الله هرون الرشيد من الاستناد حين سمع منه الموطأ حكى أن ابراهيم بن أدهم قدس سره كان يصلى ليلة فأعيا فجلس ومد رجله فهتف به هاتف أهكذا تجالس الملوك وكان الجريرى لايمد رجليه فى الخلوة ويقول حفظ الادب مع الله أحق وهذا من أدب من عرف معنى الاسم المهيمن فان من عرف معناه يكون مستحييا من اطلاعه تعالى عليه ورؤيته له وهو المراقبة عند أهل الحقيقة ومعناه علم القلب باطلاع الرب ودلت الآية وكذا قوله عليه السلام انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة على أن العبرة فى الكمال والنقصان بالاصغرين اللسان والقلب لابالاكبرين الرأس والجلد فان الله تعالى لاينظر الى الصور والاموال بل الى القلوب والاعمال فرب صورة مصغرة عند الله بمثابة الذهب والمؤمن لايخلو من قلة أو علة أو ذلة ولاشك أن بالقلة يكثر الهم الذى يذهب اللحم والشحم وكذا بالعلة يذوب البدن ويطرأ عليه الذبول وفى الحديث مثل المؤمن مثل السنبلة يحركها الريح فتقوم مرة وتقع أخرى ومثل الكافر مثل الارزة لاتزال قائمة حتى تنقعر قوله الارزة بفتح الهمزة وبراء مهملة ساكنة ثم زاى شجر يشبه الصنوبر يكون بالشأم وبلاد الارمن وقيل هو شجر الصنوبر والانقعار از بن بر كنده شدن يعنى مثل منافق مثل صنوبرست كه بلند واستوار برزمين تا كه افتادن وازبيخ برآمدن وفيه اشارة الى أن المؤمن كثير الابتلاء فى بدنه وماله غالبا فيكفر عن سيئاته والكافر ليس كذلك فيأتى بسيئاته كاملة يوم القيامة (يحسبون) يظنون (كل صيحة) كل صوت ارتفع فان الصيحة رفع الصوت وفى القاموس الصوت باقصى الطاقة وهو مفعول أول ليحسبون والمفعول الثانى قوله (عليهم) أى واقعة عليهم ضارة لهم ومراد از صيحه هر فريادى كه برآيد وهر آوازى كه در مدينه بركشند وقال بعضهم اذا نادى مناد فى العسكر لمصلحة أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة أو وقعت جلبة بين الناس ظنوها ايقاعا بهم لجبنهم واستقرار الرعب فى قلوبهم والخائن خائف وقال القاشانى لان الشجاعة انما تكون من اليقين من نور الفطرة وصفاء القلب وهم منغمسون فى ظلمات صفات النفوس محتجبون باللذات والشهوات كأهل الشكوك والارتياب فلذلك غلب عليهم الجبن والخور انتهى وفى هذا زيادة تحقير لهم وتخفيف لقدرهم كما قيل * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا * وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم

ويبيح دماءهم وأموالهم (هم العدو) أى هم الكاملون فى العداوة الراسخون فيها فان أعدى الاعادى العدو المكاشر الذى يكاشرك وتحت ضلوعه داء لا يبرح بل يلزم مكانه ولم يقل هم الاعداء لان العدو لكونه بزنة المصادر يقع على الواحد وما فوقه (فاحذرهم) أى فاحذر أن تثق بقولهم وتميل الى كلامهم أو فاحذر ممايلتهم لاعدائك وتخذيلهم أصحابك فانهم يفشون سرك للكفار (قاتلهم الله) دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم ويخزيهم ويميتهم على الهوان والخذلان كما قال ابن عباس رضى الله عنهما أى لعنهم قال سعدى المفتى ولا طلب هنالك حقيقة بل عبارة الطلب للدلالة على ان اللعن عليهم مما لابد منه قال الطيبى يعنى انه من اسلوب التجريد كقراءة ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله ومن كفر فأمتعه يا قادر ويجوز أن يكون تعليما للمؤمنين بأن يدعوا عليهم بذلك ففيه دلالة على أن للدعاء على أهل الفساد محلا يحسن فيه فقاتل الله المبتدعين الضالين المضلين فانهم شر الخصماء وأضر الاعداء وايراده فى صورة الاخبار مع انه انشاء معنى للدلالة على وقوعه ومعنى الانشاء بالفارسية هلاك كناد خداى ايشانرا يا لعنت كناد بر ايشان وقال بعضهم أهلكهم وهو دعاء يتضمن الاقتضاء والمنابذة وتمنى الشر لهم ويقال هى كلمة ذم وتوبيخ بين الناس وقد تقول العرب قاتله الله ما أشعره فيضعونه موضع التعجب وقيل احلهم محل من قاتله عدو قاهر لكل معاند (أنى يؤفكون) تعجيب من حالهم أى كيف يصرفون عن الحق والنور الى ما هم عليه من الكفر والضلال والظلمة بعد قيام البرهان من الافك بفتح الهمزة بمعنى الصرف عن الشئ لان الافك بالكسر بمعنى الكذب * قال فى التأويلات النجمية اذا رأيتهم من حيث صورهم المشكلة تعجبك اجسام أعمالهم المشوبة بالرياء والسمعة الخالية عن أرواح النيات الخالصة الصافية وان يقولوا قولا بالحروف والاصوات مجردا عن المعانى الصفاة تصغ الى قولهم المكذوب المردود كأن صورهم المجردة عن المعنى المخيلة صورتها القوة الخيالية بصورة الخشب المسندة الى جدار الوهم لا روح فيها ولا معنى يحسبون كل صيحة صاح بها صور القهر واقعة عليهم لضعف قلوبهم بمرض النفاق وعلة الشقاق هم الكاملون فى العداوة الذاتية والبغضاء الصفاتية فاحذرهم بالصورة والمعنى قاتلهم الله بالخزى والحرمان والسوء والخذلان أنى يعدلون عن طريق الدين الصدق (واذا قيل لهم) عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة در معالم آورده كه بعد از نزول اين آيتها قوم ابن أبى ويرا كفتند اين آيتها در بارهء تو نازل شده برو نزديك رسول خداى تا براى تو آمرزش طلبد آن منافق كردن تاب داد وكفت مرا كفتيد ايمان آور آوردم تكليف كرديد كه زكات مال بده دادم همين مانده است كه محمد را سجده مى بايد كرد آيت آمد كه واذا قيل لهم (تعالوا) أصله تعاليوا فأعل بالقلب والحذف الآن وأحد الماضى تعالى باثبات الالف المقلوبة عن الياء المقلوبة عن الواو الواقعة رابعة وواحد الامر تعال بحذفها وقفا وفتح اللام وأصل معنى التعالى الارتفاع فاذا أمرت منه قلت تعال وتعالوا فتعالوا جمع أمر الحاضر فى صورة الماضى ومعناه ارتفعوا فيقوله من كان فى مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم يعنى ثم استعمل فى كل داع بطلب المجئ فى المفرد وغيره لما فيه من حسن الادب أى هلموا وتنوا وبالفارسية بيائيد باعتذار ومن الادب أن لا يقال تعالى فلان أو تعاليت يا فلان أو أنا أو فلان متعال بأى معنى أريد لانه مما

اشتهر به الله تعالى الى الله الملك الحق (يستغفر لكم رسول الله) بالجزم جواب الامر أى يدع الله لكم ويطلب منه أن يغفر بلطفه ذنوبكم ويستر عيوبكم وهو من اعمال الثانى لان تعالوا يطلب رسول الله مجرورا بالى أى تعالوا الى رسول الله ويستغفر يطلب فاعلا فأعمل الثانى ولذلك رفعه وحذف من الاول اذ التقدير تعالوا اليه (لووا رؤسهم) يقال لوى الرجل رأسه اماله والتشديد للتكثير لكثرة المحال وهى الرؤس قال فى تاج المصادر التلوية نيك بيجانيدن أى عطفوها استكبارا جنانيجه كسى ازمكروهى روى بتابد وقال القاشانى اضراوتهم بأمور الظلمانية فلا يألفون النور ولا يشتاقون اليه ولا الى الكمالات الانسانية لمسخ الصورة الذاتية (ورأيتهم يصدون) من الصد وبمعنى الاعراض أى يعرضون عن القائل أو عن الاستغفار (وقال الكاشفى) اعراض ميكنند ازرفتن بخدمت حضرت پيغمبر صلى الله عليه وسلم وذلك لانجذابهم الى الجهة السفلية والزخارف الدنيوية فلاميل فى طباعهم الى الجهة العلوية والمعانى الاخروية (وفى المثنوى) صورت رفعت برد افلاك را * معنى رفعت روان پاك را * صورت رفعت براى جسمهاست * جسمها در پيش معنى اسمهاست (وهم مستكبرون) عن ذلك لغلبة الشيطنة واستيلاء القوة الوهمية واحتجابهم بالانانية وتصور الخيرية وفى الحديث اذا رأيت الرجل لجوجا معجبا برأيه فقد تمت خسارته (سواء عليهم أستغفرت لهم) كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وفى كشف الاسرار كان عليه السلام يستغفر لهم على معنى سؤاله لهم بتوفيق الايمان ومغفرة العصيان وقيل لما قال الله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال عليه السلام لازيدن على السبعين فأنزل الله سواء الخ وهو اسم بمعنى مستو خبر مقدم وعليهم متعلق به وما بعده من المعطوف عليه والمعطوف مبتدأ بتأويل المصدر لانخراج الاستفهام عن مقامه فالهمزة فى أستغفرت للاستفهام ولذا قطعت ووقعت والاصل أأستغفرت فحذفت همزة الوصل التى هى ألف الاستفعال للتخفيف ولعدم اللبس (أم لم تستغفر لهم) كما اذا صروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار (لن يغفر الله لهم) أبدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم فى الكفر وخروجهم عن دين الفطرة القيم (ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) الكاملين فى الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين فى الكفر والنفاق أو الخارجين عن دائرة المتقين الداخلين فى دائرة الباطلين المبطلين وفى الآية اشارة الى عدم استعدادهم لقبول الاستغفار لكثافة طباعهم المظلمة وغلظة جبلتهم الكدرة ولو كان لهم استعداد لقبوله لخرجوا عن محبة الدنيا ومتابعة النفس والهوى الى موافقة الشرع ومتابعة الرسول والهدى ولما بقوا فى ظلمة الشهوات الحيوانية والاخلاق البهيمية والسبعية (قال الحافظ) عاشق كه شد كه يار بحالش نظر نكرد * اى خواجه درد نيست وكرنه طبيب هست * ومنه يعلم ان الجذبة من جانب المرشد وان كان لها تأثير عظيم لكن اذا كان جانب المريد خاليا عن الارادة لم تنفعه ذلك ألا ترى ان استغفار النبى عليه السلام ليس فوقه شئ مع انه لم يؤثر فى الهداية وأصل هذا عدم اصابة رشاش النور فى عالم الارواح ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور (حكى) أن شيخا زمع مريد له خدمه عشرين سنة على قرية فيها شيخ فأن يضرب الطبل فأشار اليه الشيخ فطرح الطبل وتبعه حتى اذا كانوا على ساحل البحر ألقى الشيخ سجادته على البحر وقعد عليها مع الطبال وبقى

المريد العتيق فى الساحل يصيح كيف ذلك فقال الشيخ هكذا قضاء الله تعالى (هم الذين يقولون) أى للانصار وهو استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم أو لعدم مغفرته تعالى لهم وهو حكاية نص كلامهم (لا تنفقوا) لا تعطوا النفقة التى يعيش بها (على من عند رسول الله) يعنون فقراء المهاجرين وقولهم رسول الله اما للهزء والتهكم أو لكونه كاللقب له عليه السلام واشتهاره به فلو كانوا مقرين برسالته لما صدر عنهم ما صدر ويجوز أن ينطقوا بغيره لكن الله تعالى عبر به اكراما له واجلالا (حتى ينفضوا) أى يتفرقوا عنه ويرجعوا الى قبائلهم وعشائرهم (وفى الكاشفى) تا متفرق كردند غلامان بنزد خواجكان روند وپسران به پدران . وبندند * والانفضاض شكسته شدن و پراكنده شدن وانما قالوه لاحتجابهم بأفعالهم عن رؤية فعل الله وبما فى أيديهم عما فى خزائن الله فيتوهمون الانفاق منهم لجهلهم (ولله خزائن السموات والارض) رد وابطال لما زعموا من أن عدم انفاقهم يؤدى الى انفضاض الفقراء من حوله عليه السلام ببيان ان خزائن الارزاق بيد الله خاصة يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ومن تلك الخزائن المطر والنبات قال الراغب قوله تعالى ولله خزائن السموات والارض اشارة منه الى قدرته تعالى على ما يريد ايجاده أو الى الحالة التى أشير اليها بقوله عليه السلام فرغ ربكم من الخلق والاجل والرزق والمراد من الفراغ اتمام القضاء فهو مذكور بطريق التمثيل يعنى أتم قضاء هذه الكليات فى علمه السابق والخزائن جمع خزانة بالكسر كعصائب وعصابة وهى ما يخزن فيه الاموال النفيسة وتحفظ وكذا المخزن بالفتح وقد سبق فى قوله تعالى وان من شىء الا عندنا خزائنه (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك لجهلهم بالله وبشؤنه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون * خواجه پندارد كه روزى او دهد * لاجرم براين وآن منت نهد * زان سببها او يكى شد بس اكر * كم شود هر چند اسباب دكر * حكم روزى بر سببها مى نهد * بى سببها نيز روزى ميدهد * قال رجل لحاتم الاصم رحمه الله من أين تأكل قال من خزانة ربى فقال الرجل أيلقى عليك الخبز من السماء فقال لولم تكن الارض له فيها خزائن لكان يلقى على الخبز من السماء فقد خلق الله فى الارض الاسباب ومنها فتح الابواب قال بعض الكبار مراعاة حق أم الولد من الرضاع أولى من مراعاة أم الولادة لان أم الولادة حملته على جهة الامانة فتكون فيها وتغذى بدم طمثها من غير ارادة لها فى ذلك فما تغذى الا بما لولم يخرج منها لاهلكها وأمرضها فللجنين المنة على أمه فى ذلك وأما المرضعة فانما قصدت برضاعه حياته وابقاءه ولهذا المعنى الذى أشرنا اليه جعل الله المرضعة لموسى أم ولادته حتى لا يكون لامرأة عليه فضل غير أمه فلما كبر وبلغ اقامة الحجة عليه جعله الله كلا على بنى اسرائيل امتحانا له فقلق من تغير الحال عليه وقال يارب أغننى عن بنى اسرائيل فأوحى الله اليه أما ترضى ياموسى أن أفرغك لعبادتى وأجعل مؤنتك على غيرك فسكت ثم سأل ثانيا فأوحى الله اليه لا يليق بنبى أن يرى فى الوجود شيأ لغير سيده فكل من رزق ربك ولا منة لاحد عليك فسكت ثم سأل ثالثا فأوحى الله اليه ياموسى اذا كانت هذه شكاستك خلقك على بنى اسرائيل وأنت محتاج اليهم فكيف لو أغنيتك عنهم فما سأل بعد ذلك شيأ فالله تعالى يوصل الرزق الى عبده بيد من يشاء من عباده مؤمنا أو كافرا وكل ذلك من الحلال الطيب اذا لم يسبق اليه خاطره أو تعرض ما ولا منة لاحد عليه وانما يمتحن الجاهل وابتلاؤه تعالى لاوليائه بالفقر ليس من

عدم قدرته على الاعطاء والاغناء ولا من عدم محبته لهم وكرامتهم عنده بل هو من انعامه عليهم ليكونوا أزهد الناس فى الدنيا وأوفر أجرا فى الآخرة ولذا قال عليه السلام فى حق فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة بأربعين خريفا وكان عليه السلام يستفتح بصعاليك المهاجرين أى فقرائهم لقدرهم وقبولهم وجاههم عند الله تعالى على ان الاغنياء ان خصوا بوجود الارزاق فالفقراء خصوا بشهود الرزاق وهو خير منه وصاحبه أتم فمن سعد بوجود الرزاق لم يضره مافاته من وجود الارزاق قال الجنيد قدس سره خزائنه فى السموات الغيوب وخزائنه فى الارض القلوب فما انفصل من الغيوب وقع على القلوب وما انفصل من القلوب صار الى الغيوب والعبد مرتهن بشيئين تقصير الخدمة وارتكاب الزلة وقال الواسطى قدس سره من طالع الاسباب فى الدنيا ولم يعلم ان ذلك يحجبه عن التوفيق فهو جاهل * وفى التأويلات النجمية ولله خزائن الارزاق السماوية من العلوم والمعارف والحكم والعوارف المخزونة لخواص العباد يرزقهم حيث يشاء ولله خزائن الارزاق الارضية من المأكولات والمشروبات والملبوسات والخيول والبغال المخزونة لعوام العباد ينفق عليهم من حيث لا يحتسبون ولكن المنافقين بسبب افساد استعداداتهم وعدم نورانيتهم وغلبة ظلمانيتهم ما يفهمون الاسرار الالهية والاشارات الربانية (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقى بنى المصطلق وهم بطن من خزاعة على المريسيع مصغر مرسوع وهو ماء لهم فى ناحية قديد على يوم من الفرع بالضم موضع من أضخم اعراض المدينة وهزمهم وقتل منهم واستاق ألفى بعير وخمسة آلاف شاة وسبى مائتى أهل بيت أو أكثر وكانت فى السبى جويرية بنت الحرث سيد بنى المصطلق أعتقها النبى عليه السلام وتزوجها وهى ابنة عشرين سنة ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد الغفارى رضى الله عنه وهو أجير لعمر رضى الله عنه يقود فرسه وسنان الجهنى المنافق حليف ابن أبى رئيس المنافقين واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فأعان جهجاه جعال بالكسر من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن أبى فقال لجعال وأنت هناك قال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا من هذا السفر الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المؤمنين فاسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال ابن أبى اسكت فانما كنت ألعب فاخبر زيد رسول الله بما قال ابن أبى فتغير وجه رسول الله فقال عمر رضى الله عنه دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال اذا ترعم أنوفا كثيرة بيثرب يعنى المدينة ولعل تسميته لها بذلك ان كان بعد النهى لبيان الجواز قال عمر رضى الله عنه فان كرهت أن يقتله مهاجرى فأمر به انصاريا فقال اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال عليه السلام لابن أبى أنت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى أنزل عليك الكتاب ما قلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فقال الحاضرون شيخنا

وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام وعسى أن يكون قد وهم فروى ان رسول الله قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت هذه الآية لحق رسول الله زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وفت أذنك يا غلام ان الله صدقك وكذب المنافقين ورد الله عليهم مقالتهم بقوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) أى ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من المنافقين والكافرين * وعن بعض الصالحين وكان فى هيئة رثة ألست على الاسلام وهو العز الذى لا ذل معه والغنى الذى لا فقر معه وعن الحسن بن على رضى الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها أى كبرا فقال ليس ذلك بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية وقال بعض الكبار من كان فى الدنيا عبدا محضا كان فى الآخرة ملكا محضا ومن كان فى الدنيا يدعى الملك لشئ ولو من جوارحه نقص من ملكه فى الآخرة بقدر ما ادعاه فى الدنيا فلا أعز فى الآخرة ممن بلغ فى الدنيا غاية الذل فى جناب الحق ولا أذل فى الآخرة ممن بلغ فى الدنيا غاية العزة فى نفسه ولو كان مصفوعا فى الاسواق ولا أريد بعز الدنيا أن يكون من جهة الملوك فيها انما أريد أن يكون صفته فى نفسه العزة وكذا القول فى الذلة وقال الواسطى رحمه الله عزة الله أن لا يكون شئ الا بمشيئته وارادته وعزة المرسلين انهم آمنون من زوال الايمان وعزة المؤمنين انهم آمنون من دوام العقوبة وقال عزة الله العظمة والقدرة وعزة الرسول النبوة والشفاعة وعزة المؤمنين التواضع والسخاء والعبودية دل عليه قوله عليه السلام أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى لا أفتخر بالسيادة بل افتخر بالعبودية وفيها عزى ذل لا عزة الا فى طاعة الله ولا ذل الا فى معصية الله وقال بعضهم عزة الله قهره من دونه وعزة رسوله ظهور دينه على سائر الاديان كلها وعزة المؤمنين باستذلالهم اليهود والنصارى كما قال وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقيل عزة الله الولاية لقوله تعالى هنالك الولاية لله الحق وعزة رسوله الكفاية لقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين وعزة المؤمنين الرفعة لقوله تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين يقول الفقير أشار تعالى بالترتيب الى ان العزة له بالاصالة والدوام وصار الرسول عليه السلام مظهرا له فى تلك الصفة ثم صار المؤمنون مظاهر له عليه السلام فيها فعزة الرسول بواسطة عزة الله وعزة المؤمنين بواسطة عزة الرسول سواء أعاصروه عليه السلام أم أتوا بعده الى ساعة القيام وجميع العزة لله لان عزة الله له تعالى صفة وعزة الرسول وعزة المؤمنين لله فعلا ومنة وفضلا كما قال القشيرى قدس سره العز الذى للرسول وللمؤمنين هو لله تعالى خلقا وملكا وعزه سبحانه له وصفا فاذا العزة كلها لله وهو الجمع بين قوله تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا وقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ومن أدب من عرف انه تعالى هو العزيز أن لا يعتقد لمخلوق اجلالا ولهذا قال عليه السلام من تواضع لغنى لاجل غناه ذهب ثلثا دينه قال أبو على الدقاق رحمه الله انما قال ثلثا دينه لان التواضع يكون بثلاثة أشياء بلسانه وبدنه وقلبه فاذا تواضع له بلسانه وبدنه ولم يعتقد له العظمة بقلبه ذهب ثلثا دينه فان اعتقدها بقلبه أيضا ذهب كل دينه ولهذا قيل اذا عظم الرب فى القلب صغر الخلق فى العين ومتى عرفت انه معز لم تطلب العز الا منه ولا يكون العز الا فى طاعته قال ذو النون قدس سره لو أراد الخلق أن يثبتوا لاحد عزا فوق ما يثبته يسير طاعته لم يقدروا ولو أرادوا أن يثبتوا لاحد ذلة أكثر مما يثبته اليسير من ذلته

ومخافته لم يقدروا (حكى) عن بعضهم انه قال رأيت رجلا فى الطواف وبين يديه خدم يطردون الناس ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد يتكفف ويسأل فحدقت النظر اليه لا تعرفه هل هو ذلك الرجل أولا فقال لى مالك تطيل النظر الى فقلت انى أشبهك برجل رأيته فى الطواف من شأنه كذا وكذا فقال أنا ذاك انى تكبرت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى فى موضع يترفع فيه الناس (ولكن المنافقين لايعلمون) من فرط جهلهم وغرورهم ما يهذون مايهذون واهل ختم الآية الاولى بلا يفقهون والثانية بلا يعلمون للتفنن المعتبر فى البلاغة مع ان فى الاول بيان عدم كياستهم وفهمهم وفى الثانى بيان حماقتهم وجهلهم وفى برهان القرآن الاول متصل بقوله ولله خزائن السموات والارض وفيه غموض يحتاج الى فطنة والمنافق لافطنة له والثانى متصل بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون أن الله معز أوليائه ومذل أعدائه روى ان عبد الله بن أبى لما أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبى وكان مخلصا وسل سيفه ومنع أباه من الدخول وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال عليه السلام لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا ولما كان عليه السلام بقرب المدينة هاجت ريح شديدة كادت تدفن الراكب فقال عليه السلام مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة أى لاجل ذلك عصفت الريح فكان كما قال مات فى ذلك اليوم زيد بن رفاعة وكان كهفا للمنافقين وكان من عظماء بنى قينقاع وكان ممن أسلم ظاهرا والى ذلك أشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

وقد عصفت ريح فأخبر أنها * لموت عظيم فى اليهود بطيبة

ولما دخلها ابن أبى لم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات واستغفر له رسول الله وألبسه قميصه فنزل ان يغفر الله لهم وروى انه مات بعد القفول من غزوة تبوك قال بعض الكبار ما أمر الله عباده بالرفق بالخلق والشفقة الا تأسيا به تعالى فيكونون مع الخلق كما كان الحق معهم فينصحونهم ويدلونهم على كل مايؤدى الى سعادتهم وليس بيد العبد الا التبليغ قال تعالى ما على الرسول الا البلاغ فعلى العارف ايضاح هذا الطريق الموصل الى هذا المقام والافصاح عن دسائسه وليس بيده اعطاء هذا المقام فان ذلك خاص بالله تعالى قال تعالى انك لاتهدى من أحببت فوظيفة الرسل والورثة من العلماء انما هو التبليغ بالبيان والافصاح لاغير ذلك وجزاؤهم جزاء من أعطى ووهب والدال على الخير كفاعل الخير * وفى التأويلات النجمية ولله العزة أى القوة لله الاسم الاعظم ولرسول القلب المظهر الاتم الاعم وللمؤمنين القوى الروحانية ولكن منافقى النفس والهوى وصفاتهما الظلمانية الكدرة لايعلمون لاستهلاكهم فى الظلمة وانغماسهم فى الغفلة (يا أيها الذين آمنوا) ايمانا صادقا (لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) فى الصحاح لهيت عن الشئ بالكسر ألهى لهيا ولهيانا اذا سلوت وتركت ذكره وأضربت عنه وفى القاموس لها كدعا سلا وغفل وترك ذكره كتلاهى وألهاه أى شغله ولهوت بالشئ بالفتح ألهو لهوا اذا لعبت به والمعنى لايشغلكم الاهتمام بتدبير أمورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بهما عن الاشتغال بذكره تعالى من الصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود ففى ذكر الله مجاز أطلق

المسبب وأريد السبب قال بعضهم الذكر بالقلب خوف الله وباللسان قراءة القرآن والتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وتعلم علم الدين وتعليمه وغيرها وبالابدان الصلاة وسائر الطاعات والمراد نهيهم عن التلهى بها أى عن ترك ذكر الله بسبب الاشتغال بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة بالتجوز بالسبب عن المسبب كقوله تعالى فلا يكن فى صدرك حرج وقد ثبت أن المجاز أبلغ وقال بعضهم هو كناية لان الانتقال من لاتلهكم الى معنى قولنا لاتلهوا انتقال من اللازم الى الملزوم وقد كان المنافقون مشغولين بأموالهم ولذا قالوا لاتنفقوا على من عند رسول الله ومتعززين بأولادهم وعشائرهم مشغولين بهم وبأموالهم عن الله وطاعته وتعاون رسوله فنهى المؤمنون أن يكونوا أمثالهم فى ذلك (ومن يفعل ذلك) أى التلهى بالدنيا عن الدين والاشتغال بما سواه عنه ولو فى أقل حين (فأولئك هم الخاسرون) أى الكاملون فى الخسران حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى (قال الكاشفى) مقتضاى ايمان آنست كه دوستى خداى تعالى غالب بود بر دوستى همه اشيا تا حدى كه اگر تمام نوال دنيا ومجموع نعم آخرت بروى عرض كنند بنظر در هيچ كدام نكرد* چشم دل از نعيم دو عالم بر بسته ايم** مقصود ما ز دنى وعقبى تو يى وبس * وفى الحديث ماطلعت الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان ويسمعان الخلائق غير الثقلين يا أيها الناس هلموا الى ربكم ماقل وكفى خير مما كثر وألهى وفى الآية اشارة الى كمل أرباب الايمان الحقيقى الشهودى يقول الله لهم لاتشغلكم رؤية أموال أعمالكم الصالحة من الصلاة والزكاة والحج والصوم ولا أولاد الاحوال التى هى نتيجة الاعمال من المشاهدات والمكاشفات والمواهب الروحانية والعطايا الربانية عن ذكر ذاته وصفاته وأسمائه وظهوره فى صورة الاعمال والاحوال ومن يفعل ذلك فانما يشتغل بالخلق عن الحق ويحتجب بالنعمة عن المنعم فأولئك هم الخاسرون خسروا رأس مال التجارة وما ربحوا والا الخسران وهو حجاب عن المشهود الحقيقى قال بعضهم فى الآية بيان ان من لم يبلغ درجة التمكين فى المعرفة لايجوز له الدخول فى الدنيا من الاهل والمال والولد فانها شواغل قلوب الذاكرين عن ذكر الله ومن كان مستقيما فى المعرفة وقرب المذكور وذكره قائم بذكر الله اياه فيكون محفوظا من الخطرات المذمومة والشاغلات الحاجبة وأما الضعفاء فلا يخرجون من بحر هموم الدنيا فاذا باشرت قلوبهم الحظوظ والشهوات لايكون ذكرهم صافيا عن كدورات الخطرات وقال سهل قدس سره لايشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن أداء الفرائض فى أول مواقيتها فان من شغله عن ذكر الله وخدمته عرض من عروض الدنيا فهو من الخاسرين (وأنفقوا مما رزقناكم) أى بعض ما أعطيناكم تفضلا من غير أن يكون حصوله من جهتكم ادخارا للآخرة يعنى حقوق واجبه را اخراج نماييد فالمراد هو الانفاق الواجب نظرا الى ظاهر الامر كما فى الكشاف ولعل التعميم أولى وأنسب بالمقام (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) بأن يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام بما تقدم والتشويق الى ما تأخر ولم يقل من قبل أن يأتيكم الموت فتقولوا اشارة الى أن الموت يأتيهم واحدا بعد واحد حتى يحيط بالكل (فيقول) عند تيقنه بحلوله (رب) أى آفريدكار من (لولا أخرتنى) هلا أمهلتنى فلولا للتحضيض وقيل لا زائدة للتأكيد ولو للتمنى بمعنى لو أخرتنى (الى أجل قريب) أى أمد قصير وساعة أخرى قليلة وقال أبو الليث يا سيدى

ردنى الى الدنيا وأبقنى زمانا غير طويل وفى عين المعانى مثل ما أجلت لى فى الدنيا (فاصدق) فأتصدق كثير وزكات اداغنايم وهو بقطع الهمزة لانه للمتكلم وهمزته مقطوعة وبتشديد الصاد لان أصله أتصدق من التصدق فأدغمت التاء فى الصاد وبالنصب لانه مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء فى جواب التمنى فى قوله لولا أخرتنى (وأكن من الصالحين) بالجزم عطفا على محل فأصدق كانه قيل ان أخرتنى اصدق وأكن وفيه اشارة الى أن التصدق من أسباب الصلاح والطاعة كما أن تركه من أسباب الفساد والفسق والفرق بين التصدق والهدية ان التصدق للمحتاج بطريق الترحم والهدية للحبيب لاجل المودة ولذا كان عليه السلام يقبل الهدية لا الصدقة فرضا كانت أو نفلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما من كان له مال يجب فيه الزكاة فلم يزكه أومال يبلغه الى بيت الله فلم يحج يسأل عند الموت الرجعة فقال رجل اتق الله يا ابن عباس انما سأت الكفار الرجعة قال ابن عباس رضى الله عنهما انى اقرأ عليك هذا القرآن فقال يا أيها الذين آمنوا الى قوله فأصدق وأكن من الصالحين فقال الرجل يا ابن عباس وما يوجب الزكاة قال مائتا درهم فصاعدا قال فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة فالآية فى المؤمنين وأهل القبلة لكن لا تخلو عن تعريض بالكفار وأن تمنى الرجوع الى الدنيا لا يختص بالكفار بل كل قاصر مفرط يتمنى ذلك قال بعض العلماء فى الآية دلالة على وجوب تعجيل الزكاة لان اتيان الموت محتمل فى كل ساعة وكذا غيرها من الطاعات اذا جاء وقتها العمل الاولى استصحابه فى أغلب الاوقات ولذا اختار بعض المجتهدين أول الوقت عملا بقوله عليه السلام أول الوقت رضوان الله أى لان فيه المسارعة الى رضا الله والاهتمام بالعمل اذ لا يدرى المرء أن يدرك آخر الوقت (ولن يؤخر الله نفسا) أى ولن يمهلها طيعة أو عاصية صغيرة أو كبيرة (اذا جاء أجلها) أى آخر عمرها أو انتهى ان أريد بالاجل الزمان الممتد من أول العمر الى آخر يعنى چون عمر بآخر رسيد چيزى بران نيفزايند واز ان كم نكنند (قال الشيخ سعدى) كه يك لحظه صورت نه بندد امان * چو پيمانه پرشد بدور زمان * واستنبط بعضهم عمر النبى عليه السلام من هذه الآية فانها ورة رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن فى فقده قال بعضهم الموت على قسمين اضطرارى وهو المشهور فى العموم والعرف وهو الاجل المسمى الذى قيل فيه اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون والموت الآخر موت اختيارى وهو موت فى الحياة الدنيا وهو الاجل المقضى فى قوله ثم قضى أجلا ولا يصح للانسان هذا الموت فى حياته الا اذا وحد الله تعالى توحيد الموتى الذين انكشفت لهم الاغطية وان كان ذلك الكشف فى ذلك الوقت لا يعطى سعادة الا لمن كان من العامة عالما بذلك فاذا انكشف الغطاء رى ماعلم عينا فهو سعيد فصاحب هذا التوحيد ميت لا ميت كالمقتول فى سبيل الله نقله الله الى البرزخ لا عن موت فالشهيد مقتول لا ميت وكذلك هذا المعتنى به لما قتل نفسه فى الجهاد الاكبر الذى هو جهاد النفس رزقه الله تعالى حكم الشهادة فولاه النيابة فى البرزخ فى حياته الدنيا فموته معنوى وقتله مخالفة نفسه (والله خبير بما تعملون) فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا فى الخيرات واستعدوا لما هو آت قال القاشانى قضية الايمان غلبة حب الله على محبة كل شئ فلا تكن محبتهم ومحبة الدنيا لمن شدة التعلق بهم وبالاموال غالبة فى قلوبكم على محبة الله فتحجبون بهم

عنه فتصيرون الى النار فتخسرون نور الاستعداد الفطرى باضاعته فيما يفنى سريعا وتجردوا عن الاموال بانفاقها وقت الصحة والاحتياج اليها لتكون فضيلة فى أنفسكم وهيئة نورية لها فان الانفاق انما ينفع اذا كان عن ملكة السخاء وهيئة التجرد فى النفس فاما عند حضور الموت فالمال للوارث لا له فلا ينفعه انفاقه وليس له الا التحسر والندم وتمنى التأخير فى الاجل بالجهل فانه لو كان صادقا فى دعوى الايمان وموقنا بالآخرة لتيقن ان الموت ضرورى وانه مقدر فى وقت معين قدره الله فيه بحكمته فلا يمكن تأخيره وتدارك أمره قبل حلول المنية فانه لايدرى المرء كيف تكون العاقبة ولذا قيل لا تغتر بلباس الناس فان العاقبة مبهمة * مكن دل من كرجه فرا وان داند * در دانش عاقبت فرومى ماند * وفى الحديث لان يتصدق المرء فى حياته بدرهم خير من أن يتصدق بمائة عند موته وقال عليه السلام الذى يتصدق عند موته أو يعتق كالذى يهدى اذا شبع وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رجل يارسول الله أى الصدقة أعظم أجرا قال أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان يعنى اهمال مكنى تا آن زمان كه جان بحلقوم رسد كويى فلان را اين وفلانرا اين باشد وخود ازان فلان شود به مرك تو (روى) الامام الغزالى رحمه الله عن عبد الله المزنى أنه قال جمع رجل من بنى اسرائيل مالا كثيرا فلما أشرف على الموت قال لبنيه ائتونى بأصناف أموالى فاتى بشئ كثير من الخيل والابل والدقيق وغيره فلما نظر اليها بكى عليها تحسرا فرآه ملك الموت وهو يبكى فقال له مايبكيك فوالذى خولك ماخولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى أفرقها قال هيهات انقطع عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه قال السلطان ولد قدس سره * بكذار جهان را كه جهان آن تو نيست * وين دم كه همى زنى بفرمان تو نيست * كر مال جهان جمع كنى شاد مشو * ورتكيه بجان كنى جان آن تو نيست * وفى الآية اشارة الى انفاق الوجود المجازى الخلقى بالارادة الروحانية لنيل الوجود الحقيقى من غير أن يأتى الموت الطبيعى بلا ارادة فيموت ميتة جاهلية من غير حياة أبدية لان النفس لم تزل جاهلة غير عارفة بربها ولاشك أن الحياة الطيبة انما هى فى معرفة الله وهى لاتحصل الا بموت النفس والطبيعة وحياة القلب والروح فمن لم يكن على فائدة من هذا الموت الارادى يتمنى الرجوع الى الدنيا عند الموت الطبيعى لتصدق الوجود المجازى بالارادة والرغبة والكون من الصالحين لقبول الوجود الحقيقى وكل من كان مستعدا لبذل الوجود الاضافى لقبول الوجود الاطلاقى وجاء زمانه باستيفائه أحكام الشريعة الزهراء واستقصائه آداب الطريقة البيضاء لايمكن له الوقفة على الحجاب والاحتجاب كما اذا جاء زمان نفخ الروح فى الجنين باستكمال المدة يشتغل بنور الروح البتة اللهم الا أن تعرض آفة تمنعه عن ذلك والله خبير بما تعملون من بذل الوجود الامكانى ونيل الوجود الواجبى الحقانى كما قال تعالى اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة جعلنا الله وايا كم من الباذلين وجودهم والمستفيضين منه تعالى فضله وجوده وأن يختم لنا بالخير بأن يوفقنا للاعراض عن الغير

تمت سورة المنافقين بعون الله المعين فى أوائل شهر ربيع الاول من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف

(سورة التغابن مختلف فى كونها مكية أو مدنية وآيها ثمان عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما فى السموات) من الروحانيات (وما فى الارض) من الجسمانيات أى ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا والمراد اما تسبيح الاشارة الذى هو الدلالة فتعم ما كل حى وجماد أو تسبيح العبارة الذى هو أن يقول سبحان الله فتعمهما أيضا عند أهل الله وعن بعضهم سمعت تسبيح الحيتان فى البحر المحيط يقلن سبحان الملك القدوس رب الاقوات والارزاق والحيوانات والنباتات ولولا حياة كل شئ من رطب ويابس ما أخبر عليه السلام أنه يشهد للمؤذن وكم بين الله ورسوله مما جميع المخلوقات عليه من العلم بالله والطاعة له والقيام بحقه فآمن بعضهم وصدق وقبل ما أضافه الله الى نفسه وما أضاف اليه رسوله وتوقف بعضهم فلم يؤمنوا ولم يسمعوا وتأولوا الامر بخلاف ما هو عليه وقصدهم بذلك أن يكونوا من المؤمنين وهم فى الحقيقة من المكذبين لترجيحهم حسهم على الايمان بما عرفهم ربهم لما لم يشاهد واذلك مشاهدة عين وعن بعض العارفين فى الآية أى يسبح وجودك بغير اختيارك وأنت غافل عن تسبيح وجودك له وذلك أن وجودك قائم فى كل لمحة بوجوده يحتاج الى الكينونة بتكوينه اياها بين قلبك ولسانك اذا اشتغل بذكر غيرنا وفى الحقيقة لم يتحرك الوجود الا بأمره ومشيئته وتلك الحركة اجابة داعى القدم فى جميع مراده وذلك محض التقديس ولكن لا يعرفه الا العارف بالوحدانية (له الملك) الدائم الذى لا يزول وهو كمال القدرة ونفاذ التصرف وبالفارسية مرو راست پادشاهى كه ارض وسما ومابينهما بيافريد (وله الحمد) أى حمد الحامدين وهو الثناء بذكر الاوصاف الجميلة والافعال الجزيلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على تأكيد الاختصاص وازاحة الشبهة بالكلية فان اللام مشعر بأصل الاختصاص قدم أو أخر أى له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شئ وهو القائم به والمهيمن عليه المتصرف فيه كيف يشاء وهو المولى لاصول النعم وفروعها ولولا انه أنعم بها على عباده لما قدر أحد على أدنى شئ فالمؤمنون يحمدونه على نعمه وله الحمد فى الاولى والآخرة وأما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وتسليط منه وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده فللبشر ملك وحمد من حيث الصورة لا من حيث الحقيقة * باغيرا واضافت شاهى بود چنان * بريك دو چوب پاره زشطرنج نام شاه (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء فهو القادر على الايجاد والاعدام والاسقام والابراء والاعزاز والاذلال والتبييض والتسويد ونحو ذلك من الامور الغير المتناهية قال بعضهم قدرة الله تصلح للخلق وقدرة العبد تصلح للكسب فالعبد لا يوصف بالقدرة على الخلق والحق لا يوصف بالقدرة على الكسب فمن عرف أنه تعالى قادر خشى من سطوات عقوبته عند مخالفته وأمل لطائف نعمته ورحمته عند سؤال حاجته لا بوسيلة طاعته بل بكرمه ومنته * وفى التأويلات النجمية ينزه ذاته المسبحة المقدسة عن الامثال والاضداد والاشكال والانداد ما فى سموات القوى الروحانية وما فى أرض القوى الجسمانية له ملك الوجود المطلق وله الحمد على نعمة ظهوره فى الوجود المقيد وهويته المطلقة

قادرة على ظهورها بالاطلاق والتقييد وهى فى عينها منزهة عنهما وهما نسبتان اعتباريتان (هو الذى خلقكم) خلقا بديعا حاويا لجميع مبادى الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك (فمنكم كافر) أى فبعضكم أو فبعض منكم مختار للكفر كاسب له حسبما تقتضيه خلقته ويندرج فيه المنافق لانه كافر مضمر وكان الواجب عليكم جميعا أن تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليهما من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا قال فى فتح الرحمن الكفر فعل الكافر والايمان فعل المؤمن والكفر والايمان اكتساب العبد لقول النبى عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة وقوله فطرة الله التى فطر الناس عليها فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر عليه ذلك وعلمه منه وهذا طريق أهل السنة انتهى وفى الآية رد للدهرية والطبيعية فانهم ينكرون خالقية الله تعالى والخالق هو المخترع للاعيان المبدع لها (حكى) أن سنيا ناظر معتزليا فى مسئلة القدر فقطف المعتزلى تفاحة من شجرة وقال للسنى أليس أنا الذى قطفت هذه فقال له السنى ان كنت الذى قطفتها فردها على ما كانت عليه فأفحم المعتزلى وانقطع وانما ألزمه بذلك لان القدرة التى يحصل بها الايجاد لابد أن تكون صالحة للضدين فلو كان تفريق الاجزاء بقدرته لكان فى قدرته وصلها ومن أدب من عرف أنه سبحانه هو المنفرد بالخلق والايجاد أن لا يجحد كسب العبد ولا يطوى بساط الشرع فى الابتلاء بالامر والنهى ولا يعتقد أن للعبد على الله حجة بسبب ذلك (حكى) ان بعض الاكابر تعجب من تجاسر الملائكة فى قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ثم قال ما عليهم شىء هو أنطقهم فبلغ قوله يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه فقال صدق هو أنطقهم ولكن انظر كيف أفحمهم بين بذلك ان مجرد الخلق من جهة الحق لا يكون عذر العبد فى سقوط اللوم عنهم (ومنكم مؤمن) مختار للايمان كاسب له ويندرج فيه مرتكب الكبيرة الغير التائب والمبتدع الذى لا تفضى بدعته الى الكفر وتقديم الكفر عليه لانه الانسب بمقام التوبيخ والاغلب فيما بينهم ولذا يقول الله فى يوم الموقف يا آدم أخرج بعث النار يعنى ميز أهلها المبعوث اليها قال وما بعث النار أى عدده قال الله من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وفى التنزيل ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقليل من عبادى الشكور والايمان أعظم شعب الشكر (روى) أن عمر رضى الله عنه سمع رجلا يقول اللهم اجعلنى من القليل فقال له عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل انى سمعت الله يقول وقليل من عبادى الشكور فانما ادعو أن يجعلنى من ذلك القليل فقال عمر كل الناس أعلم من عمر يقول الفقير هذا القول من عمر من قبيل كسر النفس واستقصار العلم والمعرفة واستقلالهما على ما هو عادة الكمل فلا ينافى كماله فى الدين والمعرفة حتى يكون ذلك سببا لجرحه فى باب الخلافة كما استدل به الطوسى الخبيث على ذلك فى كتاب التجريد له وفى الحديث ألا ان بنى آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمنا ويحيا مؤمنا ويموت مؤمنا ومنهم من يولد كافرا ويحيا كافرا ويموت كافرا ومنهم من يولد مؤمنا ويحيا مؤمنا ويموت كافرا ومنهم من يولد كافرا ويحيا كافرا ويموت مؤمنا ومن هنا قال بعضهم قوم طلبوه فخذلهم وقوم هربوا منه فأدركهم ابراهيم خواص قدس

مره كفت در باديه وقتى بتجريد مى رفتم پيرى را ديدم دركوشه نشسته وكلاهى برسر نهاده وبزارى وخوارى مى كريست كفتم يا هذا تو كيستى كفت من ابو مره ام كفتم چرا مى كرى كفت كيست بكريستن سزاوارتر از من چهل هزار سال بدان دركاه خدمت كرده ام ودر افق اعلى از من مقدم تر كس نبود اكنون تقدير الهى وحكم غيبى نكر كه مرا بچه روز آورد آنكه كفت اى خواص نكر تا بدين جهد وطاعت خويش غره نباشى كه بعنايت واختيار اوست نه بجهد وطاعت بنده بين بلك فرمان آمد كه آدم را سجده كن نكردم وآدم را فرمان آمد كه ازان درخت مخور خورد ودر كار آدم عنايت بود عذرش بنهادند وزلت او در حساب نياوردند ودر كار من عنايت نبود طاعت ديرينه من زلت شمردند

من لم يكن للوصال أهلا * فكل احسانه ذنوب

ومن هنا يعرف سر قول الشيخ سعدى هركه در سايه عنايت اوست * كنهش طاعتست ودشمن دوست * (والله بما تعملون) مطلقا (بصير) فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان قال القاسم رحمه الله خاطبهم مخاطبة حال كونهم ذرا فسماهم كافرين ومؤمنين فى أزله وأظهرهم حين أظهرهم على ما سماهم وقدر عليهم وأخبر بأنه عالم بما يعملونه من خير وشر واعلم أن الله تعالى يعلم لكنه يحلم ويقدر لكنه يغفر الا أن من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل ومن أقعده جده لم ينفعه كده قيل ان بعض الاكابر بلغه أن يهوديا أوصى أن يحمل من بلده اذا مات ويدفن فى بيت المقدس فقال أيكابر الازل أما علم انه لو دفن فى فراديس العلى لجاءت جهنم بأنكالها وحملته الى نفسها والناس على أربعة أقسام أصحاب السوابق وهم الذين تكون فكرتهم أبدا فيما سبق لهم من الله لعلمهم أن الحكم الازلى لا يتغير باكتساب العبيد وأصحاب العواقب وهم الذين يتفكرون أبدا فيما يختم به أمرهم فان الامور بخواتيمها والعاقبة مستورة ولهذا قيل لا يغرنكم صفاء الاوقات فان تحتها غوامض الآفات وأصحاب الوقت وهم الذين لا يتفكرون فى السوابق ولا فى اللواحق أى العواقب بل يشتغلون بمراعاة الوقت واداء ما كلفوا من أحكام ولهذا قيل العارف ابن وقته وقيل الصوفى من لا ماضى له ولا مستقبل (وفى المثنوى) صوفى ابن الوقت باشد اى رفيق * نيست فردا كفتن از شرط طريق * والقسم الرابع هم الذين غلب عليهم ذكر الحق فهم مشغولون بشهود الموقت عن مراعاة الوقت وفى الآية اشارة الى هويته المطلقة عن النسب والاضافات خلقكم أى تجلى لتعيناتكم الجنسية والنوعية والشخصية من غير تقييد وانحصار فمنكم أى فمن بعض هذه التعينات كافر يستر الحق المطلق بالخلق المقيد ويقول بالتفرقة دفعا لطعن الطاعن ومن بعض هذه التعينات مؤمن يؤمن بظهور الحق فى الخلق ويستر الخلق بالحق ويقول بالجمعية تأنيسا للمكاشفين بالحقائق والله بما تعملون بصير من ستر الحق بالخلق دفعا للطاعن ومن ستر الخلق بالحق تأنيسا للطالب الواجد (خلق السموات والارض بالحق) أى بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية والمراد السموات السبع والارضون السبع كما يدل عليه التصريح فى بعض المواضع قال تعالى خلق سبع سموات طباقا وقال تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن فان قلت ما وجه عدم ذكر العرش والكرسى فى امثال هذه المواضع مع عظم

خلقهما قلت انهما وان كانا من السماء لان السماء هو الفلك والفلك جسم شفاف محيط بالعالم وهما أوسع الافلاك احاطة الا ان آثارهما غير ظاهرة مكشوفة بخلاف السموات والارض وما بينهما فانها أقرب الى المخاطبين المكلفين ومعلوم حالها عندهم ومكشوفة آثارها ومنفعتها ولهذا قالوا ان الشمس تنضج الفواكه والقمر يلونها والكواكب تعطيها الطعم الى غير ذلك مما لا يتناهى على ان التغيرات فيها أظهر فهى على عظم القدرة أدل وقد قال تعالى كل يوم هو فى شان وأكثر هذه الشؤن فى عالم الكون والفساد الذى هو عبارة عن السموات والارض اذ هما من العنصريات بخلاف العرش والكرسى فانهما من الطبيعيات ولهذا لا يفنيان

(وصوركم فأحسن صوركم) الفاء للتفسير أى صوركم أحسن تصوير وخلقكم فى أحسن تقويم وأودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته فى هذه النشأة فلكم جمال الصورة وأحسن الاشكال ولذا لا يتمنى الانسان أن يكون صورته على خلاف ما هو عليه لكون صورته أحسن من سائر الصور ومن حسن صورته امتداد قامته وانتصاب خلقته واعتدال وجوده ولا يقدح فى حسنه كون بعض الصور قبيحا بالنسبة الى بعض لان الحسن وهو الجمال فى الخلق والخلق على مراتب كما قالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان ولكم أيضا جمال المعنى وكمال الخصال * بدرون تست مصرى كه تو بى شكرستانش * چه غمست كر ز بيرون مدد شكر ندارى * شد دغلام صورت بمثال بت پرستان * تو چو يوسفى وليكن سوى خود نظر ندارى * بخدا جمال خود را چو در آينه بينى * بت خويش هم تو باشى بكسى كذر ندارى * والمعتد به هو الحسن المعنوى لان الله خلق آدم على صورته أى على الصورة الالهية التى هى عبارة عن صفاته العليا وأسمائه الحسنى والا فالحسن الصورى يوجد فى الكافر أيضا * ره راست بايد نه بالاى راست * كه كافر هم از روى صورت چو ماست * ثم قد يوجد سيرة حسنة وخلق جيد فى الكافر كعدل انوشروان مثلا لكن المعتد به ما يكون مقارنا بالايمان الذى هو أحسن السير قال بعض الكبار كل من كان فيه صفة العدل فهو ملك وان كان الحق تعالى ما استخلفه بالخطاب الالهى فان من الخلفاء من أخذ المرتبة بنفسه من غير عهد الهى اليه بها وقام بالعدل فى الرعايا استنادا الى الحق كما قال عليه السلام ولدت فى زمن الملك العادل يعنى كسرى فسماه ملكا ووصفه بالعدل ومعلوم ان كسرى فى ذلك العدل على غير شرع منزل لكنه نائب للحق من وراء الحجاب وخرج بقولنا وقام بالعدل فى الرعايا من لم يقم بالعدل كفرعون وأمثاله من المنازعين لحدود الله والمغالبين لجنابه بغلبة رسله فان هؤلاء ليسوا بخلفاء الله تعالى كالرسل ولا نوابا له كالملوك العادلة بل هم اخوان الشياطين قال الحسين رحمه الله أحسن الصور صورة اعتقت من ذل كن وتولى الحق تصويرها بيده ونفخ فيها من روحه وألبسها شواهد النعت وحلاها بالتعليم شفاها وأسجد لها الملائكة المقربين واسكنها فى جواره وزين باطنها بالمعرفة وظاهرها بفنون الخدمة والجمع فى قوله فأحسن صوركم باعتبار الانواع لان صورة الرومى ليست كصورة الهندى الى غير ذلك والافراد وهو ظاهر (واليه المصير) أى والى الله الرجوع فى النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا أو اشتراكا

فأحسنوا اسرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له حتى يجازيكم بالانعام لا بالانتقام فكم من صورة حسناء تكون فى العقبى شوهاء بقبح السريرة والسيرة وكم من صورة قبيحة تكون حسناء بحسنهما * چه غم زمنقصت صورت اهل معنى را * چو جان زروم بود كو تن از حبش مى باش * وقد ثبت أن ضرس الكافر يوم القيامة مثل جبل أحد وان غلظ جسده مسافة ثلاثة أيام وانه يسوء خلقه فتغلظ شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته وان أهل الجنة ضوء وجوههم كضوء القمر ليلة البدر أو على أحسن كوكب درى فى السماء وهم جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين فطوبى لاهل اللطافة وويل لاهل الكثافة اعلم أن الله تعالى خلق سموات الكليات وأرض الجزئيات بمظهرية الحق وظهوره فيهما بحسب استعداد الكل لا بحسبه وتجلى فى مظاهر صور الانسان بحسبه أى بجميع الاسماء والصفات ولذا قال تعالى فأحسن صوركم أى جعل صوركم أحدية جمع جميع المظهريات الجامعة لجميع المظاهر السماوية العلوية والارضية السفلية كما قال عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته يعنى أورد الاسم الجامع فى عنوان الخلق اشارة الى تلك الجمعية فكان مصير الانسان الى الهوية الجامعة لجميع الهويات لكن حصل التفاوت بين افراده بحسب التجلى والاستتار والفعل والقوة فليس لاهل الحجاب أن يدعى كمالات أهل الكشف للتفاوت المذكور فيا عجبا من انسان خفى عليه ما دفن فى أرض وجوده من كنز الهى غنى من نال اليه لم يفتقر أبدا وكيف قنع بقشر مع امكان تحصيل اللب وكيف أقام فى الحضيض مع سهولة العروج الى الاوج * چه شكرهاست درين شهر كه قانع شده اند * شاهبازان طريقت بمقام مكسى (يعلم ما فى السموات والارض) من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية (ويعلم ما تسرون وما تعلنون) أى ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذى يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما قال فى برهان القرآن انما كرر ما فى أول السورة لاختلاف تسبيح أهل الارض وأهل السماء فى الكثرة والقلة والبعد والقرب من المعصية والطاعة وكذلك اختلاف ما تسرون وما تعلنون فانهما ضدان ولم يكرر ما فى السموات والارض لان الكل بالاضافة الى علم الله جنس واحد لا يخفى عليه شئ (والله عليم بذات الصدور) أى هو محيط بجميع المضمرات المستكنة فى صدور الناس بحيث لا تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه وبالفارسية وخداى تعالى داناست بآنچه درسينهاست از خواطر وافكار وانما قيل لها ذات الصدور وصاحبتها لملابستها لها وكونها مخزونة فيها ففى الآية ترق من الاظهر الى الاخفى لانه عالم بما فى السموات وما فى الارض وبما يصدر من بنى آدم سرا وعلنا وعالم بما يصدر بعد بل هو مكنون فى الصدور واظهار الجلالة للاشعار بعلية الحكم وتأكيد استقلال الجملة قبل وتقديم القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيهما من الاتساق والاختصاص ببعض الجهات الظاهرة مثل كون السماء فى العلو والارض فى السفل أو الباطنة مثل أن يكون السماء متحركة والارض ساكنة الى غير ذلك فان للمتكلمين مسلكين فى اثبات العلم الاول ان فعله تعالى متقن أى محكم خال عن وجوه الخلل ومشتمل على حكم ومصالح متكثرة وكل من فعله متقن فهو

عالم

عالم والثانى أنه فاعل بالقصد والاختيار لتخصيص بعض الممكنات ببعض الانحاء ولا يتصور ذلك الامع العلم وفى قوله ماتسرّون اشارة الى علماء الظاهر من الحكماء والمتكلمين والى علومهم الفكرية النظرية وما يسرّون فيها من عقائدهم الفاسدة ومقاصدهم الكاسدة وفى قوله وما تعلنون اشارة الى علماء الباطن من المشايخ والصوفية والى معارفهم ومواجيدهم الذوقية الكشفية وما يظهرون منها من الكرامات وخوارق العادات والله عليم بصدور عمل كل واحد من صدور قلوبهم بحسب الرياء والاخلاص والحق والباطل (ألم يأتكم) أيها الكفرة والالف للاستفهام ولم للجحد ومعناه التحقيق (نبأ الذين كفروا) أى خبر قوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرّة على الكفر (من قبل) أى قبلكم فيكون متعلقا بكفروا أو قبل هذا الوقت أو هذا العصيان والمعاداة فيكون ظرفا لألم يأتكم (فذاقوا وبال أمرهم) عطف على كفروا والذوق وان كان فى التعارف للقليل لكنه مستصلح للكثير والوبال الثقل والشدة المترتبة على أمر من الامور والوبل والوابل المطر الثقيل القطار يقابل الطل وهو المطر الخفيف وأمرهم كفرهم فهو واحد الامور عبر عنه بذلك للايذان بأنه أمر هائل وجناية عظيمة والمعنى فذاقوا فى الدنيا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم من الضرر والعقوبة وأحسوا احساس الذائق المطعوم يعنى پس چشيدند كران بارئ خود ودشوارئ سر انجام خويش وضرر كفر وعقوبت او در دنيا بغرق وريح صرصر وعذاب يوم الظلة وامثال آن وفى ايراد الذوق رمز الى أن ذلك المذوق العاجل شئ حقير بالنسبة الى ماسيرون من العذاب الآجل ولذلك قال تعالى (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) أى مؤلم لا يقادر قدره وفيه اخبار بأن ما أصابهم فى الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم والا لم يعذبوا فى الآخرة بخلاف المؤمنين فان ما أصابهم فى الدنيا من الآلام والاوجاع والمصائب كفارة لذنوبهم على ما ورد فى الاخبار الصحيحة (ذلك) أى ما ذكر من العذاب الذى ذاقوه فى الدنيا وما سيذوقونه فى الآخرة (بأنه) أى بسبب ان الشان (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات الظاهرة والباء اما للملابسة أو للتعدية (فقالوا) عطف على كانت (أبشر) آيا آدميان مثل ما (يهدوننا) راه نمايند مارا أى قال كل قوم من المذكورين فى حق رسولهم الذى أتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك أبشر وآدمى مثلنا يهدينا ويرشدنا الى الدين أو الى الله والتقرب منه كما قالت ثمود أبشرا منا واحدا نتبعه أنكروا أن يكون الرسول بشرا ولم ينكروا أن يكون المعبود حجرا وقد أجمل فى الحكاية فأسند القول الى جميع الاقوام وأريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما أجمل الخطاب والامر فى قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وارتفاع بشر على أنه فاعل فعل مضمر يفسره ما بعده فيكون من باب الاشتغال وهو أولى من جعله مبتدأ وما بعده خبرا لان أداة الاستفهام تطلب الفعل ظاهرا أو مضمرا قال القاشانى لما احتجبوا بصفات نفوسهم عن النور الذى هو به يفضل عليهم عما لا يقاس ولم يجدوا منه الا البشرية انكروا هدايته فان كل عارف لا يعرف معروفه الا بالمعنى الذى فيه فلا يوجد النور الكمالى الا بالنور الفطرى ولا يعرف الكمال الا الكامل ولهذا قيل لا يعرف الله غير الله وكل طالب وجد مطلوبه بوجه ما والا لما أمكنه التوجه نحوه وكذا كل مصدق بشئ فانه واجد للمعنى المصدق به بما فى نفسه من ذلك

المعنى فلما لم يكن فيهم شئ من النور الفطرى أصلا لم يعرفوا منه الكمال فأنكروه ولم يعرفوا من الحق شيأ ولم يحدث فيهم طلب حتى يحتاجوا الى الهداية فأنكروا الهداية وقال بعض العارفين معرفة مقام الاولياء أصعب من المكن من معرفة الله تعالى لان الله تعالى معروف بكماله وجماله وجلاله وقهره بخلاف الولى الكامل فانه ملآن من شهود الضعف يأكل ويشرب ويبول مثل غيره من الخلق ولا كرامة له تظهر الا بأن يناجى ربه وأنى للخلق معرفة مقامه ووالله لو كشف للخلق عن حقيقة الولى لعبد كما عبد عيسى عليه السلام ولو كشف لهم عن مشرقات نوره لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات نور قلبه ولكن فى ستر الحق تعالى لمقام الولى حكم وأسرار وأدنى ما فى الستر أن لا يتعرض أحد لمحاربة الله تعالى اذا آذاهم بعد أن عرفهم أنهم أولياء الله فكان ستر مقامهم عن الخلق رحمة بالخلق وفتحا لباب اعتذار من آذاهم من غالب الخلق فان الاذى لم يزل من الخلق لهم فى كل عصر لجهلهم بمقامهم (فكفروا) أى بالرسل بسبب هذا القول لانهم قالوه استصغارا لهم ولم يعلموا الحكمة فى اختيار كون الرسل بشرا (وتولوا) عن التدبر فيما أتوا به من البينات وعن الايمان بهم (واستغنى الله) أى أظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث أهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهم لما فعل ذلك وقال سعدى المفتى هو حال بتقدير قد وهو بمعنى غنى الثلاثى والمراد كمال الغنى اذ الطلب يلزمه الكمال (والله غنى) عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم (حميد) يحمده كل مخلوق بلسان الحال ويدل على اتصافه بالصفات الكمالية أو يحمده أولياؤه وان امتنع أعداؤه والحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال ومن عرف أنه الحميد فى ذاته وصفاته وأفعاله شغله ذكره والثناء عليه فان العبد وان كثرت محامده من عقائده وأخلاقه وأفعاله وأقواله فلا يخلو عن مذمة ونقص الا النبى عليه السلام فانه محمد وأحمد ومحمود من كل وجه وله المحمدة والكمال وفى الاربعين الادريسية يا حميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه قال السهروردى رحمه الله من داومه يحصل له من الاموال ما لا يمكن ضبطه (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) الزعم ادعاء العلم فمعنى أزعم زيدا قائما أقول انه كذا وفى تصدير الجملة بقوله أزعم اشعار بأنه لا سند للحكم سوى ادعائه اياه وقوله به ويتعدى الى مفعولين تعدى العلم وقد قام مقامهما أن المخففة مع ما فى حيزها فان مخففة لا ناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله والمراد بالموصول كفار مكة أى زعموا وادعوا أن الشأن لن يبعثوا بعد موتهم أبدا وان يقاموا ويخرجوا من قبورهم وعن شريح رضى الله عنه لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا وقال بعض الخضرمين لابنه هب لى من كلامك كلمتين زعم وسوف انتهى ويكره للرجل أن يكثر لفظ الزعم وأمثاله فانه يحدث بكل ما سمع وكفى بذلك كذبا واذا أراد أن يتكلم تكلم بما هو محقق لا بما هو مشتبه وبذلك يتخلص من أن يحدث بكل ما سمع فيكون معصوما من الكذب كذا فى المقاصد الحسنة (قل) ردا لهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه (بلى) أى تبعثون فان بلى لايجاب النفى الذى قبله وقوله (وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) أى لتحاسبن وتجزون بأعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتأكيد ما أفاده كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق أمر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين وقوله وربى قسم لعل اختياره ههنا لما أن فى البعث اظهار كمال الربوبية المفيدة لتمام المعرفة

وإيثار دوام التربية بالنعم الجسمانية الظاهرة والنعم الروحانية الباطنة وقوله لتبعثن أصله لتبعثون حذفت واوه لاجتماع الساكنين بمجيء نون التأكيد وإن كان على حذفه طلبا للخفة واكتفاء بالضمة وهو جواب قسم قبله مؤكد باللام المؤكدة للقسم وثم لتراخي المدة لطول يوم القيامة أو لتراخي الرتبة وظاهر كلام اللباب أن يكون وربي قسما متعلقا بما قبله فقد تم الكلام عنده وحسن الوقف عليه ويجعل لتبعثن بما عطف عليه جواب قسم آخر مقدر مستأنف لتأكيد الأول لعل فائدة الاخبار بالقسم مع ان المشركين ينكرون الرسالة كما ينكرون البعث ابطال لزعمهم بالتشديد والتأكيد أيضا أثر من قدر الله له الانصاف وتأكيد الحجة على من لم يقدر له وكان محروما بالكلية (وذلك) أي ما ذكر من البعث والجزاء (على الله يسير) أي سهل على الله لتحقق القدرة التامة وقبول المادة وإذا كان الامر كذلك (فآمنوا) بصرف ارادتكم الجزئية الى أسباب حصول الايمان (بالله) الباعث من القبور المجازي على كل عمل ظاهر أو مستور (ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبر عن شؤون الله تعالى وصفاته (والنور الذي أنزلنا) أي أنزلناه على رسولنا وهو القرآن فانه باعجازه بين بنفسه أنه حق نازل من عند الله مبين لغيره ومظهر للحلال والحرام كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية (والله بما تعملون) من الامتثال بالامر وعدمه (خبير) فمجازيكم عليه (يوم يجمعكم) ظرف لتنبؤن وما بينهما اعتراض أو مفعول لاذكر الظاهر أن الخطاب لمن خوطب أولا بقوله ألم يأتكم (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون من الجن والانس وأهل السماء والارض أي لاجل ما فيه من الحساب والجزاء وهو يوم القيامة فاللام للعهد أي جمع هذا اليوم عن النبي عليه السلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل المراد جمع الله بين العبد وعمله وقيل بين الظالم والمظلوم أو بين كل نبي وأمته (ذلك) اليوم (يوم التغابن) تفاعل من الغبن وهو أن تخسر صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الاخفاء والتغابن أن يغبن بعضهم بعضا ويوم القيامة يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفيه تهكم لان نزولهم ليس بغبن يعني ان كون نزول الاشقياء منازل السعداء من النار لو كانوا أشقياء غبنا باعتبار الاستعارة التهكمية والا فهم بنزولهم في النار لم يغبنوا أهل الجنة وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بأن التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه مالا يقع في أمور الدنيا فاللام للعهد الذي يشار به عند عدم المعهود الخارجي الى الفرد الكامل أي التغابن الكامل العظيم الذي لا تغابن فوقه قال القاشاني ليس التغابن في الامور الدنيوية فانها أمور فانية سريعة الزوال ضرورية الفناء لا يبقى شيء منها لاحد فان فات شيء من ذلك أو أفاته أحد ولو كان حياته فانما فات أو أفنيت ما لزم فواته ضرورة فلا غبن ولا حيف حقيقة وانما الغبن والتغابن في افاتة شيء

لولم يفته لبقى دائما وانتفع به صاحبه سرمدا وهو النور الكمالى والاستعدادى فتظهر الحسرة والتغابن هنالك فى اضاعة الربح ورأس المال فى تجارة الفوز والنجاة كما قال فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فمن أضاع استعداده أو اكتسب منه شيأ ولم يبلغ غايته كان مغبونا بالنسبة الى الكمال التام وكأنما ظفر ذلك الكامل بمقامه ومرامه وبقى هذا متحسرا فى نقصانه انتهى وقال الراغب يوم التغابن يوم القيامة لظهور الغبن فى المبايعة المشار اليها بقوله ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله وبقوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وقوله الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا فعلموا انهم غبنوا فيما تركوا من المبايعة وفيما تعاطوا من ذلك جميعا وسئل بعضهم عن يوم التغابن فقال تبدو الاشياء بخلاف مقاديرها فى الدنيا وقال بعضهم يظهر يومئذ غبن الكافر بترك الايمان وغبن المؤمن بتقصيره فى الاحسان واذا دخل العارف الجنة ورآه صاحب الحال فانه يراه كما يرى الكوكب الدرى فى السماء فيتمنى أن يكون له مثل مرتبة العارف فلا يقدر عليها فيتحسر على تفويته أسباب ذلك فى الدنيا وقد ورد لا يتحسر أهل الجنة فى الجنة الا ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها قيل أشد الناس غبنا يوم القيامة ثلاثة نفر عالم علم الناس فعملوا بعلمه وخالف هو علمه فدخل غيره الجنة بعلمه ودخل هو النار بعمله وعبد أطاع الله بقوة مال سيده وعصى الله سيده فدخل العبد الجنة بقوة مال مالكه ودخل مالكه النار بمعصية الله وولد ورث مالا من أبيه وأبوه شح به وعصى الله فيه فدخل أبوه ببخله النار ودخل هو بانفاقه فى الخير الجنة * بخور اى نيك سيرت وسره مرد * كان نكون بخت كرد كرد ونخورد * وفى الحديث لا يلقى الله أحد الا نادما ان كان مسيئا أن لم يحسن وان كان محسنا أن لم يزدد وقال بعض العارفين لا يجوز الترقى فى الآخرة الا فى مقام حصله المكلف فى هذه الدار فمن عرف شيأ وتعلقت همته بطلبه كان له اما عاجلا واما آجلا فان ظفر به فى حياته كان ذلك اختصاصا واعتناء وان لم يظفر به فى حياته معجلا كان متأخرا له بعد المفارقة فاله ثمة ضرورة لازمة ومن لم يتحقق بمقام فى هذا الموطن لم يظفر به ثمة ولذلك سمى يوم التغابن لانقطاع الترقى فيه فاعلم ذلك وقال بعضهم الغبن كل الغبن أن لا يعرف الصفاء فى الكدورة واللطف فى صورة القهر فتوحش عن الحق بالتفرقة وهو فى عين الجمع والانس وأيضا يقع الغبن لمن كان مشغولا بالجزاء والعطاء ورؤية الاعواض وأما من كان مشغولا بمشاهدة الحق فقد خرج عن حد الغبن وأيضا يقع الكل فى الغبن اذا عاينوا الحق بوصفه وهم وجدوه أعظم وأجل مما وجدوه فى مكاشفاتهم فى الدنيا فيكونون مغبونين حيث لم يعرفوه حق معرفته ولم يعبدوه حق عبادته وان كانوا لا يعرفونه أبدا حق معرفته وأى غبن أعظم من هذا اذ يرونه ولا يصلون الى حقيقة وجوده وقال ابن عطاء رحمه الله تغابن أهل الحق على مقادير الضياء عند الرؤية والتجلى وقال بعض الكبار يوم شهود الحق فى مقام الجمعية يوم غبن أهل الشهود والمعرفة على أهل الحجاب والغفلة فانهم فى نعيم القرب والجمع وأهل الحجاب فى جحيم البعد والفرق (ومن يؤمن بالله) بالصدق والاخلاص بحسب نور استعداده (ويعمل صالحا) أى عملا صالحا بمقتضى ايمانه فان العمل انما يكون بقدر النظر وهو أى العمل الصالح ما يبتغى به وجه الله فرضا أو نفلا (روى) أن ابراهيم بن أدهم رحمه الله أراد أن يدخل الحمام فطلب الحمامى الاجرة فتأوه وقال اذا لم يدخل أحد بيت الشيطان بلا أجرة فانى

يدخل بيته الرحمن بلا عمل (يكفر) أى يغفر الله و يمح (عنه سيئاته) يوم القيامة فلا يفضحه بها (ويدخله) بفضله وكرمه لا بالايجاب (جنات) على حسب درجات أعماله (تجرى من تحتها) أى من تحت قصورها أو أشجارها (الانهار) الاربعة (خالدين فيها) حال من الهاء فى يدخله وحد أولا حملا على لفظ من ثم جمع حملا على معناه (أبدا) نصب على الظرف وهو تأكيد للخلود (ذلك) أى ماذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من أعظم الهلكات والظفر بأجل الطيبات فيكون أعلى حالا من الفوز الكبير لانه يكون بجلب المنافع كما فى سورة البروج والفوز العظيم فى الحقيقة هو الانخلاع عن الوجود المجازى والتلبس بلباس الوجود الحقيقى وذلك موقوف على الايمان الحقيقى الذوقى والعمل الصالح المقارن بشهود العامل فان نور الشهود حينئذ يستر ظلمات وجوده الاضافى وينوّره بنور الوجود الحقيقى ويدخله جنات الوصول والوصال التى تجرى من تحتها الانهار مملوأة من ماء المعارف والحكم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) تصريح بما علم التزاما والمراد بالآيات اما القرآن أو المعجزات فان كلا منهما آية اصدق الرسول (أولئك أصحاب النار) أى أهلها اما بمعنى مصاحبوها بالخلود هم فيها أو مالكوها تنزيلا لهم منزلة الملاك للتهكم حال كونهم (خالدين فيها) أى أبدا بقرينة المقابلة (وبئس المصير) أى النار كأنّ هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن وانما قلنا كأنّ لانّ الواو يمانع الحمل على البيان كما عرف فى المعانى وفى الآية اشارة الى المحجوبين عن الله المحرومين من الايمان الحقيقى به بأن يكون ذلك بطريق الذوق والوجدان لا بطريق العلم والبرهان المكذبين آيات الله الظاهرة فى خواص عباده بحسب التجليات فانهم أصحاب نار الحجاب وجحيم الاحتجاب على الدوام والاستمرار وبئس المصير هذه النار فعلى العاقل أن يجتهد حتى يكشف الله عمى قلبه وغشاوة بصيرته فيشاهد آثار الله وآياته فى الانفس والآفاق ويتخلص من الحجاب على الاطلاق ففى نظر العارفين عبرة وحكمة وفى حركاتهم شأن ومصلحة (حكى) أن أبا حفص النيسابورى رحمه الله خرج مع أصحابه فى الربيع للتنزه فمر بدار فيها شجرة مزهرة فوقف ينظر اليها معتبرا فخرج من الدار شيخ مجوسى فقال له يا مقدم الاخيار هل تكون ضيفا لمقدم الاشرار فقال نعم فدخلوا وكان معهم من يقرأ القرآن فقرأ فلما فرغ قال لهم المجوسى خذوا هذه الدراهم واشتروا بها طعاما من السوق من أهل ملتكم لانكم تتنزهون عن طعامنا ففعلوا فلما أرادوا الخروج قال المجوسى للشيخ لا أفارقك بل أكون أحد أصحابك ثم أسلم هو وأولاده ورهطه وكانوا بضع عشرة نفسا فقال أبو حفص لاصحابه اذا خرجتم للتنزه فاخرجوا هكذا * چون نظر ميداشت ارباب شهود * مؤمن آمد بى نفاق أهل جحود (ما) نافية ولذا زاد من المؤكدة (أصاب) الخلق يعنى نرسد بهيچ كس (من مصيبة) من المصائب الدنيوية فى الابدان والأولاد والأموال (الا باذن الله) استثناء مفرغ منصوب المحل على الحال أى ما أصاب مصيبة ملتبسة بشئ من الاشياء الا باذن الله أى بتقديره وارادته كأنها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ان تصيبه وهذا الاخفاف قوله تعالى فى سورة الشورى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير أى بسبب معاصيكم ويتجاوز عن كثير منها ولا يعاقب عليها اما أولا فلانّ هذا القول فى حق المجرمين فكم من مصيبة تصيب من

أصابته لامر آخر من كثرة الأجر للصبر وتكفير السيئات لتوفية الأجر الى غير ذلك وما أصاب المؤمنين فمن هذا القبيل وأما ثانيا فلان ما أصاب من ساء بسوء فعله فهو لم يصب الا باذن الله وارادته أيضا كما قال تعالى قل كل من عند الله أى ايجادا وايصالا فسبحان من لا يجرى فى ملكه الا مايشاء وكان الكفار يقولون لو كان ماعليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب فى أموالهم وأبدانهم فى الدنيا فبين الله أن ذلك انما يصيبهم بتقديره ومشيئته وفى اصابتها حكمة لا يعرفها الا هو ومنها تحصيل اليقين بأن ليس شئ من الامر فى أيديهم فيبرؤن بذلك من حولهم وقوتهم الى حول الله وقوته ومنها ماسبق آنفا من تكفير ذنوبهم وتكثير مثوباتهم بالصبر عليها والرضا بقضاء الله الى غير ذلك ولو لم يصب الانبياء والاولياء محن الدنيا ومايطرأ على الاجسام لافتتن الخلق بما ظهر على أيديهم من المعجزات والكرامات على أن طريان الآلام والاوجاع على ظواهرهم لتحقق بشريتهم لا على بواطنهم لتحقق مشاهدتهم والانس بربهم فكأنهم معصومون محفوظون منها لكون وجودها فى حكم العدم بخلاف حال الكفار والاشرار نسأل العفو والعافية من الله الغفار وفى الآية اشارة الى اصابة مصيبة النفس الامارة بالاستيلاء على القلب والى اصابة مصيبة القلب السيار بالغلبة على النفس فانهما باذن تجليه القهرى للقلب الصافى بحسب الحكمة أو باذن تجليه اللطفى الجمالى للنفس الجانية بحسب النقمة (ومن يؤمن بالله) يصدق به ويعلم أنه لا يصيبه مصيبة الا باذن الله والاكتفاء بالايمان بالله لانه الاصل (يهد قلبه) عند اصابتها للثبات والاسترجاع فيثبت ولا يضطرب بأن يقول قولا ويظهر وصفا يدل على التضجر من قضاء الله وعدم الرضا به ويسترجع ويقول انا لله وانا اليه راجعون ومن عرف الله واعتقد أنه رب العالمين يرضى بقضائه ويصبر على بلائه فان التربية كما تكون بما يلائم الطبع تكون بما يتنفر عنه الطبع وقيل يهد قلبه أى يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيرضى بقضائه ويسلم لحكمه وقيل يهد قلبه أى يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وبالفارسية الله راه نمايد دل أو رابه پسنديده كارى ومزيد طاعت وقال أبو بكر الوراق رحمه الله ومن يؤمن بالله عند الشدة والبلاء فيعلم أنها من عدل الله يهد قلبه الى حقائق الرضا وزوائد اليقين وقال أبو عثمان رحمه الله من صح ايمانه بالله يهد قلبه لاتباع سنن نبيه عليه السلام وعلامة صحة الايمان المداومة على السنن وملازمة الاتباع وترك الآراء والاهواء المضلة وقال بعضهم ومن يؤمن بالله تحقيقا يهد قلبه الى العمل بمقتضى ايمانه حتى يجد كمال مطلوبه الذى آمن به ويصل الى محل نظره وقال بعضهم ومن يؤمن بالله بحسب ذاته تنور قلبه بنور المعرفة باسمائه وصفاته اذ معرفة الذات تستلزم معرفة الصفات والاسماء من غير عكس وباعتبار سبق الهداية ولحوقها فان الايمان بالله انما هو بهداية سابقة وهداية القلب انما هى هداية لاحقة يندفع توهم أن الايمان موقوف على الهداية فاذا كانت هى موقوفة عليه كما تفيده من الشرطية لما أن الشرط مقدم على المشروط دار فان للهداية مراتب تتقدم او تتأخر الا تنقطع ولذلك ندعو الله كل يوم ونقول مرارا اهدنا الصراط المستقيم بناء على ان فى كل عمل نريده صراطا مستقيما يوصل الى رضا الله تعالى وقيل انه مقلوب ومعناه من يهد قلبه يؤمن بالله وروى فى يهد سبع قراآت المختار من السبع يهد مفردا غائبا راجعا ضميره الى الله مجزوم الآخر ليكون جواب الشرط المجزوم من

الهداية وقرئ نهد بالنون على الالتفات منها أيضا ويهد مجهولا برفع قلبه على أنه قائم مقام الفاعل منها أيضا ويهد بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ورفع قلبه أيضا بمعنى يهتد كقوله تعالى أمن لا يهدي الا أن يهدى ويهدأ من باب يسأل ويهدا بقلبها ألفا ويهد بحذفها تخفيفا فيهما والمعنى يطمئن ويسكن الى الحق (والله بكل شيء) من الاشياء التى من جملتها القلوب وأحوالها كتسليم من انقاد لامره وكراهة من كرهه وكافاتها وخلوصها من الآفات (عليم) فيعلم ايمان المؤمن وخلوصه ويهدى قلبه الى ماذكر (وأطيعوا الله) اطاعة العبد لمولاه فيما يأمره (وأطيعوا الرسول) اطاعة الامة لنبيها فيما يؤديه عن الله أى لا يشغلنكم المصائب عن الاشتغال بطاعته والعمل بكتابه وعن الاشتغال بطاعة الرسول واتباع سننه وليكن جل همتكم فى السراء والضراء العمل بما شرع لكم (قال القاشانى) وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول على حسب معرفتكم بالله وبالرسول فان أكثر التخلف عن الكمال والوقوع فى الخسران والنقصان انما يقع من التقصير فى العمل وتأخر القدم لامن عدم النظر كرر الامر للتأكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين فى الكيفية وتوضيح مورد التولى فى قوله (فان توليتم) أى أعرضتم عن اطاعة الرسول (فانما على رسولنا البلاغ المبين) تعليل للجواب المحذوف أى فلا بأس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لامزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة فى مقام اضماره لتشريفه عليه السلام والاشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولى عنه وفى التأويلات النجمية أطيعوا الله بتهيئة الاسباب بظهوريه ذاته وصفاته وأطيعوا الرسول بتحصيل القابلية لمظهرية أحكام شريعته الظاهرة وآداب طريقته الباطنة فان أعرضتم عن تهيئة الاسباب والاستعداد وتصفية هذين الامرين الكليين بالاقبال على الدنيا والاستهلاك فى بحر شهواتها فانما على رسولنا البلاغ المبين وعليكم العذاب المهين (الله لا اله) فى الوجود (الا هو) جملة من مبتدأ وخبر أى هو المستحق للمعبودية لا غيره وهو القادر على الهداية والضلالة لاشريك له فى الارشاد والاضلال وليس بيد الرسول شيء من ذلك (وعلى الله) أى عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا (فليتوكل المؤمنون) فى تثبيت قلوبهم على الايمان والصبر على المصائب واظهار الجلالة فى موضع الاضمار للاشعار بعلية التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة وفى الآية بعث لرسول الله وللمؤمنين وحث لهم على الثبات على التوكل والازدياد فيه حتى ينصرهم على المكذبين وعلى من تولى عن الطاعة وقبول أحكام الدين واعلم ان التوكل من المقامات العالية وهو اظهار العجز والاعتماد على الغير (وفى الحدائق) التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس عما فى أيدى الناس وظاهر الامر يفيد وجوب التوكل مع أنه غير موجود فى أكثر الناس فيلزم أن يكونوا عاصين ولعل المأمور به هو التوكل العقلى وهو أن يعتقد العبد أنه ما من مراد من مراداته الدنيوية والاخروية الا وهو يحصل من الله فيثق به فى حصوله ويرجو منه وان كانت النفس تلتفت الى الغير وتتوقع منه نظرا الى اعتقاد سببيته والله مسبب الاسباب واما التوكل الطبعى الذى لا يكون ثقة صاحبه طبعا الا بالله وحده ولا اعتماده الا عليه فى جميع مقاصده مع قطع النظر عن الاغيار كالهار أسافوو عسير قلما يوجد الا فى الكمل من الاولياء كما

حكى عن بشر الحافى رحمه الله أنه جاءه جماعة من الشام وطلبوا منه أن يحج معهم فقال نعم ولكن بثلاثة شروط أن لا نحمل معنا شيأ ولا نسأل أحدا شيأ ولا نقبل من أحد شيأ فقالوا أما الاول والثانى فنقدر عليه وأما الثالث فلا نقدر فقال أنتم الذين تحجون متوكلين على زاد الحاج وقيل من ادعى التوكل ثم شبع فقد حمل زادا وعن بعضهم أنه قال حججت أربع عشرة مرة حافيا متوكلا وكان يدخل الشوك فلا أخرجه لئلا ينقص توكلى وعن ابراهيم الخواص رحمه الله بينما أنا أسير فى البادية اذ قال لى اعرابى يا ابراهيم التوكل عندنا فأقم عندنا حتى يصح توكلك أما تعلم ان رجاءك دخول بلد فيه أطعمة يحملك ويقويك اقطع رجاءك عن دخول البلدان فتوكل فاذا كان رجاء دخول البلدان مانعا عن التوكل التام فما ظنك بالاقامة فى بلاد خصبة ولذا أوقع الله التوكل على الجلالة لانها جامعة لجميع الاسماء فالتوكل عليه توكل تام والتوكل على الاسماء الجزئية توكل ناقص فمن عرف الله وكل اليه أموره وخرج هو من البين ومن جعل الله وكيله لزمه أيضا أن يكون وكيلا لله على نفسه فى استحقاق حقوقه وفرائضه وكل مايلزمه فيخاصم نفسه فى ذلك ليلا ونهارا أى لا يفتر لحظة ولا يقصر طرفة فان الاوقات سريعة المرور * خاك در دستش بود چون باد هنگام اجل * هركه اوقات گرامى صرف آب وگل كند (يا أيها الذين آمنوا ايمانا خالصا (ان من أزواجكم) جمع زوج يعم الحليل والحليلة وسيجىء مافى اللباب (وأولادكم) جمع ولد يعم الابن والبنت (عدوّا لكم) يشغلونكم عن طاعة الله وان لم يكن لهم عداوة ظاهرة فان العدو لا يكون عدوّا بذاته وانما يكون عدوّا بفعله فاذا فعل الزوج والولد فعل العدوّ كان عدوّا ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة أو يخاصمونكم فى أمور الدين أو الدنيا وأشد المكر مايكون فى الدين فان ضرره أشد من ضرر مايكون فى الدنيا وجاء فى الخبر ليس عدوك الذى اقيته فقتلته وآجرك الله على قتله ولكن أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وامرأتك تضاجعك على فراشك وولدك من صلبك وقدم الازواج لانهما مصادر الاولاد ولانهم الكونها محل الشهوات ألصق بقلوب الناس وأشد اشغالا لهم عن العبودية ولذا قدمها الله تعالى فى قوله زين للناس حب الشهوات من النساء وفى اللباب ان قوله ان من أزواجكم يدخل فيه الذكر فكما أن الرجل تكون زوجته وولده عدوّا له كذلك المرأة يكون زوجها عدوّا لها بهذا المعنى فيكون الخطاب هنا عاما على التغليب ويحتمل أن يكون الدخول باعتبار الحكم لا باعتبار الخطاب (فاحذروهم) الحذر احتراز عن مخيف والضمير للعدو فانه يطلق على الجمع قال بعضهم احذروهم أى احفظوا أنفسكم من محبتهم وشدة التعلق والاحتجاب بهم ولا تؤثروا حقوقهم على حقوق الله تعالى وفى الحديث اذا كان امراؤكم خياركم واغنياؤكم أسخياءكم وأمركم شورى بينكم أى ذا تشاور ولا ينفرد أحد برأى دون صاحبه فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كان امراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها وفى الحديث (شاوروهن وخالفوهن) وقد استشار النبى عليه السلام أم سلمة رضى الله عنها كما فى قصة صلح الحديبية فصار دليلا لجواز استشارة المرأة الفاضلة ولفضل أم سلمة ووفور عقلها حتى قال امام الحرمين لانعلم امرأة أشارت برأى فأصابت الا أم سلمة كذا قال وقد استدرك بعضهم ابنة شعيب فى أمر موسى عليهما السلام (حكى) أن خسرو كان يحب أكل السمك فكان

يوما

يوما جالسا فى المنظرة وشيرين عنده اذ جاء صياد ومعه سمكة كبيرة فوضعها بين يديه فأعجبته فأمر له بأربعة آلاف درهم فقالت شيرين بئسما فعلت لانك اذا أعطيت بعد هذا أحدا من عسكرك هذا القدر احتقره وقال أعطانى عطية الصياد فقال خسرو لقد صدقت لكن يقبح على الملوك ان يرجعوا فى عطياتهم فقالت شيرين تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر أو أنثى فان قال ذكر فقل انما أردنا أنثى وان قال أنثى فقل انما أردنا ذكرا فنودى الصياد فعاد فقال له الملك هذه السمكة ذكر أو أنثى فقال هذه السمكة خنثى فضحك خسرو من كلامه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى فقبض ثمانية آلاف درهم ووضعها فى جراب معه وحملها على كاهله وهم بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصياد الجراب وانحنى على الدرهم فأخذه والملك وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين للملك أرأيت الى خسة هذا الرجل وسفالته سقط منه درهم واحد فألقى عن كاهله ثمانية آلاف درهم وانحنى على ذلك الدرهم وأخذه ولم يسهل عليه أن يتركه فغضب الملك وقال لقد صدقت ياشيرين ثم أمر باعادة الصياد فقال ياذى الهمة لست بانسان ماهذا الحرص والتهالك على درهم واحد فقبل الصياد الارض وقال انى لم أرفع ذلك الدرهم لخطره عندى وانما رفعته عن الارض لان على أحد وجهيه اسم الملك وعلى الآخر صورته فخشيت أن يأتى أحد بغير علم فيضع عليه قدمه فيكون ذلك استخفافا بالملك وصورته فتعجب خسرو من كلامه فأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى وكتب وصية للناس بأن لاتطيعوا النساء أصلا ولاتعملوا برأيهن قطعا وحكى أن رجلا من بنى اسرائيل أتى سليمان عليه السلام وقال يانبى الله أريد أن تعلمنى لسان البهائم فقال سليمان ان كنت تحب أن تعلم لسان البهائم أنا أعلمك ولكن اذا أخبرت أحدا تموت من ساعتك فقال لاأخبر أحدا فقال سليمان قد علمتك وكان للرجل ثور وحمار يعمل عليهما فى النهار فاذا أمسى أدخل عليهما علفا فحط العلف بين يديهما فقال الحمار للثور أعطنى الليلة عشاءك حتى يحسب صاحبنا أنك مريض فلا يعمل عليك ثم انى أعطيك عشائى فى الليلة القابلة فرفع الثور رأسه من علفه فضحك الرجل فقالت امرأته لم تضحك قال لاشئ فلما جاءت الليلة القابلة أعطى الرجل للحمار علفه وللثور علفه وقال الثور اقض السلف الذى عندك فانى أمسيت مغلوبا من الجوع والتعب فقال له الحمار انك لاتدرى كيف كان الحال قال الثور وماذاك قال ان صاحبنا البارحة ذهب وقال للجزار ثورى مريض اذبحه قبل أن يعجف فاصبر الليلة وأسلفنى ايضا عشاءك حتى اذا جاءك الجزار صباحا وجدك عجيفا ولايذبحك فتنجو من الموت ولو تعشيت تمتلئ بطنك فيخشى عليك أن يحسبك سمينا فيذبحك وأردت ما أسلفتنى الليلتين فرفع رأسه عن علفه ولم يأكل فضحك الرجل فقالت المرأة لم تضحك أخبرنى والا طلقنى فقال الرجل اذا اخبرتك بما ضحكت اموت من ساعتى فقالت لاابالى فقال ائتينى بالدواة والقرطاس حتى اكتب وصيتى ثم اخبر ثم أموت فنا ولته فبينما هو يكتب اذ طرحت المرأة كسرة من الخبز الى الكلب فسبق الديك واخذها بمنقاره فقال الكلب ظلمتنى قال الديك صاحبنا يريد الموت فتكون انت شبعانا من وليمة المأتم ولكن نحن نبقى فى بيتنا الى ثلاثة ايام لايفتح لنا الباب وان يمت برضا امرأته أبعده الله وأسحقه فان لى تسع نسوة لاتقدر واحدة منهن أن تسأل عن سرى ولو كنت أنا مكانه لأضربنها حتى تموت أو تتوب وبعد ذلك لاتسأل عن سر زوجها فأخذ الرجل عصا ولم يزل يضربها حتى تابت من ذلك *

زنى راكه جهلست وناراستى * بلا برسر خود نه زن خواستى * وأفادت من التبعيضية فى قوله ان
من أزواجكم الخ ان منهما ماليس بعدو كما قال عليه السلام الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة
الصالحة وقال عليه السلام ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراله من زوجة صالحة ان أمرها
اطاعته وان نظر اليها سرته وان أقسم عليها أبرته وان غاب عنها نصحته فى نفسها وماله فاذا كانت
المرأة على هذه الاوصاف فهى ميمونة مباركة والا فهى مشؤمة منحوسة * كرا خانه آباد وهمخوابه
دوست * خدا را برحمت نظر سوى اوست (وان تعفوا) عن ذنوبهم القابلة للعفو بأن تكون
متعلقة بامور الدنيا أو بأمور الدين لكن مقارنة للتوبة (وتصفحوا) بترك التثريب والتعيير
يقال صفحت عن فلان اذا أعرضت عن ذنبه والتثريب عليه (وتغفروا) باخفائها وتمهيد عذرها
(فان الله غفور رحيم) يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وهذا كقوله وان جاهداك على أن
تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا نزلت فى عوف بن مالك الاشجعى
رضى الله عنه كان ذا أهل وولد وكان اذا أراد الغزو بكوه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق
ويقيم * وأراد الحطيئة وهو شاعر مشهور سفرا فقال لامرأته

عدّى السنين لغيبتى وتصبرى * وذرى الشهور فانهن قصار

فاجابته

واذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

وقيل ان ناسا من المؤمنين أرادوا الهجرة من مكة فثبطهم ازواجهم وأولادهم فزينوا لهم
القعود قيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا
لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على أن يعفوا
عنهم ويردوا اليهم البر والصلة قال القاشانى وان تعفوا بالمداراة وتصفحوا عن جرائمهم بالحلم
وتغفروا جناياتهم بالرحمة فلا ذنب ولا حرج انما الذنب فى الاحتجاب بهم وافراط المحبة وشدة
التعلق لا فى مراعاة العدالة والفضيلة ومعاشرتهم بحسن الخلق فانه مندوب بل اتصاف بصفات
الله فان الله غفور رحيم فعليكم بالتخلق باخلاقه وفى الحث على العفو والصفح اشارة الى أن ليس
المراد من الامر بالحذر تركهم بالكلية والاعراض عن معاشرتهم ومصاحبتهم كيف والنساء
من أعظم نعم الجنة وبها انتظام العالم فانه لولا الازواج لما وجد الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء
وقد خلق المخلوقات لاجلهم ومنّ الله على عباده تذكير النعمة حيث قال خلق لكم من أنفسكم
أزواجا وهذا كما روى عنه عليه السلام أنه كان يقول اتقوا الدنيا والنساء فان الامر بالاتقاء انما
هو للتحذير عما يضر فى معاشرتها لا للترك بالكلية فكما ان الدنيا لا تترك بالكلية مادام المرء حيا وانما
يحذر من التعلق بها ومحبتها الشاغلة عن محبة الله تعالى فكذا النساء ولأمر ما حبب الله اليه
عليه السلام النساء وقال عليه السلام اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث صدقة جارية
أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له كما سبق بيانه فى سورة النجم فقد حث عليه السلام على وجود
الولد الصالح ولم يعده من الدنيا بل عده من الخير الباقى فى الدنيا وبه يحصل العمر الثانى * وفى
الآية اشارة الى أن النفوس الامارة واللوامة وأولادها وهى صفات تلك النفوس وأخلاقها
الشهوانية عدو للانسان يمنعه عن الهجرة الى مدينة القلب فلابد من الحذر عن متابعتها
ومخالفتها بالكلية وتصرفاتها فى جميع الاحوال وان تعفوا عن هفواتهم الباطلة الواقعة منهم

فى

فى بعض الاوقات لكونهم مطية لكم وتصفحوا بعدالتوبيخ والتعيير وتغفروا بان تستروا
ظلمتهم بنور ايمانكم وشعاع معرفة قلوبكم فان الله غفور ستار لكم يستر بلطفه رحيم بكم بافاضة
رحمته عليكم جعلنا الله واياكم من أهل تقواه ومغفرته وتعمدنا بانواع رحمته (انما أموالكم
وأولادكم فتنة) بلاء ومحنة يوقعونكم فى الاثم والعقوبة من حيث لاتحتسبون (وقال
الكاشفى) آزمايشيست تا ظاهر كردد كه كدام ازايشان حق را برايشان ايثار ميكنند وكدام
دل درمال وولد بسته از محبت الهى كرانه ميكيرد وجى بانما العحصر لان جميع الاموال والاولاد
فتنة لانه لايرجع الى مال أو ولد الا وهو مشتمل على فتنة واشتغال قلب وتأخير الاولاد من
باب الترقى من الادنى الى الاعلى لان الاولاد ألصق بالقلوب من الاموال لكونهم من أجزاء
الآباء بخلاف الاموال فانها من توابع الوجود وملحقاته ولذا جعل توحيد الافعال فى
مقابلة الفناء من الاولاد وتوحيد الذات فى مقابلة الفناء عن النفس (والله عنده أجر عظيم)
لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والتدبير فى مصالحهم زهدهم فى الدنيا بأن
ذكر عيبها ورغبهم فى الآخرة بذكر نعيمها وعن ابن مسعود رضى الله عنه لايقولن أحدكم
اللهم اعصمنى من الفتنة فانه ليس أحد منكم يرجع الى مال وولد الا وهو مشتمل على فتنة
ولكن ليقل اللهم انى أعوذ بك من مضلات الفتن نظيره ما حكى عن محمد بن المنكدر رحمه الله
انه قال قلت ليلة فى الطواف اللهم اعصمنى وأقسمت على الله تعالى فى ذلك كثيرا فرأيت
فى المنام كأن قائلا يقول لى انه لايفعل ذلك قلت لم قال لانه يريد أن يعصى حتى يغفر وهذا من
الاسرار المصونة والحكم المسكوت عنها وفى مشكاة المصابيح كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخطب اذ جاء الحسن والحسين رضى الله عنهما عليهما قميصان احمران يعثران ويعثران
فنزل عليه السلام من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما اموالكم وأولادكم
فتنة نظرت الى هذين الصبيين يعثيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما ثم أخذ
عليه السلام فى خطبته قال ابن عطية وهذه ونحوها هى فتنة الفضلاء فاما فتنة الجهال الفسقة
فمؤدية الى كل فعل مهلك يقال ان أول ما يتعلق بالرجل يوم القيامة أهله وأولاده فيوقفونه
بين يدى الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام
ونحن لانعلم فيقتص لهم منه وتأكل عياله حسناته فلا يبقى له حسنة ولذا قال عليه السلام
يؤتى برجل يوم القيامة فيقال له أكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس
الطاعات وهو دود يقع فى الطعام والثوب وغيرهما ومن ثم ترك كثير من السلف المال والاهل
رأسا وأعرضوا عنهما بالكلية لان كل شئ يشغل عن الله فهو مشؤم على صاحبه ولذا كان
عليه السلام يقول فى دعائه اللهم من أحبنى وأجاب دعوتى فاقلل ماله وولده ومن أبغضنى
ولم يجب دعوتى فاكثر ماله وولده وهذا للغالب عليهم النفس وأما قوله عليه السلام فى حق أنس
رضى الله عنه اللهم أكثر ماله وولده وبارك فيما أعطيته فهو لغيره (فاتقوا الله ما استطعتم)
أى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم قال بعضهم أى ان علمتم ذلك وانتصحتم به فاتقوا ما يكون
سببا للمؤاخذة الله اياكم من تدبير أمورهما ولا ترتكبوا ما يخالف أمره تعالى من فعل أو ترك وهذه
الآية ناسخة لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته لما اشتد عليهم بأن قاموا حتى ورمت أقدامهم

وتقرحت جباههم فنزلت تيسيرا العباد الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها آية محكمة
لا ناسخ فيها والعله رضى الله عنه جمع بين الآيتين بأن يقول هنا وهنالك فاتقوا الله حق تقاته
ما استطعتم واجتهدوا فى الاتصاف به بقدر طاقتكم فانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها وحق
التقوى ما يحسن أن يقال و يطلق عليه اسم التقوى وذلك لا يقتضى أن يكون فوق الاستطاعة
وقال ابن عطاء رحمه الله هذا لمن رضى عن الله بالثواب فامامن لم يرض عنه الا به فان خطابه
فاتقوا الله حق تقاته أشار رضى الله عنه الى الفرق بين الابرار والمقربين فى حال التقوى فقوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ناظر الى الابرار وقوله تعالى فاتقوا الله حق تقاته ناظر الى المقربين
فان حالهم الخروج عن الوجود المجازى بالكلية وهو حق التقوى وقال القاشانى فاتقوا الله
فى هذه المخالفات والآفات فى مواضع البليات ما استطعتم بحسب مقامكم و وسعكم على قدر
حالكم ومرتبتكم قال السرى قدس سره المتقى من لا يكون رزقه من كسبه * ودر كشف
الاسرار آورده كه در يك آيت اشارت ميكند بواجب أمر ودرديكرى بواجب حق چون
واجب امر بيامد واجب حق را رقم نسخ بركشيد زيرا كه حق بنده را كه مطالبت كند
بواجب امر كند تا فعل او در دائرهٔ عفو داخل تواند شد واكر او را بواجب حق بكيرد طاعت
ومعصيت هزار ساله آنجا يكرنك دارد * بى نيازى بين واستغنا نكر * خواه مطرب باش
وخواهى نوحه كر * اكر همه انبيا واوليا بهم آيند آن كيست كه طاقت آن دارد كه بحق
أو جل جلاله قيام نمايد يا جواب حق او بازدهد امر او متناهيست اما حق أو متناهى نيست
زيرا كه بقاى امر ببقاى تكليفست وتكليف در دنياست كه سراى تكليفست أما بقاى حق
ببقاى ذاتست وذات متناهى نيست پس حق متناهى نيست واجب أمر برخيزد اما واجب
حق برنخيزد دنيا دركذرد ونوبت أمر باوى دركذرد امانوبت حق هركز دركذرد امروز
هركسى را سودايى درسرست كه دم امر مى زنند انبيا ورسل بنبوت ورسالت خويش مى نكرند
فرشتكان بطاعت وعبادت خود مى نكرند موحدان ومجتهدان ومؤمنان ومخلصان
بتوحيد وايمان واخلاص خويش مى نكرند فردا چون سرادقات حق ربوبيت باز كشند
انبيا با كمال حال خويش حديث علم خود طى كنند كويند لا علم لنا ملائكهٔ ملكوت صومعهاى
عبادت خود آتش درزنند كه ما عبدناك حق عبادتك عارفان وموحدان كويند ما عرفناك حق
معرفتك (واسمعوا) مواعظه (وأطيعوا) أوامره (وأنفقوا) مما رزقكم فى الوجوه التى
أمركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد انفاق الزكاة
والظاهر العموم وهو مندرج فى الاطاعة ولعل افراده بالذكر لما ان الاحتياج اليه كان
أشد حينئذ وأن المال شقيق الروح ومحبوب النفس ومن ذلك قدم الاموال على الاولاد
فى المواضع حتى قال الامام الغزالى رحمه الله انه قد يكون حب المال من أسباب سوء العاقبة
فانه اذا كان حب المال غالبا على حب الله فحين علم محب المال ان الله يفرقه عن محبوبه عقد فى
قلبه البغض لله نعوذ بالله من ذلك وهذا كما ترى ان أحدا اذا أحب دنياه حبا غالبا على حب ابنه
فلو قصد الابن أن يأخذها منه لأبغض الابن وأحب هلاكه (خيرا لانفسكم) خبرا لكان المقدر
جوابا للاوامر أى يكن خيرا لانفسكم أو مفعول لفعل محذوف أى ائتوا وافعلوا خيرا

لانفسكم واقصدوا ماهو أنفع لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم من الاموال والاولاد وماهم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا (ومن يوق شح نفسه) أى ومن يقه الله ويعصمه من بخل نفسه الذى هو الرذيلة المجبولة فى طينة النفس وقد سبق بيانه فى سورة الحشر وبالفارسية وهركه نكاه داشت از بخل نفس خود يعنى حق خدا يرا امساك نكند ودر راه وى بذل مى نمايد وهو مجهول مجزوم الآخر بمن الشرطية من الوقاية المتعدية الى المفعولين وشح مفعول ثان له باق على النصب والاول ضمير من القائم مقام الفاعل (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مرام وفى الحديث كفى بالمرء من الشح أن يقول آخذ حقى لا اترك منه شيأ وفى حديث الاصمعى أتى اعرابى قوما فقال لهم هذا فى الحق أو فيما هو خير منه قالوا وما خير من الحق قال التفضل والتغافل أفضل من أخذ الحق كله كذا فى المقاصد الحسنة (روى) عن النبى عليه السلام انه كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لى وقال عليه السلام وما ذنبك صفه لى قال هو أعظم من ان أصفه لك قال ويحك ذنبك أعظم أم الارضون قال بل ذنبى يارسول الله قال ويحك ذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبى يارسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبى قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبى أعظم قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك صف لى ذنبك قال يارسول الله انى ذو ثروة من المال وان السائل ليأتينى ليسألنى فكأنما يستقبلنى بشعلة من النار فقال عليه السلام عنى يعنى دور شو از من لا تحرقنى بنارك فوالذى بعثنى بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم بكيت ألف عام حتى تجرى من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وأنت لئيم لكبك الله فى النار أما علمت أن البخل كفر وأن الكفار فى النار ويحك أما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون * فرومايه كارا درون شاد كن * زروز فرومانكى ياد كن * نه خواهنده بر در ديكران * بشكرانه خواهنده از در مران * وفى الآية اشارة الى أن الانفاق على الغير علما أو مالا انفاق على نفسك بالحقيقة والناس كنفس واحدة لانتفاء الغيرية فى الاحدية وان من وفق لانفاق الوجود فى المجازى فى الله فاز بالوجود الحقيقى من الله تعالى (ان تقرضوا الله) بصرف أموالكم الى المصارف التى عينها وبالفارسية اكر قرض دهيد خدايرا يعنى صرف كنيد درآنچه فرمايد وذكر القرض تلطف فى الاستدعاء كما فى الكشاف قال فى اللباب القرض القطع ومنه المقراض لما يقطع به وانقرض القوم اذا هلكوا وانقطع أثرهم وقيل للقرض قرض لانه قطع شئ من المال هذا أصل الاشتقاق ثم اختلفوا فيه فقيل اسم لكل ما يلتمس الجزاء عليه وقيل أن يعطى أحد شيأ ليرجع اليه ثم قيل لفظ القرض هنا حقيقة على المعنيين وقيل مجاز على الثانى لان الراجع ليس مثله بل بدله واليه يميل ما فى الكشاف فى سورة البقرة اقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب ثوابه لعله الوجه فيكون يقرض استعارة تصريحية تبعية وقوله (قرضا حسنا) تصريحية أصلية أى مقرونا بالاخلاص وطيب النفس قال سهل رضى الله عنه القرض الحسن المشاهدة بقلوبكم لله فى أعمالكم كما قال ان تعبد الله كأنك تراه وقرضا ان كان بمعنى اقراضا كان نصبه على المصدرية وان كان بمعنى مقرضا

من النفقة فكان مفعولا ثانيا لتقرضوا لان الاقراض يتعدى الى مفعولين وفى التعبير عن الانفاق بالاقراض وجعله متعلقا بالله الغنى مطلقا والتعبير عن النفقة بالقرض اشارة الى حسن قبول الله ورضاه والى عدم الضياع وبشارة باستحقاق المنفق ببركة انفاقه اتمام الاستحقاق (يضاعفه لكم) من المضاعفة بمعنى التضعيف أى التكثير فليس المفاعلة هنا للاشتراك أى يجعل لكم أجره مضاعفا ويكتب بالواحد عشرة وسبعين وسبعمائة وأكثر بمقتضى مشيئته على حسب النيات والاوقات والمحال (ويغفر لكم) ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب (والله شكور) يعطى الكثير بمقابلة اليسير من الطاعة أو يجازى العبد على الشكر وهو الاعتراف بالنعمة على سبيل الخضوع فسمى جزاء الشكر شكرا أو والله شكور بمعنى أنه كثير الثناء على عبده بذكر أفعاله الحسنة وطاعته فالشكر الثناء على المحسن بذكر احسانه وهذا المعنى مختار الامام القشيرى رحمه الله والشكور مبالغة الشاكر والشاكر من له الشكر سئل بعضهم من أشكر الشاكرين فقال الطاهر من الذنوب يعد نفسه من المذنبين والمجتهد فى النوافل بعد أداء الفرائض يعد نفسه من المقصرين والراضى بالقليل من الدنيا يعد نفسه من الراغبين والقاطع بذكر الله دهره يعد نفسه من الغافلين والراغب فى العمل يعد نفسه من المفلسين فهذا أشكر الشاكرين ومن أدب من عرف أنه تعالى شكور أن يجد فى شكره ولا يفتر ويواظب على حمده ولا يقصر والشكر على أقسام شكر بالبدن وهو أن لا تستعمل جوارحك فى غير طاعته وشكر بالقلب وهو أن لا تشغل قلبك بغير ذكره ومعرفته وشكر باللسان وهو أن لا تستعمله فى غير ثنائه ومدحته وشكر بالمال وهو أن لا تنفقه فى غير رضاه ومحبته * نفس مى نيارم زد از شكر دوست * كه شكرى نه دانم كه درخورد اوست * عطاييست هر موى از و بر تنم * چكونه بهر موى شكرى كنم * وأحسن وجوه الشكر لنعم الله أن لا تستعملها فى معاصيه بل فى طاعته وخاصية اسم الشكور التوسعة ووجود العافية فى البدن وغيره بحيث لو كتبه من به ضيق فى النفس وتعب فى البدن أى اعياء أشد الاعياء وثقل فى الجسم وتمسح به وشرب منه برئ باذن الله تعالى وان تمسح به ضعيف البصر على عينيه وجد بركة ذلك ويكتب احدى وأربعين مرة (حليم) لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم من البخل والامساك ونحوهما فيحلم حتى يظن الجاهل انه ليس يعلم ويستر حتى يتوهم الغافل انه ليس يبصر قال الامام الغزالى رحمه الله الحليم هو الذى يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الامر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ولا يحمله على المسارعة الى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال الله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة (حكى) أن ابراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات والارض رأى عاصيا فى معصيته فقال اللهم أهلكه فأهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فأهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فأهلكه الله ثم رأى رابعا فدعا عليه فأوحى الله اليه أن قف يا ابراهيم فلو أهلكنا كل عاص رأيناه لم يبق أحد من الخلق ولكنا بحلمنا لا نعذبهم بل نمهلهم فاما ان يتوبوا وأما أن يصروا فلا يفوتنا شئ قيل الحلم حجاب الآفات وقيل الحلم ملح الاخلاق وشتم الشعبى رجل فقال ان كنت كاذبا غفر الله لك وان كنت صادقا غفر الله لى وكان الاحنف يضرب به المثل فى الحلم وهو يقول انى صبور ولست بحليم والفرق بين الحليم والصبور أن المذنب

لا يأمن العقوبة فى صفة الصبور كما يأمنها فى صفة الحليم يعنى أن الصبور يشعر بأنه يعاقب فى الآخرة بخلاف الحليم كما فى المفاتيح والتخلق بالاسم الحليم انما هو بان يصفح عن جنايات الناس ويسامح لهم فيما يعاملونه به من السيآت بل يجازيهم بالاحسان تحقيقا للحلم والغفران وفى الاربعين الادريسية يا حليم ذا الأناة فلا يعادله شئ من خلقه قال السهروردى رحمه الله من ذكره كان مقبول القول وافر الحرمة قوى الجاش بحيث لا يقدر عليه سبع ولا غيره والأناة على وزن القناة هو التثبت والوقار (عالم الغيب والشهادة) خبر بعد خبر أى لا يخفى عليه خافية (وقال الكاشفى) ميداند آنچه ظاهر ميكنند از تصدق وآنچه پنهان ميدارند در دلها از ريا واخلاص وقد سبق الكلام عليه فى أواخر سورة الحشر ولعل تقديم الغيب لان عالم الغيب أعم والعلم به أتم (العزيز الحكيم) البالغ فى القدرة والحكمة (وقال الكاشفى) غالبست انتقام تواند كشيد از كسى كه صدقه او خالص نبود حكم كننده بكرامت انهارا كه از روى صدق تصدق نمايند والحكم سابق فالعبرة به لا بالصورة ولذا ارتد بلعم بن باعوراء وقبل كلب اصحاب الكهف قال أبو على الدقاق قدس سره لما صرفوا ذلك الكلب ولم ينصرف أنطقه الله تعالى فقال لم تصرفوننى ان كان لكم ارادة فلى ايضا ارادة وان كان خلقكم فقد خلقنى أيضا فازدادوا بكلامه يقينا ولما سمعوا كلامه اتفقوا على استصحابه معهم الا انهم قالوا يستدل علينا بآثار قدمه فالحيلة أن نحمله بالجملة فحمله الاولياء على أعناقهم وهم يمشون لما أدركه من العناية الازلية وكذا لم يكن فى الملائكة أكبر قدرا ولا أجل خطرا من ابليس الا أن الحكم الازلى بشقاوته كان خفيا عن العباد فلما ظهر فيه الحكم الازلى لعنه من عرفه ومن لم يعرفه * كليد قدر نيست در دست كس * توانای مطلق خدايست وبس * ز زنبور كرد اين حلاوت بديد * همانكس كه در مار زهر آفريد * خدايا بغفلت شكستيم عهد * چه زور آورد با قضا دست جهد * چه برخيزد از دست تدبير ما * همين نكته بس عذر تقصير ما * همه هر چه كردم تو برهم زدى * چه قوت كند با خداى خودى * نه من سر ز حكمت بدر مى روم * كه حكمت چنين مى رود بر سرم (وقال الحافظ الشيرازى رحمه الله) نقش مستورى ومستى نه بدست من وتست * آنچه سلطان ازل كفت بكن آن كردم (وقال أيضا) درين چمن مكنم سرزنش بخودروبى * چنانكه پرورشم ميدهند مى رويم * وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا فى شبابيك رأسه مكتوب خمس آيات من سورة التغابن يعنى نيست هيچ مولودى كه مولود مى شود مكر كه در مشبكهاى سرش مكتوبست پنج آيت از سورة تغابن والشبابيك جمع شباك بالضم كزنار مثل خفافيش وخفاش أو جمع شباكة يعنى المشبك وهو ما تداخل بعضه فى بعض وفى الحديث من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجاءة وهى بالمد مع ضم الفاء وبالقصر مع فتح الفاء البغتة دون تقدم مرض ولا سبب

تمت سورة التغابن بالتيسير من الله والتعاون فى تاسع شهر ربيع الآخر من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف

* (سورة الطلاق اثنتا عشرة آية مدنية وتسمى سورة النساء القصرى)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) التطليق طلاق دادن يعنى عقده نكاح را حل كردن وكشادن قال فى المفردات اصل الطلاق التخلية من وثاق ويقال أطلقت البعير من عقاله وطلقته وهو طالق وطلق بلا قيد ومنه استعير طلقت المرأة اذا خليتها فهى طالق أى مخلاة عن حبالة النكاح انتهى والطلاق اسم بمعنى التطليق كالسلام والكلام بمعنى التسليم والتكليم وفى ذلك قالوا المستعمل فى المرأة لفظ التطليق وفى غيرها لفظ الاطلاق حتى لو قال أطلقتك لم يقع الطلاق مالم ينو ولو قال طلقتك وقع نوى أولم ينو والمعنى اذا أردتم تطليق النساء المدخول بهن المعتدات بالاقراء وعزمتم عليه بقرينة فطلقوهن فان الشئ لا يترتب على نفسه ولا يؤمر أحد بتحصيل الحاصل ففيه تنزيل المشارف للشئ منزلة الشارع فيه والاظهر أنه من ذكر السبب وارادة المسبب وتخصيص النداء به عليه السلام مع عموم الخطاب لامته أيضا التحقيق أنه المخاطب حقيقة ودخولهم فى الخطاب بطريق استتباعه عليه السلام اياهم وتغليبه عليهم ففيه تغليب المخاطب على الغائب والمعنى اذا طلقت أنت وأمتك وفى الكشاف خص النبى بالنداء وعم بالخطاب لان النبى امام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يافلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه لسان قومه فكأنه هو وحده فى حكم كلهم لصدورهم عن رأيه كما قال البقلى اذا خاطب السيد بان شرفه على الجمهور اذجمع الجميع فى اسمه ففيه اشارة الى سر الاتحاد وفى كشف الاسرار فيه أربعة أقوال احدها انه خطاب للرسول وذكر بلفظ الجمع تعظيما له كما يخاطب الملوك بلفظ الجمع والثانى أنه خطاب له والمراد أمته والثالث أن التقدير يا أيها النبى والمؤمنون اذا طلقتم فحذف لان الحكم يدل عليه والرابع معناه يا أيها النبى قل للمؤمنين اذا طلقتم انتهى يقول الفقير هذا الاخير أنسب بالمقام فيكون مثل قوله يا أيها النبى قل لازواجك قل للمؤمنين قل للمؤمنات ولان النبى عليه السلام وان كان أصيلا فى المأمورات كما أن أمته أصيل فى المنهيات الا أن الطلاق لما كان أبغض المباحات الى الله تعالى كما سيجئ كان الاولى أن يسند التطليق الى أمته دونه عليه السلام مع أنه عليه السلام قد صدر منه التطليق فانه طلق حفصة بنت عمر رضى الله عنهما واحدة فلما نزلت الآية راجعها وكانت علامة كثيرة الحديث قريبا منزلتها من منزلة عائشة رضى الله عنها فقيل له عليه السلام راجعها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك فى الجنة حكاه الطبرى وفى الحديث بيان فضل العلم وحفظ الحديث ومحبة الله الصيام والقيام وكرامة اهلها عنده تعالى وآورده اند كه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما زن خود را درحال حيض طلاق داد حضرت رسالت فرمود تا رجوع كند وآنكاه كه از حيض پاك شود اكر خواهد طلاق دهد ودر ين باب آيت آمد والقول الاول هو الاصل والاصح فيه أنه بيان لشرع مبتدأ كما فى حواشى سعدى المفتى (فطلقوهن لعدتهن) العدة مصدر عده يعده وسئل رسول الله عليه السلام متى تكون القيامة قال اذا تكاملت العدتان أى عدة أهل الجنة وعدة أهل النار أى عددهم وسمى الزمان الذى تتربص فيه المرأة عقيب الطلاق أو الموت عدة لانها تعتد الايام المضروبة عليها وتنتظر أوان الفرج الموعود لها كما فى الاختيار والمعنى فطلقوهن مستقبلات لعدتهن متوجهات اليها وهى الحيض

عند الحنفية فاللام متعلقة بمحذوف دل عليه معنى الكلام والمرأة اذا طلقت فى طهر يعقب القرء الاول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن يطلقن فى طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن وهذا أحسن الطلاق وأدخله فى السنة وأبعده من الندم لانه ربما ندم فى ارسال الثلاث دفعة فالطلاق السنى هو أن يكون فى طهر لم يجامعها فيه وان يفرق الثلاث فى الاطهار الثلاثة وأن يطلقها حاملا فانها اذا على طهر ممتد فطلقها حلال وعلى وجه السنة والبدعى على وجوه أيضا منها أن يكون فى طهر جامع فيه لما فيه من تطويل العدة أيضا على قول من يجعل العدة بالاطهار وهو الشافعى حيث ان بقية الطهر لا تحتسب من العدة منها ما كان فى الحيض أو النفاس لما فيه من تطويل العدة أيضا على قول من يجعل العدة بالحيض وهو أبو حنيفة رحمه الله لان بقية الحيض لا تحتسب الا أن تكون غير مدخول بها فانه لا بدعة فى طلاقها فى حال الحيض اذ ليس عليها عدة أو تكون مما لا يلزمها العدة بالاقراء فان طلاقها لا يتقيد بزمان دون زمان ومنها ما كان بجمع الثلاث أى ان يطلقها ثلاثا دفعة أو فى طهر واحد متفرقة ويقع الطلاق المخالف للسنة فى قول عامة الفقهاء وهو مسىء بل آثم واذا كان عمر رضى الله عنه لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا أوجعه ضربا وطلق رجل امرأته ثلاثا بين يديه عليه السلام فقال أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم أى مقيم بينكم وفيه اشارة الى أن ترك الادب فى حضور الاكابر أفحش ينبغى أن يصفع صاحبه أشد الصفع وقال الشافعى اللام فى لعدتهن متعلقة بطلقوهن لانها للتوقيت بمعنى عند أو فى فيكون المعنى فى الوقت الذى يصلح لعدتهن وهو الطهر وقال أبو حنيفة رحمه الله الطلاق فى الحيض ممنوع بالاجماع فلا يمكن جعلها للتوقيت فان قلت قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والآيسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثمة ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم فى كلهن وفى بعضهن فجاز أن يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم أنه أطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض فان قلت الطلاق موقوف على النكاح سابقا أو لاحقا والنكاح موقوف على الرضا من المنكوحة أو من وليها فيلزم أن يكون الطلاق موقوفا على الرضا بالنكاح وهو واقع غير باطل لا موقوفا على الرضا نفسه الذى هو الباطل الغير الواقع فتذكر واعلم ان النكاح والطلاق أمران شرعيان من الامور الشرعية العادية لهما حسن موقع وقبح موقع بحسب الاحوال والاوقات وقد طلق عليه السلام حفصة رضى الله عنها تطليقة واحدة رجعية كما سبق وكذا تزوج سودة بنت زمعة بمكة بعد موت خديجة رضى الله عنها وقبل العقد على عائشة رضى الله عنها ثم طلقها بالمدينة حين دخل عليها وهى تبكى على من قتل من أقاربها يوم بدر فاستشفعت الى النبى عليه السلام ووهبت يومها العائشة فراجعها فان قلت كيف فعل رسول الله ذلك وقد قال أبغض الحلال الى الله الطلاق وقال عليه السلام يا معاذ ما خلق الله شيأ على وجه الارض أحب اليه من العتاق ولا خلق الله شيأ أبغض اليه من الطلاق وذلك لان النكاح يؤدى الى الوصال والطلاق يؤدى الى الفراق والله يحب الوصال ويبغض الفراق لا شمس ليوم الفراق ولا نهار

للذلة القطيعة * رابعة عدويه كفته كه كرطعم فراق دارد واعيان لذت وصال وقس عليها الانكار والاقرار وآن طعم واين لذت فرداى قيامت بديد آيد كه دران صحراى هيبت وعرصهٔ سياست قومى را كويند فراق لا وصال له وقومى را كويند وصال لا نهاية له سوختكان فراق همى كويند * فراق أو ز زمانى هزار روز آرد * بلاى او زشبى هم هزار سال كند * افروختكان وصال همى كويند * سراپردهٔ وصلت كشيد روز نواخت * طبل رحلت بزد فراق يار دوال * وفى الحديث تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعنه عليه السلام لا تطلقوا النساء الا من ريبة فان الله لا يحب الذواقين والذواقات وعنه عليه السلام أيما امرأة سألت زوجها طلاقا فى غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة قلت يحتمل أن يكون فى ذلك حكمة لا نطلع عليها بعد أن علمنا انه عليه السلام نبى حق لا يصدر منه ما هو خلاف الحق وقد دل الحديث الآخر أن النهى انما يكون عما لا وجه فيه وأن يكون لاظهار جواز الطلاق والرجعة منه كما وجه وا بذلك ما وقع من غلبة النوم عليه وعلى أصحابه ليلة التعريس الى أن طلعت الشمس وارتفعت مقدارا فان بذلك علم شرعية القضاء وأن يصلى بالجماعة وأن يصدر منه عليه السلام الاحاديث المذكورة بعد ما وقع قضية حفصة وسودة رضى الله عنهما وأن يكون من قبيل ترك الاولى وقد جوزوا ذلك للانبياء عليهم السلام فان قلت لعل ما فعله أولى من وجه وان كان ما أمر الله به أولى من وجه آخر قلت لا شك ان ما أمر الله به كان ارجح وترك الارجح ترك الاولى هذا ولعل ارجحية المراجعة فى وقت لا تقتضى أرجحية ترك الطلاق على فعله فى وقت آخر لان فى كل وقت احتمال أرجحية أمر والله أعلم يقول الفقير أمده الله القدير ان النبى عليه السلام كان قد حبب اليه النساء لما يحب فى النكاح من ذوق القربة والوصلة فالنكاح اشارة الى مقام الجمع الذى هو مقام الولاية كما دل عليه قوله عليه السلام أرحنى يا بلال والطلاق اشارة الى مقام الفرق الذى هو مقام النبوة كما دل عليه قوله عليه السلام كلمينى يا حميراء فالاول وصل الفصل والثانى فصل الوصل وان كان عليه السلام قد جمع بين الفصل والوصل والفرق والجمع فى مقام واحد وهو جمع الجمع كما دل عليه قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك (وأحصوا العدة) الاحصاء دانستن وشمردن بر سبيل استقصاء أى واضبطوها بحفظ الوقت الذى وقع فيه الطلاق واكملوها ثلاثة اقراء كوامل لا نقصان فيهن أى ثلاث حيض كما عند الحنفية لان الغرض من العدة استبراء الرحم وكماله بالحيض الثلاث لا بالاطهار كما يغسل الشئ ثلاث مرات لكمال الطهارة والمخاطب بالاحصاء هم الازواج لا الزوجات ولا المسلمون والا يلزم تفكيك الضمائر ولكن الزوجات داخلة فيه بالالحاق وقال أبو الليث أمر الرجال بحفظ العدة لان فى النساء غفلة فربما لا تحفظ عدتها واليه مال الكاشفى حيث قال وشمار كنيد اى مردان عدت زنانرا كه ايشان از ضبط عاجزند يا از احصاى آن غافل فالزوج يحصى ليتمكن من تفريق الطلاق على الاقراء اذا أراد أن يطلق ثلاثا فان ارسال الثلاث فى طهر واحد مكروه عند أبى حنيفة وأصحابه وان كان لا بأس به عند الشافعى وأتباعه حيث قال لا اعرف فى عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح وليعلم بقاء زمان الرجعة ليراجع ان حدثت له الرغبة فيها وليعلم زمان وجوب الانفاق عليه وانقضائه وليعلم انها هل تستحق عليه أن يسكنها فى البيت او له أن يخرجها وليتمكن من الحاق

نسب ولدها به وقطعه عنه قالوا وعلى الرجال فى بعض المواضع العدة * منها انه اذا كان للرجل أربع نسوة فطلق احداهن لايحل له أن يتزوج بامرأة أخرى مالم تنقض عدتها * ومنها انه اذا كان له امرأة ولها أخت فطلق امرأته لايحل له أن يتزوج باختها مادامت فى العدة * ومنها انه اذا اشترى جارية لايحل له أن يقربها مالم يستبرئها بحيضة * ومنها انه ان تزوج حربية لايحل له ان يقربها مالم يستبرئها بحيضة * ومنها انه اذا بلغ المرأة وفاة زوجها فاعتدت وتزوجت وولدت ثم جاء زوجها الاول فهى امرأته لانها كانت منكوحته ولم يعترض شئ من أسباب الفرقة فبقيت على النكاح السابق ولكن لايقربها حتى تنقضى عدتها من النكاح الثانى ووجوب العدة لايتوقف على صحة النكاح اذا وقع الدخول بل تجب العدة فى صورة النكاح الفاسد أيضا على تقدير الدخول * ومنها انه اذا تزوج حربية مهاجرة الى دارنا بأمان وتركت زوجها فى دار الحرب فلا تحل له مالم يستبرئها بحيضة عند الامامين وقال أبو حنيفة لايجب عليه العدة * ومنها انه اذا تزوج امرأة حاملا لايحل له أن يطأها حتى تضع الحمل * ومنها انه اذا تزوج بامرأة وهى حائض لايحل له ان يقربها حتى تطهر من حيضها * ومنها انه اذا تزوج بامرأة نفساء لايحل له ان يقربها حتى تطهر من نفاسها * ومنها انه اذا زنى بامرأة ثم تزوجها لايحل له ان يقربها مالم يستبرئها بحيضة (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدة عليهن والاضرار بهن بايقاع طلاق ثان بعد الرجعة فالامر بالتقوى متعلق بما قبله وفى وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة فى ايجاب الاتقاء والتقوى فى الاصل اتخاذ الوقاية وهى مايقى الانسان عما يكره ويؤمل أن يحفظه ويحول بينه وبين ذلك المكروه كالترس ونحوه ثم استعير فى الشرع لاتخاذ مايقى العبد بوعد الله ولطفه من قهره ويكون سببا لنجاته من المضار الدائمة وحياته بالمنافع القائمة وللتقوى فضائل كثيرة ومن اتقى الله حق تقواه فى جميع المراتب كوشف بحقائق البيان فلا يقع له فى الاشياء شك ولا ريب (لاتخرجوهن) بيرون مكنيد زنان مطلقه (من بيوتهن) من مساكنهن التى يسكنها قبل العدة أى لاتخرجوهن من مساكنكم عند الفراق الى أن تنقضى عدتهن وانما أضيفت اليهن مع انها لازواجهن لتأكيد النهى ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنها املاكهن وفى ذكر البيوت دون الدار اشارة الى أن اللازم على الزوج فى سكناهن ماتحصل المعيشة فيه لان الدار مايشمل البيوت (ولايخرجن) ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج فى حكم الاخراج ولا أثر عندنا لاتفاقهما على الانتقال لان وجوب ملازمة مسكن الفراق حق الشرع فلا يسقط باسقاط العبد كما قال فى الكشاف فان قلت مامعنى الجمع بين الاخراج وخروجهن قلت معنى الاخراج أى لايخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم الى المساكن وان لا يأذنوا لهن فى الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بأن اذنهم لا أثر له فى دفع الحظر ولا يخرجن بأنفسهن ان أردن ذلك انتهى فان خرجت المعتدة لغير ضرورة أو حاجة أثمت فان وقعت ضرورة بأن خافت هدما أو حرقا لها أن تخرج الى منزل آخر وكذلك ان كانت لها حاجة من بيع غزل أو شراء قطن فيجوز لها الخروج نهارا لا ليلا كما فى كشف الاسرار (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) أى الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن ثم يعدن وبالفارسية مكر بيارند كردار ناخوش كه روشن كننده حال زنان

بود در بد كردارى وقال بعضهم مبينة هنا بالكسر لازم بمعنى متبينة كبين من الابانة بمعنى بين والفاحشة ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وهو الزنا فى هذا المقام وقيل البذاء باللد وهو القول القبيح واطالة اللسان فانه فى حكم النشوز فى اسقاط حقهن فالمعنى الا أن يبذون على الازواج وأقاربهم كالأب والأخ فيحل حينئذ اخراجهن وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو كل معصية وهو استثناء من الاول أى لا تخرجوهن فى حال من الاحوال الا حال كونهن آتيات بفاحشة أو من الثانى للمبالغة فى النهى عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة أى لا يخرجن الا اذا ارتكبن الفاحشة بالخروج يعنى أن من خرجت أتت بفاحشة كما يقال لا تكذب الا أن تكون فاسقا يعنى ان تكذب تكن فاسقا (وتلك) الاحكام (حدود الله) التى عينها لعباده والحد الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط أحدهما بالآخر (ومن يتعد) أصله يتعدى فحذفت اللام عن الشرطية وهو من التعدى المتعدى بمعنى التجاوز أى ومن يتجاوز (حدود الله) حدوده المذكورة بأن أخل بشئ منها على أن الاظهار فى حيز الاضمار لتهويل أمر التعدى والاشعار بعلية الحكم فى قوله تعالى (فقد ظلم نفسه) أى أضر بها قال البقلى قدس سره ان الله حد الحدود بأوامره ونواهيه لنجاة سالكها فاذا تجاوزوا عن حدوده يسقطون عن طريق الحق ويضلون فى ظلمات البعد وهذا أعظم الظلم على النفوس اذ منعوها من وصولها الى الدرجات والقربى قال بعضهم التهاون بالامر من قلة المعرفة بالآمر فلا بد من الخوف أو الرجاء أو الحياء أو العصمة فى علم الله فهى أسباب أربعة لا خامس لها حافظة من الوقوع فيما لا ينبغى فمن ليس له واحد من هذه الاسباب فقد وقع فى المعصية وظلم النفس فالكامل يعطى نفسه حقها ظاهرا وباطنا ولا يظلمها (حكى) أن معروفا الكرخى قدس سره رأى جارية من الحور العين فقال لمن أنت يا جارية فقالت لمن لا يشرب الماء المبرد فى الكيزان وكان قد برد له كوز ماء ليشربه فتناولت الحوراء الكوز فضربت به الارض فكسرته قال السرى السقطى رحمه الله ولقد رأيت قطعة فى الارض لم ترفع حتى عفا عليها التراب فكانت الحوراء لمعروف حين امتنع من شرب الماء المبرد وكانت جزاء له فى اعطائه نفسه حقها فان فى جسده من يطلب ضد الجارية ونحوها فلا بد من اعطاء كل ذى حق حقه (لا تدرى) تعليل لمضمون الشرطية أى فانك أيها المتعدى لا تدرى عاقبة الامر وقال بعضهم لا تدرى نفس (لعل الله) شايد خداى تعالى (يحدث) يوجد فى قلبك فان القلوب بين اصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء والحدوث كون الشئ بعد ان لم يكن عرضا كان ذلك أو جوهرا واحداثه ايجاده (بعد ذلك) الذى فعلت من التعدى (أمرا) يقتضى خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتيسر تلافيه برجعة أو استئناف نكاح فالامر الذى يحدثه الله تعالى أن يقلب قلبه عما فعله بالتعدى الى خلافه فالظلم عبارة عن ضرر دنيوى يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه أو عن مطلق الضرر الشامل للدنيوى والاخروى ويخص التعليل بالدنيوى ليكون احتراز الناس منه أشد واهتمامهم بدفعه أقوى وفى الآية دلالة على كراهة التطليق ثلاثا بمرة واحدة لان احداث الرجعة لا يكون بعد الثلاث ففى الثلاث عون للشيطان وفى تركها ارغام له فان الطلاق من أهم مقاصده كما روى مسلم من حديث جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول ان عرش ابليس على البحر فيبعث سراياه أى جنوده وأعوانه من الشياطين فيفتنون الناس فأعظمهم عنده الاعظم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيأ ثم يجيء أحدهم فيقول ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويقول نعم أنت أى نعم المضل أو الشرير أنت فيكون نعم بكسر النون فعل مدح حذف المخصوص به أو نعم أنت ذلك الذى يستحق الاكرام فيكون بفتح النون حرف ايجاب (فاذا بلغن) پس چون برسد زنان (أجلهن) أى شارفن آخر عدتهن وهى مضى ثلاث حيض ولولم تغتسل من الحيضة الثالثة وذلك لانه لايمكن الرجعة بعد بلوغهن آخر العدة فحمل البلوغ على المشارفة كما قال فى المفردات البلوغ والبلاغ الانتهاء الى أقصى القصد والمبتغى مكانا كان أو زمانا أو أمرا من الامور المقدرة وربما يعبر به عن المشارفة عليه وان لم ينته اليه مثل فاذا بلغن الخ فانه للمشارفة فانها اذا انتهت الى أقصى الاجل لايصح للزوج مراجعتها وامساكها والاجل المدة المضروبة للشئ (فأمسكوهن) أى فانتم بالخيار فان شئتم فراجعوهن والرجعة عند أبى حنيفة تحصل بالقول وكذا بالوطء واللمس والنظر الى الفرج بشهوة فيهما (بمعروف) بحسن معاشرة وانفاق لائق وفى الحديث أكمل المؤمنين أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله (أو فارقوهن) ياجدا شويد از ايشان و بگذاريد (بمعروف) بايفاء الحق واتقاء الضرار بأن يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة (وأشهدوا) گواه كيريد أى عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع اذ قد تنكر المرأة بعد انقضاء العدة رجعته فيها وربما يموت أحدهما بعد الفرقة فيدعى الباقى منهما ثبوت الزوجية لاخذ الميراث وهذا أمر ندب لا وجوب (ذوى عدل) تثنية ذا منصوب بذو بمعنى الصاحب أى أشهدوا اثنين (منكم) أى من المسلمين كما قال الحسن أو من أحراركم كما قاله قتادة يكونان عادلين لاظالمين ولا فاسقين والعدالة هى الاجتناب عن الكبائر كلها وعدم الاصرار على الصغائر وغلبة الحسنات على السيآت والالمام من غير اصرار لايقدح فى العدالة اذ لايوجد من البشر من هو معصوم سوى الانبياء عليهم السلام كذا فى الفروع (وأقيموا الشهادة) أيها الشهود عند الحاجة خالصة (لله) تعالى وذلك أن يقيموها للمشهود له وعليه لالغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم فلو شهد لغرض لالله برئ بها من وبال كتم الشهادة لكن لايثاب عليها لان الاعمال بالنيات والحاصل أن الشهادة امانة فلابد من تأدية الامانة كما قال تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فلو كتمها فقد خان والخيانة من الكبائر دل عليه قوله تعالى ومن يكتمها فانه آثم قلبه (ذلكم) اشارة الى الحث على الشهادة والاقامة أو على جميع مافى الآية من ايقاع الطلاق على وجه السنة واحصاء العدة والكف عن الاخراج والخروج والاشهاد واقامة الشهادة بأدائها على وجهها من غير تبديل وتغيير (يوعظ به) الوعظ زجر يقترن بتخويف (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره ولم يقل ذلكم توعظون به كما فى سورة المجادلة لتهييج المؤمنين على الغيرة فان من لاغيرة له لادين له ومن مقتضى الايمان بالله مراعاة حقوق المعبودية والربوبية وباليوم الآخر الخوف من الحساب والعذاب والرجاء للفضل والثواب فالمؤمن بهما يستحيى من الخالق والخلق فلا يترك العمل بما وعظ به ودلت الآية على أن للانسان يومين اليوم الاول هو يوم الدنيا واليوم الآخر هو يوم الآخرة واليوم عرفا زمان

طلوع الشمس الى غروبها وشرعا زمان طلوع الفجر الثانى الى غروب الشمس وهذان المعنيان ليسا بمرادين هنا وهو ظاهر فيكون المراد مطلق الزمان ليلا كان أو نهارا طويلا كان أو قصيرا وذلك الزمان اما محدود وهو زمان الدنيا المراد باليوم الاول أو غير محدود وهو زمان الآخرة المراد باليوم الآخر الذى لا آخر له لتأخره عن يوم الدنيا وجوزوا أن يكون المراد من اليوم الآخر ما يكون محدودا أيضا من وقت النشور الى أن يستقر الفريقان فى مقرهما من الجنة أو النار وعلى هذا يمكن أن يكونا مستعارين من اليومين المحدودين بالطلوع والغروب اللذين بينهما زمان نوم ورقدة ويرادبهما بين ذينك الزمانين زمان القرار فى القبور قبل النشور كما قال تعالى حكاية من بعثنا من مرقدنا وعلى هذا يقال ليوم الآخرة غد كما مر فى أواخر سورة الحشر قال بعض الكبار علمك باليقظة بعد النوم وعلمك بالبعث بعد الموت والبرزخ واحد غير أن للبرزخ بالجسم تعلقا فى النوم لا يكون بالموت وكما تستيقظ على ما نمت عليه كذلك تبعث على ما مت عليه فهو أمر مستقر فالعاقل يسعى فى اليوم المنقطع ليوم لا ينقطع ويحيا على الايمان والعمل ليكون موته ونشره عليهما (ومن يتق الله) فى طلاق البدعة فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فى الاشهاد وغيره من الامور (يجعل له مخرجا) مصدر ميمى أى خروجا وخلاصا مما عسى يقع فى شان الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب وبالفارسية بيرون شدن وقال بعضهم هو عام أى ومن يتق الله فى كل ما يأتى وما يذر يجعل له خروجا من كل ضيق يشوش البال ويكدر الحال وخلاصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا أوليا وعن النبى عليه السلام أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وفى الجلالين من الشدة الى الرخاء ومن الحرام الى الحلال ومن النار الى الجنة أو اسم مكان بمعنى يخرجه الى مكان يستريح فيه وفى فتح الرحمن يجعل له مخرجا الى الرجعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عمن طلق امرأته ثلاثا أو ألفا هل له من مخرج فقال لم يتق الله لم يجعل له مخرجا بانت منه بثلاث والزيادة اثم فى عنقه ويقال المخرج على وجهين أحدهما أن يخرجه من تلك الشدة والثانى أن يكرمه بالرضا والصبر فانه من قبيل العافية أيضا كما قال عليه السلام واسأل الله العافية من كل بلية فالعافية على وجهين أحدهما أن يسأله أن يعافيه من كل شئ فيه شدة فان الشدة انما يحصل أكثرها من أجل الذنوب فكأنه سأل أن يعافيه من البلاء ويعفو عنه الذنوب التى من أجلها تحل الشدة بالنفس والثانى أنه اذا حل به بلاء أن لا يكله الى نفسه ولا يخذله وأن يكلأه ويرعاه وفى هذه المرتبة يصير البلاء ولاء والمحنة منحة والمشقة والالم لذة والصبر شكرا ولا يتحقق بها الا الكمل (ويرزقه) بعد ذلك الجعل (من حيث لا يحتسب) من ابتدائية متعلقة بيرزقه أى من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه فيوفى المهر ويؤدى الحقوق ويعطى النفقات قال فى عين المعانى من حيث لا يرتقب من الخان أو يعتد من الحساب * ازسببها بكذر وتقوى طلب * تاخدا روزى رساند بى سبب * حق زجايى بخشدت رزق حلال * كه نباشد دركمان ودرخيال * قال عليه السلام انى لاعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وعنه عليه السلام من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث

لا يحتسب وروى أن عوف بن مالك الاشجعي رحمه الله أسر المشركون ابنه سالما فأتى رسول الله فقال أسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال عليه السلام اتق الله وأكثر لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت (وقال الكاشفي) عوف با زن خود بقول حضرت عليه السلام عمل نمود اندك فرصتي را پسر عوف از اهل شرك خلاص يافته وچهار هزار گوسفند ايشانرا رانده بسلامت بمدينه آمد واين آيت نازل شد كه هر كه تقوى ورزد روزي حلال يابد وفي عين المعاني فافلت ابنه بأربعة آلاف شاة وبالامتعة وفي الجلالين وأصاب ابلا لهم وغنما فساقها الى أبيه ورده اند كه در روزگار خلافت عمر رضي الله عنه مردي بيامد واز عمر توليت عمل خواست تا در ديوان خلافت عامل باشد عمر گفت قرآن داني گفت ندانم كه نياموخته ام عمر گفت ما عمل بكسي ندهيم كه قرآن نداند مرد باز گشت وجهدي ورنج عظيم بر خود نهاد در تعلم قرآن بطمع آنكه عمر اورا عمل دهد چون قرآن بياموخت وياد گرفت بركات قرآن وخواندن ودانستن اورا بدان جاي رسانيد كه در دل وي نه حرص ولايت مانده تقاضاي ديدار عمر پس روزي عمر اورا ديد گفت يا هذا هجرتنا اي جوانمرد چه افتاد كه يكبارگي هجرت ما اختيار كردي گفت يا امير المؤمنين تو نه از ان مردان باشي كه كسي روا دارد كه هجرت تو اختيار كند ليكن قرآن بياموختم وچنان توانگر دل گشتم كه از خلق واز عمل بي نياز شدم عمر گفت آن كدام آيتست كه ترا بدين درگاه بي نيازي در كشيد گفت آن آيت كه در سورة الطلاقست ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب واعلم أن كل واحد من الضيق والرزق يكون دنيويا وأخرويا جسمانيا وروحانيا وأن أعسر الضيق ما يكون أخرويا وأوفر الرزق ما يكون روحانيا فمن يتق الله حق التقوى يجعل له مخرجا من مضار الدارين ويرزقه من منافعهما فان قيل ان أتقى الاتقياء هم الانبياء والاولياء مع أن أكثرهم ابتلي بالمشقة الشديدة والفاقة المديدة كما قال عليه السلام أشد الناس بلاء الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل أجيب بان أشد الشدة وأمد المدة ما يكون أخرويا وهم مأمونون من ذلك بلطف الله وكرمه ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأما ما أصابهم في الدنيا باختيارهم للاجر الجليل وبغير اختيار للصبر الجميل فله غاية حميدة ومنفعة عظيمة والله عليم حكيم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال بعضهم شكا اليه عليه السلام بعض الصحابة الفاقة فقال عليه السلام دم على الطهارة يوسع عليك الرزق فقال كم من مستديم للطهارة لا يرتب له كفايته فضلا عن أن يوسع عليه ويوجه بأن تخلف الاثر كالتوسيع مثلا لمانع لا ينافي الاقتضاء أي اقتضاء العلة لمعلولها وأثرها أما عند القائلين بتخصيص العلة فظاهر وأما عند غيرهم فيجعل عدم المانع جزء العلة ومن المانع الغفلة وغلبة بعض الجنايات وعند غلبة أحد الضدين لا يبقى للآخر تأثير * يقول الفقير والذي يقع في قلبي أن أصحاب الطهارة الدائمة مرزوقون بانواع الرزق المعنوي والغذاء الروحاني من العلوم والمعارف والحكم والحقائق والتضييق لبعضهم في الرزق الصوري والغذاء الجسماني انما هو لتطبيق الفقر الظاهر بالباطن والفقر الباطن هو الغنى المطلق لقوله عليه السلام اللهم أغنني بالافتقار اليك فاصحاب الطهارة الدائمة مرزوقون أبدا اما ظاهرا وباطنا معا واما باطنا فقط على أن لاهلها مراتب من حيث

البداية والنهاية ولن ترى من أهل النهاية محروما من الرزق مطلقا الا نادرا والله الغنى * وفى التأويلات النجمية ومن يتق الله أى يجعل ذاته المطلقة جنة ذاته وصفاته وأفعاله تعالى جنة أفعاله باضافة الاشياء كلها خلقا وايجادا الى ذاته وصفاته وأفعاله يجعل له مخرجا من مضايق ذاته وصفاته وأفعاله الى وسائع ذاته وصفاته وأفعاله ويرزقه من حيث لا يحتسب من فيض اسمه الوهاب على طريق الوهب لا على طريق الكسب والاجتهاد (ومن يتوكل على الله) التوكل سكون القلب فى كل موجود ومفقود وقطع القلب عن كل علاقة والتعلق بالله فى جميع الاحوال (فهو) أى الله تعالى (حسبه) بمعنى محسب أى كاف يعنى كافى المتوكل فى جميع أموره ومعطيه حتى يقول حسبى فان قلت اذا كان حكم الله فى الرزق لا يتغير فما معنى التوكل قلت معناه أن المتوكل يكون فارغ القلب ساكن الجاش غير كاره لحكم الله فلهذا كان التوكل محمودا قال عليه السلام لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ومعناه تذهب أول النهار خماصا أى ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطانا أى ممتلئة البطون وليس فى الحديث دلالة على القعود عن الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق وهو قوله تغدو وتروح وانما التوكل بعد الحركة فى أمر المعاش كتوكل الزارع بعد القاء الحب فى الارض وكان السلف يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم فى زمان اذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا فى جماعة جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك (وفى المثنوى) كر توكل ميكنى دركار كن * كشت كن پس تكيه بر جبار كن * رمز الكاسب حبيب الله شنو * از توكل در سبب كاهل مشو * وأما الذين قعدوا عن الحركة والكسب وهم الكمل فطريقتهم صعبة لا يسلكها الا كل ضامر فى الدين ودل الحديث المذكور على أن التوكل الحقيقى أن لا يرجع المتوكل الى رزق معين وغذاء موظف كالطير حتى لا ينتقض التوكل اللهم الا أن يكون من الكمل فان المعين وغيره سواء عندهم لتعلق قلوبهم بالله لا بغيره * وفى التأويلات النجمية ومن يتوكل فى رزق نفسه من الاحكام الشرعية وفى رزق قلبه من الواردات القلبية وفى رزق روحه من العطايا والمنح الالهية الروحانية فالله الاسم الاعظم حسبه من حيث الاسماء الكافية أو التوكل نفسه حسبه فيكون الضمير راجعا الى التوكل (ان الله بالغ أمره) بالاضافة أى منفذ أمره ومتم مراده وممضى قضائه فى خلقه فمن توكل عليه وفمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل عليه يكفر عنه سيا ته ويعظم له أجرا وفى التأويلات النجمية ان الله بالغ أمره فى كل مأمور بما هو منتهاه وأقصاه وقرئ بتنوين بالغ ونصب أمره أى يبلغ ما يريد ولا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب (كما قال الكاشفى) رساننده است كار خود را بهر جا خواهد يعنى آنچه مراد حق سبحانه باشد از وفوت نشود وقرئ بالغ أمره على الفاعلية أى نافذ أمره وفى القاموس أمر الله بلغ أى بالغ نافذ يبلغ أين أريد به (قد جعل الله لكل شئ) من الشدة والرخاء والفقر والغنى والموت والحياة ونحو ذلك (قدرا) أى تقديرا متعلقا بنفس ذاته وبزمانه وموته وبجميع كيفياته وأوصافه وانه بالغ ذلك المقدر على حسب ما قدره وبالفارسية اندازه كه ازان در نكذرد أو مقدارا واحدا معينا أو وقتا وأجلا ونهاية ينتهى اليه لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه ولا يتأتى تغييره يعنى با مقدارى از زمانكه پيش وپس نيفتد وفى التأويلات النجمية أى رتبة وكمالا يليق بذلك

الشئ وقال القاشانى ومن يتوكل على الله بقطع النظر عن الوسايط والانقطاع اليه من الوسائل فهو كافيه يوصل اليه ماقدر له ويسوق اليه ماقسم لاجله من أنصبة الدنيا والآخرة ان الله يبلغ ما أراد من أمره لامانع له ولا عائق فمن تيقن ذلك ماخاف أحدا ولا رجا وفوض أمره اليه ونجا قد عين الله لكل أمر حدا معينا ووقتا معينا فى الازل لايزيد بسعى ساع ولا ينتقص بمنع مانع وتقصير مقصر ولا يتأخر عن وقته ولا يتقدم عليه والمتيقن لهذا الشاهد له متوكل بالحقيقة انتهى وفى المفردات تقدير الله الاشياء على وجهين أحدهما باعطاء القدرة والثانى أن يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة وذلك أن فعل الله ضربان ضرب أوجده بالفعل ومعنى ايجاده بالفعل انه أبدعه كاملا دفعة لايعتريه الكون والفساد الى أن يشاء أن يفنيه أو يبدله كالسموات ومافيها ومنه ماجعل أصوله موجودة بالفعل وأجزاءه بالقوة وقدره على وجه لايتأتى غير ماقدر فيه كتقديره فى النواة أن ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون وتقدير منى الآدمى أن يكون منه الانسان دون سائر الحيوان فتقدير الله على وجهين أحدهما بالحكم منه أن يكون كذا ولا يكون كذا اما على سبيل الوجوب واما على سبيل الامكان وعلى ذلك قوله تعالى قد جعل الله لكل شئ قدرا والثانى باعطاء القدرة عليه انتهى والآية بيان لوجوب التوكل عليه وتفويض الامر اليه لانه اذا علم أن كل شئ من الرزق وغيره لايكون الا بتقدير الله وتوقيته لايبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله (قال الكاشفى) بناء اين آيت بر تقوى وتوكلست تقوى نخجه بوستان قربست واز رشحه تعمت خبر دهد كه ان الله مع الذين اتقوا وتوكل رائحه كلزار كفايتست واز بوى ريحان محبت رسد كه ان الله يحب المتوكلين وبى اين دو صفت قدم در طريق تحقيق نتوان نهاد * سلوك راه معنى را توكل بايد وتقوى * توكل مركب راهست وتقوى توشه رهرو * قال سهل قدس سره لايصح التوكل الا للمتقين ولا تتم التقوى الا بالتوكل ولذلك قرن الله بينهما فقال ومن يتق الله الخ وقال بعضهم من تحقق فى التقوى هون الله على قلبه الاعراض عن الدنيا ويسر له أمره فى الاقبال عليه والتزين بخدمته وجعله اماما للخلق يقتدى به أهل الارادة فيحملهم على أوضح السنن وأوضح المناهج وهو الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله تعالى وذلك منزلة المتقين وقال سهل رحمه الله من يكل أموره الى ربه فان الله يكفيه هم الدارين أجمع قال الربيع رحمه الله ان الله قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن أقرضه جازاه ومن وثق به أنجاه ومن دعاه أتاه وتصديق ذلك فى كتاب الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم أجيب دعوة الداع اذا دعان (واللائى) من الموصولات جمع التى يعنى آن زنان كه (يئسن من المحيض من نسائكم) اللائى دخلتم بهن لكبرهن ويئسهن وقدروه بستين سنة وبخمس وخمسين فلو رأته بعد ذلك لايكون حيضا قوله يئسن فعل ماض واليأس القنوط ضد الرجاء يقال يئس من مراده ييأس يأسا وفى معناه أيس يأيس يأسا وإياسا لا أيسا وفاعلهما آيس لايائس يقال امرأة آيس اذا كان يأسها من الحيض دون آيسة لان التاء انما زيدت فى المؤنث اذا استعملت الكلمة للمذكر أيضا فرقا بينهما واذا لم تستعمل له فأى حاجة الى الزيادة ومن ذلك يقال امرأة حائض وطالق وحامل بلا تاء

اذا كان حملها من الولد وأما اذا كان يأسها وحملها من غير الحيض وحمل الولد يقال آيسة وحاملة
وفي المغرب اليأس انقطاع الرجاء وأما الاياس في مصدر الآيسة من الحيض فهو في الاصل
ائياس على افعال حذفت منه الهمزة التي هي عين الكلمة تخفيفا والمحيض الحيض وهو في اللغة
مصدر حاضت الانثى فهي حائض وحائضة أي خرج الدم من قبلها ويكون للارنب والضبع
والخفاش كما ذكره الجاحظ وفي القاموس حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضا ومحاضا فهي
حائض وحائضة من حوائض وحيض سال دمها والمحيض اسم ومصدر وقيل ومنه الحوض لان
الماء يسيل اليه والحيضة المرة انتهى وفي الشرع دم ينفضه رحم امرأة بالغة لا داء بها ولا اياس
لها أي يجعلها الشارع منقطعة الرجاء عن رؤية الدم ومن الاولى لابتداء الغاية ومتعلقة بالفعل
قبلها والثانية للتبيين ومتعلقة بمحذوف (ان ارتبتم) من الارتياب بالفارسية بشك شدن أي
شككتم وأشكل عليكم حكمهن لانقطاع دمهن بكبر السن وجهلتم كيف عدتهن (فعدتهن
ثلاثة أشهر) فقوله واللائي يئسن الخ مبتدأ خبره فعدتهن وقوله ان ارتبتم اعتراض وجواب
الشرط محذوف أي ان ارتبتم فيها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر كذا قالوا والاشهر جمع شهر وهو مدة
معروفة مشهورة باهلال الهلال أو باعتبار جزء من اثني عشر جزأ من دوران الشمس من نقطة
الى تلك النقطة قال في القاموس الشهر العدد المعروف من الايام لانه يشهر بالقمر (واللائي)
ما آن زنان كه (لم يحضن) أي ما رأين الدم لصغرهن أي فعدتهن أيضا كذلك فحذف ثقة بدلالة
ما قبله عليه والشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها بعذر من الاعذار قبل بلوغها سن
الآيسات فعند أبي حنيفة والشافعي لا تنقضي عدتها حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء
او تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر ووضع السجاوندي الطاء الدالة على الوقف المطلق على
وضعه وقانونه في لم يحضن لانقطاعه عما بعده وكان الظاهر أن يضع الميم الدالة على اللازم لان
المتبادر الاتصال الموهم معنى فاسدا لعله نظرا الى ظهور عدم حبل التي لم تحض لصغرها
(وأولات الاحمال) واحدتها ذات بمعنى صاحبة والاحمال جمع حمل بالفتح بالفارسية بار والمراد
الحبل أي الثقل المحمول في الباطن وهو الولد في البطن والمعنى وذوات الاحمال من النساء
والحبالى منهن (أجلهن) أي منتهى عدتهن (أن يضعن حملهن) سواء كن مطلقات أو متوفى
عنهن ازواجهن فلو وضعت المرأة حملها أي ولدت وحطت ما في بطنها يعني ازبار آورد بعد
طلاق الزوج أو وفاته بلحظة انقضت عدتها وحلت للازواج فكيف بعد ساعة أو يوم أو شهر
وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة
أشهر وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك وقد صح أن سبيعة بنت الحرث الاسلمية ولدت بعد وفاة
زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام فقال قد حللت فتزوجي (ومن يتق الله) في شأن
أحكامه وحقوقه (يجعل له من أمره يسرا) أي يسهل عليه أمره ويوفقه للخير ويعصمه من
المعاصي والشر بسبب التقوى فمن للبيان قدم على المبين للفواصل أو بمعنى في (ذلك) المذكور من
الاحكام وافراد الكاف مع أن الخطاب للجمع كما يفصح عنه ما بعده لما أنها لمجرد الفرق بين
الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين (أمر الله) حكمه الشرعي (انزله) من اللوح
المحفوظ (اليكم) الى جانبكم وقال أبو الليث أنزله في القرآن على نبيكم لتستعدوا والعمل به فاياكم

ومخالفته (ومن يتق الله) بالمحافظة على أحكامه (يكفر عنه سيآته) يسترها بالرضا له عنه بالاتقاء
وبالفارسية بپوشد خداى تعالى ازو بديهاى ويرا وزو بمايد انها حسنات (ويعظم له أجرا) بالمضاعفة
وبالفارسية وبزرك سازد براى او مزد زيادة دهد در آخرت قال بعضهم يعطيه أجرا عظيما أى أجر
كان ولذلك نكر فالتنكير للتعميم المنبئ عن التتميم قال فى برهان القرآن أمر بالتقوى فى أحكام
الطلاق ثلاث مرات ووعد فى كل مرة نوعا من الجزاء فقال أولا يجعل له مخرجا يخرجه مما دخل
فيه وهو يكرهه ويهيئ له محبوبه من حيث لا يأمل وقال فى الثانى يسهل عليه الصعب من
أمره ويفتح له خيرا ممن طلقها والثالث وعد عليه الجزاء بأفضل الجزاء وهو ما يكون فى الآخرة
من النعماء (أسكنوهن من حيث سكنتم) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث
على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل أسكنوهن من حيث سكنتم أى
بعض مكان سكناكم والخطاب للمؤمنين المطلقين (من وجدكم) أى من وسعكم أى مما تطيقونه
يعنى مسكن ايشان بقدر طاقت وتواناى خويش سازيد والوجد القدرة والغنى يقال افتقر فلان
بعد وجده وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له وفى عين المعانى ومن لتبيين الجنس لما
فى حيث من الابهام انتهى واعترض عليه أبو حيان بأنه لم يعهد فى عطف البيان اعادة العامل انما
عهد ذلك فى البدل فالوجه جعله بدلا قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد أسكنها فى بعض جوانبه
قال صاحب اللباب ان كانت الدار التى طلقها فيها ملكه يجب عليه أن يخرج منها ويترك الدار لها
مدة عدتها وان كانت باجارة فعليه الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه أن يكترى لها دارا
تسكنها قال فى كشف الاسرار واما المعتدة من وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار
عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا (ولا تضاروهن) أى ولا تقصدوا عليهن الضرر فى
السكنى بأى وجه كان فان المفاعلة قد لا تكون للمشاركة وبالفارسية ورنج مرسانيد مطلقات را
(لتضيقوا عليهن) فى المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير
ذلك وتلجئوهن الى الخروج وبالفارسية براى آنكه تنك كردانيد برايشان مساكن ايشان
وفيه حث على المروأة والمرحمة ودلالة على رعاية الحق السابق حتى يتيسر لها التدارك فى أمر
المعيشة من تزوج آخر أو غيره (وان كن) أى المطلقات (أولات حمل) ذوات حبل وبالفارسية
خداوند بار يعنى حامله وأولات منصوب بالكسر على قانون جمع المؤنث وتنوين حمل للتعميم
يعنى أى حمل كان قريب الوضع أو بعيده (فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة
وتخلصوا من كلفة الاحصاء ويحل لهن تزوج غيركم أيا شئن فالبائن بالطلاق اذا كانت حاملا لها
النفقة والسكنى بالاتفاق وأما البائن الحائل أى غير الحامل فتستحق النفقة والسكنى عند أبى
حنيفة كالحامل الى أن تنقضى عدتها بالحيض أو بالاشهر خلافا للثلاثة وأما المتوفى عنهن
أزواجهن فلا نفقة لهن من التركة ولا سكنى بل تعتد حيث تشاء وان كن أولات حمل لوقوع
الاجماع على أن من أجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من
ماله بعد موته فكذا المتوفى عنها الحامل وهو قول الاكثرين قال أبو حنيفة تجب النفقة والسكنى
لكل مطلقة سواء كانت مطلقة بثلاث أو واحدة رجعية أو بائنة ما دامت فى العدة أما المطلقة
الرجعية فلانها منكوحة كما كانت وانما يزول النكاح بمضى العدة وكونه فى معرض الزوال بمضى

العدة لا يسقط نفقتها كما لو آلى وعلق طلاقها بمضى شهر فالمطلقة الرجعية لها النفقة والسكنى بالاجماع وأما المبتوتة فعندنا لها النفقة والسكنى مادامت فى العدة لقوله تعالى أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم اذ المعنى أسكنوا المعتدات مكانا من المواضع التى تسكنونها وأنفقوا عليهن فى العدة من سعتكم لما قرأ ابن مسعود رضى الله عنه أسكنوهن من حيث سكنتم وأنفقوا عليهن من وجدكم وعند الشافعى لها السكنى لهذه الآية ولا نفقة لها الا أن تكون حاملا لقوله تعالى وان كن أولات حمل الخ فان قلت فاذا كانت كل مطلقة عندكم يجب لها النفقة فما فائدة الشرط فى قوله وان كن أولات حمل الخ قلت فائدته أن مدة الحمل ربما طالت فظان ظان أن النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحامل فنفى ذلك الوهم كما فى الكشاف (فان أرضعن لكم) الرضاع لغة شرب اللبن من الضرع أو الثدى وشريعة شرب الطفل حقيقة أو حكما اللبن خالصا أو مختلطا غالبا من آدمية فى وقت مخصوص والارضاع شير دادن يعنى هؤلاء المطلقات ان أرضعن لكم ولدا من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية وعلاقة النكاح قال لكم ولم يقل أولادكم لما قال تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة فالاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه أن يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهى مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام عند أبى حنيفة رحمه الله مادامت زوجة معتدة من نكاح (فآتوهن أجورهن) على الارضاع ان طلبن أو يرجون فان حكمهن فى ذلك حكم الاظآر حينئذ قال فى اللباب فان طلقها فلا يجب عليها الارضاع الا أن لا يقبل الولد ثدى غيرها فيلزمها حينئذ فان اختلفا فى الاجرة فان دعت الى أجرة المثل وامتنع الاب الا تبرعا فالام أولى بأجر المثل اذ لا يجد الاب متبرعة وان دعا الاب الى أجر المثل وامتنعت الام لتطلب شططا فالاب أولى به فان أعسر الاب بأجرتها أجبرت على ارضاع ولدها انتهى ان قيل ان الولد للاب فلم لا يتبعه فى الحرية والرقية بل يتبع الام لانها اذا كانت ملكا لغير الاب كان الولد ملكا له وان كان الاب حرا واذا كانت حرة كان الولد حرا وان كان الاب رقيقا أجيب بأن الفقهاء قالوا فى وجهه رجح ماء الام على ماء الاب فى المالكية لان ماءها مستقر فى موضع وماء الاب غير معلوم أفادت هذه المسئلة أن المالكية تغلب الوالدية والتحقيق أن الاحكام شرعية لا عقلية والعلم عند شارعها يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (وائتمروا) أيها الآباء والامهات (بينكم) ميان يكديكر دركار فرزند (بمعروف) أى تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والاجر وهو المسامحة ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه فى وجوب الاشفاق عليه فالائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا أمر بعضهم بعضا بمعنى الافتعال قد يكون بمعنى التفاعل وهذا منه (وان تعاسرتم) يقال تعاسر القوم اذ تعاسروا وتعسروا الامر أى تضايقتم وبالفارسية واكر دشوارى كنيد ومضايقه نمايد اى پدر ومادر در رضاع ومزد دادن يعنى شوهر از اجر ابا كند وزن شير ندهد (فسترضع له) أى للاب كما فى الكشاف وهو الموافق لقوله فان أرضعن لكم أو للصبى والولد كما فى الجلالين وتفسير الكاشفى ونحوهما وفيه أن الظاهر حينئذ أن يقول فسترضعه (أخرى) أى فستوجد ولا تعوز مرضعة أخرى غير الام ترضعه يعنى مزد دايه كيرد براى رضيع خود ومادر را با كراه واجبار

نفرمايد وفيه معاتبة للام على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك
تريد لن تبقى غير مقضية فأنت ملوم قال سعدى المفتى ولا يخلو عن معاتبة الاب أيضا حيث أسقط
فى الجواب عن حيز شرف الخطاب مع الاشارة الى أنه ان ضويقت الام فى الاجر فامتنعت من
الارضاع لذلك فلا بد من ارضاع امرأة أخرى وهى أيضا تطلب الاجر فى الاغلب الا كثر والام
أشفق وأحن فهى به أولى وبما ذكرنا يظهر كمال الارتباط بين الشرط والجزاء (لينفق) لام
الامر (ذو سعة) خداوند فراخى وتوانكرى (من سعته) از غناى خود يعنى بقدر توانائى
خويش بر مطلقه ومرضعه نفقه كنيد ومن متعلقة بقوله لينفق (ومن قدر عليه رزقه) أى ضيق
وكان بمقدار القوت وبالفارسية وهركه تنك كرده شده است برو روزى او يعنى فقير
وتنكدست ومن هذا المعنى اشتق الاقدر أى القصير العنق وفرس أقدر يضع حافر رجله
موضع حافر يده وقوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره أى ما يليق بحاله مقدرا عليه
(فلينفق مما آتاه الله) وان قل أى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه ويطيقه
(لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) من المال جل أو قل فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها
وبالفارسية وتكليف نفرمايد خداى تعالى هيچ تنى را مكر آنچه بدو عطا كرده است از مال يعنى
تكليف ما لا يطاق نفرمايد وقد أكد ذلك بالوعد حيث قال (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أى
عاجلا أو آجلا اذ ليس فى السين دلالة على تعين زمان وكل آت قريب ولو كان الآخرة وبالفارسية
زود باشد كه بديد آرد خداى تعالى بعد از دشوارى وتنكدستى آسانى وتوانكرى فلينتظر المعسر
اليسر وفرج الله فان الانتظار عبادة وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له فى بذل مجهوده ووعد
لفقراء الازواج لا لفقراء ذلك الوقت عموما كما جوزه الزمخشرى حيث قال موعد لفقراء ذلك
الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الازواج ان أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا
* يقول الفقير لا بعد فى ذلك من حيث ان القرآن ليس بمحصور ولا التفات فى مثل هذا المقام الى
سوق الكلام قال البقلى سيجعل الله بعد ضيق الصدر من الاهتمام بالرزق وانفاقه سعة الصدر
ويسر السخاء والطمأنينة والرضا بالله وأيضا سيجعل الله بعد عسر الحجاب للمشتاقين يسر كشف
النقاب * وفى التأويلات النجمية يعنى كل ذى سعة مأمور بانفاق ما يقدر على انفاقه فالحق
المنفق عليه من جانب الحق ينفق على الروح من سعته والروح ينفق على السر من سعته والسر
ينفق على القلب من سعته والقلب ينفق على النفس من سعته والنفس ينفق على الصدر من
سعته والصدر ينفق على الجسم من سعته ومن قدر عليه رزقه من الفيوض الالهية فلينفق مما
آتاه الله بحسب استعداده لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فى استعدادها الازلى وقابليتها الغيبية
سيجعل الله بعد عسر انقطاع الفيض يسر اتصال الفيض (وكأين من قرية) يعنى كم الخبرية فى
كونها للتكثير والقرية اسم للموضع الذى يجتمع فيه الناس والمعنى وكثير من أهل قرية
وبالفارسية وبسيار از اهل ديهى وشهرى فهو من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثم
وصفه بصفته أو من المجاز العقلى والاسناد الى المكان وهذه الآية تحذير للناس عن المخالفة
فى الاحكام المذكورة وتأكيد لايجابها عليهم (عتت عن أمر ربها ورسله) قال فى المفردات العتو
النبو عن الطاعة وفى القاموس عتا عتوا وعتيا استكبر وجاوز الحد فهو عات وعتى انتهى

والعتو لا يتعدى بعن وانما عدى بها لتضمينه معنى الاعراض كأنه قيل أعرضت عن أمر ربها وأمر رسل ربها بسبب التجاوز عن الحد فى التكبر والعناد وفى ايراد صفة الرب توبيخ لهم وتجهيل لما أن عصيان العبيد لربهم ومولاهم طغيان وجهل بشأن سيدهم ومالكهم وبتربية أنفسهم ودوام احتياجهم اليه فى التربية قوله وكاين مبتدأ ومن قرية بيان له وعتت خبر المبتدأ (فحاسبناها حسابا شديدا) أى ناقشناها فى الحساب وضيقنا وشددنا عليها فى الدنيا وأخذناها بدقائق ذنوبها وجرائمها من غير عفو بنحو القحط والجوع والامراض والاوجاع والسيف وتسلط الاعداء عليها وغير ذلك من البلايا مقدما معجلا على استئصالها وذوقها العذاب الاكبر لترجع الى الله تعالى لان البلاء كالسوط للسوق فلم تفعل ولم ترفع رأسا فابتلاها الله بما فوق ذلك كما قال (وعذبناها عذابا نكرا) أى منكرا عظيما هائلا مستنفرا عنه بالطبع لشدته وايلامه أو غير متوقع فانهم كانوا لا يترقبونه ولو قيل لهم لما يصدقونه والقهر الغير المتوقع أشد ألما والالطف الغير المتوقع أتم لذة وبالفارسية وعذاب كرديم ايشانرا عذابى جنانكه نديده بودند ونشناخته وهو العذاب العاجل بالاستئصال بنحو الاغراق والاحراق والريح والصيحة فالنكر الامر الصعب الذى لا يعرف والانكار ضد العرفان * يقول الفقير أضاف الله المحاسبة والتعذيب الى نفسه مع أن سببهما كان العتو عن أمره وأمر رسله لان الرسل كانوا فانين فى الله فاتخذوا الله وكيلا فى جميع أمورهم وتركوا التصرف والتعرض للقهر ونحوه وذلك أنهم قد بعثوا بعد رسوخهم ولهذا صبروا على تكذيب أممهم لهم ولو بعثوا قبل الرسوخ ربما بطشوا بمن كذبهم وأهلكوه وقس عليهم أحوال الكمل من الاولياء (فذاقت) بس بجشيدند اهل آن ديه (وبال أمرها) أى ضرر كفرها وثقل عقوبة معاصيها أى احست احساس الذائق المطعوم (وكان عاقبة أمرها خسرا) هائلا لا خسر وراءه يعنى زيانكارى وكدام ازان بدتركه از حيات ومنافع آن محروم شدند وبعقوبات مبتلى كشتند فتجارتهم خسارة لا ربح فيها لتضييعهم بضاعة العمر والفراغ بصرفهما فى المخالفات قال فى المفردات الخسر والخسران انتقاص رأس المال الى الانسان فيقال خسر فلان والى الفعل فيقال خسرت تجارته ويستعمل ذلك فى الخارجية كالمال والجاه فى الدنيا وهو الاكثر وفى النفسية كالصحة والسلامة والعقل والثواب وفى الآية اشارة الى أهل قرية الوجود الانسانى وهو النفس والهوى وسائر فانها أعرضت عن حكم الروح فلم تدخل فى حكم الشريعة وكذا عن متابعة امر القلب والخفى فعذبت بعذاب الحجاب واستهلكت فى بحر الدنيا وشهواتها ولذاتها وكان عاقبة خسران الضلالة ونيران الجهالة (أعد الله لهم) مع ذلك فى الآخرة ولام لهم لام التخصيص لا لام النفع كما فى قولهم دعا له فى مقابلة دعا عليه (عذابا شديدا) أى قدره فى علمه على حكمته أو هيأ أسبابه فى جهنم بحيث لا يوصف كنهه فهم أهل الحساب والعذاب فى الآخرة لا فى الدنيا فقط فان ما أصابهم فى الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم لعدم رجوعهم فعذبوا بعذاب الآخرة أيضا وهذا المعنى من قوله فحاسبناها الى هنا هو اللائق بالنظم هكذا ألهمت به حين المطالعة ثم وجدت فى تفسير الكواشى وكشف الاسرار والاسئلة المقحمة ما يدل على ذلك والحمد لله تعالى فلا حاجة الى ان يقال أن فيه تقديما

وان المعنى انا عذبناها عذابا شديدا فى الدنيا وحاسبناها حسابا شديدا فى الآخرة على أن لفظ الماضى للتحقيق كما كثر فى الفاظ القيامة فان فيه وفى نحوه تكلفا بناء على ما ارتكبه من بعد من اجلاء المفسرين ودل قوله فى الاثر حاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا على أن المحاسبة عامة لما فى الدارين وان المراد بها فى بعض المواضع هو التضييق والتشديد مطلقا (فاتقوا الله يا أولى الالباب) أى اعتبروا بحال الامم الماضين من المنكرين المعاندين وما نزل بهم من العذاب والوبال فاتقوا الله فى أوامره ونواهيه ان خلصت عقولكم من شوب الوهم فان اللب هو العقل الخالص من شوائب الوهم وذلك بخلوص القلب من شوائب صفات النفس والرجوع الى الفطرة الاولى واذا خلص العقل من الوهم والقلب من النفس كان الايمان يقينيا فلذلك وصفهم بقوله (الذين آمنوا) أى الايمان التحقيقى اليقينى العيانى الشهودى وفيه اشارة الى أن منشأ التقوى هو الخلوص المذكور ولا ينافى ذلك زيادة الخلوص بالتقوى فكم من شئ يكون سببا لاصل شئ آخر ويكون سببا فى زيادته وقوته على ذلك الآخر وبكمال التقوى يحصل الخروج من قشر الوجود المجازى والدخول فى لب الوجود الحقيقى والاتصاف بالايمان العيانى قال بعضهم الذين آمنوا احتنا وصدقا ويجوز أن يكون صفة كاشفة لا مقيدة فانه لا يليق أن يعد غير المؤمنين من أولى الالباب اللهم الا أن يراد باللب العقل العارى عن الضعف بأى وجه كان من البلادة والبله والجنون وغيرها فتخصيص الامر بالتقوى بالمؤمنين من بينهم لانهم المنتفعون انتهى والظاهر أن قوله الذين آمنوا مبتدأ خبره قوله تعالى (قد أنزل الله اليكم) والخطاب من قبيل الالتفات (ذكرا) هو النبى عليه السلام كما بينه بان أبدل منه قوله (رسولا) وعبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح أى للتجوز فيه عليه السلام بالذكر أولانه مسبب عن انزال الوحى اليه يعنى أن رسول الله شبه بالذكر الذى هو القرآن لشدة ملابسته به فأطلق عليه اسم المشبه به استعارة تصريحية وقرن به ما يلائم المستعار منه وهو الانزال ترشيحا لها أو مجازا مرسلا من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب فان انزال الوحى اليه عليه السلام سبب لارساله وقال بعضهم ان التقدير قد أنزل الله اليكم ذكرا يعنى القرآن وأرسل اليكم رسولا يعنى محمدا عليه السلام لكن الايجاز اقتضى اقتصار الفعل الناصب للرسول وقد دل عليه القرينة وهو قوله أنزل نظيره قوله علفتها تبنا وماء باردا أى وسقيتها ماء باردا فيكون الوقف على ذكرا تاما بخلافه اذا كان بدلا وقال القاشانى قد انزل الله اليكم ذكرا اى فرقانا مشتملا على ذكر الذات والصفات والاسماء والافعال والمعاد رسولا اى روح القدس الذى أنزله به فأبدل منه بدل الاشتمال لان انزال الذكر هو انزاله بالاتصال بالروح النبوى والقاء المعانى فى القلب (يتلو) يقرأ أو يعرض (عليكم) يا اولى الالباب أو يا أيها المؤمنون (آيات الله) أى القرآن (مبينات) اى حال كون تلك الآيات مبينات ومظهرات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام اومبينات بالفتح يعنى واضحات لاخفاء فى معانيها عند الاهالى اولا مرية فى اعجازها عند البلغاء المنصفين وانما يتلوها أو انزله (ليخرج) الرسول ويخلص او الله تعالى قال بعضهم اللام متعلقة بانزل لا بقوله يتلو لان يتلو مذكور على سبيل التبعية دون انزل (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله والا فاخراج الموصوفين

بالايمان من الكفر لايمكن اذلا كفرفيهم حتى يخرجوا منه اى ليحصل لهم الرسول ماهم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح باخراجهم عما كانوا عليه أو ليخرج الله من علم أوقدر انه سيؤمن ولم يقل ليخرجكم اظهارا لشرف الايمان والعمل الصالح وبيانا للسبب الاخراج وحثا على التحقق بهما (من الظلمات الى النور) أى من الضلالة الى الهدى ومن الباطل الى الحق ومن الجهل الى العلم ومن الكفر الى الايمان ومن الشبهات الى الدلالات والبراهين ومن الغفلة الى اليقظة ومن الانس بغير الله الى الانس بالله على طبقاتهم ودرجاتهم فى السعى والاجتهاد بعناية الله تعالى * وفى التأويلات النجمية ليخرج الذين آمنوا بالايمان العلمى وعملوا الصالحات بمقتضى العلم الظاهر لابمقتضى الحال من ظلمات التقييد بالاعمال والاحوال الى نور الاطلاق برؤية فاعلية الحق فى الاشياء انتهى * يقول الفقير انما جمع الظلمات لتراكمها وتكاثفها ولكثرة أسبابها وأنواعها ولذا قال تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر أى شدائدهما فانها كالظلمات وكذا الاعمال السيئة ظلمات يوم القيامة كما ورد فى حق الظلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) خالصا من الرياء والتصنع والغرض وهو استئناف لبيان شرف الايمان والعمل الصالح ونهاية أمر من اتصف بهما تنشيطا وترغيبا للغير أهلهما لهما قال بعض الكبار لو كان الايمان بذاته يعطى مكارم الاخلاق لم يقل للمؤمن افعل كذا واترك كذا وقد توجد مكارم الاخلاق بدونه وللايمان وللمكارم آثار ترجع على أصحابها فى أى دار كان كما ورد فى حق أبى طالب فانه قال العباس رضى الله عنه يارسول الله ان أباطالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم ولولا أنا كان فى الدرك الاسفل من النار وكما رؤى أبولهب فى المنام وهو يمص ماء من ابهامه ليلة الاثنين لعتقه بعض جواريه حين بشرته بولادة رسول الله عليه السلام وكما قيل انه عليه السلام لما عرج به اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لاتمسه النار فقال عليه السلام مابال هذا الرجل فى هذه الحظيرة لاتمسه النار فقال جبريل عليه السلام هذا حاتم طى صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده كما فى أنيس الوحدة وجليس الخلوة فاذا كانت المكارم بهذه المرتبة بلا ايمان فكيف مع ايمان وعطف العمل الصالح من الصلاة والزكاة وغيرهما على الايمان الذى هو تصديق القلب عند المحققين والتصديق مع الاقرار عند البعض يفيد المغايرة على ماهو المذهب الاصح وهو كاف فى دخول الجنة بوعد الله وكرمه فى القول الحق المثبت بالادلة القوية فذكر العمل الصالح بعده للاهتمام والحث عليه اخبارا بأن أهله يدخلون ابتداء بلا حساب أو بحساب يسير (يدخله جنات تجرى من تحتها) أى من تحت قصورها أو أشجارها (الانهار) الاربعة المذكورة فى سورة محمد عليه السلام (خالدين فيها) مقيمين فى تلك الجنات دائمين فيها وهو حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها (ابدا) ظرف زمان بمعنى دائما غير منقطع فيكون تأكيدا للخلود لئلا يتوهم أن المراد به المكث الطويل المنقطع آخرا (قد أحسن الله له رزقا) حال أخرى منه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب لان الجملة الخبرية اذا لم يحصل منها فائدة الخبر ولالازمها تحمل على التعجب اذا اقتضاه المقام كأنه قيل ما أحسن رزقهم الذى رزقهم الله وما أعظمه فرزقا ظاهره المفعولية لأحسن والتنوين للتعظيم لاعداده تعالى فيها ماهو خارج

ن الوصف أو للتكثير عدد الماقبه مما تشتهيه الانفس من الرزق والانفس أومدد الان أكلها
ئم لا ينقطع ولا بعد فى أن يكون له عنى اليه ويكون رزقا تمييزا بمعنى قد هيأ له وأعد ما يحسن
ـه به من جهة الرزق قال بعض الكبار الجزاء على الاعمال فى حق العارفين من عين المنة فهو
اء العمل لا جزاء العامل فافهم قال فى الاسئلة المقحمة الظاهر أن الرزق الحسن مال فى قدر
لكفاية بلا زيادة تطغى ولا حاجة تنسى يقول الفقير هذا التفسير ليس فى محله لان المراد رزق
آخرة كما دل عليه ما قبل الآية لا رزق الدنيا * وفى التأويلات النجمية ومن يؤمن بالله ايمانا
قيقيا عينيا ويعمل عملا صالحا منزها عن رؤيته مقدسا عن نسبته الى العامل المجازى يدخله
نات المكاشفات والمشاهدات والمعاينات والمحاضرات من غير الفترة الحجابية قد أحسن
له رزقا فرزق الروح بالتفريد ورزق القلب بالتجريد ورزق السر بالتوحيد ورزق الخفى
لفناء والبقاء (الله الذى) الخ مبتدأ وخبر أى الملك القادر الذى (خلق سبع سموات) بيافريد
ت آسمان بعضى بالاى بعض * ذكرها للتعظيم المفيد لكمال قدرة صانعها أو لكفايته فى
قصود من اثبات قدرته الكاملة على وفق حكمته الشاملة وذلك يحصل باخبار خالقه تعالى
ع سموات من غير نظر الى التعيين (ومن الارض) أى وخلق من الارض (مثلهن) أى مثل
سموات السبع فى العدد والطباق وبالفارسية وبيافريد از زمين مانند آسمانها بعضى در
ت بعض فقوله مثلهن منصوب بفعل مضمر بعد الواو ودل عليه الناصب لسبع سموات وليس
عطوف على سبع سموات لانه يستلزم الفصل بين حرف العطف وهو حرف واحد وبين
معطوف بالجار والمجرور وصرح سيبويه وأبو على بكراهيته فى غير موضع الضرورة واختلف
ى كيفية طبقات الارض فالجمهور على أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض
أرض مسافة كما بين السماء والارض وفى كل أرض سكان من خلق الله وقال الضحاك مطبقة
ضها فوق بعض من غير فتوق وفرجة أى سواء كان بالبحار أو بغيرها بخلاف السموات قال
قرطبى والاول الاصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخارى وغيره من أن كعبا حلف بالذى
لق البحر لموسى أن صهيبا حدثه ان النبى عليه السلام لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها
للهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما
ضللن ورب الرياح وما أذرين نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها وخير من فيها ونعوذ بك
ن شرها وشر أهلها وشر من فيها (وروى) شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن الحسن عن أبى
ريرة رضى الله عنه قال بينما النبى عليه السلام جالس اذ أتى عليهم سحاب فقال هل تدرون
هذا العنان قالوا الله ورسوله أعلم قال هذه زوايا الارض يسوقها الله الى قوم لا يشكرونه ولا
عونه ثم قال هل تدرون ما الذى فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ
بحر مكفوف ثم قال هل تدرون ما بينكم وبينها قالوا الله ورسوله أعلم قال فوقها العرش وبينه
بين السماء كبعد ما بين سماءين أو كما قال ثم قال هل تدرون ما تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم
ال الارض وتحتها أرض أخرى بينهما خمسمائة عام ثم قال والذى نفس محمد بيده لو أنكم أدليتم
بحبل لهبطتم على الله ثم قرأ عليه السلام هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم
كما فى خريدة العجائب وفى المقاصد الحسنة لو أنكم دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على

الله فسره بعض أهل العلم فقال انما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه
فى كل مكان وهو على العرش كما وصف فى كتابه انتهى * قال شيخنا معناه أن علم الله شمل جميع
الاقطار فالتقدير لهبط على علم الله والله تعالى منزه عن الحلول فى الاماكن فالله سبحانه كان قبل
أن يحدث الاماكن انتهى كلام المقاصد الحسنة قال بعض العارفين فيه اشارة الى أنه ما من
جوهر فى العالم العلوى والسفلى الا وهو مرتبط بالحق ارتباط الرب بالمربوب * وفى الحديث اجتمع
أملاك عند الكعبة واحد نازل من السماء وواحد صاعد من الارض السفلى وثالث من
ناحية المشرق ورابع من ناحية المغرب فسأل كل واحد صاحبه من أين جئت فكلهم قالوا من
عند الله ثم نرجع ونقول فالارض بعضها فوق بعض وغلظ كل أرض مسيرة خمسمائة عام وكذا
ما بينهما على ما دل عليه حديث أبى هريرة وفى الحديث من أخذ من الارض شبرا بغير حق
خسف به يوم القيامة الى سبع أرضين قال ابن الملك وفيه اشعار بأن الارض فى الآخرة أيضا سبع
طباق وفى الكواشى قيل ما فى القرآن آية تدل على أن الارضين سبع الا هذه الآية وان ما بين كل
سماءين مسيرة خمسمائة عام وكذا غلظ كل سماء والارضون مثل السموات فكما أن فى كل سماء
نوعا من الملائكة يسبحون الله ويقدسونه ويحمدونه فكذا لكل أرض أهل على صفة وهيئة عجيبة
ولكل أرض اسم خاص كما أن لكل سماء اسما خاصا وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن نافع
ابن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق اما ملائكة أو جن وعن عطاء بن
يسار فى هذه الآية فى كل أرض آدم كآدمكم ونوح مثل نوحكم وابراهيم مثل ابراهيمكم وعيسى
كعيسى كم قالوا معناه ان فى كل أرض خلقا لله لهم سادة يقومون عليهم مقام آدم ونوح
وابراهيم وعيسى فينا قال السخاوى فى المقاصد الحسنة حديث الارضون سبع فى كل أرض
من الخلق مثل ما فى هذه حتى آدم كآدمكم وابراهيم كابراهيمكم هو مجهول ان صح نقله عن ابن
عباس رضى الله عنهما على أنه أخذه عن الاسرائيليات أى أقاويل بنى اسرائيل مما ذكر فى
التوراة أو أخذه من علمائهم ومشايخهم كما فى شرح النخبة وذلك وأمثاله اذا لم يخبر به ويصح
سنده الى معصوم فهو مردود على قائله انتهى كلام المقاصد مع تفسير الاسرائيليات وقال
فى انسان العيون قد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ومن الارض مثلهن قال
سبع أرضين فى كل أرض نبى كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى
كعيسى كم رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد وقال البيهقى اسناده صحيح لكنه شاذ
بالمرة أى لانه لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يكون فيه مع صحة اسناده ما يمنع صحته فهو
ضعيف قال الجلال السيوطى ويمكن أن يؤول على أن المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن
عن أنبياء البشر ولا يبعد أن يسمى كل منهم باسم النبى الذى يبلغ عنه هذا كلامه وحينئذ كان
لنبينا عليه السلام رسول من الجن اسمه كاسمه ولعل المراد اسمه المشهور وهو محمد فليتأمل انتهى
ما فى انسان العيون ونظير هذا المقام قول حضرة الشيخ الشهير بافتاده خطابا لحضرة محمود
الهدائى قدس سرهما الآن عوالم كثيرة يتكلم فيها محمود وافتاده كثير قال فى خريدة العجائب
وليس هذا القول أى خبر فى كل أرض آدم الخ بأعجب من قول الفلاسفة ان الشموس شموس
كثيرة والاقمار أقمار كثيرة ففى كل اقليم شمس وقمر ونجوم وقالت القدماء الارض سبع على

المجاورة والملاصقة وافتراق الاقاليم لا على المطابقة والمكابسة وأهل النظر من المسلمين يميلون الى هذا القول ومنهم من يرى أن الارض سبع على الانخفاض والارتفاع كدرج المراقى (وحكى) الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها سبع أرضين متفرقة بالبحار يعنى الحائل بين كل أرض وأرض بحار لا يمكن قطعها ولا الوصول الى الارض الاخرى ولا تصل الدعوة اليهم وتظل الجميع السماء قال الماوردى وعلى هذا أى وعلى أنها سبع أرضين وفى كل أرض سكان من خلق الله تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفى مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها وهذا قول من جعل الارض مبسوطة والثانى أنهم لا يشاهدون السماء وأن الله خلق لهم ضياء يشاهدونه وهذا قول من جعل الارض كرة قال سعدى المفتى وقد تؤول الآية تارة بالاقاليم السبعة أى فتكون الدعوة شاملة لجميعها وتارة بطبقات العناصر القوابل بالنسبة الى الاثيريات فهى أرضها التى ينزل عليها منها الصور الكائنة وهى النار الصرفة والطبقة الممتزجة من النار والهواء المسماة كرة الاثير التى فيها الشهب وذوات الاذناب وغيرها وطبقة الزمهرير وطبقة النسيم وطبقة الصعيد والماء المشحونة بالنسيم الشاملة للطبقة الطينية التى هى السادسة وطبقة الارض الصرفة عند المركز وان حملناها على مراتب الغيوب السبعة المذكورة من غيب القوى والنفس والعقل والسر والروح والخفى وغيب الغيوب أى عين جمع الذات فالارضون هى الاعضاء السبعة المشهورة * وفى التأويلات النجمية هى طبقات القلوب من الصدر والقلب والفؤاد والروع والشغاف والمهجة والروح وأراضى النفوس وهى النفس الامارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والنفس المعدنية والنباتية والحيوانية (يتنزل الامر) أى أمر الله واللام عوض عن المضاف اليه (بينهن) أى بين السموات السبع والارضين السبع والظاهر أن الجملة استئنافية للاخبار عن شمول جريان حكمه ونفوذ أمره فى العلويات والسفليات كلها فالامر عند الاكثرين القضاء والقدر بمعنى يجرى قضاؤه وينفذ حكمه بين السماء السابعة التى هى أعلى السموات وبين الارض السابعة التى هى أسفل الارضين ولا يقتضى ذلك أن لا يجرى فى العرش والكرسى لان المقام اقتضى ذكر ما ذكره والتخصيص بالذكر لا يقتضى التخصيص بالحكم كذا قالوا يقول الفقير تحقيق هذا المقام يستدعى تمهيد مقدمة وهى أنه استوى الامر الارادى الايجادى على العرش كما استوى الامر التكليفى الارشادى على الشرع الذى هو قلوب العرش والتجليات الايجادية الامرية المتنزلة بين السموات السبع والارضين السبع موقوفة على استواء أمر تمام حصول الاركان الاربعة على العرش وتلك الامور الاربعة هى الحركة المعنوية الاسمائية والحركة النورية الروحانية والحركة الطبيعية المثالية والحركة الصورية الحسية وهى حركة العرش فالعرش مستوى أمره الايجادى لا مستوى نفسه تعالى عن ذلك ومنه يتنزل الامر الالهى بينهن وهى التجليات الالهية الدنيوية والبرزخية والحشرية والنيرانية والجنانية وكلها تجليات وجودية أشير اليها بقوله تعالى كل يوم هو فى شان وبقوله يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما

يعرج فيها وأما التجليات الشهودية فما كانت وتكون فى الدنيا والآخرة لقلوب أهل الكمال وأرواحهم وأسرارهم من الانبياء العظام والاولياء الكرام فمعنى الآية يتنزل أمر الله بالايجاد والتكوين وترتيب النظام والتكميل بين كل سماء وأرض من جانب العرش العظيم أبدا دائما لان الله تعالى لم يزل ولا يزال خالقا فى الدنيا والآخرة فيفنى ويعدم عوالم ويوجد ويظهر عوالم أخرى لا نهاية لشؤنه فهو كل يوم وآن فى أمر وشان بحسب مقتضيات استعدادات أهل العصر وموجبات قابليات أصحاب الزمان (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير) متعلق بخلق أو يتنزل أو بعمايعمهما أى فعل ذلك لتعلموا أن من قدر على ما ذكر قادر على كل شئ ومنه البعث والحساب والجزاء فتطيعوا أمره وتقبلوا حكمه وتستعدوا لكسب السعادة والخلاص من الشقاوة واللام لام المصلحة والحكمة لان فعله تعالى خال عن العبث (روى) عن الامام الاعظم أنه قال ان هذه الآية من أخوف الآيات فى القرآن لا لام الغرض فانه تعالى منزه عن الغرض اذ هو لمن له الاحتياج والله غنى عن العالمين (وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) كما أحاط به قدرة لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك والاحاطة العلم البالغ وبالفارسية وبدرستى كه فرا رسيده است بهمه چيزاز روى علم يعنى علم قدرت او محيطست بهمه اشيا از موجودات علوى وسفلى هيچ چيز از دائره علم وقدرت أو خارج نيست * رمز يست زسر قدرتش كن فيكون * باد انش أو يكيست بيرون ودرون * در غيب وشهاده ذرة نتوان يافت * از دائره قدرت وعلمش بيرون * ويجوز أن يكون العامل فى اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر أى أوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التى تشاهدونها والتى تتلقونها من الوحى من عجائب المصنوعات أنه لا يخرج عن علمه وقدرته شئ ما أصلا وقوله علما نصب على التمييز أى أحاط علمه بكل شئ كما فى عين المعانى أو على المصدر المؤكد لان المعنى وأن الله قد علم كل شئ علما كما فى فتح الرحمن قال البقلى قدس سره لو كان للانسان قدرة المعرفة كالارواح لم يخاطبه بالعلل والاستدلال ليعلم برؤية الاشياء وجود الحق وكان كالارواح فى الخطاب بلا علة فى تعريف نفسه اياها بقوله ألست بربكم اذ هناك خطاب وشهود وتعريف بغير علة فلما علم عجزه وهو فى عالم الجسم عن حمل واردات الخطاب الصرف أحاله الى الشواهد بقوله خلق سبع سموات الخ وليس بعارف فى الحقيقة من عرفه بشئ من الاشياء أو بسبب من الاسباب فمن نظر الى خلق الكون يعرف أنه ذو قدرة واسعة وذو احاطة شاملة ويخاف من قهره ويذوب قلبه بعلمه فى رؤية اطلاع الحق عليه قال الشيخ نجم الدين فى تأويلاته وفى هذه الآية الكريمة غوامض من أسرار القرآن مكنونة ويدل عليه قول ابن عباس رضى الله عنهما للسائل عن هذه الآية وقال لو فسرتها لقطعوا حلقومى ورجمونى والمعنى الذى أشار اليه رضى الله عنه مما لا يعبر عنه ولا يشار اليه ولكن يذاق

تمت سورة الطلاق بعون الله الملك الخلاق فى خامس عشر جمادى الاولى من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف

(سورة التحريم ثنتا عشرة آية مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) أصل لم لما والاستفهام لانكار التحريم وهو بالفارسية حرام كردن كما ان الاحلال حلال كردن روى أن النبي عليه السلام خلا بسريته مارية القبطية التى أهداها اليه المقوقس ملك مصر فى يوم عائشة رضى الله عنها ونوبتها وعلمت بذلك حفصة رضى الله عنها فقال لها اكتمى على ولا تعلمى عائشة فقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما يملكان بعدى أمر أمتى فأخبرت به عائشة رضى الله عنها ولم تكتم وكانتا متصادقتين متظاهرتين على سائر أزواج النبى عليه السلام قال السهيلى رحمه الله أمرها أن لا تخبر عائشة ولا سائر أزواجه بما رأت وكانت رأته فى بيت مارية بنت شمعون القبطية أم ولده ابراهيم المتوفى فى الثدى وهو ابن ثمانية عشر شهرا لخشى أن يلحقهن بذلك غيرة وأسر الحديث الى حفصة فأفشته وقيل خلا بها فى يوم حفصة كما قال بعض أهل التفسير كان رسول الله عليه السلام يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه استأذنت رسول الله فى زيارة أبيها فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله الى أم ولده مارية القبطية (قال فى كشف الاسرار) در بيرون مدينه درنخلستان درسرايى مقام داشت كه زنان رسول نمى خواستند كه درمدينه با ايشان نشيند وكاه كاه رسول خدا از بهر طهارت بيرون شدى واورا ديدى انتهى فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى فقال ما يبكيك فقالت انما أذنت لى من أجل هذا أدخلت أمتك بيتى ثم وقعت عليها فى يومى على فراشى فلو رأيت لى حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله أليس هى جاريتى أحلها الله لى اسكتى فهى حرام على ألتمس بذلك رضاك فلا تخبرى بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله قرعت حفصة الجدار الذى بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك ان رسول الله قد حرم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأت فلم تكتم فطلقها رسول الله بطريق الجزاء على افشاء سره واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة فى بيت مارية قال أبو الليث أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حتى نزلت الآية ودخل عمر رضى الله عنه على بنته حفصة وهى تبكى فقال أطلقكن رسول الله فقالت لا أدرى هو ذا معتزلا فى هذه المشربة وهى بفتح الراء وضمها الغرفة والعلية كما فى القاموس (وروى) أنه قال لها لو كان فى آل الخطاب خير لما طلقك قال عمر فأتيته عليه السلام فدخلت وسلمت عليه فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر فى جنبه فقلت أطلقت نساءك يا رسول الله فقال لا فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم وطفقن نساؤنا يتعلمن من نسائهم فتبسم رسول الله وقال عمر للنبى عليه السلام لا تكترث بأمر نسائك والله معك وأبو بكر معك وأنا معك فنزلت الآية موافقة لقول عمر قالت عائشة رضى الله عنها لما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على رسول الله فقلت يا رسول الله انك أقسمت أن لا تدخل علينا وانك قد دخلت فى تسع وعشرين أعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر كذلك ونزل جبريل فقال لرسول الله عن أمر الله راجع حفصة فانها صوامة قوامة وانها من نسائك فى الجنة وكان تحته عليه السلام يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبى سفيان وأم

سلمة بنت أمية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرة بنت الحرث المصطلقية ونقلست كه حضرت پيغمبر صلى الله عليه وسلم عسل وشربت وهرچيز كه حلوا باشد دوست داشتى وقتى زينب رضى الله عنها مقدارى عسل داشت كه بعضى از خويشان وى در مكه بطريق هديه فرستاده بود هر گاه آن حضرت عليه السلام بخانهٔ وى آمدى زينب شربت فرمودى وآن حضرت را در خانهٔ وى بسبب آن توقف بيشتر واقع شدى آن حال بر بعضى أزواج طاهرات گران آمد عائشة وحفصه اتفاق نمودند كه چون آن حضرت بعد از آشاميدن شربت عسل در خانهٔ وى نزد هر كدام از ما در آيند گوييم از تو بوى مغافير ميشنويم ومغفور بالضم صمغ درختيست كه عرفط خوانند از درختان باديه واگرچه شيرينست ولكن رائحهٔ كريهه دارد وحضرت بوى خوش دوست ميداشت براى مناجات ملك واز روايح ناخوش محترزمى بود پس آن حضرت روزى شربت آشاميد و نزد هر كدام آمد از ازواج گفتند يا رسول الله از شما رائحهٔ مغفور مى آيد در جواب ايشان فرمودند كه مغفور نخورده ام اما در خانهٔ زينب شربت عسل آشاميده ام گفتند جرست النحلة العرفط يعنى ان تلك النحلة أكلت العرفط وبالفارسية زنبور آن عسل از شكوفهٔ عرفط چريده بود والجرس خوردن مخ چرا وفى القاموس الجرس اللحس باللسان امام زاهد رحمه الله آورده كه چون اين صورت مكرر وجود گرفت حضرت عليه السلام فرمود حرمت العسل على نفسى فوالله لا آكله أبدا واين سوگند بدان خورد تا ديگر كسى وى را از ان عسل نيارد فنزلت الآية قال ابن عطية والقول الاول وهو أن الآية نزلت بسبب مارية أصح وأوضح وعليه تفقه الناس فى الآية وقال فى كشف الاسرار قصة العسل أسند كما قال فى التباين ان هذا هو الاصح لانه مذكور فى الصحيحين انتهى وقصة مارية أشبه ومعنى الآية لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل أى تمتنع من الانتفاع به مع اعتقاد كونه حلالا لك لان اعتقاد كونه حراما بعد ما أحل الله مما لا يتصور من عوام المؤمنين فكيف من الانبياء قال الفقهاء من اعتقد من عند نفسه حرمة شئ قد أحله الله فقد كفر اذ ما أحله الله لا يحرم الا بتحريم الله اياه بنظم القرآن أو بوحى غير متلو والله تعالى انما أحل لحكمة ومصلحة عرفها فى احلاله فاذا حرم العبد كان ذلك قلب المصلحة مفسدة (تبتغى مرضاة أزواجك) الابتغاء جستن والمرضاة مصدر كالرضا وفى بعض التفاسير اسم مصدر من الرضوان قلت واوها ألفا والازواج جمع زوج فانه يطلق على المرأة أيضا بل هو الفصيح كما قال فى المفردات وزوجة لغة رديئة وجمع الازواج مع أن من أرضاها النبى عليه السلام فى هذه القصة عائشة وحفصة رضى الله عنهما اما لان ارضاءهما فى الامر المذكور ارضاء الكلهن أو لان النساء فى طبقة واحدة فى مثل تلك الغيرة لانهن جبلن عليها على أنه مضى ما مضى من قول السهيلى أو لان الجمع قد يطلق على الاثنين أو للتحذير عن ارضاء من تطلب منه عليه السلام ما لا يحسن وتلح عليه أيتهن كانت لانه عليه السلام كان حييا كريما والجملة حال من فاعل تحرم أى حال كونك مبتغيا وطالبا الرضا أزواجك والحال انهن أحق بابتغاء رضاك منك فانما فضيلتهن بك فالانكار وارد على مجموع القيد والمقيد دفعة واحدة فمجموع الابتغاء والتحريم منكر نظيره قوله تعالى لا تأكلوا الربا

أضعافا مضاعفة وفيه اشارة الى فضل ماريه والعسل وفى الحديث (أول نعمة ترفع من الارض العسل) وقد بين فى سورة النحل (والله غفور) مبالغ فى الغفران قد غفر لك وستر ما فعلت من التحريم وقصدت من الرضا لان الامتناع من الانتفاع باحسان المولى الكريم يشبه عدم قبول احسانه (رحيم) قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محافظة على عصمتك (وقال الكاشفى) مهربان كه كفارت سوكند تو فرمود وقال فى كشف الاسرار هذا أشد ما عوتب به رسول الله فى القرآن وقال البقلى أدب الله نبيه أن لا يستبد برأيه ويتبع ما يوحى اليه كما قال بعض المشايخ فى قوله لتحكم بين الناس بما أراك الله أن المراد به الوحى الذى يوحى به اليه لا ما يراه فى رأيه فان الله قد عاتبه لما حرم على نفسه ما حرم فى قصة عائشة وحفصة فلو كان الدين بالرأى لكان رأى رسول الله أولى من كل رأى انتهى كلام ذلك البعض وفيه بيان أن من شغله شئ من دون الله وصل اليه منه ضرب لا تبرأ جراحته الا بالله لذلك قال عقيب الآية والله غفور رحيم قال ابن عطاء لما نزلت هذه الآية على النبى عليه السلام كان يدعو دائما ويقول اللهم انى أعوذ بك من كل قاطع يقطعنى عنك * آزرده است كوشه نشين از وداع خلق * غافل كه اتصال حقست انقطاع خلق (قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) الفرض هنا بمعنى الشرع والتبيين كما دل عليه لكم فان فرض بمعنى أوجب انما يتعدى بعلى والتحلة مصدر حلل بتضعيف العين بمعنى التحليل أصله تحللة كتكرمة وتعلة وتبصرة وتذكرة من كرم وعلل وبصر وذكر بمعنى التكريم والتعليل والتبصير والتذكير الا أن هذا المصدر من الصحيح خارج عن القياس فانه من المعتل اللام نحو سمى تسمية أو مهموز اللام مثل جزأ تجزئة والمراد تحليل اليمين كأن اليمين عقد والكفارة حل يقال حلل اليمين تحليلا كفرها أى فعل ما يوجب الحنث وتحلل فى يمينه استثنى وقال ان شاء الله وقوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار الا تحلة القسم أى قدر ما يقول ان شاء الله كما فى المفردات أو قدر ما يبر الله قسمه فيه بقوله وان منكم الا واردها قال فى تاج المصادر قولهم فعلته تحلة القسم أى لم أفعله الا بقدر ما حللت به يمينى أن لا أفعله ولم أبالغ ثم قيل لكل شئ لم يبالغ فيه تحليل يقال ضربته تحليلا والباب يدل على فتح الشئ ومعنى الكفارة الاطعام أو الكسوة أو العتق أو الصوم على ما مر تفصيله فى سورة المائدة ومعنى الآية شرع الله لكم تحليل أيمانكم وبين لكم ما تنحل به عقدتها من الكفارة وهى المرادة هونا الا الاستثناء أى أن يقول ان شاء الله متصلا حتى لا يحنث فان الاستثناء المتصل لما كان مانعا من انعقاد اليمين جعل كالحل فالتحليل لما عقدته الايمان بالكفارة أو بالاستثناء وبالفارسية بدرستى كه بيان كرد خداى تعالى براى شما فروكشادن سوكندهاى شما بكفارت يعنى آنچه بسوكند بينديد بكفارت توان كشاد قال فى الهداية ومن حرم على نفسه شيأ مما يملكه لم يصر محرما وعليه ان استباحه وأقدم عليه كفارة فتحريم الحلال يمين عند أبى حنيفة رحمه الله ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها قال ابن عباس رضى الله عنهما التحريم هو اليمين فلو قال لامرأته أنت على حرام فلو نوى الطلاق طلقت وان نوى اليمين كان يمينا وان أراد الكذب لم يقع شئ وكذا لو حرم طعاما على نفسه ونوى اليمين كان يمينا خلافا للشافعى كما فى عين المعانى وقال بعضهم لم يثبت عن رسول الله عليه

السلام أنه قال لما أحله الله هو حرام على" وانما امتنع عن مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا أقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما أحل الله لك أى لم تمتنع منه بسبب اليمين يعنى اقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك وظاهر قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أنه كانت منه يمين فان قلت هل كفر رسول الله لذلك قلت عن الحسن البصرى قدس سره أنه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل أنه أعتق رقبة فى تحريم مارية وعاودها لانه لا ينافى كونه مغفورا له أن يكفر فهو والامة سواء فى الاحكام ظاهرا (والله مولاكم) سيدكم ومتولى أموركم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) المتقن فى أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه الحكمة (واذ أسر النبى) الاسرار خلاف الاعلان ويستعمل فى الاعيان والمعانى والسر هو الحديث المكتتم فى النفس وأسررت الى فلان حديثا أفضيت به اليه فى خفية فالاسرار الى الغير يقتضى اظهار ذلك لمن يفضى اليه بالسر وان كان يقتضى اخفاءه من غيره فاذا قولهم أسررت الى فلان يقتضى من وجه الاظهار ومن وجه الاخفاء والنبى رسول الله عليه السلام فان اللام للعهد واذ ظرف أى اذكر الحادث وقت الاسرار والاكثر المشهور أنه مفعول أى واذكر يا محمد وقت اسرار النبى واخفائه على وجه التأنيب والتعتب أو واذكروا أيها المؤمنون فالخطاب ان كان له عليه السلام فالاظهار فى مقام الاضمار بان قيل واذا أسررت للتعظيم بايراد وصف ينبئ عن وجوب رعاية حرمته ولزوم حماية حرمه عما يكرهه وان كان لغيره عموما على الاشتراك أو خصوصا على الانفراد فذكره بوصف النبى للاشعار بصدقه فى دعوى النبوة (الى بعض أزواجه) وهى حفصة رضى الله عنها تزوجها النبى عليه السلام فى شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة قبل أحد بشهرين وكانت ولادتها قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبنى البيت وماتت بالمدينة فى شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة يومئذ وحمل سريرها وحمله أيضا أبو هريرة وقد بلغت ثلاثا وستين سنة وأبو حفص أبوها عمر رضى الله عنه كناه به رسول الله عليه السلام والحفص ولد الاسد (حديثا) قال الراغب كل كلام يبلغ الانسان من جهة السمع أو الوحى فى يقظته أو منامه يقال له حديث والمراد حديث تحريم مارية أو العسل أو أمر الخلافة قال سعدى المفتى فيه أن تحريم العسل ليس مما أسر الى حفصة بل كان ذلك عند عائشة وسودة وصفية رضى الله عنهن (فلما نبأت به) أى أخبرت حفصة صاحبتها التى هى عائشة بالحديث الذى أسره اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفشته اليها (وأظهره الله عليه) أى أطلع الله النبى على افشاء حفصة ذلك الحديث على لسان جبريل فالضمير راجع الى الحديث بتقدير المضاف وأظهر تضمن معنى أطلع من ظهر فلان السطح اذا علاه وحقيقته صار على ظهره وأظهره على السطح أى رفعه عليه فاستعير للاطلاع على الشئ وهو من باب الافعال بمعنى بر رسانيدن كسى را برنهانى وديده ور كردانيدن قال الراغب ظهر الشئ أصله أن يحصل شئ على ظهر الارض فلا يخفى وبطن اذا حصل فى بطنان الارض فيخفى ثم صار مستعملا فى كل بارز للبصر والبصيرة (عرف) النبى حفصة والتعريف بالفارسية بيا كاهيدن (بعضه) أى بعض الحديث الذى أفشته الى صاحبتها على طريق العتاب بان قال لها الم أك أمرتك أن تكتمى سرى

ولا تبديه لاحد وهو حديث الامامة (روى) أنه عليه السلام لما عاتبها قالت والذى بعثك بالحق
ما ملكت نفسى فرحا للكرامة التى خص الله بها أباها وبعض الشئ جزء منه (وأعرض عن بعض)
أى عن تعريف بعض تكرما وهو حديث مارية وقال بعضهم عرّف تحريم الامة وأعرض عن
تعريف أمر الخلافة كراهة أن ينتشر ذلك فى الناس وتكرما منه وحلما وفيه جواز اظهار
الشيوخ الفراسة والكرامات لمريديهم لتزيد رغبتهم فى الطريقة وفيه حث على ترك
الاستقصاء فيما جرى من ترك الادب فانه صفة الكرام قال الحسن البصرى قدس سره
ما استقصى كريم قط وقال بعضهم ما زال التغافل من فعل الكرام (فلما نبأها به) أى أخبر النبى
حفصة بالحديث الذى أفشته بما أظهره الله عليه من أنها أفشت سره (قالت من أنبأك هذا)
من أخبرك عنى هذا تعنى افشاءها للحديث ظنت أن عائشة أخبرته وفيه تعجب واستبعاد من
اخبار عائشة بذلك لانها أوصتها بالكتم ولم يقل من نبأك ليوافق ما قبله للتفنن (قال) النبى عليه
السلام (نبأنى) بفتح ياء المتكلم (العليم الخبير) الذى لا يخفى عليه خافية فسكتت وسلمت ونبأ
أيضا من قبيل التفنن يقال ان أنبأ ونبأ يتعديان الى مفعولين الى الاول بنفسهما والى الثانى
بالباء وقد يحذف الاول للعلم به وقد يحذف الجار ويتعدى الفعل الى الثانى بنفسه أيضا فقوله
تعالى فلما نبأها به على الاستعمال الاول وقوله فلما نبأت به على الاستعمال الثانى وقوله من أنبأك
على الاستعمال الثالث وقوله العليم هو والعالم والعلام من أسمائه سبحانه ومن أدب من علم أنه
سبحانه عالم بكل شئ حتى بخطرات الضمائر ووساوس الخواطر أن يستحيى منه ويكف عن معاصيه
ولا يغتر بجميل ستره ويخشى بغتات قهره ومفاجأة مكره وعن بعضهم أنه قال كنت جائعا فقلت
لبعض معارفى انى جائع فلم يطعمنى شيأ فمضيت فوجدت درهما ملقى فى الطريق فرفعته فاذا
عليه مكتوب أما كان الله عالما بجوعك حتى طلبت من غيره والخبير بمعنى العليم وقال الامام
الغزالى قدس سره اذا اعتبر العلم المطلق فهو العليم مطلقا واذا أضيف الى الغيب والامور
الباطنة فهو الخبير واذا أضيف الى الامور الظاهرة فهو الشهيد واذا علم العبد أنه تعالى خبير
بافعاله مطلع على سره علم أنه تعالى أحصى عليه جميع ما عمله أو أخفى فى عمله وان كان هو قد
نسيه فيخجل خجلا يكاد يهلكه (حكى) أن رجلا تفكر يوما فقال عمرى كذا كذا سنة يكون
كذا كذا شهرا يكون منها كذا كذا يوما فبلغ عمره من الايام ألوفا كثيرة فقال لو لم أعص الله
كل يوم الا معصية واحدة لكان فى ديوان عملى كذا كذا ألف معصية وانى فى كل يوم عملت
كثيرا من المعاصى ثم صاح وفارق الدنيا * يقول الفقير * مذنبم كرجه ولى رب غفورست
وكريم * عن افتاده دهد از كرمش شايدست (ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة
رضى الله عنهما فالالتفات من الغيبة الى الخطاب للمبالغة فى العتاب لكن العتاب يكون
للاولياء كما أن العقاب يكون للاعداء كما قيل

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

فتنبيها ارادة خير لحفصة وعائشة بارشادهما الى ما هو أوضح لهما (فقد صغت قلوبكما) الفاء
للتعليل كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق والا فالجزاء يجب أن يكون مرتبا على الشرط
مسببا عنه وصغو قلبيهما كان سابقا على الشرط وكذا الكلام فى وان تظاهرا الخ والمعنى فقد وجد

منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله وحب ما يحبه
وكراهة ما يكرهه من صغا يصغو صغوا مال واصغى اليه مال بسمعه قال الشاعر

تصغى القلوب الى أغر مبارك * من آل عباس بن عبد المطلب

وجمع القلوب لئلا يجمع بين تثنيتين فى كلمة فرارا من اجتماع المتجانسين ورعا جمع (وان
تظاهرا عليه) باسقاط احدى التاءين وهو تفاعل من الظهر لانه أقوى الاعضاء أى تعاونا على
النبى عليه السلام بما يسوءه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره وكانت كل منكما ظهرا
لصاحبتها فيه (فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) هو مبتدأ ثان جئ به لتقوى الحكم
لا للحصر والا لانحصرت الولاية له عليه السلام فى الله تعالى فلا يصح عطف ما بعده عليه وقوله
وجبريل عطف على موضع اسم ان بعد استكمالها خبرها وكذا قوله وصالح المؤمنين واليه مال
السجاوندى رحمه الله اذ وضع علامة الوقف على المؤمنين والظاهر أن صالح مفرد ولذلك كتبت
الحاء بدون واو الجمع ومنهم من جوز كونه جمعا بالواو والنون وحذفت النون بالاضافة وسقطت
واو الجمع فى التلفظ لالتقاء الساكنين وسقطت فى الكتابة أيضا حملا للكتابة على اللفظ نحو ويمح الله
الباطل ويدع الانسان وسندع الزبانية الى غير ذلك والمعنى فان يعدم هو أى النبى عليه السلام
من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الملائكة المقربين قرينه ورفيقه ومن صلح من
المؤمنين اتباعه وأعوانه فيكون جبريل وما بعده أى على تقدير العطف داخلين فى الولاية
لرسول الله ويكون جبريل أيضا ظهيرا له بدخوله فى عموم الملائكة ويجوز أن يكون الكلام
قد تم عند قوله مولاه ويكون جبريل مبتدأ وما بعده عطفا عليه وظهير خبر للجميع لتختص
الولاية بالله قال ابن عباس رضى الله عنهما أراد بصالح المؤمنين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قال
فى الارشاد هو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة فانه جمع بين الظهير المعنوى والظهير
الصورى كيف لا وان جبريل ظهيره يؤيده بالتأييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه فى تدبير
أمور الرسالة وتمشية الاحكام الظاهرة * ومعاون آن حضرتكه رضاء أو برضاء فرزندان خود
ايثار كنند ولان بيان مظاهرتهما له عليه السلام أشد تأثيرا فى قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما
فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا أريد به جنس الصالحين كما هو المشهور وعن بعضهم أن
المراد بصالح المؤمنين الاصحاب أو خيارهم وعن مجاهد هو على رضى الله عنه يقول الفقير
يؤيده قوله عليه السلام يا على أنت منى بمنزلة هرون من موسى فان الصالحين هم الانبياء عليهم
السلام كما قال تعالى وكلا جعلنا صالحين وقال حكاية عن يوسف الصديق عليه السلام وألحقنى
بالصالحين فاذا كان على بمنزلة هرون فهو صالح مثله وقال السهيلى رحمه الله لفظ الآية عام
فالاولى حملها على العموم قال الراغب الصلاح ضد الفساد الذى هو خروج الشئ عن الاعتدال
والانتفاع قل أو كثر وهما مختصان فى أكثر الاستعمال بالافعال وقوبل الصلاح فى القرآن تارة
بالفساد وتارة بالسيئة (وروى) أن رجلا قال لابراهيم بن أدهم قدس سره ان الناس يقولون
لى صالح فبم أعرف أنى صالح فقال اعرض أعمالك فى السر على الصالحين فان قبلوها
واستحسنوها فاعلم أنك صالح والا فلا وهذا من كلام الحكمة (والملائكة) مع تكاثر عددهم
وامتلاء السموات من جموعهم (وقال الكاشفى) وتمام فرشتكان آسمان وزمين (بعد ذلك)

أي بعد نصرة الله وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين وفيه تعظيم لنصرتهم لانهما من الخوارق كما وقعت في بدر ولا يلزم منه أفضلية الملائكة على البشر (ظهير) خبر والملائكة والجملة معطوفة على جملة فان الله هو مولاه وما عطف عليه أي فوج مظاهر له معين كأنهم يد واحدة على من يعاديه فاذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله ونصرة الله بهم وبمظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته يعني أن نصرة الله اما نصرة ذاتية بلا آلة ولا سبب او نصرة بتوسط مخلوقاته والثاني يتفاوت بحسب تفاوت قدرة المخلوقات وقوتهم ونصرة الملائكة أعظم وأبعد رتبة بالنسبة الى سائر المخلوقات على حسب تفاوت قدرتهم وقوتهم فانه تعالى مكن الملائكة على مالم يمكن الانسان عليه فالمراد بالبعدية ما كان بحسب الرتبة لا الزمان بأن يكون مظاهرة الملائكة أعظم بالنسبة الى نصرة المؤمنين وجبريل داخل في عموم الملائكة ولا يخفى ان نصرة جميع الملائكة وفيهم جبريل أقوى من نصرة جبريل وحده قال في الارشاد هذا ما قالوا ولعل الانسب أن يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب من افضلية المقدم أي في النصرة فكأنه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه السلام ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا لفصلها عن مظاهرة جبريل قال بعضهم لعل ذكر غير الله مع ان الاخبار بكونه تعالى مولاه كاف في تهديدهما التذكير كمال رفعة شأن النبي عليه السلام عند الله وعند الناس وعند الملائكة أجمعين * يقول الفقير أيده الله القدير هذا ما قالوا والظاهر ان الله تعالى مع كفاية نصرته ذكر بعد نفسه من كان أقوى في نصرته عليه السلام من المخلوقات لكون المقام مقام التظاهر لكون عائشة وحفصة متظاهرتين وزاد في الظهير لكون المقام مقام التهديد أيضا وقدم جبريل على الصلحاء لكونه أول نصير له عليه السلام من المخلوقات وسفيرا بينه وبين الله تعالى وقدم الصلحاء على الملائكة لفضلهم عليهم في باب النصرة لان نصرة الملائكة نصرة بالفعل القالبي ونصرة الصلحاء نصرة به وبالهمة وهي أشد وما يفيده البعدية من أفضلية تظاهرهم على تظاهر الصلحاء فمن حيث الظاهر اذهم اقدر على الافعال الشاقة من البشر فاقتضى مقام التهديد ذكر البعدية وفي قوله وصالح المؤمنين اشارة الى غريبة أطلعني الله تعالى عليها وهي أن صالحا اسم النبي عليه السلام كما في المفردات فان قلت كيف هو ونصرة النبي لنفسه محال قلت هذه نصرة من مقام ملكيته لمقام بشريته ومن مقام جمعه لمقام فرقه ومن مقام ولايته لمقام نبوته كالتسليم في قوله السلام عليك أيها النبي ان صح أنه عليه السلام قاله في تشهده ونظيره نصرة موسى عليه السلام لنفسه حين فر من القبط كما قال ففررت منكم وذلك لان فيه نصرة نفسه الناطقة لنفسه الحيوانية وفيه اشارة أيضا الى القلب والقوى الروحانية المنصورة على النفس بتأييد الله تعالى وتأييده لملك الالهام قال بعض الكبار ليس في العالم أعظم قوة من المرأة بسر لا يعرفه الا من عرف فيم وجد العالم وبأي حركة أوجده الحق تعالى وأنه عن مقدمتين فانه نتيجة والناتج طالب والطالب مفتقر والمنتوج مطلوب والمطلوب له عزة الافتقار اليه والشهوة في ذلك غالبة فقد بان لك محل المرأة من الموجودات وما الذي ينظر اليها من الحضرة الالهية وبماذا كانت لها القوة وقد نبه تعالى على ما خصها به من

القوة بقوله وان تظاهرا الخ وماذكر الا معينا قويا من الملائكة الذين لهم الشدة والقوة فان صالح
المؤمنين يفعل بالهمة وهو أقوى من الفعل فان فهمت فقد رميت بك على الطريق فانه تعالى
نزل الملائكة بعد ذكره نفسه وجبريل وصالح المؤمنين منزلة المعينين ولا قوة الا بالله وقد أخبر
الشيخ افضل الدين الاحمدى قدس سره أنه تفكر ذات ليلة فى قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو
قال فقلت اين المنازع الذى يحتاج فى مقاتلته الى جنود السموات والارض وقد قال تعالى ولله
جنود السموات والارض واذا كان هؤلاء جنوده فمن يقاتلون وما خرج عنهم شخص واحد
فاذا بهاتف يقول لى لا تعجب فثمة ما هو أعجب فقلت ما هو فقال الذى قصه الله فى حق عائشة
وحفصة قلت وما هو فتلا وان تظاهرا الخ فهذا اعجب من ذكر الجنود انتهى قال فتحرك
خاطرى الى معرفة هذه العظمة التى جعل الله نفسه فى مقابلتها وجبريل وصالح المؤمنين فأخبرت
بها فى واقعة فما سررت بشئ سرورى بمعرفة ذلك وعلمت من استندتا اليه ومن يقويهما وعلمت ان
الله تعالى لولا ذكر نفسه فى النصرة ما استطاعت الملائكة والمؤمنون مقاومتهما وعلمت انهما
حصل لهما من العلم بالله والتأثير فى العالم ما أعطاهما هذه القوة وهذا من العلم الذى كهيئة
المكنون فشكرت الله على ما أولى انتهى وكان الشيخ على الخواص قدس سره يقول ما أظن
أحدا من الخلق استند الى ما استند اليه هاتان المرأتان يقول لوط عليه السلام لو أن لى بكم قوة
أو آوى الى ركن شديد فكان عنده والله الركن الشديد ولكن لم يعرفه وعرفتاه عائشة وحفصة
فلم يعرف قدر النساء لاسيما عائشة وحفصة الا قليل فان النساء من حيث هن لهن القوة العظيمة
حتى ان أقوى الملائكة المخلوقة من أنفاس العامة لزكية من كان مخلوقا من أنفاس النساء ولو
لم يكن فى شرفهن الا استدعاؤهن أعظم ملوك الدنيا كهيئة السجود لهن عند الجماع لكان فى
ذلك كفاية فان السجود أشرف حالات العبد فى الصلاة ولولا الخوف من اثارة أمر فى نفوس
السامعين يؤديهم الى أمور يكون فيها حجابهم عما دعاهم الحق تعالى اليه لأظهرت من ذلك عجبا
ولكن لذلك أهل والله عليم خبير (عسى ربه) سزاست وشايد پروردگار ويعنى النبى عليه السلام
(ان طلقكن) اكر طلاق دهد شمارا كه زنان او ييد وهو شرط معترض بين اسم عسى وخبرها
وجوابه محذوف أو متقدم أى ان طلقكن فعسى (أن يبدله) أى يعطيه عليه السلام بدلكن
(ازواجا) مفعول ثان ليبدله وقوله (خيرا منكن) صفة للازواج وكذا ما بعده من قوله مسلمات
الى ثيبات وفيه تغليب المخاطب على الغائبات فالتقدير ان طلقكما وغيركما أو تعميم الخطاب لكل
الازواج بأن يكن كلهن مخاطبات لما عاتبهما بأنه قد صغت قلوبكما وذلك يوجب التوبة شرع
فى تخويفهما بأن ذكر لهما أنه عليه السلام يحتمل أن يطلقكما ثم انه ان طلقكما لا يعود ضرر ذلك
الا اليكما لانه يبدله أزواجا خيرا منكما ليس فى الآية ما يدل على أنه عليه السلام لم يطلق حفصة
وان فى النساء خيرا منهن فان تعليق الطلاق للكل لا ينافى تطليق واحدة وما علق بما لم يقع
لا يجب وقوعه يعنى أن هذه الخيرية لما علقت بما لم يقع لم تكن واقعة فى نفسها وكان الله عالما بأنه
عليه السلام لا يطلقهن ولكن أخبر عن قدرته على أنه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن
كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم فانه اخبار عن القدرة
وتخويف لهم لا أن فى الوجود من هو خير من أصحاب محمد عليه السلام قيل كل عسى فى

القرآن واجب الاهذا وقيل هو أيضا واجب ولكن الله علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن فان المذهب انه ليس على وجه الارض نساء خير من أمهات المؤمنين الا أنه عليه السلام اذا طلقهن لعصيانهن له وأذاهن اياه كان غيرهن من الموصوفات بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله خيرا منهن وفى فتح الرحمن عسى تكون للوجوب فى ألفاظ القرآن الا فى موضعين أحدهما فى سورة محمد فهل عسيتم أى علمتم أو تمنيتم والثانى هنا ليس بواجب لان الطلاق معلق بالشرط فلما لم يوجد الشرط لم يوجد الابدال (مسلمات مؤمنات) مقرات باللسان مخلصات بالجنان فليس من قبيل التكرار أو منقادات انقيادا ظاهريا بالجوارح مصدقات بالقلوب (قانتات) مطيعات أى مواظبات على الطاعة أو مصليات (تائبات) من الذنوب (عابدات) متعبدات أو متذللات لامر الرسول عليه السلام (سائحات) صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح فى النهار بلا زاد فلا يزال ممسكا الى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم فى امساكه الى أن يجيء وقت افطاره وقال بعضهم الصوم ضربان صوم حقيقى وهو ترك المطعم والمشرب والمنكح وصوم حكمى وهو حفظ الجوارح من المعاصى كالسمع والبصر واللسان والسائح هو الذى يصوم هذا الصوم دون الاول انتهى أو مهاجرات من مكة الى المدينة اذ فى الهجرة مزيد شرف ليس فى غيرها كما قال ابن زيد ليس فى أمة محمد سياحة الا الهجرة والسياحة فى اللغة الجولان فى الارض (ثيبات) شوهر ديده كان (وأبكارا) ودختران بكر والثيب الرجل الداخل بامرأة والمرأة المدخول بها يستوى فيه المذكر والمؤنث فيجمع المذكر على ثيبين والمؤنث على ثيبات من ثاب اذا رجع سميت به المرأة لانها راجعة الى زوجها ان أقام بها أو الى غيره ان فارقها أو الى حالتها الاولى وهى أنه لا زوج لها فهى لا تخلو عن الثوب أى الرجوع وقس عليها الرجل وسميت العذراء بالبكر لانها على أول حالتها التى طلقت عليها قال الراغب سميت التى لم تفتض بكرا اعتبارا بالثيب لتقدمها عليها فيما يراد له النساء ففى البكر معنى الاولية والتقدم ولذا يقال البكرة لاول النهار والباكورة للفاكهة التى تدرك أولا وسط بينهما العاطف دون غيرهما للتنافيهما وعدم اجتماعهما فى ذات واحدة بخلاف سائر الصفات فكأنه قيل أزواجا خيرا منكن متصفات بهذه الصفات المذكورة المحمودة كائنات بعضها ثيبات تعريضا لغير عائشة وبعضها أبكارا تعريضا لها فانه عليه السلام تزوجها وحدها بكرا وهو الوجه فى ايراد الواو الواصلة دون أو الفاصلة لانها توهم ان الكل ثيبات أو كلها أبكارا قال السهيلى رحمه الله ذكر بعض أهل العلم ان فى هذه اشارة الى مريم البتول وهى البكر والى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وان الله سيزوجه عليه السلام اياهما فى الجنة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أبو الليث رحمه الله تكون وليمة فى الجنة ويجتمع عليها أهل الجنة فيزوج الله هاتين المرأتين يعنى آسية ومريم من محمد عليه السلام وبدأ بالثيب قبل البكر لان زمن آسية قبل زمن مريم ولان أزواج النبى عليه السلام كلهن ثيب الا واحدة وأفضلهن خديجة وهى ثيب فتكون هذه القبلية من قبلية الفضل والزمان أيضا لانه تزوج الثيب منهن قبل البكر (وفى كشف الاسرار) روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبى عليه السلام دخل على خديجة وهى تجود بنفسها يعنى وى وقات ميكند فقال أتكرهين ما نزل بك يا خديجة وقد جعل الله فى الكره خيرا كثيرا فاذا قدمت على ضرائرك فاقرئيهن منى السلام فقالت

يارسول الله ومن هن قال مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وحليمة أخت موسى فقالت بالرفاء والبنين أى أعرست ملتبسا بالرفاء وهو الالتئام والاتفاق والمقصود حسن المعاشرة وكان هذا دعاء الاوائل للمعرس واحترز بالبنين عن البنات ثم نهى النبى عليه السلام عن هذا القول وأمر بأن يقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير ثم ان المراد من الابدال أن يكون فى الدنيا كما أفاده قوله تعالى ان طلقكن لان نساء الجنة يكن أبكارا سواء كن فى الدنيا ثيبات أو أبكارا وفى الحديث ان الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة الاف ثيب وثمانية آلاف بكر يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا فان قلت فاذا يكون أكثر أهل الجنة النساء وهو مخالف لقوله عليه السلام يامعشر النساء تصدقن فانى أريتكن أكثر أهل النار قلت لعل المراد بالرجل بعض الرجال لان طبقات الابرار والمقربين متفاوتة كما دل عليه قوله عليه السلام أدنى أهل الجنة الذى له اثنتان وسبعون زوجة وثمانون ألف خادم ولا بعد فى كثرة الخادم لما قال بعضهم ان اطفال الكفار خدام أهل الجنة على أن الخدام لا ينحصرون فيهم بل لاهل الجنة خدام أخر فان قلت كان عليه السلام يحب الاخف الايسر فى كل شئ فلماذا كثر من النساء ولم يكتف منهن بواحدة أو ثنتين قلت ذلك من أسرار النبوة ولذا لم يشبع من الصلاة ومن النساء (روى) أنه عليه السلام أعطى قوة أربعين رجلا فى البطش والجماع وكل حلال يكدر النفس الا الجماع الحلال فانه يصفيها ويجلى العقل والقلب والصدر ويورث السكون باندفاع الشهوة المحركة على أن شهوة الخواص ليست كشهوة العوام فان نار الشهوة للخواص بعد نور المحبة وللعوام قبله ثم ان فى الآيات المتقدمة فوائد منها أن تحريم الحلال غير مرضى كما ان ابتغاء رضا الزوج بغير وجهه ليس بحسن ومنها أن افشاء السر ليس من المروءة خصوصا افشاء اسرار السلاطين الصورية والمعنوية لا يعنى وكل سر جاوز الاثنين شاع أى المسر والمسر اليه أو الشفتين ومنها أن من الواجب على أهل الزلة التوبة والرجوع قبل الرسوخ واشتداد القساوة ومنها أن البكارة وجمال الصورة وطلاقة اللسان ونحوها وان كانت نفاسة جسمانية مرغوبة عند الناس لكن الايمان والاسلام والقنوت والتوبة ونحوها نفاسة روحانية مقبولة عند الله وشرف الحسب أفضل من شرف النسب والعلم الدينى والادب الشرعى هما الحسب المحسوب من الفضائل فعلى العاقل أن يتحلى بالورع وهو الاجتناب عن الشبهات والتقوى وهو الاجتناب عن المحرمات ويتزين بزين أنواع المكارم والاخلاق الحسنة والاوصاف الشريفة المستحسنة (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) أمر من الوقاية بمعنى الحفظ والحماية والصيانة أصله اوقيوا كاضربوا والمراد بالنفس هنا ذات الانسان لا النفس الامارة والمعنى احفظوا وبعدوا أنفسكم وبالفارسية نكاه داريد نفسهاى خودرا ودوركنيد يعنى بترك المعاصى وفعل الطاعات (وأهليكم) بالنصح والتأديب والتعليم أصله أهلين جمع أهل حذفت النون بالاضافة وقد يجمع على أهال على غير قياس وهو كل من فى عيال الرجل ونفقته من المرأة والولد والاخ والاخت والعم وابنه والخادم ويفسر بالاصحاب أيضا ودلت الآية على وجوب الأمر بالمعروف للاقرب فالاقرب وفى الحديث رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم فى الجنة وفى

الحديث

الحديث كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وهو من الرعاية بمعنى الحفظ يعنى كلكم ملتزم بحفظ ما يطالب به من العدل ان كان واليا ومن عدم الخيانة ان كان موليا عليه وكلكم مسؤل عما التزم حفظه يوم القيامة فالامام على الناس راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وعبد الرجل راع على مال سيده والكل مسؤل وقيل أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل أهله وخص الأهلين بالنصيحة مع ان حكم الاجانب كحكمهم فى ذلك لان الاقارب أولى بالنصيحة لقربهم كما قال تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين ولان شرائط الامر والنهى قد لا توجد فى حق الاجانب بخلاف الاقارب لاسيما الاهل فان الرجل سلطان أهله وقال بعض اهل الاشارة فى الآية طهروا أنفسكم عن دنس محبة الدنيا حتى تكون أهاليكم صالحين بمتابعتكم فاذا رغبتم فى الدنيا فهم يشتغلون بها فان زلة الامام زلة المأمومين وقال القاشانى رحمه الله الأهل بالحقيقة هو الذى بينه وبين الرجل تعلق روحانى واتصال عشقى سواء اتصل به اتصالا جسمانيا أم لا وكل ما تعلق به تعلقا عشقيا فبالضرورة يكون معه فى الدنيا والآخرة فوجب عليه وقايته وحفظه من النار كوقاية نفسه فان زكى نفسه عن الهيآت الظلمانية وفيه ميل ومحبة لبعض النفوس المنغمسة فيها لم يزكها بالحقيقة لانه بتلك المحبة ينجذب اليها فيكون معها فى الهاوية محجوبا بها سواء كانت قواه الطبيعية الداخلة فى تركيبه أم نفوسا انسانية متسكة فى عالم الطبيعة خارجة عن ذاته ولهذا يجب على الصادق محبة الاصفياء والاولياء ليحشر معهم فان المرء يحشر مع من أحب (نارا) نوعا من النار (وقودها) ما يوقد به تلك النار يعنى حطبها وبالفارسية آتش انكيزوى فالوقود بالفتح اسم لما يوقد به النار من الحطب وغيره والوقود بالضم مصدر بمعنى الاتقاد وقرئ به بتقدير أسباب وقودها أو بالحمل على المبالغة (الناس) كفار الانس والجن وانما لم يذكر الجن أيضا لان المقصود فى الآية تحذير الانس ولان كفار الجن تابعة لكفار الانس لان التكذيب انما صدر أولا من الانس (والحجارة) أى تتقد بها أيضا اتقاد غيرها بالحطب ففيه بيان لغاية احراقها وشدة قوتها فان اتقاد النار بالحجارة مكان الحطب من الشجر يكون من زيادة حرها ولذلك قال عليه السلام ناركم جزء من سبعين جزأ من نار جهنم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى حجارة الكبريت وهى أشد الاشياء حرا اذا أوقد عليها ولها سرعة الاتقاد ونتن الرائحة وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالابدان فيكون العذاب بها أشد وقيل وقودها الناس اذا صاروا اليها والحجارة قبل أن يصيروا اليها (قال الكاشفى) يا بتان سنكين كه كفار مى پرستند دليله قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقرن الناس بالحجارة لانهم نحتوها واتخذوها اربابا من دون الله يا كنجهاى زر وسيم كه منشأ آن سنكست * زر وسيم اند سنك زرد وسفيد * اندرين سنكها مبند اميد * دلى ازسنك سختتر بايد * كه زسنكيش راحت افزايد * دل ازين سنك اكر تو بر نكنى * سر زحسرت بسى بسنك زنى * وقيل أراد بالحجارة الذين هم فى صلابتهم عن قبول الحق كالحجارة كمن وصفهم بقوله فهى كالحجارة أو أشد قسوة كما قال فى التأويلات النجمية يا أيها الذين آمنوا بالايمان العلمى قوا أنفسكم وأهليكم من القوى الروحانية نار حجاب البعد والطرد التى يوقدها حطب وجود الناسين ميثاق ألست بربكم قالوا بلى وحجارة قلوبهم القاسية وهم الصفات البشرية

الطبيعة الحيوانية لبهيمة السبعية الشيطانية انتهى وامر الله المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه فى سورة البقرة حيث قال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين للمبالغة فى التحذير ولان الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم تبع للكفار فى دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مجاورة الذين اعدت لهم هذه النار اصالة ولا يبعد أن يأمرهم بالتوقى عن الارتداد كما فى التفسير الكبير (عليها) أى على تلك النار العظيمة (ملائكة) تلى أمرها وتعذيب أهلها وهم الزبانية التسعة عشر وأعوانهم فليس المراد به على الاستعلاء الحسى بل الولاية والقيام والاستيلاء والغلبة على ما فيها من الامور قال القاشانى هى القوى السماوية والملكوتية الفعالة فى الامور الارضية التى هى روحانيات الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر المشار اليها بالزبانية التسعة عشر وغيرها من الملائك الذى هو الطبيعة الجسمانية الموكلة بالعالم السفلى وجميع القوى والملكوت المؤثرة فى الاجسام التى لو تجردت هذه النفوس الانسانية عنها ارتقت من مراتبها واتصلت بعالم الجبروت وصارت مؤثرة فى هذه القوى الملكوتية ولكنها لما انغمست فى الامور البدنية وقرنت أنفسها بالاجرام الهيولانية المعبر عنها بالحجارة صارت متأثرة منها محبوسة فى أسرها معذبة بأيديها (غلاظ) غلاظ القلوب بالفارسية ستبر جكران جمع غليظ بمعنى خشن خال قلبه عن الشفقة والرحمة (شداد) شداد القوى جمع شديد بمعنى القوى لانهم أقوياء لا يعجزون عن الانتقام من أعداء الله على ما أمروا به وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال أقوياء على الافعال الشديدة يعملون بارجلهم كما يعملون بأيديهم اذا استرحموا لم يرحموا لانهم خلقوا من الغضب وجبلوا على القهر لا لذة لهم الا فيه فتقتضى جبلتهم تعذيب الخلق بلا مرحمة كما ان مقتضى الحيوان الاكل والشرب ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة أو كما بين المشرق والمغرب يضرب أحدهم بمقمعته ضربة واحدة سبعين ألفا فيهوون فى النار (لا يعصون الله ما أمرهم) أى أمره فى عقوبة الكفار وغيرها على أنه بدل اشتمال من الله وما مصدرية أو فيما أمرهم به على نزع الخافض وما موصولة أى لا يمتنعون من قبول الامر ويلتزمونه ويعزمون على اتيانه فليست هذه الجملة مع التى بعدها فى معنى واحد (وقال الكاشفى) برشوت فريفته نشوند تا مخالفت امر بايد كرد كاعوان ملوك الدنيا يمتنعون بالرشوة (ويفعلون ما يؤمرون) أى ويؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل وتوان وتأخير وزيادة ونقصان وقال القاشى لا يعصون الله ما أمرهم فيما مضى ويستمرون على فعل ما يؤمرون به فى المستقبل قال بعضهم لعل التعبير فى الامر أولا بالماضى مع نفى العصيان بالمستقبل لما ان العصيان وعدمه يكونان بعد الامر وثانيا بالمستقبل لما أن أمرهم بعذاب الاشقياء يكون مرة بعد مرة قال بعض الكبار فى هذه الآية دليل على عصمة جميع الملائكة السماوية وذلك لانهم عقول مجردة بلا منازع ولا شهوة فهم مطيعون بالذات بخلاف البشر والملائكة الارضية الذين لا يصعدون الى السماء فان من الملائكة من لا يصعد من الارض الى السماء أبدا كما ان منهم من لا ينزل من السماء الى الارض أبدا وفيها دليل أيضا على أنه لا نهى عند هؤلاء الملائكة فلا عبادة للنهى عندهم ففاتهم أجر ترك المنهيات بخلاف الثقلين وملائكة الارض فانهم جمعوا بين أجر عبادة الامر وأجر اجتناب النهى قال الكرمانى فى شرح البخارى ان قلت

الترك أيضا عمل لان الاصح ان الترك كف النفس فيحتاج الى النية قلت نعم اذا كان المقصود امتثال أمر الشارع وتحصيل الثواب اما فى اسقاط العقاب فلا فالتارك للزنا يحتاج فيه لتحصيل الثواب الى النية وما اشتهر ان التروك لا تحتاج اليها يريدون به فى الاسقاط يعنى لو أريد بالتروك تحصيل الثواب وامتثال امر الشارع لا بد فيها من قصد الترك امتثالا لامر الشارع فتارك الزنا ان قصد بتركه امتثال الامر يثاب (يا أيها الذين كفروا) أى يقال لهم عند ادخال الملائكة اياهم النار حسبما أمروا به يعنى چون زبانيه كافرانرا بكناره دوزخ آرند ايشان آغاز اعتذار كرده داعيه خلاصى نمايند پس حق تعالى بملائكه كويد يا أيها الذين كفروا (لا تعتذروا اليوم) أى فى هذا اليوم يعنى عذر مكوييد امروز كه عذر مقبول نيست وفائده نخواهد داد قال القاشانى اذ ليس بعد خراب البدن ورسوخ الهيآت المظلمة الا الجزاء لا الاعمال لامتناع الاستكمال ثمة والاعتذار بالفارسية عذر خواستن يقال اعتذرت الى فلان من جرمى ويعدى بمن والمعتذر قد يكون محقا وغير محق قال الراغب العذر تحرى الانسان ما يمحو به ذنوبه وذلك ثلاثة اضرب أن يقول لم أفعل أو يقول فعلت لاجل كذا فيذكر ما يخرجه عن كونه مذنبا أو يقول فعلت ولا أعود ونحو ذلك وهذا الثالث هو التوبة فكل توبة عذر وليس كل عذر توبة واعتذرت اليه أتيت بعذر وعذرته قبلت عذره (انما تجزون ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الكفر والمعاصى بعد ما نهيتم عنها أشد النهى وأمرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا أى حقيقة والنهى عن الاتيان بما هو عذر صورة وفى حسبانهم وفى بعض التفاسير لا تعتذروا اليوم لما انه ليس لكم عذر يعتد به حتى يقبل فينفعكم وهذا النهى لهم ان كان قبل مجيء الاعتذار منهم فيوافق ظاهر قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون وان كان بعده فيؤول هذا القول ويقال لا يؤذن لهم أن يتموا اعتذارهم ولا يستمع اليه وفى التأويلات النجمية قل للذين ستروا الحق بالباطل وحجبوا عن شهود الحق فى الدنيا الا بالتطاول وامشاهدة الحق فى الآخرة انما تكافؤن بعدم رؤية الحق اليوم لعدم رؤيتكم له فى يوم الدنيا كما قال ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا انتهى قال بعض العارفين لا يتحسر يوم القيامة على فوات الاعمال الصالحة الا العامة أما العارفون فلا يرون لهم عملا يتحسرون على فواته بل ولا يصح الفوات أبدا انما هى قسمة عادلة يجب على كل عبد الرضا بها وقول الانسان أنا مقصر فى جنب الله هو من باب هضم النفس لا حقيقة اذ لا يقدر أحد أن ينتقص عما قسم له ذرة ولا يزيد عليه ذرة فلا يصح الندم الا فى أعمال توهم العبد انها له نزفة تهاو ذلك لا يقوله عارف (مصراع) دردا كه قسمت من نطفه تسليم (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) التوبة أبلغ وجوه الاعتذار بأن يقول فعلت وأسأت وقد أقلعت وفى الشرع ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الاعمال بالاعادة فتى اجتمع هذه الاربعة فقد كملت شرائط التوبة كما فى المفردات والنصح تحرى فعل أو قول فيه صلاح صاحبه والنصوح فعول من أبنية المبالغة كقولهم رجل صبور وشكور أى بالغة فى النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا أنفسهم بالتوبة فيأتوا بها على طريقتها وذلك أن يتوبوا من القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون فى قبيح من

القبائح الا أن يعود اللبن فى الضرع وكذا لو حزوا بالسيف وأحرقوا بالنار موطنين أنفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف أصلا وعن على رضى الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال ان التوبة يجمعها ستة أشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة أى القضاء صلاة أو صوما أو زكاة أو نحوها ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصى قال سعدى المفتى والمذهب السنى انه يكفى فى تحقق التوبة الندم والعزم على أن لا يعود بخلاف أهل الاعتزال حيث يلزم فى تحققها عندهم رد المظالم وهو عندنا غير واجب فى التوبة قال بعض الكبار مالم تكن التوبة عامة من جميع المخالفات فهى ترك لا توبة وقيل نصوحا من نصاحة الثوب بالفتح وهى بالفارسية جامه دوختن أى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك وفى الحديث المؤمن واه راقع فطوبى لمن مات على رقعه ومعناه أن يخرق دينه ثم يرقعه بالتوبة ونحوه استقيموا ولن تحصوا أى لن تستطيعوا أن تستقيموا فى كل شئ حتى لا تميلوا ومنه يا حنظلة ساعة فساعة ومن بلاغات الزمخشرى ما منع قول الناصح أن يرو قك وهو الذى ينصح خروقك شبه فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع شبه التوبة فى خلوصها بذلك وكذا تخلص قول الناصح من الغش بتخلص العسل من الخلط ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أى تدعوهم الى مثلها لظهور أثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل بمقتضياتها وقال ذو النون المصرى قدس سره التوبة ادمان البكاء على ما سلف من الذنوب والخوف من الوقوع فيها وهجران اخوان السوء وملازمة أهل الجنة وقال التسترى رحمه الله هى توبة السنى لا المبتدع لانه لا توبة له بدليل قوله عليه السلام حجر الله على كل صاحب بدعة أن يتوب وقال الواسطى قدس سره هى أن يتوب لا لغرض وقال الشيخ أبو عبد الله بن حفيف قدس سره طالب عباده بالتوبة وهو الرجوع اليه من حيث ذهبوا عنه والنصوح فى التوبة الصدق فيها وترك ما منه تاب سرا وعلنا وقولا وفكرا (وقال القاشانى رحمه الله) مراتب التوبة كمراتب التقوى فكما ان أول مراتب التقوى هو الاجتناب عن المنهيات الشرعية وآخرها الاتقاء عن الانانية والبقية فكذلك التوبة أولها الرجوع عن المعاصى وآخرها الرجوع عن ذنب الوجود الذى هو من أمهات الكبائر عند أهل التحقيق * توبه چون باشد پشيمان آمدن * بر در حق نو مسلمان آمدن * خدمتى از سر گرفتن باياز * با حقيقت روى كردن از مجاز * وفى التأويلات النجمية يشير الى المؤمنين الذين لم ترسخ أقدامهم فى أرض الايمان رسوخ أقدام الكمل ويحثهم على التوبة الى الله بالرجوع عن الدنيا ومحبتها والاقبال على الله وطاعته توبة بحيث ترفو جميع خروق وقعت فى ثوب دينه بسبب استيفاء اللذات الجسمانية واستقصاء الشهوات الحيوانية ويقال توبة العوام عن الزلات والخواص عن الغفلات والاخص عن رؤية الحسنات وفى الحديث ايها الناس توبوا الى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة ويدخل فى الناس الذكور والاناث وهى أى التوبة واجبة على الفور لما فى التأخير من الاصرار على المحرم وهو يجعل الصغيرة كبيرة وعلامة قبول التوبة ان لا يذكره الله ذنبه لان

التوبة

التوبة لاتبقى للذنب وجودا فتى ذكر التائب ذنبه فتوبته معلولة وقد تكون التوبة مقبولة عند الله ومع ذلك فلا تدفع عن العاصي العذاب كما لو تاب السارق عند الحاكم لا ترفع توبته عنه حد القطع وفي حديث ماعز كفاية فانه عليه السلام قال في حقه انه تاب توبة لو قسمت على أهل مدينة لوسعتهم ومع ذلك فلم تدفع توبته عنه الحد بل أمر عليه السلام برجمه فرجم فاعرف (وفي المثنوي) بود مردی پیش ازین نامش نصوح * بد ز دلاکی زن او را فتوح * بود روی او چو رخسار زنان * مردی خود را همی کرد او نهان * او بحمام زنان دلاک بود * در دغا و حیله بس چالاک بود * سالها می کرد دلاکی و کس * بو نبرد از حال و سر آن هوس * زانکه آواز و رخش زن وار بود * لیک شهوت کامل و بیدار بود * دختران خسروان را زین طریق * خوش همی مالید و می شست آن عشیق * توبها می کرد و پا در می کشید * نفس کافر توبه اش را می درید * رفت پیش عارفی آن زشت کار * گفت ما را در دعایی یاد دار * سر او دانست آن آزاد مرد * لیک چون حلم خدا پیدا نکرد * سست خندید و بگفت ای بدنهاد * زانکه دانی ایزدت توبه دهاد * آن دعا از هفت گردون درگذشت * کار آن مسکین باخر خوب گشت * یک سبب انگیخت صنع ذی الجلال * که رهانیدش ز نفرین و وبال * اندران حمام پر می کرد طشت * گوهری از دختر شه یاوه گشت * گوهری از حلقهای گوش او * یاوه گشت و هر زنی در جست و جو * پس در حمام را بستند سخت * تا بجویند اولش در پیچ رخت * رختها جستند و آن پیدا نشد * دزد گوهر نیز هم رسوا نشد * پس بجد جستن گرفتند از گزاف * در دهان و گوش و اندر هر شکاف * بانگ آمد که همه عریان شوید * هر که هستید ار عجوز ار گر نوید * یک بیک را حاجبه جستن گرفت * تا پدید آید که دردانه شگفت * آن نصوح از ترس شد در خلوتی * روی زرد و لب کبود از خشیتی * گفت یارب بارها برگشته ام * توبها و عهدها بشکسته ام * کرده ام انها که از من می سزید * تا چنین سیل سیاهی در رسید * نوبت جستن اگر در من رسد * وه که جان من چه سختیها کشد * این چنین اندوه کافر را مباد * دامن رحمت گرفتم داد داد * گر مرا این بار ستاری کنی * توبه کردم من ز هر ناکردنی * من اگر این بار تقصیری کنم * پس دگر مشنو دعا و گفتنم * در میان یارب و یارب بد او * بانگ آمد از میان جست وجو * جمله را جستیم پیش آ ای نصوح * گشت بیهوش آن زمان پرید روح * بعد آن خوف هلاک جان بده * مژدها آمد که اینک گم شده * از غریو و نعره و دستک زدن * پر شده حمام قد زال الحزن * آن نصوح رفته باز آمد بخویش * دید چشمش تابش صد روز پیش * می حلالی خواست از وی هر کسی * بوسه می دادند بر دستش بسی * بدگمان بودیم ما را کن حلال * لحم تو خوردیم اندر قیل و قال * زانکه ظن جمله بر وی بیش بود * زانکه در قربت ز جمله پیش بود * گوهر ار بردست او بردست و بس * زو ملازم تر بخاتون نیست کس * اول او را خواست در جستن نبرد * بهر حرمت داشتش تأخیر کرد * تا بود کاو را ببیند از دیجا * اندرین مهلت رهاند خویش را * پس حلالیها ازو می خواستند * وز برای عذر برمی خاستند * گفت بد فضل خدای دادگر * ورنه زانچم گفته شد هستم بتر * انچه گفتندم ز بد از صد یکیست * بر من این کشف است ار کسی را شکیست * آفرینها بر تو بادا ای خدا * ناگهان کردی مرا از غم جدا * گر سر هر موی

من كرد زبان * شكرهاى تو نيايد در بيان * بعد از ان آمد كسى كز مرحمت * دختر سلطان مامى خواندت * دختر شاهت همى خواند بيا * تا مرش شوبى كنون اى پارسا * كفت رو رو دست من بى كار شد * وين نصوح تو كنون بيمار شد * رو كسى ديكر بجو اشتاب و تفت * كه مرا والله دست از كار رفت * با دل خود كفت كز حد رفت جرم * از دل من كى رود ان ترس وكرم * من بمردم يك ره و باز آمدم * من چشيدم تلخئ مرك و عدم * توبهٔ كردم حقيقت با خدا * نشكنم تا جان شدن از تن جدا * بعد آن محنت كرا بار دكر * پا رود سوى خطا الا كه خر * (عسى ربكم) شايد پروردكار شما * وفى كشف الاسرار الله برخود واجب كرد تائب را شما (أن يكفر عنكم سيآتكم) يسترها بل يمحوها ويبدلها حسنات (ويدخلكم جنات) جمع جنات اما الكثرة المخاطبين لان الكل منهم جنة أو لتعددها للكل منهم من الانواع (تجرى من تحتها الانهار) قال فى الارشاد وورود صيغة الاطماع والترجية للجرى على سنن الكبرياء فان الملوك يجيبون بلعل وعسى ويقع ذلك موقع القطع والاشعار بأنه تفضل والتوبة غير موجبة له وان العبد ينبغى أن يكون بين خوف ورجاء وان بالغ فى اقامة وظائف العبادة * يقول الفقير التكفير اشارة الى الخلاص من الجحيم لان السيآت هى سبب العذاب فاذا زال السبب زال المسبب وادخال الجنات اشارة الى التقريب لان الجنات موضع القرب والكرامة وجريان الانهار اشارة الى الحياة الأبدية لان الماء أصل الحياة وعنصرها فلا بد للانسان فى مقابلة هذه الانهار من ماء العلم ولبن الفطرة وعسل الالهام وخمر الحال فكما ان الحياة المعنوية فى الدنيا انما تحصل بهذه الاسباب فكذا الحياة الصورية فى الآخرة انما تحصل بصورها (يوم لا يخزى الله النبى) ظرف ليدخلكم والاخزاء دور كردن ورسوا كردن وخوار كردن وهلاك كردن * ومعانى هذه الكلمة يقرب بعضها من بعض كما فى تاج المصادر والنبى المعهود * يعنى روزى كه خجل نكند خداى تعالى پيغمبر را يعنى نه تقصير اورا عذاب كند ونه شفاعت اورا درباره عاصيان مردود سازد * قال بعض أهل التفسير يخزى اما من الخزى وهو الفضيحة فيكون تعريضا للكفرة الذين قال الله تعالى فيهم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين أو من الخزاية بمعنى الحياء والخجل وهو الأنسب هنا بالنظر الى شأن الرسول خصوصا اذا تم الكلام فى النبى وان أريد المعنى الاول حينئذ يجوز أن يكون باعتبار أن خزى الامة لا يخلو عن انشاء خزى ما فى الرسول على ما يشعر به قوله فى دعائه اللهم لا تخزنا يوم القيامة ولا تفضحنا يوم اللقاء بعض الاشعار حيث لم يقل لا تخزنى كما قال ابراهيم عليه السلام ولا تخزنى يوم يبعثون لكونه دعا عاما للامة من فرط رحمته وأدخل فيهم نفسه العالية من كمال مروأته وقيل الخزى كناية عن العذاب الملازمة بينهما والاولى العموم لكل خزى يكون سببا من الاسباب من الحساب والكتاب والعقاب وغيرها (والذين آمنوا معه) عطف على النبى ومعه صلة لا يخزى أى لا يخزى الله معه الذين آمنوا أى يعمهم جميعا بأن لا يخزيهم أو حال من الموصول بمعنى كائنين معه أو متعلق بآمنوا وهو الموافق لقوله تعالى وأسلمت مع سليمان أى ولا يخزى المؤمنين الذين اتبعوه فى الايمان كما قال آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون وذلك بسوء الحساب والتعيير والعتاب وذل الحجاب ورد الجواب فيحاسبهم حسابا يسيرا بل ويرفع الحساب عن بعضهم ويلاطفهم ويكشف لهم جماله ويعطى مأمولهم من الشفاعة لاقاربهم

واخوانهم ونحوهم وقال داود القيصري رحمه الله في قوله تعالى وأسلمت مع سليمان أي اسلام سليمان أي أسلمت كما أسلم سليمان ومع في هذا الموضع كمع في قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه وقوله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه ولا شك ان زمان ايمان المؤمنين ما كان مقارنا لزمان ايمان الرسول وكذا اسلام بلقيس ما كان عند اسلام سليمان فالمراد كما أنه آمن بالله آمنوا بالله وكما انه اسلم أسلمت لله انتهى كلام القيصري وتم الكلام عند قوله معه وفيه تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق كما سبق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم وقيل قوله والذين الخ مبتدأ خبره ما بعده من قوله نورهم الخ أو خبره معه والمراد بالايمان هو الكامل حينئذ حتى لا يلزم أن لا يدخل عصاة المؤمنين النار (نورهم) أي نور ايمانهم وطاعتهم على الصراط قال في عين المعاني نور الاخلاص على الصراط لاهل المعاملة بمنزلة الشمع ونور الصدق لارباب الاحوال بمنزلة القمر ونور الوفاء لاهل الهمة بمنزلة شعاع الشمس (يسعى) السعي المشي القوي السريع ففيه اشارة الى كمال اللمعان (بين أيديهم) أي يضيء بين أيديهم يعني قدامهم جمع يد يراد بها قدام الشيء لكونه بين اليدين غالبا فالجمع اما باطلاقه على التثنية أو بكثرة أيدي العباد (وبأيمانهم) جمع يمين مقابل الشمال أي وعن أيمانهم وشمائلهم على وجه الاضمار يعني جهة أيمانهم وشمائلهم أو عن جميع جهاتهم وانما اكتفى بذكرهما لانهما أشرف الجهات ومن أدعيته عليه السلام اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا وأمامي نورا وخلفي نورا وفوقي نورا وتحتي نورا واجعلني نورا وقال بعضهم تخصيص الايدي والايمان لان أرباب السعادة يؤتون صحائف أعمالهم منهما كما أن أصحاب الشقاوة يؤتون من شمائلهم ووراء ظهورهم فيكون ذلك علامة لذلك وقائدا على الصراط الى دخول الجنة وزينة لهم فيها وقال القاشاني نورهم يسعى بين أيديهم أي الذي لهم بحسب النظر والكمال العلمي وبأيمانهم أي الذي لهم بحسب العمل وكماله اذ النور العلمي من منبع الوحدة والعملي من جانب القلب الذي هو يمين النفس أو نور السابقين منهم يسعى بين أيديهم ونور الابرار منهم يسعى بأيمانهم وقد سبق تمامه في سورة الحديد وفي الحديث من المؤمنين من نوره أبعد ما بيننا وبين عدن أبين ومنهم من نوره لا يجاوز قدمه (يقولون) أي يقول المؤمنون وهو الظاهر أو الرسول لانته والمؤمنون لانفسهم اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا أي يشفقون على العادة البشرية على نورهم ويتفكرون فيما مضى منهم من الذنوب فيقولون (ربنا) أي پروردگارما (أتمم لنا نورنا) نگاه دار وباقى دار نور ما تا بسلامت بگذريم فيكون المراد بالاتمام هو الادامة الى أن يصلوا الى دار السلام (واغفر لنا) يعني از ظلمت گناه پاك كن (انك على كل شيء قدير) من الاتمام والمغفرة وغيرهما وقيل يدعون تقربا الى الله تعالى مع تمام نورهم كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له قال في الكشاف كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب قلت لما كانت حالهم كحال المتقربين يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا وقيل يتفاوت نورهم بحسب أعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا فيكون قوله يقولون من باب بنو فلان قتلوا زيدا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا وأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا وقال سهل قدس سره لا يسقط الافتقار

الى الله من المؤمنين فى الدنيا والآخرة وهم فى العقبى أشد افتقارا اليه وان كانوا فى دار العز والغنى واشوقهم الى لقائه يقولون أتمم لنا نورنا واعلم ان مالا يتم فى هذه الدار لا يتم هنالك الا ما كان متعلق النظر والهمة هنا فاعرف ثم ان الانوار كثيرة نور الذات ونور الصفات ونور الافعال ونور العبادات مثل الصلاة والوضوء وغيرهما كما قال عليه السلام فى حديث طويل والصلاة نور والسر فيه ان المصلى يناجى ربه ويتوجه اليه وقد قال عليه السلام ان العبد اذا قام يصلى فان الله ينصب له وجهه تلقاءه والله نور وحقيقة العبد ظلمانية فالذات المظلمة اذا واجهت الذات النيرة وقابلتها بمحاذاة صحيحة فانها تكتسب من أنوار الذات النيرة ألا ترى ان القمر الذى هو فى ذاته جسم أسود مظلم كثيف صقيل كيف يكتسب النور من الشمس بالمقابلة وكيف يتفاوت اكتسابه للنور بحسب التفاوت الحاصل فى المحاذاة والمقابلة فاذا تمت المقابلة وصحت المحاذاة كمل اكتساب النور وفى الحديث بشر المشائين فى الظلم الى المساجد بالنور التام فى يوم القيامة وفيه اشارة الى ان كل ظلمة ليست بعذر لترك الجماعة بل الظلمة الشديدة فان الاعذار التى تبيح التخلف عن الجماعة المرض الذى يبيح التيمم ومثله كونه مقطوع اليد والرجل من خلاف أو مفلوجا أولا يستطيع المشى أو أعمى أو المطر والطين والبرد الشديد والظلمة الشديدة للصحيح وكذا الخوف من السلطان أو غيره من المتغلبين وفى الحديث وددت انا قد رأينا اخواننا قالوا يا رسول الله ألسنا اخوانك قال أنتم أصحابى واخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله فقال أرأيتم لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرانى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله قالوا بلى يا رسول الله قال فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض استعار عليه السلام لأثر الوضوء من البياض فى وجه المتوضئ ويديه ورجليه بنور الوضوء يوم القيامة من البياض الذى فى وجه الفرس ويديه ورجليه فان الغر جمع الاغر والغرة بالضم بياض فى جبهة الفرس فوق الدرهم والتحجيل بتقديم الحاء المهملة بياض قوائم الفرس كلها ويكون فى رجلين ويد وفى رجلين فقط وفى رجل فقط ولا يكون فى اليدين خاصة الامع الرجلين ولا فى يد واحدة دون الاخرى الامع الرجلين والدهم جمع الادهم بمعنى الاسود فان الدهمة بالضم السواد والبهم جمع الابهم وفرس بهيم اذا كان على لون واحد لم يشبه غيره من الالوان ومنه استعير ماروى أنه يحشر الناس يوم القيامة بهما بالضم أى ليس بهم شئ مما كان فى الدنيا نحو البرص والعرج والفرط بفتحتين المتقدم لاصلاح الحوض والدلو (يا أيها النبى) اى رسول خبردهنده يا بلند قدر (جاهد الكفار) بالسيف يعنى جهاد كن با كافران بشمشير (والمنافقين) بالحجة أو بالوعيد والتهديد أو بلقائهم بوجه قهر أو بافشاء سرهم وقال القاشانى جاهد الكفار والمنافقين للمضادة الحقيقية بينك وبينهم قيل النفاق مستتر فى القلب ولم يكن للنبى عليه السلام سبيل الى ما فى القلوب من النفاق والاخلاص الا بعد اعلام من قبل الله فامر عليه السلام بمجاهدة من علمه منافقا باعلام الله اياه باللسان دون السيف لحرمة تلفظه بالشهادتين وأن يجرى عليه أحكام المسلمين مادام ذلك الى أن يموت (واغلظ عليهم) واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وفيه اشارة الى أن الغلظة على اعداء الله من حسن الخلق فان أرحم الرحماء اذا كان مأمورا بالغلاظة عليهم فما ظنك بغيره فهى

لاتنافى الرحمة على الاحباب كما قال تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم (ومأواهم جهنم) سيرون فيها عذابا غليظا يعنى ومقام بازكشت كافران ومنافقان اكرايمان نيارند ومخلص نشوند دوزخست قال القاشانى ماداموا على صفتهم أو دائما أبدا الزوال استعدادهم أو عدمه (وبئس المصير) أى جهنم أو مصيرهم وفيه تصريح بما علم التزاما مبالغة فى ذمهم وفيه اشارة الى نبى القلب المجاهد فى سبيل الله فانه مأمور بجهاد الكفار أى النفس الامارة بالسوء وصفاتها الحيوانية الشهوانية وبجهاد المنافقين أى الهوى المتبع وصفاته البهيمية والسبعية وبالغلظة عليهم بسيف الرياضة ورمح المجاهدة ومقامهم جهنم البعد والحجاب وبئس المصير اذذل الحجاب وبعد الاحتجاب أشد من شدة العذاب * يقول الفقير اذا كان الاعداء الظاهرة يحتاجون الى الغلظة والشدة فما ظنك بأعدى الاعداء وهى النفس الامارة ففى الغلظة عليها النجاة وفى اللين هلاك ولذا قال بعض الشعراء * هست نرمى آفت جان سمور * وز درشتى مى برد جان خارپشت * وفى المثل العصا لمن عصى وقول الشيخ سعدى * درشتى ونرمى بهم دربهست * چو فصاد جراح ومرهم نهست * يشير الى أن للمؤمن صفة الجمال والجلال وبهاء الكمال فأول المعاملات الجمال لان الله تعالى سبقت رحمته ثم الجلال فلما لم تقبل الكفار الدعوة بالرفق واللين وكذا المنافقون الاخلاص واليقين أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بالغلظة عليهم ليظهر أحكام كل من الاسماء المتقابلة ففيه اشارة الى أن من خلق للرحمة وهم المؤمنون لا يغضب عليهم ولا يغلظ لانه قلب الحكمة وعكس المصلحة وأن من خلق للغضب وهم الكفار والمنافقون لا يرحم لهم ولا يرفق بهم لذلك ودخل فيهم أهل البدعة ولذا لا يجوز أن يلقاهم السنى بوجه طلق وقد عاتب الله بعض من فعل ذلك فعلى المؤمن أن يجتهد فى طريق الحق حتى يدفع كيد الاعداء ومكر الشياطين عن الظاهر والباطن ويديم ذلك لان به يحصل الترقى الذى هو من خصائص الانسان ولذا خص الجهاد بالثقلين وأما جهاد الملائكة فبالتبعية أو بتكثير السواد فاعرف (ضرب الله مثلا للذين كفروا) ضرب المثل فى أمثال هذه المواضع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة لها فى الغرابة أى جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا ومآلا على أن مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به (امرأت نوح وامرأت لوط) أى حالهما مفعوله الاول أخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء وامرأة نوح هى واعلة بالعين المهملة أو والعة وامرأة لوط هى واهلة بالهاء (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح والمراد بكونهما تحتهما كونهما فى حكمهما وتصرفهما بعلاقة النكاح والزواج وصالحين صفة عبدين أى كانتا تحت نكاح نبيين وفى عصمة رسولين عظيمى الشأن متمكنتين من تحصيل خير الدنيا والآخرة وحيازة سعادتهما واظهار العبدين المراد بهما نوح ولوط لتعظيمهما بالاضافة التشريفية الى ضمير التعظيم والوصف بالصلاح والا فيكفى أن يقول تحتهما وفيه بيان شرف العبودية والصلاح (فخانتاهما) بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبى والخيانة ضد الامانة فهى انما تقال اعتبارا بالعهد والامانة أى فخانتاهما بالكفر والنفاق والنسبة الى الجنون والدلالة على الاضياف ليتعرضوا لهم بالفجور لا بالبغاء فانه ما بغت امرأة نبى قط فالبغى للزوجة أشد فى ايراث الانفة

لاهل العار والناموس من الكفر وان كان الكفر أشد منه فى أن يكون جرما يؤاخذ به العبد يوم القيامة وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة فى خيانتهم لرسول الله عليه السلام بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة (فلم يغنيا) الخ بيان لما أدى اليه خيانتهما أى فلم يغن النبيان (عنهما) أى عن تينك المرأتين بحق الزواج (من الله) أى من عذابه تعالى (شيأ) من الاغناء أى لم يدفعا العذاب عنهما زن نوح غرق شد بطوفان وبه سرزن لوط سنك باريد (وقيل) لهما عند موتهما أو يوم القيامة وصيغة الماضى للتحقق قاله الملائكة الموكلون بالعذاب (ادخلا النار مع الداخلين) أى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء ذكر بلفظ جمع المذكر لانهن لا ينفردن بالدخول واذا اجتمعا فالغلبة للذكور وقطعت هذه الآية طمع من يرتكب المعصية أن ينفعه صلاح غيره من غير موافقة له فى الطريقة والسيرة وان كان بينه وبينه لحمة نسب أو وصلة صهر قال القاشانى الوصل الطبيعية والاتصالات الصورية غير معتبرة فى الامور الاخروية بل المحبة الحقيقية والاتصالات الروحانية هى المؤثرة فحسب والصورية التى بحسب اللحمة الطبيعية والخلطة والمعاشرة لا يبقى لها أثر فيما بعد الموت اذ لا انساب بينهم يوم القيامة وقس عليه النسب الباطنى فان جميع القوى الخيرة والشريرة وان تولدت من بين زوجى الروح والجسد لكن الشريرة ليست من أهل الروح فى الحقيقة مثل ولد نوح فكل من السعداء والاشقياء مفترقون فى الدارين * جه نسبت بزندى صلاح وتقوى را * سماع وعظ كجا نغمهٔ رباب كجا (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) أى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين فى أن وصلة الكفر لا تضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت أعدى أعداء الله وهى فى أعلى غرف الجنة والمراد آسية بنت مزاحم يقال رجل آسى وامرأة آسية من الأسى وهو الحزن قال بعض الكبار الحزن حلية الادباء ومن لم يذق طعم الحزن لم يذق لذة العبادة على أنواعها أو من الاسو وهو المداواة والآسى بالمد الطبيب ويقال هذا حث للمؤمن على الصبر فى الشدة حتى لا يكونوا فى الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون التى صبرت على أذى فرعون كما سيجىء (اذ قالت) ظرف للمثل المحذوف أى ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت (رب) أى پروردكار من (ابن لى) على أيدى الملائكة أو بيدى قدرتك فانه روى ان الله تعالى خلق جنة عدن بيده من غير واسطة وغرس شجرة طوبى بيده (عندك بيتا فى الجنة) أى قريبا من رحمتك على ان الظرف حال من ضمير المتكلم لان الله منزه عن الحلول فى مكان أو ابن لى فى أعلى درجات المقربين فيكون عند ظرفا للفعل وفى الجنة صفة لبيتا وفى عين المعانى عندك أى من عندك بلا استحقاق منى بل كرامة منك روى أنها لما قالت ذلك رفعت الحجب حتى رأت بيتها فى الجنة من درة بيضاء وانتزع روحها استدل بعض الظرفاء اين فى القرآن مثل قولهم الجار قبل الدار قال قوله ابن لى عندك بيتا فى الجنة فعندك هو المجاورة وبيتا فى الجنة هو الدار (ونجنى من فرعون) الجاهل (وعمله) الباطل أى من نفسه الخبيثة وسوء جوارها ومن عمله السيئ الذى هو كفره ومعاصيه (ونجنى من القوم الظالمين) أى من القبط التابعين له فى الظلم روى أنه لما غلب موسى عليه السلام السحرة آمنت امرأة فرعون وقيل هى عمة موسى آمنت به فلما تبين لفرعون اسلامها طلب منها أن ترجع عن ايمانها فأبت فأوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد يعنى أو را جهار ميخ كرد وربطها وألقاها فى

الشمس حق تعالى ملائكه را بفرمود تا كردوى در آمده بيالها خود اورا سايه كردند وأراها الله بيتها فى الجنة ونسيت ماهى فيه من العذاب فضحكت فعند ذلك قالوا هى مجنونة تضحك وهى فى العذاب وفى هذا بيان أنها لم تمل الى معصية مع أنها كانت معذبة فلتكن صوالح النساء هكذا وقال الضحاك أمر بأن يلقى عليها حجر رحى وهى فى الاوتاد فقالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فما وصل الحجر اليها حتى رفع روحها الى الجنة فألقى الحجر عليها بعد خروج روحها فلم تجد ألما وقيل اشتاقت الى الجنة وملت من صحبة فرعون فسألت ذلك ودر اكثر تفاسير هست كه حق سبحانه ويرا با آسمان برد بجسد دوى وحالا در بهشتست كما قال الحسن البصرى قدس سره رفعت الى الجنة فهى فيها تأكل وتشرب وتتنعم قال فى الكشاف وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين (وفى المثنوى) تا فرود آيد بلا بى دافعى * چون نباشد از تضرع شافعى * جز خضوع وبندكى واضطرار * اندرين حضرت ندارد اعتبار * فعدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند أهل الطريقة لانه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه كما قال ابن الفارض قدس سره

ويحسن اظهار التجلد للعدا * ويقبح غير العجز عند الاحبة

(ومريم ابنة عمران) عطف على امرأة فرعون وجمع فى التمثيل بين التى لها زوج والتى لازوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وسميت مريم فى القرآن باسمها فى سبعة مواضع ولم يسم غيرها من النساء لانها أقامت نفسها فى الطاعة كالرجل الكامل ومريم بمعنى العابدة وقد سمى الله أيضا زيدا فى القرآن كما سبق فى سورة الاحزاب والمعنى وضرب الله مثلا للذين آمنوا حال مريم ابنة عمران والدة عيسى عليهما السلام وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا (التى أحصنت فرجها) الاحصان العفاف يعنى باز ايستادن از زشتى كما فى تاج المصادر والفرج ما بين الرجلين وكنى به عن السوأة وكثر حتى صار كالصريح فيه والمعنى حفظت فرجها عن مساس الرجال مطلقا حراما وحلالا على آكد الحفظ وبالفارسية آن زن كه نكاه داشت دامن خود را از حرام وفاحشه كما فى تفسير الكاشفى قال بعضهم صانته عن الفجور كما صان الله آسية عن مباشرة فرعون لانه كان عنينا وهو من لا يقدر على الجماع لمرض أو كبر سن أو يصل الى الثيب دون البكر فالتعبير عن آسية بالثيب كما مر فى ثيبات لكونها فى صورة الثيب من حيث ان لها بعلا وقال السهيلى رحمه الله احصان الفرج معناه طهارة الثوب يريد فرج القميص أى لم يعلق بثوبها ريبة أى أنها طاهرة الاثواب فكنى باحصان فرج القميص عن طهارة الثوب من الريبة وفروج القميص أربعة الكمان والأعلى والأسفل فلا يذهبن وهمك الى غير هذا لان القرآن أنزه معنى وأوجز لفظا وألطف اشارة وأحسن عبارة من أن يريد ما ذهب اليه وهم الجاهل انتهى قال فى الكشاف ومن بدع التفاسير أن الفرج هو جيب الدرع ومعنى أحصنته منعته (فنفخنا فيه) الفاء للسببية والنفخ نفخ الريح فى الشىء أى فنفخنا بسبب ذلك فى فرجها على أن يكون المراد بالفرج هنا الجيب (كما قال الكاشفى) پس در دميديم در كريبان جامه أو وكذا السجاوندى فى عين المعانى أى فيما

الفرج من جيبها وكذا أبو القاسم فى الاسئلة لم يقل فيها الا ان المراد بالكناية جيب درعها وهو الى التذكير أقرب فيكون قوله فيه من باب الاستخدام لان الظاهر ان المراد بلفظ الفرج العضو وأريد بضميره معنى آخر للفرج ومنه قوله تعالى وما لها من فروج وكذا يكون اسناد النفخ الى الضمير مجازيا أى نفخ جبريل بأمرنا وهو انما نفخ فى جيب درعها (من روحنا) أى من روح خلقناه بلا توسط أصل وأضاف الروح الى ذاته تعالى تفخيما لها ولعيسى كقوله وطهر بيتى وفى سورة الانبياء فنفخنا فيها أى فى مريم أى أحيينا عيسى فى جوفها من الروح الذى هو من أمرنا وقال بعضهم أحيينا فى فرجها وأوجدنا فى بطنها ولدا من الروح الذى هو بأمرنا وحده بلا سببية أصل وتوسل نسل على العادة العامة أو بجهة روحنا لانه نفخ من جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها أو وفعلنا النفخ فيه وقرئ فيها على وفاق ما فى سورة الانبياء أى فى مريم والمآل واحد انتهى * يقول الفقير يلوح لى ههنا سر خفى وهو أن النفخ وان كان فى الجيب الا ان عيسى لما كان متولدا من الماءين الماء المحقق وهو ماء مريم والماء المتوهم وهو ما حصل بالنفخ كان النفخ فى الجيب بمنزلة صب الماء فى الفرج فالروح المنفوخ فى الجيب كالماء المصبوب فى الفرج والماء المصبوب وان لم يكن الروح عينه الا أنه فى حكم الروح لانه يخلق منه الروح ولذا قال تعالى فنفخنا فيه أى فى الفرج سواء قلت انه فرج القميص أو العضو فاعرف ولا يقبله الا الالباء الروحانيون (وصدقت) معطوف على أحصنت (بكلمات ربها) أى بالصحف المنزلة على الانبياء عليهم السلام وفى كشف الاسرار يعنى الشرائع التى شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة ويقال صدقت بالبشارات التى بشر بها جبريل (وكتبه) أى بجميع كتبه المنزلة الشاملة للصحف وغيرها من الكتب الالهية متقدمة أو متأخرة (وكانت من القانتين) أى من عداد المواظبين على الطاعة فمن للتبعيض وفى عين المعانى من المطيعين المعتكفين فى المسجد الاقصى والتذكير لتغليب المذكر فان مريم جعلت داخلة فى ذلك اللفظ مع المذكرين والاشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم أو كانت من القانتين أى من نسلهم لانها من أعقاب هرون أخى موسى عليه السلام فمن لابتداء الغاية وعن النبى عليه السلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام كان العرب لا يؤثرون على الثريد شيأ حتى سموه بحبوحة الجنة وذلك لان الثريد مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة وسهولة التناول وقلة المؤنة فى المضغ فضرب به مثلا يؤذن بأنها أعطيت مع حسن الخلق حلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورصانة العقل والتحبب الى البعل فهى تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والاصغاء اليها وحسبك أنها عقلت من النبى عليه السلام ما لم يعقل غيرها من النساء وروت ما لم يرو مثلها من الرجال وقد قال عليه السلام فى حقها خذوا ثلثى دينكم من عائشة ولذا قال فى بدء الامالى

وللصديقة الرجحان فاعلم * على الزهراء فى بعض الخصال

لكن الكمال المطلق انما هو لفاطمة الزهراء رضى الله عنها كما دل عليه الحديث المذكور وأيضا دل تشبيه عائشة بالثريد على تشبيه غيرها من المذكورات باللحم وهو سيد الادام * يقول الفقير

رأيت فى بعض الليالى المنورة كأن النبى عليه السلام يقول لى عائشة ست النساء اللاتى اجتمعن ومعناه على ما الهمت وقتئذ أن عائشة رضى الله عنها هى السادسة من النساء الست اللاتى اجتمعن فى نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الست من التسع متساوية فى الفضيلة ومنها عائشة لكن اشتهرت عائشة بالفضل ونودى عليها بذلك وخفيت أحوال الباقيات من الست لحكمة خفية الهية ولذا لم يعين لى رسول الله عليه السلام من بقين من الست ودل الحديث على كثرة كمال الرجال وقلة كمال النساء فيما بعد عصر النبى عليه السلام وان كانت القرون متفاوتة والاعصار متباينة ولذا قال الحافظ * نشان اهل خدا عاشقيست باخوددار * كه در مشايخ شهر اين نشان نمى بينم (وقال المولى الجامى) اسرار عاشقانرا بايد زبان ديكر * دردا كه نيست پيدا درشهر همزبانى والله الهادى

(تمت سورة التحريم فى أوائل شهر الله رجب من الشهور المنتظمة فى سلك شهور سنة ست عشرة ومائة وألف

(الجزء التاسع والعشرون) (سورة الملك مكية وآيها ثلاثون بالاتفاق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذى بيده الملك) البركة النماء والزيادة حسية أو عقلية ونسبتها الى الله تعالى باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وأفعاله يعنى أن البركة تتضمن معنى الزيادة وهى تقتضى التعالى عن الغير كما قال ليس كمثله شئ أى فى ذاته لوجوب وجوده وفى صفاته وأفعاله لكماله فيهما وأما قوله تخلقوا بأخلاق الله فباعتبار اللوازم وبقدر الاستعداد لا باعتبار الحقيقة والكنه فان الاتصاف بها بهذا الاعتبار مخصوص بالله تعالى فأين احياء عيسى عليه السلام الاموات من أحياء الله تعالى فانه من الله بدعائه فالمعجزة استجابة مثل هذا الدعاء ومظهريته له بقدر استعداده وبهذا التقرير ظهر معنى قول بعض المفسرين تزايد فى ذاته فان التزايد فى ذاته لا يكون الا باعتبار تعاليه بوجوده الواجب وتنزهه عن الفناء والتغير والاستقلال وصيغة تبارك بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ مثل يتبارك فى حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما فى حيز الصلة على تحقق مضمونها والموصولات معارف ولا شك أن المؤمنين يعرفونه بكون الملك بيده واما غيرهم فهم فى حكم العارفين لان الادلة القطعية لما دلت على ذلك كان فى قوة المعلوم عند العاقل واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل لما أن أثرها يظهر فى الاكثر من اليد يقال فلان بيده الامر والنهى والحل والعقد أى له القدرة الغالبة والتصرف العام والحكم النافذ (قال الحكيم السنائى) يدا وقدرتست ووجه بقاش * آمدن حكمش ونزول عطاش * اصبعينش نفاذ حكم قدر * قدمينش جلال وقهر وخطر * وفى عين المعانى اليد صلة أو القدرة والمذهب انها صفة لله تعالى بلا تأويل ولا تكييف والملك بمعنى التصرف والسلطنة واللام للاستغراق ولذا قال فى كشف الاسرار هجده هزار عالم بدست أوست والمعنى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذى بقبضة قدرته

التصرف الكلى فى كل الامور لا بقبضة غيره فيأمر وينهى ويعطى ويمنع ويحيى ويميت
ويعز ويذل ويفقر ويغنى ويمرض ويشفى ويقرب ويبعد ويعمر ويخرب ويفرق ويصل
ويكشف ويحجب الى غير ذلك من شؤن العظمة وآثار القدرة الالهية والسلطنة الازلية
والابدية وقال بعضهم البركة كثرة الخير ودوامه فنسبتها الى الله تعالى باعتبار كثرة ما يفيض منه
على مخلوقاته من فنون الخيرات أى تكاثر خير الذى بيده الملك وتزايد نعمه واحسانه كما قال
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الراغب البركة ثبوت الخير الالهى فى الشئ والمبارك ما فيه
ذلك الخير ولما كان الخير الالهى يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل
لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة والى هذه الزيادة أشير بما روى
لا ينقص مال من صدقة وقوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجا تنبيه على ما يفيضه علينا من
نعمه بواسطة هذه البروج والنيرات المذكورة وكل موضع ذكر فيه لفظة تبارك فهو تنبيه على
اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر تبارك وفى الكواشى معنى تبارك تعالى عن
صفات المحدثين وجميع المستعمل من (ب رك) وبعكسه يشتمل على معنى الثبوت أى ثبت الخير
فى خزائن الذى وقال سهل قدس سره تعالى من تعظم عن الاشباه والاولاد والاضداد والانداد
بيده الملك يقلبه بحوله وقوته يؤتيه من يشاء وينزعه عمن يشاء وقيل يريد به النبوة يعز بها من
اتبع ويذل بها من خالف وقال جعفر قدس سره هو المبارك على من انقطع اليه أو كان له أى
فانه وارث النبى عليه السلام وخليفته وقد قيل فى حقه وبارك عليه وقال القاشانى قدس
سره الملك عالم الاجسام كما ان الملكوت عالم النفوس ولذلك وصف ذاته باعتبار تصرفه فى عالم
الملك بحسب مشيئته بالتبارك الذى هو غاية العظمة ونهاية الازدياد فى العلو والبركة وباعتبار
تسخيره عالم الملكوت بمقتضى ارادته بالتسبيح الذى هو التنزيه كقوله فسبحان الذى بيده
ملكوت كل شئ كلا على ما يناسبه لان العظمة والازدياد والبركة تناسب الاجسام والتنزه يناسب
المجردات عن المادة وفى الآية اشارة الى أن الملك اذا كان بيده فهو المالك وغيره المملوك فلا
بد للمملوك من خدمة المالك * خدمت أو كن مكر شاهان ترا خدمت كنند * يا كر او باش
تا سلطان ترا كردد غلام * وفى الحديث القدسى يا دنيا اخدمى من خدمنى قال فى كشف
الاسرار ملك انسانيت جداست وملك دلها جدا وملك جانها جدا زيرا انسانيت ملك
در دنيا راند انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ودل ملك در آخرت راند يحبهم ويحبونه وجان ملك
در عالم حقيقت راند وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة آن عزيز راه كويد فردا كه علم كبرياى
أو بقيامت برآيد كه لمن الملك من از كوشه دل خويش بدستورى او درى بركشايم ودردى
از دردهاى او بيرون دهم تا كرد قيامت برآيد وكويم لمن الملك اكر معترضى برآيد كويم
او كه چون ما نعمتها و متاع دارد مى كويد لمن الملك اكر او را چون ما نيد كانست ما را چون
او خداونديست ومن هذا البيان يعرف سر قول عين العارفين أبى يزيد البسطامى قدس سره
الهى ملكى أعظم من ملكك أى فان ملك العبد هو القديم وملك الرب هو الحادث فاعرف جدا
فان هذا المقام من مزالق الاقدام (وهو) تعالى وحده (على كل شئ) من الاشياء وعلى كل
مقدور من الانعام والانتقام وغيرهما (قدير) مبالغ فى القدرة عليه ومنته الى اقصاها يتصرف

فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان أحكام ملكه تعالى في جلائل الامور ودقائقها قال بعضهم وهو على كل شئ قدير أي ما يمكن أن تتعلق به المشيئة من المعدومات الممكنة لان الموجود الواجب لا يحتاج في وجوده الى شئ ويمتنع زواله ازلا وأبدا والموجود الممكن لا يراد وجوده اذ هو تحصيل الحاصل والمعدوم الممتنع لا يمكن وجوده فلا تتعلق به المشيئة فتعلق القدرة بالمعدوم بالايجاد و بالموجود بالابقاء والتحويل من حال الى حال قال القاشاني وهو القادر على كل ما عدم من الممكنات يوجده على ما يشاء فان قرينة القدرة تخص الشئ بالممكن اذ تعلق القدرة به فيقال انه مقدور لانه ممكن (وفي التأويلات النجمية) تعالى وتعاظم في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله الذي بيده المطلقة الاشئ السعداء سلطنة الوجود المطلق الفائض على الوجودات المقيدة وهو أي هويته المطلقة ظاهرة في كل شئ قادرة على كل شئ (الذي خلق الموت والحياة) شروع في تحصيل بعض أحكام الملك وآثار القدرة والموصول بدل من الموصول الاول فلا وقف على القدير والموت عند أهل السنة صفة وجودية مضادة للحياة كالحرارة والبرودة والحياة صفة وجودية زائدة على نفس الذات مغايرة للعلم والقدرة مصححة لاتصاف الذات بهما وما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما من أن الموت والحياة جسمان وأن الله خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشئ ولا يجد رائحته شئ الا مات وخلق الحياة على صورة فرس انثى بلقاء وهي التى كان جبريل والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشئ ولا يجد رائحتها شئ الا حيي وهي التى أخذ السامري من أثرها قبضة فألقاها على العجل فحيي فكلام وارد على سبيل التمثيل والتصوير والا فهما في التحقيق من قبيل الصفات لا من قبيل الاعيان هكذا قالوا وجوابه ان كون الموت والحياة صفتين وجوديتين لا ينافي أن يكون لهما صورة محسوسة كالاعيان فانهما من مخلوقات عالم الملكوت ولكل منهما صورة مثالية في ذلك العالم بها يرى ويشاهد مشاهدة من يغيب عن عالم الملك وينسلخ عن البدن يؤيده قوله عليه السلام يذبح الموت بين الجنة والنار على صورة كبش ولا شك أن الذبح انما يتعلق بالاعيان وأيضا ان عالم الآخرة عالم الصفة يعني أن كل صفة باطنة في الدنيا تتصور بصورة ظاهرة في العقبى حسنة أو قبيحة فلا شئ من المعاني الا وهو يتجسم ويتصور فقول ابن عباس رضي الله عنه محمول على هذا نعم ان قولهم ان الحياة فرس أنثى يخالف قولهم ان البراق حقيقة ثالثة لا ذكر ولا أنثى وقال بعضهم الموت عبارة عن عدم صفة الحياة عن محل يقبلها يعني أن الموت والحياة من باب العدم والملكة فان الحياة هي الاحساس والحركة الارادية والاضطرارية كالتنفس والموت عدم ذلك عما من شأنه أن يكون له كما قال صاحب الكشاف الحياة ما يصح بوجوده الاحساس والموت عدم ذلك ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه انتهى * أي ايجاد أثر الموت بقطع ضوء الروح عن ظاهر الحي وباطنه مع كونه في غاية الاقتدار على الحركة والتقلب وبجعله جمادا كان لم تكن به حركة أصلا وكذا ايجاد أثر الحياة بنفخ الروح واضاءة ظاهر البدن وباطنه به وبجعله قادرا على التقلب بنفسه بالارادة وعدم تلك الملكة ليس عدما محضا بل فيه شائبة الوجود والا لم يعتبر فيه المحل القابل للامر الوجودي فلذلك صح تعلق الخلق بالموت

كتعلقه بالحياة وبهذا التقرير اندفع ما اعترضوا به من أن العدم حال لا يكون مخلوقا لان المخلوق حادث وعدم الحوادث أزلي ولو كان مخلوقا لزم وجود الحوادث ازلا وهو باطل وقال بعضهم معنى خلق الموت على تقدير أن يكون الموت عبارة عن عدم الحياة قدره فان الخلق يجيء بمعنى التقدير كما في قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين ولا يبعد أن يقال ان تعلق الخلق بالموت بمعنى الايجاد انما هو بتبعية تعلقه بالحياة بذلك المعنى وقدم على الحياة لان الموت في عالم الملك ذاتي والحياة عرضية يعني أن الموت أسبق لان الاشياء كانت مواتا ثم عرضت لها الحياة كالنطفة على ما دل عليه قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون ولانه أدعى الى احسان العمل وأقرب الى قهر النفوس فمن جعله نصب عينيه أفلح وفي الحديث لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت * وفي الارشاد الاقرب أن المراد به الموت الطارئ وبالحياة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما كما ينطق به ما بعد الآية ليبلوكم الخ فان استدعاءهما لملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع أن نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية انتهى * وظاهره يخالف قوله تعالى ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فان المراد بهذه الحياة هي الحياة الدنيوية بقرينة النشور والقرآن يفسر بعضه بعضا ثم ان الالف واللام في الموت والحياة عوض عن المضاف اليه أي موتكم وحياتكم أيها المكلفون لان خلق موت غير المكلفين وحياتهم لابتلاء المكلفين لا معنى له قال بعض العارفين الموت والحياة عرضان والاعراض والجواهر مخلوقة لله تعالى وأصل الحياة حياة تجليه وأصل الموت موت استتاره وهما يتعاقبان للعارفين في الدنيا فاذا ارتفعت الحجب يرتفع الموت عنهم بأنهم يشاهدون عيانا بلا استتار أبدا لا يجري عليهم طوارق الحجاب بعد ذلك قال الله تعالى بل أحياء عند ربهم خلق الموت والحياة يميت قوما بالمجاهدات ويحيي قوما بالمشاهدات يميت قوما بنعت الفناء في ظهور سطوات القدم ويحيي قوما بنعت البقاء في ظهور أنوار البقاء لولا التجلي والاستتار لم يظهر شوق المشتاقين وتفاوت درجات الشوق ولا يتبين وله العاشقين وتفاوت درجاتهم في العشق وقال سهل قدس سره الموت في الدنيا بالمعصية والحياة في الآخرة بالطاعة في الدنيا وقال الجنيد قدس سره حياة الاجسام مخلوقة وهي التي قال الله تعالى خلق الموت والحياة وحياة الله دائمة لا انقطاع لها أوصلها الى أوليائه في قديم الدهر الذي ليس له ابتداء فكانوا في علمه أحياء قبل ايجاده لهم ثم أظهرهم فأعارهم الحياة المخلوقة التي أحيا بها الخلق وأماتهم في سره فكانوا في سره بعد الوفاة كما كانوا ثم أورد عليهم حياة الابد فكانوا أحياء أبدا وقال الواسطي قدس سره من أحياه الله عند ذكره في أزله لا يموت أبدا ومن أماته في ذلك لا يحيا أبدا وكم حي غافل عن حياته وميت غافل عن مماته (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) اللام متعلقة بخلق وظاهرها يدل على أن أفعال الله معللة بمصالح العباد وانه تعالى يفعل الفعل لغرض كما ذهب اليه المعتزلة وعند أهل السنة ليس هي على ظاهرها بل معناها أن الله تعالى فعل فعلا لو كان يفعله من يراعي المصالح لم يفعله الا لتلك المصلحة والغرض فمثل هذه اللام لام العلة عقلا ولام الحكمة والمصلحة شرعا وأيكم مبتدأ وأحسن خبره وعملا تمييز والجملة الاسمية سادة مسد المفعول الثاني لفعل البلوى عدي اليه بلا واسطة لتضمنه معنى العلم باعتبار عاقبته والا فهو لا يتعدى بلا واسطة الا الى مفعول واحد فليس هو من قبيل

التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول أصلا وقد ذكر المفعول الاول هنا وهو كم مع اختصاصه بافعال القلوب ولا من التضمين المصطلح بل هو مستعار لمعنى العلم والبلوى الاختبار وليس هنا على حقيقته لانه انما يتصور ممن يخفى عليه عواقب الامور فالابتلاء من الله أن يظهر من العبد ما كان يعلم منه فى الغيب والمعنى ليعاملكم معاملة من يختبركم أيكم أحسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم وأعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه السلام بقوله ايكم أحسن عقلا وأورع من محارم الله وأسرع فى طاعة الله يعنى أتم عقلا عند الله وفهما لمراده فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما أن الاول أشرف من الثانى كذلك الحال فى عمله كيف لا وعمله معرفة الله الواجبة على العباد أول كل شئ وانما طريقها النظر والتفكر فى بدائع صنع الله والتدبر فى آياته المنصوبة فى الانفس والآفاق كما قال عليه السلام لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى أمر الله الذى هو عمل القلب ضرورة أن لا يقدر على أن يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل أهل الارض كذا فى الارشاد * يقول الفقير لعل حال يونس عليه السلام اشارة الى انه عمل قالبى مفضل على عمل أهل الارض فى زمانه بخواص قلبية فان أعمال المقربين واحد منها مقابل بمائة ألف بل بغير حساب باعتبار التفاوت فى الاحسان والشهود والخلوص ولذا قال تعالى أحسن فانه بعبارته اشارة الى أحوال المقربين وباشارته الى أحوال غيرهم من الابرار والكفار والمنافقين وذلك ان نية الانسان لا تخلو اما أن يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الدنيا فهو سيئ نية وعملا وهو حال الكفار واما أن يكون متعلقها فى لسانه هو الآخرة وفى جنانه هو الدنيا فهو أسوأ نية وعملا وهو حال المنافقين واما أن يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الآخرة فهو حسن نية وعملا وهو حال الابرار وأما أن يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو وجه الله تعالى فهو أحسن نية وعملا وهو حال المقربين ولما كان المقصود الاعظم هو تحصيل هذا الاحسن صرح بذكره دون ذكر الحسن فانه مفهوم بطريق الاشارة وكذا غيره ولقد أصاب من قال فى تفسير الآية تا بيازمايد شمارا يعنى با شما معامله آزمايند كان كند تا ظاهر شود كه دردار تكليف كدام از شما نيكوتر يد از جهت عمل يعنى اخلاص كدام بيشترست وكذا من قال أحسن الاعمال ما كان اخلص بأن يكون لوجه الله خالصا وأصوب بأن يكون موافقا للسنة أى واردا على النهج الذى ورد عن الشارع فالعمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ولذا قال عليه السلام للاعرابى قم فصل فانك لم تصل وكذا اذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل أيضا ولذا جعل الله أعمال أهل الرياء والنفاق هباء منثورا وقول من قال من العارفين حسن العمل نسيان العمل ورؤية الفضل هو من مراتب الاخلاص فان الاخلاص سر عظيم من أسرار الله تعالى لا يناله الا الخواص وفى الارشاد ايثار صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل لهم باعتبار أعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح أيضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بأن المراد بالذات والمقصد الاصلى من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق أصل الايمان والطاعة فى الباقين أيضا لكمال تعاضد الموجبات له وأما الاعراض عن ذلك فلكونه بمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام فى سلك الغاية

للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب انتهى
* ثم ان المراد أيكم عمله أحسن من عمل غيره ولا معنى لقول السجاوندي في عين المعاني استفهام
بمعنى الهمزة ولذا لم يعمل فيه الفعل تقديره أأنتم أحسن عملا أم غيركم انتهى فانه يشعر بأن
يكون التفاوت بالنسبة الى الانسان وغيره كالملائكة ومؤمني الجن مثلا وليس بمراد وعبارة
القرآن في اسناد الحسن الى الانسان تدل على أن من كان عمله أحسن كان هو أحسن ولو أنه
أبشع الناس منظرا ومن كان عمله أسوأ كان بخلاف ذلك * ره راست بايد نه بالاى راست
* كه كافر هم از روى صورت چو ماست * ولم يقل أكثر عملا لانه لا عبرة بالكثرة مع القبح قالوا
والحسن انما يدرك بالشرع فما حسنه الشرع فهو حسن وما قبحه فهو قبيح وقال بعضهم ليبلوكم
أيكم أحسن أخذا من حياته لموته وأحسن أهبة في دنياه لآخرته قال النبي صلى الله عليه وسلم
لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما خذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك ومن فراغك لشغلك
ومن حياتك لموتك فانك لا تدري ما اسمك غدا وسئل عليه السلام أي المؤمنين أكيس قال
أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا فالاستعداد للموت وللآخرة بكثرة الاعمال المقارنة
للاخلاص سواء كانت صلاة أو صوما أو زكاة أو حجا أو نحوها وان كان لبعض الاعمال تفاوت
بالنسبة الى البعض الآخر كالصلاة فانها معراج الشهود وفيها كسر النفس واتعاب البدن
ولذا كان السلف الصالح يكثرون منها حتى ان منهم من يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ونحوها
وكالصوم وتقليل الطعام فانه سبب لورود الحكمة الالهية الى القلب ولذا كان بعض السلف
يواصلون فمنهم من يطوي ثلاثة أيام ومنهم من يطوي فوق ذلك الى سبعة الى ثلاثين الى أربعين
فمن طوى أربعين يوما انفتح له باب الحكمة العظمى مع أن في الصوم تهذيب الاخلاق أيضا
فان أكثر المفاسد يجيء من قبل الاكل والشرب فيا أيها المؤمنون سابقوا وسارعوا فان النفس
مطية والسباق مضمار والسابقون السابقون أولئك المقربون وقد قال عليه السلام قد سبق
المفردون والتفريد هو تقطيع الموحد عن الانفس والآفاق وشهود الحق في عالم الاطلاق
فلا بد من السير والسلوك ثم الطيران في هواء الوحدة والهوية الذاتية فان به يحصل الانفصال
عن منازل الاكوان السفلية الحادثة ويتحقق العروج الى عالم الوجوب والقدم نسأل الله من
فضله أن يرينا وجهه الكريم انه هو البر الرحيم (وهو) أي والحال أنه وحده (العزيز) الذي
لا يفوته من أساء العمل (الغفور) لمن شاء منهم بالتوبة وكذا بالفضل قال بعضهم لما كان العزيز
مخيفا لكل من خاف الله اذا علم عظمته قال مرغبا للمسيء في التوبة حتى لا يقول مثلي لا يصلح
للخدمة لما لي من القاطعة وأين التراب ورب الارباب الغفور والذي يستر ذنوب المسيء ويتلقى
من أقبل اليه أحسن تلق كما قال في الحديث القدسي ومن أتاني يمشي أتيته هرولة (الذي خلق
سبع سموات) أبدعها من غير مثال سبق (طباقا) صفة لسبع سموات وقولهم الصفة في الاعداد
تكون للمضاف اليه كما في قوله سبع بقرات سمان لا يطرد ويجوز جعله حالا لان سبع سموات
معرفة لشمولها الكل وهو مصدر بمعنى الفاعل يقال طابقه مطابقة وطباقا الشيء مثل كتاب
مطابقه بكسر الباء وطابقت بين الشيئين اذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما والباب يدل على
وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه والمعنى مطابقة بعضها فوق بعض وسماء فوق سماء غلظ

كل

كل سماء خمسمائة عام وكذا جوها بلا علاقة ولا عماد ولا مماسة فالسماء الدنيا موج مكفوف أي ممنوع من السيلان والثانية من درة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس أصفر والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء وبين السابعة وما فوقها من الكرسي والعرش بحار من نور قال القاشاني نهاية كمال عالم الملك في خلق السموات لا ترى احكم خلقا وأحسن نظاما وطباقا منها قال الجمهور ان الارض مستديرة كالكرة وان السماء الدنيا محيطة بها من كل جانب احاطة البيضة بالمح فالصفرة بمنزلة الارض وبياضها بمنزلة الماء وجلدها بمنزلة السماء غير أن خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة بل هي مستديرة كاستدارة الكرة المستديرة الخرط حتى قال مهندسوهم لو حفر في الوهم وجه الارض لادى الى الوجه الآخر ولو ثقب مثلا بارض الاندلس لنفذ الثقب بأرض الصين وان السماء الثانية محيطة بالدنيا وهكذا الى أن يكون العرش محيطا بالكل والكرسي الذي هو أقربها اليه بالنسبة اليه كحلقة ملقاة في فلاة فما ظنك بما تحته وكل سماء في التي فوقها بهذه النسبة (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) استئناف والخطاب للرسول أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب ووضع خلق الرحمن موضع الضمير اذ المقام مقام أن يقال في خلقه وهي السموات على أن يكون بمعنى المخلوق والاضافة بمعنى اللام للاشعار بأنه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا ومن لتأكيد النفي والمعنى ما ترى فيه شيأ من اختلاف واضطراب في الخلقة وعدم تناسب بل هو مستو مستقيم قال القاشاني سلب التفاوت عنها بساطتها واستدارتها ومطابقة بعضها بعضا وحسن انتظامها وتناسبها وهو من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر فلا يناسبه ولا يلائمه قال الراغب التفاوت الاختلاف في الاوصاف كأنه يفوت وصف أحدهما الآخر أو وصف كل واحد منهما الآخر وجعل بعض العلماء خلق الرحمن عاما فسئل بأن المخلوقات بأسرها على غاية التفاوت لان الليل غير النهار الى غير ذلك من الاضداد ثم أجاب بأن ليس فيها تناقص أو زيادة غير محتاج اليها أو نقصان محتاج اليه بل الكل مستقيم مستو به دالة على أن خالقها عالم انتهى * وفي الآية اشارة الى شمول رحمته الرحمانية الواسعة كل شئ كما قال يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان الموجودات كلها علوية كانت أو سفلية نورانية كانت أو ظلمانية روحانية كانت أو جسمانية خلقت من نور الرحمن ورحمته من غير تفاوت في الخلقة وأصل الرزق * اديم زمين سفرهٔ عام اوست * برين خوان يغما چه دشمن چه دوست (فارجع البصر) أي رده الى رؤية السماء حتى يتضح ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما ورجع يجئ لازما ومتعديا يقال رجع بنفسه رجوعا وهو العود الى ما منه البدء مكانا كان أو فعلا أو قولا بذاته كان رجوعه أو بجزء من أجزائه أو بفعل من أفعاله ورجعه غيره رجعا أي رده واعاده (هل ترى) فيها (من فطور) جمع فطر كما في القاموس وهو الشق كما قال في تاج المصادر الفطر آفريدن وابتدا كردن وشكافتن يقال فطره فانفطر أي شقه فانشق والمعنى من شقوق وصدوع لامتناع خرقها والتئامها قاله القاشاني ولو كان لها فروج لفاتت المنافع التي رتبها لها النجوم المفرقة في طباقها أو بعضها أو كلها كما في المناسبات فاذا لم ير في السماء فطورا وهي مخلوقة فالخالق أشد امتناعا من خواص الجسمانيات (ثم ارجع البصر كرتين) أي رجعتين أخريين

وأعد النظر مرة بعد مرة فى طلب الخلل والعيب * يعنى اكر بيك نكريستن معلوم نكردى
تكرار كن نكريستن را * واراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك يريد اجابات
كثيرة واعانات وفيرة بعضها فى اثر بعض وذلك لان الكلال الآتى لا يقع بالمرتين أى رجعة بعد
رجعة وان كثرت قال الحسن رحمه الله لو كررته مرة بعد مرة الى يوم القيامة لم تر فيه فطورا وقال
الواسطى رحمه الله كرتين أى قلبا وبصرا لان الاول كان بالعين خاصة والحاصل أن تكرار النظر
وتجوال الفكر مما يفيد تحقيق الحقائق واذا كان ذلك النظر فيها عند طلب الخروق والشقوق
لا يفيد الا الكلال والحرمان تحقق الامتناع وما أتعب من طلب وجود الممتنع (ينقلب)
ينصرف ويرجع وبالفارسية باز كردد (اليك) بسوى تو (البصر) چشم تو (خاسئا) أى ذليلا
بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والذلة
فقوله ينقلب مجزوم على أنه جواب الامر وخاسئا حال من البصر وهو مع أنه اسم فاعل من خسأ
بمعنى تباعد وهرب ففيه معنى الصغار والذلة فاذا قيل خسأ الكلب خسوأ فمعناه تباعد من
هوانه وخوفه كأنه زجر وطرد عن مكانه الاول بالصغار وخسأ يجيء متعديا أيضا يقال خسأت
الكلب خسأ أى باعدته وطردته وزجرته مستهينا به فانزجر وذلك اذا قيل له اخسأ قال الراغب
ومنه خسأ البصر أى انقبض من مهانة وفى القاموس الخاسئ من الكلاب والخنازير المبعد
لا يترك أن يدنو من الناس ولا يكون خاسئا فى الآية من المتعدى الا بأن يكون بمعنى المفعول أى
مبعدا (وهو حسير) أى كليل وبالغ غاية الاعياء لطول المعاودة وكثرة المراجعة وهو فعيل بمعنى
الفاعل من الحسور الذى هو الاعياء كما فى تاج المصادر الحسور رنجه شدن وكند شدن چشم
از مسافت دور وقال الراغب يقال للمعيى حاسر ومحسور أما الحاسر فتصور أنه قد حسر بنفسه
قواه وأما المحسور فتصور أن التعب قد حسره وقوله تعالى وهو حسير يصح أن يكون بمعنى
حاسر وبمعنى محسور انتهى والجملة حال من البصر أو من الضمير المستتر فى خاسئا فيكون من
قبيل الاحوال المتداخلة قال بعضهم فاذا كان الحال هذا فى بعض المصنوع فكيف عند طلب
العلم بالصانع فى كماله وجلاله وجماله فكيف بمن يتفوه بالحلول والاتحاد حسبه جهنم وبئس
المهاد سبحان من تحير فى ذاته سواه * فهم وخرد بكنه كمالش نبرد راه * عمرى خرد بجو چشمه
ها جنبها كشاد * تا بر كمال كنه اله افكند نكاه * ليكن كشيد عاقبتش در دو ديده ميل * شكل
الست كه حرف تحسرت از اله * وفى التأويلات النجمية فارجع بصرك الظاهر من ظواهر
الاشياء الى بصرك الباطن ومن بصرك الباطن الى بواطن الاشياء يعنى انظر باتحاد بصرك
وبصيرتك الى ظواهر الاشياء وبواطنها هل ترى من شقوق الخلاف بحسب استعداد كل واحد
من الموجودات لاعطائه كل ذى حق حقه ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو
حسير مبعدا عن رؤية الخلل ومطالعة الزلل كما قال الامام حجة الاسلام قدس سره فى بعض كلماته
ليس فى الامكان أبدع من هذا الوجود لانه لو كان ولم يظهر لكان بخلا وهو جواد ولكان عجزا
وهو قادر كما قال تعالى الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقال بعضهم العالم لم يكن فى الامكان
أبدع مما كان أى أظهر من هذا العالم لانه ما ثم الا مرتبتان الحق فى المرتبة الاولى وهو القدم والعالم
فى الثانية وهو الامكان والحدوث فلو خلق ما خلق الى ما لا يتناهى فلا يزال فى المرتبة الثانية

الامكانية

الامكانية (ولقد زينا السماء الدنيا) بيان لكون خلق السموات فى غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها أى وبالله لقد زينا أقرب السموات الى الارض والناس وجعلناها فالزين والتزيين بالفارسية آراستن وهو ضد الشين بالفارسية معيوب كردن والدنيا تأنيث الادنى بمعنى الاقرب وكون السماء قربى من سائر السموات انما هو بالاضافة الى ماتحتها من الارض لامطلقا لان الامر بالعكس بالاضافة الى مافوقها من العرش (بمصابيح) بچراغها جمع مصباح وهو السراج وتنكيره للتعظيم والمدح أى بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كلها مركوزة فى السماء الدنيا مع أن بعضها فى سائر السموات لان السموات اذا كانت شفافة وأجراما صافية فالكواكب سواء كانت فى السماء الدنيا أو فى سموات أخرى فهى لابد وأن تظهر فى السماء الدنيا وتلوح منها وعلى التقديرين تكون السماء الدنيا مزينة بهذه المصابيح ودخل فى المصابيح القمر لانه أعظم نير يضىء بالليل واذا جعل الله الكواكب زينة السماء التى هى سقف الدنيا فليجعل العباد المصابيح والقناديل زينة سقوف المساجد والجوامع ولا سرف فى الخير وذكر ان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا جاء العشاء يوقد فيه بسعف النخل فلما قدم تميم الدارى رضى الله عنه المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا وعلق تلك القناديل بسوارى المسجد وأوقدت فقال عليه السلام نورت مسجدنا نور الله عليك أما والله لو كان لى ابنة لانكحتكها وسماه سراجا وكان اسمه الاول فتحا ثم أكثرها عمر رضى الله عنه حين جمع الناس على أبى بن كعب رضى الله عنه فى صلاة التراويح فلما رآها على رضى الله عنه تزهر قال نورت مسجدنا نور الله قبرك يا ابن الخطاب وعن بعضهم قال أمرنى المأمون أن أكتب بالاستكثار من المصابيح فى المساجد فلم أدر ما أكتب لانه شئ لم أسبق اليه فرأيت فى المنام اكتب فان فيه انسا للمتهجدين ونفيا لبيوت الله عن وحشة الظلم فانتبهت وكتبت بذلك وفيه اشارة الى سماء القلب لدنوه منك من سماء الروح وزينة أنوار المعارف والعلوم الالهية والواردات الروحانية (وجعلناها) أى المصابيح المعبر بها عن النجوم أى بعضها كما فى تفسير أبى الليث (رجوما) جمع رجم بالفتح وهو مايرجم به ويرمى للطرد والزجر أو جمع راجم كسجود جمع ساجد (للشياطين) هم كفار الجن يخرجون الانس من النور الى الظلمات وجمع الشياطين على صيغة التكثير لكثرتهم فى الواقع فالمعنى وجعلنا لها فائدة أخرى هى رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من الكواكب لابالكواكب نفسها فانها قارة فى الفلك على حالها فمنهم من يقتله الشهاب ومنهم من يفسد عضوا من أعضائه أو عقله والشهاب شعلة ساطعة من نار وهو ههنا شعلة نار تنفصل من النجم فأطلق عليها النجم ولفظ المصباح ولفظ الكوكب ويكون معنى جعلناها رجوما جعلنا منها رجوما وهى تلك الشهب ومما يؤيد أن الشعلة منفصلة من النجوم ماجاء عن سلمان الفارسى رضى الله عنه أن النجوم كلها كالقناديل معلقة فى السماء الدنيا كتعليق القناديل فى المساجد مخلوقة من نور وقيل انها معلقة بايدى الملائكة ويشهد لهذا القول قوله تعالى اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت لان انتثارها يكون بموت من كان يحملها من الملائكة وقيل ان هذه ثقب فى السماء ويشهد له قول بعض المكاشفين ان الكواكب ليست مركوزة فى هذا التعين وانما

هى بانعكاس الانوار فى بعض عروقه اللطيفة والذى يرى كسقوط النجم فكدفع الشمس من
موضع الى موضع وهذا لا يطلع عليه الحكماء وانما يعرفه أهل السلوك انتهى وقال الفلاسفة
ان الشهب انما هى أجزاء نارية تحصل فى الجو عند ارتفاع الابخرة المتصاعدة واتصالها بالنار
التى دون الفلك وقد سبق بيان هذا المقام مفصلا فى أوائل الصافات والحجر فلا نعيده والذى
يلوح أن مذهب الفلاسفة قريب فى هذه المادة من مذهب أهل الحقائق وقد مر بيان مذهبهم
فى الصافات والله أعلم بالخفيات (وأعتدنا لهم) أى هيأنا للشياطين فى الآخرة بعد الاحراق
فى الدنيا بالشهب ومنه العتاد أى العدة والاهبة (عذاب السعير) أى عذاب جهنم الموقدة
المشعلة فالسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا أوقدتها ولذلك لم يؤنث بالتاء فى آخره مع
أنه اسم للدركة الرابعة من دركات النار السبع وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر
ثم الجحيم ثم الهاوية ولكن كل من هذه الاسماء يطلق على الآخر فيعبر عن النار تارة بالسعير وتارة
بجهنم وأخرى بآخر واعلم أن فى كل دركة منها فرقة من فرق العصاة كعصاة أهل التوحيد
والنصارى واليهود والصابئة والمجوس والمشركين والمنافقين ولم يذكروا الشياطين فى واحدة من
الدركات السبع ولعلهم يقسمون على مراتب اضلالهم فيدخل كل قسم منهم مع قسم تبعه فى
اضلاله فكان سبب دخوله فى دركة من الدركات الست التحتانية جزاء اضلاله واضلال له وأذية لمن
تبعه فيما دعا اليه بمصاحبته ومقارنته كما قال تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين أى مع
شياطينهم وفى الآية اشارة الى شياطين الخواطر النفسانية والهواجس الظلمانية وعذابها
عذاب الرد والانقلاب بغلبة الخواطر الملكية والرحمانية (وللذين كفروا بربهم) من الشياطين
وغيرهم وكفرهم به اما بالتعطيل أو بالاشراك وقال سعدى المفتى الاظهر حمله على الكفرة
غير الشياطين كما يشعر به ما بعده واثلا يلزم شبه التكرار (عذاب جهنم) أى الدركة النارية
التى تلقاهم بالتجهم والعبوسة يقال رجل جهم الوجه كالح منقبض وفيه اشارة الى أن عذابه
تعالى وانتقامه خارج عن العادة لكونه ليس بسيف ولا سوط ولا عصا ونحوها بل بالنار
الخارجة عن الانطفاء وليس للكافر المعذب من الخلاص رجاء (وبئس المصير) أى جهنم
وقال بعضهم جهنم من الجهنام وهى بئر بعيدة القعر ففيه اشارة الى أن أهل النار مبعدون
عن جمال الله تعالى وعن نعيم الجنة محرقون فى نار البعد والقطيعة نسأل الله العافية
قال فى فتح الرحمن تضمنت هذه الآية أن عذاب جهنم للكافرين المخلدين وقد جاء فى الاثر
أنه يمر على جهنم زمن تخفق أبوابها قد أخلتها الشفاعة فالذى فى هذه الآية هى جهنم بأسرها
أى جميع الطبقات والتى فى الاثر هى الطبقة العليا لانها مقر العصاة انتهى وهو مراد من قال
من كبار المكاشفين يأتى زمان تبقى جهنم خالية عن أهلها وهم عصاة الموحدين ويأتى على
جهنم زمان ينبت فى قعرها الجرجير وهى بقلة (اذا ألقوا) أى الذين كفروا (فيها) أى فى
جهنم وطرحوا كما يطرح الحطب فى النار العظيمة وفى ايراد الالقاء دون الادخال اشعار
بتحقيرهم وكون جهنم سفلية (سمعوا لها) أى لجهنم نفسها وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من
قوله (شهيقا) لانه فى الاصل صفة فلما قدمت صارت حالا أى سمعوا كائنا لها شهيقا أى صوتا
كصوت الحمير الذى هو أنكر الاصوات وأفظعها غضبا عليهم وهو حسيسها المنكر الفظيع

كما قال تعالى لا يسمعون حسيسها قالوا الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق أو شهيق الحمار آخر صوته والزفير أوله أو الشهيق رد النفس والزفير اخراجه (وهى تفور) أى والحال انها تغلى بهم غليان المرجل بما فيها من شدة التلهب والتسعر فهم لا يزالون صاعدين هابطين كالحب اذا كان الماء يغلى به لا قرار لهم أصلا والفور شدة الغليان ويقال ذلك فى النار وفى القدر وفى الغضب وفوارات الماء سميت تشبيها بغليان القدر وفعلت كذا من فورى أى من غليان الحال وفارة المسك تشبيها به فى الهيئة كما فى المفردات قال بعضهم نطقت الآية بأن سماعهم يكون وقت الالقاء على ما هو المفهوم من اذا وعلى المفهوم من قوله وهى تفور أن يكون بعده اللهم الا أن تغلى بما فيها كائنا ما كان ويؤول اذا ألقوا باذا أريد الالقاء أو اذا قربوا من الالقاء بناء على أن صوت الشهيق يقتضى أن يسمع قبل الالقاء انتهى (تكاد تميز من الغيظ) الجملة خبر آخر وتميز أصله تتميز بتاءين والتميز الانقطاع والانفصال بين المتشابهات والغيظ أشد الغضب يقال يكاد فلان ينشق من غيظه اذا وصف بالافراط فى الغضب والمعنى تكاد تتفرق جهنم من شدة الغضب عليهم أى يقرب أن يتمزق تركيبها وينفصل بعضها من بعض وبالفارسية نزديكست كه پاره پاره شود دوزخ از شدت خشم بر كافران شبه اشتعال النار بهم فى قوة تأثيرها فيهم وايصال الضرر اليهم باغتياظ المغتاظ على غيره المبالغ فى ايصال الضرر اليه فاستعير اسم الغيظ لذلك الاستعمال استعارة تصريحية قال الامام لعل سبب هذا المجاز أن دم القلب يغلى عند الغضب فيعظم مقداره فيزداد امتلاء العروق حتى يكاد يتمزق قال فى المناسبات وكان حذف احدى التاءين اشارة الى أنه يحصل افتراق واتصال على وجه من السرعة لا يكاد يدرك حق الادراك وذلك كله لغضب سيدها وتأتى يوم القيامة تقاد الى المحشر بألف زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يقودونها به وهى من شدة الغيظ تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الازمة جميعا وتحطم أهل المحشر وتقول لا نتقمن اليوم ممن أكل رزق الله وعبد غيره فلا يردها عنهم الا النبى صلى الله عليه وسلم يقابلها بنوره فترجع مع أن لكل ملك من القوة ما لو أمر به أن يقتلع الارض وما عليها من الجبال ويصعد بها لفعل من غير كلفة وهذا كما أطفأها فى الدنيا بنفخة كما قال عليه السلام لقد أدنيت منى النار حتى جعلت أنفخها خشية أن تغشاكم قال بعضهم تلك المهواة لشدة منافاتها بالطبع لعالم النور وأصل فطرة النفس ليشتد غيظها على النفوس كما أن شدة منافرة الطباع بعضها بعضا تستلزم شدة العداوة والبغض المقتضية لشدة الغيظ * يقول الفقير تقرر من هذا البيان ودل سائر الآثار الصحيحة أيضا أن جهنم لها حياة وشعور كسائر الاحياء ولذا يصدر منها كما يصدر منهم فلا حاجة الى ارتكاب المجاز عند أهل الله تعالى فى امثال ذلك قال جعفر الطيار رضى الله عنه كنت مع النبى عليه السلام فى طريق فاشتد على العطش فعلمه النبى عليه السلام وكان حذاءنا جبل فقال عليه السلام بلغ منى السلام الى هذا الجبل وقل له يسقيك ان كان فيه ماء قال فذهبت اليه وقلت السلام عليك أيها الجبل فقال الجبل بنطق فصيح لبيك يا رسول رسول الله فعرضت القصة فقال بلغ سلامى الى رسول الله وقل منذ سمعت قوله تعالى فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة بكيت لخوف أن أكون من الحجارة التى هى وقود النار بحيث لم يبق فى ماء (كلما ألقى) الالقاء يفكندن (فيها) أى فى جهنم (فوج) جماعة من

الكفرة بدفع الزبانية لهم الذين هم أغيظ عليهم من النار وهو استئناف مسوق لبيان حال أهلها بعد بيان حال نفسها (سألهم) أى ذلك الفوج وضمير الجمع باعتبار المعنى (خزنتها) أى خزنة النار وهى مالك وأعوانه من الزبانية بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة أى ليزدادوا العذاب الروحانى على العذاب الجسمانى جمع خازن بمعنى الحافظ والموكل يعرف ذلك من قولهم بالفارسية خزينه دار قال فى تاج المصادر الخزن نكاه داشتن مال وسر (ألم يأتكم) أى وقالوا لهم أيها الكفرة الفجرة ألم يأتكم فى الدنيا (نذير) أى منذر يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا والانذار الابلاغ ولا يكون الا فى التخويف ويتعدى الى مفعولين كما فى تاج المصادر (قالوا) اعترافا بأنه تعالى قد أزاح عللهم بالكلية ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يأتوا من قدره كما تزعم المجبرة وانما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله فأمر به وأوعد على ضده (بلى) لايجاب نفى اتيان النذير (قد جاءنا نذير) جمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة فى الاعتراف وتحسرا على فوت سعادة التصديق وتمهيدا لبيان التفريط الواقع منهم أى قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير أى واحد حقيقة أو حكما كأنبياء بنى اسرائيل فانهم فى حكم نذير واحد فأنذرنا وتلا علينا ما نزل الله عليه من آياته روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى عليه السلام أنه قال أنا النذير والموت المغير يعنى موت غارت كننده است والساعة الموعد يعنى قيامت وعده كاهست (فكذبنا) ذلك النذير فى كونه نذيرا من جهته تعالى فان قلت هذا يقتضى أن لا يدخلها الفاسق المصر لانه لم يكذب النذير قلت قد دلت الأدلة السمعية على تعذيب العصاة مطلقا والمراد بالفوج هنا بعض من ألقى فيها وهم الكفرة كما سبق (وقلنا) فى حق ما تلاه من الآيات افراطا فى التكذيب وتماديا فى التنكير بسبب الاشتغال فى الامور الدنيوية والاحكام الرسومية الخلقية (ما نزل الله) على أحد (من شئ) من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم وقال بعضهم ما نزل الله من كتاب ولا رسول (ان أنتم) أى ما أنتم يا معشر الرسل فى ادعاء ان الله تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها (الا فى ضلال كبير) بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع أن مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على أمثاله مبالغة فى التكذيب وتماديا فى التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما (وقالوا) أيضا معترفين بأنهم لم يكونوا ممن يسمع أو يعقل (لو كنا) فى الدنيا (نسمع) كلاما (أو نعقل) شيأ وفيه دليل على ان العقل حجة التوحيد كالسمع وقدم السمع لانه لابد أولا من سماع ثم تعقل المسموع وقال سعدى المفتى قوله لو كنا الخ يجوز أن يكون اشارة الى قسمى الايمان التقليدى والتحقيقى أى الاستدلالى لانه محتاج الى النظر دون التحقيق العيانى لانه يحصل بالكشف لا العقل (ما كنا) اليوم (فى أصحاب السعير) أى فى عداد أهل النار الموقدة وأتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى وأعتدنا لهم عذاب السعير كأن الخزنة قالوا لهم فى تضاعيف التوبيخ ألم تسمعوا آيات ربكم من ألسنة الرسل ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فأجابوا بذلك * وفى التأويلات النجمية لو كنا نسمع بأسماع قلوبنا أو نعقل بعقول أرواحنا ما كنا فى أصحاب السعير ولكنا سمعنا بأسماع مختومة وعقول معلولة مقفولة (فاعترفوا) اضطرارا حين لا ينفعهم الاعتراف وهو اقرار عن

معرفة وفي عين المعاني عرفوا أنفسهم بالجرم (بذنبهم) اختيارا بصرف قواهم الى سوء الاقتراف وهو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله وقال بعضهم أفرد الذنب لانه يفيد فائدة الجمع بكونه اسم جنس شامل للقليل والكثير وأريد به الكفر وهو وان كان على أنواع فهو ملة واحدة في كونه نهاية الجرم واقتضاء الخلود الابدي في النار (فسحقا) مصدر مؤكد لما الفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد أي فأسحقهم الله أي أبعدهم من رحمته سحقا أي اسحاقا وابعادا بسبب ذنبهم أو لفعل مرتب على ذلك الفعل أي فأسحقهم الله فسحقوا أي بعدوا سحقا أي بعدا يقال سحق الشيء مثل كرم فهو سحيق أي بعد فهو بعيد قيل هو تحقيق وقيل هو على الدعاء وهو تعليم من الله لعباده أن يدعوا عليهم به كما في التيسير ومعناه بالفارسية پس دور كرد خداى تعالى دور كردنى ايشان را از رحمت خود قال بعضهم دعاء عليهم من الله اشعارا بأن المدعو عليهم مستحقون لهذا الدعاء وسيقع عليهم المدعو به من البعد والهلاك (لاصحاب السعير) اللام للبيان كما في هيت لك والمراد الشياطين والداخلون من الكفرة وفيه اشارة الى أن الله تعالى بعد أهل الحجاب من جنة القرب وقربهم من جهنم البعد (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافون عذابه وهو عذاب يوم القيامة ويوم الموت ويوم القبر خوفا وراء عيونهم حال كون ذلك العذاب غائبا عنهم ولم يعاينوه بعد على أن بالغيب حال من المضاف المقدر أو غائبين عنه تعالى اي عن معاينة عذابه وأحكام الآخرة أو عن أعين الناس لانهم ليسوا كالمنافقين الذين اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن على أنه حال من الفاعل وهو ضمير يخشون أو بما خفي منهم وهو قلوبهم فالباء للاستعانة متعلقة بيخشون والالف واللام اسم موصول وكانوا يشمون من كبد أبي بكر الصديق رضي الله عنه رائحة الكبد المشوي من شدة الخوف من الله تعالى وكان عليه السلام يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء والازيز الغليان وقيل صوته والمرجل قدر من نحاس (لهم مغفرة) عظيمة تأتي على جميع ذنوبهم ولما كان السرور انما يتم بالاعطاء قال (وأجر كبير) أي ثواب عظيم في الآخرة فضلا منه تعالى يكون لهم به من الاكرام ما ينسيهم ما قاسوه في الدنيا من شدائد الآلام وتصغر في جنبه لذائذ الدنيا وهو الجنة ونعيمها وكفته اند ايمنى از شدايد ومكاره يعنى هر كه ترسد كان امان باشد از هرچه مى ترسند * لاتخافوا مژده ترسنده است * هر كه مى ترسد مبارك بنده است * خوف وخشيت خاص دانايان بود * هر كه دانا نيست كى ترسان بود * ترسكارى رستكارى آورد * هر كه درد آرد عوض درمان بود * فلا بد من العقل أولا حتى يحصل الخوف ثانيا وكان بعض الاكاسرة وكانوا أعقل الملوك رتب واحدا يكون وراءه بالقرب منه يقول اذا اجتمعت جنوده أنت عبد لا يزال يكرر ذلك والملك يقول له كلما قاله نعم وهكذا حال من يعرف مكر النفس ويخاف الله بقلبه قال مسروق ان المخافة قبل الرجاء فان الله تعالى خلق جنة ونارا فلن تخلصوا الى الجنة حتى تمروا بالنار قال تعالى وان منكم الا واردها قال فضيل قدس سره اذا قيل لك أتخاف الله فاسكت فانك اذا قلت لا فقد جئت بأمر عظيم واذا قلت نعم فالخائف لا يكون على ما أنت عليه ألا ترى أن الله تعالى لما اتخذ ابراهيم عليه السلام خليلا ألقى في قلبه الوجل حتى ان خفقان قلبه يسمع من بعيد كما يسمع خفقان الطير في الهواء وقيل لفضيل بم بلغ بك الخوف الذي بلغ

قال بقلة الذنوب فللخوف أسباب وأول الامر العقل السليم ثم يحصل كماله بترك العصيان وذلك أن ترك المعصية وان كان نتيجة الخوف لكن القلب يترقى فى الرقة بترك المعصية فيشتد خوفه فقاسى القلب لا يعرف الخوف لان عقله ضعيف مغلوب يقال العقل كالبعل والنفس كالزوجة والجسم كالبيت فاذا اسلط العقل على النفس اشتغلت النفس بمصالح الجسم كما تشتغل المرأة المقهورة بمصالح البيت فصلحت الجملة وان غلبت النفس كان سعيها فاسدا كالمرأة التى قهرت زوجها فافسدت الجملة * مبر طاعت نفس شهوت برست * كه هر ساعتش قبلهٔ ديكرست * كرا جامه پاكست وسيرت پليد * در دوزخش را نبايد كليد (وأسروا قولكم أو اجهروا به) و پنهان سازيد سخن خود وادرشان پيغمبر عليه السلام يا آشكارا كنيد مر انرا قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء يعنى در باب حضرت پيغمبر سخنان ناشايسته كفتندى فيظهر الله رسوله عليها فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فيخبره بما تقولون فقيل لهم أسروا ذلك أو اجهروا به فان الله يعلمه واسرار الاقوال واعلانها مستويان عنده تعالى فى تعلق علمه والامر للتهديد لا للتكليف وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرون من أول الامر والمبالغة فى بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يجهرون به مع كونهما فى الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى أو لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شئ يجهر به الا وهو أو مباديه مضمر فى القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية (انه عليم بذات الصدور) مبالغ فى الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة فى صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التى فى الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها قال القاشانى انه عليم بذات الصدور لكون تلك السرائر عين علمه فكيف لا يعلم ضمائرها من خلقها وسواها وجعلها مرائى اسراره ولم يقل ذوات الصدور لارادة الجنس وذات هنا تأنيث ذى بمعنى صاحب حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أى عليم بالمضمرات صاحبة الصدور وهى الخواطر القائمة بالقلب من الدواعى والصوارف الموجودة فيه وجعلت صاحبة الصدور بملازمتها لها وحلولها فيها كما يقال للبن ذو الاناء ولولد المرأة وهو جنين ذو بطنها (ألا يعلم) آيا نداند (من خلق) أى ألا يعلم السر والجهر من أوجد بحكمته جميع الاشياء التى هما من جملتها فهو انكار ونفى لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر ومن فاعل يعلم ويجوز أن يكون منصوبا على أنه مفعول يعلم والعائد محذوف أى ألا يعلم الله من خلقه (وهو) أى والحال أنه تعالى وحده (اللطيف) العالم بدقائق الاشياء يرى أثر النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء (الخبير) العالم ببواطنها قال القاشانى هو المحيط ببواطن ما خلق وظواهره بل هو هو فى الحقيقة باطنا وظاهرا لا فرق الا بالوجوب والامكان والاطلاق والتقييد واحتجاب الهوية بالعندية والحقيقة بالشخصية فان قلت ذكر الخبير بعد اللطيف تكرار قلت لا تكرار فيه فانه قال الامام الغزالى رحمه الله انما يستحق اسم اللطيف من يعلم دقائق المصالح

وغوامضها

وغوامضها وما دق منها وما لطف ثم يسلك في ايصالها الى المستصلح على سبيل الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الادراك تم معنى اللطف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل الا لله تعالى والخبير هو الذى لا يعزب عنه الاخبار الباطنة فلا يجرى فى الملك والملكوت شئ ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن الا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا أضيف الى الخفايا الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبها خبيرا قال بعضهم كنا جماعة من الفقراء فأصابتنا فاقة ومجاعة فذهبنا الى ابراهيم الخواص قدس سره وقلت فى نفسى أباسط الشيخ فى أحوالى وأحوال هؤلاء الفقراء فلما وقع بصره على قال لى الحاجة التى جئتنى فيها الله عليم بها أم لا فارفعها اليه فسكت ثم انصرفنا فلما وصلنا الى المنزل فتح علينا بشئ واذا علم العبد انه مطلع على سره عليم بخفى ما فى صدره يكتفى من سؤاله برفع همته اليه واحضار حاجته فى قلبه من غير أن ينطق بلسانه والله لطيف بعباده ومن لطفه بهم أنه يوصل اليهم ما يحتاجون اليه بسهولة فمن قوته رغيف لو تفكر فيه يعلم كم عين سهرت فيه من أول الامر حتى تم وصلح للاكل من الحارث والباذر للبذر والحاصد والدائس والمذرى والطاحن والعاجن والخابز وينشعب من ذلك الآلات التى تتوقف عليها هذه الاعمال من الاخشاب والحجارة والحديد والحبال والدواب بحيث لا تكاد تنحصر وهكذا كل شئ ينعم به على عبده من مطعوم ومشروب وملبوس فيه مقدمات كثيرة لو احتاج العبد الى مباشرتها بنفسه لعجز عن ذلك ومن سنة الله سبحانه حفظ كل لطيفة فى طى كل كثيفة كصيانة الودائع فى المواضع المجهولة ألا ترى أنه جعل التراب الكثيف معدن الذهب والفضة وغيرهما من الجواهر والصدف معدن الدر والذباب معدن الشهد والدود معدن الحرير وكذا جعل قلب العبد محلا ومعدنا لمعرفته ومحبته وهو مضغة لحم فالقلب خلق لهذا لا لغيره فعلى العبد أن يطهره عن لوث التعلق بما سوى الله فان الله تعالى لطف به بايجاده ذلك القلب فى جوفه ووصف نفسه بأنه لطيف خبير مطلع على ما فى الباطن فاذا كان هو المنظر الالهى وجب تخليته عن الافكار والاغيار وتحليته بأنواع المعارف والعلوم والاسرار وتجليته بتجلى الله الملك العزيز الغفار بوجوه أسمائه وصفاته بل بعين ذاته نسأل الله تعالى نواله وأن يرينا جماله (هو) وحده (الذى جعل لكم) أى لمنافعكم (الارض) اختلفوا فى مبلغ الارض وكميتها فروى عن مكحول أنه قال ما بين أقصى الدنيا الى أدناها مسيرة خمسمائة سنة مائتان من ذلك فى البحر ومائتان ليس يسكنها أحد وثمانون فيها يأجوج ومأجوج وعشرون فيها سائر الخلق وعن قتادة أنه قال الدنيا أى بسيطها من حيث يحيط بها البحر المحيط أربعة وعشرون ألف فرسخ فملك السودان منها اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ وملك العرب ألف فرسخ وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال ربع من لا يلبس الثياب من السودان أكثر من جميع الناس وقد خرج بطليموس مقدار قطر الارض واستدارتها فى المجسطى بالتقريب وهو كتاب له يذكر فيه القواعد التى يتوصل بها الى اثبات الاوضاع الفلكية والارضية بأدلتها التفصيلية قال استدارة الارض مائة ألف وثمانون ألف اسطاديوس وهى أربعة وعشرون ألف ميل فتكون على هذا الحكم ثمانية آلاف فرسخ والفرسخ ثلاثة أميال والميل ثلاثة آلاف ذراع بالملكى والذراع ثلاثة أشبار

وكل شبر اثنتا عشرة اصبعا والاصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها الى بعض وعرض الشعيرة الواحدة ست شعرات من شعر بغل والاسطار بوس أربعمائة ألف ذراع قال وغلظ الارض وهو قطرها سبعة آلاف وستمائة وثلاثون ميلا يكون ألفين وخمسمائة فرسخ وخمسة وأربعين فرسخا وثلثي فرسخ قال فبسط الارض كلها مائة واثنان وثلاثون ألف ألف وستمائة ألف ميل فيكون مائتي ألف وثمانية آلاف فرسخ قال صاحب الخريدة فان كان ذلك حقا فهو وحي من الحق أو الهام وان كان قياسا واستدلالا فهو قريب أيضا من الحق وأما قول قتادة ويكعول فلا يوجب العلم اليقيني الذي يقطع على الغيب به انتهى (ذلولا) أي لينة منقادة غاية الانقياد لما تفهمه صيغة المبالغة يسهل عليكم السلوك فيها لتتوصلوا الى ما ينفعكم وبالفارسية نرم ومنقاد تا آسان باشد سير شما بران ولو جعلها صخرة خشنة تعسر المشي عليها أو جعلها لينة منبتة يمكن فيها حفر الآبار وشق العيون والانهار وبناء الابنية وزرع الحبوب وغرس الاشجار ولو كانت صخرة صلبة لتعذر ذلك ولكانت حارة في الصيف جدا وباردة في الشتاء فلا تكون كفاتا للاحياء والاموات وأيضا ثبتها بالجبال الراسيات كيلا تمايل وتنقلب باهلها ولو كانت مضطربة متمايلة لما كانت منقادة لنا فكانت على صورة الانسان الكامل في سكوتها وسكونها وكانت هي وحقائقها في مقابلة القلم الاعلى والملائكة المهيمة والحاصل أن الله تعالى جعل الارض بحيث ينتفع بها وقسمها الى سهول وجبال وبراري وبحار وأنهار وعيون وملح وعذب وزرع وشجر وتراب وحجر ورمال ومدر وذات سباع وحيات وفارغة وغير ذلك بحكمته وقدرته قال سهل قدس سره خلق الله الانفس ذلولا فمن أذلها بمخالفتها فقد نجاها من الفتن والبلاء والمحن ومن لم يذلها واتبعها أذلته نفسه وأهلكته يقال دابة ذلول بينة الذل أو هو بالكسر اللين والانقياد وهو ضد الصعوبة فالذلول من كل شئ المنقاد الذي يذل لك وبالضم الهوان ضد العز قال الراغب الذل ما كان عن قهر يقال ذل يذل ذلا والذل ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر يقال ذل يذل ذلا وجعلهما البيهقي في تاج المصادر من الباب الثاني حيث قال في ذلك الكتاب والباب الذل خوار شدن والذل رام شدن وكذا في مختار الصحاح وجعل صاحب القاموس الذل ضد الصعوبة بالضم والكسر والذل بمعنى الهوان بالضم فقط والذلول فعول بمعنى الفاعل ولذا عرى عن علامة التأنيث مع أن الارض مؤنث سماعي (فامشوا في مناكبها) الفاء لترتيب الامر على الجعل المذكور وهو أمر اباحة عند بعض أي فاسلكوا في جوانبها وخبر في صورة الامر عند آخرين أي تمشون في أطرافها من حيث ان منكبي الرجل جانباه فشبه الجوانب بالمناكب واذا مشوا وساروا في جوانبها وأطرافها فقد أحاطوا بها وحصل لهم الانتفاع بجميع ما فيها قال الراغب المنكب مجتمع ما بين العضد والكتف ومنه استعير للارض في قوله فامشوا في مناكبها كاستعارة الظهر لها في قوله ما ترك على ظهرها انتهى أو في جبالها وشبهت بالمناكب من حيث الارتفاع وكان لبشير بن كعب سرية فقال لها ان أخبرتني ما مناكب الارض فانت حرة فقالت مناكبها جبالها فصارت حرة فأراد أن يتزوجها فسأل أبا الدرداء رضي الله عنه فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وهو مثل لفظ التذلل ومجاوزته الغاية أي تذليل البعير لا مطلقا كما في حواشي سعدي المفتي فان منكب البعير أرق أعضائه وأنباها عن

أن يطأها الراكب بقدمه فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يتأتى المشى فى مناكبها لم يبق منها شئ لم يتذلل فخرج الجواب عن وجه تخصيص المشى فى الجبال على تقدير أن يراد بالمناكب الجبال لكن من الجبال ما يتعذر سلوكها كجبل السد بيننا وبين ياجوج ومأجوج وورد فى الحديث أنه تزالق عليه الارجل ولا تثبت ومنها ما يشق سلوكها وانما لم تعتبر لندرتها وقلتها *وفى التأويلات النجمية هو الذى جعل لكم أرض البشرية ذلولا منقادة فخذوا من أرضها بقدر الحاجة من أعاليها وأسافلها من اللذات الجسمانية المباحة لكم بحكم الشرع لتقوية أبدانكم وتهيئة اسباب طاعاتكم وعباداتكم لئلا تضعف بالكلية وتكل عن العبادة (وكلوا من رزقه) والتمسوا من نعم الله تعالى فيها من الحبوب والفواكه ونحوها والامر ان كان أمر اباحة فالرزق ما يكون حلالا وان كان خبرا فى صورة الامر بمعنى تأكلون فيجوز أن يكون شاملا للحرام أيضا فانه من رزقه أيضا وان كان التناول منه حراما (واليه) أى الى الله وحده (النشور) أى المرجع بعد البعث فبالغوا فى شكر نعمه يقال نشر الله الميت نشرا أحياه بعد موته ونشر الميت بنفسه نشورا فهو يتعدى ولا يتعدى كرجعه رجعا ورجع بنفسه رجوعا الا أن الميت لا يحيا بنفسه بدون احياء الله اذ هو محال (أأمنتم) آيا أيمن شديداى مكذبان وهو استفهام توبيخ فالهمزة الاولى استفهامية والثانية من نفس الكلمة (من) موصولة (فى السماء) أى الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم أو الله سبحانه على تأويل من فى السماء أمره وقضاؤه وهو كقوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض وحقيقته أأمنتم خالق السماء ومالكها قال فى الاسئلة خص السماء بالذكر ليعلم أن الاصنام التى فى الارض ليست بآلهة لا لانه تعالى فى جهة من الجهات لان ذلك من صفات الاجسام وأراد أنه فوق السماء والارض فوقية القدرة والسلطنة لا فوقية الجهة انتهى على أنه لا يلزم من الايمان بالفوقية الجهة فقد ثبت فانظر ماذا ترى وكن مع أهل السنة من الورى كما فى الكبريت الاحمر للامام الشعرانى قدس سره وأما رفع الايدى الى السماء فى الدعاء فلكونها محل البركات وقبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة وجناب الله تعالى قبلة القلب ويجوز أن تكون الظرفية باعتبار زعم العرب حيث كانوا يزعمون أنه تعالى فى السماء أى أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو متعال عن المكان وفى فتح الرحمن هذا المحل من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه ونؤمن به ولا نتعرض لمعناه ونكل العلم فيه الى الله قوله من فى السماء فى موضع النصب على أنه مفعول أمنتم (أن يخسف بكم الارض) بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون فى مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة أى يقلبها متلبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من أى أأمنتم من فى السماء خسفه والباء للملابسة والخسف بزمين فرو بردن والخسوف بزمين فروشدن والمشهور أن الباء فى مثل هذا الموضع للتعدية أى يدخلكم ويذهبكم فيها وبالفارسية فرو برد شمارا بزمين قال الجوهرى خسف المكان يخسف خسوفا ذهب فى الارض وخسف الله به الارض خسفا غاب به فيها وفى القاموس أيضا خسف الله بفلان الارض غيبه فيها (فاذا هى) پس آنگاه زمين پس ازفرو بردن شما بوى (تمور) قال فى القاموس المور الاضطراب والجريان على وجه الارض والتحرك أى تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان وقال بعضهم

فاذا الارض تدور بكم الى الارض السفلى وبعضهم تنكشف تارة للغوص فيها وتلتسم أخرى للتعذيب بها (أم أمنتم) يا اهل مكة وهو انتقال الى التهديد بوجه آخر (من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) أى حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل أى أم أمنتم من فى السماء ارساله على ان قوله أن يرسل بدل من من أيضا والمعنى هل جعل لكم من هذين امان واذ لا أمان لكم منهما فما معنى تماديكم فى شرككم (فستعلمون) عن قريب البتة (كيف نذير) اى انذارى عند مشاهدتكم للمنذر به أهو واقع أم لا أشديد أم ضعيف يعنى حين حققتم المنذر به تعلمون أنه لا خلف لخبرى وان عذابى لشديد وأنه لا دافع عنه ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ فالنذير وكذا النكير الآتى مصدران بمعنى الانذار والانكار وأصلهما نذيرى ونكيرى بياء الاضافة فحذفت اكتفاء بكسر ما قبلها قال فى برهان القرآن خوفهم بالخسف أولا لكونهم على الارض وأنها أقرب اليهم من السماء ثم بالحاصب من السماء فلذلك جاء ثانيا * يقول الفقير أشارت الآية الاولى على ما ألهمت فى جوف الليل الى أن الاستتار تحت اللحاف وعدم النهوض الى الصلاة والمناجاة وقت السحر عقوبة من الله تعالى على أهل الغفلة كالخسف ولذا لما قام بعض العارفين متهجدا فأخذه البرد وبكى من العرى قيل له من قبل الله تعالى أقمناك وأنمناهم فتبكى علينا يعنى ان اقامتك وانامة الغافلين نعمة لك ونقمة لهم فاشكر عليها ولا تجزع من العرى فان بلاء العرى أهون من بلاء الغفلة وأشارت الآية الثانية الى نزول المطر الشديد من السماء فانه ربما يمنع المتهجد عن القيام والاشتغال بالوضوء والطهارة فيكون غضبا فى صورة الرحمة فعلى العاقل ان لا يضيع الوقت ويغتنم الفراغ قبل الشغل ايقظنا الله واياكم (ولقد كذب الذين من قبلهم) اى من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد وأضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم (فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم بانزال العذاب أى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا مورد التأكيد القسمى لا تكذيبهم فقط وانكار الله تعالى على عبده أن يفعل به أمرا صعبا وفعلا هائلا لا يعرف وفى الآية تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لقومه (أولم يروا) أى أغفلوا ولم ينظروا (الى الطير) فالرؤية بصرية لانها تعدت بالى وأما القلبية فتعديتها بنفسها والطير يطلق على جنس الطائر وهو كل ذى جناح يسبح فى الهواء اما لكونه جمعه فى الاصل كركب وراكب أو مصدرا جعل اسما لجنسه فباعتبار تذكيره فى المعنى وصف بصافات وفى المفردات أنه جمع طائر (فوقهم) يجوز أن يكون ظرفا ليروا وأن يكون حالا من الطير أى كائنات فوقهم (صافات) حال من الطير والصف أن يجعل الشئ على خط مستو كالناس والاشجار ونحو ذلك ومفعول صافات وكذا يقبضن اجنحتهن الطير لا أنفسها والمعنى باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا وقوادم الطير مقاديم ريشه وهى عشر فى كل جناح الواحدة قادمة (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر فى ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات فان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء فكما أن الاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها فكذا الاصل فى الطيران صف الاجنحة وبسطها والقبض انما يكون تارة بعد تارة للاستظهار المذكور كما فى السابح قال ابن الشيخ ويقبضن عطف على

صافات

صافات لانه بمعنى وقابضات والا لما عطف الفعل على الاسم (ما يمسكهن) فى الجو وما يأخذهن عن السقوط عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الجسمانى فانه يقتضى الهبوط الى السفل (الا الرحمن) الواسع رحمته كل شئ بأن برأهن على أشكال وخصائص وهيأهن للجرى فى الهواء (انه بكل شئ بصير) يعلم ابداع المبدعات وتدبير العجائب والبصير هو الذى يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وهو فى حقه تعالى عبارة عن الوصف الذى به ينكشف كمال نعوت المبصرات فالبصر صفة زائدة على علمه تعالى خلافا للقدرية فمن عرف هذه الصفة كان المراد به دوام المراقبة ومطالبة النفس بدقيق المحاسبة والمراقبة احدى ثمرات الايمان (حكى) أن بعض الملوك كان له عبد يقبل عليه أكثر مما يقبل على أمثاله ولم يكن أحسن منهم صورة ولا أكثر منهم قيمة فكانوا يتعجبون من ذلك فركب الملك يوما الى الصحراء ومعه أصحابه وعبيده فنظر الى جبل بعيد عليه قطعة ثلج نظرة واحدة ثم أطرق فركض ذلك العبد فرسه من غير أن ينظر الملك اليه ولا أشار بشئ من ذلك ولم تعلم الجماعة لاى شئ ركض فرسه فما لبث الا ساعة حتى عاد ومعه شئ من الثلج فقيل له بم عرفت أن الملك أراد الثلج فقال لانه نظر اليه ونظر الملوك الى شئ لا يكون عبثا فقال الملك لهذا أقربه وأقدمه عليكم فانكم مشغولون بأنفسكم وهو مشغول بمراقبة أحوالى * وفى التأويلات النجمية يشير الى طيران الارواح العلوية المخلوقة قبل الاجساد بألفى عام الباسطات الاجنحة الروحانية القابضات القوادم الجسمانية من العوالم الهيولانية ما يمسكهن الا الرحمن المشتمل على الاسم الحفيظ وبه يمسكها فى جو سماء القدرة انه بكل شئ بصير يعلم كيف يخلق الاشياء الغريبة وكيف يدبر الامور العجيبة (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) أصله أم من على أن أم منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد فى ذلك والاستفهام متوجه الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه ولا سبيل هنا الى تقدير الهمزة مع بل لان ما بعدها من الاستفهامية ولا يدخل الاستفهام على الاستفهام ومن مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته وايثار هذا التحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه والجند جمع معد للحرب والمعنى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم وعسكر وعون من آلهتكم وغيرها ينصركم عند نزول العذاب والآفات متجاوزا نصر الرحمن فمن دون الرحمن حال من فاعل ينصركم ودون بمعنى غير أو ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى على أنه نعت لمصدره أو ينصركم من عذاب كائن من عند الله على أنه متعلق بينصركم وقد تجعل من موصولة مبتدأ وهذا مبتدأ ثانيا والموصول مع صلته خبره والجملة صلة من بتقدير القول وينصركم خبره وأم منقطعة أو متصلة والقرينة محذوفة بدلالة السياق على أن يكون المعنى الله الذى له هذه الاوصاف الكاملة والقدرة الشاملة ينصركم ويمنعكم من الخسف والحصب ان أصابكم أم الذى يشار اليه ويقال فى حقه هذا الذى تزعمون أنه جند لكم ينصركم من دون الله وايثار الرحمن للدلالة على أن رحمة الله هى المنجية من غضبه لا غير قال القاشانى أى من يشار اليه ممن يستعان به من الاغيار حتى الجوارح والآلات والقوى وكل ما ينسب اليه التأثير والمعونة من الوسائط فيقال هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن فيرسل

ما أمسك من النعم الباطنة والظاهرة أو يمسك ما أرسل من النعم المعنوية والصورية وما يحصل لكم ما منع ولم يقدر لكم أو يمنع ما أصابكم به وقدر عليكم (ان الكافرون الا فى غرور) ان نافية يعنى ما أى ماهم فى زعمهم أنهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط أو أن آلهتهم تحفظهم من بأس الله الا فى غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم فى ذلك شئ يعتد به فى الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم الاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار فى موضع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به (أمن هذا الذى يرزقكم) يعطيكم الرزق (ان أمسك) الرحمن وحبس (رزقه) بامساك المطر ومباديه ولو كان الرزق موجودا أو كثيرا وسهل التناول فوضع الاكلة فى فمه فأمسك الله عنه قوة الابتلاع عجز أهل السموات والارض عن أن يسوغوه تلك اللقمة واعرابه كاعراب ما سبق والمعنى على تقدير كون من موصولة الله الرزاق ذو القوة المتين يرزقكم أم الذى يقال فى حقه هذا الحقير المهين الذى تدعون أنه يرزقكم قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون عن الايمان ويعاندون الرسول عليه السلام معتمدين على شيئين أحدهما اعتمادهم بمالهم وعددهم والثانى اعتقادهم أن الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فأبطل الله عليهم الاول بقوله أم من هذا الذى هو جند لكم الخ ورد عليهم الثانى بقوله أم من هذا الذى يرزقكم الخ (بل لجوا فى عتو ونفور) مبنى عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل اثر التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا فى عتو أى عناد واستكبار وطغيان ونفور أى شراد عن الحق وتباعد واعراض لمضادتهم الحق بالباطل الذى أقاموا عليه فاللجاج التمادى فى العناد فى تعاطى الفعل المزجور عنه والعتو التجاوز عن الحد والنفور الفرار وفيه تحقير لهم واشارة الى أنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة يعنى كوييا ايشان خران وحشى اندرميده كان كه كريخته باشند از شير يا از صياد يار يسمان دام يا مردم تير انداز يا آوازهاى مختلف * كسى را كه پندار در سر بود * مپندار هركز كه حق بشنود (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى) الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحاليهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وتقديم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة وأما بحسب المعنى فالامر بالعكس حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشى مكبا والمكب الساقط على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل فى الكب وكبه قلبه وصرعه يعنى أسقطه على وجهه ولا يقال أكبه فان أكب لازم وعند صاحب القاموس لازم متعد ومكبا حال من فاعل يمشى والمعنى فمن يمشى وهو يعثر فى كل ساعة ويخر على وجهه فى كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه أشد هداية ورشدا الى المقصد الذى يؤمه قال فى المناسبات لم يسم سبحانه لمشيه طريقا لانه لا يستحق ذلك ولما كان ربما صادف السهل لا عن بصيرة بل عن اتفاق قال أهدى (أمن) أى أهو أهدى أم من (يمشى سويا) أى قائما سالما من الخبط والعثار (على صراط مستقيم) مستوى الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف وقيل المكب كناية عن الاعمى لانه لا يهتدى الى الطريق فيتعسف يعنى بى راه ميرود * فيلزمه أن يكب على وجهه بخلاف البصير السوى * فرقست ميان آنكه از روى يقين * با ديدهٔ بينا رود اندر ره دين * با آنكه دو چشم بسته بى دست كسى * هر كوشه همى رود بظن وتخمين وقال قتادة هو

الكافر أكب على معاصى الله فى الدنيا يحشره الله على وجهه الى النار فى العقبى والمؤمن استقام
على أمر الله فى الدنيا يحشره الله على قدميه الى الجنة فى الآخرة وقيل للنبى عليه السلام وكيف
يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم
وفيه اشارة الى أن الله تعالى يظهر للانسان يوم القيامة ما أبطن اليوم خيرا أو شرا * سيرتى
كاندر وجودت غالبست * هم بران تصوير حشرت واجبست * قال القاشانى أفمن يمشى منتكسا
بالتوجه الى الجهة السفلية والمحبة للملاذ الحسية والانجذاب الى الامور الطبيعية أهدى
أم من يمشى مستويا منتصبا على صراط التوحيد الموصوف بالاستقامة التامة التى لا توصف
فالجاهل المحجوب الطالب للدنيا المعرض عن المولى الاعمى عن طريق الحق مكبوب على وجه
الجبلة بواسطة ظلمة الغفلة والعارف المحقق التارك للدنيا المقبل على المولى المبصر البصير لطريق
الحق ماش سويا بالظاهر والباطن على طريق التوحيد الذى لا فيه أمت ولا عوج (قل) يا أفضل
الخلق (هو) تعالى وحده (الذى أنشأكم) أيها الكفار كما دل عليه السباق والسياق ويندرج
فيه الانسان الغافل أيضا أى أنشأكم انشاء بديعا قابلا لجمع جميع الحقائق الالهية والكيانية
وابتدأ خلقكم على أحسن خلق بأن صوركم فأحسن صوركم (وجعل لكم السمع) وأعطى لكم
الاذن لتسمعوا آيات الله وتعملوا بموجبها بل لتسمعوا الخطابات الغيبية من ألسنة الموجودات
بأمرها فانها كلها تنطق نطق الانسان كما قال الله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم قيل لبزرجمهر من أكمل الناس قال من لم يجعل سمعه غرضا للفحشاء وقدم
السمع لانه شرط النبوة ولذلك ما بعث الله رسولا أصم ولان فوائد السمع أقوى بالنسبة الى العوام
وان كانت فوائد البصر أعلى بالنسبة الى الخواص ولان السمع مرتبة الخطاب عند انفتاح
باب القلب والبصر مرتبة الرؤية ولا شك أن مرتبة الخطاب أقدم بالنسبة الى مرتبة الرؤية لان
مرتبة الرؤية هى مرتبة التجلى فهى نهاية الامر ألا ترى أنه عليه السلام سمع قبل النبوة صوت
اسرافيل ولم ير شخصه وأما بعدها فقد رأى جميع الملائكة وأمامهم ليلة المعراج عند السدرة بل
ورأى الله تعالى بلا كيف فترقى من مرتبة الخطاب التى هى مرتبة الوحى الى مرتبة التجلى التى
هى مرتبة الموحى (والابصار) لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤن الله تعالى
وابصروا جميع مظاهره تعالى فى غاية الكمال ونهاية الاتقان (والافئدة) لتتفكروا بها فيما
تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا الى معارج الايمان والطاعة
بل لتتقبلوا بها الواردات القلبية والالهامات الغيبية قال فى القاموس التفؤد التحرق والتوقد
ومنه الفؤاد للقلب مذكر والجمع أفئدة انتهى وخص هذه الثلاثة بالذكر لان العلوم والمعارف
بها تحصل كما فى كشف الاسرار ولان القلب كالحوض حيث ينصب اليه ما حصل من طريق
السمع والبصر (قليلا ما تشكرون) أى باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة
وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد القلة أى شكرا قليلا أو زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة
عبارة عن العدم قال سعدى المفتى القلة بمعنى النفى ان كان الخطاب للكفرة وبمعناها المعروف
ان كان للكل يقال قلما أفعل كذا أى لا أفعله قال بعض العارفين

لو عشت ألف عام * فى سجدة لربى * شكرا لفضل يوم * لم أقض بالتمام

والعام ألف شهر * والشهر ألف يوم * واليوم ألف حين * والحين ألف عام

قال بعضهم من وظائف السمع في الشكر التعلم من العلماء والحكماء والاصغاء الى الموعظة ونصح العقلاء والتقليد لاهل الحق والصواب ورد أقوال أهل البدعة والهوى ومن وظائف الابصار فيه النظر الى المصاحف وكتب الدين ومعابد المؤمنين ومسالك المسلمين والى وجوه العلماء والصالحين والفقراء والمساكين بعين الرحمة والتفات المحسنين الى المصنوعات ونظر أصحاب اليقين وأرباب الشوق والذوق والحنين الى غير ذلك مما فيه خير * زبان آمد از بهر شكر وسپاس * بغيبت نكرداندش حق شناس * كذر كاه قرآن وپندست كوش * به بهتان وباطل شنيدن مكوش * دو چشم از پى صنع بارى نكوست * زعيب برادر فروكير ودوست * بهايم خوشند وكويا بشر * براكنده كوى از بهايم بتر * بنطقست وعقل آدمى زاده فاش * چو طوطى سخن كوى ونادان مباش * بد كفتن خلق چون دم زدى * اكر راست كوبى سخن هم بدى * ترا آنكه چشم ودهان داد وكوش * اكر عاقلى در خلافش مكوش * مكن كردن از شكر منعم بپيچ * كه روز پسين سر برآرى بهيچ * ومن وظائف الافئدة الفكر في جلال الله وكماله وجماله ونواله والخوف والرجاء منه والمحبة له والاشتياق الى لقائه والمحبة لانبيائه وأوليائه والبغض لاعدائه والنظر في المسائل والدلائل والاهتمام في حوائج العيال ونحو ذلك مما فيه فائدة * صيقلى كن دلت بنور جمال * تا كه حاصل شود جميع كمال (قل) يا أكمل الخلق (هو الذى ذرأكم في الارض) أى خلقكم وكثركم فيها لا غيره من الذرء وهو بالفارسية آفريدن قال في القاموس ذرأ كجعل خلق والشئ كثره ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين (واليه) تعالى لا الى غيره اشتراكا أو استقلالا (تحشرون) حشرا جسمانيا أى تجمعون وتبعثون للحساب والجزاء شيأ فشيأ الى البرزخ دفعة واحدة يوم البعث فابنوا أموركم على ذلك ختم الآية بقوله واليه تحشرون فبين أن جميع الدلائل المذكورة انما كان لاثبات هذا المطلوب (ويقولون) من فرط عنادهم واستكبارهم أو بطريق الاستهزاء كما دل عليه هذا في قوله (متى هذا الوعد) أى الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون فالوعد بمعنى الموعود والمشار اليه الحشر وقيل مأخوذ فوابه من الخسف والحاصب واختيار لفظ المستقبل اما لان المقصود بيان ما يوجد من الكفار من هذا القول في المستقبل واما لان المعنى وكانوا يقولون (ان كنتم صادقين) يخاطبون به النبي والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف أى ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته (قل) يا أعلم الخلق (انما العلم) بوقته (عند الله) الذى قدر الاشياء ودبر الامور لا يطلع عليه غيره (وانما أنا نذير مبين) مخوف ظاهر بلغة تعرفونها أو مظهر للحق كاشف عن الواقع أنذركم وقوع الموعود لا محالة واما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار قال يحيى بن معاذ رضى الله عنه أخفى الله علمه في عباده وعن عباده وكل يتبع أمره على جهة الاشتباه لا يعلم ماسبق له وبماذا يختم له وذلك قوله تعالى قل انما العلم الخ (فلما رأوه) الفاء فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد أتاهم الموعود فرأوه أى رؤية بصرية فلما رأوه ونزل الامر المنتظر الواقع منزلة الواقع لتحققه (زلفة) حال من مفعول رأوا لان رأى من رؤية البصر كما أشير اليه آنفا اما

بتقدير المضاف أى ذا زلفة وقرب أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى مزدلفا وقرب الحشر هو قرب ما أعد لهم فيه (سيئت) بدكرد دوزشت شود (وجوه الذين كفروا) بأن غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة وخص الوجوه بالذكر لان الوجه هو الذى يظهر عليه أثر المسرة والمساءة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وأصل الكلام ساءت رؤية الموعود وجوههم فكانت كوجه من يقاد الى القتل أو يعرض على بعض العذاب والسوءة من ساء الشئ يسوء سوأ ومساءة نقيض سرة كما فى تاج المصادر السوء غمكين كردن ثم بنى للمفعول وفى القاموس ساءه فعل به ما يكره فيكون متعديا ويجوز أن يكون لازما بمعنى قبح ومنه ساء مثلا وسئ اذا قبح قال بعض المفسرين وأهل اللغة ومنه الآية فالفعل فى الحقيقة مسند الى أصحاب الوجوه بمعنى ساؤا وقبحوا قال بعضهم ان المحجوبين مع اعترافهم بالابداء منكرون للاعادة فلا جرم يسوء وجوههم رؤية ما ينكرونه وتعلوها الكآبة ويأتيهم من العذاب الاليم ما لا يدخل تحت الوصف (وقيل) توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم بالنار الروحانية قبل الاحراق بالنار الجسمانية والقائلون الزبانية وايراد المجهول لكون المراد بيان المقول لا بيان القائل (هذا) مبتدأ أشير به الى ما رأوه زلفة وخبره قوله (الذى كنتم به تدعون) أى تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على أنه تفتعلون من الدعاء والباء على هذا صلة الفعل يقال دعا بكذا اذا استدعاه وقيل هو من الدعوى أى كنتم بسببه تدعون ان لا بعث ولا حشر ولا عذاب فالباء للسببية ويجوز أن تكون للملابسة وعن بعض الزهاد أنه تلاها فى أول الليلة فى صلاته فبقى يكررها وهو يبكى الى أن نودى لصلاة الفجر هذه معاملة العارفين بجلال الله مع الله عند ملاحظة جبروته وقهره (قل) يا خير الخلق (أرأيتم) أى أخبرونى خبرا أنتم فى الوثوق به على ما هو كالرؤية قال بعضهم لما كانت الرؤية سببا للاخبار عبر بها عنه وقال بعضهم لما كان الاخبار قويا بالرؤية شاع أرأيت فى معنى أخبر (ان أهلكنى الله) أى أماتنى والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك ويتربصون به ريب المنون ويقولون ان أمر محمد لا يتم ولا يبقى بل يزول عن قريب (ومن معى) من المؤمنين وحصل مقصودكم (أو رحمنا) بتأخير آجالنا وحصل مقصودنا فنحن فى جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين اما أن نهلك فننقلب الى الجنة أو نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فأنتم ما تصنعون وأى راحة لكم فى موتنا وأى منفعة وغايتكم الى العذاب كما قال تعالى (فمن) پس كيست آنكه او (يجير) ينجى ويخلص قال فى تهذيب المصادر الاجارة زينهار دادن وفى القاموس أجاره أنقذه وأعاذه (الكافرين من عذاب أليم) مؤلم شديد الايلام أى لا ينجيكم منه أحد اذا نزل بكم سواء متنا أو بقينا انما النجاة بالايمان والعمل الصالح ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفى الانجاء به وقال بعضهم كيف قال ان أهلكنى الله الخ بعد أن علم أنه تعالى لا يهلك الانبياء والمؤمنين قلت فيه مبالغة فى التخويف كأنه قيل نحن معاشر الانبياء والمؤمنين نخاف الله أن يأخذنا بذنوبنا فمن يمنعكم من عذابه وأنتم كافرون وكيف لا تخافون وأنتم بهذه المثابة من الاجرام فيكون معنى أهلكنا عذبنا بعذاب ومعنى رحمنا غفر لنا كما فى الجلالين (قل) يا أشفق الخلق (هو الرحمن) أى الذى أدعوكم الى

عبادته مولى النعم كلها وموصلها (آمنا به) وحده لما علمنا أن كل ما سواه فاما نعمة أو منعم عليه ولم نكفر به كما كفرتم على أن يكون وقوع آمنا مقدما على به تعريضا للكفار حيث ورد عقيب ذكرهم (وعليه توكلنا) فوضنا أمورنا الا على غيره أصلا كما فعلتم أنتم حيث توكلتم على رجالكم وأموالكم لعلمنا بأن ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر فوقوع عليه مقدما يدل على الاختصاص (فستعلمون) يا كفار مكة عن قريب البتة عند معاينة العذاب (من) استفهامية أو موصولة (هو فى ضلال مبين) منا ومنكم أى خطأ ظاهر * وفى التأويلات النجمية وعلى فيضه الاتم ولطفه الاعم توكلنا بكليتنا الا على غيره فستعلمون من هو فى ضلال مبين أى من توجه اليه بالاستفاضة منه أو من أعرض عنه بالانكار له (قل) يا أكرم الخلق (أرأيتم) أى أخبرونى (ان أصبح) اكر كردد فهو بمعنى صار (ماؤكم) وكان ماء أهل مكة من بئرين بئر زمزم وبئر ميمون الحضرمى (غورا) خبر أصبح وهو مصدر وصف به أى غائرا فى الارض بالكلية ذاهبا ونازلا فيها وقيل بحيث لا تناله الدلاء ولا يمكن الكم نيله بنوع حيلة كما يدل عليه الوصف بالمصدر وبالفارسية فرورفته بزمين چنانكه دست ودلو بدان نرسد يقال غار الماء نضب والنضوب فرود شدن آب درزمين وفى المفردات الغور المنهبط من الارض (فمن يأتيكم) على ضعفكم حينئذ (بماء معين) جار وبالفارسية پس كيست آنكه بيارد براى شما آب جارى من عان الماء أو معن كلاهما بمعنى جرى أو ظاهر للعيون سهل المأخذ يعنى تناله الايدى فهو على هذا اسم مفعول من العين بمعنى الباصرة كمبيع من البيع لعل تكرير الامر بقل لتأكيد القول وتنشيط المقول له فان قلت كيف خص ذكر النعمة بالماء من بين سائر نعمه قلت لان الماء أهون موجود وأعز مفقود كما فى الاسئلة المقحمة ودر آثار آمده كه بعد از تلاوت اين آيت بايد كفت كه الله رب العالمين در تفسير زاهدى رحمه الله مذكورست كه زنديق شنيدكه معلى شاكرد خودرا تلقين مى كرد فمن يأتيكم بماء معين واو جواب دادكه يأتى به المعول والمعين قال فى القاموس المعول كمنبر الحديدة تنقر بها الجبال انتهى شبانه نابينا شد هاتفى وهو من يسمع صوته ولا يرى شخصه اوازدادكه اينك كه آب چشمه چشم توغائر شد بكوتا معول ومعين باز آرند نعوذ بالله من الجراءة على الله وبنيانه وترك حرمة القرآن وآياته وانتماء وقب بذهاب ماء عينه لان الجزاء من جنس العمل وفى المثنوى * فلسفى * منطقى مستهان * مى كذشت ازسوى مكتب آن زمان * چونكه بشنيد آيت اوازنا پسند * كفت مارا آريم آبى ترىلند * تابزخم بيل وتيزى تبر * آب راآريم ازپستى زبر * شب بخفت وديد اوبك شيرمرد * زد طپانچه هر دوچشمش كوركرد * كفت هان زين چشمه چشم اى شقى * باتبر نورى برآر ارصادقى * روز بر جست ودوچشمش كورديد * نورفائض از دوچشمش ناپديد * وفى الحديث سورة من كتاب الله ماهى الا ثلاثون آية شفعت لرجل فاخرجته يوم القيامة من النار وأدخلته الجنة وهى سورة تبارك قال فى التيسير هى ثلاثون آية وثلثمائة وثلاث وثلاثون كلمة وألف وثلثمائة وأحد وعشرون حرفا وفى حديث آخر وددت أن تبارك الذى بيده الملك فى قلب كل مؤمن وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ سورة الملك والم تنزيل السجدة وقال على رضى الله عنه من قرأها يجئ يوم القيامة على أجنحة الملائكة وله وجه فى الحسن كوجه يوسف عليه السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما ضرب بعض الصحابة خباءه على قبر وهو لا يشعر أنه قبر فاذا فيه انسان يقرأ سورة الملك فأتى النبى عليه السلام فقال يا رسول الله ضربت

خباني على قبر وأنا لا أعلم أنه قبر فاذا انسان يقرأ سورة الملك فقال عليه السلام هي المانعة أي من عذاب الله تعالى هي المنجية تنجيه من عذاب القبر وكانوا يسمونها على عهد رسول الله عليه السلام المنجية وكانت تسمى في التوراة المانعة وفي الانجيل الواقية قال ابن مسعود رضي الله عنه يؤتى الرجل في قبره من قبل رأسه فيقال ليس لكم عليه سبيل انه كان يقرأ على رأسه سورة الملك فيؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل انه كان يقوم فيقرأ سورة الملك فيؤتى من قبل جوفه فيقال ليس لكم عليه سبيل انه وعى سورة الملك أي حفظها وأودعها في جوفه وبطنه من قرأها في ليلة أو يوم فقد أكثروا طاب * يقول الفقير سورة الملك عند أهل الحقائق هي سورة الامام الذي يلي يسار القطب وينظر الى عالم الشهادة واليه الاشارة بقوله ملك الناس فسر هذه السورة في أولها كان سر يس في آخرها وهو قوله تعالى فسبحان الذي الخ ولذا تقرأ عند المحتضر لان وقت الموت قبض الملكوت الذي هو الروح وهو بيده تعالى بقي الكلام في قراءة الموتى في قبورهم وهل يصلون وهل يتعلمون العلم بعد الموت فدل حديث ابن عباس رضي الله عنهما على القراءة وكذا ما أخرج السيوطي رحمه الله عن عكرمة رضي الله عنه أنه قال يعطى المؤمن مصحفا يقرأ في القبر وأخرج عن سعيد بن جبير رحمه الله أنه رأى بعينه ثابتا البناني رحمه الله يصلي في قبره حين سقطت لبنة من قبره وكانوا يسمعون القرآن كثيرا من قبره وأخرج عن الحسن البصري قدس سره أنه قال بلغني أن المؤمن اذا مات ولم يحفظ القرآن أمر حفظته أن يعلموه القرآن في قبره حتى يبعثه الله يوم القيامة مع أهله وذكر اليافعي رحمه الله أن مالك بن دينار مات له قبل توبته بنت لها سنتان فرآها في المنام وهي تقول له يا أبت ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فبكى وقال يا بنية وأنتم تعرفون القرآن فقالت يا أبت نحن أعرف به منكم فكان ذلك سبب توبته ونقل الامام الشعراني في كتاب الجواهر له عن بعض أهل الله أنه قال من أهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همتهم من يعمل في قبورهم بغالب أعمالهم في الدنيا ويكتب الله لعبده ثواب ذلك العمل الى آخر البرزخ كما وقع لثابت البناني رحمه الله فانهم وجدوا في قبره شخصا على صورته يصلي فظنوا أنه هو وانما هو مخلوق من همته وكذلك المثالات المتخيلة في صور أهل البرازخ لأهل الدنيا في النوم واليقظة فاذا رؤي مثال أحدهم فهو اما ملك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولي واما مثال أقامه الله تعالى على صورته لتنفيذ ما شاء الله تعالى من حوائج الناس وغيرها فأرواح الاولياء في البرزخ ما لها خروج منه أبدا وأما أرواح الانبياء عليهم السلام فانها مشرفة على وجود الدنيا والآخرة انتهى * وقال السيوطي رحمه الله نقلا عن بعض المحققين ان رسول الله عليه السلام رأى ليلة المعراج موسى عليه السلام قائما يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة فالروح كانت هناك في مثال البدن ولها اتصال بالبدن بحيث يصلي في قبره ويرد على المسلم عليه وهو في الرفيق الاعلى ولا تنافي بين الامرين فان شأن الارواح غير شأن الابدان وقد مثل بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الارض كالروح المحمدي يرد على من يصلي عليه عند قبره دائما مع القطع بأن روحه في أعلى عليين وهو لا ينفك عن قبره كما ورد عنه قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى والرسول عليه السلام له الخيار في طواف العوالم مع أرواح الصحابة رضي الله عنهم لقد رآه كثير من الاولياء وقال صدر الدين

القنوى قدس سره فمن ثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل من الانبياء والاولياء الماضين اجتمع بهم متى شاء وتوجه توجها وجدانيا يقظة ومناما انتهى

(تمت سورة الملك بعونه تعالى فى غرة شعبان المبارك من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف)

(سورة ن مكية وآيها اثنتان وخمسون بالاتفاق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن) أى هذه سورة ن أو بحق ن وهى هذه السورة أقسم الله بها على سبيل التأكيد فى اثبات الحكم على ما عليه عادة الخلق مع ما فيه من بيان عظم شأن المقسم به والافكما أنه تعالى لا يليق القسم بشأنه العالى فكذا لا يصح لغيره أن يكون مقسما به والنون حرف واحد فى الكتابة وثلاثة أحرف فى التلفظ وقد قال عليه السلام من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف أراد عليه السلام بالحرف ما يتهجى به فيرجى أن يعطى الله بلفظ ن ثلاثين حسنة لانه مشتمل فى التلفظ على نونين بينهما واو وقال بعضهم هو مفتاح اسم النور والناصر أو قسم بنصرة الله المؤمنين اعتبارا بقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقال سهل قدس سره النون اسم من أسماء الله تعالى وذلك أنه اذا اجتمعت أوائل هذه السور الثلاث الر وحم ون يكون الرحمن وقيل فيه انه اسم من أسماء النبى عليه السلام كما فى التكملة لعل هذا القائل أشار الى قوله عليه السلام أول ما خلق الله نورى فيكون النور اسمه عليه السلام فان قلت فيلزم التكرار لان القلم أيضا من أسمائه كما قال أول ما خلق الله القلم قلت التغاير فى العنوان بمنزلة التغاير فى الذات فسمى عليه السلام باعتبار نورانيته نورا وباعتبار أنه صاحب القلم قلما كما سمى خالد بن الوليد رضى الله عنه سيف الله المسلول لكونه صاحب سيف وقال بعضهم هو لوح من نور أو اسم نهر فى الجنة (وفى المفردات) النون الحوت العظيم ولذا قال عكرمة فى الآية أقسم الله بالحوت الذى لطخ سهم نمروذ بدمه لان نمروذ لما رمى السهم نحو السماء عاد السهم مختضبا بدم سمكة فى بحر معلق فى الهواء فأكرم الله ذلك الحوت بأن أقسم به وأحل جنسه من غير ذكاة فانه لا يحل الا ميتتان السمك والجراد وفى معناهما ما يستعمل من الاطعمة كدود التفاح والجبن فان الاحتراز عنهما غير ممكن فأما اذا أفردت وأكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة ولا سبب فى تحريمه الا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره وان وجد شخص لا يستقذره لا يلتفت الى خصوص طبعه فانه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره أكله كما لو جمع المخاط وشربه كره كما فى الاحياء يقال لو أريد به معنى الحوت كانت المناسبة بين المتعاطفين كما فى قوله فما بين كم الخليفة وألف باذنجانة * يقول الفقير المناسبة بينهما خفية لا يدركها الا أهل الحقائق وهى أن كبد الحوت غذاء أهل الجنة قبل كل شئ فيجدون بعد أكله حياة أبدية فى أبدانهم كما أن القلم يكتب به من العلوم ما فيه حياة باقية لارواحهم ولذا سمى جبريل روحا لانه كان يجيء بالوحى الذى هو سبب لحياة القلوب والارواح فيكون ن والقلم كالماء والعلم ولا شك فى ثبوت المناسبة التامة بينهما فالقياس الذى ذكره القائل باطل وقائل الباطل جاهل وقال بعضهم هو اسم الحوت الذى احتبس يونس عليه السلام فى بطنه ولذا سماه الله تعالى ذا النون وقال بعضهم هو الحوت الذى على ظهره

الارض

الارض وهو فى بحر تحت الارض السفلى اسمه ليوثا أو يهموت بالياء المثناة التحتانية وفى عين المعانى لوثيا أو برهوت كما قال على رضى الله عنه

مالى أراكم كلكم سكوتا * والله ربى خلق البرهوتا

(روى) أنّ الله تعالى لما خلق الارض كانت تتكفأ كما تتكفأ السفينة أى تضطرب وتميل فبعث الله ملكا فهبط حتى دخل تحت الارض فوضعها على كاهله وهو كصاحب ما بين الكتفين ثم أخرج يديه احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب ثم قبض على الارضين السبع فضبطها فاستقرت فلم يكن لقدمى الملك قرار فأهبط الله ثورا من الجنة له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة فجعل قرار قدمى الملك على سنامه فلم تستقر قدماه على سنامه فبعث الله ياقوتة خضراء من الجنة غلظها مسيرة كذا ألف عام فوضعها على سنام الثور فاستقرت عليها قدما الملك وقرون الثور خارجة من أقطار الارض مشبكة الى تحت العرش ومنخر الثور فى ثقبين من تلك الياقوتة الخضراء تحت البحر فهو يتنفس فى اليوم نفسين فاذا تنفس مدّ البحر واذا ردّ النفس جزر البحر وهو ضد مدّ ولم يكن لقوائمه قرار فخلق الله كمكاما من الرمل كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقر عليه قوائم الثور ثم لم يكن للكمكام مستقر فخلق الله حوتا يقال له برهوت فوضع الكمكام على وبر الحوت والوبر الجناح الذى يكون فى وسط ظهره وذلك مزموم بسلسلة من القدرة كغلظ السموات والارض مرارا وانتهى ابليس لعنه الله الى ذلك الحوت فقال له ما خلق الله خلقا أعظم منك فلم لا تزيل الدنيا عن ظهرك فهم بشئ من ذلك فسلط الله عليه بقة فى أنفه فشغلته وفى رواية بعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فأذن لها فخرجت قال كعب فوالله الذى نفسى بيده انه لينظر اليها وانها لتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت قبل وأنبت الله من تلك الياقوتة جبل قاف وهو من زمردة وله رأس ووجه وأسنان وأنبت من جبل قاف الجبال الشواهق كما نبت الشجر من عروق الشجر وزعم وهب أنّ الحوت والثور يبتلعان ما ينصب من مياه الارض فى البحار فلذلك لا يؤثر فى البحار زيادة فاذا امتلأت أجوافهما من المياه قامت القيامة وزعم قوم أنّ الارض على الماء والماء على الصخرة والصخرة على سنام الثور والثور على كمكام من الرمل متلبدا والكمكام على ظهر الحوت والحوت على الريح العقيم والريح على حجاب من ظلمة والظلمة على الثرى وقد انتهى علم الخلائق الى الثرى ولا يعلم ما وراء ذلك أحد الا الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وهذه الاخبار مما تزيد المرء بصيرة فى دينه وتعظيما لقدرة ربه وتحيرا فى عجائب خلقه فان صحت فما خلقها على الصانع القدير بعزيز وان تكن من اختراع أهل الكتاب وتنميق القصاص فكلها تمثيل وتشبيه ليس بمنكر كذا فى خريدة العجائب (وقال فى كشف الاسرار) بعض مفسران كفتند ماهيست بر آب زير هفت طبقهٔ زمين ماهى از كرانىٔ بار زمين خم در خم كرديد بر مثال نون شد شكم با آب فرو برده وسر از مشرق برآورده وذنب از مغرب وخواست كه از كرانبارى بنالد جبريل بانك بروى زد چنان بترسيد كه كرانبارىٔ زمين فراموش كرد وتا بقيامت نيارد كه بجنبد ماهى چون بار داشت ونناليد رب العالمين اورا دو تشريف داد يكى آنكه بدو قسم ياد كرد محل قسم خداوند جهان كشت ديكر تشريف آنست كه كار داز

خلق او برداشت همه جانورانرا بيكارد ذبح كنند واورا نكنند تا عالميان بدانندكه هركه بار كشد رنج اوضايع نكنندداى جوانمردا كرماهى بار زمين كشيد بندۀ مؤمن بار امانت مولى كشد كه وحملها الانسان ماهى كه بار زمين برداشت از كارد عقوبت ايمن كشت چه عجب كه اكر مؤمن بار امانت برداشت از كارد قطيعت ايمن كردد (والقلم) هو ما يكتب به والواو للقسم على التقدير الاول وللعطف على الثانى والمراد قلم اللوح كما جاء فى الخبران أول ما خلق الله القلم ونظر اليه فانشق بنصفين ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك من الآجال والاعمال والارزاق وهو التقدر الذى يجب أن يؤمن بخيره وشره ثم ختم على القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض وبعد ما خلق القلم خلق النون أى السمكة فدحا الارض عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السموات واضطرب النون فمادت الارض فأثبتت بالجبال وان الجبال لتفخر على الارض الى يوم القيامة وقد عرفت المناسبة بين القلم وبين النون بمعنى السمكة وفى رواية الواحدى فى الوسيط أول چيزى كه خداى تعالى بيافريد قلم بود پس نون را بيافريد وآن دوات است وقلم از ان دوات نوشت آنچه بود وهست وباشد وبرين تقدير خداى تعالى قسم فرمود بدوات وبقلم أعلى كه از نور است كما فى تفسير الكاشفى وفى القاموس النون من حروف الزيادة والدواة والحوت انتهى وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بالقلم قلم الكرام الكاتبين أو جنس القلم أقسم الله بالدواة والقلم لكثرة منافعهما وعظم فوائدهما فان التفاهم بالنطق والبيان انما يكون بين الحاضرين وأما بالنسبة الى من غاب وبعد من أهل عصر واحد ومن أهل الزمان الآتى فانما يكون بالكتابة كما قال بعضهم البيان اثنان بيان لسان وبيان بنان ومن فضل بيان البنان أن ما تثبته الاقلام باق على الايام وبيان اللسان تدرسه الاعوام ولو لم يكن للقلم مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه ومن تعظيمه تعظيم براية فتوضع حيث لا تطؤها الاقدام والا أورثت الآلام وعن بعض الحكماء قوام أمور الدين والدنيا بشيئين القلم والسيف والسيف تحت القلم لولا القلم ما قام دين ولا صلح عيش قال بعضهم

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم
كذا قضى الله للاقلام مذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وقال بعضهم

اذا أقسم الابطال يوما بسيفهم * وعدوه مما يجلب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب فخرا ورفعة * مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

(وما يسطرون) ما موصولة والعائد محذوف والسطر الصف من الكتابة ومن الشجر المغروس ومن القوم الوقوف وسطر فلان كذا أى كتبه سطرا سطرا وضمير الجمع لاصحاب القلم المدلول عليه بذكره والمعنى بالفارسية وديكر سوكند ياد فرمود بآنچه اصحاب قلم از آسمانيان وزمينيان مى نويسند از كتاب وكلام ودر تبيان از ابن هيصم رحمه الله نقل فرمود كه نون دهنست وقلم زبان وما يسطرون آنچه حفظه بر بنده مى نويسند حق تعالى بدينها سوكند فرموده قال بعض العارفين النون نون الذات والقلم قلم الصفات وما يسطرون هى الافعال والشؤن الالهية

يكتبونها على لوح القدرة والارادة حرفا حرفا * يقول الفقير فيه اشارة الى أن نون الجمع الذاتى أى دواته وهو أصل كتاب الوجود الذى هو أم الكتاب سمى بالنون لكونه مجتمع مداد مواد نقوش العالم وان شئت قلت الى نون النقطة التى هى مرتبة الاحدية وقد كان الامام على رضى الله عنه يقول فى خطبته على رؤس الاشهاد أنا نقطة باء بسم الله أنا جنب الله الذى فرطتم فيه أنا القلم وأنا اللوح المحفوظ وأنا العرش وأنا الكرسى وأنا السموات السبع والارضون فاذا صحا وارتفع عنه تجلى الوحدة فى أثناء الخطبة يشرع معتذرا و يقر بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت الاحكام الالهية * وفى التأويلات النجمية يشير بكلمة ن الى العلم الاجمالى المندمج فى الاحدية الذاتية الجمعية و بالقلم الى العلم التفصيلى فى الوحدة الاسمائية وانما نسبنا الاجمالى الروحى الى ن والتفصيلى القلبى الى القلم لان هذه الدواة مشتملة بما فى بطنها على جميع الحروف المجردة والكلمات المركبة اشتمال النواة على الشجرة واندماج الشجرة المتصلة فى النواة المجملة فبالقلم يسطر على لوح القلب بالتفصيل كل ما هو فى ضمير الدواة بالاجمال فاذا فهمت المقصود فاعلم أن الله تعالى أقسم بعلمه الاجمالى الكائن فى الاحدية و بعلمه التفصيلى الثابت فى الواحدية و بالتحقيق أقسم بأحدية ذاته المطلقة و بواحدية أسمائه الجمعية اذ العلم من حيث هو عين ذاته وأقسم أيضا بكل ما سطر قلمه الكريم من دواته القديم من الحروف الالهية المجردة العلوية والكلمات الربانية المركبة السفلية انتهى كما قال بعض الكبار فى بيان حروف كتاب الوجود الظلى وكلماته وآياته وسوره ان الشؤن الغيبية حروفه العاليات والاعيان الثابتة العلمية كلماته التامات والحقائق الارواحية والمثالية آياته المتعاليات والصور الحسية العينية سوره الكاملات وأما كتاب الوجود الحقيقى فحروفه المجردة الاسماء الذاتية الاحدية وكلماته الاسماء الصفاتية الواحدية وآياته الاسماء الافعالية الواحدية وسوره الاسماء الآثارية المظهرية وكل منها كتاب مبين انتهى وهكذا قال بعض الكبار القلم علم التفصيل والنون علم الاجمال وتلك الحروف التى هى مظاهر تفصيل القلم مجملة فى مداد الدواة ولا تقبل التفصيل ما دامت فيها فاذا انتقل المداد منها الى القلم تفصلت الحروف به فى اللوح وتفصل العلم بها الى غاية وأما علم الاجمال المعبر عنه بالنون فان النون فى الرقم نصف دائرة محسوسة ونصف دائرة معقولة تشعر نقطتها فى الوسط بكونه مرادا لتتميم الدائرة الذاتية التى هى ظرف مداد الوجود ولذلك كان من الحروف الدورية عكسه كطرده فان النصف المحسوس ظرف مداد عالم الخلق والنصف المعقول ظرف مداد عالم الامر والخط الفاصل بينهما وهو خط ألف قام بين تدوير النونين برزخ جامع وهو مستوى الصحف الالهية والكتب المتفرقة من حيطة الكتاب المحيط بالمحيطات المقول فيه ما فرطنا فى الكتاب من شئ وهو كتاب ينطوى على العلوم الجمة المنطوى عليها أيضا مداد النون وتشتمل على مائة وأربع عشرة سورة كما اشتمل النون على عدد بطانتها فان النونين والواو والالف الذى ينتهى اليه اسم النون مائة وثلاثة عشر وكون مسماه حرفا واحدا متمم لاربعة عشر فاعلم ذلك فانه دقيق قل أن تجده فى كلام أحد انتهى وقال القاشانى ن هو النفس الكلية والقلم هو العقل الكلى والاول من باب الكناية بالاكتفاء من الكلمة بأول حروفها والثانى من باب التشبيه اذ تنتقش فى النفس صور الموجودات بتأثير العقل كما تنتقش الصور فى اللوح بالقلم

وما يسطرون من صور الاشياء وماهياتها وأحوالها المقدرة على ماتقع عليه وفاعل ما يسطرون الكتبة من العقول المتوسطة والارواح المقدسة وان كان الكاتب فى الحقيقة هو الله تعالى لكن لما كان فى حضرة الاسماء نسب اليها مجازا أقسم بهما وبما يصدر عنهما من مبادى الوجود وصور التقدير الالهى ومبدا امره ومخزن غيره لشرفهما وكونهما مشتملين على كل الوجود فى أول مرتبة التأثير والتأثر ولمناسبتهما للمقسم عليه وهو قوله (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير فى خبرما وهو مجنون والعامل فيها معنى النفى والجنون حائل بين النفس والعقل وجن فلان أى أصابه الجن أو اصاب جنانه أو حيل بين نفسه وعقله فجن عقله ذلك كأنه قيل انتفى عنك الجنون يا محمد وأنت برىء منه ملتبسا بنعمة الله التى هى النبوة والرياسة العامة والمراد تنزيهه عليه السلام عما كانوا ينسبونه عليه السلام اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه عليه السلام فى غاية الغايات من حصافة العقل ورزانة الرأى قال أبو حيان قوله بنعمة ربك قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التأكيد والتشديد والمبالغة فى انتفاء الوصف الذميم عنه عليه السلام وذهب الى القسم أيضا حضرة الشيخ نجم الدين فى تأويلاته روى أنه عليه السلام غاب عن خديجة رضى الله عنها الى حراء فلم تجده فاذا هو قد طلع ووجهه متغير بلا غبار فقالت له مالك فذكر نزول جبرائيل عليه السلام وانه قال له اقرأ باسم ربك فهو أول ما نزل من القرآن قال ثم نزل بى الى قرار الارض فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فذكر عليه السلام ذلك لخديجة فذهبت خديجة الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين قريش ودخل فى النصرانية فسألته فقال أرسلى الى محمد فأرسلته فأتاه فقال هل أمرك جبرائيل أن تدعو أحدا فقال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لأنصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء الرسول عليه السلام ووقعت تلك الواقعة فى ألسنة كفار قريش فقالوا انه مجنون فأقسم الله تعالى على أنه ليس بمجنون وهو خمس آيات من أول هذه السورة قال ابن عباس رضى الله عنهما أول ما نزل قوله سبح اسم ربك وهذه الآية هى الثانية * وفى التأويلات النجمية ما أنت بنعمة ربك بمستور عما كان من الازل وما يكون الى الأبد لان الجن هو الستر وما سمى الجن جنا الا لاستتاره من الانس بل أنت عالم بما كان خبير بما يكون ويدل على احاطة علمه قوله عليه السلام فوضع كفه على كتفى فوجدت بردها بين ثديى فعلمت ما كان وما يكون قال الامام القشيرى قدس سره فى شرح الاسماء الحسنى نصرة الحق لعبده أتم من نصرة العبد لنفسه قال تعالى لنبيه عليه السلام ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ثم انظر بماذا سلاه وبأى شئ خفف عليه تحمل أثقال الاذى حيث قال فسبح بحمد ربك يعنى اذا تأذيت بسماع السوء فيك منهم فاسترح بروح ثنائك علينا ولذة التنزيه والذكر لنا فان ذلك يريحك ويشغلك عنهم ثم انه عليه السلام لما قبل هذه النصيحة وامتثل بأمر ربه تولى نصرته والرد عنه فلما قيل انه مجنون أقسم على نفى ذلك بقوله ن والقلم الخ تحقيقا لتنزيهه لما اشتغل عنهم بتنزيه ربه ثم عاب الله القادح فيه بالجنون بعشر خصال ذميمة بقوله ولا تطع كل حلاف مهين الى قوله أساطير الاولين وكان رد الله عنه وذبه أتم من رده عن نفسه حيث كان من جملة القرآن باقيا على الألسنة الى يوم

القيامة

القيامة (وان لك) بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة (لأجرا) لثوابا عظيما (غير ممنون) مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ أي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قيل المنون للمنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد وبالفارسية مزدى بردوام كه هركز انقطاع بدان راه نيابد ويقال أجر النبي مثل أجر الامة قاطبة غير منقوص ويجوز أن يكون معناه غير مكدر عليك بسبب المنة لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال كما في الكشاف (وقال الكاشفى) غير ممنون منت نانهاده يعنى حق تعالى بى واسطهٔ كسى كه از ومنت بايد داشت بتو عطا كرد وفيه اشارة الى أن أنوار المكاشفات والمشاهدات غير مقطوعة لكونها سرمدية فلا يزال العارف يترقى فى الشهود فى جميع المواطن ولا ممنونة لان الفتح والفيض انما يجيء من عند الله لا من عند غيره فالله يمن على عباده لا العباد بعضهم على بعض وقال بعضهم أجره قبول شفاعته وهي غير منقطعة عن أهل الكبائر من أمته لا يخيب الله رجاءه عليه السلام فى غفرانهم جميعا بلا عتاب ولا عذاب

* يقول الفقير الظاهر أن أجره عليه السلام هو الله تعالى لانه عوض له عما سواه ولذا جاء اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل والله تعالى مات لا يمنون والى هذا المقام يشير قول الصديق رضى الله عنه الله ورسوله أي أبقيت الله ورسوله حين قال له عليه السلام ما أبقيت لاهلك يا أبا بكر فالله تعالى عوض عن نفس الفانى عن نفسه وعن ولده وماله وهو الاجر العظيم لانه العظيم (وانك لعلى خلق عظيم) لا يدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر قال بعضهم لكونك متخلقا بأخلاق الله وبأخلاق كلامه القديم ومتأيدا بالتأييد القدسى فلا تتأثر بافترائهم ولا تتأذى بأذاهم اذ بالله تصبر لا بنفسك كما قال واصبر وما صبرك الا بالله ولا أحد أصبر من الله وكلمة على للاستعلاء فدلت على أنه عليه السلام مشتمل على الاخلاق الحميدة ومستول على الافعال المرضية حتى صارت بمنزلة الامور الطبيعية له ولهذا قال تعالى قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين أي لست متكلفا فيما يظهر لكم من أخلاقى لان المتكلف لا يدوم أمره طويلا بل يرجع الى الطبع وللانسان صورة ظاهرة لها هيئة يشاهدها البصر الذى هو فى الرأس وهى من عالم الملك وهى الشكل وصورة باطنة لها سيرة يشاهدها البصيرة التى هى فى القلب وهى من عالم الملكوت وهى الخلق فكما أن لهيئتها الظاهرة حسنا أو قبحا صوريا باعتبار أشكالها وأوضاعها وألوانها فكذلك لسيرتها الباطنة حسن أو قبح معنوى باعتبار شمائلها وطبائعها ومن ذلك قسموا الخلق الى المحمود والمذموم تارة والى الحسن والقبيح أخرى وكثيرا ما يطلق ويراد به المحمود فقط لانه اللائق بأن يسمى خلقا ومن هذا قوله تعالى خلق عظيم وعليه قول الامام الرازى الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة ونفس الاتيان بالافعال الجميلة شيء وسهولة الاتيان بها شيء آخر فالحالة التى باعتبارها تحصل تلك السهولة الخلق ويسمى خلقا لانه لرسوخه وثباته صار بمنزلة الخلقة التى جبل عليها الانسان وان احتاج فى كونه ملكة راسخة الى اعمال وطول رياضة ومجاهدة ولذا قالوا الخلق يتبدل بالمصاحبة والمعاملة فيكون الحسن قبيحا والقبيح حسنا على حال المصاحبين والمعاملين كما فى الحديث (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) وفى حديث آخر

(لاتجالسوا أهل الاهواء والبدع فانلهم عرة كعرة الجرب) ومن ذلك كانت مصاحبة الاخيار مستحسنة مرغبا فيها ومصاحبة الاشرار مستقبحة مرهبا عنها وكذلك يتبدل بالسمى في أسبابه ولذلك صنف أطباء الارواح أبوابا في علم الاخلاق لبيان ما هو صحة روحانية وما هو مرض روحاني كما ألف أطباء الاشباح فصولا في علم الابدان لبيان سبب كل مرض وعلاجه وانما أفرد الخلق ووصفه بالعظمة كما وصف القرآن بالعظيم لينبه على أن ذلك الخلق الذى هو عليه السلام عليه جامع لمكارم الاخلاق اجتمع فيه شكر نوح وخلة ابراهيم واخلاص موسى وصدق وعد اسمعيل وصبر يعقوب وأيوب واعتذار داود وتواضع سليمان وعيسى وغيرها من أخلاق سائر الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى فبهداهم اقتده اذ ليس هذا الهدى معرفة الله تعالى لان ذلك تقليد وهو غير لائق بالرسول عليه السلام ولا الشرائع لان شريعته ناسخة لشرائعهم ومخالفة لها في الفروع والمراد منه الاقتداء بكل منهم فيما اختص به من الخلق الكريم لو كان كل منهم مختصا بخلق حسن غالب على سائر أخلاقه فلما أمر بذلك فكأنه أمر بجمع جميع ما كان متفرقا فيهم فهذه درجة عالية لم تتيسر لاحد من الانبياء عليهم السلام فلا جرم وصفه الله بكونه على خلق عظيم كما قال بعض العارفين

لكل نبى فى الانام فضيلة * وجملتها مجموعة لمحمد

ولم يتصف عليه السلام بمقتضى قوته النظرية الا بالعلم والعرفان والايقان والاحسان ولم يفعل بمقتضى قوته العملية الا ما فيه رضا الله من فرض أو واجب أو مستحب ولم يصدر منه حرام أو مفسد أو مكروه فكان هو الملك بل أعلى منه ويجمع هذا كله قول عائشة رضى الله عنها لما سئلت عن خلقه عليه السلام فقالت كان خلقه القرآن أرادت به انه عليه السلام كان متحليا بما فى القرآن من مكارم الاخلاق ومحاسن الاوصاف ومتخليا عما زجر عنه من السيئات وسفساف الخصال وفى رواية قالت للسائل ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون يعنى اقرأ الآى العشر فى سورة المؤمنين فذلك خلقه وفيه تنبيه للسامعين على عظام أخلاقه من الايمان الذى هو أصل الاخلاق القلبية والصلاة التى هى عماد الاخلاق البدنية والزكاة التى هى رأس الاخلاق المالية الى آخر ما فى الآيات وفى سلسلة الذهب للمولى الجامى رحمه الله * بود هم بحر مكرمت هم كان * كوهرش كان خلقه القرآن * وصف خلق كسى كه قرآنست * خلق را نعت أو چه امكانست * وفى التأويلات النجمية كان خلقه القرآن بل كان هو القرآن كما قال العارف بالحقائق

انا القرآن والسبع المثانى * وروح الروح لاروح الاوانى

محمد بن حكيم الترمذى قدس سره فرموده كه هيچ خلقى بزركتر از خلق حضرت محمد عليه السلام نبوده چه ز همت خود دست بازداشت وخود را كلى با حق كذاشت وامام قشيرى قدس سره كفته كه نه از بلا منحرف شد ونه از عطا منصرف كشت وكفته كه آن حضرت را هيچ مقصد ومقصودى جز خداى تعالى نبوده كما قال الجنيد قدس سره كان على خلق عظيم لجوده بالكونين

له همم لامنتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

وقال أبو الحسين النورى قدس سره كيف لا يكون خلقه عظيما وقد تجلى الله لسره بأنوار أخلاقه * يقول الفقير كان خلقه عظيما لانه مظهر العظيم فكان خلق العظيم عظيما فافهم جدا وفى تلقيح

الاذهان لحضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر أوتى عليه السلام جوامع الكلم لانه مبعوث لتتميم مكارم الاخلاق كما قال عليه السلام ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وهو عين كونه على الصراط المستقيم قال صلى الله عليه وسلم ان لله ثلثمائة وستين خلقا من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة قال أبو بكر رضى الله عنه هل فى منها يا رسول الله قال كلها فيك يا أبا بكر وأحبها الى الله السخاء انتهى ولذلك كان أحسن أخلاق المرء فى معاملته مع الحق التسليم والرضا وأحسن أخلاقه فى معاملته مع الخلق العفو والسخاء وانما قال مع التوحيد لانه قد توجد مكارم الاخلاق ولا ايمان كما انه قد يوجد الايمان ولا أخلاق اذ لو كان الايمان يعطى بذاته مكارم الاخلاق لم يقل للمؤمن افعل كذا واترك كذا وللمكارم آثار ترجع على صاحبها فى أى دار كان كما ورد فى حق أبى طالب قال بعض الكبار من أراد أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يدركه من أمته فلينظر الى القرآن فانه لا فرق بين النظر فيه وبين النظر الى رسول الله فكأن القرآن انتشأ صورة جسدية يقال لها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب والقرآن كلام الله وهو صفته فكأن محمدا عليه السلام خلعت عليه صفة الحق من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال بعضهم من أراد أن يرى رسول الله فليعمل بسنته لا سيما فى مكان أميتت السنة فيه فان حياة رسول الله بعد موته هى حياة سنته ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعا لانه المجموع الاتم الاكمل صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لم يبق بعد بعثة رسول الله سفساف أخلاق أبدا لانه صلى الله عليه وسلم أبان لنا عن مصارفها كلها من حرص وحسد وشره وبخل وخوف وكل صفة مذمومة فمن أجراها على تلك المصارف عادت كلها مكارم أخلاق وزال عنها اسم الذم قال صلى الله عليه وسلم لمن ركع دون الصف زادك الله حرصا ولا تعد وقال لا حسد الا فى اثنتين وقال أكثروا من ذكر الله وقال تعالى فلا تخافوهم وخافون وقال تعالى فلا تقل لهما أف وقال أف لكم وغير ذلك من الآيات والاخبار فما أمر الله باجتناب بعض الاخلاق الا لمن يعتقد أنها سفساف أخلاق وجهل معنى قوله عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فمن الناس من علم ومنهم من جهل فالكامل لا يرى فى العالم الا أخلاق الله تعالى التى به وجدت وفى كشف الاسرار فى تفسير الآية عرض عليه مفاتيح الارض فلم يقبلها ورقاه ليلة المعراج وأراه جميع الملائكة والجنة فلم يلتفت اليها قال الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى ما التفت عينا وشمالا فقال تعالى انك لعلى خلق عظيم أى جوانمردى قدر آن مهتر كه داند وكدام خاطر بنهايت عز او رسد صد هزار وبيست وچهار هزار نقطه نبوت كه رفتند در برابر درجات او كواكب بودند وبا آنكه او غائب بود همه نور نبوت از وكرفتند چنانكه آفتاب اكرچه غائب باشد كواكب نور ازوى كيرند ليكن چون آفتاب پيدا شود كواكب در نور او ناپيدا شوند همچنين همه انبيا نور ازو كرفتند ليكن چون محمد عليه السلام بعالم صورت درآمد ايشان هم كم شدند

كأنك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وفى القصيدة البرديه

فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن أنوارها للناس فى الظلم

ومن أخلاقه عليه السلام ما أشار اليه قوله صل من قطعك واعف عمن ظلمك وأحسن الى من أساء اليك فانه عليه السلام ما أمر أمته بشئ قبل الائتمار به وفى الحديث (ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار) وروى عن على بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على عن أبيه على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بحسن الخلق فان حسن الخلق فى الجنة لا محالة واياكم وسوء الخلق فان سوء الخلق فى النار لا محالة (فستبصر ويبصرون) يقال أبصرته وبصرت به علمته وأدركته فان البصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة القلب المدركة ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة وفى تاج المصادر الابصار ديدن بچشم و بدل فالمعنى فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقال القاشانى فستبصر ويبصرون عند كشف الغطاء بالموت وقال مقاتل هذا وعيد بعذاب بدر (ولذا قال الكاشفى) بدان وقت كه عذاب نازل شود بر ايشان معلوم كردد كه ديوانه تو يى يا ايشان وهو الاوضح فقيه وعد لرسول الله عليه السلام بغلبة الاسلام وأهله وبالانتقام من الاعداء (بأيكم المفتون) أى أيكم الذى ابتلى بفتنة الجنون فأيكم مبتدأ والمفتون بمعنى المجنون خبره والباء مزيدة فى المبتدا كما فى بحسبك زيد او بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر بمعنى الفتون وهو الجنون كالمجلود بمعنى الجلادة والمعقول بمعنى العقل كما فى قوله

حتى اذا لم يتركوا لعظامه ٭ لحما ولا لفؤاده معقولا

والباء للالصاق نحو به داء أو بأى الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم فالباء بمعنى فى والمفتون مبتدأ مؤخر والامة داخلة فى خطاب فستبصر بالتبعية لا يختص به عليه السلام كالسوابق وهو تعريض بأبى جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الأشر أى أصالح عليه السلام أم قومه (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) تعالى المؤدى الى سعادة الدارين وهام فى تيه الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة الأبدية وهذا هو المجنون الذى لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضرا فيهجره (وهو أعلم بالمهتدين) الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو أعلم لزيادة التقرير وفى الآية اشعار بأن المجنون فى الحقيقة هو العاصى لا المطيع واشارة الى الضال عن سبيل الوصول الى حضرة المولى بسبب محبة الدنيا والميل الى شهواتها والمهتدى الى طريق التوحيد والوحدة بنور العناية الازلية والهداية الابدية قال بعض الكبار وهو أعلم بالمهتدين أى القابلين للتوفيق فهداة البيان هم الرسل وهادى التوفيق هو الحق تعالى فالهادى الذى هو الله الابانة والتوفيق وليس للهادى الذى هو المخلوق الا الابانة خاصة ومن لا علم له بالحقائق يظن أن العبد اذا صدق فى الارشاد والوعظ أثر ذلك القبول فى نفوس السامعين واذا لم يصدق فى ذلك لم يؤثر وهذا من الوهم الفاسد فانه لا أقرب الى الله ولا أصدق فى التبليغ عنه ولا أحب للقبول لما جاء من عند الله تعالى من الرسل لغلبة الرحمة على قلوبهم ومع ذلك فما عم القبول فى سامعيهم بل قال الرسول الصادق فى التبليغ انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا فلما لم يعم القبول

مع تحققنا هذه المهمة العظيمة من أكابر أولى العزم من الرسل علمنا أن الهمة ماله اأثر جملة
واحدة فى الدعوة وان الذى قبل من السامعين ليس هو من أثر همة الداعى الهادى الذى هو
المبلغ وانما هو قوة الاستعداد فى محل القبول من حيث ما وهبه الله تعالى فى خلقه من مزاج
يقتضى له قبولا مثل هذا وأمثاله وهو المزاج الخاص الذى لا يعلمه الا الله الذى خلقهم عليه
وهو قوله تعالى وهو أعلم بالمهتدين (قال الشيخ سعدى قدس سره) كفت عالم بكوش جان بشنوه
ورنماند بكفتنش كردار * باطلست آنكه مدعى كويد * خفته را خفته كى كند بيدار * مرد بايد
كه كيرد اندر كوش * ورنوشتست پند بر ديوار * (فلا تطع المكذبين) أى اذا تبين عندك
ما تقدم فدم على ما انت عليه من عدم طاعتهم فيما يدعونك اليه من الكف عنهم ليكفوا عنك
وتصلب فى ذلك أمره عليه السلام بالتشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة
الكفار فان هذه السورة من أوائل ما نزل دلت الآية على أن الاطاعة للعاصى عصيان
والاقتداء بالطاغى طغيان (ودوا لو تدهن) لو للتمنى والادهان فى الاصل مثل التدهين
واشتقاقهما من الدهن لكن جعل عبارة عن الملاينة وترك الجد قال فى تاج المصادر الادهان
مداهنت كردن * والتركيب يدل على لين وسهولة وقلة والمعنى أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم
فى بعض الامور وترك الدعوة (فيدهنون) أى فهم يداهنونك حينئذ بترك الطعن (كما قال
الكاشفى) فرمان مبر مشركان مكه را كه ترا بدين آبا دعوت مى نمايند ودوست مى دارند كه تو نرمى
كنى با ايشان وسرزنشى نكنى بر شرك تا ايشان نيز چرب ونرمى كنند و بر دين تو طعنه نزنند
فالفاء للعطف على تدهن فيكون يدهنون داخلا فى حيز لو ولذا لم ينصب يدهنون بسقوط النون
جوابا للتمنى والفعل للاستقبال أو الفاء للسببية فهو مسبب عن تدهن ويجوز أن يكون الفعل
للحال على معنى ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فى ادهانك فالتسبب عن التمنى وتقدير
المبتدأ لانه لولاه لكان الفعل منصوبا لاقتضاء التسبب عما فى حيز التمنى فى ذلك قال بعضهم
لا توافقهم فى الظاهر كما لا توافقهم فى الباطن فان موافقة الظاهر أثر موافقة الباطن وكذا
المخالفة والا كان نفاقا سريع الزوال ومصانعة وشيكة الانقضاء وأماهم فلانهم ما كهم فى الرذائل
وتعمقهم فى التلون والاختلاف لتشعب أهوائهم وتفرق أمانيهم يصانعون ويضمون تلك
الرذيلة الى رذيلتهم طمعا فى مداهنتك معهم ومصانعتك اياهم قال بعضهم المداهنة بيع الدين
بالدنيا فهى من السيآت والمداراة بيع الدنيا بالدين فهى من الحسنات ويقال الادهان الملاينة
لمن لا ينبغى له ذلك وهو لا ينافى الامر بالمداراة كما قال عليه السلام أمرت بمداراة الناس
كما أمرت بالتبليغ قال الامام الغزالى رحمه الله فى الاحياء الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض
الباعث على الاغضاء فان أغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح أخيك بالاغضاء فانت
مدار وان أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن قال أبو الدرداء
رضى الله عنه انا لنبش فى وجوه أقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف
شره (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل لجهله حرمة اليمين وعدم مبالاته من
الحنث لسوء عقيدته وتقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل
فى الزجر قال فى الكشاف وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله

عرضة لايمانكم انتهى ودخل فيه الحلف بغير الله تعالى فانه من الكبائر واصل الحلف اليمين
الذى يأخذ بعضهم من بعض بها الحلف أى العهد ثم عبر به عن كل يمين (مهين) حقير الرأى
والتدبير لانه لم يعرف عظمة الله ولذا أقدم على كثرة الحلف من المهانة وهى القلة والحقارة ويجوز
أن يراد به الكذاب لانه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان يعنى عيب كننده درعقب مردم
باطعنه زننده درروى باايشان قال الحسن رحمه الله يلوى شدقيه فى أقفية الناس وفيه اشارة
الى من يعيب ويطعن فى أهل الحق فى رياضاتهم ومجاهداتهم وانزوائهم وعزلتهم عن الناس
وفى الحديث (لايكون المؤمن طعانا ولا لعانا) وفى حديث آخر (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب
الناس) يعنى من ينظر الى عيب نفسه يكون ذلك مانعا له عن النظر الى عيب غيره وتعييبه به وذلك
لا يقتضى أن لا ينهى العاصى عن معصيته اقتداء بأمر الله تعالى بالنهى عن المنكر لا اعجابا
بنفسه وازدراء لقدر غيره عند الله فانه العالم ببواطن الامور والهماز مبالغة هامز والهمز
الطعن والضرب والكسر والعيب ومنه المهمز والمهماز بكسر الميم حديدة تطعن بها الدابة
قيل لاعرابى أتهمز الفارة فقال السنور يهمزها واستعير للمغتاب الذى يذكر الناس بالمكروه
ويظهر عيوبهم ويكسر أعراضهم كأنه يضربهم بأذاه اياهم (مشاء بنميم) مضرب نقال للحديث
من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية واظهار الحديث
بالوشاية وهو من الكبائر أما نقل الكلام بقصد النصيحة فواجب كما قال من قال ياموسى ان الملأ
يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين وفى التعريفات النمام هو الذى يتحدث مع
القوم فينم عليهم فيكشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول اليه أو الثالث وسواء
كان الكشف بالعبارة أو بالاشارة أو بغيرهما وفى الحديث (لايدخل الجنة نمام) أى ماش
بالسعاية وهى بالفارسية غمز كردن * وفى التأويلات النجمية مشاء بنميم يحفظون كلام أهل الحق
من هذه الطائفة الكريمة ثم يحكونه عند الجهال من أصحاب الحجب فيضحكون عليهم وينسبون
ذلك الكلام الى السفسطة والسفه (مناع) مبالغة مانع (للخير) أى بخيل والخير المال أو مناع
الناس من الخير الذى هو الايمان والطاعة والانفاق ولارباب السلوك من ارشاد الطالبين
المسترشدين فذكر الممنوع منه دون الممنوع وكان للوليد بن المغيرة عشرة من البنين وكان يقول
لهم ولاقاربه من تبع منكم دين محمد لا أنفعه بشئ أبدا وكان الوليد موسرا له تسعة آلاف مثقال
فضة وكانت له حديقة فى الطائف (معتد) متجاوز فى الظلم أى يتجاوز الحق والحد بأن يظلم على
الناس ويمكن حمله على جميع الاخلاق الذميمة فان جميعها تجاوز عن حد الاعتدال * وفى
التأويلات النجمية متجاوز فى الظلم على نفسه بانغماسه فى بحر الشهوات وانهماكه فى ظلمة
المنهيات (أثيم) كثير الاثم وهو اسم للافعال المبطئة عن الثواب (وقال الكاشفى) بسيار كناهكار
زيانكار * وفى التأويلات النجمية كثير الآثام بالركون الى الاخلاق الرديئة والرغبة
فى الصفات المردودة (عتل) جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة قال الراغب العتل
الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر كعتل البعير وبالفارسية كشيدن بعنف (وقال الكاشفى) عتل
يعنى سخت روى وزشت خوى انتهى ومن كان جافيا فى المعاملة غليظ القلب والطبع بحيث
لا يقبل الصفات الروحانية ولا يلين للحق اجترأ على كل معصية قال فى القاموس العتل بضمتين

مشددة

مشددة اللام الاكول المنيع الجافي الغليظ (بعد ذلك) أي بعد ماعد من مقابحه (زنيم) دعي ملصق بالقوم وملحق بهم في النسب وليس منهم فالزنيم هو الذي تبناه أحد أي اتخذه ابنا وليس بابن له من نسبه في الحقيقة قال تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم قال الراغب الزنيم والمزنم الزائد في القوم وليس منهم أي المنتسب الى قوم وهو معلق بهم لا منهم تشبيها بالزنمتين من الشاة وهما المتدليتان من أذنها ومن الحلق وفي الكشاف الزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة بغير أهله وفي القاموس الزنمة محركة شيء يقطع من أذن البعير فيترك معلقا يفعل بكرامها والظاهر من قول ابن عباس رضي الله عنهما الحقيقة حيث قال انه لم يعرف حتى قيل زنيم فعرف أنه كان له زنمة أي في حلقه ويقال كان يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال العتبي لا نعلم أن الله وصف أحدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عارا لا يفارقه أبدا وفي قوله بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معايبه وأقبح قبائحه وكان الوليد دعيا في قريش وليس من نسبهم وسنخهم أي أصلهم ادعاه ابو المغيرة بعد ثماني عشرة سنة من مولده يعني وليد هژده ساله بود كه مغيره دعوى كرد كه من پدر اويم واورا بخود گرفت فقوله بعد ذلك ههنا نظير ثم في قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا من حيث انها للتراخي رتبة وفي الحديث لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم فالجواظ الجموع المنوع والجعظري الفظ الغليظ والعتل كل رحيب الجوف اكول شروب غشوم ظلوم وفي الحديث ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لابره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر وقيل بغت أم الوليد ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية فمعنى زنيم حينئذ ولد الزنا وبالفارسية حرام زاده كه پدر او معلوم نباشد قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغي الام ذو حسب لئيم

در تفسير امام زاهد مذكورست كه چون حضرت رسول صلى الله عليه وسلم اين آيت در انجمن قريش بر وليد خواند بهر عيبي كه رسيد در خود باز يافت مگر حرام زادگى با خود گفت من سيد قريش و پدرمن مردى معروفست ومیدانم كه محمد دروغ نگويد چگونه اين مهم را بر سر آرم شمشير كشيده نزد مادر آمد القصه بعد از تهديد بسيار از واقرار كشيد كه پدر تو در قوت زنان جرأتى نداشت واورا برادر زاد كان بودند چشم بر ميراث وى نهاده مرا رشك آمد غلام فلان را نزد كرفتم وتو فرزند اويى ودليل روشن بر صدق قول زن شدت خصومت وليدست وستيزه او با آن حضرت صلى الله عليه وسلم ودرين باب كفته اند * جرم وكناه مدعى از فعل مادرست * كوراخطاى مادر اوخا كسار كرد * والغالب أن النطفة اذا خبثت خبث الولد الناشئ منها ومن ثمة قال رسول الله عليه السلام لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده كما في الكشاف وفي الحديث لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا أوشك أن يعمهم الله بعذابه وفي حديث آخر ولد الزنا شر الثلاثة قال الرهاوي في شرح المنار هذا في مولود خاص لانا قد نشاهد ولد الزنا أصلح من ولد الرشدة في أمر الدين والدنيا ويستحق جميع الكرامات من قبول شهادته وعبادته وصحة قضائه وامامته وغير ذلك فالحديث ليس على عمومه

انتهى * يقول الفقير اذا كان الرضاع يغير الطباع فان من ارتضع امرأة فالغالب عليه أخلاقها من خير وشر فما ظنك بالزنا ولا عبرة باصلاح الظاهر والكرامات الصورية وفي الحديث ولدت من نكاح لا من سفاح وكذا سائر الانبياء عليهم السلام وجميع الاولياء الكرام قدس الله أسرارهم فالزنا أقبح من الكفر من وجه فان الله يخرج الحي من الميت أي المؤمن من الكافر بخلاف الرشيد من الزاني فولد الزنا لا يصلح للولاية الحقيقية وان كان صالحا للولاية الصورية وقيل نزلت الآية في الاخنس بن شريق واسمه أبي وكان ثقفيا مصطلقا في قريش فلذلك قال زنيم لا على جهة الذم لنسبه ولكن على جهة التعريف به ذكره السهيلي قال ابن عطية وظاهر اللفظ عموم من بهذه الصفة و المخاطبة بهذا المعنى مستمرة باقي الزمن لا سيما لولاة الامور وقال في فتح الرحمن ثم هذا الترتيب انما هو في قول الواصف لا في حصول تلك الصفات في الموصوف والا فكونه عتلا هو قبل كونه صاحب خير يمنعه وفي برهان القرآن قوله حلاف الى قوله زنيم أوصاف تسعة ولم يدخل بينها واو العطف ولا بعد السابع فدل على أن ضعف القول بواو الثمانية صحيح (أن كان ذا مال وبنين) متعلق بقوله تعالى لا تطع على حذف الجار أي لا تطع من هذه مثالبه لأن كان متمولا ذا مال كثير مستظهرا بالبنين (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) استئناف جار مجرى التعليل للنهي أي اذا تقرأ عليه آيات كلامنا القديم قال هي أحاديث لا نظام لها اكتتبوها كذبا فيما زعموه لقوله اكتتبها فهي تملى عليه وبالفارسية افسانهاء پيشينيانست وقال السدي أساجيع الاولين أي جعل مجازاة النعم التي خولناها من المال والبنين الكفر بآياتنا قال المبرد الاساطير جمع أسطورة نحو أحدوثة وأحاديث وقد سبق غير هذا * وفي التأويلات النجمية لا تطع الخلاف المهين الحقير في نفسه بسبب ثروة أعماله المنسوبة الى الرياء والسمعة وبنين الاحوال المطعونة بالعجب والاعجاب اذا تتلى عليه آياتنا من الحقائق والدقائق قال أساطير الاولين ما سطره الصوفية المتقدمون وهي من ترهاتهم وخرافاتهم (سنسمه على الخرطوم) أصله سنوسمه من الوسم وهو احداث السمة بالكسر أي العلامة وبالفارسية داغ كردن والميسم بالكسر المكواة أي آلة الكي والخرطوم كزنبور الانف أو مقدمه أو ما ضممت عليه الحنكين كالخرطم كقنفذ كما في القاموس والمعنى سنجعل له سمة وعلامة يعرف بها بالكي على أكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله اذ الانف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف بالانف وحمي أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع أنفه ورغم أنفه ولقد وسم العباس رضي الله عنه أباعره في وجوهها فقال له رسول الله عليه السلام أكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها أي في أدبارها وفي التعبير عن الانف بلفظ الخرطوم استهانة بصاحبه واستقباح له لانه لا يستعمل الا في الفيل والخنزير وكلما كان الحيوان أخبث وأقبح كانت الاستهانة والاستقباح أشد وأكثر قيل أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها قال صاحب الكشف هو ضعيف فان الوليد مات قبله فلم يوسم يوم بدر بقي أثره مدة حياته وقال الراغب نلزمه عارا لا ينمحي عنه كما قال صاحب الكشاف هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال وذلك لان الوجه أكرم موضع والانف أبين عضو منه فالوسم على الانف غاية الاذلال والاهانة لان الوسم على الوجه شين فكيف اذا كان

على

على أظهر موضع منه وكما قال العتبى وصف الله الوليد بالحلف والمهانة والهمز والمشى بالنميمة والبخل والظلم والاثم والجفوة والدعوة فألحق به عارا لا يفارقه فى الدنيا والآخرة قال والذى يدل على هذا ما روى عن الشعبى فى قوله عتل حيث قال العتل الشديد والزنيم الذى له زنمة من الشر يعرف بها كما تعرف الشاة وقيل سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها من سائر الكفرة بأن نسود وجهه غاية التسويد اذ كان بالغا فى عداوة سيد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام أقصى مراتب العداوة فيكون الخرطوم مجازا عن الوجه على طريق ذكر الجزء وارادة الكل * وفى التأويلات النجمية نكوى خرطوم استعداده بكى نار الحجاب والبعد حتى لا يشم النفحات الالهية والنسمات الربانية (انا بلوناهم) يقال بلى الثوب بلى أى خلق وبلوته اختبرته كأنى أخلقته من كثرة اختبارى له والبلاء الاختبارات والمعنى انا ابتلينا أهل مكة بالقحط والجوع سبع سنين بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا الجيف والجلود والعظام والدم لتمردهم وكفرانهم نعم الله تعالى (كما بلونا أصحاب الجنة) أى ابتلاء مثل ابتلاء أصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم واللام للعهد والكاف فى موضع النصب على انها نعت لمصدر محذوف وما مصدرية والجنة البستان وبالفارسية باغ وأصحاب الجنة قوم من أهل صنعاء وفى كشف الاسرار سه برادر بودند كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين وقال السهيلى هى جنة بضروان وضروان على فراسخ من صنعاء وفى فتح الرحمن الجنة بستان يقال له ضروان باليمن وكان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير وكانوا بخلاء وكان أبوهم يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقى وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وما فى أسفل الاكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقى على البساط الذى بسط تحت النخلة اذا صرمت (قال الكاشفى) وده يك از حاصل نيز برايشان قسمت كردى فكان يجتمع لهم شئ كثير ويتزودون به أياما كثيرة فلما مات أبوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن أولو عيال فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى (اذ أقسموا) ظرف لبلونا والاقسام سوكند خوردن يعنى سوكند خوردند وارثان باغ كه پنهان از فقرا (ليصرمنها) الصرام والصرم قطع ثمار النخيل وبالفارسية بار خرما بريدن من صرمه اذا قطعه أى ليقطعن ثمارها من الرطب والعنب ويجمعن محصولها من الحرث وغيره (مصبحين) أى داخلين فى الصباح مبكرين وسواد الليل باق وقوله ليصرمنها جواب للقسم وجاء على خلاف منطوقهم ولو جاء على منطوقهم لقيل لنصرمنها بنون المتكلم ومصبحين حال من فاعل ليصرمنها (ولا يستثنون) أى لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع أنه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولا أخرج الا ان شاء الله بمعنى واحد والجملة مستأنفة أو حال بعد حال لعل ايراده بعد ايراد اقسامهم على فعل مضمر لقصودهم مستنكر عند أرباب المروءة وأصحاب الفتوة لتقبيح شأنهم بذكر السببين لحرمانهم وان كان أحدهما كافيا فيه لكن ذكر الاقسام على أمر مستنكر أولا وجعل ترك الاستثناء حالا منه يفيد أصالته وقوته فى اقتضاء الحرمان والاظهر أن المعنى ولا يستثنون حصة المساكين أى لا يميزونها ولا يخرجونها كما كان يفعله أبوهم وقال أبو حيان ولا يثنون عما عزموا عليه من منع المساكين قال فى تاج المصادر

الاستثناء ان شاء الله كفتن واستثناء كردن والباب يدل على تكرير الشئ مرتين أو جعله شيئين متواليين أو متباينين والاستثناء من قياس الباب وذلك ان ذكره يثنى مرة فى الجملة ومرة فى التفصيل لانك اذا قلت خرج الناس ففى الناس زيد وعمرو فاذا قلت الا زيدا فقد ذكرت زيدا مرة أخرى ذكرا ظاهرا انتهى قال الراغب الاستثناء ايراد لفظ يقتضى رفع بعض ما يوجبه عموم لفظ متقدم أو يقتضى رفع حكم اللفظ كما هو فمن الاول قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة ومن الثانى قوله لأفعلن كذا ان شاء الله وعبده عتيق وامرأته طالق ان شاء الله (فطاف عليها) أى على الجنة أى أحاط بها (طائف) بلاء طائف كقوله وأحيط بثمره وذلك ليلا اذ لا يكون الطائف الا بالليل وأيضا دل عليه ما بعده من ذكر النوم وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فأحرقتها (من ربك) مبتدأ من جهته تعالى قال الراغب الطوف الدوران حول الشئ ومنه الطائف لمن يدور حول البيت حافظا ومنه استعير الطائف من الجن والخيال والحادث وغيرها قال تعالى فطاف الخ تعريضا بما نالهم من النائبة انتهى (وهم نائمون) غافلون عما جرت به المقادير أو غافلون عن طوافه بالنوم الذى هو أخو الموت وبالفارسية وايشان خفتكان بودند والنوم استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد اليه أو أن يتوفى الله النفس من غير موت أى ان يقطع ضوء الروح عن ظاهر الجسد دون باطنه أو النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل وكل هذه التعريفات صحيحة (فأصبحت) پس كشت جنت ايشان بآن بلا (كالصريم) فعيل بمعنى مفعول أى كالبستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شئ لان النار السماوية أحرقتها وقيل كالليل لان الليل يقال له الصريم أى صارت سوداء كالليل لاحتراقها (فتنادوا) أى نادى بعضهم بعضا (مصبحين) حال كونهم داخلين فى الصباح (أن اغدوا) أى أى اغدوا على أن أن مفسرة أو بأن اغدوا على أنها مصدرية أى اخرجوا غدوة وأول النهار وبالفارسية بامداد بيرون آييد (على حرثكم) بستانكم وضيعتكم وفى كشف الاسرار دران بستان هم زرع بود هم درخت انكور انتهى * يقول الفقير فالحرث يجوز أن يراد به الحاصل مطلقا أو أن يراد به الزرع خصوصا لانه أعز شئ يعيش به الانسان وتعدية الغدو بعلى لتضمنه معنى الاقبال والاستيلاء وقال بعضهم انه يتعدى بعلى كما فى القاموس غدا عليه غدوا وغدوة بالضم واغتدى بكر قال الراغب الحرث القاء البذر فى الارض وتهيئتها للزرع ويسمى المحروث حرثا قال تعالى أن اغدوا على حرثكم (ان كنتم صارمين) قاصدين للصرم وقطع الثمرة وجمع المحصول أى فاغدوا فجوابه محذوف (فانطلقوا) فمضوا اليها وبالفارسية پس برفتند بجانب باغ (وهم يتخافتون) التخافت بايكديكر پنهان راز كفتن أى يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة والسر كى لا يسمع أحد ولا يدخل عليهم (ان لا يدخلنها) أى الجنة (اليوم عليكم مسكين) من المساكين فضلا عن أن يكثروا وبالفارسية امروز برشما يعنى درباغ شما درونيى نبايد تا بهره بكيرد وزحصه شما كم نكردد وان مفسرة لما فى التخافت من معنى القول بمعنى أى لا يدخلنها تفسير لما يتخافتون والمسكين هو الذى لا شئ له وهو أبلغ من الفقير والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك ههنا فان دخول المسكين عليهم لازم لتمكينهم اياه من الدخول كما ان رؤية المتكلم المخاطب لازم لحضور

عنده فذكر اللازم لينتقل منه الى الملزوم (وغدوا) مشوا بكرة وبالفارسية وبامداد برفتند (على حرد) الحرد المنع عن حدة وغضب يقال نزل فلان حريدا أى ممتنعا من مخالطة القوم وحاردت السنة منعت قطرها والناقة منعت درها وحرد غضب (قادرين) حال مقدرة من فاعل غدوا فان القدرة مع الفعل عند أهل الحق والمعنى وخرجوا أول الصباح على امتناع من أن يتناول المساكين من جنتهم حال كونهم قادرين على نفعهم أو على الاجتناء والصرم بزعمهم فلم يحصل الا النكد والحرمان وفى الكشاف وغدوا قادرين على نكد لاغير عاجزين عن النفع يعنى انهم عزموا ان ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة (فلما رأوها) پس آن هنگام كه ديدند باغ را بخلاف آنچه كذاشته بودند (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (انا لضالون) أى طريق جنتنا وما هى بها أو ما من هلاكها (بل نحن محرومون) قالوه بعد ما تأملوها ووقفوا على حقيقة الامر وأنها هى مضربين عن قولهم الاول أى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها ومنعنا نفعها لجنايتنا على أنفسنا بسوء نيتنا وهى ارادة حرمان المساكين وقصد منع حق الفقراء (قال أوسطهم) أى رأيا أو سنا وفى الكشاف أعدلهم وخيرهم من قولهم فلان من وسطة قومه وأعطنى من وسطات مالك ومنه قوله تعالى أمة وسطا (وقال الكاشفى) ـــــ فاضلتر ايشان از روى عقل يا بزركتر بسن يا صائب تر برأى قال الراغب الوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان كالجود الذى بين البخل والسرف فيستعمل استعمال القصد المصون عن الافراط والتفريط فيمدح به نحو السواء والعدل نحو وكذلك جعلناكم أمة وسطا وعلى ذلك قال أوسطهم وتارة يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر ويكنى به عن الرذل نحو قولهم وسط بين الرجال تنبيها على انه قد خرج من حد الخير (ألم أقل لكم لولا تسبحون) لولا تذكرون الله بالتسبيح والتهليل وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا اليه من هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم وفى الآية دليل على ان العزم على المعصية مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيرها قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وعلى هذا قوله تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه والعزم قوة قصد الفعل والجزم به والمحققون على انه يؤاخذ به وأما الهم وهو ترجيح قصد الفعل فمرفوع (قالوا) معترفين بالذنب والاعتراف به يعد من التوبة (سبحان ربنا) ننزه ربنا عن كل سوء ونقصان سيما عن أن يكون ظالما فيما فعل بنا (انا كنا ظالمين) بقصد حرمان المساكين اتباعا لشح النفس كأنهم قالوا نستغفر الله من سوء صنيعنا ونتوب اليه من خبث نيتنا حيث قصدنا عدم اخراج حق المساكين من غلة بستاننا ولو تكلموا بهذه الكلمة قبل نزول العذاب لنجوا من نزوله لكنهم تكلموا بها بعد خراب البصرة (فأقبل بعضهم على بعض) پس روى آوردند بعضى از ايشان بر بعضى ديكر (يتلاومون) اللوم الملامة وبالفارسية نكوهيدن يعنى خوار داشتن أى يلوم بعضهم بعضا على ما فعلوا فان منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من أنكره وبالفارسية اين آن مى كفت تو چنين انديشيدى وآن عذرمى

آورد كه توهم بدين راضى بودى (قالوا) يعنى بگناه خود اعتراف نمودند واز روى نياز گفتند (ياويلنا) اى واى برما ودرد وزدكى (انا كنا طاغين) متجاوزين حدود الله تعالى وبانذارسيده از حد برندگان دركنم كارى كه درويشانرا محروم ساختيم (عسى ربنا) شايد پروردگار ما كه از كرم او اميد واريم (أن يبدلنا) أن يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة (خيرا منها) بهترى ازان باغ (انا الى ربنا راغبون) راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة لان الله منتهى رجائهم وطلبهم أو لتضمنها معنى الرجوع والا فالمشهور أن تتعدى الرغبة بكلمة فى أو عن دون الى روى أنهم تعاقدوا وقالوا ان أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا الله وتضرعوا اليه فأبدلهم الله من ليلتهم ماهو خير منها قالوا ان الله أمر جبريل أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من أرض الشام أى موضع قليل النبات ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان القوم لما أخلصوا وعرف الله منهم الصدق أبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا قال أبو خالد اليمانى دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم يعنى دران باغ خوشهٔ انگور ديدم برابر مردى سياه بر پاى ايستاده محققان گفته اند هركه ببلايى مبتلا گردد ومال أو عرضهٔ تلف شود واو تأمل نمايد وداند كه باستحقاق برو نازل شده پس بگناه اعتراف نموده بحضرت عزت باز گشت كند بهتر وخوشتر از آنچه ازو باز ستده بود بدو دهد چنانچه بوستان حيوان بعوض باغ ضروانى و پير رومى قدس سره ازين معنى خبر ميدهد آنچه ميفرمايد * اولم خم شكست وسركه بريخت * من نگويم كه اين زيان كرد * صد خم شهد صافى از پى آن * عوضم داد وشادمانم كرد * وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن الحسن رحمه الله قول أصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا أدرى ايمانا كان ذلك منهم أو على حدما يكون من المشركين اذا أصابتهم الشدة فتوقف فى أمرهم والاكثرون على أنهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيرى قدس سره * يقول الفقير ان كان ذلك القول منهم على حدما يصدر من المضطر فابدال الله اياهم جنة خيرا من جنتهم يكون من قبيل الاستدراج وان كان عن توبة واخلاص فذلك الابدال من آثار تحقيق التوبة ونتائج الاخلاص فان للاخلاص ثمرات عجيبة وعن الشيخ أبى الربيع المالقى رحمه الله قال سمعت بامرأة من الصالحات فى بعض القرى اشتهر أمرها وكان من دأبنا أن لا نزور امرأة فدعت الحاجة الى زيارتها للاطلاع على كرامة اشتهرت عنها وكانت تدعى بفضة فنزلنا القرية التى هى بها فذكر لنا أن عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه شئ فمضينا اليها وسلمنا عليها ثم قلنا لها نريد أن نرى هذه البركة التى ذكرت لنا عن هذه الشاة التى عندكم فأعطتنا الشاة فحلبناها فى القدح فشربنا لبنا وعسلا فلما رأينا ذلك سألناها عن قصة الشاة فقالت نعم كانت لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن لنا شئ فحضر العيد فقال لى زوجى وكان رجلا صالحا نذبح هذه الشاة فى هذا اليوم فقلت له لا تفعل فانه قد رخص لنا فى الترك والله يعلم حاجتنا اليها فاتفق أن استضاف بنا فى ذلك اليوم ضيف ولم يكن عندنا قراه فقلت له يا رجل هذا ضيف وقد أمرنا باكرامه فخذ تلك الشاة فاذبحها قالت فخشينا أن يبكى عليها صغارنا فقلت له أخرجها من البيت الى وراء الجدار فاذبحها فلما أراق دمها

قفزت شاة على الجدار فنزلت الى البيت فخشيت أن تكون قد انفلتت منه فخرجت لانظرها فاذا هو سلخ الشاة فقلت له يا رجل عجبا وذكرت له القصة فقال لعل الله قد أبدلنا خيرا منها وكانت تلك الشاة تحلب اللبن وهذه تحلب اللبن والعسل ببركة اكرامنا الضيف ثم قالت يا أولادي ان شويهتنا هذه ترعى فى قلوب المريدين فاذا طابت قلوبهم طاب لبنها وان تغيرت تغير لبنها فطيبوا قلوبكم قال اليافعي عنت بالمريدين نفسها وزوجها ولكن أطلقت لفظا ظاهره العموم مع ارادة التخصيص تسترا وتحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم اذ بطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الانوار والاسرار ولذة العيش بمنادمة الملك الغفار والمعنى لما طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب لكم ما عندكم ولو لم يكن الامر كذلك بل المراد عموم المريدين لكان يطيب اللبن من سائر الغنم ولو خبث قلبهما لما نفعهما طيب قلوب المريدين واذا طابا هما لم يضرهما خبث قلوب المريدين (كذلك العذاب) جملة من مبتدا وخبر قدم لافادة القصر والالف واللام للعهد أي مثل الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا وفى كشف الاسرار كذلك أفعل بأمتك اذا لم تعطف أغنياؤهم على فقرائهم بأن أمنعهم القطر وأرسل عليهم الجوائح وأرفع البركة من زروعهم وتجاراتهم فقيه وعيد لمانعي الزكاة والصدقة باهلاك المال وانزل العذاب بأي طريق كان * مكن بدكه بدبيني أي يار نيك * نيايد زتخم بدى بار نيك * كسى نيك بيند بهر دو سراى * كه نيكى رساند بخلق خداى (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم وأشد وبالفارسية بزركترست چه اين عذاب زوال پابد وان باقى باشد (لو كانوا يعلمون) انه أكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ويطرحهم ويرميهم عليه (ان للمتقين) أي من الكفر والمعاصي (عند ربهم) أي فى الآخرة وذكر عند للتشريف والتكريم وذلك لانه لا مالك فيها حقيقة وصورة الا الله فكأنها حاضرة عنده تعالى يتصرف فيها كيف يشاء والاجمال كون عندية الجنة بالنسبة الى الله تعالى مكانية وهي ظرف معمول للاستقرار الذي تعلق به للمتقين ويجوز أن يكون متعلقا بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى فى قوله للمتقين ولا يجوز أن يكون حالا من جنات لعدم العامل والاظهر ان معنى عند ربهم فى جوار القدس فالمراد عندية المكانة المنزهة عن الجهة والتحيز لا عندية المكان كما فى قوله تعالى عند مليك مقتدر اذ للمقربين قرب معنوي من الله تعالى قال الراغب عند لفظ موضوع للقرب فتارة يستعمل فى المكان وتارة يستعمل فى الاعتقاد نحو عندي كذا وتارة فى الزلفى والمنزلة كقوله تعالى بل أحياء عند ربهم وعلى ذلك قيل الملائكة المقربون (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من المكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا واستفيد الحصر من الاضافة اللامية الاختصاصية فانها تفيد اختصاص المضاف بالمضاف اليه (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي فى الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى أمرهم أن يساوونا فردهم الله تعالى والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنحيف فى الحكم فنجعل المؤمنين كالكافرين فى حصول النجاة والوصول الى الدرجات فالمراد من المجرمين الكافرون

على ما دل عليه سبب النزول وهم المجرمون الكاملون الذين اجرموا بالكفر والشرك والا فالاجرام في الجملة لا ينافي الاسلام نعم المسلم المطيع ليس كالمسلم الفاسق ففيه وعظ للعاقل وزجر للمتبصر ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده (ما لكم كيف تحكمون) تعجيبا من حكمهم واستبعاد له وايذانا بأنه لا يصدر عن عاقل وما استفهامية في موضع الرفع بالابتداء والاستفهام للانكار أي لا انكار أن يكون لهم وجه مقبول يعتد به في دعواهم حتى تمسك به ولكم خبرها والمعنى أي شئ ظهر لكم حتى حكمتم هذا الحكم القبيح كأن أمر الجزاء مفوض اليكم فتحكمون فيه بما شئتم ومعنى كيف في أي حال أفي حال العلم أم في حال الجهل فيكون ظرفا أو عالمين أم جاهلين فيكون حالا * وفي التأويلات النجمية افنجعل المتقين لاحكام الشريعة وآداب الطريقة ورموز الحقيقة كالكاسبين للاخلاق الرديئة والاوصاف الرذيلة المخالفة للشريعة والطريقة والحقيقة ما لكم كيف تحكمون بهذا الظلم الصريح والقول القبيح (أم لكم) أي بل ألكم وبالفارسية ايا شمارا است (كتاب) نازل من السماء (فيه) متعلق بقوله (تدرسون) أي تقرؤن قال في المفردات درس الشئ معناه بقي أثره ودرست العلم تناولت أثره بالحفظ ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبر عن ادامة القراءة بالدرس (ان لكم فيه لما تخيرون) تخير الشئ واختياره أخذ خيره قال الراغب الاختيار طلب ما هو خير فعله وقد يقال ما يراه الانسان خيرا وان لم يكن خيرا وفي تاج المصادر التخير بركزيدن والمعنى ما تخيرونه وتشتهونه وأصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فيكون مفعولا واقعا موضع المفرد فلا يكسر همزة ان ولكن لما جيء باللام كسرت فان لام الابتداء لا تدخل على ما هو في حيز أن المفتوحة وهذه اللام للابتداء داخلة على اسم ان والمعنى تدرسون في الكتاب أن لكم ما تختارونه لانفسكم وأن يكون العاصي كالمطيع بل ارفع حالا منه فأتوا بكتاب ان كنتم صادقين ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين فيكون الموقع من مواقع كسر ان لعدم وقوعها موقع المفرد حكاه الله في القرآن بصورته والفرق بين الوجهين أن المدروس في الاول ما أنسبك من الجملة وفي الثاني الجملة بلفظها وقوله فيه لا يستغني عنه بفيه أولا فقد يكتب المؤلف في كتابه ترغيبا للناس في مطالعته ان في هذا الكتاب كذا وكذا قال سعدي المفتي لك أن تمنع كون الضمير للكتاب بل الظاهر أنه ليوم القيامة المعلوم بدلالة المقام (أم لكم أيمان علينا) قوله علينا صفة أيمان وكذا بالغة أي عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) أي متناهية في التوكيد والصحة لان كل شئ يكون في نهاية الجودة وغاية الصحة يوصف بانه بالغ يقال لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنت وكفلت له به وحلفت له على الوفاء به أي بل أضمنا لكم وأقسمنا بايمان مغلظة فثبت لكم علينا عهود مؤكدة بالايمان (الى يوم القيامة) متعلق بالمقدر في لكم أي ثابتة لكم الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون أو ببالغة أي ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى أن يحصل المقسم عليه الذي هو التحكيم وانا عنا لحكمكم (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم كما سبق (سلهم) أمر من سال يسال بحذف العين وهمزة الوصل وهو تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب أي سلهم

مبكا الهم يعنى بپرس اى محمد مشركا نرا كه (أيهم) كدام ايشان (بذلك) الحكم الخارج عن العقول (زعيم) أى قائم يتصدى لتصحيحه كما يقوم زعيم القوم باصلاح أمورهم فقوله بذلك متعلق بزعيم والزعيم بمعنى القائم بالدعوى واقامة الحجة عليها قال الراغب قوله زعيم اما من الزعامة اى الكفالة أو من الزعم بالقول وهو حكاية قول يكون مظنة للكذب وقيل للمتكفل والرئيس زعيم للاعتقاد فى قولهم انه مظنة للكذب (أم لهم) آيا ايشانراست (شركاء) يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم (فليأتوا بشركائهم) پس بكو بيارند شريكان خود فالباء للتعدية ويجوز أن تكون للمصاحبة (ان كانوا صادقين) فى دعواهم اذ لا أقل من التقليد يعنى أنه كما ليس لهم دليل عقلى فى اثبات هذا المذهب وهو التسوية بين المحسن والمسىء كما قال مالكم كيف تحكمون ولا دليل نقلى وهو كتاب يدرسونه ولا عهود موثقة بالايمان فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول حتى يقلدوهم وان كان التقليد لا يفلح من تشبث بذيله فثبت ان ما زعموا باطل من كل الوجوه وفيه اشارة الى أن اللائق بالحاكم تحرى الصواب بقدر الوسع فيما ليس بحاضر عنده وان حكم بلا تحر فلا يخلو عن خطأ وان أصاب مثل من صلى فى أرض لم يعلم القبلة فيها فانه ان صلى بتحر فصلاته صحيحة وان أخطأ القبلة وان صلى فيها بغير تحر فغير صحيحة وان أصابها واذا كان الحكم بلا تحر خطأ فكيف الحكم بشىء والادلة قائمة بخلافه (يوم يكشف عن ساق) يوم منصوب باذكر المقدر وعن ساق قائم مقام الفاعل ليكشف والمراد يوم القيامة أى اذكر يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك ولا كشف ولا ساق ثمة كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وانما هو مثل فى البخل بأن شبهت حال البخيل فى عدم تيسر الانفاق له بحال من غلت يده وكذا شبهت حال من اشتد عليه الامر فى الموقف بالمخدرات اللاتى اشتد عليهن الامر فاحتجن الى تشمير سوقهن فى الهرب بسبب وقوع أمر هائل بالغ الى نهاية الشدة مع أنهن لا يخرجن من بيوتهن ولا يبدين زينتهن لغير محارمهن لغاية خوفهن وزوال عقلهن من دهشتهن وفرارهن لخلاص أنفسهن فاستعمل فى حق أهل الموقف من الاشقياء ما يستعمل فى حقهن من غير تصرف فى مفردات التركيب بل التصرف انما هو فى الهيئة التركيبية فكشف الساق استعارة تمثيلية فى اشتداد الامر وصعوبته قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة فالساق التى كشفت لهم عبارة عن أمر عظيم من أهوال يوم القيامة تقول العرب كشفت الحرب عن ساقها اذا عظم أمرها وتقول لمن وقع فى أمر عظيم شديد يحتاج فيه الى جهد ومقاساة شمر عن ساقك وكذلك التفت الساق بالساق أى دخلت الاهوال والامور العظام بعضها فى بعض يوم القيامة وقيل ساق الشىء أصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الانسان فان ساق الشجر مثلا أصله والاغصان تنبت على ذلك الاصل وتقوم به فالمعنى حينئذ يوم يكشف عن أصل الامر فتظهر حقائق الامور وأصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره على الوجه الاول للتهويل لان يوم القيامة يوم يقع فيه أمر فظيع هائل منكر خارج عن المألوف وعلى الثانى للتعظيم (ويدعون) أى الكفار والمنافقون (الى السجود) توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه فى الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم فى ذلك لا على سبيل التكليف والتعبد لان يوم القيامة لا يكون فيه تعبد ولا تكليف وسيأتى غير هذا (فلا يستطيعون) لزوال

القدرة الحقيقية عليه وسلامة الاسباب والآلات وفيه دلالة على أنهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم أصلابهم أي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض فيبقون قياما على حالهم حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على تفريطهم وفي الحديث (وتبقى أصلابهم طبقا واحدا) أي فقارة واحدة ودر خبرست كه پشت كافر ومنافق چون سرون كاو يك مهره شود (كأن سفافيد الحديد في ظهورهم) عن أبي بردة بن أبي موسى رضي الله عنه قال حدثني أبي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه في الدنيا فذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدونه في الدنيا ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم كيف بقيتم فيقولون ذهب الناس فيقولون ان لنا ربا كنا نعبده في الدنيا ولم نره فيقال أتعرفونه اذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال لهم كيف ولم تروه قالوا لا شبه له شئ فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فيخرون له سجدا ويبقى أقوام ظهورهم مثل صياصي البقر فيريدون السجود ولا يستطيعون كقوله تعالى يوم يكشف الخ يقول الله يا عبادي ارفعوا رؤسكم قد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى في النار قال أبو بردة فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال والله الذي لا اله الا هو أحدثك أبوك بهذا الحديث فحلفت له ثلاث أيمان فقال عمر ما سمعت من أهل التوحيد حديثا هو أحب الي من هذا الحديث وفي تفسير الفاتحة للفناري رحمه الله يتجلى الحق في ذلك اليوم فيقول لتتبع كل أمة ما كانت تعبد حتى تبقى هذه الامة وفيها منافقوها فيتجلى لهم الحق في أدنى صورة من الصور التي كان يتجلى لهم فيها قبل ذلك فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك نحن منتظرون حتى يأتينا ربنا فيقول لهم جل وعلا هل بينكم وبينه علامة تعرفونه بها فيقولون نعم فيتحول لهم في الصورة التي عرفوه فيها بتلك العلامة فيقولون أنت ربنا فيأمرهم بالسجود فلا يبقى من كان يسجد لله الا سجد ومن كان يسجد اتقاء ورياء جعل ظهره طبقة نحاس كلما أراد أن يسجد خر على قفاه وذلك قوله تعالى يوم يكشف الخ وقال أيضا يكون على الاعراف من تساوت كفتا ميزانه فهم ينظرون الى النار وينظرون الى الجنة وما لهم رجحان بما يدخلهم احدى الدارين فاذا دعوا الى السجود وهو الذي يبقى يوم القيامة من التكليف يسجدون فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنة انتهى وكفته اند كه در ان روز نوري عظيم بنمايد وخلق بسجده در افتند فيكون كشف الساق عبارة عن التجلي الالهي كما ذهب اليه البعض وفي الحديث (يوم يكشف عن ساق) قيل عن نور عظيم يخرون له سجدا كما في كشف الاسرار وفيه أيضا عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يأخذ الله عز وجل للمظلوم من الظالم حتى لا يبقى مظلمة عند أحد حتى انه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء فاذا فرغ من ذلك نادى مناد ليسمع الخلائق كلهم ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد شيأ من دون الله الا مثلت له آلهته بين يديه ويجعل الله ملكا من الملائكة على صورة عزير ويجعل ملكا من الملائكة على صورة عيسى بن مريم فيتبع هذا اليهود ويتبع هذا النصارى ثم تلويهم آلهتهم الى النار وهم الذين يقول الله لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون واذا لم يبق الا المؤمنون وفيهم المنافقون قال الله لهم ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون

فيقولون

فيقولون والله ما لنا اله الا الله وما كنا نعبد غيره فينصرف الله عنهم فيمكث ما شاء أن يمكث ثم يأتيهم فيقول أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله ما لنا اله الا الله وما كنا نعبد غيره فيكشف لهم عن ساق ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون به أنه ربهم فيخرون سجدا على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه ويجعل أصلابهم كصياصى البقر ثم يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم انتهى واعلم ان حديث التحول مجمع عليه وهو من آثار الصفات الالهية كرؤيته فى المنام فى الصورة الانسانية والا فالله تعالى بحسب ذاته منزه عن الصورة وما يتبعها ومن مشى على المراتب لم يعثر ثم ان الآية دالة على جواز ورود الامر بتكليف ما لا يطاق والقدرية لا يقولون بذلك ففيها حجة عليهم كما فى الاسئلة المقحمة لكن ينبغى أن يعلم ان المراد بما لا يطاق هو المحال العادى كنظر الاعمى فى المصحف ولا نزاع فى تجويز التكليف به وكذا المحال العارضى كايمان أبى جهل فانه صار محالا بسبب عارض وهو اخبار الله تعالى بأنه لا يؤمن وقد أجاز الاشاعرة التكليف به ومنعه المعتزلة وأما المحال العقلى وهو الممتنع لذاته كاعدام القديم فلم يذهب الى جواز التكليف به أحد (خاشعة أبصارهم) حال من مرفوع يدعون على ان أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور أثره فيها والا فالاعضاء أيضا خاشعة ذليلة متواضعة بل الخاشع فى الحقيقة هو القلب لكونه مبدأ الخشوع (وقال الكاشفى) يعنى خدا وندان ابصار سر در پيش افكنده وشرمنده باشند قال أبو الليث وذلك ان المسلمين اذا رفعوا رؤسهم من السجود صارت بيضاء كالثلج فلما نظر اليهم اليهود والنصارى والمنافقون وهم الذين لم يقدروا على السجود حزنوا واغتموا واسودت وجوههم كما قال تعالى (ترهقهم) تلحقهم وتغشاهم فان الرهق غشيان الشئ الشئ (ذلة) شديدة تخزيهم كأنه تفسير لخشوع أبصارهم يقال ذل يذل ذلا بالضم وذلة بالكسر وهو ذليل يعنى خوار (وقد كانوا) فى الدنيا (يدعون) دعوة التكليف (الى السجود) أى اليه والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير أو لان المراد به الصلاة وما فيها من السجود وخص السجود بالذكر من حيث انه أعظم الطاعات قال بعضهم يدعون بدعوة الله صريحا مثل قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا أو ضمنا مثل قوله تعالى أقيموا الصلاة فان الدعوة الى الصلاة دعوة الى السجدة وبدعوة رسول الله عليه السلام صريحا كقوله عليه السلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء فالوا أى السجود أو ضمنا كقوله عليه السلام صلوا خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكاة أموالكم وأطيعوا اذا أمركم تدخلوا جنة ربكم وبدعوة علماء كل عصر ومن أعظم الدعوة الى السجود اذان المؤذنين واقامتهم فان قولهم حى على الصلاة دعوة بلا مرية فطوبى لمن أجاب دعوتهم بطوع لا باكراه امتثالا لقوله تعالى أجيبوا داعى الله والجملة حال من ضمير يدعون (وهم سالمون) حال من مرفوع يدعون الثانى أى اصحاء فى الدنيا سلمت أعضاؤهم ومفاصلهم من الآفات والعلل متمكنون من اداء السجدة وقبول الدعوة أقوى تمكن أى فلا يجيبون اليه ويأبونه وما ترك ذكره ثقة بظهوره وبالفارسية وايشان تندرست بودند وقادر بران چون فرصت فوت كردند درين روز جز حسرت وندامت بهره ندارند * مده فرصت از دست كر بايدت * كه كوى سعادت زميدان برى * كه فرصت عزيزست چون فوت شد * بسى دست حسرت بدندان برى * وفى الآية

وعيد لمن ترك الصلاة المفروضة أو تخلف عن الجماعة المشروعة قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقنى مرافقتك فى الجنة فقال اعنى بكثرة السجود وكان السلف يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتهم التكبير الاول وسبعة اذا فاتهم الجماعة قال أبو سليمان الدارانى قدس سره أقت عشرين سنة ولم أحتلم فدخلت مكة فأحدثت بها حدثا فما أصبحت الا احتلمت وكان الحدث ان فاتته صلاة العشاء بجماعة وقال الشيخ أبو طالب المكى قدس سره فى قوت القلوب ولا بد من صلاة الجماعة سيما اذا سمع التأذين أو كان فى جوار المسجد وحد الجوار أن يكون بينه وبين المسجد مائة دار وأولى المساجد التى يصلى فيها أقربها اليه الا أن يكون له نية فى الابعد لكثرة الخطا أو لفضل امام فيه فالصلاة خلف العالم الفاضل أفضل أو يريد أن يعمر بيتا من بيوت الله بالصلاة فيه وان بعد وقال سعيد بن المسيب رحمه الله من صلى الخمس فى جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة وقال أبو الدرداء رضى الله عنه حالفا بالله تعالى من أحب الاعمال الى الله ثلاثة أمر بصدقة وخطوة الى صلاة جماعة واصلاح بين الناس وفى الآية اشارة الى أنه يرفع الحجاب ويبقى المحجوبون فى حجاب انانيتهم ويشتد عليهم الامر ويدعون الى الفناء فى الله فلا يستطيعون لافساد استعدادهم الفطرى بالركون الى الدنيا وشهواتها اذلة أبصارهم متحيرة لذهاب قوتها النورية تلحقهم ذلة الحجاب وهوان الاحتجاب وقد كانوا فى زمان استعدادهم يدعون الى سجود الفناء بترك اللذات والشهوات وهم ناءمون فى نوم الغفلة لا يرفعون له رأسا لفساد استعداد مزاجهم بالعلل النفسانية والامراض الهيولانية (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) من منصوب بالعطف على ضمير المتكلم أو على انه مفعول معه وهو مرجوح لامكان العطف من غير ضعف أى واذا كان حالهم فى الآخرة كذلك فدعنى ومن يكذب بالقرآن وخل بينى وبينه ولا تشغل قلبك بشأنه وتوكل على فى الانتقام منه فانى عالم بما يستحقه من العذاب ويطيق له وكافيك أمره يقال ذرنى واياه يريدون كله الى فانى اكفيكه قال فى فتح الرحمن وعيد ولم يكن ثمة مانع ولكنه كما تقول دعنى مع فلان أى سأعاقبه والحديث القرآن لان كل كلام يبلغ الانسان من جهة السمع أو الوحى فى يقظته أو منامه يقال له حديث (سنستدرجهم) يقال استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة درجة حتى يورطه فيه وفى تاج المصادر الاستدراج اندك اندك نزديك كردانيدن خداى بنده را بخشم وعقوبت خود والمعنى سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة حتى نوقعهم فيه فاستدراج الشخص الى العذاب عبارة عن هذا الاستنزال والاستدناء (من حيث لا يعلمون) أى من الجهة التى لا يشعرون أنه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم وفى الحديث (اذا رأيت الله ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج) وتلا هذه الآية وقال أمير المؤمنين رضى الله عنه من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله (وروى) أن رجلا من بنى اسرائيل قال يارب كم أعصيك وكم أنت لا تعاقبنى فأوحى الله الى نبى زمانه ان قل له كم من عقوبة لى عليك وأنت لا تشعر كونها عقوبة ان جمود عينك وقساوة قلبك استدراج منى وعقوبة لو عقلت قال بعض المكاشفين من المكر الالهى بالعبد أن يرزق العلم ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الاخلاص

نعمه فمن علم اتصافه بهذا من نفسه فليعلم أنه ممكور به وأخفى ما يكون المكر الالهى فى المتأولين من اهل الاجتهاد وغيرهم ومن يعتقد أن كل مجتهد مصيب يدعو الناس على بصيرة وعلم قطعى وكذلك مكر الله بالخاصة خفى مستور فى ابقاء الحال عليهم وتأييدهم بالكرامات مع سوء الادب الواقع منهم فتراهم يتلذذون بأحوالهم ويهجمون على الله فى مقام الادلال وما عرفوا ما ادّخر لهم من المؤاخذات نسأل الله العافية وقال بعض العارفين مكر الله فى نعمه أخفى منه فى بلائه فالعاقل من لا يأمن مكر الله فى شئ وأدنى مكر بصاحب النعمة الظاهرة أو الباطنة أنه يخطر فى نفسه أنه مستحق لتلك النعمة وانها من أجل اكرامه خلقت ويقول ان الله ليس بمحتاج اليها فهى لى بحكم الاستحقاق وهذا يقع فيه كثيرا من لا تحقيق عنده من العارفين لان الله انما خلق الاشياء بالاصالة لتسبح بحمده وأما انتفاع عباده بها فبحكم التبعية لا بالاول وقال بعض المحققين كل علم ضرورى وجده العبد فى نفسه من غير عمل فكر فيه ولا تدبر فهو عطاء من الله لوليه الخاص بلا واسطة ولكن لا يعرف أن ذلك من الله الا الكمل من الرجال ويحتاج صاحب مقام الفتوح الى ميزان دقيق لانه قد يكون فى الفتوح مكر خفى واستدراج ولذلك ذكره تعالى فى القرآن على نوعين بركات وعذاب حتى لا يفرح العاقل بالفتح قال تعالى ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء وقال تعالى فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد وتأمل قول قوم عاد هذا عارض ممطرنا لما جبتهم العادة فقيل لهم بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم واعلم أن كل فتح أعطاك أدبا وترقيا فليس هو بمكر بل عناية من الله لك وكل فتح أعطى العبد أحوالا وكشفا واقبالا من الخلق فليحذر منه فانه نتيجة عجلت فى غير موطنها فينقلب صاحبها الى الدار الآخرة صفر اليدين نسأل الله اللطف قال أبو الحسين رضى الله عنه المستدرج سكران والسكران لا يصل اليه ألم فجع المعصية الا بعد افاقته فاذا أفاقوا من سكرتهم خلص ذلك الى قلوبهم فانزعجوا ولم يطمئنوا والاستدراج هو السكون الى اللذات والتنعم بالنعمة ونسيان ما تحت النعم من المحن والاغترار بحلم الله تعالى وقال أبو سعيد الخراز قدس سره الاستدراج فقدان اليقين فالمستدرج من فقد فوائد باطنه واشتغل بظاهره واستكثر من نفسه حركاته وسعيه لغيبوبته عن المنة وقال بعضهم بالاستدراج تعرف العقوبة ويخاف المقت وبالانتباه تعرف النعمة ويرجى القرب (وأملى لهم) الاملاء مهلت دادن اى وأمهلهم باطالة العمر وتأخير الاجل ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم (ان كيدى) أى أخذى بالعذاب (متين) قوى شديد لا يطاق ولا يدفع بشئ وبالفارسية وبدرستى كه عقوبت من محكمست بهر چيزى دفع نشود وگرفتن من سخت كس را طاقت آن نباشد وفى الكشاف سمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد حيث كان سببا للتورط فى الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة أثر احسانه فى التسبب للهلاك قال بعضهم الكيد اظهار النفع وابطان الضر للمكيد وفى المفردات الكيد ضرب من الاحتيال وقد يكون محمودا ومذموما وان كان يستعمل فى المذموم أكثر وكذلك الاستدراج والمكر ولكون بعض ذلك محمودا قال تعالى كذلك كدنا ليوسف قال بعضهم أراد بالكيد العذاب والصحيح انه الامهال المؤدى الى العذاب انتهى وفى التعريفات الكيد ارادة مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة السيئة

ومن الله التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق (أم تسألهم) آيا ميطلبى ازايشان برابلاغ وارشاد
ودعوت ايمان وطاعت وهو معطوف على قوله أم لهم شركاء (أجرا) دنيويا (فهم) لاجل ذلك
(من مغرم) أى من غرامة مالية وهى ماينوب الانسان فى ماله من ضرر لغير جناية منه
(مثقلون) مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك أى لاتسأل منهم ذلك فليس لهم عذر فى اعراضهم
وفرارهم (أم عندهم الغيب) أى اللوح أو المغيبات (فهم يكتبون) منه مايحكمون من
التسوية بين المؤمن والكافر ويستغنون به عن علمك (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير
نصرتك عليهم (ولا تكن) فى التضجر والعجلة بعقوبة قومك وبالفارسية مباش دردلتنكى
وشتاب زدكى (كصاحب الحوت) أى يونس عليه السلام يعنى يونس كه صبر نكرد براذيت قوم
وبى فرمان الهى ازميان قوم برفت تابشكم ماهى محبوس كشت (اذ نادى) داعيا الى الله
فى بطن الحوت بقوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (وهو مكظوم) مملوء غيظا وغما
يقال كظم السقاء اذا ملأه وشد رأسه وبالقصد الثانى قال تعالى والكاظمين الغيظ بمعنى
الممسكين عليه وعليه قول النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله
قلبه أمنا وايمانا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهى لا على النداء عبارة عن الضجرة والمغاضبة
المذكورة صريحا فى قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا لا على النداء فانه أمر مستحسن ولذلك
لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف أى لا يكن حالك كحاله وقت ندائه أى لا يوجد منك
ماوجد منه من الضجرة والمغاضبة فتبتلى ببلائه وهو التقام الحوت وبنحو ذلك قال بعضهم فاصبر
لحكم ربك بسعادة من سعد وشقاوة من شقى ونجاة من نجا وهلاك من هلك ولا تكن كصاحب
الحوت فى استيلاء صفات النفس عليه وغلبة الطيش والغضب للاحتجاب عن حكم الرب حتى
رد عن جناب القدس الى مقر الطبع فالتقمه حوت الطبيعة السفلية فى مقام النفس وابتلى
بالاجتنان فى بطن حوت الرحم (لولا أن تداركه) ناله وبلغه ووصل اليه وبالفارسية اكرنه آنست
كه دريافت اورا (نعمة) رحمة كائنة (من ربه) وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل
للفصل بالضمير وأن مع الفعل فى تأويل المصدر مبتدأ خبره مقدر يعنى ولولا تدارك نعمة من ربه اياه
حاصل (لنبذ) أى طرح من بطن الحوت فان النبذ القاء الشئ وطرحه لقلة الاعتداد به (بالعراء)
أى بالارض الخالية من الاشجار قال الراغب العراء مكان لا سترة به (وهو مذموم) مليم مطرود
من الرحمة والكرامة لكنه رحم فنبذ غير مذموم بل سقيما من جهة الجسد وسليما من آلام
الرجل يعنى أى مايلام عليه ودخل فى اللوم فان قلت فسر المذموم بالمليم وقد أثبته الله تعالى بقوله
فالتقمه الحوت وهو مليم أجيب على ذلك التفسير بأن الالامة حين الالتقام لاتستلزم الالامة
حين النبذ اذ التدارك نفاها فانتفت على ماهو حكم لولا الامتناعية كما أشير اليه فى تصوير المعنى
آنفا وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هى المنفية لا النبذ بالعراء كما فى الحال
الاولى لانه نبذ غير مذموم بل محمود (فاجتباه ربه) عطف على مقدر اى فتداركته نعمة ورحمة من
ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه بأن رد اليه الوحى وأرسله الى مائة ألف أو يزيدون يقال جبيت
الماء فى الحوض جمعته والحوض الجامع له جابية والاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء وقيل
استنباء ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة ومن أنكر الكرامات والارهاص لابد أن يختار

القول الاول لان احتباسه فى بطن الحوت وعدم موته هنالك لما لم يكن ارهاصا ولا كرامة لابد أن يكون معجزة وذلك يقتضى أن يكون رسولا قبل هذه الواقعة (فجعله من الصالحين) من الكاملين فى الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلا يكون تركه أولى روى أنها نزلت باحد حين هم رسول الله عليه السلام ان يدعو على المنهزمين فتكون الآية مدنية وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف حق تعالى فرمودكه صبركن وآن دعا در توقف داركه كارها بصبر نكو شود * كارها از صبر كردد دلپسند * خرم آن كز صبر باشد بهره مند * چون در افتادى بكرداب حرج * صبر كن والصبر مفتاح الفرج * دلت الآيات على فضيلة الصبر وعلى ان ترك الاولى يصدر من الانبياء عليهم السلام والا لما كان يونس عليه السلام مليما وعلى ان الندم على ما فرط من العبد والتضرع الى الله لذلك من وسائل الاكرام وعلى ان توفيق الله نعمة باطنة منه وعلى ان الصلاح درجة عالية لا ينالها الا أهل الاجتباء وعلى ان فعل العبد مخلوق لله لدلالة قوله فجعله من الصالحين على ان الصلاح انما يكون بجعل الله وخلقه وان كان للعبد مدخل فيه بسبب الكسب بصرف ارادته الجزئية والمعتزلة يؤولونه تارة بالاخبار بصلاحه وتارة بالاطف له حتى صلح لكنه مجاز والاصل هو الحقيقة (وان) مخففة واللام دليلها (يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) يقال أزلقه أزل رجله يعنى بلغزانيد (لما سمعوا الذكر) لما ظرفية منصوبة بيزلقونك والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا أى نظر الغضبان بمؤخر العين بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك وقت سماعهم القرآن وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى أى لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أو انهم يكادون يصيبونك بالعين قال فى كشف الاسرار الجمهور على هذا القول روى أنه كان فى بنى أسد عيانون والعيان والمعيان والعيون شديد الاصابة بالعين وكان الواحد منهم اذا أراد أن يعين شيأ يتجوع له ثلاثة أيام ثم يتعرض له فيقول تالله ما رأيت أحسن من هذا فيتساقط ذلك الشئ وكان الرجل منهم ينظر الى الناقة السمينة أو البقرة السمينة ثم يعينها ثم يقول للجارية خذى المكتل والدرهم فائتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع فتنحر والحاصل أنه لا يمر به شئ فيقول فيه لم أر كاليوم مثله الا عانه وكان سبب هلاكه وفساده فسأل الكفار من قريش من بعض من كانت له هذه الصفة أن يقول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت مثله ولا مثل حججه تا ز تو جمال ان حضرت با سبب عين الكمال از ساحت عالم محو سازد فقال فعصمه الله تعالى (وقال الكاشفى) حق تعالى براى عصمت وى از چشم بد اين آيت را فرستاد قال الحسن البصرى قدس سره دواء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية (كما قال الحافظ) حضور مجلس انس است دوستان جمعند * وان يكاد بخوانيد ودر فراز كنيد * وفى الاسرار المحمدية قد قيل ان فى هذه الآية خاصية لدفع العين تعليقا وغسلا وشربا انتهى * وفى الحديث العين حق أى أثرها فى المعين واقع قالوا ان الشئ لا يعين الا بعد كماله وكل كامل فانه يعقبه النقص بقضاء ولما كان ظهور القضاء بعد العين أضيف ذلك اليها ولما خاف يعقوب عليه السلام على أولاده من العين لانهم كانوا أعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا اولاد رجل واحد قال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة فأمرهم أن يتفرقوا فى دخولها لئلا يصابوا بالعين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن

والحسين فيقول أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان يعوذ ابراهيم اسمعيل واسحق عليهم السلام وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله عليه السلام فى أول النهار فرايته شديد الوجع ثم عدت اليه آخر النهار فوجدته معافى فقال ان جبريل أتانى فرقانى فقال بسم الله أرقيك * من كل شئ يؤذيك * ومن كل عين وحاسد الله يشفيك * قال عليه السلام فأفقت والرقية بالفارسية افسون كردن يقال رقاه الراقى رقيا ورقية اذا عوذه ونفث فى عوذته قالوا وانما تكره الرقية اذا كانت بغير لسان العرب ولايدرى ماهو ولعله يدخله سحر او كفر واما ما كان من القرآن او شئ من الدعوات فلا بأس به كما فى المغرب للمطرزى ولا تختص العين بالانس بل تكون فى الجن أيضا وقيل عيونهم أنفذ من أسنة الرماح وعن أم سلمة رضى الله عنها ان النبى عليه السلام رأى فى بيتها جارية تشتكى وفى وجهها صفرة فقال استرقوا لها فان بها النظرة وأراد بها العين اصابتها من الجن كما فى شرح المصابيح وفى الحديث (لو كان شئ يسبق القدر لسبقته العين) أى لو كان شئ مهلكا أو مضرا بغير قضاء الله وقدره لكان العين أى أصابتها لشدة ضررها وعنه عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ومما يدفع العين ماروى أن عثمان رضى الله عنه رأى صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين أى سودوا نقرة ذقنه قالوا ومن هذا القبيل نصب عظام الرؤس فى المزارع والكروم ووجهه ان النظر الشؤم يقع عليها أولا فتنكسر سورته فلا يظهر أثره ومن الشفاء من العين أن يقال على ماء فى اناء نظيف ويسقيه منه ويغسله عنس عابس بشهاب قابس رددت العين من المعين عليه والى أحب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور والفاتحة وآية الكرسى وست آيات الشفاء وهى ويشف صدور قوم مؤمنين وشفاء لما فى الصدور فيه شفاء للناس وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء * ومن الشفاء أن يؤمر العائن فيغتسل أو يتوضأ بماء ثم يغتسل به المعين قيل وجه اصابة العين ان الناظر اذا نظر الى شئ واستحسنه ولم يرجع الى الله والى رؤية صنعه قد يحدث الله فى المنظور علة بجناية نظره على غفلة ابتلاء لعباده ليقول المحق انه من الله وغيره من غيره فيؤاخذ الناظر لكونه سببا ووجهها بعض بأن العائن قد ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك أو يفسد كما قيل مثل ذلك فى بعض الحيات قال فى الاسرار المحمدية ذوات السموم تؤثر بكيفياتها الخبيثة الكامنة فيها بالقوة فى قابلات عدوها انبعثت منها قوة غضبية وتكيفت نفسها بكيفية خبيثة مؤذية ومنها ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثر فى اسقاط الجنين ومنها ما يؤثر فى طمس البصر ومنها ما يؤثر فى الانسان كيفيتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك النفس وكيفيتها الخبيثة المؤثرة والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية بل بعضه بالمقابلة والرؤية كما اشتهر عن نوع من الافاعى انها اذا وقع بصرها على الانسان هلك فهو من هذا الجنس ولا يبعد ان تنبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية فتتصل بالمعين وتتخلل مسام جسمه أى ثقبه كالفم والمنخر والاذن فيتضرر به واذا كانت النفوس مختلفة فى جواهرها وماهياتها لم يمتنع أيضا اختلافها فى لوازمها وآثارها فلا يستبعد ان يكون لبعض النفوس خاصية التأثير المذكور وبه يحصل الجواب عمن أنكر اصابة العين وقال انها لاحقيقة

لها

الهالات تأثير الجسم فى الجسم لا يعقل الا بواسطة المماسة ولا مماسة ههنا فامتنع حصول التأثير انتهى وعقلاء الامم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ولا تنكره وبعض النفوس لا تحتاج الى المقابلة بل بتوجه الروح ونحوه يحصل الضرر فربما يوصف الشئ للاعمى فتؤثر نفسه فيه بالوصف من غير مقابلة ورؤية واذا قتلت ذوات السموم بعد لسعها خف أثر لسعها الا ان الجسد تكيف بكيفية السم وصار قابلا للانحراف فما دامت حية فان نفسها تمده بامتزاج الهواء بنفسها واتنشاق الملسوع به قال الجاحظ علماء الفرس والهند وأطباء اليونانيين ودهاة العرب وأهل التجربة من المعتزلة وحذاق المتكلمين كانوا يكرهون الاكل بين يدى السباع يخافون عيونها لما فيها من النهم والشره لما يحصل عند ذلك من أجوافها من البخار الردىء وينفصل من عيونها ما اذا خالط الانسان نقصه وأفسده وكانوا يكرهون قيام الخدم بالمذاب والاشربة على رؤسهم مخافة العين وكانوا يأمرون اتباعهم قبل أن يأكلوا أن يطردوا الكلب والسنور أو يشغلوه بما يطرح له ومن هذا يعرف بعض اسرار قوله عليه السلام من أكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلى بداء لا دواء له وفائدة الرقى أن الروح اذا تكيفت به وقويت واستعانت بالنفث والتفل قابلت ذلك الاثر الذى حصل من النفوس الخبيثة والخواص الفاسدة فأزالته والحاصل ان الرقية بما ليس بشرك مشروعة لكن التحرز من العين لازم وانه واجب على كل مسلم أعجبه شئ أن يبارك ويقول تبارك الله أحسن الخالقين اللهم بارك فيه فانه اذا دعا بالبركة صرف المحذور لا محالة ومن عرف باصابة العين منع من مداخلة الناس دفعا لضرره قال بعض العلماء يأمره الامام بلزوم بيته وان كان فقيرا رزقه ما يقوم به معاشه ويكف اذاه عن الناس وقيل ينفى والاحتياط الامر بلزوم بيته دون الحبس والنفى وبهذا التقرير يعرف حال المجذومين ولذا اتخذوا لهم فى بعض البلاد مكانا مخصوصا بحيث لا يخالطون الناس ولا يشاركونهم فى محلاتهم وذكر الجاحظ ان أعجب ما فى الدنيا ثلاثة البوم لا تظهر بالنهار خوفا ان تصيبها العين لحسنها قال فى حياة الحيوان ولما تصور فى نفسه أنه أحسن الحيوان لم يظهر الا بالليل والثانى الكركى لا يطأ الارض بقدميه بل باحداهما فاذا وطئها لم يعتمد عليها خوفا ان تخسف الارض والثالث الطائر الذى يقعد على سواقى الماء من الانهار يعرف بمالك الحزين شبيه الكركى لا يشبع من الماء خشية أن يفنى فيموت عطشا ففى الاول اشارة الى ذم العجب وفى الثانى الى مدح الخوف وفى الثالث الى قدح الحرص فليعتبر العاقل من غير العاقل والسعيد من وعظ بغيره وأخذ الاشارة من كل شئ نسأل الله البصيرة التامة بمنه (ويقولون) لغاية حيرتهم فى أمره عليه السلام ونهاية جهلهم بما فى القرآن من بدائع العلوم ولتنفير الناس عنه والا فقد علموا انه اعقلهم (انه) عليه السلام (لمجنون) الظاهر أنه مثل قولهم يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون (وقال الكاشفى) بدرستى كه اين مرد ديو كرفته يعنى با وجنى است كه اورا تعليم ميدهد كما قال الوليد بن المغيرة معلم مجنون يعنى يأتيه رئى من الجن فيعلمه وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوا منه عليه السلام رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل (وما هو الا ذكر للعالمين) على أنه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم والتعجب للسامعين من جراءتهم على التفوه بتلك العظيمة أى يقولون ذلك والحال ان القرآن ذكر للعالمين من الجن والانس اى تذكير وبيان لجميع

مايحتاجون اليه من أمور دينهم فأين من أنزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا فى حقه من الجنون أى انه من أدل الامور على كمال عقله وعلو شأنه فمن نسب اليه القصور فانما هو من جهله وجنته فان الفضل لايعرفه الاذووه

اذا لم يكن للمرء عين صحيحة * فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وفيه اشارة الى الالهام فانه ذكر لصاحبه ولمن اعتقده واقتدى به اذ الآثار باقية الى يوم القيامة وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه ذكرا وشرفا للعالمين لاريب فيه * اى شرف جملهٔ عالم بتو * روشنى ء ديدهٔ آدم بتو * وفيه اشارة الى سادات أمته واركان دينه

تمت سورة نون بعون خالق القلم وما يسطرون فى يوم الاثنين الخامس والعشرين من شعبان سنة ست عشرة بعد المائة

سورة الحاقة وآيها احدى وخمسون مكية

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الحاقة) هى من أسماء القيامة من حق يحق بالكسر اذا وجب وثبت لانها تحق أى يجب مجيئها ويثبت وقوعها كما قال تعالى ان الساعة آتية لاريب فيها فالاسناد حقيقى وقال الراغب فى المفردات لانها يحق فيها الجزاء فالاسناد مجازى كنهاره صائم ونحوه (ما الحاقة) الاصل ما هى أى أى شئ هى فى حالها او صفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيد الهولها كما يقال زيد ما زيد على التعظيم لشأنه فقوله الحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان وما بعده خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط تكرير المبتدأ بلفظه هذا ما ذكروه فى اعراب هذه الجملة ونظائرها ومقتضى التحقيق أن تكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الفائدة بيان أن الحاقة أمر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبر الابيان ان أمرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا كذا فى الارشاد (وما أدراك) من الدراية بمعنى العلم يقال دراه ودرى به أى علم به من باب رمى وأدراه به أعلمه قال فى تاج المصادر الدراية والدرية والدرى دانستن ويعدى بالباء وبنفسه قال سيبويه وبالباء أكثر قوله ما مبتدأ وأدراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس والمعنى وأى شئ أعلمك بالحمد وبالفارسية وچه چيز دانا كرد ايد ترا (ما الحاقة) جملة من مبتدا وخبر فى موضع المفعول الثانى لأدراك والجملة الكبيرة تأكيد لهول الساعة وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علم المخلوقات على معنى ان أعظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لا يكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما اقدرت حالها فهى أعظم من ذلك وأعظم فلا تنسى الاعلام قال بعضهم ان النبى عليه السلام وان كان عالما بوقوعها ولكن لم يكن عالما بكمال كيفيتها ويحتمل أن يقال له عليه السلام اسماعا لغيره * وفى التأويلات النجمية يشير بالحاقة الى التجلى الاحدى الاطلاقى فى مرآة الواحدية المفنى للكل كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بقهر سطوات أنوار الاحدية بجميع ظلمات التعينات الساترة اطلاق الذات المطلقة وسمى بالحاقة لثبوته فى ذاته وتحققه فى نفسه (كذبت ثمود) قوم صالح من الثمد وهو الماء القليل الذى لامادة له (وعاد) قوم هود وهى قبيلة أيضا وتمنع كما فى القاموس (بالقارعة) من جملة أسماء الساعة أيضا لانها تقرع الناس أى تضرب بفنون الافزاع والاهوال أى تصيبهم بها كانها

تقرعهم بها او السماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها زيادة فى وصف شدتها فان فى القارعة ماليس فى الحاقة من الوصف يقال أصابتهم قوارع الدهر أى أهواله وشدائده قيل منها قوارع القرآن للآيات التى تقرأ حين الفزع من الجن والانس اقرع قلوب المؤذين بذكر جلال الله والاستمداد من رحمته وحمايته مثل آية الكرسى ونحوها وفى الآية تخويف لاهل مكة من عاقبة تكذيبهم بالبعث والحشر (فأما ثمود) وكانوا عربا منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز يراها حجاج الشام ذهابا وايابا (فأهلكوا) أى أهلكهم الله لتكذيبهم فأخبر عن الفعل لانه المراد دون الفاعل لانه معلوم (بالطاغية) أى بالصيحة التى جاوزت عن حد سائر الصيحات فى الشدة فرجفت منها الارض والقلوب وتزلزلت فاندفع مايرى من التعارض بين قوله تعالى فأخذتهم الرجفة وبين قوله تعالى فاخذتهم الصيحة والقصة واحدة وفى الآية اشارة الى أهل العلم الظاهر المحجوبين عن العلوم الحقيقية فانهم أهل العلم القليل كما ان ثمود أهل الماء القليل فلما كذبوا فناء أهل العلم الباطن من طريق السلوك أهلكهم الله بصاعقة نار البعد والاحتجاب فليس لهم صلاح فى الباطن وان كان لهم صلاح فى الظاهر وذلك لانهم لم يتبعوا الصالحين من الصلحاء الحقيقيين فبقوا فى فساد النفس (وأما عاد) وكانت منازلهم بالاحقاف وهى الرمل بين عمان الى حضرموت واليمن وكانوا عربا أيضا ذوى بسطة فى الخلق وكان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين وأوسطهم مابين ذلك وكان رأس الرجل منهم كالقبة يفرخ فى عينيه ومنخره السباع وتأخيرهم عن ثمود مع تقدمهم زمانا من قبيل الترقى من الضال الشديد الى الاضل الاشد (فأهلكوا بريح) هى الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (صرصر) أى شديدة الصوت لها صرصرة فى هبوبها وهى بالفارسية بانك كردن باز وجرغ وآنچه بدان ماند أو شديدة البرد تحرق ببردها النبات والحرث فان الصر بالكسر شدة البرد (عاتية) مجاوزة للحد فى شدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها والرياح مسخرة للملائكة تهب باذنه وتنقطع باذنه وله أعوان كأعوان ملك الموت (روى) انه مايخرج من الريح شئ الا بقدر معلوم ولما اشتد غضب الله على قوم عاد أصابتهم ريح خارجة عن ضبط الخزان ولذلك سميت عاتية أو المعنى عاتية على عاد فلم يقدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء فى حفرة فانها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم (سخرها عليهم) التسخير سوق الشئ الى الغرض المختص به قهرا والمسخر هو المقيض للفعل والمعنى سلط الله تلك الريح الموصوفة على قوم عاد بقدرته القاهرة كما شاء الظاهر أنه صفة أخرى ويقال استئناف لدفع مايتوهم من كونها باتصالات فلكية مع أنه لو كان كذلك لكان بتسبيبه وتقديره فلا يخرج من تسخيره تعالى (سبع ليال) منصوب على الظرفية لقوله سخرها أنث العدد لكون الليالى جمع ليلة وهى مؤنث فسبع مفرد موصوفه يقال ليل وليلة ولا يقال يوم ويومة وكذا نهارة وتجمع الليلة على الليالى بزيادة الياء على غير القياس فحذف باؤها لالتقاء الساكنين مثل الاهالى والاهال فى جمع أهل الاحالة النصب نحو قوله تعالى سيروا فيها ليالى وأياما آمنين لانه غير منصرف والفتح خفيف (وثمانية أيام) ذكر العدد لكون الايام جمع يوم وهو مذكر (حسوما) جمع حاسم كشهود جمع شاهد وهو حال

من مفعول سخرها بمعنى ساسمات عبر عن الريح الصرصر بلفظ الجمع لتكثرها باعتبار وقوعها في تلك الليالي والايام وقال بعضهم صفة لماقبله كما قال الكاشفي روزها وشبهاى متوالى والمعنى على الاول حال كون تلك الريح متتابعات ما خفق هبوبها في تلك المدة ساعة حتى أهلكتهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على داء الدابة مرة بعد أخرى حتى ينحسم وينقطع الدم كما قال في تاج المصادر الحسم بريدن و پيوسته داغ كردن فهو من استعمال المقيد في المطلق اذ الحسم هو تتابع الكي أو نحسات حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات قطعت دابرهم والحاصل ان تلك الرياح فيها ثلاث حيثيات الاولى تتابع هبوبها والثانية كونها قاطعة لكل خير ومستأصلة لكل بركة أتت عليها والثالثة كونها قاطعة دابرهم فسميت حسوما بمعنى حاسمات اما تشبيها بمن يحسم الداء في تتابع الفعل واما لان الحسم في اللغة القطع والاستئصال ويسمى السيف حساما لانه يحسم العدو عما يريده من بلوغ عداوته وهي كانت أيام برد العجوز من صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال ويقال آخر أسبوع من شهر صفر الى غروب الاربعاء الآخر وهو آخر الشهر وعن ابن عباس رضي الله عنه يرفعه آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت في سرب أي في بيت في الارض فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هي أيام العجز وهي آخر الشتاء ذات برد ورياح شديدة فمن نظر الى الاول قال برد العجوز ومن نظر الى الثاني قال برد العجز وفي روضة الاخبار رغبت عجوز الى أولادها أن يزوجوها وكان لها سبعة بنين فقالوا الى أن تصبري على البرد عارية لكل واحد منا ليلة ففعلت فلما كانت في السابعة ماتت فسميت تلك الايام أيام العجوز وأسماء هذه الايام الصن وهو بالكسر أول ايام العجوز كما في القاموس والصنبر وهي الريح الباردة والثاني من أيام العجوز كما في القاموس والوبر وهو ثالث أيام العجوز والمعلل كمحدث وهو الرابع من أيامها ومطفئ الجمر وهو خامس أيام العجوز أو رابعها كما في القاموس وقيل مكفئ الظعن أي مميلها وهو جمع ظعينة وهو الهودج فيه امرأة أم لا والآمر والمؤتمر قال في القاموس آمر ومؤتمر آخر أيام العجوز قال الشاعر

كسع الشتاء بسبعة غبر * ايام شهلتنا من الشهر فاذا انقضت ايام شهلتنا * بالصن والصنبر والوبر وبآمر وأخيه مؤتمر * ومعلل وبمطفئ الجمر ذهب الشتاء موليا هربا * وأتتك وقدة من الحر

قال في الكواشي ولم يسم الثامن لان هلاكهم واهلاكها كان فيه وفي عين المعاني ان الثامن هو مكفئ الظعن ثم قال في الكواشي ويجوز أنها سميت أيام العجوز لعجزهم عما حل بهم فيها ولم يسم الثامن على هذا لاهلاكهم فيه والذي لم يسم هو الاول وان كان العذاب واقعا في ابتدائه لان ليلته غير مذكورة فلم يسم اليوم تبعا لليلة لان التاريخ يكون بالليالي دون الايام فالصن ثاني الايام الثمانية أول الايام المذكورة لياليها انتهى يقول الفقير سر العدد أن عمر الدنيا بالنسبة الى الانس سبعة أيام من أيام الآخرة وفي اليوم الثامن تقع القيامة ويتم الهلاك ثم في الليالي السبع اشارة الى الليالي البشرية الساترة للصفات السبع الالهية التي هي الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وفي الايام اشارة الى الايام الكاشفات للصفات الثمان الطبيعية وهي الغضب والشهوة والحقد والحسد والبخل والجبن والعجب والشره التي تقطع

أمور الحق وأحكامه من الخيرات والمبرات يعنى قاطعات كل خير وبر وقال القاشانى وأما عاد المغالون المجاوزون حد الشرائع بالزندقة والاباحة فى التوحيد فأهلكوا بريح هوى النفس الباردة بجمود الطبيعة وعدم حرارة الشوق والعشق العاتية اى الشديدة الغالبة عليهم الذاهبة بهم فى أودية الهلاك سخرها الله عليهم فى مراتب الغيوب السبع التى هى لياليهم لاحتجابهم عنها والصفات الثمان الظاهرة لهم كالايام وهى الوجود والحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والتكلم على ما ظهر منهم وما بطن تقطعهم وتستأصلهم (فترى) يا محمد أو يا من شأنه أن يرى ويبصر ان كنت حاضرا حينئذ (القوم) أى قوم عاد فاللام للعهد وبالفارسية پس تو ميديدى قوم عادرا كر حاضرى بودى (فيها) أى فى محال هبوب تلك الريح أو فى تلك الليالى والايام ورجحه أبو حيان للقرب وصراحة الذكر (صرعى) موتى جمع صريع كقتلى وقتيل حال من القوم لان الرؤية بصرية والصريع بمعنى مصروع أى مطروح على الارض ساقط لان الصرع الطرح وقد صرعوا بموتهم (كأنهم) كوييا ايشان از عظم أجسام (أعجاز نخل) بيخهاء درخت خرمايند الكاف فى موضع الحال اما من القوم على قول من جوز حالين من ذى حال واحد أو من المنوى فى صرعى عند من لم يجوز ذلك أى مصروعين مشبهين بأصول نخل كما قال فى القاموس العجز مثلثة وكندس وكتف مؤخر الشئ وأعجاز النخل أصولها انتهى والنخل اسم جنس مفرد لفظا وجمع معنى واحدته نخلة (خاوية) أصل الخوى الخلاء يقال خوى بطنه من الطعام أى خلا والمعنى متآكلة الاجواف خالية لا شئ فيها يعنى أنهم متساقطون على الارض أمواتا طوالا غلاظا كأنهم أصول نخل مجوفة بلا فروع شبهوا بها من حيث ان أبدانهم خوت وخلت من أرواحهم كالنخل الخاوية وقيل كانت الريح تدخل من أفواههم فتخرج ما فى أجوافهم من أدبارهم فصاروا كالنخل الخاوية ففيه اشارة الى عظم خلقهم وضخامة اجسادهم ولذا كانوا يقولون من أشد منا قوة والى ان الريح أبلتهم فصاروا كالنخل الموصوفة وفيه اشارة الى أن أهل النفس موتى لا حياة حقيقية لهم لانهم قائمون بالنفس لا بالله كما قال كأنهم خشب مسندة كأنهم أعجاز نخل أى أقويا بحسب الصورة لا معنى فيهم ولا حياة ساقطة عن درجة الاعتبار والوجود الحقيقى اذ لا تقوم بالله والى أن النفس وصفاتها مجوفة ليس لها بقاء لان البقاء انما هو بفيض الروح يعنى ان الذى رش عليه من رطوبة الروح حى باذن الله وصلح قابلا للصفات الالهية والا مات وفسد (فهل ترى لهم من باقية) الاستفهام لانكار الرؤية والباقية اسم كالبقية لا وصف والتاء للنقل الى الاسمية ومن زائدة وباقية مفعول ترى أى ما ترى منهم بقية من صغارهم وكبارهم وذكورهم واناثهم غير المؤمنين ويجوز أن يكون صفة موصوف محذوف بمعنى نفس باقية أو مصدرا بمعنى البقاء كالكاذبة والطاغية والبقاء ثبات الشئ على الحالة الاولى وهو يضاد الفناء

* مقررست كه بودند برزمانه بسى * شهان تخت نشين خسروان شاه نشان * چو عاصفات قضا از مهب قهر وزيد * شدند خاك وازان خاك نيز نيست نشان *

فعلى العاقل أن يجتهد حتى يبقى فى الدنيا بالعمر الثانى كما دل عليه قوله تعالى حكاية عن ابراهيم الخليل عليه السلام واجعل لى لسان صدق فى الآخرين على أن الحياة الباقية الحقيقية هى ما حصلت بالتجلى الالهى والفيض المالى الكلى نسأل الله سبحانه أن يفيض علينا سجال فيضه وجوده بحرمة اسمائه وصفاته

ووجوب وجوده (وجاء فرعون) أى فرعون موسى أفرده بالذكر لغاية علوه واستكباره (ومن قبله) ومن تقدمه من الكفرة غير عاد وثمود فهو من قبيل التعميم بعد التخصيص ومن موصولة وقبل نقيض بعد وقرأ أبو عمرو ويعقوب والكسائى قبله بكسر القاف وفتح الباء بمعنى ومن معه من القبط من أهل مصر (والمؤتفكات) أى قرى قوم لوط أى أهلها لانها عطفت على ما قبلها من فرعون ومن قبله يقال أفكه عن الشئ أى قلبه وائتفكت البلدة بأهلها أى انقلبت والله تعالى قلب قرى قوم لوط عليهم فهى المنقلبات بالخسف وهى خمس قريات صعبة وصعدة وعمرة ودوما وسدوم وهى أعظم القرى ثم هذا من قبيل التخصيص بعد التعميم للتتميم لان قوم لوط أتوا بفاحشة ما سبقهم بها من أحد من العالمين (بالخاطئة) الباء للملابسة أو التعدية وهو الاظهر أى بالخطأ أو بالغفلة أو الافعال ذات الخطأ العظيم التى من جملتها تكذيب البعث والقيامة فالخاطئة على الاول مصدر كالعاقبة وعلى الآخرين صفة لمحذوف والبناء للنسبة على التجريد والاظهر انه من المجاز العقلى كشعر شاعر (فعصوا رسول ربهم) أى فعصى كل امة رسولهم حين نهاهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح فالرسول هنا بمعنى الجمع لان فعولا وفعيلا يستوى فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع فهو من مقابلة الجمع بالجمع المستدعية لانقسام الآحاد على الآحاد فالاضافة ليست للعهد بل للجنس (فأخذهم) أى الله تعالى بالعقوبة أى كل قوم منهم (أخذة رابية) أى زائدة فى الشدة على عقوبات سائر الكفار أو على القدر المعروف عند الناس لما زادت معاصيهم فى القبح على معاصى سائر الكفرة أغرق من كذب نوحا وهم كل أهل الارض غير من ركب معه فى السفينة وحمل مدائن لوط بعد ان نتقها من الارض على متن الريح بواسطة من أمره بذلك من الملائكة ثم قلبها واتبعها الحجارة وخسف بها وغمرها بالماء المنتن الذى لم ير فى الارض ما يشبهه وأغرق فرعون وجنوده أيضا فى بحر القلزم أو فى النيل وهكذا عوقب كل أمة عاصية بحسب أعمالهم القبيحة وجوزيت جزاء وفاقا وفى كل ذلك تخويف لقريش وتحذير لهم عن التكذيب وفيه عبرة وعظة لأولى الالباب يقال ربا الشئ يربو اذا زاد ومنه الربا الشرعى وهو الفضل الذى يأخذه آكل الربا زائدا على ما أعطاه (انا لما طغى الماء) المعهود وقت الطوفان أى جاوز حده المعتاد حتى ارتفع على كل شئ خمسمائة ذراع وقال بعضهم ارتفع على أرفع جبل فى الدنيا خمسة عشر ذراعا أو حده فى المعاملة مع خزانه من الملائكة بحيث لم يقدروا على ضبطه وذلك الطغيان ومجاوزة الحد بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومبالغتهم فى تكذيبه فيما أوحى اليه من الاحكام التى من جملتها أحوال القيامة فانتقم الله منهم بالاغراق (حملناكم) أيها الناس أى حملنا آباءكم وأنتم فى أصلابهم فكأنكم محمولون بأنفسكم وفيه تنبيه على المنة فى الحمل لان نجاة آبائهم سبب ولادتهم (فى الجارية) يعنى فى سفينة نوح لان من شأنها أن تجرى على الماء والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء أيام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله أى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم فى السفينة الجارية بأمرنا وحفظنا من غير غرق وخرق وفيه تنبيه على أن مدار نجاتهم محض عصمته تعالى وانما السفينة سبب صورى (لنجعلها) أى لنجعل الفعلة التى هى عبارة عن انجاء المؤمنين

واغراق

واغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته فضمير لنجعلها الى الفعلة أو القصة بدلالة ما بعد الآية من الوعي (وقال الكاشفي) تا كردانيم آن كشتى را براى شما پندى وعبرتى در نجات مؤمنان وهلاك كافران (وفى كشف الاسرار) تا آنرا يادكارى كنيم تا جهان بود وقد أدرك السفينة أوائل هذه الامة وكان ألواحها على الجودى (وتعيها) أى تحفظها وبالفارسية ونكاه دارد اين پندرا والوعى أن تحفظ الشئ فى نفسك يقال وعيت العلم ووعيت ما قلته ومنه ما قال عليه السلام لاخير فى العيش الالعالم ناطق ومستمع واع والايعاء أن تحفظه فى غير نفسك من وعاء يقال أوعيت المتاع فى الوعاء ومنه ما قال عليه السلام لاسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما لا توعى فيوعى الله عليك ارضخى ما استطعت وقال الشاعر

الخير يبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

(أذن واعية) أى أذن من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به يقال الوعى فعل القلب ولكن الآذان تؤدى الحديث الى القلوب الواعية فنعتت الآذان بنعت القلوب (وفى البستان) وكرنيستى سعى جاسوس كوش * خبر كى رسيدى بسلطان هوش * والتنكير والتوحيد حيث لم يقل الآذان الواعية للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم يعنى أن من وعى هذه القصة انما يعيها ويحفظها لاجل أن يذكرها للناس ويرغبهم فى الايمان المنجى ويحذرهم عن الكفر المردى فيكون سببا للنجاة والادامة المذكورتين قال فى الكشاف الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهى السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالى بهم وان ملؤا ما بين الخافقين وفى الحديث أفلح من جعل الله له قلبا واعيا وعن النبى عليه السلام أنه قال لعلى رضى الله عنه عند نزول هذه الآية سألت الله أن يجعلها أذنك يا على قال على فما نسيت شيأ بعد وما كان لى أن أنسى اذ هو الحافظ للاسرار الالهية وقد قال ولدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة وفى رواية أخذ باذن على بن أبى طالب وقال هى هذه ذكره النقاش * كرچه ناصح را بود صد داعيه * پند را اذنى ببايد واعيه * كربود كوشها غيب كير * وحى نا وردى ز كردون يك بشير * قال بعضهم تلك آذان أسمعها الله فى الازل خطابه فهى واعية تعى من الحق كل خطاب وعن أبى هريرة انه قيل لى انك تكثر رواية الحديث وغيرك لا يروى مثلك فقلت ان المهاجرين والانصار كان شغلهم عمل أموالهم وكنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله وأقنع بقوتى وقال عليه السلام يوما من الايام انه ان يبسط أحد ثوبه حتى أقضى مقالتى ثم يجمع اليه ثوبه الاوعى ما أقول فبسطت نمرة على حتى اذا قضى مقالته جمعتها الى صدرى فما نسيت من مقالته عليه السلام شيأ وفيه اشارة الى تأثير حسن المقال وفائدته والاكان دعاؤه عليه السلام كافيا فى وعيه كما وقع لامير المؤمنين رضى الله عنه (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) شروع فى بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شأنها باهلاك مكذبيها والنفخ ارسال الريح من الفم وبالفارسية دميدن والصور قرن من نور أوسع من السموات ينفخ فيه اسرافيل بأمر الله فيحدث صوت عظيم فاذا سمع الناس ذلك الصوت يصعقون ثم يموتون الا من شاء الله والمصدر المبهم هو الذى يكون لمجرد التأكيد وان كان

لا يقام مقام الفاعل فلا يقال ضرب ضرب اذ لا يفيد أمرا زائدا على مدلول الفعل الا أنه حسن
اسناد الفعل فى الآية الى المصدر وهو النفخة لكونها نفخة مقيدا بالوحدة والمرة لا نفخا مجردا
مبهما والمراد بها ههنا النفخة الاولى التى لا يبقى عندها حيوان الا مات ويكون عندها خراب
العالم المادل عليه الحمل والدك الآتيان وفى الكشاف فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت
معناه أنها لا تثنى فى وقتها انتهى يعنى أن حدوث الامر العظيم بالنفخة وعلى عقبها انما استعظم
من حيث وقوع النفخ مرة واحدة لا من حيث انه نفخ فنبه على ذلك بقوله واحدة وفى كشف
الاسرار ذكر الواحدة للتأكيد لان النفخة لا تكون الا واحدة (وحملت الارض والجبال) أى
قلعت ورفعت من أماكنها بمجرد القدرة الالهية أو بتوسط الزلزلة والريح العاصفة فان الريح
من قوة عصفها تحمل الارض والجبال كما حملت أرض وجود قوم عاد وجبال جمالهم مع
هوادجها (فدكتا دكة واحدة) أى فضربت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال اثر رفعهما
بعضها ببعض ضربة واحدة بلا احتياج الى تكرار الضرب وتثنية الدق حتى تندق وترجع
كثيبا مهيلا وهباء منبثا والا فالظاهر فدككن دكة واحدة لاسناد الفعل الى الارض والجبال
وهى أمور متعددة ونظيره قوله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا حيث لم يقل كن والدك
أبلغ من الدق وفى الصحاح الدك الدق وقد دكه اذا ضربه وكسره حتى سواه بالارض وبابه رد وفى
المفردات الدك الارض اللينة السهلة ودكت الجبال دكا أى جعلت بمنزلة الارض اللينة ومنه
الدكان (فيومئذ) أى فحينئذ وهو منصوب بقوله (وقعت الواقعة) هى من أسماء القيامة بالغلبة
لتحقق وقوعها وبهذا الاعتبار أسند اليه وقعت أى اذا كان الامر كذلك قامت القيامة التى
توعدون بها ونزلت النازلة العظيمة التى هى صيحة القيامة وهو جواب لقوله فاذا نفخ فى الصور
ويومئذ بدل من اذا كرر لطول الكلام والعامل فيهما وقعت (وانشقت السماء) وانصدعت
وتكافت از طرف بحر يعنى انفرجت لنزول الملائكة لامر عظيم أراده الله كما قال ويوم تشقق
السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا أو بسبب شدة ذلك اليوم وهو معطوف على وقعت فهى أى
السماء (يومئذ) ظرف لقوله (واهية) ضعيفة مسترخية ساقطة القوة جدا كالعزل المنقوض
بعدما كانت محكمة مستمسكة وان كانت قابلة للخرق والالتئام يقال وهى البناء يهى وهيا فهو
واه اذا ضعف جدا قال فى القاموس وهى كوعى وولى تخرق وانشق واسترخى رباطه وفى
المفردات الوهى شق فى الاديم والثوب ونحوهما (والملك) أى الخلق المعروف بالملك وهو أعم من
الملائكة ألا ترى الى قولك ما من ملك الا وهو شاهد أعم من قولك ما من ملائكة (على أرجائها)
أى جوانب السماء جمع رجا بالقصر وهى جملة حالية ويحتمل ان تعطف على ما قبلها كذا قالوا
والمعنى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجؤن الى أكنافها وحافاتها قالوا وقوفهم لحظة على
أرجائها وموتهم بعدها فان الملائكة يموتون عند النفخة الاولى لا ينافى التعقيب المدلول عليه
بالفاء وقد يقال انهم هم المستثنون بقوله الا من شاء الله أى ونفخ فى الصور فصعق من فى
السموات ومن فى الارض الا الملائكة ونحوهم قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة فاذا
وهت السماء نزلت ملائكتها على أرجائها فيرون أهل الارض خلقا عظيما أضعاف ما هم عليه
عددا فيتخيلون أن الله نزل فيهم لما يرون من عظم الملائكة مما لم يشاهدوه من قبل فيقولون

افكم

أفيكم ربنا فيقول الملائكة سبحان ربنا ليس فينا وهو آت فيصطف الملائكة صفا مستديرا على نواحى الارض محيطين بعالمى الانس والجن وهؤلاء هم عمار السماء الدنيا ثم ينزل أهل السماء الثانية بعدما يقبضها الله أيضا ويرمى بكوكبها فى النار وهو المسمى كاتبا وهم أكثر عددا من أهل السماء الدنيا فيقول الخلائق أفيكم ربنا فيفزع الملائكة فيقولون سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فيفعلون فعل الاولين من الملائكة يصطفون خلفهم صفا ثانيا مستديرا ثم ينزل أهل السماء الثالثة ويرمى بكوكبها المسمى زهرة فى النار فيقبضها الله بيمينه فيقول الخلائق أفيكم ربنا فتقول الملائكة سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فلا يزال الامر هكذا سماء بعد سماء حتى ينزل أهل السماء السابعة فيرون خلقا أكثر من جميع من نزل فيقول الخلائق أفيكم ربنا فيقول الملائكة سبحان ربنا قد جاء ربنا وان كان وعد ربنا لمفعولا فيأتى الله فى ظلل من الغمام والملائكة على المجنبة اليسرى منهم ويكون اتيانه اتيان الملك فانه يقول ملك يوم الدين وهو ذلك اليوم فسمى بالملك ويصطف الملائكة عليه سبعة صفوف محيطة بالخلائق فاذا أبصر الخلائق جهنم لها فوران وتغيظ على الجبابرة المتكبرين يتروون بأجمعهم منها لعظم ما يرونه خوفا وفزعا وهو الفزع الاكبر الا الطائفة التى لا يحزنهم الفزع الاكبر فتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون فهم الآمنون مع النبيين على أنفسهم غير أن النبيين يفزعون على أممهم للشفقة التى جبلهم الله عليها للخلق فيقولون فى ذلك سلم سلم وكان قد أمر أن ينصب للآمنين من خلقه منابر من نور متفاضلة بحسب منازلهم فى الموقف فيجلسون عليها آمنين مبشرين وذلك قبل مجىء الرب تعالى فاذا فر الناس خوفا من جهنم يجدون الملائكة صفوفا لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة وزعة الملك الحق سبحانه وتعالى الى الحشر فيناديهم أنبياؤهم ارجعوا ارجعوا أو ينادى بعضهم بعضا فهو قول الله تعالى فيما يقول رسول الله عليه السلام انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم انتهى * يقول الفقير دل هذا البيان على أن المراد بالوهى سقوط السماء على الارض التى تسمى بالساهرة وأن نزول الملائكة على أرجاء السماء لا يكون يوم يقوم الناس من قبورهم بالنفخة الثانية وان ذكر فى أثناء النفخة الاولى كما دل عليه ما بعد الآية من حمل العرش والارض اللذين انما يكونان بعد النفخة الثانية وأن معنى نزولهم طرد الخلق ونحوه كما قال تعالى لا تنفذون الا بسلطان أى لا تقصدون مهربا الا وهنالك أعوان ولى به سلطان (ويحمل عرش ربك) وهو الفلك التاسع وهو جسم عظيم لا يعلم عظمه الا الله تعالى لانه فى الآفاق بمنزلة القلب فى الانفس والقلب أوسع شئ لما وسع الله كما فى الحديث وكان عرش الرحمن والفائدة فى ذكر العرش عقيب ما تقدم أن العرش بحاله خلاف السماء والارض ولذلك لا يفنى وأيضا له وجه آخر سيأتى وعن على بن الحسين رضى الله عنهما قال ان الله خلق العرش رابعا لم يخلق قبله الا ثلاثة الهواء والقلم والنور ثم خلق العرش من أنوار مختلفة من ذلك نور أخضر منه اخضرت الخضرة ونور أصفر منه اصفرت الصفرة ونور أحمر منه احمرت الحمرة ونور أبيض وهو نور الانوار ومنه ضوء النهار قال بعض الكبار الانوار أربعة على عدد المراتب الاربع فاذا أعطى الانوار يعطى فى مرتبة الطبيعة نورا أسود وفى مرتبة النفس نورا أحمر وفى مرتبة الروح نورا أخضر وفى مرتبة السر نورا أبيض (فوقهم) أى فوق الملائكة

الذين هم على الارجاء أو فوق الثمانية أى يحملون العرش فوق أنفسهم فالمحمول لا يلزم أن يكون فوق الحامل فقد يكون فى يده وقد يكون فى جيبه فكل واحد من قوله فوقهم ويومئذ ظرف لقوله يحمل حينئذ وأما على التقدير الاول فالظاهر أن فوقهم حال من ثمانية قدمت عليها لكونها نكرة (يومئذ) أى يوم القيامة (ثمانية) من الملائكة عن النبى عليه السلام هم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله باربعة أخرى فيكونون ثمانية قال بعض العلماء الاربعة اللاحقة اشارة الى الأئمة الاربعة الذين هم أبو حنيفة والشافعى ومالك وأحمد لانهم اليوم حملة الشرع فاذا كان يوم القيامة انقلب الشرع العرش فيكونون من حملته حكما وروى ثمانية أملاك أرجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون قال عليه السلام أذن لى أن أحدث عن ملك من حملة العرش من شحمة أذنه الى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة سنة يقول سبحانك حيث كنت قال يحيى بن سلام بلغنى أن اسمه زوقيل وعن الحسن البصرى قدس سره ثمانية أى ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله * يقول الفقير الانسب هو الاول لكونه أدخل فى العظمة والهيبة واظهار القدرة ولان الاركان أربعة كاركان الكعبة وأركان القلب اذ فى يمين القلب الروح والسر وفى يساره النفس والطبيعة وباعتبار الظاهر والباطن يحصل ثمانية آلاف اذ الالف تفصيل الواحد بحيث لا تفصيل وراءه الا باعتبار التضعيف والله أعلم ومر فى أوائل سورة حم المؤمن بعض ما يتعلق بهذا المقام فلا نعيده وفى التأويلات النجمية يشير الى عرش الذات الحاملة للصفات الثمانية الذاتية الغيبية التى هى مفاتيح الغيب الموصوفة بحمل ذوات الصفات والصفات تحمل ظهورات الصفات فافهم (يومئذ) العامل فيه قوله (تعرضون) على الله أى تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف أحوالهم يقال عرض الجند اذا أمرهم عليه ونظر ما حالهم والخطاب عام للكل على التغليب روى أن فى يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا العرض وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفا للكل كما تقول جئت عام كذا وانما كان مجيئك فى وقت واحد من أوقاته وذهب المشبهة من حمل العرش والعرض الى كونه تعالى محمولا حاضرا فى العرش وأجيب بأنه تمثيل لعظمة الله بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم بروزهم للقضاء العام فيكون المراد من اتيانه تعالى فى ظلل من الغمام اتيان أمره وقضائه وأما حديث التحول فمحمول على ظهوره تعالى فى مرتبة الصفات ولا مناقشة فيه لان النبى عليه السلام رآه ليلة المعراج فى صورة شاب أمرد لان الصورة الانسانية أجمع الصور ومثله الرؤيا المنامية والله تعالى منزه فى ذاته عن أوصاف الجسمانيات (لا تخفى منكم خافية) حال من مرفوع تعرضون ومنكم كان فى الاصل صفة لخافية قدم للفاصلة فتحول حالا أى تعرضون غير خاف عليه تعالى فعلة خفية أى سر من أسراركم وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة فى العدل وغير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر فقوله منكم يتعلق بما قبله وما بعده على التجاذب قال فى الكشاف

خافية أى سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا بستر الله عليكم والستر والسريرة الذى يكتم ويخفى
فتظهر يوم القيامة أحوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر أحوال غيرهم فيحصل الحزن
والافتضاح ففى الآية زجر عظيم عن المعصية لتأديتها الى الافتضاح على رؤس الخلائق فقلب
الانسان ينبغى أن يكون بحال لو وضع فى طبق وأدير على الناس لما وجد فيه ما يورث الخجالة وهو
صفة أهل الاخلاص والنصيحة (فأما) تفصيل لاحكام العرض (من) موصولة (أوتى كتابه) أى
مكتوبه الذى كتبت الحفظة فيه تفاصيل أعماله (بيمينه) تعظيما له لان اليمين يتيمن بها والباء
بمعنى فى أو للالصاق وهو الاوجه والمراد منهم الابرار فان المقربين لا كتاب لهم ولا حساب لهم
لمكانتهم من الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه السلام قال أول من يعطى كتابه
بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فأين أبو بكر فقال هيهات
زفته الملائكة الى الجنة * يقول الفقير لعل هذا مكافأة له حين أخذ سيفه بيده وخرج من دار
الارقم وهو يظهر الاسلام على ملا من قريش فبسببه ظهر الاسلام فرضى الله عنه وعن محبيه
وفى الحديث اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان وكان عليه رسول الله عليه السلام
وأبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فتحرك فقاله دل الحديث على أن رتبة أبى بكر فوق رتبة
غيره لان الصديقية تلى النبوة (فيقول) فرحا وسرورا فانه لما أوتى كتابه بيمينه علم أنه من الناجين
من النار ومن الفائزين بالجنة فأحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله (هاؤم اقرؤا
كتابيه) أى خذوا يا أهل بيتى وقرابتى وأصحابى كتابى وتناولوه اقرؤا كتابى زيرا در اينجا
على نيست كه از اظهار آن شرم دارم ودر تبيان آورده كه اين كتاب ديكرست بغير كتاب اعمال كه
نوشته ودر او بشارت جنتست وپس چه كتاب حفظه ميان بنده وخداوندست وكسى انرا
نبيند ونخواند وفى الخبر حسنات المؤمن فى ظاهر كتابه وسيآته فى باطنه لا يراها الا هو فاذا
انتهى يرى مكتوبا قد غفرتها لك فاقلب فيرى فى الظاهر قد قبلتها منك فيقول من فرط السرور
هاؤم اقرؤا كتابيه أى هلموا أصحابى كما فى عين المعانى يقال ها يا رجل بفتح الهمزة وها يا امرأة
بكسرها وهاؤما يا رجلان أو يا امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة بمعنى خذ خذا خذوا
خذى خذا خذن ومفعوله محذوف وكتابى مفعول اقرؤا لانه أقرب العاملين فهو أقوى لكونه
بمنزلة العلة القريبة وأصله هاؤم كتابى اقرؤا كتابى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه ونظيره آتونى
أفرغ عليه قطرا والهاء للوقف والاستراحة والسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل كما هو
الاصل فى هاء السكت لانها انما جيئ بها حفظا للحركة أى لتحفظ حركة الموقوف عليه اذ لولاها
لسقطت الحركة فى الوقف فتثبت حال الوقف اذ لا حاجة اليها حال الوصل فلذلك كان حقها أن
تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل الا أن القراء السبعة اتفقوا فى كل المواضع على اثباتها وقفا
ووصلا اجراء للوصل مجرى الوقف واتباعا لرسم الامام فانها ثابتة فى المصحف فى كل المواضع
وهى كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه وماهيه فى القارعة وما كان ثابتا فيه لا بد أن يكون مثبتا
فى اللفظ الا أن حمزة أسقط الهاء من ثلاث كلم وصلا وهى ماليه وسلطانيه وماهيه وأثبتها وقفا
على الاصل ولم يعمل بالاصل فى كتابيه وحسابيه وأثبتها فى الحالين جمعا بين اللغتين وتبين من هذا
التقرير أن المذهب ايثار الوقف اتباعا للوصل وأن اثباتها وصلا انما هو لاتباع المصحف قال

فى القاموس هاء السكت هى اللاحقة لبيان حركة أو حرف نحو ماهيه وههناه وأصلها أن يوقف عليها ورب ما وصلت بنية الوقف انتهى وهذه الهاء لاتكون الا ساكنة وتحريكها لحن اى خطأ لانه لا يجوز الوقف على المتحرك وهاء السكت فى القرآن فى سبعة مواضع فى لم يتسنه وفى فبهداهم اقتده وفى كتابيه وفى حسابيه وفى ماليه وفى سلطانيه وفى ماهيه وأما الهاء التى فى القاضية وفى هاوية وخاوية وغانية وعالية ودانية وأمثالها فللتأنيث فيوقف عليهن بالهاء ويوصلن بالتاء (انى ظننت أنى ملاق حسابيه) الحساب بمعنى المحاسبة وهو عد أعمال العباد فى الآخرة خيرا وشرا للمجازاة أى علمت وأيقنت أنى مصادف حسابى فى ديوان الحساب الالهى وأنى أحاسب فى الآخرة يعنى دانستم وايمان آوردم كه مرا حساب خواهند كرد وازرا آماده ومتهيئ شدم قال الراغب الظن اسم لما يحصل من امارة ومتى قويت أدت الى العلم ومتى ضعفت جدا لم تتجاوز حد التوهم انتهى ومنه يعلم قول من قال سمى اليقين ظنا لان الظن يلد اليقين انتهى وانما فسر الظن بالعلم لان البعث والحساب مما يجب بهما الايمان ولا ايمان بدون اليقين قال سعدى المفتى وفيه بحث فايمان المقلد ذو اعتبار وصرحوا بأن الظن الغالب الذى يخطر معه احتمال النقيض يكفى فى الايمان ثم انه يجوز أن يكون المراد ما حصل له من حسابه اليسير ولا يقين به لوجوب أن يكون المؤمن بين الخوف والرجاء والمراد أنى ظننت أنى ملاق حسابى على الشدة والمناقشة لما سلف منى من الهفوات والآن أزال الله عنى ذلك وفرج همى انتهى يقول الفقير هذا عدول عما عليه ظاهر القرآن فان الظن فى مواضع كثيرة منه بمعنى اليقين كما فى قوله تعالى حكاية قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله وهم المؤمنون بالآخرة وفى قوله تعالى وظن داود أنما فتناه أى علم وأيقن بالعلامة القوية قال القاضى ولعل التعبير عن العلم بالظن للاشعار بأنه لا يقدح فى الاعتقاد وما يهجس فى النفس من الخطرات التى لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا يعنى ان الظن استعير للعلم الاستدلالى لانه لا يخلو عن الخطرات والوساوس عند الذهول عما قاد اليه من الدليل للاشعار المذكور وأما العلوم الضرورية والكشفية فعارية عن الاضطراب وفى الكشاف وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم فى العادات والاحكام ويقال أظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت (فهو) أى من أوتى كتابه بيمينه (فى عيشة) نوع من العيش وهو بالفتح وكذا العيشة والمعاش والمعيش والعيشوشة بالفارسية زيستن قال بعض العلماء اذا كسر العين من العيش يلزمه التاء كما فى عيشة والعيش الحياة المختصة بالحيوان وهو أخص من الحياة لان الحياة تقال فى الحيوان وفى البارى وفى الملك ويشتق منه المعيشة لما يتعيش منه قال عليه السلام لا عيش الا عيش الآخرة (راضية) ذات رضا يرضاها من يعيش فيها على النسبة بالصيغة فان النسبة نسبتان نسبة بالحرف كمكى ومدنى ونسبة بالصيغة كلابن وتامر بمعنى ذى لبن وذى تمر ويجوز أن يجعل الفعل لها وهو لصاحبها فيكون من قبيل الاسناد المجازى ومآل الوجهين كون العيشة مرضية والى ماذكرنا يرجع قول من قال راضية فى نفسها فكأنها لرغادتها قد رضيت بما هى فيه مجازا أو بمعنى مرضية كماء دافق أى مدفوق انتهى وفى التأويلات النجمية راضية هنيئة مريئة صافية عن شوائب الكدر طاهرة عن نوائب الحذر وبالفارسية درزندكانى باشد بسنديده صافى از كدورت ومقرون بحرمت وحشمت

وذلك أى كون العيشة مرضية لاشتمالها على أمور ثلاثة الاول كونها منفعة صافية عن الشوائب والثانى كونها دائمة لا يترقب زوالها وانقطاعها والثالث كونها بحيث يقصد بها تعظيم من رضى بها واكرامه والا يكون استهزاء واستدراجا وعيشة من أعطى كتابه بيمينه جامعة لهذه الامور فتكون مرضيا بها كمال الرضا قال ابن عباس رضى الله عنهما يعيشون فلا يموتون ويصحون فلا يمرضون وينعمون فلا يرون بؤسا أبدا (فى جنة عالية) مرتفعة المكان لانها فى السماء كما ان النار سافلة لانها تحت الارض أو الدرجات أو الابنية والاشجار فيكون عالية من الصفات الجارية على غير من هى له وهو بدل من عيشة باعادة الجار ويجوز كونه متعلقا بعيشة راضية أى يعيش عيشا مرضيا فى جنة عالية (قطوفها) ثمراتها جمع قطف بالكسر وهو ما يقطف ويجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر قال سعدى المفتى اعتبار السرعة فى مفهوم القطف محل كلام قال ابن الشيخ معنى السرعة قطع الكل بمرة وفى القاموس القطف بالكسر العنقود واسم للثمار المقطوفة انتهى فلا حاجة الى أن يقال غلب هنا فى جميع ما يجتنى من الثمر عنبا كان أو غيره (دانية) من الدنو وهو القرب أى قريبة من مريديها يعنى خوشه هاى آن از دست چيننده نزديك ينالها القائم والقاعد والمضطجع من غير تعب وقيل لا يتأخر ادراكها انتهى واذا أراد أن تدنو اليه دنت بخلاف ثمار الدنيا فان فى قطفها وتحصيلها تعبا ومشقة غالبا وكذا الاتوكل الاعزا ولة اليد يقول الفقير أشجار الجنة على صورة الانسان يعنى ان أصل الانسان رأسه وهى فى طرف العلو ورجله فرعه مع أنها فى طرف السفل فكذلك أصول أشجار الجنة فى طرف العلو وأغصانها متدلية الى جانب السفل ولذا لا يرون تعبا فى القطف على أن نعيم الجنة تابع لارادة المنعم به فيتصرف فيه كيف يشاء من غير مشقة (كلوا واشربوا) باضمار القول والجمع بعد قوله فهو باعتبار المعنى والامر أمر امتنان واباحة لا أمر تكليف ضرورة ان الآخرة ليست بدار تكليف وجمع بين الاكل والشرب لان أحدهما شقيق الآخر فلا ينفك عنه ولذا لم يذكر هنا الملابس وان ذكرت فى موضع آخر يقال لمن أوتى كتابه بيمينه كلوا من طعام الجنة وثمارها واشربوا من شرابها مطلقا (هنيأ) أكلا وشربا هنيأ أى سائغا لا تنغص فيه فى الحلقوم وبالفارسية خوردنى وآشاميدنى كوارنده وجعل الهنى صفة لهما لان المصدر يتناول المثنى أيضا من هنؤ الطعام والشراب وهنى يهنأ ويهنؤ ويهنى هناءة وهناء أى صار هنيأ سائغا فهو هنى ومنه اليهنى المشتهر فى اللسان التركى فى اللحم المطبوخ ويستعمله العجم بالخاء المعجمة بدل الهاء كما قال فى المثنوى * وين بزا زبهر رميان روزرا * ميخنى باشدشه فيروزرا * واسناد الهناءة الى الاكل والشرب مجاز للمبالغة لانها للمأكول والمشروب وقولهم هنيأ عند شرب الماء ونحوه بمعنى صحة وعافية لان السائغ محفوظ منه بسبب الصحة والعافية غالبا (بما أسلفتم) بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة أو بدله أو بسببه ومعنى الاسلاف فى اللغة تقديم ما ترجو أن يعود عليك بخير فهو كالاقراض ومنه يقال أسلف فى كذا اذا قدم فيه ماله (فى الايام الخالية) أى الماضية فى الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام فيكون المعنى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله فى أيام الصيام لاسيما فى الايام الحارة وهو الاولى لان الجزاء لابد وأن يكون من جنس العمل

وملا عماله كما قال بعض الكبار لم يقل اشهدوا ولا اسمعوا وانما جوزوا من حيث عملوا ونظيره
فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وقوله ان تسخروا منا فانا نسخر منكم ونظائر ذلك
وروى بعضهم فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمنى وقال كل يا من لم يأكل واشرب يا من
لم يشرب فلم يقل كل يا من قطع الليل تلاوة واشرب يا من ثبت يوم الزحف فان هذا مالا تعطيه
الحكمة كما فى مواقع النجوم (وروى) يقول الله يا أوليائى طالما نظرت اليكم فى الدنيا وقد
قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا
واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية * قوله قلصت من الباب الثانى يقال قلص الظل أى
نقص والماء أى ارتفع فى البئر والشفة أى ازوت والثوب أى انزوى بعد الغسل ومصدر
الجميع القلوص والتركيب يدل على انضمام شئ بعضه الى بعض وخمصه الجوع خمصا ومخمصة من
الباب الاول يعنى باريك ميان كرد ويا كرسنكى وفيه اشارة الى أيام الازل الخالية عن
الاعمال والعلل والاسباب أى كلوا من نعيم الوصال واشربوا من شراب الفيض بما أسلفه الله
لكم فى الازل والقدم من العناية اذ تلك العناية تقدم مع الحق فى جميع الاحوال * چون حسن
عاقبت نه برندى وزاهديست * آن به كه كار خود بعنايت رها كنند (وأما من أوتى كتابه
بشماله) تحقيرا له لان الشمال يتشاءم بها بأن تلوى يسراه الى خلف ظهره فيأخذه بها ويرى
ما فيه من قبائح الاعمال فيقول تحزنا وتحسرا وخوفا مما فيه وهو من قبيل الألم الروحانى
الذى هو أشد من الألم الجسمانى (يا) هؤلاء يا معشر المحشر (ليتنى) كاشكى من وهو تمن
للمحال (لم أوت) متكلم مجهول من الايتاء يعنى لم أعط (كتابيه) هذا الذى جمع جميع سيأتى (ولم
أدر) متكلم من الدراية يعنى العلم (ما حسابيه) لما شاهد من سوء العاقبة وبالفارسية
كاشكى ندانستمى امروز چيست حساب من چه حاصلى نيست مرا زاجر عذاب وشدت
ومحنت فما استفهامية معلق بها الفعل عن العمل ويجوز أن تكون موصولة بتقدير المبتدا فى
الصلة (يا ليتها) تكرير للتمنى وتجديد للتحسر أى يا ليت الموتة التى متها وذقتها وذلك أن الموتة
وان لم تكن مذكورة الا أنها فى حكم المذكور بدلالة المقام (كانت القاضية) أى القاطعة
لامرى وحياتى ولم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى تمنى عند مطالعة كتابه أن تدوم عليه الموتة
الاولى وأنه لا يبعث للحساب ولا يلقى ما أصابه من الخجالة وسوء العاقبة ويجوز أن يكون
ضميرليتها لما شاهد من الحالة أى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على تمنى أن يكون
بدل تلك الحالة الموتة القاطعة للحياة لما أنه وجد تلك الحالة أمر من الموت فتمناه عندها وكان
فى الدنيا أشد كراهية للموت قال الشاعر

وشر من الموت الذى ان لقيته * تمنيت منه الموت والموت أعظم

(ما أغنى عنى) أى لم يدفع عنى شيأ من عذاب الآخرة على أن ما نافية والمفعول محذوف (ماليه)
أى الذى كان لى فى الدنيا من المال والاتباع على أن ما موصولة واللام جارة داخلة على ياء
المتكلم ليم مثل الاتباع فانه اذا كان اسما مضافا الى ياء المتكلم لم يعم وفى الكشاف ما أغنى نفى
واستفهام على وجه الانكار أى أى شئ أغنى عنى ما كان لى من اليسار انتهى حتى ضيعت عمرى
فيه أى لم ينفعنى ولم يدفع عنى شيأ من العذاب فما استفهامية منصوبة المحل على أنها مفعول أغنى

* يقول الفقير الظاهر أن ماليه هو المال المضاف الى ياء المتكلم أى لم يغن عنى المال الذى جمعته فى الدنيا شيأ من العذاب بل ألهانى عن الآخرة وضرّنى فضلا عن أن ينفعنى وذلك ليوافق قوله تعالى ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ وقوله وما يغنى عنه ماله اذا تردى وقوله ما أغنى عنه ماله وما كسب ونظائر ذلك فما ذهب اليه أكثر أهل التفسير من التعميم عدول عما ورد به ظاهر القرآن (هلك عنى سلطانيه) قال الراغب السلاطة التمكن من القهر ومنه سمى السلطان والسلطان يقال فى السلاطة نحو قوله تعالى فقد جعلنا لوليه سلطانا وقد يقال لذى السلاطة وهو الاكثر وسميت الحجة سلطانا وذلك لما يلحق من الهجوم على القلوب لكن أكثر تسلطه على أهل العلم والحكمة من المؤمنين وقوله هلك عنى سلطانيه يحتمل السلطانين انتهى والمعنى هلك عنى ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقيرا ذليلا أو ضلت عنى حجتى كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ومعناه بطلت حجتى التى كنت أحتج بها عليهم فى الدنيا وبالفارسية كم كشت از من حجتى كه در دنيا جنك در ان زده بودم ورجح هذا المعنى بأن من أوتى كتابه بشماله لا اختصاص له بالملوك بل هو عام لجميع أهل الشقاوة * يقول الفقير قوله تعالى ما أغنى عنى ماليه يدل على الاول على أن فيه تعريضا بنحو الوليد من رؤساء قريش وأهل ثروتهم ويجوز أن يكون المعنى تسلطى على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها فى العبادات وذلك لان كل أحد كان له سلطان على نفسه وماله وجوارحه يزول فى القيامة سلطانه فلا يملك لنفسه نفعا (خذوه) حكاية لما يقوله الله يومئذ لخزنة النار وهم الزبانية الموكلون على عذابه والهاء راجع الى من الثانى أى خذوا هذا العاصى لربه (فغلوه) بلا مهلة أى اجمعوا يديه الى عنقه بالقيد والحديد وشدوه به يقال غل فلان وضع فى عنقه أو يده الغل وهو بالضم الطوق من حديد الجامع لليد الى العنق المانع عن تحرك الرأس وبالفتح دست با كردن بستن وفى الفقه وكره جعل الغل فى عنق عبده لانه عقوبة أهل النار وقال الفقيه ان فى زماننا جرت العادة بذلك اذا خيف من الاباق كما فى الكبرى بخلاف التقييد فانه غير مكروه لانه سنة المسلمين فى المتردين (ثم الجحيم صلوه) دل التقديم على التخصيص والمعنى لا تصلوه أى لا تدخلوه الا الجحيم ولا تحرقوه الا فيها وهى النار العظمى ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس قال سعدى المفتى فيكون مخصوصا بالمتعظمين وفيه بحث انتهى وقدم ترجمته (ثم فى سلسلة) من نار وهى حلق منتظمة كل حلقة منها فى حلقة والجار متعلق بقوله فاسلكوه والفاء ليست بمانعة عن التعلق (ذرعها) طولها وبالفارسية كز آن والذراع كالكتاب ما يذرع به حديدا أو قضيبا وفى المفردات الذراع العضو المعروف ويعبر به عن المذروع والممسوح يقال ذراع من الثوب والارض والذرع بيمودن وقوله ذرعها مبتدأ خبره قوله (سبعون) والجملة فى محل الجر على أنها صفة سلسلة وقوله (ذراعا) تمييز (فاسلكوه) السلك هو الادخال فى الطريق والخيط والقيد وغيرها ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين العذاب الغل وتصلية الجحيم وما بينهما وبين السلك فى السلسلة فى الشدة لا على تراخى المدة يعنى ان ثم أخرج عن معنى المهلة لاقتضاء مقام التهويل ذلك اذ لا يناسب التوعد بتفرق العذاب قال ابن الشيخ ان كلمتى ثم والفاء ان كانتا لعطف جملة فاسلكوه لزم اجتماع حرفى العطف وتواردهما على معطوف واحد ولا وجه له فينبغى أن يكون كلمة ثم لعطف مضمر على مضمر قبل قوله خذوه أى قيل لخزنة النار خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه

ثم قيل لهم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فيكون الفاء لعطف المقول على المقول مع افادة معنى التعقيب وكلمة ثم لعطف القول على القول مع الدلالة على أن الامر الاخير اشد وأهول مما قبله من الاوامر مع تعاقب المأمور بهما من الاخذ وجعل يديه مغلولة الى عنقه وتصلية الجحيم وسلكهم اياه في السلسلة الموصوفة والمعنى فادخلوه فيها بأن تلفوها على جسده وتجعلوه محاطا بها فهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يستطيع حراكا ما كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان أهل النار يكونون في السلسلة كما يكون الثعلب في الجبة والثعلب طرف خشبة الرمح الداخل في جبة السنان وهي الدرع وذلك انما يكون رهقا أي غشية وبالفارسية پس در اريد اورا دران يعني در جسد او بپيچيد محكم تا حركت نتواند كرد وتقديم السلسلة على السلك كتقديم الجحيم على التصلية في الدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر ألوان ما يعذب به أي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة لانها أفظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق أشد فهو كناية عن زيادة الطول لشيوع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في التكثير وقال سعدي المفتي الظاهر أنه لا منع من الحمل على ظاهره من العدد قال الكاشفي يعني بذراع ملك كه هر ذراعي هفتاد باعست وهر باعي از كوفه تا مكه وقال بعض المفسرين هي بالذراع المعروفة عندنا وانما خوطبنا بما نعرفه ونحصله وقال الحسن قدس سره الله أعلم بأي ذراع هي وعن كعب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها ولو وضعت منها حلقة على جبل لذاب مثل الرصاص تدخل السلسلة في فيه وتخرج من دبره ويلوى فضلها على عنقه وجسده ويقرن بها بينه وبين شيطانه * يقول الفقير هذا يقتضي أن يكون ذلك عذاب الكافر لان جسده يكون في العظم مسيرة ثلاثة أيام وضرسه مثل جبل أحد على ما جاء في الحديث وعن النبي عليه السلام قال لو أن رضراضة أي صخرة قدر رأس الرجل وفي رواية لو أن رضراضة مثل هذه وأشار الى صخرة مثل الجمجمة سقطت من السماء الى الارض وهي خمسمائة عام لبلغت الارض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها وقعرها قال الشراح اللام في السلسلة في هذا الحديث للعهد اشارة الى السلسلة التي ذكرها الله في قوله ثم في سلسلة الخ (روى) أن شابا قد حضر صلاة الفجر مع الجماعة خلف واحد من المشايخ فقرأ ذلك الشيخ سورة الحاقة فلما بلغ الى قوله تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه صاح الشاب وسقط وغشي عليه فلما أتم الشيخ صلاته قال من هذا قالوا هو شاب صالح خائف من الله تعالى وله والدة عجوز ليس لها غيره قال الشيخ ارفعوه واحملوه حتى تذهب به الى أمه ففعلوا ما أمر به الشيخ فلما رأت أمه ذلك فزعت وأقبلت وقالت ما فعلتم بابني قالوا ما فعلنا به شيأ الا أنه حضر الجماعة وسمع آية مخوفة من القرآن فلم يطق سماعها فكان هكذا بأمر الله فقالت أية آية هي فاقرؤها حتى أسمع فقرأها الشيخ فلما وصلت الآية الى سمع الشاب شهق شهقة أخرى خرجت معها روحه بأمر الله فلما رأت الام ذلك خرت ميتة * وفي التأويلات النجمية قوله ثم في سلسلة الخ يشير الى كثرة أخلاقه السيئة وأوصافه الرديئة وأحكام طبيعته الظلمانية اذ هي يوم القيامة كلها سلاسل العذاب وأغلال الطرد والحجاب (انه) بدرستى كه اين كس كأنه قيل ماله يعذب بهذا العذاب

الشديد فاجيب بانه (كان لا يؤمن بالله العظيم) وصفه تعالى بالعظم للايذان بأنه المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها الى نفسه استحق أعظم العقوبات (ولا يحض على طعام المسكين) الحض الحث على الفعل بالحرص على وقوعه قال الراغب الحض التحريك كالحث الا أن الحث يكون بسير وسوق والحض لا يكون بذلك وأصله من الحث على الحضيض وهو قرار الارض والمعنى ولا يحث أهله وغيرهم على اعطاء طعام يطعم به الفقير فضلا عن أن يعطى ويبذل من ماله على أن يكون المراد من الطعام العين فأضمر مثل اعطاء أو بذل لان الحث والتحريض لا يتعلق بالاعيان بل بالاحداث وأضيف الطعام الى المسكين من حيث ان له اليه نسبة أو المعنى ولا يحثهم على اطعامه على أن يكون اسما وضع موضع الاطعام كما يوضع العطاء موضع الاعطاء فالاضافة الى المفعول وذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل يعنى يكون ترك الفعل أشد فى أن يكون سبب المؤاخذة الشديدة وجعل حرمان المسكين قرينة للكفر حيث عطفه عليه للدلالة على عظم الجرم ولذلك قال عليه السلام البخل كفر والكافر فى النار فتخصيص الامرين بالذكر لما أن أقبح العقائد الكفر وأشنع الرذائل البخل والعطف للدلالة على أن حرمان المسكين صفة الكفرة كما فى قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة فلا يلزم أن يكون الكفار مخاطبين به بالفروع وفى عين المعانى وبه تعلق الشافعى فى خطاب الكفار بالشرائع ولا يصح عندنا لان توجيه الخطاب بالامر ولا أمر ههنا على أنه ذكر الايمان مقدما به نقول انتهى وقال ابن الشيخ فيه دليل على تكليف الكفار بالفروع على معنى أنهم يعاقبون على ترك الامتثال بها كعدم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والانتهاء عن الفواحش والمنكرات لا على معنى أنهم يطالبون بها حال كفرهم فانهم غير مكلفين بالفروع بهذا المعنى لانعدام أهلية الاداء فيهم لان مدار أهلية الاداء هو استحقاق الثواب بالاداء ولا ثواب لاعمال الكفار وأهلية الوجوب لا تستلزم أهلية الاداء كما تقرر فى الاصول انتهى والحاصل أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة لا غير وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع نصفها الآخر بالاطعام والحض عليه * جوى بازدارد بلاى درشت * عصايى شنيدى كه عوجى بكشت * كسى نيك بيند بهردو سراى * كه نيكى رساند بخلق خداى (فليس له اليوم) وهو يوم القيامة (ههنا) أى فى هذا المكان وهو مكان الاخذ والغل (حميم) أى قريب نسبا أو ودا يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان أولياءه يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسأل حميم حميما وقال فى عين المعانى قريب يحترق له قلبه من حميم الماء وقال القاشانى لاستيحاشه من نفسه فكيف لا يستوحش غيره منه وهو من تتمة ما يقال للزبانية فى حقه اعلاما بأنه محروم من الرحمة وحثا لهم على بطشه (ولا طعام الا من غسلين) قال فى القاموس الغسلين بالكسر ما يغسل من الثوب ونحوه كالغسالة وما يسيل من جلود أهل النار والشديد الحر وشجر فى النار انتهى والمعنى ولا طعام الا من غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم بعصر قوة الحرارة النارية وبالفارسية زردابه وريمى كه از تنهاى ايشان ميرود (روى) أنه لو وقعت قطرة منه على الارض لأفسدت على الناس معايشهم يقال للنار دركات ولكل دركة نوع طعام

وشراب وبهي موجه التلفيق بينه وبين قوله ليس لهم طعام الا من ضريع في الغاشية وهو
فعلين من الغسل فالياء والنون زائدتان وفي الكواشي أو نونه غير زائدة وهو شجر في النار وهو
من أخبث طعامهم والظاهر أن الاستثناء متصل ان جعل الطعام شاملا للشراب كما في قوله
تعالى ومن لم يطعمه فانه مني فانهم فسروه بمن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا كان أو
مشروبا (لا يأكله الا الخاطئون) صفة غسلين والتعبير بالاكل باعتبار ذكر الطعام أي لا يأكل
ذلك الغسلين الا الآثمون أصحاب الخطايا وهم المشركون كما روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما وقد يجوز أن يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله من خطئ
الرجل من باب علم اذا تعمد الخطأ أي الذنب فالخاطئ هو الذي يفعل ضد الصواب متعمدا لذلك
والمخطئ هو الذي يفعله غير متعمد أي يريد الصواب فيصير الى غيره من غير قصد كما يقال المجتهد
قد يخطئ وقد يصيب وفي عين المعاني الخاطئون طريق التوحيد وفي التأويلات النجمية
ولا يحض مساكين الاعضاء والجوارح بالاعمال الصالحات والاقوال الصادقات والاحوال
الصافيات فليس له اليوم ههنا من يعينه ويؤنسه لان المؤنس ليس الا الاعمال والاحوال
ولا طعام لنفسه المشؤمة الا غسالة أعماله وأفعاله القبيحة الشنيعة لا يأكله الا المتجاوزون عن
أعمال الروح والقلب القاصدون مراتب النفس والهوى المتبعون للشهوات الجسمانية
واللذات الحيوانية (فلا أقسم) أي فأقسم على أن لا مزيدة للتأكيد وأما حمله على معنى
نفي الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم فيرده تعيين المقسم به بقوله بما الخ
وقال بعضهم هو جواب الانكار والتقدير وما قاله المكذبون فلا يصح اذ هو قول باطل ثم قال أقسم
(بما تبصرون وما لا تبصرون) قسم عظيم لانه قسم بالاشياء كلها على سبيل الشمول والاحاطة
لانها لا تخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر فالمبصر المشاهدات وغير المبصر المغيبات فدخل
فيهما الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة
والباطنة وغير ذلك مما يكون لائقا بأن يكون مقسما به اذ من الاشياء ما لا يليق بأن يكون مقسما به
والى هذه الاشارة بقول القاشاني أي الوجود كله ظاهرا أو باطنا وبقول ابن عطاء آثار القدرة
وأسرارها وبقول الشيخ نجم الدين بما تبصرون من المشهودات والمحسوسات بابصار الظواهر
وما لا تبصرون من المغيبات ببصائر البواطن يعني بالمظاهر الاسمائية والمظاهر الذاتية وبقول
الحسين أي بما أظهر الله للملائكة والقلم واللوح وبما اختزن في علمه ولم يجر القلم به ولم تشعر الملائكة
بذلك وما أظهر الله للخلق من صفاته وأراهم من صنعه وأبدى لهم من علمه في جنب ما اختزن عنهم
الا كذرة في جنب الدنيا والآخرة ولو أظهر الله ما اختزن لذابت الخلائق عن آخرهم فضلا عن
حمله وقال الشيخ أبو طالب المكي قدس سره في قوت القلوب اذا كان العبد من أهل العلم بالله
والفهم عنه والسمع منه والمشاهدة له شهد ما غاب عن غيره وأبصر ما عمي عنه سواه كما قال تعالى
فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون (انه) أي القرآن (لقول رسول) وقوله قول الحق كما قال
وما ينطق عن الهوى وكما قال فأجره حتى يسمع كلام الله وفي كشف الاسرار أضاف القول اليه
لانه لما قال قول رسول اقتضى مرسلا وكان معلوما أن ما يقرؤه كلام مرسله وانما هو مبلغه
فالاضافة الاختصاصية الى رسول الله تدل على اختصاص القول بالرسول من حيث التبليغ

ليس الا اذشأن الرسول التبليغ لا الاختراع وقد يأتى القول فى القرآن والمراد به القراءة قال الله تعالى حتى تعلموا ما تقولون أى ما تقرؤن فى صلاتكم (كريم) على الله تعالى يعنى بزركوار نزد خداى تعالى وهو النبى عليه السلام ويدل عليه مقابلة رسول بشاعر وكاهن لان المعنى على اثبات أنه رسول لا شاعر ولا كاهن ولم يقولوا لجبريل شاعر ولا كاهن وقيل هو جبريل أى هو قول جبريل الرسول الكريم وما هو من تلقاء محمد كما تزعمون وتدعون أنه شاعر أو كاهن فالمقصود حينئذ اثبات حقية القرآن وانه من عند الله والحاصل أن القرآن كلام الله حقيقة أظهره فى اللوح المحفوظ وكلام جبريل أيضا من حيث انه أنزله من السموات الى الارض وتلاه على خاتم النبيين وكلام سيد المرسلين أيضا من حيث انه أظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان به وجعله حجة لنبوته (وما هو بقول شاعر) كما تزعمون تارة (قال الكاشفى) جنانجه أبو جهل ميكويد وسبق معنى الشعر فى يس (قليلا ما تؤمنون) ايمانا قليلا تؤمنون بالقرآن وكونه كلام الله أو بالرسول وكونه مرسلا من الله والمراد بالقلة النفى أى لا تؤمنون أصلا كقولك لمن لا يزورك قلما تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلا * يقول الفقير يجوز عندى أن تكون قلة الايمان باعتبار قلة المؤمن بمعنى أن القليل منكم يؤمنون وقس عليه نظائره (ولا بقول كاهن) كما تدعون ذلك تارة أخرى (قال الكاشفى) جنانجه عقبة بن أبى معيط كمان ميبرد كرر القول مبالغة فى ابطال أقاويلهم الكاذبة على القرآن الحق والرسول الصادق والكاهن هو الذى يخبر عن الكوائن فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الاسرار ومطالعة علم الغيب وفى كشف الاسرار الكاهن هو الذى يزعم أن له خدما من الجن يأتونه بضرب من الوحى وقد انقطعت الكهانة بعد نبينا محمد عليه السلام لان الجن حبسوا ومنعوا من الاستماع انتهى وقال الراغب فى المفردات الكاهن الذى يخبر بالاخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذى يخبر بالاخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هاتين الصناعتين مبنيتين على الظن الذى يخطئ ويصيب قال عليه السلام من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل الله على محمد ويقال كهن فلان كهانة اذا تعاطى ذلك وكهن اذا تخصص بذلك وتكهن تكلف ذلك انتهى وفى شرح المشارق لابن الملك العراف من يخبر بما أخفى من المسروق ومكان الضالة والكاهن من يخبر بما يكون فى المستقبل وفى الصحاح العراف الكاهن (قليلا ما تذكرون) أى تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تتذكرون أى لا تتذكرون أصلا (قال الكاشفى) اندكى بند ميكيريد يعنى بند كيرنمى شويد (وفى كشف الاسرار) اندك بندمى بذيريد ودرمى يابيد (وفى تاج المصادر) التذكر ياد كردن وياد آوردن وبند كرفتن ومذكر شدن كلمة كه مؤنث بود * وقال بعضهم المراد من الايمان القليل ايمانهم واستيقانهم بأنفسهم وقد جحدوا بألسنتهم لا معنى النفى وقال بعضهم ان كان المراد منه الايمان الشرعى فالقليل للنفى وان كان اللغوى فالتقليل على حاله لانهم كانوا يصدقون ببعض أحكام القرآن كالصلة والخير والعفاف ونحوها ويكذبون ببعضها كالوحدة والحقانية والبعث ونحوها وعلى هذا التذكر قيل ذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لما أن عدم مشابهة القرآن الشعر أمر بين لا ينكره الا معاند فلا مجال فيه لتوهم عذر لترك الايمان واذلك وبخوا عليه وعجب منه بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر أحواله عليه السلام

ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى أقوالهم فالكاهن ينصب نفسه للدلالة على الضوائع والاخبار بالمغيبات يصدق فيها تارة ويكذب كثيرا ويأخذ جعلا على ذلك ويقتصر على من يسأله وليس واحد منهما من دأبه عليه السلام والحاصل أن الكاهن من يأتيه الشياطين ويلقون اليه من أخبار السماء فيخبر الناس بما سمعه منهم وما يلقيه عليه السلام من الكلام مشتمل على ذم الشياطين وسبهم فكيف يمكن أن يكون ذلك بالقاء الشياطين فانهم لا ينزلون شيأ فيه ذمهم وسبهم لاسيما على من يلعنهم ويطعن فيهم وكذا معانى ما يلقيه عليه السلام منافية لمعانى أقوال الكهنة فانهم لا يدعون الى تهذيب الاخلاق وتصحيح العقائد والاعمال المتعلقة بالمبدا والمعاد بخلاف معانى قوله عليه السلام فلو تذكر أهل مكة معانى القرآن ومعانى أقوال الكهنة لما قالوا بأنه كاهن وفى برهان القرآن خص ذكر الشعر بقوله ماتؤمنون لان من قال القرآن شعر ومحمد عليه السلام شاعر بعد ما علم اختلاف آيات القرآن فى الطول والقصر واختلاف حروف مقاطعه فلكفره وقلة ايمانه فان الشعر كلام موزون مقفى وخص ذكر الكهانة بقوله ماتذكرون لان من ذهب الى أن القرآن كهانة وان محمدا عليه السلام كاهن فهو ذاهل عن ذكر كلام الكهان فانه اسجاع لا معانى تحتها وأوضاع تنبو الطباع عنها ولا يكون فى كلامهم ذكر الله انتهى قال المولى أبو السعود فى الارشاد وأنت خبير بأن ذلك أيضا مما لا يتوقف على تأمل قطعا انتهى أى فتعليلهم بالفرق غير صحيح وفيه أن الانابة شرط للتذكر كما قال تعالى وما يتذكر الا من ينيب والكافر ليس من أهل الانابة وأيضا ما يذكر الا أولوا الالباب أى أولوا العقول الزاكية والقلوب الطاهرة والكافر ليس منهم فليس من أهل التذكر ولاشك أن كون الشئ أمرا بينا لا ينافى التذكر ألا ترى الى قوله تعالى أاله مع الله قليلا ماتذكرون مع أن شواهد الالوهية ظاهرة لكل بصير باهرة عند كل خبير على أنه يظهر من تقريراتهم أنه لابد من التذكر فى نفى الكهانة لخفاء أمرها فى الجملة بالنسبة الى الشعر والعلم عند الله العلام (تنزيل) أى هو منزل فعبر عن المفعول بالمصدر مبالغة (من رب العالمين) نزله على لسان جبريل تربية للسعداء وتبشيرا لهم وانذارا للاشقياء كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين وقال تعالى ومبشرا ونذيرا (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) كما يتقوله الشعراء أى ولو ادعى محمد علينا شيأ لم نقله كما تزعمون كما قال تعالى أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون وفى ذكر البعض اشارة الى أن القليل كاف فى المؤاخذة الآتية فضلا عن الكثير يعنى الافتراء تقولا وهو بناء التكلف لانه قول متكلف كما قال صاحب الكشاف التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسميت الاقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها لان صيغة أفعولة انما تطلق على محقرات الامور وغرائبها كالاعجوبة لما يتعجب منه والاضحوكة لما يضحك منه وكان الاقاويل جمع أقوولة من القول وان لم يثبت عن نقلة اللغة ولم يكن أقوولة مستعملا لكن كونه على صورة جمع أفعولة كاف فى التحقير ويؤيد أنه ليس جمع الاقوال لزوم أن لا يعاقب بما دون ثلاثة أقوال فالاقاويل ههنا بمعنى الاقوال لا انه جمعه وفى حواشى ابن الشيخ الظاهر أن الاقاويل جمع أقوال جمع قول كأناعيم جمع أنعام جمع نعم (لاخذنا منه) حال من قوله (باليمين) أى بيمينه وقال سعدى المفتى هو من باب ألم نشرح لك فى التفصيل بعد الاجمال (ثم لقطعنا منه الوتين) أى نياط

قلبه بضرب عنقه والنياط عرق أبيض غليظ كالقصبة علق به القلب اذا انقطع مات صاحبه وفى المفردات الوتين عرق يسقى الكبد اذا انقطع مات صاحبه ولم يقل لاهلكناه أو لضربنا عنقه لانه تصوير لاهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو أن يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه فاذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذ بيساره واذا أراد أن يوقعه فى جيده وأن يكفحه بالسيف أو يواجهه وهو أشد من المصبور لنظره الى السيف أخذ بيمينه فلذا خص اليمين دون اليسار وفى المفردات لاخذنا منه باليمين أى منعناه ودفعناه فعبر عن ذلك بالاخذ باليمين كقولك خذ بيمين فلان انتهى وقيل اليمين بمعنى القوة فالمعنى لانتقمنا بقوتنا وقدرتنا وقيل المعنى حينئذ لاخذنا منه اليمين وسلبنا منه القوة والقدرة على التكلم بذلك على أن الباء صلة أى زائدة وعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شئ فى ميامنه فيكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال أو ذكر الملزوم وارادة اللازم (فما منكم) أيها الناس (من أحد عنه) أى عن القتل أو المقتول وهو متعلق بقوله (حاجزين) دافعين وهو وصف لاحد فانه عام لوقوعه فى سياق النفى كما فى قوله عليه السلام لم تحل الغنائم لاحد أسود الرأس غيرنا فان أحد فى موضع الرفع بالابتداء ومن زائدة لتأكيد النفى ومنكم خبره والمعنى فما منكم قوم يحجزون عن المقتول أو عن قتله واهلاكه المدلول عليه بقوله ثم لقطعنا منه الوتين أى لا يقدر على الحجز والدفع وهذا مبنى على أصل بنى تميم فانهم لا يعملون ما لدخولها على القبيلين وقد يجعل حاجزين خبر الما على اللغة الحجازية واهله أولى فتكون كلمة ما هى المشبهة بليس فأن أحد اسم ما وحاجزين منصوب على أنه خبرها ومنكم حال مقدم وكان فى الاصل صفة لاحد وفى الآية تنبيه على أن النبى عليه السلام لو قال من عند نفسه شيأ أو زاد أو نقص حرفا واحدا على ما أوحى اليه لعاقبه الله وهو أكرم الناس عليه فما ظنك بغيره ممن قصد تغيير شئ من كتاب الله أو قال شيأ من ذات نفسه كما ضل بذلك بعض الفرق الضالة (وانه) أى القرآن (لتذكرة) موعظة وبالفارسية بندبست (للمتقين) لمن اتقى الشرك وحب الدنيا فانه يتذكر بهذا القرآن وينتفع به بخلاف المشرك ومن مال الى الدنيا وغلبه حبها فانه يكذب به ولا ينتفع وفى تاج المصادر التذكير والتذكرة ياد دادن وحرف را مذكر كردن ومنه الحديث فذكروه أى فاجلوه لان فى تذكير الشئ اجلاله (وانا لنعلم ان منكم مكذبين) أى أن منكم أيها الناس مكذبين بالقرآن فنجازيهم على تكذيبهم قال مالك رحمه الله ما أشد هذه الآية على هذه الامة وفيه اشارة الى مكذبى الالهام أيضا فانهم ملحقون بمكذبى الوحى لان الكل من عند الله لكن أهل الاحتجاب لا يبصرون النور كالاعمى فكيف يقرون (وانه) أى القرآن (لحسرة) وندامة يوم القيامة (على الكافرين) المكذبين له عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين المصدقين به وفى الدنيا أيضا اذا رأوا دولة المؤمنين ويجوز ان يرجع الضمير الى التكذيب المدلول عليه بقوله مكذبين (وانه) أى القرآن (لحق اليقين) أى لليقين الذى لا ريب فيه فالحق واليقين صفتان بمعنى واحد أضيف أحدهما الى الآخر اضافة الشئ الى نفسه كحب الحصيد للتأكيد فان الحق هو الثابت الذى لا يتطرق اليه الريب وكذا اليقين قال الراغب فى المفردات اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتهما يقال علم اليقين عين اليقين حق اليقين وبينها فرق مذكور فى غير هذا الكتاب انتهى وقد سبق الفرق من شرح النصوص فى آخر سورة الواقعة فارجع وقال

الامام معناه أنه حق يقين أي حق لا بطلان فيه ويقين لا ريب فيه ثم أضيف أحد الوصفين الى الآخر للتأكيد وقال الزمخشري لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم ويراد به البليغ الكامل في شأنه وفي تفسير القاشاني محض اليقين وصرف اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم أي خلاصة العالم وحقيقته من غير شوب شيء آخر وقال الجنيد قدس سره حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك معرفة بالحق وهو أن يشاهد الغيوب كمشاهدته للمرئيات مشاهدة عيان ويحكم على المغيبات ويخبر عنها بالصدق كما أخبر الصديق الاكبر في مشاهدة النبي عليه السلام حين سأله ماذا أبقيت لنفسك قال الله ورسوله فأخبر عن تحققه بالحق وانقطاعه عن كل ما سوى الله ووقوفه على الصدق معه ولم يسأله النبي عليه السلام عن كيفية ما أشار اليه لما عرف من صدقه وبلوغه المنتهى فيه ولما سأل عليه السلام حارثة كيف أصبحت قال أصبحت مؤمنا حقا فأخبر عن حقيقة ايمانه فسأله عليه السلام عن ذلك لما كان يجد في نفسه من عظم دعواه ثم لما أخبر لم يحكم له بذلك فقال عرفت فالزم أي عرفت الطريق الى حقيقة الايمان فالزم الطريق حتى تبلغ اليه وكان يرى حال أبي بكر رضي الله عنه مستورا من غير استخبار عنه ولا استكشاف لما علم من صدقه فيما ادعى وهذا مقام حق اليقين واليقين اسم للعلم الذي زال عنه اللبس ولهذا لا يوصف علم رب العزة باليقين (فسبح باسم ربك العظيم) أي فسبح الله بذكر اسمه العظيم بأن تقول سبحان الله تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما أوحي اليك فمفعول سبح محذوف والباء في باسم ربك للاستعانة كما في ضربته بالسوط فهو مفعول ثان بواسطة حرف الجر على حذف المضاف والعظيم صفة الاسم ويحتمل أن يكون صفة ربك ويؤيده ما روي أن رسول الله عليه السلام قال لما نزلت هذه الآية اجعلوها في ركوعكم فالتزم ذلك جماعة من العلماء كما في فتح الرحمن وقال في التأويلات النجمية نزه وقدس تنزيها على التشبيه اسم ربك أي مسمى ربك اذ الاسم عين المسمى عند أرباب الحق وأهل الذوق وقال القاشاني نزه الله وجرده عن شوب الغير بذلك الذي هو اسمه الاعظم الحاوي للاسماء كلها بأن لا يظهر في شهودك تلوين من النفس أو القلب فتحتجب برؤية الاثنينية أو الانانية والا كنت مشبها لا مسبحا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال خرجت يوما بمكة متعرضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فجئت فوقفت وراءه فافتتح سورة الحاقة فلما سمعت سرد القرآن قلت في نفسي انه لشاعر كما يقول قريش حتى بلغ الى قوله انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ثم مر حتى انتهى الى آخر السورة فأدخل الله في قلبي الاسلام

(تمت سورة الحاقة بعون الله تعالى في السابع عشر من شهر رمضان من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف)

(سورة المعارج اربع واربعون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل بعذاب واقع) من السؤال بمعنى الدعاء والطلب يقال دعا بكذا استدعاه وطلبه ومنه

قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة اى يطلبون فى الجنة كل فاكهة والمعنى دعا داع به بعذاب
واقع نازل لامحالة سواء طلبه اولم يطلبه اى استدعاه وطلبه ومن التوسعات الشائعة فى لسان
العرب حمل النظير على النظير وحمل النقيض على النقيض فتعديته سأل بالباء من قبيل التعدية
بحمل النظير على النظير فانه نظير دعا وهو يتعدى بالباء لامن قبيل التعدية بالتضمين بأن ضمن
سأل معنى دعا فعدى تعديته كما زعمه صاحب الكشاف لان فائدة التضمين على ماصرح به ذلك
الفاضل فى تفسير سورة النحل اعطاء مجموع المعنيين ولا فائدة فى الجمع بين معنى سأل ودعا لان
احدهما يغنى عن الآخر والمراد بهذا السائل على ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما
واختاره الجمهور هو النضر بن الحرث من بنى عبد الدار حيث قال انكارا واستهزاء اللهم ان
كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وصيغة الماضى
وهو واقع دون سيوقع للدلالة على تحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل
يومئذ صبرا واما فى الآخرة وهو عذاب النار وعن معاوية أنه قال لرجل من أهل سبأ ما أجهل
قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومى قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين
دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا ان كان
هذا هو الحق من عندك فاهدنا له وقيل السائل هو الرسول عليه السلام استعجل بعذابهم وسأل
أن يأخذهم الله أخذا شديدا ويجعلها سنين كسنى يوسف وقيل ان قوله تعالى سأل سائل حكاية
لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى متى هذا الوعد
ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لاما عليه النضر فالسؤال بمعناه وهو التفتيش
والاستفسار لان الكفرة كانوا يسألون النبى عليه السلام وأصحابه انكارا واستهزاء عن وقوعه
وعلى من ينزل ومتى ينزل والباء بمعنى عن كما فى قوله تعالى فاسأل به خبيرا أى فاسأل عنه لان
الحروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض باتفاق العلماء وعن الامام الواحدى أن الباء فى
بعذاب زائدة للتأكيد كما فى قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة أى عذابا واقعا كقولك سألته
الشئ وسألته عن الشئ (للكافرين) أى عليهم فاللام بمعنى على كما فى قوله تعالى وان أسأتم فلها
أى فعليها أو بهم فاللام بمعنى الباء على ماذهب بعضهم فى قوله تعالى وما أمروا الاليعبدوا الله
أى بأن يعبدوا الله أو على معناه أى نازل لاجل كفرهم ومتعلقه على التقادير الثلاثة هو واقع
قال بعض العارفين بهذا وصف أهل الامل والظن الكاذب الذين يظنون أنهم يتركون فى قبائح
أعمالهم وهم لايعذبون (ليس له) أى لذلك العذاب (دافع من الله) أى من جهته تعالى اذا جاء
وقته وأوجبت الحكمة وقوعه (ذى المعارج) صفة لله لانه من الاسماء المضافة مثل فالق
الاصباح وجاعل الليل سكنا ونحوهما والمعارج جمع معرج بفتح الميم هنا بمعنى مصعد وهو موضع
الصعود قال الراغب العروج ذهاب فى صعود والمعارج المصاعد ومعنى ذى المعارج بالفارسية
خداوند درجهاى بلندست والمراد الافلاك التسعة المرتبة بعضها فوق بعض وهى السموات
السبع والكرسى والعرش (تعرج الملائكة) المأمورون بالنزول والعروج دون غيرهم من المهيمين
ونحوهم لان من الملائكة من لاينزل من السماء أصلا ومنهم من لايعرج من الارض قطعا
(والروح) اى جبريل أفرده بالذكر لتميزه وفضله كما فى قوله تعالى تنزل الملائكة والروح فقد ذكر

مع نزولهم فى آية وعروجهم فى أخرى (اليه) أى يعرجون من مسقط الامر الى عرشه والى حيث تهبط منه أوامره كقول ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى أى الى حيث أمرنى ربى بالذهاب اليه فجعل عروجهم الى العرش عروجا الى الرب لان العرش مجلى صفة الرحمانية فمنه تبتدأ الاحكام والى حيث شاء الله تعالى تهبط الملائكة بأعمال بنى آدم الى الله تعالى والروح اليها ناظر فى ذلك المشهد (فى يوم) متعلق بتعرج كالى (كان مقداره خمسين ألف سنة) مما يعده الناس كما صرح به قوله تعالى فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون وقوله خمسين خبر كان وهو من باب التشبيه البليغ والاصل كمقدار مدة خمسين ألف سنة واعلم أن تحقيق هذه الآية يستدعى تمهيد مقدمة وهى ان البروج اثنا عشر على ما أفاده هذا البيت وهو قوله * چون حمل چون ثور وچون جوزا وسرطان واسد * سنبله ميزان وعقرب قوس وجدى ودلو وحوت * وكان مبدأ الدورة العرشية من الميزان ومنه الى الحوت أوجد الله فيه الارواح السماوية والصور الاصلية الكلية المتعينة فى جوف العرش ولكل برج يوم مخصوص به ومدة هذه البروج الستة وهى الميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت أحد وعشرون ألف سنة ومن الحمل الى برج السنبلة فى الحكم خمسون ألف سنة ومدة دور السنبلة سبعة آلاف سنة وهى جمعة من جمع الآخرة وفى أول هذه الدورة التى هى دور السنبلة بموجب الامر الالهى الموحى به هنالك ظهر النوع الانسانى وبعث نبينا عليه السلام فى الالف الآخر من السبعة وفى الاجزاء البرزخية الجامعة بين أحكام دور السنبلة ودور الميزان المختص بالآخرة فانه اذا تم دور البروج الاثنى عشر ينتقل الحكم الى الميزان وهو زمان القيامة الكبرى فأخذنا كفة الالف الاولى للدنيا فى الدولة المحمدية والكفة الاخرى للآخرة والحشر أى أخذنا النصف الاول من ألف الميزان الثانى لهذه النشأة والنصف الاخير منه للنشأة الآخرة ولهذا استقرت الاخبار فى قيام الساعة وامتدادها الى خمسمائة سنة بعد الالف وهى النصف الاول من الالف الثانى من الميزان الثانى ولم يتجاوز حد الدنيا ذلك عند أحد من علماء الشريعة فبعث النبى عليه السلام فى زمان امتزاج الدنيا بالآخرة كالصبح الذى هو أول النهار المشروع ومنه الى طلوع الشمس نظير الزمان الذى هو من المبعث الى قيام الساعة فكما يزداد الضوء بعد طلوع الفجر بالتدريج شيأ بعد شئ كذلك ظهور أحكام الآخرة من حين المبعث يزداد الى زمان طلوع الشمس من مغربها كما أشار عليه السلام اليه بقوله بعثت أنا والساعة كفرسى رهان وبقوله لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل عذبة سوطه وحتى يحدثه فخذه بما يصنع أهله بعده وكذا يسمع جمهور الناس فى آخر الزمان نطق الجمادات والنباتات والحيوانات على ما ورد فى الاخبار الصحيحة فلليوم مراتب وأحكام * فيوم كالآن وهو أدنى ما يطلق عليه الزمان ومنه يمتد الكل وهو المشار اليه بقوله تعالى كل يوم هو فى شان فسمى الزمن الفرد يوما لان الشان يحدث فيه وهو أصغر الازمان وأدقها والسارى فى كل الادوار سريان المطلق فى المقيد * ويوم كالف سنة وهو اليوم الالهى ويوم الآخرة كما قال تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة وقال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون * ويوم كخمسين ألف سنة والى ما لا يتناهى كيوم أهل الجنة فلا حد لاكبر الايام يوقف عنده فهذا اليوم الذى كان مقداره خمسين ألف سنة هو يوم المعراج

ويوم

ويوم القيامة أيضا درفتوحات آورده كه هر اسمى را از اسماء الهيه روز يست خاص كه تعلق بدو دارد ودر قرآن دو روز از آنها مذكورست يوم الرب كه هزار سالست و يوم ذى المعارج كه پنجاه هزار سالست وكل ألف سنة دورة واحدة تقع فيها القيامة الصغرى لاهل الدنيا بتبديل الاحكام والشرائع وأنواع الهياكل والنفوس وكل سبعة آلاف سنة دورة لنوع خاص كالانسان وكل خمسين ألف سنة دورة أيضا تقع فيها القيامة الكبرى فيفنى العالم وأهله وكان عروج الملائكة من الارض الى السماء ونزولهم من السماء الى الارض لاجراء أحكام الله وانفاذ أمره فى مدة البروج الستة الاخر التى هى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة وهى خمسون ألف سنة كما سبق وعند العارفين يطلق على نزول الملائكة العروج أيضا وان كانت حقيقة العروج انما هى لطالب العلو وذلك لان الله تعالى فى كل موجود تجليا ووجها خاصا به يحفظه فنزول الملائكة وعروجهم دائما الى الحق لعدم تحيزه وكل ما كان اليه فهو عروج وان كان فى السفليات لانه هو العلى الاعلى فهو صفة علو على الدوام وجعلت أجنحة الملائكة للهبوط عكس الطائر عبرة ليعرف كل موجود عجزه وعدم تمكنه من تصرفه فوق طاقته التى أعطاها الله له فالملائكة اذا نزلت نزلت بجناحها واذا علت علت بطبعها والطيور بالعكس فاعلم ذلك وكذلك يكون عروجهم ونزولهم أى يقع فى اليوم الطويل الذى هو يوم القيامة لاجراء أحكام الله على ما شاء وانفاذ أمره على مقتضى علمه وحكمته وهو مقدار خمسين ألف سنة من سنى الدنيا ودل على مدة هذا اليوم قوله عليه السلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم أى مرة ثانية لشتد حرها فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له أى لكيه الى نار جهنم فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة أى ان لم يكن له ذنب سواه أو كان ولكن الله عفا عنه واما الى النار أى ان كان على خلاف ذلك رواه مسلم (وروى) أن للقيامة خمسين موقفا يسأل العبد فى كل منها عن أمر من أمور الدين فان لم يقدر على الجواب وقف فى كل موقف بمقدار اليوم الالهى الذى هو ألف سنة ثم لا ينتهى اليوم الى امد أى يكون وقت أهل الجنة كالنهار أبدا ويكون زمان أهل النار كالليل أبدا اذ لا ظلمة لاهل النور كذلك لا نور لاهل الظلمة وفيه تذكير للعاقل على أن يوم القيامة اذا كان أوله مقدار خمسين ألف سنة فما ذا آخره ثم هذا الطول فى حق الكافر والعاصى لا المؤمن والمطيع لما روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قيل لرسول الله عليه السلام ما أطول هذا اليوم فقال عليه السلام والذى نفسى بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وفى التمثيل بالصلاة اشارة الى وجه آخر لسر العدد وهو ان الكافر أضاع الصلاة وهى فى الاصل خمسون صلاة فكأنه عذب بكل واحدة منها ألف سنة ولهذا السر يكلف يوم القيامة بالسجود لا بغيره ولا يلزم من وجود هذا اليوم بهذا الطول ومن عروج الملائكة فى اثنائه الى العرش أن يكون ما بين أسفل العالم وأعلى سرادقات العرش مسيرة خمسين ألف سنة لان المراد بيان طول اليوم وعروج الملائكة ونزولهم فى مثل هذا اليوم الى العرش ومنه لتلقى أمره وتبليغه الى محله مرارا وكرار الابيان طول المعارج لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء مسيرة

خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع كذلك فيكون المجموع تسعة آلاف الى العرش أى بالنظر الظاهرى والا فهى أزيد من ذلك بل من كل عدد متصور كما ستجىء الاشارة اليه وقول من قال جعل مابين الكرسى والعرش كما بين غيرهما غير موجه لما فى الحديث الصحيح ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والارض فيكون بين الكرسى الذى هو صحن الجنة وبين العرش الذى هو سقف الجنة خمسمائة سنة مائة مرة أولها من أرض الكرسى الى الدرجة السافلة من العرش فيكون المجموع مقدار خمسين ألف سنة تأمل تعرف ان كلامه ليس بصحيح من وجوه الاول ان المراد فى هذا المقام بيان الطول من أسفل العالم الى أعلاه وانه مقدار خمسين ألف سنة لا من صحن الجنة الى سقفها لانه على ماذكره من المسافة بين العرشين يزيد على ذلك المقدار بالنظر الى أسفل العالم زيادة بينة فلا يحصل المقصود والثانى أن مراد النبى عليه السلام من التمثيل بما بين السماء والارض ليس التحديد بل بيان مجرد السعة وطول الامتداد بما لا يعرفه الا الله كما يقتضيه المقام والثالث ان الحديث الذى أورده لا يدل على ان نهاية الدرجة الاخيرة من تلك الدرجات منتهية الى الدرجة السافلة من العرش بل هو ساكت عنه فيجوز أن يكون المقدار أزيد مما ذكره لان طبقات المجاهدين متفاوتة على ان سقف الجنة وان كان هو عرش الرحمن لكن المراد به ذروته وهى التى ينتهى دونها عالم التركيب وهى موضع قدم النبى عليه السلام ليلة المعراج ومابين أسفل الجنة من محدب الكرسى الى اعلاها من تلك الذروة التى هى محدب العرش لا حد له يعرف على ماسيجىء فى سورة الأعلى ان شاء الله تعالى فاذا تحققت هذا البيان الشافى فى الآية الكريمة وهو الذى أشار اليه الحكماء الالهية فدع عنك القيل والقال الذى قرره أهل المراء والجدال فمنه ان قوله فى يوم بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها فى ذلك لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنة من سنى الدنيا انتهى وفيه ان كونه محمولا على التمثيل انما يظهر اذا فسرت المعارج بغير السموات وهو خلاف المقصود ومنه ان معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أى يقطعون فى يوم من أيام الدنيا ما يقطعه الانسان فى خمسين ألف سنة لو فرض ذلك القطع وذلك لغاية سرعتهم وقوتهم على الطيران وبالفارسية اكريكى از بنى آدم خواهد كه سير كند از دنيا تا آنجا كه محل امر ملائكه است وايشان بيكروز ميروند اوبدين مقدار سال تواند رفت انتهى وفيه ان سير الملائكة لحظى فيصلون من أعلى الاوج الى أسفل الحضيض فى آن واحد فتقدير سيرهم باليوم المعلوم فى العرف غير واضح ومنه ان اليوم فى الآية عبارة عن أول أيام الدنيا الى انقضائها وانها خمسون ألف سنة لا يدرى أحدكم مضى وكم بقى الا الله تعالى انتهى وفيه ان أيام الدنيا تزيد على ذلك زيادة بينة كما لا يخفى على أهل الاخبار وعندى انها ثلثمائة وستون ألف سنة بمقدار أيام السنة دل عليه قولهم ان عمر الانسان جمعة من جمع الآخرة وقد أسلفناه فى موضعه ومنه ان المراد باليوم هو يوم من أيام الدنيا يعرج فيه الامر من منتهى أسفل الارضين الى منتهى أعلى السموات ومقدار ذلك اليوم خمسون ألف سنة وأما اليوم الذى مقداره ألف سنة كما فى سورة الم السجدة فباعتبار نزول الامر من السماء الى الارض وباعتبار عروجه من الارض الى

السماء فالنزول خمسمائة وكذا الصعود والمجموع ألف وفيه أنه زاد في الطنبور نغمة أخرى حيث اعتبر العروج من أسفل الارضين ليطول المسافة وظاهر انه لا يتم المقصود بذلك ومنه أن المراد تصعد الحفظة بأعمال بني آدم كل يوم الى محل قربته وكرامته وهو السماء في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من سني الدنيا لو صعد فيه غير الملك لان الملك يصعد من منتهى أمر الله من أسفل السفل الى منتهى أمره من فوق السماء السابعة في يوم واحد ولو صعد فيه بنو آدم لصعدوا في خمسين ألف سنة انتهى وفيه ما في السابق من تقدير اليوم في حق الملائكة مع ان قصر الصعود على الصعود بمجرد العمل قصور لانه شأن الملائكة الحافظين والآية مطلقة عامة لهم ولغيرهم من المدبرات ومنه أن قوله في يوم متعلق بواقع على أن يكون المراد به يوم القيامة والمعنى يقع العذاب في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سني الدنيا فتكون جملة قوله تعرج الملائكة معترضة بين الظرف ومتعلقه انتهى وفيه انه من ضيق العطن لانه لا مانع من ارادة يوم القيامة على تقدير تعلقه بتعرج أيضا على ما عرف من تقديرنا السابق فان قلت لماذا وصف الله ذاته في مثل هذا المقام بذي المعارج قلت للتنبيه على ان عروج الملائكة على مصاعد الافلاك ونزولهم منها انما هو للامر الالهي كما قال تعالى يتنزل الامر بينهن ومن أمره ايصال اللطف الى أوليائه وارسال القهر على أعدائه ففيه تحذير للكفار من عقوبة السماء النازلة بواسطة الملائكة كما وقعت للامم الماضية المكذبة وزجر لهم عما يؤدي الى المحاسبة الطويلة يوم القيامة هذا ما تيسر لي في هذا المقام والعلم عند الله العلام * وفي التأويلات النجمية في ذي المعارج أي يصعد بتعذيب أهل الشهوات واللذات مرتبة فوق مرتبة ومصعد فوق مصعد من معرج نفوسهم الى معرج قلوبهم ومنه الى معرج سرهم ومنه الى معرج روحهم يعذبهم في كل مرتبة عذابا أشد من الاول وفي قوله تعالى تعرج الخ أي تعرج الخواطر الروحانية خصوصا خاطر جبريل الروح في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من أيام الله وهي أيام السماء التي تحت حيطة الله الاسم الجامع فافهم قال القاشاني ذي المعارج أي المصاعد وهي مراتب الترقي من مقام الطبائع الى مقام المعادن بالاعتدال ثم الى مقام النبات ثم الى الحيوان ثم الانسان في مدارج الانتقالات المترتبة بعضها فوق بعض ثم في منازل السلوك بالانتباه واليقظة والتوبة والانابة الى آخر ما أشار اليه أهل السلوك من منازل النفس ومناهل القلب في مراتب الفناء في الافعال والصفات الى الفناء في الذات مما لا يحصى كثرة فان له تعالى بازاء كل صفة مصعدا بعد المصاعد المتقدمة على مقام الفناء في الصفات تعرج الملائكة من القوى الارضية والسماوية في وجود الانسان والروح الانساني الى حضرته الذاتية الجامعة في القيامة الكبرى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم من أيام الله العلي بالذات ذي المعارج العلا وهي الايام الستة السرمدية من ابتداء الازل الى انتهاء الابد وأما اليوم المقدر بألف سنة في قوله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون فهو يوم من أيام الرب المدبر الذي وقت به العذاب وانجاز الوعد في قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده والتدبير في قوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون وذلك اليوم هو اليوم الاخير من الاسبوع الذي هو مدة الدنيا المنتهية بنبوة الخاتم صلى الله عليه وسلم والذي قال فيه ان استقامت أمتي

قلها يوم وان لم تستقم فلها نصف يوم مع قوله بعثت أنا والساعة كهاتين فهذا يوم من أيام الربوبية والتدبير وأما اليوم الذى هو من الايام الالوهية فهو مقدار ابتداء الربوبية بأسماء الله الغير المتناهية التى تندرج معها الا تناهيها فى الاسماء السبعة وهى الحى العالم القادر المريد السميع البصير المتكلم ولكل من هذه السبعة ربوبية مطلقة بالنسبة الى ربوبيات الاسماء المندرجة تحته ومقيدة بالنسبة الى ربوبية كل واحد من أخواته الى انتهائها بالتجلى الذاتى وكان هذا اليوم المذكور سبع من أيام الدنيا فمدة الدنيا سبع من ذلك اليوم الالهى الحاصل من ضرب أيام الدنيا فى عدد أسماء الربوبية وهى تسع وأربعون سنة وآخره أول الخمسين الذى هو يوم واحد من أيام الله وهو يوم القيامة الكبرى (فاصبر) يا محمد (صبرا جميلا) لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله فان العذاب يقع فى هذه المدة المتطاولة التى تعرج فيها الملائكة والروح وعن الحسن الصبر الجميل هو المجاملة فى الظاهر وعن ابن بحر انتظار الفرج بلا استعجال وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحى وذلك مما يضجره عليه السلام أو كان عن تضجر واستبطاء للنصر والمعونة (انهم) أى أهل مكة (يرونه) أى العذاب الواقع أى يزعمونه فى رأيهم (بعيدا) أى يستبعدونه بطريق الاحالة كما كانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا الآية من يحيى العظام وهى رميم فلذلك يسألون به وسبب استبعادهم عدم علمهم باستحقاقهم اياه يقول المرء لخصمه هذا بعيد درد الوقوع وامكانه (ونراه) أى نعلمه (قريبا) لعلمنا باستحقاقهم اياه بحسب استعدادهم أى هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعد هو البعد من الامكان وبالقرب هو القرب منه وقال سهل رحمه الله انهم يرون المقضى عليهم من الموت والبعث والحساب بعيد البعد آمالهم ونراه قريبا فان كل كائن قريب والبعيد ما لا يكون وفى الحديث ما الدنيا فيما مضى وما بقى الا كثوب شق باثنين وبقى خيط واحد ألا وكأن ذلك الخيط قد انقطع قال الشاعر

هل الدنيا وما فيها جميعا * سوى ظل يزول مع النهار

ما همچو مسافريم در زير درخت * چون سايه برفت زود بردار درخت

ومن عجب الأيام أنك قاعد * على الارض فى الدنيا وأنت تسير

فسيرك يا هذا كسير سفينة * بقوم قعود والقلوب تطير

(يوم تكون السماء كالمهل) وهو هنا خبث الحديد ونحوه مما يذاب على مهل وتدريج أو دردى الزيت لسيلانه على مهل لثخانته وعن ابن مسعود كالفضة المذابة فى تلونها أو كالقير والقطران فى سوادهما ويوم متعلق بقريبا أى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم أى يظهر امكانه والا فنفس الامكان لا اختصاص له بوقت أو متعلق بمضمر مؤخر أى يوم تكون السماء كالمهل يكون من الاحوال والاهوال ما لا يوصف (وتكون الجبال كالعهن) العهن الصوف المصبوغ قال تعالى كالعهن المنفوش وتخصيص العهن لما فيه من اللون كما ذكر فى قوله تعالى فكانت وردة كالدهان والمعنى وتكون الجبال كالصوف المصبوغ ألوانا لاختلاف ألوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح قال فى كشف الاسرار أول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا (ولا يسأل حميم حميما) أى لا يسأل قريب قريبا عن أحواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن

ذلك واذا كان الحال بين الاقارب هكذا فكيف يكون بين الاجانب والتنكير للتعميم (يبصرونهم) استئناف كأنه قيل اهله لا يبصره فكيف يسأل عن حاله فقيل يبصرونهم والضمير الاول لحميم الاول والثانى للثانى وجمع الضميرين لعموم الحميم لكل حميمين لا لحميمين اثنين قال فى تاج المصادر التبصير بينا كردن والتعريف والايضاح ويعدى الى المفعول الثانى بالباء وقد تحذف الباء وعلى هذا يبصرونهم انتهى يعنى عدى يبصرونهم بالتضعيف الى ثان وقام الاول مقام الفاعل والشائع المتعارف تعديته الى الثانى بحرف الجر يقال بصرته به وقد يحذف الجار واذا نسبت الفعل للمفعول به حذفت الجار وقلت بصرت زيدا وما فى الآية من هذا القبيل والمعنى يبصر الاحماء الاحماء يعنى بينا كرده شوند ايشان بخويشان خود فلا يخفون عليهم ولا يمنعهم من التساؤل الا اشتغالهم بحال أنفسهم وليس فى القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل أباه وأخاه وأقرباءه وعشيرته ولكن لا يسأله ولا يكلمه لاشتغاله بما هو فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما يتعارفون ساعة ثم يتناكرون (يود المجرم) أى يتمنى الكافر وقيل كل مذنب (لو) بمعنى التمنى فهو حكاية لودادتهم (يفتدى) فداده بد وهو حفظ الانسان عن النائبة بما يبذل عنه (من عذاب يومئذ) أى من العذاب الذى ابتلوا به يوم اذ كان الامر ما ذكر وهو بكسر الميم لاضافة العذاب اليه وقرئ يوم بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن (ببنيه) أصله بنين سقطت نونه بالاضافة وجمعه لان كثرتهم محبوبة مرغوب فيها (وصاحبته) زوجته التى يصاحبها (وأخيه) الذى كان ظهيرا له ومعينا والجملة استئناف لبيان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى أن يفتدى بأقرب الناس اليه وأعلقهم بقلبه ويجعله فداء لنفسه حتى ينجو هو من العذاب فضلا عن أن يهتم بحاله ويسأل عنها كأنه قيل كيف لا يسأل مع تمكنه من السؤال فقيل يود الخ (وفصيلته) وهى فى الاصل القطعة المفصولة من الجسد وتطلق على الآباء والاقربين وعلى الاولاد لان الولد يكون منه ولا من الابوين فلما كان الولد مفصولا منهما كانا مفصولين منه أيضا فسمى فصيلة لهذا السبب والمراد بالفصيلة فى الآية هو الآباء والاقربون والعشيرة الادنون لقوله وبنيه (التى تؤويه) أوى الى كذا انضم اليه وآواه غيره كما قال تعالى آوى اليه أخاه أى ضمه الى نفسه فمعنى تؤويه تضمه اليها فى النسب أو عند الشدائد فيلوذ بها وبالفارسية وخويشان خود را كه جاى داده اند او را در دنيا نزد خود يعنى پناهگاه وى بوده اند (ومن فى الارض جميعا) من الثقلين أو الخلائق ومن للتغليب (ثم ينجيه) عطف على يفتدى أى يود لو يفتدى ثم ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعنى يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه وفيه اشارة الى مجرم الروح المنصبغ بصبغة النفس فانه يود أن يفتدى من هول عذاب يوم الفراق والاحتجاب بنى القلب وصفاته وصاحبة نفسه وأخى سره وفصيلته أى توابعه وشيعته ومن فى الارض بشريته جميعا من القوى الروحانية والجسمانية ثم ينجيه هذا الافتداء ولا ينفعه لفساد الاستعداد وفوات الوقت (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء أى لا يكون كما يتمنى فانه بهيئته الظلمانية الحاصلة من الاجرام استحق العذاب فلا ينجو منه وفى الحديث يقول الله لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما فى الارض من شئ أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت فى

صلب آدم أن لا تشرك بى وعن القرطبى أن كلا يكون بمعنى الردع وبمعنى حقا وكلا الوجهين جائزان هنا فعلى الثانى يكون تمام الكلام ينجيه فيوقف عليه ويكون كلا من الجملة الثانية التى تليه والمحققون على الاول ومن ذلك وضع السجاوندى علامة الوقف المطلق على كلا (انها) أى النار المدلول عليها بذكر العذاب والمراد جهنم (لظى) وهو علم للنار وللدركة الثانية منها منقول من اللظى بمعنى اللهب الخالص الذى لا يخالطه دخان فيكون فى غاية الاحراق لقوة حرارته النارية بالصفاء وهو خبر ان بمعنى مسماة بهذا الاسم ويجوز أن يراد اللهب الخالص على الاصل فيكون خبرا بلا تأويل كما قال الكاشفى بدرستى كه آتش دوزخ كه مجرم از وفدا دهد زبانه ايست خالص (وفى كشف الاسرار) آن آتشيست زبانه زن (نزاعة للشوى) نزع الشئ جذبه من مقره وقلعه والشوى الاطراف أى الاعضاء التى ليست بمقتل كالايدى والارجل ونزاعة على الاختصاص للتهويل أى أعنى بلظى جذابة للاعضاء الواقعة فى أطراف الجسد وقلاعة لها بقوة الاحراق لشدة الحرارة ثم تعود كما كانت وهكذا أبدا والشوى جمع شواة وهى جلدة الرأس يعنى أن النار تنزع جلود الرأس وتقشرها عنه وذلك لانهم كانوا يسعون بالاطراف للاذى والجفاء ويصرفون عن الحق الاعضاء الرئيسة التى تشتمل عليها الرأس خصوصا العقل الذى كانوا لا يعقلون به فى الرأس (تدعو من أدبر) أى عن الحق ومعرفته وهو مقابل أقبل ومعنى تدعو تجذب الى نفسها وتحضر فهو مجاز عن احضارهم كأنها تدعوهم فتحضرهم (قال الكاشفى) زبانه ميزند وكافررا بخود ميكشد از صد ساله ودويست ساله راه چنانچه مغناطيس آهن را جذب ميكند وتقول لهم الى الى يا كافر ويا منافق ويا زنديق فانى مستقرك أو تدعو الكافرين والمنافقين بلفظ فصيح باسمائهم ثم تلتقطهم كالتقاط الطير الحب ويجوز أن يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه فى جلودهم وأيديهم وأرجلهم وكما خلقه فى الشجرة أو تدعو زبانيتها على حذف المضاف أو على الاسناد المجازى حيث أسند فعل الداعى الى المدعو اليه (وتولى) أى أعرض عن الطاعة لان من أعرض يولى وجهه * وفى التأويلات النجمية من أدبر عن التوجه الى الحق بموافقات الشريعة ومخالفات الطبيعة وتولى عن الاقبال على الآخرة والادبار عن الدنيا وقال القاشانى بمناسبة نفسه للجحيم انجر اليها اذ الجنس الى الجنس يميل ولظى نار الطبيعة السفلية ما استدعت الا المدبر عن الحق المعرض عن جناب القدس وعالم النور المقبل بوجهه الى معدن الظلمة المؤثر لمحبة الجواهر الفانية السفلية المظلمة فانجذب بطبعه الى مواد النيران الطبيعية واستدعته وجذبته الى نفسها للجنسية فاحترق بنارها الروحانية المستولية على الافئدة فكيف يمكن الانجاء منها وقد طلبها بداعى الطمع ودعاها بلسان الاستعداد (وجمع) المال حرصا وحبا للدنيا (فأوعى) فجعله فى وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وتكبر باقتنائه وذلك لطول أمله وانعدام شفقته على عباد الله والا ما ادخر بل بذل وفى جمع الجمع مع الادبار والتولى تنبيه على قباحة البخل وخساسة البخيل وعلى أنه لا يليق بالمؤمن وفى الخبر يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج بين يدى الله وهو بالفارسية بره فيقول له أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فما صنعت فيقول رب جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان فارجعنى آتك به كله فاذا هو عبد لم يقدم خيرا فيمضى به الى النار وفى الخبر بصق عليه السلام يوما فى كفه ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله

لابن ادم تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض
منك وئيد يعني زمين را ازتو آواز شديد بود جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت أتصدق
وأنى أوان الصدقة وفي التأويلات النجمية جمع الكمالات الانسانية من الاخلاق الروحانية
والاوصاف الرحمانية ولم ينفق على الطلاب الصادقين العاشقين والمحبين المشتاقين بطريق
الارشاد والتعليم والتسليك (ان الانسان) أي جنس الانسان (خلق) حال كونه (هلوعا) مبالغة
هالع من الهلع وهو سرعة الجزع عند مس المكروه بحيث لا يستمسك وسرعة المنع عند مس
الخير يقال ناقة هلواع سريعة السير وهو من باب علم وقد فسره أحسن تفسير على ماروى عن ابن
عباس رضي الله عنهما قوله تعالى (اذا) ظرف لجزوعا (مسه الشر) أي أصابه ووصل اليه
الفقر أو المرض أو نحوهما (جزوعا) مبالغا في الجزع مكثرا منه لجهله بالقدر وهو ضد الصبر وقال
ابن عطاء الهلوع الذي عند الموجود يرضى وعند المفقود يسخط وفي الحديث شر ما أعطى ابن
آدم شح هالع وجبن خالع فالهالع المحزن يعني اندوهكين كننده والخالع الذي يخلع قلبه قال بعض
العارفين انما كرهت نفوس الخلق المرض لانه شاغل لهم عن أداء ما كلفوا به من حقوق الله تعالى
اذ الروح الحيواني حين يحس بالالم يغيب عن تدبير الجسد الذي يقوم بالتكليف وانما لم تكره
نفوس العارفين الموت لما فيه من لقاء الله تعالى فهو نعمة ومنة ولذلك ما خير نبي في الموت الا اختاره
(واذا) ظرف لمنوعا (مسه الخير) أي السعة أو الصحة أو غيرهما (منوعا) مبالغا في المنع والامساك
لجهله بالقسمة وثواب الفضل وللصحة مدخل في الشح فان الغني قد يعطي في المرض ما لا يعطيه في
الصحة ولذا كانت الصدقة حال الصحة أفضل ودر ابواب ازمقاتل نقل ميكندكه هلوع جانوريست
درپس كوه قاف كه هر روز هفت صحرا از كيا خالى ميكند يعني همه حشايش ازراى خورد وآب
هفت دريا مى آشامد ودركرما وسرما صبر نداريد وهر شب درانديشه آنست كه فردا چه خواهد
خورد پس حق سبحانه وتعالى آدمى را در بى صبرى وانديشه روزى بدين دابه تشبيه ميكند *
جانور را كه بجز آدميست * معده چو پر شد سبب بى غميست * آدميست آنكه نه سيرى برد *
بر سر سيرى غم روزى خورد * خورد همه عمر چه بيش وچه كم * روزى هر روز خوان كرم *
وزره حرص وامل همچنان * هيچ غمى نيست بجز فكر نان * والاوصاف الثلاثة وهي هلوعا
وجزوعا ومنوعا أحوال مقدرة لان المراد بها ما يتعلق به الذم والعقاب وهو ما يدخل تحت
التكليف والاختيار وذلك بعد البلوغ أو محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها كما قال المتنبي

الظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

ولا يلزم أن لا تفارقه بالمعالجات المذكورة في كتب الاخلاق فانها كبرودة الماء ليست من
اللوازم المهيئة للوجود بل انما حصولها فيه بوضع الله تعالى وخلقه وهو يزيلها أيضا بالاسباب
التي سببها اذا أراد فان قيل فيلزم أن يكون له هلع حين كان في المهد صبيا قلنا نعم ولا محذور
ألا يرى أنه كيف يسرع الى الثدي ويحرص على الرضاع ويبكي عند مس الالم ويمتنع عما وسعه اذا
تمسك بشيء فزوحم فيه قال الراغب فان قيل ما الحكمة في خلق الانسان على مساوى الاخلاق
قلنا الحكمة في خلق الشهوة أن يمانع نفسه اذا نازعته نحوها ويحارب شيطانه عند تزيينه
المعصية فيستحق من الله مثوبة وجنة انتهى يعني كأنه ركب فيه الشهوة ركب فيه العقل الرادع

وحصلت الدلالة الى الصراط السوى من الشارع قال بعض العارفين الشح فى الانسان أمر جبلى لا يمكن زواله ولكن يتعطل بعناية الله تعالى استعماله لا غير فلذلك قال ومن يوق شح نفسه فأثبت الشح فى النفس الا أن العبد يوقاه بفضل الله وبرحمته وقال ان الانسان خلق هلوعا الخ وأصل ذلك كله أن الانسان استفاد وجوده من الله فهو مفطور على الاستفادة لا على الافادة فلا تعطيه حقيقته أن يتصدق أو يعطى أحدا شيأ ولذلك ورد الصدقة برهان يعنى دليل ان هذا الانسان وقى بها شح النفس يقول الفقير وعليه المزاح المعروف وهو أن بعض العلماء وقع فى الماء فكاد يغرق فقال له بعض الحاضرين يا سلطانى ناولنى يدك فقيل لا تقل هكذا فانه اعتاد الاخذ لا الاعطاء بل قل خذ يدى وقال بعضهم الغضب والشره والحرص والجبن والبخل والحسد وصف جبلى فى الانسان والجان وما كان من الجبلة فمحال أن يزول الا بانعدام الذات الموصوفة به ولهذا عين الشارع صلى الله عليه وسلم لهذه الامور مصارف فقال لا حسد الا فى اثنتين وأمر بالغضب لله لا حمية جاهلية وقال ولا تقل لهما أف ثم مدح من قال أف لكم ولما تعبدون من دون الله وقال فلا تخافوهم ثم قال وخافون فالكل يستعملون هذه الصفات استعمالا محمودا وكثير من الفقراء يظنون زوال هذه الصفات منهم حين يعطل الله استعمالها فيهم وليس كذلك يقول الفقير ومنه يعلم صحة قول من قال ان النفس لامارة بالسوء وان كانت نفس الانبياء على ما اسلفناه فى سورة يوسف والحاصل ان أصول الصفات باقية فى الكل لبقاء المحاربة مع النفس اذ لا يحصل الترقى الا بالمحاربة والترقى مستمر الى الموت فكذا المحاربة المبنية على بقاء أصول الصفات فأصل النفس أمارة لكن لا يظهر أثرها فى الكاملين كما يظهر فى الناقصين فاعلم ذلك قال القاشانى ان النفس بطبعها معدن الشر ومأوى الرجس لكونها من عالم الظلمات فمن مال اليها بقلبه واستولى عليه مقتضى جبلته وخلقته ناسب الامور السفلية واتصف بالرذائل التى أرداها الجبن والبخل المشار اليهما بقوله واذا مسه الشر الخ لمحبة البدن ما يلائمه وتسببه فى شهوته ولذاته وانما كانا أردأ لانجذابهما القلب الى أسفل مراتب الوجود وفى التأويلات النجمية يشير الى هلع الانسان المستعد لقبول الفيض الالهى ساعة فساعة ولحظة فلحظة وعدم صبره عن بلوغه الى الكمال فانه لا يزال فى طريق السلوك يتعلق باسم من الاسماء الالهية ويتحقق به ويتخلق ثم يتوجه الى اسم آخر الى أن يستوفى سلوك جميع الاسماء اذا مسه الشر الفترة الواقعة فى الطريق يجزع ويضطرب ويتقلقل ولا يعلم أن هذه الفترة الواقعة فى طريقه بسبب اسرعة سلوكه وموجب لقوة سيره وطيرانه واذا مسه الخير من المواهب الذاتية والعطايا الاسمائية يمنع من مستحقيه ويبخل على طالبيه (الا المصلين) استثناء من الانسان لانه فى معنى الجمع للجنس وهذا الاستثناء باعتبار الاستمرار أى ان المطبوعين على الصفات الرذيلة مستمرون عليها الا المصلين فانهم بدلوا تلك الطبائع واتصفوا بأضدادها (الذين هم) تقديم هم يفيد تقوية الحكم وتقريره فى ذهن السامع كما فى قولك هو يعطى الجزيل قصدا الى تحقيق أنه يفعل اعطاء الجزيل (على صلاتهم دائمون) لا يشغلهم عنها شاغل فيواظبون على أدائها كما روى عن النبى عليه السلام أنه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقالت عائشة رضى الله عنها كان عمله ديمة فقدم الصلاة على سائر الخصال لقوله عليه السلام اول ما افترض الله على أمتى الصلوات الخمس وأول ما يرفع من أعمالها الصلوات

الخمس وأول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان فسدت فقد خاب وخسر وانها آخر ما يجب عليه رعايته فانه يؤخر الصوم فى المرض دون الصلاة الا أن لا يقدر على التيمم والايماء ولذا ختم الله الخصال بها كما قال والذين هم على صلاتهم يحافظون وكان آخر ما أوصى به عليه السلام الصلاة وما ملكت أيمانكم وفى الآية اشارة الى صلاة النفس وهى التزكية عن المخالفات الشرعية وصلاة القلب وهى التصفية عن الميل الى الدنيا وشهواتها وزخارفها وصلاة السر وهى التخلية عن الركون الى المقامات العالية والمراتب السنية وصلاة الروح وهى بالمكاشفات الربانية والمشاهدات الرحمانية والمعاينات الحقانية وصلاة الخفى وهى بالفناء فى الحق والبقاء به فالكمل يداومون على هذه الصلوات (والذين) أى والا الذين (فى أموالهم حق معلوم) أى نصيب معين يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة والصدقة الموظفة (للسائل) أى للذى يسأل ومن كان له قوت يوم لا يحل له السؤال وأما حكم الدافع له عالما بحاله فكان القياس أن يأثم لانه اعانة على الحرام لكنه يجعله هبة ولا اثم فى الهبة للغنى وله أن يرده برد جميل مثل أن يقول آتاكم الله من فضله (والمحروم) الذى لا يسأل اما حياء أو توكلا فيظن أنه غنى فيحرم وفيه اشارة الى أحوال الحقائق والمعارف الحاصلة من رأس مال الاعمال الصالحة والاحوال الصادقة ففيها حق معلوم للسائل وهو المستعد للسلوك والاجتهاد فينبغى أن يفيض عليه ويرشده الى طلب الحق والمحروم هو الراضى الساقط على أرض العجز بسبب الاهل والعيال والاشتغال بأسبابهم فيسليهم ويطيب قلوبهم برحمة الله وغفرانه ويفيض عليهم من بركات أنفاسه الشريفة لئلا يحرم من كرم الله وفيضه (والذين يصدقون بيوم الدين) أى بأعمالهم حيث يتعبون أنفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء فمجرد التصديق بالجنان واللسان وان كان ينجى من الخلود فى النار لكن لا يؤدى الى أن يكون صاحبه مستثنى من المطبوعين بالاحوال المذكورة قال القاشانى والذين يصدقون من أهل اليقين البرهانى أو الاعتقاد الايمانى بأحوال الآخرة والمعاد وهم أرباب القلوب المتوسطون (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على أنفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما للجناية تعالى (قال الكاشفى) وعلامت ترس الهى اجتناب از ملاهى ومناهيست وقال الحسن يشفق المؤمن أن لا تقبل حسناته وتقديم من يحسن أن يكون للحصر امتثالا لامره تعالى فارهبون مع جواز أن يكون للتقوية (ان عذاب ربهم غير مأمون) بدرستى كه عذاب خداوند ايشان نه آنست كه از ان ايمن باشند وهو اعتراض مؤذن بأنه لا ينبغى لاحد ان يأمن عذابه تعالى وان بالغ فى الطاعة والاجتهاد بل يكون بين الخوف والرجاء لانه لا يعلم أحد عاقبته قال القاشانى والذين هم الخ أى أهل الخوف من المبتدين فى مقام النفس السائرين عنه بنور القلب لا الواقفين معه أو المشفقين من عذاب الحرمان والحجاب فى مقام القلب من السالكين أو فى مقام المشاهدة من التلوين فانه لا يؤمن الاحتجاب ما بقيت بقية كما قال ان عذاب ربهم غير مأمون ومن العذاب اعجاب المرء بنفسه فانه من الموبقات الموقعات فى عذاب نار الجحيم وجحيم العقاب نسأل الله العافية (والذين هم لفروجهم) فرج الرجل والمرأة سوآتهما أى قبلهما عبر به عنها رعاية

للادب فى الكلام وأدب المرء خير من ذهبه والجار متعلق بقوله (حافظون) من الزنا متعففون عن مباشرة الحرام فان حفظ الفرج كناية عن العفة (الا على) بمعنى من كما فى كتب النحو (أزواجهم) نسائهم المنكوحات (أو ما ملكت أيمانهم) من الجوارى فى أوقات حلها كالطهر من الحيض والنفاس ومضى مدة الاستبراء عبر عنهن بما اجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء أو لانوثتهن المنبئة عن القصور وايراد ما ملكت الايمان يدل على أن المراد من الحافظين هنا الذكور وان كان الحفظ لازما للاناث أيضا بل أشد لانه لازم عليهن على عبيدهن وان كانوا مما ملكت أيمانهن ترجيحا لجانب الذكور فى صيانة عرضهم (فانهم) أى الحافظين (غير ملومين) على عدم حفظها منهن أى غير معيوبين شرعا فلا يؤاخذون بذلك فى الدنيا والآخرة وبالفارسية بجاى سرزنش نيستند وفيه اشعار بأن من لم يحفظ تكفيه ملامة اللائمين فكيف العذاب (فمن ابتغى) پس هركه طلب كند براى نفس خود (وراء ذلك) الذى ذكر وهو الاستمتاع بالنكاح وملك اليمين وحد النكاح أربع من الحرائر ولا حد لملك اليمين (فاولئك) المبتغون (هم العادون) المتعدون لحدود الله الكاملون فى العدوان المتناهون لانه من عدا عليه اذا تجاوز الحد فى الظلم ودخل فيه حرمة وطء الذكران والبهائم والزنا وقيل يدخل فيه الاستمناء أيضا روى أن العرب كانوا يستمنون فى الاسفار فنزلت الآية وفى الحديث ومن لم يستطع أى التزوج فعليه بالصوم استدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء لانه عليه السلام أرشد عند العجز عن التزوج الى الصوم الذى يقطع الشهوة فلو كان الاستمناء مباحا لكان الارشاد اليه أسهل وقد أباح الاستمناء طائفة من العلماء وهو عند الحنابلة وبعض الحنفية لاجل تسكين الشهوة جائز وفى رواية الخلاصة الصائم اذا عالج ذكره حتى أمنى يجب عليه القضاء ولا كفارة عليه ولا يحل هذا الفعل خارج رمضان ان قصد قضاء الشهوة وان قصد تسكين شهوته أرجو أن لا يكون عليه وبال وفى بعض حواشى البخارى والاستمناء باليد حرام بالكتاب والسنة قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله فاولئك هم العادون أى الظالمون المتجاوزون من الحلال الى الحرام قال البغوى الآية دليل على أن الاستمناء باليد حرام قال ابن جريج سألت ابن عطاء عنه فقال سمعت أن قوما يحشرون حبالى وأظن أنهم هؤلاء وعن سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم والواجب على فاعله التعزير كما قال بعضهم نعم يباح عند أبى حنيفة وأحمد اذا خاف على نفسه الفتنة وكذلك يباح الاستمناء بيد امرأته وجاريته لكن قال القاضى حسين مع الكراهة لانه فى معنى العزل وفى التاتارخانية قال أبو حنيفة أحسبه أن ينجو رأسا برأس * يقول الفقير من اضطر الى تسكين شهوته فعليه أن يدق ذكره بحجر كما فعله بعض الصلحاء المتقين حين التوقان صيانة لنفسه عن الزنا ونحوه والحق أحق أن يتبع وهو العمل بالارشاد النبوى الذى هو الصوم فان اضطر فالعمل بما ذكرناه أولى وأقرب من أفعال أهل الورع والتقوى (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) لا يخلون بشئ من حقوقها والامانة اسم لجنس ما يؤتمن عليه الانسان سواء كان من جهة البارى تعالى وهى أمانات الدين التى هى الشرائع والاحكام أو من جهة الخلق وهى الودائع ونحوها والجمع بالنظر الى اختلاف الانواع وكذا العهد شامل لعهد الله وعهد الناس وهو ما عقده الانسان على نفسه لله أو لعباده وهو يضاف الى المعاهد والمعاهد فيجوز هنا الاضافة الى الفاعل

والمفعول

والمفعول وقال الجنيد قدس سره الامانة المحافظة على الجوارح والعهد حفظ القلب مع الله على التوحيد والرعاية القيام على الشئ بحفظه واصلاحه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيانة عند الائتمان والكذب عند التحديث والغدر عند المعاهدة والفجور عند المخاصمة من خصال المنافق * اكرمى بايد ازآتش امانت * فرومكذار قانون امانت * بهر عهدى كه مى بندى وفا كن * رسوم حق كزارى را ادا كن * قال بعض الكبار كل من اتصف بالامانة وكتم الاسرار سمع كلام الموتى وعذابهم ونعيمهم كما سمعت البهائم عذاب أهل القبور لعدم النطق وكذلك يسمع من اتصف بالامانة كلام أعضائه له فى دار الدنيا لانها حية ناطقة ولذلك تستشهد يوم القيامة فتشهد ولا يشهد الا عدل مرضى بلا شك وفى التأويلات النجمية يشير الى الامانة المعروضة على السموات والارض والجبال وهى كمال المظهرية وتمام المضاهاة الالهية والى عهد ميثاق ألست بربكم قالوا بلى ورعاية ذلك العهد أن لا يخالفه بالمخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية وقال بعضهم والذين هم لاماناتهم التى استودعوها بحسب الفطرة من المعارف العقلية وعهدهم الذى أخذ الله ميثاقه منهم فى الازل راعون بأن لم يدنسوا الفطرة بالغواشى الطبيعية والاهواء النفسانية (والذين هم بشهاداتهم) الباء متعلق بقوله (قائمون) سواء كانت للتعدية أم للملابسة والجمع باعتبار أنواع الشهادة أى مقيمون لها بالعدل ومؤدوها فى وقتها احياء لحقوق الناس فالمراد بالقيام بالشهادة أداؤها عند الاحكام على من كانت هى عليه من قريب أو بعيد شريف أو وضيع قال عليه السلام اذا علمت مثل الشمس فاشهد والا فدع وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الامانات لابانة فضلها لان فى اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها وفى كتمها وتركها تضييعها وابطالها وفى الاشباه اذا كان الحق يقوم بغيرها أو كان القاضى فاسقا أو كان يعلم أنها لا تقبل جاز الكتمان وفى فتح الرحمن تحمل الشهادة فرض كفاية وأداؤها اذا تعين فرض عين ولا يحل أخذ أجرة عليها بالاتفاق فاذا طلبه المدعى وكان قريبا من القاضى لزمه المشى اليه وان كان بعيدا أكثر من نصف يوم لا يأثم بتخلفه لانه يلحقه الضرر وان كان الشاهد يقدر على المشى فأركبه المدعى من عنده لا تقبل شهادته وان كان لا يقدر فأركبه لا بأس به ويقتصر فى المسلم على ظاهر عدالته عند أبى حنيفة رحمه الله الا فى الحدود والقصاص فان طعن الخصم فيه سأل عنه وقال صاحباه يسأل عنهم فى جميع الحقوق سرا وعلانية وعليه الفتوى وجعل بعضهم شهادة التوحيد داخلة فيها كما قال سهل رحمه الله قائمون بحفظ ما شهدوا به من شهادة أن لا اله الا الله فلا يشركون به فى شئ من الافعال والاقوال والاحوال وقال القاشانى فى الآية أى يعملون بمقتضى شاهدهم من العلم فبكل ما شهدوه قاموا بحكمه وصدروا عن حكم شاهدهم لا غير (والذين هم على صلاتهم يحافظون) تقديم على صلاتهم يفيد الاختصاص الدال على أن محافظتهم مقصورة على صلاتهم لا تتجاوز الى أمور دنياهم أى يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها ويحفظونها من الاحباط باقتراف الذنوب فالدوام المذكور أولا يرجع الى أنفس الصلوات والمحافظة الى أحوالها وفى المفردات فيه تنبيه على أنهم يحفظون الصلاة بمراعاة أوقاتها وأركانها والقيام بها فى غاية ما يكون من الطوق فان الصلاة تحفظهم بالحفظ الذى نبه عليه فى قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفى الحديث من حافظ عليها كانت له نورا

وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة
مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف وهو الذي ضربه النبي عليه السلام في غزوة أحد
برمح في عنقه فمات منه في طريق مكة وكان أشد وأطغى من أبي جهل دل عليه كونه مقتولا بيد
النبي عليه السلام ولم يقتل عليه السلام بيده غيره وبعض العلماء جعل المحافظة شاملة للادامة
على ماهو الظاهر من قوله تعالى حافظوا على الصلوات فيكون من قبيل التعميم بعد التخصيص
لتتميم الفائدة وللاشعار بان الصلاة أول مايجب على العبد أداؤه بعد الايمان وآخر مايجب
عليه رعايته بعده كما سبق وكفته اندوام تعلق بفرائض دارد ومحافظت بنوافل والحاصل أن في
تكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على سائر
الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات ايذانا بأن كل
واحدة من تلك الصفات حقيق بأن يفرد لها موصوف مستقل لشأنها الخطير ولا يجعل شئ منها
تتمة للاخرى قال بعضهم دلت هذه الآية على أن التغاير المفهوم من العطف ليس بذاتي بل هو
اعتباري اذ لا يخفى أنه ليس المراد من الدائمين طائفة والحافظين أخرى فالمقصود مدح المؤمنين
بما كانوا عليه في عهد رسول الله من الاخلاق الحسنة والاعمال المرضية ففيه ترغيب لمن يجئ
منهم الى يوم القيامة وترهيب عن المخالفة قال في برهان القرآن قوله الا المصلين عد عقيب ذكرهم
الخصال المذكورة أول سورة المؤمنين وزاد في هذه السورة والذين هم بشهاداتهم قائمون
لانه وقع عقيب قوله والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون واقامة الشهادة أمانة يؤديها اذا
احتاج اليها صاحبها لاحياء حق فهي اذا من جملة الامانة في سورة المؤمنين وخصت هذه السورة
بزيادة بيانها كما خصت باعادة ذكر الصلاة حيث يقول والذين هم على صلاتهم يحافظون
بعد قوله الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون انتهى وقال القاشاني والذين هم على
صلاة القلب وهي المراقبة يحافظون أو صلاة النفس على الظاهر وفي فتح الرحمن واتفق القراء
على الافراد في صلاتهم هنا وفي الانعام بخلاف الحرف المتقدم في المؤمنين لانه لم يكتنفها فيهما
ما اكتنفها في المؤمنين قبل وبعد من تعظيم الوصف في المتقدم وتعظيم الجزاء في المتأخر فناسب
لفظ الجمع ولذلك قرأ به أكثر القراء ولم يكن ذلك في غيرها فناسب الافراد (أولئك) الموصوفون
بما ذكر من الصفات الفاضلة (في جنات) أي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها
(مكرمون) بالثواب الابدي والجزاء السرمدي أي سيكونون كذلك فكأن الاكرام فيها
واقع لهم الآن وهو خبر آخر وهو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل أو بعضهم
هو حال من الضمير في الخبر أي مكرمون كائنين في جنات (فمال الذين) أي فما بال الذين (كفروا)
وحرموا من الاتصاف بالصفات الجليلة المذكورة وما استفهامية للانكار في موضع رفع
بالابتداء والذين كفروا خبرها واللام الجارة كتبت مفصولة اتباعا لمصحف عثمان رضي الله عنه
قال في فتح الرحمن وقف أبو عمرو والكسائي بخلاف عنه على الالف دون اللام من قوله
فمال هؤلاء في النساء ومال هذا الكتاب في الكهف ومال هذا الرسول في الفرقان وفمال الذين
في سأل ووقف الباقون في قال على اللام اتباعا للخط بخلاف عن الكسائي قال ابن عطية ومنعه
قوم جملة لانها حرف جر فهي بعض المجرور وهذا كله بحسب ضرورة وانقطاع نفس وأما

ان اختار أحد الوقف فيما ذكرناه ابتداء فلا انتهى (قبلك) حال من المنوى فى للذين كفروا أى فالهم
نابتين حولك (مهطعين) حال من المستكن فى قبلك من الاهطاع وهو الاسراع أى مسرعين
نحوك مادين أعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) الجار
متعلق بعزين لانه بمعنى مفترقين وعزين حال بعد حال من المنوى فى للذين أى فرقا شتى وبالفارسية
كروه كروه زد كان من جمع عزة وهى الفرقة من الناس وأصلها عزوة من العزو بمعنى الانتماء
والانتساب كأن كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى اما فى الولادة أو فى المظاهرة
فهم مفترقون كان المشركون يتحلقون حول رسول الله حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزؤن بكلامه
ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (أيطمع) الطمع نزوع
النفس الى الشئ شهوة له وأكثر الطمع من جهة الهوى (كل امرئ) هر مردى (منهم) اى
من هؤلاء المهطعين (أن يدخل جنة نعيم) بالايمان أى جنة ليس فيها الا التنعم المحض من
غير تكدر وتنغص (كلا) ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ أى اتركوا هذا الطمع واقطعوا مثل
هذا الكلام وبالفارسية نه اينچنينست وكافرانرا در بهشت راه نيست ان قيل كيف يكون
الطمع وهم قالوا ذلك استهزاء أجيب بأن الله عليم بأحوالهم فلعل منهم من كان يطمع والا فيكون
المراد من الردع قطع وهم الضعفاء عن احتمال صدق قولهم لعل وجه ايراد يدخل مجهولا من
الادخال دون يدخل معلوما من الدخول مع أنه الظاهر فى رد قولهم لندخلنها اشعار بأنه لا يدخل
من يدخل الا بادخال الله وأمره للملائكة به وبأنهم محرومون من شفاعة تكون سببا للدخول
وبأن اسناد الدخول اخبارا وانشاء انما يكون للمرضى عنهم والمكرمين عند الله بايمانهم
وطاعتهم كقوله تعالى أولئك يدخلون الجنة وقوله ادخلوا الجنة وفى تنكير جنة اشعار بأنهم
مردودون من كل جنة وان كانت الجنان كثيرة وفى توصيفها بنعيم اشعار بأن كل جنة مملوءة
بالنعمة وان من طرد من راحة النعيم وقع فى كدر الجحيم وفى ايراد كل اشعار بأن من آمن منهم
بعد قولهم هذا وأطاع الله ورسوله حق له الطمع وتعميم للردع لكل منهم كائنا من كان
ممن لم يؤمن (انا خلقناهم مما يعلمون) كما قال ولقد علمتم النشأة الاولى وهو كلام مستأنف ومن
ذلك وضع السجاوندى علامة الطاء على كلا لتمام الكلام عنده قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان
قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله وبما نزل عليه من
الوحى وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما آخرين فان قدرته تعالى على
ما يعلمون من النشأة الاولى من حال النطفة ثم العلقة ثم المضغة حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك
كما تفصح عنه الفاء الفصيحة فى قوله تعالى فلا أقسم * وفى التأويلات النجمية انا خلقناهم من
الشقاوة الازلية للعداوة الأبدية باليد اليسرى الجلالية القهرية كيف ينزلون مكان من
خلقهم من السعادة الازلية للمحبة الأبدية باليد اليمنى الجمالية اللطفية هذا مما يخالف الحكمة
الالهية والارادة السرمدية ولا عبرة بالنطفة والطين لاشتراك الكل فيهما وانما العبرة
بالاصطفائية والخاصة فى المعرفة فمن عرف الله كان فى جوار الله لان ترابه من تراب الجنة
فى الحقيقة وروحه من نور الملكوت ومن جهله كان فى بعد عنه لانه من عالم النار فى الحقيقة وكل
يرجع الى أصله (فلا أقسم) أى أقسم كما سبق نظائره (وقال الكاشفى) پس سوكند ياد ميكنم

كفار ميكويند اقسم سوكند ميخورم (برب المشارق والمغارب) جمع المشارق والمغارب
امالان المراد بهما مشرق كل يوم من السنة ومغربه فيكون لكل من الصيف والشتاء مائة
وثمانون مشرقا ومغربا وبالفارسية با آفريدكار مشرقها كه آفتاب دارد وهر روز از نقطهٔ ديكر
طلوع مينمايد وبخداوند مغربها كه آفتاب راهست وهر روز بنقطهٔ ديكر غروب ميكند
أو مشرق كل كوكب ومغربه يعني مراد مشارق ومغارب نجوم ست چه هر يك از ايشان را
محل شروق وغروب نزد آنرا افق نقطهٔ ديكرست * أو المراد بالمشرق ظهور دعوة كل نبي
وبالمغرب موته أو المراد أنواع الهدايات والخذلانات (انا لقادرون) جواب القسم (على أن
نبدل خيرا منهم) أي نبدلهم حذف المفعول الاول للعلم به وخيرا مفعوله الثاني بمعنى التفضيل على
التسليم اذ لا خير في المشركين أو نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتي بدلهم بخلق آخرين
ليسوا على صفتهم ولم يقع هذا التبديل وانما ذكر الله ذلك تهديدا لهم لكي يؤمنوا وقيل بدل الله
بهم الانصار والمهاجرين (وما نحن بمسبوقين) بمغلوبين ان أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على
الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم وبالفارسية يعني كسي برما پيشي نتواند كرفت اكر
ارادهٔ امري كنيم ومغلوب نتوان ساخت در اظهار آن وقيل عاجزين لان من سبق الى شيء عجز
(فذرهم) فخلهم وشأنهم (يخوضوا) ويشرعوا في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم وهو جواب
الامر وهو تهديد لهم وتوبيخ كقوله اعملوا ما شئتم (ويلعبوا) في الدنيا بالاشتغال بما لا ينفعهم
وأنت مشتغل بما أمرت به وهذه الآية منسوخة بالسيف (حتى يلاقوا) من الملاقاة بمعنى
المعاينة (يومهم) هو يوم البعث عند النفخة الثانية والاضافة لانه يوم كل الخلق وهم منهم أو لان
يوم القيامة يوم الكفار من حيث العذاب ويوم المؤمنين من جهة الثواب فكأنه يومان يوم
للكافرين ويوم للمؤمنين (الذي يوعدون) الآن أو على الاستمرار وهو من الوعد كقولهم متى
هذا الوعد ويجوز أن يكون من الايعاد وهو بالفارسية بيم كردن (يوم يخرجون من الاجداث)
بدل من يومهم ولذا حمل على يوم البعث جمع جدث وهو القبر (سراعا) حال من مرفوع
يخرجون جمع سريع كظراف جمع ظريف أي مسرعين الى جانب الداعي وصوته وهو اسرافيل
ينادي على الصخرة كما سبق (كأنهم الى نصب) حال ثانية من المرفوع وهو كل ما نصب فعبد من
دون الله وعن ابن عمر رضي الله عنهما هو شبكة يقع فيها الصيد فيسارع اليها صاحبها او احد
الانصاب كما قال تعالى وما ذبح على النصب وكان للعرب حجارة تعبدها وتذبح عليها وقال
الاخفش جمع نصب كرهن ورهن والانصاب جمع الجمع (يوفضون) من الايفاض وهو بالفارسية
شتافتن وأصله متعد أي يسرعون أيهم يستلمه أولا وفيه تهجين لحالهم الجاهلية وتهكم بهم
بذكر جهالتهم التي اعتادوها من الاسراع الى ما لا يملك نفعا ولا ضرا (خاشعة أبصارهم) حال من
فاعل يوفضون وأبصارهم فاعلها على الاسناد المجازي يعني وصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه
وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعون ما يتوقعون من العذاب
(ترهقهم ذلة) هو أيضا حال من فاعل يوفضون أي تغشاهم ذلة شديدة وحقارة عظيمة وهو
بالفارسية خواري ونكونساري (ذلك) اليوم المذكور الذي سيقع فيه الاحوال الهائلة وهو
مبتدأ خبره قوله (اليوم الذي كانوا يوعدون) أي يوعدونه في الدنيا على ألسنة الرسل وهم

يكذبون به فاندفع توهم التكرار لان الوعد الاول محمول على الآتى والاستمرارى كما مر وهذا الوعد محمول على الماضى بدلالة لفظ كان وفى الذلة اشارة الى ذلة الانانية فانهم يوم يخرجون من الاجداث يسارعون الى صور تناسب هيا آتهم الباطنة فيكون أهل الانانية فى أنكر الصور بحيث يقع المسخ على ظاهرهم وباطنهم كما وقع لابليس بقوله أنا خير منه فكما ان ابليس طرد من مقام القرب ورهقته ذلة البعد فكذا من فى حكمه من الانس ولذا كان السلف يبكون دما من الاخلاق السيئة لاسيما ما يشعر بالانانية من آثار التعين فان التوحيد الحقيقى هو أن يصير العبد فانيا عن نفسه باقيا بربه فاذا لم يحصل هذا فقد بقى فيه بقية من الناسوتية وكل اناء يترشح بما فيه فطوبى لمن ترشح منه الحق لا النفس والله أسأل أن يكرمنى به واياكم

(تمت سورة المعارج بعون خالق الداخل والخارج فى العاشر من شوال سنة ست عشرة ومائة وألف)

(سورة نوح مكية وآيها سبع أو ثمان وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا أرسلنا نوحا الى قومه) مر سر نون العظمة مرارا والارسال يقابل بالامساك يكون للتسخير كارسال الريح والمطر ببعث من له اختيار نحو ارسال الرسل وبالتخلية وترك المنع نحو انا أرسلنا الشياطين على الكافرين قال قتادة أرسل نوح من جزيرة فذهب اليهم ونوح اسمه عبد الغفار عليه السلام سمى نوحا لكثرة نوحه على نفسه أو هو سريانى معناه الساكن لان الارض طهرت من خبث الكفار وسكنت اليه وهو أول من أوتى الشريعة فى قول وأول أولى العزم من الرسل على قول الاكثرين وأول نذير على الشرك وكان قومه يعبدون الاصنام وأول من عذبت أمته وهو شيخ المرسلين بعث ابن أربعين سنة أو ثلثمائة وخمسين أو أربعمائة وثمانين ولبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان تسعين سنة قال بعض من تصدى للتفسير فيه دلالة على أنه لم يرسل الى أهل الارض كلهم لانه تعالى قال الى قومه فلو أرسل الى الكل لقيل الى الخلق أو ما يشابهه كما قيل لرسول الله وما أرسلناك الا كافة للناس ولقول رسول الله كان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة ثم قال ان قيل فما جريمة غير قومه حتى عمهم فى الدعاء عليهم كما قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فانه اذا لم يرسل اليهم لم يكن كلهم مخالفا لامره وعاصيا له حتى يستحقوا الدعاء بالاهلاك أجيب بأنه يحتمل أنه تحقق ان نفوس كفرة زمانه على سجية واحدة يستحقون بذلك أن يدعى عليهم بالاهلاك أيضا انتهى وفيه نظر لانه قال فى انسان العيون فى قوله عليه السلام وكان كل نبى انما يرسل الى قومه أى جميع أهل زمنه أو جماعة منهم خاصة ومن الاول نوح عليه السلام فانه كان مرسلا لجميع من كان فى زمنه من أهل الارض ولما أخبر بأنه لا يؤمن منهم الا من آمن معه وهم أهل السفينة وكانوا ثمانين اربعين رجلا وأربعين امرأة أو كانوا أربعمائة كما فى العوارف وقد يقال من الآدميين وغيرهم فلا مخالفة دعا على من عدا من ذكر باستئصال العذاب لهم فكان الطوفان الذى كان به هلاك جميع أهل الارض الا من آمن ولو لم يكن مرسلا اليهم ما دعا عليهم بسبب مخالفتهم له فى عبادة الاصنام لقوله تعالى وما كنا معذبين أى فى الدنيا حتى نبعث رسولا وقول بعض المفسرين

أرسل الى آل قابيل لا ينافى ما ذكر لانه يجوز أن يكون آل قابيل أكثر أهل الارض وقتئذ وقد ثبت أن نوحا عليه السلام أول الرسل اى لمن يعبد الاصنام لان عبادة الاصنام أول ما حدثت فى قومه وأرسله الله اليهم ينهاهم عن ذلك وحينئذ لا يخالف كون أول الرسل آدم أرسله الله الى أولاده بالايمان به تعالى وتعليم شرائعه فان قلت اذا كانت رسالة نوح عامة لجميع أهل الارض كانت مساوية لرسالة نبينا عليه السلام قلت رسالة نوح عليه السلام عامة لجميع أهل الارض فى زمنه ورسالة نبينا محمد عليه السلام عامة لجميع من فى زمنه ومن يوجد بعد زمنه الى يوم القيامة فلا مساواة وحينئذ يسقط السؤال وهو أنه لم يبق بعد الطوفان الا مؤمن فصارت رسالة نوح عامة ويسقط جواب الحافظ ابن حجر عنه بأن هذا العموم الذى حصل بعد الطوفان لم يكن من أصل بعثته بل طرأ بعد الطوفان بخلاف رسالة نبينا عليه السلام (أن) أى (أنذر قومك) خوفهم بالنار على عبادة الاصنام كى ينتهوا عن الشرك ويؤمنوا بالله وحده فأن مفسرة لما فى الارسال من معنى القول ويجوز أن تكون مصدرية حذف منها الجار وأوصل اليها الفعل أى بأن أنذرهم وجعلت صلتها أمرا كما فى قوله تعالى وأن أقم وجهك لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية فى الموصول الاسمى انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفى كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء فى الدلالة على المصدر استويا فى صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الامر والنهى والمضى والاستقبال كأنه قيل أرسلناه بالانذار كذا فى الارشاد وقال بعض العارفين الانبياء والاولياء فى درجات القرب على تفاوت فبعضهم يخرج من نور الجلال وبعضهم من نور الجمال وبعضهم من نور العظمة وبعضهم من نور الكبرياء فمن خرج من نور الجمال أورث قومه البسط والانس ومن خرج من نور العظمة أورث قومه الهيبة والجلال وكان نوح مشكاة نور عظمة الله ولذلك أرسله الى قومه بالانذار فلما عصوه أخذهم بالقهر (من قبل أن يأتيهم) من الله تعالى (عذاب أليم) عاجل كالطوفان والغرق أو آجل كعذاب الآخرة لئلا يبقى لهم عذر ما أصلا كما قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والأليم بمعنى المؤلم أو المتألم مبالغة والالم جسمانى وروحانى والثانى أشد كأنه قيل فما فعل نوح عليه السلام فقيل (قال) لهم (يا قوم) أى كروه من وأصله يا قومى خاطبهم باظهار الشفقة عليهم وارادة الخير لهم وتطييبا لهم (انى لكم نذير) منذر من عاقبة الكفر والمعاصى وأفرد الانذار مع كونه بشيرا أيضا لان الانذار أقوى فى تأثير الدعوة لان أكثر الناس يطيعون أولا بالخوف من القهر وثانيا بالطمع فى العطاء وأقلهم يطيعون بالمحبة للكمال والجمال * يقول الفقير الظاهر أن الانذار أول الامر كما قال تعالى لنبينا عليه السلام قم فأنذر والتبشير ثانى الامر كما قال تعالى وبشر المؤمنين فالانذار يتعلق بالكافرين والتبشير بالمؤمنين وان أمكن تبشير الكفار بشرط الايمان لا فى حال الكفر فانهم فى حال الكفر انما يستحقون التبشير التهكمى كما قال تعالى فبشرهم بعذاب أليم (مبين) موضح لحقيقة الامر بلغة تعرفونها أو بين الانذار (أن اعبدوا الله) متعلق بنذير أى بأن اعبدوا الله والامر بالعبادة يتناول جميع الواجبات والمندوبات من أفعال القلوب والجوارح (واتقوه) يتناول الزجر

عن جميع المحظورات والمكروهات (وأطيعون) يتناول أمرهم بطاعته في جميع المأمورات والمنهيات والاعتقاديات والعمليات * وفي التأويلات النجمية أي في أخلاق وصفاتي وأفعالي وأعمالي وأقوالي وأحوالي انتهى وهذا وان كان داخلا في الامر بعبادة الله وتقواه الا أنه خصه بالذكر تأكيدا في ذلك التكليف ومبالغة في تقريره قال بعضهم أصله وأطيعوني بالياء ولم يقل وأطيعوه بالهاء مع مناسبته لما قبله يعني أسند الاطاعة الى نفسه لما أن اطاعة الرسول اطاعة الله كما قال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى وأطيعوا الرسول فاذا كانوا مامورين باطاعة الرسول فكان للرسول أن يقول وأطيعون وأيضا ان الاجابة كانت تقع له في الظاهر (يغفر لكم) جواب الامر (من ذنوبكم) أي بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فان الاسلام يجب ما قبله الا ما تأخر عن الاسلام فانه يؤاخذ به ولا يكون مغفورا بسبب الايمان ولذا لم يقل يغفر لكم ذنوبكم بطي من التبعيضية فانه يعم مغفرة جميع الذنوب ما تقدم منها وما تأخر وقيل المراد بعض الذنوب بعض ما سبق على الايمان وهو ما لا يتعلق بحقوق العباد (ويؤخركم) بالحفظ من العقوبات المهلكة كالقتل والاغراق والاحراق ونحوها من أسباب الهلاك والاستئصال وكان اعتقادهم أن من أهلك بسبب من هذه الاسباب لم يمت بأجله فخاطبهم على المعقول عندهم فليس يريد أن الايمان يزيد في آجالهم كذا في بعض التفاسير (الى أجل مسمى) معين مقدر عند الله والاجل المدة المضروبة للشيء قال في الارشاد وهو الامد الاقصى الذي قدره الله لهم بشرط الايمان والطاعة صريح في أن لهم أجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا به وهو المراد بقوله تعالى (ان أجل الله) وهو ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر وهو الاجل القريب المطلق الغير المبرم بخلاف الاجل المسمى فانه البعيد المبرم وأضيف الاجل هنا الى الله لانه المقدر والخالق أسبابه وأسند الى العباد في قوله اذا جاء أجلهم لانهم المبتلون المصابون (اذا جاء) وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر (لا يؤخر) فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه فالمحكوم عليه بالتأخير هو الاجل المشروط بشرط الايمان والمحكوم عليه بامتناعه هو الاجل المشروط بشرط البقاء على الكفر فلا تناقض لانعدام وحدة الشرط ويجوز أن يراد به وقت اتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل أن يأتيهم عذاب أليم فانه أجل مؤقت له حتما (لو كنتم تعلمون) شيأ لسارعتم الى ما أمرتكم به أو لعلمتم أن الاجل لا تأخير فيه ولا امهال وفيه اشارة الى أنهم ضيعوا أسباب العلم وآلات تحصيله بتوغلهم في حب الدنيا وطلب لذاتهم حتى بلغوا بذلك الى حيث صاروا كأنهم شاكون في الموت * روزى كه اجل در آيد از پيش و پس * شك نيست كه مهلت ندهندت نفسى * يارى نرسد در ان دم از هيچ كسى * بر باد شود جمله هوا و هوسى (قال) أي نوح مناجيا لربه وحاكيا له وهو أعلم بحال ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل (رب) اى پروردگار من (اني دعوت قومي) الى الايمان والطاعة (ليلا ونهارا) في الليل والنهار أي دائما من غير فتور ولا توان فهما ظرفان لدعوت أراد بهما الدوام على الدعوة لان الزمان

منحصر فيهما وفى كشف الاسرار بشبها درخانهاى ايشان و بروزها درانجمنهاى ايشان وكان يأتى باب أحدهم ليلا فيقرع الباب فيقول صاحب البيت من على الباب فيقول أنا نوح قل لا اله الا الله (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) عما دعوتهم اليه * وفى التأويلات النجمية من متابعتى ودينى وما أنا عليه من آثار وحيك والفرار بالفارسية كريختن وهو مفعول ثان لقوله لم يزدهم لانه يتعدى الى مفعولين يقال زاده الله خيرا و زيده فزاد وازداد كما فى القاموس واسناد الزيادة الى الدعاء مع أنها فعل الله تعالى لسببيته لها والمعنى ان الله يريد الفرار عند الدعوة لصرف المدعو اختياره اليه (وانى كلما دعوتهم) أى الى الايمان * وفى التأويلات النجمية كلما دعوتهم بلسان الامر مجردا عن انضمام الارادة الموجبة لوقوع المأمور فان الامر اذا كان مجردا عن الارادة لا يجب أن يقع المأمور به بخلاف ما اذا كان مقرونا بالارادة فانه لا بد حينئذ من وقوع المأمور به (لتغفر لهم) بسببه (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) أى سدوا مسامعهم من استماع الدعوة فالجعل المذكور كناية عن هذا السد ولا مانع من الحمل على حقيقته بأن يدخلوا أصابعهم فى ثقب آذانهم قصدا الى عدم الاستماع (واستغشوا ثيابهم) الاستغشاء جامه بسر دركشيدن كما فى تاج المصادر مأخوذ من الغشاء وهو الغطاء وهو فى الاصل اشتمال من فوق ولما كان فيه معنى الستر استعمل بمعناه وأصل الاستغشاء طلب الغشى أى الستر لكن معنى الطلب هنا ليس بمقصود بل هو بمعنى التغطى والستر وانما جىء بصيغته التى هى السين للمبالغة والثياب جمع ثوب سمى به لثوب الغزل أى رجوعه الى الحالة التى قدرلها والمعنى وبالغوا فى التغطى بثيابهم كأنهم طلبوا منها أن تغشاهم أى جميع أجزاء بدنهم آلة الابصار وغيرها لئلا يبصروه كراهة النظر اليه فان المبطل يكره رؤية المحق للتضاد الواقع بينهما وقس عليهما المتكبر والكافر والمبتدع بالنسبة الى المتواضع والمؤمن والسنى أو لئلا يعرفهم فيدعوهم * يقول الفقير هذا الثانى ليس بشئ لان دعوته على ما سبق كانت عامة لجميع من فى الارض ذكورهم واناثهم والمعرفة ليست من شرط الدعوة واشتباه الكافر بالمؤمن مدفوع بأن المؤمن كان أقل القليل معلوما على كل حال على أن التغطى من موجبات الدعوة لان بذلك يعلم كونه من أهل الفرار اذ لم يكن فى ذلك الزمان حجاب وقال بعضهم ويجوز أن يكون التغطى مجازا عن عدم ميلهم الى الاستماع والقبول بالكلية لان من هذا شأنه لا يسمع كلام غيره (وأصروا) أى أكبوا وأقاموا على الكفر والمعاصى وفى قوت القلوب الاصرار يكون بمعنى أن يعتقد بقلبه أنه متى قدر على الذنب فعله أو لا يعتقد الندم ولا التوبة منه وأكبر الاصرار السعى فى طلب الاوزار (وفى تاج المصادر) الاصرار بر چيزى باستادن وكوش راست كردنست يقال أصر الحمار على العانة وهى القطيع من حمر الوحش اذا ضم أذنيه الى رأسه وأقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على الكفر والمعاصى والاكباب عليهما بتشبيه الاقبال المذكور باصرار الحمار على العانة يكدمها ويطردها ولو لم يكن فى ارتكاب المعاصى الا التشبيه بالحمار لكفى به مزجرة فكيف والتشبيه فى أسوأ حاله وهو حال الكدم والطرد للفساد (واستكبروا) تعظموا عن اتباعى وطاعتى وأخذتهم العزة فى ذلك (استكبارا) شديدا لانهم قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون قال بعض العارفين من أصر على المعصية أورثته التمادى فى الضلالة حتى يرى قبيح أعماله حسنا فاذا رآه حسنا يتكبر ويعلو بذلك

على

على أولياء الله ولا يقبل بعد ذلك نصيحتهم قال سهل قدس سره الاصرار على الذنب يورث النفاق والنفاق يورث الكفر (ثم انى دعوتهم) دعوة (جهارا) أى أظهرت لهم الدعوة يعنى آشكار در محافل ايشان والجهر ظهور الشئ بافراط لحاسة البصر أو حاسة السمع (ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) اشارة الى ذكر عموم الحالات بعد ذكر عموم الاوقات أى دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه مختلفة وأساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار أشد من الاسرار والجمع بينهما أغلظ من الافراد والاعلان ضد الاسرار يقال أسررت الى فلان حديثا أفضيت به اليه فى خفية أى من غير اطلاع أحد عليه وجهرت به أظهرته بحيث اطلع عليه الغير ويجوز أن يكون ثم لتراخى بعض الوجوه عن بعض بحسب الزمان بان ابتدأ بمناصحتهم ودعوتهم فى السر فعاملوه بالامور الاربعة وهى الجعل والتغطى والاصرار والاستكبار ثم ثنى بالمجاهرة بعد ذلك فلما لم يؤثر جمع بين الاعلان والاسرار أى خلط دعاءه بالعلانية بدعاء السر فكما كلهم جميعا كلمهم واحدا واحدا سرا وقال بعضهم آشكارا كردم مر بعض ايشانرا يعنى با آشكارا آواز برداشتم وباعلاى صوت دعوت كردم وبراز كفتم مر بعضى ديكر ازايشانرا وفى بعض التفاسير ان نوحا عليه السلام لما آذوه بحيث لا يوصف حتى كانوا يضربونه فى اليوم مرات عيل صبره فسأل الله أن يواريه عن أبصارهم بحيث يسمعون كلامه ولا يرونه فينالونه بمكروه ففعل الله ذلك به فدعاهم كذلك زمانا فلم يؤمنوا فسأل أن يعيده الى ما كان وهو قوله أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا وقال القاشانى ثم انى دعوتهم جهارا أى نزلت عن مقام التوحيد ودعوتهم الى مقام العقل وعالم النور ثم انى أعلنت لهم بالمعقولات الظاهرة وأسررت لهم فى مقام القلب بالاسرار الباطنة ليتوصلوا اليها بالمعقول (فقلت) لهم عقيب الدعوة عطف على قوله دعوت (استغفروا ربكم) اطلبوا المغفرة منه لانفسكم بالتوبة عن الكفر والمعاصى قبل الفوت بالموت (انه) تعالى (كان غفارا) للتائبين يجعل ذنوبهم كأن لم تكن والمراد من كونه غفارا فى الازل كونه مريدا للمغفرة فى وقتها المقدر وهو وقت وجود المغفور له وفى كشف الاسرار كان صلة اليه ورؤية التقصير فى العبودية الندم على ما ضاع من أيامهم بالغفلة عن الله وفى الحديث من أعطى الاستغفار لا يمنع المغفرة لانه تعالى قال استغفروا ربكم انه كان غفارا ولذا كان على رضى الله عنه يقول ما ألهم الله عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه وعن بعض العلماء قال الله تعالى ان أحب عبادى الى المتحابون بحبى والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار أولئك الذين اذا أردت أهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم والغفار أبلغ من الغفور وهو من الغافر وأصل الغفر الستر والتغطية ومنه قيل لجنة الرأس مغفر لانه يستر الرأس والمغفرة من الله ستره للذنوب وعفوه عنها بفضله ورحمته لا بتوبة العباد وطاعتهم وانما التوبة والطاعة للعبودية وعرض الافتقار وفى بعض الاخبار عبدى لو أتيتنى بقراب الارض ذنوبا لغفرتها لك ما لم تشرك بى (حكى) أن شيخا حج مع شاب فلما أحرم قال لبيك اللهم لبيك فقيل له لا لبيك فقال الشاب للشيخ ألا تسمع هذا الجواب فقال كنت أسمع هذا الجواب منذ سبعين سنة قال فلاى شئ تتعب نفسك فبكى الشيخ وقال فالى أى باب ألتجئ فقيل له قد قبلنا لك * همه طاعت آريد ومسكين نياز * بيا تا

بدركاه مسكين نواز * جوشاخ برهنه برآريم دست * كه بى برك ازين بيش نتوان نشست (يرسل السماء) أى المطر كما قال الشاعر * اذا نزل السماء بأرض قوم * وقال بعضهم أى ماء السماء فحذف المضاف (عليكم) حال كونه (مدرارا) أى كثير الدرور أى السيلان والانصباب وبالفارسية فرو كشايد بر شما باران بى در بى و بيهنكام وفى الارسال مبالغة بالنسبة الى الانزال وكذا المدرار صيغة مبالغة ومفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة معطار ويرسل جواب شرط محذوف أى ان تستغفروا يرسل السماء وفى قول النحاة فى مثله انه جواب الامر وهو ههنا استغفروا تسامح فى العبارة اعتمادا على وضوح المراد وكسر اللام بالوصل لتحرك الساكن به كأن قوم نوح تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يتقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا فأمرهم الله بما يمحق ما سلف منهم من المعاصى ويجلب عليهم المنافع وهو الاستغفار ولذلك وعدهم بالعوائد العاجلة التى هى أوقع فى قلوبهم من المغفرة وأحب اليهم اذ النفس حريصة بحب العاجل ولذلك جعلها جواب الامر بأن قال يرسل السماء الخ دون المغفرة بأن قال يغفر لكم ليرغبوا فيها ويشاهدوا أن أثرها وبركتها مما يقاس عليه حال المغفرة فالاشتغال بالطاعة سبب لانفتاح أبواب الخيرات كما أن المعصية سبب لخراب العالم بظهور أسباب القهر الالهى وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم ان آمنوا أن يرزقهم الله الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه * يقول الفقير هذا القول هو الموافق للحكمة لان الله تعالى يبتلى عباده بالخير والشر ليرجعوا اليه ألا ترى الى قريش حيث ان الله جعل لهم سبع سنين كسنى يوسف بدعاء النبى عليه السلام ليرجعوا عما كانوا عليه من الشرك فلم يرفعوا له رأسا (ويمددكم بأموال وبنين) أى يوصل اليكم ويعط لكم المدد والتقوية بهما كما قال الله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم (ويجعل لكم) أى وينشئ لكم (جنات) بساتين ذوات أشجار وأثمار (ويجعل لكم) فيها (أنهارا) جارية تزينها بالنبات وتحفظها عن اليبس وتفرح القلوب وتسقى النفوس كان الظاهر تقديم الجنات والانهار على الامداد لكونهما من توابع الارسال وانما أخرهما لرعاية رأس الآية وللاشعار بأن كلا منهما نعمة الهية على حدة وعن الحسن البصرى قدس سره أن رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له الآية قال فى فتح الرحمن ولذلك شرع الاستغفار فى الاستسقاء وهو الدعاء بطلب السقيا على وجه مخصوص فاذا أجدبت الارض وحبط المطر سن الاستسقاء بالاتفاق ومنع أبو حنيفة وأصحابه من خروج أهل الذمة ولم يمنعوا عند الثلاثة ولم يختلطوا بالمسلمين ولم ينفردوا بيوم وقد سبق بعض تفصيله فى سورة البقرة (ما لكم لا ترجون لله وقارا) انكار لان يكون لهم سبب ما فى عدم رجائهم لله تعالى وقارا على أن الرجاء بمعنى الاعتقاد أى الظن بناء على أنه أى الرجاء انما يكون بالاعتقاد وأدنى درجته الظن والوقار فى الاصل السكون والحلم وهو ههنا بمعنى العظمة لانه يتسبب عنها فى الاغلب ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة له

والمعنى أى سبب حصل لكم واستقر حال كونكم غير معتقدين عظمة لله موجبة لتعظيمه بالايمان
والطاعة له أى لا سبب لكم فى هذا مع تحقق مضمون الجملة الحالية وبالفارسية جيست شمارا كه
اميدندار يد يعنى شناسيد مر خدا برا عظمت و بزركوارى و اعتقاد نمى كنيد تا بترسيد از نا
فرمانى او * وفى كشف الاسرار هذا الرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة أى لا تخافون لله عظمة
وعن ابن عباس رضى الله عنهما مالكم لا تخشون منه عقابا ولا ترجون منه ثوابا توقير كم اياه
* وفى التأويلات النجمية مالكم لا تطلبون ولا تكسبون من اسم الله الاعظم ما يوقركم عنده
بالتخلق بكل اسم تحته حتى تصيروا بسبب تحققكم بجميع أسمائه الداخلة فيه مظهره ومجلاه
(وقد خلقكم أطوارا) يقال فعل كذا طورا بعد طور أى تارة بعد تارة وعدا طوره أى تجاوز
حده وقدره والمعنى والحال أنكم على حالة منافية لما أنتم عليه بالكلية وهى أنكم تعلمون أنه
تعالى خلقكم وقدركم تارات أى مرات حالا بعد حال عناصر ثم أغذية ثم أخلاطا ثم نطفا ثم علقا
ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم أنشأكم خلقا آخر فان التقصير فى توقير من هذه شؤنه فى القدرة
القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل وقال بعضهم هى اشارة الى
الاطوار السبعة المذكورة فى قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة
فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما
ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين فهذه هى التارات والاحوال السبع المترتب
بعضها على بعض كل تارة أشرف مما قبلها وحال الانسان فيها أحسن مما تقدمها * جون صورت
تو بت نه نكارند بكشمير * جون قامت تو سرو نه كارند بكشمر * كر نقش تو پيش بت آزر
بنكارند * از شرم فرو ريزد نقش بت آزر * وقيل خلقكم صبيانا وشبانا وشيوخا وقيل
طوالا وقصارا وأقوياء وضعفاء مختلفين فى الخلق والخلق كما قال تعالى واختلاف ألسنتكم
وألوانكم وقيل خلقهم أطوارا حين أخرجهم من ظهر آدم للعهد ثم خلقهم حين أذن بهم
ابراهيم عليه السلام للحج ثم خلقهم ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم فأراه اياهم وقال
بعض أهل المعرفة خلقكم أطوارا من أهل المعرفة ومن أهل المحبة ومن أهل الحكمة ومن
أهل التوحيد ومن أهل الشوق ومن أهل العشق ومن أهل الفناء ومن أهل البقاء ومن أهل
الخدمة ومن أهل المشاهدة فخلق طور الارواح القدسية من نور الجبروت وطور العقول الهادية
العارفة من نور الملكوت وطور القلوب الشائقة من معادن القربة وطور أجسام الصديقين
من تراب الجنة فكل طور يرجع الى معدنه من الغيب (ألم تروا) يا قومى والاستفهام للتقرير
والرؤية بمعنى العلم اعلمهم علموا ذلك بالسماع من أهله أو بمعنى الابصار والمراد مشاهدة عجائب
الصنع الدال على كمال العلم والقدرة (كيف خلق الله سبع سموات) حال كونها (طباقا) أى
متطابقا بعضها فوق بعض كما سبق فى سورة الملك أتبع الدليل الدال على أنه يمكن أن يعيدهم
وعلى أنه عظيم القدرة بدلائل الانفس لان نفس الانسان أقرب الاشياء اليه ثم أتبع ذلك بدلائل
الآفاق فقال (وجعل القمر فيهن نورا) أى منور الوجه الارض فى ظلمة الليل ونسبته الى
الكل مع أنه فى السماء الدنيا لان كل واحدة من السموات شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى
الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما فى واحدة منها كأنه فى الكل على أنه

ذهب ابن عباس وابن عمرو وهب بن منبه رضى الله عنهم الى أن الشمس والقمر والنجوم وجوهها مما يلى السماء وظهورها مما يلى الارض وهو الذى يقتضيه لفظ السراج لان ارتفاع نوره فى طرف العلو ولولا ذلك لأحرقت جميع ما فى الارض بشدة حرارتها فجعلها الله نورا وسراجا لاهل الارض والسموات فعلى هذا ينبغى أن يكون تقدير ما بعده وجعل الشمس فيهن سراجا حذف لدلالة الاول عليه (وجعل الشمس) هى فى السماء الرابعة وقيل فى الخامسة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فى الشتاء فى الرابعة وفى الصيف فى السابعة ولو أضاءت من الرابعة أو من السماء الدنيا لم يطق لها شئ (كما قال فى المثنوى) آفتابى كز وى اين عالم فروخت * اندكى كر پيش آيد جمله سوخت (سراجا) من باب التشبيه البليغ أى كالسراج يزيل ظلمة الليل عند الفجر ويبصر أهل الدنيا فى ضوئها الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور فى الجملة وحضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بجهت آن چراغ كفته كه كما قال تعالى وسراجا منيرا نور روى تاريكئ كفر ونفاق را از عرصهٔ روى زمين زائل كردانيد * چراغ چشم دل چشم چراغ جان رسول الله * كه شمع ملت از پرتو احكام او رخشان * درين ظلمت سرا كرنه چراغ افروختى شرعش * كجا كس را خلاصى بودى از نار بيكئ طغيان * والسراج أعرف عند الناس من الشمس بوجه الشبه الذى هو ازالة ظلمة الليل لانهم يستعملونه فى الليالى فلا يرد أن يقال ان نور القمر عرضى مستفاد من الشمس كضوء السراج فتشبيه القمر بالسراج أولى من تشبيه الشمس به وأيضا انه من تشبيه الأعلى بالادنى وقال حضرة الشيخ صدر الدين القنوى قدس سره فى شرح الاربعين حديثا الضياء هو امتزاج النور بالظلمة وليس فى ذات القمر ما يمتزج بالشمس حتى يسمى الناتج بينهما ضياء ولهذا سمى الحق القمر نورا دون الشمس المشبهة بالسراج لكونه ممدودا من الشجرة المباركة المنفى عنها الجهات وانها الحضرة الجامعة للاسماء والصفات (والله أنبتكم من الارض نباتا) أى انبتا عجيبا وأنشأكم منها انشاء غريبا بواسطة انشاء أبيكم آدم منها أو أنشأ الكل منها من حيث انه خلقهم من النطف المتولدة من الأغذية المتولدة من النبات المتولد من الارض استعير الانبات للانشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الارض لانهم اذا كانوا انبتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ووضع نباتا موضع انباتا على أنه مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر دل عليه القرينة الآتية وهى قوله ويخرجكم اخراجا وقال بعضهم نباتا حال لا مصدر ونبه بذلك أن الانسان من وجه نبات من حيث ان بدأه ونشأه من التراب وانه ينمو نموه وان كان له وصف زائد على النبات والنبات ما يخرج من الارض سواء كان له ساق كالشجر أو لم يكن كالنجم لكن اختص فى التعارف بما لا ساق له بل اختص عند العامة بما يأكله الحيوان وقال بعض أهل المعرفة والله أنبتكم من الارض نباتا أى جعل غذاءكم الذى تنمو به أجسادكم من الارض كما جعل النبات ينمو بالماء بواسطة التراب فغذاء هذه النشأة ونموها بما خلقت منه (ثم يعيدكم فيها) أى فى الارض بالدفن عند موتكم (ويخرجكم) منها عند البعث والحشر (اخراجا) محققا لا ريب فيه وذلك لمجازاة الاولياء ومحاسبة الاعداء ولم يقل ثم يخرجكم بل ذكر بالواو والجامعة اياها

مع بعيد كم رمزا الى أن الاخراج مع الاعادة فى القبر كشئ واحد لا يجوز أن يكون بعضها محقق الوقوع دون بعض * وفى التأويلات النجمية والله أنبت من أرض بشريتكم نبات الاخلاق والصفات ثم يعيدكم فى تلك الارض بالبقاء بعد الفناء بطريق الرجوع الى أحكام البشرية بالله لا بالطبع والميل الطبيعى ويخرجكم أى ويظهركم ويغلبكم على التصرف فى العالم بالله لا بكم ولا بقدرتكم واستطاعتكم (والله) كرر الاسم الجليل للتعظيم والتيمن والتبرك (جعل لكم) أى لمنافعكم (الارض) سبق بيانها فى سورة الملك وغيرها (بساطا) مبسوطة متسعة كالبساط والفراش تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم قال أبو حيان ظاهره ان الارض ليست كرية بل هى مبسوطة قال سعدى المفتى وانما قال ظاهره لانه يقال التشبيه انما هو فى التقلب عليها على ما فسروه انتهى وقد مر مرارا أن كرية الارض لا تنافى الحرث والغرس ونحوهما لعظم دائرتها كما يظهر الفرق بين بيضة الحمامة وبيضة النعامة (لتسلكوا) من السلوك وهو الدخول لا من السلك وهو الادخال (منها سبلا فجاجا) أى طرقا واسعة جمع سبيل وفج وهو الطريق الواسع فجرد هنا لمعنى الواسع فجعل صفة لسبلا وقيل هو المسلك بين الجبلين قال فى المفردات الفج طريق يكتنفها جبلان ويستعمل فى الطريق الواسع ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ أى لتسلكوا متخذين من الارض سبلا فتسيروا فيها مجيأ وذهابا أو بمضمر هو حال من سبلا أى كائنة من الارض ولو تأخر لكان صفة لها ثم جعلها بساطا للسلوك المذكور لا ينافى غيره من الوجوه كالنوم والاستراحة والحرث والغرس ونحوها ثم السلوك اما جسمانى بالحركة الاينية الموصلة الى المقصد واما روحانى بالحركة الكيفية الموصلة الى المقصود ولكل منهما فوائد جليلة كطلب العلم والحج والتجارة وغيرها وكتحصيل المحبة والمعرفة والانس ونحوها وقال القاشانى والله جعل لكم أرض البدن بساطا لتسلكوا منها سبل الحواس فجاجا أى خروقا واسعة أو من جهتها سبل سماء الروح الى التوحيد كما قال أمير المؤمنين رضى الله عنه سلونى عن طرق السماء فانى أعلم بها من طرق الارض أراد الطرق الموصلة الى الكمال من المقامات والاحوال كالزهد والعبادة والتوكل والرضا وأمثال ذلك ولهذا كان معراج النبى عليه السلام بالبدن (قال نوح) أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه فهو بدل من قال الاول ولذا ترك العطف أى قال مناجيا له تعالى (رب) أى بروردكارمن (انهم عصونى) داموا على عصيانى ومخالفتى فيما أمرتهم به مع ما بالغت فى ارشادهم بالعظة والتذكير (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) أى استمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم وصارت تلك الاموال والاولاد سببا لزيادة خسارهم فى الآخرة فصاروا أسوة لهم فى الخسار وفى وصفهم بذلك اشعار بأنهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع كما قالت قريش لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فجعلوا الغنى سببا مصححا للاتباع ودل الكلام على أن ازدياد المال والولد كثيرا ما يكون سببا للهلاك الروحانى ويورث الضلال فى الدين أولا والاضلال عن اليقين ثانيا قال ابن الشيخ المفهوم من نظم الآية أن أموالهم وأولادهم عين الخسار وان ازديادهما انما هو ازدياد خسارهم والامر فى الحقيقة كذلك

فانهما وان كانا من جملة المنافع المؤدية الى السعادة الابدية بالشكر عليهما وصرفهما الى وجوه الخير الا أنهما اذا أديا الى البطر والاغترار وكفران حق المنعم بهما وصارا وسيلتين الى العذاب المؤبد فى الآخرة صارا كأنهما محض الخسار لان الدنيا فى جنب الآخرة كالعدم فمن انتفع بهما فى الدنيا خسر سعادة الآخرة وصار كمن أكل لقمة مسمومة من الحلوى فهلك فان تلك اللقمة فى حقه هلاك محض اذ لا عبرة لانتفاعه بها فى جنب ما أدت اليه * توغافل در انديشه سود ومال * كه سرمايه عمر شد پايمال (ومكروا) عطف على صلة من لان المكر الكبار يليق بكبرائهم والجمع باعتبار معناها والمكر الحيلة الخفية وفى كشف الاسرار المكر فى اللغة غاية الحيلة وهو من فعل الله تعالى اخفاء التدبير (مكرا كبارا) أى كبيرا فى الغاية وقرئ بالتخفيف والاول أبلغ منه وهو أبلغ من الكبير نحو طوّال وطوال وطويل ومعنى مكرهم الكبار احتيالهم فى منع الناس عن الدين وتحريشهم لهم على أذية نوح قال الشيخ لما كان التوحيد أعظم المراتب كان المنع منه والامر بالشرك أعظم الكبائر فلذا وصفه الله بكونه مكرا كبارا (وقالوا) أى الرؤساء للاتباع والسفلة (لا تذرن آلهتكم) أى لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح ومن عطف مكروا على اتبعوا يقول معنى وقالوا وقال بعضهم لبعض فالقائل ليس هو الجميع (ولا تذرن ودّا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) جرّد الاخيرين عن حرف النفى اذ بلغ التأكيد نهايته وعلم أن القصد الى كل فرد فرد لا الى المجموع من حيث هو مجموع والمعنى ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوصا فهو من عطف الخاص على العام خصوصا بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت أكبر أصنامهم وأعظم ما عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام بأعيانها عنهم الى العرب فكان ود لكلب بدومة الجندل بضم دال دومة ولذلك سمت العرب بعبد ود قال الراغب الود صنم سمى بذلك اما لمودتهم له أو لاعتقادهم أن بينه وبين البارى تعالى مودة تعالى الله عن ذلك وكان سواع لهمدان بسكون الميم قبيلة باليمن ويغوث لمذحج كمجلس بالذال المعجمة وآخره جيم ومنه كانت العرب تسمى عبد يغوث ويعوق لمراد وهو كغراب أبو قبيلة سمى به لانه تمرّد ونسر لحمير بكسر الحاء وسكون الميم بوزن درهم موضع غربى صنعاء اليمن وقيل انتقلت أسماؤها اليهم فاتخذوا أمثالها فعبدوها اذ يبعد بقاء أعيان تلك الاصنام كيف وقد خربت الدنيا فى زمان الطوفان ولم يضعها نوح فى السفينة لانه بعث لنفيها وجوابه أن الطوفان دفنها فى ساحل جدة فلم تزل مدفونة حتى أخرجها اللعين لمشركى العرب نظيره ما روى أن آدم عليه السلام كتب اللغات المختلفة فى طين وطبخه فلما أصاب الارض الغرق بقى مدفونا ثم وجد كل قوم كتابا فكتبوه فاصاب اسمعيل عليه السلام الكتاب العربى وقيل هى أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من أولاد آدم ماتوا فحزن الناس عليهم حزنا شديدا واجتمعوا حول قبورهم لا يكادون يفارقونها وذلك بأرض بابل فلما رأى ابليس فعلهم ذلك جاء اليهم فى صورة انسان وقال لهم هل لكم أن أصوّر لكم صورهم اذا نظرتم اليها ذكرتموهم واستأنستم وتبركتم بهم قالوا نعم فصوّر لهم صورهم من صفر ورصاص ونحاس وخشب وحجر وسمى تلك الصور بأسمائهم ثم لما تقادم الزمن وانقرضت الآباء والابناء وأبناء الابناء قال لمن حدث بعدهم ان من قبلكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها فى زمان مهلاييل بن قينان ثم صارت

سنة في العرب في الجاهلية وذلك اما باخراج الشيطان اللعين تلك الصور كما سبق أو بأنه كان
لعمرو بن لحى وهو أول من نصب الاوثان في الكعبة تابع من الجن فقال له اذهب الى جدة
وائت منها بالا لهة التي كانت تعبد في زمن نوح وادريس وهي ود الخ فذهب وأتى بها الى مكة
ودعا الى عبادتها فانتشرت عبادة الاصنام في العرب وعاش عمرو بن لحى ثلثمائة وأربعين سنة
ورأى من ولده وولد ولده وولد ولده ألف مقاتل ومكث هو وولده في ولاية البيت خمسمائة سنة ثم انتقلت
الولاية الى قريش فمكثوا فيها خمسمائة أخرى فكان البيت بيت الاصنام ألف سنة وذكر الامام
الشعراني أن أصل وضع الاصنام انما هو من قوة التنزيه من العلماء الاقدمين فانهم نزهوا الله
عن كل شئ وأمروا بذلك عامتهم فلما رأوا أن بعض عامتهم صرح بالتعطيل وضعوا لهم الاصنام
وكسوها الديباج والحلي والجواهر وعظموها بالسجود وغيره ليتذكروا بها الحق الذي غاب عن
عقولهم وغاب عن أولئك العلماء أن ذلك لا يجوز الا باذن من الله تعالى هذا كلامه قال السهيلي
ولا أدري من أين سرت لهم تلك الاسماء القديمة أمن قبل الهند فقد ذكر عنهم أنهم كانوا المبدأ
في عبادتهم الاصنام بعد نوح أم الشيطان ألهمهم ما كانت عليه الجاهلية الاولى قبل نوح وفي
التكملة روى تقي بن مخلد أن هذه الاسماء المذكورة في السورة كانوا أبناء آدم عليه السلام
من صلبه وأن يغوث كان أكبرهم وهي أسماء سريانية ثم وقعت تلك الاسماء الى أهل الهند فسموا
بها اصنامهم التي زعموا أنها على صور الدراري السبعة وكانت الجن تكلمهم من جوفها
فافتتنوا بها ثم أدخلها الى أرض العرب عمرو بن لحى بن قمعة بن الياس بن مضر فمن قبله سرت
الى أرض العرب وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة
أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وهو طائر عظيم لانه ينسر الشئ ويقتلعه
* وفي التأويلات النجمية لا تتركن عبودية آلهتكم التي هي ود النفس المصورة بصورة المرأة
وسواع الهوى المصور بصورة الرجل ويغوث الطبيعة المشكلة بشكل الاسد ويعوق الشهوة
المشكلة بصورة الفرس ونسر الشره المصور بصورة النسر وقال القاشاني أي معبوداتكم التي
عكفتم بهواكم عليها من ود البدن الذي عبدتموه بشهواتكم وأحببتموه وسواع النفس
ويغوث الاهل ويعوق المال ونسر الحرص (وقد أضلوا) أي الرؤساء والجملة حالية (كثيرا)
أي خلقا كثيرا أو أضلوا الاصنام كقوله تعالى رب انهن أضللن كثيرا من الناس جمعهم جمع
العقلاء لعدهم آلهة ووصفهم بأوصاف العقلاء (ولا تزد الظالمين) بالاشراك فان الشرك لظلم
عظيم اذ أصل الظلم وضع الشئ في غير موضعه فهل شئ أسوأ في هذا من وضع اخس المخلوق
وعبادته موضع الخالق الفرد الصمد وعبادته (الا ضلالا) الجملة عطف على قوله تعالى رب انهم
عصوني أي قال رب انهم عصوني وقال ولا تزد الظالمين الا ضلالا فالواو من الحكاية لا من المحكي
أو من كلام الله لا من كلام نوح فنوح قال كل واحد من هذين القولين من غير أن يعطف
أحدهما على الآخر فحكى الله أحد قوليه بتصديره بلفظ قال وحكى قوله الآخر بعطفه على
قوله الاول بالواو النائبة عن لفظ قال فلا يلزم عطف الانشاء على الاخبار ويجوز عطفه على
مقدر أي فاخذلهم قالوا وحينئذ من المحكي والمراد بالضلال هو الضياع والهلاك والضلال في
تمشية مكرهم وترويج مصالح دنياهم لا في أمر دينهم حتى لا يتوجه انه انما بعث ليصرفهم عن

الضلال فكيف يليق به أن يدعو الله فى أن يزيد ضلالهم وأن هذا الدعاء يتضمن الرضا بكفرهم
وذلك لا يجوز فى حق الانبياء وان كان يمكن أن يجاب بأنه بعد ما أوحى اليه أنه لن يؤمن من
قومك الا من قد آمن وان المحذور هو الرضا المقرون باستحسان الكفر ونظيره دعاء موسى عليه
السلام بقوله واشدد على قلوبهم فمن أحب موت الشرير بالطبع على الكفر حتى ينتقم الله منه
فهذا ليس بكفر فيؤول المعنى الى أن يقال ولا تزد الظالمين الا ضلالا وغيا ليزدادوا عقابا كقوله
تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقوله انى أريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار
قالوا دعا نوح الابناء بعد الآباء حتى بلغوا سبعة قرون فلما أيس من ايمانهم دعا عليهم (مما
خطيئاتهم) أى من أجل خطيئاتهم قوم نوح وأعمالهم المخالفة للصواب وهى الكفر والمعاصى
وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد الحصر المستفاد من تقديم قوله مما خطيئاتهم فانه يدل على
أن اغراقهم بالطوفان لم يكن الا من أجل خطيئاتهم تكذيبا لقول المنجمين من أن ذلك كان
لاقتضاء الاوضاع الفلكية اياه ونحو ذلك فانه كفر لكونه مخالفا لصريح هذه الآية ولزيادة
ما الابهامية فائدة غير التوكيد وهى تفخيم خطيئاتهم أى من أجل خطيئاتهم العظيمة ومن لم ير
زيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها والخطيئات جمع خطيئة وقرأ أبو عمرو خطاياهم
بلفظ الكثرة لان المقام مقام تكثير خطيئاتهم لانهم كفروا ألف سنة والخطيئات لكونه جمع
السلامة لا يطلق على ما فوق العشرة الا بالقرينة والظاهر من كلام الرضى أن كل واحد من جمع
السلامة والتكسير لمطلق الجمع من غير نظر الى القلة والكثرة فيصلحان لهما ولذا قيل انهما
مشترك كان بينهما واستدلوا عليه بقوله تعالى ما نفدت كلمات الله (أغرقوا) فى الدنيا بالطوفان
لا بسبب آخر وفيه زجر لمرتكب الخطايا مطلقا (فأدخلوا نارا) تنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها
أو لانه تعالى أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار والمراد اما عذاب القبر فهو عقيب
الاغراق وان كانوا فى الماء فان من مات فى ماء أو نار أو أكلته السباع أو الطير أصابه ما يصيب
المقبور من العذاب عن الضحاك أنهم كانوا يغرقون من جانب أى بالابدان ويحرقون من جانب
أى بالارواح فجمعوا بين الماء والنار كما قال الشاعر

الخلق مجتمع طورا ومفترق * والحادثات فنون ذات أطوار
لا تعجبن لأضداد اذا اجتمعت * فالله يجمع بين الماء والنار

أو عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة واتصال
زمانه بزمانه كما دل عليه قوله من مات فقد قامت قيامته على أن النار اما نصف نار وهى للارواح فى
البرزخ واما تمام نار وهى للارواح والاجسام جميعا بعد الحشر وقس على الجحيم النعيم (فلم يجدوا
لهم من دون الله أنصارا) أى لم يجد أحد منهم لنفسه واحدا من الانصار ينصرهم على من أخذهم
بالقهر والانتقام وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وبأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم
بهم ومن دون الله حال متقدمة من قوله أنصارا والجملة الاستئنافية الى هنا من كلام الله اشعارا
بدعوة اجابة نوح وتسلية للرسول عليه السلام وأصحابه وتخويفا للعاصى من العذاب وأسبابه
(وقال نوح) بعد ما قنط من اهتدائهم قنوطا تاما بالامارات الغالبة وباخبار الله تعالى (رب) اى
پروردگار من (لا تذر على الارض) لا تترك على الارض (من الكافرين) بك وبما جاء من عندك

حال متقدمة من قوله (ديارا) أحدا يدور فى الارض فيذهب ويجىء أى فأهلكهم بالاستئصال والجملة عطف على نظيرها السابق وقوله تعالى مما خطيآتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من أول الامر بأن ما أصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيآتهم التى عددها نوح وأشار الى استحقاقهم للاهلاك لاجلها الا أنها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال والاقوال والا لأخر عن حكاية دعائه هذا وديار من الاسماء المستعملة فى النفى العام يقال ما بالدار ديار أو ديور كقيام وقيوم أى أحد وساكن وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار وقد فعل به ما فعل بأصل سيد فعنى ديار على الاول أحد يدور فى الارض فيذهب ويجىء وعلى الثانى أحد ممن ينزل الدار ويسكنها وأنكر بعضهم كونه من الدوران وقال لو كان من الدوران لم يبق على وجه الارض جنى ولا شيطان وليس المعنى على ذلك وانما المعنى أهلك كل ساكن دار من الكفار أى كل انسى منهم * يقول الفقير جوابه سهل فان المراد كل من يدور على الارض من أمة الدعوة وليس الجن والشيطان منها اذ لم يكن نوح مبعوثا الى الثقلين وليس ديار فعالا من الدار والا لقيل دوار لان أصل دارد ور فقلبت واوه ألفا فلما ضعفت عينه كان دوارا بالواو والصيغة المشددة اذ لا وجه لقلبها ياء (انك ان تذرهم) عليها كلا أو بعضا ولا تهلكهم بيان لوجه دعائه عليهم واظهار بأنه كان من الغيرة فى الدين لا لغلبة غضب النفس لهواها (يضلوا عبادك) عن طريق الحق قال بعضهم عبادك المؤمنين وفيه اشعار بان الاهل لان يقال لهم عباد أهل الايمان انتهى وفيه نظر بل المراد صدوا عبادك عن سبيلك كقوله تعالى وصدوا عن سبيل الله دل عليه أنه كان الرجل منهم ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان أبى حذرنيه وأوصانى بمثل هذه الوصية فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك (ولا يلدوا) ونزايد (الا فاجرا) الفجر شق الشئ شقا واسعا كفجر الانسان السكر وهو بالكسر اسم لسد النهر وما سد به النهر والفجور شق ستر الديانة (كفارا) مبالغا فى الكفر والكفران قال الراغب الكفار أبلغ من الكفور وهو المبالغ فى كفران النعمة والمعنى الا من سيفجر ويكفر فالوجه ارتفاعهم عن وجه الارض والعلم لك فوصفهم بما يصيرون اليه بعد البلوغ فهو من مجاز الاول وكأنه اعتذار مما عسى يرد عليه من أن الدعاء بالاستئصال مع احتمال أن يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله بالوحى لقوله تعالى فى سورة هود وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فان قلت هذا اذا كان دعاء نوح متأخرا عن وحى تلك الآية وذلك غير معلوم قلت الظاهر أن مثل هذا الدعاء انما يكون فى الاواخر بعد ظهور أمارات النكال قال بعضهم لا يلد الحية الا الحية وذلك فى الاغلب ومن هنا قيل * اذا طاب أصل المرء طابت فروعه * وشبه الولد سر أبيه قال بعضهم فى توجيهه ان الولد اذا كبر انما يتعلم من أوصاف أبيه أو يسرق من طباعه بل قد يصحب المرء رجلا فيسرق من طباعه فى الخير والشر * يقول الفقير معنا فيه ما فيه أى من الجمال والجلال فقد يكون الجمال الظاهر فى الاب باطنا فى الابن كما كان فى قابيل بن آدم حيث ظهر فيه ما بطن فى أبيه من الجلال وكان الامر بالعكس فى هابيل بن آدم وهكذا الامر الى يوم القيامة فى الموافقة والمخالفة وقال بعض الكبار اعتذار نوح يوم القيامة عند طلب الخلق

الشفاعة منسه بدعوته على قومه انما هو لما فيها من قوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا الا نفس دعائه
عليهم من حيث كونه دعاء انتهى أشار الى أن دعاء نوح كان بالامارات حيث جربهم قريبا من
ألف سنة فلم يظهر منهم الا الكفر والفجور ولو كان بالوحى لما اعتذر كما قال القاشانى مل من
دعوة قومه وضجر واستولى عليه الغضب ودعا ربه لتدمير قومه وقهرهم وحكم بظاهر الحال أن
المحجوب الذى غلب عليه الكفر لا يلد الا مثله فان النطفة التى تنشأ منها النفس الخبيثة المحجوبة
وتتربى بهيئتها المظلمة لا تقبل الا مثلها كالبذر الذى لا ينبت الا من صنفه وسنخه وغفل عن أن
الولد سر أبيه أى حاله الغالبة على الباطن فربما كان الكافر باقى الاستعداد صافى الفطرة نقى
الاصل بحسب الاستعداد الفطرى وقد استولى على ظاهره العادة ودين آبائه وقومه الذين نشأ
بينهم فدان بدينهم ظاهرا وقد سلم باطنه فيلد المؤمن على حال النورية كولادة أبى ابراهيم عليه
السلام فلا جرم تولد من تلك الهيئة الغضبية الظلمانية التى غلبت على باطنه وحجبته فى تلك الحالة
عما قال مادة ابنه كنعان وكان عقوبة لذنب حاله انتهى ويدل على ماذكر من أن دعاءه ليس مبنيا
على الوحى ما ثبت أن النبى عليه السلام شبه عمر رضى الله عنه فى الشدة بنوح وأبا بكر رضى الله
عنه فى اللين بابراهيم قال بعض العارفين فى قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فى هذه
الآية عتاب لطيف فانها نزلت حين مكث يدعو على قوم شهرا مع أن سبب ذلك الدعاء انما هو
الغيرة على جناب الله تعالى وما يستحقه من الطاعة ومعنى العتاب انى ما أرسلتك سبابا ولا لعانا
وانما بعثتك رحمة أى لترحم مثل هؤلاء الذين دعوت عليهم كأنه يقول لو كان بدل دعائك عليهم
الدعاء لهم لكان خيرا فانك اذا دعوتنى لهم ربما أجبت دعاءك فوفقتهم لطاعتى فترى سرور عينك
وقرتها فى طاعتهم لى واذا لعنتهم ودعوت عليهم وأجبت دعاءك فيهم لم يكن من كرمى أن آخذهم
الا بزيادة طغيانهم وكثرة فسادهم فى الارض وكل ذلك انما كان بدعائك عليهم فكأنك أمرتهم
بالزيادة فى الطغيان الذى أخذناهم به فتنبه رسول الله عليه السلام لما أدبه به ربه فقال ان الله
أدبنى فأحسن تأديبى ثم صار يقول بعد ذلك اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وقام ليلة كاملة الى
الصباح بقوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم لا يزيد عليها
فأين هذا من دعائه قبل ذلك على رعل وذكوان وعصية وعلى صناديد قريش اللهم عليك بفلان
اللهم عليك بفلان فاعلم ذلك فاقتد بنبيك فى ذلك والله يتولى هداك (وقال بعض أهل المعرفة) نوح
چون از قوم خود برنجيد بهلاك ايشان دعا كرد ومصطفى عليه السلام چون از قوم خود برنجيد
بشفقت گفت اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون واعلم أنه لا يجوز أن يدعى على كافر معين لانا
لا نعلم خاتمته ويجوز على الكفار والفجار مطلقا وقد دعا عليه السلام على من تحزب على المؤمنين
وهذا هو الاصل فى الدعاء على الكافرين (رب اغفر لى) ذنوبى وهى ما صدر منه من ترك الاولى
(ولوالدى) ذنوبهما أبوه لمك بن متوشلخ على وزن الفاعل كمدحرج أو هو بضم الميم والتاء المشددة
المضمومة وفتح الشين المعجمة وسكون اللام وروى بعضهم الفتح فى الميم وأمه سمحاء بنت أنوش كانا
مؤمنين قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكفر لنوح أب ما بينه وبين آدم وفى اشراق التواريخ
أمه قسوس بنت كابيل وفى كشف الاسرار هيجل بنت لاموس بن متوشلخ بنت عمه وكانا مسلمين
على ملة ادريس عليه السلام وقيل المراد بوالديه آدم وحواء عليهما السلام (ولمن دخل بيتى)

أي منزلي وقيل مسجدي فانه بيت أهل الله وان كان بيت الله من وجه وقيل سفينتي فانها كالبيت في حرز الحوائج وحفظ النفوس عن الحر والبرد وغيرهما (مؤمنا) حال كون الداخل مؤمنا وبهذا القيد خرجت امرأته واعلة وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه السلام بخروجه الابعد ماقيل له انه ليس من أهلك (وللمؤمنين والمؤمنات) بي أومن لدن آدم الى يوم القيامة وكفته انه مراد ابن امت مرحومة انه خص أولا من يتصل به نسبا ودينا لانهم أولى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات وفي الحديث ما الميت في القبر الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أخ أو صديق فاذا لحقته كانت أحب اليه من الدنيا ومافيها وان الله ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الارض أمثال الجبال وان هدية الاحياء الى الاموات الاستغفار لهم (ولا تزد الظالمين الا تبارا) أي هلاكا وكسرا وبالفارسية مكر هلاكي بسختي والتبرد فاق الذهب قال في الاول ولا تزد الظالمين الا ضلالا لانه وقع بعد قوله وقد أضلوا كثيرا وفي الثاني الا تبارا لانه وقع بعد قوله لا تذر على الارض الخ فذكر في كل مكان ما اقتضاه وماشا كل معناه والظاهر أنه عليه السلام أراد بالكافرين والظالمين الذين كانوا موجودين في زمانه متمكنين في الارض مابين المشرق والمغرب فسؤله أن يهلكهم الله فاستجيب دعاؤه فعمهم الطوفان بالغرق وما نقل عن بعض المنجمين من أنه أراد جزيرة العرب فوقع الطوفان عليهم دون غيرهم من الآفاق مخالف لظاهر الكلام وتفسير العلماء وقول أصحاب التواريخ بأن الناس بعد الطوفان توالدوا وتناسلوا وانتشروا في الاطراف مغاربها ومشارقها من أهل السفينة دل الكلام على أن الظالم اذا ظهر ظلمه وأصر عليه ولم ينفعه النصح استحق أن يدعى عليه وعلى أعوانه وأنصاره قيل غرق معهم صبيانهم أيضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم باراءة اهلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب وكم من الصبيان من يموت بالغرق والحرق وسائر أسباب الهلاك وقيل أعقم الله أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبي ولا مجنون حين غرقوا لان الله تعالى قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال والمجانين وفي الاسئلة المفحمة ولو أهلك الاطفال بغير ذنب منهم ماذا يضر في الربوبية أليس الله يقول قل فمن يملك من الله شيأ ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الارض جميعا * يقول الفقير الظاهر هلاك الصبيان مع الآباء والامهات لان نوحا عليه السلام ألحقهم بهم حيث قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ذمن سيفجر ويكفر في حكم الفاجر والكافر فلذلك دعا على الكفار مطلقا وعموما بالهلاك لاستحقاق بعضهم له بالاصالة وبعضهم بالتبعية ودعا للمؤمنين والمؤمنات عموما وخصوصا بالنجاة لان المغفور له ناج لا محالة وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان اذا قرأ القرآن بالليل فمر بآية يقول لي ياعكرمة ذكرني هذه الآية غدا فقرأت ليلة هذه الآية أي رب اغفر لي الخ فقال ياعكرمة ذكرني هذه غدا فذكرتها له فقال ان نوحا دعا بهلاك الكافرين ودعا للمؤمنين بالمغفرة وقد استجيب دعاؤه على الكافرين فأهلكوا وكذلك استجيب دعاؤه في المؤمنين فيغفر الله

للمؤمنين والمؤمنات بدعائه * وورد عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أنه قال نجاة المؤمنين بثلاثة أشياء بدعاء نوح وبدعاء اسحق وبشفاعة محمد عليه السلام يعنى المذنبين * وفى التأويلات النجمية رب اغفرلى ولوالدى من العقل الكلى والنفس الكلى ولمن دخل بيتى مؤمنا من الروح والقلب وللمؤمنين من القوى الروحانية والمؤمنات من النفوس الداخلة تحت نور الروح والقلب بسبب نور الايمان ولا تزد الظالمين النفس الكافرة والهوى الظالم الاتبارا هلاكا بالكلية بالفناء فى الروح والقلب وعلى هذا التأويل يكون دعاء لهم لا دعاء عليهم انتهى وقال القاشانى رب اغفرلى أى استرنى بنورك بالفناء فى التوحيد ولروحى ونفسى اللذين هما أبوا القلب ولمن دخل بيتى أى مقامى فى حضرة القدس مؤمنا بالتوحيد العلمى وللارواح الذين آمنوا ونفوسهم فبلغهم الى مقام الفناء فى التوحيد ولا تزد الظالمين الذين نقصوا حظهم بالاحتجاب بظلمة نفوسهم عن عالم النور الاتبارا هلاكا بالغرق فى بحر الهيولى وشدة الاحتجاب انتهى فيكون دعاء عليهم كما لا يخفى

(تمت سورة نوح بعون من بيده الفتوح يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شوال من سنة ست عشرة ومائة وألف)

(سورة الجن ثمان وعشرون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل) يا محمد لقومك (اوحى الى) أى ألقى على بطريق الوحى وأخبرت باعلام من الله تعالى والايحاء اعلام فى خفاء وفائدة اخباره بهذه الاخبار بيان أنه رسول الثقلين والنهى عن الشرك والحث على التوحيد فان الجن مع تمردهم وعدم مجانستهم اذا آمنوا فكيف لا يؤمن البشر مع سهولة طبعهم ومجانستهم (أنه) بالفتح لانه فاعل أوحى والضمير للشأن أى ان الشأن والحديث (استمع) أى القرآن أوطه أواقرأ وقد حذف لدلالة ما بعده عليه والاستماع بالفارسية نيوشيدن والمستمع من كان قاصدا للسماع مصغيا اليه والسامع من اتفق سماعه من غير قصد اليه فكل مستمع سامع من غير عكس (نفر من الجن) جماعة منهم ما بين الثلاثة الى العشرة وبالفارسية كروهى كه ازده كمتر وازسه بيشتر بودند قال فى القاموس النفر ما دون العشرة من الرجال كالنفير والجمع أنفار وفى المفردات النفر عدة رجال يمكنهم النفر الى الحرب بالفارسية بيرون شدن والجن واحده جنى كروم ورومى ونحوه قال ابن عباس رضى الله عنهما انطلق رسول الله عليه السلام فى طائفة من أصحابه الى سوق عكاظ فأدركهم وقت صلاة الفجر وهم بنخلة فأخذ هو عليه السلام يصلى بأصحابه صلاة الفجر فمر عليهم نفر من الجن وهم فى الصلاة فلما سمعوا القرآن استمعوا له وفيه دليل على أنه عليه السلام لم ير الجن حينئذ اذ لو رآهم لما أسند معرفة هذه الواقعة الى الوحى فان ما عرف بالمشاهدة لا يستند ثباته الى الوحى وكذا لم يشعر بحضورهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبره الله بذلك وقد مضى ما فيه من التفصيل فى سورة الاحقاف فلا نعيده والجن أجسام رقاق فى صورة تخالف صورة الملك والانس عاقلة كالانس خفية عن أبصارهم لا يظهرون لهم

ولا يكاد ونهم الا صاحب معجزة بل يوسوسون سائر الناس يغلب عليهم النارية أو الهوائية ويدل على الاول مثل قوله تعالى وخلق الجان من مارج من نار فان المشهور ان المركبات كلها من العناصر فما يغلب فيه النار فنارى كالجن وما يغلب فيه الهواء فهوائى كالطير وما يغلب فيه الماء فمائى كالسمك وما يغلب فيه التراب فترابى كالانسان وسائر الحيوانات الارضية وأكثر الفلاسفة ينكرون وجود الجن فى الخارج واعترف به جمع عظيم من قدمائهم وكذا جمهور أرباب الملل المصدقين بالانبياء قال الكاشانى ان فى الوجود نفوسا أرضية قوية لافى غلظ النفوس السبعية والبهيمية وكثافتها وقلة ادراكها ولا على هيآت النفوس الانسانية واستعداداتها ليلزم تعلقها بالاجرام الكثيفة الغالب عليها الارضية ولا فى صفاء النفوس المجردة ولطافتها لتتصل بالعالم العلوى وتتجرد أو تتعلق ببعض الاجرام السماوية متعلقة بأجرام عنصرية لطيفة غلبت عليها الهوائية أو النارية أو الدخانية على اختلاف أحوالها سماها بعض الحكماء الصور المعلقة ولها علوم وادراكات من جنس علومنا وادراكاتنا ولما كانت قريبة بالطبع الى الملكوت السماوى أمكنها أن تتلقى من عالمها بعض الغيب فلا يستبعد أن ترتقى أفق السماء فتسترق السمع من كلام الملائكة أى النفوس المجردة ولما كانت أرضية ضعيفة بالنسبة الى القوى السماوية تأثرت بتأثير تلك القوى فرجمت بتأثيرها عن بلوغ شأوها وادراك مداها من العلوم ولا ينكر أن تشتعل اجرامها الدخانية بأشعة الكواكب فتحترق وتهلك أو تنزجر عن الارتقاء الى الافق السماوى فتتسفل فانها أمور ليست بخارجة عن الامكان وقد أخبر عنها أهل الكشف والعيان الصادقون من الانبياء والاولياء خصوصا أكملهم نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وهى فى الوجود الانسانى لاستتارها فى غيب الباطن (فقالوا) لقومهم عند رجوعهم اليهم (انا سمعنا قرآنا) أى كتابا مقروأ على لسان الرسول (عجبا) مصدر بمعنى العجيب وضع موضعه للمبالغة والعجيب ما خرج عن حد أشكاله ونظائره والمعنى بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن النظم ودقة المعنى وقال البقلى كتابا عجيبا تركيبه وفيه اشارة الى أنهم كانوا من أهل اللسان قال عيزار بن حريث كنت عند عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فأتاه رجل فقال له كنا فى سفر فاذا نحن بحية جريحة تتشحط فى دمها أى تضطرب فان الشحط بالحاء المهملة الاضطراب فى الدم فقطع رجل منا قطعة من عمامته فلفها فيها ادفنها فلما أمسينا ونزلنا أتانا امرأتان من أحسن نساء الجن فقالتا أيكم صاحب عمرو اى الحية التى دفنتموها فأشرنا لهما الى صاحبها فقالتا انه كان آخر من بقى ممن استمع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين كافر الجن ومسلميهم قتال فقتل فيهم فان كنتم أردتم به الدنيا ثوبناكم اى عوضناكم فقلنا لا انما فعلنا ذلك لله فقالتا أحسنتم وذهبتا يقال اسم الذى اف الحية صفوان بن معطل المرادى صاحب قصة الافك والجنى عمرو بن جابر رحمه الله (يهدى الى الرشد) الى الحق والصواب وصلاح الدين والدنيا كما قال عليه السلام اللهم الهمنى رشدى أى الاهتداء الى مصالح الدين والدنيا فيدخل فيه التوحيد والتنزيه وحقيقة الرشد هو الوصول الى الله تعالى قال بعضهم الرشد كالقفل خلاف الغى يقال فى الامور الدنيوية والاخروية والرشد كالذهب يقال فى الامور الاخروية فقط (فآمنا به) اى بذلك القرآن ومن ضرورة الايمان به الايمان بمن جاء به ولذا قال بعضهم * داخل اندر دعوت او جن وانس

تاقيامت امتش هر نوع وجنس * اوست سلطان وطفيل اوهمه * اوست شاهنشاه وخيل اوهمه

(ولن نشرك) بعد اليوم البتة اى بعد علمنا الحق (بربنا أحدا) حسبما نطق به مافيه من دلائل التوحيد أى لانجعل أحدا من الموجودات شريكا له فى اعتقادنا ولا نعبد غيره فان تمام الايمان انما يكون بالبراءة من الشرك والكفر كما قال ابراهيم عليه السلام انى برىء مما تشركون فلكونه قرآنا معجزا بديعا موجب الايمان به ولكونه يهدى الى الرشد موجب قطع الشرك من أصله والدخول فى دين الله كله فمجموع قوله فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا مسبب عن مجموع قوله انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ولذا عطف ولن نشرك بالواو ومع أن الظاهر الفاء (وأنه تعالى جد ربنا) بالفتح وكذا مابعده من الجمل المصدرة بأن فى أحد عشر موضعا عطف على أنه استمع فيكون من جملة الكلام الموحى به على أن الوحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كأنه قيل قل أوحى الى كيت وكيت وهذه العبارات فاندفع ماقيل من أنك لوعطفت وأنا ظننا وأنا سمعنا وأنه كان رجال وأنا لمسنا وشبه ذلك على أنه استمع لم يجز لانه ليس مما أوحى اليه وانما هو أمر أخبروا به عن انفسهم انتهى ومن قرأ بالكسر عطف على المحكى بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج الكل تحت القول وقيل فى الفتح والكسر غير ذلك والاقرب ماقلناه والمعنى وان الشأن ارتفع عظمة ربنا كما تقول فى الثناء وتعالى جدك اى ارتفع عظمتك وفى اسناد التعالى الى العظمة مبالغة لاتخفى من قولهم جد فلان فى عينى اى عظم تمكنه او سلطانه لان الملك والسلطنة غاية العظمة او غناه على انه مستعار من الجد الذى هو البخت والدولة والحظوظ الدنيوية سواء استعمل بمعنى الملك والسلطان او بمعنى الغنى فان الجد فى اللغة كما يكون بمعنى العظمة وبمعنى أبى الاب وأبى الام يكون بمعنى الحظ والبخت يقال رجل مجدود اى محظوظ شبه سلطان الله وغناه الذاتيان الازليان ببخت الملوك والاغنياء فاطلق اسم الجد عليه استعارة (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) بيان لحكم تعالى جده كأنه قيل ما الذى تعالى عنه فقيل ما اتخذ اى لم يتخذ لنفسه لكمال تعاليه زوجة ولا ابنا ولا بنتا كما يقول الظالمون وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه فى اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه لعظمته او لسلطانه او لغناه فان الصاحبة تتخذ للحاجة اليها والولد للتكثر وابقاء النسل بعد فوته وهذه من لوازم الامكان والحدوث وأيضا هو خارج عن دائرة التصور والادراك فكيف يكون احد فيدخله تحت جنس حتى يتخذ صاحبة من صنف تحته او ولدا من نوع عيانه وقد قالت النصارى أيضا المسيح ابن الله واليهود عزير ابن الله وبعض مشركى العرب الملائكة بنات الله ويلزم من كون المسيح ابن الله على مازعموا أن تكون مريم صاحبة له ولذا ذكر الصاحبة يعنى أن الولد يقتضى الأم التى هى صاحبة الاب الوالد واشار بالصاحبة الى النفس وبالولد الى القلب فيكون الروح كالزوج والاب لهما وهو فى الحقيقة مجرد عن كل علاقة وانما تعلق بالبدن لتظهر قدرة الله وايضا ليستكمل ذاته من جهة الصفات (وانه) اى الشأن (كان يقول سفيهنا) اى جاهلنا وهو ابليس او مردة الجن فقوله سفيهنا للجنس والظاهر ان يكون ابليس من الجن كما قال تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه والسفه خفة الحلم او نقيضه او الجهل كما فى القاموس وقال الراغب السفه خفة فى البدن واستعمل فى خفة

النفس انتقصان العقل وفي الامور الدنيوية والاخروية والمراد به في الآية هو السفه في الدين الذي هو السفه الاخروي كذا في المفردات (على الله) متعلق بيقول أورد على لان ما قالوه عليه تعالى لا له (شططا) هو مجاوزة الحد في الظلم وغيره وفي المفردات الافراط في البعد اى قولا ذا شطط اى بعد عن القصد ومجاوزة الحد أو هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق فوصف بالمصدر للمبالغة والمراد به نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وفي الآية اشارة الى أن العالم الغير العامل في حكم الجاهل فان ابليس كان من أهل العلم فلما لم يعمل بمقتضى علمه جعل سفيها جاهلا لا يجوز التقليد له فالاتباع للجاهل ومن في حكمه اتباع للشيطان والشيطان يدعو الى النار لانه خلق منها (وأنا ظننا أن) مخففة من الثقيلة اى أن الشأن (لن تقول الانس والجن على الله كذبا) اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم اى كنا نظن أن الشأن والحديث لن يكذب على الله أحد أبدا ولذلك اتبعنا قوله وصدقناه في أن لله صاحبة وولدا فلما سمعنا القرآن وتبين لنا الحق بسببه علمنا أنهم قد يكذبون عليه تعالى وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول وأشار بالانس الى القوى الروحانية وبالجن الى القوى الطبيعية وقال القاشاني انس الحواس الظاهرة وجن القوى الباطنة فتوهمنا أن البصر يدرك شكله ولونه والاذن تسمع صوته والوهم والخيال يتوهمه ويتخيله حقا مطابقا لما هو عليه قبل الاهتداء والتنور بنور الروح فعلمنا من طريق الوحي الوارد على القلب بواسطة روح القدس أن لا سبيل لنا في شئ من ادراكه فليس له شكل ولا لون ولا صوت ولا هو داخل في الوهم والخيال وليس كلام الله من جنس الكلام المصنوع الملتقف بالفكر والتخيل والمستنتج من القياسات العقلية أو المقدمات الوهمية والتخيلية فليس الله من قبيل المخلوق جنسا أو نوعا أو صنفا أو شخصا فكيف يكون له صاحبة وولد (وأنه) اى وأن الشأن (كان) في الجاهلية (رجال) كائنون (من الانس) خبر كان قوله (يعوذون) العوذ الالتجاء الى الغير والتعلق به (برجال من الجن) فيه دلالة على أن للجن نساء كالانس لان لهم رجالا ولذا قيل في حقهم انهم يتوالدون لكنهم ليسوا منظرين كابليس وذريته قال أهل التفسير كان الرجل من العرب اذا أمسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه يقول أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى (فزادوهم) عطف على يعوذون والماضي للتحقق اى فزاد الرجال العائذون الانسيون الجن (رهقا) مفعول ثان لزاد اى تكبرا وعتوا وسفها فان الرهق محركة يجيء على معان منها السفه وركوب الشر والظلم قال في آكام المرجان وبهذا يجيبون المعزم والراقي بأسمائهم وأسماء ملوكهم فانه يقسم عليهم بأسماء من يعظمونه فيحصل لهم بذلك من الرياسة والشرف على الانس ما يحملهم على ان يعطوهم بعض سؤلهم وهم يعلمون ان الانس اشرف منهم واعظم قدرا فاذا خضعت الانس لهم واستعاذت بهم كان بمنزلة اكابر الناس اذا خضع لهم اصاغرهم يقضون لهم حاجاتهم او المعنى فزاد الجن العائذين غيا بأن اضلوهم حتى استعاذوا بهم واذا استعاذوا بهم فأمنوا ظنوا ان ذلك من الجن فازدادوا رغبة في طاعة الشياطين وقبول وساوسهم والفاء حينئذ لترتيب الاخبار واسناد الزيادة الى الانس والجن باعتبار السببية (وروى) عن كردم بن ابي السائب الانصاري رضي الله عنه انه قال

خرجت مع ابى الى المدينة فى حاجة وذلك اول ماذكر النبى عليه السلام بمكة فآوانى المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء الذئب فحمل حملا من الغنم فقال الراعى يا عامر الوادى جارك فنادى مناد لا نراه يقول يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل فى الغنم ولم تصبه كدمة فأنزل الله على رسوله بمكة وأنه كان رجال الخ قال مقاتل كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن ثم من حنيفة ثم فشا ذلك فى العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال اذا كنت بواد تخاف فيه السبع فقل أعوذ بدانيال وبالجب من شر الاسد انتهى أشار بذلك الى ما رواه البيهقى فى الشعب ان دانيال طرح فى الجب وألقيت عليه السباع فجعلت السباع تلحسه وتبصبص اليه فأتاه رسول فقال يا دانيال فقال من أنت قال أنا رسول ربك اليك أرسلنى اليك بطعام فقال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره (وروى) ابن ابى الدنيا أن بختنصر ضرى أسدين وألقاهما فى جب وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يضراه وذكر قصته فلما ابتلى دانيال بالسباع جعل الله الاستعاذة به فى ذلك تمنع الشر الذى لا يستطاع كما فى حياة الحيوان فعلم من ذلك أن الاستعاذة بغير الله مشروعة فى الجملة لكن بشرط التوحيد واعتقاد التأثير من الله تعالى قال القاشانى فى الآية اى تستمد القوى الظاهرة الى القوى الباطنة وتتقوى بهم فزادوهم غشيان المحارم واتيان المناهى بالدواعى الوهمية والنوازع الشهوية والغضبية والخواطر النفسانية (وأنهم) اى الانس (ظنوا كما ظننتم) ايها الجن على أنه كلام مؤمنى الجن للكفار حين رجعوا الى قومهم منذرين فكذبوهم او الجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة على أنه كلام الله تعالى (ان لن يبعث الله احدا) ان هى المخففة والجملة سادة مسد مفعولى ظنوا وأعمل الاول على ما هو مذهب الكوفيين لان ما فى كما ظننتم مصدرية فكان الفعل بعدها فى تأويل المصدر والفعل اقوى من المصدر فى العمل والظاهر أن المراد بعثة الرسالة اى ان يبعث الله أحدا بالرسالة بعد عيسى او بعد موسى يقيم به الحجة على الخلق ثم انه بعث اليهم محمدا عليه السلام خاتم النبيين فآمنوا به فافعلوا أنتم يا معشر الجن مثل ما فعل الانس وقيل بعد القيامة اى ان يبعث الله أحدا بعد الموت للحساب والجزاء * يقول الفقير فيه اشارة الى اهل الغفلة من الانس والجن فانهم يظنون بالله ظن السوء ويقولون ان الله لا يبعث أحدا من نوم الغفلة بل يبقيه على حاله من الاستغراق فى اللذات والانهماك فى الشهوات ولا يدرون أن الله تعالى يبعث من فى القبور مطلقا ويحيى اجسادهم وقلوبهم وأرواحهم بالحياة الباقية لان أهل النوم لانقطاع شعورهم لا يعرفون حال اهل اليقظة وفيه اثبات العجز لله تعالى والله على كل شئ قدير (وأنا لمسنا السماء) اى طلبنا بلوغ السماء لاستماع ما يقول الملائكة من الحوادث او خبرها للافشاء بين الكهنة واللمس مستعار من المس للطلب شبه الطلب بالمس واللمس باليد فى كون كل واحد منهما وسيلة الى تعرف حال الشئ فعبر عنه بالمس واللمس قال الراغب اللمس ادراك بظاهر البشرة كالمس ويعبر به عن الطلب قال فى كشف الاسرار ومنه الحديث الذى ورد ان رجلا قال لرسول الله عليه السلام ان امرأتى لا تدفع عنها يد لامس اى لا ترد يد طالب حاجة صفرا يشكو تضييعها ماله (فوجدناها ملئت حرسا) اى حراسا وحفظة وهم الملائكة يمنعونهم عنها اسم جمع لحارس بمعنى حافظ كخدم لخادم مفرد اللفظ ولذلك قيل (شديدا) اى قويا

ولو كان جمع القليل شدادا وقوله ملئت حرسا حال من مفعول وجدناها ان كان وجدنا بمعنى أصبنا وصادفنا ومفعول ثان ان كان من أفعال القلوب أى فعلمناها مملوأة وحرسا تمييز (وشهبا) عطف على حرسا وحكمه فى الاعراب حكمه جمع شهاب وهى الشعلة المقتبسة من نار الكواكب هكذا قالوا وقد مر تحقيقه (وأنا كنا نقعد) قبل هذا (منها) اى من السماء (مقاعد للسمع) خالية عن الحرس والشهب يحصل منها مقاصدنا من استماع الاخبار لالقاء الى الكهنة أو صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اى على الوجه الاول اى لاجل السمع أو بمضمر هو صفة لمقاعد اى على الثانى اى مقاعد كائنة للسمع وفى كشف الاسرار اى مواضع لاستماع الاخبار من السماء وكان لكل حى من الجن باب فى السماء يستمعون فيه ومن أحاديث البخارى عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة تنزل فى العنان وهو بالفتح السحاب فتذكر الامر الذى قضى فى السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معه مائة كذبة من عند أنفسهم يقول الفقير وجه التوفيق بين الاستراق من السماء ومن السحاب أن الملائكة مرة ينزلون فى العنان فيتحدثون هنالك وأخرى يتذاكرون فى السماء ولا منع من عروج الشياطين الى السماء فى مدة قليلة للطافة أجسامهم وحيث كانت نارية أو هوائية او دخانية لا يتأثرون من النار أو الهواء حين المرور بكرتيهما ولو سلم فعروجهم من قبيل الاستدراج ولله فى كل شئ حكمة وأسرار (فمن) شرطية (يستمع الآن) فى مقعد من المقاعد ويطلب الاستماع والآن اى فى هذا الزمان وبعد المبعث وفى اللباب ظرف حالى استعير للاستقبال (يجدله) جواب الشرط والضميران اى يجد لنفسه (شهابا رصدا) الرصد الاستعداد للترقب اى شهابا راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم أو ذوى شهاب راصدين له ايرجموه بما معهم من الشهب على أنه اسم مفرد فى معنى الجمع كالحرس فيكون المراد بالشهاب الملائكة بتقدير المضاف ويجوز نصب رصدا على المفعول له وفى الآية اشارة الى طلب القوى الطبيعية أن تدخل سماء القلب فوجدتها محفوفة بحراس الخواطر الملكية والرحمانية يحرسونها عن طرق الخواطر النفسانية والشيطانية بشهاب نار نور القلب المنور بنور الرب وكان الشهاب والرجم قبل البعثة النبوية لكن كثر بعدها وزاد زيادة بينة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا لئلا يلتبس على الناس أقوال الرسول المستندة الى الوحى الالهى بأقوال الكهنة المأخوذة من الشياطين مما استرقوا من أقوال أهل السماء ويدل على ما ذكر قوله تعالى فوجدناها ملئت حرسا شديدا فانه يدل على أن الحادث هو الكمال والكثرة أى زيدت حرسا وشهبا حتى امتلأت بهما وقوله تعالى وأنا كنا نقعد منها مقاعد اى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية عن الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها فلما رأى الجن ذلك قالوا ما هذا الا لامر أراده الله بأهل الارض وذلك قولهم (وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض) بحراسة السماء منا (ام اراد بهم ربهم رشدا) اى خيرا واصلاحا أو فق لصلاحهم والاستفهام لاظهار العجز عن الاطلاع على الحكمة قال بعضهم لعل الترديد بينهما مخصص بالاستفهام وأن يكون فاعل فعل مضمر مفسر بما بعده بمعنى لا ندرى أأريد شر أم خير وبحوه لتموافقة بين المعطوفين فى كونهما جملة فعلية والباء فى الموضعين متعلقة بما قبلها والجملة الاستفهامية قائمة مقام

المفعول ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما فى قوله تعالى
واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قال صاحب الانتصاب ومن عقائد الجن أن الهدى والضلال
جميعا من خلق الله تعالى فتأدبوا من نسبة الرشاد اليه وجعلوا الشر مضمر الفاعل فجمعوا بين
حسن الاعتقاد والادب (وانا منا الصالحون) اى الموصوفون بصلاح الحال فى شان أنفسهم
وفى معاملاتهم مع غيرهم أو ما يكون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر
والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة والقصر ادعائى كأنهم لم يعتدوا بصلاح غير ذلك
البعض فالصالحون مبتدأ ومنا خبره المقدم والجملة خبران ويجوز أن يكون الصالحون فاعل
الجار والمجرور الجارى مجرى الظرف لاعتماده على المبتدا (ومنا دون ذلك) أى قوم دون ذلك
فى الصلاح فحذف الموصوف لانه يجوز حذف هذا الموصوف فى التفصيل بمن حتى قالوا منا
ظعن ومنا أقام يريدون منا فريق ظعن ومنا فريق أقام ودون ظرف وهم المقتصدون فى صلاح
الحال على الوجه المذكور غير الكاملين فيه لا فى الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم
قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى (كنا طرائق قددا) وأما حالهم بعد استماعه فسيحكى
بقوله وأنا لما سمعنا الهدى الى قوله وأنا منا المسلمون أى كنا قبل هذا طرائق فى اختلاف
الاحوال فهو بيان للقسمة المذكورة وقدر المضاف لامتناع كون الذوات طرائق قالوا
فى الجن قدرية ومرجئة وخوارج وروافض وشيعة وسنية قال فى المفردات جمع الطريق طرق
وجمع الطرق طرائق والظاهر أن الطرائق جمع طريقة كقصائد جمع قصيدة ثم قال وقوله تعالى
كنا طرائق قددا اشارة الى اختلافهم فى درجاتهم كقوله هم درجات والطريق الذى يطرق
بالارجل أى يضرب ومنه استعير كل مسلك يسلكه الانسان فى فعل محمودا كان أو مذموما
وقيل طريقة من النخل تشبيها بالطريق فى الامتداد والقد قطع الشئ طولا والقد المقدود ومنه
قيل لقامة الانسان قد كقولك تقطيعه والقدة كالقطعة يعنى انها من القد كالقطعة من القطع
وصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق وفى القاموس القدة الفرقة من
الناس هوى كل واحد على حدة ومنه كنا طرائق قددا أى فرقا مختلفة أهواؤها وقد تعددوا
قال القاشانى وانا منا الصالحون كالقوى المدبرة لنظام المعاش وصلاح البدن ومنا دون ذلك
من المفسدات كالوهم والغضب والشهوة والمعاملة بمقتضى هوى النفس والمتوسطات كالقوى
النباتية الطبيعية كنا ذوى مذاهب مختلفة لكل طريقة ووجهة هو موليها انتهى وكلامه قال
بعض المفسرين المراد بالصالحين السابقون بالخيرات ومنا دون ذلك أى أدنى مكان منهم
المقتصدون الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وأما الظالمون لانفسهم فمندرج فى قوله تعالى
كنا طرائق قددا فيكون تعميما بعد تخصيص على الاستئناف ويحتمل أن يكون دون بمعنى غير
فيندرج القسمان الاخيران فيه (وانا ظننا) أى علمنا الآن بالاستدلال والتفكر فى آيات الله
فالظن هنا بمعنى اليقين لان الايمان لا يحصل بالظن ولان مقصودهم ترغيب أصحابهم وترهيبهم
وذا بالعلم لا بالظن كما قال عليه السلام أنا النذير العريان (أن) أى أن الشأن (لن نعجز الله) عن
امضاء ما أراد بنا كائنين (فى الارض) أينما كنا من أقطارها فقوله فى الارض حال من فاعل نعجز
والاعجاز عاجز كردن (ولن نعجزه هربا) قوله هربا حال من فاعل لن نعجز أى هاربين من الارض

الى السماء والى البحار والى جبل قاف أولن نعجزه فى الارض ان أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا فالفرار من موضع الى موضع وعدمه سيان فى أن شيأ منهما لا يفيد فواتنا منه ولعل الفائدة فى ذكر الارض حينئذ الاشارة الى أنها مع سعتها وانبساطها ليست منجى منه تعالى ولا مهربا (وأنا لما سمعنا الهدى) أى القرآن الذى يهدى للتى هى أقوم (آمنا به) من غير تأخير وتردد (فمن يؤمن بربه) وبما أنزله من الهدى (فلا يخاف) أى فهو لا يخاف فالكلام فى تقدير مبتدأ وخبر ولذلك دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف وفائدة رفع الفعل ووجوب ادخال الفاء أنه دال على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة وأنه المختص بذلك دون غيره (بخسا) أى نقصا فى الجزاء (ولا رهقا) ولا أن ترهقه ذلة وتغشاه أو جزاء بخس ولا رهق أى ظلم اذ لم يبخس أحدا حقا ولا رهق أى ظلم أحدا فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن من امنه الناس على أنفسهم وأموالهم قال الواسطى رحمه الله حقيقة الايمان ما أوجب الامان فمن بقى فى مخاوف المرتابين لم يبلغ الى حقيقة الايمان (وأنا منا المسلمون) أى بعد استماع القرآن (ومنا القاسطون) الجائرون عن طريق الحق الذى هو الايمان والطاعة فالقاسط الجائر لانه عادل عن الحق والمقسط العادل لانه عادل الى الحق يقال قسط اذا جار وأقسط اذا عدل وقد غلب هذا الاسم أى القاسط على فرقة معاوية ومنه الحديث خطابا لعلى رضى الله عنه تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين فالناكثون أصحاب عائشة رضى الله عنها فانهم الذين نكثوا البيعة أى نقضوها واستنزلوا عائشة وساروا بها الى البصرة على جمل اسمه عسكر ولذا سميت الوقعة يوم الجمل والقاسطون أصحاب معاوية لانهم قسطوا أى جاروا حين حاربوا الامام الحق والوقعة تعرف بيوم صفين والمارقون الخوارج فانهم الذين مرقوا أى خرجوا من دين الله واستحلوا القتال مع خليفة رسول الله عليه السلام وهم عبد الله بن وهب الراسى وحرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثدية وتعرف تلك الواقعة بيوم النهروان هى من أرض العراق على أربعة فراسخ من بغداد (فمن أسلم) پس هركه كردن نهاد امر حدا را همينانچه ما كرده ايم قال سعدى المفتى يجوز أن يكون من كلام الجن ويجوز أن يكون مخاطبة من الله لرسوله كما فيما بعده من الآيات (فأولئك) اشارة الى من أسلم والجمع باعتبار المعنى (تحروا) التحرى فى الاصل طلب الأحرى والاليق قولا أو فعلا أى طلبوا وقصدوا (رشدا) يقال رشد كنصر وفرح رشدا ورشدا ورشادا اهتدى كما فى القاموس أى اهتداء عظيما الى طريق الحق والصواب يبلغهم الى دار الثواب فتحرى الرشد مجاز عن ذلك بعلاقة السببية وبالفارسية قصد كرده اند راه راست وازان بمقصد خواهند رسيد ودل على أن للجن ثوابا على أعمالهم لانه ذكر سبب الثواب وموجبه وقد سبق تحقيقه (وأما القاسطون) الجائرون عن سنن الهدى (فكانوا لجهنم حطبا) الحطب ما يعد للايقاد أى حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس روى أن الحجاج قال لسعيد بن جبير حين أراد قتله ما تقول فى قال انك قاسط عادل فقال الحاضرون ما أحسن ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة جعلنى جاهلا كافرا وتلا قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وأسند بعضهم قول سعيد الى امرأة كما قال فى الصحاح ومنه قول تلك المرأة للحجاج انك لقاسط عادل

فيحتمل التوارد (وأن لو استقاموا) أن مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على أنه استمع والمعنى وأوحى الى أن الشأن لو استقام الجن أو الانس أو كلاهما (على الطريقة) التى هى ملة الاسلام (لاسقيناهم ماء غدقا) الاسقاء والسقى بمعنى وقال الراغب السقى والسقيا هو أن تعطيه ماء ليشرب والاسقاء أن تجعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء كما يقال أسقيته نهرا فالاسقاء ابلغ وغدق من باب علم اذا غزر وصف الماء به للمبالغة فى غزارته كرجل عدل وتخصيص الماء الكثير بالذكر لانه أصل السعة وان كان أصل المعاش هو وأصل الماء لا كثرته ولعزة وجوده بين العرب قال عمر رضى الله عنه أينما كان الماء كان العشب وأينما كان العشب كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة والمعنى لاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا ووسعنا عليهم الرزق فى الدنيا وبالفارسية هر آينه بدهيم ايشان را آب بسيار بعد از تنك سالى يعنى روزى بر ايشان فراخ كردانيم وفيه دلالة على أن الجن يأكلون ويشربون ولكن فيه تفصيل وقد سبق وقال بعض أهل المعرفة المراد بالاستقامة على الطريقة هو القيام على سبيل السنة والميل الى أهل الصلاح وبالاسقاء الافاضة على قلوبهم ماء الوداد (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فى ذلك الاسقاء والتوسيع كيف يشكرونه كما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات أو فى ذلك الماء والمآل واحد (وقال الكاشفى) تا بيازماييم ايشانرا در آن زند كانى كه بوظائف شكر چكونه قيام مينمايند وفيه اشارة الى أن المرزوق بالرزق الروحانى والغذاء المعنوى يجب عليه القيام بشكره أيضا وذلك بوظائف الطاعات وصنوف العبادات وضروب الخدمات (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته أو عن موعظته أو وحيه (يسلكه) يدخله (عذابا صعدا) أى شاقا صعبا يتصعد أى يعلو المعذب ويغلبه فلا يطيقه على أنه مصدر وصف به للمبالغة يقال سلكت الخيط فى الابرة اذا أدخلته فيها أى يسلكه فى عذاب صعد كما قال ما سلككم فى سقر أى ادخلكم فيها فحذف الجار وأوصل الفعل ثم ان كان اعراضه بعدم التصديق كان عذابه بالتأبيد والا فبقدر جريمته ان لم يغفر له (وروى) أن صعدا جبل فى النار اذا وضع عليه يديه أو رجليه ذابتا واذا رفعهما عادتا وقال بعضهم صعدا جبل أملس فى جهنم ويكلف الوليد بن المغيرة صعوده أربعين عاما فيجذب من أعلاه بالسلاسل فاذا انتهى الى أعلاه انحدر الى أسفله ثم يكلف ثانيا وهكذا يعذب أبدا (وأن المساجد لله) عطف على قوله أنه استمع أى وأوحى الى أن المساجد مختصة بالله تعالى وبعبادته خصوصا المسجد الحرام ولذلك قيل بيت الله فالمراد بالمساجد المواضع التى بنيت للصلاة وذكر الله ويدخل فيها البيوت التى يبنيها أهل الملل للعبادة نحو الكنائس والبيع ومساجد المسلمين ثم هذا لا ينافى أن تضاف المساجد وتنسب الى غيره تعالى بوجه آخر اما لبانيها كمسجد رسول الله أو لمكانها كمسجد بيت المقدس الى غير ذلك من الاعتبارات وأعظم المساجد حرمة المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم مسجد بيت المقدس ثم الجوامع ثم مساجد المحال ثم مساجد الشوارع ثم مساجد البيوت (فلا تدعوا) أى لا تعبدوا فيها الفاء للسببية (مع الله أحدا) أى لا تجعلوا أحدا غير الله شريكا لله فى العبادة فاذا كان الاشراك مذموما فكيف يكون حال تخصيص العبادة بالغير (قال الكاشفى) پس مخوانيد در ان با خداى تعالى يكى را چنانچه يهود ونصارى در كنايس وصوامع خود عزير ومسيح را بالوهيت ياد ميكنند چنانكه مشركان در حوالى بيت الحرام ميكويند لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما

ملك

ملك وكفته اند مراد ازين مساجد تمام روى زمينست كه مسجد حضرت سيد المرسلينست لقوله عليه السلام جعلت لى الارض مسجدا وتربتها طهورا پس در هيچ بقعه بياد خدا ياد ديكرى نيكو نباشد * دل بجز از ياد خدا شاد مكن * ياد وى از كسى ديكر ياد مكن * قال بعض العارفين انما تبرأ تعالى من الشريك لانه عدم والله وجود فتبرأ من العدم الذى لا يلحقه اذ هو واجب الوجود لذاته والله تعالى مع الخلق ما الخلق مع الله لانه تعالى يعلمهم وهم لا يعلمونه فهو تعالى معهم أينما كانوا فى ظرفية أمكنتهم وأزمانهم وأحوالهم ما الخلق معه تعالى فانهم لا يعرفونه حتى يكونوا معه ولو عرفوه من طريق الايمان كانوا كالاعمى يعلم أنه جليس زيد ولكن لا يراه فهو كأنه يراه بخلاف أهل المشاهدة فانه ذو بصر الهى فمن دعا الله مع الله ما هو كمن دعا الخلق مع الله هذا معنى فلا تدعوا مع الله أحدا ثم ان السجود وان كان لله لا يقع فى الحس أبدا الا لغير الله أى لجهة غير الله لان الله ليس بجهة بل هو بكل شئ محيط فما وقع من عبد سجود الا لغير الله لكن منه ما كان لغير الله عن أمر الله كالسجود لآدم وهو مقبول ومنه ما كان عن غير أمره كالسجود للاصنام وهو مردود وانما وضعت المساجد للتعظيم كما أنه عينت القبلة للأدب يروى عن كعب أنه قال انى لأجد فى التوراة ان الله تعالى يقول ان بيوتى فى الارض المساجد وان المسلم اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزور أن يكرم زائره ومن هنا قالوا ان من دخل المسجد ينوى زيارة الله تعالى قال بعض أهل المعرفة ان مساجد القلوب لزوار تجليه فلا ينبغى أن يكون فيها ذكر غير الله وقال بعضهم ان مساجد القلوب الصافية عن القاذورات مختصة بالله تعالى وبالتجليات الذاتية والصفاتية والاسمائية فلا تدعوا مع الله أحدا من الاسماء الجزئية أى طهروا مساجد قلوبكم لتجلى اسم الله الاعظم فيها لا غير وقال ابن عطاء مساجدك أعضاؤك التى أمرت أن تسجد عليها لا تخضعها ولا تذللها لغير خالقها وهى الوجه واليدان والركبتان والرجلان والحكمة فى ايجاب السجود على هذه الاعظم أن هذه الاعضاء التى عليها مدار الحركة هى المفاصل التى تنفتح وتنطبق فى المشى والبطش وأكثر السعى ويحصل بها اجتراح السيآت وارتكاب الشهوات فشرع الله بها السجود للتكفير ومحو الذنب والتطهير (وأنه) من جملة الموحى به أى وأوحى الى أن الشأن (لما قام عبد الله) أى النبى عليه السلام ولذا جعلوه فى أسمائه لانه هو العبد الحقيق فى الحقيقة المضاف الى اسم الله الاعظم فرقا وان كان هو المظهر له جمعا * ودر آثار آمده كه آن حضرت را عليه السلام هيچ نام ازين خوشتر نيامده چه شر بطه عبادت وعبوديت بروجهى كه آن حضرت قيام كرد هيچكس را قدرت بر اقامت بر ان نبوده لا جرم در وقت عروج ان حضرت بر منازل ملكى باين اسم مذكور شد كه سبحان الذى أسرى بعبده وبهنكام نزول قرآن از معارج فلكى اورا بهمين نام ياد ميكنند كه تبارك الذى نزل الفرقان على عبده * آن بنده شمار بنده كى دوست * كز جمله بنده كان كزين اوست * دادند بنده كيش راهى * كانراه نديده هيچ شاهى * وايراده بلفظ العبد عليه السلام للاشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته وهو العبودية أى كونه عبدا له وللتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه اذا التقدير وأوحى الى أنى لما قمت وهذا على قراءة الفتح وأما على قراءة نافع وأبى بكر فيتعين كونه للاشعار بالمقتضى وفيه تعريض لقريش بأنهم سموا عبد ود وعبد يغوث وعبد مناف وعبد شمس

ونحوها الا عبد الله وأن من سمى منهم بعبد الله فانما هى من قبيل التسمية المجردة عن معانيها (يدعوه) حال من فاعل قام أى يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما سبق (كادوا) أى قرب الجن (يكونون عليه لبدا) جمع لبدة بالكسر نحو قربة وقرب وهى ما تلبد بعضه على بعض أى تراكب وتلاصق ومنه لبدة الاسد وهى الشعر المتراكب بين كتفيه والمعنى متراكمين يركب بعضهم بعضا ويقع من ازدحامهم على النبى عليه السلام تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء أصحابه به قياما وقعودا وسجودا لانهم رأوا ما لم يروا مثله قبل وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وعلى قراءة الكسر اذا جعل مقول الجن فضمير كادوا لاصحابه عليه السلام الذين كانوا مقتدين به فى الصلاة يقول الفقير فى هذا المقام اشكال على القراءتين جميعا لان المراد ان كان ما ذهب اليه ابن عباس رضى الله عنهما على ما ذهب اليه المفسرون فلا معنى للازدحام اذ كان الجن بنخلة نفرا سبعة أو تسعة ولا معنى لازدحام النفر القليل مع سعة المكان وقرب القارى وانما وقع الازدحام فى الحجون بعد العود من نخلة على ما رواه ابن مسعود رضى الله عنه ولا مخلص الا بأن يقال لم يزالوا يدنون من جهة واحدة حتى كادوا يكونون عليه لبدا أو بأن يتجوز فى النفر وحينئذ يبقى تعيين العدد على ما فعله بعضهم بلا معنى وان كان المراد ما ذهب اليه ابن مسعود رضى الله عنه ففيه أن ذلك كان بطريق المشاهدة على ما أسلفناه فى الاحقاف ولا معنى لاخباره بطريق الوحى على ما مضى فى أول السورة وأيضا أنه لم يكن معه عليه السلام اذ ذاك الا نفر قليل من أصحابه بل لم يكن الا زيد بن حارثة رضى الله عنه على ما فى انسان العيون فلا معنى للازدحام والله أعلم بمراده (قل انما أدعو) أى أعبد (ربى ولا أشرك به) أى بربى فى العبادة (أحدا) فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب أو الاطباق على عداوتى وهذا حالى فليكن حالكم أيضا كذلك (قل انى لا أملك لكم) أيها المشركون (ضرا ولا رشدا) كأنه أريد لا أملك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا أى ليس هذا بيدى بل بيد الله تعالى فانه هو الضار النافع الهادى المضل فترك من كلا المتقابلين ما ذكر فى الآخر فالآية من الاحتباك وهو الحذف من كل ما يدل مقابله عليه وفى التأويلات النجمية أى من حيث وجوده المضاف اليه كما قال انك لا تهدى من أحببت وأما من حيث وجوده الحق المطلق فانه يملك الضر والرشد كقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم قال القاشانى أى غيا وهدى انما الغواية والهداية من الله ان سلطنى عليكم تهتدوا بنورى والا بقيتم فى الضلال ليس فى قوتى أن أقسركم على الهداية (قل انى لن يجيرنى) ينقذنى ويخلصنى (من الله) من قهره وعذابه ان خالفت أمره وأشركت به (أحد) ان استنقذته أو ان يحمينى منه أحد ان أرادنى بسوء وقدره على من مرض أو موت او غيرهما قال بعضهم هذه اللفظة تدل على الاخلاص فى التوحيد اذ التوحيد هو صرف النظر الى الحق لا غير وهذا لا يصح الا بالاقبال على الله والاعراض عما سواه والاعتماد عليه دون ما عداه (وان أجد من دونه ملتحدا) يقال ألحد فى دين الله والتحد فيه أى مال عنه وعدل ويقال للملجأ الملتحد لان اللاجئ يميل اليه والمعنى وان أجد عند الشدائد ملتجأ غيره تعالى وموئلا ومعدلا فلا ملجأ ولا موئل ولا معدل الا هو وهذا بيان لعجزه عليه السلام عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره أى واذا لا أملك لنفسى شيأ فكيف أملك لكم شيأ (الا بلاغا من الله) استثناء متصل من قوله لا أملك

أى من مفعوله فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة عن نفسه
ولا يضر طول الفصل بينهما وفائدة الاستثناء المبالغة فى توصيف نفسه بالتبليغ لدلالته على أنه
لا يدع التبليغ الذى يستطيعه لتظاهرهم على عداوته وقوله من الله صفة بلاغا أى بلاغا كائنا منه
وليس منه لمقابلة قوله بلاغا لان صلة التبليغ فى المشهور انما هى كلمة عن دون من و بلاغا واقع موقع
التبليغ كما يقع السلام والكلام موقع التسليم والتكليم أو استثناء من قوله ملتحدا أى لن أجد
من دونه تعالى منجى الا أن أبلغ عنه ما أرسلنى به فهو حينئذ منقطع فان البلوغ ليس ملتحدا من
دون الله لانه من الله وباعانته وتوفيقه (ورسالاته) عطف على بلاغا باضمار المضاف وهو البلاغ
أى لا أملك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى وتبليغ رسالاته التى أرسلنى بها يعنى الا أن أبلغ عن الله
وأقول قال الله كذا ناسبا للمقالة اليه وأن أبلغ رسالاته التى أرسلنى بها من غير زيادة ولا نقصان
وقال سعدى المفتى لعل المراد من بلاغا من الله هو ما يأخذه منه تعالى بلا واسطة ومن رسالاته ماهو
بها انتهى والمراد بالرسالة هو ما أرسل الرسول به من الامور والاحكام والاحوال لا معنى المصدر
والظاهر أن المراد الا التبليغ والرسالة من الله تعالى وجمع الرسالة باعتبار تعدد ما أرسل هو به
(ومن يعص الله ورسوله) فى الامر بالتوحيد بأن لا يمتثل أمرهما به ودعوتهما اليه فيشرك به
اذ الكلام فيه وهو يصلح أن يكون مخصصا للعموم فلا متمسك للمعتزلة فى الآية على تخليد عصاة
المؤمنين فى النار (فان له نار جهنم خالدين فيها) أى فى النار أو فى جهنم والجمع باعتبار المعنى
(أبدا) بلا نهاية فهو دفع لان يراد بالخلود المكث الطويل (حتى اذا رأوا ما يوعدون) غاية لمحذوف
يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عليه السلام واستقلالهم لعددهم حتى قالوا
هم بالاضافة الينا كالحصاة من جبال كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون
من فنون العذاب فى الآخرة (فسيعلمون) حينئذ عند حلوله بهم (من أضعف ناصرا وأقل
عددا) أى فسيعلمون الذى هو أضعف وأقل أهم أم المؤمنون فمن موصولة وأضعف خبر مبتدأ
محذوف ويجوز أن تكون استفهامية مرفوعة بالابتداء وأضعف خبره والجملة فى موضع
نصب سدت مسد مفعولى العلم وناصرا وعددا منصوبان على التمييز وحمل بعضهم ما يوعدون على
ما رأوه يوم بدر وأياما كان ففيه دلالة على أن الكفار مخذولون فى الدنيا والآخرة وان كثروا عددا
وقووا جندا لان الكافرين لا مولى لهم وأن المؤمنين منصورون فى الدارين وان قلوا عددا
وضعفوا جندا لان الله مولاهم والواحد على الحق هو السواد الاعظم فان نصره ينزل من العرش
(قال الحافظ) تيغى كه آسمانش از فيض خود دهد آب * تنها جهان بكيرد بى منت سپاهى (قل
ان أدرى) أى ما أدرى لان ان نافية (أقريب) خبر مقدم لقوله (ما توعدون) ويجوز أن يكون
ما توعدون فاعلا لقريب سادا مسد الخبر لوقوعه بعد ألف الاستفهام وما موصولة والعائد
محذوف أى أقريب الذى توعدونه نحو أقام الزيدان (أم يجعل له ربى أمدا) أى غاية تطول
مدتها والامد وان كان يطلق على القريب أيضا الا أن المقابلة تخصصه بالبعيد والفرق بين
الزمان والامد أن الامد يقال باعتبار الغاية والزمان عام فى المبدأ والغاية والمعنى ان الموعد
كائن لا محالة وأما وقته فما أدرى متى يكون لان الله لم يبينه لما رأى فى اخفاء وقته من المصلحة
وهو رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون الموعود انكارا له واستهزاء فان قيل

أليس قال عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لا أدرى أقريب أم بعيد فالجواب أن المراد بقرب وقوعه هو أن ما بقى من الدنيا أقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم وأما قربه بمعنى كونه بحيث يتوقع فى كل ساعة فغير معلوم على أن كل آت قريب ولذا قال تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وقال كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وذلك بالموت للمتقدمين ووقوع عين القيامة للمتأخرين كما أوعد نوح عليه السلام بالطوفان فلم يدركه بعضهم بل هلك قبله وغرق فى طوفان الموت وبحر البلاء قال بعض أهل المعرفة قل ان أدرى أقريب ما توعدون فى القيامة الصغرى من الفناء الصورى والموت الطبيعى الاضطرارى والدخول فى نار الله الكبرى عند البعث لعدم الوقوف على قدر الله أو فى الكبرى من الموت الارادى والفناء الحقيقى لعدم الوقوف على قوة الاستعداد فيقع عاجلا أم ضرب الله غاية وأجلا (عالم الغيب) وحده وهو خبر مبتدأ محذوف أى هو عالم جميع ما غاب عن الحس على أن اللام للاستغراق والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية (فلا يظهر) اكانكند (على غيبه أحدا) الفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق أى فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين أحدا من خلقه (الا من ارتضى من رسول) الارتضاء بسنديدن وأصله تناول مرضى الشئ أى الا رسولا ارتضاه واختاره لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا تاما اما لكونه من مبادى رسالته بأن يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية التى أمر بها المكلفون وكيفيات أعمالهم وأجزيتها المترتبة عليها فى الآخرة وما تتوقف هى عليه من أحوال الآخرة التى من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التى بيانها من وظائف الرسالة وأما ما لا يتعلق بها على أحد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه أحدا أبدا على أن بيانه وقد مخل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفى كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلا ولا يدعى أحد لاحد من الاولياء ما فى مرتبة الرسل من الكشف الكامل الحاصل بالوحى الصريح بل اطلاعهم بالاخبار الغيبى والتلقى من الحق فيدخل فى الرسول وارثه قال الجنيد قدس سره قعد على غلام نصرانى متنكرا وقال أيها الشيخ ما معنى قوله عليه السلام اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله قال فأطرقت رأسى ورفعت فقلت أسلم أسلم فقد حان وقت اسلامك فأسلم الغلام فهذا ما بطريق الفراسة أو بغيرها من أنواع الكشوف وخرج من البين أهل الكهانة والتنجيم لانهم ليسوا من أهل الارتضاء والاصطفاء كالانبياء والاولياء فليس اخبارهم بطريق الالهام والكشف بل بالامارات والظنون ونحوها ولذا لا يقع أكثرها الا كاذبا ومن قال أنا أخبر من اخبار الجن يكفر لان الجن كالانس لا تعلم غيبا وقد سبق أن الكهانة انقطعت اليوم فلا كهانة أبدا لان الشياطين منعوا من السماء قال ابن الشيخ انه تعالى لا يطلع على الغيب الذى يختص به علمه الا المرتضى الذى يكون رسولا وما لا يختص به يطلع عليه غير الرسول اما بتوسط الانبياء

أو بنصب

أو بنصب الدلائل وترتيب المقدمات أو بان يلهم الله بعض الاولياء وقوع بعض المغيبات
في المستقبل بواسطة الملك فليس مراد الله بهذه الآية ان لا يطلع أحدا على شيء من المغيبات
الا الرسل لظهور انه تعالى قد يطلع على شيء من الغيب غير الرسل كما اشتهر أن كهنة فرعون أخبروا
بظهور موسى عليه السلام و بزوال ملك فرعون على يده وان بعض الكهنة أخبروا بظهور
نبينا محمد عليه السلام قبل زمان ظهوره ونحو ذلك من المغيبات وكانوا صادقين فيه وأرباب الملل
والاديان مطبقون على صحة علم التعبير والمعبر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية في المستقبل
ويكون صادقا فيه ثم الآية نظير قوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي
من رسله من يشاء (فانه يسلك) پس بدرستى كه درمى آرد خداى تعالى يعنى ميسازد وبالعربية
يدخل وينبت (من بين يديه) أي قدام الرسول المرتضى (ومن خلفه رصدا) قال في القاموس
الرصد محركة الراصدون أي الراقبون بالفارسية نكهبانان يقال للواحد والجماعة كما في المفردات
وهو تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته أي فانه تعالى يسلك من جميع
جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حراسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره
عليه من الغيوب المتعلقة برسالته يعني ان جبريل كان اذا نزل بالرسالة نزل معه ملائكة يحفظونه
من أن يسمع الجن الوحي فيلقونه الى كهنتهم فتخبر به الكهنة قبل الرسول فيختلط على الناس أمر
الرسالة قال القاشاني الامن ارتضى من رسول أي أعده في الفطرة الاولى وزكاه وصفاه من رسول
القوة القدسية فانه يسلك من بين يديه أي من جانبه الالهي ومن خلفه أي ومن جهته البدنية
رصدا حفظة أما من جهة الله التي اليها وجهه فروح القدس والانوار الملكوتية والربانية وأما
من جهة البدن فالملكات الفاضلة والهيآت النورية الحاصلة من هيا كل الطاعات والعبادات
يحفظونه من تخبيط الجن وخلط كلامهم من الوساوس والاوهام والخيالات بمعارفها اليقينية
ومعانيها القدسية والواردات الغيبية والكشوف الحقيقية (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم
متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ
الموجود بالفعل وأن مخففة من المثقلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة خبرها
والابلاغ الايصال وبالفارسية رسانيدن ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي أريد اظهار المرتضى
عليه والجمع باعتبار تعدد أفراده وضمير أبلغوا اما للرصد فالمعنى أنه تعالى يسلكهم من جميع
جوانب المرتضى ليعلم أن الشأن قد أبلغوا رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علم
مترتبا عليه الجزاء وهو أن يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين منكم
والغاية في الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بامرهما والاشعار
بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير من التفريط فيهما واما لمن ارتضى والجمع
باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم ان قد أبلغ الرسل
الموحى اليهم رسالات ربهم الى اممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما أبلغها الرصد اليهم
كذلك (وأحاط بما لديهم) أي بما عند الرصد أو الرسل حال من فاعل يسلك باضمار قد أو بدونه على
الخلاف المشهور جيء بها لتحقيق استغنائه تعالى اى وقد أحاط بما لديهم من الاحوال جميعا
(وأحصى) علم علما بالغا الى حد الاحاطة تفصيلا وبالفارسية وشمرده است (كل شيء) مما كان

وماسيكون (عددا) أى فردا فردا فكيف لا يحيط بما لديهم قال القاسم هو أوجدها فأحصاها عددا وقال ابن عباس رضى الله عنهما أحصى ما خلق وعرف عدد ما خلق لم يفته علم شئ حتى مثاقيل الذر والخردل (قال الكاشفى) مراد كمال علمست وتعلق آن بجميع معلومات يعنى معلومى مطلقا از دائرۀ علم او خارج نيست * هرچه دانستنى است در دو جهان * نيست از علم شاملش پنهان * قوله عددا تمييز منقول من المفعول به كقوله وفجرنا الارض عيونا والاصل أحصى عدد كل شئ وفائدته بيان أن علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلى اجمالى بل على وجه جزئى تفصيلى فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها أى لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان أصل الاحصاء أن الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبنى على ذلك حسابه وهذه الآية مما يستدل به على أن المعدوم ليس بشئ لانه لو كان شيأ لكانت الاشياء غير متناهية وكونه أحصى عددها يقتضى كونها متناهية لان احصاء العدد انما يكون فى المتناهى فيلزم الجمع بين كونها متناهية وغير متناهية وذلك محال فوجب القطع بأن المعدوم ليس بشئ حتى يندفع هذا التناقض والتنافى كذا فى حواشى ابن الشيخ رحمه الله

تمت سورة الجن بعون ذى الطول والمن فى عصر الثلاثاء السابع من ذى القعدة من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف

(سورة المزمل وآيها تسع عشرة أو عشرون آية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها المزمل) أى المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها وتغطى فادغم التاء فى الزاى فقيل المزمل بتشديدين كان عليه السلام نائما بالليل متزملا فى قطيفة أى دثار مخمل فأمر أن يترك التزمل الى التشمر للعبادة ويختار التهجد على الهجود وقال ابن عباس رضى الله عنهما أول ما جاءه جبريل خافه وظن أن به مسا من الجن فرجع من جبل حراء الى بيت خديجة مرتعدا وقال زملونى فبينما هو كذلك اذ جاء جبريل وناداه وقال يا أيها المزمل وعن عكرمة أن المعنى يا أيها الذى زمل أمرا عظيما أى حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله قال السهيلى رحمه الله ليس المزمل من أسمائه عليه السلام التى يعرف بها كما ذهب اليه بعض الناس وعده فى أسمائه وانما المزمل مشتق من حالته التى كان عليها حين الخطاب وكذا المدثر وفى خطابه بهذا الاسم فائدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التى هو عليها كقول النبى عليه السلام لعلى رضى الله عنه حين غاضب فاطمة رضى الله عنها أى أغضبها وأغضبته فأتاه وهو نائم قد لصق بجنبه التراب فقال له قم يا أبا تراب اشعارا بأنه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة رضى الله عنه قم يا نومان وكان نائما ملاطفة واشعارا بترك العتب والتأديب فقول الله تعالى لمحمد عليه السلام يا أيها المزمل تأنيس وملاطفة ليستشعر أنه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه الى قيام الليل وذكر الله فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل بذلك العمل واتصف بتلك الصفة انتهى وفى فتح الرحمن الخطاب الخاص بالنبى عليه السلام كيا أيها المزمل ونحوه عام للامة الابدليل

بحضه وهذا قول احمد والحنفية والمالكية وقال اكثر الشافعية لا يعمهم الابدليل وخطابه عليه السلام لواحد من الامة هل يعم غيره قال الشافعي والحنفية والاكثر لا يعم وقال ابو الخطاب من أئمة الحنابلة ان وقع جوابا عم والافلا (قم الليل) بكسر الميم لالتقاء الساكنين أى لا تتزمل وترقد ودع هذه الحال لما هو أفضل منها وقم الى الصلاة فى الليل فانتصاب الليل على الظرفية وان استغرق الحدث الواقع فيه فحذف فى وأوصل الفعل اليه فنصب لان عمل الجر لا يكون فى الفعل والنصب أقرب اليه من الرفع ومن ذلك قال بعضهم هو مفعول نظرا الى الظاهر فى الاستعمال ومن ذلك فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقوله لينذر يوم التلاق فى أحد الوجهين كما سبق ومثله الاحياء فى قوله من أحيا ليلة القدر ونحوه فان الاحياء وان كان واقعا على الليل فى الظاهر لكن المراد به احياء الصلاة والذكر فى الليل واستعمالهما وحد الليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر قال بعض العارفين ان الله اشتاق الى مناجاة حبيبه فناداه أن يقوم فى جوف الليل وقد قالوا ان القيام والمناجاة ليسا من الدنيا بل من الجنة لما يجده أهل الذوق من الحلاوة (الاقليلا) استثناء من الليل (نصفه) بدل من الليل الباقى بعد الثنيا بدل الكل والنصف أحد شقى الشئ أى قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام فى أكثره فى كثرة الثواب يعنى أنه يجوز أن يوصف النصف المستثنى بكونه قليلا بالنسبة الى النصف المشغول بالعبادة مع أنهما متساويان فى المقدار من حيث ان النصف الفارغ لا يساويه بحسب الفضيلة والشرف فالاعتبار بالكيفية لا بالكمية وقال بعضهم ان القلة فى النصف بالنسبة الى الكل لا الى العديل الآخر والا لزم أن يكون أحد النصفين المتساويين أقل من الآخر وفيه أنه مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر كما فى الارشاد (أوانقص منه) أى انقص القيام من النصف المقارن له الى الثلث (قليلا) أى نقصا قليلا أو مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف الليل (أوزد عليه) أى زد القيام على النصف المقارن له الى الثلثين فالمعنى تخييره عليه السلام بين أن يقوم نصفه أو أقل منه أو أكثر أى قم الى الصلاة فى الزمان المحدود المسمى بالليل الا فى الجزء القليل منه وهو نصفه أو انقص القيام من نصفه أوزد عليه قيل هذا التخيير على حسب طول الليالى وقصرها فالنصف اذا استوى الليل والنهار والنقص منه اذا قصر الليل والزيادة عليه اذا طال الليل (ورتل القرآن) فى أثناء ما ذكر من القيام أى اقرأه على تؤدة وتبيين حروف وبالفارسية وقرآنرا كشاده حروف خوان بحديكه بعض از بعضى بازشناسد (ترتيلا) بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها واذا نهى ابن مسعود رضى الله عنه عن التعجيل وقال ولا يكن هم أحدكم آخر السورة يعنى لا بد للقارئ من الترتيل ليتمكن هو ومن حضره من التأمل فى حقائق الآيات فعند الوصول الى ذكر الله يستشعر عظمته وجلاله وعند الوصول الى الوعد والوعيد يقع فى الرجاء والخوف وليسلم نظم القرآن من الخلل والرتل اتساق الشئ وانتظامه على استقامة والترتيل هويدا كردن سخن بى تكلف قال فى الكشاف ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجئ المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وأن لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضى الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يجئ المتلو فى تتابعه

كالثغر الالص والامر بترتيل القرآن يشعر بأن الامر بقيام الليل نزل بعد ما تعلم عليه السلام مقدارا منه وان قل وقوله تاسلنى على الاستقبال بالنسبة الى بقية القرآن ثم الظاهر أن الامر به يعم الامة لانه أمر مهم للكل والامر للوجوب كما دل عليه التأكيد أو للندب وكانت قراءته عليه السلام مدا بمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم أما الاولان فقدهما طبيعي قدر الالف وأما الاخير فقده عارضي بالسكون فيجوز فيه ثلاثة أوجه الطول وهو مقدار ألفات ثلاث والتوسط قدر ألفين والقصر قدر ألف وكان عليه السلام مجودا للقرآن كما أنزل وتجويده تحسين ألفاظه باخراج الحروف من مخارجها واعطاء حقوقها من صفاتها كالجهر والهمس واللين ونحوها وذلك بغير تكلف وهو ازالة تكاب المشقة فى قراءته بالزيادة على أداء مخرجه والمبالغة فى بيان صفته فينبغى أن يتحفظ فى الترتيل عن التمطيط وهو التجاوز عن الحد وفى الحدر عن الادماج والتخليط بان تكون قراءته بحال كأنه يلف بعض الحروف والكلمات فى بعض آخر لزيادة السرعة وذلك أن القراءة بمنزلة البياض ان قل صار سمرة وان كثر صار برصا وما فوق الجعودة فهو القطط فما كان فوق القراءة فليس بقراءة فعلم من هذا أن التجويد على ثلاث مراتب ترتيل وحدر وتدوير * أما الترتيل فهو تؤدة وتأن وتمهل قال فى القاموس ورتل الكلام ترتيلا أحسن تأليفه وترتل فيه ترسل انتهى وهو مختار ورش وعاصم وحمزة ويؤيده قوله عليه السلام من قرأ القرآن أقل من ثلاث لم يفقهه وفى قوت القلوب أفضل القراءة الترتيل لان فيه التدبر والتفكر وأفضل الترتيل والتدبر للقرآن ما كان فى صلاة وعن ابن عباس رضى الله عنهما لأن أقرأ البقرة أرتلها وأتدبرها أحب الى من أن أقرأ القرآن كله هذرمة أى سرعة وعن النبى عليه السلام أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرأها عشرين مرة وكان له كل مرة فهم وفى كل كلمة علم وقد كان بعضهم يقول كل آية لا أفهمها ولا يكون قلبى فيها لم أعد لها ثوابا وكان بعض السلف اذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقى من فهمها أكثر قال مالك ابن دينار رحمه الله اذا قام العبد يتهجد من الليل ويرتل القرآن كما أمر قرب الجبار منه قال وكانوا يرون أن ما يجدونه فى قلوبهم من الرقة والحلاوة وتلك الفتوح والانوار من قرب الرب من القلب وفى الحديث (يؤتى بقارئ القرآن يوم القيامة فيوقف فى أول درج الجنة ويقال اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها) ولكون المقصود من انزال القرآن فهم الحقائق والعمل بالفحاوى شرع الانصات لقراءة القرآن وجوبا فى الصلاة وندبا فى غيرها وللقارئ أجر وللمستمع أجران لانه يسمع وينصت أو يسمع باذنيه والقارئ يقرأ بلسان واحد والمستمع يؤدى الفرض ولذا قالوا استماعه أثوب من تلاوته (وفى سلسلة الذهب للمولى الجامى) صرف اوكن حواس جسمانى * وقف اوكن قواى روحانى * دل بمعنى زبان بلفظ سپار * چشم برخط ونقط وعجم كذار * كوش از وممعدن جواهر كن * هوش از ومخزن سرائر كن * در ادايش مكن زبان كج وبيج * حرفهايش اداكن از مخرج * دور باش ازتهتك وتعجيل * كام كيرازتأمل وترتيل * وأما الحدر فهو الاسراع فى القراءة كما روى أنه ختم القرآن فى ركعة واحدة أربعة من الائمة عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضى الله عنهم وكان همسر بن المنهال يختم فى الشهر تسعين ختمة وما لم يفهم رجع فقرأ مرة أخرى

وفى القاموس وأبو الحسن علىّ بن عبد الله بن ساذان بن البقى كعربى مقرئ ختم فى النهار أربع ختمات الاغنا مع افهام التلاوة انتهى وأما ماروى فى مناقب الشيخ موسى السدرانى من أكابر أصحاب الشيخ أبى مدين رضى الله عنه من أن له وردا فى اليوم والليلة سبعين ألف ختمة فمعناه أنّ اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة فيكون فى كل اثنى عشرة ساعة خمسة وثلاثون ألف ختمة لانها اماأن تنبسط الى ثلاث وأربعين سنة وتسعة أشهر واما الى أكثر وعلى التقدير الاول يكون اليوم والليلة منبسطا الى سبع وثمانين سنة وستة أشهر فيكون فى كل يوم وليلة من أيام السنين المنبسطة أيامها ولياليها ختمتان ختمة فى اليوم وختمة فى الليلة كماهو العادة ويحتمل التوجيه بأقل من ذلك باعتبار سرعة القارئ وهذا أى الحدر مختار ابن كثير وأبى عمرو وقالون * وأما التدوير فهو التوسط بين الترتيل والحدر وهو مختار ابن عامر والكسائى وهذا كله انما يتصوّر فى مراتب الممدود وفى الحديث (رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه) وهو متناول لمن يخل بمبانيه أو معانيه أو بالعمل بمافيه وذلك موقوف على بيان اللحن وهو أنه جلى وخفى فالجلى خطأ يعرض للفظ ويخل بالمعنى بأن يبدل حرفا مكان حرف بأن يقول مثلا الطالحات بدل الصالحات وبالاعراب كرفع المجرور ونصبه سواء تغير المعنى به أم لا كما اذا قرأ أن الله برئ من المشركين ورسوله بجر رسوله والخفى خطأ يخل بالعرف والضابطة كترك الاخفاء والادغام والاظهار والقلب وكترقيق المفخم وعكسه ومدّ المقصور وقصر الممدود وأمثال ذلك ولاشك أن هذا النوع ممالبس بفرض عين يترتب عليه العقاب الشديد وانما فيه التهديد وخوف العقاب قال بعضهم اللحن الخفى الذى لايعرفه الامهرة القرّاء من تكرير الراآت وتطنين النونات وتغليظ اللامات وترقيق الراآت فى غير محلها لايتصوّر أن يكون من فرض العين يترتب عليه العقاب على فاعلها لمافيه من حرج ولايكلف الله نفسا الاوسعها وفى بعض شروح الطريقة ومن الفتنة أن يقول لاهل القرى والبوادى والعجائز والعبيد والاماء لايجوز الصلاة بدون التجويد وهم لايقدرون على التجويد فيتركون الصلاة رأسا فالواجب أن يعلم مقدار مايصح به النظم والمعنى ويتوغل فى الاخلاص وحضور القلب * لعنتست اين كه بهر لهجه وصوت * شود ازتو حضور خاطر فوت * فكر حسن غنا برد هوشت * متكلم شود فراموشت * لعنتست اين كه ساز دت بى سيم * روز وشب با اميرو خواجه نديم * لعنتست اين كه همت تو تمام * كى مصروف لفظ وحرف وكلام * نقد عمرت زفكرت معوج * خرج شد در رعايت مخرج * صرف كردى همه حيات سره * در قراآت سبعه وعشره * همچنين ترجمه از كلام خدا * جز خدا قبله ئ داشت ترا * موجب لعن ومايه طردست * حبذا مقبلى كه زان فردست * معنى لعن چيست مردودى * بمقامات بعد خشنودى * هركه ماند از خدا يك سرمو * آمد اندر مقام بعد فرو * كرچه ملعون نشد زحق مطلق * هست ملعون بقدر بعد از حق * روى أن عمران بن حصين رضى الله عنه مرّ على قاص يقرأ ثم يسأل فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجئ أقوام يقرؤن القرآن يسألون به الناس انتهى فيكون اعطاؤه اياه من قبيل الاعانة على المعصية كالاعطاء السائل المسجد وهو يتخطى رقاب الناس ولايدع السؤال فى كل ما استيقظ من نوم الليل والنهار وفى

الخبر طيبوا طرق القرآن من أفواهكم باستعمال السواك والصلاة بعد السواك تفضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفا وفي قوت القلوب وفي الجهر بالقرآن سبع نيات منها الترتيل الذي أمر به ومنها تحسين الصوت بالقرآن الذي ندب اليه في قوله عليه السلام زينوا القرآن باصواتكم وفي قوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن أي يحسن صوته وهو أحب من أخذه بمعنى الغنية والاكتفاء ومنها أن يسمع أذنيه ويوقظ قلبه ليتدبر الكلام ويتفهم المعاني ولا يكون ذلك كله الا في الجهر ومنها أن يطرد النوم عنه برفع صوته ومنها أن يرجو بجهره يقظة نائم فيذكر الله فيكون هو سبب احيائه ومنها أن يراه بطال غافل فينشط للقيام ويشتاق الى الخدمة فيكون هو معاونا له على البر والتقوى ومنها أن يكثر بجهره تلاوته ويدوم قيامه على حسب عادته للجهر ففي ذلك كثرة عمله فاذا كان القارئ على هذه النيات فجهره أفضل لان فيه أعمالا وانما يفضل العمل بكثرة النيات وكان أصحاب رسول الله عليه السلام اذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن وفي شرح الترغيب اختلف في القراءة بالالحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للاحاديث لان ذلك سبب للرقة واثارة الخشية وفي ابكار الافكار انما استحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينه ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فان أفرط حتى زاد حرفا أو أخفاه فهو حرام وقال بعض أهل المعرفة قوله رتل أي اتل وجاءت التلاوة بمعنى الابلاغ في مواضع من القرآن فالمعنى بلغ أحكام القرآن لاهل النفوس المتمردة المنحرفة عن الاقبال على الآخرة وهم العوام وهذا من قبيل الظهر كما قال عليه السلام ما من آية الا ولها ظهر وبطن وحد ومطلع وفصل معانيه لاصحاب القلوب المقبلة على المولى كما قال تعالى كتاب فصلت آياته وهم الخواص وهذا من قبيل البطن وفهم حقائقه لسدنة الاسرار المستهلكين في عين المشاهدة المستغرقين في بحر المعاينة وهم أخص الخواص وهذا من قبيل الحد وأوجد أسراره لارباب الارواح الطاهرة الفانين عن ناسوتيتهم الباقين بلاهوتيته (انا سنلقي عليك) أي سنوحي اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى (قولا ثقيلا) وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين وأيضا ان القرآن قديم غير مخلوق والحادث يذوب تحت سطوة القديم الا من كان مؤيدا كالنبي عليه السلام والثقل حقيقة في الاجسام ثم يقال في المعاني وقال بعضهم ثقيلا تلقيه كما سئل رسول الله عليه السلام كيف يأتيك الوحي قال أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فينفصم عني أي يقلع وينجلي وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل الي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فينفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا أي يترشح (قال الكاشفي) در حين نزل وحي بر آن حضرت برين وجه كه مذكور شد اكر بر شتر سواري بودى دست و پاى شتر خم كشتى واكر تكيه بر ران يكى از ياران داشتى خوف شكستن آن بودى ودرين محل روى كابركش برافروخته (مصراع) بسان كل كه بعضن چمن برافروزد ه وفي التأويلات النجمية ثقل المحمول بحسب لطف الحامل ولا شك أن نبينا عليه السلام كان ألطف الانبياء خلقا وخلقا وأعدلهم مزاجا وطبعا وأكملهم روحانية وريحانية وأفضلهم نشأة وفطرة وأشملهم استعدادا وقابلية فلذلك خص القرآن بالثقل

من بين سائر الكتب السماوية المشتملة على الاوامر والنواهي والاحكام والشرائع للطف فطرته وشمول رحمته والجملة اعتراض بين الامر وهو قم الليل وبين تعليله وهو ان ناشئة الليل الخ لتسهيل ما كلفه عليه السلام من القيام يعني أن في توصيف ما سيلقى عليه بالثقل ايماء الى أن ثقل هذا التكليف بالنسبة اليه كالعدم فاذا كان ما سيكلف أصعب وأشق فقد سهل هذا التكليف وفي الكشاف أراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الصعبة التي وردبها القرآن لانّ الليل وقت السبات والراحة والهدء فلا بدّ لمن أحياه من مضادّة لطبعه ومجاهدة لنفسه فمن استأنس بهذا التكليف لا يثقل عليه أمثاله يقول الفقير سورة المزمل مما نزل في أوائل النبوة فكان قوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يشير الى مدة الوحي الباقية لانّ حروفه مع اعتبار النون المدغم فيها ونوني التنوين اثنان وعشرون فالسين دل على الاستقبال ومجموع الحروف على المدة الباقية وجعل القرآن حملا ثقيلا لانه عليه السلام بعث لتتميم مكارم الاخلاق ولا شك أن ما كان أجمع كان أثقل والله تعالى أعلم بمراده وأيضا ان كون القول ثقيلا انما هو بالنسبة الى النفس الثقيلة الكثيفة لتراكم حجبها وبعدها عن درك الحق وأما بالنسبة الى النفس الخفيفة اللطيفة فخفيف ولطيف ولذا كان تعب التكاليف مرفوعا عن الكمل فهم يجدون العبادات كالعادات في ارتفاع الكلفة وفي الذوق والحلاوة (ان ناشئة الليل) أي النفس التي تنشأ في الليل من مضجعها الى العبادة أي تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض فالموصوف محذوف والاضافة للملابسة بمعنى النفس الناشئة في الليل (هي) خاصة (أشد وطأ) أي كلفة وثقلا مصدر قولك وطئ الشيء أي داسه برجله أو جعل عليه ثقله فانّ النفس القائمة بالليل الى العبادة أشد وطأ من التي تقوم بالنهار ولا بدّ من قيام الليل فانّ أفضل العبادات أشقها فالوطء مصدر من المبنيّ للمفعول لانّ الواطئ الذي يلقي ثقله على العابد هو العبادة في الليل فيكون العابد بالليل أشد موطوأ له من العابد بالنهار ووطأ نصب على التمييز ويجوز أن يكون معنى أشد وطأ أشد ثبات قدم واستقرارها فيكون المقصود بيان وجه اختيار الليل وتخصيصه بالامر بالقيام فيه من حيث انه تعالى جعل الليل لباسا يستر الناس ويمنعهم عن الاضطراب والانقلاب في اكتساب المعاش وجعل النهار معاشا يباشرون فيه أمور معاشهم ولا تثبت فيه أقدامهم للعبادة (وأقوم قيلا) اسم من القول بمعناه بقلب الواو ياء أي أزيد من جهة السداد والاستقامة في المقال ومن جهة الثبات والاستقرار على الصواب يعني خواندن قرآن در وى بصواب نزديكترست كه دل فارغ باشد واصوات ساكن وزبان با دل موافقت نمايد بزبان مى خواند وبدل تفكر ميكند * خاموش شد عالم بشب تا جست باشى درطلب * زيرا كه بانك عربده تشويش خلوتخانه بود * ويحتمل أن تكون ناشئة الليل بمعنى قيام الليل على أنّ الناشئة مصدر من نشأ كالعافية بمعنى العفو وهذا وافق لسان الحبشة حيث يقولون نشأ اذا قام أو يكون بمعنى العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث فيكون الوطء مصدرا من المبنيّ للفاعل فان كل واحد من قيام الليل ومن العبادة التي تحدث فيه ثقيلان على العابد من قيام النهار والعبادة فيه فهي أشد وطأ أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار فيكون أفضل * يعني آن سختترست از جهت رنج وكلفت چه ترك خواب وراحت بر نفس بغايت شاقست ويحتمل أن يكون المراد بناشئة

الليل ساعاته فانها تحدث واحدة بعد واحدة أى ساعات الليل الناشئة أى الحادثة شيأ بعد شئ فتكون الناشئة صفة ساعات الليل فتكون أشد وطأ أى بملاحظة القيام فيها من ساعات النهار لكن ابن عباس رضى الله عنهما قيد الناشئة بما كان بعد العشاء فما كان قبلها فليس بناشئة وخصصتها عائشة رضى الله عنها بما كان بعد النوم فلو لم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة وفى قوت القلوب أن يصلى بين العشاءين ما تيسر الى أن يغيب الشفق الثانى وهو البياض الذى يكون بعد ذهاب الحمرة وقيل غسق الليل وظلمته لانه آخر ما يبقى من شعاع الشمس فى القطر الغربى اذا قطعت الارض العليا ودارت من وراء جبل قاف مصعدة تطلب المشرق فهذا الوقت هو المستحب لصلاة العشاء الآخرة وهو آخر الورد الاول من أوراد الليل والصلاة فيه ناشئة الليل أى ساعته لانها أول نشوء ساعاته وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وطاء بالكسر والمد من المواطأة بمعنى الموافقة فان فسرت الناشئة بالنفس الناشئة كان المعنى انها أشد من جهة موافقة القلب الكائن لها لسانها وان فسرت بالقيام أو العبادة أو الساعات كان المعنى انها أشد من جهة موافقة قلب القائم لسانه فيها أو من جهة كونها موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن رحمه الله أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق (ان لك فى النهار سبحا طويلا) أى تقلبا وتصرفا فى مهماتك كتردد السابح فى الماء واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة فعليك بها فى الليل وهذا بيان للداعى الخارجى الى قيام الليل بعد بيان ما فى نفسه من الداعى قال الراغب السبح المر السريع فى الماء أو فى الهواء استعير لمر النجوم فى الفلك كقوله تعالى وكل فى فلك يسبحون ولجرى الفرس كقوله تعالى فالسابحات سبحا ولسرعة الذهاب فى العمل كقوله تعالى ان لك فى النهار سبحا طويلا وفى تاج المصادر السبح تصرف كردن در معيشت وفى بعض التفاسير قيل السباحة لما فيها من التقلب باليد والرجل فى الماء وقيل معنى الآية ان فاتك من الليل شئ فلك فى النهار فراغ تقدر على تداركه فيه حتى لا ينقص شئ من حظك من المناجاة لربك ويناسبه قوله عليه السلام من نام عن حزبه أو عن شئ منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل ومن أقوال المشايخ ان للمريد الصادق اذا فاته ورد من أوراده يليق به أن يقضيه ولو بعد شهر حتى لا تتعود النفس بالكسل فالورد من الشؤن الواردة عن الرسول عليه السلام وأخيار أمته ومن لا ورد له لا وارد له أى وارد خاص بالخواص وفى قوت القلوب من فاته ورد من الاوراد استحب له فعل مثله متى ذكره لا على وجه القضاء لانه لا تقضى الا الفرائض ولكن على سبيل التدارك ورياضة النفس بذلك لتأخذ بالعزائم كى لا يعتاد الرخص (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على أى وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم خصوصا بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس فانهما من ساعات النتج والشض وذكر الله على الدوام من وظائف المقربين سواء كان قلبا أو لسانا أو اركانا وسواء كان قياما أو قعودا أو على الجنوب وبالفارسية وياد كن بروردكار خودرا وبنامهاء حسنى اورا بخوان قال عليه السلام من أحصاها أى حفظها دخل الجنة فالمراد من ذكر اسمه فكره تعالى بواسطة ذكر اسمه ولذا قال تعالى واذكر ربك اذا نسيت فالذكر والنسيان فى الحقيقة كلاهما من صفات القلب وعند تجلى المذكور يفنى الذكر والذاكر

كما قال شيخى وسندى روّح الله روحه فى شرح تفسير الفاتحة للقنوى قدس سره من اشتغل من الاسماء المجازية بما يسر الله الاشتغال به وداوم عليه فلا ريب انه يحصل بينه وبين سرّ هذا الاسم المشتغل به وروحه بعناية الله وفضله مناسبة ما بقدر الاشتغال ومتى قويت تلك المناسبة بينهما وكملت بحسب قوة الاشتغال وكماله يحصل بينه وبين مدلوله من الاسماء الحقيقية بواسطة هذه المناسبة الحاصلة مناسبة بقدرها قوة وكمالا ومتى بلغت الى حدّ الكمال أيضا هذه المناسبة الثانية الحاصلة بينه وبين هذا الاسم الحقيقى بجود الحق سبحانه وعطائه يحصل بينه وبين مسماه الحق تعالى مناسبة بمقدار المناسبة الثانية من جهة القوة والكمال لانّ العبد بسبب هذه المناسبة يغلب قدسه على دنسه ويصير مناسبا العالم القدس بقدر ارتفاع حكم الدنس فحينئذ يتجلى الحق سبحانه له من مرتبة ذلك الاسم بحسبها وبقدر استعداده ويفيض عليه ما شاء من العلوم والمعارف والاسرار الالهية والكونية امامن الوجه العام وطريق سلسلة ترتيب المراتب والحضرات وغيرها من الوسايط والاسباب والادوات والموادّ المعنوية والصورية واما من الوجه الخاص بدون الوسائل والاغيار أو منهما معا جميعا اذ وجهه اما هذا أو ذاك لا غيرهما غير نسبة الجمع بينهما وقال بعضهم فى الآية اذا أردت قراءة القرآن أو الصلاة فقل بسم الله الرحمن الرحيم وقال القاشانى واذكر اسم ربك الذى هو أنت أى اعرف نفسك واذكرها ولا تنسها فينسك الله واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها (وتبتل اليه تبتيلا) التبتل الانقطاع والتبتيل دل از دنيا بريدن والمعنى وانقطع الى ربك انقطاعا تاما بالعبادة واخلاص النية والتوجه الكلى كما قال تعالى قل الله ثم ذرهم وبالفارسية يعنى نفس خودرا از انديشه ماسوى الله تجرد ساز واز همكى روى بردار * دل درو بند وز غيرش بكسل * هرچه جزاوست برون كن از دل * وليس هذا منافيا لقوله عليه السلام لا رهبانية ولا تبتل فى الاسلام فانّ التبتل هنا هو الانقطاع عن النكاح ومنه قيل لمريم العذراء رضى الله عنها البتول أى المنقطعة عن الرجال والانقطاع عن النكاح والرغبة عنه لقوله تعالى وأنكحوا الايامى منكم وقوله عليه السلام تناكحوا تكثروا فانى أباهى بكم الامم يوم القيامة واما اطلاق البتول على فاطمة الزهراء رضى الله عنها فلكونها شبيهة بسيدة نساء بنى اسرائيل فى الانقطاع عما سوى الله لا عن النكاح وقيل تبتيلا مكان تبتلا لانّ معنى تبتل بتل نفسه فجىء به على معناه مراعاة لحق الفواصل لانّ حظ القرآن من حسن النظم والرصف فوق كل حظ وقال بعضهم لما لم يكن الانقطاع الكلى الا بتجريد النبى عليه السلام نفسه عن العوائق الصادة عن مراقبة الله وقطع العلائق عما سواه قيل تبتيلا مكان تبتلا فيكون النظم من قبيل الاحتباك كما فى قوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا على وجه وهو ان التقدير أنبتكم منها انباتا فنبتم نباتا وكذا التقدير ههنا أى تبتل اليه تبتلا بتلك عما سواه تبتيلا والانسب بتلك ربك تبتيلا فانّ التبتيل فعل الله فلا يحصل للعبد الا بعناويته وفى التأويلات النجمية واذكر اسم ربك بفناء صفاتك وأفعالك وتبتل اليه تبتيلا بفناء ذاتك وبقاء ذاته ثم انّ التبتل يكون من الدنيا اما ظاهرا فقط فهو مذموم كبعض الحفاة العراة الذين أظهروا الفقر فى ظواهرهم وأبطنوا الحرص فى ضمائرهم واما باطنا فقط وهو ممدوح كالاغنياء من الانبياء والاولياء عليهم السلام فانهم انقطعوا عن الدنيا باطنا اذ ليس

فيهم حب الدنيا أصلا وانما لم يقطعوا ظاهرا الان ارادتهم تابعة لارادة الله والله تعالى أراد ملكهم ودولتهم كسليمان ويوسف وداود وأيوب والاسكندر وغيرهم عليهم السلام واما ظاهرا وباطنا كاكثر الانبياء والاولياء وقد يكون التبتل من الخلق اما ظاهرا فقط كتبتل بعض المتعبدة فى قلل الجبال وأجواف المغارات لجذب القلوب وجلب الهدايا واما باطنا لا ظاهرا كأهل الارشاد وهم عامة الانبياء وبعض الاولياء اذ لا بد فى ارشاد الخلق من مخالطتهم واما ظاهرا وباطنا كبعض الاولياء الذين اختاروا العزلة وسكنوا فى المواضع الخالية عن الناس قال بعضهم السلوك الى الله تعالى يكون بالتبتل ومعناه الاقبال على الله بملازمة الذكر والاعراض عن غيره بمخالفة الهوى وهذا هو السفر بالحركة المعنوية من جانب المسافر الى جانب المسافر اليه وان كان الله أقرب الى العبد من حبل الوريد فان مثال الطالب والمطلوب مثال صورة حاضرة مع مرآة لكن لا تتجلى فيها الصدا فى وجهها فمتى صقلتها تجلت فيها الصورة لا بارتحال الصورة اليها ولا بحركتها الى جانب الصورة ولكن بزوال الحجاب فالحجاب فى عين العبد والا فالله متجل بنوره غير خفى على أهل البصيرة وان كان فرق بين تجل وتجل بحسب المحل ولذا قال عليه السلام ان الله يتجلى للناس عامة ولابى بكر خاصة فتجلى العامة كتجلى صورة واحدة فى مرآة كثيرة فى حالة واحدة وتجلى الخاصة كتجلى صورة واحدة فى مرآة واحدة واليه الاشارة بقوله عليه السلام لى مع الله وقت اذ لا يخفى أن التجلى فى ذلك الوقت مخصوص به عليه السلام لا يزاحمه غيره فيه يقول الفقير ان فى هذا المقام اشكالا وهو أنه عليه السلام اذا كان مستغرق الاوقات فى الذكر دائم الانقطاع الى الله على ما أفاده الآيتان فكيف يتأتى له السبح فى النهار على ما أفصح عنه قوله تعالى ان لك فى النهار سبحا طويلا ولعل جوابه من وجوه الاول ان الامر بالذكر الدائم والانقطاع الكلى من باب الترقى من الرخصة الى العزيمة كما يقتضيه شأن الاكامل والثانى ان السبح فى النهار ليس من قبيل الواجب فله أن يختار التوكل على التقلب ويكون مستوعب الاوقات بالذكر والثالث ان الشغل الظاهر لا يقطع الكمل عن مراقبته تعالى كما قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون والرابع أن ذلك بحسب اختلاف الاحوال والاشخاص فمن مشتغل ومن ذاكر والله أعلم بالمرام (رب المشرق والمغرب) مرفوع على المدح أى هو ربهما وخالقهما ومالكهما وما بينهما من كل شئ قال فى كشف الاسرار يريد به جنس المشارق والمغارب فى الشتاء والصيف (لا اله الا هو) استئناف لبيان ربوبيته بنفى الالوهية عما سواه يعنى هيچ معبودى نيست سزاوار عبادت مكر او (فاتخذه) لمصالح دينك ودنياك والفاء لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى (وكيلا) موكولا ومفوضا اليه لاصلاحها واتمامها واسترح أنت وفى التأويلات النجمية رب مشرق الذات المطلقة عن حجب تعينات الاسماء والصفات ورب مغرب الصفات والاسماء لاستتاره باستار حجب الصفات وهى حجب الذات وهو المتعين فى جميع الموجودات فلا اله الا هو فاتخذه وكيلا أى جرد نفسك عنك وعن وجودك المجازى واتخذ وجوده الحقيقى مقام وجودك المجازى وامش جانبك هذا مثل ما قال المريد لشيخه أريد أن أحج على التجريد فقال له شيخه جرد نفسك ثم سر حيث شئت قال الامام القشيرى رحمه الله ان الله

هو المتولى لاحوال عباده يصرفهم على مايشاء ويختار واذا تولى أمر عبد بجميل العناية كفاه كل شغل واغناه عن كل غير فلا يستكثر العبد حوائجه لعلمه ان مولاه كافيه ولهذا قيل من علامات التوحيد كثرة العيال على بساط التوكل (حكى) من ممشاد الدينوري رحمه الله أنه قال كان على دين فاهتممت به فى بعض الليالى وضاق صدرى فرأيت كأن قائلا يقول لى أخذت هذا المقدار عليك الاخذ وعلينا العطاء ثم انتبهت ففتح لى ما قضيت به الدين ثم لم أحاسب بعد ذلك قصابا ولا بقالا ثم قال القشيرى اعلم أن من جعل المخلوق وكيلا له فانه يسأله الاجر وقد يخونه فى ماله وقد يخطئ فى تصرفه أو يخفى عنه الاصوب والارشد لصاحبه ومن رضى بالله وكيلا أعطاه الاجر وحقق آماله وأثنى عليه ولطف به فى دقائق أحواله بما لا يهتدى اليه آماله بتفاصيل سؤاله ومن جعل الله وكيلا لزمه أيضا أن يكون وكيلا لله على نفسه فى استحقاق حقوقه وفرائضه وكل ما يلزمه فيخاصم نفسه فى ذلك ليلا ونهارا لا يفتر لحظة ولا يقصر طرفة قال الزروقى رحمه الله خاصية الاسم الوكيل نفى الحوائج والمصائب فمن خاف ريحا أو صاعقة أو نحوهما فليكثر منه فانه يصرف عنه السوء ويفتح له أبواب الخير والرزق (واصبر على ما يقولون) يعنى قريشا مما لا خير فيه من الخرافات والهذيانات فى حق الله من الشريك والصاحبة والولد وفى حقك من الساحر والشاعر والكاهن والمجنون وفى حق القرآن من أنه أساطير الاولين ونحو ذلك (واهجرهم هجرا جميلا) تأكيد للامر بالصبر أى واتركهم تركا حسنا بأن تجانبهم بقلبك وهواك وتداريهم ولا تكافئهم وتكل أمورهم الى ربهم كما أعرب عنه ما بعد الآية قال الراغب الهجر والهجران مفارقة الانسان غيره اما بالبدن أو باللسان أو بالقلب وقوله تعالى واهجرهم هجرا جميلا يحتمل الثلاثة ويدعو الى تحريها ما أمكن مع تحرى المجاملة قال الحكماء تسلح على الاعداء بحسن المداراة حتى تبصر فرصة * آسايش دوكيتى تفسير اين دو حرفست * بادوستان تلطف بادشمنان مدارا (وذرنى والمكذبين) أى دعنى واياهم وكل أمرهم الى فانى أكفيكهم وقد سبق فى ن والقلم وقال بعضهم يجوز نصب المكذبين على المعية أى دعنى معهم وهو الظاهر ويجوز على العطف أى دعنى على أمرى مما تقتضيه الحكمة ودع المكذبين بك وبالقرآن وهو أوفق للصناعة لان النصب انما يكون نصا فى الدلالة على المصاحبة اذا كان الفعل لازما وهنا الفعل متعد (أولى النعمة) أرباب التنعم وبالفارسية خداوندان نازونعمت آسانى صفة للمكذبين وهم صناديد قريش وكانوا أهل ترفه وتنعم لاسيما بنى المغيرة والنعمة بفتح النون التنعم وبكسرها الانعام وما أنعم به عليك وبالضم السرور والتنعم استعمال ما فيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات وفى تاج المصادر التنعم بنازريستن وفيه اشارة الى أن متعلق الذم ليس نفس النعمة والرزق بل التنعم بهما كما قال عليه السلام لمعاذ رضى الله عنه حين بعثه الى اليمن واياك والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين وفيه تسلية للفقراء فانهم يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام (ومهلهم) التمهيل زمان دادن والمهل التؤدة والسكون يقال مهل فى فعله وعمل فى مهلة (قليلا) أى زمانا قليلا وأجلهم أجلا يسيرا ولا تعجل فان الله سيعذبهم فى الآخرة اذ عمر الدنيا قليل وكل آت قريب ويدل على هذا المعنى ما بعد الآية من بيان عذاب الآخرة وقال الطبرى كان بين نزول هذه الآية ووقعة بدر زمان يسير ولذا قيل انها مدنية (ان لدينا) فى الآخرة

وفيما هيأناه للعصاة من آلات العذاب وأسبابه وهو أولى من قول بعضهم فى علمنا وتقديرنا لان
المقام مقام تهديد العصاة فوجود آلات العذاب بالفعل أشد تأثيرا على ان تلك الآلات صور
الاعمال القبيحة ولا شك أن معاصرى النبى عليه السلام من الكفار قد قدموا تلك الآلات
بما فعلوا من السيآت (أنكالا) قيودا ثقالا يقيد بها أرجل المجرمين اهانة لهم وتعذيبا
لا خوفا من فرارهم جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر من حيث ان
تعداد ما عنده من أسباب التعذيب الشديد فى حكم بيان اقتداره على الانتقام منهم فهم
يتنعمون فى الدنيا ولا يبالون وعند الله العزيز المنتقم فى الآخرة أمور مضادة لتنعمهم
(وجحيما) وبالفارسية وآتشى عظيم وهى كل نار عظيمة فى مهواة وفى الكشاف هى النار
الشديدة الحر والاتقاد (وطعاما ذا غصة) هو ما ينشب فى الحلق ويعلق من عظم وغيره
فلا ينساغ أى طعاما غير سائغ يأخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج كالضريع والزقوم وهما
فى الدنيا من النباتات والاشجار سمان قاتلان للحيوان الذى يأكلهما مستكرهان عند الناس
فما ظنك بضريع جهنم وزقومها وهو فى مقابلة الهنىء والمرىء لاهل الجنة وانما ابتلوا بهما
لانهم أكلوا نعمة الله وكفروا بها (وعذابا أليما) ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يقادر قدره
ولا يدرك كنهه كما يدل عليه التنكير كل ذلك معد لهم ومرصد فالمراد بالعذاب سائر أنواع العذاب
جاء فى التفسير انه لما نزلت هذه الآية خر النبى عليه السلام مغشيا عليه وعن الحسن البصرى
قدس سره انه أمسى صائما فاتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة
الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الثالثة فأخبر ثابت البنانى ويزيد الضبى ويحيى البكاء
فجاؤا فلم يزالوا حتى شرب شربة من سويق اعلم أن أصناف العذاب الروحانى فى الآخرة ثلاثة
حرقة فرقة المشتهيات وخزى خجلة الفاضحات وحسرة فوت المحبوبات ثم ينتهى الامر الى
مقاساة النار الجسمانية الحسية والخزى الذل والحقارة والخجلة التحير من الحياء والفاضح
الكاشف عيب المجرم (يوم ترجف الارض والجبال) ظرف للاستقرار الذى تعلق به لدينا
والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة أى تضطرب وتتزلزل بهيبة الله وجلاله ليكون علامة لمجىء
القيامة وأمارة لجريان حكم الله فى مؤاخذة العاصين أفرد الجبال بالذكر مع كونها من الارض
لكونها أجساما عظاما أوتادا لها فاذا تزلزلت الاوتاد لم يبق للارض قرار وأيضا ان زلزلة
العلويات أظهر من زلزلة السفليات ومن زلزالها تبلغ القلوب الحناجر خوفا من الوقوع (وكانت
الجبال) من شدة الرجفة مع صلابتها وارتفاعها (كثيبا) فى القاموس الكثيب التل من
الرمل انتهى من كثب الشىء اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول فى أصله ثم صار اسما بالغلبة للرمل
المجتمع (مهيلا) أى كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا أى نثر وأسيل بحيث لو حرك من أسفله انهال
من أعلاه وسال لتفرق أجزائه كالعهن المنفوش ومثل هذا الرمل يمر تحت الرجل ولا يتماسك
فكونه متفرق الاجزاء منثورا سائلا لا ينافى كونه رملا مجتمعا (وبالفارسية كوهها گشت
چون ريك روان شده از هيبت آن روز) فقوله مهيلا اسم مفعول من هال يهيل وأصله مهيول
كمبيع من باع لا فعيل من مهل يمهل وخص الجبال بالتشبيه بالكثيب المهيل لان ذلك خاصة
لها فان الارض تكون مقررة فى مكانها بعد الرجفة دل عليه قوله تعالى ويسئلونك عن الجبال

فقيل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا والحاصل ان الارض
والجبال يدق بعضها ببعض كما قال تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فترجع الجبال
كثيبا مهيلا ثم ينسفها الريح فتصير هباء منبثا وتبقى الارض مكانها ثم تبدل كما مر وفى التأويلات
النجمية يوم ترجف أرض البشرية وجبال الانانية وكانت جبال انانية كل واحد رملا منثورا
متفتتا شبه التعينات الاعتبارية الموهومة بالرمل لسرعة زوالها وانتثارها (انا أرسلنا اليكم)
يا أهل مكة شروع فى التخويف باهوال الدنيا بعد تخويفهم بأهوال الآخرة (رسولا) هو محمد
عليه السلام وكونه مرسلا اليهم لا ينافى ارساله الى من عداهم فان مكة أم القرى فمن أرسل الى
أهل مكة فقد ارسل الى أهل الدنيا جميعا ولذا نص الله تعالى عليه بقوله وما أرسلناك الا كافة
للناس ليندفع أوهام أهل الوهم (شاهدا عليكم) يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر
والعصيان وكذا يشهد على غيركم كما قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (كما أرسلنا الى
فرعون رسولا) هو موسى عليه السلام لان هرون عليه السلام ردء له وتابع وعدم تعيينه لعدم
دخوله فى التشبيه وتخصيص فرعون لانه من رؤساء أولى النعمة المترفهين المتكبرين فبينه
وبين قريش جهة جامعة ومشابهة حال ومناسبة سريرة (فعصى فرعون الرسول) أى فعصى
فرعون المعلوم حاله كبرا وتعنتا الرسول الذى أرسلناه اليه ومحل الكاف النصب على أنها صفة
لمصدر محذوف أى انا أرسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم
ارسالا كائنا كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصاه بأن جحد رسالته ولم يؤمن به وفى اعادة فرعون
والرسول مظهرين تفظيع لشأن عصيانه وان ذلك لكونه عصيان الرسول لا لكونه عصيان
موسى وفى ترك ذكر ملأ فرعون اشارة الى أن كل واحد منهم كأنه فرعون فى نفسه لتمرده
(فأخذناه) بسبب عصيانه (أخذا وبيلا) ثقيلا لا يطاق * يعنى بآب نيل غرق كرديم واز راه آب
بآتش برديم والوبيل الثقيل الغليظ ومنه الوابل للمطر العظيم والكلام خارج عن التشبيه
جئ به للتنبيه على أنه سيحيق بهؤلاء ما حاق بأولئك لا محالة (فكيف تتقون) قال ابن الشيخ مرتب
على الارسال فالعصيان وكان الظاهر أن يقدم على قوله كما أرسلنا الا أنه أخر زيادة فى التهويل
اذ علم من قوله فأخذناه انهم مأخوذون مثله وأشد فاذا قيل بعده فكيف تتقون كان ذلك زيادة
على زيادة كأنه قيل هبوا انكم لا تؤخذون فى الدنيا أخذة فرعون وأمثاله فكيف تتقون أى
تقون أنفسكم فاتقى ههنا مأخوذ بمعنى وقى المتعدى الى مفعولين دل عليه قول الامام البيهقى
رحمه الله تعالى فى تاج المصادر الاتقاء * حذر كردن وخود را نكاه داشتن انتهى وافتعل يجئ
بمعنى فعل نص عليه الزمخشرى فى المفصل وان كانت الامثلة لا تساعده فانه ليس وقى واتقى مثل
جذب واجتذب وخطف واختطف فتأمل (ان كفرتم) أى بقيتم على الكفر (يوما) أى عذاب
يوم فهو مفعول به لتتقون ويجوز أن يكون ظرفا أى فكيف لكم بالتقوى والتوحيد فى يوم
القيامة ان كفرتم فى الدنيا أى لا سبيل اليه لفوات وقته فاتقى على حاله وكذا اذا انتصب بكفرتم
على تأويل جحدتم أى فكيف تتقون الله وتخشون عقابه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء (يجعل
الولدان) من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهى وهو صفة ليوما نسب الجعل الى اليوم
للمبالغة فى شدته والا فنفس اليوم لا تأثير له البتة والولدان بالفارسية نوزادكان از مادر جمع

وليد يقال لمن قرب عهده بالولادة وان كان فى الاصل يصح اطلاقه على من قرب عهده بها ومن بعد (شيبا) شيوخا يعنى پير كند وموى سر ايشان سفيد سازد * جمع أشيب والشيب بياض الشعر وأصله أن يكون بضم الشين كحمر فى جمع أحمر لان الضم يقتضى الواو فكسرت لاجل صيانة الياء فرقا بين مثل سود وبين مثل بيض وجعلهم شيوخا فيه وجوه * الاول انه محمول على الحقيقة كما ذهب اليه بعض أهل التفسير ويؤيده ما قال فى الكشاف وقد مر بى فى بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحلك الغراب أى سواده وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة بياضا وهو بفتح الثاء المثلثة وبالغين المعجمة نبت أبيض قال أريت القيامة والجنة والنار ورأيت الناس يقادون فى السلاسل الى النار فمن هول ذلك أصبحت كما ترون وقال أحمد الدورقى مات رجل من جيراننا شابا فرأيته فى الليل وقد شاب فقلت وما قصتك قال دفن بشر فى مقبرتنا فزفرت جهنم زفرة شاب منها كل من فى المقبرة كما فى فصل الخطاب وبشر المريسى ومريس قرية بمصر أخذ الفقه عن أبى يوسف القاضى الا أنه اشتغل بالكلام وقال بخلق القرآن وأضل خلقا كثيرا ببغداد فان قلت ايصال الألم والضرر الى الصبيان يوم القيامة غير جائز بل هم لكونهم غير مكلفين معصومون محفوظون عن كل خطر قلت قد يكون فى القيامة من هيبة المقام ما يجثو به الانبياء عليهم السلام على الركب فما ظنك بغيرهم من الاولياء والشيوخ والشبان والصبيان وفى الآية مبالغة وهى انه اذا كان ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا وهم أبعد الناس من الشيخوخة لقرب عهد ولادتهم فغيرهم أولى بذلك وكذا فى القصة السابقة فان من شاب بمجرد الرؤيا فكيف حاله فى اليقظة وهو معاين من الاهوال ما يذوب تحته الجبال الرواسى * والثانى أنه محمول على التمثيل بأن شبه اليوم فى شدة هوله بالزمان الذى يشيب الشباب لكثرة همومه وأهواله وأصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه وأسرع فيه الشيب لان كثرة الهموم توجب انعصار الروح الى داخل القلب وذلك الانعصار يوجب انطفاء الحرارة الغريزية وضعفها وانطفاؤها يوجب بقاء الاجزاء الغذائية غير تامة النضج وذلك يوجب بياض الشعر ومسارعة الشيب بتقدير العزيز الحكيم كما يوجب تغير القلب تغير البشرة فتحصل الصفرة من الوجل والحمرة من الخجل والسواد من بعض الآلام وما على البدن من الشعر تابع للبدن فتغيره يوجب تغيره فثبت ان كثرة الهموم توجب مسارعة الشيب كما قيل

دهتنا أمور تشيب الوليد * ويخذل فيها الصديق الصديق

فلما كان حصول الشيب من لوازم كثرة الهموم جعلوه كناية عن الشدة فجعل اليوم المذكور الولدان شيبا عبارة عن كونه يوما شديدا غاية الشدة وفى الحديث (يقول الله) أى فى يوم القيامة (يا آدم) خص آدم عليه السلام بهذا الخطاب لانه أصل الجميع (فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك فيقول أخرج بعث النار) أى ميز أهلها المبعوث اليها (قال وما بعث النار) أى عدده (قال الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون قال) أى النبى عليه السلام (فذلك التقاول (حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها) قال ابن الملك اعلم ان الشيب والوضع ليسا على ظاهرهما اذ ليس فى ذلك اليوم حبل ولا صغير بل هما كنايتان عن شدة أهوال يوم

القيامة معناه لو تصورت الحوامل والصغار هنالك لوضعن أحمالهن واشاب الصغار انتهى * وفي بيانه نظر ستأتي الاشارة اليه في الوجه الثالث وترى الناس سكارى أي من الخوف وما هم بسكارى أي من الخمر ولكن عذاب الله شديد * والثالث أنه محمول على الفرض والتقدير بان يكون معناه ان ذلك اليوم بحال لو كان هناك صبي لشاب رأسه من الهيبة والدهشة وهذا الوجه غير موجه وان ذهب اليه بعض من يعتد من أجلة أهل التفسير اذ هو يشعر بأن يوم القيامة لا يكون فيه ولدان حقيقة وقد ثبت أنه يبعث يومئذ ولدان كثيرة ماتوا في الصغر وكذا من المقررات الحبلى تبعث حبلى ففي ذلك اليوم حبل وصغير ثم اذا دخلوا الجنة صاروا أبناء ثلاث وثلاثين والرابع أنه يجوز ذلك وصفا لليوم بالطول يعني على الكناية بأنه في طوله بحيث يبلغ الاطفال فيه أوان الشيخوخة والشيب وهو لا ينقضي بعد بل يمتد الى حيث يكون مقداره خمسين ألف سنة فهو كناية عن غاية الطول لا انه تقدير حقيقي يعني أن هذا على عادة العرب في التعبير عن الطول على سبيل التمثيل كما يعبرون عن التأبيد وعدم الانقطاع بقولهم ما ناحت حمامة وما لاح كوكب وما تعاقبت الايام والشهور وفي الآية اشارة الى النفس والهوى وبعد نفوسهم من الله في يوم قيامة الفناء الذي يجعل ولدان أعمالهم السيئة القبيحة الخبيثة الخسيسة شيبا منهدمة متفانية (السماء) مبتدأ خبره قوله (منفطر به) أي منشق بسبب ذلك اليوم لان الله تعالى مسبب الاسباب فيجوز أن يجعل شدة ذلك اليوم سببا للانفطار * ذكر الله من هول ذلك اليوم أمرين الاول قوله تعالى يجعل الولدان شيبا والثاني قوله السماء منفطر به لان السماء على عظمها وقوتها اذا انشقت بسبب ذلك اليوم فما ظنك بغيرها من الخلائق فالباء للسببية وهو الظاهر وتذكير الخبر لاجرائه على موصوف مذكر أي شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على أنه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشيء وفي القاموس السماء معروف ويذكر ويجوز أن يكون الباء بمعنى في واليه ذهب المكي في قوت القلوب حيث قال حروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض وهذا مثال قوله تعالى السماء منفطر به أي فيه يعني في ذلك اليوم وقيل الباء للآلة والاستعانة مثلها في فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني ان السماء ينفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به قال بعضهم اتخاذ الآلة والاستعانة لا يليق بجناب الله تعالى ولا يناسب ذات السماء أيضا (كان وعده مفعولا) الضمير لله وان لم يجر له ذكر للعلم به والمصدر مضاف الى فاعله أي كان وعده تعالى أي يكون يوم القيامة على ما وصف من الشدائد كائنا محققا لانه لا يخلف الميعاد فلا يجوز لعاقل أن يرتاب فيه أو الضمير لليوم والمصدر مضاف الى مفعوله والفاعل وهو الله مقدر قال في الصحاح الوعد يستعمل في الخير والشر فاذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير الوعد والعدة وفي الشر الايعاد والوعيد (ان هذه) اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة وهي من قوله ان لدينا أنكالا الى هنا (تذكرة) موعظة لمن يريد الخير لنفسه والاستعداد لربه وبالفارسية پندى وعبرتيست قيل القرآن موعظة للمتقين وطريق للسالكين ونجاة للهالكين وبيان للمستبصرين وشفاء للمتحيرين وأمان للخائفين وانس للمريدين ونور لقلوب العارفين وهدى لمن أراد الطريق الى رب العالمين (فمن شاء) من المكلفين

يعنى پس هركه خواهد ازمكلفان (اتخذ الى ربه سبيلا) بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ومقام قربه (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل) أى أقل منهما فاطلاق الأدنى على الاقل مجاز مرسل من قبيل اطلاق الملزوم على اللازم لما أن المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز والحدود واذا بعدت كثر ذلك روى أنه تعالى افترض قيام الليل فى أول هذه السورة فقام النبى عليه السلام وأصحابه حولا مع مشقة عظيمة من حيث انه يعسر عليهم تمييز القدر الواجب حتى قام أكثر الصحابة الليل كله خوفا من الخطأ فى اصابة المقدار المفروض وصار واجبيث انتفخت أقدامهم واصفرت ألوانهم وامسك الله خاتمة السورة من قوله ان ربك الخ اثنى عشر شهرا فى السماء حتى أنزل الله فى آخر السورة التخفيف فنسخ تقديره القيام بالمقادير المذكورة مع بقاء فرضية أصل التهجد حسبما تيسر ثم نسخ نفس الوجوب أيضا بالصلوات الخمس لما روى أن الزيادة على الصلوات الخمس زيادة (ونصفه وثلثه) بالنصب عطفا على أدنى والثلث احد أجزاء الثلاثة والجمع اثلاث أى انك تقوم أقل من ثلثى الليل وتقوم نصفه وثلثه (وطائفة من الذين معك) مرفوع معطوف على الضمير فى تقوم وجاز ذلك للفصل بينهما أى ويقوم معك طائفة من أصحابك ومن تبعيضية فلا دلالة فيه على أن قيام الليل لم يكن فرضا على الجميع وحاصل المعنى تابعك طائفة فى قيام الليل وهم أصحابك وفيه وعد لهم بالاحسان اليهم كما تقول لاحد اذا أردت الوعد له أنا أعلم ما فعلت لى وفى قوت القلوب قد قرن الله تعالى قوام الليل برسوله المصطفى عليه السلام وجمعهم معه فى شكر المعاملة وحسن الجزاء وفى التأويلات النجمية يشير الى انسلاخ رسول القلب عن ليل طبيعته فى أكثر الاوقات بالتوجه الى الله والاعراض عن النفس الا فى أوقات قلائل وذلك لحكمة مقتضية للحجاب فان الحجاب رحمة كما قيل لولا الحجاب ما عرف الاله وطائفة من الذين مع رسول القلب من القوى الروحانية والاعضاء والجوارح (والله يقدر الليل والنهار) وحده لا يقدر على تقديرهما ومعرفة مقادير ساعاتهما وأوقاتهما أحد أصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا والتقدير بالفارسية اندازه كردن يعنى وخداى تعالى اندازه ميكند شب وروزرا وميداند مقادير ساعات آن قال الراغب التقدير تبيين كمية الشئ وقوله تعالى والله الخ اشارة الى ما أجرى من تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل أى ادخال هذا فى هذا أو ان ليس أحد يمكنه معرفة ساعاتهما وتوفية حق العبادة منهما فى وقت معلوم والحاصل ان العالم بمقادير ساعات الليل والنهار على حقائقها هو الله وأنتم تعلمون ذلك بالتحرى والاجتهاد الذى يقع فيه الخطأ فربما يقع منكم الخطأ فى اصابتها فتقومون أقل من المقادير المذكورة ولذا قال (علم) الله (أن) أى ان الشأن (لن تحصوه) لن تقدروا على تقدير الاوقات على حقائقها ولن تستطيعوا ضبط الساعات أبدا فالضمير عائد الى المصدر المفهوم من يقدر قال فى تاج المصادر الاحصاء دانستن وشمردن بر سبيل استقصا وتوانستن * قال الراغب الاحصاء التحصيل بالعدد وروى استقيموا ولن تحصوا أى لن تحصلوا ذلك لان الحق واحد والباطل كثير بل الحق بالاضافة الى الباطل كالنقطة بالاضافة الى سائر أجزاء الدائرة وكالمرمى من الهدف واصابة ذلك شديدة واحتج بعضهم بهذه الآية على وقوع تكليف ما لا يطاق فانه

تعالى قال لن تحصوه أى لن تطيقوه ثم انه كلفهم بتقدير الساعات والقيام فيها حيث قال قم الليل الخ ويمكن أن يجاب عنه بان المراد صعوبته لا انهم لا يقدرون عليه أصلا كما يقال لا أطيق أن أنظر الى فلان اذا استثقل النظر اليه وفى التأويلات النجمية يعنى السلوك من ليل الطبيعة الى نهار الحقيقة بتقدير الله لا بتقدير السالك علم أن لن تقدروا على مدة ذلك السلوك بالوصول الى الله اذ الوصول مترتب على فضل الله ورحمته لا على سلوككم وسيركم فكم من سالك انقطع فى الطريق ورجع القهقرى ولم يصل كما قيل ليس كل من سلك وصل ولا كل من وصل اتصل ولا كل من اتصل انفصل (فتاب عليكم) بالترخيص على ترك القيام المقدر ورفع التبعة عن التائب ثم استعمل لفظ المشبه به فى المشبه ثم اشتق منه فتاب أى فرخص والتبعة ما يترتب على الشئ من المضرة (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) أى فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل غير مقدرة بكونها فى ثلث الليل أو نحوه ولو قدر حلب شاة فهذا يكون أربع ركعات وقد يكون ركعتين عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها على طريق اطلاق اسم الجزء على الكل مجازا مرسلا فتبين أن التهجد كان واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ بهذه الآية ثم نسخ نفس الوجوب المفهوم منها بالصلوات الخمس على ما سبق وفيه تفضيل صلاة الليل على سائر التطوعات فان التطوع بما كان فرضا فى وقت ثم نسخ أفضل من التطوع بما لم يكن فرضا أصلا كما قالوا صوم يوم عاشوراء أفضل لكونه فرض قبل فرضية رمضان وفى الحديث ليصل أحدكم من الليل ما تيسر فاذا غلب عليه النوم فليرقد وقد كان ابن عباس رضى الله عنهما يكره النوم قاعدا وعنه عليه السلام عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم الى ربكم ومكفرة للسيآت ومنهاة عن الاثم وهذا الحديث يدل على أن قيام الليل لم يكن فرضا على المتقدمين من الانبياء وأممهم بل كان من شعار صلاحهم وعنه عليه السلام ان الله ليبغض كل جعظرى جواظ سخاب بالاسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة والجعظرى الفظ الغليظ والجواظ كشداد الفخم المختال والكثير الكلام والجموع المنوع والمتكبر الجافى والسخاب من السخب وهو محركة شدة الصوت سخب كفرح فهو سخاب وأقل الاستصحاب من قيام الليل سدسه سواء كان متواليا أو قام جزأ ثم نام نومة أخرى ثم قام قياما ثانيا لانه عليه السلام لم يقم ليلة قط حتى أصبح بل كان ينام فيها ولم ينم ليلة قط بل كان يقوم فيها وبأى ورد أحيا الليل فقد دخل فى أهل الليل وله معهم نصيب ومن أحيا أكثر ليلة أو نصفها كتب له احياء ليلة جميعها ويتصدق عليه بما بقى منها كذا فى قوت القلوب وقيل المراد بالآية قراءة القرآن بعينها فتكون على حقيقتها فالمعنى ان شق عليكم القيام فقد رخص فى تركه فاقرؤا ما تيسر من القرآن من غير توقيت الصلاة فانه لا يشق وتنالون بقراءته خارج الصلاة ثواب القيام فالامر للندب وفى الحديث من قرأ فى ليلة مائة آية لم يحاجه القرآن قال الطيبى فى قوله لم يحاجه القرآن ان قراءته لازمة لكل انسان وواجبة عليه فاذا لم يقرأ يخاصمه الله ويغلبه بالحجة فاسناد المحاجة الى القرآن مجاز ويفهم من كلامه ان قراءته مقدار مائة آية فى كل ليلة واجبة بها يتخلص من المحاجة وعنه عليه السلام من قرأ بالآيتين من سورة البقرة فى ليلة كفتاه والمراد آمن الرسول الخ يعنى اغنتاه عن قيام الليل أو حفظتاه من كل شر وسوء وعنه عليه السلام أيعجز أحدكم أن

يقرأ فى ليلة ثلث القرآن قالوا وكيف يقرأ ثلث القرآن قال قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ومن ذلك قالوا ان قراءة الاخلاص ثلاث مرات تقوم مقام ختمة وأطول الآى أفضلها لكثرة الحروف وان اقتصر على قصار الآى عند فتوره أدرك الفضل ان حصل العدد كذا فى قوت القلوب وفى التأويلات النجمية فى اشارة الآية يعنى اجمعوا واحفظوا فى قلوبكم الصافية عن كدورات النفس والهوى ما يظهر عليها الاستعدادتكم من الحقائق والدقائق والعوارف والمعارف ولا تفشوها الى غير أهلها فينكروا عليكم فيرموكم بالكفر والزندقة والالحاد والاتحاد فان حقائقه ودقائقه من المكنونات الالهية (علم أن) أى ان الشأن (سيكون منكم مرضى) استئناف مبين لحكمة أخرى داعية الى الترخيص والتخفيف ومرضى جمع مريض والمرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان وفيه اشارة الى مرضى القلوب بحجب الانانية والاشتغال بحب الدنيا وشهواتها فانه لا يظهر عليها من أسرار القرآن وحقائقه شئ * چنانچه شيخ سنائى كويد * عجب نبود كر از قرآن نصيبت نيست جز حرفى * كه از خورشيد جز كرمى نيابد چشم نابينا * عروس حضرت قرآن نقاب آنكه براندازد * كه دار الملك ايمانرا مجرد يابد از غوغا (وآخرون) عطف على مرضى (يضربون فى الارض) صفة آخرون أى يسافرون فيها للتجارة من ضرب فى الارض سافر فيها ابتغاء الرزق قال الراغب الضرب فى الارض الذهاب فيها وهو بالارجل (يبتغون) الابتغاء جستن (من فضل الله) وهو الربح وفيه تصريح بما علم التزاما وبيان ان ما حصلوه من الرزق من فضل الله ومحل يبتغون حال من ضمير يضربون وقد عم ابتغاء الفضل تحصيل العلم فانه من أفضل المكاسب وفيه ان معلم الخير وهو رسول الله عليه السلام كان حاضرا عندهم وقت نزول الآية فأين يذهبون الا أن يجعل آخر السورة مدنيا فقد كانوا يهاجرون من مكة الى المدينة لطلب العلم وأيضا ان هذا بالنسبة الى خصوص الخطاب وأما بالنسبة الى أهل القرن الثانى فبقاء الحكم بوقوعهم فى الخروج وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه أنه قال حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وأفضل من شهود ألف جنازة ومن عيادة ألف مريض قيل ومن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن بلا علم (وآخرون يقاتلون) الاعداء (فى سبيل الله) عطف على مرضى أيضا ويقاتلون صفته وسبيل الله ما يوصل الى الاجر عند الله كالجهاد وفيه تنبيه على أنه سيؤذن لهم فى القتال مع الاعداء سوى الله فى هذه الآية بين درجة المجاهدين فى سبيل الله والمكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان الى ذوى الحاجات حيث جمع بينهما فدل على أن التجارة بمنزلة الجهاد وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أيما رجل جلب شيأ من مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء (فاقرؤا ما تيسر منه) أى واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعى الى الترخيص فاقرؤا ما تيسر من القرآن من غير تحمل المشاق فان قيل كيف ثقل قيام الليل على الاصحاب رضى الله عنهم وقد خف على كثير من التابعين حتى كانوا يقومون الى طلوع الفجر منهم الامام أبو حنيفة وسعيد بن المسيب وفضيل بن عياض وأبو سليمان الدارانى ومالك بن دينار وعلى بن بكار وغيرهم حتى قال على بن بكار الشامى منذ أربعين سنة لم يحزنى شئ الا طلوع الفجر قلت الثقل لم يكن فى قيامه بل فى محافظة القدر المفروض كما سبق على أنه لا يبعد فى أن يثقل عليهم قبل

التعذيب بذلك ثم كان من أمر بعضهم انه ختم القرآن فى ركعة واحدة كعثمان وتميم الدارى رضى الله عنهما (وأقيموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة وقيل هى زكاة الفطر اذ لم يكن بمكة زكاة غيرها وانما وجبت بعدها ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مدنيا ولك ان تجعلها من باب ما تأخر حكمه عن نزوله ففيه دلالة على أنه سينجز وعده لرسوله ويقيم دينه ويظهره حتى تفرض الزكاة وتؤدى (وأقرضوا الله قرضا حسنا) وقرض دهيد خدا برا قرض نيكو والقرض ضرب من القطع وسمى ما يدفع الى الانسان من المال بشرط رد بدله قرضا لانه مقروض مقطوع من ماله أريد به الانفاقات فى سبل الخيرات غير المفروض فانها كالقرض الذى لا خلاف فى أدائه وفيه حث على التطوع كما قال عليه السلام ان فى المال حقا سوى الزكاة على أحسن وجه وهو اخراجها من أطيب الاموال وأكثرها نفعا للفقراء بحسن النية وصفاء البال الى أحوج الصلحاء وجه هذا التفسير هو أن قوله وآتوا الزكاة أمر بمجرد اعطائها على أى وجه كان وقوله وأقرضوا الله قرضا حسنا ليس كذلك بل هو أمر بالاعطاء المقيد بكونه حسنا وتسمية الانفاق لوجه الله اقراضا استعارة تشبيها له بالاقراض من حيث ان ما أنفقه يعود عليه مع زيادة وقال بعضهم هو قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر والنفقة فى سبيل الله كما قال عمر رضى الله أو النفقة على الاهل وفى الحديث ما أطعم المسلم نفسه وأهل بيته فهو له صدقة أى يؤجر عليه بحسن نيته ثم ههنا أمر غامض وهو أنه روى الامام الغزالى رحمه الله عن القاضى الباقلانى ان ادعاء البراءة من الغرض بالكلية كفر لان التنزه خاصة الهية لا يتصور الاشراك فيها فاعل ما يقال ان العبد ليبلغ الى درجة يعمل ما يعمل لا لغرض بل لرضا الله أو لامتثال أمره فقط انما هو من الغفلة عن غرض خفى هل هو غرض جلى لكنه مراد على يقول الفقير هذا وارد على أهل الارادة واما أهل الفناء عن الارادة وهم أهل النهاية الا كملون فلا غرض لهم أصلا وأمرهم عجيب لا يعرفه الا أمثالهم أو من عرفه الله بشأنهم (وما) شرطية (تقدموا لانفسكم من خير) أى خير كان مما ذكر وما لم يذكر (تجدوه) جواب الشرط ولذا جزم (عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت وفى كشف الاسرار تجدوا ثوابه خيرا لكم من متاع الدنيا وأعظم أجرا لان الله يعطى المؤمن أجره بغير حساب قوله خيرا ثانى مفعولى تجدوا وهو تأكيد للمفعول الاول لتجدوه وفصل بينه وبين المفعول الثانى وان لم يقع بين معرفتين فان أفعل فى حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقوله وأعظم عطف على خيرا وأجرا تمييز عن نسبة الفاعل والاجر ما يعود من ثواب العمل دنيويا كان أو أخرويا وقال بعضهم المشهور أن وجد اذا كان بمعنى صادف يتعدى الى مفعول واحد وهو ههنا بمعناه لا بمعنى علم فلا بعد أن يكون خيرا حالا من الضمير وفى الحديث اعلموا أن كل امرئ على ما قدم قادم وعلى ما خلف نادم وعنه عليه السلام ان العبد اذا مات قال الانسان ما خلف وقالت الملائكة ما قدم ومر عمر رضى الله عنه ببقيع الغرقد اى مقبرة المدينة لانها كانت منبت الغرقد وهو بالغين المعجمة شجر فقال السلام عليكم أهل القبور اخبار ما عندنا ان نساءكم قد تزوجن ودوركم قد سكنت وأموالكم قد قسمت فأجابه هاتف يا ابن الخطاب اخبار ما عندنا ان ما قدمناه وجدناه وما أنفقناه فقد ربحناه وما خلفنا فقد خسرنا

قدم لنفسك قبل موتك صالحا * واعمل فليس الى الخلود سبيل
(وروى) عن عمر رضى الله عنه أنه اتخذ خبيصا يعنى عمرا بلبن فجاءه مسكين فأخذه ودفعه اليه فقال بعضهم مايدرى هذا المسكين ماهذا فقال عمر لكن رب المسكين يدرى ماهو فكأنه قال وماتقدموا الخ * تو نيكى كن با آب انداز اى شاه * اكر ماهى نداند داند الله (واستغفروا الله) أى سلوا الله المغفرة لذنوبكم فى جميع أوقاتكم وكافة أحوالكم فان الانسان قلما يخلو عن تفريط وكان السلف الصالح يصلون الى طلوع الفجر ثم يجلسون للاستغفار الى صلاة الصبح واستحب الاستغفار على الاسماء من القرآن مثل أن يقول استغفر الله انه كان توابا استغفر الله ان الله غفور رحيم استغفر الله انه كان غفارا رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين واغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين (ان الله غفور) يغفر مادون أن يشرك به (رحيم) يبدل السيئات حسنات وفى عين المعانى غفور يستر على أهل الجهل والتقصير رحيم يخفف عن اهل الجهد والتوقير ومن عرف انه الغفور الذى لايتعاظمه ذنب يغفره اكثر من الاستغفار وهو طلب المغفرة ثم ان كان مع الانكسار فهو صحيح وان كان مع التوبة فهو كامل وان كان عريا عنهما فهو باطل ومن كتب سيد الاستغفار وجرعه لمن صعب عليه الموت انطلق لسانه وسهل عليه الموت وقد جرب مرارا وسيد الاستغفار قوله اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت

تمت سورة المزمل بعونه تعالى يوم الاربعاء الثانى والعشرين من ذى القعدة من سنة ست عشرة ومائة وألف

(سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها المدثر) بتشديدين أصله المتدثر وهو لابس الدثار وهو مايلبس فوق الشعار الذى يلى الجسد ومنه قوله عليه السلام الانصار شعار والناس دثار وفيه اشارة الى أن الولاية كالشعار من حيث تعلقها بالباطن والنبوة كالدثار من حيث تعلقها بالظاهر ولذلك خوطب عليه السلام فى مقام الانذار بالمدثر (روى) عن جابر رضى الله عنه عن النبى عليه السلام أنه قال كنت على جبل حرا فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى وعن يسارى فلم أر شيأ فنظرت فوق فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة رضى الله عنها فقلت دثرونى دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر يعنى انه انما تدثر بناء على اقشعرار جلده وارتعاد فرائصه رعبا من الملك النازل من حيث انه رأى مالم يره قبل ولم يستأنس به بعد فظن أن به مسا من الجن فخاف على نفسه لذلك وذكر حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر ان التدثر انما يكون من البرودة التى تحصل عقيب الوحى وذلك ان الملك اذا ورد على النبى عليه السلام بعلم أو حكم يلقى ذلك الروح الانسانى وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وانقشعت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل

الجسم الهواء من خارج فيتخلل الجسم فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فتزاد عليه الثياب ليسخن انتهى وقرر بعضهم هذا المقام على غير ما ذكر كما قال فى كشف الاسرار وتفسير الكاشفى جابر بن عبد الله رضى الله عنه نقل ميكند از رسول الله صلى الله عليه وسلم در زمان فترت وحى براهى ميرفتم ناكاه از آسمان آوازى شنيدم چشم بالا كردم ديدم همان ملك كه در غار حرا بمن آمده بود بر كرسى نشسته ميان زمين واسمان از سطوت وهيأت وعظمت وهيكل او خوفى برمن طارى شد بخانه باز كشتم وكفتم مرا بپوشانيد جامها برمن پوشيدند ومن در انديشه آن حال بودم كه حضرت عزت جل شأنه وحى فرستاد كه يا أيها المدثر وقال السهيلى رحمه الله كان عليه السلام متدثرا بثيابه حين فزع من هول الوحى أول نزوله وقال دثرونى دثرونى فقال له ربه يا أيها المدثر ولم يقل يا محمد ولا يا فلان ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم فى المزمل وفائدة أخرى مشاكلة الآية بما بعدها ووجه المشاكلة بين أول الكلام وبين قوله قم فانذر خفى الا بعد التأمل والمعرفة بقوله عليه السلام انى أنا النذير العريان ومعنى النذير العريان الجاد المشمر وكان النذير من العرب اذا اجتهد جرد ثوبه وأشار به مع الصياح تأكيدا فى الانذار والتحذير وقد قيل أيضا ان أصل قولهم النذير العريان أن رجلا من خثعم وهو كجعفر جبل وأهله خثعميون وابن انمار أبو قبيلة من معد كما فى القاموس أخذه العدو فقطعوا يده وجردوا ثيابه فأفلت الى قومه نذيرا لهم وهو عريان فقيل لكل مجتهد فى الانذار والتخويف النذير العريان فاذا ثبت هذا فقد تشاكل الكلام بعضه ببعض فأمر المدثر بالثياب مضاف الى معنى النذير العريان ومقابل ومرتبط به لفظا ومعنى (قم) أى من مضجعك يعنى خوابكاه (فأنذر) الناس جميعا من عذاب الله ان لم يؤمنوا لانه عليه السلام مرسل الى الناس كافة فلم تكن ملة من الملل الا وقد بلغتها دعوته وقرعها انذاره وأفرد الانذار بالذكر مع انه أرسل بشيرا أيضا لان التخلية بالمعجمة قبل التحلية بالمهملة وكان الناس عاصين مستحقين للتخويف فكان أول الامر هو الانذار يقول الفقير امده الله القدير بالفيض الكثير خوطبت بقوله قم فأنذر وانا متوجه مراقب عند الرأس الشريف فى الحرم النبوى فحصل لى اضطراب عظيم وحيرة كبرى من سطوة الخطاب الالهى وغلبنى الارتعاد وظننت انى مأمور بالانذار الظاهرى فى ذلك المقام لما ان أكثر الناس كانوا يسيئون الادب فى ذلك الحرم حتى انى بكيت مرة بكاء شديدا من غلبة الغيرة فقيل لى أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ثم انى عرفت بالهام من الله تعالى أنى رسول نفسى لا غير مأمور بتزكيتها واصلاح قواها ومن الله الاعانة على ذلك (وربك فكبر) وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا وعظمه عما يقول فيه عبدة الاوثان وسائر الظالمين وروى أنه لما نزل قال رسول الله عليه السلام الله اكبر فكبرت خديجة أيضا وفرحت وايقنت أنه الوحى لان الشيطان لا يأمر بالتكبير ونحوه ودخل فيه تكبير الصلاة وان لم يكن فى أوائل النبوة صلاة وذلك لان الصلاة عبارة عن أوضاع وهيآت كلها تعطى التقييد والله منزه عن جميع التعينات فلزم التكبير فيها لان وجه الله يحاذى وجه العبد حينئذ على ما ورد فى الخبر الصحيح والفاء لمعنى الشرط كأنه قيل ما كان أى أى شئ حدث فلا تدع تكبيره ووصفه بالكبرياء أو للدلالة على أن المقصود الاول من الامر بالقيام أن يكبر ربه وينزهه عن الشرك فان

أول ما يجب معرفة الصانع ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه فالفاء على هذه التعقيبية لا الجزائية واعلم
أن كبرياءه تعالى ذاتي له قائم بنفسه لا بغيره من المكبرين فهو أكبر من أن يكبره غيره بالتكبير
الحادث ولذا قال عليه السلام ليلة المعراج لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فهو
المكبر والمثني لذاته بذاته بتكبير وثناء قديم من الازل الى الابد (وثيابك فطهر) جمع ثوب من
اللباس أي فطهرها مما ليس بطاهر بحفظها وصيانتها عن النجاسات وغسلها بالماء الطاهر بعد
تلطخها فانه قبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبيثا سواء كان في حال الصلاة أو في غيرها وبتقصيرها
أيضا فان طولها يؤدي الى جر الذيول على القاذورات فيكون التطهير كناية عن التقصير لانه من
لوازمه ومعنى التقصير أن تكون الى انصاف الساقين أو الى الكعب فانه عليه السلام جعل غاية
طول الازار الى الكعب وتوعد على ما تحته بالنار (وحضرت مرتضى رضي الله عنه كفت كوتاه
كن جامه را) فانه أتقى وأنقى وأبقى وهو أول ما أمر به عليه السلام من رفض العادات المذمومة
فان المشركين ما كانوا يصونون ثيابهم عن النجاسات وفيه انتقال من تطهير الباطن الى تطهير
الظاهر لان الغالب ان من نقي باطنه أبى الا اجتناب الخبث وايثار الطهارة في كل شيء فان الدين
بني على النظافة ولا يدخل الجنة الا نظيف والله يحب الناسك النظيف وفي الحديث غسل الاناء
وطهارة الفناء يورثان الغنى وفي المرفوع نظفوا أفواهكم فانها طرق القرآن قال الراغب
الطهارة ضربان طهارة جسم وطهارة نفس وقد حمل عليهما عامة الآيات وقوله وثيابك فطهر
قيل معناه نفسك نزهها عن المعايب انتهى أو وطهر قلبك كما في القاموس أو أخلاقك فحسن قاله
الحسن وفي الخبر حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار أو عملك فأصلح كما في
الكواشي ومنه الحديث يحشر المرء في ثوبيه اللذين مات فيهما أي عمليه الخبيث والطيب كما في
عين المعاني وانه ليبعث في ثيابه أي أعماله كما في القاموس أو أهلك فطهرهم من الخطايا بالوعظ
والتأديب والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا قال تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن (كما في
كشف الاسرار) وقال ابن عباس لا تلبسها على معصية ولا على غدر البسها وأنت بر طاهر كما في
فتح الرحمن قال الشاعر

واني بحمد الله لا ثوب فاجر * لبست ولا من غدرة أتقنع

وذلك ان الغادر والفاجر يسمى دنس الثياب كما ان أهل الصدق والوفاء يسمى طاهر الثياب ودر
نفحات از شيخ أبو الحسن شاذلي قدس سره نقل ميكند كه حضرت رسالت را صلى الله عليه وسلم در
خواب ديدم ومرا كفت أي علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس يعني پاكيزه
كردان جامهاى خود را از چرك تا بهره مند كردى بمدد وتأييد خداى تعالى در هر نفسى كفتم
يا رسول الله ثياب من كدامست فرمود كه بر تو حق تعالى پنج خلعت پوشانيد خلعت محبت
وخلعت معرفت وخلعت توحيد وخلعت ايمان وخلعت اسلام هر كه خدا را دوست دارد بروى
آسان شود هر چيز وهر كه خدا را بشناسد در نظر وى خرد نمايد هر چيز وهر كه خدا را بيكانكى
بداند بوى شريك نيارد هيچ چيز را وهر كه خداى تعالى را ايمان آرد أيمن كردد از هر چيز وهر كه باسلام
متصف بود خدا را عاصى نشود اعتذار كند وچون اعتذار كند قبول افتد بفضل الله تعالى
پس شيخ فرمود از اينجا دانستم قول خدا را وثيابك فطهر * در تو پوشيد لطف يزدانى * خلعتى از

صفات روحانى * دارش ازلوث خشم وشهوت دور * تا بپاکیزگى شوى مشهور (والرجز فاهجر)
قرأ عاصم فى رواية حفص الرجز بالضم والباقون بكسر الراء ومعناهما واحد وهو الاوثان وقد
سبق معنى الهجر فى المزمل أى ارفض عبادة الاوثان ولا تقربها كما قال ابراهيم عليه السلام
واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام ويقال الرجز العذاب أى واهجر العذاب بالثبات على هجر
مايؤدى اليه من المآثم سمى مايؤدى الى العذاب رجزا على تسمية المسبب باسم سببه والمراد
الدوام على الهجر لانه كان بريئا من عبادة الاوثان ونحوها (ولا تمنن تستكثر) برفع تستكثر
لانه مستقبل فى معنى الحال أى ولا تعط مستكثرا أى رائيا لما تعطيه كثيرا أو طالبا للكثير على
أنه نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيأ وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر مما
أعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته أى يعوض منها والغزارة بالغين المعجمة
وتقديم الزاى الكثرة فهو اما للتحريم وهو خاص برسول الله عليه السلام لعلو منصبه فى
الاخلاق الحسنة ومن ذلك حلت الزكاة لفقراء امته ولم تحل له ولا هله اشرفهم أو للتنزيه للكل أى
له ولامته وقال بعضهم هو من المنة لان من يمن بما يعطى يستكثره ويعتد به والمنة تهدم الصنيعة
خصوصا اذا من بعمله على الله بأن يعده كثيرا فان العمل من الله منة عليه كما قال تعالى بل الله
يمن عليكم ومن شكر طول عمره بالعبادة لم يقض شكر نعمة الايجاد فضلا عما لا يحصى من أنواع
الجود (ولربك فاصبر) أى فاصبر لحكم ربك ولا تتألم من اذية المشركين فان المأمور بالتبليغ لا يخلو
عن اذى الناس ولكن بالصبر يستحيل المرحلوا وبالتمرن يحصل الذوق * تحمل چون زهرت نابد
نخست * ولى شهدگردد چو درطبع رست * وقال بعض أهل المعرفة أى جرد صبرك عن
ملاحظة الغير فى جميع المراتب أى فى الصبر عن المعصية والصبر على الله والصبر فى البلاء كما قال
تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وقال القاشانى يا أيها المدثر أى المتلبس بدثار البدن المحتجب
بصورته قم عما ركنت اليه وتلبست به من أشغال الطبيعة وانتبه من رقدة الغفلة فأنذر نفسك
وقواك وجميع من عداك عذاب يوم عظيم وان كنت تكبر شيأ وتعظم قدره فخصص ربك بالتعظيم
والتكبير لا يعظم فى عينك غيره وليصغر فى قلبك كل ماسواه بمشاهدة كبريائه وظاهرك فطهره
أولا قبل تطهير باطنك عن مدانس الاخلاق وقبائح الافعال ومذام العادات ورجز الهيولى
المؤدى الى العذاب فاهجر أى جرد باطنك عن اللواحق المادية والهيآت الجسمانية الفاسقة
والغواشى الظلمانية والهيولانية ولا تعط المال عند تجردك عنه مستغزرا طالبا للاعواض
والثواب الكثير به فان ذلك احتجاب بالنعمة المنعم عن وقصور همة بل خالصا لوجه الله افعل
ماتفعل صابرا على الفضيلة لله لا لشىء آخر غيره (فاذا نقر فى الناقور) الناقور بمعنى ماينقر فيه والمراد
الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل مرة للاصعاق وأخرى للاحياء فاعول من النقر
بمعنى التصويت وأصله القرع الذى هو سبب الصوت بمعنى جعل الشىء بحيث يظهر منه الصوت
بنوع قرع والمراد هنا النفخ اذ هو نوع ضرب للهواء الخارج من الحلقوم أى فاذا نفخ فى الصور
والفاء للسببية أى سببية مابعدها لما قبلها دون العكس فهى بمعنى اللام السببية كأنه قيل اصبر
على أذاهم فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى اذا
مادل عليه قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) فان معناه عسر الامر على

الكافرين من جهة العذاب وسوء الحساب وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ ويومئذ بدل
منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو اذ والتقدير اذ نقر فيه والخبر يوم عسير وعلى متعلقة
بعسير دل عليه قوله تعالى وكان يوما على الكافرين عسيرا كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير عليهم
(غير يسير) خبر بعد خبر وتأكيد لعسره عليهم لقطع احتمال يسره بوجه دون وجه مشعر بيسره
على المؤمنين ثم المراد به يوم النفخة الثانية التي يحيا الناس عندها اذ هي التي يخص عسرها
بالكافرين جميعا وأما النفخة الاولى فهي مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء في الاخبار
ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فيخرج عند
النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزع منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى وفي الحديث
كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم قرنه ينتظر متى يؤمر أن ينفخ فيه فقيل له كيف نصنع قال
قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال القاشاني ينقر في البدن المبعوث فينتقش فيه الهيآت السيئة
المردية الموجبة للعذاب أو الحسنة المنجية الموجبة للثواب ولا يخفى عسر ذلك اليوم على
المحجوبين على أحد وان خفي يسره على غيرهم الا على المحققين من أهل الكشف والعيان (ذرني
ومن خلقت وحيدا) حال اما من الياء أي ذرني وحدي معه فاني أكفيكه في الانتقام منه أو من
التاء أي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد أو من العائد المحذوف أي ومن خلقته وحيدا
فريدا لا مال له ولا ولد نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد زعما منهم أنه
لا نظير له في وجاهته ولا في ماله وكان يفتخر بنفسه ويقول أنا الوحيد ابن الوحيد ليس لي في العرب
نظير ولا لأبي المغيرة نظير أيضا فسماه الله بالوحيد تهكما به واستهزاء بلقبه كقوله تعالى ذق انك
أنت العزيز الكريم وصرفا له عن الغرض الذي يؤمه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا
من المال والولد أو وحيدا من أبيه ونسبه لانه كان زنيما وهو من ألحق بالقوم وليس منهم كما مر
أو وحيدا في الشرارة والخباثة والدناءة (وجعلت له مالا ممدودا) أي مبسوطا كثيرا وهو ما كان
له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقال الثوري كان له ألف ألف دينار (وبنين) ودادم
أورا بسمران (شهودا) جمع شاهد مثل قاعد وقعود وشهدد كسعه حضره أي حضورا معه بمكة
يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة
خدمهم أو حضورا معه في الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم وكان له عشرة بنين اسلم منهم
ثلاثة خالد وهشام وعمارة قاله المفسرون واطبق المحدثون على ان الوليد بن الوليد اسلم وعمارة
قتل كافرا اما يوم بدر أو في الحبشة على يد النجاشي قال السهيلي رحمه الله هم هشام بن الوليد
والوليد بن الوليد وخالد بن الوليد الذي يقال له سيف الله وأما غير هؤلاء ممن مات منهم على دين
الجاهلية فلم نسمه (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الرياسة والجاه العريض فأتممت عليه النعمة
فان اجتماع المال والجاه هو الكمال عند أهل الدنيا ولذا كان يلقب ريحانة قريش والريحان
نبت طيب الرائحة والولد والرزق وفي التأويلات النجمية يشير الوليد بن المغيرة الى النفس
الوحيدة في الشر والظلم والجور والجهل وكثرة أموال أعمالها السيئة الذميمة وثروة اجناس
أخلاقه الذميمة والى بني أتباعه الخبيثة الخسيسة وبسطة سلطنته ورياسته ووجاهته عند أرباب
النفوس المتمردة عن أوامر الحق ونواهيه المعربدة مع الحق وأهاليه وهم القوى الطبيعية

الظلمانية

الظلمانية يعني دعني واياه فاني أسلط عليه أبابكر الخفي وعمر الروح وعثمان السر وعلى القلب حتى انهم بأنوار روحانيتهم يطمسون ظلمات نفسانيته ويغيرون على أعماله ويقتلون بني اتباعه وشيعته ويطوون بساط سلطنته ويسدون باب بسطته (ثم يطمع) يرجو (أن أزيد) على ما أوتيه من المال والولد وثم استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه ما لانه لا مزيد على ما أوتيه سعة وكثرة يعني انه أوتي غاية ما أوتي عادة لامثاله أو لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم أي لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم (كلا) ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب فيكون متصلا بما قبله (انه كان لآياتنا عنيدا) يقال عند خالف الحق ورده عارفا به فهو عنيد وعاند يعني منكر وستيزه كننده والمعاندة المفارقة والمجانبة والمعارضة بالخلاف كالعناد والعنيد هنا بمعنى المعاند كالجليس والاكيل والعشير بمعنى المجالس والمؤاكل والمعاشر وهو تعليل لما قبله على وجه الاستئناف التحقيقي فان معاندة آيات المنعم وهي الآيات القرآنية مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما أوتي ما أوتي استدراجا وتقديم لآياتنا على متعلقه وهو عنيدا يدل على التخصيص فتخصيص العناد بها مع كونه تاركا للعناد في سائر الاشياء يدل على غاية الخسران قيل مازال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك وهو فقير * آنكس كه نصيحت زعزيزان نكند كوش * بسيار بخايد سر انكشت ندامت (سأرهقه صعودا) قال الراغب رهقه الامر غشيه بقهر يقال رهقته وأرهقته مثل ردفته وأردفته وتبعته واتبعته ومنه أرهقت الصلاة أي اخرتها حتى غشي وقت الاخرى والصعود العقبة الشاقة ويستعار لكل شاق وهو مفعول ثان لأرهق وفي بعض التفاسير صعودا امافعول بمعنى فاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث مثل عقبة كؤد فيكون من قبيل تسمية المحل باسم الحال أو بمعنى مفعول من صعده وهو الظاهر فيكون تذكيره اما باعتبار كون موصوفه طريقا أو باتباع مثل كؤد والمعنى سأكلفه كرها بدل ما يطمعه من الزيادة ارتقاء عقبة شاقة المصعد على حذف المضاف بحيث تغشاه شدته ومشقته من جميع الجوانب على أن يكون الارهاق تكليف الشيء العظيم المشقة بحيث تغشى المكلف شدته ومشقته من جميع الجوانب وقال الغزالي رحمه الله حالة تصعد فيها نفسه للنزع وان لم يتعقبه موت انتهى وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق ويجوز أن يحمل على حقيقته كما قال عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى كذا أبدا يعني بر بالاى آن توان رفت اورا در زنجيرهاى آتشين كشيده از پيش مى كشند واز عقب كرزهاء آتشين كشيده از پس مى كنند واز عقب كرزهاء آتشين ميزنند تا برآنجا ميرود در هفتاد سال و باز كشتن زير افتان او همچنينست قوله سبعين خريفا أي سبعين عاما لان الخريف آخر السنة فيه تتم الثمار وتدرك فصار بذلك كأنه العام كله وهذا كما تسمى العلة الصورية علة تامة لذلك قال في القاموس الخريف كأمير ثلاثة أشهر بين القيظ والشتاء تخترف فيها الثمار أي تجتنى وعنه عليه السلام يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت (انه فكر وقدر) تعليل للوعيد واستحقاقه له من التفكير بمعنى التفكر والتأمل كما قال في تاج المصادر التفكير انديشه كردن والتقدير اندازه وتهيئه كردن أي فكر ماذا يقول في حق

القرآن وشأنه من جهة الطعن وقدر فى نفسه ما يقوله وهيأه (فقتل كيف قدر) تعجيب من
تقديره واصابته فيه الغرض الذى كان ينتحيه قريش قاتلهم الله أو ثناء عليه بطريق الاستهزاء به
على معنى ان هذا الذى ذكره وهو كون القرآن سحرا فى غاية الركاكة والسقوط أو حكاية لما
ذكروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم
قتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بأن
يدعو عليه حاسده بذلك وقد سبق فى قاتلهم الله فى المنافقين مزيد البيان (روى) ان الوليد مر
بالنبى عليه السلام وهو يقرأ حم السجدة وفى بعض التفاسير فواتح سورة حم المؤمن فقال لبنى
مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة أى حسنا وبهجة وقبولا وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق أى كثير الماء شبه
القرآن بالشجرة الغضة الطرية التى استحكم أصلها بكثرة الماء وأثمرت فروعها فى السماء وأثبت
له أعلى وأسفل لأعلاه الاثمار ولأسفله الاغداق على طريق التخييل (قال الكاشفى) مراورا
حلاوتى وعذوبتى هست كه هيچ سخن را نباشد و بروى طراوتى وتازكى هست كه هيچ حديثى
را نبود اعلاى آن نهال مثمر سعادات كليه وأسفل اين شجره منبع عروق فضائل وحكم عليه
است ثم قال الوليد وانه يعلو ولا يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد أى مال عن دينه وخرج الى
دين غيره والله لتصبأن قريش كلهم أى بمتابعته لكونه رئيس القوم فقال ابن أخيه أبو جهل
أنا أكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما أحماه أى اغضبه يعنى كفت كه قريش ميكويند
تو سخنان محمد را عليه السلام پسند ميدهى وانرا بزرك ميدارى وثنا ميكويى تا از فضله طعام
ايشان بهره بردارى اكر چنين نيست تا همه قريش فراهم شوند وترا كفايتى حاصل كنند تا از طعام
ايشان بى نياز شوى وليد اين سخن از أبو جهل بشنيد در خشم شد كفت الم تعلم قريش انى من
أكثرهم مالا وولدا وأين أصحاب محمد خود هركز از طعام سير نشوند واز فقر وفاقه نياسايند چه
صورت بندد كه ايشانرا فضله طعام بود تا بديكرى دهند پس هر دو برخاستند و بر انجمن قريش
شدند وليد كفت شما كه قريش شديد بدانيد كه حال وكار اين محمد در عرب منتشر كشت وموسم حج
نزديكست كه عرب مى آيند واز حال او پرسند جواب ايشان چه خواهيد داد تزعمون أنه مجنون
فهل رأيتموه يخنق لان العرب كانت تعتقد أن الشيطان يخنق المجنون ويتخبطه وتقولون انه
كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب
فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو وما تقول فى حقه ففكر
فقال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر
يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله متعجبين منه راضين به
(ثم قتل كيف قدر) تكرير للتعجب للمبالغة فى التشنيع وثم للدلالة على أن الكرة الثانية
فى التعجيب أبلغ من الاولى أى للتراخى بحسب الرتبة وان اللائق فى شأنه ليس الا هذا القول
دعاء عليه وفيما بعد على أصلها من التراخى الزمانى (ثم نظر) أى فى القرآن مرة بعد مرة وتأمل
فيه (ثم عبس) قطب وجهه يعنى روى باهم كشيد وترش كرفت لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا
يقول (وبسر) اتباع لعبس قال سعدى المفتى لكن عطف الاتباع على المتبوع غير معروف

والظاهر أن كلا منهما له معنى مغاير لمعنى الآخر فعبس بمعنى قطب وجهه وبسر بمعنى قبض ما بين عينيه من السوء واسود وجهه منه ذكره الحلبي والعهدة عليه وقال الراغب البسر الاستعجال بالشيء قبل أوانه نحو ابسر الرجل حاجته طلبها في غير أوانها وقوله ثم عبس وبسر أي أظهر العبوس قبل أوانه وفي غير وقته انتهى (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) عن اتباعه (فقال) عقيب توليه عن الحق (ان) نافية بمعنى ما ولذا أورد الا بعدها (هذا) الذي يقوله محمد عليه السلام أي القرآن (الا سحر يؤثر) اي يروى ويتعلم من الغير ليس هو من سحره بنفسه يقال أثرت الحديث آثره اثرا اذا حدثت به عن قوم في آثارهم أي بعد ما ماتوا هذا هو الاصل ثم كان بمعنى الرواية عمن كان وحديث مأثور اي منقول ينقله خلف عن سلف وادعية مأثورة أي مروية عن الاكابر وفي تعلم السحر لحكمة رخصة واعتقاد حقيته والعمل به كفر كما قيل

* عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لم يعرف الشر * من الناس يقع فيه

وقد سبق معناه وما يتعلق به في مواضعه (ان هذا) ما هذا (الا قول البشر) تأكيد لما قبله ولذا أخلي عن العاطف قاله تمردا وعنادا لا على سبيل الاعتقاد لما روي قبل انه أقر بأن القرآن ليس من كلام الانس والجن وأراد بالبشر يسارا وجبرا وأبا فكيهة اما الاولان فكانا عبدين من بلاد فارس وكانا بمكة وكان النبي عليه السلام يجلس عندهما وأما أبو فكيهة فكان غلاما روميا يتردد الى مكة من طرف مسيلمة الكذاب في اليمامة (سأصليه سقر) اي ادخله جهنم لما قال في الصحاح سقر اسم من أسماء النار وقال ابن عباس رضي الله عنهما اسم للطبقة السادسة من جهنم يقال سقرته الشمس اذا آذته وآلمته وسميت سقر لايلامها وقوله سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا بدل الاشتمال سواء جعل مثلا لما يلقى من الشدائد أو اسم جبل من نار لان سقر تشتمل على كل منهما (وما ادراك ما سقر) ما الاولى مبتدأ وادراك خبره وما الثانية خبر لقوله سقر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفظيع دون العكس كما سبق في الحاقة والمعنى اي شيء أعلمك ما سقر في وصفها يعني انه خارج عن دائرة ادراك العقول ففيه تعظيم لشأنه (لا تبقي ولا تذر) بيان لوصفها وحالها والمجاز للوعد الضمني الذي يلوح به وما أدراك ما سقر اي لا تبقي شيأ يلقى فيها الا أهلكته بالاحراق واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد خلقا جديدا وتهلكه اهلاكا ثانيا وهكذا كما قال تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها أو لا تبقي على شيء أي لا تترحم عليه ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لانها خلقت من غضب الجبار قال في تهذيب المصادر الابقاء باقي كردن ونيز شفقت بردن وقيل لا تبقي حيا ولا تذر ميتا كقوله تعالى ثم لا يموت فيها ولا يحيى (لواحة للبشر) يقال لاحت النار الشيء اذا أحرقته وسودته ولاحه السفر أو العطش اي غيره وذلك ان الشيء اذا كان فيه دسومة فاذا أحرق اسود والبشر جمع بشرة وهي ظاهر جلد الانسان أي مغيرة لأعالي الجلد وظواهره مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادا من الليل فان قلت لا يمكن وصفها بتسويد البشرة مع قوله لا تبقي ولا تذر قلت ليس في الآية دلالة على أنها تفني بالكلية مع انه يجوز أن يكون الافناء بعد التسويد وقيل لائحة للناس على ان لواحة اسم فاعل من لاح يلوح أي ظهر وأن البشر بمعنى الناس قيل انها تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام فهو كقوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى فيصل الى الكافر سمومها وحرورها كما يصل الى المؤمن ريح

الجنة ونسيمها من مسيرة خمسمائة عام (عليها) أي على سقر (تسعة عشر) أي ملكا يتولون أمرها ويتسلطون على أهلها وهم مالك وثمانية عشر معه أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرأفة والرحمة يأخذ أحدهم سبعين ألفا في كفه ويرميهم حيث أراد من جهنم قيل هذه التسعة عشر عدد الرؤساء والنقباء وأما جملة أشخاصهم فكما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فيجوز أن يكون لكل واحد منهم أعوان لا تعد ولا تحصى ذكر أرباب المعاني والمعرفة في تقدير هذا العدد وتخصيصه وجوها * منها ان سبب فساد النفس الانسانية في قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية فالقوى الحيوانية هي الحس الظاهرة والحس الباطنة والشهوة والغضب ومجموعها اثنا عشرة وأما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة فالمجموع تسع عشرة قال ابن الشيخ والمراد بالقوى الحيوانية القوى التي تختص بالحيوان من بين المواليد الثلاثة الحيوان والنبات والمعدن وهي قسمان مدركة وفاعلة فالمدركة أي ما لها مدخل في الادراك بالمشاهدة والحفظ عشر وهي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والفاعلة أي ما لها مدخل في الفعل اما باعثة أو محركة وهما اثنتان الشهوة والغضب والقوى الطبيعية هي القوى التي لا تختص بالحيوان بل توجد في النبات أيضا وهي سبع ثلاث منها مخدومة وهي الغاذية والنامية والمولدة وأربع منها خوادم وهي الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة فلما كان منشأ الآفات هو هذه القوى التسع عشرة كان عدد الزبانية هكذا قال سعدي المفتي وأنت خبير بأن اثبات هذه القوى بناؤه على الاصول الفلسفية ونفي الفاعل المختار فصان تفسير كلام الله عن امثاله أي وان ذكرها الامام في التفسير الكبير وتبعه من بعده وقال أيضا والحق ان يحال علمها الى الله تعالى فالعقول البشرية قاصرة عن ادراك أمثاله انتهى ويرده ما قال الامام السهيلي في الامالي ان النكتة التي من أجلها كانوا تسعة عشر عددا ولم يكونوا أكثر وأقل فلعمري ان في الكتاب والسنة لدليلا عليها واشارة اليها ولكنها كالسر المكنون والناس أسرع شئ الى انكار ما لم يألفوه وتزييف ما لم يعرفوه ولا يؤمن في نشرها وذكرها سوء التأويل لقصور أكثر الافهام عن الوعي والتحصيل مع قلة الانصاف في هذا الجيل انتهى * ومنها ان أبواب جهنم سبعة ستة منها للكفار وواحد للفساق ثم ان الكفار يدخلون النار لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة ثلاثة فالمجموع ثمانية عشر وأما باب الفساق فليس هناك الا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر * ومنها ان الساعات أربع وعشرون خمس منها مشغولة بالصلوات الخمس فيبقى منها تسع عشرة مشغولة بغير العبادة مصروفة الى ما يؤاخذ به بأنواع العذاب يعني انه لم يخلق في مقابلة الخمس التي جعلت مواقيت الصلاة زبانية تكريما لها فلا يلزم الاختصاص بالمصلين من عصاة المؤمنين كما في حواشي سعدي المفتي فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر * ومنها انه تعالى حفظ جهنم بما حفظ به الارض من الجبال وهي مائة وتسعون أصلها تسعة عشر * ومنها ان المدبرات للعالم النجوم السيارة وهي سبعة والبروج الاثنا عشر الموكلة بتدبير العالم السفلي المؤثرة فيه فقمعهم بسياط التأثير وترديهم في مهاويها * ومنها

ما قال السجاوندى فى عين المعانى قد تكلموا فى حكمة العدد على أنه لا تطلب للاعداد العلل فان التسعة أكثر الآحاد والعشرة أقل العشرات فقد جمع بين أكثر القليل وأقل الكثير يعنى ان التسعة عشر عدد جامع بينهما فلهذا كانت الزبانية على هذا العدد * ومنها ما قال فى كشف الاسرار ان قوله بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا وعدد الزبانية تسعة عشر ملكا فيدفع المؤمن بكل حرف منها واحدا منهم وقد سبقت رحمته غضبه ومنها ما لاح لهذا الفقير قبل الاطلاع على ما فى كشف الاسرار وهو أن عدد حروف البسملة تسعة عشر (كما قال المولى الجامى) نوزده حرفست كه هژده هزار * عالم ازو يافته فيض عميم * ولما كانت البسملة آية الرحمة والكفار والفساق لم يقبلوا هذه الآية حيث سلكوا سبيل الكفر والمعاصى خلق الله فى مقابلة كل حرف منها ملكا من الغضب والجلال وجعله آية الغضب كما جعل خازن الجنة آية الرحمة دل على ما قلنا قوله عليه السلام يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا وهو أكبر الحيات بالفارسية اژدر فى فمه أنياب مثل أسنة الرماح وهو طويل كالنخلة السحوق أحمر العينين مثل الدم واسع الفم والجوف يبتلع الانسان والحيوان وسره أنه كفر بالله وبأسمائه الحسنى التى هى تسعة وتسعون فاستحق أن يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا بعددها فى قبره الذى هو حفرة من حفر النيران فلا يلزم أن يسلط عليه ذلك العدد فى النار فالتسع عدد القهر والحصر والانقراض لانه ينقرض عن أهل النار امداد الرحمة الرحيمية * ومنها ما فى التأويلات النجمية من ان اختلال النفوس البشرية بحسب العمل والعلم والدخول فى جهنم البعد والطرد واللعن والحجاب والاحتجاب مترتب على موجباتها وهى تسعة عشر الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وهى الاعضاء والجوارح السبع التى ورد بها الحديث بقوله عليه السلام أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء وآراب والطبيعة البشرية المشتملة على الكل المؤثرة فى الكل بحسب الظاهر والباطن ويجوز أن تكون القوة الغضبية والشهوية بدل الطبيعة فصار الكل تسعة عشر (وما جعلنا أصحاب النار) أى المدبرين لامرها القائمين بتعذيب أهلها فأصحاب النار هنا غير أصحاب النار فى قوله تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة وفى كشف الاسرار وما جعلنا خزنة أصحاب النار فحذف المضاف انتهى وفيه بعد لانهم خزنة النار لا خزنة أصحابها (الا ملائكة) ليخالفوا جنس المعذبين من الثقلين فلا يرقوا لهم ولا يميلوا اليهم فان المجانسة مظنة الرأفة ولذا بعث الرسول من جنسنا ليرحم بنا ولانهم أقوى الخلق وأقومهم بحق الله وبالغضب له تعالى وأشدهم بأسا وعن النبى عليه السلام لقوة أحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى النار ويرمى بالجبل عليهم ويروى انه لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الاشد بن أسيد بن كلدة الجمحى وكان شديد البطش والقوة حتى كان من قوته انه اذا قام على أديم واجتمع جماعة على ازالة رجليه عنه لم يقدروا عليه فكانوا يشدون الاديم حتى يتقطع قطعا ورجلاه على حالهما أنا أكفيكم سبعة عشر منهم فاكفونى أنتم اثنين فنزلت أى وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون فمن ذا الذى يغلب الملائكة والواحد منهم يأخذ أرواح جميع الخلق وللواحد منهم من القوة ما يقلب الارض فيجعل عاليها سافلها وتمام آدميان طاقت ديدار يك

فرشته نداريد تا بعقاومت بكابسر آيند (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) أى وما جعلنا عددهم الا العدد الذى تسبب لافتتانهم ووقوعهم فى الكفر وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر أى بالفتنة عن العدد المخصوص تنبيها عن التلازم بينهما وحمل الكلام على هذا لان جعل من دواخل المبتدا والخبر فوجب حمل مفعوله الثانى على الاول ولا يصح حمل افتتان الكفار على عدد الزبانية الا بالتوجيه المذكور فان عدتهم سبب للفتنة لا فتنة نفسها ثم ليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين فى نفس الامر بل جعله فى القرآن أيضا كذلك وهو الحكم بأن عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولى هذا العدد القليل أمر الجم الغفير واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سيأتى من استيقان أهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) متعلق بالجعل على المعنى المذكور والسين للطلب أى ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه السلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقا لما فى كتابهم وفى عين المعانى سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة النار وعددهم فأجاب عليه السلام بأنهم تسعة عشر يعنى دوبار بأصابع يدين اشارت فرمود ودركرة دوم ابهام يمنى را امساك فرمود (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) اى يزداد ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك أو كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما أنزل (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان فان نفى ضد الشئ بعد اثبات وقوعه أبلغ فى الاثبات ونفى لما قد يعترى المستيقن والمؤمن من شبهة ما فيحصل له يقين جازم بحيث لا شك بعده وانما لم ينظم المؤمنين فى سلك أهل الكتاب فى نفى الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم فى ذلك (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق فان كلا منهما من الامراض الباطنة فيكون اخبارا بما سيكون فى المدينة بعد الهجرة اذ النفاق انما حدث بالمدينة وكان أهل مكة اما مؤمنا صادقا واما مكذبا واما شاكا (والكافرون) المصرون على التكذيب فان قلت كيف يجوز أن يكون قولهم هذا مقصود الله تعالى قلت اللام ليست على حقيقتها بل للعاقبة فلا اشكال (ماذا أراد الله بهذا مثلا) تمييز لهذا أو حال منه بمعنى ممثلا به كقوله هذه ناقة الله لكم آية اى أى شئ أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل فاطلاق المثل على هذا العدد على سبيل الاستعارة حيث شبهوه بالمثل المضروب وهو القول السائر فى الغرابة حيث لم يكن عقدا تاما كعشرين أو ثلاثين والاستفهام لانكار أنه من عند الله بناء على انه لو كان من عنده لما جاء ناقصا وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله فى الشناعة (كذلك يضل الله من يشاء) ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال أى يضل الله من يشاء اضلاله كأبى جهل وأصحابه المنكرين لخزنة جهنم وعددهم اضلالا كائنا مثل ما ذكر من الاضلال لا اضلالا أدنى منه لصرف اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق وأصله ان الله لا يضل الا بحسب الضلالة الازلية لان

الضلال وصرف الاختيار الى جانبه كل منهما من مقتضى عينه الثابتة (ويهدى من يشاء) هدايته كأصحاب محمد عليه السلام هداية كائنة مثل ماذكر من الهداية لاهداية أدنى منها اصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات الى جانب الهدى وحقيقته ان الله لا يهدى الا بموجب الهداية الازلية اذ الاهتداء وصرف الاختيار الى جانبه كل منهما من أحواله الازلية فلا يجوز خلافه فى عالم العين والابد (ومايعلم جنود ربك) اى جموع خلقه التى من جملتها الملائكة المذكورون والجنود جمع جند بالضم وهو العسكر وكل مجتمع وكل صنف من الخلق على حدة وفى الحديث ان لله جنودا منها العسل (الاهو) لفرط كثرتها وفى حديث موسى عليه السلام انه سأل ربه عن عدد أهل السماء فقال تعالى اثنا عشر سبطا عدد كل سبط عدد التراب وفى الاسرار المحمدية ليس فى العالم موضع بيت ولا زاوية الا وهو معمور بما لا يعلمه الا الله والدليل على ذلك أمر النبى عليه السلام بالتستر فى الخلوة وأن لا يجامع الرجل امرأته عريانين وفيه اشارة الى ان الله فى اختيار عدد الزبانية حكمة والا فجنوده خارجة عن دائرة العد والضبط قال القاشانى ومايعلم عدد الجنود وكميتها وكيفيتها وحقيقتها الا هو لاحاطة علمه بالماهيات وأحوالها وفى التأويلات النجمية الاهوية الجامعة لجميع جنود التعينات الغير المتناهية بحسب الاسماء الجزئية وجزئيات الاسماء قال بعض العارفين خلقت الملائكة على مراتب فأرواح ليس لهم عقل الا تعظيم جناب الله وليس لهم وجه مصروف الى العالم ولا الى نفوسهم قد هيمهم جلال الله واختطفهم عنهم فهم فيه حيارى سكارى وأرواح مدبرة أجساما طبيعية أرضية وهى أرواح الاناسى وأرواح الحيوانات من كل جسم عنصرى طبيعى وهذه الارواح المدبرة لهذه الاجسام مقصورة عليها مسخر بعضها لبعض كما قال تعالى ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وأرواح أخر مسخرات لمصالحنا وهم على طبقات كثيرة فمنهم الموكل بالوحى ومنهم الموكل بالالقاء ومنهم الموكل بالارزاق ومنهم الموكل بقبض الارواح ومنهم الموكل باحياء الموتى ومنهم الموكل بالاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم ومنهم الموكل بالغراسات فى الجنة جزاء لاعمال العباد ومنهم غير ذلك واما مراتبهم وتفاوتهم ففيهم الاكبر والكبير فجبريل أكبر من عزرائيل وميكائيل أكبر من جبريل واسرافيل أكبر من ميكائيل وقال بعضهم هذه الجنود ليست معدة للمحاربة بل هى لترتيب المملكة الظاهرة للعالم الاعلى والاسفل لانه اذا كان مافى السموات ومافى الارض جنوده فلمن يتقاتلون فما بقى الا أن المراد بهم جنود التسخير اذ العالم كله مسخر بعضه لبعض وجميع الملائكة مسخرون لنا بأسرهم تحت ايدى الاثنى عشر ملكا الذين ولاهم الله على عالم الخلق ومقرهم فى الفلك الاقصى كل وال فى برج كأبراج سور المدينة جالس على تخت وقد رفع الله الحجاب بين هؤلاء الولاة وبين اللوح المحفوظ فرأوا فيه مسطرا أسماءهم ومراتبهم وماشاء الله أن يجريه على أيديهم فى عالم الخلق الى يوم القيامة فارتقم ذلك كله فى نفوسهم وعلموه علما محفوظا لا يتبدل ولا يتغير كما علمنا نحن أسماءهم وأحوالهم من مقابلة قلوبنا للوح المحفوظ ثم ان الله جعل لكل واحد من هؤلاء الولاة حاجبين ينفذان أوامرهم الى نوابهم وجعل بين كل حاجبين سفيرا يمشى بينهما بما يلقى اليه كل واحد منهما وعين الله لهؤلاء الذين جعلهم حجابا لهؤلاء الولاة فى الفلك الثانى منازل يسكنونها وأنزلهم اليها وهى الثمان

والعشرون منزلة التي تسمى المنازل التي ذكرها الله بقوله والقمر قدرناه منازل يعني في سيره ينزل كل يوم منزلة منها الى أن ينتهي الى آخرها ثم يدور دورة أخرى لتعلموا بسيره وسير الشمس والخنس عدد السنين والحساب وكل شيء فصله الحق لنا تفصيلا فأسكن في هذه المنازل هذه الملائكة وهم حجاب أولئك الولاة الذين في الفلك ثم ان الله أمر هؤلاء أن يجعلوا لهم نوابا ونقباء في السموات السبع في كل سماء نقيبا كالحاجب لهم لينظروا في مصالح العالم العنصري بما يلقيه اليهم هؤلاء الولاة ويأمرونهم به وهو قوله تعالى وأوحى في كل سماء أمرها فجعل الله أجسام هذه الكواكب النقباء أجساما نيرة مستديرة ونفخ فيها أرواحها وأنزلها في السموات السبع في كل سماء واحد منهم وقال لهم قد جعلتكم تستخرجون ما عند هؤلاء الاثني عشر والينا بواسطة الحجاب الثمانية والعشرين كما يأخذ أولئك الولاة عن اللوح المحفوظ ثم جعل الله لكل نقيب من هؤلاء السبعة النقباء فلكا يسبح فيه هو له كالجواد للراكب وهكذا الحجاب لهم أفلاك يسبحون فيها اذ كان لهم التصرف في حوادث العالم والاستشراف عليه ولهم سدنة وأعوان يزيدون على الالف أعطاهم الله مراكب سماها أفلاكا فهم أيضا يسبحون فيها وهي تدور بهم على المملكة في كل يوم مرة فلا يفوتهم شيء من المملكة أصلا من ملك السموات والارض فتدور الولاة وهؤلاء الحجاب والنقباء والسدنة كلهم في خدمة هؤلاء الولاة والكل مسخرون في حقنا اذ كنا نحن المقصود الاعظم من العالم كله قال تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وسبب دوران الافلاك علينا كل يوم دورة انما هو لينظر هؤلاء الولاة فيما تدعو حاجة الخلق اليه من الامور فينفذوا خلالهم وينفذوا أحكام الله فيهم من كونه مريدا في خلقه لا من كونه آمرا اليه فينفذون الاقدار فيهم في ازمان مختلفة وكما جعل الله زمام هذه الامور بايدي هؤلاء الجماعة من الملائكة وأقعد منهم من أقعد في برجه ومسكنه الذي فيه تخت ملكه وأنزل من أنزل من الحجاب والنقباء الى منازلهم في سمواتهم كذلك جعل في كل سماء ملائكة مسخرة وجعلهم على طبقات فنهم أهل العروج بالليل والنهار من الحق الينا ومنا الى الحق في كل صباح ومساء ولا يقولون الا خيرا في حقنا ومنهم المستغفرون لمن في الارض ومنهم المستغفرون للمؤمنين لغلبة الغيرة الالهية عليهم كما غلبت الرحمة على المستغفرين لمن في الارض ومنهم الموكلون بايصال الشرائع ومنهم الموكلون بالممات ومنهم الموكلون بالالهام وهم الموصلون العلوم الى القلوب ومنهم الموكلون بالارحام بتصوير ما يكون الله في الارحام ومنهم الموكلون بنفخ الارواح ومنهم الملائكة التسعة عشر الموكلون بالشفاعة لمن دخل النار ومنهم الموكلون بالارزاق ومنهم الموكلون بالامطار ومنهم الصافات والزاجرات والتاليات والمقسمات والمرسلات والناشرات والنازعات والناشطات والسابقات والسابحات والملقيات والمدبرات ولذلك قالوا وما منا الا له مقام معلوم فما من حادث يحدثه الله في العالم الا وقد وكل الله باجرائه الملائكة ولكن بأمر هؤلاء الولاة من الملائكة فلا يزالون تحت سلطانهم اذ هم خصائص الله ثم ان العامة ما تشهد من هؤلاء الملائكة الا منازلهم التي هي اجرام الكواكب ولا تشهد أعيان الحجاب ولا النقباء وأما أهل الكشف فيشهدونهم في منازلهم عيانا ثم اعلم ان الله قد جعل في هذا العالم العنصري خلقا من جنسهم ولاة عليهم نظير العالم العلوي فمنهم الرسل والخلفاء والسلاطين والملوك وولاة أمور جميع العالم

من

من القضاة وأضرابهم ثم جعل بين أرواح هؤلاء الولاة الذين هم فى الارض والولاة الذين هم فى السموات مناسبات ودقائق تمتد اليهم بالعدل مطهرة من الشوائب مقدسة عن العيوب فيقبل هؤلاء الولاة الارضيون منهم بحسب استعداداتهم فمن كان استعداده حسنا قويا قبل ذلك الامر على صورته طاهرا مطهرا فكان والى عدل وامام فضل ومن كان استعداده رديأ قبل ذلك الامر الطاهر ورده الى شكله من الرداءة والقبح والجور فكان والى جور ونائب ظلم وبخل فلا يلومن الا نفسه فهذه أمهات مراتب حكام العالم أصحاب المراتب على سبيل الاجمال وأما الرعية فلا يحصى عددهم الا الله ولله تعالى فى الارض ملائكة لا يصعدون الى السماء أبدا وملائكة فى السماء لا ينزلون الى الارض أبدا كل قد علم صلاته وتسبيحه بالهام من الله تعالى كذا فى كتاب الجواهر للامام الشعرانى رحمه الله (وما هى) اى سقر وذكر صفتها (الا ذكرى للبشر) الا تذكرة وعظة وانذارا لهم بسوء عاقبة الكفر والضلال وتخصيص الانس مع انها تذكرة للجن أيضا لانهم هم الاصل فى القصد بالتذكرة أو وما عدة الخزنة الا تذكرة لهم ليتذكروا ويعلموا أن الله قادر على أن يعذب الكثير الغير المحصور من كفار الثقلين وعصاتهم بهذا العدد بل هو لا يحتاج فى ذلك الى أعوان وانصار أصلا فانه لو قلب شعرة واحدة فى عين ابن آدم أو سلط الألم على عرق واحد من عروق بدنه لكفاه ذلك بلاء ومحنة وانما عين العدد وخلق الجنود لحكمة لا لاحتياج ويجوز أن يعود الضمير الى الآيات الناطقة بأحوال سقر فانها تذكرة لاشتمالها على الانذار (كلا) ردع لمن أنكر سقر أى ارتدع عن انكارها فانها حق أو انكار ونفى لان تكون لهم تذكرة فان كونها ذكرى للبشر لا ينافى أن بعضهم لا يتذكرون بل يعرضون عنها بسوء اختيارهم ألا يرى الى قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين (والقمر) مقسم به مجرور بواو القسم يعنى وكند بماه كه معرفت أوقات وآجال بوى باز بسته است وفى فتح الرحمن تخصيص تشريف وتنبيه على النظر فى عجائبه وقدرته فى حركاته المختلفة التى هى مع كثرتها واختلافها على نظام واحد لا يختل وقال أبو الليث وخالق القمر يعنى الهلال بعد ثالثه (والليل) معطوف على القمر وكذا الصبح يعنى وبحرمت شب (اذ) بسكون الذال وهو ظرف لما مضى من الزمان (ادبر) على وزن أفعل أى انصرف وذهب فان الادبار نقيض الاقبال (والصبح) قال فى القاموس الصبح الفجر أو أول النهار والجمع اصباح وفى المفردات الصبح والصباح أول النهار وهو وقت ما احمر الافق بحاجب الشمس (اذا) ظرف لما يستقبل من الزمان واتفقوا على اذا ههنا نظرا الى تأخره عن الليل من وجه (أسفر) أى أضاء وانكشف فان الاسفار بالفارسية روشن شدن قال الراغب السفر كشف الغطاء ويختص ذلك بالاعيان نحو سفر العمامة عن الرأس والخمار عن الوجه والاسفار يختص باللون نحو والصبح اذا أسفر اى أشرق لونه ووجهه وأسفروا بالفجر تؤجروا من قولهم أسفرت اى دخلت فيه نحو أصبحت وفى قوت القلوب الفجر الثانى هو انشقاق شفق الشمس وهو بريق بياضها الذى تحت الحمرة وهو الشفق الثانى على ضد غروبها لان شفقها الاول من العشاء هو الحمرة بعد الغروب وبعد الحمرة البياض وهو الشفق الثانى من أول الليل وهو آخر سلطان شعاع الشمس وبعد البياض سواد الليل وغسقه ثم ينقلب ذلك على الضد فيكون بدء طلوعها الشفق الاول وهو البياض وبعده الحمرة وهو شفقها الثانى

وهو أول سلطانها من آخر الليل وبعده طلوع قرص الشمس فالفجر هو انفجار شعاع الشمس من الفلك الاسفل اذا ظهرت على وجه أرض الدنيا يستر عينها الجبال والبحار والاقاليم المشرفة العالية ويظهر شعاعها منتشرا الى وسط الدنياء رضا مستطيرا انتهى (قال الكاشفى) اقسم بالقمر أى بالقلب المستعد الصافى القابل للانذار والمتعظ به المنتفع بتذكيره تعظيما وبليل ظلمة النفس اذ أدبر اى ذهب بانقشاع ظلمتها عن القلب باشراق نور الروح عليه وتلألؤ طوالعه وبصبح طلوع ذلك اذا أسفر فزالت الظلمة بكليتها وتنور القلب انتهى فظهر من هذا حسن موقع ذكر القمر والليل والصبح فى مقام ذكر سقر ودواهيها لان سقر اشارة الى الطبيعة وجهنم النفس (انها لاحدى الكبر) جواب للقسم والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كالتاء وألحقت بها فكما جمعت فعلة على فعل كركبة وركب جمعت فعلى عليها والافعلى لا تجمع على فعل بل على فعالى كحبلى وحبالى والمعنى ان سقر لاحدى البلايا أو لاحدى الدواهى الكبر الكثيرة وهى أى سقر واحدة فى العظم لا نظيرة لها كقولك انه أحد الرجال هذا اذا كان منكر السقر وان كان منكر العدة الخزنة فالمعنى انها من احدى الحجج أكبر نذيرا من قدرة الله على قهر العصاة من لدن آدم عليه السلام الى قيام الساعة من الجن والانس حيث استعمل على تعذيبهم هذا العدد القليل وان كان منكر الآيات فالمعنى انها لاحدى الآيات الكبر (نذيرا للبشر) تمييز من نسبة احدى الكبر الى اسم ان لان معناه انها من معظمات الدواهى التى خلقها الله للتعذيب فيصح أن ينتصب منه التمييز كما تقول هى احدى النساء عفافا والنذير مصدر كالنكير والمعنى لاحدى الكبر انذارا أى من جهة الانذار أو حال مما دلت عليه الجملة أى معنى قوله انها لاحدى الكبر أى كبرت منذرة وحذف التاء مع ان فعيلا بمعنى فاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث لكون ضمير انها فى تأويل العذاب أو لكون النذير بمعنى ذات انذار على معنى النسب كقولهم امرأة طاهر أى ذات طهارة (لمن شاء منكم ان يتقدم أو يتأخر) بدل من للبشر باعادة الجار وأن يتقدم مفعول شاء ومنكم حال من من أى نذيرا لمن شاء منكم أن يسبق الى الخير والجنة والطاعة فيهديه الله أو لم يشأ ذلك ويتأخر بالمعصية فيضله وفيه اشارة الى ان لكسب العبد دخلا فى حصول المرحومية والمحرومية وفى التأويلات النجمية اقسم بنور قمر الشريعة الزهراء وبظلمة ليل الطبيعة الظلماء وبصبح الحقيقة البيضاء حين غلبت على غلس الطبيعة ان الجنود مظاهر احدى هذه المراتب الكاملة الكبرى اما أهل الشريعة واما أهل الحقيقة واما أهل الطبيعة وقوله نذيرا للبشر أى جعلنا الحصر فى المراتب الثلاث الكاملة لتنبيه الانسان ويحترز أن يكون من أهل الانذار لمن شاء منكم أن يتقدم الى مقام الشريعة أو يتأخر الى مقام الطبيعة ولما كان مقام الحقيقة أعلى المراتب ولم يصل اليه الا النذر من الكمل أعرض عن ذكره انتهى ويجوز أن يكون أهل الحقيقة داخلا فى أن يتقدم لانه وأهل الشريعة كل منهما من المتقدمين وان كان بينهما فرق فى التقدم وتفاوت فى السير والمسارعة والحاصل ان أهل الاستعداد تقدموا باكتساب الفضائل والخيرات والكمالات الى مقام القلب والروح والسر واما غيرهم فتأخروا بالميل الى البدن وشهواته ولذاته فوقعوا فى ورطة الطبيعة (كل نفس) من نفوس الانس والجن المكلفين (بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله بكسبها محبوسة ثابتة وفى بعض التفاسير بسبب

ما كسبت من الاعمال السيئة من رهن الشئ أى دام وثبت وأرهنته أى تركته مقيما عنده وثابتا والرهن ماوضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك والمرتهن هو الذى يأخذ المرهون ونفس المكلف محبوسة ثابتة عند الله بما أوجبه عليه من التكاليف التى هى حق خالص له تعالى فان اداها المكلف كما وجبت عليه فك رقبته وخلص نفسه والابقيت نفسه مرهونة محبوسة عنده وقال بعضهم الرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم على أن تكون التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية وفى فتح الرحمن للمبالغة أو على تأنيث اللفظ لا على معنى الانسان ونحوه وليس أى الرهينة صفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا تدخله التاء بل يستوى فيه المذكر والمؤنث الا أن يحمل على ماهو بمعنى الفاعل فانه يؤتى فى مؤنثه بالتاء كما فى عكسه فى قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قال الراغب قيل فى قوله كل نفس بما كسبت رهينة انه فعيل بمعنى فاعل أى ثابتة مقيمة وقيل بمعنى مفعول أى كل نفس مقامة فى جزاء ماقدم من عملها ولما كان الرهن يتصور من حبسه استعير ذلك للمحتبس أى شئ كان (الا أصحاب اليمين) استثناء متصل من كل نفس لكثرتها فى المعنى وأصحاب اليمين أهل الاعمال الصالحة من المؤمنين أى فانهم فاكون رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم كما يفك الراهن رهنه بأداء الدين قال القاشانى كل نفس عكسو بها رهن عند الله لافكاك لها الاستيلاء هيآت أعمالها وآثار أفعالها عليها ولزومها اياها وعدم انفكاكها عنها الا أصحاب اليمين من السعداء الذين تجردوا عن الهيآت الجسدانية وخلصوا الى مقام الفطرة ففكوا رقابهم من الرهن (فى جنات) كأنه قيل مابال أصحاب اليمين فقيل هم فى جنات لا يكتنه كنهها ولا يوصف وصفها كما دل عليه التنكير والمراد أن كلا منهم ينال جنة منها (يتساءلون عن المجرمين) تفاعل هنا بمعنى فعل أى يسألون المجرمين عن أحوالهم وقد حذف المسؤل لكونه عين المسؤل عنه ولدلالة مابعده عليه * يروى أن الله يطلع أهل الجنة وهم فى الجنة حتى يرون أهل النار وهم فى النار فيسألونهم (ما سلككم فى سقر) مقدر بقول هو حال مقدرة من فاعل يتساءلون أى قائلين أى شئ أدخلكم فيها وكان سببا لدخولكم من سلكت الخيط فى الابرة سلكا أى ادخلته فيها فهو من السلك بمعنى الادخال لا من السلوك بمعنى الذهاب فان قلت لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا ولتكون حكاية الله ذلك فى كتابه تذكرة للسامعين قرأ أبو عمرو سلككم بادغام الكاف فى الكاف والباقون بالاظهار (قالوا) أى المجرمون مجيبين للسائلين (لم نك من المصلين) للصلوات الواجبة فعدم اقرارنا بفرضية الصلاة وعدم أدائها سلكنا فيها أصله نكن حذف النون للتخفيف مع كثرة الاستعمال (ولم نك نطعم المسكين) على معنى استمرار نفى الاطعام لا على نفى استمرار الاطعام والمراد أيضا الاطعام الواجب والا فما ليس بواجب من الصلاة والاطعام لا يجوز التعذيب على تركه وكانوا يقولون أنطعم من لو يشاء الله أطعمه فكانوا لا يرحمون المساكين بالاطعام ولا يحضون عليه أيضا كما سبق ففيه ذم للبخل ودلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة قال فى التوضيح الكفار مخاطبون بالايمان والعقوبات والمعاملات اجماعا أما العبادات فهم مخاطبون بها فى حق المؤاخذة فى الآخرة اتفاقا أيضا لقوله تعالى ما سلككم فى سقر الآيات أما فى حق وجوب الاداء فمختلف فيه قال العراقيون من مشايخنا نعم وقال مشايخ ديارنا لا وفى بعض التفاسير

والمعنى أن يقول هذا انعاه وتأسف منهم على تفريطهم فى كسب الخير وحرمانهم مما ناله المصلون والمزكون من المؤمنين ولا يلزم من ذلك أن يكونوا مأمورين بالعمل قبل الايمان (وكنا نخوض مع الخائضين) أى نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه والمراد بالباطل ذم النبى عليه السلام وأصحابه رضى الله عنهم وغيبتهم وقولهم بأنه شاعر أو ساحر أو كاهن وغير ذلك والخوض فى الاصل بمعنى الشروع مطلقا فى أى شئ كان ثم غلب فى العرف بمعنى الشروع فى الباطل والقبيح وما لا ينبغى وفى الحديث أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم خوضا فى معصية الله (وكنا نكذب بيوم الدين) أى بيوم الجزاء أضافوه الى الجزاء مع أن فيه من الدواهى والاهوال ما لا غاية له لانه أدهاها وأنهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهى وتأخير جنايتهم هذه مع كونها أعظم من الكل اذ هو تكذيب القيامة وانكارها كفر والامور الثلاثة المتقدمة فسق لتفخيمها والترقى من القبيح الى القبيح كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما ينطق به قولهم (حتى أتانا اليقين) أى الموت ومقدماته فانه أمر متيقن لا شك فى اتيانه وبالفارسية آمد بما مرك ومقدمات او برهمان حال مرديم فان قلت أيريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين جميعا كما فى الكشاف وفيه اشارة الى أن بقاءهم فى سقر الطبيعة انما كان بسبب هذه الرذائل والدمائم (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) من الانبياء والملائكة وغيرهم أى لو قدر اجتماعهم على شفاعتهم على سبيل فرض المحال لا تنفعهم تلك الشفاعة فليس المراد أنهم يشفعون لهم ولا تنفعهم شفاعتهم اذ الشفاعة يوم القيامة موقوفة على الاذن وقابلية المحل فلو وقعت من المأذون للقابل قبلت والكافر ليس بقابل لها فلا اذن فى الشفاعة له فلا شفاعة ولا نفع فى الحقيقة وفيه دليل على صحة الشفاعة ونفعها يومئذ لعصاة المؤمنين والا لما كان لتخصيصهم بعدم منفعة الشفاعة وجه قال ابن مسعود رضى الله عنه تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى فى النار الا أربعة ثم تلا قوله قالوا لم نك من المصلين الى قوله بيوم الدين وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان محمدا عليه السلام يشفع ثلاث مرات ثم تشفع الملائكة ثم الانبياء ثم الآباء ثم الابناء ثم يقول الله بقيت رحمتى ولا يدع فى النار الا من حرمت عليه الجنة ويقول الرجل من أهل النار لواحد من أهل الجنة يا فلان أما تعرفنى أنا الذى سقيتك شربة ويقول آخر أنا الذى وهبت لك وضوأ ويقول آخر أطعمتك لقمة وآخر كسوتك خرقة وعلى هذا فيشفع له فيدخله الجنة اما قبل دخول النار أو بعده (فما لهم عن التذكرة معرضين) الفاء لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير فى الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به أى فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاى شئ حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتأكد الدواعى للايمان به وفى كشف الاسرار يرجه رسيدست ايشانرا كه ازجنين بندى روكردانيده اند يقابل الاعراض يكون بالجحود وبترك الاتباع له (كأنهم حمر مستنفرة) حال من المستكن فى معرضين بطريق التداخل وحمر جمع حمار وهو معروف ويكون وحشيا وهو المراد هنا

ومستنفرة

ومستنفرة من نفرت الدواب بمعنى هربت لا من نفر الحاج والمعنى مشبهين بحمر نافرة يعنى خران رميدكان فاستنفر بمعنى نفركان استعجب بمعنى عجب وقال الزمخشرى كأنهم حمر تطلب النفار من نفوسها بسبب انهم جمعوا همم نفوسهم للنفار وحملوه عليها فابقى السين على بابها من الطلب قال الراغب مستنفرة قد قرئ بفتح الفاء وكسرها فاذا كسر الفاء فمعناه نافرة واذا فتح فمعناه منفرة (فرت من قسورة) أى من أسد لان الوحشية اذا عاينت الاسد تهرب أشد الهرب ومثل القسورة الحيدرة لفظا ومعنى وهى فعولة من القسر وهو القهر والغلبة لانه يغلب السباع ويقهرها قال ابن عباس رضى الله عنهما القسورة هو الاسد بلسان الحبشة وقيل هى جماعة الرماة الذين يتصيدونها (وقال الكاشفى) كريخته اند ازشيريا از صياد يا ريسمان دام يا مردم تيرانداز يا وازهاء مختلف شبهوا فى اعراضهم عن القرآن واستماع مافيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت فى نفارها عما أفزعها يعنى چنانچه خر بيابانى ازايها مى كريزد ايشان ازاستماع قرآن مى كريزند زيرا كه كوش سخن شنو ودل پند پذير ندارند كما أشار اليه فى المثنوى * ازكجا اين قوم وپيغام ازكجا * ازجمادى جان كجا باشد رجا * فهمهاى كج وبيح كونه نظر * صد خيال بد درآرد در نكر * رازجز با رازدان انباز نيست * رازاندر كوش منكر راز نيست * وفيه من ذمهم وتهجين حالهم مالا يخفى يعنى ان فى تشبيههم بالحمر شهادة عليهم بالبله ولا ترى مثل نفار حمر الوحش واطرادها فى العدو اذا خافت من شئ ومن أراد اهانة غليظة لاحد والتشنيع عليه بأشنع شئ شبهه بالحمار (روى) أن واحدا من العلماء كان يعظ الناس فى مسجد جامع وحوله جماعة كثيرة فرأى ذلك رجل من البله وكان قد فقد حماره فنادى للواعظ وقال انى فقدت حمارا فاسأل هذه الجماعة لعل واحدا منهم رآه فقال له الواعظ اقعد مكانك حتى أدلك عليه فقعد الرجل فاذا واحد من أهل المجلس قام وأخذ فى أن يذهب فقال الواعظ للرجل خذ هذا فانه حمارك والظاهر أنه قال ذلك القول أخذا من هذا الكلام فانه فر من تذكرة الملك العلام (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها عنادا ومكابرة بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم أى اباجهل بن هشام وعبد الله بن أمية وأصحابهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء أو يصبح عند رأس كل رجل منا أوراق منشورة يعنى مهر بر كرفته عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك أى بأن يقال اتبع محمدا فانه رسول من قبلى اليك كما قالوا ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه وامرئ قال فى القاموس المرء مثلثة الميم الانسان أو الرجل ولا يجمع من لفظه ومع ألف الوصل ثلاث لغات فتح الراء دائما وضمها دائما واعرابها دائما وأن مع صلته مفعول يريد وصحفا مفعول ثان ليؤتى والاول ضمير كل ومنشرة صفة صحف جمع صحيفة بمعنى الكتاب قال فى تاج المصادر وصحف منشرة شدد للكثرة (كلا) ردع عن اقتراحهم الآيات وارادتهم ما أرادوه فانهم انما اقترحوها تعنتا وعنادا لاهدى ورشادا (بل لا يخافون الآخرة) لاستهلاكهم فى محبة الدنيا فلعدم خوفهم منها أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف (كلا) ردع عن اعراضهم عن التذكرة (انه) الضمير فى انه وفى ذكره للتذكرة لانها بمعنى الذكر أو القرآن كالموعظة بمعنى الوعظ والصيحة بمعنى الصوت (تذكرة)

أى تذكرة فالتنوين للتعظيم أى تذكرة بليغة كافية وفى برهان القرآن أى تذكير للحق وعدل اليها للفاصلة (فمن) پس هركه (شاء) أن يذكره ويتعظ به قبل الحلول فى القبر (ذكره) أى جعله نصب عينه وحاز بسببه سعادة الدارين فانه ممكن من ذلك (وما يذكرون) بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشيئة العبد وارادته فى أفعاله وضمير الجمع اما أن يعود الى الكفرة لان الكلام فيهم أو الى من نظرا الى عموم المعنى لشموله لكل من المكلفين (الا أن يشاء الله) استثناء مفرغ من أعم العلل أو من أعم الاحوال أى وما يذكرون لعلة من العلل أو فى حال من الاحوال الا بأن يشاء الله أو حال أن يشاء الله ذكرهم وهذا تصريح بأن أفعال العبد بمشيئة الله لا بارادة نفسه قال فى عين المعانى فمن شاء الخ تخيير باعطاء المكنة لتحقيق العبودية وقوله الا أن يشاء الله تخيير بامضاء القدرة لتحقيق الالوهية (هو) أى الله تعالى (أهل التقوى) أى حقيق بأن يتقى عقابه و يؤمن به و يطاع فالتقوى مصدر من المبنى للمفعول (وأهل المغفرة) حقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه قال بعضهم التقوى هو التبرى من كل شئ سوى الله فمن لزم الآداب فى التقوى فهو أهل المغفرة

تمت سورة المدثر فى أوائل ذى الحجة من سنة ست عشرة ومائة وألف

(سورة القيامة تسع وثلاثون أو أربعون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم بيوم القيامة) لا صلة لتوكيد القسم وما كان لتوكيد مدخوله لا يدل على النفى وان كان فى الاصل للنفى قال الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة * وكاد ضمير القلب لا يتقطع

أى يتقطع والمعنى بالفارسية هر آينه سوكند ميخورم بروز رستاخيز أو للنفى لكن لا لنفى نفس الاقسام بل للنفى ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا اقسم بكذا لا أعظمه باقسامى به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك وأكثر أو لنفى كلام معهود قبل القسم ورده كأنهم أنكروا البعث فقيل لا أى ليس الامر كذلك ثم قيل أقسم بيوم القيامة كقولك لا والله ان البعث حق وأياما كان فى الاقسام على تحقق البعث بيوم القيامة من الجزالة ما لا مزيد عليه وأما ما قيل من ان المعنى نفى الاقسام لوضوح الامر فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به قال المغيرة بن شعبة رحمه الله يقولون القيامة القيامة وانما قيامة أحدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفن قال أما هذا فقد قامت قيامته ونظمه بعضهم

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى * غداة أقل الحاملون جنازتى

(ولا اقسم بالنفس اللوامة) قال فى عين المعانى القسم بالشئ تنبيه على تعظيمه أو ما فيه من لطف الصنع وعظم النعمة وتكرير ذكر القسم تنبيه على أن كلا من المقسم به مقصود مستقل بالقسم لما أن له نوع فضل يقتضى ذلك واللوم عذل الانسان بنسبة ما فيه لوم والمراد بالنفس اللوامة هى النفس الواقعة بين الامارة والمطمئنة فلها وجهان وجه الى النفس الامارة ووجه الى الاسلام فاذا نظرت الى الامارة بهذا الوجه تلومها على ترك المتابعة والاقدام على المخالفة وتلوم أيضا نفسها على ما فات عنها فى الايام الماضية من الاعمال والطاعات والمراتعة فى المراتع

الحيوانية الظلمانية * ووجه يلي النفس المطمئنة وهو وجه الايمان فاذا نظرت بهذا الوجه الى المطمئنة وتنورت بنورانيتها واصطبغت بصبغتها تلوم أيضا نفسها على التقصيرات الواقعة منها والمحذورات الكائنة عليها فهي لا تزال لائمة لها قائمة على سوق لومها الى ان تحقق بمقام الاطمئنان ولذلك استحقت ان أقسم الله بها على قيام البعث والنشر والحشر قال القاشاني جمع بين القيامة والنفس اللوامة في القسم بهما تعظيما لشأنهما وتناسبا بينهما اذ النفس اللوامة هي المصدقة بها المقرة بوقوعها المهيئة لاسبابها لانها تلوم نفسها أبدا في التقصير والتقاعد عن الخيرات وان أحسنت لحرصها على الزيادة في الخير وأعمال البر تيقنا بالجزاء فكيف بها ان اخطأت وفرطت وبدرت من بادرة غفلة ونسيانا انتهى هذا ودع عنك القيل والقال وجواب القسم محذوف دل عليه قوله تعالى (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه) وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والاسناد الى الكل بحسب البعض كثير والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من المثقلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف والعظام جمع عظم وهو قصب الحيوان الذي عليه اللحم بالفارسية استخوان ويجئ جمع عظيم أيضا ككرام وكريم وكبار وكبير ومنه الموالي العظام والمعنى أيحسب الانسان الذي ينكر البعث أن الشأن والحديث لن نجمع عظامه البالية فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد نشتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما نسفتها الرياح وطيرتها في أقطار الارض وألقتها في البحار لمجازاته بما عمل في الدنيا وقيل ان عدي بن أبي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان عليه السلام يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره فاخبره فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يعني أكذب حسي أو يجمع الله هذه العظام فيكون الكلام خارجا على قول المنكر كقوله من يحيي العظام وهي رميم وقيل ذكر العظام وأراد نفسه كلها لان العظام قالب النفس لا يستوي الخلق الا باستوائها ودل هذا الانكار على أنه ناشئ من الشبهة وذلك بالنسبة الى البعض والله قادر على الاحياء لا شبهة فيه بالنسبة الى العاقل المتفكر المستدل (بلى) ايجاب لما ذكر بعد النفي وهو الجمع أي نجمعها وبالفارسية آرى جمع كنيم حال كوننا (قادرين) فهو حال مؤكدة من الضمير المستكن في نجمع المقدر بعد بلى (على ان نسوى بنانه) أي نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام وهو جمع سلامى كحبارى وهي العظام الصغار في اليد والرجل وفي الحديث كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس أي على صاحبه صدقة من أي أنواع الصدقة من قول وفعل ومال وفي القاموس البنان الاصابع أو أطرافها قال الراغب البنان الاصابع قيل سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التي يمكن للانسان أن يبني بها ما يريد أي يقيم يقال أبن بالمكان يبن ولذلك خص في قوله تعالى بلى قادرين على أن نسوى بنانه وقوله واضربوا منهم كل بنان خصه لاجل انها يقاتل بها ويدافع أو المعنى على أن نسوى أصابعه التي هي أطرافه وآخر ما يتم به خلقه فالبنان مفرد اللفظ مجموع المعنى كالتمر وفيه جهتان الصغر وكونه طرفا فالى أي جهة نظرت ثبت المطلوب بالاولوية ولذا خص بالذكر ثم في العظام اشارة الى كبار أعماله الحسنة والسيئة وفي البنان الى صغار أفعاله الحسنة والسيئة فان الله تعالى يجمع كلا منها ويجازي عليها (بل يريد

الانسان ليفجر أمامه) الفجر شق الشئ شقا واسعا والفجور شق ستر الديانة وقال بعضهم الفجور الميل فالكاذب والمكذب والفاسق فاجر أى مائل عن الحق ومنه قول الاعرابى فى حق عمر رضى الله عنه اغفر له اللهم ان كان فجر أى كذب واللام للتأكيد مثل قوله وأنصح لكم فى أنصحكم وأن يفجر مفعول يريد وقد يقال مفعوله محذوف يدل عليه قوله ليفجر أمامه والتقدير يريد شهواته ومعاصيه وقال سعدى المفتى الظاهر أن يريد ههنا منزل منزلة اللازم ومصدره مقدر بلام الاستغراق بمعونة المقام يعنى مقام تقبيح حال الانسان أى يوقع جميع ارادته ليفجر وجعل أبو حيان بل لمجرد الاضراب عن الكلام الاول وهو جمعها قادرين من غير ابطال المضمون والاخذ فى بيان ما عليه الانسان من انهماكه فى الفجور من غير عطف وقال غيره عطف على أيحسب اما على أنه استفهام مثله أضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا أو على أنه ايجاب انتقل اليه من الاستفهام وهذا أبلغ وأولى والمعنى بل يريد الانسان ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا يرعوى عنه فالامام ههنا مستعار للزمان من المكان وقال الراغب يريد الحياة ليتعاطى الفجور فيها وقيل معناه يذنب ويقول غدا أتوب ثم لا يفعل فيكون ذلك فجورا لبذله عهد الايفى به (وقال الكاشفى) بلكه خواهد آدمى آنكه دروغ كويد بآنچه اورا در پيشست از بعث وحساب وفيه اشارة الى أن الانسان المحجوب يريد ليفجر أمامه بحسب الاعتقاد والنية قبل الاتيان بالفعل وذلك بالعزم المؤاخذ به على ما عرف فى محله (يسأل) سؤال استبعاد واستهزاء (أيان) أصله أى آن وهو خبر مقدم لقوله (يوم القيامة) أى متى يكون والجملة استئناف تعليلى كأنه قيل ما يفعل حين يريد أن يفجر ويميل عن الحق فقيل يستهزئ ويقول أيان يوم القيامة أو حال من الانسان فى قوله بل يريد الانسان أى ليس انكاره للبعث لاشتباه الامر وعدم قيام الدليل على صحة البعث بل يريد أن يستمر على فجوره فى حال كونه سائلا متى تكون القيامة فدل هذا الانكار على أن الانسان يميل بطبعه الى الشهوات والفكرة فى البعث تنغصها عليه فلا جرم ينكره ويأبى عن الاقرار به فقوله أيحسب الانسان الخ دل على الشبهة والجهل وقوله بل يريد الخ على الشهوة والتجاهل فالآيتان بحسب الشخصين وفيه اشارة الى أن المحجوب يسأل أيان يوم القيامة لاحتجابه بنفسه الظلمانية لا يشاهد القيامة فى كل ساعة ولحظة بل فى كل لمحة وطرفة لتعاقب التجليين الافنائى والابقائى كما قال تعالى بل هم فى لبس من خلق جديد (فاذا برق البصر) أى تحير واضطرب وجال فزعا من أهوال يوم القيامة من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش ثم استعمل فى كل حيرة وان لم يكن هناك نظر الى البرق وهو واحد بروق السحاب ولمعانه (وخسف القمر) أى ذهب ضوؤه فان خسف يستعمل لازما ومتعديا يقال خسف القمر وخسفه الله أو ذهب نفسه من خسف المكان أى ذهب فى الارض ولكن هذا المعنى لا يناسب ما بعد الآية قال بعضهم أصل الخسف النقصان ويكون فى الوصف وفى الذات وفيه رد لمن عبد القمر فان القمر لو كان الها كما زعمه العابد لدفع عن نفسه الخسوف ولما ذهب ضوؤه قال فى فتح الرحمن الخسوف والكسوف معناهما واحد وهو ذهاب ضوء أحد النيرين أو بعضه وصلاة الكسوف سنة مؤكدة فاذا كسفت الشمس أو القمر فزعوا للصلاة وهى لكسوف الشمس ركعتان كهيئة النافلة ويصلى بهم امام الجمعة ويطيل القراءة ولا يجهر

ولا يخطب وخسوف القمر ليس له اجتماع ويصلي الناس في منازلهم ركعتين كسائر النوافل (وجمع الشمس والقمر) في ذهاب الضوء كما روى عن النبي عليه السلام أو جمع بينهما في الطلوع من المغرب أو في الالقاء في النار ليكون حسرة على من يعبدهما وجاز تكرار القمر لانه أخبر عنه بغير الخبر الاول وقال القاشاني فاذا برق البصر أى تحير ودهش شاخصا من فزع الموت وخسف قمر القلب لذهاب نور العقل عنه وجمع شمس الروح وقمر القلب بأن جعلا شيأ واحدا طالعا من مغرب البدن لا يتميز اهما ارتبتان كما كان حال الحياة بل اتحدا وصارا واحدا انتهى (يقول الانسان) المنكر للقيامة وهو عامل في اذا (يومئذ) أى يوم اذ تقع هذه الامور قول الآيس من حيث انه لا يرى شيأ من علامات ممكنة للفرار كما يقول من أيس من وجدان زيد أين زيد حيث لم يجد علامة اصابته (أين المفر) أى الفرار وقال سعدى المفتى ولعله لا منع من الابقاء على حقيقته والقول بصدور هذا الكلام بناء على توهمه لتحيره (كلا) ردع عن طلب المفر وتمنيه قال سعدى المفتى هذا لا يناسب أن يقول له قول الآيس اذ لا طلب حينئذ ثم قوله كلا من قول الله تعالى وجوز أن يكون من قول الانسان لنفسه وهو بعيد (لا وزر) لا ملجأ بمعنى پناه كاه نباشد كاذا را واستعاره من الجبل فان الوزر محركة الجبل المنيع ثم يقال لكل ما التجأت اليه وتحصنت به وزر تشبيها له به وخبر لا محذوف أى لا ملجأ ثمة أو في الوجود ومن بلاغات الزمخشرى اتل على كل من وزر كلا لا وزر أى اتل عليه هذه الآية ومعنى وزر الاول بالفارسية كناه كردن فان الوزر بالكسر الاثم وقال بعضهم

لعمرك ما في الفتى من وزر * من الموت يدركه والكبر

أى لا ملجأ للفار من الموت والكبر اذ كل منهما من الامر الالهى والامر المحكم والقضاء المبرم يدرك الانسان لا محالة (الى ربك يومئذ المستقر) أى اليه تعالى وحده استقرار العباد أى لا يتوجهون الا الى حيث أمرهم الله من مقام حسابه أو الى حكمه استقرار أمرهم فان الملك يومئذ لله فهو كقوله ان الى ربك الرجعى وان الى ربك المنتهى واليه ترجعون أى الى حيث لا حاكم ولا مالك سواه أو الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار فيكون المستقر اسم مكان وهو مرفوع بالابتداء والى ربك خبره ويومئذ معمول الى ربك ولا يجوز أن يكون معمول المستقر لانه ان كان مصدرا بمعنى الاستقرار فلا يتقدم معموله عليه وان كان اسم مكان فلا عمل له البتة وكذا الكلام في قوله الى ربك يومئذ المساق ونحوه (ينبأ الانسان يومئذ) أى يخبر كل امرئ برا كان أو فاجرا عند وزن الاعمال وحال العرض والمحاسبة والمخبر هو الله أو الملك بأمره أو كتابه بنشره (بما قدم) أى عمل من عمل خيرا كان أو شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثانى (وأخر) أى لم يعمل خيرا كان أو شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثانى أو بما قدم من حسنة أو سيئة وبما أخر من حسنة أو سيئة فعمل بها بعده أو بما قدم من مال تصدق به فى حياته وبما أخر فخلفه أو وقفه أو أوصى به أو بأول عمله وآخره (شيخ الاسلام عبد الله الانصارى قدس سره) فرموده كه كناه از پيش فرستى بجرأت ومال از پس بكذارى بحسرت كناه را بتوبه نيست كن تا نماند ومال را بصدقه پيش فرست تا بماند * كر فرستى ز پيش به باشد * كه بحسرت ز پس نكاه كنى * وفى الحديث ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب

يحجبه فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة (بل الانسان على نفسه بصيرة) الانسان مبتدأ وبصيرة خبره وعلى نفسه متعلق ببصيرة بتقدير على أعمال نفسه والموصوف محذوف أى بل هو حجة بصيرة وبينة واضحة على أعمال نفسه شاهدة جوارحه وأعضاؤه بما صدر عنه من الافعال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سيأتى من الجملة الحالية ووصفت بالبصارة مجازا فى الاسناد كما وصفت الآيات بالابصار فى قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة أو ذو بصيرة والتاء للمبالغة كما فى علامة ونسابة ومعنى بل الترقى أى ينبأ الانسان بأعماله بل هو لا يحتاج الى أن يخبره غيره فانه يومئذ عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك قال القاشانى بل الانسان حجة بينة يشهد بعمله لبقاء هيئة أعماله المكتوبة عليه فى نفسه ورسوخها فى ذاته وصيرورة صفاته صور أعضائه فلا حاجة الى أن ينبأ من خارج * باش تا از صدمه صور سرافيل شود * صورت خوبت نهان وسيرت زشت آشكار (ولو ألقى معاذيره) حال من المستكن فى بصيرة أو من مرفوع ينبأ أى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها بأن يقول مثلا لم أفعل أو فعلت لاجل كذا ولم أعمل أو وجد مانع أو كنت فقيرا ذا عيال أو خفت فلانا أو طمعت فى عطائه الى غير ذلك من المعاذير الغير النافعة * چه چندين عذرانگيزى چندين حيلها سازى * چو ميدانى كه ميدانم وميدانم كه ميدانى * أو ينبأ بأعماله ولو اعتذر بكل عذر فى الذب عنها فان الذب والدفع لا رواج له يومئذ لانه يوم ظهور الحق بحقيقته والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر بلغة أهل اليمن أى ولو أرخى ستوره يعنى ان احتجابه واستتاره عن المخلوقات فى حال مباشرة المعصية فى الدنيا لا يغنى عنه شيأ لان عليه من نفسه بصيرة ومن الحفظة شهودا وفى الكشاف لانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب (لا تحرك به) أى بالقرآن (لسانك) مادام جبريل يقرأ ويلقى عليك (لتعجل به) أى بأخذه أى لتأخذه على عجلة مخافة أن يتفلت (ان علينا جمعه) فى صدرك بحكم الوعد بحيث لا يخفى عليك شئ من معانيه (وقرآنه) بتقدير المضاف أى اثبات قراءته فى لسانك بحيث تقرؤه متى شئت فالقرآن مصدر بمعنى القراءة كالغفران بمعنى المغفرة مضاف الى مفعوله والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها الى بعض فى الترتيل وليس يقال ذلك لكل جمع لا يقال قرأت القوم اذا جمعتهم (فاذا قرأناه) أى أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة فى ايجاب التأنى (فاتبع قرآنه) أى فاشرع فيه بعد فراغ جبريل منه بلا مهلة وقال ابن عباس رضى الله عنهما فاذا جمعناه وأثبتناه فى صدرك فاعمل به وقال الواسطى رحمه الله جمعه فى السر وقراءته فى العلانية (ثم ان علينا بيانه) أى بيان ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه ومن ما بشرح المجمل والمبهم من الكلام بيانا الكشف عن المعنى المقصود واظهاره وفى ثم دليل على أنه يجوز تأخير البيان عن وقت الخطاب لا عن وقت الحاجة الى العمل لانه تكليف بما لا يطاق قال أهل التفسير كان عليه السلام اذا لقن الوحى نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى أن يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه فامر بأن يستنصت له ملقيا اليه قلبه

وسمعه حتى يقضى اليه الوحى كما قال تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه ثم يقضيه بالدراسة الى أن يرسخ فيه وعن بعض العارفين أنه قال فيه اشارة الى صحة الاخذ عن الله بواسطة كأنه تعالى يقول خذه عن جبريل كأنك ما علمته الا منه ولا تسابق بما عندك منا من غير واسطة وأكابر المحققين يسمون هذه الجهة التى هى عدم الوسايط بالوجه الخاص والفلاسفة ينكرون هذا الوجه ويقولون لا ارتباط بين الحق والموجودات الا من جهة الاسباب والوسايط فليس عندهم أن يقول الانسان أخبرنى ربى أى بلا واسطة وهم مخطئون فى هذا الحكم فانه لما كان ارتباط كل ممكن بالحق من حيث الممكن من جهتين جهة الوحدة وجهة الكثرة وجب أن تكون جهة الوحدة بلا واسطة وهو الوجه الخاص وجهة الكثرة بواسطة وهو الوجه العام ولما كان نبينا عليه السلام اكمل الخلق فى جهة الوحدة لكون أحكام كثرته وامكانه مستهلكة بالكلية فى وحدة الحق وأحكام وجوبه كان يأخذ عن الله بلا واسطة أى من الوجه الخاص وكان ينطبع فى قلبه ما يريد الحق ان يخبر به فاذا جاءه الكلام من جهة الوسايط أى من الوجه العام بصور الالفاظ والعبارات التى استدعتها أحوال المخاطبين كان يبادر اليه بالنطق به لعلمه بمعناه بسبب تلقيه اياه من حيث اللاواسطة لينفى عن نفسه ما يجده من الكربة والشدة التى يلقاها من اجل التنزل الروحانى فان الطبيعة تنزعج من ذلك للمباينة الثابتة بين المزاج وبين الروح الملكى فعرّف الحق نبينا عليه السلام ان القرآن وان أخذته عنا من حيث معناه بلا واسطة فان انزالنا اياه مرة أخرى من جهة الوسايط يتضمن فوائد زائدة منها مراعاة افهام المخاطبين به لان الخلق المخاطبين بالقرآن حكم ارتباطهم بالحق انما هو من جهة سلسلة الترتيب والوسايط كما هو الظاهر بالنسبة الى أكثرهم فلا يفهمون عن الله الا من تلك الجهة ومنها معرفتنا اكتساء تلك المعانى العبارة الكاملة وتستجلى فى مظاهرها من الحروف والكلمات فتجمع بين كمالاته الباطنة والظاهرة فتنجلى بها روحانيتك وجسمانيتك ثم يتعدى الامر منك الى أمتك فيأخذ كل منهم حصته منه علما وعملا ففى قوله تعالى لا تحرك به لسانك الخ تعليم وتأديب أما التعليم فما أشير اليه من أن باب جهة الوحدة مسدود على أكثر الناس فلا يفهمون عن الله الا من الجهة المناسبة لحالهم وهى جهة الوسايط والكثرة الامكانية وأما التأديب فانه لما كان الآتى بالوحى من الله جبريل فتى بودر بذكر ما أتى به كان كالتعجيل له واظهار الاستغناء عنه وهذا خلل فى الادب بلا شك سيما مع المعلم المرشد ومن هذا التقرير عرف ان قوله تعالى لا تحرك به الخ واقع فى البين بطريق الاستطراد فانه لما كان من شأنه عليه السلام الاستعجال عند نزول كل وحى على ما سبق من الوجه ولم ينه عنه الى أن أوحى اليه هذه السورة من أولها الى قوله ولو ألقى معاذيره وعجل فى ذلك كسائر المرات نهى عنه بقوله لا تحرك الخ ثم عاد الكلام الى تكملة ما ابتدئ به من خطاب الناس ونظيره ما لو ألقى المدرس على الطالب مسئلة وتشاغل الطالب بشئ لا يليق بمجلس المدرس فقال ألق الى بالك وتفهم ما أقول ثم كمل المسئلة يقول الفقير أيده الله القدير لاح لى فى سر المناسبة وجه لطيف أيضا وهو أن الله تعالى بين قبل قوله لا تحرك به الخ جمع العظام ومتفرقات العناصر التى هى أركان ظاهر الوجود ثم اتصل الجمع القرآن وأجزائه التى هى أساس باطن الوجود

فقال بعد قوله أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ان علينا جمعه فاجتمع الجمع بالجمع والحمد لله
تعالى وقد تحيرطائفة من قدماء الروافض خذلهم الله تعالى حيث لم يجد والمناسبة فزعموا
ان هذا القرآن غير وبدل وزيد فيه ونقص * وفى التأويلات النجمية اعلم ان كل ما استعد
لاطلاق الشيئية عليه فله ملك وملكوت لقوله تعالى بيده ملكوت كل شئ والقرآن أشرف
الاشياء وأكملها فله أيضا ملك وملكوت فأما ملكه فهو الاحكام والشرائع الظاهرة التى تتعلق
بمصالح الامة من العبادات المالية والبدنية والجنايات والوصايات وأمثالها وأما ملكوته فهو
الاسرار الالهية والحقائق اللاهوتية التى تتعلق ببواطن خواص الامة وأخص الخواص
بل بخلاصة أخص الخواص من المكاشفات والمشاهدات السرية والمعاينات الروحية واكل
واحد من الملك والملكوت مدركات يدرك بها الاغير لان الوجدانيات والذوقيات لاتسعها ألسنة
العبارات لانها منقطع الاشارات فقوله لا تحرك الخ يشير الى عدم تعبيره بلسان الظاهر عن اسرار
الباطن والحقائق الالهية عن تصرف العبارات فيها بالتعبير عنها وان مظهرها الجامع جامع بين
ملك القرآن وملكوته وهو عليه السلام يتبع بظاهره ملكه وبباطنه ملكوته نسأل الله سبحانه
أن يجعلنا من المتبعين للقرآن فى كل زمان (كلا) عود الى تكملة ما ابتدئ به الكلام يعنى نه
چنانست أى آدميان كه گمان برده ايد در امر عقبى (بل تحبون العاجلة) أى الدنيا يعنى دنياى
شتاب كننده را (وتذرون الآخرة) فلا تعملون لها بل تنكرونها * وفى التأويلات النجمية
تحبون نعمة شهوة الدنيا وتذرون نعمة خول الآخرة والخطاب للامة (وجوه يومئذ ناضرة)
النضرة طراوة البشرة وجمالها وذلك من أثر التنعم والناضر الغض الناعم من كل شئ أى
وجوه كثيرة وهى وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيامة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة
النعيم ورونقه كما قال تعالى فى آية أخرى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم على ان وجوه مبتدأ
وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام تفصيل (الى
ربها ناظرة) قوله ناظرة خبر ثان للمبتدا والى ربها متعلق بها والنظرة تقلب البصر والبصيرة
لادراك الشئ ورؤيته والمراد بنظر الوجوه نظر العيون التى فيها بطريق ذكر المحل وارادة الحال
وهذا عند أهل القال وأما عند اهل الحال فلا ينحصر النظر فى البصر والاجياء القيد والله منزه عن
ذلك بل ينقلب الباطن ظاهرا والظاهر بصرا بجميع الاجزاء فيشاهد الحق به كما يشاهد بالبصيرة
فى الدنيا والآخرة عالم اللطافة ولذا لا حكم للقالب والجسد الظاهر هنا وانما الحكم للقلب
والروح الظاهر صورالاعضاء بهما فاعرف جدا بزركى را پرسيدند كه راه از كدام جانبست
كفت از جانب تو نيست چون از تو در كذشتى از همه جانبها راهست * چون بسد بقان بپا
كردند وزان ره ساختند * جز بدل رفتن دران ره يك قدم را بار نيست * والمعنى أن الوجوه تراه
تعالى عيانا مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة
وحق لها ان تنضر وهى تنظر الى الخالق مثله ومن مثل باز بست باز را چون بكيرند وخواهند
كه شايستهٔ دست شاه كردد ممدتى چشم او بدوزند بندى بر پايش نهند در خانهٔ تاريك بازدارند
از جفتش جدا كنند يك چندى بكرسنكيش مبتلى كنند تا ضعيف ونحيف كردد ووطن
خويش فراموش كند وطبع كذاشتكى دست بدارد آنكه بعاقبت چشمش بكشايند شمعى پيش

وى بغر وزند طبل ازبهر وى برتند طعمهٔ كوشت پيش وى نهند ودست شاه مقر وى سازند
با خود كويد در كل عالم كرا بود اين كرامت كه مراست شعر پيش ديدهٔ من آواز طبل نواى من
كوشت مرغ طعمهٔ من دست شاه جاى من بر مثال اين حال چون خواهند كه بندهٔ مؤمن را حلهٔ
خلت بوشانند وشراب محبت نوشانند باوى همين معاملت كنند مدتى در چهار ديوار لحد بازدارند
كيرايى از دست وروايى از قدم بستانند بينايى از ديده بردارند وزكارى برين صفت بكذارند
آنكه ناكاه طبل قيامت برتند بنده از خاك لحد سر برآرد چشم بكشايد نور بهشت بيند دنيارا
فراموش كند شراب وصل نوش كند بر مائدهٔ خلد بنشيند چنانچه آن باز چشم باز كند خودرا
بردست شاه بيند بندهٔ مؤمن چشم باز كند خودرا بمقعد صدق بيند سلام ملك شنود ديدار ملك
بيند ميان طرب وناز وحسنى شادان ونازان در جلال وجمال حق نكران اينست كه رب
العالمين كفت وليس هذا فى جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره من الاشياء الكثيرة
والاولى ان التقديم للاهتمام ورعاية الفاصلة لان التقييد ببعض الاحوال تقييد بلا دليل ومناف
لمقام المدح المقتضى لعموم الاحوال وغيره مناسب لقوله وجوه يومئذ ناضرة لعمومه فى
الاحوال ولو سلم فالاختصاص ادعائى فان النظر الى غيره فى جنب النظر اليه لا يعد نظرا بل هو
بمنزلة العدم كما فى قوله زيد الجواد هكذا قالوا ولكن من أهل الجنة من فاز بالتجلى الذاتى الابدى
الذى لا حجاب بعده ولا استتار للكمل دونه وهو الذى أشار اليه عليه السلام بقوله صنف من
أهل الجنة لا يستتر الرب عنهم ولا يحتجب وكان يذكر أيضا فى دعائه ويقول وأسألك لذة النظر الى
وجهك الكريم أبدا دائما سرمدا من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة فالضراء المضرة حصول
الحجاب بعد التجلى أو التجلى بصفة تستلزم تبدل الحجب والفتنة المضلة كل شبهة توجب خللا أو
نقصا فى العلم والشهود آورده اند اورا دهر يك از اوتاد اين كلمات الهام آمد انى أسألك النظرة الى
وجهك الكريم هركس ببهشت آرزويى دارد عاشق بجز آرزوى ديدن ديدار ندارد پير طريقت
كفت بهرهٔ عارف در بهشت سه چيز است سماع وشراب وديدار سماع را كفت فهم فى روضة
يحبرون شراب را كفت وسقاهم ربهم شرابا طهورا ديداررا كفت (وجوه يومئذ ناضرة الى
ربها ناظرة) سماع بهرهٔ كوش شراب بهرهٔ لب ديدار بهرهٔ ديده سماع واجدان شراب عاشقان را
ديدار محبان سماع طرب افزايد شراب زبان كشايد ديدار صفت ربايد سماع مطلوب را نقد
كند شراب راز جلوه كند ديدار عارف را فرد كند سماع را هفت اندام رهى كوش چون ساقى
اوست شراب همه نوش ديدار وراز بهر وى ديده روشن ثم ان جميع أهل السنة حملوا هذه الآية
على أنها متضمنة رؤية المؤمنين لله تعالى بلا تكييف ولا تحديد ولا يصح تأويل من قال الى نعم ربها
ونحوه ووجهه الزمخشرى كناية عن معنى التوقع والرجاء على معنى انهم لا يتوقعون النعمة
والكرامة الا من ربهم كما كانوا فى الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه وجوابه انه لا يعدل الى
الكناية بلا ضرورة داعية اليها وهى ههنا مفقودة فالاحاديث الصحيحة تدل على تعين جانب
الحقيقة وأما قوله عليه السلام جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما
ومافيهما ومابين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه حيث ان المعتزلة
قالوا ان الرداء حجاب بين المرتدى والناظرين فلا تمكن الرؤية فجوابه انهم عجزوا عن أن

المرتدى لا يحجب عن الحجاب اذ المراد بالوجه الذات و برداء الكبرياء هو العبد الكامل المخلوق
على الصورة الجامعة للحقائق الامكانية والالهية يعنى رداء كبريائه نفس مظهريت ومشاهدة
ذات بدون مظهرى محالست والرداء هو الكبرياء واضافته للبيان والكبرياء رداؤه الذى
يلبسه عقول العلماء بالله للتفهيم فلا رداء هنا الحقيقة فالرتبة الحجابية باقية أبدا وهى رتبة المظهر
لانها كالمرآة وأما قوله عليه السلام حين سئل هل رأيت ربك ليلة المعراج فقال نورانى أراه
فمعناه ان النور المجرد لا تمكن رؤيته يعنى انما تتعذر الرؤية والادراك باعتبار تجرد الذات عن
المظاهر والنسب والاضافات فاما فى المظاهر ومن وراء حجابية المراتب فالادراك ممكن ومن
المعتزلة من فسر النظر بالانتظار وجعل قوله الى اسما مفردا بمعنى النعمة مضافا الى الرب بجمعه
آلاء فيكون مفعولا مقدما لقوله ناظرة بمعنى منتظرة والتقدير وجوه يومئذ تنتظر نعمة ربها ورد
بأن الانتظار لا يسند الى الوجه سواء أريد به المعنى الحقيقى أو أريد به العين بطريق ذكر المحل
وارادة الحال وتفسير الوجه بالذات وجملة الشخص خلاف الظاهر وبأن الانتظار لا يعدى بالى
ان جعل حرفا وأخذه بمعنى النعمة فى هذا المقام يخالف المعقول لان الانتظار يعد من الآلام
ونعيم الجنة حاضر لاهلها ويخالف المنقول أيضا وهو أنه عليه السلام قال أدنى أهل الجنة منزلة
من ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة يعنى تا هزار ساله راه ازا
بندو أكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية يعنى بمقدار اذان ثم قرأ عليه السلام
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقد فسر النظر بنظر العين والرؤية فظهر أن المخالف اتبع رأيه
وهواه وروى أنه عليه السلام نظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا
لا تضامون فى رؤيته وهو بفتح التاء وتشديد الميم من الضم أصله لا تتضامون أى لا ينضم بعضكم
الى بعض ولا يقول أرنيه بل كل ينفرد برؤيته وروى بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم
فتكون التاء حينئذ مضمومة يعنى لا ينالكم ظلم بأن يرى بعضكم دون بعض بل تستوون كلكم
فى رؤيته تعالى وهذا حديث مشهور تلقته الامة بالقبول ومعنى التشبيه فيه تشبيه الرؤية بالرؤية
فى الوضوح لا تشبيه المرئى بالمرئى فثبت ان المؤمنين يرونه بغير كيف ولا كم وضرب من مثال
فينسون النعيم اذا رأوه * فيا خسران أهل الاعتزال وسئل مالك بن أنس رضى الله عنهما عن قوله
تعالى الى ربها ناظرة وقيل له ان قوما يقولون الى ثوابه فقال مالك كذبوا فأين هم عن قوله تعالى
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم قال الناس ينظرون الى الله بأعينهم ولو لم ير المؤمنون ربهم
يوم القيامة لم يعذب الله الكفار بالحجاب وقال صاحب العقد الفريد ومن اعتقد غير هذا فهو
مبتدع زنديق وقد يشهد للمطلوب ويرد دعوى أهل البدعة أن الرؤية هى اللذة الكبرى
فكيف يكون المؤمنون محرومين منها والدار دار اللذة فينبغى للمؤمن أن تكون همته من نعم
الجنة نعمة اللقاء فان غيرها نعم بهيمية مشتركة قال بعض العارفين دلت الآية على أن القوم
ينظرون الى الله تعالى فى حال الصحو والبسط لان النضرة من امارات البسط فلا يتداخلهم حياء
ولا دهشة ولا تنغص عيشهم بل لو عاينوه بوصف الجلال الصرف لهلكوا فى أول سطوة من
سطواته فهم يرونه فى حال الانس بنوره بل به يرونه وهنالك وجود العارف كله عين يرى حبيبه
بجميع وجوده وتلك العيون مستفادة من تجلى الحق فيقوم لهم بالنظر من نفسه الى نفسه ويظهر

سر الوحدة بين العاشق والمعشوق والرؤية تقتضى بقاء الرائى وهو من مقتضيات عالم الصفات
واستهلاك العبد فى وجود الحق أتم كما هو مقتضى عالم الذات قال النصراباذى قدس سره من
الناس ناس طلبوا الرؤية واشتاقوا اليه تعالى ومنهم العارفون الذين اكتفوا برؤية الله لهم فقالوا
رؤيتنا ونظرنا فيه علة ورؤيته ونظره بلا علة فهو أتم بركة وأشمل نفعا وقال بعضهم القرب
المذكور فى قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد هو الذى منع الخلق عن الادراك للحق
كما أن الهواء لما كان مباشر الحاسة البصر لم يدركه البصر وكذلك الماء اذا غاص الغائص فيه
وفتح عينيه يمنعه قربه من حاسة بصره أن يراه والحق أقرب الى الانسان من نفسه فكان لا يرى
لقربه كما أنه تعالى لا يرى لبعده وعلو ذاته أين التراب من رب الارباب ولكن اذا أراد العبد أن
يراه تنزل من علوه ورفع عبده الى رؤيته فرآه به ولذلك قال عليه السلام انكم سترون ربكم
كما ترون الشمس والقمر وهما فى شأنهما متوسطان فى القرب والبعد فغاية القرب حجاب كما أن غاية
البعد حجاب والكل يراه فى الدنيا لا يعرف أنه هو وفرق بين العارف وغيره ألا ترى انه اذا كان فى
قلبك لقاء شخص وأنت لا تعرفه بعينه فلاقيك وسلم عليك وأنت لم تعرفه فقد رأيته وما رأيته
كالسلطان اذا دار فى بلده متنكرا فانه يراه كثير من الناس ولا يعرفه ثم ان منهم من يقول لم يتيسر
لى رؤية السلطان الى الآن وأنا أريد أن أنظر اليه مع أنه نظر اليه مرارا فهو فى حال بصره أعمى
فما أشد حجابه ثم انه لو اتفق له النظر اليه فربما لا يتعمق ففرق بين ناظر وناظر بحسب حدة بصره
وضعفه ولذا قالوا انما تتفاوت الافراد فى حضرة الشهود مع كونهم على بساط الحق الذى لا نقص
فيه لانهم انما يشهدون فى حقائقهم ولو شهدوا عين الذات لتساووا فى الفضيلة وقال بعض
العارفين الخلق أقرب جار للحق تعالى وذلك من أعظم البشرى فان للجار حقا شرعا معروفا
يعرفه العلماء بالله فينبغى لكل مسلم أن يحضر هذا الجوار الالهى عند الموت حين يطلب من
الحق ما يستحقه الجار على جاره من حيث ما شرع قال تعالى لنبيه عليه السلام قل رب احكم
بالحق أى الحق الذى شرعته لنا تعاملنا به حتى لا تنكر شيأ منه مما يقتضيه الكرم الالهى وهو
دعاء افتقار وخضوع وذل (حكى) ان الحجاج أراد قتل شخص فقال له لى اليك حاجة قال ماهى
قال أريد أن أمشى معك ثلاث خطوات ففعل الحجاج فقال الشخص حق هذه الصحبة أن تعفو
عنى فعفا عنه (ووجوه يومئذ) يتعلق بقوله (باسرة) أى شديدة العبوس مظلمة ليس عليها أثر
السرور أصلا وهى وجوه الكفرة والمنافقين وقال الراغب البسر الاستعجال بالشئ قبل أوانه
فان قيل فقوله ووجوه يومئذ باسرة ليس يفعلون ذلك قبل الموت وقد قلت ان ذلك يقال فيما كان
قبل وقته قيل ان ذلك اشارة الى حالهم قبل الانتهاء بهم الى النار فخص لفظ البسر تنبيها على ان
ذلك مع ما ينالهم من بعد يجرى مجرى التكلف ومجرى ما يفعل قبل وقته ويدل على ذلك قوله
تعالى (تظن) تتوقع أربابها بحسب الامارات والجملة خبر بعد خبر ورجح أبو حيان والطيبى تفسير
الظن بمعنى اليقين ولا ينافيه أن المصدرية كما توهم فانها انما لا تقع بعد فعل التحقيق الصرف
فاما بعد فعل الظن أو ما يؤدى معنى العلم فتجئ المصدرية والمشددة والمخففة نص عليه الرضى
(أن يفعل بها فاقرة) داهية عظيمة تقصم فقار الظهر ومنه سمى الفقير فان الفقر كسر فقار ظهره
فجعله فقيرا أى مفقورا وهو كناية عن غاية الشدة وعدم القدرة على التحمل فهى تتوقع ذلك

كما تتوقع الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير بناء على أن قضية المقابلة بين الآيتين
تقتضي ذلك قال بعضهم أصح آنست كه آن بلاحجابست از رؤيت رب الارباب (مصراع)
كه از فراق بتر در جهان بلايي نيست ۞ وفي التأويلات النجمية وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة لا الى غيره بسبب الاعراض عن الدنيا في هذا اليوم والاقبال على الله ووجوه يومئذ باسرة
تظن أن يفعل بها فاقرة بسبب الاقبال على الدنيا في هذا اليوم والادبار عن الله جزاء وفاقا وقال
بعضهم وجوه يومئذ ناضرة لتنور بنور القدس والاتصال بعالم النور والسرور والنعيم الدائم
ووجوه يومئذ باسرة كالحة لجهامة هيآتها وظلمة ما بها من الجحيم والنيران وسماجة ما تراه هنالك
من الاهوال وسوء الجيران ﴿كلا﴾ ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة أي ارتدعوا عن ذلك
وتنبهوا لما بين أيديكم من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة ﴿اذا
بلغت التراقي﴾ الضمير للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها وتقول
العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء أي اذا بلغت النفس الناطقة
وهي الروح الانساني أعالي الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال فاذا
بلغت اليها يكون وقت الغرغرة وبالفارسية چون برسد روح باستخوانهاء سينه وكردن وفي
كشف الاسرار آن وقت كه جان بچنبر كردن رسد جمع ترقوة بفتح التاء والواو وسكون الراء
وضم القاف قال في القاموس الترقوة ولا تضم تاؤه العظم بين ثغرة النحر والعاتق انتهى
والعاتق موضع الرداء من المنكب قال بعضهم لكل أحد ترقوتان ولكن جمع التراقي باعتبار
الافراد وبلوغ النفس التراقي كناية عن عدم الاشفاء يعني بكارها ورسيدن ونزديك شدن والعامل
في اذا بلغت معنى قوله الى ربك يومئذ المساق أي اذا بلغت النفس الحلقوم رفعت وسيقت الى الله
أي الى موضع أمر الله أن ترفع اليه ﴿وقيل من راق﴾ معطوف على بلغت ووقف حفص على من
وقفة يسيرة من غير تنفس قال بعضهم لعل وجهه استثقال الراء المشددة التي بعدها قاف غليظة
التلفظ في الادغام واستكراه القطع التام بين المبتدا والخبر والاستفهام والمستفهم عنه في
النفس والفرار من الاظهار دون سكتة لانه يعد من اللحن عند اتصال النون الساكنة بالراء بين
أهل القراءة وقال من حضر صاحبها من يرقيه يعني افسون ميكنند وينجيه مما هو فيه من الرقية
وهو التعويذ بما به يحصل الشفاء كما يقال بسم الله أرقيك وفعله من باب ضرب والاستفهام على
هذا يحتمل أن يكون بمعنى الطلب كان الذين حول ذلك الانسان طلبوا له طبيبا يعالجه وراقيا
يرقيه ويحتمل أن يكون استفهاما بمعنى الانكار كما يقال عند اليأس من الذي يقدر أن يرقي
هذا الانسان المشرف على الموت وهو الظاهر كما قال الراغب من راق أي من يرقيه تنبيها على
أنه لا راقي يرقيه فيحميه وذلك اشارة الى نحو ما قال

واذا المنية أنشبت أظفارها ۞ ألفيت كل تميمة لا تنفع

التميمة خرزات كان العرب يعلقونها على أولادهم خوفا من العين وهو باطل لقوله عليه السلام
من علق تميمة فقد أشرك وأياها أراد صاحب البيت المذكور وقيل هو من كلام ملائكة الموت
يقولون أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب من الرقي وفعله من باب علم وقوله
ملائكة الرحمة لا يناسبه قوله فلا صدق ولا صلى الآيات لان الضمير فيه للمذكور الانسان فلا يتعين

كون المحتضر من أهل النار قال الكلبي يحضر العبد عند الموت سبعة أملاك من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب مع ملك الموت فاذا بلغت نفس العبد التراقي نظر بعضهم الى بعض أيهم يرقى بروحه الى السماء فهو قوله من راق وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى بروح هذا الكافر (وظن أنه الفراق) وأيقن المحتضر حين عاين ملائكة الموت أن ما نزل به هو الفراق من الدنيا المحبوبة ونعيمها التي ضيع العمر النفيس في كسب متاعها الخسيس وعبر عما حصل له من المعرفة حينئذ بالظن لان الانسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل ظنه الغالب على رجاء الحياة قال الامام هذه الآية تدل على أن الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت البدن لان الله تعالى سمى الموت فراقا والفراق انما يكون اذا كانت الروح باقية فان الفراق والوصال صفة وهي تستدعي وجود الموصوف قال المزني دخلت على الشافعي في مرض موته فقلت كيف أصبحت قال أصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله واردا فلا أدري أروحي تصير الى الجنة فأهنيها أم الى النار فأعزيها ثم أنشأ يقول

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي * جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وقال بعضهم
فراق ليس يشبهه فراق * قد انقطع الرجاء عن التلاق

وفي الحديث ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول السلام عليك أفارقك وتفارقني الى يوم القيامة (قال الشيخ سعدي) كوس رحلت بكوفت دست اجل * أي دو چشم وداع سر بكنيد * أي كف ودست وساعد وبازو * همه توديع يكدكر بكنيد * برمن أوفتاده دشمن كام * آخر اى دوستان كذر بكنيد * روز كارم بشد بناداني * من نكردم شما حذر بكنيد * قال يحيى بن معاذ رحمه الله اذا دخل الميت القبر قام على شفير قبره أربعة أملاك واحد عند رأسه والثاني عند رجليه والثالث عن يمينه والرابع عن يساره فيقول الذي عند رأسه يا ابن آدم ارفضت الآجال أي تفرقت وأنضيت الآمال أي هزلت ويقول الذي عن يمينه ذهبت الاموال وبقيت الاعمال ويقول الذي عن يساره ذهبت الاشغال وبقي الوبال ويقول الذي عند رجليه طوبى لك ان كان كسبك من الحلال وكنت مشتغلا بخدمة ذي الجلال (والتفت الساق بالساق) الالتفاف برهم بيجيدن أي والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند قلق الموت فالساق العضو المخصوص والتفافهما اجتماعهما والتواء احداهما بالاخرى أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على أن الساق مثل في الشدة وجه المجاز أن الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه فقيل للامر الشديد ساق من حيث ان ظهوره لازم لظهور ذلك الامر وقد سبق في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في أكفانه (الى ربك يومئذ المساق) أي الى الله والى حكمه يساق الانسان لا الى غيره أي يساق الى حيث لا حكم هنالك الا لله وقال الكاشفي بسوى جزاى بروردكار تو آن روز باز كشت باشد همه كس را فالمساق مصدر ميمي بمعنى السوق بالفارسية راندن والالف واللام عوض

عن المضاف اليه أى سوق الانسان (فلا صدق) الانسان ما يجب تصديقه من الرسول والقرآن الذى نزل عليه أى لم يصدق فلا ههنا بمعنى لم وانما دخلت على الماضى لقوة التكرار بمعنى حسن دخول لا على الماضى تكراره كما تقول لا قام ولا قعد وقلما تقول العرب لا وحدها حتى تتبعها أخرى تقول لا زيد فى الدار ولا عمرو أو فلا صدق ماله بمعنى لا زكاه فحينئذ يطلب وجه لترجيح الزكاة على الصلاة مع أن دأب القرآن تقديم الصلاة ولعل وجهه ما كان كفار مكة عليه من منع المساكين وعدم الحض على طعامهم فى وقت الضرورة القوية وأيضا فى تأخير ولا صلى مراعاة الفواصل كما لا يخفى (ولا صلى) ما فرض عليه وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة يعنى أن الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة كما يستحقهما بترك الايمان وان لم يجب أداؤها عليه فى الدنيا (ولكن كذب) ما ذكر من الرسول والقرآن والاستدراك لدفع احتمال الشك فان نفى التصديق لا يستلزم اثبات التكذيب لكون الشك بين التصديق والتكذيب فاذا لا تكرار فى الآية (وتولى) أعرض عن الطاعة لله ولرسوله (ثم ذهب الى أهله) أهل بيته أو الى أصحابه (يتمطى) يتبختر ويختال فى مشيه افتخارا بذلك وبالفارسية پس بازگشت بسوى كسان خود مى خراميد زروى افتخار كه من چنين وچنين كارى كرده ام يعنى تكذيب وتولى من المط وهو المد فان المتبختر يمد خطاه يعنى ان التمدد فى المشى من لوازم التبختر فجعل كناية عنه فيكون أصله يتمطط بمعنى يتمدد أبدلت الطاء الاخيرة ياء كراهة اجتماع الامثال كما فى تقضى البازى أو من المطا مقصورا وهو الظهر فانه يلويه ويحركه فى تبختره فألفه مبدلة من واو ويتمطى جملة حالية من فاعل ذهب وفى الحديث اذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم والمطيطاء كحميراء التبختر ومد اليدين فى المشى والبأس شدة الحرب (أولى لك) واى بر تو اى انسان مكذب (فأولى) پس واى بر تو (ثم أولى لك فأولى) تكرير للتأكيد فهو مستعمل فى موضع ويل لك مشتق من الولى وهو القرب والمراد دعاء عليه بان يليه مكروه وأصله أولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم نقل الثلاثى الى أفعل فعدى الى مفعولين وفى القاموس أولى لك تهديد ووعيد أى قاربه ما يهلكه أو أولى لك الهلاك فيكون اسما بمعنى أحرى أى الهلاك أولى وأحرى لك من كل شئ فيكون خبر مبتدأ محذوف (وقال الكاشفى) أولى لك سزاوارست ترا مرگ سخت فأولى پس سزاوارست ترا عذاب أليم در قبر ثم أولى لك پس بيك سزاوارست ترا هول قيامت فأولى پس بغايت سزاست ترا خلود در دوزخ * وروى انه لما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله بمجامع ثوب أبى جهل بالبطحاء وهزه مرة أو مرتين ولكزه فى صدره وقال له أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال أبو جهل أتوعدنى يا محمد ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيأ وانى لأعز أهل هذا الوادى فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع وقتله اسوأ قتلة أقعصه ابنا عفراء وأجهز عليه ابن مسعود رضى الله عنه واقعصه قتله مكانه واجهز على الجريح أثبت قتله وأسرعه وتمم عليه وكان رسول الله عليه السلام يقول ان لكل أمة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو جهل (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أى يحسب حال كونه مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك فى قبره فلا يبعث والسدى المهمل يقال أسديت ابلى اسداء أى أهملتها وتقول أسديت حاجتى وسديتها اذا أهملتها ولم تقضها وتكرير

الانكار نحسبانها يتضمن تكرير انكاره للحشر و يتضمن الاستدلال على صحة البعث أيضا وتقريره ان اعطاء القدرة والآلة والفعل بدون التكليف والامر بالمحاسن والنهى عن المفاسد يقتضى كونه تعالى راضيا بقبائح الاعمال وذلك لايليق بحكمته فاذا لابد من التكليف فى الدنيا والتكليف لايليق بالكريم الرحيم الالان يميز الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المفسدين فى الارض ولايجعل المتقين كالفجار ويجازى كل نفس بما تسعى والمجازاة قدلاتكون فى الدنيا فلابد من البعث والقيامة وانما لم تكن الدنيا دار المجازاة لضيقها وقدقال بعض الكبار من طلب تعجيل نتائج أعماله وأحواله فى هذه الدار فقد أساء الادب وعامل الموطن بمالاتقتضيه حقيقته (ألم يك نطفة من منى يمنى) الخ استئناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق وقال ابن الشيخ هو استدلال على صحة البعث بدليل ثان والاستفهام بمعنى التوبيخ والنطفة بالضم الماء الصافى قل أو كثر والمنى ماء الرجل والمرأة أى ماخلق منه حيوان فالحبل لايكون الامن الماء بين ويمنى بالياء صفة منى وبالتاء صفة نطفة بمعنى يصب ويراق فى الرحم ولذا سميت منى كالى وهى قريبة بمكة لما يمنى فيهامن دماء القرابين والمعنى ألم يكن الانسان ماء قليلا كائنا من ماء معروف بخسة القدر واستقذار الطبع ولذا نكرهما يمنى ويصب فى الرحم نبه سبحانه بهذا على خسة قدر الانسان أولا وكمال قدرته ثانيا حيث صير مثل هذا الشىء الدنى بشراسويا وقال بعضهم فائدة قوله يمنى للاشارة الى حقارة حاله كأنه قيل انه مخلوق من المنى الذى يجرى على مخرج النجاسة فكيف يليق بمثل هذا أن يتمرد عن طاعة الله فيما أمر به ونهى الا أنه تعالى عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما فى قوله تعالى فى عيسى ومريم عليهما السلام كانا يأكلان الطعام والمراد منه قضاء الحاجة كناية (ثم كان علقة) أى ثم كان المنى بعد أربعين يوما قطعة دم جامد غليظ أحمر بقدرة الله تعالى بعدما كان ماء أبيض كقوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة وهو عطف على قوله ألم يك لان انكار عدم الكون يفيد ثبوت المكون فالتقدير كان الانسان نطفة ثم كان علقة (فخلق) أى فقدر بأن جعلها مضغة مخلقة بعد أربعين أخرى أى قطعة لحم قابل لتفريق الاعضاء وتمييز بعضها من بعض وجعل المضغة عظاما متميز الاعضاء بأن صلبها فكسا العظام لحما يحسن به خلقه وتصويره ويستعد لافاضة القوى ونفخ الروح (فسوى) فعدله وكمل نشأته (قال الكاشفى) پس راست كرد صورت واندام او را و روح در دميد وفى المفردات جعل خلقه على ما اقتضته الحكمة الالهية أى جعله معتدلا لما تقتضيه الحكمة وقال بعضهم معنى التسوية والتعديل جعل كل عضو من أعضاء الزوج معادلا لزوجه (فجعل منه) اى من الانسان باعتبار الجنس أو من المنى وجعل بمعنى خلق ولذا اكتفى بمفعول واحد وهو قوله (الزوجين) اى الصنفين (الذكر والانثى) بدل من الزوجين ويجوز أن يكونا منصوبين باضمار أعنى ولايخفى أن الفاء تفيد التعقيب فلابد من مغايرة بين المتعاقبين فلعل قوله فخلق فسوى محمول على مقدار مقدر من الخلق يصلح به للتفرقة بين الزوجين وقوله فجعل منه الزوجين على التفرقة الواقعة (أليس ذلك) العظيم الشان الذى انشأ هذا الانشاء البديع (بقادر على أن يحيى الموتى) وهو أهون من البدء فى قياس العقل لوجود المادة وهو عجب الذنب والعناصر الاصلية (روى) ان النبى عليه السلام كان اذا قرأها قال

سبحانك اللهم بلى تنزيها له تعالى عن عدم القدرة على الاحياء واثباتا لوقوعها عليه وفى رواية
بلى والله بلى والله وقال ابن عباس رضى الله عنهما من قرأ سبح اسم ربك الاعلى اماما كان أو غيره
فليقل سبحان ربى الاعلى ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فاذا انتهى الى آخرها فليقل سبحانك
اللهم بلى اماما كان أو غيره وفى الحديث (من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها
أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة
فانتهى الى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى فليقل سبحانك بلى ومن قرأ والمرسلات عرفا فبلغ
فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله) وفى الآية اشارة الى أن الله يحيى موتى أهل
الدنيا بالاعراض عنها والاقبال على الآخرة والمولى وأيضا يحيى موتى النفوس بسطوع أنوار
القلوب عليها وأيضا يحيى موتى القلوب تحت ظلمة النفوس الكافرة والظالمة بنور الروح السر
والخفى ومن أسند العجز الى الله فقد كفر بالله نسأل الله تعالى العصمة وحسن الخاتمة

تمت سورة القيامة بعون من له الرحمة العامة فى الحادى والعشرين من ذى الحجة من سنة
ست عشرة ومائة وألف

(سورة الانسان احدى وثلاثون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتى) استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل أهل أتى أى قد أتى و بالفارسية
آيا آمد يعنى بدرستى كه آمد تركوا الالف قبل هل لانها لا تقع الا فى الاستفهام وانما لزوم أداة
الاستفهام ملفوظة أو مقدرة اذا كان بمعنى قد ليستفاد التقرير من همزة الاستفهام والتقريب
من قد فانها موضوعة لتقريب الماضى الى الحال والدليل على أن الاستفهام غير مراد أن
الاستفهام على الله محال فلا بد من حمله على الخبر تقول هل وعظتك ومقصودك أن تحمله على
الاقرار بأنك قد وعظته وقد يجئ بمعنى الجحد تقول وهل يقدر أحد على مثل هذا فتحمله على أن
يقول لا يقدر أحد غيرك (على الانسان) قبل زمان قريب والمراد جنس الانسان لقوله من نطفة
لان آدم لم يخلق منها ثم المراد بالجنس بنو آدم أو ما يعمه و بنيه على التغليب ونسبة حال البعض
الى الكل للملابسة على المجاز (حين من الدهر) الحين زمان مطلق ووقت مبهم يصلح لجميع الازمان
طال أو قصر وفى المفردات الحين وقت بلوغ الشئ وحصوله وهو مبهم و يتخصص بالمضاف اليه
نحو ولات حين مناص ومن قال حين على أوجه للاجل والمدة وللساعة وللزمان المطلق انما فسر
ذلك بحسب ما وجد قد علق به والدهر الزمان الطويل والمعنى طائفة محدودة كائنة من الزمن
الممتد وهى مدة لبثه فى بطن أمه تسعة أشهر الى أن صار شيأ مذكورا على ما ذهب اليه ابن عباس
رضى الله عنهما (لم يكن) فيه فالجملة صفة أخرى لحين بحذف الضمير (شيأ مذكورا) بل كان شيأ
منسيا غير مذكور بالانسانية أصلا نطفة فى الاصلاب فما بين كونه نطفة وكونه شيأ مذكورا
بالانسانية مقدار محدود من الزمان وتقدم عالم الارواح لا يوجب كونه شيأ مذكورا عند الخلق
ما لم يتعلق بالبدن ولم يخرج الى عالم الاجسام (روى) أن الصديق أو عمر رضى الله عنهما كما فى عين
المعانى لما سمع رجلا يقرأ هذه الآية بكى وقال ليتها تمت فلا شئ اذا بليت تلاتمت وهى كونه شيأ
غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف ومعنى الاستفهام التقريرى فى الآية أن يحمل من ينكر البعث على

الاقرار بأنه نعم أتى عليه فى زمان قريب من زمان الحال حين من الدهر لم يكن فيه شيأ مذكورا فيقال له من أحدثه بعد أن لم يكن كيف يمتنع عليه بعثه واحياؤه بعد موته وقال القاشانى أى كان شيأ فى علم الله بل فى نفس الامر لقدم روحه ولكنه لم يذكر فيما بين الناس لكونه فى عالم الغيب وعدم شعور من فى عالم الشهادات به وفى التأويلات النجمية اعلم ان للانسان صورة علمية غيبية وصورة عينية شهادية وهو من حيث كلتا الصورتين مذكور عند الله أزلا وأبدا لا يعزب عن علمه مثقال ذرة لعلمه الازلى الابدى بالاشياء قبل ايجاد الاشياء وقبل وجودها خالق الخلق وهم معدومون فى كتم العدم وعلمه بنفسه يستلزم علمه بأعيان الاشياء لان الاشياء مظاهر أسمائه وصفاته وهى عين ذاته فافهم أى ما أتى على الانسان حين من الاحيان وهو كان منسيا فيه بالنسبة الى الحق وكيف وهو مخلوق على صورته وصورته حاضرة له مشهودة عنده وهل للاستفهام الانكارى بخلاف المحجوبين عن علم المعرفة والحكمة الالهية وقال جعفر الصادق رضى الله عنه هل أتى عليك يا انسان وقت لم يكن الله ذاكرا لك فيه (انا خلقنا الانسان) أى خلقناه يعنى جسمه والاظهار لزيادة التقرير (من نطفة) حتى كان علقة فى أربعين يوما ومضغة فى ثمانين ومنفوخا فيه الروح فى مائة وعشرين يوما كما كان أبوهم آدم خلق من طين فألقى بين مكة والطائف فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة أخرى ثم من صلصال فأقام أربعين سنة أخرى فتم خلقه فى مائة وعشرين سنة فنفخ فيه الروح على ماجاء فى رواية الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما فما كان سنين فى آدم كان أياما فى أولاده وحمل بعضهم الانسان الاول على آدم والثانى على أولاده على أن يكون الحين هو الزمن الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره والاول وهو حمله فى كلا الموضعين على الجنس أظهر لان المقصود تذكير الانسان كيفية الخلق بعد أن لم يكن ليتذكر بأول أمره من عدم كونه شيأ مذكورا أواخر أمره من كونه شيأ مذكورا مخلوقا من ماء حقير فلا يستبعد البعث كما سبق (أمشاج) أخلاط بالفارسية آميختها جمع مشج كسبب أو كتف على لغتيه أو مشيج من مشجت الشئ اذا خلطته وصف النطفة بالجمع مع افرادها لما ان المراد بها مجموع الماءين يختلطان فى الرحم ولكل منهما أوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل أبيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة أصفر رقيق فيه قوة الانعقاد فيخلق منهما الولد فأيهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة على ماروى فى المرفوع وفى الخبر مامن مولود الا وقد ذر على نطفته من تربة حفرته كل واحد منهما مشيج بالآخر وقال الحسن رحمه الله نطفة مشجت بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت ارتفع الحيض واليه ذهب صاحب القاموس حيث قال ونطفة أمشاج مختلطة بماء المرأة ودمها اه فيكون النطفتان ودمها جمعا وقال الراغب هو عبارة عما جعل الله بالنطفة من القوى المختلفة المشار اليها بقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الآية انتهى فيكون معنى أمشاج ألوان وأطوار على ما قال قتادة وفى التأويلات النجمية أى من نطفة قوة القابلية الممتشجة المختلطة بنطفة قوة الفاعلية أى خلقناه من نطفة الفيض الاقدس المتعلق بالفاعل ونطفة الفيض المقدس المتعلق بالقابل فالفيض الاقدس الذاتى بمنزلة ماء الرجل والفيض المقدس الاسمائى بمنزلة ماء المرأة (نبتليه) حال مقدرة من فاعل

خلقناه أى مريدين ابتلاءه واختباره بالتكليف فيما سيأتى ليتعلق علمنا بأحواله تفصيلا فى العين بعد تعلقه بها اجمالا فى العلم وليظهر أحوال بعضهم لبعض من القبول والرد والسعادة والشقاوة (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب عن الابتلاء أى عن ارادته فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء كأنه قيل انا خلقناه مريدين تكليفه فأعطيناه ما يصح معه التكليف والابتلاء وهو السمع والبصر وسائر آلات التفهيم والتمييز وطوى ذكر العقل لان المراد ذكر ما هو من أسبابه والآلة التى بها يستكمل فطريقه الاول لاكثر الخلق من السعداء السمع ثم البصر ثم تفهم العقل وفى اختيار صيغة المبالغة اشارة الى كمال احسانه اليه وتمام انعامه وبصيرا مفعول ثان بعد ثان لجعلناه وفى التأويلات النجمية فجعلناه سميعا جميع المسموعات بصيرا جميع المبصرات كما قال كنت سمعه وبصره فبى يسمع وبى يبصر فلا يفوته شئ من المسموعات ولا من المبصرات فافهم جدا يا مسكين وقال أبو عثمان المغربى قدس سره ابتلى الله الخلق بتسعة أشباح ثلاث فتانات هى سمعه وبصره ولسانه وثلاث كافرات هى نفسه وهواه وعدوه الشيطان وثلاث مؤمنات هى عقله وروحه وقلبه فاذا أيد الله العبد بالمعونة قهر العقل على القلب فملكه واستأسر النفس والهوى فلم يجد الى الحركة سبيلا فجانست النفس الروح وجانس الهوى العقل وصارت كلمة الله هى العليا قال الله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة (انا هديناه السبيل) مترتب على ما قبله من اعطاء الحواس فانه استئناف تعليل لجعله سميعا بصيرا يعنى ان اعطاء الحواس الظاهرة والباطنة والتحلى بهما متقدم على الهداية والمعنى أريناه وعرفناه طريق الخير والشر والنجاة والهلاك بانزال الآيات ونصب الدلائل كما قال وهديناه النجدين أى بينا له طريقى الخير والشر فان النجد الطريق الواضح المرتفع فالمراد بالهداية مجرد الدلالة لا الدلالة الموصلة الى البغية كما فى بعض التفاسير (اما شاكرا واما كفورا) حالان من مفعول هديناه قال فى الارشاد أى مكناه وأقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية فى حالتيه جميعا فاما التفصيل ذى الحال فانه يحتمل من حيث الدلالة على الاحوال لا يعلم أن المراد هدايته فى حال كفره أو فى حال ايمانه وبالتفصيل تبين أنها تعلقت به فى كل واحدة من الحالتين فالشاكر الموحد والكفور الجاحد لان الشكر الاقرار بالمنعم ورأس الكفران جحوده ويقال شاكر النعمة وكفورها قال الراغب الكفور يقال فى كافر النعمة وكافر الدين جميعا ويجوز أن يكون اما للتقسيم بان يعتبر ذو الحال من حيث انه مطلق وهو اللفظ الدال على الماهية من حيث هى ويجعل كل واحد من مدخولى اما قيدا له فيحصل بالتقييد بكل منهما قسم منه أى مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه وايراد الكفور لمراعاة الفواصل أى رؤس الآى والاشعار بأن الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط والشكور قليل منهم ولذا لم يقل اما شكورا واما كفورا أو اما شاكرا واما كافرا والحاصل ان الشاكر والكفور كنايتان عن المثاب والمعاقب ولما لم يكن مجرد الكفران مستلزما للمؤاخذة لم يصح أن يجعل كناية عنها بخلاف مجرد الشكر فانه ملزوم الاثابة بمقتضى وعد الكريم فأدير أمر الاثابة على مطلق الشكر لا على المبالغة فيه كما أدير أمر المؤاخذة على المبالغة فى الكفران لا على أصله وكل ذلك

بمقتضى سعة رحمة الله وسبقها على غضبه وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة فى اما وهى قراءة حسنة والمعنى اما كونه شاكرا فبتوفيقنا واما كونه كفورا فبسوء اختياره وفى التأويلات النجمية انا خيرناه فى الاهتداء الى سبيل الشكر المتعلق باليد اليمنى الجمالية أو الى سبيل الكفر المتعلق باليد اليسرى الجلالية فاختار بعضهم سبيل الشكر من مقتضى حقائقهم واستعداداتهم الازلية واختار بعضهم سبيل الكفر من مقتضى حقائقهم وقابلياتهم الازلية أيضا كما قال هؤلاء أهل الجنة ولا أبالى وهؤلاء أهل النار ولا أبالى أى المدح والذم يتعلق بهم لابى ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد فقال (انا أعتدنا) هيأنا فى الآخرة فان الاعتداد اعداد الشئ حتى يكون عتيدا حاضرا متى احتيج اليه (للكافرين) من افراد الانسان الذى هديناه السبيل (سلاسل) بها يقادون الى جهنم وفى كشف الاسرار أعتدنا للكافرين فى جهنم سلاسل كل سلسلة سبعون ذراعا وهو بغير تنوين فى قراءة حفص وأما الوقف فبالالف تارة وبدونها أخرى وتسلسل الشئ اضطرب كأنه تصور منه تسلسل وتردد فتردد لفظه تنبيه على تردد معناه ومنه السلسلة وفى القاموس السلسلة أى بالفتح ايصال الشئ بالشئ وبالكسر دائرة من حديد ونحوه (وأغلالا) بها يقيدون اهانة وتعذيبا لا خوفا من الفرار جمع غل بالضم وهو ما تطوق به الرقبة للتعذيب وقد سبق فى الحاقة مفصلا (وسعيرا) نارا بها يحرقون يعنى وآتشى افروخته كه دران پيوسته بسوزند وانما يجرون الى جهنم بالسلاسل لعدم انقيادهم للحق ويحقرون بان يقيدوا بالاغلال لعدم تواضعهم لله ويحرقون بالنار لعدم احتراقهم بنار الخوف من الله تعالى وفيه اشارة الى أن الله تعالى أعد للمحجوبين عن الحق المشغولين بالخلق سلاسل التعلقات الظاهرة بحب الدنيا وطلبها واغلال العوائق الباطنة بالرغبة اليها وفيها ونار جهنم البعد والطرد واللعن وتقديم وعيد الكافرين مع تأخرهم فى مقام الاجمال للجمع بينهما فى الذكر ولان الانذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن على أن فى وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم (ان الابرار) شروع فى بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر كرب وأرباب أو جمع بار كشاهد واشهاد وهو من يبر خالقه أى يطيعه يقال بررته أبره كعلمته وضربته وعن الحسن رحمه الله البر من لا يؤذى الذر ولا يضمر الشر كما قيل

ولا تؤذ نملا ان أردت كمالكا * فان لها نفسا تطيب كما لكا

وفى المفردات البر خلاف البحر وتصور منه التوسع فاشتق منه البر أى التوسع فى فعل الخير وبر العبد ربه توسع فى طاعته ويشمل الاعتقاد والاعمال الفرائض والنوافل وقال سهل رحمه الله الابرار الذين فيهم خلق من أخلاق العشرة الذين وعدهم النبى عليه السلام بالجنة قال عليه السلام ان لله ثلثمائة وستين خلقا من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة قال أبو بكر رضى الله عنه هل فى منها يا رسول الله قال كلها فيك يا أبا بكر وأحبها الى الله السخاء (يشربون) فى الجنة والشرب تناول كل مائع ماء كان أو غيره قال يشربون ابتداء كالمطيعين أو انتهاء كالمعذبين من المؤمنين بحكم العدل (من كأس) هى الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر أيضا على طريق ذكر المحل وارادة الحال وهو المراد هنا عند الاكثر حتى روى عن الضحاك أنه قال كل

كأس فى القرآن فانما عنى به الخمر فمن على الاول ابتدائية وعلى الثانى تبعيضية أو بيانية (كان) بتكوين الله (مزاجها) أى ماتمزج تلك الكأس به يقال مزج الشراب خلطه ومزاج البدن ماء يمازجه من الصفراء والسوداء والبلغم والدم والكيفيات المناسبة لكل منها (كافورا) أى ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة فى المقام المحمدى وكذا سائر العيون ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده دون طعمه والافنفس الكافور لا يشرب ونظيره حتى اذا جعله نارا أى كنار والكافور طيب معروف يطيب به الاكفان والاموات لحسن رائحته واشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطى الاشياء برائحته وفى القاموس الكافور طيب معروف يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين يظل خلقا كثيرا وتألفه النمورة وخشبه أبيض هش ويوجد فى أجوافه الكافور وهو أنواع ولونها أحمر وانما تبيض بالتصعيد وعين فى الجنة انتهى والجملة صفة كأس (عينا) بدل من كافورا يعنى كافور چشمه ايست والعين الجارية ويقال لمنبع الماء تشبيها بها فى الهيئة وفى سيلان الماء فيها (يشرب بها عباد الله) صفة عينا وعباد الله هنا الابرار من المؤمنين لان اضافة التكريم الى اسمه الاعظم مختصة بالمؤمن فى الغالب كالاضافة الى كناية التكلم كقوله يا عبادى لرعايتهم حق الربوبية فمن لم يراعه فكأنه ليس بعبد له أى يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها كما تقول شربت الماء بالعسل فيكون كناية عن قوتها فى لذتها وعلى هذا فيه اشارة الى أن المقربين الاقوياء يشربون شراب الكافور صرفا غير ممزوج والظاهر يشرب منها فالباء بمعنى من فان حروف العوامل ينوب بعضها مناب بعض ونظيره قوله تعالى فأنزلنا به الماء أى أنزلنا من السحاب الماء صرح به الشيخ المكى رحمه الله فى قوت القلوب (يفجرونها تفجيرا) التفجير والتفجرة آب راندن وفى المفردات الفجر شق الشئ شقا واسعا كفجر الانسان السكر يقال فجرته فانفجر وفجرته فتفجر والمعنى يجرونها حيث شاؤا من منازلهم كما يفيده بناء التفعيل اذ التشديد للكثرة اجراء سهلا لا تمتنع عليهم بل تجرى جريا بقوة واندفاع لان الانهار منقادة لاهل الجنة كالاشجار وغيرها فتفجيرا مصدر مؤكد للفعل المتضمن معنى السهولة والجملة صفة أخرى لعينا وفى التأويلات النجمية يشير بالابرار الى عباد الله المخلصين المخصوصين بفيض الاسم الاعظم الشامل للاسماء الذين سقاهم ربهم المتجلى لهم باسمه الباسط بكأس المحبة طهور شراب العشق الممزوج بكافور برد اليقين المتفجر الجارى فى أنهار أرواحهم وأسرارهم وقلوبهم من فرط الرحمة وشمول النعمة وقال القاشانى ان الابرار السعداء الذين برزوا عن حجاب الآثار والافعال واحتجبوا بحجب الصفات غير واقفين معها بل متوجهين الى عين الذات مع البقاء فى عالم الصفات وهم المتوسطون فى السلوك يشربون من كأس محبة حسن الصفات لا صرفا بل كان فى شرابهم مزج من لذة محبة الذات وهى العين الكافورية المفيدة للذة برد اليقين وبياض النورية وتفريح القلب المحترق بحرارة الشوق وتقويته فان للكافور خاصية التبريد والتفريح والبياض والكافور عين يشرب بها صرفا عباد الله الذين هم خاصته من أهل الوحدة الذاتية المخصوص محبتهم بعين الذات دون الصفات لا يفرقون بين القهر واللطف والرفق والعنف والنعمة والبلاء والشدة والرخاء بل تستقر محبتهم مع الاضداد وتستمر لذتهم فى النعماء والضراء والرحمة والزحمة كما قال أحدهم

هواى له فرض تعطف ام جفا * ومشربه عذب تكدر أم صفا

وكان

وكلت الى المحبوب أمرى كله * فان شاء أحيانى وان شاء أتلفا

وأما الابرار فلما كانوا يحبون المنعم واللطيف والرحيم لم تبق محبتهم عند تجلى القهار والمبتلى والمنتقم بحالها ولا لذتهم بل يكرهون ذلك فيفعرونها تفجيرا لانهم منابعها الا اثنينية ثمة ولا غيرية والالم يكن كافورا لظلمة حجاب الانانية واثنينيته وسواده انتهى قال بعضهم اختلفت أحوالهم فى الدنيا فاختلفت مشاربهم فى الآخرة فكل يسقى ما يليق بحاله كعيون الحياء وعيون الصبر وعيون الوفاء وغير ذلك ثم ان الكأس اما نفسانية شيطانية وهى ما تكون لاهل الفسق فى الدنيا وهى حرام وفى الحديث (اذا تناول العبد كأس الخمر ناداه الايمان بالله لا تدخلها علىّ فانى لا أستقر أنا وهى فى وعاء واحد فان أبى وشربها نفر الايمان نفرة لا يعود اليه أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه ونقص من عقله شئ لا يعود اليه أبدا) واما جسمانية رحمانية وهى ما تكون للمؤمنين فى دار الآخرة عطاء ومنحة من الله الوهاب واما روحانية ربانية وهى ما تكون لاهل المحبة والشوق فى الدارين وهى ألذ الاقداح قال مولانا جلال الدين قدس سره

ألا يا ساقيا انى * لظمآن ومشتاق أدر كأسا ولا تنكر * فان القوم قد ذاقوا

خذ الدنيا وما فيها * فان العشق يكفينا لنا فى العشق جنات * وبلدان وأسواق

(يوفون بالنذر) استئناف كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بما أوجبه الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها فهو مبالغة فى وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات والايفاء بالشئ هو الاتيان به تاما وافيا والنذر ايجاب الفعل المباح على نفسه لعظم الله بأن يقول لله علىّ كذا من الصدقة وغيرها وان شفى مريضى أورد غائبى فعلىّ كذا واختلفوا فيما اذا علق ذلك بما ليس من وجوه البر كما اذا قال ان دخل فلان الدار فعلىّ كذا فمن الناس من جعله كاليمين ومنهم من جعله من باب النذور وقيل النذر كالوعد الا أنه اذا كان من العباد فهو نذر واذا كان من الله فهو وعد والنذر قربة مشروعة ولا يصح الا فى الطاعة وفى الحديث (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه) قال هرون بن معروف جاءنى فتى فقال ان أبى حلف علىّ بالطلاق أن أشرب دواء مع مسكر فذهبت به الى أبى عبد الله فلم يرخص له وقال قال عليه السلام كل مسكر حرام واذا أجمع الاطباء على أن شفاء المريض فى الخمر لا يشربها اذا كان له دواء آخر واذا لم يكن يشربها ويتداوى بها فى قول ثم ان الاهتمام بما أوجب الله على عبده ينبغى أن يكون أكمل مما أوجبه العبد على نفسه ومن الناس من هو على عكس ذلك فانه يتهاون بما أوجبه الله عليه فلا يؤدى الصلاة الواجبة مثلا واذا نذر شيأ فى بعض المضايقات يسارع الى الوفاء وليس الامن الجهل وقال القاشانى أى الابرار يوفون بالعهد الذى كان بينهم وبين الله صبيحة يوم الازل بأنهم اذا وجدوا التمكن بالآلات والاسباب أبرزوا ما فى مكامن استعداداتهم وغيوب فطرتهم من الحقائق والمعارف والعلوم والفضائل وأخرجوها الى الفعل بالتزكية والتصفية (ويخافون يوما) أى يوم القيامة (كان شره) أى هوله وشدته وعذابه (مستطيرا) فاشيا منتشرا فى الاقطار غاية الانتشار بالغا أقصى المبالغ يعنى بهمه كس بهمه جا رسيده من استطار الحريق أى النار وكذا الفجر قال فى القاموس المستطير الساطع المنتشر واستطار الفجر انتشر وهو أبلغ من طار

بمنزلة استنفر من نفر وأطلق الشر على أهوال القيامة وشدائدها المنتشرة غاية الانتشار حتى ملأت السموات والارض مع انها عين حكمة وصواب لكونها مضرة بالنسبة الى من تنزل عليه ولا يلزم من ذلك أن لا يكون خيره مستطيرا أيضا فان ليوم القيامة أمورا سارة كما ان له أمورا ضارة وقال سهل رحمه الله البلايا والشدائد عامة فى الآخرة للعامة والملامة خاصة للخاصة ثم انّ يوفون الخ بيان لاعمالهم واتيانهم بجميع الواجبات وقوله ويخافون الخ بيان لنياتهم حيث اعتقدوا يوم البعث والجزاء فخافوا منه فان الطاعات انما تتم بالنيات وبمجموع هذين الامرين سماهم الله بالابرار قال بعض العارفين يشير الى أرباب السلوك فى طريق الحق وطلبه حيث أوجبوا على أنفسهم أنواع الرياضات وأصناف المجاهدات وتركوا الرقاد وأهلكوا بالجوع الاجساد وأحرقوا بالعطش الاكباد وسدوا الآذان من استماع كلام الاغيار وأعموا أبصارهم عن رؤية غير المحبوب الحقيقى وختموا على القلوب عن محبة غير المطلوب الازلى خوفوا أنفسهم من يوم تجلى صفة القهر والسخط باستيلاء الهيآت المظلمة على القلب وهو نهاية مبالغ الشر فاجتهدوا حتى خلصهم الله مما خافوا وأدخلهم فى حرمه الآمن (ويطعمون الطعام على حبه) أى كائنين على حب الطعام والحاجة اليه ونحوه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون أو على حب الاطعام فيطعمون بطيب النفس فالضمير الى مصدر الفعل كما فى قوله تعالى اعدلوا هو أقرب للتقوى أو كائنين على حب الله أو اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سيأتى من قوله لوجه الله فالمصدر مضاف الى المفعول والفاعل متروك أى على حبهم لله ويجوز أن يضاف الى الفاعل والمفعول متروك أى على حب الله الاطعام والطعام خلاف الشراب وقد يطلق على الشراب أيضا لان طعم الشئ ذوقه مأكولا أو مشروبا والظاهر الخصوص وان جاز العموم واعلم ان مجامع الطاعات محصورة فى أمرين الطاعة لامر الله واليه الاشارة بقوله يوفون بالنذر والشفقة على خلق الله واليه الاشارة بقوله ويطعمون الطعام فان الاطعام وهو جعل الغير طاعما كناية عن الاحسان الى المحتاجين والمواساة معهم بأى وجه كان وان لم يكن ذلك بالطعام بعينه الا أن الاحسان بالطعام لما كان أشرف أنواع الاحسان عبر عن جنس الاحسان باسم هذا النوع كما فى حواشى ابن الشيخ وقال بعض أهل المعرفة أى يتجردون عن المنافع المالية ويزكون أنفسهم عن الرذائل خصوصا عن الشح لكون محبة المال أكثف الحجب فيتصفون بفضيلة الايثار وسد خلة الغير فى حال احتياجهم أو يزكون أنفسهم عن رذيلة الجهل فيطعمون الطعام الروحانى من الحكم والشرائع على حب الله من ذكر من قوله (مسكينا) فقيرا لا شئ له عاجزا عن الكسب وبالفارسية درويش بى مايه وقال القاشانى المسكين الدائم السكون الى تراب البدن (ويتيما) طفلا لا أب له (وأسيرا) الاسر الشد بالقد سمى الاسير بذلك ثم قيل لكل مأخوذ مقيد وان لم يكن مشدودا بذلك والمعنى وأسيرا مأخوذا لا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة أى أسير كان فانه عليه السلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول أحسن اليه لانه يجب اطعام الاسير الكافر والاحسان اليه فى دار الاسلام بما دون الواجبات عند عامة العلماء الى أن يرى الامام رأيه فيه من قتل أو منّ أو فداء أو استرقاق فان القتل فى حال لا ينافى وجوب الاطعام فى حال أخرى ولا يجب اذا عوقب بوجه أن يعاقب بوجه آخر ولذا لا يحسن فيمن

يلزمه

يلزمه القصاص أن يفعل به غير القتل أو المعنى أسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك عبدا أو أمة وكذا المسجون يعنى مسجون از اهل قبله كه در حق از حقوق مسلمين حبس كرده باشند وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم أسيرا فقال غريمك أسيرك فاحسن الى أسيرك أى بالامهال والوضع عنه بعضا أو كلا وهو كل الاحسان وفى الحديث (من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله) أى حماه من حرارة القيامة وقيل الزوجة من الاسراء فى يد الازواج لما قال عليه السلام اتقوا الله فى النساء فانهن عوانى عندكم والعانى الاسير وفى القاموس العوانى النساء لانهن يظلمن فلا ينتصرن وقال القاشانى الاسير المحبوس فى أسر الطبيعة وقيود صفات النفس وفى التأويلات النجمية ويطعمون طعام المعارف والحكم الالهية المحبوبة اهم مسكين السر الفقير الى انقياده تحت حكم الروح وذلته تحت عزته ويتيم القلب لبعد عهده ومكانه من أبيه الروح وأسير الاعضاء والجوارح المقيدين بقيود أحكام الشريعة وحبال آثار الطريقة انتهى (انما نطعمكم لوجه الله) جز اين نيست كه ميخورانيم شمارا اى طعامها براى رضاى خدا على ارادة قول هو فى موقع الحال من فاعل يطعمون أى قائلين ذلك بلسان الحال أو بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للاجر * هر چه دهى مى ده ومنت منه * وآنچه بمنت دهى آن خود مده * منت ومزدى كه در احسان بود * وقت جزا موجب نقصان بود * وعن الصديقة رضى الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله والوجه الجارحة عبر به عن الذات لكونه أشرف الاعضاء وقال بعضهم الوجه مجاز عن الرضى الا ان الرضى معلوم فى الوجه وكذا السخط (لا نريد منكم جزاء) على ذلك بالمال والنفس والفرق بين الجزاء والاجر أن الاجر ما يعود من ثواب العمل دنيويا كان أو أخرويا ويقال فيما كان عن عقد وما يجرى مجرى العقد ولا يقال الا فى النافع وأما الجزاء فيقال فيما كان عن عقد وغير عقد ويقال فى النافع والضار والمجازاة المكافأة وهى مقابلة نعمة بنعمة هى كفوها (ولا شكورا) أى شكرا باللسان ومدحا ودعاء وهو مصدر على وزن الدخول والجملة تقرير وتأكيد لما قبلها قال القاشانى لا نريد منكم مكافأة وثناء لعدم الاحتجاب بالاعراض والاعواض وفى التأويلات النجمية لا نريد منكم جزاء بالذكر الجميل فى الدنيا ولا شكورا عن عذاب الآخرة اذ كل عمل يعمله العامل لثواب الآخرة لا يكون لوجه الله بل يكون لحظ نفسه كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقال عليه السلام حكاية عن الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه والحاصل ان معاملة العبد المخلص انما هى مع الله فلا حق له على الغير فكيف يريد ذلك وفيه نصح لمن أراد النصيحة فان الاطعام ونحوه حرام بملاحظة الغير وحظ النفس فيجب أن يكون خالصا لوجه الله من غير شوب بالرياء وحظ المنعم * زعمرو اى پسر چشم اجرت مدار * چو در خانه زيد باشى بكار (انا نخاف من ربنا يوما) أى عذاب يوم وهو مفعول نخاف فمن ربنا حال متقدمة منه ولو أخر لكان صفة له أو مفعوله قوله ربنا بواسطة الحرف على ما هو الاصل فى تعديته لانه يقال خاف منه فيكون يوما بدلا من محله بدون تقدير بناء على التعدية بنفسه

أو بتقدير يخاف آخر (عبوسا) من قبيل اسناد الفعل الى زمانه والمعنى تعبس فيه الوجوه يعنى روزيكه رو يهاد روترش كرد داوشدت احوال كما روى ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران والعبوس قطوب الوجه من ضيق الصدر او معنى عبوسا يشبه الاسد العبوس فى الشدة والضراوة أى السطوة والاقدام على ايصال الضرر بالعنف والحدة لكل من رآه فهو من المبالغة فى التشبيه فان العبوس الاسد كالعباس (قمطريرا) شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره لا لارادة مكافأتكم فقوله انا نخاف الخ بدل من انما نطعمكم الخ فى معرض التعليل لاطعامهم يقال وجه قمطرير أى منقبض من شدة العبوس وفى الكشاف القمطرير العبوس الذى يجمع بين عينيه وازامام حسن بصرى رحمه الله پرسيدندكه قمطرير چيست فرمودكه سبحان الله ما أشد اسمه وهو أشد من اسمه يعنى چه سخت است اسم روز قيامت واو سخت ترست از اسم خود (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم وتحفظهم منه يعنى نكاه داشت خداى تعالى ايشانرا از بدى ورنج وهول وعذاب آن روز فشر مفعول ثان لوقى المتعدى الى اثنين وفى الحديث الصحيح قال رجل لم يعمل حسنة قط لاهله اذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يارب وأنت أعلم فغفر الله له أى بسبب خشيته وقوله لئن قدر الله بتخفيف الدال من القدرة أى لئن تعلقت قدرته يوم البعث بعذاب جسمه ظن المسكين انه بالفناء على الوجه المذكور يلتحق بالمحال وقدرة الله لا تتعلق بالمحال فلا يلزم منه الكفر فجمع رماده من البر والبحر محمول على جمع أجزائه الاصلية يوم القيامة ويجوز أن يحمل على حال البرزخ فان السؤال فيه للروح والجسد جميعا على ما هو المذهب الحق (ولقاهم نضرة وسرورا) أى أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة فى الوجوه يعنى تازكى وخوبرويى وسرورا فى القلوب يعنى شادى وفرح دردل فهما مفعولان ثانيان وفى تاج المصادر التلقية چيزى پيش كسى واآوردن وفى المفردات لقيته كذا اذا استقبلته به قال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا (وجزاهم) أعطى كل واحد منهم بطريق الاجر والعوض (بما صبروا) ما مصدرية أى بسبب صبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس فى اجتناب المحرمات وايثار الاموال وفى الحديث الصبر أربعة الصبر على الصدمة الاولى وعلى أداء الفرائض وعلى اجتناب المحارم وعلى المصائب (جنة) مفعول ثان لجزاهم أى بستانا يأكلون منه ما شاؤا (وحريرا) يلبسونه ويتزينون به وبالفارسية وجامه ابريسم بهشت بپوشند فالمراد بالجنة ليس دار السعادة المشتملة على جميع العطايا والكرامات والا لما احتيج الى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة بل البستان كما ذكرنا فذكرها لا يغنى عن ذكر الملبس ثم ان البستان فى مقابلة الاطعام والصبر على الجوع والحرير فى مقابلة الصبر على العرى لان ايثار الاموال يؤدى الى الجوع والعرى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما النبى عليه السلام فى ناس معه فقالوا لعلى رضى الله عنه لو نذرت على ولديك نذرا يعنى اكر نذر كنى براميد عافيت وشفاى فرزندان مكر صواب باشد فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما رضى الله عنهم ان برئا

عمامه بعدها أن يصوموا ثلاثة أيام تقربا الى الله وطلبا لمرضاته وشكرا له فنشطهما فصاموا وما معهم شيء يفطرون عليه فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير وهو جمع صاع وهو أربعة امداد كل مد رطل وثلث قال الداودي معياره الذي لا يختلف أربع حفنات بكفي الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما اذ ليس كل مكان يوجد فيه صاع النبي عليه السلام فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا يعني فاطمة زهرا ازان جو يك صاع با آسيا دست آردكرد وخبزت خمسة أقراص على عددهم جمع قرص يعني الخبزة فوضعوا بين أيديهم وقت الافطار ليفطروا به فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه يعني حضرت علي رضي الله عنه نصيب خود بدان مسكين داد وسائر أهل بيت موافقت كردند يعني سخن درويش بسمع علي رسيد روي فرا فاطمه كرد وگفت

فاطم ذات المجد واليقين * يا بنت خير الناس أجمعين
أما ترين البائس المسكين * قد قام بالباب له حنين
يشكو الى الله ويستكين * يشكو الينا جائعا حزين

فاطمه رضي الله عنها ورا جواب داد وگفت

أمرك يا ابن عم سمع طاعه * مابي من لؤم ولا ضراعه
ارجو اذا أشبعت ذا مجاعه * ألحق بالاخيار والجماعه
وأدخل الخلد ولي شفاعه

انكه طعام پيش نهاده بودند جمله بدرويش دادند و بر گرسنگي صبر كردند وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فاطمه رضي الله عنها صاعي ديگر جو آرد كرد وازان نان پخت فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة حضرت علي رضي الله عنه چون سخن آن يتيم شنيد روي فرا فاطمه كرد وگفت

اني لأعطيه ولا أبالي * وأوثر الله على عيالي
أمسوا جياعا وهموا أشبالي * أصغرهم يقتل في القتال

فآثروه يعني همچنان طعام كه در پيش بود جمله بيتيم دادند وخود گرسنه خفتند بكر روز آن صاع كه مانده بود فاطمه رضي الله عنها انرا آرد كرد ونان پخت فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم أسير فقال السلام عليكم أهل بيت النبوة أسير من الاسارى أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة آن طعام بأسير دادند وبجز آب نچشيدند وسه روز بر آن بگذشت فلما أصبحوا في اليوم الرابع أخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهم فاقبلوا على النبي عليه السلام فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه السلام ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة ولا يلزم من هذا أن يكون المراد من الابرار أهل البيت فقط لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

السبب فيدخل فيه غيرهم بحسب الاشتراك فى العمل وقد ضعفت القصة بتضعيف الراوى الا أنها مشهورة بين العلماء مسطورة فى الكتب قال الحكيم الترمذى رحمه الله هذا حديث مفتعل لا يروج الا على أحمق جاهل ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات وقال لا شك فى وضعه ثم صحة الرواية تقتضى كون الآية مدنية لان انكاح رسول الله فاطمة عليا كان بعد وقعة أحد وقد قال الجمهور ان السورة مكية هكذا قالوا سامحهم الله تعالى قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة نقلا عن جمع من العلماء الكبار ان هل أتى على الانسان من السور النازلة فى المدينة وكذا قال مجاهد وقتادة مدنية الا آية واحدة وهى ولا تطع منهم آثما أو كفورا فانها مكية وكذا قال الحسن وعكرمة والماوردى مدنية الا قوله فاصبر لحكم ربك الى الآخر فانه مكى ودل على ذلك أن الاسرا انما كان فى المدينة بعد آية القتال والامر بالجهاد فضمت الآيات المكية الى الآيات المدنية فان شئت قلت انها أى السورة مكية وان شئت قلت انها مدنية على أن الآيات المدنية فى هذه السورة أكثر كمية من الآيات المكية فالظاهر أن تسمى مدنية لا مكية ونحن لا نشك فى صحة القصة والله أعلم (متكئين فيها) أى فى الجنة (على الارائك) بر تختهاى آراسته قوله متكئين حال من هم فى جزاهم والعامل فيها جزى قيد المجازاة بتلك الحال لانها أرفه الاحوال فكان غيرها لا يدخل فى الجزاء والارائك هى السرر فى الحجال تكون فى الجنة من الدر والياقوت موضونة بقضبان الذهب والفضة وألوان الجواهر جمع أريكة كسفينة ولا تكون أريكة حتى تكون فى حجلة وهى بالتحريك واحدة حجال العروس وهى بيت مزين بالثياب والستور والظاهر أن على الارائك متعلق بمتكئين لان الاتكاء يتعدى بعلى أى مستقرين متمكنين على الارائك كقوله متكئين على فرش ولا يبعد أن يتعلق بمقدر ويكون حالا من ضمير متكئين أى متكئين فيها على الوسائد أو غيرها مستقرين على الارائك فيكون الاتكاء بمعنى الاعتماد (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) أى حرارة ولا برودة كما يرون فى الدنيا لان الحرارة غالبة على أرض العرب والبرودة على أرض العجم والروم وهو حال ثانية من الضمير أى يمر عليهم هواء معتدل لا حار ولا بارد مؤذ يعنى ان قوله لا يرون الخ كناية عن هذا المعنى والزمهرير شدة البرد وازمهر اليوم اشتد برده وفى الحديث هواء الجنة سجسج لا حر فيه ولا قر أى معتدل لا حر فيه ولا برد فان القر بالضم البرد وفى الخبر عن النبى عليه السلام أنه قال اشتكت النار الى ربها فقالت أكل بعضى بعضا فنفسنى فأذن لها فى كل عام بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم وأشد ما تجدون من الحر من حرها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فبينما أهل الجنة فى الجنة اذ رأوا ضوأ كضوء الشمس وقد أشرقت الجنان له فيقول أهل الجنة يا رضوان قال ربنا عز وجل لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا فيقول لهم رضوان ليست هذه بشمس ولا قمر ولكن هذه فاطمة وعلى رضى الله عنهما ضحكا ضحكا أشرقت الجنان من نور ضحكهما وفيهما أنزل الله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الى قوله وكان سعيكم مشكورا قال القاشانى لا يرون فى جنة الذات شمس حرارة الشوق اليها مع الحرمان ولا زمهرير برودة الوقوف مع الاكوان فان الوقوف مع الكون برد قاسر وثقل عاصر * وفى التأويلات النجمية لا يرون فى جنة الوصال حر شمس المشاهدة المفنى للمشاهد بحيث لا يجد لذة الشهود لان سطوة المشاهدة

تفنى المشاهد بالكلية فلا يجد لذة الشهود من المحبوب المعبود والى هذا المعنى أشار النبى عليه السلام فى دعائه اللهم ارزقنا لذة مشاهدتك لا زمهرير برد الحجاب والاستتار (ودانية عليهم ظلالها) عطف على ما قبلها حال مثلها والظلال جمع ظل بالكسر نقيض الضح وظلالها فاعل دانية من الدنو بمعنى القرب اما بحسب الجانب أو بحسب السمك والضمير الى الجنة أو أشجارها ومعناه ان ظلال الاشجار فى الجنة قربت من الابرار من جوانبهم حتى صارت الاشجار بمنزلة المظلة عليهم وان كان لا شمس فيها مؤذية لتظلهم منها ففيه بيان لزيادة نعيمهم وكمال راحتهم فان الظل فى الدنيا للراحة (وذللت قطوفها تذليلا) أى سخرت ثمارها للمتناولها وسهل أخذها للقائم والقاعد والمضطجع تمام التسخير والتسهيل من الذل بالكسر وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية أى تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها أو معطوفة على دانية أى دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وهو جمع قطف بكسر القاف بمعنى العنقود وقطفت العنب قطعته وسمى العنقود قطفا لانه يقطف ويقطع وقت الادراك (ويطاف) يدار من طاف بمعنى دار والطواف والاطافة كلاهما لازم بالفارسية كرد جيزى بكشتن وانما جاءت التعدية هنا من الباء فى بآنية (عليهم) أى على الابرار اذا أرادوا الشرب والطائف الدائر هو الخدم كما يجىء (بآنية) أوعية جمع اناء نحو كساء وأكسية والاوانى جمع الجمع كما فى المفردات وأصل آنية أأنية بهمزتين مثل أفعلة قال فى بعض التفاسير الباء فيها ان كانت للتعدية فهى قائمة مقام الفاعل لانها مفعول له معنى والا فالظاهر أن يكون القائم مقامه عليهم (من فضة) نعت لآنية (وأكواب) جمع كوب وهو الكوز العظيم المدور الرأس لا أذن له ولا عروة فيسهل الشرب منه من كل موضع ولا يحتاج عند التناول الى ادارته وهو مستعمل الآن فى بلاد العرب لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم وقدم عليه وصف الاوانى التى يشرب بها وذكره بلفظ المجهول لان المقصود ما يطاف به لا الطائفون ثم ذكر الطائفين بقوله ويطوف الخ (كانت قوارير) جمع قارورة بالفارسية آبكينه وفى القاموس القارورة ما قر فيه الشراب ونحوه (قوارير من فضة) أى تكونت وحدثت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها يرى ما فى داخلها من خارجها فكان تامة وقوارير الاول حال من فاعل كانت على المبالغة فى التشبيه يعنى ان القوارير انما تتكون من الزجاج لا من الفضة فليس المعنى انها قوارير زجاجية متخذة من الفضة بل الحكم عليها بأنها قوارير وانها من فضة من باب التشبيه البليغ لانها فى نفسها ليست زجاجا ولا فضة لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء فثبت أن آنية الجنة مباينة فى الحقيقة لقارورة الدنيا وفضتها ولان قارورة الدنيا سريعة الانكسار والهلاك وما فى الجنة لا يقبل ذلك وفضة الدنيا كثيفة الجوهر لا لطافة فيها وما فى الجنة ليس كذلك وان شارك كل واحد منهما الآخر فى بعض الاوصاف فشبهت بالفضة فى بياضها ونقائها وبقائها وبالقارورة فى شفافيتها وصفائها فهى حقيقة مغايرة لهما جامعة لاوصافهما وذلك كاف فى صحة اطلاق اسم القارورة والفضة عليها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان أرض الجنة من فضة وأوانى كل أرض تتخذ من تربة تلك الارض ويستفاد من هذا الكلام وجه آخر لكون تلك الاكواب من فضة ومن قوارير وهو أن أصل القوارير فى الدنيا الرمل وأصل قوارير الجنة هو

فضة الجنة فكما أن الله قادر على أن يقلب الرمل الكثيف زجاجة صافية فكذلك قادر على أن يقلب فضة الجنة قارورة صافية فالغرض من ذكر هذه الآية التنبيه على أن نسبة قارورة الجنة الى قارورة الدنيا كنسبة الفضة الى الرمل فكما انه لا نسبة بين هذين الاصلين فكذا بين القارورتين كذا فى حواشى ابن الشيخ قال بعضهم اعل الوجه فى اختيار كون كانت تامة مع امكان جعلها ناقصة وقوارير الاول خبرا بتكوين الله فيكون فيه تفخيم للآية بكونها أثر قدرة الله تعالى وقوارير الثانى بدل من الاول على سبيل الايضاح والتبيين أى قوارير مخلوقة من فضة والجملة صفة لاكواب وقرئ بتنوين قوارير الثانى أيضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثانى بالرفع على هى قوارير قال ابن الجزرى وكلهم وقفوا عليه بالالف الاحمزة وورشا وانما صرفه من صرفه لانه وقع فى مصحف الامام بالالف وانما كتب فى المصحف بالالف لانه رأس آية فشابه القوافى والفواصل التى تزاد فيها الالف للوقف (قدروها تقديرا) صفة لقوارير ومعنى تقدير الشاربين المطاف عليهم لها أنهم قدروها فى أنفسهم وأرادوا أن تكون على مقادير وأشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها فات منتهى مايريده الرجل فى الآنية التى يشرب منها الصفاء فقد ذكره الله بقوله كانت قوارير وأيضا النقاء فقد ذكره الله بقوله من فضة وأيضا الشكل والمقدار فقد ذكره الله بقوله قدروها تقديرا أو قدروها بأعمالهم الحسنة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله ويطاف عليهم أى قدروا شرابها على اضمار المضاف على قدر استرواثهم وريهم من غير زيادة ولا نقصان وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته فان طرفى الاعتدال مذمومان كما قال مجاهد لا تفيض فيها ولا تغيض أى لا كثرة ولا قلة وقال الضحاك على قدر أكف الخدم (ويسقون فيها) أى فى الجنة يسقى الله أو يسقى الطائفين بأمر الله وفيه زيادة تعظيم لهم ليست فى قوله يشربون من كأس بصيغة المعلوم (كأسا) خمرا (كان مزاجها) ماتمزج به وتخلط (زنجبيلا) الزنجبيل عرق يسرى فى الارض ونباته كالقصب والبردى وعلم منه أن ما كان مزاجها زنجبيلا غيرما كان مزاجها كافورا والمعنى زنجبيلا أى مايشبه الزنجبيل فى الطعم وكان الشراب الممزوج به أطيب مايستطيب العرب وألذ ماتستلذ به لانه يحذو اللسان ويهضم الطعام كما فى عين المعانى ولما كان فى تسمية تلك العين بالزنجبيل توهم أن ليس فيها سلاسة الانحدار فى الحلق وسهولة مساغها كما هو مقتضى اللذع والاحراق أزال ذلك الوهم بقوله (عينا) بدل من زنجبيلا (فيها تسمى) عند الملائكة من خازن الجنة وأتباعه (سلسبيلا) لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها فكأن العين سميت بصفاتها قال بعضهم يطلق عليها ذلك وتوصف به لا انه علم لها يعنى أن سلسبيلا صفة لا اسم والالامتنع من الصرف للعلمية والتأنيث ولم يقرأ به واحد من العشرة ويقال انما صرف مع أنه اسم عين وهى مؤنث معنوى لرعاية رأس الآية قال فى الكواشى لفظ مفرد بوزن فعلليل كدرديس يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل سهل الدخول فى الحلق لعذوبته وصفائه ولذلك حكم بزيادة الباء أى بعدم التفاوت فى المعنى بوجودها وعدمها والا فالباء ليست من حروف الزيادة وقيل زيدت الباء على السلسال حتى صارت كلمة خماسية للدلالة على غاية السلاسة والحلاوة وقال ابن المبارك من طريق الاشارة معنى السلسبيل سل من الله اليه سبيلا قال ابن الشيخ جعل الله مزاج شراب الابرار أولا كافورا

وثلثيا زنجبيلا لان المقصود الاهم حال الدخول البرودة لهجوم العطش عليهم من حر العرصات وعبور الصراط وبعد استيفاء حظوظهم من أنواع نعيمها ومطعوماتها تميل طباعهم الى الاشربة التى تهيج الاشتهاء وتعين على تهنئة ما تناولوه من المطعومات ويلتذ الطبع بشربها فلعل الوجه فى تأخير ذكر ما يمزج به الزنجبيل عما يمزج به الكافور ذلك * وفى التأويلات النجمية يشير بالزنجبيل الى شراب الوحدة الممزوجة بزنجبيل الكثرة المعقولة من مفهوم التوحيد وبالسلسبيل الى شراب الوحدة الصافية عن الامتزاج بزنجبيل الكثرة وسميت سلسبيلا لسلاسة انحدارها وذلك لبساطتها وصرافتها وقال القاشانى كان مزاجها زنجبيل لذة الاشتياق فانهم لا شوق لهم ليكون شرابهم الزنجبيل الصرف الذى هو غاية حرارة الطلب لوصولهم ولكن لهم الاشتياق للسير فى الصفات وامتناع حصولهم على جميعها فلا تصفو محبتهم من لذة حرارة الطلب كما صفت لذة محبة المستغرقين فى عين جمع الذات فكان شرابهم العين الكافورية الصرفة والزنجبيل عين فى الجنة لكون حرارة الشوق عين المحبة الناشئة من منبع الوحدة مع الهجران تسمى سلسبيلا لسلاستها فى الحلق وذوقها فان العشاق المهجورين الطالبين السالكين سبيل الوصال فى ذوق وسكر من حرارة عشقهم لا يقاس به ذوق (ويطوف عليهم) أى يدور على الابرار (ولدان) فانهم أخف فى الخدمة جمع وليد وهو من قرب عهده بالولادة (مخلدون) أى دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء لا يتغيرون أبدا وبالفارسية وبخدمت مى كردد برايشان غلامانى چون كودكان نوزاد جاويد مانده درحال طفوليت اومقرطون يعنى پسران گوشواره داروالخلد القرط وفى التاج أنه من الخلد وهو الروح كأنهم روحانيون لا جسم لهم (اذا رأيتهم) يا من شأنه الرؤية (حسبتهم لؤلؤا) جمعه اللآلى وتلألأ الشئ لمع لمعان اللؤلؤ (منثورا) متفرقا لحسنهم وصفاء ألوانهم واشراق وجوههم وتفرقهم فى مجلس الخدمة عند اشتغالهم بأنواع الخدمة وطوافهم على المخدومين مسارعين فى الخدمة ولو اصطفوا على وتيرة واحدة اشبهوا باللؤلؤ المنظوم واللؤلؤ اذا كان متفرقا يكون أحسن فى المنظر من المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض لغاية بياضه وبريقه فيكون مخالفا للمجتمع فيه والظاهر على ما ذهب اليه البعض منثورا أى متفرقا فى الجنة فهو أحسن من القيد بمجلس الخدمة وشبهت الحور العين باللؤلؤ المكنون أى المخزون لانهن لا يتفرقن انتشار الولدان بل هن حور مقصورات فى الخيام قال فى عين المعانى وفيه اشارة الى أن الاستمتاع بظواهرهم يكون بخلاف الحور المشبهة بالبيض لانه يجمع بياض اللون الى لذة الطعم انتهى * ومنه يعلم أن لا لواطة فى الجنة وأن قول من جوزها مردود باطل على ما حققناه مرارا قال بعضهم منثورا من سلكه على البساط وعن المأمون أنه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج بالذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در أبى نواس كأنه أبصر هذا يقول

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وقال بعضهم منثورا من صدفه يعنى أنهم شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه وهو غير مثقوب لانه أحسن وأكثر ماء وبالفارسية مرواريد افشانده شده از صدف يعنى تر وتازه كه هنوز

دست كس بدان نرسيده ودر رونق وآب دادشان قصورى پيدا نشده قال فى كشف الاسرار
ولدان مخلدون أى غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين انتهى فسمى الغلمان ولدانا لانهم على
صورتهم على أن فى اطلاقهم عليهم خطابا بما يتعارفه الناس فلا يلزم ولادتهم فى الجنة وقال فى عين
المعانى قيل انهم ولدان الكفار يدخلون الجنة خدما لاهلها بدليل أنهم سموا ولدانا ولا ولادة
فى الجنة انتهى وفى اللباب اختلفوا فى الولدان فقيل أنشأهم الله لاهل الجنة من غير ولادة
لان الجنة لا ولادة فيها وهم الذين قال الله فيهم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون أى
مخزون مصون لم تمسه الايدى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما مامن أحد من أهل الجنة الا
يسعى عليه ألف غلام وكل غلام على عمل ماعليه صاحبه وروى أن الحسن رحمه الله لما تلا هذه
الآية قال قالوا يارسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم فقال فضل المخدوم على
الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروى عن على رضى الله عنه والحسن
البصرى رضى الله عنه أن الولدان هنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا
سيئة لهم وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة وعن الحسن
رحمه الله لم تكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيآت يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع انتهى
كلام اللباب فالله تعالى قادر على أن يجعل أموات الكفار الذين لا يليقون بالخدمة فى الدنيا
لغاية صغرهم فى مرتبة القابلية لها فى الآخرة بكمال قدرته وتمام رحمته قال النووى الصحيح
الذى ذهب اليه المحققون أنهم من أهل الجنة وقال الطيبى فى شرح المشكاة الحق التوقف أى
لا الحكم بأنهم من أهل الجنة كما ذهب اليه البعض ولا بأنهم تبع لآبائهم فى النار كما ذهب اليه
البعض الآخر فالمذاهب اذا فيهم ثلاثة * وفى التأويلات النجمية ويطوف عليهم ولدان
مخلدون أى تجليات ذاتية مقرطون بقرطة الاسماء والصفات اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا
من تشعشع أنوار الذات وتلألؤ أنوار الصفات والاسماء (واذا رأيت ثم) وچون بنگرى ونظر
كنى دربهشت قال فى الارشاد ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوى بل معناه أى ما آل
المعنى أن بصرك أينما وقع فى الجنة (رأيت نعيما) كثيرا لا يوصف وهو ما يتنعم به (وملكا كبيرا)
أى واسعا وهنيأ كما فى الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه
كما يرى أدناه والآية من باب الترقى والتعميم يعنى أن هنالك أمورا أخر أعلى وأعظم من القدر
المذكور درفصول آمده كه نعيم راحت اشباحست وملك كبير لذت ارواح نعيم ملاحظة
دارست وملك كبير مشاهده ديدار رودار بى ديدار هيچ كربايد الجار ثم الدار زاهدان فردوس
ميجويند وما ديدار دوست * وفى التأويلات النجمية يعنى اذا تحققت بمقام التوحيد
وحال الوحدة وصلت الى نعيم الشهود والملك المشهود والكبير فى ذاته وصفاته
وأسمائه وأفعاله انتهى * فيكون المراد بالملك الكبير فى الدنيا هو الشهود الحاصل لاهل الجنة
المعنوية والملك بالضم بالفارسية پادشاهى ولا سلطنة فوق سلطنة المعرفة والرؤية قال فى بعض
التفاسير الملك بالضم هو التصرف فى المأمورين بالامر والنهى ومنه الملك وأما الملك بالكسر فهو
التصرف فى الاعيان المملوكة بحسب المشيئة ومنه المالك والاول جامع للثانى لان كل ملك مالك
ولا عكس (عاليهم ثياب سندس خضر) عاليهم ظرف على أنه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر

والجملة

والجملة حال من ضمير عليهم أى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ أى فوقهم
وعلى ظهورهم ثياب سندس وهو الديباج الرقيق الفاخر الحسن واضافة الثياب الى السندس
كاضافة الخاتم الى الفضة وبالفارسية بر بهشتيان يعنى لباس زبرين ايشان جامهاى ديباى
نازك ولم يرض الزجاج بكون عاليهم نصبا على الظرف بمعنى فوقهم لانه لم يعرف فى الظروف وخضر
جمع أخضر صفة ثياب كقوله ويلبسون ثيابا خضرا فالضمير للابرار المطوف عليهم لان المقام
مقام تعداد نعيمهم وكرامتهم فالمناسب أن تكون الثياب الموصوفة لهم لا للولدان الطائفين
وعن الامام أن المراد فوق خيامهم المضروبة عليهم والمعنى ان جمالهم من الحرير والديباج
وهذا من علامات الملك (واستبرق) بالرفع عطفا على ثياب بحذف المضاف أى ثياب استبرق
وهو معرب استبره بمعنى الغليظ سبق بيانه فى سورة الرحمن وهو بقطع الهمزة لكونه اسما للديباج
الغليظ الذى له بريق (وحلوا أساور من فضة) عطف على ويطوف عليهم وهو ماض لفظا
ومستقبل معنى واساور مفعول ثان لحلوا بمعنى ويحلون والتحلية التزيين بالحلى وبالفارسية
بالحلى زيور كردن وفيه تعظيم لهم بالنسبة الى أن يقال وتحلوا وأساور جمع اسورة فى جمع سوار
وسوار المرأة أصله دستواره وكان الملوك فى الزمان الاول يحلون بها ويسورون من يكرمونه
ولا ينافى هذه الآية مافى الكهف والحج من قوله من أساور من ذهب لامكان الجمع بين السوار
الذهب والسوار الفضة فى أيديهم كما تجمع نساء الدنيا بين أنواع الحلى وما أحسن المعصم اذ يكون
فيه سواران من جنسين وزيادة كالذهب والفضة واللؤلؤ وأيضا الامكان المعاقبة فى الاوقات تارة
يلبسون الذهب وأخرى يلبسون الفضة وأيضا الامكان التبعيض بأن يكون البعض ذهبا
والبعض فضة فان حلى أهل الجنة يختلف حسب اختلاف أعمالهم فللمقربين الذهب وللابرار
الفضة وأيضا يعطى كل أحد ما يرغب فيه ويميل طبعه اليه فان الطباع مختلفة فرب انسان يكون
استحسانه لبياض الفضة فوق استحسانه لصفرة الذهب (وسقاهم) بياشاماند ايشانرا (ربهم
شرابا) هو مايشرب (طهورا) هذا الشراب الطهور نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد
اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية لانه يطهر باطنهم عن الاخلاق الذميمة
والاشياء المؤذية كالغش والغل والحسد وينزع ما كان فى أجوافهم من قذر وأذى وبه تحصل
الصفوة المهيئة لانعكاس نور الجمال الالهى فى قلوبهم وهى الغاية القاصية من منازل الصديقين
فلذا ختم بها مقالة ثواب الابرار فالطهور بمعنى المطهر صيغة اسم الفاعل وقيل مبالغة الطاهر
من حيث انه ليس بنجس كخمر الدنيا ومامسته الايدى القذرة والاقدام الدنسة ولا يؤل الى أن
يكون نجسا بل يرشح عرقا من أبدانهم له ريح كريح المسك (قال الكاشفى) بيايد دانست كه
جوى كوثر در بهشت خاصه حضرت رسالتست وذكر آن در سورهٔ كوثر خواهد آمد وچهار
جوى ديكر از ان متقيانست آب وشير وخمر وعسل وشمهٔ از صفات آن در سورهٔ محمد مرقوم رقم
بيان شد ودو چشمه از ان أهل خشيتست فيهما عينان تجريان ودو چشمه از ان أهل عينست فيهما
عينان نضاختان واين چهار چشمه در سورهٔ الرحمن آمد ديكر چشمهٔ رحيق از ان ابرارست
وچشمهٔ تسنيم از ان مقربان واين هر دو در سورهٔ مطففين مذكور شوند ودو چشمه از ان أهل
بهشت كافور وزنجبيل كه آنرا سلسبيل خوانند وشراب طهور نيز از ان ايشانست ومحققان

آنرا شراب شهود كويندكه مرآت دل نوشنده را بلوامع أنوار قدم روشن ساخته پذيراى نقوش عكوس ازل وابد كردانددر وقت حل أورا چنان صافى سازدكه مطالقا شوائب غيريه در مشارع وحدت نماندورنك دوكانكى مبدل كردانيده جام ومدام را يك رنك سازد * همه جامست ونيست كويى مى * يامدامست ونيست كويى جام * عارف كفته اكرفردا بزم نشينان دار بقارا براى آنكه سرور شراب طهور رخواهند چشانيدامروز باده نوشان خمخانۀ افضال رابقصد ازان نصيبى تمام داده اند * ازسقاهم ربهم بين جلهٔ ابرار مست * در جمال لايزالى هفت وپنج وچار مست * أى جوانمرد شراب آن شرابست كه دست غيب دهددرجام دل ريزد وعارف أورا نوش كندقومى راشراب مست كردوقومى راديدار

وأسكر القوم دوركأس * وكان سكرى من المدير

بزركى رابخواب نمودند كه معروف كرخى رحمه الله كرد عرش طواف مى كردورب العزه فرشتكانرا مى كفت أورا شناسيد كفتندنه كفت معروف كرخى است بمهرما مست شده تاديدۀ أو برما نيايد هشيار نكردد هركرا امروز شراب محبت نيست فردا أورا شراب طهور نيست قال بعضهم صليت خلف سهل بن عبد الله العتمة فقرأ قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا فجعل يحرك فمه كأنه يمص فلما فرغ من صلاته قيل له أتقرأ أم تشرب قال والله لولم أجد لذته عند قراءته كلذتى عند شربه ماقرأته * وفى التأويلات النجمية قوله عاليهم الخ يشير الى اتصاف أهل الجنة بملابس الصفات الالهية والاخلاق الربانية من خضر أى من الصفات الذاتية واستبرق أى من الصفات الاسمائية والى تحليهم بحلى أساور الاسماء الذاتية والصفاتية الزاهرة الباهرة وسقاهم ربهم بكأس الربوبية والتربية شراب المحبة الذاتية الطاهرة عن شوب كدورة ربقة الاغيار (ان هذا) على اضمار القول أى يقال لهم ان هذا الذى ترونه من فنون الكرامات ويجوز أن يكون خطابا من الله فى الدنيا للابرار أى ان هذا الذى ذكر من أنواع العطايا (كان لكم جزاء) عوضا بمقابلة أعمالكم الحسنة فان قيل كيف يكون جزاء لاعمالهم وهى مخلوقة لله عند أهل السنة وأجيب بانها لهم كسبا عندهم ولله خلقا (وكان سعيكم) وهست شتافتن شما دركار خيردر دنيا (مشكورا) مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب لخلوص نيتكم فيزداد بذلك فرحهم وسرورهم كما ان المعاقب يزداد غمه اذا قيل له هذا جزاء عملك الردىء فالشكر مجاز عن هذا المعنى تشبيها له بالشكر من حيث انه مقابل للعمل كما ان الشكر مقابل للنعم قال بعضهم أدنى الدرجات أن يكون العبد راضيا عن ربه واليه الاشارة بقوله كان لكم جزاء وأعلاها كونه مرضياله واليه الاشارة بقوله وكان سعيكم مشكورا ولما كان كونه مرضيا أعلى الدرجات ختم به ذكر مراتب الابرار وفى التأويلات النجمية ان هذا كان لكم جزاء لاقتضاء استعداداتكم الفطرية وكان سعيكم مشكورا غير متضيع بسبب الرياء والسمعة (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) أى مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لاغيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان وكأنه تعالى يقول ان هؤلاء الكفار يقولون ان ذلك كهانة وسحر فانا الملك الحق أقول على سبيل التأكيد ان ذلك وحى حق وتنزيل صدق من عندى فلا تكترث بطعنهم فانك أنت النبى الصادق المصدق (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرك على الكافرين فان له عاقبة حميدة ولا تستعجل فى أمر المقابلة والانتقام فان

الامور

الامور مرهونة بأوقاتها وكل آت قريب (ولا تطع منهم) أى من الكفار (آثما أو كفورا)
أو لاحد الشيئين والتسوية بينهما فاذا قلت فى الاثبات جالس الحسن أو ابن سيرين كان المعنى
جالس أحدهما فكذا اذا قلت فى النهى لا تكلم زيدا أو عمرا كان التقدير لا تكلم أحدهما
والاحد عام لكل واحد منهما فهو فى المعنى لا تكلم واحدا منهما فمآل المعنى فى الآية ولا تطع
كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه فأو للاباحة أى
للدلالة على أنهما سيان فى استحقاق العصيان أى عصيان المخاطب للداعى اليهما والاستقلال به
والتقسيم الى الآثم والكفور مع ان الداعين يجمعهم الكفر باعتبار ما يدعونه اليه من الاثم
والكفر لا باعتبار انقسامهم فى أنفسهم الى الآثم والكفور ولانهم كانوا كفرة والكفر أخبث
أنواع الاثم فلا معنى للقسمة بحسب نفس كفرهم واثمهم وذلك ان ترتب النهى على الوصفين مشعر
بعليتهما له فلا بد أن يكون النهى عن الاطاعة فى الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر فالمراد بالاثم
ما عدا الكفر اذ العام اذا قوبل بالخاص يراد به ما عدا ذلك الخاص وخص الكفر بالذكر تنبيها
على غاية خبثه من بين أنواع الاثم فكل كفور آثم وليس كل آثم كفورا ولا بعد أن يراد بالآثم من
هو تابع وبالكفور من هو متبوع (وقال الكاشفى) آثما كناهكارى راكه ترا با ثم خواند جون
عتبة بن ربيعة كه كفت از دعوت خود باز ايست تا دختر خود را بتو دهم او كفورا وناسپاسى
راكه ترا بكفر دعوت كند جون وليد بن مغيره كه كفت بدين آبا رجوع كن تا ترا توانكر سازم
وفى نهيه عليه السلام عن الاطاعة فيما يدعونه اليه مع أنه ما كان يطيع أحدا منهم ولا يتصور
فى حقه ذلك اشارة الى أن الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد من حيث ان طبيعتهم
التى جبلوا عليها ركب فيها الشهوة الداعية الى السهو والغفلة وان أحدا لو استغنى عن توفيق
الله وامداده وارشاده لكان أحق الناس به هو الرسول المعصوم فظهر أنه لا بد لكل مسلم أن
يرغب الى الله ويتضرع اليه أن يحفظه من الفتن والآفات فى جميع أموره وقال القاشانى
ولا تطع منهم آثما أى محتجبا بالصفات والاحوال أو بذاته عن الذات أو بصفات نفسه وهيآتها
عن الصفات أو كفورا محتجبا بالافعال والآثار واقتناعها أو بافعاله وبكسوباته عن الافعال
فتحتجب بموافقتهم انتهى عصمنا الله واياكم من موافقة الاعداء مطلقا (واذكر اسم ربك بكرة)
أول النهار (وأصيلا) أى عشيا وهو آخر النهار أى وداوم على ذكره فى جميع الاوقات فأريد
بقوله بكرة وأصيلا الدوام لانه عليه السلام كان آتيا بنفس الذكر المأمور به وانتصابهما على
الظرفية أو دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل كما يطلق على ما بعد العصر الى المغرب
فكذا يطلق على ما بعد الزوال فيتناول وقتى الظهر والعصر قال سعدى المفتى التأويل بالدوام
انما يحتاج اليه لو ثبتت فرضية الصلوات الخمس قبل نزولها والظاهر أنه كذلك فانها فرضت ليلة
المعراج يقول الفقير وفيه أن الصلوات الخمس وان فرضت ليلة المعراج الا أن المعراج كان قبل
الهجرة بسنة والتاريخ فى نزول الآية مجهول أهى نازلة قبل المعراج أم بعده فان كان الثانى
ثبت مطلوبه والا فلا قال القاشانى واذكر ذلك الذى هو الاسم الاعظم من أسمائه بالقيام بحقوقه
واظهار كمالاته فى المبدأ والمنتهى بالصفات الفطرية من وقت طلوع النور الالهى بايجادها
فى الازل وابداع كمالاته فيها او غروبه بتعينها واحتجابه بها واظهارها مع كمالاتها (ومن الليل

(فاسجد له) وفى بعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء پس معنى چنين باشد كه بر بعض نماز
مداومت نماى وتقديم الظرف للاهتمام لما فى صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص وأفضل
الاعمال أشقها وأخلصها من الرياء فاستحقت الاهتمام بشأنها وقدم وقتها لذلك ثم الفاء لافادة معنى
الشرط كأنه قال مهما يكن من شئ فاسجد له ففيه اوكادة أخرى لامرها وفى التأويلات النجمية
واعبد ربك المطلق حق العبودية بالفناء فيه من ليل طبيعتك وغلس بشريتك اذ السجود صورة
الفناء الذاتى والركوع صورة الفناء الصفاتى والقيام صورة الفناء الافعالى فافهم بعض
اسرار الصلاة (وسبحه ليلا طويلا) أى صل صلاة التهجد لانه كان واجبا عليه فى طائفة طويلة
من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه فقوله ليلا طويلا نصب على الظرفية فان قلت انتصاب ليلا على
الظرفية وطويلا نعت له ومعناه سبحه فى الليل الطويل فمن أين يفهم ما ذكرت من المعنى قلت
ظاهر ان توصيف الليل بالطول ليس للاحتراز عن القصير فان الامر بالتهجد يتناوله ايضا فهو
لتطويل زمان التسبيح وفى التعبير فى التهجد بالتسبيح وتأخير ظرفه دلالة على انه ليس فى مرتبة
ما قبله (ان هؤلاء) اى كفار مكة عاد الى شرح احوال الكفار بعد شرح صدره عليه السلام
بما ذكر من قوله انا نحن الخ (يحبون العاجلة) دوست ميدارند سراى شتابنده را يعنى دنيا را
وينهمكون فى لذاتها الفانية فهو الحامل لهم على الكفر والاعراض عن الاتباع لا اشتباه الحق
عليهم (ويذرون) يتركون (وراءهم) اى امامهم لا يستعدون فهو حال من يوما او ينبذون وراء
ظهورهم فهو ظرف ليذرون فوراء يستعمل فى كل من امام وخلف والظاهر فى وجه الاستعمال
ان وراء اسم للجهة المتوارية أى المستترة المختفية عنك واستتار جهة الخلف عنك ظاهر وما فى
جهة الامام قد يكون متواريا عنك غير شاهد ومعاين لك فيشبه جهة الخلف فى ذلك فيستعار
له اسم الوراء (يوما ثقيلا) لا يعبؤن به ويوما مفعول يذرون وثقيلا صفته ووصفه بالثقل مع أنه
من صفات الاعيان الجسمية لا الامتدادات الوهمية لتشبيه شدته وهوله بثقل الحمل الثقيل ففيه
استعارة تخييلية وفى الآية وعيد لاهل الدنيا ونعيمها خصوصا لاهل الظلم والرشوة (نحن)
لا غيرنا (خلقناهم) من نطفة (وشددنا أسرهم) أى أحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب ليتمكنوا
بذلك من القيام والقعود والاخذ والدفع والحركة وحق الخالق المنعم أن يشكر ولا يكفر ففيه
ترغيب والاسر الربط ومنه أسر الرجل اذا أوثق بالقد وقدر المضاف وهو المفاصل (وفى كشف
الاسرار) وآفرينش انسان سخت بستيم تا آفرينش واندامان برجاى بود فمعناه شددنا خلقهم
وقال الراغب اشارة الى الحكمة فى تركيب الانسان المأمور بتدبرها وتأملها فى قوله وفى
أنفسكم أفلا تبصرون وقيل وشددنا مخرج البول والغائط اذا خرج الأذى انقبض أو معناه
انه لا يسترخى قبل الارادة (واذا شئنا) تبديلهم (بدلنا امثالهم) اى بدلناهم بأمثالهم بعد
اهلاكهم والتبديل يتعدى الى مفعولين غالبا كقوله تعالى يبدل الله سيآتهم حسنات يعنى
يذهب بها ويأتى بدلها بحسنات (تبديلا) بديعا لا ريب فيه وهو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا
فالمثلية فى النشأة الاخرى انما هو فى شدة الاسر وباعتبار الاجزاء الاصلية ولا ينافيها الغيرية
بحسب العوارض كاللطافة والكثافة وبالفارسية وچون خواستيم بدل كنيم ايشانرا بامثال
ايشان در خلقت يعنى ايشانرا بميرانيم ودر نشأت ثانيه بما نند هم ميرصورت وهيأت باز آريم

أو المعنى واذا شئنا بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم ففيه ترهيب فالمثلية باعتبار الصورة ولا ينافيها الغيرية باعتبار العمل والطاعة واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية والا فالمناسب كلمة ان اذ لا تحقق لهذا التبديل قال القاشاني نحن خلقناهم بتعيين استعداداتهم وقويناهم بالميثاق الازلي والاتصال الحقيقي واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا بأن نسلب أفعالهم بافعالنا ونمحو صفاتهم بصفاتنا ونفني ذواتهم بذاتنا فيكونوا أبدالا (ان هذه تذكرة) اشارة الى السورة أو الآيات القريبة أي عظة مذكرة لما لابد منه في تحصيل السعادة الابدية جعلت عين التذكرة مبالغة وفي عين المعاني تذكرة أي اذكار بما غفلت عنه عقولهم (وقال الكاشفي) يامعامله أهل بيت در بذل وايثار عبرتيست مؤمنانرا تا بمثل آن عمل كنند واز مثل اين جزاها بهره يابند (فمن) پس هركه (شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أي فمن شاء أن يتخذ اليه تعالى سبيلا أي وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه أي تقرب اليه بالعمل بما في تضاعيفها وقال ابن الشيخ فمن شاء النجاة من ثقل ذلك اليوم وشدته اختار سبيلا مقربا الى مرضاة ربه وهو الطاعة (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) تحقيق للحق ببيان أن مجرد مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية وأن مع الفعل في حكم المصدر الصريح في قيامه مقام الظرف والمعنى وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا في الكسب وانما التأثير والخلق لمشيئة الله تعالى غاية ما في الباب أن المشيئة ليست من الافعال الاختيارية للعبد بل هي متوقفة على أن يشاء الله اياها وذلك لا ينافي كون الفعل الذي تعلقت به مشيئة العبد اختياريا له واقعا بمشيئته وان لم تكن مشيئته مستقلة فيه وهو الجبر المتوسط الذي يقول به أهل السنة ويقولون الامر بين الامرين أي بين القدر والجبر قال في عين المعاني قوله تعالى فمن شاء الخ حجة تكليف العبودية وقوله تعالى وما تشاؤن الخ اظهار قهر الالوهية (ان الله كان عليما حكيما) بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على أساس العلم والحكمة والمعنى أنه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيفعل ما يستأهله كل أحد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته قال القاشاني وما تشاؤن الا بمشيئتي بان أريد فتريدون فتكون ارادتكم مسبوقة بارادتي بل عين ارادتي الظاهرة في مظاهرهم ان الله كان عليما بما أودع فيهم من العلوم حكيما بكيفية ايداعها وابرازها فيهم باظهار كمالهم (يدخل من يشاء في رحمته) بيان لاحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته أي يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة (والظالمين) وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر (أعد لهم عذابا أليما) أي متناهيا في الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب أي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون أعد لهم تفسيرا لهذا المضمر وفي الآية اشارة الى ادخال الله بعض عباده في رحمة معرفته وأما بعض عباده وهم الظالمون الواضعون الضلالة في مقام الهداية والجهالة في مقام المعرفة فان الله أعد لهم عذاب الحجاب المؤلم للروح والجسم وأيضا عذابا بالوقوف على الرب لوقوفهم مع الغير ثم على النار لوقوفهم مع الآثار وختم الله السورة بالعذاب المعد يوم البعث والحشر ففيه حسن الخاتمة لموافقته الفاتحة على ما لا يخفى

على أهل النظر والفهم
تمت سورة الانسان بعون ذى الاحسان يوم الثلاثاء الرابع من شهر الله المحرم من شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف

(سورة المرسلات خمسون آية مكية استثنى منها واذا قيل لهم اركعوا الآية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) الواو للقسم والمرسلات بمعنى الطوائف المرسلات جمع مرسلة بمعنى طائفة مرسلة باعتبار أن ملائكة كل يوم أو كل عام أو كل حادثة طائفة وعرفا بمعنى متتابعة من عرف الفرس وهو الشعرات المتتابعة فوق عنقه فهو من باب التشبيه البليغ بأن شبهت الملائكة المرسلون فى تتابعهم بشعر عرف الفرس وانتصابه على الحالية أى جاريات بعضها اثر بعض كعرف الفرس أو العرف بمعنى المعروف والاحسان نقيض المنكر بمعنى المنكر أى الشئ القبيح فانهم ان أرسلوا للرحمة فظاهر وان أرسلوا للعذاب الكفار فذلك معروف للانبياء والمؤمنين يعنى ان عذاب الاعداء احسان للاولياء فانتصابه على العلية وعصفت الريح اشتدت وعصفا مصدر مؤكد وكذا نشرا وفرقا والفاء للدلالة على اتصال سرعة جريهن فى نزولهن وهبوطهن بالارسال من غير مهلة وهى لعطف الصفة على الصفة اذ الموصوف متحد والنشر بمعنى البسط والعدول الى الواو فى الناشرات لانها غير المرسلات فالقسم الاول وصفهم الله بوصفين يتعقب أحدهما على الآخر والقسم الثانى وصفهم بثلاثة أوصاف كذلك والفرق الفصل والالقاء هنا بمعنى الايصال والانزال لا الطرح وذكرا بمعنى الوحى مفعول الملقيات وترتيب الالقاء على ما قبله بالفاء ينبغى أن يكون لتأويله بارادة النشر والفرق وسيأتى تمامه أقسم الله بطوائف من الملائكة أرسلهن باوامره بنحو التدبير وايصال الارزاق بالتصرف فى الامطار والرياح وكتابة أعمال العباد بالليل والنهار وقبض الارواح فعصفن فى مضيهن يعنى سخت رفتند عصف الرياح مسارعة فى الامتثال بالامر وبطوائف أخرى نشرن أجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى أو نشرن الشرائع فى الاقطار أى فرقن وأشعن أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل أى احيين بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الى الانبياء (عذرا) لاهل الحق أى معذرة لهم فى الدنيا والآخرة لاتباعهم الحق (أو نذرا) لاهل الباطل لعدم اتباعهم الحق وعذرا مصدر من عذر اذا محا الاساءة ونذرا اسم مصدر من أنذر اذا خوف لا مصدر لانه لم يسمع فعل مصدرا من أفعل وانتصابهما على البدلية من ذكرا قال ابن الشيخ ان كان الذكر المبدل منه بمعنى جميع الوحى يكون عذرا ونذرا بدل البعض من الكل فان ما يتعلق بمغفرة المطيعين وتخويف المعاندين بعض من جملة الوحى وان اريد بالذكر المبدل منه ما يتعلق بسعادة المؤمن وشقاوة الكافر خاصة يكون بدل الكل من الكل فان القاء ما يتعلق بسعادة المؤمن متحد بالذات مع القاء عذره ومحو اساءته وكذا القاء ما يتعلق بشقاوة الكافر متحد مع القاء انذاره على كفره انتهى أو انتصابهما على العلية للصفات المذكورة أو للاخيرة وحدها وهو الاولى بمعنى فاللاتى ألقين ذكرا لمحو ذنوب المعتذرين الى الله بالتوبة والاستغفار ولتخويف المبطلين المصرين (وفى كشف الاسرار)

لاجل الاعذار من الله الى خلقه لئلا يكون لاحد حجة فيقول لم يأتنى رسول ولاجل انذارهم من عذاب الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عذرا أو نذرا قال يقول الله يا ابن آدم انما أمرضكم لاذكركم وأمحص به ذنوبكم وأكفر به خطاياكم وربكم أعلم أن ذلك المرض يشتد عليكم وأنا فى ذلك معتذرا اليكم قال بعضهم المعنى ورب المرسلات الخ وفى الارشاد لعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الالقاء أى مع أن الظاهر أن الفرق بين الحق والباطل يكون مع النشر لا بعده وأن القاء الذكر الى الانبياء متقدم على نشر الشرائع فى الارض واحياء النفوس الموتى والفرق بين الحق والباطل فلا يظهر التعقيب بينهما للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها أو للاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو جيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم أن مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق هذا وقد قيل فى هذا المقام غير ذلك لكن الحمل على الملائكة أوجه وأسد لما ذكرنا فى المدثر أن المحققين على أنه من الملائكة المرسلات والناشرات والملقيات وغير ذلك (قال فى كشف الاسرار) در روزكار خلافت عمر رضى الله عنه مردى بيامد از اهل عراق نام او صبيغ واز عمر ذاريات ومرسلات پرسيد صبيغ عادت داشت كه پيوسته از بن معضلات آيات پرسيدى يعنى تاكه مردم در وفرو مانند عمرا ورا دره زد وكفت لو وجدتك محلوقا لضربت الذى فيها عيناك يعنى اكر من ترا سر سترده يافتمى ترا كردن زدم عمر رضى الله عنه اين سخن را از بهر آن كفت كه از رسول خدا عليه السلام شنيده بود در صفت خوارج كه سيماهم التحليق كفت دراست من قومى خوارج پيدا آيند نشان ايشان آنست كه ميان سر سترده دارند پس عمر نامه نبشت با بو موسى الاشعرى وكان أميرا على العراق كه بكسال ابن صبيغ را مهجور داريد باوى منشينيد وسخن مكوييد پس از يكسال صبيغ توبه كرد وعذر خواست وعمر رضى الله عنه توبه وعذر وى قبول كرد شافعى رحمه الله كفت حكمى فى أهل الكلام كحكم عمر فى صبيغ قال فى القاموس صبيغ كامير ابن عسيل كان يعنت الناس بالغوامض والسؤالات فنفاه عمر الى البصرة انتهى (انما توعدون لواقع) جواب للقسم أى ان الذى توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فانما هذه ليست هى الحصرية بل ما فيها موصولة وان كتبت متصلة فى خط المصحف والموعود هو مجيء القيامة لان المذكور عقيب هذه الآية علامات يوم القيامة وقال الكاشى المراد ان كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع نظرا الى عموم لفظ الموصول * وفى التأويلات النجمية ان ما توعدون من يوم قيامة الفناء الكلى فى الله لواقع حاصل بالنسبة الى أهل المعرفة والشهود وأرباب الذوق والوجود وأما بالنسبة الى أهل الحجاب والاحتجاب فسيقع ان كانوا مستعدين لرفع الحجاب وكشف النقاب والى هذا الوقوع المحقق أشار بقوله كل شيء هالك الا وجهه أى فى الحال وبقوله كل من عليها فان أى فان فى عين البقاء اذ المقيد مستهلك فى اطلاق المطلق استهلاك نور الكواكب فى نور الشمس واستهلاك اعتبارات النصفية والثلثية والربعية فى الاثنين والثلاثة والاربعة ثم أخبر عن ظهور آثار يوم القيامة وحصول دلائلها لاهل الشقاوة بقوله (فاذا النجوم طمست) محيت ومحقت ذواتها فان الطمس محو الاثر الدال على الشيء وهو الموافق لقوله واذا الكواكب انتثرت أو ذهب بنورها والاول

أولى لانه لاحاجة فيه الى الاضمار والنجوم مرتفعة بفعل يفسره مابعده أو بالابتداء وطمست خبره والاول أولى لان اذا فيها معنى الشرط والشرط بالفعل أولى ومحل الجملة على الاعرابين الجر باذا وجواب اذا محذوف والتقدير فاذا طمست النجوم وقع ماتوعدون أوبعثتم أوجوزيتم على اعمالكم وحذف لدلالة قوله انما توعدون لواقع عليه وفيه اشارة الى محق نجوم الحواس العشر الظاهرة والباطنة عن ادراك الحقائق عند طلوع شمس الحقيقة (واذا السماء فرجت) صدعت من خوف الرحمن وشققت ووقعت فيها الفروج التى نفاها بقوله ومالها من فروج وفتحت فكانت أبوابا فالفرج الشق وكل مشقوق فرج وبالفارسية وآنكاه كه آسمان شكافته كردد وفيه اشارة الى صدع سماء الارواح وشقها عند سطوات التجليات الجلالية (واذا الجبال نسفت) جعلت كالحب الذى ينسف بالمنسف وهو ماينفض به الحب ويذرى ونحوه وبست الجبال بسا فالنسف والبس بالفارسية براكنده كردن ودميدن وفيه اشارة الى تلاشى جبال الخيالات والاوهام الفاسدة الكاسدة عند بوادى المشاهدات وهوادى المعاينات (واذا الرسل أقتت) أى عين لهم الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذلا يتعين لهم قبل حصوله فان علم ذلك الى الله تعالى يعنى أن تبيين وقت حضورهم لهم من جملة علامات القيامة من حيث ان ذلك التعين والتبيين لم يكن حاصلا فى الدنيا لعدم حصول الوقت فيقال لهم عند حصوله احضروا الشهادة فقد جاء وقتها أو المعنى واذا الرسل بلغوا الميقات الذى كانوا ينتظرونه وهو يوم القيامة فان التوقيت كما يجئ بمعنى تحديد الشئ وتعيين وقته فكذا يجئ بمعنى جعل الشئ منتهيا الى وقته المحدود وعلى المعنى الاول لايقع على الذوات بدون اضمار فان المؤقت هو الاحداث لا الجثث فلا يقال زيد مؤقت الا أن يراد مؤقت حضوره وكذا توقيت الرسل انما هو بالنسبة الى حضورهم لا بالنسبة الى ذواتهم لان الذوات قارة لايعتبر فيها تعيين بخلاف الزمانيات المتجددة هكذا قالوا وقال سعدى المفتى وفى وقوعه على المعنى الثانى على الجثث بدون اضمار بحث ظاهر وان ذهب اليه صاحب الكشف ونحوه وقرأ أبو عمرو وقتت على الاصل لانه من الوقت والباقون أبدلوا الواو همزة لان الضمة من جنس الواو فالجمع بينهما يجرى مجرى الجمع بين المثلين فيكون ثقيلا ولهذا السبب تستثقل الكسرة على الياء ولم تبدل فى نحو ولا تنسوا الفضل بينكم لان ضمة الواو ليست بلازمة فيه (وفى كشف الاسرار) الالف والواو لغتان والعرب تبدل الالف من الواو وتقول وسادة واسادة وكتاب مورخ ومؤرخ وقوس موتر ومؤتر وفى الآية اشارة الى رسل القلب والسر وتعيين وقت شهادتهم على أمة الاعضاء والجوارح (لأى يوم أجلت) مقدر بقول هو جواب لاذا فى قوله واذا الرسل أقتت اى يقال لأى يوم أخرت الامور المتعلقة بالرسل اى بجمعهم واحضارهم كما قال تعالى يوم يجمع الله الرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجب من هوله قال القاشانى واذا الرسل أى ملائكة الثواب والعقاب عينت وبلغت ميقاتها الذى عين لها اما لايصال البشرى والروح والراحة واما لايصال العذاب والكرب والذلة ليوم عظيم أخرت عن معاجلة الثواب والعقاب فى وقت الاعمال ورسل البشر وهم الانبياء عينت وبلغت ميقاتها الذى عين لهم فيه الفرق بين المطيع والعاصى والسعيد والشقى فان الرسل يعرفون كلا بسيماهم (ليوم الفصل) بيان

ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق ويقضى بالحقوق ويحكم بين المحسن والمسيء ويميز بين أرباب شهود الوحدة الذاتية وبين أصحاب شهود الكثرة الاسمائية والصفاتية وقال بعضهم يفصل فيه بين الحبيب وحبيبه الامن كان معاملته لله فى الله وبين الرجل وأمه وأبيه وأخيه الا أن يكونوا متفقين على الحق والعدل (وما أدراك ما يوم الفصل) ما مبتدأ أدراك خبره أى أى شئ جعلك دار يا وعالما ما هو وما كنهه اذلم تر مثله وكذا لم ير أحد قبلك شدته حتى تسمع منه (قال الكاشفى) وچه چيز دانا كرد ترا كه چيست روز فصل چه كنه او وراتوان دانست فوضع موضع الضمير ليوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على أن ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل أمرا بديعا هائلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبريه ما لا بيان كون أمر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه (ويل) واى (يومئذ) أى فى ذلك اليوم الهائل (للمكذبين) بيوم يفصل فيه الرحمن بين الخلائق أى الويل والهلاك ثابت فيه لهم والويل فى الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لامن لفظه فأصله أهلكهم الله اهلاكا أو هلك هو هلاكا عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه أو صفته ووضع الويل موضع الاهلاك أو الهلاك مجاز ووقوعه مبتدأ مع كونه نكرة فانه لما كان مصدرا سادا مسد فعله المختص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة متخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء بها لذلك كما قالوا فى سلام عليك وقال بعضهم الويل واد فى جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره أى ذابت وقال الجنيد قدس سره الويل يومئذ لمن كان يدعى فى الدنيا الدعاوى الباطلة (ألم نهلك الاولين) كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن هلكوا قبل بعثة سيد المرسلين عليه السلام وذلك لتكذيبهم بيوم الفصل وهو استفهام انكار لعدم الاهلاك اثباتا وتقريرا له لان نفى النفى يثبت الاثبات ويحقق الاهلاك فكأنه قيل لم يكن عدم الاهلاك بل قد أهلكناهم (ثم نتبعهم الآخرين) وهم الذين كانوا بعد بعثته عليه السلام وهو بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم فى الكفر والتكذيب أى نجعلهم تابعين للاولين فى الاهلاك فليس الكلام معطوفا على ما قبله لان العطف يوجب أن يكون المعنى أهلكنا الاولين ثم أتبعناهم الآخرين فى الاهلاك وليس كذلك لان اهلاك الآخرين لم يقع بعد فلذلك رفع نتبع على أن يكون مقطوعا عما قبله ويستأنف به الكلام على وجه الاخبار عما سيقع فى المستقبل باضمار المبتدأ وفيه وعيد لكفار مكة (كذلك) أى فعلا مثل ذلك الفعل الذى أخبر به فمحل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر محذوف (نفعل بالمجرمين) بكل من أجرم أى سنتنا جارية على ذلك وفيه تحذير من عاقبة الجرم وسوء أثره (ويل) مكروهى بزرك (يومئذ) يوم اذ أهلكناهم (للمكذبين) بآيات الله وأنبيائه وليس فيه تكرير لما أن الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا العذاب الدنيا وفى برهان القرآن كررها فى هذه السورة عشر مرات لان كل واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الاولى فلا يكون تكرارا مستهجنا ولو لم يكرر كان متوعدا على بعض دون بعض وقيل ان من عادة العرب التكرار والاطناب كما أن عادتهم الاقتصار والايجاز ولان بسط الكلام فى الترغيب والترهيب أدعى الى ادراك البغية من الايجاز وقد يجد كل أحد فى نفسه من تأثير التكرار

مالا خفاء به (ألم نخلقكم) أى ألم نحدثكم واتفق القراء على ادغام القاف فى الكاف فى هذا الحرف وذكر النقاش أنه فى قراءة ابن كثير ونافع برواية قالون وعاصم فى رواية حفص بالاظهار قاله فى الايضاح (من ماء مهين) بهوان الحدوث والامكان والابتذال أى من نطفة قذرة مهينة يعنى خوار وبى مقدار والميم أصلية ومهانته قلته وخسته وكل شئ ابتذلته فلم تصنه فقد امتهنته أى خلقنا كم منه ولذا عطف عليه قوله (فجعلناه) أى الماء وبالفارسية پس نگاه داشتيم آن آب را (فى قرار مكين) وهو الرحم بكسر الحاء المهملة أى وعاء الولد فى بطن الام يعنى درقرار كاه استواركه رحمست فالقرار موضع الاستقرار والمكين الحصين أى جعلنا ذلك الماء فى مقر حصين يتمكن فيه الماء محفوظا سالما من التعرض له فمكين من المكانة بمعنى التمكن لامنها بمعنى المنزلة والمرتبة من الكون يقال رجل مكين فى مكة أى متمكن فيها ومكين عند الامير أى ذو منزلة ومرتبة عنده فيكون فعيلا لا مفعلا (الى قدر معلوم) أى مقدار معلوم من الوقت الذى قدره الله للولادة تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر وهو فى موضع الحال من الضمير المنصوب فى فجعلناه أى مؤخرا الى مقدار معلوم من الزمان (فقدرنا) أى فقدرناه والمراد تقدير خلقه وجوارحه وأعضائه وألوانه ومدة حمله وحياته ويدل على كون قدر المخفف لغة بمعنى قدر المشدد قراءة نافع والكسائى بالتشديد (فنعم القادرون) أى نحن بمعنى المقدرون والى هذا المعنى ذهب ابن مسعود رضى الله عنه ويجوز أن يكون فقدرنا من القدرة بمعنى فقدرنا على ذلك أى على خلقه وتصويره كيف شئنا وأردنا من مثل تلك المادة الحقيرة على أن المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل ويعضده قوله فنعم القادرون حيث خلقناه بقدرتنا وجعلناه على أحسن الصور والهيات (ويل) بزركتر بلايى (يومئذ للمكذبين) اى بقدرتنا على ذلك وعلى الاعادة قال ابو الليث اى الشدة من العذاب لمن يرى الخلق الاول وأنكر الخلق الثانى (ألم نجعل الارض كفاتا) عرفهم اولا نعمه الانفسية لانها كالاصل ثم أتبعها النعم الآفاقية والكفت بالضم آوردن والكفات اسم ما يكفت اى يضم ويجمع من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه كالضمام لما يضم والجماع لما يجمع نحو التقوى جماع كل خير والخمر جماع كل اثم وكفاتا مفعول ثان لنجعل لانه بمعنى الم نصيرها كفاتا تكفت وتضم (احياء) كثيرة على ظهرها فهو منصوب بفعل مضمر يدل عليه كفاتا وهو تكفت والافالاسماء الجامدة وكذا أسماء الزمان والمكان والآلة وان كانت مشتقة لا تعمل وفى اسم المصدر خلاف واما المصدر وجمع اسم الفاعل فهما من الاسماء العاملة فمن جعل الكفات مصدرا او جمع اسم الفاعل وهو كافت كصيام جمع صائم جعله عاملا ومن جعله اسما لما يكفت أو جمع الكفت بمعنى الوعاء منعه من العمل غير الزمخشرى فانه جعل كفاتا وهو اسم عاملا وقد طعن فيه (وأمواتا) غير محصورة فى بطنها ولهذا كانوا يسمون الارض اما تشبيها لها بالام فى ضمها للناس الى نفسها أحياء وأمواتا كالام التى تضم أولادها اليها وتضبطهم ولما كانوا ينضمون اليها جعلت كأنها تضمهم وأيضا كما أن الارض كفات الاحياء بمعنى أنهم يسكنون فيها كذلك أنها كفات لهم بمعنى أنها تكفت ما ينفصل من الاحياء من الامور المستقذرة وتنكيرهما فى معنى التعريف الاستغراقى لا للافراد والنوعية ويجوز أن يقال ان الارض وان كانت كفاتا لجميع أحياء الانس وأمواتهم لكن الاحياء والاموات غير منحصرة

فيها لان بعض الحيوان يكفته الهواء والبعض الآخر يكفته الماء فلا تكون كفاتا للجميع بل للبعض فيصح التنكير ونقل عن القفال أنه قال دلت الآية على وجوب قطع يد النباش من حيث انه تعالى جعل الارض كفات الميت فتكون حرزا والسارق من الحرز يجب عليه القطع (وجعلنا فيها رواسى) أى جبالا ثوابت يعنى وبيافريديم در زمين كوهها استوار وپاى برجا فمفعول جعلنا مقدر ورواسى صفة له من رسا الشئ يرسو أى ثبت والجبال ثوابت على ظهر الارض لا تزول (شامخات) صفة بعد صفة والشامخ العالى المرتفع أى طوالا شواهق يعنى بلند وسرفراز ومنه شمخ بأنفه عبارة عن الكبر وفى عين المعانى رواسى أى ثوابت الاصول رواسخ العروق شامخات أى مرتفعات الفروع ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث فى غير العقلاء مطرد كأشهر معلومات ونحوه والتنكير للتفخيم أو للاشعار بأن ما يرى على ظهر الارض من الجبال بعض منها وان فى عداد الجبال ما لم يعرف ولم ير فان السماء فيها جبال أيضا بدلالة قوله تعالى من جبال فيها من برد (وأسقيناكم) وبياشاميديم شمارا (ماء فراتا) أى عذبا جدا بان خلقنا فيها أنهارا ومنابع أى جعلناه سقيا لكم ومكناكم من شربه وكذا من سقيه دوابكم ومزارعكم وسمى نهر الكوفة فراتا للذته وقال أبو الليث ماء عذبا من السماء ومن الارض يقال الفرات للواحد والجمع وتاؤه أصل والتنكير للتفخيم أو لافادة التبعيض لان فى السماء ماء فراتا أيضا بل هى معدنه ومصبه (ويل) واد فى جهنم (يومئذ) دران روز خطرناك (للمكذبين) بامثال هذه النعم العظيمة (انطلقوا) أى يقال يومئذ للمكذبين بطريق التوبيخ والتقريع انطلقوا واذهبوا والقائلون خزنة النار وزبانية جهنم (الى ما كنتم به تكذبون) فى الدنيا من العذاب وبه متعلق بتكذبون قدم لرعاية نظم الآية (انطلقوا) خصوصا (الى ظل) اى الى ظل دخان نار جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم اى دخان غليظ أسود (ذى ثلاث شعب) جمع شعبة يعنى خداوند سه شاخ يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب فقوله ذى ثلاث شعب كناية عن كون ذلك الدخان عظيما بناء على أن التشعب من لوازمه وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق وهو ما يمد فوق صحن البيت ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش قال القاضى أخذا من التفسير الكبير خصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة فى الدماغ المشوشة للنفس عن ادراك الحقائق والقوة الغضبية السبعية التى عن يمين القلب الدافعة للنفس عن القيام على حق الاعتدال والقوة الشهوية البهيمية التى عن يساره المانعة للنفس عن الاتصاف بالاوصاف الالهية ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره فجميع ما يصدر عن الانسان من العقائد الفاسدة والاعمال الباطلة لا ينشأ الا من هذه القوى الثلاث الواهمة والغضبية والشهوية فهذه الثلاث لما كانت منبع جميع الآفات الصادرة عن الانسان تشعبت شعب العذاب على حسبها پس هركه خواهد كه فردا ازين دخان كه ظل من يحموم اشارت بدانست ايمن كردد امروز بنور عقل متمسك شده از تيركى صفت شيطانى وسبعى وبهيمى ببايد كذشت * زنار يكى خشم وشهوت حذركن * كه از دود آن چشم دل تيره كردد * غضب چون درآمد

رود عقل بيرون * هوى چون شود چيره جان خيره كرددو يحتمل أن تكون المخصوصية لتضييعهم القوى الثلاث التى هى السمع والبصر والفؤاد كما قال تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون فشكرها ورعايتها مبدأ السعادات وعدم محافظتها واتلافها منشأ الشقاوات * يقول الفقير عندى وجه آخر وهو أن الايمان عبارة عن التصديق والاقرار والعمل فجعلت كل شعبة من الثلاث بمقابلة واحدة من هذه الاركان دل على هذا قوله تعالى انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون فأورد التكذيب الذى هو صفة القلب فان القلب لكونه مدار الاعضاء والقوى اذا فسد فسد اللسان وسائر الاركان فالتكذيب ظلمة باطنة للقلب ضوعفت بظلمة ترك الاقرار والعمل فلما تضاعفت الظلمات الباطنة فى الدنيا تضاعفت الظلمات الظاهرة فى الآخرة لان لكل عمل وصفة صورة شخصية جسدانية يوم القيامة (لا ظليل) أخذ من الظل للتأكيد كنوم نائم أى لا يظل من الحر وتوصيف الظل بأنه لا يظل من حر ذلك اليوم وهو حر النار للدلالة على أن تسمية ما يغشاهم من العذاب بالظل استهزاء بهم فان شأن الظل أن يدفع عمن يستظل به مقاساة شدة الحر وأنه ينفعه ببرده ونسيمه والذى أمروا بالانطلاق اليه يضاعف عليهم ما هم فيه من الحر والعذاب فضلا عن أن يستريحوا ببرده أو رتلما أوهمه لفظ الظل من الاستروح كما مر فى الواقعة (ولا يغنى من اللهب) أى غير مغن لهم من حر اللهب كما يغنى ظل الدنيا من الحر فقوله لا ظليل فى موضع الجر على أنه صفة لظل ولفظ لا غير مانع للصفتية أى ظل غير ظليل وغير مغن ومفعول يغنى محذوف هو شيأ ومن ابتدائية ويغنى من أغنى عنى وجهه أى أبعده لان الغنى عن الشئ يباعده كما أن المحتاج اليه يقاربه فصح أن يعبر باغناء شئ عن شئ عن ابعاده عنه فكان المعنى ان هذا الظل لا يظلكم من حر الشمس ولا يدفع عنكم لهب النار واللهب ما يعلو على النار اذا اضطرمت من أحمر وأصفر وأخضر * وفى التأويلات النجمية ظل الروح وظل القلب ظل ظليل ممدود نفعه وأثره وروحه لا ظل النفس والهوى وقال بعضهم ظل شجرة النفس الخبيثة المنقطعة عن نور الوحدة بظلمة ذاتها ليس بظليل كظل شجرة طوبى فلا يفيد الروح والراحة بخلاف ظل شجرة النفس الطيبة المنورة بنور الوحدة الغير المتشعبة الى الشعب المختلفة المتضادة كالشيطانية والسبعية والبهيمية (انها) أى الشعب لانها هى المذكورة لا النار (ترمى بشرر) مى افكندد از روز شرارها را كه هر شراره (كالقصر) مانند كوشكى عظيم أى كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها كما دل على هذا التفسير قوله كأنه جمالة صفر فالشرر جمع شررة وهى ما تطاير من النار فى الجهات متفرقا كالنجوم كما قال فى القاموس الشرار والشرر كسحاب وجبل ما يتطاير من النار واحدتهما بهاء انتهى وكالقصر فى موضع الصفة للشرر والقصر مفرد وهو البناء العالى ووصف به الجمع باعتبار كل واحد من آحاده والقصر أيضا الحطب الجزل ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير الآية هى الخشب العظام المقطعة وكانعمد الى الخشب فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه تدخرها للشتاء فكنا نسميها القصر أى لكونها مقصورة مقطوعة من الممدودة الطويلة تأمل فى أن نارا دخانها وشررها هكذا فما بالك بحال أهلها (كأنه) أى الشرر وفى فتح الرحمن كأنه أى النار ثم رد الضمير الى لفظ النار دون معناها فقال كأنه (جمالة صفر) جمع جمل كحجارة فى جمع حجر والتاء لتأنيث الجمع أو اسم جمع

كالحجارة والجمل ذكر الابل والناقة أنثاه واذا لم يكن في جماعة الابل أنثى يقال جمالة بالكسر والصفر جمع أصفر والصفرة لون من الالوان التي بين السواد والبياض وهي الى البياض أقرب ولذلك قد يعبر بها عن السواد والمعنى كأن كل شررة جمل أصفر أو جمل أسود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة كما قيل لبعض الظباء آدم لان بياضها تعلوه كدرة ولان صفر الابل يشوب رؤس أشعارها سواد وفي الحديث (شرار جهنم أسود كالقير) فالاول وهو التشبيه بالقصر تشبيه في العظم والثاني وهو التشبيه بالجمل في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وفي المفردات قوله تعالى كأنه جمالة صفر قيل جمع أصفر وقيل بل أراد به الصفر المخرج من المعادن ومنه قيل للنحاس صفر * وفي التأويلات النجمية كل صفة من الاوصاف البهيمية والسبعية والشيطانية بحسب الغلظة والشدة كالقصور المرتفعة والبروج المشيدة أو كأنه جمالة صفر عظيمة الهيكل طويلة الاشر صفر من شدة قوة النار في ذلك الشرر وهي القوة الغضبية (ويل) مشقت بسيار (يومئذ للمكذبين) باهوال يوم القيامة وأحوال العصاة فيه (وقال الكاشفي) مر دروغ زنانراست كه مشقت دوزخ وشرارهاى آنرا باور ندارند (هذا يوم لا ينطقون) اشارة الى وقت دخولهم النار ويوم مرفوع على أنه خبر هذا أي هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لما أن السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك وأيضا يوم القيامة يوم طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم أو لا ينطقون بشيء ينفعهم فان ذلك كلا نطق قال القاشاني لا ينطقون لفقدان آلات النطق وعدم الاذن فيه بالختم على الافواه وقال بعضهم لا ينطقون من شدة تحيرهم وقوة دهشتهم وقال أبو عثمان رحمه الله أسكتتهم هيبة الربوبية وحياء الذنوب كما قال الشيخ سعدي رحمه الله * سر از جيب غفلت برآور كنون * كه فردا نماند بخجلت نكون (ولا يؤذن لهم) ودستورى ندهند مر ايشانرا در اعتذار (فيعتذرون) عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي أي لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب والنصب يوهم أن لهم عذرا وقد منعوا من ذكره وهو خلاف الواقع اذ لو كان لهم عذر لم يمنعوا وأي عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه (ويل) كرب واندوه (يومئذ للمكذبين) بهذه الاخبار وبما جاء من الحق الواقع البتة (هذا) اليوم الذي شاهدتم اهواله واحواله (يوم الفصل) بين الحق والباطل وقال البقلي هذا يوم مفارقة النفس والشيطان عن جوار قلب العارف وانفصال كل شيء عن كل محب غير محبوبه حيث استغرق في جوده وشهوده ووجوده (جمعناكم) يا امة محمد (والاولين) من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل اذ الفصل بين المحق والمبطل والرسل لا يتحقق الا بجمع الكل فلا بد من حضارهم لاسيما عند من لا يجوز القضاء على الغائب (فان كان لكم كيد) حيلة تدفعون بها عنكم العذاب والظاهر أن هذا خطاب من الله للكفار (فكيدون) أصله فكيدوني حذف ياء المتكلم اكتفاء بالكسرة والنون للوقاية وهو أمر من كاد يكيد كيدا وهو المكر والاحتيال والخديعة والمعنى واحتالوا لانفسكم وتخلصوا من عذابي ان قدرتم فان جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم حاضرون يعني حيله با خداى پيش نرود و بمكر ودستان عذاب از خود دفع نتوانيد كرد * بمكر وحيله عذاب خداى رد نشود * نياز بايد واخلاص وناله سحرى * توان

خريديك آه ملك هردوجهان * ازان معامله غافل مشوكه حيف خورى * وهذا أمر اهانة
وخطاب تعجيز وتقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا وتخجيل لهم بأنهم كانوا فى الدنيا
يدفعون الحقوق عن أنفسهم ويبطلون حقوق الناس بضروب الحيل والمكايد والتلبيسات
فخاطبهم الله حين علموا أن الحيل منقطعة والتلبيسات غير ممكنة بقوله فان كان لكم كيد
فكيدون لما ذكر من التقريع والتخجيل ولاظهار عجزهم عن الكيد فان مثل هذا الكلام
لا يتكلم به الا من تيقن بعجز مخاطبه عما هو بصدده وفى بعض التفاسير أى فان وجد كيد نافع لكم
على أن لكم متعلق بكان أو نافعا لكم على أنه حال من كيد (ويل) غم وغصة (يومئذ) دران روز
هولناك (للمكذبين) حيث ظهر أن لا حيلة لهم فى الخلاص من العذاب (ان المتقين) من الكفر
والتكذيب لانهم فى مقابلة المكذبين ففيه رد على المعتزلة (فى ظلال) جمع ظل كشعاب وشعب أو
ظلة كقباب وقبة أى فى ظلال ظليلة على الحقيقة كما يدل عليه الاطلاق يعنى لا كظل المكذبين
وبالفارسية درسايهاى درختان بهشت باشند قال بعضهم الظاهر أنه اخبار عن كونهم تحت
أشجار مثمرة لهم فى جنانهم * يقول الفقير الاظهر أن كونهم فى ظلال كناية عن راحتهم العظمى
لان الظل للراحة وكذا قوله تعالى وندخلهم ظلا ظليلا ونحوه واعاذكر الله الظل تشويقا
للقلوب لان من البلاد ما هى حارة قليلة المياه والاشجار والظلال (وعيون) عذبة دافعة عنهم
العطش وبالفارسية وبركنار چشمهاى آب (وفواكه) أى ألوان الفاكهة يعنى ودرميان ميوها
(مما يشتهون) ويتمنون يعنى ازآنچه آرزو كنند فيتنا ولونها لا عن جوع وامتلاء بل عن شهوة
وتلذذ والحاصل أنهم مستقرون فى فنون الترفه وأنواع التنعم خلاف ما عليه مخالفوهم (كلوا
واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين فى الخبر أى مقولا لهم
كلوا من نعم الجنة وثمراتها واشربوا من مائها وشرابها أكلا وشربا هنيئا سائغا فاقها بلاداء
ولا تخمة بسبب ما كنتم تعملونه فى الدنيا من الاعمال الصالحة خصوصا الصيام كما مضى فى الحاقة
وهذا أمر اكرام اظهارا للرضا عنهم والمحبة لهم تمسك القائلون بايجاب العمل للثواب بالباء
السببية والجواب أن السببية انما هى بفضل الله ووعده الذى لا يخلف لا بالذات بحيث يمتنع
عدمه أو يوجب النقص أو الظلم (انا كذلك) الجزاء العظيم (نجزى المحسنين) أى فى عقائدهم
وأعمالهم لا جزاء أدنى منه (ويل يومئذ للمكذبين) حيث نال أعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم
بقوا فى العذاب المخلد الوبيل (وقال الكاشفى) حيل أوقبح ودم مراهل تكذيب راست كه بنعيم
بهشت نمى كروند * وفى التأويلات النجمية ان المتقين بالله عما سواه أى المتقين بنور الوحدة
عن ظلمة الكثرة وبنور المعرفة عن ظلمة النكرة فى ظلال الاوصاف الالهية والاخلاق الربانية
وعيون من مياه العلوم والحكم وفواكه مما يشتهون من التجليات الروحانية والتنزلات
النورانية كلوا من أطعمة المواهب الهنية واشربوا من أشربة المشارب التوحيدية هنيئا
بما كنتم تعملون من الاعمال الصالحة والافعال الحسنة انا كذلك نجزى المحسنين المشاهدين
لجمالنا المطلق ويل يومئذ للمكذبين باحسان الجزاء وجزاء الاحسان (كلوا) أى مكذبان ازنعيم
فانى دنيا (وتمتعوا) تمتعا (قليلا) أو زمانا قليلا يعنى عيشوا مدة قليلة الى منتهى آجالكم لان زمان
الدنيا قليل كتاعها وبالفارسية وبرخورداز عمر زمانى اندك (انكم مجرمون) كافرون

مستحقون للعذاب وبالفارسية بدرستى كه شما مشركانيد وعاقبت شمارا عذاب دائمست قوله كلوا الخ مقدر بقول هو حال من المكذبين قال فى الكواشى لا أحب الوقف على المكذبين ان نصبت كلوا حالا منه والمعنى الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا بما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع الفانى عن قريب على النعيم الخالد فلا يرد كيف يقال لهم ذلك ولا تمتع لهم فيها يعنى أن هذا القول لهم فى الآخرة لا يكون لطلب الاكل والتمتع منهم بنعيم الدنيا حقيقة لعدم امكانه بل انما يقال لهم للتذكير المذكور فيكون الامر أمر توبيخ وتحسير وتحزين وعلل ذلك باجرامهم دلالة على أن كل مجرم ماله هذا أى ليس له الا الاكل والتمتع أياما قلائل ثم البقاء فى الهلاك الابدى (ويل) واى (يومئذ) دران روز جزا (للمكذبين) حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل * وفى التأويلات النجمية انكم مجرمون أى كاسبون الهيآت الردية والملكات الغير المرضية ويل يومئذ للمكذبين بان الاوصاف الحميدة أفضل من الاخلاق الذميمة (واذا قيل لهم) أى للمكذبين (اركعوا) أى أطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لان الركوع والانحناء لاحد تواضع له وتعظيم والسجود أعظم منه فى التواضع والتعظيم ومن ذلك قالوا ان السجود لغير الله كفر ان كان للعبادة وخطر عظيم ان كان للتعظيم وفى حواشى ابن الشيخ الركوع فى اللغة حقيقة فى مطلق الانحناء الحسى وركوع الصلاة من جملة افراده وتفسيره بالاطاعة والخضوع مجاز لغوى تشبيها له بالانحناء الحسى (لا يركعون) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا أمروا بالصلاة أو بالركوع لا يفعلون اذ روى أنه نزل حين أمر رسول الله عليه السلام ثقيفا بالصلاة فقالوا انا لا نخر ولا نجبى أى لا نقوم قيام الراكع فانها سبة علينا أى ان هيئة التجبية هيئة تظهر وترفع فيها السبة وهى الاست أى الدبر وهو عار وعيب علينا فقال عليه السلام لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود وفى بعض التفاسير كانوا فى الجاهلية يسجدون للاصنام ولا يركعون لها فصار الركوع من أعلام صلاة المسلمين لله تعالى وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة فى الآخرة كما سبق مرارا (قال الكاشفى) مراد آنست كه مسلمان نشوند چه ركن اعظم اسلام بعد از شهادتين نمازست وفيه ذم عظيم لتارك الصلاة حيث لا يجيب داعى الله أى المؤذن فانه يدعو فى الاوقات الخمسة المؤمنين الى بيت الله واقامة الصلاة وقس عليه سائر الداعين * وفى التأويلات النجمية واذا قيل لهم اركعوا أى افنوا عن اللذات الحيوانية وابقوا باللذات الروحانية اذ هى مناجاة الروح والسر مع الله ولا ألذ منها (ويل يومئذ للمكذبين) نفرين آن روز بر دروغ زنانراست كه ركوع وسجود را تكذيب كنند وبشرف اسلام نمى رسند (فبأى حديث) أى خبر يخبر بالحق وينطق عما كان وما يكون على الصدق (بعده) أى بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به أى القرآن الجامع لجميع الاحاديث فقوله فبأى الخ جواب شرط محذوف وكلمة بعد بمنزلة ثم فى افادة التراخى الرتبى أى فاذا لم يؤمنوا به وهو موصوف بما ذكر فبأى كتاب يؤمنون ختم السورة بالتعجيب من الكفار لان الاستفهام للتعجيب وبين أنهم فى

خريديك آه ملك هردوجهان * ازان معامله غافل مشوكه حيف خورى * وهذا أمر اهانة وخطاب تعجيز وتقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا وتخجيل لهم بأنهم كانوا فى الدنيا يدفعون الحقوق عن أنفسهم ويبطلون حقوق الناس بضروب الحيل والمكايد والتلبيسات فخاطبهم الله حين علموا أن الحيل منقطعة والتلبيسات غير ممكنة بقوله فان كان لكم كيد فكيدون لما ذكر من التقريع والتخجيل ولاظهار عجزهم عن الكيد فان مثل هذا الكلام لا يتكلم به الا من تيقن بعجز مخاطبه عما هو بصدده وفى بعض التفاسير أى فان وجد كيد نافع لكم على أن لكم متعلق بكان أو نافعا لكم على أنه حال من كيد (ويل) غم وغصة (يومئذ) دران روز هولناك (للمكذبين) حيث ظهر أن لا حيلة لهم فى الخلاص من العذاب (ان المتقين) من الكفر والتكذيب لانهم فى مقابلة المكذبين فيه رد على المعتزلة (فى ظلال) جمع ظل كشعاب وشعب أو ظلة كقباب وقبة أى فى ظلال ظليلة على الحقيقة كما يدل عليه الاطلاق يعنى لا كظل المكذبين وبالفارسية درسايهاى درختان بهشت باشند قال بعضهم الظاهر أنه اخبار عن كونهم تحت أشجار مثمرة لهم فى جناتهم * يقول الفقير الاظهر أن كونهم فى ظلال كناية عن راحتهم العظمى لان الظل للراحة وكذا قوله تعالى وندخلهم ظلا ظليلا ونحوه وانما ذكر الله الظل تشويقا للقلوب لان من البلاد ما هى حارة قليلة المياه والاشجار والظلال (وعيون) عذبة دافعة عنهم العطش وبالفارسية وبركنار چشمهاى آب (وفواكه) أى ألوان الفاكهة يعنى ودرميان ميوها (مما يشتهون) ويتمنون يعنى ازآنچه آرزو كنند فيتناولونها الا عن جوع وامتلاء بل عن شهوة وتلذذ والحاصل أنهم مستقرون فى فنون الترفه وأنواع التنعم خلاف ما عليه مخالفوهم (كلوا واشربوا هنيأ بما كنتم تعملون) مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين فى الخبر أى مقولا لهم كلوا من نعم الجنة وثمراتها واشربوا من مائها وشرابها أكلا وشربا هنيأ سائغا لذيذا فيها بلا داء ولا تخمة بسبب ما كنتم تعملونه فى الدنيا من الاعمال الصالحة خصوصا الصيام كما مضى فى الحاقة وهذا أمر اكرام لاظهار الرضا عنهم والمحبة لهم غلط القائلون بايجاب العمل للثواب بالباء السببية والجواب أن السببية انما هى بفضل الله ووعده الذى لا يخلف لا بالذات بحيث يمتنع عدمها أو يوجب النقص أو الظلم (انا كذلك) الجزاء العظيم (نجزى المحسنين) أى فى عقائدهم وأعمالهم لا جزاء أدنى منه (ويل يومئذ للمكذبين) حيث نال أعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا فى العذاب المخلد الوبيل (وقال الكاشفى) حيل أو قيح ودم مر اهل تكذيب راست كه رجع بهشت نمى كريند وفى التأويلات النجمية ان المتقين بالله عما سواه أى المتقين بنور الإيمان والتسرد عن ظلمة الكفر وبنور المعرفة عن ظلمة النكرة فى ظلال الاوصاف الالهية والاخلاق الالهية والشرب وعيون من مياه العلوم والحكم وفواكه مما يشتهون من التجليات الروحانية والتنزلات أيضا النورانية كلوا من أطعمة المواهب الهنية واشربوا من أشربة المشارب التوحيدية هنيأ بما كنتم تعملون من الاعمال الصالحة والافعال الحسنة انا كذلك نجزى المحسنين المشاهدين لجماله المطلق ويل يومئذ للمكذبين باحسان الجزاء وجزاء الاحسان (كلوا) أى مكذبان از نعيم فانى دنيا (وتمتعوا) تمتعا (قليلا) أو زمانا قليلا يعنى عيشا ومدة قليلة الى منتهى آجالكم لان زمان الدنيا قليل ومتاعها وبالفارسية وبرخوردار شويد زمانى اندك (انكم مجرمون) كافرون

مستحقون

(الذى هم فيه مختلفون) وصف للنبأ بعد وصفه بالعظيم تأكيدا لخطره اثر تأكيد واشعار بمدار
التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة
اسمية للدلالة على الثبات أى هم راسخون فى الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هى الا
حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين ومن مقر يزعم أن آلهته تشفع له
كما قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومن شاك يقول ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن
بمستيقنين وفيه اشارة الى القيامة الكبرى وهى البقاء بعد الفناء أو بعث القلب بعد موت
النفس فالروح وقواه تقربها والنفس وصفاتها تنكرها لانها جاهلة فضلا عن كونها ذائقة ومن لم
يذق لم يعرف (قال الكمال الخجندى) زاهد چه عجب گر كند از عشق تو پرهيز * كين لذت اين باده چه
داند كه نخوردست * فطوبى للذائقين ويا حسرة للمحرومين (كلا سيعلمون) ردع كما يستفاد من
كلا ووعيد كما يستفاد من سيعلمون أى ليس أمر البعث مما ينكر أو يشك فيه بحيث يتساءل عنه
سيعلمون أن ما يتساءلون عنه حق لا دافع له واقع لا ريب فيه مقطوع لا شك فيه (ثم كلا سيعلمون)
تكرير للردع والوعيد للمبالغة فى التأكيد والتشديد وثم للدلالة على أن الوعيد الثانى أبلغ
وأشد يعنى ان ثم موضوعة للتراخى الزمانى وقد تستعمل مجازا فى التراخى الرتبى أى التباعد
ما بين المعطوفين فى الشدة والفظاعة وذلك لتشبيه التباعد الرتبى بالتراخى الزمانى فى الاشتمال
على مطلق التباعد بين الامرين والمعنى المجازى هو المراد هنا لان المقام مقام التشديد والتهديد
وذلك انما يكون آكد بالحمل عليه وبعضهم حملها على معناها الحقيقى فقال سيعلمون حقيته عند
النزع ثم فى يوم القيامة ولا شك أن القيامة متراخية بحسب الزمان عن وقت النزع أو سيعلمون
حقية البعث حين أن يبعثوا من قبورهم ثم حقية الجزاء بحسب العمل هذا وقد حمل اختلافهم
فيه على مخالفتهم للنبى عليه السلام بأن يعتبر فى الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد
لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق
كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا حقية فى شئ منهما حتى يستحق من يخالفه
المؤاخذة بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين
المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد
... مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه بل هو عبارة
به من فنون الدواهى والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه فى معرض التساؤل
... والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم
ل (ألم نجعل الارض مهادا) الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ والتساؤل
... واهد الناطقة بحقية ما اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن هنا
... عث لا القرآن أو نبوة النبى عليه السلام كما قيل والهمزة للتقرير
... بعض الآيات جعل لكم الارض فراشا قال ابن الشيخ المهاد
... كسافرت بمعنى سفرت أطلق على الارض المعهودة أى ألم نجعل
... تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه وبالفارسية آيا نساختيم
... برده تا قرارگاه شما بود وجاى تقلب ومهادا مفعول ثان لجعل ان كان الجعل

بمعنى التصيير وحال مقدرة ان كان بمعنى الخلق وجوّز أن يكون جمع مهد ككعاب وكعب وجمعه لاختلاف أماكن الارض من القرى والبلاد وغيرها أو للتصرف فيها بأن جعل بعضها مزارع وبعضها مساكن الى غير ذلك وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبى وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر (والجبال أوتادا) المراد بجعلها أوتادا لها ارساؤها بها التسكن ولا تميد بأهلها اذ كانت تميد على الماء كما يرسى البيت بالاوتاد فهو من باب التشبيه البليغ جمع وتد وهو ما يوتد ويحكم به المتزلزل المتحرك من اللوح وغيره بالفارسية ميخ فان قيل أليست ارادة الله وقدرته كافيتين فى التثبيت أجيب بأنه نعم الا أنه مسبب الاسباب وذلك من كمال القدرة قال بعضهم الاوتاد على الحقيقة سادات الاولياء وخواص الاصفياء فانهم جبال ثابتة وبهم تثبت أرض الوجود وسئل أبو سعيد الخراز قدس سره عن الاوتاد والابدال أيهم أفضل فقال الاوتاد قيل كيف فقال لان الابدال يتقلبون من حال الى حال ويبدل بهم من مقام الى مقام والاوتاد بلغ بهم النهاية وثبت أركانهم فهم الذين بهم قوام الخلق قال ابن عطاء الاوتاد هم أهل الاستقامة والصدق لا تغيرهم الاحوال وهم فى مقام التمكين انتهى والاوتاد أربعة واحد يحفظ الشرق يقال له عبد الحى وواحد يحفظ الغرب يقال له عبد العليم وواحد يحفظ الشمال يقال له عبد المريد وواحد يحفظ الجنوب يقال له عبد القادر والابدال سبعة يحفظون أقاليم الكرة علوا وسفلا وجه تسميه آنست كه چون يكى از ايشان مرد يكى از چهل تن يعنى نجبا بدل اوشد وتتميم چهل تن يكى از سيصد تنست يعنى نقبا وتكميل سيصد تن يكى از صلحاء وابدال مقيم شوند بيكجا مكر خسته باشند ومعالجه كنند و بخورند و بپوشند ونكاح كنند پيش از انكه ابدال شوند وقطب الابدال نظير كوكب سهيل كما ان قطب الاوتاد نظير الجدى وقطب ابدال درزمان نبى عليه السلام عصام الدين قرنى بود عم اويس وچون او متوفى شد ابن عطا احمد بود ازدهى كه ميان مكه وعنست وبلال الحبشى رضى الله عنه درزمان نبى عليه السلام از بدلاى سبعه بودى وكان الشافعى رضى الله عنه من الاوتاد الاربعة (وخلقناكم) عطف على المضارع المنفى بلم داخل فى حكمه فانه فى قوة انا جعلنا أو على ما يقتضيه الانكار التقريرى فانه فى قوة أن يقال قد جعلنا (أزواجا) أى حال كونكم أصنافا ذكرا وأنثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم أمر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل والزوج يقال لكل واحد من القرينين المزدوجين حيوانا أو غيره كالخف والنعل ولا يقال للاثنين زوج بل زوجان ولذا كان ينبغى أن يقال قرضته بالمقراضين وقصصته بالمقصين لانهما اثنان لا بالمقراض وبالمقص ورد الرد الحريرى فى درة الغواص وقال صاحب القاموس يقال للاثنين هما زوجان وهما زوج خلاق للشرد ولعله من قبيل الاكتفاء بأحد الشقين عن الآخر وزوجة للمرأة لغة ردية روحانية والسنة رضا اسكن أنت وزوجك الجنة ويقال لكل ما يقترن بآخر مماثلا له أو المشارب التوحيدية هنيأ فى الآية وخلقناكم حال كونكم معروضين لاوصاف متقابلة كل تجزى المحسنين المشاهدين كالفقر والغنى والصحة والمرض والعلم والجهل والقوة والضعف كلوا) أى مكذبان از نعيم والطول والقصر الى غير ذلك وبه يصح الابتلاء فان الفاضل يشتغل با منتهى آجالكم لان زمان ويعرف قدر النعمة عند الترقى من الصبر الى الشكر وكل ذلك دليل على م مجرمون) كافرون

الحكمة (وجعلنا) صيرنا (نومكم) وهو استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد اليه ولذا قل فى أهل الرياضة لقلة الرطوبة (سباتا) موتا أى كالموت والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة ومنه سمى يوم السبت لان الله تعالى ابتدأ بخلق السموات والارض يوم الاحد فخلقها فى ستة أيام فقطع عمله يوم السبت فسمى بذلك وأيضا هو يوم ينقطع فيه بنو اسرائيل عن العمل والنوم أحد التوفيين كما قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها أى ويتوفى التى لم تمت فى منامها وذلك لما بينهما من المشاركة التامة فى انقطاع أحكام الحياة فالتنوين للنوعية أى وجعلنا نومكم نوعا من الموت وهو الموت الذى ينقطع ولا يدوم اذلا ينقطع ضوء الروح الاعن ظاهر البدن وبهذا الاعتبار قيل له أخو الموت والنوم بمقدار الحاجة نعمة جليلة وقيل سباتا أى قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه (وجعلنا الليل) الذى يقع فيه النوم (لباسا) يقال لبس الثوب استتر به وجعل اللباس لكل ما يغطى الانسان عن قبيح فجعل الزوج لزوجها لباسا من حيث انها تمنعه وتصده عن تعاطى قبيح وكذا البعل وأيضا من حيث الاشتمال قال تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وجعل التقوى لباسا على طريق التمثيل والتشبيه وكذا جعل الخوف والجوع لباسا على التمثيل والتشبيه تصويرا له وذلك بحسب ما يقولون تدرع فلان الفقر ولبس الجوع والمعنى لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به أكمل واعتباره فى تحقيق المقصد أدخل صاحب فتوحات آورده شب لباس أصحاب ليلست كه ايشانرا ازنظر اغيار بپوشاند تا درخلوت خودلذت مكالمه يا محاضره يا مشاهده هريك فراخور استعداد خود برخوردارى يابند حضرت شيخ الاسلام قدس سره فرموده كه شب پردۀ روندگان راهست روز بازار بيداران محركاه

الليل للعاشقين ستر * ياليت أوقاته تدوم

چون دردل شب خيال او يارمنست * من بندۀ شب كه روز بازارمنست فهو تعالى جعل الليل محلا للنوم الذى جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة فى قوله تعالى (وجعلنا النهار معاشا) أى وقت عيش أى حياة تبعثون فيه من نومكم الذى هو أخو الموت كما فى قوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا ولم يقل وجعل يقظتكم حياة لتتم المطابقة بينه وبين قوله وجعلنا نومكم سباتا بل عبر عن اليقظة بالنهار لكونه مستلزما لها فاعتبار المراعاة مطابقة وجعلنا الليل ومنه يعلم أن قوله وجعلنا الليل ليس مستطردا فى البين لذكر النوم فى القرينة الاولى فعاش مصدر من عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة وعلى هذا لابد من تقدير المضاف ولذا قدروا لفظ الوقت ويحتمل أن يكون اسم زمان على صيغة مفعل فلا حاجة حينئذ الى تقدير المضاف وتفسيره بوقت معاش ابراز لمعنى صيغة اسم الزمان وتحصيل لمفهومها * وفى التأويلات النجمية ألم نجعل أرض البشرية مهدا استراحتكم وانتشاركم فى أنواع المنافع البشرية وجبال نفوسكم القاسية قوائم أرض البشرية وخلقناكم أزواجا زوج الروح وزوج النفس أوذكر القلب وأنثى النفس وجعلنا نومكم بغفلتكم راحة واستراحة

باستيفاء اللذات واستقصاء الشهوات وجعلنا الليل طبيعتكم ستر النهار روحانيتكم وجعلنا النهار
روحانيتكم معاشا تعيشون فيه بالطاعات والعبادات وهذه صورة البعث (وبنينا فوقكم)
وبنا كرده ايم برسر شما (سبعا شدادا) جمع شديد أى سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء
لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور وقال أبو الليث غلاظا غلاظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام
والتعبير عن خلقها بالبناء مبنى على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وفيه اشارة الى
طبقات القلب السبع الاولى طبقة الصدر وهى معدن جوهر الاسلام والثانية طبقة القلب
وهى محل جوهر الايمان والثالثة الشغاف وهى معدن العشق والمحبة والشفقة والرابعة
الفؤاد وهو معدن المكاشفة والمشاهدة والرؤية والخامسة حبة القلب وهى مخصوصة بمحبة
الله تعالى لا تعلق لها بمحبة الكونين وعشق العالمين والسادسة السويداء وهى معدن العلم
اللدنى وبيت الحكمة والسابعة بيت العزة وهى قلب الاكابر وفى هذا البيت أسرار الهية
لا تخرج من الباطن الى الظاهر أصلا ولا يظهر منها أثر قطعا (وجعلنا) أنشأنا وأبدعنا (سراجا)
هو الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء قال الراغب
السراج الزاهر بفتيلة ودهن ويعبر به عن كل شئ مضئ ويقال للسراج مصباح (وهاجا) وقادا
متلألئا من وهجت النار اذا أضاءت أو بالغا فى الحرارة من الوهج وهو الحر وهو ما قال بعض
المفسرين سراجا وهاجا أى مضيأ جامعا بين النور والحرارة يعنى چراغى افروخته وتابان يقال
ان الشمس والقمر خلقا فى بدء أمرهما من نور العرش ويرجعان فى القيامة الى نور العرش وذلك
فيما روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول فى الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما قال قلنا بلى يرحمك الله
فقال ان رسول الله عليه السلام سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما أبرز خلقه احكاما ولم يبق
من خلقه غير آدم خلق شمسين من نور عرشه فأما ما كان فى سابق علمه أن يدعها شمسا فانه خلقها
مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها وما كان فى سابق علمه أن يطمسها ويحولها قمرا فانه خلقها
دون الشمس فى العظم ولكن انما يرى صغرهما لشدة ارتفاعهما فى السماء وبعدهما من
الارض فلو ترك الله الشمس والقمر كما كان خلقهما فى بدء أمرهما لم يعرف الليل من النهار ولا
النهار من الليل ولا يدرى الاجير متى يعمل ومتى يأخذ أجره ولا يدرى الصائم متى يصوم ومتى
يفطر ولا تدرى المرأة متى تعتد ولا يدرى المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم فكان
الرب تعالى أنظر لعباده وأرحم بهم فأرسل جبريل فأمر جناحه على وجه القمر فطمس منه
الضوء وبقى فيه النور فذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية
النهار مبصرة فالسواد الذى ترونه فى القمر شبه الخطوط فيه فهو أثر المحو قال فاذا قامت
القيامة وقضى الله بين الناس وميز بين أهل الجنة والنار ولم يدخلوهما بعد يدعو الرب تعالى
بالشمس والقمر ويجاء بهما أسودين مكورين قد وقعا فى زلازل وبلابل ترعد فرائصهما من هول
ذلك اليوم ومخافة الرحمن فاذا كانا حيال العرش خرا لله ساجدين فيقولان الهنا قد علمت
طاعتنا لك ودأبنا فى عبادتك وسرعتنا للمضى فى أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين ايانا
فقد علمت أنا لم ندعهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الرب صدقتما انى قد قضيت على

نفسى أن أبدئ وأعيد وانى معيد كما الى ما أبدأ تكما منه فارجعا الى ما خلقتكما منه فيقولان ربنا مم خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشى فارجعا اليه قال فتلع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار نورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدئ ويعيد كذا فى كشف الاسرار وقال الشيخ رضى الله عنه فى الفتح المكى وأما الكواكب كلها فهى فى جهنم مظلمة الاجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس والقمر والطلوع والغروب لهما فى جهنم دائما انتهى يقول الفقير لعل التوفيق بين هذا وبين الخبر السابق أن كلا من الشمس والقمر حامل لشيئين النورية والحرارة فما كان فيهما من قبيل النور فيتصل بالعرش من غير جرم لان الجرم لا يخلو من الغلظة والظلمة والكثافة وما كان من قبيل النار والحرارة فيتصل بالنار مع جرمهما فكل منهما يرجع الى أصله فان قلت كان الظاهر أن يتصل نورهما بنور النبى عليه السلام لانهما مخلوقان من نوره قلت ان العرش والكرسى خلقا من نوره وخلق القمران من نور العرش فهما فى الحقيقة مخلوقان من نور النبى عليه السلام ومتصل نورهما بنوره والكل نوره والحمد لله تعالى * تمت نه مسند وهفت اختران * ختم رسل وخواجه پيغمبران (وأنزلنا) النون للعظمة وللاشارة الى جمعية الذات والاسماء والصفات (من المعصرات) هى السحائب اذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعد فالانزال من المستعد لا من الواقع والا يلزم تحصيل الحاصل وهمزة أعصر للصيرورة والمعصرات اسم فاعل يقال احصد الزرع اذا حان له أن يحصد وأعصرت الجارية أى حان لها أن تعصر الطبيعة رحمها فتحيض وفى المفردات المعصر المرأة التى حاضت ودخلت فى عصر شبابها انتهى ولو لم تكن للصيرورة لكان ينبغى أن يقرأ المعصرات بفتح الصاد على أنه اسم مفعول لان الرياح تعصرها ويجوز أن يكون المراد من المعصرات الرياح التى حان لها أن تعصر السحاب فتمطر فهى أيضا اسم فاعل والهمزة للصيرورة كذلك فان قيل لم تجعل الهمزة للتعدية قلنا لان الرياح عاصرة لا معصرة (ماء ثجاجا) أى منصبا بكثرة والمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به يقال ثج الماء أى سال بكثرة وانصب وثجه غيره أى أساله وصبه فهو لازم متعد ومن الثانى قوله عليه السلام أفضل الحج العج والثج أى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وفسره الزجاج بالصباب كأنه يثج نفسه مبالغة فيكون متعديا ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء فان ابتداء المطر ان كان من السماء يكون الانزال منها الى السحاب ومنه الى الارض والا فانزاله منها باعتبار تكونه بأسباب سماوية من جملتها حرارة الشمس فانها تثير وتصعد الاجزاء المائية من أعماق الارض الرطبة أو من البحار والانهار الى جو الهواء فتنعقد سحابا فتمطر فالانزال من المعصرات حقيقة ومن السماء مجاز باعتبار السببية والله مسبب الاسباب (لنخرج به) أى بذلك الماء أى بسبب وصوله الى الارض واختلاطه بها وبمافيها وهذه اللام لام المصلحة لا لام الغرض كما تقول المعتزلة (حبا) كثيرا يقتات به أى يكون قوتا للانسان وهو ما يقوم به بدنه كالحنطة والشعير ونحوهما وفى عين المعانى الحب اسم جنس يعنى به الجمع قال الراغب الحب والحبة يعنى بالفتح يقال فى الحنطة والشعير ونحوهما من المطعومات والحب والحبة يعنى بالكسر يقال فى بزور الرياحين وحبة القلب تشبيها بالحبة فى الهيئة (ونباتا) كثيرا يعتلف به أى يكون علفا للحيوان كالتبن والحشيش كما قال تعالى كلوا وارعوا أنعامكم وتقديم

الحب مع تأخره عن النبات فى الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذاء الناس ويقال نخرج به لؤلؤا وعشبا قال عكرمة ما أنزل الله قطرة الا أنبت بها عشبة فى الارض أو لؤلؤة فى البحر انتهى وهو مخالف للمشهور من أن اللؤلؤ لا يتكون من كل مطر بل من المطر النازل فى نيسان الا أن يعمم اللؤلؤ الى الدر وغيره (وجنات) ليتفكه بها الانسان والجنة فى الاصل هى السترة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والمراد هنا هو الاشجار لا الارض (ألفافا) أى ملتفة تداخل بعضها فى بعض وهذا من حسنات الجنان كما ترى فى بساتين الدنيا وبالفارسية درهم پيچيده يعنى بسيار وبيكديكر نزديك قالوا لا واحد له كالاوزاع والاوزاع بمعنى الجماعات المتفرقة كالاخياف فانه أيضا بمعنى الجماعات المتفرقة المختلطة ومنه الاخياف للاخوة من آباء شتى وأمهم واحدة أو الواحد لف ككن وأكنان أو لفيف كشريف وأشراف وهو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء فيكون ألفافا جمع الجمع أو جمع ملتفة بحذف الزوائد قال ابن الشيخ قدم ذا الحب لانه هو الاصل فى الغذاء وثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات اليه وأخرت الجنات لانعدام الحاجة الضرورية الى الفواكه واعلم أن فيما ذكر من أفعاله تعالى دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه وقانون ينتحيه كان على الاعادة أقدر وأقوى والثانى باعتبار علمه وحكمته فان من أبدع هذه المصنوعات على نمط رائق مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة الى الخلق يستحيل أن يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم أنموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل ألم نفعل هذه الافعال الآفاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه استهزاء * وفى التأويلات النجمية وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا أى من سموات الارواح بتحريك نفحات الالطاف مياه العلوم الذاتية والحكم الربانية عباصبا لنخرج به حبا ونباتا أى أنزلنا من سحائب سموات أرواحكم على أرض قلوبكم ماء العلوم والحكم لنخرج به حب المحبة الذاتية ونبات الشوق والاشتياق والود والانزعاج والعشق وأمثالها وجنات ألفافا جنة المحبة وجنة المودة وجنة العشق ملتف بعضها ببعض (ان يوم الفصل) أى فصل الله بين الخلائق وبين السعداء والاشقياء باعتبار تفاوت الهيآت والصور والاخلاق والاعمال وتناسبها (كان) فى علمه وتقديره الازلى والافعال الماضية لثبوت المتحققة ليوم الفصل غير مقيد بالزمان الماضى لانه أمر مقرر قبل حدوث الزمان أيضا (ميقاتا) وميعادا للبعث الاولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر فالميقات وهو الوقت المؤقت أى المعين أخص من مطلق الوقت فهو هنا زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله من البعث والجزاء (يوم ينفخ فى الصور) بدل من يوم الفصل أو عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير فى تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع فى مبدئه النفخة وفى بقيته الفصل ومباديه وآثاره والنفخ نفخ الريح فى الشئ ومنه نفخ الروح فى النشأة

الاولى كما قال ونفخت فيه من روحى ويقال انتفخ بطنه ومنه استعير انتفخ النهار اذا ارتفع ورجل
منفوخ أى سمين والصور القرن النورانى والنافخ فيه اسرافيل عليه السلام والمعنى يوم ينفخ
فى الصور نفخة ثانية للبعث حتى تتصل الارواح بالاجساد وترجع بها الى الحياة (فتأتون) خطاب
عام والفاء فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان
كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف
عقيب ذلك من غير لبث أصلا (أفواجا) جمع فوج وهو جماعة من الناس وفى المفردات الجماعة
المارة المسرعة أى حال كونكم أمما كل أمة مع امامها كما فى قوله تعالى يوم ندعو كل أناس
بامامهم أو زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف أعمالهم وتباينها
عن معاذ رضى الله عنه أنه سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام يا معاذ سألت
عن أمر عظيم من الامور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتى بعضهم على صورة
القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها
يعنى نكونساران كه ايشانرا بروى بدوزخ ميكشند وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم
يمضغون ألسنتهم وهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع
وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار يعنى بردارهاى آتشين
أويخته وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم
فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وهو بالضم جمع قات بالتشديد بمعنى النمام يعنى
سخن چين (حكى) أن رجلا باع عبدا وقال للمشترى ما فيه عيب الا النميمة فقال رضيت فاشتراه
فمكث الغلام أياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذى
الموسى واحلقى من قفاه حين ينام شعرات حتى أسحر عليه فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك
أخذت خليلا وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تقتله
فقام فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر وأما الذين
على صورة الخنازير فاهل السحت أى الحرام لانه يسحت الدين والمروءة أى يستأصل وأما
المنكسون على وجوههم فأكلة الربا والتنكيس تعكيس هيئة القيام على الرجل بأن يجعل الرجل
أعلى والرأس أسفل وبالفارسية نكونسار كردن وأما العمى فالذين يجورون فى الحكم وأما
البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم
أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم وأما المصلبون على
جذوع من النار فالسعاة بين الناس الى السلطان يعنى غمازان وسعايت كنند كان بسلاطين
وملوك وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله
فى أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء جمع جبة وهو ثوب
معروف وفى الحديث نشر على ترتيب اللف وبيان المناسبة بين معاصيهم وبين الصور التى
يحشرون عليها يطلب من علم التعبير ثم انه فصل هيئات أهل المعاصى مع الاسباب المؤدية اليها
لانه أهم اذ التخلية قبل التحلية واكتفى بالاشارة الاجمالية الى هيئات الصالحين بقوله من أمتى
بمن التبعيضية والحاصل أنه كما ان الاشقياء يحشرون على صور أعمالهم القبيحة كذلك السعداء

يحشرون على صور أعمالهم الحسنة حتى يكون وجوه بعضهم كالقمر ليلة البدر أو كالشمس على ماجاء فى صحيح الروايات وقال بعضهم المراد أمة الدعوة فتعم أصناف الكفرة والمؤمنين لا أمة الاجابة والا فالوقوف على المؤمنين أيضا فى نهاية المرتبة * يقول الفقير الظاهر الثانى وهو أن المراد من الامة الاشقياء من أهل الاجابة دل عليه ارساله عليه السلام عينيه حين البيان وكذا بيان أصناف الاعمال من غير ادخال الكفر فيها اذ صور الكفرة أقبح مما ذكر فى الحديث على ماذكر فى الاخبار الصحيحة ثم الحديث ذكره الثعلبى ونحوه فى التفاسير وقبله أهل الطرفين ولا عبرة بما ذهب اليه ابن حجر من أنه ظاهر الوضع فانه من الجهل بحقيقة الامر اذ يوم القيامة يوم ظهور الصفات كما دل عليه قوله تعالى يوم تبلى السرائر ولا شك أن لكل صفة صورة مناسبة لها حسنة أو قبيحة ولم ينكره أحد من العقلاء على أنا لو سلمنا أن لفظ الحديث موضوع فمعناه صحيح مؤيد بالاخبار الصحيحة فيا أيها المؤمن لا تكن قاسى القلب كالحجر وكن ممن يتفجر من قلبه أنهار الفيوض وينابيع الحكم واجتهد أن لا تكون ممن قيل فيه حفظت شيأ وغابت عنك أشياء فمن عباد الله المخلصين من يأخذ من الله بلا واسطة الكتاب واسناده فانه مرتبة باقية الى يوم القيامة قل من وضع قدمه عليها فلذا كثر الانكار وأكب الناس على الرسوم والظواهر من غير اطلاع على الحقائق والبواطن نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل معرفته (وفتحت السماء) عطف على ينفخ بمعنى تفتح وصيغة الماضى للدلالة على التحقق أى شقت وصدعت من هيبة الله بعد أن كانت لا فطور فيها وبالفارسية وشكافته شود آسمان دران روز (فكانت) پس باشد از بسيارى شكاف (أبوابا) ذات أبواب كثيرة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذى ذكر فى قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله أى أمره وبأسه فى ظلل من الغمام والملائكة وقيل المراد من الفتح الكشف بازالتها من مكانها كما قال تعالى واذا السماء كشطت ومن الابواب الطرق والمسالك أى تكشط فيصير مكانها طرقا لا يسدها شئ (وسيرت الجبال) المسير هو الله تعالى كما قال ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة أى وسيرت الجبال فى الجو بتسيير الله وتسخيره على هيئاتها بعد قلعها عن مقرها وبالفارسية ورانده شوند كوهها در هوا وذلك عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها فى الهواء وذلك قوله تعالى (فكانت سرابا) السراب ماتراه نصف النهار كأنه ماء قال الراغب هو اللامع فى المفازة كالماء وذلك لانسرابه فى مرأى العين أى ذهابه وجريانه وكأن السراب فيما لا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة أى فصارت بتسييرها مثل السراب أى شيأ كلا شئ لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا أى غبارا منتشرا وهى وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها كالسحاب وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية قيل أول أحوال الجبال الاندكاك والانكسار كما قال تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وحالتها الثانية أن تصير كالعهن المنفوش وحالتها الثالثة أن تصير كالهباء وذلك بأن تتقطع وتتبدد بعد أن كانت كالعهن كما قال فكانت هباء منبثا وحالتها الرابعة أن تنسف وتقلع من أصولها لانها مع الاحوال المتقدمة قارة فى مواضعها والارض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بارسال الرياح عليها وهو المراد من قوله فقل ينسفها ربى نسفا

وحالتها الخامسة أن الرياح ترفعها عن وجه الارض فتطيرها فى الهواء كأنها غبار وهو المراد بقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب أى تراها فى رأى العين ساكنة فى أماكنها والحال أنها تمر مر السحاب التى تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك أن الاجرام اذا تحركت نحوا من الانحاء لاتكاد تتبين حركتها وان كانت فى غاية السرعة لاسيما من بعيد والحالة السادسة ان تصير سرابا * يقول الفقير فيه اشارة الى ازالة انانية النفوس وتعيناتها فانها عند القيامة الكبرى التى هى عبارة عن الفناء فى الله تصير سرابا حتى اذا جئتها لم تجدها شيأ ولكن العوام المحجوبون اذا رأوا أهل الفناء يأكلون مما يأكلون منه ويشربون مما يشربون منه يظنون أن نفوسهم باقية ببقاء نفوسهم لكنهم يظنون بهم الظن السوء اذ بينهم وبينهم بون بعيد قطعا وفاروق عظيم جدا لانهم ازالت رياح العناية والتوفيق جبال نفوسهم عن مقار أرض البشرية وجعلها الله متلاشية وفتحت سماء أرواحهم فكانت أبوابا كباب السر والخفى والأخفى فدخلوا من هذه الابواب الى مقام أو أدنى فكانوا مع الحق حيث كان الحق معهم ثم نزلوا من هذه الابواب العالية الحقيقية الناظرة الى عالم الولاية فدخلوا فى أبواب العقل والقلب والمتخيلة والمفكرة والحافظة والذاكرة فكانوا فى مقام قاب قوسين مع الخلق حيث كان الخلق معهم فلم يحتجبوا بالخلق عن الحق الذى هو جانب الولاية ولا بالحق عن الخلق الذى هو جانب النبوة فكانوا فى الظاهر مصداق قوله تعالى يوحى الى فأين المحجوبون عن مقامهم وانى لهم ادراك شأنهم وحقيقة أمرهم (ان جهنم كانت مرصادا) أى انها كانت فى حكم الله وقضائه موضع رصد يرصد فيه ويرقب خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها فالمرصاد اسم للمكان الذى يرصد فيه كالمنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه اى يسلك قال الراغب المرصاد موضع الرصد كالمرصد لكن يقال للمكان الذى اختص بالترصد والترقب وقوله ان جهنم كانت مرصادا تنبيه على أن عليها مجاز الناس انتهى كأنه عمم المرصاد حيث ان الصراط ممر للاعداء ومزلا والاول أولى لان الترصد فى مثل ذلك المكان الهائل انما هو للتعذيب وهو للكفار والاشقياء (للطاغين) متعلق بمضمر هو نعت لمرصادا أى كائنا للطاغين وقوله تعالى (مآبا) بدل منه أى مرجعا يرجعون اليه لامحالة واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له قالوا الطاغى من طغى فى دينه بالكفر وفى دنياه بالظلم وهو فى اللغة من جاوز الحد فى العصيان والمراد هنا المشركون لما دل عليه مابعده من الآيات وعذابهم لايتناهى لكون اعتقادهم باطلا وكذا الذى يعتقد واشيأ أصلا وان كان الاعتقاد صحيحا كالمؤمن العاصى فعذابه متناه (لابثين فيها) حال مقدرة من المستكن فى للطاغين أى مقدرين اللبث فيها واللبث أن يستقر فى المكان ولا يكاد ينفك عنه يقال لبث بالمكان أقام به ملازما له (أحقابا) ظرف للبثهم وهو جمع حقب وهو ثمانون سنة أو أكثر والدهر والسنة أو السنون كما فى القاموس وأصل الحقب من الترادف والتتابع يقال أحقب اذا اردف ومنه الحقيبة وهى الرفادة فى مؤخر القتب وكل ماشد فى مؤخر رحل أو قتب فقد احتقب والمحقب المردف وفى تاج المصادر الاحقاب درحقيبه نهادن ومنه الحديث فاحقبها على ناقة أى أردفها على حقيبة الرحل والارداف از پى فرا شدن وازپى كسى درنشستن ودرنشاندن فمعنى أحقابا دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل

الالابراد تتابع الازمنة وتواليها كما قال أبو الليث انما ذكر أحقابا لان ذلك كان أبعد شئ عندهم
فذكر وتكلم بما يذهب اليه أوهامهم ويعرفونها وهو كناية عن التأبيد أى يمكثون فيها أبدا انتهى
دل عليه أن عمر رضى الله عنه سأل رجلا من هجر عن الاحقاب فقال ثمانون سنة كل يوم منها ألف
سنة انتهى فانهم انما يريدون بمثله التأبيد وكذا ما قال مجاهد ان الاحقاب ثلاثة وأربعون حقبا
كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما واليوم ألف سنة من
أيام الدنيا كما روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وكذا لو أريد بالحقب الواحد سبعون
ألف سنة اليوم منها ألف سنة كما روى عن الحسن البصرى رحمه الله وقال الراغب والصحيح ان
الحقبة مدة من الزمان مبهمة أى لا ثمانون عاما وكذا قال فى القاموس الحقبة بالكسر من الدهر
مدة لا وقت لها انتهى والحاصل أن الاحقاب يدل على التناهى فهو وان كان جمع قلة لكنه بمنزلة
جمع كثرة وهو الحقوب أو بمنزلة الاحقاب المعرف بلام الاستغراق ولو كان فيه ما يدل على
خروجهم منها فدلالته من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار كقوله
تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم لان المنطوق راجح
على المفهوم فلا يعارضه وقال أبو حيان المدة منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا انتهى وسيأتى
وجوه أخر (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا) جملة مبتدأة ومعنى لا يذوقون لا يحسون
والافاصل الذوق وجود الطعم (وقال الكاشفى) يعنى نمى يابند الا أن يكون ذلك باعتبار
الشراب والذوق فى التعارف وان كان للقليل فهو صالح للكثير لوجود الذوق فى الكثير أيضا
والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار والا فهم يذوقون فى جهنم برد الزمهرير أى بردا
ينتفعون به ويميلون اليه فتنكيره للنوعية قال قتادة كنى بالبرد عن الروح انا بالعرب من الحر حتى
قالوا برد الله عيشك أى طيبه اعتبارا بما يجد الانسان من اللذة فى الحر من البرد وقال الراغب
أصل البرد خلاف الحرارة وبرد كذا اذا ثبت ثبوت البرد واختصاص الثبوت بالبرد كاختصاص
الحركة بالحر وبرد الانسان مات وبرده قتله ومنه السيوف البوارد وذلك لما يعرض للميت من
عدم الحرارة بفقدان الروح أو لما عرض له من السكون وقولهم للنوم برد اما لما يعرض له من
البرد فى ظاهر جلده لان النوم يبرد صاحبه ألا ترى أن العطشان اذا نام سكن عطشه أو لما
يعرض له من السكون وقد علم أن النوم من جنس الموت وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا أى نوما
حتى يستريحوا وبالفارسية تا آسايش يابند وبرودت كسب كنند انتهى بزيادة والمراد
بالشراب ما يسكن عطشهم والا فهى لكن والحميم الماء الحار الذى انتهى حره وآن آبيست كه
جون نزديك آرند كوشت روى دران ريزد جون بخورد امعا واحشا پاره پاره شود
والغساق ما يغسق أى يسيل من جلود أهل النار ويقطر من صديدهم وقيحهم أخبر الله تعالى
عن الطاغين بأنهم لا يذوقون فى جهنم شيأ ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب
يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا فالاستثناء منقطع وقال الزجاج لا يذوقون
فيها برد ريح ولا برد ظل ولا برد نوم فجعل البرد برد كل شئ له راحة فيكون قوله ولا شرابا
بمعنى ولا ماء باردا تخصيصا بعد التعميم لكماله فى الترويح فيكون مجموع البرد والشراب بمعنى
المروح فيكون قوله الا حميما وغساقا مستثنى منقطع من البرد والشراب وان فسر الغساق

بالزمهرير فاستثناؤه من البرد فقط دون الشراب لان الزمهرير ليس مما يشرب كما ان استثناء الحميم من الشراب والتأخير لتوافق رؤس الآى ويؤيد الاول قوله عليه السلام لوأن دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لانتن أهل الدنيا وان فسر بما يسيل من صديدهم فالاستثناء من الشراب وعن ابن مسعود رضى الله عنه الغساق لون من ألوان العذاب وهو البرد الشديد حتى ان أهل النار اذا ألقوا فيه سألوا الله أن يعذبهم فى النار ألف سنة لما رأوه أهون عليهم من عذاب الزمهرير يوما واحدا وقال شهر بن حوشب الغساق واد فى النار فيه ثلثمائة وثلاثون شعبا فى كل شعب ثلثمائة وثلاثون بيتا فى كل بيت أربع زوايا فى كل زاوية شجاع كأعظم ما خلق الله من الخلق فى رأس كل شجاع سم والشجاع الحية هذا وقد جوز بعضهم أن يكون لا يذوقون حالا من المنوى فى لابثين لا كلاما مستأنفا أى لابثين فيها أحقابا غير ذائقين فيها شيأ سواهما ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب فيكون حالا متداخلة ويكون قوله أحقابا ظرف لابثين المقيد بقوله لا يذوقون وانتهاء هذا المقيد لا يستلزم انتهاء مطلق اللبث فهو توقيت للعذاب لا للمكث فى النار عن ابن مسعود رضى الله عنه لو علم أهل النار أنهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا وأيضا يجوز أن يكون أحقابا ظرفا منصوبا بلا يذوقون على قول من يرى تقديم معمول ما بعد لا عليها الا ظرفا لقوله لابثين فحينئذ لا يكون فيه دلالة على تناهى اللبث والخروج حيث لم يكن أحقابا ظرف اللبث وأيضا يجوز أن يكون احقابا ليس بظرف أصلا بل هو حال من الضمير المستكن فى لابثين بمعنى حقبين أى نكدين محرومين من الخير والبركة فى السكون والحركة على أن يكون جمع حقب بفتح الحاء وكسر القاف من حقب الرجل اذا حرم الرزق وحقب العام اذا قل خيره ومطره وقوله لا يذوقون فيها بردا تفسير لنكدهم ولا يتوهم حينئذ تناهى مدة لبثهم فيها حتى يحتاج الى التوجيه هذا ما قالوه فى هذا المقام وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه قال سيأتى على جهنم يوم تصفق أبوابها أى يضرب بعضها بعضا وقد أسندت هذه الرواية الى ابن مسعود رضى الله عنه كما فى العرائس ويروى عنه أنه قال ليأتين على جهنم زمان تخفق ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وفى العرائس ايضا وقال الشعبى جهنم اسرع الدارين عمرانا واسرعهما خرابا وفى الحديث الصحيح ينبت الجرجير فى قعر جهنم اى لانطفاء النار وارتفاع العذاب بمقتضى قوله سبقت رحمتى على غضبى كما فى شرح الفصوص لداود القيصرى والجرجير بالكسر بقلة معروفة كما فى القاموس وقال المولى الجامى رحمه الله فى شرح الفصوص أيضا اعلم ان لاهل النار الخالدين فيها كما يظهر من كلام الشيخ رضى الله عنه وتابعيه حالات ثلاثا الاولى أنهم اذا دخلوها تسلط العذاب على ظواهرهم وبواطنهم وملكهم الجزع والاضطراب فطلبوا أن يخفف عنهم العذاب أو ان يقضى عليهم او ان يرجعوا الى الدنيا فلم يجابوا الى طلباتهم والثانية انهم اذا لم يجابوا الى طلباتهم وطنوا أنفسهم على العذاب فعند ذلك رفع الله العذاب عن بواطنهم وخبت نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة والثالثة انهم بعد مضى الاحقاب الفوا العذاب وتعودوا به ولم يتعذبوا بشدته بعد طول مدته ولم يتألموا به وان عظم الى ان آل أمرهم الى ان يتلذذوا به ويستعذبوه حتى لو هب عليهم نسيم من الجنة استكرهوه وتعذبوا به كالجعل

وتأذيه برائحة الورد عافانا الله وجميع المسلمين من ذلك والجعل بضم الجيم وفتح العين دويبة تكون بالروث والجمع جعلان بالكسر وقال المولى رمضان والمولى صالح الدين في شرح العقائد قال بعض الاسلاميين كل ما أخبر الله في القرآن من خلود أهل الدارين حق لكن اذا ذبح كبش الموت بين الجنة والنار ونودي أهلهما بالخلود فيهما أيس أهل النار من الخلاص فاعتادوا بالعذاب فلم يتألموا به حتى آل أمرهم الى أن يتلذذوا به ولو هب عليهم نسيم الجنة استكرهوه وتعذبوا به كالجعل يستطيب الروث ويتألم من الورد فيصدق حينئذ قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا على عمومه لارتفاع العذاب عنهم ويصدق أيضا قوله تعالى لا يخفف عنهم العذاب لان المراد العذاب المقدر لهم وقال بعض الاكامل فكما اذا استقر أهل دار الجمال فيها يظهر عليهم اثر الجمال ويتذوقون به دائما أبدا ويختفي جلال الجمال وأثره بحيث يحسونه ولا يرونه ولا يتألمون به قطعا سرمدا فكذلك اذا استقر أهل دار الجلال فيها بعد مرور الاحقاب يظهر على بواطنهم اثر جمال الجلال ويتذوقون به أبدا ويختفي عنهم اثر نار الجلال بحيث لا يحسونه ولا يرونه ولا يتألمون به سرمدا لكن ليس ذلك الا بعد انقطاع احراق النار بواطنهم وظواهرهم بمرور الاحقاب وكل منهم تحرقه النار ألف سنة من سني الآخرة انهن كل يوم واحد من أيام الدنيا والظاهر عليهم بعد مرور الاحقاب هو الحال الذي يدوم عليهم أبدا وهو الحال الذي كانوا عليه في الازل وما بينهما ابتلاآت رحمانية والابتلاء حادث قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون عصمنا الله واياكم من دار البوار انتهى فهذه كلمات القوم في هذه الآية ولا حرج في نقلها ونحن لا نشك في خلود الكفار وعذابهم أبدا فان كان لهم العذاب عذابا بعد مرور الاحقاب فتعذيبهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون كان المعتزلي يقطع في الدنيا بوجوب العذاب لغير التائب ثم قد يبدو له في الآخرة ما لم يكن يحتسبه من العفو وسئل الشيخ الامام مفتي الانام عز الدين بن عبد السلام بعد موته في منام رآه السائل ما تقول فيما كنت تنكر من وصول ما يهدى من قراءة القرآن للموتى فقال هيهات وجدت الامر بخلاف ما كنت أظن قالوا خلود أهل النار من الكفار لا معارض له فيبقى على عمومه وخلود أهل الكبائر له معارض فيحمل على المكث الطويل فأهل الظاهر والباطن متفقون على خلود الكفار سواء كانوا فرعون وهامان ونمروذ أو غيرهم وانما اختلفوا في ارتفاع العذاب عن ظواهرهم بعد مرور الاحقاب وكل تأول بمبلغ علمه والنص أحق أن يتبع قال حجة الاسلام الكفرة ثلاث فرق منهم من بلغه اسم نبينا عليه السلام وصفته ودعوته كالمجاورين في دار الاسلام فهم الخالدون لا عذر لهم ومنهم من بلغه الاسم دون الصفة وسمع أن كذابا ملبسا اسمه محمد ادعى النبوة ومنهم من لم يبلغه اسمه ولا رسمه وكل من هاتين الفرقتين معذور في الكفر ونقل مثله عن الاشعري كذا في شرح العقائد لمصلح الدين وقال المولى داود القيصري في شرح الفصوص الوعيد هو العذاب الذي يتعلق بالاسم المنتقم وتظهر احكامه في خمس طوائف لا غير لان أهل النار اما مشرك أو كافر أو منافق أو عاص من المؤمنين وهو ينقسم الى الموحد العارف الغير العامل والمحجوب وعند تسلط سلطان المنتقم عليهم يتعذبون بنيران الجحيم وأنواع العذاب غير مخلدة على أهله لانقطاعه بشفاعة الشافعين وآخر من يشفع وهو أرحم الراحمين (جزاء وفاقا) أي جوزوا بذلك جزاء وفاقا لاعمالهم واخلاقهم كأنه نفس الوفاق مبالغة

أو ذا وفاق لها على حذف المضاف او وافقها وفاقا فيكون وفاقا مصدرا مؤكدا لفعله لجزاء والجملة صفة لجزاء وجه الموافقة بينهما أنهم أتوا بمعصية عظيمة وهي الكفر فعوقبوا عقابا عظيما وهو التعذيب بالنار فكما أنه لا ذنب أعظم من الشرك فكذا الاجزاء أقوى من التعذيب بالنار وجزاء سيئة سيئة مثلها اتفقوا فقا وقيل كان وفاقا حيث لم يزد على قدر الاستحقاق ولم ينقص عنه قال سعدى المفتى اعلم أن الكفار لما كان من نيتهم الاستمرار على الكفر كما سيشير اليه قوله تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا اذ معناه انهم كانوا مستمرين على الكفر مع عدم توقع الحساب فوافقه عدم تناهي العذاب واللبث فيها أحقابا بعد أحقاب ولما كانوا مبدلين التصديق الذي يروح النفس ويثلج به الصدر بالتكذيب الذي هو ضده جوزوا بالحميم والغساق بدل ما يجعل للمؤمنين مما يروحهم من برد الجنة وشرابها وللمناسبة بين الماء والعلم يعبر الماء في الرؤيا بالعلم وقال بعض أهل الحقائق ان جهنم الطبيعة الحيوانية يرصد فيها القوى البشرية وهي خزنة جهنم طبيعة أرباب النفوس الامارة والهوى المتبع للظالمين على نفوسهم بالاهوية والبدع والاباحة والزندقة والاتحاد والحلول والفضول ما بالابثين فيها أحقابا الى وقت الانسلاخ عن حكم البشرية والتلبس بملابس الشريعة وخلع الطريقة والحقيقة لا يذوقون فيها بردا اليقين برفع الحجاب عن وجه بشريتهم ولا شراب المحبة لانهماكهم في محبة الدنيا بسبب جهنم الطبيعة الا حميما وغساقا يسيل من صديد طبيعتهم وقال القاشاني الا حميما من أثر الجهل المركب وغساقا من ظلمة هيآت محبة الجواهر الفاسقة والميل اليها جزاء موافقا لما ارتكبوه من الاعمال وقدموه من العقائد والاخلاق وذلك العذاب لفساد العمل والعلم فلم يعملوا لخارجاء الجزاء ولم يعلموا اعمالا صالحا فيصدقوا بالآيات (انهم كانوا لا يرجون حسابا) تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور وبيان لفساد قوتهم العملية أي كانوا ينكرون الآخرة ولا يخافون أن يحاسبوا بأعمالهم فلذا كانوا يقدمون على جميع المنكرات ولا يرغبون في شيء من الطاعات وفسر الرجاء بالخوف لان الحساب من أصعب الامور على الانسان والشيء الاصعب لا يقال فيه انه يرجى بل يقال انه يخاف ويخشى (وكذبوا) بيان لفساد قوتهم النظرية (بآياتنا) الناطقة بذلك وفي بعض التفاسير بآياتنا القولية والفعلية الظاهرة على ألسنة الرسل وأيديهم (كذابا) أي تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي فعوقبوا بأهول العقاب جزاء وفاقا وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء مطرد مثل كلم كلاما قال صاحب الكشاف وسمعني بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع مثله قال بعضهم وابدل من أحد حرفي تضعيف بعض الاسماء ياء لئلا يلتبس بهذا المصدر المشدد مثل الدينار فان أصله الدنار ومثل السينات في قول عمر بن عبد العزيز لكاتبه في بسم الله طول الباء واظهر السينات ودور الميم فان أصله السنات جمع السن لا جمع السين لانه ليس البسملة الا سين واحدة ويجوز أن يقال عبر عن السن بالسين مبالغة كأنه قيل اجعل سنه كسينه في الاظهار كما ذهب اليه الشريف (وكل شيء) أي وأحصينا كل شيء من الاشياء التي من جملتها أعمالهم فانتصابه بمضمر يفسره قوله (أحصيناه) أي حفظناه وضبطناه وذلك أي انتصابه بالاضمار على شريطة التفسير هو الراجح لتقدم جملة فعلية ولا يضره كون هذه الجملة معترضة كما سيجيء أولا لان المقصود المهم هنا الاخبار عن الاحصاء لا الاخبار عن كل شيء (كتابا) مصدر مؤكد

لا احصيناه من غير لفظه لما أن الاحصاء والكتابة من واد واحد أي يتشاركان في معنى الضبط
فكأنه قال وكل شيء أحصيناه احصاء مساويا في القوة والثبات بالعلم المقيد بالكتابة أو كتبناه كتابا
وأثبتناه اثباتا ويجوز أن يكون من الاحتباك حذف فعل الثاني بقرينة الاول ومصدر الاول
بقرينة الثاني أي أحصيناه احصاء وكتبناه كتابا أو هو أي كتابا حال بمعنى مكتوبا في اللوح وفي
صحف الحفظة والجملة اعتراض لتوكيد كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات بأنهما محفوظان
للمجازاة قال القاشاني وكل شيء من صور أعمالهم وهيآت عقائدهم ضبطناه ضبطا بالكتابة عليهم
في صحائف نفوسهم وصحائف النفوس السماوية (فذوقوا) پس بچشيد عذاب دوزخ (فلن
نزيدكم الا عذابا) فوق عذابكم والفاء في فذوقوا جزائية دالة على أن الامر بالذوق مسبب عن
كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومعلل به فيكون وكل شيء الخ جملة معترضة بين السبب
ومسببه تؤكد كل واحد من الطرفين لانه كما يدل على كون معاصيهم مضبوطة مكتوبة يدل على أن
ما يتفرع عليها من العذاب كائن لا محالة مقدر على حسب استحقاقهم به وفي الالتفات المنبئ عن
التشديد في التهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة
على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي عليه السلام أن هذه الآية أشد ما في القرآن
على أهل النار أي لان فيها الاياس من الخروج فكلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد
منه فتكون كل مرتبة منه متناهية في الشدة وان كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة
وهذا لا يخالف قوله تعالى ولا يكلمهم الله لان المراد بالمنفي التكلم باللطف والاكرام لا بالقهر
والجلال فان قيل هذه الزيادة ان كانت غير مستحقة كانت ظلما وان كانت مستحقة كان تركها
في أول الامر احسانا والكريم لا يليق به الرجوع في احسانه فالجواب أنها مستحقة ودوامها
زيادة لثقل العذاب وأيضا ترك المستحق في بعض الاوقات لا يوجب الابراء والاسقاط حتى
يكون ايقاعه بعده رجوعا في الاحسان وأيضا كانوا يزيدون كفرهم وتكذيبهم وأذيتهم
للرسول عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم فيزيد الله عذابهم لزيادة الاستحقاق فلا ظلم فان قيل
قوله فذوقوا الخ تكرار لانه ذكر سابقا أنهم لا يذوقون الخ قلنا انه تكرار لزيادة المبالغة في تقرير
الدعوى وهو كون العقاب جزاء وفاقا (ان للمتقين مفازا) شروع في بيان محاسن أحوال
المؤمنين اثر بيان سوء أحوال الكفرة على ما هو العادة القرآنية ووجه تقديم بيان حالهم غني
عن البيان أي ان للذين يتقون الكفر وسائر القبائح من أعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم
دل على هذا المعنى تفسيره بما بعده بقوله حدائق الخ أو موضع فوز فالمفاز على الاول مصدر
ميمي وعلى الثاني اسم مكان فان قيل الخلاص من الهلاك أهم من الظفر باللذات فلم أهمل الاهم
وذكر غير الاهم قلنا لان الخلاص من الهلاك لا يستلزم الفوز بالنعيم لكونه حاصلا لاصحاب
الاعراف مع أنهم غير فائزين بالنعيم بخلاف الفوز بالنعيم فانه يستلزم الخلاص من الهلاك فكان
ذكره أولى (حدائق وأعنابا) أي بساتين فيها أنواع الاشجار المثمرة وكروما وهو تخصيص بعد التعميم
لفضلها قوله حدائق بدل من مفازا بدل الاشتمال ان كان مصدرا ميميا لان الفوز يدل عليه دلالة
التزامية او البعض ان جعل مكانا جمع حديقة وهي الروضة ذات الاشجار ويقال الحديقة كل
بستان عليه حائط أي جدار وفيه من النخل والثمار وفي المفردات الحديقة قطعة من الارض

ذات ماء سميت تشبيها بحدقة العين فى الهيئة وحصول الماء فيها والاعناب جمع عنب بالفارسية انكور قال بعضهم ذكر نفسها ولم يذكر شجرها وهو الكرم لان زيادة الشرف فيها الافى شجرها (وكواعب) جمع كاعب يقال كعبت المرأة كعوبا ظهر ثديها وارتفع ارتفاع الكعب أى نساء عذارى فلكت ثديهن أى استدارت وصارت كالكعب فى النتوء يقال فلك ثدى الجارية تفليكا أى استدار كفلكة المغزل ويقال لهن النواهد جمع ناهد وناهدة وهى المرأة كعب ثديها وبدا للارتفاع (أترابا) لدات أى مستويات فى السن ولدة الرجل تربه وقرينه فى السن والميلاد والهاء عوض عن الواو الذاهبة من أوله لانه من الولادة قال الراغب أى لدات ينشأن معا تشبيها فى التساوى والتماثل بالترائب التى هى ضلوع الصدر ولوقوعهن على الارض معا (در تفسير زاهدى آورده كه شانزده ساله باشند ومردان سى وسه ساله ودر اكثر تفاسير هست كه اهل بهشت اززنان ومردان سى وسه ساله خواهند بود) والظاهر ما فى تفسير الزاهدى وهو كونهن بنات ست عشرة لكونها نصف سن الرجال وأيضا دل عليه الوصف بالكعوب وهو ارتفاع ثديهن والمراد أنهن بالغات تمام كمال النساء فى الحسن واللطافة والصلاح للمصاحبة والمعاشرة بحيث لا يكن فى سن الصغر حتى تضعف الشهوة لهن ولا فى سن الكبر حتى تنكسر الشهوة عنهن بل وراء الشباب أى ماؤه سيار فيهن لم يشبن ولم يتغير عن حد الحسن حسنهن وانما ذكرن لان بهن نظام الدنيا والطافة الآخرة من جهة التنعم الجسمانى (وكأسا دهاقا) أى مملوءة بالخمر فدهاقا بمعنى مدهقة وصفت به الكأس للمبالغة فى امتلائها يقال أدهق الحوض ودهقه ملأه (لا يسمعون) اى المتقون (فيها) أى فى الحدائق (لغوا ولا كذابا) أى لا ينطقون بلغو وهو ما يلغى ويطرح لعدم الفائدة فيه ولا يكذب بعضهم بعضا حتى يسمعوا شيأ من ذلك بخلاف حال أهل الدنيا فى مجالسهم لا سيما عند شربهم قال بعض أهل المعرفة لا يسمعون فيها كلاما الا من الحق فان من تحقق بالحق لا يسمعه الحق الا منه ولا يشهده سواء فى الدنيا والآخرة (جزاء من ربك) مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه فى قوة أن يقال جازى المتقين بمفاز جزاء عظيما كائنا من ربك على أن التنوين للتعظيم (عطاء) أى تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شئ وذلك أن الله تعالى جعل الشئ الواحد جزاء وعطاء وهو غير ظاهر لان كونه جزاء يستدعى ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعى عدم الاستحقاق فالجمع بينهما جمع بين المتنافيين لكن ذلك الاستحقاق انما يثبت بحكم الوعد لا من حيث ان الطاعة توجب الثواب على الله فذلك الثواب بالنظر الى وعده تعالى اياه بمقابلة الطاعة يكون جزاء وبالنظر الى أنه لا يجب على الله لاحد شئ يكون تفضلا وعطاء وهذا بمقابلة قوله جزاء وفاقا لان جزاء المؤمنين من قبيل الفضل لتضاعفه وجزاء الكافرين من قبيل العدل وهو بدل من جزاء بدل الكل من الكل لان العطاء والجزاء متحدان ذاتا وان تغايرا فى المفهوم وفى جعله بدلا من جزاء نكتة لطيفة وهى أن بيان كونه عطاء تفضلا منه هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة اليه فان حق البدل أن يكون مقصودا بالنسبة وذكر المبدل منه وسيلة اليه (حسابا) صفة لعطاء بمعنى كافيا على أنه مصدر أقيم مقام الوصف أى محسبا وقيل على حسب أعمالهم بان يجازى كل عمل بما وعد له من الاضعاف من عشرة وسبعمائة وغير حساب فما وعده الله من المضاعفة داخل فى الحسب أى القدر لان الحسب بفتح السين وسكونها بمعنى القدر

والتقدير على هذا عطاء بحساب بحذف الجار ونصب الاسم قال بعض أهل المعرفة اذا كان الجزاء من الله لا يكون له نهاية لانه لا يكون على حد الاعواض بل يكون فوق الحد لانه ممن لا حد له ولا نهاية فعطاؤه لا حد له ولا نهاية وقال بعضهم العطاء من الله موضع الفضل لا موضع الجزاء فالجزاء على الاعمال والفضل موهبة من الله يختص به الخواص من أهل وداده وفى التأويلات النجمية ان للمتقين الذين يتقون عن نفوسهم المظلمة المدلهمة بالله وصفاته وأسمائه مفازا أى فوز ذات الله وصفاته حدائق روضات القلوب المتنزهة الارضية وأعنابا أشجار المعانى والحقائق المثمرة عنب خمر المحبة الذاتية الخامرة عين العقل عن شهود الغير والغيرية وكواعب أترابا أبكارا اللطائف والمعارف وكأسا دهاقا مملوءة من شراب المحبة وخمر المعرفة لا يسمعون فيها لغوا من الهواجس النفسانية ولا كذابا من الوساوس الشيطانية جزاء من ربك عطاء حسابا أى فضلا تاما كافيا من غير عمل وقال القاشانى ان للمتقين المقابلين للطاغين المتعدين فى أفعالهم حد العدالة مما بينه الشرع والعقل وهم المتنزلون عن الرذائل وهيآت السوء من الافعال مفازا فوزا ونجاة من النار التى هى مآب الطاغين حدائق من جنان الاخلاق وأعنابا من ثمرات الافعال وهيآتها وكواعب من صور آثار الاسماء فى جنة الافعال أترابا متساوية فى الترتيب وكأسا من لذة محبة الآثار مترعة ممزوجة بالزنجبيل والكافور لان أهل جنة الآثار والافعال لا مطمح لهم الى ماوراءها فهم محجوبون بالآثار عن المؤثر وبالعطاء عن المعطى عطاء حسابا كافيا يكفيهم بحسب هممهم ومطامح أبصارهم لانهم لقصور استعداداتهم لا يشتاقون الى ماوراء ذلك فلا شئ ألذ لهم بحسب أذواقهم مما هم فيه (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك والمراد رب كل شئ وخالقه ومالكه (الرحمن) مفيض الخير والجود على كل موجود بحسب حكمته و بقدر استعداد المرحوم وهو بالجر صفة للرب وقيل صفة للاول وأياما كان ففى ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقال القاشانى أى ربهم المعطى اياهم ذلك العطاء هو الرحمن لان عطاياهم من النعم الظاهرة الجلية دون الباطنة الدقيقة فمشربهم من اسم الرحمن دون غيره وفى التأويلات النجمية رب سموات الارواح وأرض النفوس وما بينهما من السر والقلب وقواهما الروحانية هو الرحمن أى الموصوف بجميع الاسماء والصفات الجمالية والجلالية لوقوعه بين الله الجامع وبين الرحيم فله وجه الى الالوهية المشتملة على القهر وله أيضا وجه الى الرحيم الجمالى المحض (لا يملكون منه خطابا) استئناف مقرر لما أفادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير أن يكون لاحد قدرة عليه وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض ومن فى منه صلة للتأكيد على طريقة قولهم بعت منك أى بعتك يعنى أنه صلة خطابا قدم عليه فانقلب بيانا والمعنى لا يملكون أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك اذ المملوك لا يستحق على مالكه شيأ خطابا ما فى شئ ما لتفرده بالعظمة والكبرياء وتوحده فى ملكه بالامر والنهى والخطاب والمراد نفى قدرتهم على أن يخاطبوه تعالى بشئ من نقص العذاب وزيادة الثواب من غير اذنه على أبلغ وجه وآكده كأنه قيل لا يملكون أن يخاطبوه بما سبق من الثواب والعقاب وبه يحصل الارتباط بين هذه الآية وبين ما قبلها من وعيد الكفار ووعد المؤمنين ويظهر منه ان نفى أن يملكوا خطابه لا ينافى الشفاعة باذنه قال القاشانى لانهم أى

أهل

أهل الافعال لم يصلوا الى مقام الصفات فلا حظ لهم من المكالمة (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) أخر الملائكة هنا تعميما بعد التخصيص وأخر الروح فى القدر تخصيصا بعد التعميم فالظاهر أن الروح من جنس الملائكة لكنه اعظم منهم خلقا ورتبة وشرفا اذ هو بمقابلة الروح الانسانى كما أن الملائكة بمقابلة القوى الروحانية ولا شك أن الروح أعظم من قواه التابعة له كالسلطان مع امرائه وجنده ورعاياه وتفسير الروح بجبريل ضعيف وان كان هو مشتهرا بكونه روح القدس والروح الامين اذ كونه روحا ليس بالنسبة الى ذاته والا فالملائكة كلهم روحانيون وان كانوا أجساما لطيفة غير الارواح المهيمة وانما هو بالنسبة الى كونه نافخ الروح وحامل الوحى الذى هو كالروح فى الاحياء وقد اتفقوا على ان اسرافيل أعظم من جبريل ومن غيره فلو كان أحد يقوم صفا واحدا لكان هو اسرافيل دون جبرائيل والله أعلم بمراده من الروح وان اختلفت الروايات فيه هذا ما لاح لى فى هذا المقام بعون الملك العلام وصفا حال أى مصطفين لكثرتهم وقيامهم بما أمر الله فى أمر العباد وقيل هما صفان الروح صف والملائكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملائكة صفا صفا ويوم ظرف لقوله تعالى (لا يتكلمون) وقوله تعالى (الا من أذن له الرحمن وقال صوابا) بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى أهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وهو أرجح لكون الكلام غير موجب والمستثنى منه مذكور وفى مثله يختار البدل على الاستثناء وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذى عليه مدار الكلام من مطلع السورة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى ان أهل السموات والارض اذا لم يقدروا يومئذ على أن يتكلموا بشئ من جنس الكلام الا من أذن الله له منهم فى التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا أى حقا صادقا أو واقعا فى محله من غير خطأ فى قوله فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه أخص من مطلق الكلام وأعز منه مراما وقيل الا من أذن الخ منصوب على أصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا فى حق شخص أذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا أى حقا هو التوحيد وكلمة الشهادة دون غيره من أهل الشرك فانهم لم يقولوا فى الدنيا صوابا بل تفوهوا بكلمة الكفر والشرك واظهار الرحمن فى موقع الاضمار للايذان بأن مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا أن أحدا يستحقه عليه تعالى وفى عرائس البقلى من كان كلامه فى الدنيا من حيث الاحوال والاحوال من حيث الوجد والوجد من حيث الكشف والكشف من حيث المشاهدة والمشاهدة من حيث المعاينة فهو مأذون فى الدنيا والآخرة يتكلم مع الحق على بساط الحرمة والهيبة ينقذ الله به الخلائق من ورطة الهلاك قال ابن عطاء الخالص ما كان لله والصواب ما كان على وجه السنة وقال بعضهم انما تظهر الهيبة على العموم لاهل الجمع فى ذلك اليوم وأما الخواص وأصحاب الحضور فهم أبدا بشهد العز بنعت الهيبة وفيه اشارة الى أن الاسرار والقلوب وقواهم الكائنين بين سموات الارواح وبين أرض النفوس لا يملكون أن يخاطبوا الحق فى شفاعة النفس الامارة والهوى المتبع بسبب لحمة النسب الواقع بينهم اذ الكل أولاد الروح والقالب كما لم يملك نوح عليه السلام أن يخاطب الحق فى حق ابنه كنعان بمعنى أنه لم يقدر على انجائه اذ جاء الخطاب بقوله فلا تسأل ما ليس لك به علم (ذلك) اشارة

الى يوم قيامهم على المذكور ومحله الرفع على الابتداء خبره مابعده أى ذلك اليوم العظيم الذى يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم ولا غيرهم على التكلم من الهيبة والجلال (اليوم الحق) أى الثابت المتحقق لامحالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وذلك لانه متحقق علما فلا بدّ أن يكون متحققا وقوعا كالصباح بعد مضى الليل وفيه اشارة الى أنه واقع ثابت فى جميع الاوقات والاحايين ولكن لا يبصرون به لاشتغالهم بالنفس الملهية وهواها الشاغل (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) الفاء فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة فى تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كأنه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لامحالة فمن شاء أن يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذى ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا أى سبيلا وتعلق الجار به لمافيه من معنى الافضاء والايصال وفى التأويلات النجمية مآبا أى مرجعا ورجوعا من الدنيا الى الآخرة ومن الآخرة الى رب الدنيا والآخرة لانهما حرامان على أهل الله (انا أنذرناكم) أى بما ذكر فى السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواعى أو بها وبسائر القوارع الواردة فى القرآن والخطاب لمشركى العرب وكفار قريش لانهم كانوا ينكرون البعث وفى بعض التفاسير الظاهر عموم الخطاب كعموم من لان فى انذار كل طائفة فائدة لهم (عذابا قريبا) هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وممكن وان رأوه بعيدا وغير ممكن فيرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها وقال بعض أهل المعرفة العذاب القريب هو عذاب الالتفات الى النفس والدنيا والهوى وقال القاشانى هو عذاب الهيآت الناشئة من الاعمال الفاسدة دون ماهو أبعد من عذاب القهر والسخط وهو ماقدمت أيديهم (يوم ينظر المرء ماقدمت يداه) تثنية أصلها يدان سقطت نونها بالاضافة ويوم بدل من عذابا أو ظرف لمضمر هو صفة له أى عذابا كائنا يوم ينظر المرء أى يشاهد ماقدمه من خير أوشر بعنى باز بايد كردارهاى خودرا ازخير وشر على أن ما موصولة منصوبة بينظر لانه يتعدى بنفسه وبالى والعائد محذوف أى قدمته أو ينظر أى شئ قدمت يداه على أنها استفهامية منصوبة بقدمت متعلقة بينظر فالمرء عام للمؤمن والكافر لان كل أحد يرى عمله فى ذلك اليوم مثبتا فى صحيفته خيرا كان أو شرا فيرجو المؤمن ثواب الله على صالح عمله ويخاف العقاب على سيئه وأما الكافر فكما قال الله تعالى (ويقول الكافر ياليتنى) أى ياقوم فالمنادى محذوف ويجوز أن يكون لمحض التحسر ولجرّد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه وبالفارسية أى كاشكى من (كنت ترابا) فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف وهو فى محل الرفع على أنه خبر ليت أو ليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم أبعث كقوله ياليتنى لم أوت كتابيه الى أن قال ياليتها كانت القاضية وقيل يحشر الله الحيوان فيقتص للجماء من القرناء نطحتها أى قصاص المقابلة لاقصاص التكليف ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله كما قال عليه السلام لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء وهذا صريح فى حشر البهائم واعادتها للقصاص المقابلة لا للجزاء ثوابا وعقابا وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون

الشئ

الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين يعني ابليس آدم را عيب مى كرد كه از خاك آفريده شده وخود را مى ستود كه من از آتش مخلوقم چون دران روز كرامت آدم وثواب فرزندان مؤمن او مشاهده كند وعذاب وشدت خود را بيند آرزو برد كه كاشكى من از خاك بودمى ونسبت بادم داشتمى أى درويش اين دبدبه وطنطنه كه خاك راست هيچ طبقه از طبقات مخلوقات را نيست * خاك را خوار وتيره ديد ابليس * كرد انكارش آن حسود خسيس * ماند غافل ز نور باطن أو * نشد آكه ز سر كامل او * بهر كنجى كه هست در دل خاك * اين صدا داده اند در افلاك * كه بجز خاك نيست مظهر كل * خاك شو خاك تا بروید كل * وأما مؤمنوا الجن فلهم ثواب وعقاب فلا يعودون ترابا وهو الاصح فيكون مؤمنوهم مع مؤمني الانس في الجنة أو في الاعراف ونعيمهم ما يناسب مقامهم ويكون كفارهم مع كفار الانس في النار وعذابهم بما يلائم شأنهم وقيل هو تراب سجدة المؤمن تنطفئ به عنه النار وتراب قدمه عند قيامه في الصلاة فيتمنى الكافر أن يكون تراب قدمه وفي التأويلات النجمية يوم ينظر المرء ما قدمت يد قلبه ويد نفسه من الاحسان والاساءة ويقول كافر النفس الساتر للحق يا ليتني كنت تراب أقدام الروح والسر والقلب متذللة بين يديهم مؤتمرة لاوامرهم ونواهيهم (وفي كشف الاسرار) از عظمت آن روزست كه بيست وچهار ساعت شبانروز دنيا را بر مثال بيست وچهار خزانه حشر كنند ودر عرصات قيامت حاضر كردانند يكان يكان خزانه ميكشايند وبر بنده عرض ميدهند از ان خزينه بكشايند پر بها وجمال ونور وضيا وآن آن ساعتست كه بنده در خيرات وحسنات وطاعات بود بنده چون حسن ونور بهاى آن بيند چندان شادى وطرب واهتزاز بروغالب شود كه اكر ان بر جملهٔ دوزخيان قسمت كنند از دهشت آن شادى ألم ودرد آتش فراموش كنند خزينهٔ ديكر بكشايند تاريك ومظلم پر نتن ووحشت وآن آن ساعتست كه بنده در معصيت حق بوده وازره ظلمت ووحشت آن كردار در آيد چندان فزع وهول ورنج وغم اورا فرو كيرد كه اكر بر كل اهل بهشت قسمت كنند نعيم بهشت برايشان منغص شود خزينهٔ ديكر بكشايند خالى كه درونه طاعت بود كه سبب شاديست نه معصيت كه موجب اندوهست وآن ساعتيست كه بنده در وخفته باشد يا غافل يا بمباحات دنيا مشغول بوده بنده بران حسرت خورد وغبن عظيم برو راه يابد همچنين خزائن يك يك ميكشايند وبر وعرضه ميكنند از ان ساعت كه در وطاعت كرده شاد ميكردد واز ان ساعت كه در ومعصيت كرده رنجور ميشود وبر ساعتى كه مهمل كذاشته حسرت وغبن ميخورد وچون كار مؤمن مقصر دران روز اين باشد پس قياس كن كه حال كافر چكونه باشد در حسرت وندامت وآه وزارى * روى أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال النبي عليه السلام تعلموا سورة عم يتساءلون عن النبأ العظيم وتعلموا ق والقرآن المجيد والنجم اذا هوى والسماء ذات البروج والسماء والطارق فانكم لو تعلمون ما فيهن لعطلتم ما أنتم عليه وتعلمتموهن وتقربوا الى الله بهن ان الله يغفر بهن كل ذنب الا الشرك بالله وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله لقد أسرع اليك الشيب قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس

كورت الكل فى كشف الاسرار وفيه اشارة الى أن من تعلم هذه السور ينبغى له أن يتعلم معانيها أيضا اذ لا يحصل المقصود الا به وتصريح بأن هم الآخرة ومطالعة الوعيد واستحضاره يشيب الانسان ولذا ذم الحبر السمين والقارئ السمين اذ لم يكن سمينا الا بالذهول عما قرأه ولو استحضره وهم به لشاب من همه وذاب من غمه لان الشحم مع الهم لا ينعقد قال الشافعى رحمه الله ما أفلح سمين قط الا أن يكون محمد بن الحسن فقيل له ولم قال لانه لا يخلو العاقل من احدى حالتين اما أن يهتم لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد فاذا خلا من المعنيين صار فى حد البهائم يعقد الشحم

*(تمت سورة النبا بالعون الالهى فى الثانى والعشرين من شهر الله المحرم من شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف)

(سورة النازعات خمس أو ست وأربعون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا) الواو للقسم والقسم يدل على عظم شأن المقسم به ولله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته تنبيها على ذلك العظم والنازعات جمع نازعة بمعنى طائفة من الملائكة نازعة فأنثت صفة الملائكة باعتبار كونهم طائفة ثم جمعت تلك الصفة فقيل نازعات بمعنى طوائف من الملائكة نازعات وقس عليه الناشطات ونحوه والا فكان الظاهر أن يقال والنازعين والناشطين والنزع جذب الشئ من مقره بشدة والغرق مصدر بحذف الزوائد بمعنى الاغراق وهو بالفارسية غرقه كردن وكمان بزور كشيدن والغرق الرسوب فى الماء وفى البلاء فهو مفعول مطلق للنازعات لانه نوع من النزع فيكون شرطه موجودا وهو اتفاق المصدر مع عامله والاغراق فى النزع التوغل فيه والبلوغ الى أقصى درجاته يقال أغرق النازع فى القوس اذا بلغ غاية المد حتى انتهى الى النصل أقسم الله بطوائف الملائكة التى تنزع أرواح الكفار من أجسادهم اغراقا فى النزع بمعنى جان كافران بسختى نزع ميكنند وأيضا ينزعونها منهم معكوسا من الانامل والاظفار ومن تحت كل شعرة كما تنزع الاشجار المتفرقة العروق فى أطراف الارض وكما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول وكما يسلخ جلد الحيوان وهو حى وكما يضرب الانسان ألف ضربة بالسيف بل أشد والملائكة وهم ملك الموت وأعوانه من ملائكة العذاب يطعنونهم بحربة مسمومة بسم جهنم والميت يظن أن بطنه قد ملئ شوكا وكأن نفسه تخرج من ثقب ابرة وكأن السماء انطبقت على الارض وهو بينهما فاذا نزعت نفس الكافر وهى ترعد أشبه شئ بالزئبق على قدر النحلة وعلى صورة عملة تأخذها الزبانية ويعذبونها فى القبر وفى سجين وهو العذاب الروحانى ثم اذا قامت القيامة انضم الجسمانى الى الروحانى فقوله والنازعات غرقا اشارة الى كيفية قبض أرواح الكفار بشهادة مدلول اللفظ (والناشطات نشطا) قسم آخر معطوف بطريق العطف والنشط جذب الشئ من مقره برفق ولين ونصب نشطا على المصدرية أقسم الله بطوائف الملائكة التى تنشط ارواح المؤمنين أى تخرجها من أبدانهم برفق ولين كما تنشط الدلو من البئر يقال نشط الدلو من البئر اذا أخرجها وكما تنشط الشعرة من السمن وكما تنسل القطرة من السقاء وهم ملك الموت وأعوانه من ملائكة الرحمة ونفس المؤمن وان كانت تجذب

من أطراف البنان ورؤس الاصابع أيضا لكن لا يحس بالألم كما يحس به الكافر وأيضا نفس المؤمن ليس لها شدة تعلق بالبدن كنفس الكافر لكونها منجذبة الى عالم القدس وانما يشتد الامر على أهل التعلق دون أهل التجرد خصوصا اذا كان ممن مات بالاختيار قبل الموت وأيضا حين يجذبونها يدعونها أحيانا حتى تستريح وليس كذلك أرواح الكفار فى قبضها لكن ربما يتعرض الشيطان للمؤمن الضعيف اليقين والقاصر فى العمل اذا بلغ الروح التراقى فيأتيه فى صورة أبيه وأمه وأخيه أو صديقه فيأمره باليهودية أو النصرانية أو نحو ذلك نسأل الله السلامة (حكى) ان ابليس عليه اللعنة تمثل للنبى عليه السلام يوما وبيده قارورة ماء فقال أبيعه بايمان الناس حالة النزع فبكى النبى عليه السلام حتى بكت أهل بيته فأوحى الله تعالى اليه انى أحفظ عبادى فى تلك الحالة من كيده والميت يرى الملائكة حينئذ على صورة أعماله حسنة أو قبيحة فاذا أخذوا نفس المؤمن يلفونها فى حرير الجنة وهى على قدر النحلة وعلى صورة عمله ما فقد شئ من عقله وعلمه المكتسب فى الدنيا دل عليه قوله تعالى حكاية عن حبيب النجار الشهيد فى انطاكية قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فيعرجون بها الى الهواء ويمشون له أسباب التنعم فى قبره وفى عليين وهو النعيم الروحانى ثم اذا قام الناس من قبورهم ازداد النعيم بانضمام الجسمانى الى الروحانى فقوله والناشطات نشطا اشارة الى كيفية قبض أرواح المؤمنين بشهادة النشط ومدلوله أيضا فان قيل قد ثبت أن النبى عليه السلام أخذ روحه الطيب ببعض شدة حتى قال واكرباه وقال لا اله الا الله ان للموت سكرات اللهم أعنى على سكرات الموت أى غمراته وكان يدخل يده الشريفة فى قدح فيه ماء ثم يمسح وجهه المنور بالماء ولما رأته فاطمة رضى الله عنها يغشاه الكرب قالت واكرب أبتاه فقال لها عليه السلام ليس على أبيك كرب بعد اليوم فاذا كان أمر النبى عليه السلام حين انتقاله هكذا فما وجه ما ذكر من الرفق واللين أجيب بأن مزاجه الشريف كان أعدل الامزجة فأحس بالألم أكثر من غيره اذ الخفيف على الاخف ثقيل وأيضا يحتمل أن يبتليه الله بذلك ليدعو الله فى أن يجعل الموت لامته سهلا يسيرا وأيضا قد روى انه طلب من الله أن يحمل عليه بعض صعوبة الموت تخفيفا عن أمته فانه بالمؤمنين رؤف رحيم وأيضا فيه تسلية أمته اذا وقع لاحد منهم شئ من ذلك الكرب عند الموت وأيضا يحصل لمن شاهد من أهله ومن غيرهم من المسلمين الثواب لما يلحقهم عليه من المشقة كما قيل بمثل ذلك فى حكمة ما يشاهد من حال الاطفال عند الموت من الكرب الشديد وأيضا راحة الكمل فى الشدة لانها من باب الترقى فى العلوم والدرجات وأول الامر للناقصين كفارة الذنوب فاهل الحقيقة لا شدة عليهم فى الحقيقة لاستغراقهم فى بحر الشهود وانما الشدة لظواهرهم والحاصل كما أن النار لا ترفع عن الدنيا والدنيا قائمة فكذا الشدة لا ترفع عن الظواهر فى هذا الموطن (والسابحات سبحا) قسم آخر معنى أيضا بطريق العطف والسبح المر السريع فى الماء أو فى الهواء وسبحا نصب على المصدرية أقسم الله بطوائف الملائكة التى تسبح فى مضيها أى تسرع فيه ينزلون من السماء الى الارض مسرعين مشبهين فى سرعة نزولهم بمن يسبح فى الماء وهذا من قبيل التعميم بعد التخصيص لان نزول الاولين انما هو لقبض الارواح مطلقا ونزول هؤلاء لعامة الامور والاحوال (فالسابقات سبقا) عطف على السابحات بالفاء للدلالة على ترتب

السبق على السبح بغير مهلة فالموصوف واحد ونصب سبقا على المصدرية أي التي تسبق سبقا الى ما أمروا به ووكلوا عليه أي يصلون بسرعة والسبق كناية عن الاسراع فيما أمروا به لان السبق وهو التقدم في السير من لوازم الاسراع فالسبق هنا لا يستلزم وجود المسبوق اذ لا مسبوق (فالمدبرات أمرا) عطف على السابقات بالفاء للدلالة على ترتب التدبير على السبق بغير تراخ والتدبير التفكر في دبر الامور وأمرا مفعول للمدبرات قال الراغب يعني الملائكة الموكلين بتدبير الامور انتهى أي التي تدبر أمرا من الامور الدنيوية والاخروية للعباد كما رسم لهم من غير تفريط وتقصير والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة ووجه البعث أن الموت يستدعيه للاجر والجزاء لئلا يستقر الظلم والجور في الوجود وما ربك بظلام للعبيد فكأن الله تعالى يقول ان الملائكة ينزلون لقبض الارواح عند منتهى الآجال ثم ينجر الامر الى البعث لما ذكر فكان من شأن من يقر بالموت أن يقر بالبعث فلذا جمع بين القسم بالنازعات وبين البعث الذي هو الجواب وفي عنوان هذه السورة وجوه كثيرة صفحنا عن ذكرها واخترنا سوق الكشاف فانه هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وقال القاشاني اقسم بالنفوس المشتاقة التي غلب عليها النزوع الى جناب الحق غريقة في بحار الشوق والمحبة والتي تنشط من مقر النفس وأسر الطبيعة أي تخرج من قيود صفاتها وعلائق البدن من قولهم ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد أو من قولهم نشط من عقاله والتي تسبح في بحار الصفات فتسبق الى عين الذات ومقام الفناء في الوحدة فتدبر بالرجوع الى الكثرة أمر الدعوة الى الحق والهداية وأمر النظام في مقام التفصيل بعد الجمع انتهى ثم ان النفوس الشريفة لا يبعد أن يظهر منها آثار في هذا العالم سواء كانت مفارقة عن الابدان أولا فتكون مدبرات ألا ترى أن الانسان قد يرى في المنام أن بعض الاموات يرشده الى مطلوبه ويرى استاذه فيسأله عن مسئلة فيحلها له سئل زرارة بعد أن توفي رضي الله عنه في المنام أي الاعمال أفضل عندكم فقال الرضا وقصر الامل وعن بعضهم رأيت ورقاء بن بشر رحمه الله في المنام فقلت ما فعل الله بك قال نجوت بعد كل جهد قلت أي الاعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من خشية الله وقال بعضهم هلكت جارية في الطاعون فرآها أبوها في المنام فقال لها يا بنية اخبريني عن الآخرة قالت يا أبت قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في صحيفة عملي أحب الي من الدنيا وما فيها ونظائره كثيرة لا تحصى وقد يدخل بعض الاحياء من جدار ونحوه على بعض من له حاجة فيقضيها وذلك على خرق العادة فاذا كان التدبير بيد الروح وهو في هذا الموطن فكذا اذا انتقل منه الى البرزخ بل هو بعد مفارقته البدن أشد تأثيرا وتدبيرا لان الجسد حجاب في الجملة ألا ترى أن الشمس أشد احراقا اذا لم يحجبها غمام أو نحوه (يوم ترجف الراجفة) منصوب بالجواب المضمر وهو لتبعثن والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة كالارض والجبال أي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة من هول ذلك اليوم وهي النفخة الاولى أسند اليها الرجف مجازا على طريق اسناد الفعل الى سببه فان حدوث تلك النفخة سبب لاضطراب الاجرام الساكنة من الرجفان وهي شدة الاضطراب ومنه الرجفة للزلزلة لما فيه من شدة الاضطراب أو بكثرة الانقلاب وفيه اشعار بأن تغير السفلي مقدم على تغير العلوي وان لم يكن مقطوعا (تتبعها الرادفة)

أى الواقعة التى تردف الاولى أى تجىء بعدها وهى النفخة الثانية لانها تجىء بعد الاولى يقال ردفه كسمعه ونصره تبعه كاردفه وأردفته معه أركبته معه كما فى القاموس وهى حال مقدرة من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث أى لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذى تقع فيه النفختان وبينهما أربعون سنة كما قال فى الكشاف لتبعثن فى الوقت الواسع الذى تقع فيه النفختان وهم يبعثون فى بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى انتهى قال فى الارشاد واعتبار امتداده مع أن البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حى الامات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام (قلوب) مبتدأ وتنكيره يقوم مقام الوصف المخصص سواء حمل على التنويع وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه أو على التكثير كما فى شر أهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية أيضا كأنه قيل قلوب كثيرة أو عاصية كما قال فى التأويلات النجمية قلوب النفس المتمردة الشاردة النافرة عن الحق (يومئذ) يوم اذ تقع النفختان وهو متعلق بقوله (واجفة) أى شديدة الاضطراب من سوء أعمالهم وقبح أفعالهم فان الوجيف عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل وعلم منه أن الواجفة ليست جميع القلوب بل قلوب الكفار فان أهل الايمان لا يخافون (أبصارها) أى أبصار أصحابها كما دل عليه قوله يقولون والا فالقلوب لا ابصار لها وانما أضاف الابصار الى القلوب لانها محل الخوف وهو من صفاتها (خاشعة) ذليلة من الخوف بسبب الاعراض عن الله والاقبال على ما سواه يترقبون أى شئ ينزل عليهم من الامور العظام وأسند الخشوع اليها مجازا لان أثره يظهر فيها (يقولون) استئناف بيانى أى هم يقولون الآن يعنى أن منكرى البعث ومكذبى الآيات الناطقة به اذا قيل لهم انكم تبعثون يقولون منكرين له متعجبين منه (أئنا) آيا ما (لمردودون) معادون بعد موتنا (فى الحافرة) أى فى الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان فى حافرته أى طريقته التى جاء فيها فحفرها أى أثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع انها محفورة وانما الحافر هو الماشى فى تلك الطريقة كقوله تعالى عيشة راضية أى منسوبة الى الحفر والرضا أو على تشبيه القابل بالفاعل أى فى تعلق الحفر بكل منهما فأطلق اسم الثانى على الاول للمشابهة كما يقال صام نهاره تشبيها لزمان الفعل بفاعله وقال مجاهد والخليل بن أحمد الحافرة هى الارض التى يحفر فيها القبور ولذا قال فى التأويلات النجمية أى حافرة أجسادنا وقبور صدورنا (أئذا) العامل فى اذا مضمر يدل عليه مردودون أى أئذا (كنا) بالجون كرديم ما (عظاما نخرة) بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شئ من الحياة فهو تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له ظنوا أن من فساد البدن وتفرق أجزائه يلزم فساد ما هو الانسان حقيقة وليس كذلك ولو سلم أن الانسان هو هذا الهيكل المخصوص فلا نسلم امتناع اعادة المعدوم فان الله قادر على كل الممكنات فيقدر على جمع الاجزاء العنصرية واعادة الحياة اليها لانها متميزة فى علمه وان كانت غير متميزة فى علم الخلق كالماء مع اللبن فانهما وان امتزجا لكن أحدهما متميز عن الآخر فى علم الله وان كان عقل الانسان قاصرا عن ادراكه والنخر البلى يقال نخر العظم أو الخشب بكسر العين اذا بلى واسترخى وصار بحيث لو مس لتفتت ونخرة أبلغ من ناخرة لكونها من صيغ

المبالغة أو صفة مشبهة دالة على الثبوت ولذا اختارها الاكثر والناخرة أشبه برؤس الآى ولذا اختارها البعض وقيل النخرة غير الناخرة اذ النخرة بمعنى البالية وأما الناخرة فهى العظام الفارغة المجوفة التى يحصل فيها صوت من هبوب الريح من نخر النائم والمجنون لامن النخر بمعنى البلى قال الراغب النخير صوت من الانف وسمي خرق الانف الذى يخرج منه النخير منخرا فالمنخران ثقبتا الانف (قالوا) اختيار الماضى هنا للايذان بأن صدور هذا الكفر منهم ليس بطريق الاستمرار مثل كفرهم السابق المعبر عنه بالمضارع أى قالوا بطريق الاستهزاء بالحشر (تلك) الردة والرجعة فى الحافرة وفيه اشعار بغاية بعدها من الوقوع فى اعتقادهم (اذا) آنكاه وبر آن تقدير (كرة) الكر الرجوع والكرة المرة من الرجوع والجمع كرات (خاسرة) أى ذات خسران على ارادة النسبة من اسم الفاعل أو خاسرة أصحابها على الاسناد المجازى أى على طريق اسناد الفعل الى مايقارنه فى الوجود كقولك تجارة رابحة والربح فعل أصحاب التجارة وهى عقد المبادلة والربح والتجارة متقارنان فى الوجود والا فهم الخاسرون والكرة مخسور فيها أى ان صحت تلك الكرة فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا المعنى أفاده كلمة اذا فانها حرف جواب وجزاء عند الجمهور وانما حمل قولهم هذا على الاستهزاء لانهم أبرزوا ما قطعوا باستحالته واستحالته فى صورة المشكوك المحتمل الوقوع (فانما هى زجرة واحدة) جواب من الله عن كلامهم بالانكار وتعليل لمقدر أى لاتحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فانها سهلة هينة فى قدرته فانما هى صيحة واحدة أى حاصلة بصيحة واحدة لاتكرر يسمعونها وهم فى بطون الارض وهى النفخة الثانية كنفخ واحد فى صور الناس لاقامة القافلة عبر عن الكرة بالزجرة تنبيها على كمال اتصالها بها كأنها عينها يقال زجر البعير اذا صاح عليه (فاذا هم) بس آنكاه ايشان وسائر خلايق (بالساهرة) أى فاجؤا الحصول بها وهو بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التى عبر عنها بالزجرة واذا المفاجأة تفيد حدوث ما أنكروه بسرعة على فجأة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة يعنى ان بياض الارض عبارة عن خلوها عن الماء والكلأ شبه جريان السراب فيها بجريان الماء عليها فقيل لها ساهرة وقيل لان سالكها لاينام خوف الهلكة يقال سهر كفرح لم ينم ليلا أو هى جهنم لان أهلها لاينامون فيها أو كأنه مقلوب الصادسينا من صهرته الشمس أحرقته وقال الراغب حقيقتها الارض التى يكثر الوطء بها كأنها سهرت من ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الساهرة أرض من فضة لم يعص الله عليها قط خلقها حينئذ وقال الثورى الساهرة أرض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وكفته اندساهره نام زمينست نزديك بيت المقدس در حوالى جبل اريحا كه محشر آنجا خواهد بود خدا انرا كشاده كرداند چندانكه خواهد وفى الحديث بيت المقدس أرض المحشر والمنشر وقال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة ان الناس اذا قاموا من قبورهم وأراد الله أن يبدل الارض غير الارض تمد الارض باذن الله و يكون المحشر فيكون الخلق عليه عندما يبدل الله الارض كيف يشاء اما بالصورة واما بأرض أخرى ماهم عليها تسمى بالساهرة فيمدها سبحانه مد الاديم ويزيد فى سعتها اضعاف ما كانت عن أحد وعشرين جزأ الى تسعة وتسعين جزأ حتى لاترى عوجا

ولا أمتا وقال فى التأويلات النجمية فاذا هم بالساهرة أى بظهر أرض الحياة كما كانوا قبله ببطن أرض الممات (هل أتاك حديث موسى) كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم وأعظم يعنى فرعون ومعنى هل أتاك ان اعتبر هذا أول ما أتاه من حديثه ترغيب له فى استماع حديثه وحمل له على طلب الاخبار كأنه قيل هل أتاك حديث موسى قبل هذا أم أنا أخبرك به كما قال الحسن رحمه الله اعلام من الله لرسوله حديث موسى كقول الرجل لصاحبه هل بلغك ما لقى أهل البلد وهو يعلم أنه لم يبلغه وانما قال ليخبره به انتهى وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز فى الاقتصاص استفهام تقرير له أى حمل له على الاقرار بأمر يعرفه قبل ذلك أى أليس قد أتاك حديثه وبالفارسية آيا چنين نيست كه آمد بتو خبر موسى كليم عليه السلام تا تسلى دهى دل خود را بر تكذيب قوم و خبر فرستادن ما ازو به مؤمنان و وعيد كافران يعنى قد جاءك و بلغك حديثه عن قريب كأنه لم يعلم بحديث موسى وانه لم يأته بعد والا لما كان يحزن على اصرار الكفار على انكار البعث وعلى استهزائهم به بل يتسلى بذلك فهل بمعنى قد المقربة للحكم الى الحال وهمزة الاستفهام قبلها محذوفة وهى للتقرير وزيد ليس لانه أظهر دلالة على ذلك لا لانه مقدر فى النظم (اذ ناداه ربه) ظرف للحديث والمناداة والنداء بالفارسية خواندن وفى القاموس النداء الصوت أى هل أتاك حديثه الواقع حين ناداه ربه اذ المراد خبره الحادث فلا بد له من زمان يحدث فيه لا ظرف للاتيان لاختلاف وقتى الاتيان والنداء لان الاتيان لم يقع فى وقت النداء أو مفعول لاذكر المقدر وعليه وضع السجاوندى علامة الوقف اللازم على موسى وقال لانه لو وصل صار اذ ظرفا لاتيان الحديث وهو محال لعله لم يلتفت الى عمل حديث لكونه هنا اسما بمعنى الخبر مع وجود فعل قوى فى العمل قبله وبالجملة لا يخلو عن ايهام فالوجه الوقف كذا فى بعض التفاسير (بالوادى المقدس) المبارك المطهر بتطهير الله عما لا يليق حين مكالمته مع كليمه أو سمى مقدسا لوقوعه فى حدود الارض المقدسة المطهرة عن الشرك ونحوه وأصل الوادى الموضع الذى يسيل فيه الماء ومنه سمى المنفرج بين الجبلين واديا والجمع أودية ويستعار للطريقة كالمذهب والاسلوب فيقال فلان فى واد غير واديك (طوى) بضم الطاء والتنوين تأويلا له بالمكان أو بغير تنوين تأويلا له بالبقعة قال الفراء الصرف أحب الى اذ لم أجد فى المعدول نظيرا أى لم أجد اسما من الوادى عدل عن جهته غير طوى وهو اسم للوادى الذى بين المدينة ومصر فيكون عطف بيان له قال القاشانى الوادى المقدس هو عالم الروح المجرد لتقدسه عن التعلق بالمواد واسمه طوى لانطواء الموجودات كلها من الاجسام والنفوس تحته وفى طيه وقهره وهو عالم الصفات ومقام المكالمة من تجلياتها فلذلك ناداه بهذا الوادى ونهاية هذا العالم هو الافق الاعلى الذى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل على صورته (اذهب الى فرعون) على ارادة القول أى فقال له اذهب الى فرعون (انه طغى) تعليل للامر أو لوجوب الامتثال به والطغيان مجاوزة الحد أى طغى على الخالق بأن كفر به وطغى على الخلق بأن تكبر عليهم واستعبدهم فكما أن كمال العبودية لا يكون الا بالصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان يكون بسوء المعاملة معهما وقال القاشانى أى ظهر بانائيته وذلك أن فرعون كان ذا نفس قوية حكيما عالما ملك وادى

الافعال وقطع بوادى الصفات واحتجب بانانيته وانتحل صفات الربوبية ونسبها الى نفسه وذلك لفرط عتوه وجبروته وطغيانه فكان ممن قال فيه عليه السلام شر الناس من قامت القيامة عليه فهو حى لقيامه بنفسه وهواها فى مقام توحيد الصفات وذلك من أقوى الحجب (فقل) بعدما أتيته (هل لك) رغبة وتوجه (الى أن تزكى) بحذف احدى التاءين من تتزكى أى تتطهر من دنس الكفر والطغيان ووسخ الكدورات البشرية والقاذورات الطبيعية فقوله لك خبر مبتدا محذوف والى أن متعلق بذلك المبتدا المضمر وقد يقال قوله هل لك مجاز عن أجذبك وادعوك والقرينة هى القرينة وهى المجاورة (وأهديك الى ربك) وأرشدك الى معرفته فتعرفه أشار الى أن فى النظم مضافا مضمرا وتقديم التزكية لتقدم التخلية على التحلية (فتخشى) اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أى العلماء بالله قيل انه تعالى قال فى آخره وان يفعل فقال موسى فكيف أمضى اليه وقد علمت أنه ان يفعل فأوحى اليه أن امض لما تؤمر فان فى السماء اثنى عشر ألف ملك يطلبون علم القدر فلم يدركوه وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر لان من خشى الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر كما قال عليه السلام من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل يقال أدلج القوم اذا ساروا من أول الليل وان ساروا من آخر الليل فقد ادلجوا بالتشديد ثم انه تعالى أمر موسى عليه السلام بأن يخاطبه الاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى أما كونه لينا فلانه فى صورة العرض لا فى صورة الامر صريحا وليس فيه أيضا ذكر نحو الشرك والجهل والكفران من متعلقات التزكى وأما اشتماله على بعض التفصيل فظاهر (فأراه) إبليس بموداورا موسى (الآية الكبرى) الفاء فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها فى السور الاخرى فانه جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى أن قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين أى فذهب اليه موسى بأمر الله فدعاه الى التوحيد والطاعة وطلب هو منه المعجزة الدالة على صدقه فى دعوته والاراءة اما من التبصير أو التعريف فان اللعين حين أبصرها عرفها وادعاء سحريتها انما كان اراءة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه بالنظر الى الظاهر كما أن نسبتها الى نون العظمة فى قوله ولقد أريناه آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية والصغرى غيره من معجزاته الباقية وذلك ان القلب المذكور كان المقدم على الكل فى الاراءة فينبغى أن يكون هو المراد على ما تقتضيه الفاء التعقيبية (فكذب) فرعون بموسى وسمى معجزته سحرا عقيب رؤية الآية من غير روية وتأمل وطلب شاهد من عقل وناصح من فكر وقلب لغاية استكباره وتمرده (وعصى) الله بالتمرد بعد ما علم صحة الامر ووجوب الطاعة أشد عصيان وأقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين رأسا فدل العطف على أن الذى ترتب على اراءة الآية الكبرى هو التكذيب الذى يكون عصيانا لله وهو التكذيب باللسان مع حصول الجزم بأن من كذبه ممن يجب تصديقه فاما تكذيب من لا يجب تصديقه فلا يكون عصيانا او يجوز أن يراد وعصى موسى فيما أمر به الا أن الاول أدخل فى ذمه وتقبيح حاله وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته تعالى وترك دعوى الربوبية لا بارسال بنى اسرائيل من الاسر

والقسر

والقسر فقط قال بعض أهل المعرفة أراه آية صرفا ولو أراه أنوار الصفات فى الآيات لم يكفر ولم يدع الربوبية اذ هنالك موضع المحبة والعشق والاذعان لان رؤية الصفات تقتضى التواضع ورؤية الذات تقتضى العربدة فكان هو محجوبا برؤية الآيات عن رؤية الصفات فلما لم يكن معه حظ شهود نور الصفة لم ينل عند رؤيتها حظ المحبة فلم يأت منه الانقياد والاذعان لذلك قال تعالى فكذب وعصى (ثم أدبر) أى تولى عن الطاعة وكلمة ثم على هذا معناها التراخى الزمانى اذ السعى فى ابطال أمره يقتضى مهلة أو انصرف عن المجلس قال الراغب ادبر اى أعرض وولى دبره (يسعى) يجتهد فى معارضة الآية تمردا وعنادا لا اعتقادا بأنها يمكن معارضتها فهو تعلل بالباطل دفعا للمجلس وهو حال من فاعل أدبر بمعنى مسرعا مجتهدا وفى الكشاف لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسرع فى مشيته قال الحسن رحمه الله كان رجلا طياشا (فحشر) أى فجمع السحرة لقوله تعالى فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده أى ما يكاد به من السحرة وآلاتهم ويجوز أن يراد جميع الناس (فنادى) بنفسه فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه أو بواسطة المنادى (فقال) اتماما لمقام الحكومة والسلطنة (أنا ربكم الاعلى) لا رب فوقى أى أعلى من كل من يلى أمركم على أن تكون صيغة التفضيل بالنسبة الى من كان تحت ولايته من الملوك والامراء (وقال الكاشفى) يعنى اصنام كه برصورت منند همه ايشان خدايانند ومن ازهمه برترم ولما ادعى العلوية قيل لموسى عليه السلام فى مقابلة هذا الكلام انك أنت الاعلى لان الغلبة على عدوه غلبة عليه والحاصل أنه لم يرد بهذا القول انه خالق السموات والارض والجبال والنبات والحيوان فان العلم بفساد ذلك ضرورى ومن شك فيه كان مجنونا ولو كان مجنونا لما جاز من الله بعثة الرسول اليه بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والنشر وكان يقول ليس للعالم اله حتى يكون له عليكم أمر ونهى أو يبعث اليكم رسولا بل المربى لكم والمحسن اليكم أنا لا غيرى قال بعضهم كان ينبغى له عند ظهور ذله وعجزه بانقلاب العصا حية أن لا يقول ذلك القول فكأنه صار فى ذلك الوقت كالمعتوه الذى لا يدرى ما يقول (امام قشيرى رحمه الله) در لطائف آورده كه ابليس اين سخن شنيده كفت مرا طاقت اين سخن نيست من دعوى خيريت كفتم برآدم اين همه بلا بمن رسيد او كه چنين لاف ميزند تا كار او بكجا رسد قال بعض العارفين لم يدع أحد من الخلائق من الكمال ما ادعاه الانسان فانه ادعى الربوبية وقال أنا ربكم الاعلى وابليس تبرأ منها وقال انى أخاف الله فلم يدع مرتبة ليست له قط أى انه على جناح واحد وهو الجلال فقط وكذا الملك فانه على الجمال المحض بخلاف الانسان فانه مخلوق باليدين شيخ ركن الدين علاء الدولة سمنانى قدس سره فرموده كه وقتى مرا حال كرم بود بزيارت حسين منصور حلاج رفتم چون مراقبه كردم روح او را در مقام عالى يافتم از عليين مناجات كردم كه خدايا اين چه حالتست كه فرعون أنا ربكم ومنصور أنا الحق كفت هر دو يك دعوى كردند روح حسين در عليينست وجان فرعون در سجين بسر من ندا رسيد كه فرعون بخود بينى در افتاده همه خود را ديد وما را كم كرد وحسين ما را ديد وخود را كم كرد پس درميان فرق بسيارست (وفى المثنوى) كفت فرعونى أنا الحق كشت پست * كفت منصورى أنا الحق و برست * آن انا را لعنت الله در عقب * واين انا را رحمت الله اى محب * زانكه او سنك سيه بود اين عقيق *

آن عدوى نور بود وابن عشيق * اين اناهو بود در سراى فضول * نه زراى اتحاد وازحلول * قال في أسئلة الحكم فان قلت ما الحكمة فى ان ابليس قد لعن ولم يدع الربوبية وفرعون وامثاله قد ادعوا الربوبية ولم يلعنوا تعيينا وتخصيصا كما لعن ابليس قيل لان نية ابليس شر من نية هؤلاء وقيل لانه أول من سن الخلاف والشقاق قولا وفعلا ونية والخلق بعده ادعوا الربوبية وسنوا البغى والخلاف بوسوسته وابليس واجه بجفائه حضرة الرب تعالى وهم واجهوا الانبياء والوسائط وتضرعوا تارة واعترفوا بالذنوب عند المخلوق أخرى وابليس لم يعترف ولم يتضرع وهو أول من سن الكفر فوزر الكفار بعده راجع اليه الى يوم القيامة ومظهر الضلالة والغواية بذاته بغير واسطة (فأخذه الله) بسبب ماذكر (نكال الآخرة والاولى) النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب أى الذى ينكل من رآه أو سمعه ويمنعه من تعاطى ما يفضى اليه ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قال نكل الله به نكال الآخرة والاولى وهو الاحراق فى الآخرة والاغراق فى الدنيا وأخذ مستعمل فى معنى مجازى يعم الاخذ فى الدنيا والآخرة والا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لان الاستعمال فى الاخذ الدنيوى حقيقة وفى الاخروى مجاز لتحقق وقوعه واضافة النكال الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار أن ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لا يتصور فى الآخرة بل فى الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطى ما يؤدى اليها لا محالة وفى التأويلات القاشانية نازع الحق بشدة ظهور انانيته فى رداء الكبرياء فقهر وقذف فى النار ملعونا كما قال تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار ويروى قصمته وذلك القهر هو معنى قوله فأخذه الله الخ وقال البقلى لما لم يكن صادقا فى دعواه افتضح فى الدنيا والآخرة وهكذا كل من يدعى ما ليس له من المقامات قال بشر انطق الله لسانه بالعريض من الدعاوى واخلاه عن حقائقها وقال السرى العبد اذا تزيا بزى السيد صار نكالا ألا ترى كيف ذكر الله فى قصة فرعون لما ادعى الربوبية فأخذه الله الخ كذبه كل شئ حتى نفسه وفى الوسيط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب أمهلت فرعون أربعمائة سنة ويقول أنا ربكم الاعلى ويكذب بآياتك ويجحد برسلك فأوحى الله اليه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأردت ان أكافئه أى مكافأة دنيوية وكذا حسنات كل كافر وأما المؤمن فاكثر ثوابه فى الآخرة ودلت الآية على ان فرعون مات كافرا وفى الفتوحات المكية فرعون ونمرود مؤبدان فى النار انتهى وغيرهذا من أقوال الشيخ رحمه الله محمول على المباحثة فصن لسانك عن الاطالة فانها من أشد الضلالة يقول الفقير صدر من فرعون كلمتان الاولى قوله أنا ربكم الاعلى والثانية قوله ما علمت لكم من اله غيرى وبينهما على ما قيل أربعون سنة فالظاهر أن الربوبية محمولة على الالوهية فتفسير قوله أنا ربكم الاعلى بقوله م أعلى من كل من يلى أمركم ليس فيه كثير جدوى اذ لا يقتضى ادعاء الرياسة دعوى الالوهية كسائر الدهرية والمعطلة فانهم لم يتعرضوا للالوهية وان كانوا رؤساء تأمل هذا المقام (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به (لعبرة) اعتبارا عظيما وعظة (لمن يخشى) أى لمن شأنه ان يخشى وهو من شأنه المعرفة يعنى أن العارف بالله وبشؤنه يخشى منه فلا يتمرد على الله ولا على أنبيائه خوفا من نزول العذاب

والعاقل من وعظ بغيره * چو بر گشته بختی درافتد به بند * ازو نیك بختان بگیرند پند * تو پیش از عقوبت در عفو كوب * كه سودی ندارد فغان زیر چوب * برآر از گریبان غفلت سرت * كه فردا نماند خجل در برت * یعنی در سینه ات (أأنتم أشد خلقا) خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته فى زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعدما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله تعالى بقوله تعالى فانما هى زجرة واحدة فالشدة هنا بمعنى الصعوبة لا بمعنى الصلابة لانها لا تلائم المقام أى أخلقكم بعد موتكم أشق وأصعب فى تقديركم وزعمكم والا فكلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحد (أم السماء) أم خلق السماء بلا مادة على عظمها وقوة تأليفها وانطوائها على البدائع التى تحار العقول فى ملاحظة أدناها وهو استفهام تقرير ليقروا بأن خلق السماء أصعب فيلزمهم بأن يقول لهم أيها السفهاء من قدر على الاصعب الاعسر كيف لا يقدر على اعادتكم وحشركم وهى أسهل وأيسر فخلقكم على وجه الاعادة أولى أن يكون مقدورا لله فكيف تنكرون ذلك قوله أأنتم مبتدأ وأشد خبره وخلقا تمييز والسماء عطف على أنتم وحذف خبره لدلالة خبر أنتم عليه أى أم السماء أشد خلقا (بناها) الله تعالى وهو استئناف وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله أم السماء فيتم الكلام حينئذ عند قوله أم السماء ويبتدأ من قوله بناها وأم متصلة واستعمل البناء فى موضع السقف فان السماء سقف مرفوع والبناء انما يستعمل فى أسافل البناء لا فى الاعالى للاشارة الى أنه وان كان سقفا لكنه فى البعد عن الاختلال والانحلال كالبناء فان البناء أبعد عن تطرق الاختلال اليه بالنسبة الى السقف (رفع سمكها فسواها) بيان للبناء أى جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فان امتداد الشئ ان أخذ من أسفله الى أعلاه سمى سمكا واذا أخذ من أعلاه الى أسفله سمى عمقا وقال بعضهم السمك الارتفاع الذى بين سطح السماء الاسفل الذى يلينا وسطحها الاعلى الذى يلى ما فوقها فيكون المراد ثخنها وغلظها وهو أيضا تلك المسيرة (وأغطش ليلها) الغطش الظلمة قال الراغب وأصله من الاغطش وهو الذى فى عينه شبه عمش يقال أغطشه الله اذا جعله مظلما وأغطش الليل اذا صار مظلما فهو متعد لازم والاول هو المراد هنا أى جعله مظلما ذاهب النور فان قيل الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس فقوله وأغطش ليلها يرجع معناه الى أنه جعل المظلم مظلما وهو بعيد والجواب معناه أن الظلمة الحاصلة فى ذلك الزمان انما حصلت بتدبير الله وتقديره فلا اشكال (وأخرج ضحاها) أى أبرز نهارها عبر عنه بالضحى وهو ضوء الشمس ووقت الضحى هو الوقت الذى تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها لانه أشرف أوقاتها وأطيبها على تسمية المحل باسم أشرف ما حل فيه فكان أحق بالذكر فى مقام الامتنان وهو السر فى تأخير ذكره عن ذكر الليل وفى التعبير عن احداثه بالاخراج فان اضافة النور بعد الظلمة أتم فى الانعام وأكمل فى الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثهما على حركتها والاضافة يكفيها أدنى ملابسة المضاف بالمضاف اليه ويجوز أن تكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس أى أبرز ضوء شمسها بتقدير المضاف والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال اشراقها امام زاهدى فرموده كه روز وشب دنيا بآسمان پيدا گردد بسبب آفرينش آفتاب وماه درا وقال بعض العارفين الليل ذكر والنهار انثى فلما

تغشاها الليل حملت فولدت فظهرت الكائنات عن غشيان الزمان فالمولدات أولاد الزمان واستخراج النهار من الليل كاستخراج حوّاء من آدم قال تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون وقال يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل كعيسى فى مريم وحوّاء فى آدم فاذا خاطب ابناء النهار قال يولج الليل واذا خاطب ابناء الليل قال يولج النهار وقال بعض أهل الحقائق ان توارد الليل والنهار اشارة الى توارد السيئة والحسنة فكما ان الدنيا لا تبقى على ليل وحده ولا على نهار وحده بل هما يتعاقبان فيها فكذا المؤمن لا يخلو من نور الايمان والعمل الصالح ومن ظلمة العمل الفاسد والكفر الكاسد ولذا قال عليه السلام لعلى رضى الله عنه يا على "اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فاذا كان يوم القيامة يلقى الله الليل فى جهنم والنهار فى الجنة فلا يكون فى الجنة ليل كما لا يكون فى النار نهار يعنى ان النهار فى الجنة هو نور ايمان المؤمن ونور عمله الصالح بحسب مرتبته والليل فى النار هو ظلمة كفر الكافر وظلمة عمله السيئ فكما ان الكفر لا يكون ايمانا فكذا الليل لا يكون نهارا والنار لا تكون نورا فيبقى كل من أهل النور والنار على صفته الغالبة عليه وأما القلب وحاله بحسب التجلى فهو على عكس حال القالب فان نهاره المعنوى لا يتعاقب عليه ليل وان كان يطرأ عليه استتار فى بعض الاوقات (والارض بعد ذلك دحاها) أى قبل ذلك كقوله تعالى من بعد الذكر أى قبل القرآن بسطها ومهدها لسكنى أهلها وتقلبهم فى اقطارها وقال بعضهم بعد على معناه الاصلى من التأخر فان الله خلق الارض قبل خلق السماء من غير ان يدحوها ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقال فى الارشاد انتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها وذلك اشارة الى ما ذكر من بناء السموات ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى أنفسها وبعدية الدحو عنها محمولة على البعدية فى الذكر كما هو المعهود فى ألسنة العرب والعجم لا فى الوجود فان اتفاق الاكثر على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وتقديم الارض لا يفيد القصر وتعيين البعدية فى الوجود لما عرفت من ان انتصابه بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد ذلك وفائدة تأخيره فى الذكر اما التنبيه على أنه قاصر فى الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى أحوال السماء واما الاشعار بأنه أدخل فى الالزام لما أن المنافع المنوطة بما فى الارض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر واحاطتهم بتفاصيل أحواله أكمل وقد مر ما يتعلق بهذا المقام فى سورة حم السجدة (أخرج منها ماءها) بأن فجر منها عيونا وأجرى أنهارا (ومرعاها) أى رعيها بالكسر بمعنى الكلأ وهو فى الاصل موضع الرعى بالفتح نسب الماء والمرعى الى الارض من حيث انهما منها يظهران وتجريد الجملة عن العاطف لانها بيان وتفسير لدحاها أو تكملة له فان السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية امر المعاش من المأكل والمشرب حتما (والجبال) منصوب بمضمر يفسره قوله (أرساها) أى أثبتها وأثبت بها الارض ان تميد بها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على أن الرسو المنسوب اليها فى مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه تعالى ولولاه لما ثبتت فى نفسها فضلا عن اثباتها للارض (متاعا لكم ولانعامكم) مفعول له بمعنى تمتيعا والانعام جمع نعم بفتحتين وهى المال الراعية بمعنى المواشى وفى الصحاح وأكثر ما يقع هذا الاسم على

الابل

الابل والمراد هنا ما يكون عاما للابل والبقر والغنم من الضأن والمعز أي فعل ذلك تمتيعا و منفعة لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى أنعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم ما يأكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعى لتناول المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف ولهذا قيل دل الله تعالى بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به و يتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح فانه من الماء قال العتبي هذا أي قوله أخرج منها ماءها ومرعاها من جوامع الكلم حيث ذكر شيئين دالين على جميع ما أخرج من الارض قوتا ومتاعا للانام من العشب والشجر والحب والثمر والملح والنار لان النار من الشجر الاخضر والملح من الماء ونكتة الاستعارة توبيخ المخاطبين المنكرين للبعث والحاقهم بالبهائم في التمتع بالدنيا والذهول عن الآخرة (فاذا جاءت الطامة الكبرى) قال في الصحاح كل شئ كثر حتى علا وغلب فقد طم من باب رد والكبرى تأنيث الاكبر من كبر بالضم بمعنى عظم لا من كبر بالكسر بمعنى أسن وهذا شروع في بيان أحوال معادهم اثر بيان أحوال معاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع والمعنى فاذا جاء وقت طلوع وقوع الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات والدواهي أي تعلوها وتغلبها فوصفها بالكبرى يكون للتأكيد ولو فسر بما تعلو على الخلائق وتغلبهم كان مخصصا والمراد القيامة أو النفخة الثانية فانه يشاهد يوم القيامة من الآيات الهائلة الخارجة عن العادة ما ينسى معه كل هائل وعند النفخة الثانية تحشر الخلائق الى موقف القيامة خصت النازعات بالطامة وعبس بالصاخة لان الطم ان كان بمعنى النفخة الاولى للاهلاك فهو قبل الصخ أي الصوت الشديد الذي يحيا له الناس حين يصيخون له كما يتنبه النائم بالصوت الشديد فهو بمعنى النفخة الثانية فجعل السابق للسورة السابقة واللاحق للاحقة وان كان بمعنى النفخة الثانية فحسن الموقع في كلا الموضعين لان الطم ورد بعد قوله تتبعها الرادفة والصخ بعد ما بين عدم اصاخة النبي عليه السلام لابن أم مكتوم (يوم يتذكر الانسان ما سعى) منصوب بأعني تذكيرا للطامة الكبرى وما موصولة وسعى بمعنى عمل أي يتذكر فيه كل أحد كائنا من كان ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مدونا في صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه (وبرزت الجحيم) عطف على جاءت أي أظهرت اظهارا بينا لا يخفى على أحد بعد أن كانوا يسمعون بها والمراد مطلق النار المعبر عنها بجهنم لا الدركة المخصوصة من الدركات السبع (لمن يرى) كائنا من كان على ما يفيده من فانه من ألفاظ العموم يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر مؤمن وكافر وقوله تعالى وبرزت الجحيم للغاوين لا ينافي أن يراها المؤمنون أيضا حين يمرون عليها ويجاوزون الصراط وقيل للكافر لان المؤمن يقول أين النار التي توعدنا بها فيقال مررتم وهي خامدة (فأما من طغى) الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي الخ يقال ان جئتني فان قدرت أحسنت اليك ويقال اذا كانت الدعوة فاما من كان جاهلا فهنا مقامه وأما من كان عالما فهنا مقامه أي فاما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان كالنضر وأبيه الحرث المشهورين بالغلو في الكفر والطغيان (وآثر) اختار (الحياة الدنيا) الفانية التي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها

ولم يستعد للحياة الآخرة الابدية بالايمان والطاعة (فان الجحيم) التى ذكر شأنها (هى) لا غيرها وهو ضمير فصل أو مبتدأ (المأوى) أى مأواه فلا يخرج من النار كما يخرج المؤمن العاصى فالكلام فى حق الكافر لكن فيه موعظة وعبرة موقظة واللام سادة مسد الاضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغى كما فى قولك غض الطرف فانه لا يغض الرجل طرف غيره وذلك لان الخبر اذا كان جملة لابد فيها من ضمير يربطها بالمبتدا فسدت اللام مسد العائد لعدم الالتباس فلا احتياج فى مثل هذا المقام الى الرابطة (وأما من خاف مقام ربه) أى مقامه بين يدى مالك أمره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وذلك لعلمه بالمبدا والمعاد فان الخوف من القيام بين يديه للحساب لابد أن يكون مسبوقا بالعلم به تعالى وفى بعض التفاسير المقام اما مصدر ميمى بمعنى القيام أو اسم مكان بمعنى موضع القيام أى المكان الذى عينه الله لان يقوم العباد فيه للحساب والجزاء وقيل المقام مقحم للتأكيد جعل الخوف مقابلا للطغيان مع ان الظاهر مقابلته للانقياد والاطاعة بناء على ان الخوف أول أسباب الاطاعة ثم الرجاء ثم المحبة فالاول للعوام والثانى للخواص والثالث لأخص الخواص (ونهى النفس عن الهوى) عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها والهوى ميلان النفس الى ما تشتهيه وتستلذه من غير داعية الشرع وفى الحديث ان أخوف ما أتخوف على أمتى الهوى وطول الامل أما الهوى فيصد عن الحق وأما طول الامل فينسى الآخرة قال بعض الكبار الهوى عبارة عن الشهوات السبع المذكورة فى قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وقد أدرجها الله فى أمرين كما قال انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم أدرجها فى أمر واحد وهو الهوى فى الآية فالهوى جامع لانواع الشهوات فمن تخلص من الهوى فقد تخلص من جميع القيود والبرازخ قال سهل رحمه الله لا يسلم من الهوى الا الانبياء وبعض الصديقين ليس كلهم وانما يسلم من الهوى من ألزم نفسه الأدب وقال بعضهم حقيقة الانسان هى نفسه لا شئ زائد عليها وقال تعالى ونهى النفس عن الهوى فمن الناهى لها تأمل انتهى يقول الفقير ان الانسان برزخ بين الحقيقة الالهية والحقيقة الكونية وكذا بين الحقيقة الملكية والحقيقة الحيوانية فهو من حيث الحقيقة الاولى ينهى النفس من حيث الحقيقة الثانية كما ان النبى عليه السلام يخاطب نفسه بقوله عليه السلام السلام عليك أيها النبى من جانب ملكيته الى جانب بشريته أو من مقام جمعه الى مقام فرقه (فان الجنة هى المأوى) له لا غيرها فنهى النفس عن الهوى معناه نهيها عن جميع الهوى على ان اللام للاستغراق والا فلا معنى للحصر لان المؤمن الفاسق قد يدخل النار أولا ثم يدخل الجنة فلا يصح فى حقه الحصر اللهم الا أن يقال معنى الحصر أن الجنة هى المقام الذى لا يخرج عنه من دخل فيه وفى بعض التفاسير المراد بالجنة مطلق دار الثواب فلا يخالف قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فان له جنتين بفضل الله فى دار الثواب جنة النعيم بالنعم الجسمانية وجنة التلذذ باللذات الروحانية ودر فصول آورده كه اين آيت در شان كسى است كه قصد معصيتى كند وبران قادر باشد خلاف نفس نموده از خداى بترسد واز عمل آن دست بازدارد * كر نفسى نفس بفرمان تست * شبهه مياور كه بهشت آن تست * نفس

كشد هر نفسی سوی پست * هر كه خلاف نفسی زد برست * قال محمد بن الحسن رحمه الله
كنت نائما ذات ليلة اذا أنا بالباب يدق ويقرع فقلت انظروا من ذلك فقال رسول الخليفة هرون
يدعوك فخفت على روحي وقمت ومضيت اليه فلما دخلت عليه قال دعوتك فى مسئلة ان أم محمد
يعني زبيدة قلت لها انى امام العدل وامام العدل فى الجنة فقالت انك ظالم عاص قد شهدت
لنفسك بالجنة فكذبت بذلك على الله وحرمت عليك فقلت له يا أمير المؤمنين اذا وقعت فى معصية
فهل تخاف الله فى تلك الحال أو بعدها فقال اى والله أخاف خوفا شديدا فقلت له أنا أشهد ان لك
جنتين لا جنة واحدة قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فلاطفني وأمرني بالانصراف فلما
رجعت الى داري رايت البدر متبادرة الى * عبد الملك بن مروان خليفه روزكار بود وابو حازم
امام وزاهد وقت بود ازوى پرسيد كه يا ابا حازم فردا حال وكار ما چون خواهد بود كفت اكر قرآن
مى خوانى قرآن ترا جواب ميدهد كفت كجا ميكويد كفت فأما من طغى الى قوله فان الجنة هى
المأوى بدانكه دردنيا هر نفسى را آتش شهوتست ودر عقبى آتش عقوبت هر كه امروز با آتش
شهوت سوخته كردد فردا با آتش عقوبت رسد وهر كه امروز با آب رياضت ومجاهده آتش شهوت
بنشاند فردا در جنت المأوى بنشيند وهمچنين در دنيا در دل هر مؤمن بهشتست كه انرا بهشت
عرفان كويند ودر عقبى بهشتيست كه انرا بهشت رضوان كويند هر كه امروز در دنيا بهشت
عرفان بطاعت آراسته دارد فردا به بهشت رضوان برسد وقال القاشانى فاما من طغى أى تعدى
طور الفطرة الانسانية وتجاوز حد العدالة والشريعة الى الرتبة البهيمية او السبعية وأفرط فى
تعديه وآثر الحياة الحسية على الحقيقية بمحبة اللذات السفلية فان الجحيم مرجعه ومأواه وأما من
خاف مقام ربه بالترقى الى مقام القلب ومشاهدة قيوميته تعالى على نفسه ونهى النفس خوف
عقابه وقهره عن هواها فان الجنة مأواه على حسب درجاته وقال بعضهم أشار بالآية الى حال
المبتدئ فانه وقت قصده الى الله لا يجوز له الرخصة والرفاهية خوفا من الحجاب فاذا بلغ الى مقام
التصفية والمعرفة لم يحتج الى نهى النفس عن الهوى فان نفسه وجسمه وشيطانه صارت روحانية
والمنتهى هنالك منتهى واحد وهو منتهى الروح فالمبتدئ مع النفس فى الاشتهاء فلذا صار من
أهل النهى والمنتهى مع الرب فى ذلك ومن كان مع الرب فقد تحولت شهوته لذة حقيقية مقبولة
(يسألونك) مى پرسند ترا أى يا محمد (عن الساعة) أى القيامة (أيان مرساها) ارساؤها أى
اقامتها يريدون متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها فأيان ظرف بمعنى متى واصله أى آن ووقت والمرسى
مصدر بمعنى الارساء وهو الاثبات وهو مبتدأ وايان خبره بتقدير المضاف اذ لا يخبر بالزمان عن
الحدث والتقدير متى وقت ارسائها كان المشركون يسمعون أخبار القيامة وأوصافها الهائلة
مثل انها طامة كبرى وصاخة وقارعة فيقولون على سبيل الاستهزاء أيان مرساها (فيم أنت من
ذكراها) رد وانكار لسؤال المشركين عنها واصل فيم فيما كما ان أصل عم عما وقد سبق والذكرى
بمعنى الذكر كالبشرى بمعنى البشارة أى فى أى شئ أنت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى
يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كأنك حفى عنها أى ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ
لان ذلك فرع علمك به وأنى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب فقوله من ذكراها فيه مضاف
وصلته محذوفة وهى لهم والاستفهام للانكار وأنت مبتدأ وفيم خبره قدم عليه ومن ذكراها

متعلق بما تعلق به الخبر (الى ربك منتهاها) أى انتهاء علمها ليس لاحد منه شئ ما كما قال من كان فلاى شئ يسألونك عنها عن عائشة رضى الله عنها فرمود كه حضرت رسول عليه السلام ميخواست كه وقت آن از خدا بپرسد حق تعالى فرمود توازدانستن قيامت بر چه چيزى يعنى علم آن حق تو نيست زنهار تا نپرسى به پروردگارتست منتهاى علم قيامت يعنى كس را خبر نداده چه اطلاع بران خاصه حضرت پروردگارست قال القاشانى أى فى أى شئ أنت من علمها وذكرها وانما الى ربك ينتهى علمها فان من عرف القيامة هو الذى انمحى علمه أولا بعلمه تعالى ثم فنيت ذاته فى ذاته فكيف يعلمها ولا علم له ولا ذات فأين أنت وغيرك من علمها بل لا يعلمها الا الله وحده (انما أنت منذر من يخشاها) أى وظيفتك الامتثال بما أمرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال لا تعيين وقتها الذى لم يفوض اليك فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه أى ما أنت الا منذر لا يعلم فهو من قصر الموصوف على الصفة أو ما أنت منذرا الا من يخشاها فهو من قصر الصفة على الموصوف وتخصيص من يخشى مع أنه مبعوث الى من يخشى ومن لا يخشى لانهم هم المنتفعون به أى لا يؤثر الانذار الا فيهم كقوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد والجمهور على ان قوله منذر من يخشاها من اضافة الصفة الى معمولها للتخفيف على الاصل لان الاصل فى الاسماء الاضافة والعمل فيها انما هو بالشبه ومن قرأها بالتنوين اعتبر أن الاصل فيها الاعمال والاضافة فيها انما هى للتخفيف (كأنهم) أى المنكرين وبالفارسية كوييا كفار مكة (يوم يرونها) روزى كه بينند قيامت را كه از آمدن آن همى پرسند (لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) الضحى اسم لما بين اشراق الشمس الى استواء النهار ثم هى عشى الى الغداة كما فى كشف الاسرار والجملة حال من الموصول فانه على تقدير الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كأنه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها أى فى الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة أى عشية يوم واحد أو ضحاه أى آخر يوم أو أوله لا يوما كاملا على ان التنوين عوض عن المضاف اليه فلما ترك اليوم أضيف ضحاه الى عشيته والضحى والعشية لما كانا من يوم واحد تحققت بينهما ملابسة مصححة لاضافة أحدهما الى الآخر فلذلك أضيف الضحى الى العشية فان قيل لم يقل الا عشية أو ضحى وما فائدة الاضافة قلنا لو قيل لم يلبثوا الا عشية أو ضحى احتمل أن يكون العشية من يوم والضحى من يوم آخر فيتوهم استمرار اللبث من ذلك الزمان من اليوم الاول الى الزمان الآخر من اليوم الآخر وأما اذا قيل الا عشية أو ضحاها لم يحتمل ذلك البتة قال فى الارشاد واعتبار كون اللبث فى الدنيا أو فى القبور لا يقتضيه المقام وانما الذى يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار أو بعد الوعيد تحقيقا للانذار ورد الاستبطائهم وفى الآية اشارة الى ساعة الفناء فى الله فانها أمر وجدانى لا يعرفها الا من وقع فيها وهم باقون بنفوسهم الغليظة الشديدة فكيف يفهمونها بذكرها بلسان العبارة كما قيل من لم يذق لم يعرف كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها لاتصال آخر الفناء بأول البقاء (كما قال العارف الطيار العطار قدس سره) كر بقا خواهى فناى خود كزين * اولين چيزى كه مى زايد بقاست * وفى الحديث من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة وهو عبارة عن استقصار مدة اللبث فيما يأتى من البشرى والكرامة فى البرزخ والموقف كذا فى حواشى ابن الشيخ رحمه الله

تمت

تمت سورة النازعات بعون خالق البريات فى يوم الاثنين ثانى صفر الخير من شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف

(سورة عبس أربعون أو احدى وأربعون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عبس) من الباب الثانى والعبس والعبوس ترش روى شدن يعنى ترش كرد روى خود را محمد عليه السلام (وتولى) اعرض يعنى روى بگردانيد (ان جاءه الاعمى) الضمير لمحمد عليه السلام وهو علة التولى على رأى البصريين لقربه منه أى تولى لان جاءه الاعمى والعمى افتقاد البصر ويقال فى افتقاد البصيرة أيضا ولام الاعمى للعهد فيراد أعمى معروف وهو ابن ام مكتوم المؤذن الثانى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاذان ولذلك قال عليه السلام ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم وكان من المهاجرين الاولين استخلفه عليه السلام على المدينة مرتين حين خرج غازيا وقيل ثلاث مرات مات بالمدينة وقيل شهيدا بالقادسية وهى قرية فوق الكوفة قال أنس رضى الله عنه رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء ويقال ليوم فتح عمر رضى الله عنه يوم القادسية فانه ظفر على العجم هنالك وأخذ منهم غنائم كثيرة واختلفوا فى اسم ابن أم مكتوم فقيل هو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى وقيل هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الاصم من بنى عامر بن هلال وهو ابن خال خديجة رضى الله عنها وأم مكتوم اسم أم أبيه كما فى الكشاف وقال السعدى هو وهم فقد نص ابن عبد البر وغيره انها أمه واسمها عاتكة بنت عامر بن مخزوم (روى) أن ابن أم مكتوم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فى مكة وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم لان عادة الناس أنه اذا مال أكابرهم الى أمر مال اليه غيرهم كما قيل الناس على دين ملوكهم فقال له يا رسول الله علمنى مما علمك الله أنتفع به وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه السلام بالقوم اذ السمع لا يكفى فى العلم بالتشاغل بل لا بد من الابصار على أنه يجوز أنهم كانوا يخفضون أصواتهم عند المكالمة أو جاءه الاعمى فى منقطع من الكلام فكره رسول الله قطعه لكلامه واشتغاله عنهم وعبس وأعرض عنه فرجع ابن أم مكتوم محزونا خائفا أن يكون عبوسه واعراضه عنه لشئ أنكره الله منه فنزلت امام زاهدى فرموده كه سيد عالم صلى الله عليه وسلم از عقب او رفت واو را باز گردانيد ورداء مبارك خود بگسترانيد وبر آن نشانيد فكان رسول الله يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى أى لامنى مع بقاء المحبة ويقول له هل لك من حاجة ويقال ان رسول الله عليه السلام لم يغتم فى عمره كغمه حين أنزلت عليه سورة عبس لان فيها عتابا شديدا على مثله لانه الحبيب الرشيد ومع ذلك فلم يجعل ذلك الخطاب بينه وبينه فيكون أيسر للعتاب بل كشف ذلك للمؤمنين ونبه على فعله لعباده المتقين ولذلك روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه أن بعض المنافقين يؤم قومه فلا يقرأ فيهم الا سورة عبس فأرسل اليه فضرب عنقه لما استدل بذلك على كفره ووضع مرتبته عنده وعند قومه قال ابن زيد لو جاز له أن يكتم شيأ من الوحى لكان هذا وكذا نحو قوله لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى

مرضاة أزواجك ونحو قوله أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى
الناس والله أحق أن تخشاه وكان ما فعله عليه السلام من باب ترك الاولى فلا يعد ذنبا الا أن
اجتهاده عليه السلام كان في طلب الاولى والتعرض لعنوان عماه مع أن ذكر الانسان بهذا
الوصف يقتضي تحقير شأنه وهو ينافي تعظيمه المفهوم من العتاب على العبوس في وجهه اما
لتمهيد عذره في الاقدام على قطع كلامه عليه السلام للقوم والايذان باستحقاقه الرفق والرأفة
لا الغلظة واما لزيادة الانكار فان أصل الانكار حصل من دلالة المقام كأنه قيل تولى لكونه
أعمى وهو لا يليق بخلقه العظيم كان الالتفات في قوله تعالى (وما يدريك) لذلك فان المشافهة
أدخل في تشديد العتاب كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في
الشكاية مواجها له بالتوبيخ أي وأي شئ يجعلك داريا وعالما بحاله ويطلعك على باطن أمره
حتى تعرض عنه أي لا يدريك شئ فتم الكلام عنده فيوقف عليه وليس ما بعده مفعوله بل هو
ابتداء كلام وقال الامام السهيلي رحمه الله انظر كيف نزلت الآية بلفظ الاخبار عن الغائب
فقال عبس وتولى ولم يقل عبست وتوليت وهذا شبيه حال الغائب المعرض ثم أقبل عليه بمواجهة
الخطاب فقال وما يدريك علما منه تعالى انه لم يقصد بالاعراض عنه الا الرغبة في الخير ودخول
ذلك المشرك في الاسلام وهو الوليد أو أمية وكان مثله يسلم باسلامه بشر كثير فكلم نبيه عليه
السلام حين ابتدأ الكلام بما يشبه كلام المعرض عنه العاتب له ثم واجهه بالخطاب تأنيسا له
عليه السلام بعد الايحاش فانه قيل ان ابن أم مكتوم كان قد أسلم وتعلم ما كان يحتاج اليه من
أمور الدين وأما أولئك الكفار فما كانوا قد أسلموا وكان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم
فكلامه في البين سبب لقطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم والاهم مقدم على المهم
فثبت بهذا ان فعل ابن أم مكتوم كان ذنبا ومعصية وما فعله النبي عليه السلام كان واجبا
فكيف عاتبه الله على ذلك قيل ان الامر وان كان كما ذكر الا ان ظاهر ما فعله الرسول عليه
السلام يوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقراء وهو لا يليق
بمنصب النبوة لانه ترك الافضل كما أشير اليه سابقا فلذا عاتبه الله تعالى (لعله) أي الاعمى (يزكى)
بتشديدين أصله يتزكى أي يتطهر بما يقتبس منك من أوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق
التزكي وارد على سنن الكبرياء فان لعل في كلام العظماء يراد به القطع والتحقيق أو على اعتبار
معنى الترجي بالنسبة اليه عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكي
مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت (أو يذكر)
بتشديدين أيضا أصله يتذكر والتذكر هو الاتعاظ يعني باخود پند گيرد (فتنفعه الذكرى) أي
فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي التام وفي الكشاف والمعنى أنك لا تدري ما هو مترقب
منه من تزك أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك انتهى أشار الى أن قوله يزكى من باب التخلية
عن الآثام وقوله أو يذكر من باب التحلية ببعض الطاعات ولذا دخلت كلمة الترديد فقوله
أو يذكر عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب
لعل تشبيها له بليت وفيه اشارة الى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي
والتذكر أصلا واشعار بأن اللائق بالعالم أن يقصد بتعليمه تزكية متعلمه ولا ينظر الى شبهه

وصورته كما يتطرالعوام وبالمتعلم أن يريد بتعلمه تزكية نفسه عن ارجاس الضلالة وتطهير قلبه من أدناس الجهالة لا أحكام الدنيا الدنية (أما) للتفصيل (من استغنى) عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن (فأنت له تصدّى) بحذف احدى التاءين تخفيفا أي تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه دون الاعمى وفيه مزيد تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام والتصدى للشئ التعرض والتقيد به والاهتمام بشأنه وضده التشاغل عنه وفى المفردات التصدى أن يقابل الشئ مقابلة الصدى أى الصوت الراجع من الجبل (وفى كشف الاسرار) التصدى التعرض للشئ على حرص كتعرض الصديان للماء أى العطشان وعن بعضهم أصل تصدى تصدد من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك فأبدل أحد الامثال حرف علة (وما عليك أن لا يزكى) أى وليس عليك بأس ووزر ووبال فى أن لا يتزكى ذلك المستغنى بالاسلام حتى تهتم بأمره وتعرض عمن أسلم ان عليك الا البلاغ وكيف تحرص على اسلام من ليس له قابلية وقد خلق على حب الدنيا والعمى عن الآخرة وفيه استهانة لمن أعرض عنه فما نافية وكلمة فى المقدرة متعلقة باسم ما وهو محذوف والجملة حال من ضمير تصدى مقررة لجهة الانكار (وأما من جاءك يسعى) أى حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من أحكام الرشد وخصال الخير (وهو) والحال انه (يخشى) الله تعالى أو يخشى الكفار واذاهم فى اتيانك قال سعدى المفتى الظاهر أن النظم من الاحتباك ذكر الغنى أولا للدلالة على الفقر ثانيا والمجئ والخشية ثانيا للدلالة على ضدهما أولا (فأنت عنه تلهى) بحذف احدى التاءين تخفيفا أى تتلهى وتتشاغل من لهى عن الشئ بكسر الهاء يلهى لهيا أعرض عنه لا من لهوت بالشئ بالفتح ألهو لهوا اذا لعبت به لان الفعل مسند الى ضمير النبى ولا يليق بشأنه الرفيع أن ينسب اليه التفعل من اللهو بخلاف الاشتغال عن الشئ لمصلحة وفى بعض التفاسير ولو أخذ من اللهو وجعل التشاغل بأهل التغافل من جنس اللهو واللعب لكونه عبثا لا يترتب عليه نفع لم يخل عن وجه انتهى وفيه انه يلزم منه أن يكون الاشتغال بالدعوة عبثا ولا يقول به المؤمن وذلك لانه لا يجوز للنبى عليه السلام التشاغل بأهل التغافل الا بطريق التبليغ والارشاد فكيف لا يترتب عليه نفع أو فى تقديم ضميره عليه السلام وهو أنت على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته عليه السلام أى مثلك خصوصا لا ينبغى أن يتصدى للمستغنى ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وفى تقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام بمضمونهما تنبيه حيث أفادت القصة ان العبرة بالارواح والاحوال لا بالاشباح والاموال والعزيز من أعزه الله بالايمان والطاعة وان كان بين الناس ذليلا والذليل من أذله الله بالكفر والمعصية وان كان بين الناس عزيزا (روى) انه عليه السلام ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وكان الفقراء فى مجلسه عليه السلام أمراء يعنى كان يحترمهم كل الاحترام وفيه تأديب للصغير بالكبير فحملة الشرع والعلم والحكام مخاطبون فى تقريب الضعيف من أهل الخير وتقديمه على الشريف العارى عن الخير بمثل ما خوطب به النبى عليه السلام فى هذه السورة قال بعضهم بين الله درجة الفقر وتعظيم اهله وخسة الدنيا وتحقير أهلها فصح الاشتغال بصحبة الفقراء لان فيهم نعت الصدق والتجرد فالصحبة معهم مفيدة بخلاف

الاشتغال بصحبة الاغنياء اذليس فيهم ذلك فالصحبة معهم ضائعة وفي الحديث من تحامل على فقير لغني فقد هدم ثلث دينه يقال تحاملت على الشيء اذا تكلفت الشيء على مشقة وتحامل فلان على فلان اذا لم يعدل وقال بعض الاكابر انما كان صلى الله عليه وسلم يتواضع لاكابر قريش لان الاعزاء من الخلائق مظاهر العزة الالهية فكان تقديمهم على الفقراء من أهل الصفة لوفي صفة الكبرياء حقها اذلم يشهد لها مشاركا ولكن فوق هذا المقام ماهو أعلى منه وهو ما أمره الله به آخرا بعد ما صدر سورة عبس في قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية فأمره بان لايشهده في شيء دون شيء للاطلاق الذي هو الحق عليه كما قال جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني الحديث كما في الجواهر للشعراني (كلا) انزجر من التصدي للمستغني والاعراض عن ارشاد المسترشد قال الحسن لما تلا جبرائيل هذه الآيات على النبي عليه السلام عاد وجهه كأنما استف فيه الرماد أي تغير كأنما ذر عليه الرماد ينتظر ما يحكم الله عليه فلما قال كلا سري عنه والتسرية اندوه را بردن أي لا تفعل مثل ذلك فانه غير لائق بك (انها) أي القرآن والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله (تذكرة) أي موعظة يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها (فمن) پس هركه (شاء ذكره) أي القرآن أي حفظه ولم ينسه أو اتعظ به ومن رغب عنه كما فعله المستغني فلا حاجة الى الاهتمام بأمره (في صحف) جمع صحيفة وكل مكتوب عند العرب صحيفة وهو متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها أي كائنة في صحف منتسخة من اللوح أو خبر ثان لان فالجملة معترضة بين الخبرين والسجاوندي على انه خبر محذوف أي وهي في صحف حتى وضع علامة الوقف اللازم على ذكره هربا من ايهام تعلقه به وهو غير جائز لان ذكر من شاء لايكون في صحف (مكرمة) عند الله لكونها صحف القرآن المكرم (مرفوعة) أي في السماء السابعة أو مرفوعة المقدار والذكر فانها في المشهور موضوعة في بيت العزة في السماء الدنيا (مطهرة) منزهة عن مساس ايدي الشياطين (بأيدي سفرة) كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب اذفي الكتابة معنى السفر أي الكشف والتوضيح والكاتب سافر لانه يبين الشيء ويوضحه ومنه السفر بفتحتين سفر الانه يسفر ويكشف عن أخلاق المرء قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لاتكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال في وجهه لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون أضيف التطهير اليها الطهارة من يمسها وقال القرطبي ان المراد في قوله تعالى لايمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة والظاهر أن تكون في محل الجر على انها صفة لصحف أي في صحف كائنة بأيدي سفرة أو مكتوبة بأيدي سفرة ومن هذا وقف بعضهم على مطهرة وقفا لازما هربا من توهم تعلق الباء به (كرام) عند الله بالقرب والشرف فهو من الكرامة جمع كريم أو متعطفين على المؤمنين يستغفرون لهم فهو من الكرم ضد اللؤم وقال ابن عطاء رحمه الله يريد أنهم يتكرمون أن يكونوا مع ابن آدم اذا خلا مع زوجته للجماع وعند قضاء الحاجة يشير الى انهم هم الملائكة الموصوفون بقوله كراما كاتبين وفيه تأمل (بررة) اتقياء لتقدسها عن المواد وتزاهة جواهرها عن التعلقات أو مطيعين لله من قولهم فلان يبر خالقه أي يطيعه أو صادقين من بر في يمينه جمع بار مثل كفرة جمع كافر

(قتل)

(قتل الانسان) دعاء عليه بأشنع الدعوات فان القتل غاية شدائد الدنيا وأفظعها ومن فسر القتل باللعن أراد به الاهلاك الروحاني فانه أشد العقوبات وهو بالفارسية لعنت كرده باد انسان يعني كافر وفي عين المعاني عذب (ما أكفره) ما أشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه وبالفارسية چه كافر ترين خلقست تعجب من افراطه في الكفران أي على صورته فان حقيقة التعجب انما تتصور من الجاهل بسبب ما خفي من سبب الشيء والذي أحاط علمه بجميع المعلومات لا يتصور منه ذلك فهو في الحقيقة تعجيب من الله لخلقه وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه أي اعجبوا من كفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه وادعوا عليه بالقتل واللعن ونحو ذلك لاستحقاقه لذلك قال بعضهم لعن الله الكافر وما أعظم كفره حيث لم يعرف صانعه ولم يعرف نفسه التي لو عرفها عرف صانعها وقال ابن الشيخ هذا الدعاء وارد على اسلوب كلام العرب فهو ليس من قبيل دعاء من يعجز عن انتقام من يسوءه وكذا هذا التعجب ليس على حقيقته لانه تعالى منزه عن العجز والجهل بل المقصود بايراد ما هو في صورة الدعاء الدلالة على سخطه العظيم والتنبيه على انه استحق اهول العقوبات وأشنعها وبايراد صيغة التعجب الذم البليغ له من حيث ارتكابه أقبح القبائح ولا شك ان السخط يجوز من الله وكذا الذم ويجوز أن يكون ما أكفره استفهاما بمعنى التقريع والتوبيخ أي أي شيء حمله على الكفر والمراد من الانسان اما من استغنى عن القرآن المذكور نعوته واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده (من أي شيء خلقه) أي من أي شيء حقير مهين خلقه يعني نمى انديشد كه خداى تعالى از چه چيز بيافريد اورا ثم بينه بقوله (من نطفة) قذرة (خلقه) فمن كان أصله مثل هذا الشيء الحقير كيف يليق به التكبر والتجبر والكفران بحق المنعم الذي كساه ذلك الحقير بمثل هذه الصورة البهية وقف السجاوندي على قوله من نطفة حتى وضع عليه علامة الوقف المطلق بتقدير خلقه آخر بدلالة ماقبله وجعل قوله خلقه فقدره جملة أخرى استئنافية لبيان كيفية الخلق واتمامه من انعامه ومن جعله متعلقا بما بعده على ما هو الظاهر لم يقف عليه (فقدره) فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال أي احدثه بمقدار معلوم من الاعضاء والاشكال والكمية والكيفية فجعله مستعدا لان ينتهي فيها الى القدر اللائق بمصلحته فلا يلزم عطف الشيء على نفسه وذلك ان خلق الشيء أيضا تقديره واحداثه بمقدار معلوم من الكمية والكيفية وبالفارسية پس اندازه أو پديد كرد از اعضاء واشكال وهيئات در بطن مادر أو فقدره أطوارا الى أن تم خلقه فالتقدير المتفرع على الخلق مأخوذ من القدر بمعنى الطور أي أوجده على التقدير الاول ثم جعله ذا أطوار من علقة ومضغة الى آخر أطواره ذكرا أو أنثى شقيا أو سعيدا قال بعضهم وعلى الوجهين فالفاء للتفصيل فان التقدير يتضمنه على المعنيين (ثم السبيل يسره) منصوب بمضمر يفسره الظاهر أي سهل مخرجه من البطن بأن فتح فم الرحم وكان غير مفتوح قبل الولادة وألهمه أن ينتكس بأن ينقلب وتصير رجله من فوق ورأسه من تحت ولولا ذلك لا يمكنها أن تلد أو يسر له سبيل الخير والشر في الدين ومكنه من السلوك فيهما وذلك بالاقدار والتعريف له بما هو نافع وضار والعقل وبعثة الانبياء وانزال الكتب ونحو ذلك وتعريف السبيل باللام دون الاضافة بأن يقال سبيله للاشعار بعمومه لانه عام للانس والجن على المعنى الثاني وللحيوانات أيضا على المعنى الاول قال

ابن عطاء رحمه يسر على من قدر له التوفيق طلب رشده واتباع نجاته وقال أبو بكر بن طاهر رحمه الله يسر على كل أحد ما خلقه له وقدره عليه (ثم أماته) أى قبض روحه عند تمام اجله المقدر المسمى (فأقبره) أى جعله فى قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جزرا أى قطعا للسباع والطير كسائر الحيوان (قال فى كشف الاسرار) لم يجعله مما يطرح للسباع أو يلقى للنواويس والقبر مما اكرم به المسلمون انتهى يقال قبر الميت اذا دفنه بيده والقابر هو الدافن والقبر هو مقر الميت وأقبره اذا امر بدفنه اومكن منه فالمقبر هو الله لانه الآمر بالدفن فى القبور وقال فى المفردات اقبرته جعلت له مكانا يقبر فيه نحو أسقيته جعلت له ما يستقى منه وقيل معناه الهم كيف يدفن انتهى (وفى المثنوى) كندن كورى كه كمتر پيشه بود * كى زمكر وحيله وانديشه بود * جمله حرفتها يقين از وحى بود * أول أو ليك عقل انرا فزود * وعد الاماتة من النعم بالنسبة الى المؤمن فانه بالموت يتخلص من سجن الدنيا وأيضا ان شأن الموت ان يكون تحفة ووصلة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم وانما كان مفتاح كل بلاء ومحنة فى حق الكافر من سوء اعتقاده وسيآت أعماله وفى بعض التفاسير ذكر الاماتة اما لانها مقدمة الاقبار واما للتخويف والتذكير بان الحياة الدنيوية فانية آخرها الموت وعن الشافعى رحمه الله

فلا تمشين فى منكب الارض فاخرا * فعما قليل يحتويك ترابها

واما الحث على الاستعداد واما رعاية المقابلة بينه وبين أنشره تنبيها على كمال قدرته وتمام حكمه (ثم اذا شاء أنشره) أى اذا شاء انشاره واحياءه وبعثه انشره وأحياه وبعثه وفى تعليق الانشاء بمشيئته له ايذان بأن وقته غير متعين فى نفسه بل هو تابع لها بخلاف وقت الموت فانا نجزم بان احدا من أبناء الزمان لا يحيا وزمانه وخمسين سنة مثلا وليس لاحد مثل هذا الجزم فى النشور هكذا قالوا وفيه ان الموت أيضا له سن معلوم وأجل محدود فكيف يتعين فى نفسه ويجزم بوقوعه فى سن كذا بحيث لا يكون موكولا الى مجرد مشيئته تعالى ولعل تقييد الانشار بالمشيئة لا ينافى تقييد الموت بها أيضا اذ لا يجرى عليه تعالى زمان وأنه من مقدمات القيامة ولذا قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته أى لاتصال زمان الموت بزمان القيامة فهو قيامة صغرى مجهولة كالقيامة الكبرى وفيه اشارة الى ان الميت ان كان من اهل السعادة فانشاره من قبور اهل السعادة وان كان مدفونا فى قبور اهل الشقاوة وان كان من اهل الشقاوة فانشاره من قبور اهل الشقاوة وان كان مدفونا فى قبور اهل السعادة ولذا قال صاحب المشارق فى خطبة كتابه ثم اذا شاء منها انشره اى من مكة فان من دفن بمكة ولم يكن لائقا بها تنقله الملائكة الى موضع آخر وفى الحديث من مات من امتى يعمل عمل قوم لوط نقله الله اليهم حتى يحشر معهم وفى حديث آخر من مات وهو يعمل عمل قوم لوط سار به قبره حتى يصيره معهم ويحشر يوم القيامة معهم كما فى الدرر المنتثرة للامام السيوطى رحمه الله (وحكى) ان شخصا كان يقال له ابن هيلان من المبالغين فى التشيع بحيث يفضى الى ما يستقبح فى حق الصحابة مع الاسراف على نفسه بينما هو يهدم حائطا اذ سقط فهلك فدفن بالبقيع فلم يوجد ثانى يوم الدفن فى القبر الذى دفن به ولا التراب الذى ردم به القبر بحيث يستدل بذلك انبشه وانما وجدوا اللبن على حاله حسبما شاهده الجم الغفير حتى كان ممن وقف عليه القاضى جمال الدين وصار الناس يجيئون لرؤيته ارسالا الى ان اشتهر امره وعد ذلك من الآيات التى يعتبر بها من شرح الله صدره

نسأل الله السلامة (وحكى أيضا) ان محمد بن ابراهيم المؤذن حكى عنه انه حمل ميتا فى ايام الحاج ولم يوجد من يساعده عليه غير شخص قال فحملناه ووضعناه فى اللحد ثم ذهب الرجل وجئت انا باللبن لاجل اللحد فلم اجد الميت فى اللحد فذهبت وتركت القبر على حاله (ونقل) ان بعض الصلحاء ممن لم يمت بالمدينة رؤى فى النوم وهو يقول للرائى سلم على اولادى وقل لهم انى قد حملت ودفنت بالبقيع عند قبر العباس فاذا أرادوا زيارتى فليقفوا هنالك ويسلموا ويدعوا كذا فى المقاصد الحسنة للسخاوى وفى الآية اشارة الى أن الانسان ما كان له أن يكفر لان الله خلقه من نطفة الوجود المطلق وهيأه لمظهرية ذاته وصفاته وأسمائه ثم سهل عليه سبيل الظهور بمظاهر الاسماء الجمالية والجلالية ثم أماته عن انانيته فأقبره فى قبر الفناء عن رؤية الفناء ثم اذا شاء أنشره بصورة البقاء بعد الفناء فعلى العبد أن يعرف قدر النعمة ولا يظهر بالعجب والغرور بأن يدعى لنفسه ما كان لله من الكمالات كالعلم والقدرة والارادة ونحوها (كلا) ردع للانسان عما هو عليه وجعله السجاوندى بمعنى حقا ولذا لم يقف عليه بل على أمره فانه اذا كان بمعنى حقا يكون تابعا لما بعده (لما يقض ما أمره) قال فى بعض التفاسير ما فى لما صلة دخلت للتأكيد كقوله فبما رحمة من الله فلما بمعنى لم وليس فيه معنى التوقع وفى ما أمره موصولة وعائده يجوز أن يكون محذوفا والتقدير ما أمره به فحذف الجار أولا فبقى ما أمره هو ثم حذف الهاء العائد ثانيا ويجوز أن يكون باقيا على أن المحذوف من الهاءين هو العائد الى الانسان والباقى هو العائد الى الموصول فاعرف وقس عليه امثاله أى لم يقض الانسان ما أمره الله به من الايمان والطاعة ولم يؤد ولم يعرف ولم يعمل به وعدم القضاء محمول على عموم النفى اما على ان المحكوم عليه هو المستغنى أو هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده وقد أسند الى الكل فلا اشباع فى اللوم بحكم المجانسة واما على ان مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلى دون السلب الكلى فالمعنى لما يقض جميع افراده ما أمر بل أخل به بعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه أحد أصلا وكفته اند مراد همه آدميانست از آدم تا پايان غايت وهر كز هيچ آدمى از عهده حقوق اداء اوامر الهى كما ينبغى بيرون نيايد ونتوان آمد * بنده همان به كه زتقصير خويش * عذر بدر كاه خداى آورد * ورنه سزاوار خداونديش * كس نتواند كه بجاى آورد * وفى التأويلات النجمية كلا لما يقض ما أمره من الاتيان بمواجب حقوقنا من الظهور بحقائق أسمائنا والقيام بنعوت صفاتنا (فلينظر الانسان الى طعامه) شروع فى تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه أى فلينظر الانسان الى طعامه الذى عليه يدور أمر معاشه كيف دبرناه وقال ابن عباس رضى الله عنهما فلينظر الانسان الى طعامه ليعلم خسة قدره وفناء عمره وفى الحديث ان مطعم ابن آدم جعله الله مثلا للدنيا وان قزحه وملحه فانظر الى ماذا يصير يقال قزح القدر جعل التابل فيها وهو كصاحب وهاجر أبزار الطعام وملحها جعل الملح فيها (انا صببنا) انزلنا انزالا وافيا من السحاب (الماء) أى الغيث وهو المطر المحتاج اليه بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فالثانى مشتمل على الاول اذ لا يلزم فيه أن يكون المبدل منه مشتملا على البدل فحينئذ العائد محذوف والتقدير صببنا له (صبا) عجيبا (ثم شققنا الارض) بالنبات ولما كان الشق بعد الصب أورد كلمة ثم والشق بالفارسية

شكافتن (شقا) بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة (فأنبتنا فيها) أى فى الارض المشقوقة بالنبات والفاء للتعقيب (حبا) فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى أن يتكامل النمو وينعقد الحب والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما وهو جنس الحبة كالتمر والتمرة فيشمل القليل والكثير قدمه لانه الاصل فى الغذاء (وعنبا) عطف على حبا وليس من لوازم العطف أن يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير فى خلو انبات العنب عن شق الارض وكذا فى أمثاله كذا قال فى الارشاد ولعل شق الارض فيه باعتبار أصله أول خروجه منها فان المراد هنا شجرة العنب وانما ذكره والزيتون باسم الثمرة لشهرتهما بها ووقوع كل منهما بعد ما يؤكل نفسه فاعرف وأفرد العنب بالذكر من بين الثمار لانه فاكهة من وجه يتلذذ به وطعام من وجه يتغذى به وهو من أصلح الاغذية (وقضبا) أى رطبة وهى نبات يقال له الفصفصة وبالفارسية اسپست ومعربه الاسفست سميت بمصدر قضبه أى قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطعها وتكثره اذ تقضب مرة بعد أخرى فى السنة نفس القطع وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه الرطب التى تقضب من النخل ورجحه بعضهم لمناسبته بالعنب وقال بعضهم هو مثل النعناع والطرخون والكراث وغيرها التى يقطع ساقها من أصلها يعنى للاكل وبعضهم هو القت الرطب أفرده بالذكر تنبيها على اختلاف النباتات وان منها ما اذا قطع عاد ومنها ما لا يعود والقت حب الفاسول وهو الاشنان وقيل هو حب يابس أسود يدفن فيلين قشره ويطحن ويخبز يقتاته اعراب طى وبعضهم هو كل ما يؤكل رطبا كالبطيخ والخيار والباذنجان والدباء (وزيتونا) هو ما يعصرونه لزيت والمراد شجرته وتعمر ثلاثة آلاف سنة خصه بالذكر لكثرة فوائده خصوصا لاهالى بلاد العرب فانهم ينتفعون به أكلا وادهانا واستضاءة وتطهيرا فانه يجعل فى الصابون وكان عليه السلام يتطيب به فى الاوقات (ونخلا) هو شجر التمر جمع نخلة والرطب والتمر من أنفع الغذاء وفى العجوة خاصية دفع السم والسحر وشجرته من فضلة طينة آدم عليه السلام كما سبق مفصلا (وحدائق غلبا) جمع حديقة وهى الروضة ذات الشجر أو البستان من النخل والشجر أو كل ما أحاط به البناء أو القطعة من النخل كما فى القاموس وهى هنا من قبيل التعميم بعد التخصيص والغلب جمع أغلب كحمر جمع أحمر أو حمراء مستعار من وصف الرقاب يقال رجل أغلب وأسد أغلب أى غليظ العنق فالمعنى وحدائق عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها أو لانها ذات أشجار غلاظ فعلى الاول استعارة معنوية وعلى الثانى مجاز مرسل فان أريد من غلظ العنق والرقبة مطلق الغلظ بطريق اطلاق المقيد وارادة المطلق كاطلاق المرسن على الانف وأجرى على الحدائق وصفا لها بحال متعلقها وهو الاشجار سمى استعارة بناء على اللغة (وفى كشف الاسرار) الغلب من الشجر التى لا تثمر كالشمار والارز والعرعر والدردار (وفاكهة) كثيرة غير ما ذكر والعنب والرمان والرطب من الفواكه عند الامامين لا عند الاعظم لان العطف يقتضى المغايرة والظاهر أن مراد الاعظم ان نحو العنب والرطب لكونه مما يؤكل غذاء يحقق النقص ورفى معنى التفكه به أى التنعم بعد الطعام وقبله فلا يتناوله اسم الفاكهة على الاطلاق حتى لو حلف لا يأكل فاكهة لا يحنث بأكله لكونه غذاء من وجه وان كان فاكهة من وجه آخر وعطف الفاكهة عليه لا ينافى كونه فاكهة من وجه لان المراد بالفاكهة المعطوفة ما هو

فاكهة من كل وجه ولا يخفى ان الفاكهة من كل وجه مغايرة لما هو فاكهة من وجه دون وجه فيصح عطفها عليه أو عطفه عليها كما فى مواضع من القرآن (وأبا) أى مرعى من أبه اذا أمّه أى قصده لانه يؤم و يقصد بجزه للدواب أو من أب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعى وأب الى وطنه اذا نزع اليه نزوعا تهيأ لقصده وكذا أب لسيفه اذا تهيأ لسله وابان ذلك فعلان منه وهو الزمان المتهيئ لفعله ومجيئه أو الاب الفاكهة اليابسة تؤب للشتاء أى تعدّ وتهيأ وهو الملائم لما قبله وفى الحديث خلقتم من سبع ورزقتم من سبع فاسجدوا لله على سبع أراد بقوله خلقتم من سبع يعنى من نطفة ثم من علقة الخ وهى التارات السبع وبقوله رزقتم من سبع قوله حبا وعنبا الى أبا لعل الحدائق خارجة عن الحساب لانها منابت تلك المرزوقات وبقوله فاسجدوا على سبع الاعضاء السبعة وهى الوجه واليدان والركبتان والرجلان (متاعا لكم ولانعامكم) مفعول له أى فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم وللالتفات لتكميل الامتنان * وفى الآية اشارة الى حب المحبة الذاتية وخمر المحبة الصافية المتخذة من عنب الصفات وخمر المحبة الافعالية المتخذة من رطب وزيتون المعرفة ونخل التوحيد العالى من أن يصل اليه كل مدّع كذاب وفاكهة الوجدانيات والذوقيات وحدائق الشوق والاشتياق والودّ والتجريد ونحوها وأب مراعى الشهوات الحيوانية فبعض هذه النعم الشريفة مخصوص بالخواص كالارواح والاسرار والقلوب وبعضها بالعوام كالنفوس البشرية والقوى الطبيعية العنصرية (فاذا جاءت الصاخة) شروع فى بيان أحوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فناء النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها وجواب اذا محذوف يدل عليه يوم يفر الخ أى اشتغل كل أحد بنفسه والصاخة هى الداهية العظيمة التى يصخ لها الخلائق أى يصيخون لها من صخ لحديثه اذا أصاخ واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس يصيخون لها فى قبورهم فأسند الاستماع الى المسموع مجازا وقيل هى الصيحة التى تصم الآذان لشدة وقعها وقيل هى مأخوذة من صخه بالحجر أى صكه فتكون الصاخة حقيقة فى النفخة (يوم يفر المرء) روزى كه بكريزد مرد (من أخيه) از برادر خود با وجود موانست ومهربانى (وأمه) واز مادر خود با كثرت حقوق كه اوراست (وأبيه) واز پدر خود با وجود شفقت وعاطفت كه ازو ديده (وصاحبته) واز زن خود با آنكه مونس روزكار او بوده (وبنيه) واز فرزندان خود با خيال استظهار بديشان أى يعرض الانسان عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما فى الدنيا لاشتغاله بحال نفسه ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيأ فقوله يوم منصوب بأعنى تفسيرا للصاخة وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة لان الابوين أقرب من الاخ وتعلق القلب بالصاحبة والاولاد أشد من تعلقه بالابوين وهذه الآية تشمل النساء كما تشمل الرجال ولكنها خرجت مخرج كلام العرب حيث تدرج النساء فى الرجال فى الكلام كثيرا قال عبد الله بن طاهر الابهرى قدس سره يفر منهم اذا ظهر له عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ولو ظهر له ذلك فى الدنيا لما اعتمد على سوى ربه الذى لا يعجزه شئ وتمكن من فسحة التوكل واستراح فى ظل التفويض وفى الآية اشارة الى فرار مرء القلب عن أخيه السر وأمه النفس وأبيه الروح وصاحبته القوى البشرية وبنيه الاعمال

والاحوال لان فى ذلك اليوم لا يتخلص أحد بعمله بل بفضله وطوله كما قال عليه السلام لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بغفرانه (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) استئناف وارد لبيان سبب الفرار والشأن لا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور أى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به قال ابن الشيخ أى الهم الذى حصل له قد ملأ صدره فلم يبق فيه متسع فصار بذلك شبيها بالغنى فى أنه ملك شيأ كثيرا ودرباب مشغولى قيامت فريد الدين عطار را قدس سره حكايتى منظوم هست * كشتى آورده در دريا شكست * تخته زان جمله بربالا نشست * كربه وموشى دران تخته بماند * كارشان با يكدكر بخته بماند * نه زكربه موش را دورى كريز * نه بموش آن كربه را چنكال تيز * هردوشان از هول درياى عجب * در تحير بازمانده خشك لب * در قيامت نيز اين غوغا بود * يعنى آنجا نى تو ونى ما بود * وفى الخبر ان عائشة رضى الله عنها قالت يارسول الله كيف يحشر الناس قال حفاة عراة قالت وكيف تحشر النساء قال حفاة عراة قالت عائشة واسوأتاه النساء مع الرجال حفاة عراة فقرأ رسول الله عليه السلام هذه الآية لكل امرئ الخ وأما الفرار حذرا من مطالبتهم بالتبعات بأن يقول الاخ ما واسيتنى بمالك والابوان قصرت فى برنا والصاحبة أطعمتنى الحرام وفعلت وصنعت والبنون ما علمتنا وما أرشدتنا أو بغضا لهم كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن يفر قابيل من أخيه هابيل ويفر النبى من أمه وابراهيم من أبيه ونوح من ابنه ولوط من امرأته فليس من قبيل الفرار المذكور وكذا ما روى أن الرجل يفر من أصحابه وأقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال قال بعض المشايخ من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال يحيى بن معاذ اذا شغلك نفسك فى دنياك وعقباك عن ربك أما فى الدنيا فى طلب مرادها واتباع شهواتها وأما فى الآخرة فكما أخبر الله عنه بقوله لكل امرئ منهم الخ فمتى تتفرغ الى معرفة ربك وطاعته وقال بعضهم العارف مع الخلق ولكنه يفارقهم بقلبه كما قيل

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت جسمى من أراد جلوسى

(وجوه يومئذ مسفرة) بيان لمآل امر المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم فى داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها فى حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ أى يوم اذ يفر المرء متعلق به أى مضيئة متهللة بنور يه ذواتهم وصفاتها من أسفر الصبح اذا أضاء فهو من لوازم الافعال قال فى المفردات الاسفار يختص باللون ومسفرة أى مشرق لونها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ذلك من قيام الليل وفى الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله (ضاحكة مستبشرة) بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة (قال الكاشفى) ضاحكة خندان شادمان وفرحناك بسبب نجات ازنيران ووصول بروضه جنان وفى بعض التفاسير ضاحكة مسرورة فرحانا لما علم من الفوز والسعادة أو لفراغه من الحساب بالوجه اليسير مستبشرة أى ذات بشارة بالخير كأنه بيان لقوله ضاحكة انتهى وفى عين المعانى ضاحكة من مسرة العين مستبشرة من مسرة القلب وقيل من الكنانة بما رأت نفسهم فرحا وقال ابن طاهر رحمه الله

كشف

كشف عنها ستور الغفلة فضحكت بالدنو من الحق واستبشرت بمشاهدته وقال ابن عطاء رحمه الله اسفرت تلك الوجوه بنظرها الى مولاها وأضحكها رضا الله عنها وقال سهل رحمه الله منورة بنور التوحيد واتباع السنة * وفى التأويلات النجمية وجوه أرباب الارواح والاسرار والقلوب العارفين بالمعارف الالهية والحقائق اللاهوتية مضيئة بأنوار العلوم والحكم ضاحكة مستبشرة بنعم المكاشفات ومنح المشاهدات يقول الفقير وجوه يومئذ مسفرة لابيضاضها فى الدنيا بالتزكية والتصفية وزوال كدورتها ضاحكة لانها بكت فى الله أيام دنياها حتى صارت عمياء عن رؤية ماسوى الله تعالى مطلقا كما وقع لشعيب ويعقوب عليهما السلام مستبشرة لأنها بدل خوفها فى الدنيا ولذا قال لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بأن تقول لهم الملائكة لا تخافوا وأبشروا بالجنة والرؤية والضحك انبساط الوجه وتكشر الاسنان من سرور النفس ولظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان ضواحك ويستعمل فى السرور المجرد كما فى الآية قال الراغب واستبشر أى وجد ما يبشره من الفرح وبشرته أخبرته بسار بسط بشرة وجهه وذلك ان النفس اذا سرت انتشر الدم انتشار الماء فى الشجرة (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أى غبار وكدورة وفى الخبر يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم وقيل هى غبرة الفراق والذل (ترهقها) أى تعلوها وتغشاها (قترة) أى سواد وظلمة كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه كما اذا اغبر وجه الزنجى قال الراغب القتر الدخان الساطع من الشواء والعود ونحوهما وقترة نحو غبرة وذلك شبه دخان يغشى الوجه من الكذب قال السرى قدس سره ظاهر عليها حزن البعاد لانها صارت محجوبة عن الباب مطرودة وقال سهل قدس سره غاب عليها اعراض الله عنها ومقته اياها فهى تزداد فى كل وقت ظلمة وقترة (أولئك هم الكفرة الفجرة) أى أولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته هم الجامعون بين الكفر والفجور فلذا جمع الله الى سواد وجوههم الغبرة وفى الحديث ان البهائم اذا صارت ترابا يوم القيامة حول ذلك التراب فى وجوه الكفار وفى عين المعانى أولئك هم الكفرة فى حقوق الله الفجرة فى حقوق العباد انتهى * وفيه اشارة الى أن الفجور الغير المقارن بالكفر ليس فى درجة المقارن فى المذمومية والسببية للحقارة والخذلان اذ أصل الفجور الكذب والميل عن الحق ويستعمل فى الذنب الكبير وكثيرا ما يقع ذلك من المؤمن العاصى لكن ينبغى أن يخاف منه ويحذر عنه لان كبائر الذنب تجر الى الكفر كما ان صغائره تجر الى الكبائر (يكى از جمله بزركان دين كفته كه اين زر وسيم وانواع اموال نه عين دنياست كه اين ظروف وأوعيه دنياست همچنين حركات وسكنات وطاعات بنده نه عين دينست كه ان ظروف وأوعيه دينست دين جمله سوز ودردست ودنيا همه حسرت وبادسردست قارون آن همه زر وسيم وانواع اموال كه داشت مكروه نبود بازو چون حقوق حق تعالى طلب كردند امتناع نمود وحقوق حق نكزارد وكشش او بجانب زر وسيم وأموال دنياى مكروه بود اى بسا كسا كه دانكى در خواب نديد وفردا فرعون أهل دنيا خواهد بود كه دل او آلوده حرص دنياست واى بسا كسا كه أموال دنيا در ملك أو نهادند وفردا دل خويش باز سپارد كه داغى از ين دنيا بروى ظاهر نبود سر انجام مرد دينداردنيا كذار اينست كه در آخر سوره كفت وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وعاقبت كار دنيادار دين كذار اينست كه كفت وجوه يومئذ عليها غبرة الخ

وقال بعضهم وجوه أصحاب النفوس المتمردة وأرباب الهوى عليها غبرة الانانية وغبار الانية يغطيها سواد الاثنينية وظلمة الثنوية هم الذين ستروا وجود الحق بغبرة وجودهم وشقوا وقطعوا نفوسهم المظلمة عن متابعة الارواح المنورة عصمنا الله وإياكم من ذلك

(تمت سورة عبس بفضل الله تعالى يوم الاثنين ثامن صفر
الخير من شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف)

(سورة التكوير تسع أو ثمان وعشرون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا الشمس كورت) ارتفاع الشمس على أنه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور لا فاعله لان الفاعل لا يتقدم وعند البعض على الابتداء لان التقدير خلاف الاصل والاول أولى لان اذا فيها معنى الشرط والشرط مختص بالفعل وعلى الوجهين الجملة فى محل الجر باضافة اذا اليها ومعنى كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بضم بعض أجزائها البعض على جهة الاستدارة على أن المراد بذلك اما رفعها وازالتها عن مقرها فان الثوب اذا أريد رفعه عن مكانه وستره بجعله فى صندوق أو غيره يلف لفا ويطوى نحو قوله تعالى يوم نطوى السماء فكان بين السماء والرفع علاقة اللزوم فتكويرها كناية عن رفعها قال سعدى المفتى ولا منع من ارادة المعنى الحقيقى أيضا وكون الشمس كرة مصمتة على تسليم صحته لا يمنع من تلك الارادة لجواز أن يحدث الله فيها قابلية التكوير بأن يصيرها منبسطة ثم يكورها ان الله على كل شئ قدير انتهى وأما لف ضوئها المنبسط فى الآفاق المنتشر فى الاقطار بأن يكون اسناد كورت الى ضمير الشمس مجازيا أو بتقدير المضاف على أنه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم فاللف على هذا مجاز عن الاعدام اذ لا مساغ لارادة المعنى الحقيقى لان الضوء لكونه من الاعراض لا يتصور فيه اللف وقال بعضهم ان الله قادر على أن يطمس نورها مع بقائها فقول الكشاف لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف فيه نظر انتهى وجوابه ما أشير اليه من حكم الاستلزام وقيل معنى كورت ألقيت من فلكها على وجه الارض كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا ألقاه على الارض وفى الحديث ان الشمس والقمر ثوران مكوران فى النار يوم القيامة أى مرميان فيها ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن البصرى رحمه الله قال وما ذنبهما وقال الامام سؤال الحسن ساقط لان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما فى النار لا يكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يكون سببا لازدياد الحر فى جهنم وكذا قال الطيبى تكويرهما فيها ليعذب بهما أهل النار لا سيما عباد الانوار لا ليعذبهما فى النار فانهما بمعزل عن التكليف بل سبيلهما فى النار سبيل النار نفسها وسبيل الملائكة الموكلين بها انتهى وكذا قال فى تفسير الفاتحة للفنارى ان السماء اذا طويت واحدة بعد واحدة يرمى بكواكبها فى النار يقول الفقير قول الحسن أدق فان النور لا يلحق بالنار الا أن يكون فيه مرتبة النارية أيضا فالشمس يلحق نورها بنور العرش ونارها بنار جهنم وقد سبق فى سورة النبأ فارجع فان قيل كيف يمكن تكويرها فى النار وقد ثبت بالهندسة ان قرص الشمس فى العظم يساوى كرة الارض مائة وستين مرة وربع الارض وثمنا أجيب بأن الله تعالى قادر على أن يدخلها فى قشرة

جورة

جوزة على ذلك العظم يقول الفقير قد ثبت ان الله تعالى يمد الارض يوم القيامة فتكون أضعاف ما كانت عليه على ان وسعة الدارين تابعة لكثرة أهلهما ووسعتهم لانه ثبت ان ضرس الكافر مثل جبل أحد وجسمه مسيرة ثلاثة أيام فاذا كان جسد كل كافر على هذا الغلظ والعظم فاعتبر منه وسعة جهنم فقرص الشمس فى النار كجوز فى وسط بيت واسع ولا يعرف حد الدارين الا الله تعالى (واذا النجوم) جمع نجم وهو الكوكب الطالع وبه شبه طلوع النبات والرأى فقيل نجم النبت والرأى نجما ونجوما فالنجم اسم مرة ومصدر أخرى (انكدرت) أى تناثرت وتساقطت بالسرعة كما قال واذا الكواكب انتثرت والاصل فى الانكدار الانصباب فان السماء تمطر يومئذ نجومها فلا يبقى فى السماء نجم الا وقع على وجه الارض وذلك ان النجوم على ماروى ابن عباس رضى الله عنهما قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بأيدى ملائكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت تلك الكواكب من أيديهم لانه مات من يمسكها * وفيه اشارة الى طى ضوء شمس الروح الذى هو الحياة وقبضه عن البدن وازالته وتناثر نجوم الحواس العشر الظاهرة والباطنة وأيضا الى تكوير الوجود الاضافى المنعكس من الوجود المطلق الحقيقى عند ظهور الحقيقة والى اضمحلال نجوم الهويات وهباء كل الماهيات بحيث لا يبقى لها أثر لانها نسب عدمية واعتبارات محضة (واذا الجبال سيرت) رفعت عن وجه الارض وأبعدت عن أماكنها بالرجفة الحاصلة فى الجو كالسحاب فان ذلك بعد النفخة الثانية والسير المضى فى الارض والتسيير ضربان باختيار وارادة من السائر نحو هو الذى يسيركم وبقهر وتسخير كتسيير الجبال وفيه اشارة الى جبال الاعضاء والجوارح الراسيات سيرت عن أرض تعيناتها وأيضا الى جبال الانواع والاجناس الواقعة فى عالم التعينات (واذا العشار) جمع عشراء كنفاس ونفساء وليس فعلاء يجمع على فعال غير عشراء ونفساء كما فى القاموس والعشراء هى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر وهو اسمها الى أن تضع لتمام السنة وهى أنفس أموال العرب ومعظم أسباب معاشهم (عطلت) العطل فقدان الزينة والشغل ويقال لمن يجعل العالم بزعمه فارغا عن صانع أتقنه وزينه ورتبه معطل وعطل الدار عن ساكنيها والابل عن راعيها والمعنى واذا العشار تركت مسيبة مهملة غير منظور اليها مع كونها المحبوبة مرغوبة عند أهلها لاشتغال أهلها بأنفسهم وذلك عند مجيء مقدمات قيام الساعة فان الناس حينئذ يتركون الاموال والاملاك ويشتغلون بأنفسهم كما قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون وقال الامام أبو الليث وغيره هذا على وجه المثل لان فى القيامة لا تكون ناقة عشراء يعنى ان هول القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه لعلهم جعلوا يوم القيامة ما بعد النفخة الثانية أو مبادى الساعة من القيامة لكن يمكن وجود العشراء فى المبادى فلا يكون تمثيلا وفيه اشارة الى النفوس الحاملات احمال الاعمال والاحوال وأيضا الى تعطيل عشار الارجل المستفيد بها فى السير عن الاستعمال فى المشى وترك الانتفاع بها (واذا الوحوش) قال فى القاموس الوحش حيوان البر كالوحيش والجمع وحوش ووحشان والواحد وحشى قال ابن الشيخ هو اسم لما لا يستأنس بالانسان من حيوان البر والمكان الذى لا انس فيه وحش وخلاف الوحشى الاهلى (حشرت) أى جمعت من كل جانب واختلط بعضها ببعض وبالناس مع نفرة

بعضها عن البعض وعن الناس أيضا وتفرقها فى الصحارى والقفار وذلك الجمع من هول ذلك اليوم وقيل بعثت للقصاص اظهارا للعدل قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورته أو صوته كالطاوس والبلبل ونحوهما فاذا بعثت الحيوانات للقصاص تحقيقا لمقتضى العدل فكيف يجوز مع هذا أن لا يحشر المكلفون من الانس والجن وفيه اشارة الى القوى البشرية الطبيعية النافرة عن جناب الحق وباب القدس بأن أهلكت وأفنيت وجمعت الى ما منه بدت (واذا البحار سجرت) أى أحميت أو ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا مختلطا عذبها بملحها وبالعكس فتعم الارض كلها من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه ووجه الاحماء ان جهنم فى قعور البحار الا أنها الآن مطبقة لا يصل أثر حرارتها الى ما فوقها من البحار ليتيسر انتفاع أهل الارض بها فاذا انتهت مدة الدنيا رفع الحجاب فيصل تأثير تلك النيران الى البحار فتسخن فتصير حميما لاهل النار أو تبعث عليها ريح الدبور فتنفخها وتضربها فتصير نارا على ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما فى وجه الاحماء در فتوحات مذكورست كه هركاه عبد الله بن عمر رضى الله عنه مادريا بديدى كفتى يا بحر متى تعود نارا ووجه الامتلاء ان الجبال تندك وتتفرق أجزاؤها وتصير كالتراب الهائل الغير المتماسك فلا جرم تنصب اجزاؤها فى أسافلها فتمتلئ المواضع الغائرة من الارض فيصير وجه الارض مستويا مع البحار فتصير البحار بحرا واحدا مسجورا أى ممتلئا وقال بعضهم ملئت بارسال عذبها على مالحها ثم أسيلت حتى بلغت الثور فاذا تمها فلما بلغت الى جوفه نفدت وعن الحسن رحمه الله يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة قال الراغب وانما يكون كذلك لتسجير النار فيها أى اضرامها والتشديد فى مثل هذه الافعال قد يكون لتكثير الفعل وتكريره والتخفيف يحتمل القليل والكثير وخصت هذه السورة بسجرت موافقة لقوله سعرت لان معنى سجرت عند أكثر المفسرين أوقدت فصارت نارا فيقع التوعد بتسعير النار وتسجير البحار وخصت سورة الانفطار بفجرت موافقة لقوله واذا الكواكب انتثرت لان فى كل من تساقط الكواكب وسيلان المياه على وجه الارض وبعثرة القبور أى قلب ترابها ازالة الشئ عن مكانه فلاقى كل واحد قرينه وفيه اشارة الى بحار المعرفة الذاتية والحكم الصفاتية والعلوم الاسمائية فانها اذا اتحدت بالتجلى الوحدانى تصير بحرا واحدا وهو بحر الذات المشتمل على جميع المراتب والى البحار الحاصلة من اعتبارات الوجود وشؤونه الكلية ظاهرا وباطنا غيبا وشهادة دنيا وآخرة فانها قد جمعت واتحدت فصار بحر الوجود بحرا واحدا زخارا لا ساحل له ولا قعر والى بحار العناصر بأنه فجر بعضها الى بعض واتصل كل جزء باصله فصارت بحرا واحدا (واذا النفوس) الظاهر نفوس الانسان ويحتمل أن تعم الجن أيضا كما فى بعض التفاسير (زوجت) التزويج جعل أحد زوجا للآخر وهو يقتضى المقارنة أى قرنت بأجسادها بأن ردت اليها أو قرنت كل نفس بشكلها ومن كان فى طبقتها فى الخير والشر فيضم الصالح الى الصالح والفاجر الى الفاجر أو قرنت بكتابها أو بعملها فالنفوس المتمردة زوجت بأعمالها السيئة والمطمئنة بأعمالها الحسنة أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين * وفيه اشارة الى أن الارواح الفائضة على هياكل الاشباح من عالم الامر قرنت بنواعتها ومحباتها التى هى الاسماء والصفات

الالهية

الالهية وأسبابها اللاهوتية (واذا الموؤدة) أى المدفونة حية يقال وأد بنته يئدها وأدا وهى موؤدة اذا دفنها فى القبر وهى حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق أو الاسترقاق أو لحوق العار بهم من أجلهن وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن قال فى الكشاف كان الرجل اذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الابل والغنم فى البادية وان أراد قتلها تركها حتى كانت سداسية أى بلغت ست سنين فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوى البئر بالارض وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة وان ولدت ابنا حبسته (سئلت) أى سألها الله بنفسه اظهارا للعدالة أو بأمره للملك (بأى ذنب) من الذنوب الموجبة للقتل عقلا ونقلا (قتلت) قتلها أبوها حية فعلا أو رضا وتوجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة فى تبكيته كما فى قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين ولذا لم يسأل الوائد عن موجب قتلها ووجه التبكيت ان المجنى عليه اذا سئل بمحضر من الجانى ونسب اليه الجناية دون الجانى كان ذلك بعثا للجانى على التفكر فى حال نفسه وحال المجنى عليه فيعثر على براءة ساحة صاحبه وعلى أنه هو المستحق لكل نكال فيفحم وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض وهو أبلغ فلذلك اختير على التصريح وانما قيل قتلت على الغيبة لما أن الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب وعلى قراءة سألت أى الله أو قاتلها لا حكاية لكلامها حين سئلت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن أطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية فانه ثبت بها ان التعذيب لا يستحق الا بالذنب وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان الوائدة والموؤدة فى النار أى اذا كانت الموؤدة بالغة وفيه اشارة الى أن الاعمال المشوبة بالرياء المخلوطة بالسمعة والهوى سئلت بأى سبب أبطلت نوريتها وروحانيتها وأيضا سئلت موؤدة النفس الناطقة التى أثقلتها وائدة النفس الحيوانية فى قبر البدن وأهلكتها بأى ذنب قتلت أى طلب اظهار الذنب الذى به استولت النفس الحيوانية على الناطقة من الغضب أو الشهوة أو غيرهما فمنعتها عن خواصها وأفعالها وأهلكتها فأظهره كنى عن طلب اظهاره بالسؤال ولهذا قال عليه السلام الوائدة والموؤدة فى النار لان النفس الناطقة فى النار مقارنة للنفس الحيوانية كذا قاله القاشانى (واذا الصحف نشرت) أى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب أى تفتح فيعطاها الانسان منشورة بأيمانهم وشمائلهم فيقف على ما فيها وتحصى عليه جميع أعماله فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وفى الحديث يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة رضى الله عنها فكيف بالنساء فقال شغل النساء يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت أى فرقت بين أصحابها وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم أى

مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال * وفيه اشارة الى صحائف القوى والنفوس التى
فيها هيآت الاعمال تطوى عند الموت وتكوير شمس الروح وتنشر عند البعث والعود الى البدن
(واذا السماء كشطت) قلعت وأزيلت بحيث ظهر ما وراءها وهو الجنة والعرش كما يكشط
الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به قال الراغب هو من كشط الناقة أى تنحية
الجلد عنها ومنه استعير انكشط روعه أى زال وفيه اشارة الى كشط سماء الارواح عن أرض
الاشباح والى طى ظهور الاسماء والصفات الى البطون والخفاء (واذا الجحيم سعرت) أى أوقدت
للكافرين ايقادا شديدا لتحرقهم احراقا أبديا سعرها غضب الله وخطايا بنى آدم فاسعار النار زيادة
التهابها لا لحدوثها ابتداء وبه يندفع احتجاج من قال النار غير مخلوقة الآن لانها تدل على أن
تسعرها معلق بيوم القيامة وذلك لان فيه الزيادة والاشتداد وفيه اشارة الى جحيم الخسران
والخذلان فانها أوقدت بأحطاب الاعمال السيئة وأحجار الاحوال القبيحة خصوصا نار الغضب
والشهوة التى كانوا عليها فى هذه النشأة (واذا الجنة أزلفت) الازلاف التقريب بالفارسية
نزديك كردن أى قربت من المتقين ليدخلوها كقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد وعن
الحسن رحمه الله انهم يقربون منها الا انها تزول عن موضعها فالمراد من التقريب التعكيس
للمبالغة كما فى قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار حيث تعرض النار عليهم تحقيرا
وتحسيرا فقلب مبالغة ويحتمل أن يكون المراد التقريب المعنوى وهو جعل أهلها مستحقين
لدخولها مكرمين فيها وفيه اشارة الى تقريب نعيم آثار الرضا واللطف من المتقين وكذا جنة
الوصول والوصال لمحبى الجمال والكمال كما قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا أى فيما بين
النفختين وهن من أول السورة الى قوله واذا البحار سجرت على أن المراد بحشر الوحوش جمعها
من كل ناحية لا بعثها للاقتصاص وست فى الآخرة أى بعد النفخة الثانية وقال أبى بن كعب
رضى الله عنه ست آيات قبل القيامة بينما الناس فى أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك
اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت
وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش وماج بعضهم
فى بعض فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تأجج أى
تلتهب قال فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى
السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتتهم كذا فى المعالم (علمت نفس
ما أحضرت) اى علمت كل نفس من النفوس ما أحضرته على حذف الراجع الى الموصول فنفس
فى معنى العموم كما صرح به فى قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وقوله هنالك
تبلو كل نفس ما أسلفت وقولهم ان النكرة فى سياق الاثبات لا تعم بل هى للافراد النوعية غير
مطرد ويجوز أن يكون التنوين للافراد الشخصية اشعارا بأنه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس
ما أحضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة أن تكون هى التى علمت ما أحضرت
فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان
على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لا متيقن به أو نادر الوقوع بل تريد أن
العاقل يجب عليه أن يجتنب أمرا يرجى فيه الندم أو قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعى

الوجود كثير الوقوع والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور أنفسها الان الاعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيآت معينة واسناد حضورها الى النفس مع أنها تحضر بأمر الله لما انها لما عملتها فى الدنيا كأنها أحضرتها فى الموقف ومعنى علمها بها حينئذ أنها تشاهدها على ماهى عليه فى الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه فى الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وقد ورد حفت الجنة بالمكاره وان كانت سيئة تشاهدها على ماهى عليه ههنا لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها كما ورد وحفت النار بالشهوات وقال بعضهم العلم بالاعمال كناية عن المجازاة عليها من حيث ان العلم لازم للمجازاة وقوله علمت الخ جواب اذا على أن المراد بها زمان واحد متسع محيط بما ذكر من أول السورة الى هنا من الاثنى عشر شيأ مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعمل فى كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المديد أو عند وقوع داهية من تلك الدواهى بل عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهى من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال وعن عمر وابن عباس رضى الله عنهم انهما قرآ السورة فلما بلغا الى قوله علمت نفس ما أحضرت قالا لهذه أجريت القصة وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال وانقطاع ظهراه أى قاله خوفا من القيامة ومجازاة الاعمال در ان روز هر نفسى بداند كه باهر خيرى كرامتى وعطا ييست وباهر شرى ملامتى وجزايى بر نيكى حسرت خورد كه چرا زياده نكردم و بر بدى اندوه كشد كه چرا مباشر شدم وآن حسرت واندوه هيچ فائده ندارد * تو امروز فرصت غنيمت شمار * كه فردا ندامت نيايد بكار * بكوش اى توانا كه فرمان برى * كه در ناتوانى بسى غم خورى * وفى الحديث العبد المؤمن بين مخافتين عمر قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وأجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليتزود العبد لنفسه من نفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فوالله ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا الا الجنة والنار وقال الواسطى قدس سره فى الآية علمت كل نفس وأيقنت أن ما عملت واجتهدت لا يصلح لذلك المشهد وأن من أكرم بخلع الفضل نجا ومن قرن بجزاء أعماله هلك وخاب وفى برهان القرآن هنا علمت نفس ما أحضرت وفى الانفطار ما قدمت وأخرت لان ما فى هذه السورة متصل بقوله واذا القبور بعثرت والقبور كانت فى الدنيا فتتذكر ما قدمت فى الدنيا وما أخرت للعقبى فكل خاتمة لائقة بمكانها وهذه السورة من أولها الى آخرها شرط وجزاء وقسم وجواب (فلا أقسم) لا صلة أورد لكلام سابق أى ليس الامر كما تزعمون أيها الكفرة من أن القرآن سحر أو شعر أو أساطير ثم ابتدأ فقال أقسم (بالخنس) جمع خانس وهو المتأخر من خنس الرجل عن القوم خنوسا من باب دخل اذا تأخر وأصل الخنوس الرجوع الى خلف والخناس الشيطان لانه يضع خرطومه على قلب العبد فاذا ذكر الله خنس واذا غفل عاد الى الوسوسة والمعنى أقسم بالكواكب الرواجع وهى ما عدا النيرين من الدرارى الخمسة وهى المريخ بالكسر ويسمى بهرام أيضا وزحل ويسمى

كيوان أيضا وعطارد ويسمى الكاتب أيضا والزهرة وتسمى ناهيد أيضا والمشترى ويسمى راويس وبرجيس أيضا وما من نجم يقطع المجرة غير الخمسة فلذا خصها ونظمها بعضهم والنيرين فقال * هفت كوكب كه هست كيتى را * كاه ازيشان مدار وكاه خلل * قمرست وعطارد وزهره * شمس ومريخ ومشترى وزحل * وهى الكواكب السبعة السيارة كل منها يجرى فى فلك فالقمر فى الاول وما يليه فى الثانى وهكذا على الترتيب (الجوار الكنس) الجوارى جمع جارية بمعنى سائرة والكنس جمع كانس وهو الداخل فى الكناس المستتر به وصفت الخنس بهما لانها تجرى فى أفلاكها أو بأنفسها على ما عليه أهل الظواهر مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها بيناترى النجم فى آخر البرج اذ كر راجعا الى أوله فرجوعه من آخر البرج الى أوله هو الخنوس وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها وأما القمران فلا يكونان بهذا المعنى قال فى عين المعانى لخنوسها فى مجراها واستتارها فى كناسها أى موضع استتارها فيه كما تكنس الظباء انتهى من كنس الوحش من باب جلس اذا دخل كناسه وهو بيته الذى يتخذه من أغصان الشجر وقيل جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أى تطلع فى أماكنها كالوحش فى كنسها وفى التأويلات النجمية يشير الى الحواس الخمس الباطنة السيارة مع شمس الروح وقمر القلب الرواجع الى بروجها بالاختفاء بحسب شعاع شمس الروح وقمر القلب لغلبة أشعتهما عليهن والدرارى الخمسة الزهرة وعطارد والمشترى وبهرام وزحل مظاهر الحواس الخمس والشمس مظهر الروح والقمر مظهر القلب (والليل) عطف على الخنس (اذا عسعس) أى أدبر ظلامه لان اقبال الصبح يكون بادبار الليل كما قال فى الوسيط لما كان طلوع الصبح متصلا بادبار الليل كان المناسب أن يفسر عسعس بأدبر ليكون التعاقب فى الذكر على حسب التعاقب فى الوجود انتهى أو أقبل فانه من الاضداد كذلك سعسع وذلك فى مبدا الليل وهذا المعنى أنسب لمراعاة المقابلة مع قرينه (والصبح) عطف عليه أيضا (اذا تنفس) آنكاه كه دم زند يعنى طلوع كند وتنفس او مبدأ طلوعست والعامل فى اذا معنى القسم واذا وما بعدها فى موضع الحال اقسم الله بالليل مدبرا وبالصبح مضيأ يقال تنفس الصبح اذا تبلج أى أضاء وأشرق جعل تنفس الصبح عبارة عن طلوعه وانبساطه تحت ضوئه بحيث زال معه غمة الليل وهى الغبرة الحاصلة فى آخره والنفس فى الاصل ريح مخصوص يروح القلب ويفرج عنه بهبوبه عليه وفى الحديث لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن أى مما يفرج الكرب شبه ما يقبل باقبال الصبح من الروح والنسيم بذلك الريح المخصوص المسمى بالنفس فأطلق اسم النفس عليه استعارة فجعل الصبح متنفسا بذلك ثم كنى بتنفسه بذلك عن اقبال الصبح بطلوعه واضاءة غبرته لان التنفس بالمعنى المذكور لازم له فهو كناية متفرعة على الاستعارة قال القاشانى والليل أى ليل ظلمة الجسد الميت اذا أدبر بابتداء ذهاب ظلمته بنور الحياة عند تعلق الروح به وطلوع نور شمسه عليه والصبح أى أثر نور طلوع تلك الشمس اذا انتشر فى البدن بافادة الحياة وفى التأويلات النجمية يشير الى ليل الطبيعة المنقشعة عن ظلام غيب البشرية باتباع أحكام الشريعة ومخالفات آثار الطبيعة والى صبح نهار الروحانية اذا كشف وأظهر آداب الطريقة ورسوم الحقيقة وهو أعظم الاقسام وأفضل الايمان (انه) الضمير للقرآن وان لم يجر له

ذكر للعلم به أى القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهى الهائلة وهو جواب القسم وجه القسم بهذه الاشياء ان فيها ظهور كمال الحكمة وجلال القدرة يقول الفقير سر الاقسام بها أن القرآن نور من الله فلا يرد الا على القلب النورانى الذى هو بمنزلة القمر وعلى الروح الذى هو بمنزلة الشمس وعلى القوى الروحانية التى هى بمنزلة سائر السيارات المضيئة وهذه الانوار لا تظهر فى الوجود الانسانى الا بزوال آثار الطبيعة والنفس وظهور آثار القلب والروح فاذا أشرقت أنوار الروح وتلألأت فى ليل الوجود أضاء جميع ما فى الوجود وزال الظلام (انه لقول رسول كريم) هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله قال السهيلى ولا يجوز أنه أراد به أنه قول النبى عليه السلام وان كان النبى عليه السلام رسولا كريما لان الآية نزلت فى معرض الرد والتكذيب لمقالة الكفار الذين قالوا ان محمدا عليه السلام يقوله وهو قوله فقال الله تعالى انه لقول رسول كريم فأضافه الى جبريل الذى هو أمين وحيه وهو فى الحقيقة قول الله لكنه أضيف الى جبريل لانه جاء به من عند الله فاسناده اليه باعتبار السببية الظاهرة فى الانزال والايصال ويدل على أن المراد بالرسول هو جبريل ما بعده من ذكر قوته ونحوها ووصفه برسول لانه رسول عن الله الى الانبياء وبكريم أى على ربه عزيز عظيم عنده وكذا عند الناس لانه يجيء بأفضل العطايا وهو المعرفة والهداية ويتعطف على المؤمنين ويقهر الاعداء (ذى قوة) شديدة كقوله تعالى شديد القوى أى ذى قدرة على ما يكلف به لا عجز له ولا ضعف روى أنه عليه السلام قال لجبريل ذكر الله قوتك فأخبرنى بشئ من آثارها قال رفعت قريات قوم لوط الاربع من الماء الاسود بقوادم جناحى حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وأصوات الديكة ثم قلبتها ومن قوته انه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وأنه يهبط من السماء الى الارض ويصعد فى أسرع من الطرف وأنه رأى ان شيطانا يقال له الابيض صاحب الانبياء قصد أن يتعرض للنبى فدفعه دفعة رفيقة وقع بها من مكة الى أقصى الهند وكذا رآه يكلم عيسى عليه السلام على بعض الارض المقدسة فنفخه نفخة واحدة ألقاه الى أقصى جبل الهند وقيل المراد القوة فى أداء طاعة الله وترك الاخلال بها من أول الخلق الى آخر زمان التكليف وفيه اشارة الى صفة الروح فانه ذو سلطنة على جميع الحقائق الكائنة فى المملكة الانسانية (عند ذى العرش) أى الله تعالى وفى ايراد ذى العرش اخبار بغاية كبريائه فى القلوب وعند ظرف لما بعده من قوله (مكين) ذى مكانة رفيعة عند عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان فانه تعالى متعال عن أمثالها ونحو وأنا عند المنكسرة قلوبهم فان المراد به القرب والاكرام ومن مكانته عند الله ومرتبته انه تعالى جعله تالى نفسه فى قوله فان الله هو مولاه وجبريل فله عظم منزلة عندية فأين منزلة من يلازم السلطان عند سرير الملك من مرتبة من يلازمه عند الوضوء ونحوه (مطاع) فيما بين الملائكة المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه لعلمهم بمنزلته عند الله قال فى فتح الرحمن ومن طاعتهم انهم فتحوا أبواب السماء ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعة جبريل فريضة على أهل السموات كما ان طاعة محمد عليه السلام فريضة على أهل الارض وفيه اشارة الى أن الروح مطاع فيما بين القوى بالنسبة الى السر والقلب (ثم أمين) على الوحى قد عصمه الله من الخيانة والزلل وثم بفتح الثاء ظرف مكان لما قبله أى مطاع هنالك أى فى السموات وقيل لما بعده أى مؤتمن عند الله على

وحيه ورسالته الى الانبياء فيكون اشارة الى عند الله وقرئ ثم بضم الثاء تعظيما لوصف الامانة
وتفضيلا لها على سائر الاوصاف فيكون للتراخي الرتبي على طريق الترقي من صفاته الفاضلة
الى ماهو أفضل وأعظم وهو الامانة (قال الكاشفي) واكر رسول كريم محمد باشد عليه السلام پس
أو صاحب قوت طاعت ونزديك خداى خداوند قدر ومكانتست ومطاع يعني مستجاب الدعوة
ولذا قال له عمه أبو طالب ما أطوع ربك لك يا محمد فقال له وأنت يا عم لو أطعته أطاعك وأمين يعني
براسرار غيب وفيه اشارة الى أن الروح أمين في افاضة الفيض الروحي على كل أحد بحسب
استعداده الفطري (وما صاحبكم) يا أهل مكة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم عطف
على جواب القسم ولذا قال في فتح الرحمن وهذا أيضا جواب القسم (بمجنون) كما تقولون
والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل أحواله عليه السلام خبرا وعلمهم
بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية فانه كان بين أظهرهم في مدد متطاولة وقد جربوا عقله فوجدوه
أكمل الخلائق فيه ولقبوه بالامين الصادق وقد استدل به على فضل جبريل على رسول الله حيث
وصف جبريل بست خصال كل واحدة منها تدل على كمال الشرف ونباهة الشأن واقتصر في ذكر
رسول الله على نفي الجنون عنه وبين الذكرين تفاوت عظيم وهذا الاستدلال ضعيف اذ المقصود رد
قول الكفرة في حقه عليه السلام يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لا تعداد فضائلهما
والموازنة بينهما على أن في توصيف جبريل بهذه الصفات بيانا لشرف سيد المرسلين بالنسبة اليه
من حيث ان جبريل مع هذه الصفات هو الذي يؤيده ويبلغ الرسالة اليه فأي رتبة أعلى من
مرتبته بعد ما ثبت ان السفير بينه وبين ذي العرش مثل هذا الملك المقرب وقال سعدي المفتي
الكلام مسوق لحقية المنزل دلالة على صدق ما ذكر فيه من أهوال القيامة على ما يدل عليه الفاء
السببية في قوله فلا أقسم ولا شك ان ذلك يقتضي وصف الآتي به فلذلك بولغ فيه دون وصف
من انزل عليه فلذلك اقتصر فيه على نفي ما بهتوه وفيه اشارة الى ان الروح ليس بمجنون اي بمستور
عن حقائق القرآن ودقائقه واحكامه وشرائعه ووعده ووعيده بل هو مكشوف له بجميع
اسراره (ولقد رآه) وبالله لقد رأى رسول الله جبريل وفي عين المعاني ابصره لا جنيا (بالافق
المبين) افق السماء ناحيتها والمبين من ابان اللازم بمعنى الظاهر بالفارسية روشن اي بمطلع
الشمس الاعلى من ناحية المشرق فالمراد بالافق هنا حيث تطلع الشمس استدلالا بوصفه بالمبين
فان نفس الافق لا مدخل له في تبيين الاشياء وظهورها وانما يكون له مدخل في ذلك من حيث
كونه مطلعا الكوكب نير يبين الاشياء والكوكب المبين هو الشمس واسناد الابانة الى مطلعها
مجاز باعتبار سببيته لها في الجملة فان البيان في الحقيقة لضياء الطالع منه ثم خص من بين المطالع
ماهو أعلى المطالع وأرفعها وهو المطلع الذي اذا طلعت الشمس منه تكون في غاية الارتفاع
والنهار في غاية الطول والامتداد وذلك عند ما تكون الشمس عند رأس السرطان قبيل تحولها
الى برج الاسد وتوجه النهار الى الانتقاص وانما فعل ذلك حملا للمبين على الكمال فانه كلما كان
الكوكب ارفع واعلى وكلما كان النهار اطول كان البيان والاظهار اتم واكمل وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل ان يتراءى له في صورته التي خلقه الله عليها فقال
ما اقدر على ذلك وما زال الى ان أذن له فأتاه عليها وذلك في جبل حراء في اوائل البعثة فرآه

رسول الله قد ملأ الآفاق بكلكله رجلاه في الارض ورأسه في السماء جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب وله ستمائة جناح من الزبرجد الاخضر فغشي عليه فتحول جبريل في صورة بني آدم وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه فقيل لرسول الله ما رأيناك منذ بعثت أحسن منك اليوم فقال عليه السلام جاءني جبريل في صورته فعلق بي هذا من حسنه قالوا ما رآه أحد من الانبياء غيره عليه السلام في صورته التي جبل عليها فهو من خصائصه عليه السلام واعلم أن وقوع الغشيان انما هو من كمال العلم والاطلاع ألا ترى الى قوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فان توليه وامتلاءه من الرعب ليس عن رؤية أجسامهم فقط لانهم أناس مثله وانما هو لما أطلعه الله عليه حين رؤيتهم من العلم كما غشي على جبريل ليلة الاسراء حين رأى الرفرف ولم يغش على رسول الله وقال عليه السلام فعلمت فضل جبريل في العلم فكأنه عليه السلام أشار الى فضل نفسه أيضا لما غشي عليه برؤية جبريل على صورته الاصلية وانما لم يغش عليه حين رأى الرفرف كما غشي على جبريل لانه اذ ذاك في نهاية التمكين وفرق بين البداية والنهاية والله أعلم قال القاشاني ولقد رآه بالافق المبين أي نهاية طور القلب الذي يلي الروح وهو مكان القاء النافث القدسي على أن المراد بالرسول روح القدس النافث في روع الانسان وقال في التأويلات النجمية أي رأى جبريل الروح حضرة ربه عند أفق البقاء بعد الفناء (وما هو) أي رسول الله (على الغيب) أي على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب (بضنين) أي ببخيل أي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا أي أجرة أو يسأل تعليمه فلا يعلمه وفيه اشارة الى أن امساك العلم عن أهله بخل من ضن بالشيء يضن بالفتح ضنا بالكسر وضنانة بالفتح أي بخل فهو ضنين به أي بخيل ويضن بالكسر لغة والفتح أفصح ذكره البيهقي في تهذيب المصادر في باب ضرب حيث قال الضن والضنانة بخيلي كردن والغابر يضن والفتح أفصح فيكون من باب علم كما صرح به بعضهم بقوله هو من ضننت بالشيء بكسر النون وهو قراءة نافع وعاصم وحمزة وابن عامر قال في النشر كذلك هو في جميع المصاحف اي المصاحف التي يتداولها الناس والا فهو في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بالظاء وقرئ بظنين على انه فعيل بمعنى المفعول أي بمتهم اي هو ثقة في جميع ما يخبره لا يتوهم فيه انه ينطق عن الهوى من الظنة وهي التهمة واتهمت فلانا بكذا توهمت فيه ذلك اختار أبو عبيدة هذه القراءة لان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفي التهمة أولى من نفي البخل ولان البخل يتعدى بالباء لا بعلى وفي الكشاف هو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف ابي بالضاد وكان رسول الله عليه السلام يقرأ بهما ولا بد للقارئ من معرفة مخرجي الضاد والظاء فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره ومخرج الظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا فان قيل فان وضع المصلي احد الحرفين مكان الآخر قلنا قال في المحيط البرهاني اذا اتى بالظاء مكان الضاد او على العكس فالقياس ان تفسد صلاته وهو قول عامة المشايخ وقال مشايخنا بعدم الفساد للضرورة في حق العامة خصوصا العجم فان أكثرهم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وفي الخلاصة لو قرأ بالظاء مكان الضاد او بالضاد مكان الظاء تفسد صلاته عند ابي حنيفة ومحمد واما عند عامة المشايخ

كأبى مطيع البلخى ومحمد بن سلمة لا تفسد صلاته (وماهو بقول شيطان رجيم) أى قول بعض المسترقة للسمع دل عليه توصيفه بالرجيم لانه بمعنى المرمى بالشهب وهونفى لقولهم انه كهانة وسحر كما قال وماتنزلت به الشياطين وفيه اشارة الى أنه ليس محمد القلب عند الاخبار عن المواهب الغيبية والالهامات السرية بمتهم بالكذب والافتراء وماهو بقول بعض القوى البشرية (فأين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه فى أمر القرآن والفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها من ظهور أنه وحى مبين وليس مما يقولون فى شئ كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب شبهت حالهم بحال من يترك الجادة وهومعظم الطريق ويتعسف الى غير المسلك فانه يقال له أين تذهب استضلالا له وانكارا على تعسفه فقيل لمن يقول فى حق القرآن مالا ينبغى من وضوح كونه وحيا حقا أى طريق تسلكون آمن من هذه الطريقة التى ظهرت حقيتها ووضحت استقامتها وأين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون قال أبو البقاء التقدير الى أين فحذف حرف الجر ويجوز أن لا يصار الى الحذف بل الى طريق التضمين فكأنه قيل أين تؤمّون وقال الجنيد قدس سره أين تذهبون عنا وان من شئ الاعندنا وفى التأويلات النجمية فأين تذهبون من طريق الحق الى طريق الباطل وتتركون الاقتداء بالروح وتختارون اتباع النفوس (ان هو) ان نافية والضمير الى القرآن أى ماهو (الاذكر للعالمين) موعظة وتذكير لهم والمراد الانس والجن بدلالة العقل فانهم المحتاجون الى الوعظ والتذكير (لمن شاء منكم) أيها المكلفون بالايمان والطاعة وهو بدل من العالمين باعادة الجار بدل البعض من الكل ولا تخالف بين الاصل المتبوع والفرع التابع لان الاول باعتبار الذات والثانى باعتبار التبع (أن يستقيم) مفعول شاء أى لمن شاء منكم الاستقامة بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين مع انه ذكر شامل لجميع المكلفين لانهم هم المنتفعون بالتذكير دون غيرهم فكأنه مختص بهم ولم يوعظ به غيرهم (وماتشاؤن) أى الاستقامة مشيئة مستتبعة لها فى وقت من الاوقات يامن يشاؤها وذلك أن الخطاب فى قوله لمن شاء منكم يدل على ان منهم من يشاء الاستقامة ومن لا يشاؤها فالخطاب هنا لمن يشاؤها منهم يروى أن أبا جهل لما سمع قوله تعالى لمن شاء منكم أن يستقيم قال الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم وهو رأس القدرية فنزل قوله تعالى وماتشاؤن الخ (الا أن يشاء الله) من اقامة المصدر موقع الزمان أى الا وقت أن يشاء الله تلك المشيئة المستتبعة للاستقامة فان مشيئتكم لا تستتبعها بدون مشيئة الله لها لان المشيئة الاختيارية مشيئة حادثة فلا بد لها من محدث فيتوقف حدوثها على أن يشاء محدثها ايجادها فظهر أن فعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة الحصول على أن يريد الله أن يعطيه تلك الارادة والموقوف على الموقوف على الشئ موقوف على ذلك الشئ فأفعال العباد ثبوتا ونفيا موقوفة الحصول على مشيئة الله كما عليه أهل السنة (رب العالمين) مالك الخلق ومربيهم أجمعين بالارزاق الجسمانية والروحانية وفى الحديث القدسى يا ابن آدم تريد وأريد فتتعب فيما تريد ولا يكون الا ما أريد قال وهب بن منبه قرأت فى كتب كثيرة مما أنزل الله على الانبياء انه من جعل الى نفسه شيأ من المشيئة فقد كفر قال أبو بكر الواسطى قدس سره أعجزك فى جميع صفاتك فلا تشاء الا فى مشيئته ولا تعمل الا بقوته ولا تطيع الا بفضله ولا تعصى الا بخذلانه

فماذا يبقى لك وبماذا تفتخر من أعمالك وليس منها شئ الىك الا بتوفيقه وبالفارسية حق تعالى
ترا درهمه وصفها عاجز ساخته است تخوا هى مكر بعشت او ونكنى مكر بقوت او وفرمان نبرى
مكر بفضل او وعاصى نشوى مكر بخذلان او پس توجه دارى وبكدام فعل مى نازى وحال آنكه
ترا هيچ چيزى نيست مكر بتوفيق او * زسر تا پا همه هيچيم در هيچ * چه باجه سر همه هيچيم در هيچ *
وفى الحديث من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ اذا الشمس كورت
واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت فان فيها بيان أهوال الهائلة على التفصيل
تمت سورة التكوير بعون الملك القدير فى وسط صفر الخير من شهور سنة سبع عشرة
ومائة وألف

(سورة الانفطار تسع عشرة آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انفطرت) أى انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل
الملائكة تنزيلا أو لهيبة الرب وفى فتح الرحمن تشققها على غير نظام مقصود انما هو انشقاق لتزول
بنيتها واعرابه كاعراب اذا الشمس كورت وفى التأويلات النجمية يعنى سماء الارواح والقلوب
والاسرار ارتفعت تعيناتها وزالت تشخصاتها وقال القاشانى أى اذا انفطرت سماء الروح
الحيوانى بانفراجها عن الروح الانسانى وزوالها بالموت (واذا الكواكب انتثرت) أى
تساقطت من مواضعها سوداء متفرقة كما تتساقط اللآلى اذا انقطع السلك وهذان من أشراط
الساعة متعلقات بالعلويات فان السماء فى هذا العالم كالسقف والارض كالبناء ومن أراد
تخريب دار فانه يبدأ أولا بتخريب السقف وذلك هو قوله اذا السماء انفطرت ثم يلزم من تخريب
السماء انتثار الكواكب وفيه اشارة الى انتثار كواكب الحواس العشر الظاهرة والباطنة
وذهابها بالموت الطبيعى فانه اذا انقطع ضوء الروح عن ظاهر البدن وباطنه تعطل الحواس
مطلقا وكذا بالموت الارادى (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض بزوال المانع رحصول
تزلزل الارض وتصدعها واستوائها وصارت البحار وهى سبعة بحر الروم وبحر الصقالبة وبحر
جرجان وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الصين وبحر الهند بحرا واحدا فيصب ذلك البحر فى
جوف الحوت الذى عليه الارضون السبع كما فى كشف الاسرار وروى أن الارض تنشف من
الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن البصرى ودخل فى البحار
البحر المحيط لانه أصل الكل اذ منه يتفرع الباقى وكذا الانهار العذبة فانها بحار أيضا لتوسعها
وفيه اشارة الى بحار الارواح والاسرار والقلوب حيث فجرت بعضها فى بعض بالتجلى الاحدى
وصارت بحرا واحدا والى بحار الاجسام العنصرية حيث فجرت بعضها فى بعض بزوال البرازخ
الحاجزة عن ذهاب كل الى أصله وهى الارواح الحيوانية المانعة عن خراب البدن ورجوع
أجزائه الى أصلها (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها وأخرج موتاها ولا يخالف ما سبق فى
العاديات فان البعثرة تجئ بمعنى الاستخراج أيضا أى كالقلب وفى تاج المصادر البعثرة شورانيدن
وآشكارا كردن ولذا قال بعضهم بالفارسية وآنكاه كه كورها زير وزبر كرده شود يعنى خاكهارا
بشورانند تامدفونات وى از اموات وكنجها ظاهر كردد ومردكان زنده شوند ونظيره بحثر لفظا

ومعنى يقال بعثرت المتاع وبحثرته أى جعلت أسفله أعلاه وجعل أسفل القبور أعلاها اغناهو باخراج موتاها وقيل لسورة براءة المبعثرة لانها بعثرت أسرار المنافقين وهما أى بعثر وبحثر مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقال الراغب من رأى تركيب الرباعى والخماسى نحو هلل وبسمل اذا قال لا اله الا الله و بسم الله يقول ان بعثر مركب من بعث وأثير أى قلب ترابها وأثير ما فيها وهذا لا يبعد فى هذا الحرف فان البعثرة تتضمن معنى بعث وأثير وهذان من اشراط الساعة متعلقان بالسفليات فانه تعالى بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الارض بنفوذ بعض البحار فى بعض ثم يخرب نفس الارض التى هى كالبناء بأن يقلبها ظهرا لبطن و بطنا لظهر وفيه اشارة الى خراب قبور التعينات وصيرورة المتعين مطلقا عن التعينات لان التعينات قبور الحقائق المطلقة والى قبور الابدان فانها تخرج ما فيها من الارواح والقوى بالموت (علمت نفس) أى كل نفس برة كانت أو فاجرة كما سبق فى السورة السابقة وفى فتح الرحمن نفس هنا اسم الجنس وافرادها ليبين لذهن السامع حقارتها وقلتها وضعفها عن منفعة ذاتها الامن رحم الله تعالى (ما قدمت) فى حياتها من عمل خيرا أو شرا فان ما من ألفاظ العموم (وأخرت) من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده قال عليه السلام أيما داع دعا الى الهدى فاتبع فله مثل أجر من اتبعه الا أنه لا ينقص من أجورهم شئ وأيما داع دعا الى الضلالة فاتبع فله مثل أوزار من اتبعه الا أنه لا ينقص من أوزارهم شئ أو ما قدم من معصية وما أخر من طاعة وفى التأويلات النجمية علمت نفس ما قدمت أخرجت من القوة الى الفعل بطريق الاعمال الحسنة أو السيئة وما أخرت أبقت فى القوة بحسب النية قوله علمت الخ جواب اذا أى اذا وقعت هذه الاشياء وخربت الدنيا علمت كل نفس الخ لكن لا على أنها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت فى السورة السابقة من أن المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا أزمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما فى حيزها من الدواهى فالمراد العلم التفصيلى الذى يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة وأما العلم الاجمالى فيحصل فى أول زمان البعث والحشر لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصى يرى آثار الشقاوة فى أول الامر قال ابن الشيخ فى حواشيه العلم بجميع ذلك كناية عن المجازاة عليه والمقصود من الكلام الزجر عن المعصية والترغيب فى الطاعة (يا أيها الانسان) يعم جميع العصاة ولا خصوص له بالكفار لوقوعه بين المجمل ومفصله أى بين علمت نفس الخ و بين ان الابرار الخ وأما قوله بل تكذبون بالدين فن قبيل بنو فلان قتلوا زيدا اذا كان القاتل واحدا منهم قال الامام السهيلى رحمه الله قوله يا أيها الانسان يريد أمية بن خلف ولكن اللفظ عام يصلح له ولغيره وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة أو الاسود بن كلدة الجمحى قصد النبى عليه السلام فى بطحاء مكة فلم يتمكن منه فلم يعاقبه الله على ذلك وفى زهرة الرياض ضرب على يافوخ رسول الله عليه السلام فأخذه رسول الله وضرب به على الارض فقال له يا محمد الامان الامان منى الجفاء ومنك الكرم فانى لا أوذيك أبدا فتركه رسول الله عليه السلام (ما غرك بربك الكريم) ما استفهامية فى موضع الابتداء وغرك خبره والاستفهام بمعنى الاستبعاد والتوبيخ والمعنى أى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وأمنك من عقابه وقد علمت ما بين يديك من الدواهى وما سيكون حينئذ من مشاهدة أعمالك كلها يقال

غرّه بفلان اذا جرّأه عليه وأمنه المحذور من جهته مع أنه غير مأمون والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مدار الاغترار حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ماشئت فان ربك كريم قد تفضل عليك فى الدنيا وسيفعل مثله فى الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة فى الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كأنه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عن الداعية ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأها غرّه جهله وقال الحسن البصرى رحمه الله غرّه والله شيطانه فظهر أن كرم الكريم لا يقتضى الاغترار به بل هو يقتضى الخوف والحذر من مخالفته وعصيانه من حيث ان اهمال الظالم ينافى كونه كريما بالنسبة الى المظلوم وكذا التسوية بين الموالى والمعادى فاذا كان محض الكرم لا يقتضى الاغترار به فكيف اذا انضم اليه صفة القهر ولله الاسماء المتقابلة ولذا قال نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم قال القاشانى كان كونه كريما يسوغ الغرور ويسهله لكن له من النعم الكثيرة والمنن العظيمة والقدرة الكاملة ما يمنع من ذلك أكثر من تجويز الكرم اياه وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله ان أقامك الله يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال أقول غرّتنى ستورك المرخاة ونظمه ابن السماك فقال

يا كاسب الذنب أما تستحى * والله فى الخلوة ثانيكا
غرك من ربك امهاله * وستره طول مساويكا

قال صاحب الكشاف قول الفضيل على سبيل الاعتراف بالخطأ فى الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروونه عن أئمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته من الجبار والقهار والمنتقم وغير ذلك ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرنى كرم الكريم يقول الفقير الحق ان هذا الباب مما يقبل الاختلاف بالنسبة الى أحوال الناس فليس من يفهم الاشارة كمن لا يفهمها وكم من فرق بين ذنب وذنب وظن وظن ولذا قال أهل الاشارة ايراد الاسم الكريم من بين الاسماء كأنه من جهة التلقين * خود تو دادى مژده لا تقنطوا * من جرائم زعصيان وعتو * چون تو هر اشكسته راسازى درست * پر خطاها برا ميد عفو تست * وقال يحيى بن معاذ رحمه الله غرنى برك سالفا وآنفا

يقول مولاى أما تستحى * مما ارى من سوء أفعالك
فقلت يا مولاى رفقا فقد * أفسدنى كثرة افضالك

وعن على رضى الله عنه أنه صوّت بغلام له مرارا فلم يجبه وهو بالباب فقال لم لم تجبنى فقال لثقتى بحلمك وأمنى من عقوبتك فأعتقه احسانا لقوله وقال بعض أهل الاشارة عجبت من هذا الخطاب الذى فيه تهديد المخالف ومواساة الموافق كيف يخاطب المخالف بخطاب فيه مواساة الموافق ففيه من الرموز ما لا يعرفه الا أهل الاشارة قال بعضهم رأيت فى سوق البصرة جنازة يحملها أربعة وليس معهم مشيع فقلت لا اله الا الله سوق البصرة وجنازة رجل مسلم لا يشيعها أحد انى لاشيعها فتبعتها وصليت عليها ولما دفنوه سألتهم عنه قالوا ما نعرفه وانما اكترتنا تلك المرأة وأشاروا الى امرأة واقفة قريبا من القبر ثم انصرفوا فرفعت المرأة يديها الى السماء تدعو ثم

ضحكت وانصرفت فتعلقت بها وقلت لابد أن تخبريني بقضيتك فقالت ان هذا الميت ابنى ولم يترك
شيأ من المعاصى الافعله فمرض ثلاثة أيام فقال لى يا أمى اذا مت لا تخبرى الجيران بموتى فانهم
يفرحون بموتى ولا يحضرون جنازتى ولكن اكتبى على خاتمى لا اله الا الله محمد رسول الله وضعيه
فى اصبعى وضعى رجلك على خدى اذا مت وقولى هذا جزاء من عصى الله فاذا دفنتنى فارفعى
يديك الى الله وقولى اللهم انى رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما أوصانى به فلما
رفعت يدى الى السماء ودعوت سمعت صوته بلسان فصيح انصرفى يا أمى فقد قدمت على رب كريم
رحيم فرضى عنى فلذلك ضحكت سرورا بحاله أورده الامام القشيرى فى شرح الاسماء
(وفى الحديث) ان الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا فيقول نعم
أى رب حتى قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه هلك قال سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم
(الذى خلقك) صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم لان الخلق اعطاء الوجود وهو خير من
العدم منبهة على أن من قدر على الخلق وما يليه بدأ قدر عليه اعادة أى خلقك بعد أن لم تكن شيأ
(فسواك) أى جعل أعضاءك سوية سليمة معدة لمنافعها أى بحيث يترتب على كل عضو منها منفعته
التى خلق ذلك العضو لاجلها كالبطش لليد والمشى للرجل والتكلم للسان والابصار للبصر
والسمع للاذن الى غير ذلك (فعدلك) عدل بعض تلك الاعضاء ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت
مثل أن تكون احدى اليدين أو الرجلين أو الاذنين أطول من الاخرى أو تكون احدى
العينين أوسع من الاخرى أو بعض الاعضاء أبيض وبعضها أسود أو بعض الشعر فاحما وبعضه
أشقر قال علماء التشريح انه تعالى ركب جانبى هذه الجثة على التساوى حتى انه لا تفاوت بين
نصفيه لا فى العظام ولا فى أشكالها ولا فى الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة
منها فكل ما فى أحد الجانبين مساو لما فى الجانب الآخر ويقال عدله عن الطريق أى صرفه
فيكون المعنى فصرفك عن الخلقة المكروهة التى هى لسائر الحيوانات وخلقك خلقة حسنة
مفارقة لسائر الخلق كما قال تعالى فى أحسن تقويم وقرئ فعدلك بالتشديد أى صيرك معتدلا
متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فهو بالمعنى الاول من المخفف وقال الجنيد قدس سره تسوية
الخلقة بالمعرفة وتعديلها بالايمان وقال ذو النون قدس سره أوجدك فسخر لك المكونات أجمع
ولم يسخرك لشئ منها وفى التأويلات النجمية يا أيها الانسان المخلوق على صورته كأنك غرك كمال
المظهرية وتمام المضاهاة خلقك فى أحسن صورة فسواك فى أحسن تقويم فجعل بنيتك الصورية
وبنيتك المعنوية سليمة مسواة ومعتدلة ومستعدة لقبول جميع الكمالات الالهية والكيانية كما
قال عليه السلام أوتيت جوامع الكلم أى الكلم الالهية والكلم الكيانية (فى أى صورة ما شاء
ركبك) الجار متعلق بركبك وما مزيدة لتعميم النكرة وشاء صفة لصورة والعائد محذوف وانما
لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك والمعنى ركبك فى أى صورة شاءها واقتضتها مشيئته
وحكمته من الصور العجيبة الحسنة أو من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر
والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه كما فى الحديث ان النطفة اذا
استقرت فى الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم وصورها فى أى شبه شاء وقال الواسطى
رحمه الله صور المطيعين والعاصين فمن صوره على صورة الولاية ليس كمن صوره على صورة

العداوة أى صور بعضهم على الصورة الجمالية اللطفية وبعضهم على الصورة الجلالية القهرية قال حضرة شيخى وسندى قدس سره فى كتاب اللائحات البرقيات له لاح بيالى ان تلك الصورة التركيبية تتناول الصورة العلمية والصورة الروحية والصورة المثالية والصورة الجسمية وغير ذلك من الصور المركبة فى الاطوار لكن المقصود بالذات انما هو هذه الاربع والتركيب فى الصورة العلمية والروحية عقلى ومعنوى وفى الصورة المثالية والجسمية حسى وروحى والمراد من التركيب فى الصورة العلمية ظهور الذات وفى الصورة الروحية ظهور الصفات وفى الصورة المثالية ظهور الافعال وفى الصورة الجسمية ظهور الآثار وهذه الظهورات من تلك التركيبات بمنزلة النتائج من القياسات وبمنزلة المجموع من الاجتماعات وأجزاؤها انما هى أحكام الوجوب وأحكام الامكان والمراد من أحكام الوجوب هو الاسماء الالهية الفاعلة المؤثرة والمراد من أحكام الامكان هو الحقائق الكونية القابلة المتأثرة والتركيب من هذه الاجزاء فى أى صورة كان انما هو لظهور محل يكون مظهر الظهور آثارها وخواصها المجتمعة وعند هذا الظهور الاجتماعى فى ذلك المحل الجامع كالنشأة الانسانية المخاطبة ههنا ان كانت الغلبة لاجزاء أحكام الوجوب تكون تلك النشأة علوية مائلة الى جانب العلو والحق وهى تكون باقية على الفطرة الاصلية الالهية قابلة مستعدة للفيض والتجلى والوصول الى عالم القدس وان كانت لاجزاء أحكام الامكان تكون تلك النشأة سفلية مائلة الى جانب السفل والخلق وخارجة عن الفطرة الاصلية الازلية غير قابلة ومستعدة للفيض والتجلى والوصول الى عالم القدس بل تبقى فى عالم الدنس مدنسة بدنس الجهالة والغفلة والنسيان لاخبر لها عن نفسها وربها وتكون أعمى وأصم وأبكم لاتعرف يمينها من شمالها ولاترى شمالها من يمينها أولئك كالانعام بل هم أضل انتهى كلامه روح الله روحه (كلا) كلمة ردع فالوقف عليها أى ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصى مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقيل تأكيد لتحقيق ما بعده بمعنى حقا فالوقف على ركبك كما جعله السجاوندى حيث وضع علامة الوقف المطلق على ركبك (بل تكذبون بالدين) قال فى الارشاد عطف على جملة ينساق اليها الكلام كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وأنتم لاترتدعون عن ذلك بل تجترئون على أعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا فانه يراد بالدين الجزاء والمكافأة ومنه الديان فى صفة الله أو تكذبون بدين الاسلام اللذين هما من جملة أحكامه فلا تصدقون سؤالا ولاجوابا ولاثوابا ولاعقابا (وان عليكم لحافظين) حال من فاعل تكذبون وجمع الحافظين باعتبار كثرة المخاطبين أو باعتبار أن لكل واحد منهم جمعا من الملائكة كما قال اثنان بالليل واثنان بالنهار أى تكذبون بالجزاء والحال أن عليكم أيها المكلفون من قبلنا الملائكة حافظين لاعمالكم وبالفارسية نكهبانان (كراما) جمع كريم أى لدينا يجيرهم فى طاعتنا أو بأداء الامانة اذ الكريم لايكون خوانا وفى فتح الرحمن وصفهم بالكرم الذى هو نفى المذام وقيل كرام يسارعون الى كتب الحسنات ويتوقفون فى كتب السيئات رجاء أن يستغفر ويتوب فيكتبون الذنب والتوبة منه معا وفى زهرة الرياض سماهم كراما لانهم اذا كتبوا حسنة يصعدون الى السماء ويعرضونها على الله ويشهدون ويقولون ان عبدك فلانا عمل حسنة وأما فى السيئة فيسكتون ويقولون الهى أنت ستار

العيوب وهم يقرؤن كل يوم كتابك ويمدحونك فالانهتك أستارهم وأما معنى التعطف كما فى سورة عبس فلا يلائم هذا المقام كما فى بعض التفاسير (كاتبين) للاعمال (يعلمون) لحضورهم وعدم افتراقهم عنكم (ماتفعلون) من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطون نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك (وفى الحديث) أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم الا عند احدى الحالتين الجنابة والغائط قال فى عين المعانى قوله يعلمون يدل على ان السهو والخطأ وما لا تبعة فيه لا يكتب وكذا ما استغفر منه حيث لم يقل يكتبون انتهى وقوله ماتفعلون وان كان عاما لافعال القلوب والجوارح لكنه عام مخصوص بأفعال الجوارح لان ما كان من المغيبات لا يعلمه الا الله وفى كشف الاسرار علمهم على وجهين فما كان من ظاهر قول أو حركة جوارح علموه بظاهره وكتبوه على جهته وما كان من باطن ضمير يقال انهم يجدون لصالحه رائحة طيبة ولطالحه رائحة خبيثة فيكتبونه مجملا عملا صالحا وآخر سيئا انتهى وقد مر بيان هذا المقام فى سورتى الزخرف وق فارجع وخص الفعل بالذكر لانه أكثر من القول ولان القول قد يراد به الفعل فاندرج فيه وعن الفضيل انه كان اذا قرأ هذه الآية قال ما أشدها من آية على الغافلين ففيها انذار وتهويل وتشديد للعصاة وتبشير ولطف للمطيعين وفى تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام فالتعظيم اعلاه فى وصفهم بالكرم لا بالكتب والحفظ وطعن بعض المنكرين فى حضور الكاتبين أما أولا فبأنه لو كانت الحفظة وصحفهم وأقلامهم معنا ونحن لا نراهم لجاز أن يكون بحضرتنا جبال وأشخاص لا نراها وذلك دخول فى الجهالات وجوابه أن الملائكة من قبيل الاجسام اللطيفة فحضورهم لا يستلزم الرؤية ألا ترى أن الله أمد المؤمنين فى بدر بالملائكة وكانوا لا يرونهم الا من شاء الله رؤيته وكذا الجن من هذا القبيل ولذا قال تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فكما أن الهواء لا يرى للطافته فكذا غيره من أهل اللطافة وأما ثانيا فبأن هذه الكتابة والضبط ان كان لا لفائدة فهو عبث والله تعالى متعال عن ذلك وان كان لفائدة فلا بد أن تكون للعبد لان الله متعال عن النفع والضرر وعن تطرق النسيان وغاية ذلك أن يكون حجة على الناس وتشديدا عليهم باقامتها لكن هذا ضعيف لان من علم أن الله لا يجور ولا يظلم لا يحتاج فى حقه الى اثبات هذه الحجة ومن لم يعلم ذلك لا تنفعه لاحتمال أن يحمل على الظلم وجوابه أن الله يجرى أموره على عباده على ما يتعارفونه فى الدنيا بينهم ليكون أبلغ فى تقرير المعنى عندهم من اخراج كتاب واحضار شهود عدل فى الزام الحجة عند الحاكم والعبد اذا علم أن الله رقيب عليه والملائكة يحفظون أعماله ويكتبونها فى الصحيفة وتعرض على رؤس الاشهاد يوم القيامة كان ذلك أزجر له عن المعاصى وأمنع من السوء وأما ثالثا فبأن افعال القلوب غير مرئية فلا يكتبونها مع أنها محاسب بها لقوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية وجوابه ما مر من أن الآية من العام المخصوص وقد قال الامام الغزالى رحمه الله كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الملائكة الحفظة فان شعورهم يقارن شعورك حتى اذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك فى المذكور بالكلية غاب عن شعور الحفظة أيضا ومادام القلب يلتفت الى الذكر فهو معرض عن الله وفهم من هذا المقال ان قياس اطلاع الملائكة على الوقائع على اطلاع الناس غير مستقيم فان شؤنهم علما وعملا غير شؤن الناس

على أن من أصلح من الناس سريرته قد يكشف الضمائر ويطلع على الغيوب باطلاع الله تعالى فما ظنك بالملائكة الذين هم ألطف جسما وأخف روحا (ان الابرار) الذين بروا وصدقوا فى ايمانهم باداء الفرائض واجتناب المعاصى وبالفارسية وبدرستى كه نيكوكاران وفرمان برداران جمع بر بالفتح وهو بمعنى الصادق والمطيع والمحسن وأحسن الحسنات لا اله الا الله ثم بر الوالدين وبر التلامذة للاساتذة وبر أهل الارادة للشيوخ كما قال فى فتح الرحمن هو الذى قد اطرد بره عموما فبر ربه فى طاعته اياه وبر الناس فى جلب ما استطاع من الخير اليهم وغير ذلك (وفى الحديث) بروا آباءهم كما بروا أبناءهم (لفى نعيم) وهو نعيم الجنة وثوابها والتنوين للتفخيم (وان الفجار) وبدرستى كه دروغ كويان ومنكران حشر جمع فاجر والفجور شق ستر الديانة (لفى جحيم) أى النار وعذابها والتنوين للتهويل والجملتان بيان لما يكتبون لاجله وهو أن الغاية اما النعيم واما الجحيم وفيه اشارة الى نعيم الذكر والطاعة والمعرفة والشهود والحضور والوصال والى جحيم الغفلة والمعصية والجهل والاحتجاب والغيبوبة والفراق قال الخواص رحمه الله طاب النعيم اذا كان منه وطاب الجحيم اذا كان به (وفى المثنوى) هركجا باشد شه ما را بساط * هست صحرا كر بود سم الخياط * هركجا كه يوسفى باشد چو ماه * جنتست او ارچه باشد قعر چاه (يصلونها) اما صفة لجحيم أو استئناف مبنى على سؤال نشأ عن تهويلها كأنه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها كما قال الخليل صلى الكافر النار قاسى حرها وباشره بيدنه ولم يصف النعيم بما يلائمه لان ما سبق من الكلام كان فى المكذبين الفجرة لان المقام مقام التخويف وذكر تبشير الابرار لانه ينكشف به حال الفجار الاشرار لان الاشياء تعرف بأضدادها (يوم الدين) يوم الجزاء الذى كانوا يكذبون به (وما هم) ونيست فجار (عنها) أى عن الجحيم (بغائبين) طرفة عين يعنى در وجاويد باشند وبيرون نيند كقوله تعالى وما هم بخارجين منها فالمراد دوام نفى الغيبة لا نفى دوام الغيبة وقيل وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها فى قبورهم حسبما قال النبى عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (وما أدراك) الخطاب لكل من يتأتى منه الدراية وما مبتدأ وأدراك خبره (ما) خبر قوله (يوم الدين) وما لطلب الوصف وان كان وضعه لطلب الحقيقة وشرح الاسم والمعنى أى شئ جعلك داريا وعالما ما يوم الدين أى أى شئ عجيب هو فى الهول والفظاعة أى ما أدراك الى هذا الآن أحد كنه أمره فانه خارج عن دائرة دراية الخلق على أى صورة يصورونه فهو فوقها وأضعافها (ثم ما أدراك ما يوم الدين) تكرير بثم المفيدة للترقى فى الرتبة للتأكيد وزيادة التخويف والمجموع تعجيب للمخاطبين وتفخيم لشأن اليوم واظهار يوم الدين فى موقع الاضمار تأكيدا لهوله وفخامته (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) بيان اجمالى لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن دائرة علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفى ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما فى القرآن من قوله تعالى وما أدراك فقد أدراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كأنه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيأ من الاشياء أو منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر يوم الدين وتشويقه عليه السلام الى معرفته اذكر يوم لا تملك الخ فانه يدريك ما هو

ودخل فى نفس كل نفس ملكية وبشرية وجنية وفى شئ كل ما كان من قبيل جلب المنفعة او دفع المضرة (والامر) كله (يومئذ) أى يوم اذ لا تملك نفس لنفس شيأ (لله) وحده والامر واحد الاوامر فان الامر والحكم والقضاء من شأن الملك المطاع والخلق كلهم مقهورون تحت سطوات الربوبية وحكمها ويجوز أن يكون واحد الامور فان أمور أهل المحشر كلها بيده تعالى لا يتصرف فيها غيره أخبر تعالى بضعف الناس يومئذ وأنه لا ينفعهم الاموال والاولاد والاعوان والشفعاء كما فى الدنيا بل ينفعهم الايمان والبر والطاعة وأنه لا يقدر أحد أن يتكلم الا باذن الله وأمره اذ الامر له فى الدنيا والآخرة فى الحقيقة وان كان يظهر سلطانه فى الآخرة بالنسبة الى المحجوب لان المحجوب يرى أن الله ملكه فى الدنيا وجعل له شيأ من الامور والاوامر فاذا كان يوم القيامة يظهر له أن الامر والملك لله تعالى لا يزاحمه فيه أحد ولا يشاركه ولو صورة وفيه تهديد لارباب الدعاوى وأصحاب المخالفة وتنبيه على عظم بطشه تعالى وسطوته وفى الحديث من قرأ اذا السماء انفطرت أعطاه الله من الاجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرة ماء حسنة وأصلح الله شأنه يوم القيامة

تمت سورة الانفطار بعون مالك الافطار فى الثانى والعشرين

من صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة وألف

(سورة المطففين ست وثلاثون آية مختلف فى كونها مكية أو مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) شدة الشر أو الهلاك أو العذاب الاليم وقال ابن كيسان هو كلمة كل مكروب واقع فى البلية فقولك ويل لك عبارة عن استحقاق المخاطب لنزول البلاء والمحنة عليه الموجب له أن يقول واويلاه ونحوه وقيل أصله وى لفلان أى الحزن فقرن بلام الاضافة تخفيفا وبالفارسية واى وهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه فى موقع الدعاء على ما سبق بيانه فى المرسلات (للمطففين) الباخسين حقوق الناس فى المكيال والميزان وبالفارسية مر كاهند كانرا دركيل و وزن فان التطفيف البخس فى الكيل والوزن والنقص والخيانة فيهما بأن لا يعطى المشترى حقه تاما كاملا وذلك لان ما يبخس شئ طفيف حقير على وجه الخفية من جهة دناءة الكيال والوزان وخساستهما اذ الكثير يظهر فيمنع منه ولذا سمى مطففا قال الراغب يقال طفف الكيل قلل نصيب المكيل له فى ايفائه واستيفائه وقال سعدى المفتى والظاهر أن بناء التفعيل للتكثير لان البخس لما كان من عادتهم كانوا يكثرون التطفيف ويجوز أن يكون للتعدية انتهى روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان أهلها من أبخس الناس كيلا فنزلت فخرج فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر فعملوا بوجيها وأحسنوا الكيل فهم أوفى الناس كيلا الى اليوم وعن على رضى الله عنه أنه مر برجل يزن الزعفران وقد أرجح فقال أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ما شئت كأنه أمره أولا بالتسوية ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس رضى الله عنهما انكم معشر الاعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم كانوا يجمعون الكيل والوزن

جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة يكيلون وعن عكرمة أشهد أن كل كيال ووزان في النار فقيل لو ان ابنك كيال أو وزان فقال أشهد انه في النار وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن مالك بن دينار انه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك جبلان من نار بين يدي أكلف الصعود عليهما فسألت أهله فقالوا كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال ما يزداد الامر علي الا عظما * ودر فصول سبعين آورده كه هركه دركيل ووزن خيانت كند فردا اورا بقعر دوزخ در آورده ميان دو كوه از آتش بنشانند وكويند كه اين هر دو كوه را وزن كن وهر كاه كه وزن ميكند آتش آنرا مى سوزد * تو كم دهى وبيش ستانى بكيل ووزن * روزى بود كه از كم وبيشت خبر كنند * (الذين) الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل (اذا اكتالوا على الناس) أي من الناس مكيالهم بحكم الشراء ونحوه والاكتيال الاخذ بالكيل كالاتزان الاخذ بالميزان (يستوفون) الاستيفاء عبارة عن الاخذ الوافي اي يأخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة من بعلى لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء أو للاشارة الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي تتضمنه كلمة اذا الاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس أخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما أرادوا بأي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس الكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه فيسرقون من أفواه المكاييل وألسنة الموازين (واذا كالوهم أو وزنوهم) الكيل پيمودن به پيمانه تا مقدار كيل معلوم كردد والوزن والزنة سنجيدن تا مقدار موزون معلوم شود أي واذا كالوا للناس أو وزنوا لهم المبيع ونحوه وبالفارسية وچون مى پيمايند براى ناس ويامى سنجند حقوق ايشانرا فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال في تاج المصادر وزنت فلانا درهما ووزنت لفلان بمعنى والاصل اللام ثم حذفت فوصل الفعل ومنه الآية انتهى فلفظ هم منصوب المحل على المفعولية لامرفوعه على التأكيد للواو لان واو الجمع اذا اتصل به ضمير المفعول لا يكتب بعده الالف كما في نصر وك ومنه الآية اذ لم يكتب الالف في المصحف واذا وقع في الطرف بأن يكون الضمير مرفوعا واقعا للتأكيد فحينئذ يكتب بعده الالف لان المؤكد ليس كالجزء مما قبله بخلاف المفعول وأما نحو شاربو الماء فالاكثر على حذف الالف لقلة اتصال واو الجمع بالاسم هذا فان قلت خط المصحف خارج عن القياس قلت الاصل في امثاله اثباته في المصحف فلا يعدل عنه (يخسرون) أي ينقصون حقوقهم مع ان وضع الكيل والوزن انما هو للتسوية والتعديل يقال خسر الميزان وأخسره يعني كم كرد وميكاست ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء بأن لم يقل اذا اكتالوا على الناس او اتزنوا لما أنهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن كما قال في الكشاف كأن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يزعزعون ويحتالون في الملء واذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا انتهى ويؤيده الاقتصار على التطفيف في الكيل في الحديث

المذكور سابقا وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطى قال أبو عثمان رحمه الله حقيقة هذه الآية عندي هو من يحسن العبادة على رؤية الناس ويسيء اذا خلا وفي التأويلات النجمية يشير الى المقصرين في الطاعة والعبادة الطالبين كمال الرأفة والرحمة الذين يستوفون من الله مكيال أرزاقهم بالتمام ويكيلونه مكيال الطاعة والعبادة بالنقص والخسران ذلك هو الخسران المبين وقال القاشاني يشير الى التطفيف في الميزان الحقيقي الذي هو العدل والموزونات به هي الاخلاق والاعمال والمطففون هم الذين اذا اعتبروا كمالات أنفسهم متفضلين على الناس يستوفون أي يكثرونها ويزيدون على حقوقهم في اظهار الفضائل العلمية والعملية أكثر مما لهم عجبا وتكبرا واذا اعتبروا كمالات الناس بالنسبة الى كمالاتهم اخسروا واستحقروها ولم يراعوا العدالة في الحالين لرعونة أنفسهم ومحبة التفضل على الناس كقوله يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا يقول الفقير فيه اشارة الى حال النفس القاصرة في التوحيد الحقيقي فانها اذا أعطته الروح تخسره لنقصانها وقصورها فيه على أنه لا يدخل في الميزان اذ لا مقابل له فمن أدخله في الميزان فقد نقص شأنه وشأن نفسه أيضا وأما التوحيد الرسمي فهي تستوفيه من الروح لانه حقها ولا تصيب سواه (ألا يظن) آيا نمى بندارند (أولئك) المطففون الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل فقوله ألا ليست هي التي للتنبيه لان ما بعد حرف التنبيه مثبت وهنا منفي لان ألا التنبيهية اذا حذفت لا يختل المعنى نحو ألا انهم في سكرتهم يعمهون واذا حذفت ألا هذه اختل المعنى بل الهمزة الاستفهامية الانكارية داخلة على لا النافية ويجوز أن تكون للعرض والتحضيض على الظن (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه من الاهوال ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا في حد الشك والوهم لا يتجاسر على أمثال هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه فذكر الظن للمبالغة في المنع عن التطفيف والا فالمؤمن لا يكفي له الظن في أمر البعث والمحاسبة بل لا بد من الاعتقاد الجازم (يوم يقوم الناس) منصوب باضمار أعني (لرب العالمين) بتقدير المضاف أي لحكمه وأمره وحكمه بذلك لا لشيء آخر أو لمحاسبة رب العالمين فيظهر هنالك تطفيفهم ومجازاتهم أو يقومون من قبورهم لرد رب العالمين أرواحهم الى أجسادهم روى انهم يقومون بين يدي الله تعالى أربعين عاما وفي رواية ثلثمائة سنة من سني الدنيا وعرق أحدهم الى انصاف أذنيه لا يأتيهم خبر ولا يؤمر فيهم بأمر وآن مقام هيبت باشدكه كس را زهره سخن نباشد ثم يحاسبون يعني از مقام هيبت بمقام محاسبه آرند وأما في حق المؤمن فيكون المكث كقدر انصرافهم من صلاة مكتوبة وفي تخصيص رب العالمين من بين سائر الصفات اشعار بالمالكية والتربية فلا يمتنع عليه الظالم القوي لكونه مملوكا مسخرا في قبضة قدرته ولا يترك حق المظلوم الضعيف لان مقتضى التربية أن لا يضيع لاحد شيأ من الحقوق وفي هذه التشديدات اشارة الى ان التطفيف وان كان يتعلق بشيء حقير لكنه ذنب كبير قيل كل من نقص حق الله من زكاة وصلاة وصوم فهو داخل تحت هذا الوعيد وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ الى قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا أي برفع الصوت وامتنع من قراءة ما بعده من غلبة

البكاء وملاحظة الحساب والجزاء وقال اعرابي لعبد الملك بن مروان انك قد سمعت ما قال تعالى فى المطففين وأراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم فى أخذ القليل فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ووزن (كلا) ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب فيحسن الوقف عليه وان كان بمعنى حقا فلا لكونه حينئذ متصلا بما بعده (ان كتاب الفجار لفى سجين) تعليل للردع والكتاب مصدر بمعنى المكتوب كاللباس بمعنى الملبوس أو على حاله بمعنى الكتابة واللام للتأكيد وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف وأصله فعيل من السجن مبالغة الساجن أو لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة فى مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته اذلالا لهم وتحقيرا لشأنهم وتشهده الشياطين المدحورون كما ان كتاب الابرار يشهده المقربون فالسجين مبالغة المسجون والمعنى أن كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون أى ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم لفى ذلك الكتاب المدون فيه قبائح أعمال المذكورين وفى التأويلات النجمية أى كتاب استعدادهم الفطرى مكتوب فى ديوان سجين طبيعتهم المجبولة على الفسق والفجور بقلم اليد اليسرى على ورق صفحة جبينهم كما قال عليه السلام السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أمه (وما أدراك ما سجين) تهويل لامره أى هو بحيث لا يبلغه دراية أحد (كتاب مرقوم) قال الراغب الرقم الخط الغليظ وقيل هو تعجيم الكتاب وقوله كتاب مرقوم حمل على الوجهين انتهى أى هو مسطور بين الكتابة بحيث كل من نظر اليه يطلع على ما فيه بلا دقة نظر وامعان توجه أو معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه لاما اليه أى ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من أصحاب النار وكونه علامة الشر يستفاد من المقام لانه مقام التهويل وقال القفال قوله كتاب مرقوم ليس تفسيرا لسجين بل هو خبر لان والمعنى ان كتاب الفجار لفى سجين وانه كتاب مرقوم وقوله وما أدراك ما سجين وقع معترضا بين الخبرين وقال القاشانى ان كتاب الفجار أى ما كتب من أعمال المرتكبين للرذائل الذين فجروا بخروجهم عن حد العدالة المتفق عليها الشرع والعقل لفى سجين فى مرتبة من الوجود مسجون أهلها فى حبوس ضيقة مظلمة يزحفون على بطونهم كالسلاحف والحيات والعقارب أذلاء أخساء فى أسفل مراتب الطبيعة ودركاتها وهو ديوان أعمال أهل الشر ولذلك فسر بقوله كتاب مرقوم أى ذلك المحل المكتوب فيه أعمالهم كتاب مرقوم برقوم هيآت رذائلهم وشرورهم (ويل) عظيم (يومئذ) أى يوم يقوم الناس لرب العالمين فهو متصل به وما بينهما اعتراض وقال بعضهم أى يوم اذ أعطى ذلك الكتاب (للمكذبين) وقال الكاشفى ويل كلمه ايست جامع همه بديها يعنى عذاب وعقاب وشدت ومحنت دران روز مر مكذبان راست (الذين يكذبون بيوم الدين) صفة ذامة للمكذبين كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث لان تكذيبهم بيوم الدين علم من قوله ألا يظن أولئك الخ قال بعض أهل الاشارة المكذبون بالحق وآياته هم أرباب النفوس الذين أقبلوا على الدنيا وأعرضوا عن الحق ودينه الذى هو دين الاسلام وكل يجازى بحسب دينه فمن لا دين له فجزاؤه سوء الجزاء والويل العظيم ومن له دين

لجزاء وحسن الجزاء ورؤية الوجه الكريم تعليك بالتصديق (وما يكذب به الا كل معتد) متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله على الاعادة مع مشاهدته للبدء كالوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث ونحوهما (أثيم) كثير الاثم أى منهمك فى الشهوات الناقصة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها فالاعتداء دل على اهمال القوة النظرية التى كمالها أن يعرف الانسان وحدة الصانع واتصافه بصفات الكمال مثل العلم والارادة والقدرة ونحوها والاثم دل على اهمال القوة العملية التى كمالها أن يعرف الانسان الخير لاجل العمل به (اذا تتلى عليه آياتنا) الناطقة بذلك (قال) من فرط جهله واعراضه عن الحق الذى لا محيد عنه (أساطير الاولين) أى هى حكايات الاولين وأخبارهم الباطلة قال فى فتح الرحمن هى الحكايات التى سطرت قديما وهى جمع أسطورة بالضم واسطارة بالكسر وهى الحديث الذى لا انتظام له (كلا) ردع للمعتدى عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه ويجوز أن يكون ردعا عن مجموع التكذيب والقول (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) قرأ حفص عن عاصم بل باظهار اللام مع سكتة عليها خفيفة بدون القطع ويبتدئ ران وقرأ الباقون بادغام اللام فى الراء ومنهم حمزة والكسائى وخلف وأبو بكر عن عاصم يميلون فتحة الراء قال بعض المفسرين هرب حفص من اجتماع ثقلى الراء المفخمة والادغام انتهى ويرد عليه قل رب فانه لا سكتة فيه بل هو بادغام أحد المتقاربين فى الآخر فالوجه انه انما سكت حفص على لام بل ران وكذا على نون من راق خوف اشتباهه بتثنية البر ومبالغة مارق حيث يصير بران ومراق وما موصولة والعائد محذوف ومحلها الرفع على الفاعلية والمعنى ليس فى آياتنا ما يصح أن يقال فى شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر والمعاصى حتى صارت كالصدا فى المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال عليه السلام ان العبد كلما أذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين صدأ يعلو الشئ الجلى والطبع والدنس وران ذنبه على قلبه رينا وريونا غلب وكل ما غلبك رانك وبك وعليك كما فى القاموس وران فيه النوم رسخ فيه وفى التعريفات الران هو الحجاب الحائل بين القلب وعالم القدس باستيلاء الهيآت النفسانية ورسوخ الظلمانية الجسمانية فيه بحيث ينحجب عن أنوار الربوبية بالكلية والغين بالمعجمة دون الرين وهو الصدأ فان الصدأ حجاب رقيق يزول بالتصفية ونور التجلى لبقاء الايمان معه والرين هو الحجاب الكثيف الحائل بين القلب والايمان ولهذا قالوا الغين هو الاحتجاب عن الشهود مع صحة الاعتقاد والطبع أن يطبع على القلب والاقفال أن يقفل عليه قيل الاقفال أشد من الطبع كما أن الطبع أشد من الرين قال القاشانى فى الآية أى صار صدأ عليها بالرسوخ فيها وكدر جوهرها وغيرها عن طباعها والرين حد من تراكم الذنب على الذنب ورسوخه تحقق عنده الحجاب وانغلق باب المغفرة نعوذ بالله منه قال أبو سليمان الدارانى قدس سره الران والقسوة هما زماما الغفلة فمن تيقظ وتذكر أمن من القسوة والرين ودواؤهما ادمان الصيام فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك الادام وقال بعض الكبار القلب مرآة مصقولة كلها وجه فلا تصدأ أبدا وان أطلق عليها الصدأ فى نحو حديث ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وان جلاءها ذكر الله

قوله هرب حفص الخ لا معنى له فان القراءة ليست بالرأى ولذلك شنعوا على الزجاج والزمخشرى فى توهيم بعض القراء بزعمهما انه قرأ برأيه وأيضا الاشتباه بالتثنية لفتح نون ران فالايراد ساقط والوجه فيه ما علمت

وتلاوة

وتلاوة القرآن فليس المراد بذلك الصدأ انه طبقة تطلع على وجه القلب ولكنه لما تعلق واشتغل
بعلم الاسباب عن العلم بالمسبب كان تعلقه بغير الله صدأ على وجه القلب مانعا من تجلى الحق اليه
اذ الحضرة الالهية متجلية على الدوام لا يتصور في حقها احتجاب عنا فلما لم يقبلها هذا القلب من
جهة الخطاب الشرعي المحمود وقبل غيرها عبر عن قبول الغير بالصدا والكن والقفل وغير ذلك
وقد نبه الله على ذلك في قوله وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه فهي في أكنة مما يدعوها
الرسول اليه خاصة لا انها في كن مطلقا فلما تعلقت بغير ما تدعى اليه عميت عن ادراك ما دعيت
اليه فلم تبصر شيأ فالقلوب أبدا لم تزل مفطورة على الجلاء مصقولة صافية (قال المولى الجامى)
مسكين فقيه ميكند انكار حسن دوست * با او بكوكه ديدة جان را جلى كند (كلا) ردع وزجر عن
الكسب الرائن أي الموقع في الرين (انهم) أي المكذبين (عن ربهم) رهو وقوله (يومئذ) أي
يوم اذ يقوم الناس لرب العالمين متعلقان بقوله (لمحجوبون) فلا يرونه لانهم باكسابهم القبيحة
صارت مرآة قلوبهم ذات صدا وسرت ظلمة الصدا منها الى قوالبهم فلم يبق محل لنور التجلى
بخلاف المؤمنين فانهم يرونه تعالى لانهم باكسابهم الحسنة صارت مرائى قلوبهم مصقولة
صافية وسرى نور الصقالة والصفوة منها الى قوالبهم فصاروا مستعدين لانعكاس نور التجلى
في قلوبهم وقوالبهم وصاروا وجوها من جميع الجهات كوجود الوجه الباقى بل ابصارا بالكلية
سئل مالك بن أنس رحمه الله عن هذه الآية فقال لما حجبت أعداؤه فلم يروه لا بد أن يتجلى
لاوليائه حتى يروه وهي احتج الامام مالك بهذه الآية على مسئلة الرؤية من جهة دليل الخطاب
والا فلو حجب الكل لم يبق للتخصيص فائدة * وكذلك آنكاه درميان دوست ودشمن فرق نماند
* كوئى بهشت هيچ ما نيست * بى ديدن ميزبان چه باشد * چون دشمن ودوست را نباشد *
پس فرق دران ميان چه باشد * وعن الشافعي رحمه الله لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما
يرونه بالرضا وقال شيخ الاسلام عبد الله الانصاري رحمه الله محجوبون عن رؤية الرضا فان
الشقى يراه غضبان حين يتجلى في الحشر قبل دخول الناس الجنة وقال حسين بن الفضل رحمه
الله كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته فالموحد غير محجوب عن ربه وقال
سهل رحمه الله حجبهم عن ربهم قسوة قلوبهم في العاجل وما سبق لهم من الشقاوة في الازل فلم
يصلحوا لبساط القرب والمشاهدة فابعدوا وحجبوا والحجاب هو الغاية في البعد والطرد وقال ابن
عطاء رحمه الله الحجاب حجابان حجاب بعد وحجاب ابعاد فحجاب البعد لا تقريب فيه أبدا وحجاب
الابعاد يؤدب ثم يقرب كآدم عليه السلام وقال القاشاني انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
لامتناع قبول قلوبهم للنور وامتناع عودها الى الصفاء الاول الفطرى كالماء الكبريتى مثلا
ذلو روق أو صعد لما رجع الى الطبيعة المائية المبردة لاستحالة جوهره بخلاف الماء المسخن
الذى استحالت كيفيته دون طبيعته ولهذا استحقوا الخلود في العذاب وفي المفردات الحجب
المنع عن الوصول والآية اشارة الى منع السرور عنهم بالاشارة الى قوله فضرب بينهم بسور أي
بحجاب يمنع من وصول لذة الجنة الى أهل النار وأذية أهل النار الى أهل الجنة وقال صاحب
الكشاف كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا
للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال

اذا اعتروا باب ذى مهابة رجبوا * والناس ما بين مرجوب ومحجوب

انتهى أى ما بين معظم ومهان وانما جعله تمثيلا لا كناية اذ لا يمكن ارادة المعنى الحقيقى على زعمه من حيث انه معتزلى قال بعض المفسرين جعل الآية تمثيلا عدول عن الظاهر وهو مكشوف فان ظاهر قولهم هو محجوب عن الامير يفيد أنه ممنوع عن رؤيته وهو أكبر سبب الاهانة وما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته فالمراد به بيان حاصل المعنى فان المحجوب عن الرؤية ممنوع عن معظم الرحمة والكرامة فالآية من جملة أدلة الرؤية فالحمد لله تعالى على بذل نواله وعطائه وعلى شهود جماله ولقائه (ثم انهم) مع كونهم محجوبين عن رؤية الله (لصالوا الجحيم) أى داخلوا النار ومباشروا حرها من غير حائل أصله صالون حذفت نونه بالاضافة وثم لتراخى الرتبة فان صلى الجحيم أشد من الحجاب والاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة فان الحجاب وان كان من قبيل العذاب الروحانى وهو أشد من العذاب الجسمانى لكن مجرد النجاة من النار أهون من العذاب لان فى العذاب الحسى حصول العذابين كما لا يخفى (ثم يقال) لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية وانما طوى ذكرهم لان المقصود ذكر القول لا القائل مع ان فيه تعميما لاحتمال القائل وبه يشتد الخوف (هذا) العذاب وهو مبتدأ خبره قوله (الذى كنتم) فى الدنيا (به) متعلق بقوله (تكذبون) فذوقوه وتقديمه لرعاية الفاصلة لا للحصر فانهم كانوا يكذبون أحكاما كثيرة (كلا) ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر بعد زجر (ان كتاب الابرار) أى الاعمال المكتوبة لهم على ان الكتاب مصدر مضاف الى مقدر (لفى عليين) أى ديوان جامع لجميع أعمال الابرار فعليون علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على على فعيل من العلو للمبالغة فيه سمى بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى أعالى الدرجات فى الجنة واما لانه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروى ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا الى ما شاء الله من سلطانه أوحى اليهم انكم الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على ما فى قلبه وانه أخلص عمله فاجعلوه فى عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله أوحى اليهم أنتم الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص فى عمله فاجعلوه فى سجين وفيه اشارة الى ان الحفظة لا يطلعون على الاخلاص والرياء الا باطلاع الله تعالى (وما أدراك ما عليون) أى هو خارج عن دائرة دراية الخلق (كتاب مرقوم) أى هو مسطور بين الكتابة يقرأ بلا تكلف أو معلم بعلامة تدل على سعادة صاحبه وفوزه بنعيم دائم وملك لا يبلى ولما كان عليون علما منقولا من الجمع حكم عليه بالمفرد وهو كتاب مرقوم وأعرب باعراب الجمع حيث جرأولا بفى ورفع بالخبرية لما الاستفهامية لكونه فى صورة الجمع وقيل اسم مفرد على لفظ الجمع كعشرين وأمثاله فليس له واحد (يشهده) الملائكة (المقربون) عند الله قربة الكرامة أى يحضرونه ويحفظونه من الضياع وفى فتح الرحمن هم سبعة أملاك من مقربى السماء من كل سماء ملك مقرب فيحضره ويشيعه حتى يصعد به الى ما شاء الله ويكون هذا فى كل يوم أو يشهدون بما فيه يوم القيامة على رؤس الاشهاد وبه تبين سر ترك الظاهر بان يقال طوبى يومئذ للمصدقين بمقابلة ويل يومئذ للمكذبين لان

الاخبار بحضور الملائكة تعظيما واجلالا يقيد ذلك مع زيادة فختم كل واحد بما يصلح سواه مكانه وقال القاشانى ما كتب من صور أعمال السعداء وهيئات نفوسهم النورانية وملكاتهم الفاضلة فى عليين وهو مقابل لسجين فى علوه وارتفاع درجته وكونه ديوان أعمال أهل الخير كما قال كتاب مرقوم أى محل شريف رقم بصور أعمالهم من جرم سماوى أو عنصر انسانى يحضر ذلك المحل أهل الله الخاصة من أهل التوحيد الذاتى (ان الابرار) أى السعداء الاتقياء عن درن صفات النفوس (لفى نعيم) ثم وصف كيفية ذلك النعيم بأمور ثلاثة أولها قوله (على الارائك) أى على الاسرة فى الحجال يعنى بر تختهاى آراسته ولا يكاد تطلق الاريكة على السرير عندهم الا عند كونه فى الحجلة وهو بالتحريك بيت العروس يزين بالثياب والاسرة والستور (ينظرون) أى الى ما شاؤا مد أعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة يعنى مى نكرند بچيزها كه ازان شادمان وفرحناك ميكردند از صور حسنه ومنتزهات بهيه وكذا الى أعدائهم يعذبون فى النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الادراك للطافتها وشفوفها أى رقتها وحذف المفعول للتعميم وقوله على الارائك يجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون حالا من المنوى فى الخبر أو فى الفاعل فى ينظرون والتقديم لرعاية فواصل الآى وأما ينظرون فيجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون حالا اما من المنوى فى الخبر أو فى الظرف أى ناظرين قال ابن عطاء رحمه الله على أرائك المعرفة ينظرون الى المعروف وعلى أرائك القربة ينظرون الى الرؤف وفيه اشارة الى ان أرباب المقامات العالية ينظرون الى جميع مراتب الوجود لا يحجبهم شئ عن المطالعة بخلاف الاغيار فانهم محجوبون عن مطالعة أحوال أهل الملكوت ورمز الى ان لكل من أهل الدرجات روضة مخصوصة من الاسماء والصفات فيها ينظرون فمنهم عال وأعلى وليس الاشراف لكل الا الاشراف الاشرف وهو قطب الاقطاب (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) وهو ثانى الاوصاف أى بهجة التنعم وماءه ورونقه أى اذا رأيتهم عرفت انهم أهل النعمة بسبب ما ترى فى وجوههم من القرائن الدالة على ذلك كالضحك والاستبشار كما يرى فى وجوه الاغنياء وأهل الترفه فمن هذا الخبير تعرف على ترى مع أن المعرفة تتعلق بالخفيات غالبا والرؤية بالجليات غالبا والخطاب لكل أحد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان ما لهم من آثار النعمة وأحكام البهجة بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء قال جعفر رضى الله عنه يعنى لذة النظر تتلألأ مثل الشمس فى وجوههم اذا رجعوا من زيارة الله الى أوطانهم وقال بعضهم تعرف فى وجوههم رضا محبوبهم عنهم (يسقون من رحيق) وهو ثالث الاوصاف وسقى يتعدى الى مفعولين والاول هنا الواو القائم مقام الفاعل والثانى من رحيق لان من تبعيضية كأنه قيل بعض رحيق أو مقدر معلوم أى شرابا كائنا من رحيق مبتدأ منه فمن ابتدائية والرحيق صافى الخمر وخالصها والمعنى يسقون فى الجنة من شراب خالص لا غش فيه ولا ما يكرهه الطبع ولا شئ يفسده وأيضا صاف عن كدورة الخمار وتغير النكهة وايراث الصداع (مختوم ختامه) أى ما يختم ويطبع به (مسك) وهو طيب معروف أى مختوم أوانيه وأكوابه بالمسك مكان الطين قال فى كشف الاسرار ما ختم به مسك رطب ينطبع فيه الخاتم أمر الله بالختم عليها اكراما لاصحابه فختم ومنع أن يمسه ماس أو تتناوله يد الى ان يفك ختمه

الابرار والاظهر أنه تمثيل لكمال نفاسته اذ الشئ النفيس يختم لاسيما اذا كان ما يختم به المسك مكان الطين وقيل ختام الشئ خاتمته وآخره فمعنى ختامه مسك ان الشارب اذا رفع فاه من آخر شربه وجد رائحة كرائحة المسك أو وجد رائحة المسك لكونه ممزوجا به كالاشربة الممسكة فى الدنيا فانه يوجد فيها رائحة المسك عند خاتمة الشرب لا فى أول زمان الملابسة بالشرب وعن أبى الدرداء رضى الله عنه ان الرحيق شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شربهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل فيه يده ثم أخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيب ريحه (وفى ذلك) الرحيق خاصة دون غيره من النعيم المكدر السريع الفناء أو فيما ذكر من أحوالهم لا فى أحوال غيرهم من أهل الشمال (فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله يعنى عمل بجاى آرند كه سبب استحقاق شرب آن كردند والامر للتحضيض والترغيب ظاهرا وللوجوب باطنا بوجوب الايمان والطاعة وأصل التنافس التغالب فى الشئ النفيس أى المرغوب كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به وأصله من النفس لعزتها وقال البغوى أصله من الشئ النفيس الذى يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أى يبخل وفى المفردات المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالافاضل واللحوق بهم من غير ادخال ضرر على غيره قال ذو النون المصرى رحمه الله علامة التنافس تعلق القلب به وطيران الضمير اليه والحركة عند ذكره والتباعد من الناس والانس بالوحدة والبكاء على ما سلف وملاوة سماع الذكر والتدبر فى كلام الرحمن وتلقى النعم بالفرح والشكر والتعرض للمناجاة (ومزاجه من تسنيم) عطف على ختامه صفة أخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته أى ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم وهو علم لعين بعينها تجرى من جنة عدن سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها أرفع شراب فى الجنة قدرا فيكون من علو المكانة واما لانها تأتيهم من فوق فيكون من علو المكان روى انها تجرى فى الهواء متسنمة فتنصب فى أوانيهم فاذا امتلأت أمسك الماء حتى لا يقع منه قطرة على الارض فلا يحتاجون الى الاستقاء (عينا) نصب على المدح والاختصاص أى بتقدير أعنى (يشرب بها المقربون) من جناب الله قربا معنويا روحانيا أى يشربون ماءها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة وهم أصحاب اليمين فالباء مزيدة أو بمعنى من وفيه اشارة الى أن التسنيم فى الجنة الروحانية هو معرفة الله ومحبته ولذة النظر الى وجهه الكريم والرحيق هو الابتهاج تارة بالنظر الى الله وأخرى بالنظر الى مخلوقاته فالمقربون أفضل من الابرار كما ان التسنيم أعلى وأحلى من الرحيق يعنى چون مقربان مشغول بما سوى نشده اند يعنى محبت حق را بمحبت غير نياميخته اند شراب ايشان صرفست وآنها كه محبت ايشان آميخته باشد شراب ايشان ممزوج باشد * ما شراب عشق ميخواهيم بى دردى غم * صاف نوشان ديكر ودردى فروشان ديكرند * (وقال بعضهم) تسبيح رهى وصف جمال تو بست * وزهر دو جهان وراوصال تو بست * اندر دل هر كسى دكر مقصوديست * مقصود دل رهى خيال تو بست * ودر بحر الحقائق آورده كه رحيق اشارتست بشراب خالص از كدورات خمار كونين وأوانى ختومه وى قلوب اوليا واصفيا كه ختام او مسك محبتست لا يشرب من تلك الاوانى الا الطالبون الصادقون فى طريق السلوك الى الله

على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم

وتسنيم اعلاى مراتب محبتست يعنى محبت ذاتيه كه غير ممزوج باشد بصفات وأفعال ومقربان أهل فنا فى الله وبقا بالله انه كما قال العارف فى خمر المحبة الصرفة الخالصة من المزج

عليك بها صرفا فان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

العدل بمعنى العدول والظلم بالفتح هو ماء الاسنان وبريقها وبالضم هو الجور أى فان شئت مزجها فامزجها بزلال فم الحبيب وبريقه ان لم تقدر على شربها صرفا ولا تعدل فان العدول عن ظلم الحبيب ورشحة زلاله هو الظلم وتاكسى بر بساط قرب در مجلس انس و رياض قدس ازدست ساقى رضا جرعه ازين شراب ناب نچشد بوى ازين سخنان بمشام جان وى نرسد * سرمايهٔ ذوق دو جهان مستى عشقست * آنها كه ازين مى نچشيدند چه دانند (ان الذين أجرموا) كانوا ذوى جرم وذنب ولا ذنب أكبر من الكفر وأذى المؤمنين لايمانهم فالمراد بهم رؤساء قريش وأكابر المجرمين المشركين كابى جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأمثالهم (كانوا) فى الدنيا (من الذين آمنوا) ايمانا صادقا (يضحكون) أى يستهزؤن بفقرائهم كعمار وصهيب وبلال وخباب وغيرهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل (واذا مروا) أى فقراء المؤمنين (بهم) أى بالمشركين وهم فى أنديتهم وهو الاظهر وان جاز العكس أيضا يقال مر مرا ومرورا جاز وذهب كاستمر ومر به جاز عليه كما فى القاموس قال فى تاج المصادر المر بكذشتن بكسى ويعدى بالباء وعلى (يتغامزون) أى يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم ويعيبونهم ويقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون أنفسهم ويتركون اللذات ويتحملون المشقات لما يرجونه فى الآخرة من المثوبات وأمر البعث والجزاء لا يقين به وانه بعيد كل البعد والتغامز تفاعل من الغمز وهو الاشارة بالجفن والحاجب ويكون بمعنى العيب أيضا وفى التاج التغامز يكديكررا بچشم اشارت كردن (واذا انقلبوا) من مجالسهم (الى أهلهم) الى أهل بيتهم وأصحابهم الجهلة الضالة التابعة لهم والانقلاب الانصراف والتحول والرجوع (انقلبوا) حال كونهم (فكهين) متلذذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى أنهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين ويكتفون حينئذ بالتغامز (واذا رأوهم) أى المجرمون المؤمنين أينما كانوا (قالوا) مشيرين الى المؤمنين بالتحقير (ان هؤلاء لضالون) أى نسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم الى الضلال بطريق التأكيد وقالوا تركوا دين آبائهم القديم ودخلوا فى الدين الحادث أو قالوا تركوا التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدرى هل له وجود أولا وهذا كما ان بعض غفلة العلماء ينسبون الفقراء السالكين الى الضلال والجنون خصوصا اذا كان أهل السلوك من أهل المدرسة فانهم يضللونه أكثر من تضليل غيره * منع كنى زعشق وى اى زاهد زمان * معذور دارمت كه تو او را نديدهٔ (وما أرسلوا) أى المجرمون (عليهم) أى على المسلمين (حافظين) حال من واو وقالوا أى قالوا ذلك والحال انهم ما أرسلوا من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم أمورهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وانما أمروا باصلاح أنفسهم وأى تتبع لهم فى تتبع أحوال غيرهم وهذا تهكم بهم واشعار بأن ما اجترؤا عليه من القول من وظائف من أرسل من جهته تعالى وقد جوز أن يكون ذلك من جملة قول

المجرمين كأنهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين انكار الصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل نقلا له بالمعنى (فاليوم الذين آمنوا) أى المعهودون من الفقراء (من الكفار) المعهودين وهو الاظهر وان أمكن التعميم من الجانبين (يضحكون) حين يرونهم أذلاء مغلولين وغشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزو الكبر ورهقهم ألوان العذاب بعد التنعم والترفه قال فى بعض التفاسير لعل الفاء جواب شرط مقدر كأنه قيل اذا عرفتم ماذكر فاعلموا ان اليوم أى يوم القيامة فاللام للعهد والذين مبتدأ ومن الكفار متعلق بقوله يضحكون وحرام لواهم أن يتوهم كونه بيانا للموصول نظرا الى ظاهر الاتصال من غير تفكر فى المعنى ويضحكون خبر المبتدا وهو ناصب اليوم لصحة المعنى (على الارائك) برتختهاى آراسته بادر وياقوت (ينظرون) أى يضحكون منهم حال كونهم ناظرين اليهم والى ما فيهم من سوء الحال فهو حال من فاعل يضحكون (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) كلام مستأنف من قبل الله أو من قبل الملائكة والاستفهام للتقرير وثوب بمعنى يثوب عبر عنه بالماضى لتحققه والتثويب والاثابة المجازاة استعمل فى المكافأة بالشر قال الراغب الاثابة تستعمل فى المحبوب نحو فأثابهم الله بما قالوا جنات وقد قيل ذلك فى المكروه نحو فأثابكم غما بغم على الاستعارة والتثويب فى القرآن لم يجئ الا فى المكروه نحو هل ثوب الخ انتهى وفى تاج المصادر التثويب باداش دادن وفى تهذيب المصادر التثويب ثواب دادن وفى القاموس التثويب التعويض انتهى وهو الموافق لما فى التاج والمراد بما كانوا يفعلون استهزاؤهم بالمؤمنين وضحكهم منهم وهو صريح فى أن ضحك المؤمنين منهم فى الآخرة انما هو جزاء لضحك الكافرين منهم فى الدنيا وفيه تسلية للمؤمنين بأنه سينقلب الحال ويكون الكفار مضحوكا منهم وتعظيم لهم فان اهانة الاعداء تعظيم للاولياء والله ينتقم لاوليائه من أعدائهم فانه يغضب لاوليائه كما يغضب الليث الجرئ لجروه ومن الله العصمة وعلم منه ان الضحك والاستهزاء والسخرية والغمز من الكبائر فالخائض فيها من المجرمين الملحقين بالمشركين نسأل الله السلامة

تمت سورة المطففين بعون المعين فى السادس والعشرين من
صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة وألف

سورة الانشقاق خمس وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا السماء انشقت) اعرابه كاعراب اذا السماء انفطرت أى انصدعت بغمام أبيض يخرج منها كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام والباء للآلة كما فى قولك انشقت الارض بالنبات وفى ذلك الغمام الملائكة ينزلون وفى أيديهم صحائف الاعمال أو فيه ملائكة العذاب وكان ذلك أشد وأقطع من حيث انه جاءه العذاب من موضع الخير فيكون انشقاق السماء لنزول الملائكة بالاوامر الالهية وقيل للسقوط والانتقاض وقيل لهول القيامة وكيف لا تنشق وهى فى قبضة قهره أقل من خردلة ولا منع من جميع هذه الاقوال فانها تنشق لهيبة الله فتنزل الملائكة ثم يؤول أمرها الى الفساد والاختلال وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة وهى بفتح الميم باب السماء أى البياض المستطيل فى وسط السماء سميت بذلك لانها كأثر الجر ويقال لها بالفارسية راه

حاجبان وكوكشان تنشق السماء من ذلك الموضع كأنه مفصل ملتئم فتصدع منه (وأذنت لربها) واستمعت أى انقادت وأذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت قدرته وارادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه أمر الآمر المطاع فهو استعارة تمثيلية متفرعة على المجاز المرسل يعنى اذا أطلق الاذن وهو الاستماع فى حق من له حاسة السمع والاستماع بها يراد بها الاجابة والانقياد مجازا واذا أطلق فى حق نحو السماء مما ليس من شأنه الاستماع والقبول يكون استعارة تمثيلية فقوله انشقت يدل على نفوذ القدرة فى الايجاد والابداع من غير ممانعة أصلا وقوله وأذنت لربها يدل على نفوذ القدرة فى التفريق والاعدام من غير ممانعة أصلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذا الانقياد عند أرباب الحقائق محمول على ان لها حياة وادراكا كسائر الحيوانات اذ ما من شئ الا وله نصيب من تجلى الاسم الحى وقد سبق مرارا (وحقت) من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به أى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد اذ هى مربوبة ومصنوعة له تعالى أى شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة القاهرة الربانية التى يتأتى بها كل مقدور ولا يتخلف عنها أمر من الامور وبالفارسية وخود سزد خود را جنين سزد فحق الجملة أن تكون اعتراضا مقررة لما قبلها لا معطوفة عليه (واذا الارض مدت) أى بسطت بازالة جبالها وآكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت كالصحيفة الملساء أو زيدت سعة وبسطة من احد وعشرين جزأ الى تسعة وتسعين جزأ لوقوف الخلائق عليها للعساب والالم تسعهم من مده بمعنى أمده أى زاده وفى الحديث اذا كان يوم القيامة مد الله الارض مد الاديم حتى لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه يعنى لكثرة الخلائق فيها وقوله مد الاديم لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه واستوى وفى بعض الروايات مد الاديم العكاظى قال فى القاموس هو كغراب سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما تجتمع قبائل العرب فيتعاكظون أى يتفاخرون ويتناشدون ومنه الاديم العكاظى انتهى (وألقت ما فيها) أى رمت ما فى جوفها من الموتى والكنوز الى ظاهرها كقوله تعالى وأخرجت الارض أثقالها وهو من الاسناد المجازى والا فالالقاء والاخراج لله تعالى حقيقة فان قلت اخراج الكنوز يكون وقت خروج الدجال لا يوم القيامة قلت يوم القيامة وقت متسع يجوز اعتباره من وقت خروجه ولو مجازا لانه من اشراطه الكبرى فيكون اخراج الكنوز عند قرب الساعة واخراج الموتى عند البعث (وتخلت) وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شئ منه كأنها تكلفت فى ذلك أقصى جهدها كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما فى الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما فى طبعهما (وأذنت لربها) وانقادت له فى الالقاء والتخلى (وحقت) أى وهى حقيقة بذلك أى شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية ذكره مرتين لان الاول متصل بالسماء والثانى بالارض واذا اتصل كل واحد بغير ما اتصل به الآخر لم يكن تكرارا وجواب اذا محذوف أى اذا وقعت هذه الامور كان من الاهوال ما تقصر عن بيانه العبارة وفى تفسير الكاشفى جواب اذا آنست كه بيند انسان ثواب وعقاب را وفيه اشارة الى انشقاق سماء الروح الحيوانية بانفراجها عن الروح الانسانى وزوالها وبسط أرض البدن بنزع الروح عنها والقاء ما فيها من الروح والقوى وتخليها عن كل ما فيها من الآثار والاعراض

بالحياة والمزاج والتركيب والشكل بتبعية خلوها عن الروح وفى التأويلات النجمية يشير الى انشقاق سماء الروح عن ظلمة غيم النفس الامارة وانقيادها الفيض ربها بتهيئة الاستعداد ادعا يتصرف فيها من غير اباء وامتناع والى بسط أرض النفوس البشرية لاربابها وتخليها عن أحكام البشرية (يا أيها الانسان) جنس الانسان الشامل للمؤمن والكافر والعاصى فالخطاب عام لكل مكلف على سبيل البدل يقال هذا أبلغ من العموم لانه يقوم مقام التنصيص فى النداء على مخاطبة كل واحد بعينه كأنه قيل يا فلان ويا فلان الى غير ذلك (انك كادح الى ربك كدحا) الكدح جهد النفس فى العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها والجهد بالفتح بمعنى المشقة والتعب والكد السعى الشديد فى العمل وطلب الكسب من كدح جلده اذا خدشه والمعنى انك جاهد ومجد أى ساع باجتهاد ومشقة الى لقاء ربك أى الى وقت لقائه وهو الموت وما بعده من الاحوال الممثلة باللقاء مبالغ فى ذلك وفى الخبر انهم قالوا يا رسول الله فيم نكدح وقد جفت الاقلام ومضت المقادير فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له (فملاقيه) فملاق له أى لجزاء عملك من خير وشر عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلوى عنه ولا مفر لك منه ويقال انك عامل لربك عملا فملاق عملك يوم القيامة يعنى ان جدك وسعيك الى مباشرة الاعمال فى الدنيا هو فى الحقيقة سعى الى لقاء جزائها فى العقبى فملاق ذلك الجزاء لا محالة فعليك أن تباشر فى الدنيا عما ينجيك فى العقبى واحذر عما يهلكك فيها او يوقعك فى الخجالة والافتضاح من سوء المعاملة وفى الحديث النادم ينتظر الرحمة والمعجب ينتظر المقت وكل عامل سيقدم الى ما أسلف وقال القاشانى انك ساع بالموت أى تسرع أنفاسك سريعا كما قيل أنفاسك خطاك فملاقيه ضرورة فالضمير للرب وفى التأويلات النجمية يشير الى الانسان المخلوق على صورة ربه وكدحه واجتهاده فى التحقق بالاسماء الالهية والصفات اللاهوتية فهو ملاق ما يكدح ويجتهد بحسب استعداده الفطرى (فاما من) وهو المؤمن السعيد ومن موصولة وهو تفصيل لما أجمل فيما قبله (أوتى) أى يؤتى والماضى لتحققه (كتابه) المكتوب فيه أعماله التى كدح فى كسبها (بيمينه) لكون كدحه بالسعى فيما يكتبه كاتب اليمين والحكمة فى الكتاب ان المكلف اذا علم ان أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان أزجر عن المعاصى وأن العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم احتشامه من خدمه المطلعين عليه (فسوف) پس زود بود كه (يحاسب) يوم القيامة بعد مدة مقدرة على ما تقتضيه الحكمة (حسابا يسيرا) سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش أصحاب الشمال والحساب بمعنى المحاسبة وهو بالفارسية با كسى شمار كردن والمراد عد اعمال العباد واظهارها للمجازاة وعن الصديقة رضى الله عنها هو أى الحساب اليسير أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه يعنى أن يعرض عليه أعماله ويعرف ان الطاعة منها هذه والمعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح * برادر زكار بدان شرم دار * كه در روى نيكان شوى شرمسار * بجايى كه دهشت خورد انبيا * تو عذر كنه را چه دارى بيا * ولذا قال عليه السلام من نوقش فى الحساب فقد هلك أى دخل النار مع الداخلين وفى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى هو مثل

عرض الجيش أعنى عرض الاعمال لانه ازى أهل الموقف والله الملك فيعرفون بسيماهم كما يعرف الاجناد هنا بزيهم قالوا ان عصاة المؤمنين داخلة فى هذا القسم فقوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا من وصف الكل بوصف البعض أى فالعصاة وان لم يكن لهم حساب يسير بالنسبة الى المطيعين لكن حسابهم كالعرض بالنسبة الى مناقشة أصحاب الشمال فاصحاب اليمين شاملة لهم وقد يقال كتاب عصاة المؤمنين يعطى عند خروجهم من النار وقيل يجوز أن يعطوا من الشمال لا من وراء ظهورهم وفيه ان الاعطاء من الشمال ومن وراء الظهر أمر واحد وقيل لم تتعرض الآية للعصاة الذين يدخلهم الله النار وهو الظاهر وقوله عليه السلام فى بعض صلاته اللهم حاسبنى حسابا يسيرا وان دل على أن للانبياء كتابا لكن الظاهر ارشاد الامة وتعليمهم والا فهم معصومون داخلون الجنة بلا حساب ولا كتاب (وينقلب) أى يرجع وينصرف من مقام الحساب اليسير (الى أهله) أى عشيرته المؤمنين أو فريق المؤمنين هم رفقاؤه فى طريق السعادة والكرامة (مسرورا) مبتهجا بحاله وكونه من أهل النجاة قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه فهذا الانقلاب يكون فى المحشر قبل دخول الجنة لا كما قال فى عين المعانى من أنه يدل على أن أهله يدخلون الجنة قبله وفيه اشارة الى كتاب الاستعداد الفطرى المكتوب فى ديوان الازل بقلم كتبة الاسماء الجمالية فان من أوتيه لا تناقشه الاسماء الجلالية وينقلب الى أهله مسرورا بفيض تجلى جماله ولطفه (وأما من أوتى كتابه) تكرير كتابه بدون الاكتفاء بالاضمار لتغاير الكتابين وتخالفهما بالاشتمال والحكم فى المآل أى يؤتى كتاب عمله (وراء ظهره) أى بشماله من وراء ظهره ووجانبه ظرف لاوتى مستعمل فى المكان وقال الكلبى يغل يمينه ثم تلوى يده اليسرى من ورائه فيعطى كتابه بشماله وهى خلف ظهره فلا مخالفة بين هذا وبين ما فى الحاقة حيث لم يذكر فيها الظهر بل اكتفى بالشمال قال الامام ويحتمل أن يكون بعضهم يعطى كتابه بشماله وبعضهم من وراء ظهره وفى تفسير الفاتحة للفنارى رحمه الله وأما من أوتى كتابه بشماله وهو المنافق فان الكافر لا كتاب له أى لان كفره يكفيه فى المؤاخذة فلا حاجة الى الكتاب من حيث انهم ليسوا بمكلفين بالفروع وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فاذا كان يوم القيامة قيل له خذه من وراء ظهرك أى من الموضع الذى نبذته فيه فى حياتك الدنيا فهو كتابه المنزل عليه لا كتاب الاعمال فانه حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور وقال أبو الليث فى البستان اختلف الناس فى الكفار هل يكون عليهم حفظة أولا قال بعضهم لا يكون عليهم حفظة لان أمرهم ظاهر وعملهم واحد وقال الله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم ولا نأخذ بهذا القول بل يكون للكفار حفظة والآية نزلت بذكر الحفظة فى شأن الكفار ألا ترى الى قوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال فى آية أخرى وأما من أوتى كتابه بشماله وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فأخبر أن الكفار يكون لهم كتاب وحفظة فان قيل فالذى يكتب عن يمينه اذا أى شئ يكتب ولم يكن لهم حسنة يقال له الذى عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون شاهدا على ذلك وان لم يكتب (فسوف يدعو) پس زود باشدكه بخواند أى بعد مدة منتهية الى عذاب شديد لا يطاق عليه (ثبورا) أى يتمنى لنفسه الثبور وهو الهلاك ويدعوه يا ثبوراه تعال فهذا أوانك وأنى له ذلك يعنى لما كان ابتاء

الكتاب من غير يمينه علامة كونه من أهل النار كان كلامه واثبوراه قال الفراء تقول العرب
فلان يدعو لهفه اذا قال والهفاه قيل الثبور مشتق من المثابرة على الشئ وهى المواظبة عليه
وسمى هلاك الآخرة ثبورا لانه لازم لا يزول كما قال تعالى لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا
ثبورا كثيرا قال فى كشف الاسرار پير بو على سياه وقتى درباز ار ميرفت سائلى ميكفت بحق
روز بزرك كه مرا چيزى بدهيد پير از هوش برفت چون بهوش باز آمد اورا كفتند اى شيخ ترا اين
ساعت چه روى نمود كفت هيبت وعظمت آن روز بزرك آنكه كفت واحزناه على قلة الحزن
واحسرتاه على قلة التحسر يعنى واندوها از بى اندوهى واحسرتا از بى حسرتى (ويصلى سعيرا)
أى يدخلها ويقاسى حرها وعذابها من غير حائل وهذا يدل على أن دعاءهم بالثبور قبل الصلى
وبه صرح الامام وأما قوله تعالى واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا فيدل على
انه بعده ولا منافاة فى الجمع فانهم يدعونه أولا وآخرا بل دائما على أن الواو لمطلق الجمع لا للترتيب
وفيه اشارة الى صاحب كتاب الاستعداد الفطرى المكتوب فى ديوان الازل بقلم كتبة الاسماء
الجلالية فانه يتمنى أن يكون فى الدنيا فانيا فى الحق وهالكا عن أنانيته وانيته ويصلى نار الرياضة
والمجاهدة وراء ظهره من الجزاء الوفاق لانه خالف أمر ربه فى قوله وليس البر بأن تأتوا البيوت
من ظهورها أى من غير مدخلها بمحافظة ظواهر الاعمال من غير رعاية حقوق بواطنها بتقوى
الاحوال فسبب الوصول الى حضرة الربوبية والمدخل فيها هو التقوى وهو اسم جامع لكل بر
من أعمال الظاهر وأحوال الباطن والقيام باتباع الموافقات واجتناب المخالفات وقال
القاشانى وأما من أوتى كتابه وراء ظهره أى جهته التى تلى الظلمة من الروح الحيوانى والجسد
فان وجه الانسان جهته التى الى الحق وخلفه جهته التى الى البدن الظلمانى بأن رد الى الظلمات
فى صور الحيوانات فسوف يدعو ثبورا لكونه فى ورطة هلاك الروح وعذاب الأبد ويصلى سعير
نار الآثار فى مهاوى الطبيعة (انه) أى لان فالجملة استئناف لبيان علة ما قبلها (كان) فى
الدنيا (فى أهله) فيما بين أهله وعشيرته أو معهم على انهم جميعا كانوا مسرورين كما يقال جاءنى فلان
فى جماعة أى معهم (مسرورا) مترفا بطرا مستبشرا يعنى شادان ونازان بمال فانى وجاه ناپايدار
ومحجوب از منعم بنعم كديدن الفجار الذين لا يخطر ببالهم أمور الآخرة ولا يتفكرون فى
العواقب كسنة الصلحاء والمتقين كما قال تعالى حكاية انا كنا فى أهلنا مشفقين والحاصل أنه كان
الكافر فى الدنيا فارغا عن هم الآخرة وكان له مزمار فى قلبه فجوزى بالغم الباقى بخلاف المؤمن
فانه كان له نائحة فى قلبه فجوزى بالسرور الدائم وفيه اشارة أيضا الى الروح العلوى الذى يؤتى
كتابه بيمينه والى النفس السفلية التى تؤتى كتابها من وراء ظهرها وأهلها القوى الروحانية
النورانية والقوى الجسمانية الظلمانية (انه ظن) تيقن كما فى تفسير الفاتحة للفنارى وقال فى فتح
الرحمن الظن هنا على بابه بمعنى الحسبان لا الظن الذى بمعنى اليقين وهو تعليل لسروره فى الدنيا
أى ان هذا الكافر ظن فى الدنيا (أن) أى ان الامر والشأن فهى مخففة من الثقيلة سادة مع
ما فى حيزها مسد مفعولى الظن أو أحدهما على الخلاف المعروف (لن يحور) لن يرجع الى الله
تكذيبا للمعاد والحور الرجوع والمحار المرجع والمصير وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت
أدرى ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حورى حورى أى ارجعى وسر الى أهلك

أى ارجع ومنه الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى الرجوع عن حالة جميلة والحوارى القصار لرجعه الثوب الى البياض (بلى) ايجاب لما بعد لن أى بلى ليحورن البتة وليس الامر كما يظن (ان ربه) الذى خلقه (كان به) وبأعماله الموجبة للجزاء والجار متعلق بقوله (بصيرا) بحيث لا تخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما اذ لا يجوز فى حكمته أن يهمله فلا يعاقبه على سوء أعماله وهذا زجر لجميع المكلفين عن المعاصى كلها وقال الواسطى رحمه الله كان بصيرا به اذ خلقه ولماذا خلقه ولاى شئ أوجده وما قدر عليه من السعادة أو الشقاوة وما كتب له وعليه من أجله ورزقه (فلا) كلمة لا صلة للتوكيد كما مر مرارا (أقسم بالشفق) هى الحمرة التى تشاهد فى أفق المغرب بعد الغروب وبغيبوبتها يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العشاء عند عامة العلماء أو البياض الذى يليها ولا يدخل وقت العشاء الا بزواله وجمعى بر آنندكه آن بياض اصلا غائب نمى شود بلكه مترددست از أفقى بافقى وقد سبق تحقيق المقام فى المزمل وهى احدى روايتين عن ابى حنيفة رضى الله عنه ويروى أنه رجع عن هذا القول ومن ثمة كان يفتى بالاول الذى هو قول الامامين وغيرهما سمى به يعنى على كل من المعنيين لرقته لكن مناسبته لمعنى البياض اكثر وهو من الشفقة التى هى عبارة عن رقة القلب ولا شك ان الشمس أعنى ضوءها يأخذ فى الرقة والضعف من غيبة الشمس الى أن يستولى سواد الليل على الآفاق كلها وعن عكرمة ومجاهد الشفق هو النهار بناء على ان الشفق هو اثر الشمس وهو كوكب نهارى واثره هو النهار فعلى هذا يقع القسم بالليل والنهار اللذين احدهما معاش والآخر سكن وبهما قوام امور العالم وفى المفردات الشفق اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس قال القاشانى فلا أقسم بالشفق أى النورية الباقية من الفطرة الانسانية بعد غروبها واحتجابها فى أفق البدن الممزوجة بظلمة النفس عظمها بالاقسام بها لامكان كسب الكمال والترقى فى الدرجات بها * وفى التأويلات النجمية يشير الى أن الله تعالى أقسم بالشفق لكونه مظهر الوحدة الحقيقية الذاتية والكثرة النسبية الاسمائية وذلك لان الشفق حقيقة برزخية بين سواد ليل الوحدة وبياض نهار الكثرة والبرزخ بين الشيئين لا بد له من قوة كل واحد منهما فيكون جامعا لحكم الوحدة والكثرة فحق له أن يقسم به وانما جعل الليل مظهر الوحدة لاستهلاك الاشياء المحسوسة فيه استهلاك التعينات فى حقيقة الوحدة ويدل عليه قوله وجعلنا الليل لباسا لاستتار الاشياء بظلمته وجعلنا النهار معاشا مظهر الكثرة لظهور الاشياء فيه ولاشتمال المعاش على الامور الكثيرة (والليل وما وسق) قال الراغب الوسق جمع المتفرق أى وأقسم بالليل وما جمعه وما ضمه وستره بظلمته فما موصولة يقال وسقه فاتسق واستوسق يعنى ان كلا منهما مطاوع لوسق أى جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوى الى مكانه من الدواب والحشرات والهوام والسباع وذلك انه اذا أقبل الليل أقبل كل شئ الى مأواه مما كان منتشرا بالنهار وقيل يجوز أن يكون المراد بما جمعه الليل العباد المتهجدين بالليل لانه تعالى قد مدح المستغفرين بالاسحار فيجوز أن يقسم بهم قال القاشانى أى ليل ظلمة البدن وما جمعه من القوى والآلات والاستعدادات التى يمكن بها اكتساب العلوم والفضائل والترقى فى المقامات ونيل المواهب والكمالات * وفى التأويلات النجمية يشير الى القسم بليل النفس المطمئنة

المستترة بغلبة النفس الامارة بعد الوصول الى المقام المأمول وانما صارت مطمئنة من الرجوع الى حكم النفس الامارة وبقي لها التلوين في التمكين من أوصاف الكمل من الذرية المحمديين ولهذا أمرت بالرجوع الى ربها بقوله يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك وليس المقصود الذاتي من الرجوع نفس الرجوع بل المقصود الكلي هو الاتصال بالمرجوع اليه قوله وما وسق أي وما جمع من القوى الروحانية المستخلصة من يد تصرف النفس الامارة (والقمر اذا اتسق) أي اجتمع وتم بدرا ليلة أربع عشرة وفي فتح الرحمن امتلأ في الليالي البيض يقال أمور فلان متسقة أي مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة قال في القاموس وسقه يسقه جمعه وحمله ومنه والليل وما وسق واتسق انتظم انتهى أقسم الله بهذه الاشياء لان في كل منها تحولا من حال الى حال فناسبت المقسم عليها يعني ان الله تعالى أقسم بتغيرات واقعة في الافلاك والعناصر على تغير أحوال الخلق فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله والليل وما وسق فانه يدل على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغير أحوال الحيوانات من اليقظة الى النوم وكذا قوله والقمر اذا اتسق فانه يدل على حصول كمال القمر بعد أن كان ناقصا قال القاشاني أي قمر القلب الصافي عن خسوف النفس اذا اجتمع وتم نوره وصار كاملا * وفي التأويلات النجمية يشير الى القسم بقمر قلب العارف المحقق عند استدارته وبدريته (لتركبن طبقا) مفعول تركبن (عن طبق) أي لتلاقن حالا بعد حال يعني برسيد وملاقي شويد حالى را بعد از حالى كه كل واحدة منها مطابقة لاختها في الشدة والفظاعة يقال ما هذا بطبق هذا أي لا يطابقه قال الراغب المطابقة من الاسماء المتضايفة وهو أن يجعل الشئ فوق آخر بقدره ومنه طابقت النعل بالنعل ثم يستعمل الطباق في الشئ الذي يكون فوق الآخر تارة وفيما يوافق غيره أخرى وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الاوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها الى حين المستقر في احدى الدارين وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لافراده كالقراءة الاولى ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا أي طبقا مجاوزا الطبق أو حال من الضمير في لتركبن طبقا أي مجاوزين الطبق أو مجاوزا على حسب القراءة فعن على معناه المشهور وهو المجاوزة وتفسيره بكلمة بعد بيان لحاصل المعنى وقال ابن الشيخ عن ههنا بمعنى بعد لان الانسان اذا صار الى شئ مجاوزا عن شئ آخر فقد صار الى الثاني بعد الاول فصح أنه يستعمل فيه بعد وعن معا وايضا لفظ عن يفيد البعد والمجاوزة فكان مشابها للفظ بعد فصح استعمال أحدهما بمعنى الآخر * وفي التأويلات النجمية يخاطب القلب الانساني المتوجه الى الله بأنواع الرياضات وأصناف المجاهدات والتقلبات في الاحوال المطابقة كل واحدة منها الاخرى في الشدة والمشقة من الجوع والسهر والصمت والعزلة وأمثال ذلك (فما لهم لا يؤمنون) أي اذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فأي شئ لهم حال كونهم غير مؤمنين أي أي شئ يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وفيه اشارة الى النفس والهوى والقوى البشرية الطبيعية وعدم ايمانهم بالقلب وامتثالهم أمره باتباع أحكام الشريعة وآداب الطريقة وآثار الحقيقة (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) جملة

شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ماقبلها أى أى مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة النبى عليه السلام أو واحد من أصحابه وأئمته القرآن فانهم من أهل اللسان فيجب عليهم أن يجزموا باعجاز القرآن عند سماعه وبكونه كلاما الهيا ويعلموا بذلك صدق محمد فى دعوى النبوة فيطيعوه فى جميع الاوامر والنواهى ويجوز أن يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجدة على أن يكون المراد بالقرآن آية السجدة بخصوصها لا مطلق القرآن كما روى أنه عليه السلام قرأ ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر استهزاء وبه احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة فان الذم على ترك الشئ يدل على وجوب ذلك وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله عليه السلام سجد فيها وكذا الخلفاء وهى الثالثة عشرة من أربع عشرة سجدة تجب عندها السجدة عند أئمتنا على التالى والسامع سواء قصده أم لا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى المفصل سجدة وكذا قال الحسن هى غير واجبة ثم ان الائمة الثلاثة يسجدون عند قوله لا يسجدون والامام مالك عند آخر السورة * وفى التأويلات النجمية واذا قرئ على النفس والهوى والقوى البشرية الطبيعية المواعظ الالهية القرآنية المنزلة على رسول القلب لا يخضعون ولا ينقادون لاستماعها وامتثال أوامرها وائتمار أحكامها (بل الذين كفروا يكذبون) بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته وهذا من وضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بما هو العلة فى عدم خضوعهم للقرآن وفى البروج فى تكذيب لانه راعى فى السورتين فواصل الآى مع صحة اللفظ وجودة المعنى وفى بعض التفاسير الظاهر أن المراد التكذيب بالقلب بمعنى عدم التصديق وهو اضراب ترق فان عدم الايمان يكون بالشك أيضا والتكذيب من شدة الكفر وقوة الانكار الحاملة على الاضراب (والله أعلم بما يوعون) بما يضمرونه فى قلوبهم ويجمعونه فى صدورهم من الكفر والحسد والبغى والبغضاء فيجازيهم على ذلك فى الدنيا والآخرة فما موصولة يقال أوعيت الشئ أى جعلته فى وعاء أى ظرف ثم استعير والوعى لمعنى الحفظ أو بما يجمعونه فى صحفهم من أعمال السوء ويدخرونه لانفسهم من أنواع العذاب علما فعليا تفصيليا قال القاشانى بما يوعونه فى وعاء أنفسهم وبواطنهم من الاعتقادات الفاسدة والهيآت الفاسقة وقال نجم الدين من اغراقهم فى بحر الشهوات الدنيوية واحراقهم بنيران العذاب الاخروية (فبشرهم) أى الذين كفروا (بعذاب أليم) مؤلم غاية الايلام لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما وهو استهزاء بهم وتهكم كما قال تعالى الله يستهزئ بهم لان البشارة هى الاخبار بالخبر السار وقد استعملت فى الخبر المؤلم (قال الكاشفى) يعنى خبركن ايشانرا بعذاب دردناك وفيه رمز الى تبشير المؤمنين بالثواب المريح راحة جسمانية وروحانية لان التخصيص ليس بضائع ولذلك قال تعالى (الا الذين) استثناء منقطع من الضمير المنصوب فى فبشرهم الراجع الى الذين كفروا والمستثنى وهم المؤمنون خارج عنهم أى لكن الذين (آمنوا) ايمانا صادقا وأيضا الايمان العلمى بتصفية قلوبهم عن كدر صفات النفس (وعملوا الصالحات) من الطاعات المأمور بها وأيضا باكتساب الفضائل (لهم) فى الآخرة (أجر غير ممنون) أى

غير مقطوع بل متصل دائم من منه منا بمعنى قطعه قطعا أو يمنون به عليهم فان المنة تكدر النعمة من من عليه منة والاول هو الظاهر ولعل المراد من الثانى تحقيق الاجر وأن المأجور استحق الاجر بعمله طاعة لربه وان كان ذلك الاستحقاق من فضل الله كما أن اعطاء القدرة على العمل والهداية اليه من فضله أيضا حسن بصرى قدس سره كفت كسانى را يافتم كه ايشان بدنيا جوانمرد وسخى بودند همه دنيا بدانندى ومنت ننهادند وبوقت خويش جنان بخيل بودند كه بك نفس از روز كار خويش نه به بدر داندى ونه بفرزند قال القاشانى لهم أجر من ثواب الآثار والصفات فى جنة النفس والقلب غير مقطوع ابرائه من الكون والفساد وتجرده عن المواد * وفى التأويلات النجمية الا الذين آمنوا من الروح والسر والقلب وقواهم الروحانية وعملوا الصالحات من الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله لهم أجر غير ممنون بمنة نفسهم واجتهادهم واكتسابهم بل بفضل الله ورحمته * قال بعض العلماء النكتة فى ترتيب السور الثلاث أن فى انفطرت التعريف بالحفظة الكاتبين وفى المطففين التعريف بمستقر تلك الكتب وفى هذه السورة أى الانشقاق ايتاؤها يوم القيامة عند العرض والله تعالى أعلم

(تمت سورة الانشقاق بعون الملك الخلاق فى سلخ صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة وألف)

(سورة البروج ثنتان وعشرون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء) كل جرم علوى فهو سماء فدخل فيه العرش (ذات البروج) جمع برج بمعنى القصر بالفارسية كوشك والمراد البروج الاثنا عشر التى فى الفلك الاعلى فالمراد بالسماء فلك الافلاك قال سعدى المفتى لكن المعهود فى لسان الشرع اطلاق العرش عليه دون السماء ويجوز أن يراد الفلك الاقرب الينا فالآية كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح انتهى وجوابه ما أشرنا اليه فى عنوان السماء ثم انها شبهت بروج السماء بالقصور التى تنزل فيها الاكابر والاشراف لانها منازل السيارات ومقر الثوابت قال الامام السهيلى رحمه الله اسماء البروج الحمل وبه يبدأ لان استدارة الافلاك كان مبدؤها من برج الحمل فيما ذكروا وفى شهر هذا البرج نيسان حيث تم العشرون منه كان مولد النبى عليه السلام وكان مولده عند طلوع الغفر وهو بفتح الغين المعجمة وسكون الفاء منزل للقمر ثلاثة أنجم صغار والغفر يطلع فى ذلك الشهر أول الليل لان وقته النطح وهو الشرطان بالمعجمة وبفتحتين وهما نجمان من الحمل هما قرناه والى جنب الجنوبى منهما وفى القاموس والى جانب الشمالى منهما كوكب صغير ومنهم من يعده معهما فيقول هذا المنزل ثلاثة كواكب ويسميها الاشراط والى الحمل أيضا يضاف البطين وهو كزبير منزل للقمر ثلاثة كواكب صغار كأنها اثافى وهو بطن الحمل وبعد الحمل الثور ثم الجوزاء ويقال لها النسر والجبار والتوأمان قال فى القاموس التوأم منزل للجوزاء انتهى وهامة الجوزاء الهقعة وهى ثلاثة كواكب فوق منكبى الجوزاء كالاثافى اذا طلعت مع الفجر اشتد حر الصيف ثم السرطان بالمهملة ثم الاسد ثم السنبلة ثم الميزان ثم العقرب وبين الزبانيين من العقرب وهما قرناها وكوكبان نيران فى قرنى العقرب كما فى القاموس وبين وركى الاسد ورجليه وهما السماك كتاب يطلع الغفر الذى به مولد الانبياء عليهم السلام وفيه قالوا

خير المنازل فى الأبد * بين الزبانى والأسد

لانه يليه من الأسد ذنبه ولا ضرر فيه ومن العقرب زباناها ولا ضرر فيهما وانما تضر بذنبها اذا شالته أى رفعته وهو الشولة فى المنازل أى ماتشول العقرب من ذنبها وكوكبان نيران ينزلهما القمر يقال لهما حمة العقرب ثم القوس ثم الجدى ثم الدلو ثم رشاء الدلو وهو منزل للقمر وهو الحوت بحسب فى البروج وفى المنازل وجعل الله الشهور على عدد هذه البروج فقال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال فى كشف الاسرار واين برجها بر چهار فصلست يك فصل ازان وقت بهارست سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در حمل وثور وجوزا باشد وفصل دوم روزكار صيفست تابستان كرم سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در سرطان وأسد وسنبله باشد وفصل سوم روزكار خريفست سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در ميزان وعقرب وقوس باشد وفصل چهارم روزكار زمستانست سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در جدى ودلو وحوت باشد وهر فصلى را طبعى ديكر وكردش أو ديكر يقول الفقير أيده الله القدير الفصل الربيعى عبارة عن ثلاثة أشهر يعبر عن أولها بآذار وعن الثانى بنيسان وعن الثالث بايار فاذا مضت سبع عشرة ليلة من الشهر الاول استوى الليل والنهار بأن يكون كل منهما اثنتى عشرة ساعة ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضت سبعة عشر يوما من حزيران وهو أول فصل الصيف وبعده تموز ثم اغستوس يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات ويكون اليوم أطول الايام كما ان الليلة تكون أقصر الليالى ثم يأخذ الليل من النهار على عكس ماسبق فينتقص من النهار كل يوم شعيرة حتى اذا مضت سبعة عشر يوما من ايلول وهو أول فصل الخريف وبعده تشرين الاول الذى هو أوسط الخريف ثم تشرين الثانى الذى هو آخره استوى الليل والنهار أيضا ثم يتزايد الليل كل يوم شعيرة حتى اذا كان سبعة عشر يوما من كانون الاول وهو أول فصل الشتاء وبعده كانون الثانى ثم شباط ينتهى طول الليل بأن يكون خمس عشرة ساعة وقصر النهار بأن يكون تسع ساعات فهذا الحساب يعود ويدور أبدا الى ساعة القيام فالله تعالى يولج الليل فى النهار أى يدخله فيه بأن ينقص من ساعات الليل ويزيد فى ساعات النهار وذلك اذا مضى من كانون الاول سبعة عشر يوما الى ان يمضى من حزيران هذا العدد وذلك ستة اشهر وهى كانون الاول وكانون الثانى وشباط وآذار ونيسان وايار ويولج النهار فى الليل أى يدخله فيه بأن ينقص من ساعات النهار ويزيد فى ساعات الليل وذلك ستة اشهر أيضا وهى حزيران وتموز وأغستوس وأيلول وتشرين الاول وتشرين الثانى وهذا كله بتقدير العزيز العليم وادارته الاجرام العلوية على نهج مستقيم ويقال المراد بالبروج هى النجوم التى هى منازل القمر وهى ثمانية وعشرون نجما ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لايتخطاها ولا يقصر عنها واذا صار القمر الى آخر منازله دق واستقوس ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وان كان تسعة وعشرين فليلة واحدة واطلاق البروج على هذه النجوم مبنى على تشبيهها بالقصور من حيث ان القمر ينزل فيها ولظهورها أيضا بالنسبة الى بعض الناس كالعرب لان البرج ينبئ عن الظهور مع الاشتمال على المحاسن يقال تبرجت المرأة أى تشبهت بالبرج فى اظهار المحاسن وأما البروج الاثنا عشر فليس لها ظهور بحيث لاتدرك حسا والبروج الاثنا عشر منقسمة الى هذه المنازل الثمانية

والعشرين والشمس تسير في تمام هذه البروج الاثني عشر في كل سنة والقمر في كل شهر وقد تعلقت بها منافع ومصالح للعباد فأقسم الله تعالى بها لاظهار القدر ها وشرفها وفيه اشارة الى الروح الانساني ذات المقامات في الترقي والدرجات (واليوم الموعود) أي يوم القيامة أقسم الله تعالى به تنبيها على قدره وعظمه أيضا من حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوما تفرد الله بالملك والحكم فيه وفيه اشارة الى آخر درجات الروح من كشف التوحيد الذاتي وهي القيامة الكبرى (وشاهد ومشهود) أي ومن يشهد في ذلك اليوم من الاولين والآخرين والانس والجن والملائكة والانبياء وما يحضر فيه من العجائب فالشاهد بمعنى الحاضر من الشهود بمعنى الحضور لا بمعنى الشاهد الذي تثبت به الدعاوى والحقوق وتنكيرهما للابهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما ويقال المشهود يوم الجمعة والشاهد من يحضره من المسلمين للصلاة ولذكر الله ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها خيرا الا استجاب له ولا يستعيذه من سوء الا اعاذه منه وفي الحديث أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة ويقال المشهود يوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيم الامر الحج وعددهم هشتصد هزار كما في كشف الاسرار ويقال الشاهد كل يوم والمشهود أهله فيكون المشهود بمعنى المشهود عليه والشاهد من الشهادة كما قال الحسن البصري رحمه الله ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يفعل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيامة * دريغا كه بكذشت عمر عزيز * بخواهد كذشت اين دمي چند نيز * كذشت آنچه در ناصوابي كذشت * درين نيز هم در نيابي كذشت * ويقال الشاهد هو الحق من حيث الجمعية والمشهود هو أيضا من حيث التفرقة وان شئت قلت من حيث الاجمال ومن حيث التفصيل لا يراه بالحقيقة أحد الا هو ويقال الشاهد نفس الروح والمشهود نفس الطبع وقال الحسين رحمه الله في هذه الآية علامة انه ما انفصل الكون عن المكون ولا قارنه (قتل أصحاب الاخدود) جواب القسم بحذف اللام المؤكدة على انه خبر لا دعاء بمعنى لقد قتل أي أهلك بغضب الله ولعنته والاظهر أن الجملة دعائية دالة على الجواب لا خبرية والقتل كناية عن اللعن من حيث ان القتل لكونه اغلظ العقوبات لا يقع الا عن سخط عظيم يوجب الابعاد عن الخير والرحمة الذي هو معنى اللعن فكان القتل من لوازم اللعن كأنه قيل أقسم بهذه الاشياء ان كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الاخدود وجه الاظهر ان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم فظهر من هذا التقرير أنه ليس دعاء على أصحاب الاخدود من قبل المقسم وهو الله تعالى لانه ليس بعاجز وقد سبق تحقيقه في سورة عبس ونحوها والاخدود الخد في الارض وهو شق مستطيل كالنهر غامض أي عميق القرار وأصل ذلك من خدي الانسان وهما ما اكتنفا الانف عن اليمين والشمال وفي عين المعاني ومنه الخد لمجاري الدموع عليه وأصحاب الاخدود كانوا ثلاثة

وهم انطيانوس الرومى بالشام وبختنصر بفارس ويوسف ذونواس بنجران وهو بتقديم النون وتأخير الجيم موضع باليمن فتح سنة عشر سمى بنجران بن زيدان بن سبا شق كل واحد منهم شقا عظيما فى الارض كان طوله أربعين ذراعا وعرضه اثنى عشر ذراعا وهو الاخدود وملؤه نارا وألقوا فيه من لم يرتد عن دينه من المؤمنين قالوا والقرآن انما نزل فى الذين بنجران يعنى ان أصحاب الاخدود هم ذونواس الحميرى اليهودى وجنوده وذلك ان عبدا صالحا يقال له عبد الله بن التامر وقع الى نجران وكان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار اليهم ذونواس بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فخد الخنادق وأضرم فيها النيران فجعل يلقى فيها كل من اتبع ابن التامر حتى أحرق نحوا من اثنى عشر ألفا أو عشرين ألفا أو سبعين ألفا وذونواس اسمه زرعة بن حسان ملك حمير وما حولها وكان أيضا يسمى يوسف وكانت له غدائر من شعر أى ذوائب تنوس أى تضطرب فسمى ذا نواس (روى) انه انفلت من أهل نجران رجل اسمه دوس ذو ثعلبان ووجد انجيلا محترقا بعضه فأتى به ملك الحبشة وكان نصرانيا فقال ان أهل دينك أوقدت لهم نار فأحرقوا بها وأحرقت كتبهم وهذا بعضها فأراه الذى جاء به ففزع لذلك فكتب الى صاحب الروم يستمده بنجارين يعملون له السفن فبعث اليه صاحب الروم من عمل له السفن فركبوا فيها فخرجوا الى ساحل اليمن فخرج اليهم أهل اليمن فلقوهم بتهامة واقتتلوا فلم ير ملك حمير له بهم طاقة وتخوف أن يأخذوه فضرب فرسه حتى وقع فى البحر فمات فيه أو ألقى نفسه فى البحر فاستولى الحبشة على حمير وما حولها وتملكوا وبقى الملك لهم الى وقت الاسلام (وقال فى كشف الاسرار) أصحاب الاخدود ايشان بت پرستان بوده اند از أصحاب ذونواس عيسى ودر زمان او ساحرى بود كاهن ومشعبذ كه مدار مملكت بدو بودى چون بسن شيخوخه رسيد بعرض ملك رسانيد كه من پير شده أم وضعف كلى بقواى من راه يافته * ديده از هر شعاع تيره شود * گوش وقت سماع خيره شود * نه زبان را مجال گويايى * نه تن خسته را توانايى * صلاح در آنست كه جوانى عاقل تيزفهم بمن سپار تا آنچه دانسته ام بوى آموزم وبعد از من خلفى باشد كه امور مملكت بوى منتظم تواند بود كما جاء فى حديث المشارق كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر بكسر الباء أى شاخ وطعن فى السن قال للملك انى كبرت فابعث الى غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه فكان فى طريقه اذا سلك أى الغلام راهب فقعد اليه أى متوجها الى الراهب وسمع كلامه فأعجبه أى أعجب كلام الراهب ذلك الغلام فكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه أى ضرب الساحر الغلام لمكثه فشكا ذلك الى الراهب فقال أى الراهب للغلام اذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى أى منعونى واذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس أى على أسد أو حية يقال لها بالفارسية اژدر فقال أى الغلام اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجرا وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال الراهب أى بنى أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على وكان الغلام يبرئ الاكمه وهو الذى ولد أعمى والابرص ويداوى الناس بسائر الادواء

فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك أجمع ان أنت شفيتني قال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله فان آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال الملك من ردّ عليك بصرك قال ربي فقال أولك رب غيري قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ به الاكمه والابرص وتفعل وتفعل يعني تداوي مرض كذا وتداوي كذا فقال أي الغلام اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء بالراهب فقيل ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضعه في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال أي الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت يعني ادفع عني شرهم بأي سبب شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور أي سفينة صغيرة فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة أي مالت وانقلبت فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد أي أرض بارزة وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي وهي التي يجعل فيها السهام ثم ضع السهم في كبد القوس وهو مقبضها عند الرمي ثم قل بسم الله رب الغلام ففعل كما قال الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه وهو ما بين العين والاذن فوضع يده على صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فأتى الملك فقيل له يعني أتى الملك آت فقال أرأيت ما كنت تحذر والله قد نزل بك حذرك أي والله قد نزل بك ما كنت تحذر منه وتخاف قد آمن الناس فأمر بالاخدود أي بحفر شق مستطيل في أفواه السكك أي في أبواب الطرق فخدت أي شقت وأضرم النيران أي أوقدها وأشعلها وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها أي فاطرحوه فيها كرها ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي رضيع لها فتقاعست أي تأخرت أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمّاه اصبري فانك على الحق وفي بعض الروايات كان للمرأة ثلاثة أولاد أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك والا ألقيتك وأولادك في النار فأبت فأخذ ابنها الاكبر فألقاه في النار ثم قال لها ارجعي عن دينك فأبت فألقى ابنها الاوسط ثم قال لها ارجعي عن دينك فأبت فأخذوا الصبي ليلقوه فيها فهمت بالرجوع فقال الصبي يا أماه لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك وفي كشف الاسرار قال بين يديك نار لا تطفأ فألقى الصبي في النار وأمه على اثره وكان هو ممن تكلم في المهد وهو رضيع وقد سبق عددهم في سورة يوسف وكانت هذه القصة قبل مولده عليه السلام بتسعين سنة وفيما ذكر من الحديث اثبات كرامات الاولياء وجواز الكذب عند خوف الهلاك سواء كان الهالك هو الكاذب أو غيره وروى ان خربة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب فوجد

الغلام الذى قتله الملك وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وفى بعض التفاسير فوجدوا عبد الله بن التامر واضعا أصبعه على صدغه فى رأسه اذا أميطت يده عنها سال دمه واذا تركت على حالها انقطع وفى يده خاتم من حديد فيه ربى الله فكتبوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب بأن يواروه ويعيدوا التراب عليه وفى بعض التفاسير فكتب اليهم عمر رضى الله عنه ان ذلك الغلام صاحب الاخدود فاتركوه على حاله حتى يبعثه الله يوم القيامة على حاله وعن على رضى الله عنه أن بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فأمرته أن يخطب الناس فيقول ان الله قد أحل نكاح الاخوات ثم يخطبهم بعد ذلك ويقول ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فأمرته بالاخاديد وايقاد النار وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم تعالى بقوله قتل أصحاب الاخدود (النار) بدل اشتمال من الاخدود لان الاخدود مشتمل على النار وبها يكون مهيبا مشتد الهول والتقدير النار فيه أو أقيم أل مقام الضمير على اختلاف مذهبى أهل البصرة والكوفة (ذات الوقود) خداوند آتش باهيمه يعنى افروخته بهيزم وهو بفتح الواو ما يوقد به وفيه وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وأبدان الناس على ما يدل عليه التعريف الاستغراقى ولو لم يحمل على هذا المعنى لم يظهر فائدة التوصيف اذ من المعلوم ان النار لا تخلو من حطب (اذ هم عليها قعود) ظرف لقتل والضمير لاصحاب الاخدود وقعود جمع قاعد أى لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها فى مكان مشرف عليها من حافات الاخدود ولفظ على مشعر بذلك تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يقرب منه وفى بعض التفاسير على سرر وكراسى قعود عند النار ولو قعدوا على نفس النار لاحترقوا فالقاتلون كانوا جالسين فى مكان مشرف أو نحوه ويعرضون المؤمنين على النار فمن كان يترك دينه تركوه ومن كان يصر ألقوه فى النار وأحرقوه وكان عليه السلام اذا ذكر أصحاب الاخدود تعوذ بالله من جهد البلاء وهو الحالة التى يختار عليها الموت أو كثرة العيال والفقر كما فى القاموس والجهد بالفتح المشقة وجهد عيشه كفرح نكد واشتد (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) جمع شاهد أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحدا لم يقصر فيما أمر به وفوض اليه من التعذيب بالاحراق من غير ترحم واشفاق أو أنهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يعنى تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون هذا هو الذى يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد ذهب بعضهم الى أن الجبابرة لما ألقوا المؤمنين فى النار وهم قعود حولها علقت بهم النار وفى رواية ارتفعت فوقهم أربعين ذراعا فوقعت عليهم فأحرقتهم ونجى الله المؤمنين سالمين ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله وقبض الله أرواحهم قبل أن تمسهم النار كما فعل ذلك بآسية امرأة فرعون على ما سبق وعلى ذلك حملوا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق أى لهم عذاب جهنم فى الآخرة ولهم عذاب الحريق فى الدنيا وفيه اشارة الى النفوس المتمردة الشاردة النافرة عن جناب الحق المستحقة لأخاديد النيران والخذلان والخسران الموقدة بأحطاب اخلاقهم الرديئة الموصدة بأحجار وصفاتهم الخبيثة النفسية الهوائية اذ هم عليها قعود بارتكابهم الشهوات وانكبابهم على اللذات والنفس والهوى وقواهم الطبيعية يشهد بعضهم على بعض بما يفعلون بمؤمنى الروح

والسر والقلب من المخالفة والمجادلة والمخاصمة (وما نقموا منهم) أى وما أنكروا من المؤمنين وما عابوا يقال نقم الامر اذا عابه وكرهه وفى المفردات نقمت الشئ اذا أنكرته اما باللسان واما بالعقوبة (الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) قال بلفظ المضارع مع ان الايمان وجد منهم فى الماضى لارادة الاستمرار والدوام عليه فانهم ما عذبوهم لايمانهم فى الماضى بل لدوامهم عليه فى الآتى ولو كفروا فى المستقبل لم يعذبوا على مامضى فكأنه قيل الا أن يستمروا على ايمانهم وأما قوله تعالى حكاية وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا فلان مجرد ايمان السحرة بموسى عليه السلام كان منكرا واجب الانتقام عندهم والاستثناء مفرغ مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم * تلام بنسيان الاحبة والوطن

فى أن ما أنكروه ليس منكرا فى الواقع وغير حقيق بالانكار كما أن ما جعله الشاعر عيبا ليس عيبا ولا ينبغى أن يعد عيبا ولا يضر ذلك كون الاستثناء فى قول الشاعر مبنيا على الادعاء بخلاف ما فى نظم القرآن فانهم انكروا الايمان حقيقة ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله (الذى له ملك السموات والارض) للاشعار بمناط ايمانهم والملك بالفارسية بادشاهى وأخر هذه الصفة لان الملك التام لا يحصل الا عند حصول الكمال فى القدرة التى دل عليها العزيز وفى العلم الذى دل عليه الحميد لان من لا يكون تام العلم لا يمكنه أن يفعل الافعال الحميدة وفى كشف الاسرار وانما وصف ذاته بهذه الصفات ليعلم انه لم يمهل الكفار لاجل أنه غير قادر لكنه أراد أن يبلغ بهؤلاء المؤمنين مبلغا من الثواب لم يكونوا يبلغونه الا بمثل ذلك الصبر وأن يعاقب أولئك الكافرين عقابا لم يكونوا يستوجبونه الا بمثل ذلك الفعل وكان قد جرى بذلك قضاؤه على الفريقين جميعا فى سابق تدبيره وعلمه وفيه تشنيع على الكفار بغاية جهلهم حيث عدوا ما هو منقبة هى سبب المدح منقصة هى سبب القدح (والله على كل شئ شهيد) وخدا برهمه چيزها از افعال واقوال مؤمن وكافر كواهست وبا آن دانا وهو وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التى من جملتها أعمال الفريقين يستدعى توفير جزاء كل منهما حتما قال الامام القشيرى الشهيد العليم ومنه قوله تعالى شهد الله أى علم الله والشهيد الحاضر وحضوره بمعنى علمه ورؤيته وقدرته والشهيد مبالغة من الشاهد واذا علم العبد أن الله تعالى شهيد يعلم أفعاله ويرى أحواله سهل عليه ما يقاسيه لاجله (حكى) ان رجلا كان يضرب بالسياط وهو يصبر ولا يصيح فقال له بعض الحاضرين أما يؤلمك الضرب فقال نعم قال فلم لا تصيح قال فى الحاضرين لى محبوب يرقبنى فأخاف أن يذهب ماء وجهى عنده ان صحت فمن ادعى محبة الحق ولم يصبر على قرص نملة أو بعوضة أو أدنى أذية كيف يكون صادقا فى دعواه ولذا قالوا دلت القصة على ان المكره على الكفر بنوع من العذاب الاولى أن يصبر على ما خوف منه وان كان اظهار الكفر كالرخصة فى ذلك (حكى) ان مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب النبى عليه السلام فقال لاحدهما اتشهد أنى رسول الله فقال نعم فتركه وقال للآخر مثله فقال لا بل أنت كذاب فقتله فقال النبى عليه السلام أما الذى تركه فاخذ بالرخصة فلا تبعة عليه وأما الذى صبر فأخذ بالفضل فهنيأ له * وفى التأويلات النجمية والله على كل شئ من

سموات الارواح وأرض الاشباح والاجساد شهيد أى حاضر لمظهرية الكل وظهوره فيها ذاتا وصفات وأسماء لاستلزام الذات جميع التوابع الوجودية (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) الفتن الاحراق والفتنة بالفارسية آزمودن أى محنوهم فى دينهم وآذوهم وعذبوهم بأى عذاب كان ليرجعوا عنه كاصحاب الاخدود ونحوهم كما روى ان قريشا كانوا يعذبون بلالا ونحوه فالموصول للجنس وانما لم يدفع البلاء قبل الابتلاء لان أهل الولاء لا يخلوا عن البلاء

وهيهات هيهات الصفاء لعاشق * وجنة عدن بالمكاره حفت

(ثم) أى بعد ما فعلوا ما فعلوا من الفتنة (لم يتوبوا) أى عن كفرهم وفتنتهم فان ماذكر من الفتنة فى الدين لا يتصور من دين الكافر قطعا وفى ايراد ثم اشعار بكمال حلمه وكرمه حيث لا يعجل فى القهر ويقبل التوبة وان طالت مدة الحوبة قال الامام وذلك يدل على أن توبة القاتل عمدا مقبولة (فلهم) فى الآخرة بسبب كفرهم (عذاب جهنم) يعذبون به أبدا (ولهم) بسبب فتنتهم للمؤمنين (عذاب الحريق) أى عذاب عظيم زائد فى الاحراق على عذاب سائر أهل جهنم فظهرت المغايرة بين المعطوفين وان كان كل منهما حاصلا فى الآخرة ويحتمل أن يكون المراد بعذاب جهنم بردها وزمهريرها وبعذاب الحريق حرها فيرددون بين برد وحر على أن يكون الحر لاحراقهم المؤمنين فى الدنيا والبرد لغيره كما قالوا الجزاء من جنس العمل والحريق اسم بمعنى الاحتراق كالحرقة وقول الكاشفى فى تفسيره عذاب الحريق عذاب آتش سوازن يشير الى أن الحريق بمعنى النار المحرقة كما قال فى المفردات الحريق النار وكذا الحرق بالتحريك النار أولهبها كما فى القاموس وحرق الشئ ايقاع حرارة فى الشئ من غير لهب كحرق الثوب بالدق والاحراق ايقاع نار ذات لهب فى شئ ومنه استعير أحرقنى بلومه اذا بالغ فى أذيته بلوم يقول الفقير الظاهر أن الحريق هنا بمعنى المحرق كالأليم بمعنى المؤلم فيكون اضافة العذاب الى الحريق من قبيل اضافة الموصوف الى صفته ويستفاد زيادة الاحراق من المقابلة فان العطف من باب الترقى بحسب العذاب المترتب على الترقى من حيث العمل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) على الاطلاق من المفتونين وغيرهم (لهم) بسبب ماذكر من الايمان والعمل الصالح الذى من جملته الصبر على أذى الكفار واحراقهم وايراد الفاء أولا وتركها ثانيا يدل على جواز الامرين (جنات) يجازون بها بمقابلة النار ونحوها (تجرى من تحتها الانهار) يجازون بذلك بمقابلة الاحتراق والحرارة ونحو ذلك قال فى الارشاد ان أريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان أريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان أشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة (ذلك) المذكور العظيم الشأن وهو حصول الجنان (الفوز الكبير) الذى تصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها فالحصر اضافى قال فى برهان القرآن ذلك مبتدأ والفوز خبره والكبير صفته وليس له فى القرآن نظير والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فان أشير بذلك الى الجنات نفسها فهو مصدر أطلق على المفعول مبالغة والا فهو مصدر على حاله قال الامام انما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهى أن قوله ذلك اشارة الى اخبار الله بحصول هذه الجنات ولو قال تلك لكانت الاشارة الى نفس الجنات واخبار الله عن ذلك يدل على كونه راضيا والفوز الكبير هو رضا الله لا حصول الجنة يقول الفقير وعندى أن حصول

الجنات هو الفوز الكبير وحصول رضا الله هو الفوز الاكبر كما قال تعالى ورضوان من الله أكبر وانما لم يقل تلك لان نفس الجنات من حيث هي ليست بفوز وانما الفوز حصولها او دخولها

(ان بطش ربك لشديد) استئناف خوطب به النبي عليه السلام ايذانا بأن لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والبطش تناول الشئ بصولة والاخذ بعنف يقال يد باطشة وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذه اياهم بالعذاب والانتقام وان كان بعد امهال فانه عن حكمة لا عن عجز (انه هو) وحده (يبدئ ويعيد) أي يبدئ الخلق ويخرجهم من العدم الى الوجود ثم يميتهم ويعيدهم أحياء للمجازاة على الخير والشر من غير دخل لأحد في شئ منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه أو هو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة يعنى آشكاره كند بطش خود را بر كافران در دنيا وباز كرداند هم آنرا بديشان در آخرت واين نشانهٔ عدلست أو يبدئ البطش أو العذاب في الآخرة ثم يعيده فيها كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال ابن عباس رضي الله عنهما ان أهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا فهو المراد من الآية وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أسر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا في النار فقال يا حذيفة ان في جهنم لسباعا من نار وكلابا من نار وسيوفا من نار وكلاليب من نار وانه يبعث ملائكة يعلقون أهل النار بتلك الكلاليب بأحناكهم ويقطعونهم بتلك السيوف عضوا عضوا ويلقونهم الى تلك السباع والكلاب كلما قطعوا عضوا عاد آخر مكانه غضا طريا أو يبدئ من التراب ويعيده فيه أو من النطفة ويعيده في الآخرة يقال بدأ الله الخلق وأبدأهم فهو بادئهم ومبدئهم بمعنى واحد والمبدئ المظهر ابتداء والمعيد المنشئ بعد ما عدم فالاعادة ابتداء ثان قال الامام الغزالي رحمه الله المبدئ المعيد معناه الموجد لكن الايجاد اذا لم يكن مسبوقا بمثله يسمى ابداء وان كان مسبوقا بمثله يسمى اعادة والله تعالى بدأ خلق الانسان ثم هو الذي يعيدهم أي يحشرهم فالاشياء كلها منه بدت واليه تعود وبه بدت وبه تعود وفي المفردات والله هو المبدئ والمعيد أي هو السبب في المبدأ والنهاية وقال بعضهم الابداء هو الاظهار على وجه التطوير المهيئ للاعادة وهي الرجوع على مدرج تطوير الابداء فهو سبحانه بدأ الخلق على حكم ما يعيدهم عليه فسمى بذلك المبدئ المعيد وانما قيل فيهما انهما اسم واحد لان معنى الاول يتم بالثاني وكذا كل اسم لا يتم معناه فيما يرجع الى كمال أسماء الله الا باسم يتم به معناه قال الامام القشيري رحمه الله ان الله تعالى يبدئ فضله واحسانه لعبيده ثم يعيده ويكرره فان الكريم من ربب صنائعه وخاصية الاسم المبدئ أن يقرأ على بطن الحامل سحرا تسعا وعشرين مرة فان ما في بطنها يثبت ولا يزلق وخاصية الاسم المعيد تكرار التذكار المحفوظ اذا نسى لا سيما اذا أضيف له الاسم المبدئ (وهو الغفور) لمن تاب عن الكفر وآمن وكذا لمن تاب عن غيره من المعاصي ولمن لم يتب أيضا ان شاء (الودود) المحب لمن أطاع أو تاب كما قال ان الله يحب التوابين واين نشانهٔ فضلست بعدل بكذارد ونابود سازد وبفضل بنوازد وبر افرازد * فضل او دلنواز غمخواران * عدل او سينه سوز جباران * عمر بن الخطاب رضي الله عنه در بتخانه مقبول وسيآت او بمغفرت كه وهو الغفور الودود وعبد الله بن أبي در مسجد مخذول وحسنات أو مردود كه ان

بطش ربك لشديد فالودود فعول بمعنى الفاعل ههنا وهو الذى يقتضيه المقام وقال سهل رحمه الله الودود المحبب الى عباده باسباغ النعم عليهم ودوام العافية فيكون بمعنى المفعول لانه يحبه عباده الصالحون ومحبة العبد لله طاعته له وموافقته لامره أو تعظيمه له وهيبته فى قلبه وأجمع أهل الحقيقة أن كل محبة تكون عن ملاحظة عوض فهى معلولة بل المحبة الصحيحة هى المحبة الصافية عن كل طمع وفى الاثر ان الله تعالى يقول ان أود الاوداء الى من عبدنى لغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها قال بعض الكبار العشق التفاف الروحين والحب صفاء ذلك الالتفاف وخلوصه والود ثباته وتمكنه من القلب والهوى أول وقوع الحب فى القلب وفى التأويلات النجمية الودود لمن يتوجه اليه بالمحبة على سنة من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا فمن تقرب اليه بالمحبة تقرب اليه بالود لان الود أثبت فى أرض القلب من المحبة لاشتقاقه من الوتد انتهى قال فى القاموس الود الوتد وقال الامام الغزالى رحمه الله الودود هو الذى يحب الخير لجميع الخلق فيحسن اليهم ويثنى عليهم وهو قريب من معنى الرحيم لكن الرحمة اضافة الى المرحوم والمرحوم هو المحتاج والمضطر وأفعال الرحيم تستدعى مرحوما ضعيفا وأفعال الودود لا تستدعى ذلك بل الانعام على سبيل الابتداء من نتائج الود كما أن معنى رحمته تعالى ارادته الخير للمرحوم وكفايته له وهو منزه عن رقة الرحمة فكذلك وده ارادته للكرامة والنعمة وهو منزه عن ميل المودة والودود من عباد الله من يريد لخلق الله كل ما يريده لنفسه وأعلى من ذلك من يؤثرهم على نفسه كمن قال منهم أريد أن أكون جسرا على النار يعبر على الخلق ولا يتأذون بها وكمال ذلك أن لا يمنعه من الايثار والاحسان الحقد والغضب وما ناله من الاذى كما قال عليه السلام حين كسرت رباعيته ودمى وجهه وضرب اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون فلم يمنعه سوء صنيعهم عن ارادة الخير لهم وكما أمر عليه السلام عليا رضى الله عنه حيث قال ان أردت أن تسبق المقربين فصل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك وخاصية الاسم الودود ثبوت الوداد لا سيما بين الزوجين فمن قرأه ألف مرة على طعام وأكله مع زوجته غلبته محبته ولم يمكنها سوى طاعته وقد روى أنه اسم الله الاعظم فى دعاء التاجر الذى قال فيه يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وبقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التى وسعت كل شئ لا اله الا أنت يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى الحديث قد ذكره غير واحد من الائمة يقول الفقير كنت أذكر فى السحر الاعلى يا ودود وذلك بلسان القلب فصدر منى بلا اختيار أن أقول يا رب اجعلنى محيطا فعرفت أن للاسم المذكور تأثيرا عظيما فى الاحاطة وذلك أن الودود بمعنى المحبوب ولا شك أن جميع الاسماء الالهية تود الاسم الاعظم وتميل اليه فالاسم الاعظم ودود بمعنى المفعول وغيره ودود بمعنى الفاعل فمن ذكره كان ودودا بمعنى المودود فيحبه جميع المظاهر فيحصل له الاحاطة بأسرار جميع الاسماء ويصل اليه جميع التوجهات

(ذو العرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك مجازا أى ذو السلطنة القاهرة على المخلوقات السفلية والمخترعات العلوية وان لم يكن على السرير ويقال ثل عرش فلان اذا ذهب سلطانه

(المجيد) هو الشريف ذاته الجميل أفعاله الجزيل عطاؤه ونواله فكأن شرف الذات اذا قارنه حسن الفعال سمى مجيدا وهو الماجد أيضا ولكن أحدهما دل على المبالغة وكأنه يجمع من

اسم الجليل واسم الوهاب والكريم قال في القاموس المجيد الرفيع العالي والكريم والشريف الفعال ومجده عظمه وأثنى عليه والعطاء كثره والتمجيد ذكر الصفات الحسنة وقرئ بالكسر صفة للعرش ومجد العرش علوه في الجهة وعظم مقداره وحسن صورته وتركيبه فانه أحسن الاجسام تركيبا وصورة وفي الحديث ما الكرسي في جنب العرش الا كحلقة ملقاة في أرض فلاة فاذا كان الكرسي كذلك مع سعته فما ظنك بسائر الاجرام العلوية والسفلية قال سهل رحمه الله أظهر الله العرش اظهارا للقدرة لامكانا للذات ولا احتياجا اليه قال بعضهم ومن العجب أن الله لو ملأ العرش مع تلك السعة من حبوب الذرة وخلق طيرا أكل حبة واحدة منها في ألف سنة لنفدت الحبوب ولا تنقطع مدة الآخرة ومع هذا لايخاف بنو آدم من عذاب تلك المدة ويضيعون أعمارهم في شئ حقير سريع الزوال * وفيه اشارة الى قلب العارف المستوى للرحمن كما جاء في الحديث قلب العارف عرش الله ومجده هو أنه ما وسع ذلك الواسع المجيد غيره وخاصية هذا الاسم تحصيل الجلالة والمجد والطهارة ظاهرا وباطنا حتى في عالم الابدان والصور فلقد قالوا اذا صام الابرص أياما وقرأه كل ليلة عند الافطار كثيرا فانه يبرأ باذن الله تعالى اما بلا سبب أو بسبب يفتح الله له به (فعال لما يريد) بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من أفعاله تعالى وأفعال غيره فيكون دليلا لاهل الحق على أنه لا يتخلف شئ عن ارادته وهو خبر مبتدأ محذوف وانما قال فعال مبالغة فاعل لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة من الاحياء والاماتة والاعزاز والاذلال والاغناء والاقتار والشفاء والامراض والتقريب والتبعيد والعمارة والتخريب والوصل والفرق والكشف والحجاب الى غير ذلك من شؤنه * وفي التأويلات النجمية فعال لما يريد بالمؤمن والكافر وأرباب الارواح والاسرار والقلوب وأصحاب النفوس وأهل الهوى ان أراد أن يجعل أرباب الارواح من أرباب النفوس فهو قادر على ذلك وهو عادل في ذلك وان أراد عكس ذلك فهو كذلك وهو متفضل في ذلك يحجب من يريد بجلاله كالمنكرين ويتجلى لمن يريد بجماله كالمقربين ويعامل لمن يريد بافاضة كماله كالعارفين قال القفال يدخل أولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم ناصر ويمهل بعض العصاة على ما يشاء الى أن يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء فهو يفعل ما يريد (روى) ان أناسا دخلوا على أبي بكر الصديق رضي الله عنه يعودونه فقالوا الا نأتيك بطبيب قال قد رآني قالوا فما قال لك قال انى فعال لما أريد (هل أتاك) أيا محمد بنو أي قد أتاك لان الاستفهام للتقرير (حديث الجنود) أي خبر الجموع الكافرة التي تجندت على الانبياء في الماضي وخبرهم ما صدر عنهم من التمادى في الكفر والضلال وما حصل بها من العذاب والنكال (فرعون وثمود) بدل من الجنود يعني مع أنه غير مطابق ظاهرا للمبدل منه في الجمعية لان المراد بفرعون هو وقومه وقد يجعل من حذف المضاف بمعنى جنود فرعون أي هل أتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا من التكذيب وما فعل بهم من التعذيب فذكر قومك بشؤن الله وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم وقد كانوا سمعوا قصة فرعون وجنوده قوم موسى عليه السلام ورأوا آثار هلاك ثمود قوم صالح عليه السلام لانها كانت في ممرهم وفي بلادهم وأخر ثمود مع تقدمه على فرعون زمانا لرعاية الفواصل قال القاشاني هل أتاك حديث المحجوبين اما بالانانية كفرعون ومن يدين بدينه أو بالآثار والاغيار كثمود ومن يتصل بهم (بل الذين

كفروا

كفروا) من قومك (فى تكذيب) اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم أشد منهم فى الكفر والطغيان وتنكير تكذيب للتعظيم كأنه قيل ليسوا مثلهم فى ذلك بل هم أشد منهم فى استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستقرون فى تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا أنهم يكذبون بوقوع الحادثة بل يكذبون كون ما نطق به قرآنا من عند الله مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة * وفى التأويلات النجمية فى تكذيب لاشتمال خلقهم وجبلتهم على صفة الكذب والتكذيب ومن جبل على صفة لا يقدر على مفارقتها الا القليل من الكمل كما قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا أى فى الاستعداد فما له من نور * خوى بد در طبيعتى كه نشست * نرود جز بوقت مرك از دست * وفيه اشارة الى تكذيب المنكرين لاهل الحق ووقوفهم مع حالهم واحتجابهم عن حال من فوقهم (والله من ورائهم) من خلفهم (محيط) بهم بالقدرة وهو تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله بعدم فوت المحاط المحيط اذا سد عليه مسلكه بحيث لا يجد مهربا منه * وفى التأويلات النجمية محيط والمحيط ولا يفوته المحاط ولا يفوت المحيط شىء لاحاطة الله سبحانه عند العارفين بالكافرين بل الموجودات كلها عبارة عن تجليه بصور الموجودات فهو سبحانه بأحديته جميع أسمائه سار فى الموجودات كلها ذاتا وحياة وعلما وقدرة الى غير ذلك من الصفات والمراد باحاطته تعالى هذه السراية ولا يعزب عنه ذرة فى السموات والارض وكل ما يعزب عنه يلتحق بالعدم وقالوا هذه الاحاطة ليست كاحاطة الظرف بالمظروف ولا كاحاطة الكل بأجزائه ولا كاحاطة الكلى بجزئياته بل كاحاطة الملزوم بلازمه فان التعينات اللاحقة لذاته المطلقة انما هى لوازم له بواسطة أو بغير واسطة وبشرط أو بغير شرط ولا تقدح كثرة اللوازم فى وحدة الملزوم ولا تنافيها والله أعلم بالحقائق (بل هو قرآن مجيد) أى ليس الامر كما قالوا بل هذا الذى كذبوا به قرآن شريف عالى الطبقة فيما بين الكتب الالهية فى النظم والمعنى متضمن للمكارم الدنيوية والاخروية (فى لوح محفوظ) أى من التحريف ووصول الشياطين اليه واللوح كل صحيفة عريضة خشبا أو عظما كما فى القاموس قال الراغب اللوح واحد ألواح السفينة وما يكتب فيه من الخشب ونحوه والمراد به هنا ما قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين مرة يحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وفى صدر اللوح لا اله الا الله وحده ودينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن به وصدق وعده واتبع رسله أدخله الجنة * وفى التأويلات النجمية بل المتلو المقروء على الكفار والمنافقين قرآن عظيم مجيد شريف مثبوت فى لوح القلب المحمدى وفى ألواح قلوب ورثته الاولياء العارفين المحبين العاشقين محفوظ من تحريف أيدى النفس الكافرة والهوى الماكر وسائر القوى البشرية السارية فى أقطار الوجود الانسانى وقد قال تعالى وانا له لحافظون أى فى صدور الحفاظ وقلوب المؤمنين

تمت سورة البروج بعون الله الذى اليه الرجوع والعروج وقت عصر الاحد السادس من شهر مولد النبى عليه السلام من سنة سبع عشرة ومائة وألف

(سورة الطارق سبع عشرة أو ست عشرة آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء والطارق) الطارق فى الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردى وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة لانه يطرق بها الحديد وسمى الطريق طريقا لانه يضرب بالرجل وسمى قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا حيث ان الابواب مغلقة فى الليل ثم اتسع فى كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع فى التوسع حتى أطلق على الصور الخيالية البادية بالليل والمراد هنا الكوكب البادى بالليل قال الراغب عبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل قالت هند بنت عتبة يوم أحد

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق أى أبونا كالنجم شرفا وعلوا وقال الشاعر

يا راقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد يطرقن أسحارا

لا تفرحن بليل طاب أوله * فرب آخر ليل أجج النارا

قال سهل رحمه الله وما طرق على قلب محمد من زوائد البيان والانعام * وفى التأويلات النجمية يشير الى سماء القلب وطروق كواكب الواردات القلبية والالهامات الغيبية العظيمة الشأن القوية البرهان ولفخامة أمره وشهامة قدره عقبه بقوله (وما أدراك ما الطارق) أى أى شئ أعلمك بالطارق فانه لا يناله ادراك الخلق الا بالتلقى من الخلاق العليم كأنه قيل ما هو فقيل هو (النجم الثاقب) النجم الكوكب الطالع والثقب بالفارسية سوراخ كردن والثقوب والثقابة افروخته شدن آتش يقال ثقبه ثقبا جعل فيه منفذا ومسلكا ونفذ فيه وثقبت النار تثقب ثقوبا اتقدت واشتعلت وثقب النجم أضاء وشهاب ثاقب أى مضئ * وعبر عن الطارق أولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه والمعنى النجم المضئ فى الغاية يعنى ستارة رخشنده وفروزان چون شعله آتش لانه يثقب بنوره واضاءته ما يقع عليه من الظلام أو الافلاك وينفذ فيها والمراد الجنس وهو قول الحسن رحمه الله لان لكل كوكب ضوأ ثاقبا لا محالة أى فى نفسه وان حصل التفاوت بالنسبة أقسم الله بالسماء وبكواكبها الدالتين على قدرته وحكمته أو المعهود بالثقب فهو من باب ركب السلطان وهو زحل الذى فى السماء السابعة لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات أو كوكب الصبح أو الثريا لان العرب تسميه النجم أو الشهاب چنانچه آورده اند كه شبى حضرت رسول صلى الله عليه وسلم نشسته بود با عم خود أبو طالب ناگاه ستاره بدرخشيد وشعله آتش عظيم از وظاهر شد أبو طالب بترسيد وگفت اين چه چيزست حضرت پيغمبر عليه السلام فرمود كه اين ستاره ايست كه ديورا از آسمان مى رانند ونشانه ايست از قدرتهاى الهى فى الحال جبريل نازل شد بدين آيت كه والسماء والطارق وفيه اشارة الى كوكب اسم الجمال الثاقب الطارق وكوكب اسم الجلال وقال القاشانى أى الروح الانسانى والعقل الذى يظهر فى ظلمة النفس وهو النجم الذى يثقب ظلمتها وينفذ فيها ويبصر بنوره ويهتدى به كما قال وبالنجم هم يهتدون (ان كل نفس لما عليها حافظ) جواب للقسم وما بينهما اعتراض جئ به لتأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا قال الزجاج استعملت لما فى موضع الا فى موضعين أحدهما بعد ان النافية والآخر فى باب القسم تقول سألتك لما فعلت بمعنى الا فعلت وعدى الحفظ بعلى لتضمنه معنى الهيمنة والمعنى ما كل نفس من النفوس الطيبة والخبيثة انسية أو جنية الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله تعالى كما قال الله

تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا آورده اند كه در مكه زنى بود فاجره وكفت من طاوس يمانى را بر كردانم از راه طاعت ودر معصيت كشم وطاوس مردى نيكو روى بود وخوش خلق وخوش طبع آن زن بر طاوس امد وبا وى سخن دركرفت بر سبيل مزاح طاوس بدانست كه مقصود وى چيست كفت آرى صبر كن تا بفلان جايكاه آييم چون بدان جايكاه رسيدند طاوس كفت اكر ترا مقصودى هست اينجا تواند بود آن زن كفت سبحان الله اين چه جاى آن كار است انجمنكاه خلق ومجمع نظاركيان طاوس كفت أليس الله يرانا فى كل مكان أى زن از ديد ار مردم شرم دارى واز ديدار الله كه عالمى نكردى خود شرم ندارى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله اين سخن در زن كرفت وتوبه كرد واز جمله اوليا كشت (وحكى) ان ابن عمر رضى الله عنهما مر بغلام يرعى غنما فقال له بعنى شاة فقال انها ليست لى فقال له ابن عمر قل أكلها الذئب فقال الغلام فأين الله فاشتراه ابن عمر واشترى الغنم وأعتقه ووهب له الغنم وبقى ابن عمر مدة طويلة يقول قال ذلك العبد فأين الله فصاحب المراقبة يدع من المعاصى حياء منه تعالى وهيبة له أكثر مما يدعه من يترك المعاصى بخوف عقوبته وقيل المراد بالحافظ هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما فى قوله تعالى وان عليكم لحافظين وآنكه كه بر مصطفى صلى الله عليه وسلم عرضه ميكنند چنانكه در خبر است كه رسول الله عليه السلام فرمود تعرض على أعمالكم فما كان من حسنة حمدت الله عليه وما كان من سيئة استغفرت الله لكم (وروى) عن النبى عليه السلام وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقرئ لما مخففة على أن ان مخففة وما مزيدة واللام فاصلة بين المخففة والنافية أى ان الشأن كل نفس لعليها حافظ رقيب وفى الآية تخويف للنفوس من الامور الضارة وترغيب فى الشؤن النافعة وفى بعض التفاسير يحتمل أن يكون المراد من النفس أعم من نفس المكلف من الانسان والجن ومن نفس غير المكلف لعموم الحفظ من بعض الوجوه ومن الكل فيشمل النفوس الحيوانية مطلقا بل كل شيء سوى الله بناء على أن المراد من النفس الذات فان نفس كل شيء ذاته وذاته نفسه ومن الحافظ هو الله لان الحافظ لكل شيء عالم بأحواله موصل اليه منافعه ودافع عنه مضاره والحفيظ من العباد من يحفظ جوارحه وقلبه ويحفظ دينه عن سطوة الغضب وحلاوة الشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان فانه على شفا جرف هار وقد اكتنفته هذه المهلكات المفضية الى البوار ومن خواص الاسم الحفيظ أن من علقه عليه لو نام بين السباع ماضرته قال القاشانى الحافظ هو الله ان أريد بالنفس الجملة وان أريد بها النفس المصطلح عليها من القوة الحيوانية فحافظها الروح الانسانى (فلينظر الانسان) ليتفكر الانسان المركب من الجهل والنسيان المنكر للنشور والحشر والميزان (مم) أى من أى شيء فاصله عما حذفت الالف تخفيفا كما مر فى عم (خلق) حتى يتضح أن من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على اعادته بل أقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملى على حافظه ما يرديه (خلق من ماء دافق) استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كأنه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذى دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة وبالفارسية ريزانيدن آب وبابه نصر وانما أول بالنسبة لان الصب لا يتصور من النطفة لظهور أنها مصبوبة

لاصابة فتوصيفه بأنه دافق لمجرد نسبة مبدا الاشتقاق الى ذات الموصوف به مع قطع النظر عن صدوره منه وقال بعضهم أى مدفوق ومصبوب فى الرحم نحو سر كاتم أى مكتوم وعيشة راضية أى مرضية فهو فاعل بمعنى المفعول والمراد به الممتزج من الماءين فى الرحم كما ينبئ عنه مابعده من الآية والنظر الى امتزاجهما عبر عنهما بصيغة الافراد ووصف الماء الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف بعض أجزائه (يخرج) ذلك الماء الدافق (من بين الصلب والترائب) الصلب الشديد وباعتباره سمى الظهر صلبا أى من بين ظهر الرجل وترائب المرأة وهى ضلوع صدرها أو عظام نحرها حيث تكون القلادة وكل عظم من ذلك تريبة وعن على وابن عباس رضى الله عنهما بين الثديين وفى القاموس الترائب عظام الصدر أو ما ولى الترقوتين منه أو ما بين الثديين والترقوتين أو أربع اضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته أو اليدان والرجلان والعينان أو موضع القلادة انتهى ومن ذلك يتحمل الوالد مصالح معيشة الولد وتشتد رقة الوالدة ومحبتها للولد وايراد بين اشارة الى ما يقال ان النطفة تتكون من جميع أجزاء البدن ولذلك يشبه الولد والديه غالبا فيجتمع ماء الرجل فى صلبه ثم يجرى منه ويجتمع ماء المرأة فى ترائبها ثم يجرى منها وفى قوت القلوب أصل المنى هو الدم يتصاعد فى خرزات الصلب وهنالك مسكنه فتنضجه الحرارة فيستحيل أبيض فاذا امتلأت منه خرزات الصلب وهو الفقار طلب الخروج من مسلكه وهو عرقان متصلان الى الفرج منهما ينزل المنى وفى اسئلة الحكم بين طريق البول وطريق المنى جلد رقيق يكاد لا يتشخص كيلا يختلط المنى بماء البول فيفسد حرارة جوهره وفى التأويلات النجمية خلق الانسان من ماء رطوبة النفس الرحمانى الذى أشار اليه عليه السلام بقوله انى أجد نفس الرحمن من قبل اليمن دافق هذا الماء من فم فوارة المحبة المشار اليها بقوله تعالى كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق الخارج من بين الصلب أى صلب رجل القوة الفاعلية الالهية المسماة باليد اليمنى فى قوله ثم مسح بيده اليمنى على جانب الظهر الايمن فاستخرج منه ذرية بيضاء كالفضة البيضاء والترائب وترائب امرأة القابلية المسماة باليد اليسرى فى قوله ثم مسح بيده اليسرى على جانب الظهر الايسر فاستخرج منه ذرارى حما سودا فهو الانسان المخلوق على صورة ربه وخالقه من ماء الفيض والقبول المخمر بيدى الفاعلية والقابلية المشار اليهما بقوله خمرت طينة آدم بيدى أربعين صباحا (انه) الضمير للخالق فان قوله خلق يدل عليه أى ان ذلك الذى خلق الانسان ابتداء مما ذكر (على رجعه) أى اعادته بعد موته (لقادر) أى لبين القدرة بحيث لا يرى له عجز أصلا وتقديم الجار والمجرور على عامله وهو القادر للاهتمام به من حيث ان الكلام فيه بخصوصه فهو لا ينافى قادريته على غيره قال بعضهم خلقه لاظهار قدرته ثم رزقه لاظهار الكرم ثم يميته لاظهار الجبروت ثم يحييه لاظهار الثواب والعقاب (يوم تبلى السرائر) ظرف لرجعه ولا يضر الفصل بالاجنبى للتوسع فى الظروف والسرائر جمع سريرة بمعنى السر وهى التى تكتم وتخفى أى يتعرف ويتصفح ما أسر فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وبالفارسية روزى كه آشكارا كرده شود نهانها يعنى ظاهر كند مخفيات ضمائر وأعمال تا طيب آن از خبيث متميز كردد * كر برده ز روى كار ما بردارند * آن كيست كه رسواى دو عالم نشود * والابلاء هو الابتلاء والاختبار

واطلاق الابلاء على الكشف والتمييز من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب لان الاختبار يكون للتعرف والتمييز وابتلاء الله عباده بالامر والنهى يكون بكشف ما علم منهم فى الازل وقال بعضهم المراد بالسرائر الفرائض كالصوم والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة فانها سر بين العبد وبين ربه ولو شاء العبد أن يقول فعلت ذلك ولم يفعله أمكنه وانما تظهر صحة تلك السرائر يوم القيامة قال ابن عمر رضى الله عنهما يبدى الله يوم القيامة كل سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى من أدّى الامانات كان وجهه مشرقا ومن ضيعها كان وجهه أغبر (فماله) أى للانسان وما نافية (من قوة) فى نفسه يمتنع بها من العذاب الذى حل به (ولا ناصر) من خارج ينتصر به اذ كل نفس يومئذ رهينة بما كسبت مشغولة بجزاء ما جرت عليه خيرا كان أو شرا فالمراد بالقوة المنفية هى القوة الثابتة له فى نفسه لا القوة مطلقا والا لم يبق للعطف فائدة لان القوة المستفادة من الغير قوة أيضا وقد نفيت أولا والقوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف وفى التعريفات هى تمكن الحيوان من الافعال الشاقة ونصر المظلوم أعانه ونصره منه نجاه وخلصه وفيه اشارة الى القوة بحسب نية الباطن وعمل الظاهر فالنية الخالصة المجردة عن العمل قد تنصر الناوى أيضا لكن اذا قارنت العمل كانت أقوى (والسماء ذات الرجع) ذات مؤنث ذو بمعنى الصاحب والرجع المطر سمى رجعا لان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض أو أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه أوبا اليؤب فيكون الرجع مصدرا من اللازم بمعنى الرجوع لا من المتعدى قاله بعض العلماء أو لان الله يرجعه وقتا فوقتا بعد ايجاده واحداثه وقال الراغب سمى المطر رجعا لرد الهواء ما تناوله من الماء وفى كشف الاسرار لانه يرجع كل عام ويتكرر وقال عبد القاهر الجرجانى فى كتاب اعجاز القرآن انما قال للسماء ذات الرجع لان شمسها وقمرها يغيب ويطلع وبعض نجومها يرجع (والارض ذات الصدع) هو ما تتصدع عنه الارض من النبات اذ الحاكى للقشور وهو تشقق الارض وظهور النبات منها لا اظهار العيون فالمراد بالصدع نبات الارض سمى به لانه صادع للارض والارض تتصدع به والصدع فى اللغة الشق وفى المفردات الشق فى الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما وفى الآية اشارة الى أن السماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام وما ينبت من الارض كالولد أقسم الله بالسماء أولا مجردة عن التوصيف وثانيا مقيدة بكونها ذات الرجع وكذا بالارض ذات الصدع ايماء الى المنة عليهم بكثرة المنافع ودلالة على العلم التام والقدرة الكاملة فيهما * وفيه اشارة الى سماء الروح ذات الرجع فى النشأة الثانية وأرض البدن ذات الصدع بالانشقاق عن الروح وقت زهوقه أو الشق بعد اتصاله (انه) أى القرآن الذى من جملته ما تلى من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده (لقول) الكلام اذ القول كثيرا ما يكون بمعنى المقول (فصل) أى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى ذلك كأنه نفس الفصل كما قيل له فرقان بمعنى الفارق (وما هو بالهزل) الهزل اللعب وفى فتح الرحمن ما استعمل فى غير ما وضع له من غير مناسبة والجد ضده وهو أن يقصد به المتكلم حقيقة كلامه أى ليس فى شئ من القرآن شائبة هزل بل كله جد محض لا هزل فيه فمن حقه أن يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة وبالفارسية ونيست او بازى وباطل وفسوس وسخريه ويظهر من الآية ان من

يوم القرآن بهزل أو يتفكه بمزاح يكفر وفى هدية المهديين اذا أنكر رجل آية من القرآن أو سخر بها أو عابها فقد كفر ومن قرأ القرآن على ضرب الدف أو القصب فقد كفر ولو قال ألم نشرح لك را كريبان كرفته او قال پوست از قل هو الله أحد بردى او قال اين كوته ترازانا أعطيناك أو قيل لم لم تقرأ القرآن فقال سير شدم از قرآن فهذا كله وأمثاله كفر ينبغى لله ومن أن يحترز منه ويجتنب عنه (انهم) أى أهل مكة ومعاندى قريش (يكيدون) فى ابطال أمره واطفاء نوره يعنى مكر ميكنند در شان رسول وحق قرآن (كيدا) حسبما فى قدرتهم (وأكيد كيدا) أى أقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث أستدرجهم من حيث لا يعلمون وكيد المحدث العاجز الضعيف لا يقاوم كيد القديم القادر القوى فتسمية الاستدراج والانتقام فى الدنيا بالسيف وفى الآخرة بالنار كيدا من باب المشاكلة لوقوعه فى مقابلة كيدهم جزاء له والا فالكيد وهو المكر والاحتيال لا يجوز اسناده اليه تعالى مرادا به معناه الحقيقى وتسمية جزاء الشئ باسم ذلك الشئ على سبيل المشاكلة شائع كثير (فمهل الكافرين) أى لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك ولا تستعجل به يعنى مهلت ده كافرانرا وتعجيل مكن در طلب هلاك ايشان (أمهلهم) بدل من مهل وهما أى التمهيل والامهال لغتان كما قال تعالى ومهلهم قليلا (روى) عن همام مولى عثمان رضى الله عنه انه قال لما كتبوا المصحف شكوا فى ثلاث آيات فكتبوا فى كتف شاة وأرسلونى الى أبى بن كعب وزيد بن ثابت رضى الله عنهما فدخلت عليهما فناولتها أبيا فقرأها فاذا فيها لا تبديل للخلق فكتب لا تبديل لخلق الله وكان فيها لم يتسن فكتب لم يتسنه وكان فيها فأمهل الكافرين فمحا الالف وكتب فمهل الكافرين ونظر فيها زيد بن ثابت فانطلقت بها اليهم فأثبتوها فى المصحف وفيه اشارة الى ان الله تعالى حافظ للقرآن من التحريف والتبديل لانه أثبته فى صدور الحفاظ والى ان المشكلات يرجع فيها الى أهل الحل (رويدا) يقال أرود يرود اذا رفق وتأنى ومنه بنى رويد كما فى المفردات وفى الارشاد هو فى الاصل تصغير رود بالضم وهو المهل أو ارواد مصدر أرود بالترخيم وهو اما مصدر مؤكد لمعنى العامل أو نعت لمصدره المحذوف أى أمهلهم امهالا رويدا أى قريبا أو قليلا يسيرا فان كل آت قريب كما قالوا كرچه قيامت دير آيد ولى مى آيد وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما فيه من الرمز الى قرب وقت الانتقام من الاعداء وفى كشف الاسرار وما كان بين نزول هذه الآية وبين وقعة بدر الا زمان يسير (حكى) انه دخل ابن السماك على هرون الرشيد فطلب هرون منه العظة وقد جلس فى حصير فقال يا أمير المؤمنين لتواضعك فى شرفك أفضل من شرفك قال الرشيد ما سمعت شيأ أحسن من هذا فقال بلى يا أمير المؤمنين من أعطى مالا وجمالا وسلطانا وشرفا فتواضع فى شرفه وعف فى جماله وواسى من فضل ماله وعدل فى سلطانه كتب فى ديوان الخالصين فدعا الرشيد بالقرطاس فكتبها ثم قال زدنى فقال يا أمير المؤمنين لقد أمهل حتى كأنه أهمل ولقد ستر حتى كأنه غفر ثم قال يا أمير المؤمنين هب كان الدنيا كلها فى يديك والاخرى مثلها انضمت اليك هب كان الشرق والغرب يجبى اليك فاذا جاء ملك الموت فاذا فى يديك قال زدنى فقال لم يبق من لدن آدم الى يومنا هذا أحد الا وقد ذاق الموت قال زدنى فقال انهما موضعان اما جنة واما نار قال حسبى ثم غشى عليه قال ابن السماك دعوه حتى يموت فلما أفاق أمر له بجائزة فقيل له

انه قال كذا فسأله الرشيد عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين اى شئ أحسن من أن يقال ان أمير المؤمنين مات من خشية الله فاستحسن كلامه واحترمه (قال الحافظ) بهلتى كه سپهرت دهد زراه مرو * ترا كه گفت كه اين زال ترك دستان كرد * فطوبى لمن قصر أمله وطال عمره وحسن عمله والله نسأل أن لا يجعلنا من المغترين

(تمت سورة الطارق باعانة خالق النجوم البوارق يوم الاحد الرابع عشر من شهر ربيع الاول من سنة سبع عشرة ومائة وألف)

(سورة الاعلى تسع عشرة آية مكية عند الجمهور)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح اسم ربك الأعلى) التسبيح التنزيه واسم الله لا يصح أن يطلق عليه بالنظر الى ذاته أو باعتبار صفة من صفاته السلبية كالقدوس أو الثبوتية كالعليم أو باعتبار فعل من أفعاله كالخالق ولكنها توقيفية عند بعض العلماء وقد سبق والأعلى صفة للرب ويجوز أن يكون صفة للاسم والاول أظهر ومعنى علوه تعالى أن يعلو عن أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين ومعنى أعلويته أن له الزيادة المطلقة فى العلو قال بعضهم ليس علوه علو جهة ولا كبره كبر جثة سبحانه عن ذلك بل علو استحقاق لنعوت الجلال والكبرياء فمن عرف علوه وكبرياءه تواضع وتذلل بين يديه وبين يدى عباده الصالحين والمعنى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة نحو أن يجعل الاعلى من العلو فى المكان لا من العلو فى الكمال وأن يؤخذ الاستواء بمعنى الاستقرار لا بمعنى الاستيلاء وكذا نزهه عن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه كان يسمى الصنم والوثن بالرب والاله ومنه تسمية العرب مسيلمة الكذاب برحمان اليمامة وكذا نزهه عن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال ويدخل فيه أن يذكر اسمه عند التثاؤب وحال الغائط وكذا بالغفلة وعدم الوقوف على معناه وحقيقته ومنه اكثار القسم بذكر اسمه من غير مبالاة وقال جرير فى الآية ارفع صوتك بذكره أى بذكر اسمه فان ذكر المدلول انما هو بذكر الاسم الدال عليه فظهر من هذا التقرير أن الاسم غير مقحم وقال بعضهم الاسم والمسمى هنا واحد أى نزه ذاته عما يدخل فى الوهم والخيال وفى الحديث لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت وفى الحديث دلالة على أن لفظ الاسم مقحم قاله سعدى المفتى وعلى أن الامتثال بالامر يحصل بأن يقول سبحان ربى العظيم والأعلى بدون قراءة النظم ولذا قرأ على وابن عمر رضى الله عنهم سبحان ربى الاعلى الذى الخ فان قوله سبح أمر بالتسبيح فلابد وأن يذكر ذلك التسبيح وما هو الا قول سبحان ربى الأعلى ومثله سبحان ربك رب العزة فان معناه نزه ربك رب العزة فيحصل الامتثال بأن يقول سبحان ربنا رب العزة على معنى تنزه ربنا رب العزة وقس على ذلك سائر المواقع المأمور بها وسر اختصاص سبحان ربى العظيم بالركوع والاعلى بالسجود أن الاول اشارة الى مرتبة الحيوان والثانى اشارة الى مرتبة النبات والجماد فلابد من الترقى فى التنزيه وكان عليه السلام وجيوشه

اذا علوا الثنايا كبروا واذا هبطوا سبحوا فوضعت الصلاة على ذلك قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوى قدس سره فى شرح الحديث اعلم ان الرفعة والارتفاع استعلاء وأنه من التكبر فان كان الاستعلاء ظاهرا فهو صورة من صور التكبر وان كان باطنا فهو معنى التكبر ولما كان الكبرياء لله وحده وكان فى الصعود على الثنايا ضرب من الاستعلاء وجود وشبيه به أيضا لذلك سن التكبير فيه أى ان الله أكبر وأعلى من أن يشارك فى كبريائه وان ظهرنا بصورة حال يوهم الاشتراك وأما الامر بالتسبيح فى الهبوط فهو من أجل سر المعية المشار اليها بقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فاذا آمنا انه معنا أينما كنا فحال كوننا فى هبوط يكون معنا وهو يتنزه عن التحت والهبوط لانه سبحانه فوق التحت كما انه فوق الفوق ونسبة الجهات اليه على السواء لنزاهته عن التقيد بالجهات واحاطته بها فلهذا شرع التكبير فى الصعود والتسبيح فى الهبوط على الوجه المنبه عليه انتهى وأول من قال سبحان ربى الاعلى ميكائيل عليه السلام وذلك انه خطر بباله عظمة الرب تعالى فقال يارب أعطنى قوة حتى أنظر الى عظمتك وسلطانك فأعطاه قوة أهل السموات فطار خمسة آلاف سنة حتى احترق جناحه من نور العرش ثم سأل القوة فأعطاه قوة ضعف ذلك وجعل يطير ويرتفع عشرة آلاف سنة حتى احترق جناحه وصار فى آخره كالفرخ ورأى الحجاب والعرش على حاله فخر ساجدا وقال سبحان ربى الاعلى ثم سأل ربه أن يعيده الى مكانه والى حالته الاولى ذكره أبو الليث فى تفسيره وقال النبى عليه السلام ياجبرائيل أخبرنى عن ثواب من قال سبحان ربى الاعلى فى صلاته أو فى غير صلاته فقال يامحمد مامن مؤمن ولا مؤمنة يقولها فى سجوده أو فى غير سجوده الا كانت له فى ميزانه أثقل من العرش والكرسى وجبال الدنيا ويقول الله صدق عبدى أنا الاعلى وفوق كل شئ وليس فوقى شئ اشهدوا ياملائكتى أنى قد غفرت لعبدى وأدخلته جنتى فاذا مات زاره ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فيوقفه بين يدى الله فيقول يارب شفعنى فيه فيقول قد شفعتك فيه اذهب به الى الجنة ذكره ابن الشيخ فى حواشيه وفى الحديث (سبحان الله والحمد لله يملآن ما بين السموات والارض) أى لاشتمال هاتين الكلمتين على كمال الثناء والتعريف بالصفات الذاتية والفعلية الظاهرة الآثار فى السموات والارض وما بينهما وقال القاشانى اسمه الاعلى والاعظم هو الذات مع جميع الصفات أى نزه ذاتك بالتجرد عما سوى الحق وقطع النظر عن الغير ليظهر عليها الكمالات الحقانية بأسرها وهو تسبيحه الخاص به فى مقام الفناء لان الاستعداد التام القابل لجميع الصفات الالهية لم يكن الا له فذاته هو الاسم الاعلى عند بلوغ كماله ولكل شئ تسبيح خاص يسبح به اسما خاصا من أسماء ربه (الذى خلق فسوى) صفة أخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثانى لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره أى خلق كل شئ فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتسنى معاشه وقال القاشانى أنشأ ظاهرك فعدل بنيتك على وجه قبلت بمزاجه الخاص الروح الاتم المستعد لجميع الكمالات * وفى التأويلات النجمية خلق كل شئ بحسب الوجود فسوى تسويته بما يصل الفيض الالهى المعد له بحسب استعداده الفطرى وقال بعضهم خلق الخلق فسوى بينهم فى الخلقة وميز بينهم باختصاص بعضهم بالهداية (والذى قدر) معطوف على الموصول الاول أى قدر

أجناس الاشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها كما قال عليه السلام
ان الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة أى جعل أجناس
الاشياء وكذا أشخاص كل نوع بمقدار معلوم وكذا جعل مقدار كل شخص فى جثته وأوضاعه
وسائر صفاته كالحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة والالوان والاشكال
والطعوم والروائح والارزاق والآجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال وان من شئ الا عندنا
خزائنه وماننزله الا بقدر معلوم (فهدى) فوجه كل واحد منها الى مايصدر عنه وينبغى له طبعا
أو اختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ولو
تتبعت أحوال النباتات والحيوانات لرأيت فى كل منها مايحار فيه العقول (يحكى) ان الافعى
اذا بلغت ألف سنة عميت وقد ألهمها الله أن تمسح عينيها بورق الرازيانج الغض فيرد اليها بصرها
فربما كانت عند عروض العمى لها فى برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها على
طولها وعلى عماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لاتخطئها فتحك عينيها بورقها
وترجع باصرة باذن الله تعالى (ويحكى) ان التمساح لايكون له دبر وانما يخرج فضلات مايأكله
من فيه حيث قيض الله له طائرا قدر الله غذاءه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر
فيأكل مافيه وقد خلق الله له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه
والتمساح خلق كالسلحفاة ضخم يكون بنيل مصر وبنهر مهران فى السند كما فى القاموس
ويختطف البهائم والآدميين وربما بلغ طوله عشرين ذراعا وهو يبيض فى البر فما وقع من ذلك
فى الماء صار تمساحا ومابقى صار سقنقورا وهى دابة بمصر شكلها كالوزغة على عظم خلقته وهو
أنفس مايهدى الملوك الهند فانهم يذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر ويحملونه
كذلك الى أرضهم فاذا وضعوا مثقالا من ذلك على بيض أولحم وأكل نفع ذلك نفعا بليغا
والسقنقور والضب والسلحفاة للذكر منها ذكران وللانثى فرجان ومن عجائب هداياته تعالى أن
القطا وهو طائر يترك فراخه ثم يطلب الماء من مسيرة عشرة أيام وأكثر فيرده فيما بين طلوع الفجر
الى طلوع الشمس ثم يرجع فلا يخطئ لاذهابا ولا ايابا والجمل والحمار اذا سلكا طريقا فى الليلة
الظلماء ففى المرة الثانية لايخطئان والدب اذا ولدت ولدها رفعته فى الهواء يومين خوفا من النمل
لانها تضعه قطعة لحم غير مميزة الجوارح ثم يتميز أولا فأولا واذا جمع العقرب والفأرة فى اناء زجاج
قرضت الفأرة ابرة العقرب فتسلم منها (وحكى) ان ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة ولم يزل
يتبعها حتى انتهت الى رأس الغصن ولم يبق مهرب فنزلت على ورقة وعضت طرفها وعلقت
نفسها فعند ذلك صاح ابن عرس فجاءته زوجته فلما انتهت الى تحت الشجرة قطع ابن عرس
الورقة التى عضتها الفأرة فسقطت فاصطادها ابن عرس الذى كان تحت الشجرة والفأرة تدخل
ذنبها فى قارورة الدهن ثم تلحسه والثعلب اذا اجتمع فى جلده البق الكثير والبعوض يأخذ بفيه
قطعة جلد من الحيوان فينغمس فى الماء فاذا اجتمعت فى الفرو ألقاه فى الماء وخرج سالما
والعنكبوت تبنى بيتها على وجه عجيب غير مقدور والبشر لايقدر على بناء البيت المسدس الا
بالبركار والمسطر والنحل تبنى تلك البيوت من غير آلة والنمل تسعى لاعداد الذخيرة لنفسها فاذا
أحست بنداوة المكان تشق الحبة نصفين لئلا تنبت واذا وصلت النداوة اليها تخرجها الى

الشمس لتجف قال بعضهم رأيت غواصا وهو طائر غاص وطلع بسمكة فغلبه الغراب عليها فأخذها منه فغاص مرة أخرى فطلع فأخذها منه الغراب وفى الثالثة كذلك فلما اشتغل الغراب بالسمكة وثب الغواص فأخذ برجل الغراب وغاص به تحت الماء حتى مات الغراب وخرج هو من الماء وفى الحديث لاتشوبوا اللبن بالماء فان رجلا كان فيمن كان قبلكم يبيع اللبن ويشوبه بالماء فاشترى قردا وركب البحر حتى اذا لجج فيه ألهم الله القرد فأتى صرة الدنانير فأخذها وصعد الدقل وهو سهم السفينة ففتح الصرة وصاحبها ينظر اليه فأخذ دينارا ورمى به فى البحر ودينارا فى السفينة حتى قسمها نصفين فألقى ثمن الماء فى الماء وفى عجائب المخلوقات ان شخصا قتل شخصا بأصفهان وألقاه فى بئر وللمقتول كلب يرى ذلك فكان يأتى كل يوم الى رأس البئر وينحى التراب عنها واذا رأى القاتل نبح عليه فلما تكرر منه ذلك حفروا الموضع فوجدوا القتيل ثم أخذوا الرجل فأقر فقتل به ومن عجيب شجرة النخل أن يعرض لها العشق وهى أن تميل الى نخلة أخرى فيخف حملها وتهزل وعلاجها أن يشد بينها وبين معشوقها الذى مالت اليه بحبل أو يعلق عليها سعفة منه أو يجعل فيها من طلعه وأمثال هذا لاتحيط بها العبارة والتحرير كثرة

(والذى أخرج المرعى) أى أنبت بكمال قدرته ماترعاه الدواب غضا طريا من بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض وقال ابن عباس رضى الله عنه المرعى الكلأ الاخضر وفى الصحاح الرعى بالكسر الكلأ وبالفتح المصدر والمرعى الرعى والمصدر (فجعله) بعد ذلك (غثاء) أى دريناوهو كالمعيبيس كل حطام حمض أوشجر أوبقل قال الجوهرى الغثاء بالضم والمد مايحمله السيل من القماش والقمش جمع الشئ من ههنا وههنا وذلك الشئ قماش ماعلى وجه الارض من فتات الاشياء حتى يقال لرذالة الناس قماش وبالفارسية خشك وپژمرده (أحوى) أسود من الحوة بمعنى السواد وذلك ان الكلأ اذا جف ويبس اسود سواء كان جفافه واسوداده بتأثير حرارة الشمس أو برودة الهواء وايراد الفاء التعقيبية اشارة الى قصر مدة الخضرة ورمز الى قصر مدة العمر وسرعة زوال الدنيا ونعيمها يعنى محققان از مضمون اين آيت فهم كرده اندكه چرا كاه متمتعان دنيا اكرچه دراول تازه وسيراب وسبز وخرم نمايد اما اندك زوقتى را بسبب هبوب رياح خزان حوادث تيره وبى طراوت خواهد بود * اكرچه خرم وتازست كلبن دنيا * ولى بنكبت باد خزان نمى ارزد * بكرده خور وقرص قمر زجاى مرو * كه خوان چرخ يك تاى نان نمى ارزد * وفيه اشارة الى زينة الحياة الدنيا ومنافعها وما كلها ومشاربها فانها مرعى النفس الحيوانية ومرتع بهائم القوى جعلها الله سريعة الفناء وشيكة الزوال كالهشيم والحطام البالى المسود فينبغى أن لايلتفت اليها ولايشتغل بها فانها مانعة عن التسبيح الخاص وهو تنزيه الذات وتجريدها عن العلائق وبها يحصل الاحتجاب عن الكمال المقدر فى حق كل أحد

(سنقرئك فلا تنسى) بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته وهى هدايته عليه السلام لتلقى الوحى وحفظ القرآن الذى هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس أجمعين قال الراغب فى المفردات اخبار وضمان من الله تعالى أن يجعله بحيث لاينسى مايسمعه من الحق انتهى والسين اما للتأكيد واما لان

المراد اقراء ما أوحى اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحى فى ضمن الوعد بالاقراء يقال قرأ القرآن فهو قارئ وأقرأه غيره فهو مقرئ أى علمه اياه فهو معلم وفى تاج المصادر الاقراء قرآن كوش فراداشتن وخواننده كردن ومنه سنقرئك انتهى والمعنى سنقرئك ما نوحى اليك الآن وفيما بعد على لسان جبرائيل فلا تنسى أصلا من قوة الحفظ والاتقان وفى كشف الاسرار سنجمع حفظ القرآن فى قلبك وقراءته فى لسانك حتى لا تنسى كقوله ان علينا جمعه وقرآنه (الا ما شاء الله) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى لا تنسى شيأ من الاشياء مما تقرؤه الا ما شاء الله أن تنساه أبدا بأن نسخت تلاوته فان النسخ نوع من الانساء وطريق من طرقه فكأنه بالنسخ محى من الصحف والصدور فالمراد بالنسيان هو النسيان الكلى الدائم بحيث لا يعقبه التذكر بعده ويجوز أن يراد به النسيان المتعارف الذى يعقبه الذكر بعده وهو النسيان فى الجملة على القلة والندرة أى فلا تنسى الا ما شاء الله نسيانه ثم لا يبقى المنسى منسيا دائما بل يعقبه الذكر كما هو المفهوم من المقام ويؤيد هذا المعنى ما روى انه عليه السلام أسقط آية فى قراءته فى الصلاة فحسب أبى رضى الله عنه أنها نسخت فسأله فقال عليه السلام نسيتها (وروى) ان بعض الصحابة رضى الله عنهم كان يقرأ القرآن فى الليل فقال عليه السلام لقد أذكرنى آية أنسيتها ومن هذا كان عليه السلام يقول فى دعائه اللهم ارحمنى بالقرآن العظيم واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله حجة لى يارب العالمين وكان عليه السلام يقول انما أنا بشر أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى وقال تعالى واذكر ربك اذا نسيت ودل الكل على جواز طريان النسيان عليه وان لم يكن سهوه ونسيانه من قبيل سهو الامة ونسيانهم فانه أهل الحضور الدائم روى عن جعفر الصادق رضى الله عنه انه عليه السلام كان يقرأ من الكتاب وان كان لا يكتب وفيه معجزة له عليه السلام فانه كان أميا وقد جعله الله قارئا ثم انه كان يقرأ من الحفظ ومن الصحيفة أيضا من غير تعلم الخط وكان منبع الكمالات كلها حتى انه علم الكتاب الخط وقوانينه وأصحاب الحرف دقائق حرفتهم (انه يعلم الجهر وما يخفى) تعليل لما قبله وما موصولة وكل من الجهر والاخفاء شامل لما كان من قبيل القول والعمل والاخفاء لما فى الضمائر من النيات أى يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التى من جملتها ما أوحى اليك فينسى ما يشاء انساءه ويبقى محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم (ونيسرك لليسرى) عطف على نقرئك واليسرى فعلى من اليسر وهو السهولة ويسرت كذا سهلت وهيأت وضمن نيسرك معنى التوفيق ولذا عدى بدون اللام والا فالعبارة المعتادة أن يقال جعل الفعل الفلانى ميسرا لفلان لا أن يقال جعل فلان ميسرا للفعل الفلانى كما فى الآية فانه قيل ونيسرك لليسرى لا ونيسر اليسرى لك وقال بنون العظمة لتكون عظمة المعطى دليلا على عظمة العطاء وفى الارشاد تعليق التيسير به عليه السلام مع ان الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما فى قوله تعالى ويسر لى أمرى للايذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه السلام جبل عليها كما فى قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له والمعنى ونوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى أى التى هى أيسر وأسهل فى كل باب من

أبواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقى الوحى والاحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى (فذكر ان نفعت الذكرى) أى فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما فى تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله ان نفع التذكير والعظة والنصيحة وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما أن رسول الله عليه السلام طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه جهده حرصا على ايمانهم وكان لا يزيد ذلك بعضهم الا كفرا وعنادا فأمر عليه السلام بأن يخص التذكير بمدار النفع فى الجملة بأن يكون من يذكره كلا أو بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه فى تذكير من لا يزيده التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما فى قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فحرف الشك راجع الى النبى عليه السلام لا الى الله وفى كشف الاسرار ان تجىء فى العربية مثبتة لا الشرط فتكون بدل قد كقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقد علم عليه السلام أن الذكرى تنفع لا محالة اما فى ترك الكفر أو ترك المعصية أو فى الاستكثار من الطاعة فهو حث على ذلك وتنبيه على انها تنفع الا أن يكون مطبوعا على قلبه غير مستعد للقبول فالنفع مشروط بشرط الاستعداد * زمين شوره سنبل برنيارد * درو تخم عمل ضايع مكردان * والحاصل ان التذكير خاص بالمنتفع وذلك فى النهاية وأما فى البداية فعام وما على الرسول الا البلاغ * من آنچه شرط بلاغست باتو ميكويم * تو خواه از سخنم پند كير وخواه ملال * قال القاشانى أجمل فى قوله ان نفعت الذكرى ثم فصل بقوله (سيذكر من يخشى) أى سيتذكر بتذكيرك يعنى زود باشدكه پند پذيرد من من شأنه أن يخشى الله حق خشيته أو من يخشى الله فى الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر فى أمر ما تذكر به فيقف على حقيقته فيؤمن به وفى التفسير الكبير الناس فى أمر المعاد على ثلاثة أقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده ولكنه غير قاطع فيه لا بالنفى ولا بالاثبات ومنهم من أصر على انكاره والقسمان الاولان ينتفعون بالتذكير بخلاف الثالث (ويتجنبها) أى يتبعد من الذكرى ولا يسمعها سماع القبول (الاشقى) أى الزائد فى الشقاوة من الكفرة لتوغله فى عداوة النبى عليه السلام مثل الوليد بن المغيرة وأبى جهل ونحوهما أو الاشقى هو الكافر مطلقا لانه أشقى من الفاسق وروى أن من يخشى هو عثمان بن عفان رضى الله عنه والاشقى رجل من المنافقين وذلك أن المنافق كانت له نخلة مائلة فى دار رجل من الانصار فسقط ثمرها فى داره فذكر ذلك لرسول الله عليه السلام فأرسل الى المنافق ولم يكن يعلم بنفاقه فسأله أن يعطى النخلة للانصارى على أن يعطيه نخلة فى الجنة فقال أبيع عاجلا بآجل لا أفعل فأعطاه عثمان رضى الله عنه حائط نخل له فنزلت الآية كما فى التكملة ونظيره أن رجلا قضى للنبى عليه السلام حاجة فقال ائتنى بالمدينة فأتاه فقال أيما أحب اليك ثمانون من الضأن أو أدعو الله أن يجعلك معى فى الجنة قال بل ثمانون من الضأن قال أعطوه اياها ثم قال ان صاحبة موسى عليه السلام كانت أعقل منك وذلك ان عجوزا دلته على عظام يوسف عليه السلام فقال لها موسى أيما أحب اليك أسأل الله أن تكونى معى فى الجنة أو مائة من الغنم قالت الجنة * هركه بندد مر عطا را صد عوض * زود در بازد عطا راز بى غرض * آرزوى كل بود كل خواره را * كاشكر نكوارد آن بيچاره را (الذى يصلى النار

الكبرى) أى يدخل الطبقة السفلى من طبقات النار وآتش آن از آتش دركات ديكر تيزتر
وسوزنده ترست وآن جاى آل فرعون ومنافقان ومنكران مائدۀ عيسى عليه السلام باشد ونار
صغرى در طبقۀ عليا كه جاى كنهكاران امت محمد مصطفاست عليه السلام فالكبرى اسم
تفضيل لانه تأنيث الاكبر والمفضل هو ما فى أسفل دركات جهنم من النار التى هى نصيب الكفار
كما قال تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار والمفضل عليه ما فى الدركات التى فوقها
فان لجهنم نيرانا ودركات متفاضلة كما أن فى الدنيا ذنوبا ومعاصى متفاضلة فكما أن الكفار أشقى
العصاة كذلك يصلون أعظم النيران وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا يعنى ان المفضل
نار الآخرة والمفضل عليه نار الدنيا لقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم
وقد غمست فى ماء البحر مرتين ليدنى منها وينتفع بها ولولا ذلك مادنوتم منها ويقال انها تتعوذ
بالله من جهنم وأن ترد اليها يقول الفقير الظاهر أن المراد بالنار الكبرى هو العذاب الاكبر فى
قوله تعالى فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو عذاب الآخرة وأما العذاب الاصغر فهو عذاب
الدنيا وعذاب البرزخ فانه يصغر بالنسبة الى عذاب الآخرة قال بعض الحكماء علامة الشقاوة
أشياء كثيرة الاكل والشرب والنوم والاصرار على الذنب وقساوة القلب وكثرة الذنب ونسيان
الرب والوقوف بين يدى الملك الجبار فهذا هو الاشقى الذى يدخل النار الكبرى وفى التأويلات
النجمية النار ناران نار حجاب الدنيا بالاشتغال بالشهوات واللذات وهى الصغرى ونار حجاب
الآخرة وهو الابتلاء بالخذلان والخسران والطرد والهجران كما قال تعالى ومن كان فى هذه
أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا لفوات الاستعداد وقال القاشانى النار الكبرى هى نار
الحجاب عن الرب بالشرك والوقوف مع الغير ونار القهر فى مقام الصفات ونار الغضب والسخط فى
مقام الافعال ونار جهنم الآثار فى المواقف الاربعة من موقف الملك والملكوت والجبروت
وحضرة اللاهوت أبد الآبدين فما أكبر ناره (ثم لا يموت فيها) حتى يستريح (ولا يحيى) حياة
تنفعه كما يقال لمن ابتلى بالبلاء الشديد لا هو حى ولا هو ميت وثم للتراخى من مراتب الشدة لأن
التردد بين الموت والحياة أفظع من نفس الصلى وقال ابن عطاء لا يموت فيستريح من غم القطيعة
ولا يحيى فيصل الى روح الوصلة وفى التأويلات النجمية لا يموت نفسه بالكلية ليستريح من
عقوبات الحجاب والاحتجاب ولا يحيى قلبه بحياة الايمان لكونه فى دار الجزاء لا فى دار التكليف
وقال القاشانى لا يموت لامتناع انعدامه ولا يحيى بالحقيقة لهلاكه الروحانى أى يتعذب دائما
سرمدا فى حالة يتمنى عندها الموت وكلما احترق وهلك أعيد الى الحياة وعذب فلا يكون ميتا مطلقا
ولا حيا مطلقا يقول الفقير لا يموت لان الموت يذبح فلا موت ولا يحيى لان المغموم كالميت فيبقى
فى العذاب الروحانى كما يبقى فى العذاب الجسمانى قال بعض الكبار لا حياة الا عن موت ولا موت
الا عن رؤية حتى فمن مات عن غير هذا الموت فلا يحيى ومن حى عن غير هذه الحياة فهى حياة حيوانية
لا حياة انسانية (قد أفلح) أى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه (من تزكى) أى تطهر من الكفر
والمعاصى بتذكره واتعاظه بالذكرى أو تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وكلمة
قد لما أن عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى فى الآخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن
حال المتذكر فيها وينتظره (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) أقام الصلوات الخمس كقوله أقم

الصلاة لذكرى أى كبر تكبيرة الافتتاح فصلى فالمراد بالذكر تكبيرة الافتتاح لكن لا يختص الذكر عند الحنفية بأن يقول الله أكبر لعموم الذكر ودل العطف بالفاء التعقيبية على عدم دخول التكبير فى الاركان لان العطف يقتضى المغايرة بين المعطوفين قال الامام مراتب أعمال المكلف ثلاث فأولاها ازالة العقائد الفاسدة عن القلب وهى المرادة بالتزكى والثانية استحضار معرفة الله بذاته وصفاته وأسمائه وهى المرادة بالذكر لان الذكر بالقلب ليس الا المعرفة والثالثة الاشتغال بالخدمة والطاعة وهى المرادة بالصلاة فانها عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله لابد وأن يظهر فى جوارحه وأعضائه أثر الخضوع والخشوع قال بعضهم خلق الله وجها يصلح للسجدة وعينا تصلح للعبرة وبدنا يصلح للخدمة وقلبا يصلح للمعرفة وسرا يصلح للمحبة فاذكروا نعمة الله عليكم حيث زين ألسنتكم بالشهادة وقلوبكم بالمعرفة وأبدانكم بالعبادة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى قال الله سبحانه ان لى مع المصلين ثلاث شرائط احداها تنزل الرحمة من عنان السماء الى مفرق رأسه ما دام فى صلاته والثانية حفته الملائكة بأجنحتها والثالثة أناجى معه كلما قال يا رب أقول لبيك ثم قال عليه السلام لو علم المصلى من يناجى ما التفت وروى عن ابن عمر رضى الله عنه أن المراد بالتزكى اخراج صدقة الفطر قبل المضى الى المصلى وبالذكر أن يكبر فى الطريق حين خروجه الى المصلى وبالصلاة أن يصلى صلاة العيد بعد ذلك مع الامام وهذه السورة وان كانت مكية بالاجماع ولم يكن بمكة عيد ولا صدقة فطر الا أنه لما كان فى علمه أن ذلك سيكون أثنى الله على من فعل ذلك فانه تعالى قد يخبر عما سيكون وفى الآية اشارة الى تطهير النفس على المخالفات الشرعية وتطهير القلب عن المحبة الدنيوية بل عن ملاحظة الغير والتوجه الى الله تعالى بقدر الاستعداد اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها

(بل تؤثرون الحياة الدنيا) اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل اثر بيان ما يؤدى الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تختارون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما فى قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية أو للكل فالمراد بايثارها ما هو أعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة فى السعى وترتيب المبادى والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثانى كذلك فى حق الكفرة ولتشديد العتاب فى حق المسلمين وفى فتح الرحمن فالكافر يؤثرها ايثار كفر يرى أن لا آخرة والمؤمن يؤثرها ايثار معصية وغلبة نفس الا من عصم الله وفى عين المعانى خطاب للامة اذ كل يميل الى الدنيا اما رغبة فيها أو ادخار الثواب الآخرة (وفى كشف الاسرار) مصطفى عليه السلام أول قلم فتوى در حق دنيا اين راند كه حلالها حساب وحرامها عذاب انكه بر والعنت كردكه الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله * اكر دينت همى بايد ز دنيا دارى بكسل * وورت دنيا همى بايد بده دين وببر دنيا * ورا ز دوزخ همى ترسى بمالى بس مشو غره * كه اينجا صورتش مالست وانجا شكلش اژدرها * چه مانى بهر مردارى چو زاغان اندرين پستى * قفص بشكن چو طاوسان يكى بر پر برين بالا (والآخرة خير وأبقى) حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب أى تؤثرونها على الآخرة والحال ان الآخرة خير فى نفسها لما أن نعيمها مع كونه فى

غاية

غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة أبدى لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره وفيه اشارة الى أن ظواهر الاشياء بالنسبة الى حقائقها كالقشر بالنسبة الى اللب واللب خير من القشر وأبقى لان اللب يحفظ زمانا طويلا وقشره اذا سلخ من اللب يطرح فى النار أو يرمى بالمزابل فيفنى بعد اليومين أو أكثر فأرباب القشر يؤثرون الامور الظاهرة الحسيسة الدنية الفانية على الامور الباطنة المعنوية الشريفة العزيزة الباقية لكونهم محجوبين عن الآخرة وأرباب اللب يختارون الآخرة بل الله الآخر كما قال قل الله ثم ذرهم ويقال قد أفلح من تزكى أى من تاب من الذنوب وذكر اسم ربه يعنى اذا سمع الاذان خرج الى الصلاة ثم ذم تارك الجماعة لاجل اشتغاله بالدنيا فقال بل تؤثرون الحياة الدنيا يعنى تختارون عمل الدنيا على عمل الآخرة وعمل الآخرة خير وأبقى من عمل الدنيا والاشتغال بها وبزينتها (ان هذا) اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد أفلح من تزكى (لفى الصحف الاولى) جمع صحيفة وهى الكتاب قال الراغب الصحيفة المبسوط من كل شئ كصحيفة الوجه والصحيفة التى كان يكتب فيها والمصحف ما جعل جامعا للصحف المكتوبة والمعنى اثابت فيها يعنى أن تطهير النفس عما لا ينبغى وتكميل الروح بالمعارف وتكميل الجوارح بالطاعة والزجر عن الالتفات الى الدنيا والترغيب فى الآخرة وفى ثواب الله فى دار كرامته لا يجوز أن يختلف باختلاف الشرائع (صحف) جدك (ابراهيم) الخليل عليه السلام (و) صحف أخيك (موسى) الكليم عليه السلام بدل من الصحف الاولى روى ان جميع ما أنزل الله من كتاب مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عليه السلام عشر صحف حروف التهجى صحيفة منها وعلى شيث عليه السلام خمسين صحيفة وعلى ادريس عليه السلام ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عليه السلام عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان فصحف موسى هى الالواح التى كتبت فيها التوراة كذا قال الامام وفى التيسير صحف شيث وهى ستون وصحف ابراهيم وهى ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة وهى عشر والتوراة والانجيل والزبور والقرآن وكان فى صحف ابراهيم ينبغى للعاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه وأيضا الخروج عما سوى الله بنعت التجريد كما قال انى برىء مما تشركون والاقبال على الله لقوله انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض ونقل من صحف موسى يقول الله يا ابن آدم اعمل لنفسك قبل نزول الموت بك ولا تغرنك المطية فان على آثارها السفر ولا تلهينك الحياة وطول الامل عن التوبة فانك تندم على تأخيرها حين لا ينفعك الندم يا ابن آدم اذا لم تخرج حقى من مالى الذى رزقتك اياه ومنعت منه الفقراء حقوقهم سلطت عليك جبارا يأخذه منك ولا أثيبك عليه وفى صحف موسى أيضا سرعة الشوق الى جماله والندم على الوقوف فى المقامات عند تعريف الصفات لقوله انى تبت اليك وأنا أول المؤمنين وفى التيسير دل الكلام على قول الامام الاعظم رحمه الله ان قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة صحيحة وهو قرآن بأى لسان قرئ لانه جعل هذا المذكور مذكورا فى تلك الصحف ولذلك قال وانه لفى زبر الاولين ولا شك انه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة وكان قرآنا لان العبرة بالمعانى والالفاظ ظروف وقوالب لها انتهى وفيه تأييد لمن جوز نقل الحديث بالمعنى وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين اللتين يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون وفي الوتر بقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وبه عمل الشافعي ومالك رحمهما الله وأما عند أبي حنيفة وأحمد فالمستحب في الثالثة الاخلاص فقط

تمت سورة الاعلى يوم الاثنين الخامس عشر من شهر المولد في سنة سبع عشرة ومائة وألف

(سورة الغاشية ست وعشرون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتاك حديث الغاشية) قال قطرب من أئمة النحو أي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية قال المولى أبو السعود رحمه الله في الارشاد وليس بذاك بل هو استفهام أريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بأنه من الاحاديث البديعة التي حقها أن يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم بأهوالها وهي القيامة كما قال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال يوما كان شره مستطيرا يقال غشيه يغشاه أي غطاه وكل ما أحاط بالشيء من جميع جهاته فهو غاش له (وجوه يومئذ خاشعة) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن الاستفهام التشويقي كأنه قيل من جهته عليه السلام ما أتاني حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ وهو ظرف لما بعده من الاخبار الثلاثة أي يوم اذ غشيت تلك الداهية الناس فان الخشوع والخضوع والتطامن والتواضع كلها بمعنى ويكنى بالجميع عما يعتري الانسان من الذل والخزي والهوان فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لانها في موقع التنويع وخاشعة خبره قال الشيخ لعل وجه الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام أصحاب وجوه بالاضافة الا أن الخشوع والذل لما كان يظهر في الوجه حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وانما قلنا ان الذل يظهر في الوجه لانه ضد التكبر الذي محله الرأس والدماغ والمراد بأصحاب الوجوه هم الكفار بدلالة ما بعده من الاوصاف (عاملة ناصبة) خبران آخران لوجوه اذ المراد بها أصحابها كما أشير اليه آنفا والنصب التعب والناصبة التعبة يقال نصب نصبا من باب علم اذا تعب في العمل والمعنى تعمل أعمالا شاقة تتعب فيها لانها تكبرت عن العمل لله في الدنيا فأعملها الله في أعمال شاقة وهي جر السلاسل والاغلال الثقيلة كما قال في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا والخوض في النار خوض الابل في الوحل أي الطين الرقيق والصعود في تلال النار والهبوط في وهادها وقال بعضهم خشوع الظاهر ونصب الابدان لا يقربان الى الله تعالى بل يقطعان عنه وانما يقرب منه سعادة الازل وخشوع السر من هيبة الله وهو الذي يمنع صاحبه من جميع المخالفات فالرهابنة والفلاسفة وأضرابهم من أهل الكفر والبدع والضلال انما يضربون حديدا باردا ويتعبون أنفسهم في طريق الهوى والسعي فيه (تصلى) تدخل (نارا) وتذوق ألمها (حامية) أي متناهية في الحر وقد أوقدت ثلاثة آلاف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وهو خبر آخر لوجوه قال في القاموس حمي الشمس والنار حميا وحميا وحموا اشتد حرهما وقال السجاوندي حامية أي دائمة الحمي والا فالنار لا تكون الا حامية (تسقى) بعد مدة طويلة من استغاثتهم من غاية العطش ونهاية الاحتراق اي سقاها الله او الملائكة بأمره (من عين) اي چشمه آب كه (آنية) أي متناهية بالغة

فى الانى أى الحر غايتها التى تسخنها بتلك النار منذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فاذا أدنيت من وجوههم تناثرت لحوم وجوههم واذا شربوا قطعت أمعاءهم كما قال تعالى ويين حميم آن يقال انى الحميم انتهى حره فهو آن وبلغ هذا اناه وانا ه غايته وفيه اشارة الى نار الطبيعة وعين الجهل المركب الذى هو مشرب أهلها والاعتقاد الفاسد المؤذى (ليس لهم طعام الامن ضريع) بيان لطعام الكفار فى النار اثر بيان شرابهم وأورد ضمير العقلاء اشارة الى ان المراد من الوجوه أصحابها وانما أسند اليها ماذكر من الاحوال لكونها مظهرا يظهر فيه مافى الباطن مع أنها يكنى بها كثيرا عن الذوات والضريع يبيس الشبرق كزبرج وهو شوك ترعاه الابل مادام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال فى فتح الرحمن سمواذلك الشوك ضريعا لانه مضعف للبدن ومهزل يقال ضرع الرجل ضراعة ضعف وذل وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه الضريع شئ فى النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار وهذا طعام بعض أهل النار والزقوم والغسلين للآخرين بحسب جرائمهم وبه يندفع التعارض بين هذه الآية وبين آية الحاقة وهى قوله تعالى ولا طعام الا من غسلين قال سعدى المفتى ويمكن فى قدرة الله أن يجعل الغسلين اذا انفصل عن أبدان أهل النار على هيئة الضريع فيكون طعامهم الغسلين الذى هو الضريع انتهى يقول الفقير ويمكن عندى أن يجعل كل من الضريع والغسلين والزقوم بالنسبة الى شخص واحد بحسب الاعمال المختلفة فان لكل عمل أثرا مخصوصا وجزاء متعينا فيصح الحصر وتحقيقه ان الضريع اشارة الى الشبه والعلوم الغير المنتفع بها المؤذية كالمغالطات والخلافيات والسفسطة وما يجرى مجراها على ما قاله القاشانى والغسلين اشارة الى الشهوات الطبيعية ولذا يسيل من أبدانهم فان لكل شهوة رشحا وعرقا وكل اناء يترشح بما فيه والزقوم اشارة الى خوضهم فى الانبياء والاولياء وطعنهم فى دينهم وضحكهم منهم وكانوا يتلذذون بذلك على ما أشار اليه قوله تعالى واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين أى متلذذين بما فعلوا من التغامز والسخرية ونحو ذلك على ان الزقة هو الطاعون ووجه آخر وهو أنه يمكن الترتيب بالنسبة الى شخص واحد بأن يكون الزقوم نزلا له والضريع أكلا له بعد ذلك والغسلين شرابا له كالحميم والعلم عند الله (لايسمن) فربه نمى كند ان ضريع (ولايغنى من جوع) ودفع نمى كند كرسنكى را أى ليس من شأنه الاسمان والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شئ يضطرون الى أكله من غير أن يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على أن لهم استعدادا للشبع والسمن الا أنه لايفيدهم شيأ منهما بل على أنه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك أن جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ماهو المعهود منهما فى هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل مايتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يتلذذ بهما عند الاكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما فى المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار فى أحشائهم الى ادخال شئ كثيف يملؤها ويخرج مافيها من اللهب وأما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما أو التذاذ به عند الاكل والاستغناء به عن الغير أو استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند أكل الضريع والتهابه فى بطونهم الى شئ مائع بارد يطفئه من غير أن

يكون لهم التذاذ بشربه أو استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روى أنه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى أكل الضريع فاذا أكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم وتنكير الجوع للتحقير أى لايغنى من جوع ما وتأخير نفى الاغناء عنه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفى كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفى الاسمان ضرورة استلزام نفى الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لتأكيد النفى (وجوه يومئذ ناعمة) أى ذات بهجة وحسن وضياء مثل القمر ليلة البدر وبالفارسية تازه باشد اثر نعمت دروى بدا فناعمة من نعم الشئ بالضم نعومة أى صار ناعما لينا ويجوز أن يكون بمعنى متنعمة أى بالنعم الجسمانية والروحانية وهى وجوه المؤمنين فيكون المراد بها حقيقة النعمة وانعام تعطف على ماقبلها ايذانا بكمال تباين مضمون الجملتين وتقديم حكاية أهل النار لانه أدخل فى تهويل الغاشية وتفخيم حديثها وفيه اشارة الى نعيم اللقاء الذى هو ثمرة اللطافة والنورية التى هى نتيجة التجرد كما قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فان بالنظر الى الرب يحصل نضرة أى نضرة (لسعيها راضية) أى لعملها الذى عملته فى الدنيا حيث شاهدت ثمرته ورأت عاقبته الحميدة فاللام متعلقة براضية والتقدير راضية سعيها فلما تقدم المعمول على العامل الضعيف جئ باللام لتقوية العمل ويجوز أن تكون لام التعليل أى لاجل سعيها فى طاعة الله راضية جزاءها وثوابها ويدخل فى السعى الرياضات والمجاهدات والخلوات (فى جنة عالية) أى كائنة أو متمكنة فى جنة مرتفعة المحل فان الجنات فوق السموات العلا كما أن النيران تحت الارضين السبع وأيضا هى درجات بعضها أعلى من بعض والدرجة مثل مابين السماء والارض فتكون من العلو فى المكان وفى الحديث ان المتحابين فى الله فى غرف ينظر اليهم أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا الى كواكب السماء ويجوز أن يكون معنى عالية علية المقدار فتكون من العلو فى القدر والشرف لتكامل ما فيها من النعيم وفيه اشارة الى المقامات العالية المعنوية لانها مقامات أهل الوجاهة والشرف المعنوى فلا يصل اليها أهل التمنى والدعوى (لاتسمع) أنت يامخاطب فالخطاب عام لكل من يصلح له أو الوجوه فتكون التاء للتأنيث لا للخطاب (فيها) أى فى تلك الجنة العالية (لاغية) لغوا من الكلام وهو مالا يعتد به فهى مصدر كالعافية أو كلمة ذات لغو على أنها للنسبة أو نفسا تلغو على أنها اسم فاعل صفة لموصوف محذوف هو نفس وذلك لان كلام أهل الجنة كله اذكار وحكم اذ لايدخلها المؤمن الا من مرتبة القلب والروح فان النفس والطبيعة تطرحان فى النار وشأن القلب والروح هو الذكر كما أن شأن النفس والطبيعة هو اللغو فكما لالغو فى الجنة الصورية فكذا لالغو فى الجنة المعنوية فى الدنيا لاستغراق أهلها فى الذكر وسماع خطاب الحق ولذا لاتسمع فى مجالسهم الا المعارف الربانية والحكم الرحمانية وفى الحديث ان أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام قال رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وأما الدنيا فمجالس أهلها فلا تخلو من اللغو ولذلك قال عليه السلام (من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه) وهو الكلام الردى والقبيح والضجة والاصوات المختلفة لا يفهم معناها (فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت

استغفرك

أستغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك) أي مالم يتعلق بحق آدمي كالغيبة (فيها عين جارية) التنوين للتكثير أي عيون كثيرة تجري مياهها على الدوام حيث شاء صاحبها وهي أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من شرب منها لا يظمأ بعدها أبدا ويذهب من قلبه الغل والغش والحسد والعداوة والبغضاء وفيه اشارة الى عيون الذوق والكشف والوجدان والتوحيد فانه بها يحصل الشفاء والصحة والبقاء لاهل القلوب وأصحاب الارواح (فيها سرر) يجلسون عليها جمع سرير وهو معروف يعني در آنجا تختها بر هر تختى هفصد بستر بر هر بسترى حورى چون ماه انور (مرفوعة) رفيعة السمك أي عالية في الهواء على قوائم طوال فان السمك هو الامتداد الآخذ من أسفل الشئ الى أعلاه فالمراد برفعة سمكها شدة علوها في الهواء فيرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما أعطاه ربه في الجنة من النعيم الكبير والملك العظيم قال عليه السلام ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام قيل اذا جاء ولي الله ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت ويجوز أن يكون المعنى رفيعة المقدار من حيث اشتمالها على جميع جهات الحسن والكمال في ذواتها وصفاتها أصل آن زر مكلل بزبرجد وجواهر وقال الخراز قدس سره هي سرائر رفعت عن النظر الى الاعراض والاكوان وفيه اشارة الى مراتب الاسماء الالهية التي بلغوها بالاتصاف والتخلق بها في السلوك فانها رفيع قدرها عن مراتب الجسمانيات (وأكواب) يشربون منها جمع كوب بالضم وهو اناء لا عروة له ولا خرطوم يعني بي دسته ولوله مدور الرأس ليمسك من أي طرف أريد بخلاف الابريق وهو مستعمل في بعض بلاد العرب الآن ولذا وقع به التشويق (موضوعة) أي بين أيديهم حاضرة لديهم لا يحتاجون الى أن يدعوا بها وهو لا ينافي أن يكون بعض الاقداح في أيدي الغلمان كما سبق في هل أتى على الانسان الخ وفيه اشارة الى ظروف خمور المحبة وثباتها على حالها مع ما فيها (ونمارق) وسائد يستندون اليها للاستراحة جمع نمرقة بفتح النون وضمها والراء مضمومة فيهما بمعنى الوسادة (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض كما يشاهد في بيوت الاكابر أينما أراد أن يجلس المؤمن جلس على واحدة واستند الى أخرى وعلى رأسه وصائف كأنهن الياقوت والمرجان وفيه اشارة الى التجريد والتفريد والجمع والتوحيد أينما يريدون يجلسون ويستندون اليها (وزرابي) أي بسط فاخرة جمع زربي قال الراغب هو ضرب من الثياب محبر منسوب الى موضع على طريق التشبيه والاستعارة (مبثوثة) أي مبسوطة على السرر زينة وتمتعا وفيه اشارة الى انبساط أرواحهم وانشراح صدورهم وانفتاح قلوبهم في بساط القدس والانس والى مقامات تجليات الافعال التي تحت مقامات الصفات كالتوكل تحت الرضا مبثوثة أي مبسوطة تحتهم وأصل البث اثارة الشئ وتفريقه كبث الريح التراب (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) الهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام والابل بكسرتين وتسكن الباء واحد يقع على الجمع وليس بجمع ولا اسم جمع والجمع آبال كما في القاموس وقال بعضهم اسم جمع لا واحد لها من لفظها وانما واحدها بعير وناقة وجمل وكلمة كيف منصوبة بما بعدها معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على انها بدل اشتمال من الابل أي أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ويستبعدون وقوعه عن قدرة الله فلا ينظرون نظرا اعتباريا الى الابل التي هي نصب عينهم يستعملونها كل حين انها كيف

خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر أنواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها
وعجيب هيئتها اللائقة بتأتي ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنهوض من الارض بالاوقار
الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش حتى ان
ظمأها ليبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها الكل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك
مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة والسكون والبروك
والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير وتبول من
خلفها الان قائدها أمامها فلا يترشش عليه بولها وعنقها طويل لتتناول الكلأ [?] وتتأثر من المودة والغرام وتسكر
منهما الى حيث تنقطع عن الاكل والشرب زمانا ممتدا وتتأثر من الاصوات الحسنة والحداء
وتصير من كمال التأثر الى حيث تهلك نفسها من سرعة الجري ويجري الدمع من عينيها عشقا
وغراما (پیر رومی فرموده است) برخوان أفلا ينظر تا قدرت ما بيني * يكره بشتر بنگر تا صنع
خدا بيني * در بخار خوري قانع در بار بري راضي * اين وصف اگر جويي در اهل صفا بيني
ولم يذكر الفيل مع أنه أعظم خلقة من الابل لانه لم يكن بارض العرب فلم تعرفه ولا يحمل عليه عادة
ولا يحلب دره ولا يؤمن شره بخلاف شتر كه هر چه مطلوبست از حيوان مثل نسل وحمل وشير
ولحم وركوب همه ازو حاصلست وقال بعض العلماء لما ذكر الله الجنة وما اتخذ فيها من المنازل
الرفيعة والسرر العالية التي سمكها كذا وكذا ذراعا قالوا فكيف يقعد أحدنا عليها وقامته قصيرة
وهو لا يكاد يرقى سطحا بغير سلم وتعجب المشركون منه وأيضا گفتند بطريق سخريت كه اگر اين
واقعست پس بلال وخباب وامثال ايشانرا كار افتاد زيرا بسى زحمت بايد تا بر بالاى آن تخت
بلند روند و بسى فرصت بايد تا از ان فرود آيند اين آيت آمد كه أفلا ينظرون الخ يعني شتر با آن همه
بلندى وبزرگى بر پشته مسخر كرده كه ميشود تا برو بر آيد و فرود آيد پس چرا از تخت بهشت متعجب
ميشوند كه در فرمان بهشتي باشد (والى السماء) التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار (كيف
رفعت) رفعا سحيق المدى بلا عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والادراك (والى الجبال) التي
ينزلون في أقطارها وينتفعون بمياهها وأشجارها (كيف نصبت) نصبا رصينا فهي راسخة لا تميل
ولا تميد وقال أبو الليث كيف نصبت على الارض أوتادا لها وفيه اشارة الى عالم المثال لانه متوسط
بين سماء الروحانيات وأرض الجسمانيات كالجبال في الخارج (والى الارض كيف سطحت)
أي والى الارض التي يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت سطحا وبسطت على ظهر الماء
بسطا حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق والاستدلال بكونها مسطوحة على عدم
كونها كرة مجاب بأن الكرة اذا كانت عظيمة جدا يكون كل قطعة منها كالسطح فيصح أن يطلق
عليها البسط فرق بين كرة وكرة كما أنه فرق بين بيض الحمامة وبيض النعامة والمعنى أفلا ينظرون
نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور لاشعارها
بأن خالقها متصف بصفات الكمال من القدرة والقوة والحكمة منزه عن صفات النقصان من
العجز والضعف والجهل حتى يرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك
ويستعدوا للقاء الله بالايمان والطاعة در تبيان آورده كه مخاطب عرب بودند واكثر ايشان أهل
بر به باشند و مال ايشان شترست و هر طرفي مى نگرند جز آسمان و زمين و كوه نمى بينند لاجرم بعد

ازذكرشتر آسمان وكوه وزمين يادمكرد يعني قرنت الابل بالسماء والجبال بالارض لان الآية نزلت بطريق الاستدلال وهم كانوا أشد ملابسة بهذه الاشياء من غيرهم فلذا جمع الله بينها وقال الغزالي رحمه الله خص الابل بالذكر لانها الانفة بقرانتها معنى فالسماء الظلة والارض كالزاملة والجبال الثقيلة كالابل الفرش والحمولة فالسحاب تحمل الماء الزلال والابل الاحمال الثقال والارض الجبال والكل مسخر بأمره قال القرطبي قدم الابل في الذكر ولو قدم غيره جاز وعن القشيري رحمه الله انه قال ليس هذا مما يطلب فيه نوع حكمة يقول الفقير ان قلت لو أخر ذكر الابل لكان له مناسبة تامة مع ذكر الارض لان الابل سفن البر قلت نعم لكنه اعتبر سمك الابل فترقى منه الى سمك السماء ثم يقول الفقير ولي كلام عريض في هذا المقام ذكرته في كتاب الواردات الحقية لي وخلاصته انه تعالى أشار بالابل الى النفوس فانها ضخمة جسيمة مثلها وبدأ بالنفوس لانها أصل بمنزلة الام ولدرجة الانوثة تقدم حكما وان كان لها تأخر صورة كحواء بالقسمة الى آدم وأشار بالسماء الى الارواح لانها علوية وبمنزلة الاب ولهذا أردفها بها وأشار بالجبال الى القلوب لانها أثبت من الرواسي ولانها خلقت بعد خلق الروح والنفس كما ان الجبال خلقت بعد خلق السماء والارض فهي بمنزلة الولد لهما ولذا عقبهما بها وقد صح ان الجبال تعبر في الرؤيا بأهل القلوب من الرجال لانهم أوتاد الارض والعمد المعنوية في الحقيقة كما أن الجبال أوتاد الارض في الصورة وأشار بقوله نصبت دون خلقت الى ان القلوب في الحقيقة أمر ملكوتي وان ظهرت في الصورة ظهور الولد من الابوين وأشار بالارض الى الاجساد السافلة وهي مؤخرة في المرتبة فالله تعالى سطح أرض البشرية والجسدانية لتكون مستقر النفوس وخلق النفوس لتكون مستوى القلوب وخلق القلوب لتكون عروش الروح بل السر بل الاخفى فما أحسن ترتيب هذه الآية وما أشد انتظام جملتها وتناسبها فهي كالجمع بين كاتب وقلم وقرطاس ودواة والله تعالى أعلم (فذكر) الفاء لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر أي فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون (انما أنت مذكر) تعليل للامر بما أمر به أي مبلغ وانما الهداية والتوفيق الى الله تعالى (لست عليهم بمصيطر) أي لست بمسلط عليهم تجبرهم على ماتريد كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار وأكثر القراء قرأوا بمصيطر بالصاد على القلب لمناسبة الصاد بعدها وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام بأن تخلط صوت الصاد بصوت الزاي بحيث يمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاي وخلط حرف بحرف أحد معاني الاشمام في عرف القراء يقال سطر يسطر سطرا كتب والمسيطر والمصيطر المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد أحواله ويكتب عمله فأصله من السطر فالكتاب مسطر والذي يفعله مسيطر وقال الراغب يقال سطر فلان على كذا أو تسطر عليه اذا قام عليه قيام سطر أي لست عليهم بقائم وحافظ واستعمال مسيطر هنا كاستعمال القائم في قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والحفيظ في قوله وما أنت عليهم بحفيظ انتهى (الا من تولى) أعرض عن الحق أو عن الداعي اليه بعد التذكير (وكفر) وثبت على الكفر أو أظهره وفي فتح الرحمن الا من تولى عن الايمان وكفر بالقرآن أو بالنعمة وفي التأويلات النجمية الا من تولى عن الحق بالاقبال على الدنيا وكفر أي ستر الحق بالخلق وهو استثناء منقطع

ومن موصولة لاشرطية لمكان الفاء ورفع الفعل أى لكن من تولى وكفر فان لله الولاية والقهر وهو المسيطر عليهم فالواو علامة كون الاستثناء متصلا محضا لا يحسن ذلك نحو عندى ما ئتان الادرهما فلا يدخل عليه ان (فيعذبه الله العذاب الاكبر) الذى هو عذاب جهنم حرها شديد وقعرها بعيد ومقامعها من حديد وفى فتح الرحمن الاكبر عذاب جهنم والاصغر ما عذبوا به فى الدنيا من الجوع والاسر والقتل ويؤيده ما قال الراغب فى قوله يوم نبطش البطشة الكبرى فيه تنبيه على ان كل ما ينال الكافر من العذاب قبل ذلك فى الدنيا وفى البرزخ صغير فى جنب عذاب ذلك اليوم انتهى وأيضا قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر فان المراد بالعذاب الادنى هو العذاب الاصغر الدنيوى لا البرزخى لقوله تعالى بعده لعلهم يرجعون فان الرجوع انما يعتبر فى الدنيا لا فى البرزخ وفيما بعد الموت فيكون المراد بالعذاب الاكبر هو العذاب الاخروى واليه ينظر قوله تعالى يصلى النار الكبرى كما سبق وفى التأويلات النجمية العذاب الاكبر هو عذاب الاستتار فى الدنيا وعذاب نار الهجران فى الآخرة (ان الينا ايابهم) تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر يقال آب يؤب أوبا وايابا رجع أى ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى أحد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا كما قال تعالى ألا الى الله تصير الامور واليه يرجع الامر كله فتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فانه يفيد معنى أن يقال ان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام كما أن مبدأهم وصدورهم كان منه وفيه تخويف شديد فان رجوع العبد العاصى المصر الى مالكه الغضوب فى غاية الصعوبة ونهاية العسرة وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها (ثم ان علينا حسابهم) فى المحشر لا على غيرنا فنحن نحاسبهم على النقير والقطمير من نياتهم وأعمالهم وثم للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان فان الترتب الزمانى بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما أمران مستمران قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله ان الينا ايابهم فى الفضل ثم ان علينا حسابهم فى العدل وقال البقلى رحمه الله انظر كيف تفضل بعد الوعيد بأن جعل نفسه مآبهم وتكفل بنفسه حسابهم فينبغى أن يعيشوا بهذين الفضلين أطيب العيش فى الدارين ويطيروا من الفرح بهذين الخطابين يقول الفقير ما قاله البقلى هو ما ذاقه العارفون بطريق المكاشفة فينبغى أن لا يغتر به العوام فانه قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الاكبر على الله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية انما خف الحساب فى الآخرة على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا وثقلت موازين قوم فى الآخرة وزنوا انفسهم فى الدنيا ومحاسبة النفس تكون بالورع وموازنتها تكون بمشاهدة عين اليقين والتزين للعرض يكون بمخافة الملك الاكبر وعن على رضى الله عنه اما بعد فان المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من الدنيا فلا تكثرنه فرحا وما فاتك منها فلا تتبعنه أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وفى الحديث ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف فى الله لومة لائم ولا يرائى بشئ من عمله واذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا وقال عليه السلام لولم ينزل على الا هذه الآية لكانت

قوله فالواو الخ هكذا هذه العبارة فى الاصل ولا تخفى ركاكتها وسقامتها فليحرر اه

تكفي ثم قرأ آخر سورة الكهف فمن كان يرجوا لقاء ربه الخ فكان هذا فصل الخطاب وبلاغا لاولي الالباب فالعمل الصالح الاخلاص بالعبادة ونفي الشرك بالخلق هو اليقين بتوحيد الخالق فما كان لله أي خالصا لاجله وبالله أي بمشاهدة قربه لا بمقارنة نفسه وهواه وفي الله أي في سبيله وطلب ما عنده لا لاجل عاجل حظه فمقبول وأهله من المقربين وحسابهم حساب يسير بل لا حساب لهم

تمت سورة الغاشية بعون الله ذي العطايا الفاشية في السابع عشر من شهر مولد النبي عليه السلام من سنة سبع عشرة ومائة وألف

(سورة الفجر تسع وعشرون أو اثنتان وثلاثون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) قال في كشف الاسرار لما كان العرب اكثر خلق الله قسما في كلامهم جاء القرآن على عادتهم في القسم والفجر فجران مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ولا يتعلق به حكم ومستطير وهو الصادق الذي يتعلق به الصوم والصلاة أقسم الله بالفجر الذي هو أول وقت ظهور ضوء الشمس في جانب المشرق كما أقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس لما يحصل به من انقضاء الليل بظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات من الطيور والوحوش في طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل (وقال الكاشفي) سوكند بصبح كه وقت مناجات دوستانست أو أقسم بصباح عرفة لانه يوم شريف يتوجه فيه الحجاج الى جبل عرفات وفي الحديث (الحج عرفة) يعني صباح روز عرفه كه وظائف دعا ونياز حاجيان درآنست * اوصباح يوم النحر لانه يوم عظيم أيضا ويقع فيه الطواف المفروض والحلق والرمي وروي ان يوم النحر يوم الحج الاكبر وبقولي مرادروز اول محرمست كه سال ازو منفجر ميشود يا بامداد آدينه كه حج مسكينانست ودر تبيان آورده كه اشارت بانفجار آب از اصابع حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم درروز طائف وغير آن وكفته اند انفجار ناقه صالح عليه السلام از صخره يا انفجار عيون ومنابع يا انفجار آب از حجر موسى عليه السلام يا انفجار مطر از سحاب يا روان شدن اشك ندامت از ديدهٔ عاصيان * بران ازدو سر چشمهٔ ديده جوى * ورالايشي داري ازخود بشوى (وليال عشر) هي عشر ذي الحجة والعرب تذكر الليالي وهي تعنيها بأيامها تقول بنى هذا البناء ليالي السامانية أي أيامهم أو العشر الاواخر من شهر رمضان وتنكيرها للتعظيم لانها المخصوصة بفضائل ليست لغيرها ولذا اقسم الله بها وذلك كالاشتغال باعمال الحج في عشر ذي الحجة وفي الحديث ما من أيام ازكى عند الله ولا أعظم أجرا من خير عمل في عشر الاضحى قيل يارسول الله ولا المجاهد في سبيل الله قال ولا المجاهد في سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء وفيه اشارة الى ان الغازي ينبغي أن يخرج من بيته على قصد أن لا يعود والله يفعل ما يريد وأما شرف العشر الاواخر فيكفي ان ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر تطلب فيها وكفته اند مراد دهه محرمست كه عاشورا ازآنست يا دههٔ ميان شعبان كه شب برات درانست * وقال البقلي هي ليال ست خلق في أيامها السموات والارض وليلة خلق فيها آدم عليه السلام وليلة يومها يوم القيامة وليلة كلم الله فيها موسى عليه السلام

وليلة اسرى بالنبي عليه السلام وقال القاشاني اقسم بابتداء ظهور نور الروح على مادة البدن عند أول اسر تعلقه به وليال عشر وهى الحواس العشر الظاهرة والباطنة التي تتعلق عند تعلقه به لكونها أسباب تحصيل الكمال وآلاتها وفي التأويلات النجمية يشير الى القسم بانفجار الحسنة الواحدة من أرض قلب المؤمن وليالى الحسنات العشر المشار اليها بقوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وانما سماها بليال لكون ظهور الحسنات العشر من غيب مرتبة أحدية الحسنة الواحدة من غير الاكتساب من نهار العمل بل من عالم الغيب بطريق الموهبة الالهية (والشفع) بالفارسية جفت وذلك لان الشفع ضم الشئ الى مثله (والوتر) بفتح الواو وكسرها أي شفع هذه الليالى ووترها والظاهر التعميم لان الالف واللام للاستغراق أي الاشياء كلها شفعها ووترها لان كل شئ لا بد أن يكون شفعا أو وترا وقال الراغب المخلوقات كلها من حيث انها مركبات كما قال ومن كل شئ خلقنا زوجين فهو الشفع وأما الوتر فهو الله تعالى من حيث ان له الوحدة من كل وجه واليه يرجع قول من قال من كبار أهل الحال يشير الى القسم بشفع الكثرة الاسمائية ووتر الوحدة الذاتية الحقيقية ودخل فيهما العناصر الاربعة والافلاك التسعة والبروج الاثنا عشر والسيارات السبع وصلاة المغرب وسائرها ويوم النحر لانه عاشر أيام ذى الحجة ويوم عرفة لانه تاسع تلك الايام واليومان بعد يوم النحر واليوم الثالث وآدم وحواء عليهما السلام زوجين ومريم عليها السلام وترا والعيون الاثنتا عشرة التى فجرها الله لموسى عليه السلام والآيات التسع وأيام عاد الشفع ولياليها الوتر كما قال تعالى سبع ليال وثمانية أيام والشهر الذى يتم بثلاثين يوما والشهر الذى يتم بتسعة وعشرين والاعضاء والقلب والشفتان واللسان والسجدتان والركوع وأبواب الجنة وأبواب النار ودرجات الجنة ودركات النار وصفات الخلق كالعلم والجهل والقدرة والعجز والارادة والكراهة والحياة والموت وصفات الحق وجود بلا عدم حياة بلا موت علم بلا جهل قدرة بلا عجز عز بلا ذل ونفس العدد شفعه ووتره والايام والليالى واليوم الذى لا ليلة بعده وهو يوم القيامة وكل نبى له اسمان مثل محمد وأحمد والمسيح وعيسى ويونس وذى النون وكل من له اسم واحد مثل آدم ونوح وابراهيم ومسجد مكة والمدينة وكذا يقال لهما الحرمان الشريفان والمسجد الاقصى والجبلان الصفا والمروة والبيت الحرام والنفس مع الروح في حالة الجمع وهما في حالة الافتراق وقال سهل رحمه الله الفجر محمد عليه السلام منه تفجرت الانوار وليال عشر هى العشرة المبشرة بالجنة والشفع هو الفرض والوتر هو الاخلاص في الطاعات (والليل) جنس الليل (اذا يسر) أي يمضى وبالفارسية انكاه كه بكذرد كقوله والليل اذ أدبر والسرى سير الليل يقال سرى يسرى سرى ومسرى اذا سار عامة الليل وسار يسير سيرا ذهب والتقييد به لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة كأن جميع الحيوانات أعيد اليهم الحياة بعد الموت وتسببوا بذلك لطلب الارزاق الممدة للحياة الدنيوية التى يتوسل بها الى سعادة الدارين فان قيل القسم بالليل اذا يسر يغنى عن القسم بليال عشر قلنا المقسم به فى قوله والليل اذا يسر هو الليل باعتبار سيره ومضيه وفي قوله وليال عشر هو الليالى بلا اعتبار مضيها بل باعتبار خصوصية أخرى فلا يغنى أحدهما عن الآخر ويجوز أن يكون المعنى والليل اذا يسر يعنى يسرى فيه

السارى ويسير فيه السائر فاسناد السرى الى الليل مجاز كما فى نهاره صائم أى هو صائم فى نهاره فالتقييد بذلك لان السير فى الليل حافظ للسائر من حر الشمس فان السفر مع مقاساة حر النهار أشد على النفس وقد قال النبى عليه السلام عليكم بالدلجة فان الارض تطوى فى الليل وكذا هو حافظ من شر قطاع الطريق غالبا لانهم مشغولون بالنوم فى الليل وحذفت الياء اكتفاء بالكسر ولسقوطها فى خط المصحف ولموافقة رؤس الآى وان كان الاصل اثباتها لانها لام فعل مضارع مرفوع وسئل الاخفش عن حذفها فقال اخدمنى سنة فسأله بعد سنة فقال الليل يسرى فيه ولا يسرى فعدل به عن معناه فوجب أن يعدل عن لفظه يعنى ان سقوط الياء ليدل على ان أصل الفعل منفى عن الليل وان كان مسندا الى ضميره كما ان حركة العين فى الحيوان تدل على وجود معنى الحركة فى معنى الحيوان لان للتراكيب خواص بها تختلف وفيه اشارة الى ظلمة البدن اذا ذهبت وزالت بتجرد الروح والى القسم بسريان ليل الهوية المطلقة فى نهار الحقائق المقيدة كما قال يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل برفع المقيدات بسطوات أنوار المطلق والى القسم بليلة المعراج التى أسرى الله بعبده فيها فكانت أشرف جميع الليالى لانها ليلة القدر والشرف والقرب والوصال والخطاب ورؤية الجمال المطلق (هل فى ذلك) الخ تقرير وتحقيق لفخامة شأن المقسم بها وكونها أمورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند أرباب العقول وتنبيه على أن الاقسام بها أمر معتد به خليق بأن يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم كما يقول من ذكر حجة باهرة هل فيما ذكرته حجة والمعنى هل فيما ذكر من الاشياء المقسم بها (قسم) أى مقسم به وفى فتح الرحمن مقنع ومكتفى (لذى حجر) لذى عقل منور بنور المعرفة والحقيقة يراه حقيقا بأن يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق أن الكل كذلك وانما أوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر أو هل فى الاقسام بتلك الاشياء اقسام لذى حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه وبالفارسية آيا درين سوكند كه ياد كردم سوكندى بسنديده مر خداوند عقل را تا اعتبار كند ودانند كه سوكنديست محقق ومؤكد والحجر العقل لانه يحجر صاحبه أى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية بضم النون لانه يعقل وينهى وحصاة أيضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والتنوين فى الحجر للتعظيم قال بعض الحكماء العقل للقلب بمنزلة الروح للجسد فكل قلب لا عقل له فهو ميت بمنزلة قلب البهائم والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن أى الكفار كما ينبئ عنه قوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) الهمزة للانكار وهو فى قوة النفى ونفى النفى اثبات أى ألم تعلم يا محمد علما يقينيا جاريا مجرى الرؤية فى الجلاء أى قد علمت باعلام الله تعالى وبالتواتر أيضا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فيعذب كفار قومك أيضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصى والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمى بنو هاشم هاشما وبنو تميم تميما فلفظ عاد اسم للقبيلة المنتسبة الى عاد وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخيرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد فى القرآن خبر عاد الاولى الا ما فى سورة الاحقاف (ارم) عطف بيان لعاد للايذان بأنهم عاد الاولى بتقدير مضاف أى سبط ارم أو أهل

ارم على ماقيل من ان ارم اسم بلدتهم أو أرضهم التى كانوا فيها وكانت منازلهم بين عمان الى حضرموت وهى بلاد الرمال والاحقاف ويؤيده القراءة بالاضافة وأياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وفى المفردات الآرام اعلام تبنى من الحجارة وارم ذات العماد اشارة الى اعلامها المرفوعة المزخرفة على هيئة المنارة أو على هيئة القبور وفيه أيضا حذف مضاف بمعنى أهل الاعلام (ذات العماد) صفة لارم واللام للجنس الشامل للقليل والكثير والعماد كالعمود والجمع عمد وعمد بفتحتين وبضمتين وأعمدة أى ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة أو ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين أهل عمد يطلبون الكلأ حيث كان فاذا هاجت الريح ويبس العشب رجعوا الى منازلهم أو ذات البناء الرفيع وكانوا ذوى ابنية مرفوعة على العمد وكانوا يعالجون الاعمدة فينصبونها ويبنون فوقها القصور وكانت قصورهم ترى من أرض بعيدة أو ذات الاساطين اذ كانت مدينتهم ذات أبنية مرفوعة على الاسطوانات على ان ارم اسم بلدتهم وقال السهيلى رحمه الله ارم ذات العماد هو جيرون بن سعد بن ارم وهو الذى بنى مدينة دمشق على عمد من رخام ذكر أنه ادخل فيها أربعمائة ألف عمود وأربعين ألف عماد من رخام فالمراد هذه العماد التى كان البناء عليها فى هذه المدينة وكانت تسمى جيرون وبه تعرف وسميت دمشق بدمشق بن نمرود عدو ابراهيم الخليل عليه السلام وكان دمشق قد أسلم وبنى جامع ابراهيم فى الشأم انتهى ولعل هذه الرواية أصح فليتأمل (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) صفة أخرى لارم والضمير لها على انها اسم القبيلة أى لم يخلق مثلهم فى عظم الاجرام والقوة فى الآفاق والنواحى حيث كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتى الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحى فيهلكهم واذا كانوا يقولون من أشد منا قوة ونظيرهم فى الطيور الرخ وهو طير فى جزائر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع يحمل حجرا فى رجله كالبيت العظيم ويلقيه على السفينة فى البحر أو لم يخلق مثل مدينتهم فى جميع بلاد الدنيا فالضمير لها على انها اسم البلدة وقصه آن بر سبيل اجمال آنست كه عبد الله بن قلابه بطلب شترى كم شده صحراى عدن ميكشت در بيابانى بشهرى رسيد كه بارۀ محكم داشت كه اساس آن از جزع يمانى وبر حوالى آن قصور بسيار بود با ميد آنكه كسى بيند واحوال شتر خود برسد بدر حصار آمد درى ديد هر دو مصراعش مكلل بجواهر قيمتى وهيچكس را آنجا نيافت متحير شد وچون بشهر در آمد حيرتش بيفزود چه قصرها ديد بر ستونهاى زبرجد وياقوت بنا كرده خشتى از زر وخشتى از نقره وفرشها بر همين نمط وبجاى سنك ريزه مرواريدهاى آبدار ريخته ودر حوالئ هر قصرى آبهاى روان بر روى لؤلؤ ومرجان ودرختان بسيار تنهاى آن از زر وبركهاى آن از زبرجد وشكوفهاى آن از سيم با خود كفت هذه الجنة التى وعد المتقون (مصراع) اين چه منزل چه بهشت اين چه مقامست اينجا * وقال والذى بعث محمدا بالحق ما خلق الله مثل هذه فى الدنيا پس قدرى ازان جواهر برداشت ودر بر وپشت بست وبيمن باز آمد ومردمان ان كوهر را در دست او بديدند وحمل بر يافتن كنجى كرده قصه وى در زبانها افتاد تا حدى كه حال اورا بمعاويه كه دران وقت حاكم شام بود انها كردند معاويه اورا طلبيد وتمام حكايت او از اول تا آخر استماع كرد پس اورا در مجلس بنشانيد وكعب الاحبار را طلبيده پرسيد كه در دنيا شهرى هست كه

بنای او از زر ونقره باشد ودرختان مکلل بجواهر کعب گفت آری شهریست که حق سبحانه تعالی درقرآن مجید یاد فرموده که (لم یخلق مثلها فی البلاد) وآنرا شداد بن عاد ساخته واو پادشاه عظیم قدر بوده است ونهصد سال عمر داشت هرجا در عالم زری و جوهری بوده همه را جمع کرده وصد قهرمان با هر یکی هزار فرستاد تا شهر ارم را بساختند و بسیصد سال باتمام رسید ده سال دیگر تهیه راه اشتغال نمود دامراء وملوک عالم را جمع کرد واز دار السلطنت خود بتماشای آن شهر متوجه شد یک شبه راه میان او وآن بنا مانده بود که حق سبحانه وتعالی ملکی فرستاد تا صیحه بر ایشان زد وهمه بمردند وآن شهر از نظر مردم پوشیده شد چنانچه اصحاب کهف در غار وخوانده ام که در حکومت تو مردی کوتاه بالا سرخ رنگ سبز چشم که برروی او خالی و بر گردن آن علامتی باشد بطلب شتری بد انجا رسد وآنرا بیند پس باز نگریست وابن قلابه را دید گفت هو والله ذلک الرجل قال ابن الشیخ فی حواشیه وفیه بحث لان قوم عاد اهلکوا بالریح وقوم صالح اهلکوا بالصیحة الا أن یراد بالصیحة ههنا الریح الشدید الصوت وذکر کعب انه کتب ابن شداد علی لوح وضع عند رأس ابیه عن لسانه حین رفعه من المغارة ودفنه

انا شداد بن عاد * صاحب الحصن العمید * واخو القوة والبا * ساء والملک المشید دان أهل الارض لی من * خوف وعدی ووعیدی * وملکت الشرق والغر * ب بسلطان شدید فأتتنا صیحة تهوی * من الافق البعید * فتوفتنا کزرع * وسط بیداء حصید

وذکر فی قوت القلوب تصنیف العالم الربانی أبی طالب المکی قدس سره انه قیل لابی یزید البسطامی قدس سره هل دخلت ارم ذات العماد فقال صه قد دخلت ألف مدینة لله تعالی فی ملکه ادناها ذات العماد ثم أخذ یعدد تلک المدائن جابلقا جابلص الی غیر ذلک فظاهر قول أبی یزید ادناها ذات العماد یخالف قوله تعالی لم یخلق مثلها فی البلاد لکن المستفاد من الآیة نفی الخلق فی الماضی ویجوز أن تکون تلک المدائن حادثة بعد نزول القرآن ویجوز أن یراد بنفی المثل هو المثل فی الزینة وبالادنی صغر الجثة وفی بعض نسخ قوت القلوب ان معنی الآیة لم یخلق مثلها فی بلاد الیمن لانهم خوطبوا اعنی فی بلادهم کما قال تعالی أو ینفوا من الارض أی أرض بلادهم وبمثل هذه التوجیهات یندفع الاشکال کذا فی شرح البردة لابن الشیخ (وثمود) ودیگر چه کرد خدای تعالی بقوم ثمود وهو عطف علی عاد وثمود قبیلة مشهورة سمیت باسم جدهم ثمود أخی جدیس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح علیه الصلاة والسلام وکانوا عربا من العاربة یسکنون الحجر بین الحجاز وتبوک وکانوا یعبدون الاصنام کعاد وهم قوم صالح کما قال تعالی والی ثمود أخاهم صالحا (الذین جابوا الصخر بالواد) الجوب القطع تقول جبت البلاد أجوبها جوبا وزاد الفراء جبت البلاد أجیبها جیبا اذا جلت فیها وقطعتها وجبت القمیص ومنه سمی الجیب والصخر هو الحجر الصلب الشدید والواد أصله الوادی حذفت یاؤه اکتفاء بالکسرة ورعایة لرأس الآیة وأصل الوادی الموضع الذی یسیل فیه الماء ومنه سمی المنفرج بین الجبلین وادیا والمراد ههنا هو وادی القری بالقرب من المدینة الشریفة من جهة الشأم قال أبو نضرة أتی رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم فی غزوة تبوک علی وادی ثمود وهو علی فرس أشقر فقال أسرعوا السیر فانکم فی واد ملعون والمعنی قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فیها بیوتا نحتوها من

الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل انهم أول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (وفرعون) وچه كرد بفرعون موسى عليه السلام وهو الوليد بن مصعب بن ريان بن ثروان أبو العباس القبطي واليه تنسب الاقداح العباسية وفرعون لقب أفرده تعالى بالذكر لانفراده فى التكبر والعلو حتى ادعى الربوبية والالوهية (ذى الاوتاد) جمع وتد بالتحريك وبكسر التاء أيضا بالفارسية ميخ وقد سبق فى سورة النبأ وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التى يضربونها فى منازلهم ويربطونها بالاوتاد والاطناب كما هو الآن عادة فى ضرب الخيمة أو لتعذيبه بالاوتاد كما قال فى كشف الاسرار وفرعون آن كشنده ميخ بند يعنى بطريق چهار ميخ تعذيب كننده (روى) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فرعون انما سمى ذا الاوتاد لان امرأة خازنه خربيل كانت ماشطة بنت فرعون وكان خربيل مؤمنا يكتم ايمانه منذ مائة سنة وكذا امرأته فبينما هى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله تعالى فقالت ابنة فرعون وهل لك اله غير أبى فقالت الهى واله أبيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت ودخلت على أبيها وهى تبكى فقال ما يبكيك قالت ان الماشطة امرأة خازنك تزعم أن الهك والهها اله السموات والارض واحد لا شريك له فأرسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفرى بالهك قالت لا افعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفرى بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتنى سبعين شهرا ما كفرت به وكانت لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها وقال لها اكفرى بالهك والا ذبحت الصغرى على فيك أيضا وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من فى الارض على فى ما كفرت بالله تعالى فأتى بابنتها فلما أضجعت على صدرها وأراد ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهى من الاربعة الذين تكلموا أطفالا وقالت يا أماه لا تجزعى فان الله تعالى قد بنى لك بيتا فى الجنة اصبرى فانك تفضين الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث أن ماتت فأسكنها الله تعالى الى جوار رحمته وكان فرعون قد تزوج امرأة من اجمل نساء بنى اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت فى نفسها كيف يسعنى أن أصبر على ما يفعل فرعون وأنا مسلمة وهو كافر فبينما هى تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون أنت شر الخلق وأخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذى كان بها قالت ما بى من جنون وانما المجنون من يكفر بالله الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وحده لا شريك له وهو على كل شىء قدير فمدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله فقبض الله روحها واسكنها الجنة العالية وقد سبق طرف من هذه القصة فى آخر سورة التحريم فارجع اليه ثم فى عاد اشارة الى الطبيعة البشرية وفى ثمود الى القوة الشهوية وفى فرعون الى القوة الغضبية فلا بد للسالك من تزكيتها وازالة آثارها

(الذين طغوا فى البلاد) صفة للمذكورين من الطوائف الثلاث فيكون مجرور المحل لكون بعض المذكورين قبله مجرورا بالباء وبعضها معطوفا عليه وهو أحسن بحسب اللفظ

اذلا حذف فيه واختار صاحب الكشاف كونه منصوبا على الذم بتقدير أعنى لكونه صريحا فى الذم والمقام مقام الذم وهو أحسن نظرا الى المعنى والمعنى طغى كل طائفة منهم فى بلادهم وتجاوزوا الحد يعنى طغى عاد فى اليمن وثمود بأرض الشام والقبط بمصر كما أن نمرود طغى بالسواد وقس على هذا سائرهم (فأكثروا فيها الفساد) أى بالكفر وسائر المعاصى فان الفساد يتناول جميع أقسام الاثم كما ان الصلاح يتناول جميع أقسام البر فمن عمل بغير أمر الله وحكم فى عباده بالظلم فهو مفسد متجاوز عن الحد الذى حد له وفيه خوف شديد لاكثر حكام الزمان ونحوهم (فصب عليهم ربك) صب الماء اراقه من أعلى أى أنزل انزالا شديدا على كل طائفة من أولئك الطوائف عقيب مافعلت من الطغيان والفساد (سوط عذاب) السوط الجلد المضفور أى المنسوج المفتول الذى يضرب به أى عذابا شديدا لا تدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التى شرحت فى سائر السور الكريمة وهى الريح لعاد والصيحة لثمود والغرق للقبط وتسميته سوطا للاشارة الى أن ذلك بالنسبة الى ما أعد لهم فى الآخرة بمنزلة السوط عند السيف قال أبو حيان استعير السوط للعذاب لانه يقتضى من التكرار والترداد مالا يقتضيه السيف ولا غيره (وقال الكاشفى) چون عرب ضرب تازيانه را سخترين عذابها مى دانستند يعنى أن السوط عندهم غاية العذاب هر كونه از عذاب را نيز اسوط ميكفتند حق سبحانه بقانون كلام ايشان عذابهاى خودرا سوط كفت قال الشاعر

ألم تر أن الله أظهر دينه * وصب على الكفار سوط عذاب

والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شئ مائع أو جار مجراه فى السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع أنه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه فى نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشئ المصبوب فان قيل أليس أن الله تعالى قال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك على ظهرها من دابة وهو يقتضى تأخير العذاب الى الآخرة فكيف الجمع بين هاتين الآيتين قلنا انه يقتضى تأخير تمام الجزاء الى الآخرة وذلك لا ينافى أن يعجل شئ من ذلك فى الدنيا فان الواقع فى الدنيا شئ من الجزاء ومقدماته كذا فى حواشى ابن الشيخ يقول الفقير أوجه من ذلك أن المفهوم من الآية المؤاخذة لكل الناس وهو لا ينافى أن يؤاخذ بعضهم فى الدنيا بعذاب الاستئصال كبعض الامم السالفة المكذبة (ان ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله وايذان بأن كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والمرصاد المكان الذى يترقب فيه الراصدون مفعال من رصده كالميقات من وقته والباء الظرفية أى انه لفى المكان الذى تترقب فيه السابلة ويجوز أن يكون صيغة مبالغة كالمطعان والباء تجريدية وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه شبه حاله تعالى فى كونه حفيظا لاعمال العباد مجازيا عليها على النقير والقطمير ولا محيص للعباد عن أن لا يكون مصيرهم الا اليه بحال من قعد على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالجانى أو لاخذ المكس أو نحو ذلك ولا مخلص لهم من العبور الى ذلك الطريق ثم استعمل ههنا ما كان مستعملا هناك (قال الكاشفى) حق سبحانه همه را مى بيند ومى شنود وبروپوشيده نيست * همه را ميداند

همه آنچه نهان تر باشد * بعلم السر و أخفى صفت حضرت اوست * ويقال يعنى ملائكة ربك على
الصراط يترصدون على جسر جهنم فى سبعة مواضع فيسئل فى أولها عن الايمان فان سلم من
النفاق والرياء نجا والا تردى فى النار وفى الثانى عن الصلاة فان أتم ركوعها وسجودها وأقامها
فى مواقيتها نجا والا تردى فى النار وفى الثالث عن الزكاة وفى الرابع عن صوم شهر رمضان وفى
الخامس عن الحج والعمرة وفى السادس عن الوضوء والغسل من الجنابة وفى السابع عن بر
الوالدين وصلة الرحم فان خرج منها قيل له انطلق الى الجنة والا وقع فى النار (فأما الانسان)
متصل بما قبله من قوله ان ربك لبالمرصاد وكأنه قيل انه تعالى بصدد مراقبة أحوال عباده
ومجازاتهم بأعمالهم خيرا وشرا فأما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح نظره ومرصد فكره الدنيا
ولذائذها قال السهيلى رحمه الله المراد بالانسان عتبة بن ربيعة وكان هو السبب فى نزولها
فيما ذكروا وان كانت هذه الصفة تعم (اذا ما ابتلاه ربه) أى عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار
(فأكرمه) پس كرامى كندش بجاه واقتدار (ونعمه) ونعمت دهدش ومعيشت بر وفراخ كرداند
وباسانى كار او بسازد والفاء تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء (فيقول) مفتخرا
(ربى) پروردكار من (أكرمن) فضلنى بما أعطانى من الجاه والمال حسبما كنت استحقه
ولا يخطر بباله انه محض تفضل عليه ليبلوه أيشكر أم يكفر وهو خبر للمبتدا الذى هو الانسان
والفاء لما فى أما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كأنه قيل فأما الانسان فيقول
ربى أكرمنى وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من أول الامر بأن الاكرام والتنعيم بطريق
الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكى فاذا المجرد الظرفية وان هذه الفاء لا تمنع أن يعمل ما بعدها
فيما قبلها (وأما اذا ما ابتلاه) أى وأما هو اذا ما ابتلاه ربه فيكون الواقع بعد أما فى الفقرتين اسما
فتكون الجملتان متعادلتين (فقدر عليه رزقه) پس تنك سازد بروروزى اورا يعنى ضيقه حسبما
تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وجعله على قدر كفايته وقوت يومه (فيقول) متضجرا
(ربى أهانن) أذلنى بالفقر ولا يخطر بباله أن ذلك ليبلوه أيصبر أم يجزع مع أنه ليس من الاهانة فى
شئ ولذا لم يقل فأهانه فقدر عليه رزقه فى مقابلة أكرمه ونعمه بل التقتير قد يؤدى الى كرامة
الدارين فى حق الفقير الصابر أما تأديته الى كرامة الآخرة فأمر ظاهر وأما تأديته الى كرامة
الدنيا فلانه قد يسلم به من طمع الاعداء فيحسن فيه اعتقاد الكبراء من أهل الدنيا فيراجعونه
ويلتمسون منه الدعاء والتوسعة قد تفضى الى خسران الدارين بالكفران فيكون استدراجا
* أى دل اكر بديدهٔ تحقيق بنكرى * درويشى اختيار كنى بر توانكرى * قال بعضهم ربما كان
التضييق اكراما له بأن لا يشغله بالنعمة عن المنعم ويجعل ذلك وسيلة له فى التوجه الى الحق
والسلوك فى طريقه لعدم التعلق وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال لقد رأيت سبعين من أصحاب
الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوه فى أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف
الساقين ومنها ما يبلغ نصف الكعبين فيجمعه بيده كراهة أن ترى عورته فتأمل هل تكون هذه
اهانة لخواص عباد الله فالمؤمن اما فى مقام الشكر أو فى مقام الصبر قال عليه الصلاة والسلام
الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر * وفى ما ازقة رجون در غم شود * عين فقر ش دايه
ومطم شود * زانكه جنت از مكاره رسته است * رحم قسم عاجز اشكسته است * آنكه سرها

بشكند او ازعنو * رحم حق وخلق نايد سوى او * كما قال بعض الكبار فى قوله فيقول ربى أهانن أى تركنى ذليلا مهينا لم يعرف المحجوب المسكين أن ربه ناظر اليه بنظر الرحمة والشفقة اذ جذبه بالجذبة الرحمانية من العالم الطبيعى الى العالم الروحانى ومن عالم النفس الى عالم القلب ومن عالم الفرق الى عالم الجمع ومن عالم الفراق الى عالم الوصال (كلا) ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فى كلتا الحالتين قال ابن عباس رضى الله عنهما المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته على ولم ابتله بالفقر لهوانه على بل ذلك لمحض القضاء والقدر بلا تعليل بالعلل (بل لا تكرمون اليتيم) انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء أفعاله والتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس أى بل لكم أحوال أشد شرا مما ذكر وأدل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالنفقة والكسوة ونحوهما وهو من بنى آدم هو الذى فقد أباه وكان غير بالغ ومن البهائم ما فقد أمه قال عليه الصلاة والسلام أحب البيوت الى الله بيت فيه يتيم مكرم * برحمت بكن آبش از ديده پاك * بشفقت بيفشانش از چهره خاك * قال فى الاشباه استخدام اليتيم بلا أجرة حرام ولو لأخيه ومعلمه الا لامه وفيما اذا أرسله المعلم لاحضار شريكه كما فى القنية (ولا تحاضون) بحذف احدى التاءين من تتحاضون والحض الحث والتحريض أى لا يحض بعضكم بعضا ولا يحث من أهل وغيره شكرا لانعام الله تعالى (على طعام المسكين) أى على اطعام جنس المسكين ومن لا يحض غيره على اطعامه فان لا يطعمه بنفسه أولى فيؤول المعنى الى أن يقال ولا تطعمون مسكينا ولا تأمرون باطعامه وفيه ذم بليغ للبخيل قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما فى حجر أمية بن خلف فكان يدفعه عن حقه فنزلت (وتأكلون التراث) أى الميراث وأصله وراث قلبت واوه تاء والميراث هو المال المنتقل من الميت (أكلا لما) اللم الجمع يقال كتيبة ملمومة أى مجتمعة بعضها الى بعض والمعنى أكلا ذا لم على حذف المضاف أى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم أو فيه اشارة الى أنه كان بينهم ميراث يتوارثونه من ابراهيم واسمعيل عليهما السلام لكنهم قد بدلوه كما بدلوا غيره من بعض الاحكام أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام ومشتبه عالمين بذلك (وتحبون المال حبا جما) كثيرا مع حرص وشره ومنع حقوق وعدم انتفاع فان الجم الكثير يقال جم الماء فى الحوض اذا اجتمع فيه وكثر والمقصود ذمهم ببيان أن حرصهم على الدنيا فقط وانهم عادلون عن أمر الآخرة وفيه اشارة الى أن حب المال طبيعى فلا يتخلص منه المرء بالكلية الا أن يكون من الاقوياء فكأنه أشار الى أن حبه اذا لم يشتد لا يكون مذموما وقال بعض الكبار وتحبون مال الاعمال السيئة النفسانية والاحوال القبيحة الهوائية حبا كثيرا (كلا) ردع لهم عما ذكر من الافعال والتر ولذا انكار أى لا ينبغى أن يكون الامر كذلك فى الحرص على الدنيا وقصر الهمة على تحصيلها وجمعها من حيث تهيأ من حل أو حرام وترك المواساة منها وتوهم أن لا حساب ولا جزاء فان عاقبة ذلك الحسرة والندامة على ايثار الحياة الدنيوية الفانية على الحياة الاخروية الباقية (اذا دكت الارض دكا دكا) استئناف بطريق الوعيد تعليل للردع والدك الدق يقال دككت الشئ أدكه دكا اذا ضربته

كسر الحائط والجبل ودكته الحمى دكا أى كسرته كسرا وقال المبرد الدك حط المرتفع بالبسط
وكسرته حتى سويته بالارض وبالفارسية كوفتن چيزى تا برزمين برابر كردد وقال الخليل الدك
ودكا الثانى ليس تأكيدا للاول بل هو دك آخر سوى الاول والمعنى اذا دكت الارض دكا
متتابعا وضرب بعضها ببعض حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وأبنية وقصور
حين زلزلت زلزلة بعد زلزلة وحركت تحريكا بعد تحريك وصارت هباء منبثا وهو عبارة عما عرض
لها عند النفخة الثانية وبالفارسية چون شكسته شود زمين شكستنى بعد از شكستنى يعنى پاره
پاره كردد (وجاء ربك) أى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور
السلطان بنفسه من أحكام هيبته وسياسته فانه عند حضوره يظهر ما لا يظهر بحضور وزرائه
وسائر خواصه وعساكره وقال الامام أحمد جاء أمره وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل وفى
التأويلات النجمية تجلى فى المظهر الجلالى القهرى (والملك) ويايد فرشتكان بعرصهٔ محشر
(صفا صفا) أى حال كونهم مصطفين أو ذوى صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء
فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم اصطفاف أهل الصلاة فى الدنيا من الانس
والجن كما قال تعالى والملك على أرجائها انهم سبعة صفوف عدد السموات السبع (وجيء يومئذ
بجهنم) كقوله تعالى وبرزت الجحيم يعنى أن المجيء بها عبارة عن اظهارها حتى يراها الخلق مع
ثباتها فى مكانها فان من المعلوم أنها لا تنفك عن مكانها والباء للتعدية على أن جهنم قائم مقام
الفاعل لجيء وقال ابن مسعود رضى الله عنه ومقاتل تقاد جهنم بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون
ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير يعنى دوزخ از خشم كافران مى
جوشد ومى خروشد فتشرد شردة لو تركت لاحرقت أهل الجمع ويجثو كل نبى وولى من الهول
والهيبة على ركبته ويقول نفسى نفسى حتى يعترض لها رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ويقول أمتى أمتى فتقول النار مالى ومالك يا محمد انه قد حرم الله لحمك على فالمجيء بها على
حقيقته فان الخبر يدل على انفكاكها عن مكانها وتأوله الاولون بحمله على التجوز بأن
معنى يجرون يباشرون أسباب ظهورها * يقول الفقير لا حاجة الى الحمل على التجوز فان بعض
الامكنة كالكعبة تزور بعض الخواص بالايجاد والاعدام اللذين هما أسرع شيء من
طرفة العين فلا بعد فى أن يكون مجيء جهنم من هذا القبيل على أن الارض يومئذ أوسع
شيء كما بين فيما سبق فهى تسع جهنم وأهل المحشر جميعا وأيضا المراد بمجيء جهنم
مجيء صورتها المثالية ولا مناقشة فيه فيكون كمجيء المسجد الاقصى الى مرأى النبى عليه
الصلاة والسلام حين سأله قريش عن بعض أوصافه فى قصة المعراج (يومئذ) بدل من اذا دكت
والعامل فيهما قوله تعالى (يتذكر الانسان) أى يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة
آثاره وأحكامه أو بمعاينة عينه على أن الاعمال تتجسم فى النشأة الآخرة فيبرز كل من
الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة أو يتعظ أى يقبل التذكير
والارشاد الذى بلغ اليه فى الدنيا ولم يتعظ ولم يقبله فى الدنيا فيتعظ به فى الآخرة فيقول يا ليتنا نرد
ولا نكذب بآيات ربنا وهذا الاتعاظ يستلزم الندم على تقصيراته والندم توبة لكن لا توبة
هنالك لفوت الوقت * قال القاشانى يوم يتذكر الانسان خلاف ما اعتقده فى الدنيا

وصار هيئة في نفسه من مقتضيات فطرته فان ظهور الباري بصفة القهر والملائكة بصفة التعذيب لا يكون الا لمن اعتقد خلاف ما ظهر عليه بما هو في نفس الامر كالمنكر والنكير (وأنى له الذكرى) اعتراض جيء به لتحقيق أنه ليس بتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه في أوانه وأنى خبر مقدم للذكرى وله متعلق بما تعلق به الخبر أي ومن أين يكون له الذكرى وقد فات أوانها وقيل هنا مضاف محذوف واللام للنفع أي أنى له منفعة الذكرى وبه يرتفع التناقض الواقع بين اثبات التذكر أولا ونفيه ثانيا ثم انه تعالى لما نفى كون هذه الذكرى والتوبة نافعة له بقوله وأنى له الذكرى علمنا أنه لا يجب قبول التوبة كما ذهب اليه المعتزلة وفي الارشاد والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف يعني عقلا كما تزعم المعتزلة مما لا وجه له على ان تذكره ليس من التوبة في شيء فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى (يقول يا) أيها الحاضرون (ليتني) كاشكي من (قدمت لحياتي) وهو بدل اشتمال من يتذكر أو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عنه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتني عملت لاجل حياتي هذه يعني لتحصيل الحياة الاخروية التي هي حياة نافعة دائمة غير منقطعة أعمالا صالحة أنتفع بها اليوم أو وقت حياتي على أن اللام بمعنى في للتوقيت ويجوز أن يكون المعنى قدمت عملا ينجيني من العذاب فأكون من الاحياء قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى واعلم أن أهل الحق لا يسلبون الاختيار بالكلية وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله كما زعمه المعتزلة وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة وأما ان ذلك بمحض قدرته أو بخلق الله عند صرف قدرته الكاسبة اليه فلا وأما ما قيل من أن المحجور قد يتمنى ان كان ممكنا منه وموفقا له فربما يوهم أن من صرف قدرته الى أحد طرفي الفعل يعتقد أنه مجبور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل أحد جازم بأنه لو صرف قدرته الى أي طرف كان من أفعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة (فيومئذ) أي يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال (لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) الهاء راجع الى الله تعالى والعذاب بمعنى التعذيب كالسلام بمعنى التسليم وكذا الوثاق بالفتح بمعنى الايثاق وهو الشد بالوثاق وهو ما يشد به من الحديد والحبل والايثاق بالفارسية بند كردن يعني بسلاسل واغلال وأسير كردن دران والمعنى لا يتولى عذاب الله ووثاقه أحد سواه اذ الامر كله لله فلا يلزم أن يكون يوم القيامة معذب سوى الله لكنه لا يعذب أحد مثل عذابه وفي عين المعاني لا يعذب كعذاب الله في الآخرة أحد في الدنيا ويجوز أن يكون الهاء للانسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول وفي الكشاف هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبي عمرو أنه رجع اليه في آخر عمره أي لا يعذب مثل عذاب الانسان أحد وظاهره يقتضي أن يكون عذابه أشد من عذاب ابليس الا أن يكون المراد أحد من هذا الجنس كعصاة المؤمنين نسأل الله السلامة والعافية في الدارين (يا أيتها النفس المطمئنة) لما ذكر شقاوة النفس الامارة شرع في بيان سعادة النفس المطمئنة والاطمئنان السكون بعد الانزعاج وسكون النفس انما هو بالوصول الى غاية الغايات في اليقين والمعرفة والشهود وفي قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب تنبيه على أنه بمعرفته تعالى والاكثار من عبادته يكتسب اطمئنان

النفس واذا وصلت الى مقام الاطمئنان بذكر الله صار صاحبها فى مقام التلوين فى التمكين آمنا من الرجوع الى الاحكام الطبيعية والآثار البشرية فان الفانى لا يرد الى أوصافه فمن كان متمكنا فى مقام الترقى تخلص من التنزل الى مقام النفس الامارة وفى التعريفات النفس المطمئنة هى التى تنورت بنور القلب حتى تخلت عن صفاتها الذميمة وتحلت بالاخلاق الحميدة (وقال الكاشفى) أى نفس آرام كرفته بذكر من كه شاكر بودى در نعمت وصبر نمودى در محنت والمعنى أن الله تعالى يقول بالذات للمؤمن اكراما له كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام أو على لسان الملك وذلك عند تمام الحساب يا أيتها النفس المطمئنة (ارجعى الى ربك) أى الى ما وعدك من الكرامة والزلفى فكونه تعالى منتهى الغاية انما هو بهذا الاعتبار فسقط تمسك المجسمة به واستدل بالرجوع الذى هو العود على تقدم الروح خلقا (راضية) بما أوتيت من النعيم المقيم (مرضية) عند الله (فادخلى فى عبادى) فى زمرة عبادى الصالحين المختصين بى (وادخلى جنتى) معهم كقوله تعالى وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين فالدخول فى زمرة الخواص هى السعادة الروحانية والدخول معهم فى الجنات ودرجاتها هى السعادة الجسمانية وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلى فى أجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى وهذا يؤيد قول من قال ان الخطاب عند البعث وذهب بعضهم الى أنه عند الموت كما روى أن أبا بكر رضى الله عنه سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الملك سيقولها لك يا أبا بكر عند موتك وقال الحسن اذا أراد الله قبضها اطمأنت الى الله ورضيت عن الله ورضى الله عنها وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما اذا توفى العبد المؤمن أرسل الله ملكين وأرسل اليه بتحفة من الجنة فيقال لها اخرجى أيتها النفس المطمئنة اخرجى الى روح وريحان ورب عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد فى أنفه والملك على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الى الرحمن أى الى حضوره ومقام مخصوص من مقامات كراماته فتسجد ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه الريحان فان كان معه شئ من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل نور الشمس فى قبره فيكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا أحب أهله واذا توفى الكافر أرسل الله اليه ملكين وأرسل اليه قطعة بجاد أنتن من كل منتن وأخشن من كل خشن فيقال أيتها النفس الخبيثة اخرجى الى جهنم وعذاب أليم ورب عليك غضبان وقال سعيد بن جبير رحمه الله مات ابن عباس رضى الله عنهما بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير مثله على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يرى من تلاها يا أيتها النفس المطمئنة الخ ودل قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها أن من النفوس الطيبة من يتولى الله قبضها بنفسه فيا طوبى لها وقال بعض أهل الاشارة يا أيتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعى الى الله بتركها وبسلوك سبل الآخرة فادخلى فى عبادى الاخروية وادخلى جنتى الصورية والمعنوية * أى باز هوا كرفته بازاى وصروه كز رشته تو سرى درانكشت منست * وقال القاشانى يا أيتها النفس المطمئنة التى نزلت عليها السكينة وتنورت بنور اليقين فاطمأنت الى الله من الاضطراب ارجعى الى ربك فى حال

الرضا أي اذا تم لك كمال الصفات فلا تسكني اليه وارجعي الى الذات في حال الرضا الذي هو كمال مقام الصفات والرضاعن الله لا يكون الا بعد رضا الله عنها كما قال رضي الله عنهم ورضوا عنه فادخلي في زمرة عبادي المخصوصين بي من أهل التوحيد الذاتي وادخلي جنتي المخصوصة بي أي جنة الذات * وفي التأويلات النجمية ارجعي الى ربك بالفناء فيه بعد قطع المنازل والمقامات راضية من نتائج السلوك الى الله والسير في الله مرضية عند الله بالباس خلعة البقاء عليها فادخلي في عبادي الباقين بي وبصفاتي وادخلي جنة ذاتي لفنائك عن ذاتك وأنانيتك

تمت سورة الفجر بعون ذي المن والفجر في أواخر شهر المولد النبوي من سنة سبع عشرة ومائة وألف

(سورة البلد عشرون آية مكية أو مدنية الا أربع آيات من أولها)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم بهذا البلد) أي أقسم بالبلد الحرام الذي هو مكة فكلمة لا صلة تدل عليه أن الله أقسم بالبلد الامين في سورة التين وبالفارسية سوكند ميخورم بمكه وفي كشف الاسرار لا لتأكيد القسم كقول العرب لا والله ما فعلت كذا الا والله لافعلن كذا والبلد المكان المحدود المتأثر باجتماع قطانه واقامتهم فيه وجمعه بلاد وبلدان ثم ان الله تعالى أقسم بمكة لفضلها فانه جعلها حرما آمنا ومسقط رأس النبي عليه السلام وحرم أبيه ابراهيم ومنشأ أبيه اسمعيل عليهما السلام وجعل البيت قبلة لاهل الشرق والغرب وحج البيت كفارة لذنوب العمر وجعل البيت المعمور في السماء بازائه (وأنت حل بهذا البلد) حال من المقسم به وأنت خطاب للنبي عليه السلام كفته اند در قرآن جهار هزار نام وى بردوذ كروى كرد بعضى بتعريض وبعضى بتصريح والحل بمعنى الحال من الحلول وهو النزول أي والحال أنك يا محمد حال في مكة نازل بها قيد اقسامه تعالى بمكة بحلوله عليه السلام فيها اظهارا لمزيد فضلها فانها بعد أن كانت شريفة بنفسها ازداد شرفها بحلول النبي العظيم الشريف فيها فالاشرف فيه يحصل له شرف بشرف المكين وما فيه شرف ذاتي يحصل بشرفه شرف زائد فحل قدمي النبي عليه السلام كمكة والمدينة وغيرهما ينبغي أن يحافظ على حرمته وقد سمى عليه السلام المدينة طابة لانها طابت به وبمكانه وفيه تعريض لاهل مكة بانهم لجهلهم يرون أن يخرجوا منها من به مزيد شرفها ويؤذوه * اى كعبه را زيمن قدوم توصد شرف * وى مروه را ز مقدم پاك توصد صفا * بطحا ز نور طلعت تو يافته فروغ * يثرب ز خاك پاى تو يا رونق ونوا * وفيه اشارة الى بلد مكة الوجود الانساني والى رسول القلب المستكن في الجانب الايسر منه (ووالد) وزاينده عطف على هذا البلد والمراد به ابراهيم عليه السلام والتنكير للتفخيم (وما ولد) وآنچه زاده است وهو اسمعيل عليه السلام فانه ولده بلا واسطة ومحمد عليه السلام فانه ولده بواسطة اسمعيل فتتضمن السورة القسم بالنبي عليه السلام في موضعين وايثار ما على من لمعنى التعجب مما أعطاه الله من الكمال كما في قوله والله أعلم بما وضعت أي بأي شئ وضعت يعني موضوعا عجيب الشان وهو مريم أو الوالد آدم عليه السلام وما ولد ذريته وهو الانسب لمضمون الجواب فالتفخيم المستفاد من كلمة ما لابد فيه من اعتبار التغليب أي فهو من باب وصف الكل بوصف البعض أو التعجب من الامر الذي يشترك فيه الكل كالنطق والبيان والصورة البديعة وغيرها وقيل

الوالد هو النبي عليه السلام وما ولدأمته المرحومة لقوله عليه السلام انما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم أمر دينكم ولقوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه أنا وأنت أبوا هذه الامة والى هذا أشار بقوله عليه السلام كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الاسببي ونسبي وهو سبب الدين ونسب التقوى وقد سمى الله النبي عليه السلام أبا المؤمنين حيث قال النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وفي بعض القراآت وهو أب لهم فان أمومية الازواج المطهرة تقتضي ابوته عليه السلام اذ كل من كان سببا لايجاد شئ واصلاحه أوظهوره يسمى أبا وقد قال عليه السلام أنا من الله والمؤمنون من فيض نوري وصرح تعالى بفضيلة هذه الامة حيث قال وكذلك جعلناكم أمة وسطا ولذا عظمهم بالاقسام بهم وفيه اشارة الى ابراهيم الروح الوالد واسمعيل السر المولود منه أوآدم الروح وابراهيم السر أو الى روح القدس الذي هو الاب الحقيقي للنفوس الانسانية كقول عيسى عليه السلام انى ذاهب الى أبي وأبيكم السماوي وقوله تشبهوا بأبيكم السماوي فالمراد بما ولد هو النفس التي ولدها هو فكأنه قيل وأقسم بروح القدس والنفس الناطقة (لقد خلقنا الانسان في كبد) جواب للقسم يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده فانتفخت وأصله كبده اذا أصاب كبده كذكرته اذا قطعت ذكره ورأيته اذا قطعت رئته ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة بمعنى مقاساة الشدة وفي كبد حال من الانسان بمعنى مكابدا وحرف في واللام متقاربان تقول انما أنت للعناء والنصب وانما أنت في العناء والنصب ووجه آخر أن قوله في كبد يدل على أن الكبد قد أحاط به احاطة الظرف بالمظروف والمعنى لقد خلقنا الانسان في تعب ومشقة فانه مع كونه أضعف الخلق لايزال يقاسي فنون الشدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت ومابعده فابن آدم يكابد من البلايا مالا يكابده غيره يعني أن الكبد يتناول شدائد الدنيا من قطع سرته والتفافه بخرقة محبوس الاعضاء ومكابدة الختان وأوجاعه ومكابدة التعلم وصولته والاستاذ وهيبته ثم مكابدة شغل التزوج وشغل الاولاد والخدم وشغل المسكن ثم الكبر والهرم من جملة مصائب كثيرة لايمكن تعدادها كالصداع ووجع الاضراس ورمد العين وهم الدين ونحو ذلك ويتناول أيضا شدائد التكاليف كالشكر على السراء والصبر على الضراء والمكابدة في أداء العبادات كالصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ثم بعد ذلك يقاسي شدة الموت وسؤال الملك وظلمة القبر ثم البعث والعرض على الملك المحاسب الى أن يصل الى موضع الاستقرار امافي الجنة واما في النار كما قال لتركبن طبقا عن طبق قال الامام ليس في الدنيا لذة البتة بل ذلك الذي يظن أنه لذة فهو خلاص من الالم فاللذة عند الاكل هي الخلاص من ألم الجوع وعند اللبس هي الخلاص من ألم الحر والبرد فليس للانسان الا ألم أوخلاص من ألم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش واشارة الى أن الانسان المقيد بقيد التعين الوجودي خلق في تعب التعين والتقييد وفيه حرمان من المطلق ونوره فان المقيد بقيد التعين معذب بحرمان المطلق وقال القاشاني لقد خلقنا الانسان في مكابدة ومشقة من نفسه وهواه أو مرض باطن وفساد قلب وغلظ حجاب اذ الكبد في اللغة غلظ الكبد الذي هو مبدأ القوة الطبيعية وفساده وحجاب القلب وفساده من هذه القوة فاستعير غلظ الكبد لغلظ حجاب القلب ومرض الجهل (أيحسب) آيا مى پندارد

والضمير لبعض صناديد قريش الذين كان عليه السلام يكابد منهم أكثر مما يكابد من غيرهم كالوليد
ابن المغيرة وأضرابه (أن لن يقدر عليه أحد) أن مخففة من الثقيلة وهى مع اسمها سد مسد مفعولى
الحسبان أى يحسب أن الامر والشأن لن يقدر على انتقام منه أحد فحسبانه الناشئ عن غلظ
الحجاب ومرض القلب فاسد لان الله الاحد يقدر عليه وهو عزيز ذو انتقام (يقول) ذلك الطاغى
على سبيل الرعونة والخيلاء (أهلكت) أنفقت كقول العرب خسرت عليه كذا اذا أنفق
عليه (مالا لبدا) أى كثيرا متلبدا من تلبد الشئ اذا اجتمع يريد كثرة ما أنفقه سمعة ومفاخرة
وكان أهل الجاهلية يسمون مثل ذلك مكارم ويدعونه معالى ومفاخر وفى لفظ الاهلاك اشارة
الى أنه ضائع فى الحقيقة اذ لا ينتفع به صاحبه فى الآخرة كما قالت عائشة رضى الله عنها فى حق
عبد الله بن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه يا رسول الله
فقال عليه السلام لا ينفعه لانه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين (أيحسب) ذلك
الاحمق المباهى (أن) أى أن الشأن (لم يره أحد) حين كان ينفق وانه تعالى لا يسأله عنه
ولا يجازيه عليه يعنى أن الله رآه واطلع على خبث نيته وفساد سريرته وأنه مجازيه عليه فمثل ذلك
الانفاق وهو ما كان بطريق المباهاة رذيلة فكيف يعده الجاهل فضيلة وفى الحديث لا تزول
قدما العبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن ماله من أين كسبه وفيم
أنفقه وعن علمه ماذا عمل وعن حبه أهل البيت (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما عالم الملك من
الارض الى السماء حتى يشاهد بهما فى طرفة عين النجوم العلوية التى بينه وبينها عدة آلاف
سنة ويفرق بهما بين ما يضره وما ينفعه وبهما يحصل شرف النظر الى وجه العالم والى المصحف
والى الشواهد قال فى أسئلة الحكم العين تحرس البدن من الآفات وهى نيرة كالمرآة اذا
قابلها شئ ارتسمت صورته فيها مع صغر الناظر وهو الحدقة التى هى شحمة وجعل الله العين
سريعة الحركة وجعل لها أجفانا تسترها وأهدابا من الشعر كجناح الطائر تطرد بانضمامها
وبانفتاحها الذباب والهوام عن العين وجعل العين فى الرأس لان السراج يوضع على رأس
المنار وجعلها اثنتين كالشمس والقمر فانهما عينا العالم الدنيوى وجعل فوقهما حاجبين
أسودين لئلا يتضرر البصر بالضياء ولان الذى ينظر فى السواد الى البياض يكون أحد نظرا
ولذلك جعلت الحدقة سوداء وأهداب العين شعرا أسود لان السواد يقوى البصر ولما بنى
ذو القرنين الاسكندرية رخمها بالرخام الابيض جدرها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد من
نصوع بياض الرخام فمن ذلك لبس الرهبان السواد فان النظر الى الابيض يفرق البصر ويضعفه
ولذا قال عليه السلام فى الاثمد انه يقوى البصر وجعل الحدقة متحركة فى مكانها لتتحرك الى
الجهات يمنة ويسرة فيبصر بها من غير أن يلوى عنقه وجعل الناظرين جميعا على خط مستقيم
عرضا ولم يقع واحد منهما أعلى ولا أخفض ليجتمع الناظران على شئ واحد لئلا يتراءى له
الشخص الواحد شخصين وفى العينين اشارة الى العين الظاهرة والعين الباطنة فينبغى أن يحافظ
على كلتيهما فان نظر عينين أتم من نظر عين واحدة (ولسانا) يترجم به عن ضمائره وبه تنعقد
المعاملات وتحصل الشهادات وتدرك الطعوم من الحلو والمر ولو لم يكن اللسان لاحتاج
الانسان الى الاشارة أو الكتابة فتعسر أمره وانما تعدد العين والاذن وتفرد اللسان لان حاجة

الانسان الى السمع والبصر أكثر من حاجته الى الكلام وفيه تنبيه أيضا على أن يقل من الكلام الا فى الخير وأن لا يتكلم فيما لا فائدة فيه وهو السر فى أن الله تعالى جعل اللسان داخل الفم وجعل دونه الشفتين اللتين لا يمكن الكلام الا بفتحهما ليستعين العبد باطباق شفتيه على رد الكلام وقد حكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يجعل فى فمه حجرا ليمتنع من الكلام فيما لا يعنيه وفيه اشارة الى لسان القلب فانه يتكلم به بالمفاوضة القلبية وقد أبطله كما أبطل العين الباطنة وأفسد استعداد التكلم الباطنى والنظر القلبى (وشفتين) يستر بهما فاه اذا أراد السكوت ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ قال السجاوندى خص الشفة لخروج أكثر الحروف منها وفى الدعاء الحمد لله الذى جعلنا نلتذ باللحم ونبصر بشحم ونسمع بعظم قال بعضهم أسبل الصانع الحكيم امام الفم سترا من الشفة ذا طرفين ينضمهما ويفتحهما عند الحاجة ويمتص بهما المشروب ويجعل الشارب محيطا من العليا ليمنعها على وجه الشراب من القش والقذى أن يدخل حالة الشرب وفى الحديث ان الله يقول ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق وفى الخبر الفرج أمانة والاذن أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا ايمان لمن لا أمانة له اورا كويند ما ديده بتو سپرديم پاك تو بنظرهاى ناپاك ما طلع كردى تا آثار تقديس ازوى برخاست وخبيث شد اكنون ميخواهى كه بيدار قدس ما نظر خويش بينى هيهات ما پاكيم و پاكانرا پاك شايد الطيبات للطيبين دو كوش داديم ترا تا قرآن وخزانه سازى ودرهاى آثار وحى در وى تعبيه كنى وامروز باز سپارى تو آنرا محل دروغ شنيدن ساختى وگذر اصوات خبيثه كردى وندا ما پاكست جز بسمع پاك نشنود امروز بكدام كوش حديث ما خواهى شنيد زبانى داديم ترا تا با ما راز كويى در خلوت وقرآن خوانى در عبادت وصدق در روى فرو آرى و با دوستان ما سخن كويى تو خود زبانرا بساط غيبت ساختى ودروغ ونامه جدل وديوان خصومت كردى تو امروز بكدام زبان حديث ما خواهى كرد * زبان آمد از بهر شكر وسپاس * بغيبت نكرداندش حق شناس * كذركاه قرآن وپندست كوش * به بهتان وباطل شنيدن مكوش * دو چشم از پى صنع بارى نكوست * زعيب برادر فرو كير ودوست * وفيه اشارة الى شفتى لسان القلب ولسان الرأس (وهديناه النجدين) معطوف على ألم نجعل لانه فى التقدير مثبت أى جعلنا له ذلك وهديناه طريقى الخير والشر كما قال عليه السلام هما النجدان نجد الخير ونجد الشر فلا يكن نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير أو طريقى الثديين لانهما طريقان مرتفعان لنزول اللبن سيمان لحياة المولود وتمكينه ولولاهما عاجز عن رضاع أمه عقيب الولادة قدرة عالية ونعمة جليلة * نه طفل زبان بسته بودى زلاف * همى روزى آمد بجوفت زناف * چو نافش بريدند روزى كسست * به پستان مادر درآويخت دست * وأصل النجد المكان المرتفع جعل الخير بمنزلة مكان مرتفع بخلاف الشر فانه يستلزم الانحطاط عن ذروة الفطرة الى حضيض الشقاوة فكان استعمال النجدين بطريق التغليب أولان فعل الشر بالنسبة الى قوته فى الواهمة مصور بصورة المكان المرتفع ولذا استعمل الترقى فى الوصول الى كل شئ وتكميله وقال ابن

الشيخ لما وضحت الدلالة الدالة على الخير والشر صارتا كالطريقين المرتفعين بسبب كونهما
واضحين للعقول كوضوح الطريق العالى للابصار وفيه اشارة الى نجد الروح ونجد القلب
وأبطالهما بغلبة النفس على الروح وغلبة الهوى على القلب (فلا اقتحم العقبة) الاقتحام الدخول
فى أمر شديد ومجاوزته بصعوبة وفى القاموس قحم فى الامر كنصر قحوما رمى بنفسه فيه فجأة
بلا روية والعقبة الطريق الوعر فى الجبل فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر
عنها بالعقبة لصعوبة سلوكها (وما أدراك ما العقبة) أى أى شىء أعلمك يا محمد ما اقتحام العقبة
فان المراد ليس العقبة الصورية واقتحامها (فك رقبة) الفك الفرق بين الشيئين بازالة أحدهما
عن الآخر كفك القيد والغل وفك الرقبة الفرق بينها وبين صفة الرق بايجاب الحرية والرقبة
اسم العضو المخصوص ثم يعبر بها عن الجملة ويجعل فى التعارف اسما للمماليك كما عبر بالرأس
وبالظهر عن المركوب فقيل فلان يربط كذا رأسا وكذا ظهرا والمعنى هو أى اقتحام العقبة
اعتاق رقبة فالفك ليس تفسيرا لنفس العقبة بل لاقتحامها بتقدير المضاف وذلك لان العقبة
عين والفك فعل فلا يكون تفسيرا للآخر ثم فك الرقبة قد يكون بأن ينفرد الرجل فى عتق الرقبة
وقد يكون بأن يعطى مكاتبه ما يصرفه الى جهة فكاك رقبته وبأن يعين فى تخليص نفس من
قود أو غرم فهذا كله يعم الفك دون الاعتاق ويحتمل أن يكون المراد بفك الرقبة أن يفك المرء
رقبة نفسه من عذاب الله بأن يشتغل بالاعمال الصالحة حتى يصير بها الى الجنة ويتخلص من
النار وهى الحرية الوسطى وأن يفك رقبة القلب من أسر النفس وقيد الهوى وتعلق السوى
وهى الحرية الكبرى فيكون قوله او اطعام الخ من قبيل التخصيص بعد التعميم اشارة الى مزيد
فضل ذلك الخاص بحيث خرج به من أن يتناول اللفظ السابق مع عمومه وقال بعضهم تقدم
العتق على الصدقة يدل على انه أفضل منها كما هو مذهب أبى حنيفة رحمه الله وفى الحديث من
فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار قال الراغب فك الانسان غيره من العذاب
انما يحصل بعد فك نفسه منه فان من لم يهتد ليس فى قوته أن يهدى وفك الرقبة من قبيل فك
النفس لانه من الاعمال الصالحة التى لها مدخل عظيم فى فكها (أو اطعام فى يوم ذى مسغبة)
أى مجاعة قحط أو غلاء من سغب اذا جاع قال الراغب السغب الجوع مع التعب وربما قيل
فى العطش مع التعب فمسغبة مصدر ميمى وكذا مقربة ومتربة قيد الاطعام بيوم المجاعة لان
اخراج المال فى ذلك الوقت أثقل على النفس وأوجب للاجر (يتيما) مفعول اطعام (ذا مقربة)
أى قرابة من قرب فى النسب قربا ومقربة وقال السجاوندى قرب قرابة أو جوار انتهى قيد
اليتيم بأن يكون بينه وبين المطعم قرابة نسبية لانه اجتمع فيه جهتا الاستحقاق اليتم والقرابة
فاطعامه أفضل لاشتماله على الصدقة وصلة الرحم (أو مسكينا ذا متربة) أى افتقار من
ترب بالكسر تربا بفتحتين ومتربا اذا افتقر كأنه لصق بالتراب من فقره وضره فليس فوقه ما يستره
ولا تحته ما يوطئه ويفرشه وأما قولهم أترب فمعناه صار ذا مال كالتراب فى الكثرة كما قيل أثرى
وعن النبى عليه السلام فى قوله ذا متربة الذى مأواه المزابل وقال ابن عباس رضى الله عنهما
البعيد التربة يعنى الغريب (كما قال الكاشفى) واين چنين كس عيال مند بود يا وام دار يا بيمار
يا خواستار يا غريبى دور ازديار وفى الحديث الساعى على الارملة والمسكين كالساعى

في سبيل الله وكالقائم لا يفتر والصائم لا يفطر يقول الفقير خص الفك والاطعام لصعوبة العمل بهما وجعل الاطعام لليتيم والمسكين لما أن ذلك يثقل على النفس فقد ينفق المرء الوفا في هواه كاطعام أهل الهوى وبناء الابنية الزائدة ونحو ذلك ولا يستكثرها وأما الفقير واليتيم فلا يراهما بصره لهوانهما عنده وعلى تقدير الرؤية فيصعب عليه اعطاء درهم أو درهمين أو اطعام لقمة أو لقمتين واحتج الشافعي رحمه الله بهذه الآية على أن المسكين قد يكون بحيث يملك شيأ والا لكان تقييده بقوله ذا متربة تكرارا وهو غير جائز وفيه بحث لجواز أن يكون ذا متربة صفة كاشفة للمسكين وتكون الفائدة في التوصيف بها التصريح بجهة الاحتياج ليتضح ان اطعام الاحوج أفضل والتكرير الذي لا يجوز هو التكرير الخالي عن الفائدة وما نحن فيه ليس من هذا القبيل وفيه اشارة الى يتيم القلب المغلوب في يد النفس والهوى ومسكين السر المذال تحت قهر النفس وعزتها وفي الارشاد وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضي وليس بشرط اذ قد يكون بمعنى لم فكأنه قيل فلم يقتحم العقبة (ثم كان) بس باشد اين ازاد كننده وطعام دهنده (من الذين آمنوا) عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الايمان عن العتق والصدقة ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به والا فهو في الزمان مقدم على الطاعات والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضي النافع عند الله لا ان يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم وفي ذكر العقبة اشارة الى أن عقبة الآخرة لا يجوزها الا من كان محقا قال المحاسبي تلك عقبة لا يجوزها الا من خص بطنه عن الحرام والشبهات وتناول مقدار بقاء المهجة وقال القاسم العقبة نفسك ألا ترى الى قوله فك رقبة فانه أن تعتق نفسك من رق الخلق وتشغلها بعبودية ربك (وتواصوا بالصبر) عطف على آمنوا أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن المعاصي وفي المصائب (وتواصوا بالمرحمة) مصدر بمعنى الرحمة أي أوصى بعضهم بعضا بالرحمة على عباد الله أو بموجبات رحمته تعالى من الخيرات على حذف المضاف أو ذكر المسبب وارادة السبب تنبيها على كماله في السببية والرحمة بهذا المعنى أعم من الرحمة بالمعنى الاول وهي الشفقة لمن يستحقها من العباد يتيما أو فقيرا أو نحو ذلك وفي الحديث لا يرحم الله من لا يرحم الناس فقوله وتواصوا بالصبر اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله والى التكميل بعد الكمال فان الايمان كمال في نفسه وكذا الصبر والمرحمة وغيرهما من الاعمال الصالحة والتواصي من باب تكميل الغير قال بعضهم الاطعام خصوصا وقت شدة الحاجة أفضل أنواع العفة والايمان أجل أنواع الحكمة وهو الايمان العلمي اليقيني وجاء فيه بلفظ ثم لبعد رتبته عن الفضيلة الاولى في الارتفاع والعلو لكونه الاساس والصبر على الشدائد من أعظم أنواع الشجاعة وأخره عن الايمان لامتناع حصول فضيلة الشجاعة بدون اليقين والتراحم والتعاطف من أفضل أنواع العدالة (أولئك) الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة وفي اسم الاشارة دلالة على حضورهم عند الله في مقام كرامته وعلو رتبتهم وبعد درجتهم (أصحاب الميمنة) أي اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم ويسلك بهم من طريق اليمين الى الجنة أو أصحاب اليمن والخير والسعادة لان الصلحاء ميامين على أنفسهم بطاعتهم وعلى غيرهم

ايضا

أيضا أو أصحاب اليد اليمنى (والذين كفروا بآياتنا) بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن (هم) فى ضمير الغائب دلالة على سقوطهم عن شرف الحضور وأنهم احقاء بالاخفاء (أصحاب المشأمة) أى الشمال وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ومن وراء ظهورهم ويسلك بهم شمالا الى النار أو أصحاب الشؤم والشر والشقاوة لان الفساق مشائيم على أنفسهم بمعصيتهم وعلى غيرهم أيضا ويجب التوسل بالصلحاء والاجتناب عن الفسقاء أو أصحاب اليد اليسرى (عليهم) خبر مقدم لقوله (نار مؤصدة) أى نار أبوابها مغلقة فلا يفتح لهم باب فلا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح أبد الآباد الا أنها جعلت صفة للنار اشعارا باحاطتها فأصل التركيب مؤصدة الابواب فلما تركت الاضافة عاد التنوين اليها الا نهاية ماقبلها من أوصدت الباب من المعتل الفاء وآصدته بالمد من المهموز مثل آمن اذا أطبقته وأغلقته وأحكمته فمن قرأها مؤصدة بالهمزة جعلها اسم مفعول من آصدت ومن لم يهمزها أخذها من أوصدت مثل أوعد فهو موعد وذلك موعد ويحتمل أن يكون من آصد مثل آمن لكنه قلبت همزته الساكنة واوا لضمة ماقبلها للتخفيف وكان أبو بكر بن عياش راوى عاصم يكره الهمزة فى هذا الحرف ويقول لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهى أن أسد أذنى اذا سمعته وكأنه لم يحفظه عن شيخه الا بترك الهمزة وقد حفظه حفص بالهمزة وهو أضبط للحرف من أبى بكر على مانقله القراء وان كان أبو بكر أكبر وأتقن وأوثق عند أهل الحديث وفيه اشارة الى أن نار الحجاب والخذلان والخسران مؤصدة على النفس الامارة

تمت سورة البلد بعون الله الاحد فى خامس الثانى من الربيعين سنة سبع عشرة ومائة وألف

(سورة الشمس خمس عشرة أو ست عشرة آية مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والشمس) سوكند ميخورم بآفتاب (وضحاها) أى ضوئها اذا طلعت وقام سلطانها وانبسط نورها يعنى سوكند بتابش وى جون بلند كردد وبموضع چاشت رسد يقال وقت الضحى أى وقت اشراف الضوء فالضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو نور الشمس المنبسط على وجه الارض المضاد للظل * وفيه اشارة الى الاقسام بشمس الروح وضوئها المنتشر فى البدن الساطع على النفس (والقمر اذا تلاها) من التلو بمعنى التبع أى اذا تبعها بأن طلع بعد غروبها آخذا من نورها وذلك فى النصف الاول من الشهر قال الراغب تلاه تبعه متابعة ليس بينهما ماليس منهما وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء فى الحكم ومصدره تلو وتلو وتارة بالقرآن وتدبر المعنى ومصدره تلاوة ثم قال قوله والقمر اذا تلاها فانما يراد به ههنا الاتباع على سبيل الاقتداء والمرتبة وذلك انه فيما قيل ان القمر يقتبس النور من الشمس وهو لها بمنزلة الخليفة قيل وعلى هذا قوله جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء أعلى مرتبة من النور اذ كل ضياء نور دون العكس * وفيه اشارة الى قمر القلب اذا تلا الروح فى التنور بها واقباله نحوها واستضاءته بنورها ولم يتبع النفس فينخسف بظلمتها قال شيخى وسندى روح الله روحه فى كتاب اللائحات البرقيات له ان الشمس آية للحقيقة الالهية الكمالية الاكملية واشارة اليها والقمر آية للحقيقة الانسانية الكمالية الاكملية واشارة اليها فكما ان القمر منذ خلقه الله الى يوم القيامة كان مجلى ومظهرا

لتجلي نور الشمس وظهوره في الليل حتى يهتدي به أرباب الليل في الظلمات الليلية في سيرهم وسلوكهم في طرق مقاصدهم فكذلك الحقيقة الانسانية الكمالية الاكملية منذ خلقها الله الى أبد الآبدين كانت مجلى ومظهرا لتجلي نور الحقيقة الالهية الكمالية الاكملية وظهوره في الكون حتى يهتدي به أرباب الكون في ظلمات الكون عند سلوكهم وسيرهم في العوالم والاطوار الكونية نزولا عند السير الى عالم الامكان وعروجا عند السلوك الى عالم الوجوب فكما ان القمر يفنى من نوره ونفسه بالتمام في نور الشمس ونفسها بحيث لا يبقى أثر من نوره ونفسه عند المقارنة والمواصلة الحاصلة بينهما بالتوجه الشمسي القابض والاقبال الجاذب عليه ويبقى مع نوره ونفسه أي بجرمه بالكمال وبنور الشمس ونفسها بحيث لا يفنى شئ من نوره ونفسه عند المقابلة والمفارقة الكاملة الحاصلة بينهما بالارسال الى نفسه والبسط الى نوره مرارا وكرارا دائما وباقيا الى يوم القيامة فكذلك الحقيقة الانسانية الكمالية الاكملية تفنى من نورها وتعينها في نور الحقيقة الالهية الكمالية الاكملية وتعينها بالتمام بحيث لا يبقى لها أثر ما أصلا عند الوصلة الالهية الحاصلة في مرتبة الذات الاحدية الجمعية المطلقة بالقبض والجذب من نورها وتعينها الى نورها وتعينها الازلي الابدي السرمدي وتبقى مع نورها وتعينها بنورها بحيث لا يفنى منها أثر أصلا عند الفرقة الكونية الحاصلة في مرتبة المظهرية الكثرتية الفرقية المقيدة بالبسط والارسال الى نورها وتعينها مرارا وكرارا أبدا سرمدا وعند تجلي النور الشمسي والالهي وظهوره في القمر والانسان الكامل تدريجا الى حد الكمال يكمل بقاؤهما وعند استتاره واختفائه عنهما تدريجا أيضا الى حد التمام يتم فناؤهما وفناؤهما على هذا الوجه من قبض جلال الحق سبحانه وبقاؤهما على ذلك النمط من بسط جماله تعالى والله يقبض ويبسط دائما من مرتبة كماله الذاتي بيدي جلال كماله وجماله بل يداه مبسوطتان كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انتهى كلامه قدس الله سره فان قلت اذا ههنا ليست بشرطية لعدم جوابها لفظا أو تقديرا حتى يعمل فيها فتكون ظرفا مطلقا فلا بد لها من عامل وهو في المشهور أقسم المقدر وهو انشاء فيكون للحال واذا للاستقبال ولا اجتماع بينهما فلا تكون ظرفا ووقتا له قلت اذا في امثال هذا المقام للتعليل أي أقسم بالقمر اعتبارا بتلوها وبالنهار اعتبارا بتجليته الشمس وبالليل اعتبارا بغشيانه اياها كما تقول أشهد لك على هذا حيث كنت صالحا متدينا أي لاجل ذلك كذا في بعض التفاسير وقال في القاموس اذا تجيء للحال وذلك بعد القسم مثل والليل اذا يغشى والنجم اذا هوى انتهى فيكون بمعنى حين فاعرف (والنهار) هو نور الشمس الذي ينسخ ظل الارض بمحو ظلمة الليل (اذا جلاها) أي جلى الشمس يعني هويدا كرد فانها تنجلي عند انبساط النهار واستيفائه تمام الانجلاء فكأنه جلاها مع انها التي تبسطه يعني لما كان انتشار الاثر وهو زمان ارتفاع النهار زمانا لانجلاء الشمس وكان الجلاء واقعا فيه أسند فعل التجلية اليه اسنادا مجازيا مثل نهاره صائم أو جلى الظلمة أو الدنيا أو الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها * وفيه اشارة الى نهار استيلاء نور الروح وقيام سلطانها واستواء نورها اذا جلاها وأبرزها في غاية الظهور كالنهار عند الاستواء في تجلية الشمس (والليل) هو ظل الارض الحائلة بين الشمس وبين ما وقع عليه ظلمة الليل (اذا يغشاها) أي الشمس فيغطي ضوءها فتغيب

وتظلم

تظلم الآفاق ولما كان احتجاب الشمس بحيلولة الارض بيننا وبينها واقعا في الليل صار الليل كأنه يحجبها ويغطاها فأسند التغطية والتغشية الى الليل لذلك أو اذا يغشى الآفاق والارض ولعل اختيار صيغة المضارع ههنا على المضي للدلالة على انه لا يجرى عليه تعالى زمان فالمستقبل عنده كالماضي مع مراعاة الفواصل ولم يجئ غشاها من التغشية لانه يتعدى الى المفعولين وحيث كانت الواوات العاطفة نواب الواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا في قولك أقسم بالله حق أن يعملن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذى هو عاملهما فاندفع ما يورد ههنا من أن تلك الواوات ان كانت عاطفة يلزم العطف على معمولى عاملين مختلفين وان كانت قسمية يلزم تعدد القسم مع وحدة الجواب وحاصل الدفع اختيار الشق الاول ومنع لزوم المحذور وفيه اشارة الى ليل النفس عند غشيانه بظلماتها شمس نهار الروح وهو أيضا آية من آياته الكبرى لان الليل مظهر الاسم المضل فيجوز القسم به كما جاز القسم بالنهار نظرا الى أنه مظهر الاسم الهادى (والسماء وما بناها) أى ومن بناها على غاية العظم ونهاية العلو وهو الله تعالى وايثار ما على من لارادة الوصفية تعجيبا لان ما يسأل بها عن صفة من يعقل كأنه قيل والقادر العظيم الشان الذى بناها وكذا الكلام في قوله (والارض وما طحاها) أى ومن بسطها من كل جانب على الماء كى يعيش أهلها فيها والطحو كالدحو بمعنى البسط وابدال الطاء من الدال جائز وافراد بعض المخلوقات بالذكر وعطف الخالق عليه والاقسام بهما ليس لاستوائهما فى استحقاق التعظيم بل النكتة فى الترتيب أن يتبين وجود صانع العالم وكمال قدرته ويظفر العقل بادراك جلال الله وعظمة شانه حسبما أمكن فانه تعالى لما أقسم بالشمس التى هى أعظم المحسوسات شرفا ونفعا ووصفها بأوصافها الاربعة وهى ضوءها وكونها متبوعة للقمر ومتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية متغطية بالليل ثم أقسم بالسماء التى هى مسير الشمس وأعظم منها فقد نبه على عظمة شأنهما لما تبين أن الاقسام بالشئ تعظيم له ومن المعلوم انهما لحركاتهما الوضعية وتغير أحوالهما من الاجسام الممكنة المحتاجة الى صانع مدبر كامل القدرة بالغ الحكمة فتوسل العقل بمعرفة أحوالهما وأوصافهما الى كبرياء صانعهما فكان الترتيب المذكور كالمرقى الى جانب العقل من حضيض عالم المحسوسات الى يفاع عالم الربوبية وبيداء كبريائه الصمدية وفيه اشارة الى سماء الارواح وأرض الاجساد (ونفس وما سواها) أى ومن أنشأها وأبدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على أن المراد نفس آدم عليه السلام أو للتكثير وهو الانسب للجواب وذكر فى تعريف ذات الله تعالى السماء والارض والنفس لان الاستدلال على الغائب لا يمكن الا بالشاهد والشاهد ليس الا العالم الجسمانى وهو اما علوى بسيط كالسماء واما سفلى بسيط كالارض واما مركب وهو أقسام أشرفها ذوات الانفس وقد استدل بعطف ما بعدها على ما قبلها على عدم جواز تقدير المضاف فيه مثل ورب الشمس وكذا فى غيره اذ المقدر فى المعطوف عليه يقدر فى المعطوف فيكون التقدير ورب ما بناها ورب ما طحاها ورب ما سواها وبطلانه ظاهر فان الظاهر أن تكون فى مواضعها موصولة فاعرف وسيجئ شرح النفس وتسويتها عند أهل التأويل ان شاء الله تعالى (فألهمها فجورها وتقواها) الفاء ان كانت لسببية التسوية فالامر ظاهر وان

كانت لتعقيبها فلعل المراد منها اقدام ما يتوقف عليه الالهام من القوى الظاهرة والباطنة والالهام القاء الشئ في الروع اما من جهة الله أو من جهة الملا الاعلى وأصل التهام الشئ ابتلاعه والفجور شق ستر الديانة قدم على التقوى لمراعاة الفواصل أولشدة الاهتمام بنفيه لانه اذا انتفى الفجور وجدت التقوى فقدم ماهم بشأنه أعنى والمعنى أفهم النفس اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح ومايؤدى اليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت قال بعض الكبار الالهام لايكون الا فى الخير فلا يقال فى الشر ألهمنى الله كذا وأما قوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها فالمراد بفجورها لتجتنبه لا لتعمل به وتقواها لتعمل به اذ ليس فى كلام الله تناقض أبدا وقال بعضهم لايخفى أن محل الالهام هو النفس قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها فأعلمنا أن الفاعل فى الالهام هويته تعالى لا غيره لكن ألهم النفس فجورها لتعلمه ولا تعمل به وتقواها لتعلمه وتعمل به فهو فى قسم الفجور الهام اعلام لا الهام عمل ان الله لا يأمر بالفحشاء وكما لا يأمر بالفحشاء لا يلهم بها فانه لو ألهم بها ما قامت الحجة لله على العبد فهذه الآية مثل قوله وهديناه النجدين أى بيناله الطريقين وقال بعضهم لم ينسب سبحانه الى النفس خاطر المباح ولا الهامه فيها وسبب ذلك أن المباح اذا أتى فبنفس ما خلق عينها ظهر المباح فهو من صفاتها النفسية التى لا تعقل النفس الا بها لخاطر المباح نعت خاص كالضحك للانسان وفى التأويلات النجمية تدل الآية على كون النفوس كلها حقيقة واحدة متحدة تختلف باختلاف توارد الاحوال والاسماء فان حقيقة النفس المطلقة من غير اعتبار حكم معها اذا توجهت الى الله توجها كليا سميت مطمئنة واذا توجهت الى الطبيعة توجها كليا سميت أمارة واذا توجهت تارة الى الحق بالتقوى وتارة أخرى الى الطبيعة البشرية بالفجور سميت لوامة انتهى وفى الخبر الصحيح عن عمران بن حصين رضى الله عنه سأل رجل من جهينة أو مزينة رسول الله عليه السلام ما يعمل الناس ويكدحون فيه أشئ قضى عليهم أم شئ يستقبلونه فقال عليه السلام بل قضى عليهم قال ففيم العمل اذا يارسول الله فقال عليه السلام من كان خلقه الله لاحدى المنزلتين يهيئه الله لها ثم تلا الآية وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله عليه السلام يقول عند الآية اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها (قد أفلح من زكاها) جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وقال الزجاج طول الكلام صار عوضا عن اللام وانما تركه الكشاف وغيره لانه يوجب الحذف والحذف لا يجب مع الطول ولم يجعل كذبت جوابا لان اقسام الله انما يؤكد به الوعد أو الظفر وادراك البغية وهو دنيوى كالظفر بالسعادات التى تطيب بها الحياة الدنيا من الغنى والعز والبقاء مع الصحة ونحوها وأخروى وهو بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل ولذلك قيل لا عيش الاعيش الآخرة وأصل الزكاة الزيادة والنمو ومنه زكا الزرع اذا حصل فيه نمو كثير وبركة ومنه تزكية القاضى الشاهد لانه يرفع قدره بالتعديل ومنه الزكاة لما يخرج الانسان من حق الله الى الفقراء لما فيها من رجاء البركة أو لتزكية النفس أى تنميتها بالخيرات والبركات أو لهما جميعا فان الخيرين موجودان فيها والمعنى قد فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنمى النفس وأعلاها بالتقوى أى رفعها وأظهرها وشهرها بها فأهل الصلاح يظهرون أنفسهم ويشهرونها بما سطع من أنوار تقواهم الى الملا الاعلى

وعلازمهم مواضع الطاعات ومحافل الخيرات بخلاف أهل الفسق فانهم يخفون أنفسهم ويدسونها فى المواضع الخفية لايلوح عليهم سيما سعادة يشتهرون به بين عباد الله المقربين وأصل هذا أن أجواد العرب كانوا ينزلون فى أرفع المواضع ويوقدون النار للطارقين لتكون أشهر واللئام ينزلون الاطراف والهضاب لتخفى أماكنهم عن الطالبين فاخفوا أنفسهم فالبار أيضا أظهر نفسه بأعمال البر والفاجر دسها وتستعمل التزكية بمعنى التطهير أيضا كما قال فى القاموس الزكاة صفوة الشئ وما أخرجته من مالك لتطهره به فالمعنى قد أفلح من طهر نفسه من المخالفات الشرعية عقدا وخلقا وعملا وقولا فقد أقسم تعالى بسبعة أشياء على فلاح من زكى نفسه ترغيبا فى تزكيتها وابن عباس رضى الله عنهما روايت كرده كه حضرت رسول صلى الله عليه وسلم نزديك تلاوت اين آيت فرمودى كه تزكية نفس موجب تزكيهٔ دلست هركاه كه نفس ازشوب * وامزكى شود فى الحال دل ازلوث تعلق بماسوى مصفى كردد * تانفس مبرا زمناهى نشود * دل آيينهٔ نور الهى نشود * وكون أفعال العبد بتقدير الله تعالى وخلقه لا ينافى اسناد الفعل الى العبد فانه يقال ضرب زيد ولا يقال ضرب الله مع أن الضرب بخلقه وتقديره وذلك لان وضع الفعل بالنسبة الى الكاسب قال الراغب وبزكاء النفس وطهارتها يصير الانسان بحيث يستحق فى الدنيا الاوصاف المحمودة وفى الآخرة الاجر والمثوبة وهو أن يتحرى الانسان مافيه تطهيره وذلك ينسب تارة الى العبد لاكتسابه ذلك نحو قد أفلح من زكاها وتارة الى الله لكونه فاعلا لذلك فى الحقيقة نحو بل الله يزكى من يشاء وتارة الى النبى لكونه واسطة فى وصول ذلك اليهم نحو خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وتارة الى العبادة التى هى آلة فى ذلك نحو وحنانا من لدنا وزكاة انتهى (وقد خاب من دساها) فى القاموس خاب يخيب خيبة حرم وخسر وكفر ولم ينل ماطلب وأصل دسى دسس كتقضى البازى وتقضض من التدسيس وهو الاخفاء مبالغة الدس واجتماع الامثال لما أوجب الثقل قلبت السين الاخيرة ياء وقال الراغب الدس ادخال الشئ فى الشئ بضرب من الاكراه ودساها أى دسها فى المعاصى انتهى والمعنى قد خسر من نقصها وأخفاها بالفجور وبارسالها فى المشتهيات الطبيعية وقال شيخى وسندى قدس سره فى قوله تعالى ونفس الخ المراد بالنفس هنا الذات والحقيقة الجمعية الانسانية الكمالية المخلوقة على الصورة الالهية الجمعية الكمالية لتكون مرآتها كما ورد خلق الله آدم على صورته ويقال انها النفس الناطقة المدبرة للبدن وماسواها أى خلقها مستوية قابلة لتكون مجلى لتجليات تعينات الكمال والجلال والجمال ومتوسطة ممكنة لتكون مظهر الظهورات الذات والصفات والافعال ومعتدلة صالحة لتكون مشهد المشاهدات آثار الاسماء والمراتب والاحوال وبهذه القابلية الجامعة بين القبضتين الجمال والجلال كانت أتم كل موجود فألهمها اى أفاض عليها بواسطة سادة الجلال فجورها أى آثار الجلال المندرج فى جمعية حقيقتها البرزخية وأحكامه وأحواله من العقائد والعلوم والاعمال والمذاهب وغير ذلك مما فجر وعدل فيه من الحق الى الباطل فتجازى بالخسران وتقواها وأفاض عليها بواسطة خادم الجمال أى آثار الجمال وأموره وأحكامه من كلمة التوحيد العلمى الرسمى المنافى للشرك والكفر والهوى الجلى وسائر الفساد فى مرتبة الشريعة والطريقة ومن كلمة التوحيد العينى الحقيقى المزيل للشرك والكفر والهوى الخفى

وباقى الكسادفى مرتبة المعرفة والحقيقة ومن غيرهما من لطائف العلوم والمعارف ومحاسن
الاعمال والاحوال ومكارم الاخلاق والصفات قد أفلح أى دخل فى الفلاح فى جميع المراتب
صورة وحقيقة من زكاها من طهرها من رذائل آثار الجلال فى جميع الاطوار وقد خاب أى
حرم من الفلاح من دساها أى أخفى فيها الآثار الجلالية والصفات النفسانية وكتم فيها
العيوب والقبائح الشيطانية والاهواء والشهوات البهيمية والاعمال والاخلاق الرديئة ولم
يعالجها باضدادها بل أهملها عن التربية فى مرتبة الشريعة بالتقوى والصلاح وعن التزكية
فى مرتبة الطريقة بالمجاهدة والاصطلاح وساعدها فى هواها وشهواتها فى النيات والمقصود
والاعمال والاقوال وصارت حركاتها وسكناتها جميعا بالاهواء انتهى باختصار فان كلامه
رحمه الله فى هذه الآية يبلغ الى نصف جزء بل أكثر (كذبت ثمود) المراد القبيلة ولذا قال
(بطغواها) وهو استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها فان الطغيان
أعظم أنواع التدسية والطغوى بالفتح مصدر بمعنى الطغيان الا أنه لما كان أشبه برؤس الآيات
اختير على لفظ الطغيان وان كان الطغيان أشهر وفى الكشاف الطغوى من الطغيان فصلوا
بين الاسم والصفة فى فعلى من بنات الياء بأن قلبوا الياء واوا فى الاسم وتركوا القلب فى الصفة
فقالوا امرأة خزيا وصديا من الخزى بالفتح والقصر بمعنى الاستحياء ومن الصدى بمعنى العطش
والباء للسببية أى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمنى بجراءته على الله فالفعل منزل
منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول وهو المشهور أو كذبت ثمود نبيها صالحا عليه السلام فحذف
المفعول للعلم به وفيه اشارة الى أن العصيان اذا اشتد بلغ الكفر ويجوز أن تكون الباء صلة
للتكذيب أى كذبت بما أوعدت به من العذاب ذى الطغوى والتجاوز عن الحد وهو الصيحة
كقوله تعالى فأهلكوا بالطاغية أى بصيحة ذات طغيان (اذ انبعث أشقاها) منصوب بكذبت
أو بالطغوى أى حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف امتثالا لامر من بعثه اليه فان انبعث
مطاوع لبعث يقال بعثت فلانا على أمر فانبعث له وامتثل قال فى كشف الاسرار الانبعاث
الاسراع فى الطاعة للباعث أو حين قام قدار ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان
أفعل التفضيل اذا أضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث ويدل على الاول قوله تعالى
فى سورة القمر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فانه يدل على أن المباشر واحد معين وفضل شقاوتهم
على من عداهم مباشرتهم العقر مع اشتراك الكل فى الرضا به (فقال لهم) أى لثمود (رسول الله)
لما علم ما عزموا عليه وهو صالح عليه السلام ابن عبيد بن جابر بن ثمود بن عوص بن ارم فالاضافة
للعهد عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم فى الطغيان
(ناقة الله) منصوب على التحذير وان لم يكن من الصور التى يجب فيها حذف العامل والناقة
بالفارسية اشتر ماده أضيفت اليه تعالى للتشريف كبيت الله أى ذروا ناقة الله الدالة على
وحدانيته وكمال قدرته وعلى نبوتى واحذروا عقرها (وسقياها) يعنى شربها وهو نصيبها من
الماء ولا تطردوها عنه فى نوبتها فانها كان لها شرب يوم معلوم ولهم ولمواشيهم شرب يوم آخر
وكانوا يستضرون بذلك فى مواشيهم فهموا بعقرها (فكذبوه) أى رسول الله فى وعيده بقوله ولا
تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب (فعقروها) أى الاشقى والجمع على تقدير وحدته لرضا

الكل بفعله قال السهيلي العاقر قدار بن سالف وأمه قديرة وصاحبه الذي شاركه في عقر الناقة اسمه مصدع بن دهر أو ابن جهم والعقر النحر وقدم التكذيب على العقر لانه كان سبب العقر وفي الحديث قال عليه السلام لعلي يا علي أتدري من أشقى الاولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر الناقة قال أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك وذلك أن الناقة اشارة الى ناقة الروح فكما أن عقرها بالظلمة النفسانية والشهوات الحيوانية من مزيد شقاوة النفس فكذا قتل علي رضي الله عنه فانه كان مظهر الروحانية نبينا عليه السلام ولذا كان وارثه الاكبر في مقام الحقيقة فالقصد الى علي الولي رضي الله عنه قصد الى محمد النبي عليه السلام ولا شقاوة فوق شقاوة من قابل مظاهر الرحمة الكاملة بالغضب والانتقام (فدمدم عليهم ربهم) فأطبق عليهم العذاب وهو الصيحة الهائلة وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا طليت بالشحم وأحيطت بحيث لم يبق منها شيء لم يمسه الشحم ودم الشيء سده بالقير ودمت على القبر وغيره اذا أطبقت عليه ثم كررت الدال للمبالغة في الاحاطة فالدمدمة من الدم كالكبكبة من الكب قال في كشف الاسرار تقول العرب دممت على فلان ثم تقول من المبالغة دممت بالتشديد ثم تقول من تشديد المبالغة دمدمت والتركيب يدل على غشيان الشيء الشيء (بذنبهم) أي بسبب ذنبهم المحكي والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب (فسواها) أي الدمدمة والاهلاك بينهم لم يفلت منهم أحد من صغير وكبير أو فسوى ثمود بالارض (روي) أنهم لما رأوا علامات العذاب طلبوا صالحا عليه السلام أن يقتلوه فأنجاه الله كما قال في سورة هود فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا (ولا يخاف عقباها) الواو للاستئناف أو للحال من المنوي في فسواها الراجع الى الله تعالى أي فسواها الله غير خائف عاقبة الدمدمة وتبعتها أو عاقبة هلاك ثمود كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك والولاة فيترحم بعض الترحم وذلك أن الله تعالى لا يفعل الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة ما فعل ولا يبالي بعاقبة ما صنع وان كان من شأنه الخوف وقال بعضهم ولا يخاف هو أي قدار ولا هم ما يعقب عقرها ويتبعه وما يترتب عليه من أنواع البلاء والمصيبة والعقاب مع أن صالحا عليه السلام قد أخبرهم بها

(تمت سورة الشمس في أوائل شهر ربيع الآخر)

(سورة الليل احدى وعشرون آية مكية وقيل فيها مكي ومدني)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والليل اذا يغشى) اذا للحال لكونها بعد القسم كما مر في السورة السابقة أي أقسم بالليل حين يغشى الشمس ويغطيها او يسترها كقوله والليل اذا يغشاها فعدم ذكر المفعول للعلم به أو النهار أو كل ما يواريه بظلامه فعدم ذكر المفعول للتعميم والليل عند أهل النجوم ما بين غروب الشمس وطلوعها وعند أهل الشرع ما بين غروبها وطلوع الفجر الصادق ولعله المراد هنا والنهار ما يقابله (وفي كشف الاسرار) الله تعالى شب را مرتبتي وشرفي داد كه آنرا در قرآن مجيد محل قسم خود كردانيد واين شرف ازان يافت كه چون شب درآيد دوستان خدا تنها در مناجات شوند همه شب

شراب صفامى نوشند وخلعت رضامى پوشند وعتاب محبوب مى نيوشند وچون وقت سحر باشد كه فرمان رسد تا درهاى اين قبۀ پيروزه باز كشايند ودامنهاى سرادقات عرش مجيد برانداز ند ومقربان حضرت بامر حق خاموش شوند انكه جبار كائنات در علو وكبرياى خود خطاب كند كه الا قد خلا كل حبيب بحبيبه فأين أحبائى يعنى هر دوستى با دوست خود در خلوت وشادى آمدند دوستان من بكجايند

الليل داج والعصاة نيام * والعابدون لذى الجلال قيام

(والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل أى ان كان المغشى غير الشمس أو تبين وتكشف بطلوع الشمس أى ان كان المغشى الشمس واختلاف الفاصلتين بالمضى والاستقبال لما ذكرنا فى السورة السابقة وفيه اشارة الى القسم بليل غيب الهوية المطلقة اذ يغشى نهار التعينات الاعتبارية على أهل الذوق والشهود وبنور نهار الوجودات المقيدة اذا تجلى بسبب التعينات العقلية بالنسبة الى أهل الحجاب والاحتجاب وقال القاشانى أقسم بليل ظلمة النفس اذا استر نور الروح اذا تجلى وظهر من اجتماعهما وجود القلب الذى هو عرش الرحمن فان القلب يظهر باجتماع هذين له وجه الى الروح يسمى الفؤاد يتلقى به المعارف والحقائق ووجه الى النفس يسمى الصدر يحفظ به السر ائر و يتمثل فيه المعانى (وما خلق الذكر والانثى) ما عبارة عن صفة العالم كما فى وما بناها وانما أوثرت لما فى الابهام أفادت أن الوصف الذى استعملت هى فيه بالغ الى أقصى درجات القوة والكمال بحيث كان مما لا يكتنه كنهه وانه لا سبيل للعقل الى ادراكه بخصوصه وانما الممكن هو ادراكه بأمر عام صادق واللام للحقيقة ويجوز أن يكونا للاستغراق أى والقادر العظيم القدرة الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد فخرج مثل البغل والبغلة وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوى الارواح ليس بذكر ولا أنثى والخنثى وان أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة أو الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا أنثى وقد لقى خنثى مشكلا كان حانثا لانه فى الحقيقة اما ذكر أو أنثى وان كان مشكلا عندنا كما فى الكشاف وقيل انهما آدم وحواء عليهما السلام على أن اللام للعهد قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان يقرأ والذكر والانثى قال علقمة قدمنا الشأم فأتانا أبو الدرداء رضى الله عنه فقال أفيكم من يقرأ قراءة عبد الله بن مسعود فأشاروا الى فقلت نعم أنا فقال كيف يقرأ هذه الآية قلت سمعته يقرأ والذكر والانثى قال وأنا هكذا والله سمعت رسول الله عليه السلام يقرؤها وهؤلاء يريدوننى على أن أقرأها وما خلق فلا أتابعهم وفيه اشارة الى الذكر الذى هو الروح والانثى التى هى النفس وقد ولد القلب من ازدواجهما وعند بعض العارفين الليل ذكر والنهار أنثى كما سبق فى النازعات

(ان سعيكم لشتى) جواب القسم والمصدر بمعنى الجمع لما عرف أن المصدر المضاف من صيغ العموم ولذلك أخبر عنه بالجمع وشتى جمع شتيت كرضى ومريض وهو المتفرق المتشتت والمعنى ان مساعيكم أى أعمالكم لمختلفة بحسب اختلاف الاستعدادات الازلية فبعضها حسن نافع خير صالح وبعضها قبيح ضار شر فاسد وفى الحديث الناس غاديان فبتاع نفسه فمعتقها أو بائع نفسه فموبقها قال القاشانى ان سعيكم أشتات مختلفة لانجذاب بعضكم الى جانب الروح

والتوجه الى الخير لغلبة النورية وميل بعضكم الى جانب النفس والانهماك فى الشر لغلبة الظلمة وقال بعضهم باطن هذه الآية أن يرى سعيه قسمة من الحق له من قبل التكوين والتخليق لقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم وان السعى له مراتب كمراتب المتصلين بالسلطان من الندماء والجلساء وأصحاب الاسرار فسعى بالنفوس لطلب الدرجات وبالعقول لطلب الكرامات وبالقلوب لطلب المشاهدات وبالارواح لطلب المداناة وبالاسرار افنائها فى أنوار الذات وبقائها فى أنوار الصفات وسعى بالارادة وبالمحبة وبالشوق وبالعشق وبالمعرفة الى غير ذلك (فأما) تفصيل لتلك المساعى المشتتة وتبيين لاحكامها (من أعطى) حقوق ماله (واتقى) محارم الله التى نهى عنها ومن جملتها المن والاذى (وصدق بالحسنى) بالخصلة الحسنى وهى الايمان أو بالكلمة الحسنى وهى كلمة التوحيد أو بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام أو المثوبة الحسنى وهى الجنة (فسنيسره لليسرى) معنى التيسير التهيئة لا ما يقابل التعسير ومنه قوله كل ميسر لما خلق له فلا حاجة الى أن يقال استعمل التيسير فى العسرى على المشاكلة كما فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة أو على حسب قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم يقال يسر الفرس للركوب اذا أسرجها وألجمها واليسرى تأنيث الايسر والمعنى فسنهيئه ونوفقه للخصلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه وبالفارسية پس زود باشد كه آسانى دهيم ويرا براى طريقت نيكو كه سبب اسانى وراحت باشد يعنى عملى كه اورا به بهشت رساند فوصف الخصلة باليسرى مجاز باعتبار كونها مؤدية الى اليسرى وفيه اشارة الى أن من طهر نفسه بالطاعة بالاقبال على الله والاعراض عن الدنيا واتقى فى عين تلك الطاعة عن نسبتها الى نفسه وصدق فى باطنه بالكلمة الحسنى فسنيسره للخصلة اليسرى وهى الوصول الى حضرتنا العليا وسرادقاتنا الكبرى (وأما من بخل) أى بماله فلم يبذله فى سبيل الخير والبخل امساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود (واستغنى) زهد فيما عنده تعالى أى لم يرغب كأنه مستغن عنه فلم يتق أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة فلم يتق فيكون الاستغناء مستتبعا لعدم الاتقاء الذى هو مقابل الاتقاء فى الآية الاولى وبه يحصل التقابل بينهما (وكذب بالحسنى) أى بما ذكر من المعانى المتلازمة (فسنيسره للعسرى) أى فسنهيئه للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها وبالفارسية پس مهيا كردانيم مرورا براى صفتى كه مؤدى بدشوارى ومحنت بود يعنى كردارى كه اورا بدوزخ برد ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع أن كلا منهما أدنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بأن كلا منهما أصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء والظاهر أن السين للدلالة على الجزاء الموعود بمقابلة الطاعة والمعصية وهو يكون فى الآخرة التى هى أمر متراخ منتظر فادخلت السين وهى حرف التراخى ليدل بذلك على أن الوعد آجل غير حاضر كذا فى بعض التفاسير وفيه اشارة الى أن من بخل فى نفسه بالطاعة والعبادة الروحية والسرية والقلبية واستغنى عن الاقبال علينا وكذب بالحسنى التى أعطيناها اياه من سلامة الاعضاء والجوارح والجاه والمال فسنيسره للعسرى وهى البعد عنا والطرد واللعن ودخول نار الحجاب (وما يغنى عنه ماله) أى شيأ من العذاب فالمفعول محذوف أو أى شئ يغنى عنه ماله

الذي يبخل به أي لايغني شيئاً فمامفعول يغني والاستفهام للانكار (اذا تردى) أي هلك ومات تفعل من الردى للمبالغة والردى كالعصا وهو الهلاك قال الراغب الردى الهلاك والتردي التعرض للهلاك انتهى أو تردى وسقط في الحفرة اذا قبر أو تردى في قعر جهنم فالمال الذي ينتفع به الانسان في الآخرة وقت حاجته هو الذي أعطى حقوقه وقدمه دون الذي يبخل به وتركه لوارثه وفيه اشارة الى أنه اذا تردى وتصدى لمخالفتنا وموافقته الطبيعة البشرية أي شيء له يخلصه من غضبنا وقهرنا عند تجلينا له بصورة القهر والنقمة (ان علينا للهدى) استئناف مقرر لما قبله أي ان علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم طريق الهدى ومايؤدي اليه من طريق الضلال ومايؤدي اليه وقد فعلنا ذلك بما لامزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيباً وترهيباً ومن هنا تبين أن الهداية هي الدلالة على مايوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعاً وأن المراد بالوجوب المفهوم من على الوجوب بموجب القضاء ومقتضى الحكمة فلا تكون الآية بظاهرها دليلاً على وجوب الاصلح عليه تعالى كما زعم المعتزلة قال القاشاني ان علينا للهدى بالارشاد البنا بنور العقل والحس والجمع بين الادلة العقلية والسمعية والتمكين على الاستدلال والاستبصار (وان لنا للآخرة والاولى) أي التصرف الكلي فيهما كيف مانشاء من الافعال التي من جملتها ماوعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى (فأنذرتكم) خوفتكم بالقرآن وبالفارسية پس بيم كنم شمارا أي أهل مكة (ناراً) از آتشى كه (تلظى) زبانه زند وهو بحذف احدى التاءين من تتلظى أي تتلهب فان النار مؤنث وصفت به ولو كان ماضياً لقيل تلظت مع أن المراد وصفها بدوام التلظي بالفعل الاستمراري وفي بعض التفاسير المراد من أنذرتكم انشاء الانذار كما في بعت واشتريت أو اخبار يراد به الانذار السابق في مثل قوله تعالى في سورة المدثر سأصليه سقر وما أدراك ماسقر لاتبقي ولاتذر لواحة للبشر فانها أول سورة نزلت عند الاكثرين وهذا أشد تخويفاً من أن يقال خافوا واتقوا ناراً تلظى (لايصلاها) صلياً لازماً ولايقاسي حرها (الا الاشقى) الزائد في الشقاوة وهو الكافر فانه أشقى من الفاسق وفي كشف الاسرار يعني الشقي والعرب تسمي الفاعل أفعل في كثير من كلامهم منه قوله تعالى وأنتم الاعلون وقوله واتبعك الارذلون انتهى فالفاسق لايصلاها صلياً لازماً ولايدخلها دخولاً أبدياً وقد صرح به قوله تعالى (الذي كذب وتولى) أي كذب بالحق وأعرض عن الطاعة وليس هذا الا الكافر (وسيجنبها) أي سيبعد عنها بحيث لايسمع حسيسها والفاعل المجنب المبعد هو الله وبالفارسية وزود بودكه دوركرده شود از ان آتش (الاتقى) المبالغ في الاتقاء عن الكفر والمعاصي فلايحوم حوالها فضلاً عن دخولها أو صليها الابدي وأما من دونه ممن يتقي الكفر دون المعاصي وهو المؤمن الشقي الفاسق الغير التائب فلا يبعد عنها هذا التبعيد بل يصلاها وان لم يذق شدة حرها كما ذاق الكافر لكونه في الطبقة الفوقانية من طبقات النار فذلك لايستلزم صليها بالمعنى المذكور فلايقدح في الحصر السابق وفي كشف الاسرار الاتقى بمعنى التقي كالاشقى بمعنى الشقي قال الشاعر

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أي بواحد انتهى (الذي يؤتي ماله) يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات (يتزكى) اما بدل من يؤتي داخل في حكم الصلة لا محل له أو في حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتي أي يطلب أن يكون عند الله زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة أو متزكيا متطهرا من الذنوب ومن دنس البخل ووسخ الامساك (وما لاحد عنده من نعمة تجزى) استئناف مقرر لكون ايتائه للتزكي خالصا لوجه الله أي ليس لاحد عنده نعمة ومنة من شأنها أن تجزى وتكافأ فيقصد بايتاء ما يؤتي مجازاتها (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) استثناء منقطع من نعمة لان ابتغاء وجه ربه ليس من جنس نعمة تجزى فالمعنى لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه الاعلى أي لابتغاء ذاته وطلب رضاه فهو في الحقيقة مفعول له وما آتى من المال مكافأة على نعمة سالفة فذلك يجري مجرى اداء الدين فلا يكون له دخل في استحقاق مزيد الثواب وانما يستحق الثواب اذا كان فعله لاجل ان الله أمره به وحثه عليه ومعنى الاعلى العلي الرفيع فوق خلقه بالقهر والغلبة كما قاله أبو الليث وقال القاشاني وصف الوجه الذي هو الذات الموجودة مع جميع الصفات بالاعلى لان لله تعالى بحسب كل اسم وجها يتجلى به لمن يدعوه بلسان حاله بذلك الاسم ويعبده باستعداده والوجه الاعلى هو الذي له بحسب اسمه الاعلى الشامل لجميع الاسماء وان جعلته وصفا للرب فالرب هو ذلك الاسم انتهى والآية نزلت في حق أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين اشترى بلالا رضي الله عنه في جماعة كعامر بن فهيرة وأخيه وعبيد وزنيرة كسكينة وهي مملوكة رومية وابنتها أم عميس وأمة بني المؤمل والنهدية ابنتها وكانت زنيرة ضعيفة البصر فقال المشركون اذهب اللات والعزى بصرها لما خالفت دينهما فرد الله بصرها بعد ذلك وكان المشركون يؤذون هؤلاء المذكورين ليرتدوا عن الاسلام فاشتراهم أبو بكر فأعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى أبو جهل أو أمية بن خلف (در كشف الاسرار) آورده كه اين سوره درباره دوكسست يكى اتقى كه بيشرو صديقانست يعنى أبو بكر رضي الله عنه ويكى اشقى كه پيشرو زنديقانست از اهل ضلالت يعنى أبو جهل ودر فاتحه اين سوره كه بشب وروز قسم ياد ميكند اشارتست بظلمت يكى ونور انيت ديكرى يعنى درشب ضلالت كسى را آن كمراهى نبود كه ابو جهل شقى را ودر روز دعوت هيچكس را آن نور هدايت ظاهر نشد كه ابو بكر تقى را * سر روشن دلان صديق اعظم * كه شد اقليم تصديقش مسلم * ز مهرش روز دين را روشنايى * بدو اهل يقين را آشنايى * آورده اند كه امية بن خلف بلال را كه بندهٔ او بود بانواع آزارها عذاب ميكرد تا از دين بركردد وهر زمان آتش محبت ربانى درباطن او افروخته تر بود * آنجا كه منتهاى كمال ارادتست * هر چند جور بيش محبت زيادتست * روزى صديق ديد كه اميه ويرا برخاك كرم افكنده بود وسنكهاى تفسيده برسينهٔ وى نهاده واو درين حال احد احد ميكفت يعنى يقول امية لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وهو يقول احد أحد أبو بكر رادل برو بسوخت وكفت اى اميه واى برتو اين دوست خدا يرا چند عذاب كنى كفت اى أبا بكر اكر دلت برو ميسوزد از منش بخر وفي رواية مر النبي عليه السلام ببلال بن رباح الحبشي وهو يقول احد فقال عليه السلام أحد يعني الله الاحد ينجيك ثم قال لابي بكر رضي الله عنه ان بلالا يعذب في الله فعرف مراده عليه السلام فانصرف الى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى به الى أمية بن خلف فقال له أتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه

وأعتقه فقال المشركون ما أعتقه أبو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت وقال ابن مسعود رضى الله عنه وقد اشتراه ببرد وعشر أواق جمع أوقية وهى أربعون درهما وكان مدفونا تحت الحجارة فقالوا لو أبيت الا أوقية لبعناك فقال ولو أنتم أبيتم الا بمائة أوقية لاشتريته بها وقيل كان عبدا لعبد الله بن جدعان سلخ على أصنام قوم أى تغوط فشكوا اليه فوهبه لهم مع مائة من الابل قربانا لها فعذبوه فى الرمضاء أشد العذاب وفى رواية ابن المسيب بل ابتاعه من أمية بغلام له اسمه نسطاس بكسر النون صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وهو مشرك بعد ما حمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله له (كما قال الكاشفى) صديق رضى الله عنه كفت يا أميه بجند ميفروشى كفت عوض ميكنم آرا به نسطاس رومى وآن غلامى بود ازان صديق رضى الله عنه ده هزار دينار راسته مداداشت وصديق رضى الله عنه أورا كفته بودكه اكر ايمان آرى آن مال كه دارى ترا بخشم نسطاس مسلمان نمى شد ودل مبارك صديق رضى الله عنه ازو ملول بود جون اين كلمه از اميه شنيد غنيمت شمرده نسطاس را باتمام استعداد بداد وبلال را بستد وفى الحال باميد ثواب أخروى آزاد كرد وفى الحديث يرحم الله أبابكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول بلال سيدنا ومولى سيدنا وهو نظير قوله عليه السلام سلمان منا أهل البيت فانظر الى شرف التقوى كيف أدخل الموالى فى الاشراف ولا تغتر بالنسب المجرد فانه خارج عن حد الانصاف وقال السهيلى رحمه الله قال لابى بكر رضى الله عنه أبوه لو اشتريت من له نجدة وقوة فيصحبك وينفعك كان أجدى من ابتياع الضعفة واعتاقهم فانزل الله هذه الآية وفهم مما ذكر أن أعلى الاعطاء فضيلة ما يكون لرضا الله وأوسطه ما يكون لعوض أخروى وأدناه ما يكون لغرض دنيوى مباح وأما ما يكون للرياء والسمعة أو لغير ذلك مما ليس بمباح فهو أخس وأقبح وقوله عليه السلام من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له يدل على ان المكافأة مشروعة ممدوحة لكنها ليست بدرجة ابتغاء المرضاة (ولسوف يرضى) جواب قسم مضمر أى وبالله لسوف يرضى ذلك الاتقى الموصوف بما ذكر وبالفارسية وزود باشدكه خشنود كردد وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه وأجلها اذ به يتحقق الرضا قال بعضهم أى يرضى الله عنه ويرضى هو بما يعطيه الله فى الآخرة من الجنة والكرامة والزلفى جزاء على ما فعل ولم ينزل هذا الوعد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى ولابى بكر رضى الله عنه ههنا قال البقلى هذا الرضا لا يكون من العارف حتى يفنى فى المعروف ويتصف بصفاته حتى يكون نعته فى الرضا نعت الحق سبحانه وتعالى

(سورة الضحى احدى عشرة آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى) هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار أريد بالضحى الوقت المذكور على المجاز بعلاقة الحلول والظرفية فان الزمان ظرف لما فيه أو على تقدير المضاف وذلك التجوز أو الحذف ليناسب الليل قالوا وتخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى

فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى فكان له بذلك شرف ومناسبة بحال المقسم لاجله وصلاة الضحى سنة بالاتفاق ووقتها اذا علت الشمس الى قبيل وقت الزوال وهى عند أبى حنيفة ركعتان أو أربع بتسليمة وعند مالك لا تنحصر وعند الشافعى وأحمد أقلها ركعتان واختلف فى أكثرها فقال الشافعى ثنتا عشرة وقال أحمد ثمان وهو الذى عليه الاكثرون من أصحاب الشافعى وصححه النووى فى التحقيق وقد صح أن النبى عليه السلام صلى صلاة الضحى يوم فتح مكة ثمانى ركعات وهو فى بيت أم هانئ وكان يصلى صلاة الضحى قبل ذلك أيضا (والليل) اى وجنس الليل قال ابن خالويه هو نسق على الضحى لا قسم لانه يصلح أن يقع فى موضع الواو ثم أو الفاء بأن يقال ثم الليل مثلا وثم لا يكون قسما (اذا سجا) أى سكن أهله على المجاز من قبيل اسناد الفعل الى زمانه أو ركد ظلامه واستقر وتناهى فلا يزداد بعد ذلك يعنى أن سكون ظلامه عبارة عن عدم تغيره بالاشتداد والتنزل وذلك حين اشتد ظلامه وكمل فيستقر زمانا ثم يشرع فى التنزل فاسناد سكون الظلمة الكائنة اليه مجاز أيضا يقال سجا البحر سجوا اذا سكنت أمواجه وليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات وعن جعفر الصادق رضى الله عنه ان المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله فيه موسى وبالليل ليلة المعراج (وصاحب كشف الاسرار) كفته مراد از روز شب كشف وحجابست كه نشانه نسيم لطف وسموم قهر بود وعلامت أنوار جمال وآثار جلال كما قال الجنيد قدس سره والضحى مقام الشهود والليل اذا سجا مقام الغين الذى قال عليه السلام فيه انه ليغان على قلبى يا اشارتست بروشنى روى حضرت مصطفى عليه السلام وكنايتست از سياهى موى وى * والضحى رمزى زروى همچو ماه مصطفى * معنى والليل كيسوى سياه مصطفى وتقديم الليل فى السورة المتقدمة باعتبار الاصل لان النهار انما يحدث بطلوع النير وبغروبه يعود الهواء الى حالته الاصلية ولذا قدم الظلمة فى قوله وجعل الظلمات والنور وتقديم النهار باعتبار الشرف الذاتى أو العارضى فان قيل ما السبب فى أنه ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته أجيب بأنه وان كان ساعة من النهار لكنه يوازى جميع الليل كما أن محمدا عليه السلام يوازى جميع الانبياء عليهم السلام وبأن النهار وقت السرور والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو اشارة الى أن هموم الدنيا أكثر من سرورها فان الضحى ساعة والليل له ساعات (روى) ان الله تعالى لما خلق العرش أظلت غمامة سوداء عن يساره ونادت ماذا أمطر فأجيبت أن أمطرى الهموم والاحزان مائة سنة ثم انكشفت فأمرت مرة أخرى بذلك وهكذا الى تمام ثلثمائة سنة ثم بعد ذلك أظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء ونادت ما أمطر فأجيبت أن أمطرى السرور ساعة فلهذا السبب ترى الغموم والاحزان دائمة كثيرة والسرور قليلا ونادرا (ما ودعك ربك) جواب القسم والتوديع مبالغة فى الوداع وهو الترك لان من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك والوداع هو الاعلام بالفراق وقال الراغب أصل التوديع من الدعة وهو أن يدعو للمسافر بأن يتحمل الله عنه كآبة السفر وأن يبلغه الدعة والخفض كما أن التسليم دعاء له بالسلامة فصار ذلك متعارفا فى تشييع المسافر وتركه وعبر به عن الترك فى الآية والمعنى ما قطعك قطع المودع وما تركك بالحط عن درجة الوحى والقرب والكرامة ففيه استعارة تبعية واشارة الى أن الرب لا يترك المربوب (وما قلى) أى وما أبغضك والابغاض

دشمن داشتن والقلى شدة البغض يقال قلا زيدا يقلوه أبغضه من القلو وهو الرمى كما يقال قلت الناقة براكبها رمت به فكأن المقلو هو الذى يقذفه القلب من بغضه فلا يقبله وقلاه وقليه يقليه ويقلاه أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه أو قلاه فى الهجر وقليه فى البغض كما فى القاموس فمن جعله من اليائى فمن قليت البسر والسويق على المقلى كما فى المفردات ولعل عطف وما قلى من عطف السبب على المسبب لافادة التعليل وحذفت الكاف من قلاك لدلالة الكلام عليه ولمراعاة الفواصل (روى) ان الوحى تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر يوما لتركه الاستثناء وذلك أن مشركى قريش أرسلوا الى يهود المدينة وسألوهم عن أمر محمد عليه السلام فقالت لهم اليهود سلوه عن أصحاب الكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح فان أخبركم عن قصة أهل الكهف وقصة ذى القرنين ولم يخبركم عن أمر الروح فاعلموا أنه صادق فجاء المشركون وسألوه عنها فقال عليه السلام لهم ارجعوا أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عنه أياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه أو أن جبريل أبطأ فشكا عليه السلام ذلك الى خديجة فقالت خديجة لعل ربك قد قلاك فنزل جبريل بقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله فأخبره بما سئل عنه وقد سبق فى سورة الكهف ونزل أيضا بقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى ردا على المشركين وتبشيرا له عليه السلام بأن الحبيب لا يقلى الحبيب وأنه تعالى يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا مع أن ما سيؤتيه فى الآخرة أجل وأعظم من ذلك كما تنبئ عنه الآية الآتية (وروى) أن جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث نبى الله أياما لا ينزل عليه الوحى فقال لخادمته خولة يا خولة ما حدث فى بيتى ان جبريل لا يأتينى قالت خولة فكنست البيت فأهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبى الله ترتعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحى استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثرينى فأنزل الله هذه السورة فلما نزل جبريل سأله النبى عليه السلام عن سبب تأخره فقال أما علمت أنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وقيل غير ذلك وفيه اشارة الى أنه عليه السلام وقع منه ما هو ترك الاولى ولذا لم يكن ممقوتا ولا مبغوضا وانما احتبس عنه الوحى للتربية والارشاد وفى التأويلات النجمية ما ودعك ربك بقطع فيض النبوة والرسالة عن ظاهرك وما قلى بقطع فيض الولاية عن باطنك (وللآخرة خير لك من الاولى) لما أنها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق والاولى أى الدنيا الا أنها خلقت قبل الآخرة فانية مشوبة بالمضار فالمراد بالآخرة والاولى كراماتهما واللام فى وللآخرة لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة وفى التأويلات النجمية يعنى أحوال نهايتك أفضل وأكمل من أفعال بدايتك كما أخبر بقوله اليوم أكملت لكم دينكم الآية لانه صلى الله عليه وسلم لا يزال يطير بجناحى الشريعة والطريقة فى جو سماء السير ويترقى فى مقامات القرب والكرامة وهكذا حال ورثته (ولسوف يعطيك ربك) اللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك ربك لان لام الابتداء لا تدخل الا على الجملة الاسمية وليست للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن الاعطاء كائن لا محالة وان تراخى لحكمة يعنى أن لام الابتداء لما تجردت للدلالة على التأكيد وكانت السين تدل على التأخير والتنفيس حصل من اجتماعهما ان العطاء

المتأخر لحكمة كائن لامحالة وكانت اللام لتأكيد الحكم المقترن بالاستقبال (فترضى) ما تعطاه مما يطمئن به قلبك يعنى خدا آن اعطا ارزانى دارد كه تو كويى بس ومن راضى شدم وهو نسق على ما قبله بالفاء والآية عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله فى الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوحات الواقعة فى عصره عليه السلام وفى خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام فى مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التى لا يعلمها الا الله تعالى وقد أنبأ عن شمة منها قوله عليه السلام لى فى الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابها المسك ودر هر كوشكى از خدم وحور ونعم وأمتعه وانچه لايق آن بود روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على فاطمة رضى الله عنها وعليها كساء من وبر الابل وهى تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عيناه لما أبصرها فقال يا بنتاه تعجلى مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة فقد أنزل الله ولسوف يعطيك ربك فترضى امام محمد باقر رضى الله عنه در كوفه مى فرموده كه أى أهل عراق شما ميكوييد كه اميد وارترين آيتى از قرآن اينست كه لا تقنطوا من رحمة الله وما أهل البيت برانيم كه اميددار آيت ولسوف يعطيك ربك فترضى بيشترست يعنى ارجى آية عند أهل البيت هذه الآية چه رسول الله صلى الله عليه وسلم راضى نشود كه يكى از امت وى در دوزخ باشد * نماند بدوزخ كسى در كرو * كه دارد چو تو سيدى پيشرو * عطاى شفاعت جنانش دهند * كه امت تمامى زدوزخ رهند * وفى الحديث أشفع لامتى حتى ينادى لى أرضيت يا محمد فأقول رب قد رضيت وقال النهرى ومما رضيه فيه بعد اخراج كل مؤمن أن لا يسوءه فى أمه وأبيه وان منع الاستغفار لهما وأذن له فى زيارة قبرهما فى وقت دون وقت لانهما من أهل الفترة وقال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومن لم يقنعه هذا فحظ المؤمن منهما الوقف فيهما وأن لا يحكم عليهما بنار الا بنص كتاب أو سنة أو اجماع الامة بخلاف ما ثبت فى عمه أبى طالب انتهى كلامه فى التفسير المسمى بفتح الرحمن وقال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر أنا بمدينة قرطبة بمشهد فأرانى الله أعيان رسله من لدن آدم الى نبينا عليه وعليهم السلام فخاطبنى منهم هود عليه السلام وأخبرنى بسبب جمعيتهم وهو أنهم اجتمعوا شفعاء للحلاج الى نبينا محمد عليه السلام وذلك أنه كان قد أساء الادب بأن قال فى حياته الدنيوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم همته دون منصبه قيل له ولم ذلك قال لان الله تعالى قال ولسوف يعطيك ربك فترضى فكان من حقه أن لا يرضى الا أن يقبل الله شفاعته فى كل كافر ومؤمن لكنه ما قال الا شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى فلما صدر منه هذا القول جاء رسول الله فى واقعته وقال له يا منصور أنت الذى أنكرت على فى الشفاعة فقال يا رسول الله قد كان ذلك قال ألم تسمع أنى قد حكيت عن ربى عز وجل اذا أحببت عبدا كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فقال بلى يا رسول الله قال فاذا كنت حبيب الله كان هو لسانى القائل فاذا هو الشافع والمشفوع اليه وأنا عدم فى وجوده فأى عتاب على يا منصور فقال يا رسول الله أنا تائب من قولى هذا فما كفارة ذنبى قال قرب نفسك لله قربانا قال فكيف قال اقتل نفسك بسيف شريعتى فكان من أمره ما كان ثم قال هود عليه السلام وهو من حين فارق الدنيا محجوب عن رسول الله والآن هذه الجمعية لاجل الشفاعة اليه صلى الله عليه وسلم وكانت المدة بين مفارقته الدنيا وبين الجمعية المذكورة أكثر من ثلثمائة سنة

قال بعض العارفين الحقيقة المحمدية أصل مادة كل حقيقة ظهرت ومظهرها أصل مادة كل حقيقة تكونت واليه يرجع الامر كله قال تعالى ولسوف يرضى ولا يكون رضاها الا بعود ما تفرق منه اليه فأهل الجمال يجتمعون عند جماله وأهل الجلال يجتمعون عند جلاله وقال ابن عطاء قدس سره كأنه يقول لنبيه اترضى بالعطاء عوضا عن المعطى فيقول لا فقيل له وانك لعلى خلق عظيم أى على همة جلاله اذلم يؤثر فيك شئ من الاكوان ولا يرضيك شئ منها وقال بعضهم كم بين من يتكلف ليرضى ربه وبين من يعطيه ربه ليرضى وقال القاشانى ولسوف يعطيك ربك الوجود الحقانى لهداية الخلق والدعوة الى الحق بعد الفناء الصرف فترضى به حيث مارضيت بالوجودى البشرى والرضا لا يكون الا حال الوجود وفى التأويلات النجمية أى يظهر عليك بالفعل ما فى قوة استعدادك من أنواع الكمالات الذاتية وأصناف الكرامات الصفاتية والاسمائية (ألم يجدك يتيما) مات أبوك (فآوى) جواب ألم أونسق قاله ابن خالويه أى قدوجدك ربك والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى أى ألم يعلمك الله يتيما فجعل لك مأوى تأوى اليه يقال أوى فلان الى منزله يأوى أويا على فعول رجع ولجأ وآويته أنا ايواء والمأوى كل مكان يأوى اليه شئ ليلا أونهارا أى يرجع وينزل ويجوز أن يكون الوجود بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله يعنى على المجاز بأن يجعل تعلق العلم الوقوعى الحالى مصادفة والا فحقيقة المصادفة لاتمكن فى حقه تعالى (روى) أن أباه عبد الله بن عبد المطلب مات وهو عليه السلام جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته وذلك ايواؤه وقال بعضهم لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع جده عبد المطلب ومع أمه آمنة فهلكت أمه آمنة وهو ابن ست سنين ثم مات جده بعد أمه بسنتين ورسول الله ابن ثمان سنين ولما أشرف جده عبد المطلب على الموت أوصى به عليه السلام أبا طالب لأن عبد الله وأبا طالب كانا من أم واحدة فكان أبو طالب هو الذى تكفل رسول الله الى أن بعثه الله للنبوة فقام بنصره مدة مديدة ثم توفى أبو طالب فنال المشركون منه عليه السلام مالم ينالوا فى زمان أبى طالب أى آذوه وكان عليه السلام يقول كنت يتيما فى الصغر وغريبا فى الكبر وكان يحب الايتام ويحسن اليهم وفى الحديث من ضم يتيما وكان فى نفقته وكفاه مؤنته كان له حجابا من النار ومن مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وانما جعله الله يتيما لئلا يسبق على قلب بشر أن الذى نال من العز والشرف والاستيلاء كان عن تظاهر نسب أو توارث مال أونحو ذلك وفى التأويلات النجمية ألم يجدك يتيما أى درا يتيما فآوى الى صدف النبوة ومشكاة الولاية * بس كه غواص قدم درتك درياى عدم * غوطه زد تا بكف آورد جنين دريتيم * يا ديد ترا كوهرى يكانه كه بكمال قابليت ازهمه كائنات مفرد بودى وبقطع علاقه نسبت ازماسوى متوحد ترا متمكن ساخته درحضرت أحديت جمع كه مقام خاص تست * وفى الكشاف ومن بدع التفاسير أنه من قولهم درة يتيمة وان المعنى ألم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير أى فى العز والشرف فآواك فى دار أعدائك فكنت بين القوم معصوما محروسا (ووجدك ضالا) بمعنى الضلال فقدان الشرائع والخلو عن الاحكام التى لايهتدى اليها العقول بل طريقها السماع كما فى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب * يعنى راه نياقته بودى باحكام وشرائع * واليه يؤل معنى القيسوبة فان ضل يجئ

يعني غاب كما في قوله * شربت الاثم حتى ضل عقلي * أي شربت الخمر حتى غاب عقلي وغلب قال الراغب يقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمدا كان أو سهوا يسيرا كان أو كثيرا ولذا نسب الضلال الى الانبياء والى الكفار وان كان بين الضلالين بون بعيد ألا ترى أنه قال في النبي عليه السلام ووجدك ضالا فهدى أي غير مهتد لما سيق اليك من النبوة وقال فعلتها اذا وأنا من الضالين وقال ان أبانا لفي ضلال مبين تنبيها على أن ذلك منهم سهو انتهى هذا واحذر عن الاساءة في العبارة (فهدى) أي فهداك الى مناهج الشرائع في تضاعيف ما أوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم قدم هذا الامتنان على الاخير لأن ابتداءه بعد زمان اليتم وقت التكليف فانه عليه السلام كان موفقا للنظر الصحيح حينئذ ولهذا لم يعبد صنما قط ولم يأت بفاحشة وفي الاسئلة المفحمة معناه ووجدك بين ضالين فهداهم بك فعلى هذا يكون الضلال صفة قومه يقال رجل ضعيف اذا ضعف قومه وفي التأويلات النجمية أي متحيرا في تيه الالوهية فهدى الى كمال المعرفة بالصحو بعد المحو والسكر والضلال الحيرة كما قال انك لفي ضلالك القديم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي عليه السلام ضل في شعاب مكة حال صباه وكان عبد المطلب يطلبه ويقول متعلقا باستار الكعبة

يا رب فاردد ولدي محمدا * ردا الي واصطنع عندي يدا

فوجده أبو جهل فرده عبد المطلب فمن الله عليه حيث خلصه على يدي عدوه فكان في ذلك نظير موسى عليه السلام حين التقطه فرعون تأبونه ليكون له عدوا وحزنا وقيل غير ذلك (ووجدك عائلا) أي فقيرا ويؤيده ما في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عديما يقال عال يعيل عيلا وعيلة افتقر (فأغنى) أي فأغناك بمال خديجة رضي الله عنها أو بما أفاء عليه من الغنائم حتى كان عليه السلام يهب المائة من الابل وفي الحديث جعل رزقي تحت ظل رمحي وفيه اشارة الى أنه عليه السلام لو كان متمولا من أول الامر لكان يسبق الى بعض الاوهام أنه انما وجد العز والغلبة بسبب المال فلما علا كل العلو على الاغنياء والملوك علم أنه كان من جهة الحق وقيل قنعك وأغنى قلبك قال عليه السلام ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ولذا قال الراغب أي أزال عنك فقر النفس وجعل لك الغنى الاكبر المعني بقوله عليه السلام الغنى غنى النفس وقيل ما عال مقتصد أي ما افتقر وفي التأويلات النجمية أي فقيرا فانيا عن أنيتك وانانيتك بحسب استعداد ذلك القديم فأغنى بالبقاء بوجوده ووجوده وأسمائه وصفاته انتهى فالفقر الحقيقي هو التخلي عما سوى الله وبذل الوجود وما يتبعه وهو الذي وقع الافتخار به قال الامام القشيري رحمه الله أغنى الله عباده على قسمين فمنهم من يغنيهم بتنمية أموالهم وهم العوام وهو غنى مجازي ومنهم من يغنيهم بتصفية أحوالهم وهم الخواص وهو الغنى الحقيقي لأن احتياج الخلق الى همة صاحب الحال أكثر من احتياجهم الى نعمة صاحب المال ثم المراد من تعداد هذه النعم ليس الامتنان بل تقوية قلبه عليه السلام للاطمئنان بعد التوديع (فأما اليتيم) منصوب بقوله (فلا تقهر) والفاء سببية ليست بمانعة قال الرضي يتقدم المفعول به على الفعل ان كان المنصوب معمولا لما يلي الفاء التي في جواب أما اذا لم يكن له منصوب سواه نحو قوله فأما اليتيم فلا تقهر لأنه لا بد من نائب مناب الشرط المحذوف بعد أما والقهر الغلبة والتذليل معا ويستعمل في كل واحد

منهما قال الراغب قوله فلا تقهر أى لا تذلله وقال غيره فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه * وقدر ايشان بشناس كه شربت يتيمى جشيده * وكانت العرب تأخذ أموال اليتامى وتظلمهم حقوقهم وفى الحديث اذا بكى اليتيم وقعت دموعه فى كف الرحمن فيقول من أبكى هذا اليتيم الذى واريت والده تحت الثرى من أسكته أى أرضاه فله الجنة * الا تا نكريد كه عرش عظيم * بلرزد همى جون بكريد يتيم * وقال مجاهد لا تحتقر فانه له ربا ينصره وقرئ فلا تكهر أى فلا تعبس فى وجهه وفى التأويلات النجمية أى لا تقهر يتيم نفسك بكثرة الرياضة والمجاهدة من الجوع والسهر فان نفسك مطيتك وان لنفسك عليك حقا كما قال طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (وأما السائل فلا تنهر) النهر والانتهار الزجر بمغالظة أى فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا * يعنى بانك بروى مزن ومحروم مساز كه درد بى نوايى وتنكدستى كشيده * وهذا الثانى بمقابلة الاخير وهو ووجدك عائلا فأغنى لمراعاة الفواصل والآية بينة لجميع الخلق لأن كل واحد من الناس كان فقيرا فى الاصل فاذا أنعم الله عليه وجب أن يعرف حق الفقراء * نه خواهنده بردر ديكران * بشكرانه خواهنده از در مران * قال ابراهيم بن أدهم قدس سره القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعى السائل بريد الآخرة يجئ الى باب أحدكم فيقول أتبعثون الى أهليكم بشئ (وروى) أن عثمان بن عفان رضى الله عنه أهدى الى رسول الله عليه السلام عنقود عنب فجاء سائل فأعطاه ثم اشتراه عثمان بدرهم وقدمه الى رسول الله ثانيا ثم عاد السائل فأعطاه ففعل ذلك ثالثا فقال عليه السلام ملاطفا للسائل لا غضبان أسائل أنت يا فلان أم تاجر فنزلت وأما السائل فلا تنهر وهو أحد وجوه احتباس الوحى هذا على أن السؤال بمعنى طلب الحاجة من الحوائج الدنيوية وجوز أن يكون من التفتيش عن الامور الدينية وفى الحديث من كتم علما يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وهذا الوعيد يشمل حبس الكتب عمن يطلبها للانتفاع وفى التأويلات النجمية أى لا تنهر سائل قلبك عن الاستغراق فى بعض الاوقات فى بحر الحقيقة لاستراحته بذلك من أعباء تكاليف الانبياء بقولك عند ذلك الاستغراق والاستهلاك يا حميراء كلمينى (وأما بنعمة ربك فحدث) فان تحديث العبد واخباره بنعمة الله شكر باللسان وتذكير للغير وفى الحديث التحدث بالنعم شكر وأريد بالنعمة ما أفاضه الله عليه صلى الله عليه وسلم من النعم الموجودة منها والموعودة وحيث كان معظم النعم نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته عليه السلام لاهل الضلال وتعليمه للشرائع والاحكام حسبما هداه الله وعلمه من الكتاب والحكمة * صاحب فتوحات قدس سره آورده كه نعمت جيزيست محبوب بالذات ومنعم درا غلب شكور ميباشد پس حق سبحانه وتعالى حبيب خود را فرمود كه از نعمت من سخن كوى كه خلق محتاج بند ومحتاج جون ذكر منعم شنود بدو ميل كند واورا دوست دارد پس بجهت تحدث بنعمت من خلق را دوست من كردانى ومن ايشانرا دوست ميدارم * وهذا الثالث بمقابلة الثانى وهو قوله ووجدك ضالا فهدى أخر لمراعاة الفواصل وان التعلية وهو التحديث بنعمة الله بعد التخلية وهو لا تقهر ولا تنهر وكررأما لوقوعها فى مقابلة ثلاث آيات قال فى الكواشى رأى بعض التحدث بنعم الله من الطاعات مع أمن الرياء وغائلة النفس وطلب الاقتداء به وكرهه بعض خوف الفتنة وفى عين المعانى قال عليه السلام التحدث بالنعم شكر وتركه كفر واما الحديث

الآخر عليكم بكتمان النعم فان كل ذى نعمة محسود يعنى عن الحسود لاغير وفى الاشباه أى رجل ينبغى له اخفاء اخراج الزكاة عن بعض دون بعض فقل المريض اذا خاف من ورثته يخرجها سرا عنهم وأى رجل يستحب له اخفاؤها فقل الخائف من الظلمة لايعلمون كثرة ماله وقال ابن عطية فى الآية حدث به نفسك أى لاتنس فضله عليك قديما وحديثا واذا جاز تحديث النعم الظاهرة جاز تحديث النعم الباطنة من الكرامات والمخاطبات ونحو ذلك وفى التأويلات النجمية اذكر شكر نعمة النبوة على ظاهر نفسك ونعمة الرسالة على باطن قلبك ونعمة الولاية على سرك ونعمة البقاء بعد الفناء على روحك وهو معنى سورة والضحى والليل اذا سجى فافهم وهذه السورة وسورة الانشراح درتان يتيمتان غاليتان لما فيهما من الحكم والمعارف ولذا كانتا هما وسورة النصر من سور الكمل من الاولياء ولما نزلت سورة الضحى كبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى فصار سنة الله أكبر ولا اله الا الله والله أكبر كما فى الكواشى وقال فى انسان العيون لما نزلت السورة المذكورة كبر عليه السلام فرحا بنزول الوحى واستمر عليه السلام لايجاهر قومه بالدعوة حتى نزل وأما بنعمة ربك فحدث فعند ذلك كبر عليه السلام أيضا وكان ذلك سبب التكبير فى افتتاح السورة التى بعدها وفى ختمها الى آخر القرآن وعن أبى بن كعب رضى الله عنه أنه قرأ كذلك على النبى عليه السلام بعد أمره له بذلك وأنه كان كلما ختم سورة وقف وقفة ثم قال الله أكبر هذا وقيل ان أول ابتداء التكبير من أول ألم نشرح لامن أول الضحى وقيل ان التكبير انتهاء هو لآخر السورة وابتداؤه من آخر سورة الضحى الى آخر قل أعوذ برب الناس والاتيان بالتكبير فى الاول والآخر جمع بين الروايتين الرواية التى جاءت بأنه يكبر فى أول السورة المذكورة والرواية الاخرى أنه يكبر فى آخرها ونقل عن الشافعى رحمه الله أنه قال لآخر اذا تركت التكبير من الضحى الى الحمد فى الصلاة وخارجها فقد تركت سنة من سنن نبيك عليه السلام لكن فى كلام الحافظ ابن كثير ولم يرد ذلك أى التكبير عند نزول سورة الضحى باسناد يحكم عليه بصحة ولاضعف وفى فتح الرحمن صح التكبير عن أهل مكة قرائهم وعلمائهم وصح أيضا عن أبى جعفر وأبى عمرو وورد عن سائر القراء عند الختم وهو سنة مأثورة عن النبى عليه السلام وعن الصحابة والتابعين فى الصلاة وخارجها لكن من فعله فحسن ومن لم يفعله فلا حرج عليه وأما ابتداؤه فاختلف فيه فروى أنه من أول ألم نشرح وروى أنه من أول الضحى واختلف أيضا فى انتهائه فروى أن انتهاءه آخر سورة الناس وروى أولها وقد ثبت نصه عن الامامين الشافعى وأحمد رحمهما الله ولم يستحبه الحنابلة لقراءة غير ابن كثير ولم أطلع على نص فى ذلك لأبى حنيفة ومالك رحمهما الله ولفظه الله أكبر فى رواية البزى وقنبل وروى عنهما التهليل قبل التكبير ولفظه لا اله الا الله والله أكبر والوجهان عنهما صحيحان جيدان مشهوران مستعملان وفى صفة التكبير فى رواية ابن كثير بين كل سورتين أربعة عشر وجها الاول قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة ووصل البسملة بأول السورة الآتية وهو ولسوف يرضى قف الله أكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والثانى قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة والوقف على البسملة ثم الابتداء بأول السورة وهو ولسوف يرضى قف الله أكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى والثالث وصله بآخر السورة والقطع عليه ووصل البسملة بأول السورة وهو ولسوف يرضى صل الله أكبر قف بسم الله الرحمن

الرحيم صل والضحى والرابع وصلها بآخر السورة والقطع عن البسملة وهو ولسوف يرضى صل الله أكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى والخامس قطع التكبير عن آخر السورة وعن البسملة ووصل البسملة بأول السورة وهو ولسوف يرضى قف الله أكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والسادس وصل التكبير بآخر السورة والبسملة وبأول السورة وهو ولسوف يرضى صل الله أكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والسابع قطع الجميع أى قطع التكبير عن السورة الماضية وعن البسملة وقطع البسملة عن السورة الآتية وهو ولسوف يرضى قف الله أكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى فهذه السبعة صفته مع التكبير ويأتى مع التهليل مثل ذلك وبقى وجه لا يجوز وهو وصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة مع القطع عليها وهو ولسوف يرضى الله أكبر بسم الله الرحمن الرحيم بالوصل فى الجميع ثم يسكت على البسملة ثم يبتدئ والضحى فهذا ممتنع اجماعا لأن البسملة لأول السورة فلا يجوز أن تجعل منفصلة عنها متصلة بآخر السورة قبلها واعلم أن القارئ اذا وصل التكبير بآخر السورة فان كان آخرها ساكنا كسره للساكنين نحو فحدث الله أكبر وفارغب الله أكبر وان كان منونا كسره أيضا للساكنين سواء كان الحرف المنون مفتوحا أو مضموما أو مكسورا نحو توابا الله أكبر وخبيرا الله أكبر ومن مسد الله أكبر وان كان آخر السورة مفتوحا فتحه وان كان مكسورا كسره وان كان مضموما ضمه نحو قوله اذا حسد الله أكبر والناس الله أكبر والابتر الله أكبر وشبهه وان كان آخر السورة هاء كناية موصولة بواو حذف صلتها للساكنين نحو ربه الله أكبر وشرا يره الله أكبر وأسقط ألف الوصل التى فى أول اسم الله فى جميع ذلك استغناء عنها الكل فى فتح الرحمن لكن بعض المواضع منها ينبغى أن يقطع عن التكبير حذرا من الايهام وان كان مقتضى القياس الوصل نحو الابتر الله أكبر وحسد الله أكبر

(تمت سورة الضحى فى الثانى عشر من شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف)

(سورة ألم نشرح ثمانى آيات مكية وعند ابن عباس رضى الله عنهما مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح لك صدرك) قال الراغب الشرح بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحته ومنه شرح الصدر بنور الهى وسكينة من جهة الله وروح منه وشرح المشكل من الكلام بسطه واظهار ما يخفى من معانيه انتهى وفى الحديث اذا دخل النور فى القلب انشرح أى عاين القلب وانفسح أى احتمل البلاء وحفظ سر الربوبية كما قال موسى عليه السلام رب اشرح لى صدرى أى وسع قلبى حتى لا يضيق بسفاهة المعاندين ولجاجهم بل يحتمل أذاهم وزيادة لك للايذان بأن الشرح من منافعه ومصالحه عليه السلام وانكار النفى اثبات أى عدم شرحنا لك صدرك منفى بل قد شرحنا لك صدرك وفسحناه حتى حوى عالم الغيب والشهادة بين ملكتى الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق فى شؤون الحق أى لم تحتجب لا بالحق عن الخلق ولا بالخلق عن الحق بل كنت جامعا بين الجمع والفرق حاضرا غائبا وفى التأويلات النجمية يشير الى انفساح صدر قلبه بنور النبوة وحل همومها بواسطة دعوة الثقلين وانشراح صدر سره

بضياء الرسالة واحتمال مكاره الكفار وأهل النفاق وانبساط صدره بأشعة الولاية وتفتقه بالعلوم اللدنية والحكم الالهية والمعارف الربانية والحقائق الرحمانية وأما شرح الصدر الصورى فقد وقع مرارا مرة وهو ابن خمس أو ست لاخراج مغمز الشيطان وهو الدم الاسود الذى به يميل القلب الى المعاصى ويعرض عن الطاعات ومرة عند ابتداء الوحى ومرة ليلة المعراج * درحديث آمده كه شب معراج جبريل مرا تكيه داد واز بالاى سينه تا ناف من بشكافت وميكائيل طشتى از آب زمزم آورده ودرون سينه وعروق حلق مرا بدان آب بشستند وجبرئيل دل مرا بيرون آورده بشكافت وبشست ودر آخر طشتى از طلا مملو از حكمت وايمان آوردند ودل مرا ازآن بر ساختند وبرجاى أو نهادند ونقلى هست كه بجاى آن خون زرد كه بخانچه أو بود ثرى أثر راحت ولذت آن هنوز درعروق مفاصل خود مى يابم * دلم خزانة اسرار بود ودست قضا * درش ببست وكليدش بدلستانى داد * ومن هنا قال المشايخ لابد للطالب فى ابتداء أمره أن يشتغل بذكر لا اله الا الله بحيث يبدأ من الجانب الأيمن للصدر ويضرب بالاعلى الجانب الايسر منه لينتقض به العلقة التى هى حظ الشيطان ومنبع الشهوات النفسانية مقدارا بعد مقدار روية لى النور مقام ما ينتقض منها وربما قاء دما أسود رقيقا الانحلاله بحرارة التوحيد وذوبانه بنار الذكر وهو من صفات الكمل فبدوام الذكر ينشرح الصدر وينفتح القلب (ووضعنا عنك وزرك) أى حططنا وأسقطنا عنك حملك الثقيل وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح لقصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر (الذى أنقض ظهرك) أى حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعى الى الانتقاض من ثقل الحمل وبالفارسية * آن بارى كه كران ساخت پشت ترا * كما قال فى تاج المصادر الانقاض كران كردن * وفى المفردات كسره حتى صار له نقيض وفى القاموس أثقله حتى جعله نقضا أى مهزولا أو أثقله حتى سمع نقيضه وفى بعض التفاسير ثقل عليك ثقلا شديدا فان انقاض الحمل الظهر انما يكون بمعنى تصويت الرحل الذى عليه وهو يكون بثقل الحمل وتأثيره المفضى الى انحراف بعض أجزاء الرحل عن محالها وحصول الصوت بذلك فيه انتهى مثل به حاله عليه السلام مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرائع ومن تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد أن بلغ وبالغ وقد يجعل قوله ووضعنا عنك وزرك كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الادناس فيكون كقول القائل رفعنا عنك مشقة الزيارة لمن لم يصدر عنه زيارة قط على سبيل المبالغة فى انتفاء الزيارة منه له (ورفعنا لك ذكرك) بعنوان النبوة وأحكامها أى رفع حيث قرن اسمه باسم الله فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة وفيه يقول حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن أشهد

وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبى الله وغير ذلك من الالقاب المشرفة (وذو النون المصرى قدس سره فرمود رفعت ذكر

اشارتست كه همه انبيا عليهم السلام برخوى الى عرش جولان نمودند وطائر همت آن حضرت عليه السلام پرواز ميكرد * سيمرغ فهم هيچكس از انبيا نرفت * آنجا كه تو با بال كرامت پريدة * هريك بقدر خويش بجايى رسيده اند * آنجا كه جاى نيست بجايى رسيدة (فان مع العسر يسرا) تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسيرله عليه السلام وللمؤمنين فاللام للاستغراق قال فى الكشاف فان قلت كيف تعلق قوله فان مع العسر يسرا بما قبله قلت كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه أنهم رغبوا عن الاسلام لافتقار أهله واحتقارهم فذكره ما أنعم الله به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر الخ كأنه قيل خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفى كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجىء اليسر كأنه مقارن للعسر والا فالظاهر ذكر كلمة المعاقبة لا أداة المصاحبة لأن الضدين لا يجتمعان بل يتعاقبان * ان مع العسر جو يسرش قفاست * شاد بر آنم كه كلام خداست * وقال بعضهم هذا عند العامة وأما عند الخاصة فالمعية حقيقية كما قيل * بر جانم از تو هر چه رسد جاى منتست * كر ناوك جفاست وكر خنجر ستم * قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر هى معية امتزاج لا معية مقارنة ولا تعاقب ولذلك كررها فلولا وجود اليسر فى العسر لم يبق عسر لعموم الهلاك ولولا وجود العسر فى اليسر لم يبق يسر وبضدها تتبين الاشياء ثم ان العسر يؤول كله الى اليسر فقد سبقت الرحمة الغضب وذلك عناية من الله فان ذلك قد يكون مصقلة وجلاء القلوب الاكابر وتوسعة لاستعدادهم فتتسع لتجلى الحضرة الالهية وكان حظهم من الملائم أوفر فكذلك غير الملائم قال عليه السلام أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ولذلك قال تعالى ادعونى أستجب لكم وقال عليه السلام ان الله يحب الملحين فى الدعاء وفى تعريف العسر وتنكير اليسر اشارة لطيفة الى أن الدنيا دار العسر فالعسر عند السامع معلوم معهود واليسر مجهول مبهم (ان مع العسر يسرا) تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين أى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين أى لن يغلب عسر الدنيا يسرى الدنيا والآخرة فان المعرف اذا أعيد يكون الثانى عين الاول سواء كان معهودا أو جنسا وأما المنكر فيحتمل أن يراد بالثانى فرد مغاير لما أريد بالاول قال ابن الملك فى شرح المنار المعرفة اذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الاولى كالعسرين فى قوله تعالى فان مع الخ وهو معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما لن يغلب عسر يسرين قال فخر الاسلام فى جعل الآية من هذا القبيل نظر لانهم لا تحتمل هذا المعنى كما لا يحتمل قولنا ان مع الفارس رمحا ان مع الفارس رمحا أن يكون معه رمحان بل هذا من باب التأكيد فان قلت فاذا حمل على التأكيد فما وجه قول ابن عباس رضى الله عنهما قلت كأنه قصد باليسرين ما فى قوله يسرا من معنى التفخيم فيتناول يسر الدارين وذلك يسران فى الحقيقة انتهى قال بعضهم ان مع عسر المجاهدة يسر المشاهدة ومع عسر الانفصال يسر الاتصال ومع عسر القبض يسر البسط والعسر الواحد هو الحجاب واليسران كشف الحجاب ورفع العتاب (فاذا فرغت) أى من التبليغ أو من المصالح المهمة الدنيوية (فانصب) النصب بحركة التعب أى فاجتهد فى العبادة واتعب شكر لما أولينالك

عن

من النعم السالفة ووعدنا لك من الآلاء الآتية وبه ارتبطت الآية بما قبلها ويجوز أن يقال فاذا فرغت من تلقى الوحى فانصب فى تبليغه وقال الحسن رحمه الله اذا كنت صحيحا فاجعل فراغك نصبا فى العبادة كما روى أن شريحا مر برجلين يتصارعان وآخر فارغ فقال ما أمر بهذا انما قال الله فاذا فرغت فانصب وقعود الرجل فارغا من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه فى دينه أو دنياه من سفه الرأى وسخافة العقل واستيلاء الغفلة وعن عمر رضى الله عنه انى لأكره أن أرى أحدكم فارغا سهلا لا فى عمل دنياه ولا فى عمل آخرته فلا بد للمرء أن يكون فى عمل مشروع دائما فاذا فرغ من عمل أتبعه بعمل آخر وقال قتادة والضحاك فاذا فرغت من الصلاة فانصب فى الدعاء (وأبو مدين مغربى قدس سره درتأويل اين آيت فرموده كه چون فارغ شوى از مشاهدة اكوان نصب كن دل خودرا براى مشاهدة جمال رحمن) قال فى الكشاف ومن البدع ما روى عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد أى فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضة أصح للناصبى أن يقرأ هكذا ويجعله أمرا بالنصب الذى هو بغض على وعداوته (والى ربك) وحده (فارغب) أصل الرغبة السعة فى الشئ ثم يراد بها السعة فى الارادة فاذا قيل رغب فيه واليه اقتضى الحرص عليه واذا قيل رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه وفى القاموس رغب فيه كسمع رغبا ويضم ورغبة أراده وعنه لم يرده واليه رغبا محركة ابتهل أوهو الضراعة والمسألة والمعنى فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافك لا غيره (وصحن تو بدركاه قرب مقبولست ودعوات طيبات تو درمحل قبول * چو مقصود كون ومكان جود تست * خدا ميدهد آنچه مقصود تست *) وعن بعض الاكابر ألم نشرح لك صدرك برفع غطاء أنيتك وكشف حجاب اثنينيتك عن حقيقة أحديتنا ووجه صمديتنا ووضعنا عنك ذنب وجودك الذى أنقض ظهر فؤادك بأن نطلعك على فناء وجودك الصورى الظلى وبقاء وجودنا الحقيقى العينى ورفعنا لك ذكرك بافنائك فينا وابقائك بنا الى مرتفع الخطاب الوارد فى شأنك بقوله ان الى ربك المنتهى أى منتهى جميع الارباب الاسماء الالهية وكذلك اليك منتهى كافة المربوبين الحقائق الكونية وبذلك الرفع كنت سيد الكل فارض بالقضاء واصبر على البلاء واشكر على النعماء فان مع عسر الابتلاء بالبلايا المؤدى الى اضطراب صدرك يسر الامتلاء بالعطايا المفضى الى اطمئنان روحك ان مع العسر يسرا البتة اذ هكذا جرت سنتنا مع كل عبد ولن تجد لسنتنا تبديلا بأن يرتفع العسر جميعا ويصير الكل يسرا أو بالعكس فلا تلتفت الى اليسر والسرور فانه حجاب نورانى ولا الى العسر والالم فانه حجاب ظلمانى فاذا فرغت من اعطاء حق وارد كل وقت حاضر فانصب نفسك فى منصب اعطاء وارد كل وقت قابل اذا أتى يعنى فافعل ثانيا كما فعلت أولا وكن هكذا دائما الى أن يأتيك اليقين والى ربك أى الى جلاله وجماله وكماله فارغب لا الى غيره من الامور والاحكام الواردة عليك فى الاوقات لان فى الرغبة والالتفات الى غير الرب احتجابا عن الرب وسقوطا عن قرب الى بعد ومقامك لا يسع غير القرب والانس والحضور وعن طاوس وعمر بن عبد العزيز رحمهما الله انهما كانا يقولان ان الضحى وألم نشرح سورة واحدة فكانا يقرآنهما فى ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما بالبسملة لانهما رأيا أن أول ألم نشرح مشابه لقوله ألم يجدك الخ وليس كذلك لان تلك حال اغتمامه عليه السلام بأذى

الكفار وهى حال محنة وضيق وهذه حال انشراح الصدر وتطييب القلب فكيف يجتمعان ودر ليلة معراج ندا آمد كه أى محمد بخواه تا بخشيم رسول عليه السلام كفت خداوندا هر پيغمبرى از تو عطايى يافت ابراهيم را خلت دادى باموسى بى واسطه سخن كفتى ادريس را بمكان عالى رسانيدى داود را ملك عظيم دادى وزات وى پيامبر زيدى سليمان را ملكى دادى كه بعد از وى كس را سزاى آن ندادى عيسى را در شكم مادر تورات وانجيل در آموختى ومرده زنده كردن بردست وى اسان كردى وابراء اكمه وابرص مر او را دادى جواب الهى آمد كه يا محمد اكر ابراهيم را خلت دادم ترا محبت دادم واكر باموسى سخن كفتم بى واسطه لكن كوينده را نديد وباتو سخن ميكفتم بى حجاب وكوينده ديدى واكر ادريس را با آسمان رسانيدم ترا از آسمان بحضرت قاب قوسين أو أدنى رسانيدم واكر داود را ملك عظيم دادم وزات وى پيامبر زيدم امت ترا ملك قناعت دادم وكناهان ايشان بشفاعت پيامبر زيدم واكر سليمان را ملكت دادم ترا سبع مثانى وقرآن عظيم دادم وخاتمة سورة بقره كه هيچ پيغمبر بجز تو ندادم ودعاهاى تو در آخر سورة البقرة اجابت كردم وأعطيتك الكوثر وترا بسه خصلت براهل زمين وآسمان فضل دادم يكى ألم نشرح لك صدرك ديكر ووضعنا عنك وزرك سوم ورفعنا لك ذكرك وأعطيتك ثمانية أسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وأرسلتك الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وجعلتك فاتحا وخاتما وهذا السوق يشير الى أن السورة مدنية وفى بعض الروايات سألت ربى مسائل وددت أنى لم أسألها اياه قط فقلت اتخذت الخ وهو الظاهر وهذا يقتضى أن يكون مسئلته عليه السلام من عند نفسه من غير أن يقول الله له سل تعط والله تعالى أعلم وفى الحديث من قرأها أى سورة ألم نشرح فكأنما جاءنى وأنا مغتم ففرج عنى

تمت سورة الانشراح بعون الفتاح

(سورة التين ثمانى آيات مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والتين والزيتون) هما هذا التين الذى يؤكل وهذا الزيتون الذى يعصر منه الزيت خصهما الله من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما فى المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى أبو ذر رضى الله عنه أنه أهدى للنبى عليه السلام سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه الآن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن على بن موسى الرضى رضى الله عنه التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج قال الامام لما عصى آدم عليه السلام وفارقته ثيابه تستر بورق التين ولما نزل وكان متزرا بورق التين استوحش فطافت الظباء حوله فاستأنس بها فأطعمها بعض ورق التين فرزقها الله الجمال صورة والملاحة معنى وغيرها من الجمال ما أعجبه فلما كان الغد جاءت ظباء أخر على اثر الاول فاطعمها من الورق فغير

الله ساقها الى الجبال دون المسك وذلك لان الاولى جاءت الى آدم لاجله لا لاجل الطمع والطائفة الاخرى جاءت اليه ظاهرا والطمع باطنا فلا جرم غير الظاهر دون الباطن وفى أسئلة الحكم فان قلت ما الحكمة فى أن سائر الاشجار يخرج ثمرها فى كمامها أولا ثم تظهر الثمرة من الكمام ثانيا وشجرة التين أول ما يبدو ثمرها يبدو بارزا من غير كمام قلت لان آدم لم يستره الا شجرة التين فقال الله بعد ما سترت آدم أخرج منك المعنى قبل الدعوى وسائر الاشجار يخرج منها الدعوى قبل المعنى قال فى خريدة العجائب اذا نثر رماد خشب التين فى البساتين هلك منه الدود ودخان التين يهرب منه البق والبعوض * وأما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله فى بقاع لادهنية فيها كالجبال لكفى به فضلا وشجرته هى الشجرة المباركة المشهودة فى التنزيل ومر معاذ بن جبل رضى الله عنه بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبى عليه السلام يقول نعم سواك الزيتون هو سواكى وسواك الانبياء من قبلى وشجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة ومن خواصها أنها تصبر على الماء طويلا كالنخل واذا لقط ثمرتها جنب فسدت وألقت حملها وانتثر ورقها وينبغى أن تغرس فى المدر لكثرة الغبار لان الغبار كلما علا على زيتونها ازداد دسمه ونضجه ورماد ورقها ينفع العين كحلا ويقوم مقام التوتياء وفى الحديث عليكم بالزيت فانه يكشف المرة ويذهب البلغم ويشد العصب ويمنع الغشى ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الهم قال الامام ان التين فى النوم رجل خير غنى فمن ناله فى المنام نال مالا وسعة ومن أكله رزقه الله أولادا ومن أخذ ورق الزيتون فى المنام استمسك بالعروة الوثقى وقال مريض لابن سيرين رأيت فى المنام كأنه قيل لى كل اللامين تشفى فقال كل الزيتون فانه لا شرقية ولا غربية وقال الطبرى المراد بالتين الجبل الذى عليه دمشق يعنى جبل الصالحية ويسمى جبل قاسيون والزيتون وهو طور زيتا الجبل الذى يلى بيت المقدس من جهة المشرق وذلك أن التين ينبت كثيرا بدمشق والزيتون بايليا (وطور سينين) هو الجبل الذى ناجى عليه موسى عليه السلام ربه قال الماوردى ليس كل جبل يقال له طور الا أن يكون فيه الاشجار والثمار والا فهو جبل فقط وسينين وسيناء علمان للموضع الذى هو فيه ولذلك أضيف اليهما ومعنى سينين بالسريانية ذو الشجر أو حسن مبارك بلغة الحبشة وفى كشف الاسرار أصل سينين سيناء بفتح السين وكسرها وانما قال ههنا سينين لان تاج الآيات النون كما قال فى سورة الصافات سلام على الياسين وهو الياس نخرج على تاج آيات السورة (وهذا البلد الأمين) أى الآمن يقال أمن الرجل بضم الميم أمانة فهو أمين وهو مكة شرفها الله تعالى وأمانتها أنها تحفظ من دخلها جاهلية واسلاما من قتل وسبى كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول بمعنى المأمون فيه على الحذف والايصال من أمنه لانه مأمون الغوائل والعاهات كما وصف بالامن فى قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذى أمن وفى الحديث من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشؤهما عليهما السلام والطور المكان الذى نودى فيه موسى عليه السلام ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه

وسلم ومبعثه * ودر بحر الحقائق آورده كه بزبان اشارت قسمست بشجرهٔ تينيه قالبيه كه مثمر ثمرهٔ علوم دينيه است وشجرهٔ زيتونهٔ مباركهٔ سريه كه روشنى بخش مصباح دلست وطور سينين روح معلى كه بتجلى الهى مجلى است وبلد امين خفى كه محل امن وامانست از هجوم آفات تعلقات أكوان * يقول الفقير أشار بالتين الى علوم الحقيقة التي محلها السر الانسانى لانها لذة صرفة ولذا قدمت لانها المطلب الاعلى لتعلقها بذات الله وصفاته وأفعاله وكما أن عمر شجرة التين قصير بالنسبة الى الزيتون فكذا عمر أهل الحقيقة غالبا اذ لا معنى للبقاء فى الدار الفانية بعد حصول المقصود الذى هو الحياة الباقية الا أن يكون لارشاد الناس وأشار بالزيتون الى علوم الشريعة التي محلها النفس الانسانية فهى ليست بنعيم محض لانه لا بد فى الشريعة من اتعاب النفس والقالب وأشار بطور سينين الى الروح الذى هو محل المعارف الالهية ومقام المناجاة وأشار بالبلد الامين الى مكة الوجود المشتملة على بيت القلب فانه أمن أهلها من اختطاف الشياطين ودخول شر الوسواس الخناس فيها والى الاعمال القالبية الحاصلة بالحواس والاعضاء فالقالب أخذ الشرف من القلب وهو من الروح وهو من السر فلذا كان الكل جديرا بالاقسام به (لقد خلقنا الانسان) أى جنس الانسان (فى أحسن تقويم) يقال قام انتصب وقام الامر اعتدل كاستقام وقومته عدلته كما فى القاموس والتقويم تصيير الشئ على ما ينبغى أن يكون عليه فى التأليف والتعديل وعن يحيى بن أكثم القاضى أنه فسر التقويم بحسن الصورة فانه حكى أن ملك زمانه خلا بزوجته فى ليلة مقمرة فقال لها ان لم تكونى أحسن من القمر فأنت كذا فأفتى الكل بالحنث الا يحيى بن أكثم قال لا يحنث فقالوا خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد أفتى من هو أعلم منا وهو الله تعالى قال لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم فالانسان أحسن الاشياء ولا شئ أحسن منه وفى المفردات هو اشارة الى ما خص به الانسان من بين الحيوان من العقل والفهم وانتصاب القامة الدال على استيلائه على كل ما فى هذا العالم والمعنى كائنا فى أحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث براه تعالى مستوى القامة متناسب الاعضاء حسن الشكل كما قال وصوركم فأحسن صوركم أى صوركم أحسن تصوير وكذا خلقه متصفا بالصفات الالهية من الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام التي هى الصورة الحقيقية الالهية المشار اليها بقوله عليه السلام خلق الله آدم على صورته وعليه يدور معنى قوله عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه فالانسان مظهر الجلال والجمال والكمال (ثم رددناه أسفل سافلين) أى جعلناه من أهل النار الذى هو أقبح من كل قبيح وأسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان فى أعلى عليين والحاصل أن تحول بسوء حاله من أحسن تقويم الى أقبح تقويم صورة ومعنى لان مسخ الظاهر انما هو من مسخ الباطن فالمراد بالسافلين عصاة المؤمنين وأفعل التفضيل هنا يتناول المتعدد المتفاوت وأسفل سافلين اما حال من المفعول أى رددناه حال كونه أسفل سافلين أو صفة لمكان محذوف أى رددناه الى مكان هو أسفل أمكنة السافلين والاول أظهر ثم هذا بحسب بعض الافراد الانسانية لانغماسهم فى بحر الشهوات الحيوانية البهيمية وانهماكهم فى ظلمات اللذات الجسمانية الشيطانية والسبعية وفيه اشارة الى أن الاعتبار انما هو بالصورة

الباطنة

الباطنة لا بالصورة الظاهرة ولذا قال الشيخ سعدى * ره راست بايدنه بالاى راست * كه كافر هم ازروى صورت چوماست * فكم من مصوّر على أحسن الصور فى الظاهر وهو فى الباطن على أقبح الهيآت ولذا يجيء الناس يوم القيامة أفواجا فان صفاتهم الباطنة تظهر على صورهم الظاهرة فتتنوع صورهم بحسب صفاتهم على أنواع وقيل رددناه الى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق أى نكسناه فى خلقه فتقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وكل سمعه وبصره وتغير كل شئ منه * دورستم درم ردهن داشت جاى * چودبوارى ازخشت سيمين بپاى * كنونم نكه كن بوقت سخن * بيفتاده يك يك چو سور كهن * مرا همچنين جعد شبرنك بود * قبادربرازنازكى تنك بود * درين غايتم رشت بايد كفن * كه موى چو پنبه است ودوكم بدن * قال فى عين المعانى ولم تدخل لام الجنس فى سافلين كما ورد فى مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لانه عنى أسفل الطرفين خاصة دون كل الناس من أهل الزمانة وفى كشف الاسرار السافلون هم الضعفاء من المرضى والزمنى والاطفال قال الشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا (الا الذين آمنوا) ايمانا صادقا (وعملوا الصالحات) المأمور بها او المأجور عليها وهو على الاول استثناء متصل من ضمير ثم رددناه فانه فى معنى الجمع وعلى الثانى منقطع أى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى قال أبو الليث معنى قوله الا الذين الخ يعنى لا يخرف ولا يذهب عقل من كان عالما عاملا وفى الحديث طوبى لمن طال عمره وحسن عمله وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر (فلهم أجر) فى دار الكرامة لانهم المحل له ودخول الفاء لتضمن اسم لكن معنى الشرط وهو على الاول التعليل أى لا بغير صورهم فى النار لانهم مثابون فى الجنة (غير ممنون) غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على ضعف نهوضهم وفى التيسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا مرض أوسافر كتب له مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما كذا روى فى الهرم وفى تفسير أبى الليث روى عن النبى عليه السلام أنه قال ان المؤمن اذا مات صعد الملكان الى السماء فيقولان ان عبدك فلانا قدمات فائذن لنا حتى نعبدك على السماء فيقول الله ان سمواتى مملوأة بملائكتى ولكن اذهبا الى قبره واكتبا حسناته الى يوم القيامة ويجوز أن يكون المعنى غير ممنون به عليهم كما سبق فى آخر سورة الانشقاق (فما يكذبك بعد بالدين) بعد مبنى على الضم لحذف المضاف اليه ونيته والاستفهام مشعر بالتعجب أى فأى شئ يكذبك يا محمد دلالة أو نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به أى ينسبك الى الكذب بسبب اثباتك الجزاء واخبارك عن البعث والمراد الآلة الدالة على كمال القدرة فان من خلق الانسان السوى من الماء المهين وجعل ظاهره وباطنه على أحسن تقويم ودرجه فى مراتب الزيادة الى أن استكمل واستوى ثم نكسه الى أن يبلغ الى أرذل العمر لاشك أنه قادر على البعث والجزاء أو فما يجعلك أيها الانسان كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعنى انك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب للحق فهو كاذب وحاصله أن خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من أوضح دليل على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء فأى شئ يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى أن تكون

كاذبا بسبب تكذيبه أيها الانسان (أليس الله بأحكم الحاكمين) أى أليس الذى فعل ماذكر بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء أى أليس ذلك بابلغ اتقانا للامور من كل متقن لها اذ الحاكم هو المتقن للامور ويلزمه كونه تام القدرة كامل العلم وحيث استحال عدم كونه أحكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء أو المعنى أليس الله بأقضى القاضين يحكم بينك وبين من يكذبك بالحق والعدل يقال حكم بينهم أى قضى فالآية وعيد للمكذبين وانه يحكم عليهم بما هم أهله وكان عليه السلام اذا قرأها يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين يعنى خارج الصلاة كما فى عين المعانى ويأمر بذلك أيضا قال من قرأ أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ هذه السورة أعطاه الله خصلتين العافية واليقين مادام فى الدنيا ويعطى من الاجر بعدد من قرأها

تمت سورة التين بعون الله المعين

(سورة العلق ثمان عشرة أو تسع عشرة آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقرأ) أى ما يوحى اليك يا محمد فان الامر بالقراءة يقتضى المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب أن يكون ذلك ما يتصل بالامر حتما سواء كانت السورة أول ما نزل أم لا فليس فيه تكليف ما لا يطاق سواء دل الامر على الفور أم لا والاقرب أن هذا الى قوله ما لم يعلم أول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم على ما دلت عليه الاحاديث الصحيحة والخلاف انما هو فى تمام السورة عن عائشة رضى الله عنها أول ما ابتدئ به رسول الله عليه السلام من النبوة حين أراد الله به كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة كان لا يرى رؤيا الاجاءت كفلق الصبح أى كضيائه وانارته فلا يشك فيها أحد كما لا يشك فى وضوح ضياء الصبح وانما ابتدئ عليه السلام بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذى هو جبريل بالرسالة فلا تحملها القوة البشرية لانها لا تحتمل رؤية الملك وان لم يكن على صورته الاصلية ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر به فكانت الرؤيا تأنيسا له وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر على ما هو أدنى الحمل ثم جاءه الملك فعبر من عالم الرؤيا الى عالم المثال ولذا قال الصوفية ان الحاجة الى التعبير انما هى فى مرتبة النفس الامارة واللوامة واذا وصل السالك الى النفس الملهمة كما قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها قل احتياجه الى التعبير لانه حينئذ يكون ملهما من الله تعالى فرتبة الالهام له كرتبة مجيء الملك للرسول عليه السلام فاذا كانت مدة الرؤيا ذلك العدد يكون ابتداؤها فى شهر ربيع الاول وهو مولده عليه السلام ثم أوحى اليه فى اليقظة فى شهر رمضان وكان عليه السلام فى تلك المدة اذا خلا يسمع نداء يا محمد يا محمد ويرى نورا أى يقظة وكان يخشى أن يكون الذى يناديه تابعا من الجن كما ينادى الكهنة وكان فى جبل حراء غار وهو الجبل الذى نادى رسول الله بقوله الى يا رسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عنى يا رسول الله فانى أخاف أن تقتل على ظهرى وكان عليه السلام يتعبد فى ذلك الغار ليالى ثلاثا وسبعا وشهرا ويتزود لذلك من الكعك والزيت وذلك فى تلك المدة وقبلها وأول من تعبد فيه من قريش جده عبد المطلب ثم تبعه سائر المتألهين وهم أبو أمية بن المغيرة وورقة بن نوفل ونحوهما وكان ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى ابن عم خديجة رضى الله عنها

وكان

وكان قد قرأ الكتب وكتب الكتاب العبري وكان شيخا كبيرا قد عمي في أواخر عمره ثم لما بلغ عليه السلام رأس الاربعين ودخلت ليلة سبع عشرة من شهر رمضان جاءه الملك وهو في الغار كما قال الامام الصرصري رحمه الله

وأتت عليه أربعون فأشرقت * شمس النبوة منه في رمضان

قالت عائشة رضي الله عنها جاءه الملك سحر يوم الاثنين فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني أي ضمني وعصرني ثم أرسلني فعله ثلاث مرات ثم قال اقرأ الى قوله ما لم يعلم وأخذ منه القاضي شريح من التابعين ان المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات فخرج عليه السلام من الغار حتى اذا كان في جانب من الجبل سمع صوتا يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ورجع الى خديجة يرجف فؤاده فحدثها بما جرى فقالت له ابشر يا ابن عمي واثبت فو الذي نفسي بيده اني لارجو أن تكون نبي هذه الامة ثم انطلقت الى ورقة فأخبرته بذلك فقال فيه

فان يك حقا يا خديجة فاعلمي * حديثك ايانا فأحمد مرسل
وجبريل يأتيه وميكال معهما * من الله وحي يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز عز الدينه * ويشقى به الغاوي الشقي المضلل
فريقان منهم فرقة في جنانه * وأخرى بأغلال الجحيم تغلل

ومكث عليه السلام مدة لا يرى جبريل وانما كان كذلك ليذهب عنه ما كان يجده من الرعب وليحصل له التشوق الى العود وكانت مدة الفترة أي فترة الوحي بين اقرأ وبين يا أيها المدثر وتوفي ورقة في هذه الفترة ودفن بالحجون وقد آمن به عليه السلام وصدقه قبل الدعوة التي هي الرسالة ولذا قال عليه السلام لقد رأيته في الجنة وعليه ثياب الحرير ثم نزل يا أيها المدثر قم فأنذر فظهر الفرق بين النبوة والرسالة قال بعض العارفين أهل الارادة في الطلب والمراد مطلوب وهو نعت الحبيب ألا ترى أنه لما قيل له اقرأ استقبله الامر من غير طلب ونظيره ألم نشرح لك صدرك فانه فرق بينه وبين قول موسى رب اشرح لي صدري (باسم ربك) متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل أي اقرأ ملتبسا باسم الله تعالى أي مبتدئا به ليتحقق مقارنته لجميع أجزاء المقروء أي قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ فعلم أن اقرأ باسم ربك نزلت من غير بسملة وقد صرح بذلك الامام البخاري رحمه الله أمره بذلك لان ذكر اسم الله قوة له في القراءة وأنس بمولاه فان الانس بالاسم يفضي الى الانس بالمسمى والذكر باللسان يؤدي الى الذكر بالجنان والباء في باسم بره تعالى على المؤمنين بأنواع الكرامات في الدارين والسين كونه سميع الدعاء الخلق جميعا والميم معناه من العرش الى تحت الثرى ملكه وملكه وفي الكواشي دخلت الباء في اقرأ باسم ربك لتدل على الملازمة والتكرير كأخذت بالخطام ولو قلت أخذت الخطام لم يدل على التكرير والدوام وفي كتاب شمس المعارف أول آية نزلت على وجه الارض بسم الله الرحمن الرحيم يعني على آدم الصفي عليه السلام فقال آدم الآن علمت أن ذريتي لا تعذب بالنار ما دامت عليها ثم أنزلت على ابراهيم عليه السلام في المنجنيق فأنجاه الله بها من النار ثم على موسى عليه السلام فقهر بها فرعون وجنوده ثم على سليمان عليه السلام فقالت الملائكة الآن والله قد تم ملكك فهي آية

الرحمة والامان لرسله وأممهم ولما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كانت فتحا عظيما فأمر رسول الله فكتبت على رؤس السور وظهور الدفاتر وأوائل الرسائل وحلف رب العزة بعزته أن لا يسميه عبد مؤمن على شئ الا بورك له فيه وكانت اقاتلها حجابا من النار وهى تسعة عشر حرفا تدفع تسعة عشر زبانية وفى الخبر النبوى لو وضعت السموات والارضون ومافيهن ومابينهن فى كفة والبسملة فى كفة لرجحت عليها يعنى البسملة (الذى خلق) وصف الرب به لتذكير أول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على أن من قدر على خلق الانسان على ماهو عليه من الحياة ومايتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحى العالم المتكلم أى الذى له الخلق والمستأثر به لا خالق سواه فيكون خلق منزلا منزلة اللازم وبه يتم مرام المقام لدلالته على أن كل خلق مختص به أو خلق كل شئ فيكون من حذف المفعول للدلالة على التعميم وقال فى فتح الرحمن لما ذكر الرب وكانت العرب فى الجاهلية تسمى الاصنام أربابا جاء بالصفة التى لا شركة للاصنام فيها فقال الذى خلق (خلق الانسان) على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثانى افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو أشرفهم وعليه نزل التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز أن يراد بالفعل الاول أيضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير وما التفخيم فطرته (من علق) جمع علقة كثمر وثمرة وهى الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح أى دم جامد رطب يعلق بما مر عليه لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالتيه الاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع حيث لم يقل علقة بناء على أن الانسان فى معنى الجمع لان الالف فيه للاستغراق لمراعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين سائر أطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب أدل منه على كمال القدرة لكونهما أبعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان أول النعم الفائضة عليه منه تعالى وأقوم الدلائل الدالة على وجوده تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك أولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى من القراءة وفى حواشى ابن الشيخ ان الحكيم سبحانه لما أراد أن يبعثه رسولا الى المشركين لو قال له اقرأ باسم ربك الذى لا شريك له لابوا أن يقبلوا ذلك منه لكنه تعالى قدم فى ذلك مقدمة تلجئهم الى الاعتراف به حيث أمره وله أن يقول لهم انهم هم الذين خلقوا من العلقة ولا يمكنهم انكاره ثم أن يقول لهم لابد للفعل من فاعل فلا يمكنهم أن يضيفوا ذلك الفعل الى الوثن لعلمهم بأنهم نحتوه فبهذا التدريج يقرون بانى أنا المستحق للثناء دون الاوثان لان الالهية موقوفة على الخالقية ومن لم يخلق شيأ كيف يكون الها مستحقا للعبادة ومن هذه الطريقة مايحكى أن زفر لما بعثه أبو حنيفة رحمه الله الى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل اليهم وذكر أبا حنيفة منعوه ولم يلتفتوا اليه فرجع الى أبى حنيفة وأخبره بذلك فقال له أبو حنيفة انك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع اليهم واذكر فى المسئلة أقاويل أئمتهم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول آخر فاذكر قولى وحجتى فاذا تمكن ذلك فى قلبهم فقل هذا قول أبى حنيفة فانهم حينئذ يستحسنونه فلا يردونه (اقرأ) أى افعل ما أمرت به وكرر

علامة الامر بالقراءة تأكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى (وربك الاكرم) الخ فانه
كلام مستأنف ولذا وضع السجاوندي علامة الوقف الجائز على خلق واردلازاحة ما بينه عليه
السلام من العذر بقوله ما أنا بقارئ يريد أن القراءة شأن من يكتب ويقرأ وأنا أمي فقيل له
وربك الذي أمرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الاكرم أي الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم
بلا غرض ولا يطلب مدحا وثوابا أو تخلصا من المذمة وأيضا ان كل كريم انما أخذ الكرم منه
فكيف يساوي الاصل وقال ابن الشيخ ربك مبتدأ والاكرم صفته والذي مع صلته خبر (الذي
علم بالقلم) أي علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما
وقال بعضهم علم الخط بالقلم والقلم ما يكتب به لانه يقلم ويقص ويقطع وفيه امتنان على الانسان
بتعليم علم الخط والكتابة بالقلم ولذلك قيل * العلم صيد والكتابة قيده وقيل *

وما من كاتب الاسيبلى * ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شئ * يسرك في القيامة أن تراه

ولولا القلم ما استقامت أمور الدين والدنيا وفيه اشارة الى القلم الاعلى الذي هو أول موجود
وهو الروح النبوي عليه السلام فان الله علم القلب بواسطته ما لم يعلم من العلوم التفصيلية قال
كعب الاحبار أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام قبل
موته بثلاثمائة سنة كتبها في الطين ثم طبخه فاستخرج ادريس ما كتب آدم وهذا هو الاصح
وأما أول من كتب خط الرمل فادريس عليه السلام وأول من كتب بالفارسية طهمورث ثالث
ملوك الفرس وأول من اتخذ القراطيس يوسف عليه السلام قال السيوطي رحمه الله أول
ما خلق الله القلم قال له اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة وأول ما كتب القلم أنا التواب أتوب
على من تاب قال بعضهم وجه المناسبة بين الخلق من العلق وتعليم القلم أن أدنى مراتب الانسان
كونه علقة وأعلاها كونه عالما فالله تعالى امتن على الانسان بنقله من أدنى المراتب وهي
العلقة الى أعلاها وهو تعلم العلم ثم الله الذي خلق الانسان على صورته الحقيقية خلقه من علقة
التجلي الاول الحبي المشار اليه بقوله كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فصارت
الهيئة الذاتية عالقة بالايجاد الحبي وهو أكرم الاكرمين اذ هو جامع محيط بجميع الاسماء الدالة
على الكرم كالجواد والواهب والمعطي والرازق وغيرها (علم الانسان ما لم يعلم) بدل اشتمال من علم
بالقلم وتعيين للمفعول أي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر
بباله أصلا فان قلت فاذا كان القلم والخط من المنن الالهية فما باله عليه السلام لم يكتب قلت لانه
لو كتب لقيل قرأ القرآن من صحف الاولين ومن كان القلم الاعلى يخدمه واللوح المحفوظ
صحيفته ومنظره لا يحتاج الى تصوير الرسوم وتشكيل العلوم بالآلات الجسمانية لان الخط صنعة
ذهنية وقوة طبيعية صدرت بالآلة الجسمانية وفيه اشارة بديعة الى أن أمته بين الامم هم
الروحانيون وصفهم سبحانه في الانجيل أمة محمد أناجيلهم في صدورهم ولو لم يكن رسم الخط لما
كانوا يحفظون شرائعه عليه السلام بقلوبهم لكمال قوتهم وظهور استعدادتهم (كلا) ردع
لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة في الزجر فيوقف عليه وقال
السجاوندي يوقف على ما لم يعلم لانه بمعنى حقا ولذا وضع علامة الوقف عليه (ان الانسان ليطغى)

أى يتجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل ان هذا الى آخر السورة نزل
فى أبى جهل بعد زمان وهو الظاهر (أن رآه استغنى) مفعول له أى يطغى لان رأى وعلم نفسه
مستغنيا أو أبصر مثل أبى جهل وأصحابه ومثل فرعون ادعى الربوبية قال ابن مسعود رضى
الله عنه منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا ولا يستويان أما طالب العلم فيزداد فى رضا
الله وأما طالب الدنيا فيزداد فى الطغيان وتعليل طغيانه برؤيته لنفسه الاستغناء للايذان بأن
مدار طغيانه زعمه الفاسد (روى) أن أبا جهل قال لرسول الله عليه السلام أتزعم أن من
استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك
فنزل جبريل فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فكف
رسول الله عن الدعاء ابقاء عليهم ورحمة وأول هذه السورة يدل على مدح العلم وآخرها على مذمة
المال وكفى بذلك مرغبا فى العلم والدين ومنفرا عن المال والدنيا وكان عليه السلام يقول اللهم
انى أعوذ بك من غنى يطغى وفقر ينسى وفيه اشارة الى أن الانسان اذا رأى نفسه مظاهر بعض
صفات ربه وأسمائه يدعيها لنفسه ويظن أن تلك الصفات والاسماء الالهية المودعة فيه بحكمة
بالغة ملك له وهو مالكها فيعجب بها ويتكل الاتها فيستغنى عن مالكها الذى أودعها فيه ليستدل
بها على خالقه وبارئه (ان الى ربك الرجعى) الرجعى مصدر بمعنى الرجوع والالف للتأنيث أى ان
الى مالك أمرك أيها الانسان رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا أو اشتراكا
فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وآنجا همه را عمل بكار آيد نه اموال * توانكرى به جمالست نزد
أهل كمال * كه مال تا لب كورست وبعد ازان اعمال (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى)
الاستفهام للتعجب والرؤية بصرية والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية وتنكير عبدا لتفخيمه
عليه السلام كأنه قيل ينهى أكمل الخلق فى العبودية عن عبادة ربه والعدول عن ينهاك الى
ينهى عبدا دال على أن النهى كان للعبد عن اقامة خدمة مولاه ولا أقبح منه (روى) أن أبا جهل
قال فى ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلى لاطأن عنقه وفى التكملة نهى محمدا عن
الصلاة وهم أن يلقى على رأسه حجرا فرآه فى الصلاة وهى صلاة الظهر فجاءه ثم نكص على عقبيه
فقالوا مالك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزات والمراد أجنحة الملائكة
أبصر اللعين الاجنحة ولم يبصر أصحابها فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لو دنا منى
لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وكان أبو جهل يكنى فى الجاهلية بأبى الحكم لانهم كانوا
يزعمون أنه عالم ذو حكمة ثم سمى أبا جهل فى الاسلام يقول الفقير كان عليه السلام يدعو ويقول
اللهم أعز الاسلام بأبى جهل أو بعمر فلما أعزه الله بعمر رضى الله عنه دل على أن عمر أسعد
قريش كما أن أبا جهل أشقى قريش اذ الاشياء تتبين بأضدادها (أرأيت) رؤية قلبية معناه
أخبرنى ذلك الناهى وهو المفعول الاول (ان كان على الهدى) فيما ينهى عنه من عبادة الله
(أو أمر بالتقوى) أى أمر بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وهذه الجملة
الشرطية بجوابها المحذوف وهو ألم يعلم بأن الله يرى سدت مسد المفعول الثانى فان المفعول
الثانى لأرأيت لا يكون الا جملة استفهامية أو قسمية وانما حذف جواب هذه الشرطية
اكتفاء عنه بجواب الشرطية الثانية لان قوله ان كذب وتولى مقابل للشرط الاول وهو ان كان

على الهدى أو أمر بالتقوى والآية في الحقيقة تهكم بالناهي ضرورة أنه ليس في النهي عن عبادته تعالى والامر بعبادة الاصنام هدى البتة (أرأيت) أخبرني عن ذلك الناهي (ان كذب وتولى) أي ان كان مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن ونعظم الامر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار أنفس الافعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس في حيز التردد أصلا بل باعتبار أوصافها التي هي كونهما أمرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا (ألم يعلم بأن الله يرى) جواب للشرطية الثانية أي يطلع على أحواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل أي قد علم ذلك الناهي أن الله يرى فكيف صدر منه ما صدر وانما أفرد التكذيب والتولي بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظمهما في سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الامر وباستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب وأما القسم الاول فأمر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول ولا أعجب من ذا * بزركان كننده اندر كلم أن الله يرى هم وعد مندرجست وهم وعيد أي فاسق توبه كن كه ترا ميبيند اي مرائي اخلاص ورز كه ترا ميبيند اي درخلوت قصد كناه كرده هش داركه ترا مي بيند درويشي بعد از كناهي توبه كرده بود وپيوسته مي كريست كفتند چند مي كريي خداي تعالى غفورست كفت آري هرچند عفو كند خجلت آنرا كه او مي ديده چه كونه دفع كنم * كيرم كه تو از سر كنه دركذري * زان شرم كه ديدي كه چه كردم چه كنم * قال أبو الليث رحمه الله والآية عظة لجميع الناس وتهديد لمن يمنع عن الخير وعن الطاعة وقاله ابن الشيخ في حواشيه وهذه الآية وان نزلت في حق أبي جهل لكن كل من نهى عن طاعة فهو شريك أبي جهل في هذا الوعيد ولا يلزم عليه المنع من الصلاة في الدار المغصوبة والاوقات المكروهة لان المنهي عنه غير الصلاة وهو المعصية فان عدم مشروعية الوصف المقارن وكونه مستحقا لأن ينهى عنه لا ينافي مشروعية أصل الصلاة الا أنه اشتدة الاتصال بينهما بحيث يكون النهي عن الوصف موهما للنهي عن الاصل احتاط فيه بعض الاكابر حتى روي عن علي رضي الله عنه انه رأى في المصلى أقواما يصلون قبل صلاة العيد فقال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له ألا تنهاهم فقال اخشى أن ندخل تحت وعيد قوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهي عن الصلاة احتياطا وأخذ أبو حنيفة هذا الادب الجميل حتى قال له أبو يوسف أيقول المصلي حين يرفع رأسه من الركوع اللهم اغفر لي قال يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهي (كلا) ردع للناهي اللعين وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة اللات (لئن لم ينته) اللام موطئة للقسم المضمر أي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر ولم يتب ولم يسلم قبل الموت والاصل منتهي بالياء يقال نهاه ينهاه نهيا ضد أمره فانتهى (لنسفعا بالناصية) أصله لنسفعن بالنون الخفيفة للتأكيد ونظيره وليكونا من الصاغرين كتب في المصحف بالالف على حكم الوقف فانه يوقف على هذه النون بالالف تشبيها لها بالتنوين والسفع القبض على الشئ وجذبه بعنف وشدة والناصية شعر مقدم الرأس

والمعنى لنأخذن فى الآخرة بناصيته ولنسحبنه بها الى النار يعنى لنأمرن الزبانية ليأخذوا بناصيته ويجروه الى النار للتحقير والاهانة وكانت العرب تأنف من جز الناصية وفى عين المعانى الاخذ بالناصية عبارة عن القهر والهوان والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور أن المراد ناصية الناهى المذكور ويحتمل أن يكون المراد من هذا السفع سحبه على وجهه فى الدنيا يوم بدر فيكون بشارة بأن يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجروه على وجهه اذا عاد الى النهى فلما عاد مكنهم الله من ناصيته يوم بدر (روى) أنه لما نزلت سورة الرحمن قال عليه السلام من يقرؤها على رؤساء قريش فتثاقلوا فقام ابن مسعود رضى الله عنه وقال أنا فأجلسه عليه السلام ثم قال ثانيا من يقرؤها عليهم فلم يقم الا ابن مسعود رضى الله عنه ثم ثالثا الى أن أذن له وكان عليه السلام يبقى عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته ثم انه وصل اليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قراءة السورة فقام أبو جهل فلطمه فشق أذنه وأدماها فانصرف وعينه تدمع فلما رآه عليه السلام رق قلبه وأطرق رأسه مغموما فاذا جبرائيل جاء ضاحكا مستبشرا فقال يا جبرائيل تضحك ويبكى ابن مسعود فقال ستعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود أن يكون له حظ فى الجهاد فقال له عليه السلام خذ رمحك والتمس فى الجرحى من كان له رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين فأخذ يطالع القتلى فاذا أبو جهل مصروع يخور فخاف أن تكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه ولعل هذا قوله سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر أن يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيلة فلما رآه أبو جهل قال له يا رويعى الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له أبو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن أحد أبغض الى منه فى حال مماتى فروى أنه عليه السلام لما سمع ذلك قال فرعونى أشد من فرعون موسى فانه قال آمنت وهو قد زاد عتوا ثم قال يا ابن مسعود اقطع بسيفى هذا لأنه أحد وأقطع فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق أذنه وجعل الخيط فيها وجعل يجره الى رسول الله عليه السلام وجبرائيل بين يديه يضحك ويقول يا محمد أذن بأذن لكن الرأس ههنا مع الاذن مقطوع ولعل الحكيم سبحانه انما خلقه ضعيفا حتى لم يقو على الرأس المقطوع لوجوه أحدها أن أبا جهل كلب والكلب يجر ولا يحمل والثانى ليشق الاذن فيقتص الاذن بالاذن والثالث ليحقق الوعيد المذكور بقوله لنسفعا بالناصية فيجر تلك الرأس على مقدمها قال ابن الشيخ والناصية شعر الجبهة وقد يسمى مكان الشعر ناصية ثم انه تعالى كنى بها ههنا عن الوجه والرأس ولعل السبب فى تخصيص السفع بها أن اللعين كان شديد الاهتمام بترجيل الناصية وتطييبها (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وانما جاز ابدالها من المعرفة وهى نكرة لوصفها ووصف الناصية بالكذب والخطاء على الاسناد المجازى وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذب خاطئ كأن الكافر بلغ فى الكذب قولا والخطاء فعلا الى حيث ان كلا من الكذب والخطاء ظهر من ناصيته وكان أبو جهل كاذبا على الله فى أنه لم يرسل محمدا وكاذبا فى أنه ساحر ونحوه وخاطئا بما تعرض له عليه السلام بانواع الاذية (فليدع) من الدعوة * يعنى كو بخواند ابو جهل * (ناديه) أى أهل ناديه ومجلسه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم أى يجتمعون وقدر المضاف لأن نفس المجلس والمكان لا يدعى ولا يسمى المكان ناديا

حتى يكون فيه أهله ودار الندوة بمكة كانوا يجتمعون فيها للتشاور وهى الآن المحفل الحنفى
روى أن أبا جهل مر برسول الله وهو يصلى فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله فقال أتهددنى
وأنا أكثر أهل الوادى ناديا بريد كثرة من يعينه فنزلت (سندع الزبانية) أى ملائكة العذاب
ليجروه الى النار وواحد منهم يغلب على ألف ألف من أمثال أهل ناديه قال عليه السلام لو دعا
ناديه لأخذته الزبانية عيانا * اجتمعت المصاحف العثمانية على حذف الواو من سندع خطا ولا
موجب للحذف من العربية الا اللفظ ولعله لامشاكلة مع فليدع أو للتشبيه بالامر فى أن الدعاء
أمر لابد منه وقال ابن خالويه فى اعراب الثلاثين آية الاصل سندعو بالواو غير أن الواو
ساكنة فاستقبلتها اللام ساكنة فسقطت الواو فى المصحف من سندع ويدع الانسان ويمح الله
الباطل وكذلك الياء من واد النمل وان الله لهاد الذين آمنوا والعلة فى ين ما أنباتك من بنائهم
الخط على اللفظ انتهى والزبانية فى الاصل فى كلام العرب الشرط كصرد جمع شرطة بالضم
وهم طائفة من أعوان الولاة سموا بذلك لانهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها كما فى
القاموس والشرط بالتحريك العلامة والواحد زبنية كعفرية وعفرية الديك شعرة القفا التى
يردها الى يافوخه عند الهراش من الزبن بالفتح كالضرب وهو الدفع لانهم يزبنون الكفار أى
يدفعونهم فى جهنم بشدة وبطش يعنى أن ملائكة العذاب سموا بما سمى به الشرط تشبيها لهم بهم
فى البطش والتهور والعنف والدفع وقيل الواحد زبنى وكأنه نسب الى الزبن ثم غير الى زبانية
كانسى بكسر الهمزة وأصلها زبانى وقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء بعد حذفها للمبالغة
فى الدفع وفيه اشارة الى التجليات القوية الجلالية الجرارة أبا جهل النفس الامارة وأهل ناديه
الذى هو الهوى وقواه الظلمانية الى نار الخذلان وجهنم الخسران (كلا) ردع بعد ردع للناهى
المذكور وزجر له اثر زجر فهو متصل بما قبله ولذا جعلوا الوقف عليه وقفا مطلقا (لا تطعه) أى
دم على ما أنت عليه من معاصاة ذلك الناهى الكاذب الخاطئ كقوله تعالى ولا تطع المكذبين
(واسجد) وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به (واقترب) وتقرب بذلك السجود الى
ربك وفى الحديث (أقرب ما يكون العبد من ربه اذا سجد فاكثروا من الدعاء فى السجود) كلمة
ما مصدرية وأقرب مبتدأ حذف خبره ويكون تامة أى أقرب وجود العبد من ربه حاصل وقت
سجوده * ودر فتوحات اين را سجده قرب كفته * وهذا محل سجود عند الثلاثة خلافا لمالك وهم
على اصولهم فى قولهم بالوجوب والسنية ثم ان السجود اشارة الى ازالة حجاب الرياسة وفى
الحديث (لا كبر مع السجود) * يعنى هركه سجده آرد از كبر دور كشت وبدر كاه الله شرف
متواضعان يافت * روى أن ابراهيم عليه السلام أضاف يوما ماتى مجوسى فلما أكلوا قالوا مرنا
يا ابراهيم قال ان لى اليكم حاجة فقالوا ما حاجتك قال اسجدوا لربى سجدة واحدة فتشاوروا فيما
بينهم فقالوا ان هذا الرجل قد صنع معروفا كثيرا فلو سجدنا لربه ثم رجعنا الى آلهتنا لا يضرنا ذلك
بشئ فسجدوا جميعا فلما وضعوا رؤسهم على الارض ناجى ابراهيم ربه فقال انى جهدت جهدى
حتى حملتهم على هذا ولا طاقة لى على غيره وانما التوفيق والهداية بيدك اللهم زين صدورهم
بالاسلام فلما رفعوا رؤسهم من السجود أسلموا والسجدة أقسام سجدة الصلاة وسجدة التلاوة
وسجدة السهو وهذه مشهورة وسجدة التعظيم لجلال الله وكبريائه وسجدة التضرع اليه خوفا

وطعما وسجدة الشكر له وسجدة المناجاة وهذه مستحبة فى الاصح صادرة عن الملائكة وعن رسول الله عليه السلام وسائر الانبياء والاولياء عليهم السلام وقال أبو حنيفة ومالك سجود الشكر مكروه فيقتصر على الحمد والشكر باللسان وقال الامامان هى قربة يثاب فاعلها وقال القاشانى قرأ عليه السلام فى هذه السجدة أى سجدة اقرأ أعوذ بعفوك من عقابك أى بفعل لك من فعل لك وأعوذ برضاك من سخطك أى بصفة لك من صفة لك وأعوذ بك منك أى بذاتك من ذاتك وهو معنى اقترابه بالسجود

(سورة القدر خمس أو ست آيات مكية وقيل مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا انزلناه فى ليلة القدر) النون للعظمة أو للدلالة على الذات مع الصفات والاسماء والضمير للقرآن لان شهرته تقوم مقام تصريحه باسمه وارجاع الضمير اليه فكأنه حاضر فى جميع الاذهان وعظمه بأن أسند انزاله الى جنابه مع أن نزوله انما يكون بواسطة الملك وهو جبرائيل على طريقة القصر بتقديم الفاعل المعنوى الا أنه اكتفى بذكر الاصل عن ذكر التبع قال فى بعض التفاسير انا أنزلناه مبتدأ وخبر فى الاصل بمعنى نحن أنزلناه فأدخل ان للتحقيق فاختير اتصال الضمير للتخفيف ومعنى صيغة الماضى انا حكمنا بانزاله فى ليلة القدر وقضينا به وقدرناه فى الازل ثم ان الانزال يستعمل فى الدفعى والقرآن لم ينزل جملة واحدة بل أنزل منجما مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة وهذه السورة من جملة ما أنزل وجوابه أن المراد أن جبرائيل نزل به جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى السماء الدنيا واملاه على السفرة أى الملائكة الكاتبين فى تلك السماء ثم كان ينزل على النبى عليه السلام منجما على حسب المصالح وكان ابتداء تنزيله أيضا فى تلك الليلة وفيه اشارة الى أن بيت العزة أشرف المقامات السماوية بعد اللوح المحفوظ لنزول القرآن منه اليه ولذلك قيل بفضل السماء الاولى على اخواتها لانها مقر الوحى الربانى وقيل لشرف المكان بالمكين ولكل منهما وجه فان السلطان انما ينزل على أنزه مكان ولو فرضنا نزوله على مسبخة لكفى نزوله هنالك شرفا لها فالمكان الشريف يزداد شرفا بالمكين الشريف كما سبق فى سورة البلد وفى نزول القرآن بالتدريج اشارة الى تعظيم الجناب المحمدى كما تدخل الهدايا شيأ بعد شئ على أيدى الخدام تعظيما للمهدى اليه بعد التسوية بينه وبين موسى عليهما السلام بانزاله جملة الى بيت العزة وفى التدريج أيضا تسهيل للحفظ وتثبيت لفؤاده كما قال تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك وكلام الله المنزل قسمان القرآن والخبر القدسى لان جبرائيل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى لان جبرائيل اداها بالمعنى ولم تجز القراءة بالمعنى لان جبرائيل اداها باللفظ والسر فى ذلك التعبد بلفظه والاعجاز به فانه لا يقدر أحد أن يأتى بدله بما يشتمل عليه من الاعجاز لفظا ومن الاسرار معنى فكيف يقوم لفظ الغير ومعناه مقام حرف القرآن ومعناه ثم ان اللوح المحفوظ قلب هذا التعين ولكن قلب الانسان ألطف منه لانه زبدته وأشرفه لان القرآن نزل به الروح الامين على قلب النبى المختار وهنا سؤال وهو أن الملائكة

بأسرهم صعقوا ليلة نزول القرآن من حضرة اللوح المحفوظ الى حضرة بيت العزة فما وجهه والجواب أن محمدا صلى الله عليه وسلم عندهم من اشراط القيامة والقرآن كتابه فنزوله دل على قيام الساعة فصعقوا هيبة منه واجلالا لكلامه وحضرة وعده ووعيده وفي بعض الاخبار ان الله تعالى اذا تكلم بالرحمة تكلم بالفارسية والمراد بالفارسية لسان غير العرب سريانيا كان أو عبرانيا واذا تكلم بالعذاب تكلم بالعربية فلما سمعوا العربية المحمدية ظنوا أنه عقاب فصعقوا وسيأتى معنى القدر ثم القرآن كلامه القديم أنزله فى شهر رمضان كما قال تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وهذا هو البيان الاول ولم ندر نهارا أنزل فيه أم ليلا فقال تعالى انا أنزلناه فى ليلة مباركة وهذا هو البيان الثانى ولم ندر اى ليلة هى فقال تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر فهذا هو البيان الثالث الذى هو غاية البيان فالصحيح أن الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم وينسخ فيها أمر السنة وتدبير الاحكام الى مثلها هى ليلة القدر ولتقدير الامور فيها سميت ليلة القدر ويشهد التنزيل لما ذكرنا اذ فى أول الآية انا أنزلناه فى ليلة مباركة ثم وصفها فقال فيها يفرق كل أمر حكيم والقرآن انما نزل فى ليلة القدر فكانت هذه الآية بهذا الوصف فى هذه الليلة مواطئة لقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر كذا فى قوت القلوب للشيخ أبى طالب المكى قدس سره فان قلت ما الحكمة فى انزال القرآن ليلا قلت لان أكثر الكرامات ونزول النفحات والاسراء الى السموات يكون بالليل والليل من الجنة لانها محل الاستراحة والنهار من النار لان فيه المعاش والتعب والنهار حظ اللباس والفراق والليل حظ الفراش والوصال وعبادة الليل أفضل من عبادة النهار لان قلب الانسان فيه أجمع والمقصود هو حضور القلب قال بعض العارفين اعمل التوحيد فى النهار والاسم فى الليل حتى تكون جامعا بين الطريقتين الجلوتية بالجيم والخلوتية ويكون التوحيد والاسم جناحين لك (وما أدراك ما ليلة القدر) أى وأى شئ أعلمك يا محمد ماهى أى أنك لا تعلم كنهها لان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدريها الا علام الغيوب وهو تعظيم للوقت الذى أنزل فيه ومن بعض فضائل ذلك الوقت أنه يرتفع سؤال القبر عمن مات فيه وكذا فى سائر الاوقات الفاضلة ومن ذلك العيد ثم مقتضى الكرم أن لا يسئل بعده أيضا وقد وقع تجلى الافعال لسيد الانبياء عليه السلام فى رجب ليلة الجمعة الاولى بين العشاءين فلذا استحب صلاة الرغائب وقتئذ وتجلى الصفات فى نصف شعبان فلذا استحب صلاة البراءة بعد العشاء قبل الوتر وتجلى الذات فى ليلة القدر ولذلك استحب صلاة القدر فيها كما سيجىء ولما كان هذا معربا عن الوعد بادرائها قال (ليلة القدر) أى قيامها والعبادة فيها (خير من ألف شهر) أى من صيامها وقيامها ليس فيها ليلة القدر حتى لا يلزم تفضيل الشئ على نفسه فخير هنا للتفضيل أى أفضل وأعظم قدرا وأكثر أجرا من تلك المدة وهى ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر وفى الحديث من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ومن صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر كما فى كشف الاسرار وقال الخطابى قوله ايمانا واحتسابا أى نية وعزيمة وهو أن يصومه على التصديق والرغبة فى ثوابه طيبة به نفسه غير كاره له ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لايامه لكى يغتنم طول أيامه لعظم الثواب وقال البغوى قوله احتسابا

أي طلبا لوجه الله وثوابه يقال فلان يحتسب الاخبار أي يطلبها كذا في الترغيب والترهيب والمراد بالقيام صلاة التراويح وقال بعضهم المراد مطلق الصلاة الحاصل بها قيام الليل قوله غفرله ما تقدم من ذنبه قيل المراد الصغائر وزاد بعضهم ويخفف من الكبائر اذا لم يصادف صغيرة وقوله وما تأخر هو كناية عن حفظهم من الكبائر بعد ذلك أو معناه أن ذنوبهم تقع مغفورة كذا في شرح الترغيب المسمى بفتح القريب وقال سعيد بن المسيب من شهد المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ حظه من ليلة القدر كما في الكواشي ثم ان نهار ليلة القدر مثل ليلة القدر في الخير وفيه اشارة الى أن ليلة القدر للعارفين خير من ألف شهر للعابدين لان خزائنه تعالى مملوأة من العبادات ولا قدر الا للفناء وأهله وللشهود وأصحابه واختلفوا في وقتها فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الاواخر في أوتارها لقوله عليه السلام التمسوها في العشر الاواخر من رمضان فاطلبوها في كل وتر وانما جعلت في العشر الاخير الذي هو مظنة ضعف الصائم وفتوره في العبادة ليجدد جده في العبادة رجاء ادراكها وجعلت في الوتر لان الله وتر يحب الوتر ويتجلى في الوتر على ما هو مقتضى الذات الاحدية وأكثر الاقوال انها السابعة لامارات وأخبار تدل على ذلك أحدها حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان السورة ثلاثون كلمة وقوله هي السابعة والعشرون منها ومنها ما قال ابن عباس أيضا ليلة القدر تسعة أحرف وهو مذكور في هذه السورة ثلاث مرات فتكون السابعة والعشرين ومنها أنه كان لعثمان بن أبي العاص غلام فقال يا مولاي ان البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فأعلمني فاذا هي السابعة والعشرون من رمضان ومن قال انها هي الليلة الاخيرة من رمضان استدل بقوله عليه السلام ان الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان عند الافطار يعتق ألف ألف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب فاذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بعدد من أعتق من أول الشهر الى آخره ولان الليلة الاولى كمن ولد له ذكر فهي ليلة شكر والليلة الاخيرة ليلة الفراق كمن مات له ولد فهي ليلة صبر وفرق بين الشكر والصبر فان الشاكر مع المزيد لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم والصابر مع الله لقوله تعالى ان الله مع الصابرين وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت يا رسول الله أرأيت ان وافقتها ماذا أقول قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني وعنها أيضا لو أدركتها ما سألت الله الا العافية وفيه اشارة الى ما قال عليه السلام اللهم اني أسألك العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة ولعل السر في اخفائها تحريض من يريدها للثواب الكثير باحياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها * أي خواجه جه كوبى زشب قدر نشانى * هر شب شب قدرست اكر قدر بدانى * ونظيره اخفاء ساعة الاجابة في يوم الجمعة والصلاة الوسطى في الخمس واسمه الاعظم في الاسماء ورضاه في الطاعات حتى يرغبوا في الكل وغضبه في المعاصي ليحترزوا عن الكل ووليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل * خورشيد بكعبتت وكبلت وحجام * كه بلكـ روزت افتد همايى بدام * والمستجاب من الدعوات في سائرها ليدعوه بكلها * جوهر كوشه تيرياز افكنى * اميدست كه ناكه كه صيدى زنى * ووقت الموت ليكون المكلف على احتياط في جميع الاوقات وتسميتها بليلة القدر اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أي اظهار تقديرها للملائكة بأن تكتب لها

فى اللوح المحفوظ والا فالتقدير نفسه أزلى فالقدر بمعنى التقدير وهو جعل الشئ على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله قدر فيها كل ما يكون فى تلك السنة من مطر ورزق واحياء واماتة وغيرها الى مثل هذه الليلة من السنة الآتية فيسلمه الى مدبرات الامور من الملائكة فيدفع نسخة الارزاق والنباتات والامطار الى ميكائيل ونسخة الحروب والرياح والزلازل والصواعق والخسف الى جبرائيل ونسخة الاعمال الى اسرافيل ونسخة المصائب الى ملك الموت

فكم من فتى يمسى ويصبح آمنا * وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى
وكم من شيوخ ترتجى طول عمرهم * وقد رهقت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من عروس زينوها لزوجها * وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

يقال ان ميكائيل هو الامين على الارزاق والاغذية المحسوسة ويقابله ملك الكبد فهو الذى يعطى الغذاء لجميع البدن وكذلك اسرافيل يغذى الاشباح بالارواح ويقابله ملك الدماغ وجبرائيل يغذى الارواح بالعلوم والمعارف ويقابله ملك العقل وكل محدث لابد له من غذاء فغذاء الجسم بالتأليف والعقل بالعلوم الضرورية والروح القدسى أيضا متعطش ولا يروى الا بالعلوم الالهية هذا واما لخطرها وشرفها على سائر الليالى فالقدر بمعنى المنزلة والشرف اما باعتبار العامل على معنى أن من أتى بالطاعة فيها صار ذا قدر وشرف واما باعتبار نفس العمل على معنى أن الطاعة الواقعة فى تلك الليلة لها قدر وشرف زائد وعن أبى بكر الوراق رحمه الله سميت ليلة القدر لانه نزل فيها كتاب ذو قدر على لسان ملك ذى قدر لامة لها قدر ولعله تعالى انما ذكر فى هذه السورة لفظ القدر ثلاث مرات لهذا السبب وقال الخليل رحمه الله سميت ليلة القدر أى ليلة الضيق لان الارض تضيق فيها بالملائكة فالقدر بمعنى الضيق كما فى قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير لان العرب تذكر الالف فى غاية الاشياء كلها ولا تريد حقيقتها أو لما روى أنه عليه السلام ذكر رجلا من بنى اسرائيل اسمه شمسون لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فتعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى وقيل ان الرجل فيما مضى كان لا يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة ان أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقيل رأى النبى عليه السلام أعمار الامم كافة فاستقصر أعمار أمته فخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر لسائر الامم وقيل كان ملك سليمان عليه السلام خمسمائة شهر وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله العمل فى هذه الليلة لمن أدركها خيرا من ملكهما وروى عن الحسن بن على بن أبى طالب أنه قال حين عوتب فى تسليمه الامر لمعاوية ان الله أرى نبيه عليه السلام فى المنام بنى أمية ينزون على منبره نزو القردة أى يثبون فاغتم لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهى خير له ولذريته ولاهل بيته من ألف شهر وهى مدة ملك بنى أمية وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس هذا القدر من الزمان ثم كشف الغيب أن كان من سنة الجماعة الى قتل مروان الجعدى آخرهم ملوكهم هذا القدر من الزمان بعينه كما فى فتح الرحمن ودل كلام الله تعالى على ثبوت ليلة القدر فمن قال ان فضلها كان لنزول

القرآن يقول انقطعت فكانت مرة والجمهور على أنها باقية آتية فى كل سنة فضلا من الله ورحمة على عباده غير مختصة برمضان عند البعض وهو قول الامام أبى حنيفة رحمه الله وحضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر حتى لو علق أحد طلاق امرأته أو عتق عبده بليلة القدر فانه لا يحكم به الا بأن يتم الحول وعند الاكثرين مختصة به وكان عليه السلام اذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله وكان الصالحون يصلون فى كل ليلة من العشر ركعتين بنية قيام ليلة القدر وعن بعض الاكابر من قرأ كل ليلة عشر آيات على تلك النية لم يحرم بركتها وثوابها قال الامام أبو الليث رحمه الله أقل صلاة ليلة القدر ركعتان وأكثرها ألف ركعة وأوسطها مائة ركعة وأوسط القراءة فى كل ركعة أن يقرأ بعد الفاتحة انا أنزلناه مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات ويسلم على كل ركعتين ويصلى على النبى عليه السلام بعد التسليم ويقوم حتى يتم ما أراد من مائة أو أقل أو أكثر ويكفى فى فضل صلاتها ما بين الله من جلالة قدرها وما خبر به الرسول عليه السلام من فضيلة قيامها وصلاة التطوع بالجماعة جائزة من غير كراهة لو صلوا بغير تداع وهو الاذان والاقامة كما فى الفرائض صرح بذلك كثير من العلماء قال فى شرح النقاية وغيره وفى المحيط لا يكره الاقتداء بالامام فى النوافل مطلقا نحو القدر والرغائب وليلة النصف من شعبان ونحو ذلك لان ما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن فلا تلتفت الى قول من لا مذاق لهم من الطاعنين فانهم بمنزلة العنين لا يعرفون ذوق المناجاة وحلاوة الطاعات وفضيلة الاوقات * هركس از جلوهٔ كل فهم معانى نكند * شرح آن دفتر نوشته ز بلبل بشنو * (تنزل الملائكة والروح فيها) استئناف مبين لما له فضلت على ألف شهر وأصل تنزل تتنزل بتاءين والظاهر أن المراد كلهم للاطلاق وقد سبق معنى الروح فى سورة النبا وقال بعضهم انه ملك لو التقم السموات والارضين كانت له لقمة واحدة أو هو ملك رأسه تحت العرش ورجلاه فى تخوم الارض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفى كل رأس ألف وجه وفى كل وجه ألف فم وفى كل فم ألف لسان يسبح الله بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد لكل لسان لغة لا تشبه الاخرى فاذا فتح أفواهه بالتسبيح خر كل ملائكة السموات سجدا مخافة أن يحرقهم نور أفواهه وانما يسبح الله غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد عليه السلام بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر أو هو طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا ليلة القدر كالزهاد الذين لا نراهم الا يوم العيد أو هو عيسى عليه السلام لانه اسمه ينزل فى موافقة الملائكة ليطالع امة محمد عليه السلام * ودر تفسير خواجه محمد پارسا رحمه الله مذكورست كه روح حضرت محمد صلى الله عليه وسلم فرود آيد * وفى الحديث لانا أكرم على الله من أن يدعنى فى الارض أكثر من ثلاث وكان الثلاث عشر مرات ثلاثين لان الحسين رضى الله عنه قتل فى رأس الثلاثين سنة فغضب على أهل الارض وعرج به الى عليين وقد رآه بعض الصالحين فى النوم فقال يا رسول الله بأبى أنت وأمى أما ترى فتن أمتك فقال زادهم الله فتنة قتلوا الحسين ولم يحفظونى ولم يراعوا حقى فيه وعلى كل تقدير فالمعنى تنزل الملائكة والروح فى تلك الليلة من كل سماء الى الارض وهو الاظهر لان الملائكة اذا نزلت فى سائر الايام الى مجالس الذكر فلأن ينزلوا فى تلك الليلة مع علو شأنها أولى أو الى السماء الدنيا

قالوا

قالوا ينزلون فوجا فوجا فمن نازل ومن صاعد كأهل الحج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك بأسرهم لكن الناس بين داخل وخارج ولهذا السبب مدت الى غاية طلوع الفجر وذكر لفظ تنزل المفيد للتدريج وبه يندفع ما يرد أن الملائكة لهم كثرة عظيمة لا تحتملها الارض وكذا السماء على أن شأن الارواح غير شأن الاجسام والملائكة وان كانت لهم أجسام لطيفة يقال لهم الارواح وقال بعضهم النازلون هم سكان سدرة المنتهى وفيها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله ومقام جبرائيل فى وسطها ولا يدخلون أى الملائكة النازلون الكنائس وبيوت الاصنام والاماكن التى فيها الكلاب والتصاوير والخبائث وبيوتا فيها خمر أو مدمن خمر او قاطع رحم أو جنب أو آكل لحم خنزير أو متضمخ بالزعفران وغير ذلك والتضمخ بالفارسية * بوى خوش برخويشتن آلودن * ويتعدى بالباء كما فى تاج المصادر وقال فى القاموس التضمخ لطخ الجسد بالطيب حتى كأنه يقطر قوله والروح معطوف على الملائكة والضمير لليلة القدر والجار متعلق بتنزل ويجوز أن يكون والروح فيها جملة اسمية فى موضع الحال من فاعل تنزل والضمير للملائكة والاول هو الوجه لعدم احتياجه الى ضمير فيها (باذن ربهم) أى بأمره متعلق بتنزل وهو يدل على أنهم كانوا يرغبون الينا ويشتاقون فيستأذنون فى النزول الينا فيؤذن لهم فان قيل كيف يرغبون الينا مع علمهم بكثرة ذنوبنا قلنا لا يقفون على تفصيل المعاصى روى أنهم يطالعون اللوح فيرون فيه طاعة المكلف مفصلة فاذا وصلوا الى معاصيه ارخى الستر فلا يرونه فحينئذ يقولون سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح ولانهم يرون فى الارض من أنواع الطاعات أشياء مارأوها فى عالم السموات كاطعام الطعام وانين العصاة وفى الحديث القدسى لأنين المذنبين أحب الى من زجل المسبحين فيقولون تعالوا نذهب الى الارض فنسمع صوتا هو أحب الى ربنا من صوت تسبيحنا وكيف لا يكون أحب وزجل المسبحين اظهار لكمال حال المطيعين وانين العصاة اظهار لغفارية رب العالمين * نصيب ماست بهشت أى خداشناس برو * كه مستحق كرامت كناهكاراند (من كل أمر) متعلق بتنزل أيضا أى من أجل كل أمر قدر فى تلك السنة من خير أو شر أو بكل أمر من الخير والبركة كقوله تعالى يحفظونه من أمر الله أى بأمر الله قيل يقسم جبرائيل فى تلك الليلة بقية الرحمة فى دار الحرب على من علم الله أنه يموت مسلما فبتلك الرحمة التى قسمت عليهم ليلة القدر يسلمون ويموتون مسلمين فان قيل المقدرات لا تفعل فى تلك الليلة بل فى تمام السنة فلماذا تنزل الملائكة فيها لاجل تلك الامور قيل لعل تنزلهم لتعين انفاذ تلك الامور وتنزلهم لاجل كل أمر ليس تنزل كل واحد لاجل كل أمر بل ينزل الجميع لاجل جميع الامور حتى يكون فى الكلام تقسيم العلل على المعلولات (سلام هى) تقديم الخبر لافادة الحصر مثل تميمى أنا أى ما هى الا سلامة أى لا يحدث فيها داء ولا شئ من الشرور والآفات كالرياح والصواعق ونحو ذلك مما يخاف منه بل كل ما ينزل فى هذه الليلة انما هو سلامة ونفع وخير ولا يستطيع الشيطان فيها سوأ ولا ينفذ فيها سحر ساحر والليلة ليست نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة للمبالغة فى اشتمالها عليها وعلم منه أنه يقضى فى غير ليلة القدر كل من السلامة والبلاء يعنى يتعلق قضاء الله بهما أو ما هى الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين ومن أصابته التسليمة غفر له ذنبه

وفى الحديث ينزل جبرائيل ليلة القدر فى كبكبة من الملائكة أى جماعة منضامة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله (حتى مطلع الفجر) أى وقت طلوعه قدر المضاف لتكون الغاية من جنس المغيا فطلع بفتح اللام مصدر ميمى ومن قرأ بكسر اللام جعله اسم الوقت الطلوع أى اسم زمان وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل أى لمكثهم فى تنزلهم أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقال بعضهم ليلة القدر من غروب الشمس الى طلوع الفجر سلام أى يسلم فيها الملائكة على المطيعين الى وقت طلوع الفجر ثم يصعدون الى السماء فحتى متعلقة بسلام قالوا علامة ليلة القدر انها ليلة لا حارة ولا باردة وتطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها لان الملائكة تصعد عند طلوع الشمس الى السماء فيمنع صعودها انتشار شعاعها لكثرة الملائكة أو لانها لا تطلع فى هذه الليلة بين قرنى الشيطان فانها على ما جاء فى بعض الاحاديث تطلع كل يوم بين قرنى الشيطان ويزيد الشيطان فى بث شعاعها وتزيين طلوعها ليزيد فى غرور الكافرين ويحسن فى أعين الساجدين وقد سبق أنه يعذب الماء الملح تلك الليلة وأما النور الذى يرى ليلة القدر فهو نور أجنحة الملائكة أو نور جنة عدن تفتح أبوابها ليلة القدر أو نور لواء الحمد أو نور أسرار العارفين رفع الله الحجب عن أسرارهم حتى يرى الخلق ضياءها وشعاعها وهو المناسب لحقيقة ليلة القدر فان حقيقتها عبارة عن انكشاف الملكوت لقلب العارف فاذا تنور الباطن بنور الملكوت انعكس منه الى الظاهر وفى الحديث من قرأ سورة القدر أعطى ثواب من صام رمضان وأحيا ليلة القدر

تمت سورة القدر بعون من له الخلق والامر فى الثانى والعشرين من ثانى الربيعين من سنة سبع عشرة ومائة وألف

(سورة القيمة والبينة والبرية ثمان أو تسع آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى وايراد الصلة فعلا لما أن كفرهم حادث بعد انبيائهم (والمشركين) أى عبدة الاصنام ومن للتبيين لا للتبعيض حتى لا يلزم أن لا يكون بعض المشركين كافرين وذلك أن الكفار كانوا جنسين أهل الكتاب كفرق اليهود والنصارى والمشركين وهم الذين كانوا لا ينسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين بقوله الذين كفروا على الاجمال ثم أردف ذلك الاجمال بالتفصيل والتبيين وهو قوله من أهل الكتاب والمشركين وهو حال من الواو فى كفروا أى كائنين منهم (منفكين) خبر كان أى عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث فى آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من أهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وأما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله هل هو المذكور فى كتبهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته والانفكاك الشئ من الشئ أن يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال

وكادة وعدهم أى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه (حتى تأتيهم البينة) التى كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بالمضارع باعتبار حال المحكي لا الحكاية والبينة الحجة الواضحة (رسول) بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بها للايذان بغاية ظهور أمره وكونه ذلك الموعود فى الكتابين (من الله) متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أى رسول وأى رسول كائن منه تعالى (يتلو) صفة اخرى (صحفا) جمع صحيفة وهى ظرف المكتوب ومحله من الاوراق (مطهرة) أى منزهة من الباطل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن أن يمسه غير المطهرين (وقال الكاشفى) صحيفهاى پاك از كذب وبهتان * ونسبة التلاوة الى الصحف وهى القراطيس مجازية أو هى مجاز عما فيها بعلاقة الحلول والمراد أنه لما كان ما يتلوه الذى هو القرآن مصدقا لصحف الاولين مطابقا لها فى اصول الشرائع والاحكام صار متلوه كأنه صحف الاولين وكتبهم فعبر عنه باسم الصحف مجازا (قال الكاشفى) قرآنرا صحف كفت براى تعظيم يا آنكه جامع اسرار جميع صحفست * قال فى عين المعانى وسميت الصحف لانها أصحف بعضها على بعض أى وضع (فيها كتب قيمة) صفة لصحف أى فى تلك الصحف أمور مكتوبة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وبالفارسية * دران صحيفها نوشتهاى راست ودرست يعنى أحكام ومواعظ * وفى المفردات اشارة الى ما فيه من معانى كتب الله فان القرآن مجمع ثمرة كتب الله المتقدمة

(وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) عما كانوا عليه من الوعد وافراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى تخصوا بالذكر لأن جحود العالم أقبح وأشنع من انكار الجاهل (الا من بعد ما جاءتهم البينة) استثناء مفرغ من أعم الاوقات أى وما تفرقوا فى وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على أن رسول الله عليه السلام هو الموعود فى كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها (وما أمروا الا ليعبدوا الله) جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا أى والحال انهم ما أمروا بما أمروا فى كتابهم لشئ من الامور الا لأجل أن يعبدوا الله وهذه اللام فى الحقيقة لام الحكمة والمصلحة يعنى أن فعله تعالى وان لم يكن معللا بالغرض الا أنه مغيا بالحكم والمصالح وكثيرا ما تستعمل لام الغرض فى الحكمة المترتبة على الفعل تشبيها لها بها فى ترتبها على الفعل بحسب الوجود وفى حصر علة كونهم مأمورين بما فى كتبهم من عبادة الله بالاخلاص حيث قيل وما أمروا بما أمروا الا لاجل أن يتذللوا له ويعظموه غاية التذلل والتعظيم ولا يطلبوا فى امتثال ما كلفوا به شيأ آخر سوى التذلل لربهم ومالكهم كثواب الجنة والخلاص من النار دليل على ما ذهب اليه أهل السنة من أن العبادة ما وجبت لكونها مفضية الى ثواب الجنة أو الى البعد والنجاة من عذاب النار بل لاجل أنك عبد وهو رب ولو لم يحصل فى الدين ثواب ولا عقاب البتة ثم أمرك بالعبادة وجبت لمحض العبودية ومقتضى الربوبية والمالكية وفيه أيضا اشارة الى أن من عبد الله للثواب والعقاب فالمعبود فى الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق واسطة فالمقصود الاصلى من العبادة هو المعبود وكذا الغاية من العرفان المعروف فعليك بالعبادة للمعبود وبالعرفان للمعروف

وايالك وأن تلاحظ شيأ غير الله تعالى * عاشقانرا شادمانى وغم اوست * دست مزد واجرت خدمت هم اوست * وقال بعضهم الاظهر أن تجعل لام ليعبدوا الله زائدة كما تزاد فى صلة الارادة فيقال أردت لتقوم لتنزيل الامر منزلة الارادة فيكون المأمور به هذه الامور من العبادة ونحوها كما هو الظاهر ثم ان العبادة هى التذلل ومنه طريق معبد أى مذلل ومن زعم أنها الطاعة فقد أخطا لان جماعة عبدوا الملائكة والمسيح والاصنام وما أطاعوهم ولكن فى الشرع صارت اسما لكل طاعة لله اديت له على وجه التذلل والنهاية فى التعظيم والعبادة بهذا المعنى لا يستحقها الا من يكون واحدا فى صفاته الذاتية والفعلية فان كان له مثل لم يمكن أن يصرف اليه نهاية التعظيم فثبت بما قلنا أنه لا بد فى كون الفعل عبادة من شيئين احدهما غاية التعظيم ولذلك قيل ان صلاة الصبى ليست بعبادة لانه لا يعرف عظمة الله فلا يكون فعله غاية التعظيم وفى حكمه الجاهل الغافل وثانيهما أن يكون مأمورا به ففعل اليهود ليس بعبادة وان تضمن نهاية التعظيم لانه غير مأمور به فاذا لم يكن فعل الصبى عبادة لفقد التعظيم ولا فعل اليهود لفقد الامر فكيف يكون ركوع الناقص عبادة والحال أنه لا امر به ولا تعظيم فيه (مخلصين له الدين) حال من الفاعل فى ليعبدوا أى جاعلين أنفسهم خالصة لله تعالى فى الدين * يعنى از شرك والحاد باكيزه باشند وازاغراض نفسانيه وتمناء شهوات صافى وبى غش * والاخلاص أن يأتى بالفعل خالصا لداعية واحدة ولا يكون لغيرها من الدواعى تأثير فى الدعاء الى ذلك الفعل فالعبادة لجلب المنفعة أو لدفع المضرة ليست من قبيل الاخلاص وكذا الاشتغال بالمباح فى الصلاة مثل التنحنح وغيره من الحظوظ النفسانية وزيادة الخشوع فى الصلاة لاجل الغير رياء ودفع الزكاة الى الوالدين والمولودين وعبيده وامائه ينافى القربة ولذا نهى عنه فالاخلاص فى العبودية تجريد السر عما سوى الله تعالى وقال بعضهم الاخلاص أن لا يطلع على عملك الا الله ولا ترى نفسك فيه وتعلم أن المنة لله عليك فى ذلك حيث أهلك لعبادته ووفقك لها ولا تطلب من الله أجرا وعوضا (حنفاء) حال أخرى على قول من جوز حالين من ذى حال واحد ومن المنوى فى مخلصين على قول من لم يجوز ذلك أى مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام وهو فى المعنى تأكيد للاخلاص اذ هو الميل عن الاعتقاد الفاسد وأكبره اعتقاد الشرك وأصل الحنف الميل وانقلاب ظهر القدم حتى يصير بطنا فالاحنف هو الذى يمشى على ظهر قدميه فى شقها الذى يلى خنصرها ويجىء الحنف بمعنى الاستقامة فمعنى حنفاء مستقيمين فعلى هذا انما سمى مائل القدم أحنف على سبيل التفاؤل كقولك للاعمى بصير وللحبشى كافور وللطاعون مبارك وللمهلكة مفازة قال ابن جبير لا يسمى أحد حنيفا حتى يحج ويختتن لان الله وصف ابراهيم عليه السلام بكونه حنيفا وكان من شأنه أنه حج وختن نفسه (ويقيموا الصلاة) التى هى العمدة فى باب العبادات البدنية (ويؤتوا الزكاة) التى هى الاساس فى العبادات المالية قال فى الارشاد ان أريد بهما ما فى شريعتهم من الصلاة والزكاة فالامر ظاهر وان أريد ما فى شريعتنا فمعنى أمرهم بهما فى الكتابين ان أمرهم باتباع شريعتنا أمر لهم بجميع أحكامها التى هما من جملتها (وذلك) أى ما ذكر من عبادة الله بالاخلاص واقامة الصلاة وايتاء الزكاة (دين القيمة) أى دين الملة القيمة فقدر الموصوف لئلا يلزم اضافة الشئ الى صفته فانها

اضافة الشيء الى صفته وصحة اضافة الدين الى الملة باعتبار التغاير الاعتباري بينهما فان الشريعة المبلغة الى الامة بتبليغ الرسول اياها من قبل الله تسمى ملة باعتبار أنها تكتب وتملى ودينا باعتبار أنها تطاع فان الدين الطاعة يقال دان له أي أطاعه وقال بعضهم اضافة الدين الى القيمة اضافة العام الى الخاص كشجر الاراك ولا حاجة الى تقدير الملة فان القيمة عبارة عن الملة كما يشهد له قراءة أبي رضي الله عنه وذلك الدين القيم انتهى (وقال الكاشفي) دين القيمة * يعنى دين وملت درست پاينده * يعنى اضاف الدين الى القيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين والعرب تضيف الشيء الى نعته كثيرا ونجد هذا في القرآن في مواضع منها قوله ولدار الآخرة وقال في موضع وللدار الآخرة لان الدار هي الآخرة وقال عذاب الحريق أي المحرق كالاليم بمعنى المؤلم وتقول دخلت مسجد الجامع ومسجد الحرام وأدخلك الله جنة الفردوس هذا وامثاله وأنث القيمة لان الآيات هاتينة ثم رد الدين الى الملة كما في كشف الاسرار والقيمة بمعنى المستقيمة التي لا عوج فيها وقال الراغب القيمة هنا اسم الامة القائمة بالقسط المشار اليهم بقوله كنتم خير أمة قال ابن الشيخ بعض أهل الاديان لما بالغوا في باب الاعمال من غير احكام الاصول وهم اليهود والنصارى والمجوس فانهم ربما أتعبوا أنفسهم في الطاعات ولكنهم ما حصلوا الدين الحق بتحصيل الاعتقاد المطابق وبعضهم حصلوا الاصول وأهملوا الفروع وهم المرجئة الذين يقولون لا تضر المعصية مع الايمان فالله تعالى خطأ الفريقين في هذه الآية وبين أنه لا بد من العلم والاخلاص في قوله مخلصين ومن العمل في قوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ثم قال وذلك المجموع كله هو دين الملة المستقيمة المعتدلة فكما أن مجموع الاعضاء بدن واحد كذلك هذا المجموع دين واحد (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم) بيان لحالهم الاخروي بعد بيان حالهم الدنيوي وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها أنهم يصيرون اليها يوم القيامة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة أو أنهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار الا أنها ظهرت في هذه النشأة بصورة عرضية وستخلعها في النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية (خالدين فيها) حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لاجل كفرهم لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها ألوان فالمشركون كانوا ينكرون الصانع والنبوة والقيامة وأهل الكتاب نبوة محمد عليه السلام فقط فكان كفرهم أخف من كفر المشركين لكنهم اشتركوا في أعظم الجنايات التي هي الكفر فاستحقوا أعظم العقوبات وهو الخلود ولما كفروا وطلبوا الرفعة صاروا الى أسفل السافلين فان جهنم نار في موضع عميق مظلم هائل يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر واشتراكهم في هذا الجنس من العذاب لا يوجب اشتراكهم في نوعه (أولئك) البعداء المذكورون (هم شر البرية) البرية جميع الخلق لان الله برأهم أي أوجدهم بعد العدم والمعنى شر الخليقة أي أعمالا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار أو شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وتوسيط ضمير الفصل لافادة الحصر أي هم شر البرية دون

غيرهم كيف لا وهم شر من السراق لانهم سرقوا من كتاب الله نعوت محمد عليه السلام وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا الدين الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفر عناد فيكون أقبح من كفر الجهال وظهر منه أن وعيد العلماء السوء أعظم من وعيد كل أحد ومن تاب منهم وأسلم خرج من الوعيد وقيل لا يجوز أن يدخل فى الآية ما مضى من الكفار لان فرعون كان شرا منهم وأما الآية الثانية الدالة على ثواب المؤمنين فعامة فيمن تقدم وتأخر لانهم أفضل الامم والبرية مخففة من المهموز من برأ بمعنى خلق فهو البارئ أى الموجد والمخترع من العدم الى الوجود وقد قرأ نافع وابن ذكوان على الاصل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يفهم من مقابلة الجمع بالجمع أنه لا يكلف الواحد بجميع الصالحات بل لكل مكلف حظ لحظ الغنى الاعطاء وحظ الفقير الاخذ والصبر والقناعة (أولئك) المنعوتون بما هو فى الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة (هم خير البرية) استدل بالآية على أن البشر أفضل من الملك لظهور أن المراد بقوله ان الذين آمنوا هو البشر والبرية يشمل الملك والجن مثل الحسن رحمه الله عن قوله أولئك هم خير البرية أهم خير من الملائكة قال ويلك وأنى تعادل الملائكة الذين آمنوا وعملوا الصالحات * ملائك را چه سود از حسن طاعت * چو فيض عشق بر آدم فرو ريخت * (جزاؤهم) بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعات وهو مبتدأ (عند ربهم) ظرف للجزاء (جنات عدن) أى دخول جنات عدن وهو خبر للمبتدأ والعدن الاقامة والدوام وقال ابن مسعود رضى الله عنه عدن بطنان الجنة أى وسطها (تجرى من تحتها الانهار) ميرود از زير اشجار آن جويها چه بستان بى آب روان نشايد * وفى الارشاد ان أريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان أريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وأيا ما كان فالمراد جريانها بغير اخدود وجمع جنات يدل على أن للمكلف جنات كما يدل عليه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذكر للواحد أربع جنات والسبب فيه أنه بكى من خوف الله تعالى وذلك البكاء انما نزل من أربعة أجفان اثنان دون اثنين فاستحق به جنتين دون جنتين فحصل له أربع جنات لبكائه بأربعة أجفان وقيل انه تعالى قابل الجمع بالجمع فى قوله جزاؤهم عند ربهم جنات وهو يقتضى مقابلة الفرد بالفرد فيكون لكل مكلف جنة واحدة لكن أدنى تلك الجنات مثل الدنيا بما فيها عشر مرات كذا روى مرفوعا ويدل عليه قوله تعالى وملكا كبيرا والالف واللام فى الانهار للتعريف فتكون منصرفة الى الانهار المذكورة فى القرآن وهى نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر وفى توصيفها بالجرى بعد ما جعل الجنات الموصوفة جزاء اشارة الى مدحهم بالمواظبة على الطاعات كأنه تعالى يقول طاعتك كانت جارية مادمت حيا على ما قال واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فلذلك كانت أنهار كرمى جارية الى الابد (خالدين فيها أبدا) متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وهو حال وذوا لحال وعامله كلاهما مضمران يدل عليه جزاؤهم والتقدير يجزون بها خالدين فيها وقوله أبدا ظرف زمان وهو تأكيد للخلود أى لا يموتون فيها ولا يخرجون منها (رضى الله عنهم) استئناف مبين لما يتفضل به عليهم زيادة على ما ذكر من أجزية أعمالهم أى استئناف أخبار كأنه قيل تراداهم أو استئناف دعاء من ربهم

فلذا أفضل وقد يجعل خبرا بعد خبر وحالا بتقدير قد قال ابن الشيخ لما كان المكلف مخلوقا من جسد وروح وأنه اجتهد بهما في طاعة ربه اقتضت الحكمة أن يجزيه بهما تنعم ويستريح به كل واحد منهما فجنة الجسد هي الجنة الموصوفة وجنة الروح هي رضا الرب (مصراع) * جيست جنت روح رارضوان اكبر ازخدا (ورضوا عنه) حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وأبيح لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لا سيما أنهم اعطوا لقاء الرب الذي هو المقصد الاقصى * داوند هركس ازتو مرادى ومطلبى * مقصود مازدنيى وعقبى لقاى تست (ذلك) المذكور من الجزاء والرضوان وقال بعضهم الاظهر أنه اشارة الى ما ترتب عليه الجزاء والرضوان من الايمان والعمل الصالح (لمن خشي ربه) براى آنكس كه بترسد ازعقوبت برورد كار خود وبموجبات ثواب اشتغال نمايد * وذلك الخشية التي هي من خصائص العلماء بشؤون الله تعالى مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية وعن أنس رضي الله عنه قال عليه السلام لابي بن كعب رضي الله عنه ان الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا الخ قال أوسماني لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم فذرفت عيناه أي سال دمع عينيه ومن السنة أي يستمع القرآن في بعض الاوقات من غيره فانه قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لي رسول الله عليه السلام وهو على المنبر اقرأ علي قلت اقرأ عليك وعليك أنزل قال اني أحب أن أسمعه من غيري فقرأت سورة النساء حتى أتيت هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان أي تقطران وكان عمر رضي الله عنه يقول لابي موسى الاشعري رضي الله عنه ذكرنا ربنا فيقرأ حتى يكاد وقت الصلاة يتوسط فيقول يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول انا في الصلاة وفي الحديث من استمع آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة فظهر أن استماع القرآن من الغير في بعض الاحيان من السنن وأما أنه هل يفرض استماعه كلما قرئ بناء على قوله تعالى فاذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ففي الصلاة نعم وأما خارجها فعامة العلماء على استحبابها كما في شرح شرعة الاسلام للشيخ قورد أفندي رحمه الله

تمت سورة القيمة بعون جاعل الانسان منتصب القامة في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر المنتظم في سلك شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف من هجرة من يرى من قدام وخلف

* (سورة الزلزلة مكية أو مدنية وآيها تسع أو ثمان) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(اذا) جون (زلزلت الارض) أي حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا فان تكرر حروف لفظه ينبي عن تكرر معنى الزلل (زلزالها) أي الزلزال المخصوص بها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه وهو معنى زلزالها بالاضافة العهدية يقال

زلزلة زلزالة وزلزالا مثلثة حركه كما فى القاموس وقال أهل التفسير الزلزال بالكسر مصدر و بالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لا يوجد الا فى المضاعف كالصلصال ونحوه (وأخرجت الارض أثقالها) اختيار الواو على الفاء مع أن الاخراج متسبب عن الزلزال للتفويض الى ذهن السامع واظهار الارض فى موضع الاضمار لان اخراج الاثقال حال بعض أجزائها والاثقال كنوز الارض وموتاها جمع ثقل بالكسر وأما ثقل محركة فمتاع المسافر وحشمه على ما فى القاموس والمعنى وأخرجت الارض ما فى جوفها من دفائنها وكنوزها كما عند زلزال النفخة الاولى الذى هو من أشراط الساعة وكذا من أمواتها عند زلزال النفخة الثانية وفى الخبر تقىء الارض افلاذ كبدها أمثال الاسطوانة من الذهب فيجىء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجىء القاطع رحمه فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجىء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ قوله أفلاذ كبدها أراد أنها تخرج الكنوز المدفونة فيها وقيئها اخراجها ويدخل فى الاثقال الثقلان وفيه اشارة الى أن الجن تدفن أيضا (وقال الانسان) أى كل فرد من أفراده لما يغشاهم من الاهوال ويلحقهم من فرط الدهشة وكمال الحيرة (مالها) أى شىء للارض زلزلت هذه المرة الشديدة من الزلزال وأخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهده من الامر الهائل وتعجبا لما يرونه من العجائب التى لم تسمع بها الآذان ولا ينطق بها اللسان لكن المؤمن يقول بعد الافاقة هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون والكافر من بعثنا من مرقدنا (يومئذ) بدل من اذا (تحدث أخبارها) عامل فيهما وهو جواب الشرط وهذا على القول بأن العامل فى اذا الشرطية جوابها وأخبارها مفعول ثان تحدث والاول محذوف لعدم تعلق الغرض بذكره اذ الكلام مسوق لبيان تهويل اليوم وأن الجمادات تنطق فيه وأما ما ذكره ابن الحاجب من أن حدث وأنبأ ونبأ لا يتعدى الا الى مفعول واحد فغير مسلم الصحة على ما فصل فى محله والمعنى تحدث الخلق أخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج أثقالها وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويخوفون منه واما بلسان المقال وهو قول الجمهور حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل على ظهرها من خير وشر حتى يود الكافر أنه سيق الى النار بما يرى من الفضوح (روى) أن عبد الرحمن بن صعصعة كان يتيما فى حجر أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فقال أبو سعيد يا بنى اذا كنت فى البوادى فارفع صوتك بالاذان فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسمعه جن ولا انس ولا حجر ولا شجر الا شهد له وروى أن أبا أمية صلى فى المسجد الحرام المكتوبة ثم تقدم فجعل يصلى ههنا وههنا فلما فرغ قيل له يا أبا أمية ما هذا الذى تصنع قال قرأت هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها فأردت أن يشهد لى يوم القيامة فطوبى لمن يشهد له المكان بالذكر والتلاوة والصلاة ونحوها وويل لمن شهد عليه بالزنا والشرب والسرقة والمساوى ويقال ان لله عليك سبعة شهود المكان كما قال تعالى يومئذ تحدث أخبارها والزمان كما فى الخبر ينادى كل يوم أنا يوم جديد وأنا على ما تعمل فى شهيد واللسان كما قال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم والاركان كما قال تعالى وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم والملكان كما قال تعالى وان عليكم لحافظين والديوان كما قال تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق والرحمن كما قال انا كنا عليكم شهودا فكيف يكون حالك يا عاصى بعد ما شهد عليك هؤلاء الشهود

(بأن ربك أوحى لها) أى تحدث أخبارها بسبب ايحاء ربك لها وأمره اياها بالتحديث بلسان المقال على ما عليه الجهور أو بسبب أن أحدث فيها أحوالا دالة على الاخبار كما اذا كان التحديث بلسان الحال وفيه اشارة الى زلزلة أرض البدن عند نزع الروح الانسانى باضطراب الروح الحيوانى والقوى والى اخراجها متاعها التى هى به ذات قدر من القوى والارواح وهيآت الاعمال والاعتقادات الراسخة فى القلب وقال الانسان مالها زلزلت واضطربت ماطبها وماداؤها الانحراف المزاج أم لغلبة الاخلاط يومئذ تحدث أخبارها بلسان حالها بأن ربك أشار اليها وأمرها بالاضطراب والخراب واخراج الاثقال عند زهوق الروح وتحقق الموت (يومئذ) أى يوم اذ يقع ماذكر (يصدر الناس) من قبورهم الى موقف الحساب وانتصب يومئذ بيصدر والصدر يكون عن ورود أى هو رجوع وانصراف بعد الورود والمجىء فقال الجهور هو كونهم مدفونين فى الارض والصدر قيامهم للبعث والصدر والصدور بالفارسية باز كشتن يعنى الصدر بسكون الدال الرجوع والاسم بالتحريك ومنه طواف الصدر وهو طواف الوداع (أشتاتا) يقال جاؤا أشتاتا أى متفرقين فى النظام واحدهم شت بالفتح أى متفرق ونصب على الحال أى حال كونهم متفرقين بيض الوجوه والثياب آمنين ينادى المنادى بين يديه هذا ولى الله وسود الوجوه حفاة عراة مع السلاسل والاغلال فزعين والمنادى ينادى بين يديه هذا عدو الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن جبرائيل عليه السلام جاء الى النبى عليه السلام يوما فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهو يقول مالى أراك مغموما حزينا وهو اعلم به فقال عليه السلام يا جبرائيل قد طال تفكرى فى أمر أمتى يوم القيامة قال يا محمد فى أمر أهل الكفر أم فى أمر أهل الاسلام قال يا جبرائيل لا بل فى أمر أهل لا اله الا الله قال فأخذ بيده حتى أقامه على مقبرة بنى سلمة فضرب بجناحه الايمن على قبر ميت فقال قم باذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله الحمد لله رب العالمين فقال له جبرائيل عد فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الايسر على قبر ميت فقال قم باذن الله فخرج رجل مسود الوجه أزرق العين وهو يقول واحسرتاه وأندماه واسوأتاه فقال له جبريل عد فعاد كما كان ثم قال جبرائيل هكذا يبعثون يوم القيامة على ما ماتوا عليه (ليروا) اللام متعلقة بيصدر (أعمالهم) أى جزاء أعمالهم خيرا كان أو شرا والا فنفس الاعمال لا يتعلق بها الرؤية البصرية اذ الرؤية هنا ليست علمية لان قوله فمن يعمل الخ تفصيل ليروا والرؤية فيه بصرية لتعديتها الى مفعول واحد اللهم الا أن يجعل لها صور نورانية أو ظلمانية او يتعلق الرؤية بكتبها كما سيجىء (فمن) پس هركه (يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) تفصيل ليروا والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة أو ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا وضعت راحتك أى يدك على الارض ثم رفعتها فكل واحد مما لزق بها من التراب ذرة وقال يحيى بن عمار حبة الشعير أربع أرزات والارزة أربع سمسمات والسمسمة أربع خردلات والخردلة أربعة أوراق نخالة وورق النخالة ذرة ومعنى رؤية ما يعادل الذرة من خير وشر اما مشاهدة أجزيته فالاولى مختصة بالسعداء والخصص قوله أشتاتا أى فمن يعمل من السعداء مثقال ذرة خيرا يره والثانية بالاشقياء بقرينة أشتاتا أيضا أى ومن يعمل من الاشقياء

مثقال ذرة شرا يره وذلك لأن حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيآت المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من أن حسنة الكافر تؤثر فى نقص العقاب فقد ورد أن حاتما الطائى يخفف الله عنه لكرمه وورد مثله فى أبى طالب وغيره يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقوله عليه السلام فى حق عبد الله بن جدعان لا ينفعه لأنه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين وذلك حين قالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه وقوله عليه السلام فى حق أبى طالب ولولا أنا كان فى الدرك الاسفل من النار فتلك الشفاعة مختصة به وأما حسنات الكفار فمقبولة بعد اسلامهم وأما مشاهدة نفسه من غير أن يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا الا أراه الله اياه أما المؤمن فيغفر له سيآته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيرد حسناته تحسيرا له وفى تفسير البقاعى الكافر يوقف على ما عمله من خير على أنه جوزى به فى الدنيا أو أنه أحبط لبنائه على غير أساس الايمان فهو صورة بلا معنى ليشتد ندمه ويقوى حزنه وأسفه والمؤمن يراه ليشتد سروره به وفى جانب الشر يراه المؤمن ويعلم أنه قد غفر له فيكمل فرحه والكافر يراه فيشتد حزنه وترحه وفى التأويلات النجمية ليروا أعمالهم المكتسبة بيدى الاستعدادات الفاعلية العلمية والقابلية العملية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فى الصورة الجزائية لتصور الاعمال بصور تناسبها نورانية كانت أو ظلمانية ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره متجسدا فى يوم القيامة فى جسد السباع بحسب القوة الغضبية وفى جسد البهائم بحسب القوة البهيمية وكلما ازدادت الصور الحسنة المتنوعة ازدادت البهجة والسرور كما أنه كلما ازدادت الصور القبيحة الخذلانية ازداد العبوس والالم وفيه رمز الى أنه لا يلزم من مجرد الرؤية المجازاة كما فى حق المؤمن وذلك من فضل الله تعالى على من يشاء من عباده وفى التفاسير نزلت الآية ترغيبا فى الخير ولو كان قليلا كتمرة وعنبة وكسرة وجوزة ونحوها فانه يوشك أن يكثر اذا كان بنية خالصة وتحذيرا من الشر وان كان قليلا كعمامة ذرة فى الميزان وكنظرة وخطوة وكذبة فانه يوشك أن يكون كثيرا عظيما للجراءة على الله العظيم وكان الناس فى بدء الانسان يرون أن الله لا يؤاخذهم بالصغائر من الذنوب وكان بعضهم يستحيى من صدقة الشئ اليسير ويظن أنه ليس له أجر حتى نزلت الآية وفى الحديث اذا زلزلت تعدل ربع القرآن رواه ابن أبى شيبة مرفوعا فتكون قراءتها أربع مرات كقراءة القرآن كله وذلك لأن الايمان بالبعث ربع الايمان فى قوله عليه السلام لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى الله بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر وفى بعض الآثار أن سورة الزلزلة نصف القرآن وذلك لأن أحكام القرآن تنقسم الى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة كلها اجمالا وروى أن جد الفرزدق بن صعصعة بن ناجية أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرئه يعنى كفت از آنچه بر تو فرود مى آيد بر من بخوان وفى كشف الاسرار صعصعة عم فرزدق پيش مصطفى آمد و مسلمان كشت و از رسول خدا درخواست تا از قرآن چيزى بروى

بحو اند فقرأ عليه السلام عليه هذه الآية أى فمن يعمل الخ فقال حسبى حسبى وآنشو بى وشورى ازنهادوى برآمدو بحال افتادوزاربكريست وهى احكم آية وسميت الجامعة وعن زيد بن اسلم رضى الله عنه أن رجلا جاء الى النبى عليه السلام فقال علمنى ماعلمك الله فدفعه الى رجل يعلمه القرآن فعلمه اذا زلزلت الارض حتى بلغ فمن يعمل الخ قال الرجل حسبى فأخبر بذلك النبى عليه السلام فقال دعه فقد فقه الرجل چون كسى داند كه بر ذره وحبه محاسبه بايد كرد امروز بحساب خود مشغول شود * حساب كار خود امروز كن كه فرصت هست * زخير وشر بنكر تاچه حاصلست حاصل تو * اگر بنقد نكويى توانكرى خوش باش * ورت بغير بدى نيست واى بر دل تو *

تمت سورة الزلزلة فى رابع جمادى الاولى

(سورة العاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة بلاخلاف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعاديات) جمع عادية وهى الجارية بسرعة من العدو وهو بالفارسية دويدن وياؤها مقلوبة عن الواو لكسرة ماقبلها أقسم سبحانه بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدو (ضبحا) مصدر منصوب امابفعله المحذوف الواقع حالا منها أى تضبح ضبحا على تأويل العاديات بالجماعة وهو صوت أنفاسها عند عدوها يعنى صوتا يسمع من أفواه الفرس واجوافها اذا عدون وهو صوت غير الصهيل والحمحمة وهى صوت البرذون عند الشعير أو بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات ضبحا أو حال على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى ضابحات (فالموريات قدحا) الايراء اخراج النار والقدح الضرب فان الخيل يضربن بحوافرهن وسنابكهن الحجارة فيخرجن منها نارا يقال قدح الزند فأورى وقدح فأصلد اى صوت ولم يور فالقدح يتقدم على الايراء بخلاف الضبح حيث يتأخر ويتسبب عن العدو والمعنى تورى النار من حوافرها اذا سارت فى الارض ذات الحجارة فالقدح استعارة لضرب الحجارة بحوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة أى تقدح قدحا أو فالقادحات قدحا أو قادحات (فالمغيرات) يقال أغار على القوم غارة واغارة دفع عليهم الخيل وأغار الفرس اشتد عدوه فى الغارة وغيرها أسند الاغارة التى هى مباغتة العدو للنهب والقتل والاسر الى الخيل وهى حال أهلها ايذانا بأنها العمدة فى اغارتهم (صبحا) نصب على الظرفية أى فى وقت الصبح وهو المعتاد فى الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا على حين غفلة ليروا مايأتون ومايذرون ومنه قولهم عند خوف الغارة ياصباحاه أى ياقوم احذروا من شر توجه الينا صباحا (فأثرن به) عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن به أى فهيجن فى ذلك الوقت وأصله اثورن من الثور وهو الهيجان نقلت حركة الواو الى الثاء قبلها وقلبت الواو ألفا فصار أثارن فحذفت الالف لاجتماع الساكنين فبقى أثرن بوزن أفلن ويجوز أن يجعل الضمير لفعل الاغارة فالباء للسببية أو للملابسة (نقعا) أى غبارا وبالفارسية بس دران وقت كرد انكيختند من نقع الصوت اذا ارتفع فالغبار سمى نقعا لارتفاعه أو هو من النقع فى الماء فكان صاحب الغبار خاض فيه كما يخوض الرجل فى الماء

وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا ينور ولا يظهر نور أثره بالليل وبهذا يظهر أن الايراء الذى لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله درشأن التنزيل قال سعدى المفتى واثارة النقع لانهم يكونون حال الاغارة مختلفين يمينا وشمالا وأماما وخلفا بحسب الكر والفر في المجاولة اثر المدبر الهارب والمصاولة مع المقبل المحارب فينشأ الغبار الكثير (فوسطن به) أى توسطن فى ذلك الوقت فوسط بمعنى توسط والباء ظرفية والتوسط درميان چيزى شدن أو توسطن ملتبسات بالنقع فالباء للملابسة (جمعا) من جموع الاعداء أى دخلن فى وسطهم وهو مفعول به لوسطن والفاآت للدلالة على ترتب مابعد كل منها على ماقبلها فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو (ان الانسان لربه لكنود) جواب القسم يقال كند النعمة كنودا كفرها فالكنود بالضم كفران النعمة وبالفتح الكفور ومنه سمى كندة بالكسر وهو لقب ثور بن عفير أبى حى من اليمن لانه كند أبوه النعمة ففارقه ولحق باخواله وقال الكلبى الكنود بلسان كندة العاصى وبلسان بنى مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور والمراد بالانسان بعض افراده أى انه لنعمة ربه خصوصا لكفور أى شديد الكفران فقوله لربه متعلق بكنود قدم عليه لافادة التخصيص ومراعاة الفواصل روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى ناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصارى رضى الله عنه وكان أحد النقباء فأبطا عليه صلى الله عليه وسلم خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبى عليه السلام بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين فى حقهم ماهم فيه من الكنود فاللام فى العاديات ان كانت للعهد كان المقسم به خيل تلك السرية وان كانت للجنس كان ذلك قسما بكل خيل عدت فى سبيل الله واتصفت بالصفات المذكورة وعلى التقديرين فهى مستحقة لان يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة وفى تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة مالا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التى فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء فى حق أربابها ما أرجفوا انهم مبالغون فى الكفران واذا كان شرف خيل الغزاة بهذه المرتبة حتى أقسم الله بها فما ظنك بشرف الغزاة وفضلهم عند الله تعالى وعنه عليه السلام الكنود هو الذى يضرب عبده ويأكل وحده ويمنع رفده أى عطاءه فيكون بخيلا يقال كان ثلاثة نفر من العرب فى عصر واحد أحدهم آية فى السخاء وهو حاتم الطائى والثانى آية فى البخل وهو أبو حباحب وبخله انه كان لا يوقد النار للخبز الا اذا نام الناس فاذا انتبهوا أطفأ ناره لئلا ينتفع بها أحد والثالث آية فى الطمع وهو أشعب بن جبير مولى مصعب بن الزبير بن العوام قرأ صبى فى المكتب وعنده أشعب جالس ان أبى يدعوك فقام ولبس نعليه فقال الصبى انا أقرأ حزبى وكان اذا رأى انسانا يحك عنقه يظن أنه ينزع قميصه ليدفعه اليه وكان اذا رأى دخانا ارتفع من دار ظن أن أهلها اتاه بطعام وكان اذا رأى عروسا تزف الى موضع جعل يكنس باب داره لكى تدخل داره قال ما رأيت أطمع منى الا كلبا تبعنى على مضغ العلك فرسخا وقال الحسن لكنود أى لوام لربه يذكر المصيبات وينسى النعم وقال أبو عبيدة قليل الخير من الارض الكنود التى لا تنبت شيأ كأنه مقلوب النكد وقال القاشانى لكنود لربه باحتجابه بنعمه عنه ووقوفه معها وعدم استعماله اياها فيما ينبغي ان يتوصل بها اليه

وفى التأويلات النجمية لكنود بنعمة الوجود والصفات والاسماء لادعائه النفسه بالاستقلال والاستبداد أو لعاص باستعمالها فى غير محالها أو لبخيل لاختصاصها النفسه وعدم ايثارها على الخلق بطريق الارشاد (وانه على ذلك) أى وان الانسان على كنوده (لشهيد) أى يشهد على نفسه بالكنود لظهور أثره عليه فالشهادة بلسان الحال لا بلسان المقال ويحتمل أن يجعل من الشهود بمعنى أنه لكفور مع علمه بكفرانه والعمل السيئ مع العلم به غاية المذمة (وانه لحب الخير) أى المال كما فى قوله تعالى ان ترك خيرا وايثار الدنيا وطلبها وفى الاسئلة المقحمة فان قلت سمى الله جنس المال خيرا وعسى أن يكون خبيثا وحراما قلت انما سماه خيرا جريا على العادة فانهم كانوا يعدون المال خيرا فسماه الله خيرا جريا على عادتهم كما سمى الجهاد سوأ فقال لم يمسسهم سوء أى قتال والقتال ليس بسوء ولكن ذكره جريا على عادتهم (لشديد) أى قوى مطيق مجد فى طلبه وتحصيله متهالك عليه وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس يقال هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا أو الشديد البخيل الممسك يعنى وانه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى أن من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون أموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا شيخ الاسلام قدس سره فرموده كه اكر مال را دوست ميدارى بده تا باز پس دهند و براى وارث منه كه داغ حسرت بر دل تو نهند * مال همان به كه بياران دهى * كر بدهى به كه بجا كش نهى * زر زبى منفعتست اى حكيم * بهر نهادن چه سفال وچه سيم (افلا يعلم) أى أيفعل ما يفعل من القبائح أو ألا يلاحظ فلا يعلم فى الدنيا ان الله مجازيه (اذا بعثر) بعث وأخرج وقد سبق فى الانفطار فناصب اذا محذوف وهو مفعول يعلم لا يعلم لان الانسان لا يراد منه العلم فى ذلك الوقت وانما يراد منه ذلك فى الدنيا (ما فى القبور) من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل عن مرتبة العقلاء (وحصل) أى جمع فى الصحف أى أظهر محصلا مجموعا وأصل التحصيل اخراج المستور بآخر المغمور فيه وأخذه منه كاخراج اللب من القشر واخراج الذهب من حجر المعدن والبر من التبن والدهن من اللبن ومن الدردى والجمع والاظهار من لوازمه ويجوز أن يكون المعنى ميز خيره من شره ومنه قيل للمنخل المحصل أى آلة التحصيل وتمييز الدقيق من النخالة فانه لا بد من التمييز بين الواجب والمندوب والمباح والمكروه والمحظور فان لكل واحد حكما على حدة فتمييز البعض من البعض وتخصيص كل واحد منها بحكمه اللائق هو التحصيل وفى القاموس التحصيل تمييز ما يحصل والحاصل من كل شئ ما بقى وثبت وذهب ما سواه (ما فى الصدور) من الاسرار الخفية التى من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصى فضلا عن الاعمال الجلية فتخصيص أعمال القلب لانه لولا البواعث والارادات فى القلوب لما حصلت أفعال الجوارح فالقلب أصل وأعمال الجوارح تابعة له ولذا قال تعالى آثم قلبه وقال عليه السلام يبعثون على نياتهم (ان ربهم) أى المبعوثين كنى عنهم بعد الاحياء الثانى بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم فى الحالين فحين كانوا فى القبور كانوا كجمادات بلا عقل ولا علم وان كان لهم نوع حياة فيها بخلاف وقت الحشر (بهم) بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها (يومئذ) أى يوم اذ يكون

ماذكر من بعث مافى القبور وتحصيل مافى الصدور (لخبير) أى عالم بظواهره وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والافطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون قوله بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه مراعاة للفواصل واللام غير مانعة من ذلك

(سورة القارعة مكية وآيها عشر او احدى عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة) القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة والمراد بها ههنا القيامة التى مبدؤها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض والجبال بالدك والنسف وهى مبتدأ خبره قوله (ما القارعة) على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ أى وأى شئ عجيب هى فى الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل (وما أدراك ما القارعة) ما فى حيز الرفع على الابتداء وادراك هو الخبر أى وأى شئ أعلمك ما شأن القارعة فان عظم شأنها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد حتى يدركها ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم بالجزاء بمقتضى ذلك باعلامها بقوله (يوم يكون الناس) أى هى يوم يكون الناس على أن يوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا على ما هو رأى الكوفيين أو اذكر يوم الخ فانه يدريك ما هى (كالفراش المبثوث) جمع فراشة وهى التى تطير وتتهافت على السراج فتحترق وبالفارسية پروانه والمبثوث المتفرق وبه شبه فراشة القفل وهو ما ينشب فيه والمبثوث بالفارسية پرا كنده ومعنى كالفراش المفرق فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعى كتطاير الفراش الى النار قال جرير

ان الفرزدق ما علمت وقومه * مثل الفراش غشين نار المصطلى

وهذا يدل على كثرة الفراش ولو فى بعض المواضع فسقط ما قال سعدى المفتى فيه أن الفراش لا يعرف بالكثرة بحيث يصلح أن يكون مشبها به لاهل المحشر بها الا أن يفسر بصغار الجراد أى كالجراد المنتشر حين ارادة الطيران كما قال تعالى كأنهم جراد منتشر وفيه أن الفراش لم يفسر فى اللغات بصغار الجراد وقال ابن الشيخ شبه الله الخلق وقت البعث فى هذه الآية بالفراش المبثوث وفى الآية الاخرى بالجراد المنتشر ووجه التشبيه بالجراد هو الكثرة والاضطراب وبالفراش المبثوث اختلاف جهات حركاتهم فانهم اذا بعثوا فزعوا فيذهب كل واحد منهم الى جهة غير جهة الآخر كالفراش فانها اذا طارت لا تتجه الى جهة واحدة بل تختلف جهاتها انتهى وفيه اشارة الى أن السالك الفانى يكون فى الشهود الاحدى فى الذلة وتفرق الوجهة كالفراش وأحقر وأذل لانه لا قدر ولا وقع له فى عين الموحد (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) العهن الصوف المصبوغ الوانا والنفش نشر الشعر والصوف والقطن بالاصبع وخلخلة الاجزاء وتفريقها عن تراصها قال السجاوندى شبهها بعد رزانتها

بالصوف وتلونه بالمصبوغ ومرة بالمندوف واختصاص العهن لالوان الجبال كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود والمعنى وتكون الجبال كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف فى تفرق أجزائها وتطايرها فى الجو وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلائق يبدل الله الارض غير الارض ويغيرهيآتها ويسير الجبال عن مقارها على ماذكر من الهيآت الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهى وان اندكت عند النفخة الاولى ولكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية (فأما من ثقلت موازينه) جمع الموزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وثقلها رجحانها لان الحق ثقيل والباطل خفيف والجمع للتعظيم أو لان لكل مكلف ميزانا أو لاختلاف الموزونات وكثرتها قال ابن عباس رضى الله عنهما انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال ليبين الله امر العباد بما عهدوه فيما بينهم قالوا توضع فيه صحف الاعمال اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة أو تبرز الاعمال العرضية بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح يعنى يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور سيئة فتوضع فى الميزان أى فمن ترجحت مقادير حسناته (فهو فى عيشة راضية) من قبيل الاسناد الى السبب لان العيش سبب الرضا من منعم العيش وقال بعضهم راضية أى راض صاحبها عنها وبالفارسية درزندكانى باشد پسنديده وقد سبق فى الحاقة وفى التأويلات النجمية فأما من ثقلت له موزونات الاوصاف الالهية والاخلاق اللاهوتية فهو فى راحة واستراحة من نتائج تلك الاوصاف والاخلاق (وأما من خفت موازينه) بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجحت سيآته على حسناته وعن ابن مسعود رضى الله عنه يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيآته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيآته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار (فأمه) أى مأواه (هاوية) هى من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روى أن أهل النار يهوون فيها سبعين خريفا (وقال الكاشفى) وآن دركه باشد زيرترين همه دركها وعبر عن المأوى بالام لان أهلها يأوون اليها كما يأوى الولد الى أمه وفيه تهكم به أو لانها تحيط به احاطة رحم الام بالولد أو لان الام هى الاصل والكافر خلق من النار وكل شئ يرجع الى أصله وهو اللائح وفى الكشاف من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه لانه اذا هوى أى سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا فكأنه قيل فقد هلك وعن قتادة فأم رأسه هاوية فى جهنم لانه يطرح فيها منكوسا وأم الرأس الدماغ أو الجلدة الرقيقة التى عليها وفى التأويلات النجمية وأما من خفت موازينه بالاخلاق السيئة والاوصاف القبيحة الخبيثة فأصله المجبول عليه هاوية الحجاب من الازل الى الابد وهى نار حامية بنار الجهل والعمى وحطب النفس والهوى ونفخ الشيطان والدنيا وفى لفظ الثقل والخفة اشارة الى ان السعداء والاشقياء مشتركون فى فعل السيئة وان كانت فى الفريق الاول مرجوحة قليلة وفى الثانى راجحة كثيرة ولا يرتفع هذا الابتلاء ولذا قال عليه السلام لعلى رضى الله عنه يا على اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة وذلك لما انه مقتضى الاسم الغفور اعلم أن ميزان الحق بخلاف ميزان الخلق اذ صعود الموزونات وارتفاعها فيه هو الثقل وهبوطها وانحطاطها هو الخفة لان ميزانه تعالى هو العدل والموزونات الثقيلة أى المعتبرة الراجحة عند الله

التى لها قدر ووزن عنده هى الباقيات الصالحات والخفيفة التى لا اعتبار لها عند الله هى الفانيات الفاسدات من اللذات الحسية والشهوات وفى الهاوية اشارة الى هاوية الطبيعة الجسمانية التى يهوى فيها أهلها وفى الحقيقة الموزونات هى الاستعدادات الغيبية والقابليات العلمية الازلية المسواة كفتاها بكف اليد اليمنى وبكف اليد اليسرى (وما أدراك ماهيه) وجه جيزدانا كردترا كه چيست هاويه فهى للهاوية والهاء للسكت والاستراحة والوقف واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه أن لايدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة فى المصحف وقد أجيز اثباتها مع الوصل قال ابو الليث قرأ حمزة والكسائى بغيرها فى الوصل وبالهاء عند الوقف والباقون باثباتها فى الوصل والوقف وقد سبق مفصلا فى الحاقة وفيه اشعار بخروجها عن الحدود المعهودة فلا يدريها أحد ثم أعلمها بقوله (نار حامية) متناهية فى الحر وبالفارسية آتشى بغايت رسيده درسوزش يقال حمى الشمس والنار حميا وحميا وحموا اشتد حرهما وقد سبق

(سورة التكاثر مختلف فيها وهى ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألهاكم التكاثر) اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه ويقال لهوت بكذا ولهوت عن كذا اى اشتغلت عنه بلهو ويعبر به عن كل ما به استمتاع ويقال ألهى عن كذا أى شغل عما هو أهم والتكاثر التبارى فى الكثرة والتباهى بها وأن يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر والمعنى شغلكم التغالب فى الكثرة والتفاخر بها وبالفارسية مشغول كرد شمارا فخر كردن به بسيارئ قوم قال ابن الشيخ الالهاء الصرف الى اللهو والعبث والتكاثر اذا صرف العبد الى اللهو يكون العبد منصرفا اليه ومعلوم أن الانصراف الى الشئ يقتضى الاعراض عن غيره فنفسر ألهاكم كذا بشغلكم تفسيرله بما يلزم أصل معناه الا أنه صار حقيقة عرفية فيه بالغلبة وحذف الملهى عنه أى الذى ألهى عنه وهو ما يعنيهم من أمر الدين للتعظيم والمبالغة أما الاول فلان الحذف كالتنكير قد يجعل ذريعة الى التعظيم لاشتراكهما فى الابهام وأما الثانى فلان تذهب النفس كل مذهب ممكن فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام مثل ألهاكم التكاثر عن ذكر الله وعن الواجبات والمندوبات مما يتعلق بالقلب كالعلم والتفكر والاعتبار أو بالجوارح كانواع الطاعات وتعريف التكاثر للعهد والعهد المذموم هو التكاثر فى الامور الدنيوية الفانية كالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء وأما التفاخر بالامور الاخروية الباقية فممدوح كالتفاخر بالعلم والعمل والاخلاق والصحة والقوة والغنى والجمال وحسن الصوت اذا كان بطريق تحديث النعمة ومن ذلك تفاخر العباس رضى الله عنه بأن السقاية بيده وتفاخر شيبة بان مفتاح البيت بيده الى أن قال على رضى الله عنه وأنا قطعت خرطوم الكفر بسيفى فصار الكفر مثلة والتكاثر مكاثرة اثنين مالا أو عددا بأن يقول كل منهما لصاحبه أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا والمراد هنا هو التكاثر فى العدد لانه روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف فى الاسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيدا وأعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف أى غلبوهم بالكثرة فقال بنو سهم ان البغى افنانا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات (قال الكاشفى) بكورستان رفتند وكورها برشمردند كه اين

قبر فلان واين قبر فلان قبور اشراف قبيلهٔ خود شمردند * فكثرهم بنو سهم يعنى سه خاندان بنى سهم زياده آمد بر بنى عبد مناف بر بن نسق بريكديكر تطاول نمودند وتفاخر كردند والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء (حتى زرتم المقابر) أى حتى استوعبتم عددهم وصرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات وبالفارسية تا حدى كه آمديد بكورستان اوم ردكانرا شماره كرديد * فعبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة القبور وأى جعلت كناية عنه تهكما بهم قال الطيبى انما كان تهكما لان زيارة القبور شرعت لتذكر الموت ورفض حب الدنيا وترك المباهاة والتفاخر وهؤلاء عكسوا حيث جعلوا زيارة القبور سببا لمزيد القسوة والاستغراق فى حب الدنيا والتفاخر فى الكثرة وهذا خبر فيه تقريع وتوبيخ والغاية تدخل تحت المغيا فى هذا الوجه وقيل المعنى ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين أعماركم فى طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعى لاخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت والتكاثر هو التكاثر بالمال والولد كما روى أنه عليه السلام سمع انه يقرأ هذه الآية ويقول بعدها يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وفيه اشارة الى أنهم يبعثون فان الزائر منصرف لا مقيم وقرأها عمر بن عبد العزيز فقال ما أرى المقابر الا زيارة ولا بد لمن زار أن يرجع الى بيته اما الى الجنة أو الى النار وفيه تحذير عن الدنيا وترغيب فى الآخرة والاستعداد الموت * روزى كه اجل كند شبيخون * ألبته بيايد از جهان رفت * كر دل ننهى بدام دنيا * آسان ره آن جهان توان رفت (كلا) ردع عما هم فيه من التكاثر أى ليس الامر كما يتوهم هؤلاء من أن فضل الانسان وسعادته بكثرة أعوانه وقبائله وأمواله أى ارتدعوا عن هذا وتنبهوا من الخطأ فيه وتنبيه على أن العاقل ينبغى أن لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة (سوف تعلمون) أى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول المحشر فالعلم بمعنى المعرفة ولذا اقتدر له مفعول واحد وهو انذار وتخويف ليخافوا ويتنبهوا من غفلتهم قال الحسن رحمه الله لا يغرنك كثرة من ترى حولك فانك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك (ثم كلا سوف تعلمون) تأكيد لتكرير الردع والانذار وفى ثم دلالة على أن الانذار الثانى أبلغ من الاول لان فيه تأكيدا خاليا عنه الاول لان فيه تنزيلا لبعد المرتبة منزلة بعد الزمان واستعمالا للفظ ثم فى مجرد التدرج فى درج الارتقاء كما تقول للمنصوح أقول لك ثم أقول لك لا تفعل أو الاول عند الموت فى وقت ما بشر به المحتضر من جنة أو نار أو فى القبر حين سؤال منكر ونكير من ربك وما دينك ومن نبيك والثانى عند النشور حين ينادى المنادى شقى فلان شقاوة لا سعادة بعدها وحين يقال وامتازوا اليوم أيها المجرمون فعلى هذا لا تكرير فى الآية لحصول التغاير بينهما بتغاير زمانى العلمين وبتعلقهما فانه يلقى فى كل واحد من الزمانين نوعا آخر من العذاب وثم على بابها من المهلة لتباعد ما بين الموت والنشور وكذا ما بين القبور والنشور وعن على رضى الله عنه ما زلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت السورة الى قوله تعالى ثم كلا سوف تعلمون أى سوف تعلمون فى القبر ثم فى القيامة وفى الحديث يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة لو أن تنينا منها نفخ فى الارض ما أنبتت خضراء (كلا) تكرير للتنبيه تأكيدا (لو تعلمون علم اليقين) جواب لو محذوف

للتهويل فانه اذا حذف الجواب يذهب الوهم كل مذهب ممكن والعلم مصدر أضيف الى مفعوله وانتصابه بنزع الخافض واليقين صفة لموصوف محذوف والمعنى لو تعلمون ما بين أيديكم علم الامر اليقين أى لو علمتم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة فاليقين بمعنى المتيقن به كمال التيقن حتى كأنه عين اليقين والا فيلزم اضافة أحد المترادفين الى الآخر اذ العلم فى اللغة بمعنى اليقين وقد يجعل العلم من اضافة العام الى الخاص بناء على أن اليقين أخص من العلم فان العلم قد يعم الظن واليقين فتكون اضافته كاضافة بلد بغداد ويدل عليه قولهم العلم اليقين بالوصف (لترون الجحيم) جواب قسم مضمر أكد به الوعيد حيث ان ما أوعدوا به مما لا مدخل فيه للريب وشدد به التهديد وأوضح به ما أنذروه بعد ابهامه تفخيما ولا يجوز أن يكون جواب لو لان رؤية الجحيم محققة الوقوع وليست بمعلقة فلو جعل جواب لو لكان المعنى انكم لا ترونها لكونكم جهالا وهو غير صحيح وقال بعضهم يصح أن يكون جوابا فيكون المعنى سوف تعلمون الجزاء ثم قال لو تعلمون الجزاء علم اليقين الآن لترون الجحيم يعنى يكون الجحيم دائما فى نظركم لا يغيب عنكم أصلا (ثم لترونها) تكرير للتأكيد والاولى اذا رأوها من مكان بعيد ببعض خواصها وأحوالها مثل رؤية لهبها ودخانها والثانية اذا أوردوها فان معاينة نفس الحفرة وما فيها من الحيوانات المؤذية وكيفية السقوط فيها أجلى وأكشف من الرؤية الاولى فعلى هذا يتنازع الفعلان فى عين اليقين أو المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة (عين اليقين) أى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة للمحسوسات أقصى مراتب اليقين فلا يرد أن أعلى اليقينيات الاوليات وانما قيد الرؤية بعين اليقين احترازا عن رؤية فيها غلط الحس فانتصاب عين اليقين على أنه صفة المصدر لترونها وجعل الرؤية التى هى سبب اليقين نفس اليقين مبالغة (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال فى التيسير كلمة ثم للترتيب فى الاخبار لا فى الوجود فان السؤال بأنك أشكرت فى تلك النعمة أم كفرت يكون فى موقف الحساب قبل دخول النار والمعنى ثم لتسألن يوم رؤية الجحيم وورودها عن النعيم الذى ألهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فتعذبون على ترك الشكر فان الخطاب فى لتسألن مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل على نفسه مشاقهما فان من تمتع بنعمة الله وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمنزل بعيد واليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أكل هو وأصحابه تمرا وشربوا ماء فقال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا كما فى الكشاف فدخلت فى الآية كفار مكة ومن لحق بهم فى وصفهم من فسقة المؤمنين وقيل الآية مخصوصة بالكفار وقال بعضهم المراد بالنعيم هو الصحة والفراغ وفى الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وفى هذا الحديث دلالة على عظم محل هاتين النعمتين وجلالة خطرهما وذلك لان بهما يستدرك مصالح الدنيا ويكتسب درجات الآخرة فان الصحة تنبئ عن اجتماع القوى الذاتية والفراغ يدل على انتظام الاسباب الخارجة المنفصلة ولا قدرة على تمهيد مصلحة من مصالح الدنيا والآخرة الا بهذين الامرين ثم سائر النعم يعد من توابعهما وقد قال معاوية بن قرة شدة الحساب يوم القيامة على الصحيح الفارغ يقال له كيف أديت شكرهما وعن الحسن رحمه الله ما سوى

كن

كن يؤويه وثوب يواريه وكسرة تقويه يسأل عنه ويحاسب عليه وقال بعض السلف من أكل فسمى وفرغ فحمد لم يسأل عن نعيم ذلك الطعام وقال رجل للحسن رحمه الله ان لنا جارا لا يأكل الفالوذج ويقول لا أقوم بشكره فقال ما أجهل جاركم نعمة الله عليه بالماء البارد أكثر من نعمته بجميع الحلاوى ولذلك قال عليه السلام أول ما يسأل العبد عنه من النعيم ألم نصح جسمك ونروك من الماء البارد وفى عين المعانى عن النعم الخمس شبع البطون وبرد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق وقال ابن كعب النعيم ذات محمد صلى الله عليه وسلم اذهو الرحمة والنعمة بالآيتين وهما قوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وقوله تعالى وما أرسلناك الارحمة للعالمين * وهمه را ازدعوت وملت واتباع سنت اوخواهند برسيد * نعمتيست بزرك از خدا كه برثقلين * پاس دارى اين نعمتست فرض العين * يقول الفقير النعيم اما نعيم جسمانى وشكره بمحافظة أحكام الشريعة واما نعيم روحانى وشكره بمراعاة آداب الطريقة فانه كلما ازدادت المحافظة والمراعاة ازداد النعيم كما قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وما من عضو من الاعضاء وقوة من القوى الا وهى مطلوبة بنوع شكر ولذلك قال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا على أن عالم الصفات والاسماء كلها عالم النعيم وفقنا الله واياكم لشكر النعيم انه هو البر الرحيم وفى الحديث ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية فى كل يوم قال اما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر مرة على ما قال السيوطى رحمه الله فى الاتقان ان القرآن ستة آلاف آية وماتنا آية فاذا تركنا زيادة الآلاف كان الألف سدس القرآن وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرآن فانها على ما ذكره الغزالى رحمه الله ثلاثة مقاصد مهمة وثلاثة متمة واحد المقاصد المهمة معرفة الآخرة المشتمل عليها السورة والتعبير عن هذا المعنى بألف آية أفهم وأجل وأصح من التعبير بالسدس انتهى يقول الفقير هذا منتقض بسورة الزلزلة فانها أيضا تشتمل على أحكام الآخرة ومعرفتها وقد سبق انها تعدل نصف القرآن أو ربعه والظاهر أن المراد بالالف التكثير لان أول السورة مما ينبئ عنه ومن الله التوفيق والارشاد

(سورة العصر ثلاث آيات مكية أو مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعصر) أقسم سبحانه بصلاة العصر فانه كثيرا ما يطلق العصر ويراد صلاته وذلك لفضلها الباهر لكونها وسطى لتوسطها بين الشفع الذى هو صلاة الظهر وبين الوتر النهارى الذى هو صلاة المغرب فانها لما توسطت بين الطرفين اتصفت بالوصفين وظهرت بالحكمين وتحققت بالكمالين كما هو حكم البرازخ فحصل لها من القدر ما لم يكن لكل واحد من الطرفين وأيضا ان أوقات أوائل الصلوات الاربع محدودة الا العصر يعنى أن أول صلاة العصر غير محدود بالحد المحقق ففيه سر التنزيه عن التقييد بالحدود ولذا شرع التكبير فى الصلاة لأن الله تعالى منزه عن التقييد بأوضاع الصلاة وحركات المصلى قال بعض الكبار صلاة العصر بركعاتها الاربع اشارة الى التعينات الاربعة الذاتية والاسمائية والصفاتية والافعالية فى مرتبة الجمال الكونى بالفعل كما أن الظهر اشارة اليها فى مرتبة الجمال الالهى بالفعل ولا شك أن الانسان كون جامع

فى العصر اشارة اليه وفى الحديث من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أى نقص أى ليكن من فوتها حذرا كما يحذر من ذهاب أهله وماله وسر الوعيد أن التكلف فى أداء صلاة العصر أشق لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم واشتغالهم بمعايشهم آخر النهار لبرد الهواء حينئذ لاسيما فى أرض الحجاز فالكسب الحاصل فى ذلك الوقت مع السهو عن الصلاة فى حكم الخسران وسبب للخذلان (حكى) ان امرأة كانت تصيح فى سكك المدينة وتقول دلونى على النبى عليه السلام فرآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها ماذا حدث قالت يارسول الله ان زوجى غاب عنى فزنيت فجاءنى ولد من الزنا فألقيت الولد فى دن من الخل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لى من توبة فقال عليه السلام أما الزنا فعليك الرجم بسببه وأما القتل فجزاؤه جهنم وأما بيع الخل فقد ارتكبت به كبيرة لكن ظننت أنك تركت صلاة العصر ويقال ان الله تعالى أقسم بوقت العصر نفسه كما أقسم بالفجر فقد خلق فيه أصل البشر آدم عليه السلام فكان له شرف زائد على غيره ويقال أقسم بالعشى الذى هو ما بين الزوال والغروب كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة ويقال أقسم بعصر النبوة الذى مقداره فيما مضى من الزمان مقدار وقت العصر من النهار وهو زمان بعثته الى انقراض أمته فى آخر الزمان وهو ألف سنة كما قال عليه السلام ان استقامت أمتى فلها يوم وان لم تستقم فلها نصف يوم وفضل هذا العصر على سائر الاعصار ظاهر لأنه عصر خير الانبياء والمرسلين وعصر خير الامم وخير الكتب الالهية وفيه ظهر تمام الكمالات تفصيلا ويقال أقسم بالدهر لانطوائه على أعاجيب الامور القارة والمارة وللتعريض بنفى ما يضاف اليه من الخسران فان الانسان يضيف المكاره والنوائب اليه ويحيل شقاوته وخسرانه عليه والاقسام بالشئ اعظام له وما يضاف اليه الخسران لا يعظم عادة وقد قال عليه السلام لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر فأقسم الله بالدهر لأنه بالنسبة الى الفهم العام محل شهود الآيات الالهية كالليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وغيرها وبالنسبة الى الفهم الخاص مظهر التجليات الالهية لظهوره تعالى بصفاته وأفعاله فى مظهره فلما كان العصر جامعا لجميع الآيات التى أقسم الله بها فى القرآن كقوله تعالى والفجر وليال عشر وقوله تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها وقوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى ختم الله بقسم العصر أقسام جميع القسم وفى التأويلات النجمية أقسم الله بكمال دوام الزمان واستمراره لاشتماله على ولاية النبى عليه السلام ونبوته ورسالته وخلافته لقوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين أى بين ماء العلم وطين العلوم ولقوله نحن الآخرون السابقون ولقوله حكاية عن الله سبحانه لولاك لما خلقت الافلاك ولقوله أنا من الله والمؤمنون منى ويقوى هذه الاحاديث قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين أى من عالمى زمانه وما كان بعده وما كان قبله لأن العالمين جمع محلى بالالف واللام فيدل على العموم والشمول كما فى قوله تعالى الحمد لله رب العالمين (ان الانسان) التعريف للجنس يعنى الاستغراق بدلالة صحة الاستثناء من الانسان فان صحة الاستثناء من جملة ادلة العموم والاستغراق (لفى خسر) الخسر والخسران معناه النقصان وذهاب رأس المال فى حق جنس الانسان هو نفسه وعمره والتنكير للتفخيم أى لفى خسران عظيم لا يعلم كنهه الا الله فى متاجرهم وصرف

أعمارهم في مباغيهم يعني هر اينه در زيانند بصرف اعمار در مطالب ناپايدار * مدمه بيهده نقد عزيز عمر بدست * كه بس زيان كني وهر تراند اردسود والذنب بعظم اما العظم من في حقه الذنب أولا نه في مقابلة النعمة العظيمة وكلا الوجهين حاصل في ذنب العبد في حق ربه فلاجرم كان ذلك الذنب في غاية العظم ويجوز أن يكون التنوين للتنويع أي نوع من الخسران غير ما يتعارفه الناس (الا الذين آمنوا) بالله الايمان العلمي اليقيني وعرفوا أن لا مؤثر بالحقيقة الا الله وبرزوا عن حجاب الدهر (وعملوا الصالحات) أي اكتسبوا الفضائل والخيرات الباقية فربحوا بزيادة النور الكمالي على النور الاستعدادي الذي هو رأس مالهم فانهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخبيث واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما أربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم واستدل بعض الطوائف بالآية على أن مرتكب الكبيرة مخلد لانه لم يستثن من الخسران الا الذين آمنوا الخ والتقصي منه أن غير المستثنى في خسر لا محالة اما بالخلود ان مات كافرا واما بالدخول في النار ان مات عاصيا لم يغفر له واما بفوات الدرجات العالية ان غفر (وتواصوا بالحق) الخ بيان لتكميلهم لغيرهم أي وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا سبيل الى انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل (وتواصوا بالصبر) أي عن المعاصي التي تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها أداؤها وعلى ما يبلو الله به عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به أو لان الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى به الله تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضا بما فعل الله فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تشوق اليه من فعل أو ترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضا به ظاهرا وباطنا ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود فان المقصود بيان ما فيه الفوز بالحياة الابدية والسعادة السرمدية واشعارا بأن ما عدا ما عدّ يؤدي الى خسر ونقص حظ أو تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم لانه ترك تعداد مثالبهم والاعراض عن مواجهتهم به وروي عنه عليه السلام أنه قال اقسم ربكم بآخر النهار أن أبا جهل لفي خسر الا الذين آمنوا أي أبا بكر رضي الله عنه وعملوا الصالحات أي عمر رضي الله عنه وتواصوا بالحق أي عثمان رضي الله عنه وتواصوا بالصبر أي عليا رضي الله عنه فسرها بذلك علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم على المنبر فيكون تكرير وتواصوا لاختلاف الفاعلين واما على الاول فلاختلاف المفعولين وهما قوله بالحق وبالصبر روي عن الشافعي رحمه الله أنها سورة لو لم ينزل الى الناس الا هي لكفتهم وهو معنى قول غيره انها شملت جميع علوم القرآن

تمت سورة العصر في خامس جمادى الاولى من سنة سبع عشرة ومائة وألف

* (سورة الهمزة تسع آيات مكية) *

بسم الله الرحمن الرحيم

(ويل) بالفارسية بمعنى واي وهو مبتدأ وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة أو بشدة الشر خبره قوله (لكل همزة لمزة) الهمز الكسر واللمز الطعن شاعا في الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم وفي القاموس الهامز والهمزة الغماز واللمزة العياب للناس

أو الذي يعيبك في وجهك والهمزة من يعيبك في الغيب انتهى وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وفي أدب الكاتب لابن قتيبة فعلة بسكون العين من صفات المفعول وفعلة بفتح العين من صفات الفاعل يقال رجل هزأة للذي يهزأ به وهزأة لمن يهزأ بالناس وعلى هذا القياس لعنة ولعنة ولمزة ولمزة وغيرهما نزولها في الاخنس بن شريق أو في الوليد بن المغيرة فانه كان يغتاب رسول الله عليه السلام والاصح العموم لقوله تعالى لكل ولم يقل للهمزة واللمزة كما قرأ عبد الله كما في عين المعاني وفي الحديث المؤمن كيس فطن حذر وقاف متثبت لا يعجل عالم ورع والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب الليل لا يدري من أين اكتسب وفيم انفق قال الكاشاني الهمز واللمز رذيلتان مركبتان من الجهل والغضب والكبر لانهما يتضمنان الاذية وطلب الترفع على الناس وصاحبهما يريد أن يتفضل على الناس ولا يجد في نفسه فضيلة يترفع بها فينسب العيب والرذيلة اليهم ليظهر فضله عليهم ولا يشعر أن ذلك عين الرذيلة وأن عدم الرذيلة ليس بفضيلة فهو مخدوع من نفسه وشيطانه موصوف برذيلتي القوة النطقية والغضبية (الذي جمع مالا) بدل من كل كأنه قيل ويل للذي جمع مالا وانما وصفه الله بهذا الوصف المعنوي لأنه يجري مجرى السبب للهمزة واللمزة من حيث انه أعجب بنفسه مما جمع من المال وظن أن كثرة المال سبب عزه وشرفه فلذا انتقص غيره وانما لم يجعل وصفا نحويا لكل لأنه نكرة لا يصح توصيفها بالموصولات وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى (وعدده) أي عده مرة بعد أخرى من غير أن يؤدي حق الله منه ويؤيد أنه من العد وهو الاحصاء لا من العدة أنه قرئ وعدده بفك الادغام على أنه فعل ماض بمعنى أحصاه وضبط عدده وقيل معنى عدده جعله عدة وذخيرة لنوائب الدهر وكان للاخنس المذكور أربعة آلاف دينار أو عشرة آلاف ثم في الجمع اشارة الى القوة الشهوانية وفي عدده الى الجهل لأن الذي جعل المال عدة للنوائب لا يعلم أن نفس ذلك المال هو الذي يجر اليه النوائب لاقتضاء حكمة الله تفريقه بالنائبات فكيف يدفعها وفي التأويلات النجمية جمع مال الاخلاق الذميمة والاوصاف الرديئة وجعله عدة منازل الآخرة والدخول على الله (يحسب أن ماله أخلده) اظهار المال لزيادة التقرير أي يعمل من تشييد البنيان وايثاقه بالصخر والآجر وغرس الاشجار وكرى الانهار عمل من يظن أنه لا يموت بل ماله يبقيه حيا فالحسبان ليس بحقيقي بل محمول على التمثيل وقال أبو بكر ابن طاهر رحمه الله يظن أن ماله يوصله الى مقام الخلد وانما قال أخلده ولم يقل يخلده لان المراد أن هذا الانسان يحسب أن المال قد ضمن له الخلود وأعطاه الامان من الموت فكأنه حكم قد فرغ منه ولذلك ذكره بلفظ الماضي قال الحسن رحمه الله ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه كالموت ونعم ما قال (كلا) ردع له عن ذلك الحسبان الباطل يعني نه چنانست كه آدمى پندارد وقال بعضهم الاظهر أنه ردع له على الهمز واللمز (لينبذن) جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع أي والله ليطرحن ذلك الذي يحسب وقوع الممتنع بسبب تعاطيه للافعال المذكورة وقال بعضهم وذلك أن ترد الضمير الى كل من الهمزة واللمزة ويؤيده قراءة لينبذان على التثنية (في الحطمة) أي في النار التي شأنها أن تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما أن شأنه كسر أعراض الناس وجمع المال قال بعضهم قولهم ان فعلة بفتح العين للمكثر المتعود ينتقض بالحطمة

فانها أطلقت على النار وليس الحطم عادتها بل طبيعتها وجوابه أن كونه طبيعيا لا ينافى كونه عادة اذ العادة على ما فى القاموس الديدن والشأن والخاصية وهو يهم الطيبى وغيره ومنه يعلم أن النبذ فى الحطمة كان جزاء وفاقا لاعمالهم فانه لما كان الهمز واللمز عادتهم كان الحطم أيضا عادة فقوبل صيغة فعلة بفعلة وكذا ظنوا أنفسهم أهل الكرامة والكثرة فعبر عن جزائهم بالنبذ المنبئ عن الاستحقار والاستقلال يعنى شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم بحصيات أخذهن أحد فى كفه فطرحهن فى البحر وفيه اشارة الى الاسقاط عن مرتبة الفطرة الى مرتبة الطبيعة الغالبة (وما أدراك ما الحطمة) تهويل لامرها ببيان أنها ليست من الامور التى تنالها عقول الخلق والمعنى بالفارسية وجه جيز دانا كرد ترا تا دانى جيست حطمه (نار الله) أى هى نار الله (الموقدة) افروخته شده بامر وقدرت او جل جلاله وما أوقده أشعل بأمره لا يقدر أن يطفئه غيره فاضافة النار اليه تعالى لتفخيمها والدلالة على أنها ليست كسائر النيران وفى الحديث أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم ألف سنة حتى ابيضت ثم ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وعن على رضى الله عنه عجبا ممن يعصى الله على وجه الارض والنار تسعر من تحته (التى تطلع على الافئدة) أى تعلو أوساط القلوب وتغشاها فان الفؤاد وسط القلب ومتصل بالروح يعنى أن تلك النار تحطم العظام وتأكل اللحوم فتدخل فى أجواف أهل الشهوات وتصل الى صدورهم وتستولى على أفئدتهم الا أنها لا تحرقها بالكلية اذ لو احترقت لماتت أصحابها ثم ان الله تعالى يعيد لحومهم وعظامهم مرة أخرى وتخصيصها بالذكر لما أن الفؤاد ألطف ما فى الجسد وأشد تألما بادنى أذى يمسه أو لانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة فاطلاعها على الافئدة التى هى خزانة الجسد ومحل ودائعه يستلزم الاطلاع على جميع الجسد بطريق الاولى صاحب كشف الاسرار فرموده كه اتشى كه بدل راه يابد عجبست حسين منصور قدس سره فرموده كه هفتاد سال آتش نار الله الموقدة در باطن ما زدند تا تمام سوخته شد تا كاه شررى زمتقدحة انا الحق برون جست ودران سوخته افتاد سوخته بايد كه از سوزش مان برد هد * اى شمع بيا تا من وتو زار بكرييم * كاحوال دل سوخته هم سوخته داند (انها عليهم مؤصدة) أى ان تلك النار الموصوفة مطبقة أبوابها عليهم تأكيدا ليأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد من أوصدت الباب وأصدته أى أطبقته وقد سبق فى سورة البلد (فى عمد) جمع عمود كما فى القاموس أى حال كونهم موثقين فى أعمدة (ممددة) من التمديد بالفارسية كشيده أى عمد ممدودة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص أى يلقون فيها على أحد قطريهم والقطر الجانب والمقطرة الخشبة التى يجعل فيها أرجل اللصوص والشطار يعنى خشبة فيها خروق تدخل فيها أرجل المحبوسين كى لا يهربوا فقوله فى عمد حال من الضمير المجرور فى عليهم أو صفة لمؤصدة قاله أبو البقاء أى كائنة فى عمد ممددة بأن تؤصد عليهم الابواب وتمد على الابواب العمد المطولة التى هى أرسخ من القصيرة استيثاقا فى استيثاق لا يدخلها روح ولا يخرج منها غم وفيه اشارة الى ايثاقهم وربطهم فى عمد أخلاقهم وأوصافهم وأعمالهم ومدهم فى أرض الذل والهوان والخسران لان أهل الحجاب لا عزلهم نسأل الله تعالى أن لا يذلنا بالاحتجاب انه الوهاب

* (سورة الفيل خمس آيات مكية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية لان النبى عليه السلام ولد عام الفيل ولم يرهم والمراد باصحاب الفيل أبرهة وقومه وبالفيل هو الفيل الاعظم الذى اسمه محمود وكنيته أبو العباس كما سيجيء ونسبوا اليه لانه كان مقدمهم والمعنى ألم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله تعالى لا بنفسه بأن يقال ألم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيآت عجيبة دالة على عظم قدرة الله وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله فان ذلك من الارهاصات والارهاص أن يتقدم على دعوى النبوة ما يشبه المعجزة تأسيسا لها ومقدمة كاظلال الغمام له عليه السلام وتكلم الحجر والمدر معه قال بعضهم الارهاص الترصد سميت الامور الغريبة التى وقعت للنبى عليه السلام ارهاصات لان كلا منها مما يترصد بمشاهدته نبوته فالارهاص انما يكون بعد وجود النبى وقبل مبعثه وفى كلام بعضهم ان الارهاص يكون قبل وجوده أيضا قريبا من عهده كما دل عليه قصة الفيل ورجحوا الاول فان قيل اتحاد السنة بأن يكون وقوع القصة عام المولد أمر اتفاقى لا يمنع عن كون الواقعة لتعظيم الكعبة قلنا شرفها أيضا بشرف مكانه عليه السلام ألا يرى أنه تعالى كيف قيد الاقسام بالبلد بحلوله عليه السلام فيه حيث قال لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد قال فى فتح الرحمن كان هذا عام مولد النبى عليه السلام فى نصف المحرم وولد عليه السلام فى شهر ربيع الاول فبين الفيل ومولده الشريف خمس وخمسون ليلة وهى سنة ستة آلاف ومائة وثلاث وستين من هبوط آدم على حكم التواريخ اليونانية المعتمدة عند المؤرخين وبين قصة الفيل والهجرة الشريفة النبوية ثلاث وخمسون سنة والمقصود من تذكير القصة اما تسلية النبى عليه السلام بأنه سيجزى من يظلمه كما جزى من قصد الكعبة واما تهديد الظلمة وتفصيلها أن ملك حمير وما حولها وهو ذو نواس اليهودى لما أحرق المؤمنين بنار الاخدود ذات الوقود على ما سبق فى سورة البروج هرب رجل منهم الى ملك الحبشة وهو أصحمة بن بحر النجاشى بتخفيف الياء الذى أسلم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك وحرضه على قتال ذى نواس فبعث أصحمة سبعين ألفا من الحبشة الى اليمن وأمر عليهم أرياطا ومعه فى جنده أبرهة بن الصباح الاشرم ومعنى ابرهة بلسان الحبشة الابيض الوجه وسيجيء معنى الاشرم فركبوا البحر حتى نزلوا ساحلا مما يلى أرض اليمن وهزم ارياط ذا نواس وقتله فى المعركة أو ألقى هو نفسه فى البحر فهلك واستقر أمر ارياط فى أرض اليمن زمانا وأقام فيها سنين فى سلطانه ذلك ثم نازعه أبرهة فى أمر الحبشة وكان من أمراء الجند فتفرقت الحبشة فرقتين فرقة مع ارياط وفرقة مع أبرهة فكان الامر على ذلك الى أن سار أحدهما الى الآخر فلما تقارب الفرقتان للقتال أرسل أبرهة الى أرياط انك لا تفعل شيأ بأن تغرى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها فابرز لى وأبرز لك فأينا أصاب صاحبه انصرف اليه جنده فأرسل اليه ارياط أن قد انصفت فاخرج فخرج اليه أبرهة وكنيته أبو يكسوم وكان رجلا قصيرا لحيما حادرا ذا دين فى النصرانية وخرج اليه أرياط وكان رجلا طويلا

عظيما وفي يده حربة وخلف ابرهة غلام يقال له عتودة يمنع ظهره فرفع ارياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته أي شقت وقطعت وخدشت فبذلك سمي أبرهة الاشرم وحمل عتودة على ارياط من خلف أبرهة فقتله وانصرف جند ارياط الى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة في اليمن بلا منازع وكان ما صنع أبرهة من غير علم النجاشي فلما بلغه ذلك غضب غضبا شديدا فقال عدا على أميري فقتله بغير أمري ثم حلف لايدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته فلما بلغ هذا الخبر أبرهة حلق رأسه وملأ جرابا ترابا من تراب اليمن ثم بعث به الى النجاشي مع هدايا جليلة كثيرة وكتب اليه أيها الملك انما كان ارياط عبدك وانا عبدك فاختلفنا في امرك وكل طاعة لك الا اني كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط له واسوس منه وقد حلقت رأسي حين بلغني قسم الملك وبعثت اليه بجراب تراب من أرضي ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه في فلما وصل كتاب أبرهة الى النجاشي لان ورضي عنه وكتب اليه ان اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري فأقام أبرهة باليمن ثم انه رأى الناس يتجهزون أيام الموسم الى مكة لحج بيت الله الحرام فتحرك منه عرق الحسد فبنى بصنعاء كنيسة من رخام ملون وفي بعض التفاسير ودرو ديوارانرا بزر وجواهر مرصع ومزين كردانيده وفي انسان العيون واجتهد في زخرفتها فجعل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب وكان ينقل ذلك من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وجعل فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والابنوس وسماها القليس كحميزلا رتفاع بنائها وعلوها ومنها القلانس لانها في أعلى الرأس وأراد أن يصرف اليها الحاج (وفي كشف الاسرار) چون رسول أبرهه با آن هديها پيش ملك نجاشي رسيد وآن پيغام بداد ملك ازو خشنود شد و ولايت يمن جمله بدو ارزاني داشت وبوى تسليم كرد چون آن رسول بنزديك أبرهه باز آمد أبرهه شاد شد وبشكر آنكه ملك ازو خشنود كشت وزرا وعقلاى مملكت خويش جمع كرد وايشانرا كفت مرا راهى سازيد بعملى كه ملك را خوش آيد واورا دران عزى وجمالى بود تا آنرا شكر نعمت عفو سازم ايشان همه متفق شدند كه عرب را خانه ايست معظم ومقدس وشرف جمله عرب بدان خانه است ومردمان شرق وغرب روى بدان خانه دارند وان خانه از سنكست تو در صنعاء ين كنيسه بساز برنام ملك وبردين ترسايى كه دين نجاشى است واساس ان از زر وسيم والوان جواهر كن وكس فرست باطراف زمين وديار عرب وايشانرا بخوان وبزر وسيم وتحفها وهديها ايشانرا رغبتى كن تا عالميان روى بدان كنيسه نهند وانجا طواف كنند وملك را عزى وجمالى باشد ابرهه همچنان كرد كه ايشان كفتند وان كنيسه بدان صفت بساخت وازبهر طمع مال وزر وسيم خلق روى بدان كنيسه نهادند وهركه انجا رفتى با هديه وتحفه باز كشتى * وكتب أبرهة الى النجاشي أيها الملك اني بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها الملك قبلك ولست أرضى حتى أصرف اليها حاج العرب فلما تحدث العرب بكتاب أبرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من بني كنانة حتى أتى القليس (وفي كشف الاسرار) وخبر در اطراف افتاد كه از حج وزيارت وطواف كه در مكه وخانه عرب بود باين افتاد ودران وقت رئيس مكه عبد المطلب بود مردى از عرب از ساكنان مكه نام وى زهير بن بدر از عبد المطلب درخواست وسوكند خورد كه من بروم ودر خانه ايشان حدث كنم برخواست وانجا شد وچند روز انجا عبادت كرد

رتبه مجاورت يافت شبى كفت من ميخواهم كه اينجا امشب عبادت كنم كه مرا سعادت نيكو وخوش امده است اين بقعه اورا ان شب انجا تنها بكذاشتند ودران خانه مسك وعنبر فراوان بود و پيوسته بوى خوش ازان ميدميد زهير انجا حدث كرد وهمه ديوار ومحراب بنجاست بيالود انكه اهنك بيرون كرد وبكريخت اين خبر در افاق واقطار منتشر كشت ومردم از طواف ان متنفر أبرهه ازين حال اكاه شد ومتأثر كشت دانست كه اين مرد از مكه بود واز مجاوران كعبه سوكند خوردكه من با لشكر وحشم بروم واز خانهٔ ايشان خراب كنم وبا زمين برابر حتى لا يحجه حاج أبدا وفى حواشى ابن الشيخ كان أصل مقصوده من هدم البيت ان يصرف الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة منهم ومن بلدتهم الى نفسه والى بلدته ورسولى فرستاد بحبشه وملك را خبر كرد از انچه زهير كرد اندران كنيسه واز رفتن خويش سوى مكه وخراب كردن كعبه بخرج بالحبشة وكفته اند نجاشى پيلان بسيار فرستاد ولشكر وحشم وقال السجاوندى اغتم النجاشى ذلك وعزاه أبرهة وجبر من قواده وأبو يكسوم وزيره وقال لا تحزن ان لهم كعبة هى فخرهم فننسف أبنيتها ونبيح دماءها وننتهب أموالها فخرج أبرهة بجند كثير وجم غفير ومعه فيل أبيض اللون وهو فيل النجاشى بعثه اليه بسؤاله وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة يعنى بعظمت جثه مشابه كوه بود * بهيكل قوى راست چون كره قاف * چو شير غرين چابك اندر مصاف * ومن شأن الفيل المقاتلة ولذلك كان فى مربط ملك الصين ألف فيل أبيض وهو مع عظم صورته ضعيف يخاف من السنور ويفزع منه وكان دليلهم كبير ثقيف وهو ابو رغال رجم العرب قبره حين مات كما فى كتاب التعريف والاعلام للامام السهيلى رحمه الله وفى كشف الاسرار ابو رغال درراه هلاك شد وكور وى معروفست براه يمن حاجيان چون انجا رسند بآن كور وى سنك اندازند حتى صار كالجبل العظيم وفى ذلك يقول جرير فى الفرزدق الشاعر

اذا مات الفرزدق فارجموه * كما ترمون قبر أبى رغال

وفى القاموس أبو رغال ككتاب فى سنن أبى داود ودلائل النبوة وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا معه الى الطائف فمررنا بقبر فقال هذا قبر أبى رغال وهو أبو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه الحديث وقول الجوهرى كان دليلا للحبشة حين توجهوا الى مكة فمات فى الطريق غير جيد وكذا قول ابن سيده كان عبدا لشعيب وكان عشارا جائرا انتهى كلامه أبرهه چون باطراف حرم رسيد بيرون حرم نزول كرد وبعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود حتى انتهى الى مكة فساق اليه أموال تهامة يعنى هرچه در حوالى شهر مكه شتر بود وكوسفند غارت كرد ودر جمله دويست سر شتر ازان عبد المطلب كه بر وقف حاج كرده بود بغارت بردند وقال بعضهم فلما بلغ المغمس وهو كمعظم ومحدث موضع بطريق الطائف فيه قبر أبى رغال دليل أبرهة ويرجم كما فى القاموس أى على ما اشتهر والا ناقض كلامه السابق خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وفى شرح البردة المرزوقى لما نزل المغمس بعث حناطة الحميرى الى مكة وقال له سل عن سيد هذا البلد وشريفهم وقل له ان الملك يقول انى لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تتعرضوا دونه لحرب فلا حاجة لى بدمائكم فان هو لم يرد حربى فائتنى به (وفى كشف

الاسرار) أبرهه چون آنجا نزول کرد هیبت خانهٔ کعبه در دل وی أثر کرد وازان قصد که داشت
پشیمان گشت ودر دل خود میخواست که کسی در حق خانه شفاعت کند تا باز گردد وبفرمود
که رئیس مکه را بیارید ورئیس مکه آنگاه عبد المطلب بود باجمعی از بنی هاشم بنزدیک ابرهه آمد
وآن مرد که فرستاده بود پیش از رسیدن عبد المطلب در پیش ابرهه شد وقال المرزوقی رحمه الله
استأذن لعبد المطلب بعض وزرائه یقال له أنیس سائس الفیل وگفت قد جاءك سید قریش
وصاحب عیر مکة الذی یطعم الناس فی السهل والوحوش فی رؤس الجبال حقا مردی می آید
بحضرت تو که بدرستی وراستی سید قریش است مردی کریم طبع نیکو روی باسیادت
وباسخاوت وباهیبت وآنکه از وی نوری می تابد که هر که نظر وی بتو رساند یعنی نور مصطفی علیه
السلام از پیشانی وی همی تافت ابرهه خویشتن را بری نیکو بیاراست وبر تخت نشست وعبد
المطلب را اجازت داد چون در آمد نخواست که او را با خود بر تخت نشاند یعنی کره ان تراه الحبشة
یجالس علی سریر ملکه از تخت بزیر آمد وبا عبد المطلب به پایان تخت بنشست واو را اجلال کرد
ونیکو بنواخت سخنان وی او را خوش آمد وبا خود گفت اگر در حق خانه شفاعت کند او را
نومید نکنم پس ترجمانرا گفت تا حاجتی که دارد بخواهد عبد المطلب گفت حاجت من اینست
که دویست شتر از آن من بیاورده اند وکانت ترعی بذی المجاز بفرمای تا باز دهند ابرهه را از آن
اندوه آمد ترجمانرا گفت بپرس از وی تا چرا بهر خانهٔ کعبه حاجت نخواست خانهٔ که شرف وعز
شما با آنست وسبب عصمت وحرمت شما آنست در قدیم . ومن آمده ام تا آنرا خراب کنم می
نخواهی این اشترانرا چه خطر باشد که میخواهی قال عبد المطلب انا رب الابل وللبیت رب
یحفظه کما حفظه من تبع وسیف بن ذی یزن وکری ابرهه از این سخن در خشم شد وگفت ردوا
علیه بعرانه لینظر من یحفظ البیت منی عبد المطلب باز گشت ومکیانرا فرمود هر چه داشتند
از مال ومتاع برگرفتند وبا کوه شدند ومکه خالی کردند ای تحوقوا من معرة الجیش فجهز أبرهة
جیشه وقدم الفیل الاعظم المذکور فکان کلما وجهوه الی الحرم برك ولم یبرح کما برکت القصواء
فی الحدیبیة حتی قال علیه السلام حبسها حابس الفیل ومعنی بروك الفیل سقوطه علی الارض
لما جاءه من أمر الله أو لزوم موضعه کالذی برك والا فالفیل لا یبرك کما قال عبد اللطیف
البغدادی الفیلة تحمل سبع سنین واذا تم حملها وأرادت الوضع دخلت النهر حتی تضع ولدها
لانها تلد وهی قائمة ولا فواصل لقوائمها فتلد والذکر عند ذلك یحرسها وولدها من الحیتان انتهی
وقال بعضهم الفیل صنفان صنف لا یبرك وصنف یبرك کالجمل انتهی واذا وجهوه الی الیمن
أو الی غیره من الجهات هرول والهرولة کالدحرجة ما بین المشی والعدو وأمر أبرهة أن یسقی
الفیل الخمر لیذهب تمییزه فسقوه فثبت علی أمره وگفته اند نفیل ابن حبیب الخثعمی گوش آن
فیل گرفت وگفت ابرك محمود وارجع راشدا من حیث جئت فانك فی بلد الله الحرام چون این
سخن بگوش پیل فرو گفت باز گشت وپای در حرم ننهاد ونفیل هذا قاتل أبرهة بأرض خثعم وهو
جبل وأهله خثعمیون وأبو قبیلة فهزمه أبرهة فأخذ أسیرا فلما أتی به وهم أبرهة بقتله قال أیها
الملك لا تقتلنی فانی دلیلك بأرض العرب فخلی سبیله وخرج به معه یدله علی أرض العرب حتی اذا
مر بالطائف رأی أهله أن لا طاقة لهم به فانقادوا له وبعثوا معه أبی رغال فأنزلهم بالمغمس وهو علی

ستة أميال من مكة ومات أبو رغال هنالك وقبره المرجوم فيه كما فى بعض التفاسير قال المرزوقى رأى العرب جهاد أبرهة حقا عليهم فكانوا يجتمعون لقتاله فى الطريق قبائل قبائل فهزمهم أبرهة ومن جملة من هزمهم وأسرهم نفيل بن حبيب أخذه وما قتله ليكون دليلا له وأخذ عبد المطلب بحلقة البيت ودعا وقال

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك * لا يغلبن صليبهم * ومحالهم غدوا محالك

وذلك أنهم كانوا نصارى أهل صليب ولاهم أصله اللهم فان العرب تحذف الالف واللام وتكتفى بما يبقى والحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهى البيوت المجتمعة والمحال بكسر الميم الشدة والقوة والغدو بالغين المعجمة أصل الغد وهو اليوم الذى يأتى بعد يومك الذى أنت فيه فالتفت وهو يدعو فاذا بطير فقال والله انها الطير غريبة لا نجدية ولا تهامية ولا حجازية وان لها لشأنا وفى حواشى ابن الشيخ وكان عبد المطلب وأبو مسعود الثقفى يشاهدان من فوق الجبل عسكر أبرهة فأرسل الله طيرا سودا صفر المناقير خضر الاعناق طوالها أو خضرا أو بيضا أو بلقا أو حماما كما سئل من أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن الطير فقال حمام مكة منها وقد يقال ان هذا اشتباه لان الذى قيل فيه انه من نسل الابابيل انما هو شئ يشبه الزرازير يكون بباب ابراهيم من الحرم والاحمام الحرم من نسل الحمام الذى عشش على فم الغار والزرازير جمع زرزور بضم الزاى طائر صغير من نوع العصفور سمى بذلك لزرزرته أى لصوته وعن عائشة رضى الله عنها كانت تلك الطير الابابيل اشباه الخطاطيف وهو الوطواط وقد نشأت فى شاطئ البحر ولها خراطيم الطير وأكف الكلاب وأنيابها وقال ابن جبير لم ير مثلها لا قبلها ولا بعدها وقال عكرمة هى عنقاء مغرب وفى الخبر انها طير بين السماء والارض تعيش وتفرخ وقيل من طير السماء قيل جاءت عشية ثم صبحتهم مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه اكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز مخطط بحمرة كالجزع الظفارى وظفار كقطام بلد باليمن قرب صنعاء ينسب اليه الجزع وارسلت ريح فزادتها شدة فكان الحجر يقع على رأس كل واحد منهم فيخرج من أسفله وينفذ من الفيل ومن بعضهم فيخرق الارض وعلى كل حجر اسم من يقع عليه قال القاشانى والهام الوحوش والطيور أقرب من الهام الانسان لكون نفوسهم ساذجة وتأثير الاحجار بخاصية أودعها الله تعالى فيها ليس بمستنكر ومن اطلع على عالم القدرة وكشف له حجاب الحكمة عرف أمثال هذه وقد وقع فى زماننا مثله فى استيلاء الفأر على مدينة أبى يورد وافساد زروعهم ورجوعها فى البرية الى شط جيحون وأخذ كل واحدة منها خشبة من الايك التى على شط النهر وركوبها اياها وعبورها من النهر فهى لا تقبل التأويل كأحوال القيامة وأمثالها انتهى وعن عكرمة كل من أصابته الحجارة جدرته وفى الخبر ان أول ما وقعت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام فنفروا وهلكوا فى كل طريق ومنهل قال بعضهم فلم تصب منهم أحدا الا هلك وليس كلهم أصيب كما قال فى انسان العيون ثم ركب عبد المطلب لما استبطأ مجيء القوم الى مكة ينظر ما الخبر فوجدهم قد هلكوا أى غالبهم وذهب غالب من بقى فاحتمل ما شاء الله من صفراء وبيضاء ثم أعلم أهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا انتهى بعسق والذى سلم منهم ولى هاربا مع أبرهة الى اليمن يبتدر الطريق وصاروا يتساقطون بكل منهل (وقال الكاشفى) ويك نفس قوم أبرهه مستأصل شدند وآن يلان نيز همه هلاك كشتند

وقال بعضهم ولم يسلم الا كندى فقال

أكندة لو رأيت ولو ترينا * بجنب ربا المغمس ما لقينا

حسبنا الله أن قد بث طيرا * وظل سحابه يهمى علينا

وأخذ أبرهة داء اسقط أنامله وأعضاءه ووصل الى صنعاء كذلك وهو مثل فرخ الطير وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فملك اليمن ابنه يكسوم بن أبرهة وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه فأرى الله النجاشى كيف كان هلاك أصحابه وقال بعضهم همه هلاك شدند مگر ابرهه كه مرغى بر سر وى ايستاد و از مكه بيرون شد روى بحبشه نهاد و آن مرغ بر سر وى همى بود و وى ندانست تا در پيش نجاشى شد چون ابرهه صورت حال بعرض نجاشى رسانيد نجاشى از روى تعجب پرسيد كه چگونه مرغان بودند كه چندين مبارزان را هلاك كردند ابرهه را درين حال نظر بران مرغ افتاد گفت أى ملك يكى از ان مرغان اينست همان لحظه آن مرغ سنگى كه داشت بنام وى برسرش افكند و هم در نظر نجاشى هلاك شد و ازين صورت آيت عبرتى بر صحيفه دل نجاشى منقش گشت * نوشت خامهٔ تقدير بر جريدهٔ دهر * خطى كه فاعتبروا منه يا أولى الابصار * وعن عائشة رضى الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان الناس ويعلم من ذلك انهما من جملة من سلم من قوم أبرهة ولم يذهبا بل بقيا بمكة كما فى انسان العيون وفى حواشى ابن الشيخ كان عبد المطلب وأبو مسعود الثقفى يشاهدان من فوق الجبل عسكر أبرهة حين رماهم الطير بالحجارة فهلكوا فقال عبد المطلب لصاحبه صار القوم بحيث لا يسمع لهم ركز أى حس فانحطا من الجبل فدخلا المعسكر فاذا هم موتى فجمعا من الذهب والجواهر وحفر كل منهما لنفسه حفرة وملأها من المال وكان ذلك سبب غناهما وفى كلام سبط ابن الجوزى وسبب غنى عثمان بن عفان ان أباه عفان وعبد المطلب وأبا مسعود الثقفى لما هلك أبرهة وقومه كانوا أول من نزل مخيم الحبشة فأخذوا من أموال أبرهة وأصحابه شيأ كثيرا ودفنوه عن قريش فكانوا أغنياء قريش وأكثرهم مالا ولما مات عفان ورثه عثمان رضى الله عنه ثم انه يرد على ما ذكر أن الحجاج خرب مكة بضرب المنجنيق فلم يصبه شئ ولم يستعجل عذابه ويجاب بأن الحجاج لم يجئ لهدم الكعبة ولا لتخريبها ولم يقصد ذلك وانما قصد التضييق على عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ليسلم نفسه وفيه أنه قد يشكل كونه حرما آمنا وجاء فى حق الحجاج أن عليه نصف عذاب العالم ويرد عليه أيضا قصة القرامطة وهى ان أبا سعيد كبير القرامطة وهم طائفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومائتين يزعمون أن لا غسل من جنابة وحل الخمر وأنه لا صوم فى السنة الا يومى النيروز والمهرجان ويزيدون فى أذانهم وان محمد ابن الحنفية رسول الله وان الحج والعمرة الى بيت المقدس وافتتن بهم جماعة من الجهال وأهل البرارى وقويت شوكتهم حتى انقطع الحج من بغداد بسببه وسب ولده أبى طاهر فان ولده أبا طاهر بنى دارا فى الكوفة وسماها دار الهجرة وكثر فساده واستيلاؤه على البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هيبته من القلوب وكثرت أتباعه وذهب اليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بنى العباس غير مامرة وهو يهزمهم ثم ان المقتدر سير ركب الحاج الى مكة فوافاهم أبو طاهر يوم التروية فقتل

الحجيج بالمسجد الحرام وفى جوف الكعبة قتلا ذريعا وألقى القتلى فى بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه وأخذه معه وقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وسقفها وقسمه بين أصحابه وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد أن أقام بها أحد عشر يوما ومعه الحجر الاسود وبقى عند القرامطة أكثر من عشرين سنة وكان الناس يدفعون أيديهم محله للتبرك ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا حتى أعيد الى موضعه فى خلافة المطيع لامر الله وهو الرابع والعشرون من خلفاء بنى العباس بعد اشترائه منهم وجعل له طوق فضة شد به زنته ثلاثة آلاف وسبعمائة وتسعون درهما ونصف قال بعضهم تأملت الحجر وهو مقلوع فاذا السواد فى رأسه فقط وسائره أبيض وطوله قدر عظم الذراع وبعد القرامطة فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة قام رجل من الملاحدة وضرب الحجر الاسود ثلاث ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظيات مثل الاظفار وخرج مكسره فتات أسمر يضرب الى الصفرة محببا مثل حب الخشخاش فجمع بنو شيبة ذلك الفتات وعجنوه بالمسك واللك وحشوه فى تلك الشقوق وطلوه بطلاء من ذلك يقول الفقير لعل الجواب عن مثل هذا ان الاستئصال وما يقرب منه مرفوع عن هذه الامة وأكثر ما كان من خوارق العادات كان فى أيام الامم السالفة وليست الكعبة بأفضل من الانسان الكامل وقد جرت عادة الله على التسامح عن بعض من يعاديه بل يقتله وان كان اشتد غضبه عليه فهو يمهل ولا يهمل ولعنة الله على الظالمين (ألم يجعل كيدهم فى تضليل) الهمزة للتقرير وضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ونحوه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا فى ضلال وضل الماء فى اللبن اذا ذهب وغاب والمعنى قد جعل مكرهم وحيلتهم فى تعطيل الكعبة عن الزوار وتخريبها فى تضييع وابطال بأن أهلكهم أشنع اهلاك وجزاهم بعد اهلاكهم بمثل ما قصدوا حيث خرب كنيستهم قال فى انسان العيون لما أهلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابتهم الناس كلهم وقالوا هم أهل الله لان الله معهم ومزقت الحبشة كل ممزق وخرب ما حول تلك الكنيسة التى بناها ابرهة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات ومردة الجن وكل من أراد أن يأخذ منها شيأ اصابته الجن واستمرت كذلك الى زمن السفاح الذى هو أول خلفاء بنى العباس فذكر له أمرها فبعث اليها عامله الذى باليمن فخربها وأخذ خشبها المرصع بالذهب والآلات المفضضة التى تساوى قناطير من الذهب فحصل له منها مال عظيم وحينئذ عفا رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها (وأرسل عليهم طيرا) عطف على قوله ألم يجعل لان الهمزة فيه لانكار النفى كما سبق (أبابيل) صفة طيرا أى جماعات لانها كانت أفواجا فوجا بعد فوج متتابعة بعضها على اثر بعض أو من ههنا وههنا جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة بالفارسية دسته بزرك ازحطب شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل أبابيل مفرد كعباديد ومعناه الفرق من الناس الذاهبون فى كل وجه وكشماطيط ومعناه القطع المتفرقة وفيه أنه لو كانت مفردات لاشكل قول النحاة ان هذا الوزن من الجمع يمنع صرفه لانه لا يوجد فى المفردات (ترميهم بحجارة) صفة أخرى لطيرا وقرأ أبو حنيفة رحمه الله يرميهم أى الله أو الطير لانه اسم جمع تأنيثه باعتبار المعنى والحجارة جمع حجر بالتحريك بمعنى الصخرة والمعنى بالفارسية مى افكندند بدان اشكسته

بسنكها يقال رمى الشئ وبه ألقاه (من سجيل) من طين متحجر وهو الآجر معرب سنك كل وقال بعضهم متحجر من هذين الجنسين وهما سج الذى هو الحجر وجيل الذى هو الطين أو هو علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينا علم للديوان الذى تكتب فيه أعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود وسمى ورق الزرع بالعصف لان شأنه أن يقطع فتعصفه الرياح أى تذهب به الى هنا وهنا شبههم به فى فنائهم وذهابهم بالكلية أو من حيث انه حدث فيهم بسبب رميهم منافذ وشقوق كالزرع الذى أكله الدود ويجوز أن يكون المعنى كورق زرع أكل حبه فبقى صفرا منه فيكون من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أى كعصف مأكول الحب شبههم بزرع أكل حبه فى ذهاب أرواحهم وبقاء أجسادهم أو كتبن أكلته الدواب وألقته روثا فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث وفيه تشويه لحالهم ومبالغة حسنة وهو أنه لم يكتف بجعلهم أهون شئ فى الزرع وهو التبن الذى لا يجدى طائلا حتى جعلهم رجيعا الا أنه عبر عن الرجيع بالمأكول أو أشير اليه بأول حاله على طريق الكناية مراعاة لحسن الأدب واستهجانا لذكر الروث كما كنى بالاكل فى قوله تعالى كانا يأكلان الطعام عما يلزم الاكل من التبول والتغوط لذلك فدأب القرآن هو العدول عن الظاهر فى مثل هذا المقام قال بعض العارفين من كان اعتماده على غير الله أهلكه الله بأضعف خلقه ألا ترى ان أصحاب الفيل لما اعتمدوا على الفيل من حيث انه أقوى خلق الله أهلكهم الله بأضعف خلق من خلقه وهو الطير وكفته اند اكر پيل تو انى بود بارى از پشه كم مباش كه بر صورت پيل است پشه كو بيد كه اكر من بقوت پيل نيستم كه بارى كشم بارى بصورت پيلم كه بار خويش بركس نيفكنم وفيه اشارة الى أبرهة النفس المتصفة بصفة الفيل والحقد المجبولة فى خلقة الفيل كالسبعية فى السبع والكبر فى النمر فأرسل الله عليها طير الارواح حاملين أحجار الاذكار والاوراد فاكلتها أكل الاكلة وعصفت مزروعاتهم السيئة وبطل تلبيس طبيعتها الجسمانية التى كانت تدعو القوى اليها لان هذه الدعوة كانت بتزيين الشيطان فلا تقاوم دعوة الروح الى كعبة القلب التى كانت من الرحمن * هركه برشمع خدا آرد تفو * شمع كى ميرد بسوزد پوزاو * چون تو خفاشان بسى بينند خواب * كين جهان ماند يتيم از آفتاب * قوله مأكول يوقف عليه ثم يكبر ولا يوصل حذرا من الايهام

تمت سورة الفيل فى يوم الخميس سابع جمادى الاولى من سنة سبع عشرة ومائة وألف

(سورة الايلاف أربع آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لايلاف قريش) متعلق بقوله تعالى فليعبدوا وهو قول الزجاج والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى أن نعم الله عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة فالايلاف تعدية الالف مصدر من المبنى للمفعول مضاف الى مفعوله الاول مطلقا عن المفعول الثانى الذى هو الرحلة كما قيد به فى الايلاف الثانى يقال ألفت الشئ بالقصر وآلفته بالمد بمعنى لزمته ودمت عليه وما تركته فيكون كل من الالف والايلاف لازما ويقال أيضا

آلفته غيرى بالمد أى ألزمته اياه وجعلته يألفه فيكون متعديا قال فى تاج المصادر الايلاف الف دادن وألف كرفتن وضد الايلاف والايناس هو الايحاش وقيل متعلق بما قبله من قوله فجعلهم كعصف مأكول ويؤيده أنهما فى مصحف أبى رضى الله عنه سورة واحدة بلا فصل فيكون الايلاف بمعنى الالاف اللازم فالمعنى أهلك الله من قصدهم من الحبشة لان يألفوا هاتين الرحلتين ويجمعوا بينهما ويلزموا اياهما ويثبتوا عليهما متصلا لا منقطعا بحيث اذا فرغوا من ذه أخذوا فى ذه وبالعكس وذلك لان الناس اذا تسامعوا بذلك الاهلاك تهيبوا لهم زيادة تهيب واحترموهم فضل احترام فلا يجترئ عليهم أحد فينتظم لهم الامن فى رحلتيهم وكان لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشأم فيمتارون ويتجرون وكانوا فى رحلتيهم آمنين لانهم أهل حرم الله وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب وذلك أن قريشا اذا أصاب واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع وضربوا على أنفسهم خباء حتى يموتوا وكانوا على ذلك الى أن جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه فقام خطيبا فى قريش فقال انكم أحدثتم حدثا تقلون فيه وتذلون وأنتم أهل حرم الله وأشرف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بنى أب على الرحلتين فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشأم لان بلاد اليمن حامية حارة وبلاد الشأم مرتفعة باردة ليتجروا فيما بدا لهم من التجارات فما ربح الغنى قسم بينه وبين فقرائهم حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم يكن فى العرب بنو أب أكثر مالا ولا أعز من قريش وكان هاشم أول من حمل السمراء من الشام وقريش ولد النضر بن كنانة ومن لم يلده فليس بقرشى سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن وتقلبها وتضربها فتكسرها ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى والتصغير للتعظيم فكأنه قيل قريش عظيم وقال بعضهم الاوجه أن التصغير على حقيقته لانه اذا كان القرش دابة عظيمة والقرش مع صغر جثته جعل قرشا فهو لا محالة قريش وفيه ان جعل قريش قرشا لم يكن لمناسبة الجثة بل كان لوصف الآكلية وعدم المأكولية ووصف الغلبة وعدم المغلوبية وهذان الوصفان يوجدان فى تلك الدابة على وجه الكمال فلا معنى للتصغير الا التعظيم قال الزمخشرى سمعت بعض التجار بمكة ونحن قعود عند باب بنى شيبة يصف لى القرش فقال هو مدور الخلقة كما بين مقامنا هذا الى الكعبة ومن شأنه أن يتعرض للسفن الكبار فلا يرده شئ الا أن يأخذ أهلها المشاعل فيفزع على وجهه كالبرق وكل شئ عنده قليل الا النار وبه سميت قريش قال الشاعر

وقريش هى التى تسكن البحـ * ـر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ * ـرك فيه لذى جناحين ريشا
هكذا فى البلاد حى قريش * يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبى * يكثر القتل فيهم والخموشا

الخموش الخدوش وأكلا كميشا أى سريعا وفى القاموس قرشه يقرشه ويقرشه قطعه وجمعه من ههنا وههنا وضم بعضه الى بعض ومنه قريش لتجمعهم الى الحرم أو لانهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها أو لان النضر بن كنانة اجتمع فى ثوبه يوما فقالوا تقرش أو لانه جاء الى قومه

وقالوا

فقالوا كأنه جمل قريش أى شديدا أو لان قصيا كان يقال له القرشى أو لانهم كانوا يفتشون الحاج فيسدون خلتها أو سميت بصغر القرش وهو دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها أو سميت بقريش ابن مخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش والنسبة قرشى وقريشى انتهى (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) بدل من الاول ورحلة مفعول به لايلافهم وهى بالكسر الارتحال وبالضم الجهة التى يرحل اليها وأصل الرحلة السير على الراحلة وهى الناقة القوية ثم استعمل فى كل سير وارتحال وافرادها مع أنه أراد رحلتى الشتاء والصيف لأمن الالباس مع تناول اسم الجنس للواحد والكثير وفى اطلاق الايلاف عن المفعول أولا ثم ابدال المقيد منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه والشتاء الفصل المقابل للصيف وفى القاموس الشتاء أحد ارباع الازمنة والموضع المشتى والصيف القيظ أو بعد الربيع والقيظ صميم الصيف من طلوع الثريا الى طلوع سهيل (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم) بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا منهما بواسطة كونهم من جيرانه وسكان حرمه وقيل بدعوة ابراهيم عليه السلام يجبى اليه ثمرات كل شئ (من جوع) شديد كانوا فيه قبلهما وكان الجوع يصيبهم الى أن جمعهم عمرو العلاء وهو هاشم المذكور على الرحلتين قال أبو حيان من ههنا للتعليل أى لاجل الجوع وقال سعدى المفتى الجوع لا يجامع الاطعام والظاهر أنها للبدلية يقول الفقير الظاهر أن مآل المعنى نجاهم من الجوع بسبب الاطعام والترزيق (وآمنهم من خوف) عظيم لا يقادر قدره وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم وقال صاحب الكشاف الفرق بين عن ومن أن عن يقتضى حصول جوع قد زال بالاطعام ومن يقتضى المنع من لحاق الجوع والمعنى أطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف فيكون من لابتداء الغاية والمعنى أطعمهم فى بدء جوعهم قبل لحاقه اياهم وآمنهم فى بدء خوفهم قبل اللحاق ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من أن تكون الخلافة فى غيرهم كما فى الكشاف وعن ام هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل قريشا أى ذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة للبيت فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل أى على أصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفى لفظ عشر سنين لم يعبده أحد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم لايلاف قريش وتسمية لايلاف قريش سورة يرد ما قيل ان سورة الفيل ولايلاف قريش سورة واحدة فلينظر ما معنى عبادتهم لله دون غيرهم فى تلك المدة يقول الفقير أشار بقريش الى النفس المشركة وقواها الظالمة الخاطئة الساكنة فى البلد الانسانى الذى هو مكة الوجود وبالشتاء الى القهر والجلال وبالصيف الى اللطف والجمال وأعنى بالقهر والجلال العجز والضعف لان المقهور عاجز ضعيف وباللطف والجمال القدرة والقوة لان الملطوف به صاحب التمكين فاما عجز النفس وضعفها فعند عدم مساعدة هواها وأما قوتها وقدرتها فعند وجود المساعدة فهى وصفاتها ترتحل عند العجز والضعف الى يمن المعقولات لانها فى جانب يمين القلب وعند القوة والقدرة ترتحل الى شام المحسوسات لانها فى جانب شمال القلب الذى يلى الصدر فهى تتقلب بين نعم المعقولات ونعم المحسوسات ولا تشكرها بأن تقر بوحدة الوجود ورسالة رسول القلب كالفلاسفة

المتوغلة فى المعقولات والفراعنة المنهمكة فى المحسوسات ولذا قال تعالى فليعبدوا رب هذا البيت أى بيت القلب الذى هو الكعبة الحقيقية لانه مطاف الواردات والالهامات ومن ضرورة العبادة له الاقرار برسالة رسول الهدى الذى هو القلب فالبيت معظم مشرف مطلقا لاضافة الرب اليه فاطلب بعظمة الرب وجلاله وهيبته ورب القلب هو الاسم الجامع المحيط بجميع الاسماء والصفات وهو الاسم الاعظم الذى نيط به جميع التأثيرات العقلية والروحانية والعلية والغيبية أمروا بأن يكونوا تحت هذا الاسم لا تحت الاسماء الجزئية ليتخلصوا من الشرك ويتحققوا بسر وحدة الوجود فان الاسماء الجزئية تعطى التقييد والاسم الكلى يعطى الاطلاق ومن ثمة بعث النبى عليه السلام فى أم البلاد اشارة الى كليته وجمعيته وهذا الرب الجليل المفيض المعطى أزال عنهم جوع العلوم والفيوض وأطعمهم بها وآمنهم من خوف الهلاك من الجوع لان نفس الجاهل كالميت ولا شك أن الاحياء يخافون من الموت هكذا ورد بطريق الالهام من الله العلام

(سورة الماعون سبع أو ست آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت) يا محمد أى هل عرفت (الذى يكذب بالدين) أى بالجزاء أو بالاسلام يعنى آيا ديدى ودانستى آنكس راكه تكذيب ميكند بروز جزا ويا دين اسلام راياور غيبكند ان لم تعرفه أو ان اردت ان تعرفه (فذلك الذى يدع اليتيم) أى يدفعه دفعا عنيفا وبزجره زجرا قبيحا فهو جواب شرط محذوف على أن ذلك مبتدأ والموصول خبره وهو أبو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا فأيس الصبى فقال له أكابر قريش قل لمحمد يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء به وهو عليه السلام ما كان يرد محتاجا فذهب معه الى أبى جهل فقام أبو جهل وبذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا أصبوت فقال لا والله ما صبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة خفت ان لم أجبه يطعنها فى فالذى لا يهدو يحقق الجنس فيكون عاما لكل من كان مكذبا بالدين ومن شأنه أذية الضعيف ودفعه بعنف وخشونة لاستيلاء النفس السبعية عليه (ولا يحض) أى لا يبعث أهله وغيرهم من الموسرين (على طعام المسكين) أى على بذل طعام له يعنى بر طعام دادن درويش ومحتاج ويمنع المعروف عن المستحق لاستيلاء النفس البهيمية ومحبة المال واستحكام رذيلة البخل فانه اذا ترك حث غيره فكيف يفعل هو نفسه فعلم أن كلا من ترك الحث وترك الفعل من امارات التكذيب وفى العدول عن الاطعام الى الطعام واضافته الى المسكين دلالة على أن للمساكين شركة وحقا فى مال الاغنياء وأنه انما منع المسكين مما هو حقه وذلك نهاية البخل وقساوة القلب وخساسة الطبع فان قلت قد لا يحض المرء فى كثير من الاحوال ولا يعد ذلك اثما فكيف يذم به قلت اما لان عدم حضه لعدم اعتقاده بالجزاء واما لان ترك الحض كناية عن البخل ومنع المعروف عن المساكين ولا شبهة فى كونه محل الذم والتوبيخ كما أن منع الغير من الاحسان كذلك * چون ز كرم سفله بود دركران * منع كند از كرم ديكران * سفله نخواهد دكرى را بكام * خس نكذارد مكسى را بجام (فويل) الفاء لربط ما بعدها بشرط محذوف كأنه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من

دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل أى شدة العذاب (للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) السهو خطأ عن غفلة وذلك ضربان أحدهما أن لا يكون من الانسان جوالبه ومولداته كمجنون سب انسانا والثانى أن يكون منه مولداته كمن شرب خمرا ثم ظهر منه منكر لا عن قصد الى فعله فالاول معفو عنه والثانى مأخوذ به ومنه ما ذم الله فى الآية والمعنى ساهون عن صلاتهم سهو تركهم لها وقلة التفات اليها وعدم مبالاة بها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة من المؤمنين وهو معنى عن ولذا قال أنس رضى الله عنه الحمد لله على ان لم يقل فى صلاتهم وذلك أنه لو قال فى صلاتهم لكان المعنى ان السهو يعتريهم وهم فيها اما بوسوسة شيطان أو بحديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم والخلوص منه عسير ولما نزلت هذه الآية قال عليه السلام هذه خير لكم من أن يعطى كل واحد منكم مثل جميع الدنيا فان قلت هل صدر عن النبى عليه السلام سهو قلت نعم كما قال (شغلونا عن صلاة العصر) أى يوم الخندق (ملأ الله قلوبهم نارا) وأيضا سها عن صلاة الفجر ليلة التعريس وأيضا صلى الظهر ركعتين ثم سلم فقال له أبو بكر رضى الله عنه صليت ركعتين فقام وأضاف اليهما ركعتين لكن سهوه عليه السلام فيما ذكر وفى غيره ليس كسهو سائر الخلق وأين مثله عليه السلام وهو فى الاستغراق والانجذاب دائما وقد قال تنام عيناى ولا ينام قلبى وفيه اشارة الى السهو عن شهود لطائف الصلاة والغفلة عن اسرارها وعلومها وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه لاهون مكان ساهون فعلى العاقل ان لا يفوته الصلاة التى هى من باب المعراج والمناجاة ولا يعبث فيها باللحية والثياب ولا يكثر التثاؤب والالتفات ونحوهما ومن المصلين من لا يدرى عن كم انصرف ولا ما قرأ من السورة (الذين هم يراؤن) أى يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليها فان قلت فحينئذ يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لان الثناء لا يتعلق به الرؤية البصرية قلت هو محمول على عموم المجاز أو على جعل الاراءة من الرؤية بمعنى المعرفة قال فى الكشاف والعمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام ولا غمة فى فرائض الله لانها أعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه أن يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه وان أظهره قاصدا للاقتداء فيه كان جميلا وانما الرياء أن يقصد أن تراه الاعين فتثنى عليه بالصلاح واجتناب الرياء صعب لانه أخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة المظلمة على المسح الاسود * كاسه دردو زخست آن غماز * كه درچشم مردم كزارى دراز * والفرق بين المرائى والمنافق أن المنافق يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائى يظهر زيادة الخشوع وآثار الصلاح ليعتقد من يراه أنه من أهل الصلاح وحقيقة الرياء طلب ما فى الدنيا بالعبادة وفيه اشارة الى أن من يضيف أعماله وأحواله الى نفسه الظلمانية فهو مراء (ويمنعون الماعون) من المعن وهو الشئ القليل وسميت الزكاة ماعونا لانه يؤخذ من المال ربع العشر وهو قليل من كثير وقال أبو الليث الماعون بلغة الحبشة المال وفى برهان القرآن قوله الذين هم ثم بعده الذين هم كرر ولم يقتصر على مرة واحدة لامتناع عطف الفعل على الاسم ولم يقل الذين هم يمنعون لانه فعل فحسن العطف على الفعل وهذه دقيقة انتهى والمعنى ويمنعون الزكاة كما دل عليه ذكره عقيب الصلاة وما يتعاور عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث

كان من عدم الاعتقاد بالجزاء موجب للذم والتوبيخ نعدم المبالاة بالصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الحق أحق بذلك وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيامصيبتاه والمراد بما يتعاوره عادة أى يتداوله الناس بالعارية ويعين بعضهم بعضا باعارته هو مثل الفاس والقدر والدلو والابرة والقصعة والغربال والقدوم والمقدحة والنار والماء والملح ومن ذلك أن يلتمس جارك أن يخبز فى تنورك أو يضع متاعه عندك يوما أو نصف يوم عن عائشة رضى الله عنها انها قالت يارسول الله ما الذى لا يحل منعه قال الماء والنار والملح فقالت يارسول الله هذا الماء فما بال النار والملح قال لها ياحميراء من أعطى نارا فكأنما تصدق بجميع ماطبخ بتلك النار ومن أعطى ملحا فكأنما تصدق بجميع ماطيب بذلك الملح ومن سقى شربة من الماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحيا نفسا كما فى كشف الاسرار وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا فى الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا فى المروأة فى غير حال الضرورة وفى عين المعانى فلما منعوا منعوا من الكوثر ففى الآية الزجر عن البخل الذى هو صفة المنافقين

(تمت سورة الماعون يوم عيد المؤمنين)

(سورة الكوثر ثلاث آيات مكية أو مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا) ان جار مجرى القسم فى تأكيد الجملة (أعطيناك) بصيغة الماضى مع أن العطايا الاخروية وأكثر ما يكون فى الدنيا لم تحصل بعد تحقيقا للوقوع بها (الكوثر) أى الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين فوعل من الكثرة كنوفل من النفل وجوهر من الجهر قيل لاعرابية آب ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر أى بالعدد الكثير من الخير قال فى القاموس الكوثر الكثير من كل شئ وفى المفردات وقد يقال للرجل السخى كوثر ويقال تكوثر الشئ كثر كثرة متناهية وروى عنه عليه السلام أنه قرأها فقال أتدرون ما الكوثر انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء لا يظمأ من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء المهاجرين الدنس الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج فى صدره لو أقسم على الله لأبره وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير ان ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير وعن عائشة رضى الله عنها من أراد أن يسمع خرير الكوثر فليدخل اصبعيه فى أذنيه وقال عطاء هو حوضه لكثرة وارديه وفى الحديث حوضى ما بين صنعاء الى ايلة على احدى زواياه أبو بكر وعلى الثانية عمر وعلى الثالثة عثمان وعلى الرابعة على فمن أبغض واحدا منهم لم يسقه الآخر فيكون الحوض فى المحشر والاظهر أن جميع نعم الله داخلة فى الكوثر ظاهرة أو باطنة فمن الظاهرة خيرات الدنيا والآخرة ومن الباطنة العلوم اللدنية الحاصلة بالفيض الالهى بغير اكتساب بواسطة القوى الظاهرة والباطنة صاحب تأويلات فرموده كه كوثر معرفت كثرتست بوحدت وشهود وحدت درعين كثرت واين نهريست دربستان

معرفت هركه از وى برابر شد ابد از تشنكى جهالت ايمن ست واين معنى خاصهٔ حضرت رسالت
عليه السلام وكمل أولياء امت او (فصل لربك وانحر) أى وانحر له فحذف اكتفاء بما قبله والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه السلام ما ذكر من العطية التى لم يعطها
ولن يعطيها أحدا من العالمين مستوجب للمأمور به أى استيجاب والنحر فى اللبة كالذبح فى
الحلق والمعنى فدم على الصلاة لربك الذى أفاض عليك هذه النعمة الجليلة التى لا تضاهيها نعمة
خالصا لوجهه كما دل عليه اللام الاختصاصية خلافا للساهين عنها المرائين فيها أداء لحقوق
شكرها فان الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر وهى ثلاثة الشكر بالقلب وهو أن يعلم أن تلك
النعم منه لا من غيره والشكر باللسان وهو أن يمدح المنعم ويثنى عليه والشكر بالجوارح وهو أن
يخدمه ويتواضع له والصلاة جامعة لهذه الاقسام وانحر البدن التى هى خيار أموال العرب
باسمه تعالى يعنى وشتر قربان كن براى وى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم
الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية
وهذا يناسب كون السورة مدنية وعن عطية هى صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى * مصطفى را
عليه السلام پرسيدند كه اكر كسى درويش بود وطاقت قربان ندارد چگونه كند تا ثواب قربان
ورا حاصل شود گفت چهار ركعت نماز كند در هر ركعتى يكبار الحمد خواند ويازده بار انا
أعطيناك الكوثر الله تعالى اورا ثواب شصت قربان در ديوان وى ثبت كند كما فى كشف الاسرار
وعن على رضى الله عنه النحر ههنا وضع اليدين فى الصلاة على النحر وعن سليمان التيمى ارفع
يديك بالدعاء الى نحرك وفى التأويلات النجمية وانحر بدن أنانيتك وأنيتك بوضع يدك اليمنى
الروحانية على يدك اليسرى الجسمانية على نحرك المشروح بسيف نص ألم نشرح لك صدرك (ان
شانئك) يقال شنأه كمنعه وسمعه شنأ أبغضه أى مبغضك (هو) للفصل (الابتر) لبغضك لانّ نسبة
أمر الى المشتق تفيد علية المأخذ والبغض ضد الحب والبتر يستعمل فى قطع الذنب ثم أجرى
قطع العقب مجراه فقيل فلان أبتر اذا لم يكن له عقب يخلفه والمعنى هو الذى لا عقب له حيث
لا يبقى له نسل ولا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة
آثار اقتدار تو تا حشر متصل * خصم سياه روى تو بى حاصل وخجل * ولك فى الآخرة ما لا يندرج
تحت البيان وذلك أنهم زعموا حين مات ابنه عليه السلام القاسم وعبد الله بمكة وابراهيم بالمدينة
ان محمدا صلى الله عليه وسلم ينقطع ذكره اذا انقطع عمره لفقدان نسله فنبه الله أن الذى ينقطع
ذكره هو الذى يشنؤه فاما هو فكما وصفه الله تعالى ورفعنا لك ذكرك وذلك انه أعطاه نسلا يبقون
على مر الزمان فانظر كم قتل من أهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم وجعله أبا المؤمنين فهم أعقابه
وأولاده الى يوم القيامة وقيض لهم من يراعيه ويراعى دينه الحق والى هذا المعنى أشار أمير
المؤمنين رضى الله عنه العلماء باقون ما بقى الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم فى القلوب موجودة
هذا فى العلماء الذين هم اتباعه عليه السلام فكيف هو وقد رفع الله ذكره وجعله خاتم الانبياء عليهم
السلام وفى التأويلات النجمية ان شانئك هو الابتر وهو حمار النفس المبتور ذنب نسله وعقبه
فانّ أولاد الاعمال الصالحة والاحوال الصادقة والاخلاق الروحانية والاوصاف الربانية
أولاد دلك يا رسول القلب واتباعك وأشياعك وأعوانك يقول الفقير أيده الله القدير وردت على

سورة الكوثر وقت الضحى بعد القيلولة والاشارة فيها انا بجميع أسمائنا اللطفية الجمالية الاكرامية أعطيناك يا محمد القلب ورسول الهدى المبعوث الى جميع القوى بالخير والهدى الكوثر وهو العلم الكثير الفائض من منبع الاسم الرحمن فانار بحناك بهذه الرحمة العامة الشاملة لجميع الرحمات فلذا صرت مظهر الرحمة الكلية فى جميع المواطن فلك علم الاحكام وعلم الحقائق فصل فى مسجد الفناء والتسليم وهو المسجد الابراهيمى لربك أى اشكر ربك ولادامة شهوده وابقاء حضوره معك فى جميع الحالات وانحر بدنة البدن فى طريق الخدمة وبدنة الطبيعة فى طريق العفة وبدنة النفس فى طريق الفتوة ان شانئك أى مبغضك من القوى الشريرة الانفسية والآفاقية هو الابتر المقطوع أعقابه وآخره كما قال تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين الذى ربى أولياءه فجعل لهم الوصل كما جعل لاعدائهم القطع ثم ان قوله هو الابتر يوقف عليه ثم يقال الله أكبر ولا يوصل بالتكبير حذرا من الايهام

(سورة الكافرين ست آيات مكية أو مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل يا أيها الكافرون) قالوا فى مناداتهم بهذا الوصف الذى يسترذلونه فى بلدتهم ومحل عزهم وشوكتهم ايذان بأنه عليه السلام محروس منهم ففيها علم من أعلام النبوة وفى التعبير بالجمع الصحيح دلالة على قلتهم أو حقارتهم وذلتهم وهم كفرة مخصوصة كالوليد بن المغيرة وأبى جهل والعاص بن وائل وأمية بن خلف والاسود بن عبد يغوث والحرث بن قيس ونحوهم قد علم الله أنه لا يأتى ولا يتأتى منهم الايمان أبدا على ما هو مضمون السورة فالخطاب للرسول عليه السلام بالنسبة الى قوم مخصوصين فلا يرد أن مقتضى هذا الامر أن يقول كل مسلم ذلك لكل جماعة من الكفار مع ان الشرع ليس كذلك روى ان رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا استلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه وفيه اشارة الى الذين ستروا نور استعدادهم الاصلى بظلمة صفات النفوس وآثار الطبيعة فحجبوا عن الحق بالغير (لا أعبد ما تعبدون) أى فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال ألا ترى ان لن تأكيد فيما ينفيه لا قال الخليل فى ان أصله لا والمعنى لا أفعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى ولا أنتم فاعلون فى المستقبل ما أطلب منكم من عبادة الهى والمراد ولا أنتم عابدون عبادة يعتد بها اذ العبادة مع اشراك الانداد لا تكون فى حيز الاعتداد (ولا أنا عابد ما عبدتم) أى وما كنت عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه أى لم يعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف يرجى منى فى الاسلام (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى وما عبدتم فى وقت من الاوقات ما أنا على عبادته وهو الله تعالى فليس فى السورة تكرار وقيل هاتان الجملتان لنفى العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله ومشتهرا بكونه عابد الله على

سبيل الامتثال لامره يعنى على ما يقتضيه جعل العبادة صلة للموصول ثم عدم الموسومية بشئ
لا يقتضى عدم ذلك الشئ فلا يلزم أن لا يكون عليه السلام عابد الله قبل البعثة بل يكون
ما وقع منه قبلها من قبيل الجرى على العادة المستمرة القديمة وفى القاموس كان عليه السلام على
دين قومه على ما بقى فيهم من ارث ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فى حجهم ومناكحهم وبيوعهم
وأساليبهم وأما التوحيد فانهم كانوا بدلوه والنبى عليه السلام لم يكن الا عليه انتهى وايثار ما فى
ما أعبد على من لان المراد هو الوصف كأنه قيل ما أعبد من المعبود العظيم الشأن الذى لا يقادر
قدر عظمته (لكم دينكم) تقرير لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم
(ولى) بفتح ياء المتكلم (دين) بحذف الياء اذ أصله دينى وهو تقرير لقوله تعالى ولا أنتم عابدون
ما أعبد والمعنى ان دينكم الذى هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لى
أيضا كما تطمعون فلا تعلقوا به أمانيكم الفارغة فان ذلك من المحال وان دينى الذى هو التوحيد
مقصور على الحصول لى لا يتجاوز الى الحصول لكم أيضا لانكم علقتموه بالمحال الذى هو عبادتى
لآلهتكم أو استلامى اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا
سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين فى كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند
قصر افراد حتما وفى عين المعانى ونحوه هو منسوخ بآية السيف وقال أبو الليث وفيها دليل على
ان الرجل اذا رأى منكرا أو سمع قولا منكرا فأنكره ولم يقبلوا منه لا يجب عليه أكثر من ذلك
وانما عليه مذهبه وطريقته وتركهم على مذهبهم وطريقهم يقول الفقير وردت على هذه السورة
وكأنى اقرؤها فى صلاة العصر بصوت جهورى حتى أسمعتها جميع ما فى الكون واشارتها قل
يا محمد القلب يا أيها الكافرون أى القوى النفسانية الساترة للتوحيد بالشرك والطاعة بالمعصية
والوحدة بالكثرة والوجود الحقيقى بالوجود المجازى ونور الحقيقة الوجوبية بظلمة الحقيقة
الامكانية لا أعبد ما تعبدون من الاصنام التى يعبر عنها بما سوى الله فانى مأمور بالايمان بالله
والكفر بالطاغوت وكل ما سوى الله من قبيل الطاغوت والاله المجعول المقيد فلا يستحق
العبادة الا الله المطلق عن الاطلاق والتقييد ولا أنتم عابدون ما أعبد وهو الله الواحد القهار
الذى قهر بوحدته جميع الكثرات ولكن لا يقف عليه الا أهل الوحدة والشهود وأنتم أهل
الكثرة والاحتجاب فأنى لكم هذا الوقوف ولا أنا عابد ما عبدتم من التلوينات والتقلبات فى
الكثرات الاسمائية والصفاتية ولا أنتم عابدون ما أعبد من التمكين والتحقيق وكذا من التلوين
فى التمكين فانه من مقتضيات ظهور حقائق جميع الاسماء وليس فيه ميل وانحراف عن الحق
أصلا بل فيه بقاء مع الحق فى كل طور لكم دينكم الذى هو الايمان بالطاغوت والكفر بالله وهو
الدين الذى يجب التبرى منه ولى دين الذى هو الايمان بالله والكفر بالطاغوت وهو الدين الذى
يجب التعلق بأحكامه والتخلق بأخلاقه والتحقق بحقائقه هذا لحقائق القرآن ليست بمنسوخة
أبدا بل العمل بها باق * عن ابن عباس رضى الله عنهما فرموده درقرآن سوره نيست بر شيطان
سختتر ازين سوره زيرا كه توحيد محضست ودروبرائت از شرك فمن قرأها برئ من الشرك
وتباعد عنه مردة الشياطين وأمن من الفزع الاكبر وهى تعدل ربع القرآن فى الحديث
مروا صبيانكم فليقرؤها عند المنام فلا يعرض لهم شئ ومن خرج مسافرا فقرأ هذه السور

الخمس قل يا أيها الكافرون اذا جاء نصر الله قل هو الله أحد قل أعوذ برب الفلق قل أعوذ برب الناس رجع سالما غانما

(تمت سورة الكافرين بعون ناصر المؤمنين)

(سورة النصر ثلاث آيات مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاء نصر الله) أى اعانته تعالى واظهاره اياك على أعدائك فان قلت لاشك ان ماوقع من الفتوح كان بنصرة المؤمنين فما وجه اضافتها الى الله قلت لان أفعالهم مستندة الى دواعى قلوبهم وهى أمور حادثة لابد لها من محدث وهو الله تعالى فالعبد هو المبدأ الاقرب والله هو المبدأ الاول والخالق للدواعى وما ينبنى عليها من الافعال والعامل فى اذا هو سبح أى فسبح اذا جاء نصر الله ولا يمنع الفاء عن العمل على قول الاكثرين أو فعل الشرط وليس اذا مضافا اليه على مذهب المحققين واذا لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة لما روى أن السورة نزلت قبل فتح مكة كما عليه الاكثر (والفتح) أى فتح مكة على أن الاضافة واللام للعهد وهو الفتح الذى تطمح اليه الابصار ولذلك سمى فتح الفتوح ووقع الوعد به فى أول سورة الفتح وقد سبقت قصة الفتح فى تلك السورة وقيل جنس نصر الله ومطلق الفتح على ان الاضافة واللام للاستغراق فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها أم القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجىء سائر الفتوح وعلق به أمره عليه السلام وأنهما على جناح الوصول اليه عن قريب ويمكن أن يقال التعبير للاشارة الى حصول نصر الله بمجىء جنديهم النصر وقيل نزلت السورة فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع وعاش عليه السلام بعدها ثمانين يوما أو نحوها فكلمة اذا حينئذ باعتبار أن بعض مافى حيزها أعنى رؤيته دخول الناس الخ غير منقض بعد وقال سعدى المفتى وعلى هذه الرواية فكلمة اذا تكون خارجة عن معنى الاستقبال فانها قد تخرج عنه كما قيل فى قوله تعالى واذا رأوا تجارة الآية وفى المصطلحات ان الفتوح كل ما يفتح على العبد من الله تعالى بعد ما كان مغلقا عليه من النعم الظاهرة والباطنة كالارزاق والعبادات والعلوم والمعارف والمكاشفات وغير ذلك والفتح القريب هو ما انفتح على العبد من مقام القلب وظهور صفاته وكمالاته عند قطع منازل النفس وهو المشار اليه بقوله نصر من الله وفتح قريب والفتح المبين هو ما يفتح على العبد من مقام الولاية وتجليات أنوار الاسماء الالهية المفنية لصفات القلب وكمالاته المشار اليه بقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر يعنى من الصفات النفسانية والقلبية والفتح المطلق هو أعلى الفتوحات وأكملها وهو ما انفتح على العبد من تجلى الذات الاحدية والاستغراق فى عين الجمع بفناء الرسوم الخلقية كلها وهو المشار اليه بقوله اذا جاء نصر الله والفتح انتهى وقد سبق بعبارة أخرى فى سورة الفتح وعلى هذا فالمراد بالنصر هو المدد الملكوتى والتأييد القدسى بتجليات الاسماء والصفات وبالفتح هو الفتح المطلق الذى لافتح وراءه وهو فتح باب الحضرة الالهية الاحدية والكشف الذاتى ولاشك ان الفتح الاول هو فتح ملكوت الافعال فى مقام القلب بكشف حجاب حس النفس بافناء أفعالها فى أفعال الحق والثانى هو فتح جبروت الصفات فى مقام الروح بكشف حجاب خيالها بافناء صفاتها فى صفاته

والثالث هو فتح لاهوت الذات فى مقام السر بكشف حجاب وهمها بافنائها ذاتها فى ذاته ومن حصل له هذا النصر والفتح الباطنى حصل له النصر والفتح الظاهرى أيضا لان النصر والفتح من باب الرحمة وعند الوصول الى نهاية النهايات لا يبقى من السخط اثر اصلا ويستوعب الظاهر والباطن أثر الرحمة مطلقا ومن ثمة تفاوت أحوال الكمل بداية ونهاية فظهر من هذا ان كلا من النصر والفتح فى الآية ينبغى أن يحمل على ما هو المطلق لكن اقتفيت أثر أهل التفسير فى تقديم ما هو المقيد لكنه قول مرجوح تسامح الله عن قائله (ورأيت الناس) أبصرتهم أو علمتهم يعنى العرب واللام للعهد أو الاستغراق العرفى جعلوه خطابا للنبى عليه السلام ويحتمل الخطاب العام لكل من وحينئذ يظهر جواب آخر عن أمر النبى عليه السلام بالاستغفار مع أنه لا تقصير له اذ الخطاب لا يخصه فالامر بالاستغفار لمن سواه وادخاله فى الامر تغليب (يدخلون فى دين الله) أى ملة الاسلام التى لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على تقدير الرؤية البصرية حال وعلى تقدير الرؤية القلبية مفعول ثان وقال بعضهم ومما يختلج فى القلب أن المناسب لقوله يدخلون الخ أن يحمل قوله والفتح على فتح باب الدين عليهم (أفواجا) حال من فاعل يدخلون أى يدخلون فيه جماعات كثيرة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روى أنه عليه السلام لما فتح مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر بأهل الحرم فلن يقاومه أحد وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل ومن كل من أرادهم فكانوا يدخلون فى دين الاسلام أفواجا من غير قتال (قال الكاشفى) در سال نزول اين سوره تتابع وفود بود چون بنى أسد وبنى مرة وبنى كعب وبنى كنانة وبنى هلال وغير ايشان از انحا واطراف بخدمت آن حضرت آمده بشرف اسلام مشرف شدند قال أبو عمر بن عبد البر لم يمت رسول الله عليه السلام وفى العرب رجل كافر بل دخل الكل فى الاسلام بعد حنين منهم من قدم ومنهم من قدم وافده وقال ابن عطية والمراد والله أعلم العرب عبدة الاوثان وأما نصارى بنى تغلب فما أسلموا فى حياته عليه السلام ولكن أعطوا الجزية وفى عين المعانى الناس أهل اليمن قال عليه السلام الايمان يمان والحكمة يمانية وقال وجدت نفس ربكم من جانب اليمن أى تنفيسه من الكرب وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه بكى ذات يوم فقيل له فى ذلك فقال سمعت رسول الله عليه السلام يقول دخل الناس فى دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا (فسبح بحمد ربك) التسبيح مجاز عن التعجب بعلاقة السببية فان من رأى أمرا عجيبا يقول سبحان الله قال ابن الشيخ لعل الوجه فى اطلاق هذه الكلمة عند التعجب كما ورد فى الاذكار ولكل أعجوبة سبحان الله هو أن الانسان عند مشاهدة الامر العجيب الخارج عن حد أمثاله يستبعد وقوعه وتنفعل نفسه منه كأنه استقصر قدرة الله فلذلك خطر على قلبه أن يقول من قدر عليه وأوجده ثم انه فى هذا الزعم مخطئ فقال سبحان الله تنزيها لله عن العجز عن خلق أمر عجيب يستبعد وقوعه لتيقنه بأن الله على كل شئ قدير قال الامام السهيلى رحمه الله سر اقتران الحمد بالتسبيح أبدا نحو وسبح بحمد ربك وان من شئ الا يسبح بحمده ان معرفة الله تنقسم قسمين معرفة ذاته ومعرفة أسمائه وصفاته ولا سبيل الى اثبات أحد القسمين دون الآخر واثبات وجود الذات من مقتضى العقل واثبات الاسماء والصفات من مقتضى الشرع فبالعقل عرف المسمى وبالشرع عرفت الاسماء ولا يتصور

فى العقل اثبات الذات الامع نفى سمات الحدوث عنها وذلك هو التسبيح ومقتضى العقل مقدم على مقتضى الشرع وانما جاء الشرع المنقول بعد حصول النظر والعقول فنبه العقول على النظر فعرفت ثم علمها مالم تكن تعلم من الاسماء فانضاف لها التسبيح والحمد والثناء فما أمرنا تسبيحه الا بحمده انتهى ومعنى الآية فقل سبحان الله حال كونك متلبسا بحمده أى فتعجب لتيسير الله مالم يخطر ببال أحد من أن يغلب أحد على أهل حرمه المحترم واحمده على جميع صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر وأما على الثانية فلعله أمر بأن يداوم على ذلك استعظاما للنعمة لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح وقال بعضهم والاشبه أن يراد نزهه عن العجز فى تأخير ظهور الفتح واحمده على التأخير وصفه بأن توقيت الامور من عنده ليس الا بحكم لا يعرفها الا هو انتهى أو فاذكره مسبحا حامدا وزد فى عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك أو فصل له حامدا على نعمه فالتسبيح مجاز عن الصلاة بعلاقة الجزئية لانه اشتمل عليه فى الاكثر (روى) أنه عليه السلام لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثمانى ركعات وحملها بعضهم على صلاة الشكر لا على صلاة الضحى وبعضهم على أن أربعا منها للشكر وأربعا للضحى أو فنزهه عما يقول الظلمة حامدا له على أن صدق وعده أو فأثن على الله بصفات الجلال يعنى الصفات السلبية حامدا له على صفات الاكرام يعنى الصفات الثبوتية أى على آثارها أو على تنزيلها منزلة الاوصاف الاختيارية لكفاية الذات المقدس فى الاتصاف بها فان المحمود عليه يجب أن يكون أمرا اختياريا وقال القاشانى نزه ذاتك عن الاحتجاب بمقام القلب الذى هو معدن النبوة بقطع علاقة البدن والترقى الى مقام حق اليقين الذى هو معدن الولاية حامدا له باظهار كمالاته وأوصافه التامة عند التجريد بالحمد الفعلى (واستغفره) هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى أو استغفره لذنبك وللمؤمنين وهو المناسب لما فى سورة محمد وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق حيث لم تشتغل عن رؤية الناس باستغفارهم أولا مع أن رؤيتهم تستدعى ذلك بل اشتغل أولا بتسبيح الله وحمده لانه رأى الله قبل رؤية الناس كما قيل مارأيت شيأ الا ورأيت الله قبله وذلك لان الناس مرآة العارف وصاحب المرآة يتوجه أولا الى المرئى وبرؤية المرئى تلتفت نفسه الى المرآة ولك أن تقول ان فى التقديم المذكور تعليم أدب الدعاء وهو أن لا يسأل فجأة من غير تقديم الثناء على المسؤل عنه عن عائشة رضى الله عنها أنه كان عليه السلام يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك وعنه عليه السلام انى لاستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة ومنه يعلم أن ورد الاستغفار لا يسقط أبدا لانه لا يخلو الانسان عن الغين والتلوين (وروى) انه لما قرأها النبى عليه السلام على أصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك اى ألقى اليك خبر موت نفسك والنعى القاء خبر الموت قال عليه السلام انها لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس رضى الله عنهما هو الذى قال ذلك فقال عليه السلام لقد أوتى هذا الغلام علما كثيرا ولذلك كان عمر يدنيه ويأذن له مع أهل بدر ولعل ذلك للدلالة على تمام أمر الدعوة وتكامل امر الدين كقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم والكمال دليل الزوال كما قيل * توقع زوالا اذا قيل تم * أو لان الامر

بالاستغفار تنبيه على قرب الاجل كأنه قال قرب الوقت ودنا الرحيل فتأهب للامر ونبه به على ان العاقل اذا قرب أجله ينبغي ان يستكثر من التوبة (وروى) أنه لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم أبو بكر رضى الله عنه فقال فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا وعنه عليه السلام أنه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الى نفسي يعني خبر وفات من دهند * نامه رسيد از ان جهان بهر مراجعت برم * عزم رجوع ميكنم رخت بچرخ ميبرم * فبكت فقال لا تبكي فانك أول أهلي لحوقا بي فضحكت وعن ابن مسعود أن هذه السورة تسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا قال علي رضي الله عنه لما نزلت هذه السورة مرض رسول الله عليه السلام فخرج الى الناس فخطبهم وودعهم ثم دخل المنزل فتوفي بعد أيام قال الحسن رحمه الله أعلم انه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالعمل الصالح وفيه تنبيه لكل عاقل (انه كان توابا) مبالغا في قبول توبتهم منذ خلق المكلفين فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول وذلك أن قبول التوبة من الصفات الاضافية ولا منازعة في حدوثها فاندفع ما يرد أن المفهوم من الآية انه تعالى تواب في الماضي وكونه توابا في الماضي كيف يكون علة للاستغفار في الحال والمستقبل وفي اختيار انه كان توابا على غفارا مع أنه الذي يستدعيه قوله واستغفره حتى قيل وتب مضمر بعده والا لقال غفارا تنبيه على أن الاستغفار انما ينفع اذا كان مع التوبة والندم والعزم على عدم العود ثم ان من أضمر وتب يحتمل أنه جعل الآية من الاحتباك حيث دل بالامر بالاستغفار على التعليل بأنه كان غفارا وبالتعليل بأنه كان توابا على الامر بالتوبة أي استغفره وتب * ذكر البرهان الرشيدي ان صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة كلها مجاز لانها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لان المبالغة أن يثبت للشيء أكثر مما له وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسنه الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله وقال الزركشي في البرهان التحقيق ان صيغة المبالغة قسمان أحدهما ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل والثاني بحسب تعدد المفعولات ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة اذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين وعلى هذا القسم تنزل صفاته ويرفع الاشكال ولهذا قال بعضهم في حكيم معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة الى الشرائع وقال في الكشاف المبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه أو لانه بليغ في قبول التوبة بحيث ينزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه

(تمت سورة النصر بعون من أقسم بالعصر بعد ظهر يوم السبت)

(سورة المسد خمس آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبت) أي هلكت فان التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة أم تابة أي هالكة من الهرم والعجز أو خسرت فان التباب أيضا خسران يؤدي الى الهلاك (يدا أبي لهب) تثنية يد واللهب واللهيب اشتعال النار اذا خلص من الدخان أو لهبها لسانها ولهيبها حرها وأبو لهب وتسكن الهاء كنية عبد العزى بن عبد المطلب لجماله أو لماله كما في القاموس يعني ان التكني لاشراق وجنتيه وتلهبهما والا فليس له ابن يسمى باللهب وايثار التباب على الهلاك واسناده الى يديه لما روى أنه لما نزل

وأنذر عشيرتك الاقربين رقي رسول الله عليه السلام الصفا وجمع أقاربه فأنذرهم فقال يا بني عبد
المطلب يا بني فهر ان أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم يعني اكرمن
شمارا خبر كنم با آنكه در پاى اين كوه جمعى آمده اند بداعيه آنكه بر شما شبيخون كرده دست بقتل
وغارت بكشايند مرا دران تصديق مكنيد يا نه كفتند چرا نكنيم و تو پيش ما بدروغ متهم نشدهٔ
قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال عمه أبو لهب تبا لك يعني هلاكت باد ألهذا دعوتنا وأخذ
حجرا بيده ليرميه عليه السلام به فنعه الله من ذلك حيث لم يستطع أن يرميه فلا كناية في ذكر اليدين
ووجه وصف يديه بالهلاك ظاهر وأما وصفهما بالخسران فلرد ما اعتقده من نفعه وربحه في أذية
رسول الله عليه السلام ورميه بالحجر وذكر في التأويلات الماتريدية انه كان كثير الاحسان الى
رسول الله عليه السلام وكان يقول ان كان الامر لمحمد فيكون لي عنده يد وان كان لقريش فلي
عندها يد فأخبر أنها خسرت يده التي كانت عند محمد عليه السلام بعناده له ويده التي عند قريش
أيضا لخسران قريش وهلاكهم في يد محمد (وتب) أي وهلك كله فهو اخبار بعد اخبار والتعبير
بالماضي لتحقق وقوعه وقيل المراد بالاولى هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة
على أن ذكر اليد كناية عن النفس والجملة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل ويؤيده قراءة من قرأ
وقد تب فان كلمة قد لا تدخل على الدعاء وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك والمراد بيان استحقاقه
لان يدعى عليه بالهلاك فان حقيقة الدعاء شأن العاجز وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره
بكنيته فليست للتكريم أو لكراهة ذكر اسمه القبيح اذ فيه اضافة الى الصنم أو للتعريض بكونه
جهنميا لانه سيصلى نارا ذات لهب يعني ان أبا لهب باعتبار معناه الاضافي يصلح أن يكون كناية
عن حاله وهي كونه جهنميا لان معناه باعتبار اضافته ملابس اللهب كما أن معنى أبو الخير وأخو
الحرب بذلك الاعتبار ملابس الخير والحرب واللهب الحقيقي لهب جهنم وهذا المعنى يلزمه أنه
جهنمي ففيه انتقال من الملزوم الى اللازم فهي كنية تفيد الذم فاندفع ما يقال هذا يخالف قولهم
ولا يكنى كافر وفاسق ومبتدع الا لخوف فتنة أو تعريف لان ذلك خاص بالكنية التي تفيد
المدح لا الذم ولم يشتهر بها صاحبها قال في الاتقان ليس في القرآن من الكنى غير أبي لهب ولم يذكر
اسمه وهو عبد العزى أي الصنم لانه حرام شرعا انتهى وفيه ان الحرام وضع ذلك لا استعماله وفي
كلام بعضهم ما يفيد أن الاستعمال حرام أيضا الا أن يشتهر بذلك كما في الاوصاف المنقصة كالاعمش
وكان بعد نزول هذه السورة لا يشك المؤمن انه من أهل النار بخلاف غيره ولم يقل في هذه السورة
قل تبت الخ لئلا يكون مشافها العمه بالشتم والتغليظ وان شتمه عمه لان للعم حرمة كحرمة الأب لانه
مبعوث رحمة للعالمين وله خلق عظيم فأجاب الله عنه وقرئ أبو لهب بالواو كما قيل علي بن أبو طالب
ومعاوية بن أبو سفيان مع ان القياس الياء لكونه مضافا اليه كي لا يتغير منه شئ فيشكل
على السامع والحاصل ان الكنية بمنزلة العلم والاعلام لا تتغير في شئ من الاحوال وكان لبعض
أمراء مكة ابنان أحدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالفتح (ما أغنى عنه ماله وما كسب)
أي لم يغن عنه حين حل به التباب ولم ينفعه أصلا على أن ما نافية أو أي شئ أغنى عنه على أنها
استفهامية في معنى الانكار منصوبة بما بعدها على انها مفعول به أو أي اغناء أغنى عنه على انها
مفعول مطلق أصل ماله وما كسبه به من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع ولا أحد

أكثر مالا من قارون وما دفع عنه الموت والعذاب ولا أعظم ملكا من سليمان عليه السلام وقد قيل فيه * نه بر بادرفتی سحر گاه وشام * سریر سلیمان علیه السلام * با آخر ندیدی که بر باد رفت * خنك آنكه با دانش وداد رفت * أو ماله الموروث من أبيه والذي كسبه بنفسه أو عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي عليه السلام أو عمله الذي ظن انه منه على شئ كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال بعضهم ما كسب منفعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن أخي حقا فأنا أفتدى منه نفسي بمالي وولدي فاستخلص منه وقد خاب رجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة أسد في طريق الشأم وذلك ان عتبة بن أبي لهب وكان تحته ابنة رسول الله عليه السلام أراد الخروج الى الشأم فقال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فرجع عتبة الى أبيه فأخبره ثم خرجوا الى الشأم فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من الدير فقال ان هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب أعينوني يا معشر قريش هذه الليلة فاني أخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا اجمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتخللهم ويتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وهلك أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال والعدسة بثرة تخرج في البدن تشبه العدسة وهي من جنس الطاعون تقتل غالبا فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثا حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان واحتملوه ودفنوه فكان الامر كما أخبر به القرآن وفي انسان العيون لم يحفروا له حفيرة ولكن أسندوه الى حائط وقذفوا عليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه وفي رواية حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها والقبر الذي يرجم خارج باب الشبيكة الآن ليس بقبر أبي لهب وانما هو قبر رجلين لطخا الكعبة بالعذرة وذلك في دولة بني العباس فان الناس أصبحوا يوما فوجدوا الكعبة ملطخة بالعذرة فرصدوا الفاعل فأمسكوهما بعد أيام فصلبا في ذلك الموضع فصارا يرجمان الى الآن (سيصلى) أي سيذوق من العذاب مآل أمره في النشأة الاولى وفي النشأة الآخرة سيدخل لا محالة (نارا ذات لهب) نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصا في أنه لا يؤمن أبدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن أن يكون مكلفا بأن يؤمن بأنه لا يؤمن أبدا فيكون مأمورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي عليه السلام اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر (وامرأته) عطف على المستكن في سيصلى لكون الفصل بالمفعول يعني زن او نيز با او در آيد و داخل نار شود وهي أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان عمة معاوية رضي الله عنه واسمها العوراء وان درهم ايكي حضرت عليه السلام خانه داشت وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنشرها بالليل في طريق النبي عليه السلام تا خارى نعوذ بالله

دردامنش آويزد باد درپايش خلد وكان عليه السلام يطؤه كما يطأ الحرير وفى تفسير أبى الليث حتى
صار النبى عليه السلام وأصحابه فى شدة وعناء وفى تفسير الكاشفى وآن حضرت كه بنماز بيرون
آمدى آنهارا بر سر راه بركرفتى وبطريق ملاعبت كفتى اين چه نوع همسايكيست كه بامن
ميكنيد * مى بختند در ره تو خار باهمه * چون كل شكفته بود رخ كلستان تو (حمالة الحطب)
الحطب ما أعد من الشجر شبوبا كما فى القاموس ونصب حمالة على الشتم والذم أى أذم حمالة
الحطب قال الزمخشرى وأنا أستحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله عليه السلام بجميل
من أحب شتم أم جميل انتهى وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد انها
تحمل يوم القيامة حزمة حطب كالزقوم والضريع وفى جيدها سلاسل النار كما يعذب كل مجرم
بما يناسب حاله فى جرمه وعن قتادة انها مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها
فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقيل كانت تمشى بالنميمة وتفسد بين الناس
تحمل الحطب بينهم أى توقد بينهم النائرة وتورث الشر پس هيزم كشى عبارتست از سخن
چينى كه آتش خصومت ميان دوكس برمى افروزد * ميان دوكس جنك چون آتشست *
سخن چين بدبخت هيزم كشست * كنند اين وآن خوش دكر باره دل * وى اندر ميان كوربخت
وخجل * ميان دوكس آتش افروختن * نه عقلست خود درميان سوختن (فى جيدها حبل
من مسد) جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية والجيد بالكسر العنق ومقلده
أو مقدمه كما فى القاموس والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد
أو غيرهما يقال دابة ممسودة شديدة الاسر والمعنى فى عنقها حبل مما مسد من الحبال وأنها
تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا
لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتغضب من ذلك ويشق عليها ويغضب بعلها أيضا وهما
فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة قال مرة الهمدانى كانت أم جميل تأتى كل يوم
باباله من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هى ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على
حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها حتى هلكت وبدوزخ رفت وفى ينبوع
الحياة انه لما بلغها سورة تبت يدا أبى لهب جاءت الى أخيها أبى سفيان فى بيته وهى متحرقة
غضبى فقالت له ويحك يا أحمس أى يا شجاع أما تغضب ان هجانى محمد فقال سأكفيك اياه
ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت له هل قتلته فقال لها يا أختى أيسرك ان رأس أخيك
فى فم ثعبان قالت لا والله قال فقد كاد ذلك يكون الساعة أى فانه رأى ثعبانا لو قرب منه صلى الله
عليه وسلم لالتقم رأسه ثم كان من أمر أبى سفيان الاسلام ومن أمر أخته الموت على الكفر
والكل من حكم الله السابق (قال فى كشف الاسرار) سك أصحاب كهف رنك كفر داشت
ولباس بلعام باعور طراز دين ليكن شقاوت وسعادت ازلى از هر دو جانب دركمين بود چون
دولت روى نمود پوست آن سك از روى صورت در بلعام پوشانيدند كفتند (فمثله كمثل الكلب)
ومرقع بلعام دران سك پوشيدند كفتند ثلاثة رابعهم كلبهم قوله من مسد بالوقف يعنى يوقف
عليه ثم يجاء بالتكبير لما مر

* (تمت سورة المسد فى عاشر جمادى الاولى من سنة سبع عشرة ومائة وألف) *

(سورة الاخلاص أربع أو خمس آيات مكية أو مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل هو الله أحد) الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها عين الشان الذى عبر عنه بالضمير أى الله أحد هو الشان هذا أو هو أن الله أحد والسر فى تصدير الجملة به التنبيه من أول الامر على فخامة مضمونها مع ان فى الابهام ثم التفسير مزيد تقريرا والضمير لما سئل عنه أى الذى سألتم عنه هو الله اذ روى ان المشركين قالوا للنبى عليه السلام صف لنا ربك الذى تدعونا اليه وانسبه أى بين نسبه واذكره فنزلت يعنى بين الله نسبه بتنزيهه عن النسب حيث نفى عنه الوالدية والمولودية والكفاءة فالضمير حينئذ مبتدأ والله خبره وأحد بدل منه وابدال النكرة المحضة من المعرفة يجوز عند حصول الفائدة على ماذهب اليه أبو على وهو المختار والله علم دال على الاله الحق دلالة جامعة لمعانى الاسماء الحسنى كلها وقال القاشانى هو عندنا اسم الذات الالهية من حيث هى هى أى المطلقة الصادق عليها مع جميعها أو بعضها أو لا مع واحد منها كقوله تعالى قل هو الله أحد انتهى وعبد الله هو العبد الذى تجلى بجميع أسمائه فلا يكون فى عباده أرفع مقاما وأعلى شأنا منه لتحققه بالاسم الاعظم واتصافه بجميع صفاته ولهذا خص نبينا عليه السلام بهذا الاسم فى قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه فلم يكن هذا الاسم بالحقيقة الاله وللاقطاب من ورثته بتبعيته وان أطلق على غيره مجازا لاتصاف كل اسم من أسمائه بجميعها بحكم الواحدية وأحدية جميع الاسماء والاحد اسم لمن لا يشاركه شئ فى ذاته كما ان الواحد اسم لمن لا يشاركه شئ فى صفاته يعنى ان الاحد هو الذات وحدها بلا اعتبار كثرة فيها فاثبت له الاحدية التى هى الغنى عن كل ما عداه وذلك من حيث عينه وذاته من غير اعتبار أمر آخر والواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات وهى الحضرة الاسمائية ولذا قال تعالى ان الهكم لواحد ولم يقل لأحد لان الواحدية من أسماء التقييد فبينها وبين الخلق ارتباط أى من حيث الالهية والألوهية بخلاف الاحدية اذ لا يصح ارتباطها بشئ فقولهم العلم الالهى هو العلم بالحق من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية اذ منه ما لا تفى به الطاقة البشرية وهو ما وقع به الكمل فى ورطة الحيرة وأقروا بالعجز عن حق المعرفة ومنه يعلم ان توحيد الذات مختص فى الحقيقة بالله تعالى وعبد الاحد هو وحيد الوقت صاحب الزمان الذى له القطبية الكبرى والقيام بالاحدية الاولى وعبد الواحد هو الذى بلغه الله الحضرة الواحدية وكشف له عن أحدية جميع أسمائه فيدرك ما يدرك ويفعل ما يفعل بأسمائه ويشاهد وجوه أسمائه الحسنى قال ابن الشيخ فى حواشيه قوله هو الله أحد ثلاثة ألفاظ كل واحد منها اشارة الى مقام من مقامات السائرين الى الله تعالى فالمقام الاول مقام المقربين وهم الذين نظروا الى ماهيات الاشياء وحقائقها من حيث هى هى فلا جرم ما رأوا موجودا سوى الله لان الحق هو الذى لذاته يجب وجوده وأما ما عداه فممكن والممكن اذا نظر اليه من حيث هو هو كان معدوما فهؤلاء لم يروا موجودا سوى الحق تعالى وكلمة هو وان كانت للاشارة المطلقة مفتقرة فى تعين المراد بها الى سبق الذكر بأحد الوجوه أو الى ان يعقبها ما يفسرها الا انهم يشيرون بها الى الحق ولا يفتقرون فى تلك الاشارة الى ما يميز المراد

بها من غيره لان الافتقار الى المميز انما يحصل حيث وقع الابهام بأن يتعدد ما يصلح لان يشار اليه وقد بينا انهم لا يشاهدون بعيون عقولهم الا الواحد فقط فلهذا السبب كانت لفظة هو كافية فى حصول العرفان التام لهؤلاء والمقام الثانى مقام أصحاب اليمين وهو دون المقام الاول وذلك لانهم شاهدوا الحق موجودا وشاهدوا الخلق أيضا موجودا فحصلت الكثرة فى الموجودات فلا جرم لم تكن لفظة هو كافية فى الاشارة الى الحق بل لا بد هناك من مميز به يتميز الحق من الخلق فهؤلاء مفتقرون الى ان يقرن لفظة الله بلفظة هو فقيل لاجلهم هو الله لان لفظة الله اسم للموجود الذى يفتقر اليه ما عداه ويستغنى هو عن كل ما عداه فتتميز به الذات المرادة عما عداه والمقام الثالث مقام أصحاب الشمال وهو أخس المقامات وهم الذين يجوّزون أن يكون واجب الوجود أكثر من واحد فقرن لفظة الاحد بما تقدم ردا على هؤلاء وابطالا لمقالهم فقيل قل هو الله أحد انتهى كلامه ومنه يعلم صحة ما اعتاده الصوفية من الذكر بالاسم هو وذلك لان أهل البداية منهم وهم المحجوبون تابعون لاهل النهاية منهم وهم المكاشفون فكأنهم كلهم ما شاهدوا فى الوجود الا الله فالله عندهم بهويته المطلقة السارية متعين لا حاجة الى التعيين أصلا فضمير هو راجع اليه لا الى غيره كما ان الضمير فى أنزلناه راجع الى القرآن لتعينه وحضوره فى الذهن فقول الطاعن انه ضمير ليس له مرجع متعين فكيف يكون ذكر الله تعالى مردود على ان الضمائر أسماء وكل الاسماء ذكر لا فرق بينها بالمظهرية والمضمرية فعلى هذا يجوز أن يدخل اللام فى كلمة هو فى اصطلاح الصوفية لانها اشارة الى الهوية ولا مناقشة فى الاصطلاح ثم قوله قل أمر من عين الجمع وارد على مظهر التفصيل وفيه اشارة الى سر قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم فكأنه يقول انا شهدت بوحدة الهوية فى مقام الجمع فاشهد انت ايضا بتلك الوحدة فى مقام الفرق ليظهر سر الاحدية والواحدية ويحصل التطابق بينهما جمعا وتفصيلا هكذا لاح بالبال والله اعلم بحقيقة الحال وقرئ هو الله بلا قل وكذا فى المعوذتين لانه توحيد والاخريات تعوذ فيناسب ان يدعو بهما وان يؤمر بتبليغهما وقد سبق فى سورة الاعلى ما يغنى عن تكراره ههنا وقال بعضهم انما أثبت فى المصحف قل والتزم فى التلاوة مع انه ليس من دأب المأمور بقل ان يتلفظ فى مقام الائتمار الا بالمقول لان المأمور ليس المخاطب به فقط بل كل واحد يتلى عما ابتلى به المأمور فأثبت ليبقى على مر الدهور رمنا على العباد (الله الصمد) مبتدأ وخبر فعل بمعنى مفعول كقبض بمعنى مقبوض من صمد اليه من باب نصر اذا قصده اى هو السيد المصمود اليه فى الحوائج المستغنى بذاته وكل ما عداه محتاج اليه فى جميع جهاته فلا صمد فى الوجود سوى الله فهو مثل زيد الامير يفيد قصر الجنس على زيد فاذا كان هو الصمد فمن انتفت الصمدية عنه لا يستحق الالوهية وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بأن من لم يتصف به فهو بمعزل عن استحقاق الالوهية كما اشير اليه آنفا وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى وبين أولا الوهيته المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة فى الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتى عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه فى وجودها وبقائها وسائر أحوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح فاثبات الصمدية

له سبحانه انما هو باعتبار استنادنا اليه في الوجود والكمالات التابعة للوجود وأما باعتبار أحدية ذاته فهو غني عن هذه الصفة والحاصل أن الصمدية تقتضي اعتبار كثرة الاسماء والصفات في الله دون الاحدية وعبد الصمد هو مظهر الصمدية الذي يصمد اليه أي يقصد لدفع البليات وايصال امداد الخيرات ويستشفع به الى الله لدفع العذاب واعطاء الثواب وهو محل نظر الله الى العالم في ربوبيته له * يقول الفقير جرى على لسان الباطن بلا اختيار مني وذلك بعد الاشراق ان أقول أزلي أبدي أحدي صمدي أي أنت يا رب أزلي أحدي وأبدي صمدي فالازلية ناظرة الى الاحدية كما ان الابدية ناظرة الى الصمدية وذلك باعتبار التحليل والتعقيد فان الاحدية لا تتجلى الا بازالة الكثرات فعند الانتهاء الى مقام الغني الذي هو الغيب المطلق تزول الكثرة ويكون الزوال أزلا وهذا تحليل وفناء وعبور عن المنازل وعروج الى المرصد الاعلى والمقصد الاقصى عينا وعلما وأما الصمدية فباعتبار الابدية التي هي البقاء وذلك يقتضي التعقيد بعد التحليل فهي بالنزول الى مقام العين بالمهملة أي العين الخارجي والعالم الشهادي الذي أسفل منازله عالم الناسوت والحاصل أن الاحدية جمع والصمدية فرق فمقام الاحدية هي النقطة الغير المنقسمة التي انبسطت منها جملة التراكيب والاحدية أول تعيناتها هي مرتبة آدم ثم حواء لان حواء انما ظهرت بعد الهواء المنبعث من تعين آدم الحقيقي ولذا انقلبت الهاء حاء فصار الهواء حواء وخاصية الاسم الاحد ظهور عالم القدرة وآثارها حتى لو ذكره ألف في خلوة على طهارة ظهرت له العجائب بحسب قوته وضعفه وخاصية الاسم الصمد حصول الخير والصلاح فمن قرأه عند السحر مائة وخمسا وعشرين مرة ظهرت عليه آثار الصدق والصديقية وفي اللمعة ذاكره لا يحس بألم الجوع ما دام متلبسا بذكره والقراءة وصلا أحد الله الصمد منونا مكسورا لالتقاء الساكنين وكان أبو عمرو في أكثر الروايات يسكت عند هو الله أحد وزعم ان العرب لا تصل مثل هذا وروى عنه انه قال وصلها قراءة محدثة وروى عنه انه قال أدركت القراء كذلك يقرؤنها قل هو الله أحد وان وصلت نونت وروى عنه أنه قال أحب الي اذا كان رأس آية ان يسكت عندها وذلك لان الآية منقطعة عما بعدها مكتفية بمعناها فهي فاصلة وبها سميت آية وأما وقفهم كلهم فيسكتون على الدال ثم صرح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت الاحكام السابقة فقيل (لم يلد) نزاد كسى راتنصيصا على ابطال زعم المفترين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي من غير أن يقال ان يلد أولا يلد أي لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شيء ليمكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد أولا يفتقر الى ما يعينه أو يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه فان قلت لم قال في هذه السورة لم يلد وفي سورة بني اسرائيل لم يتخذ ولدا أجيب بأن النصارى فريقان منهم من قال عيسى ولد الله حقيقة فقوله لم يلد اشارة الى الرد عليه ومنهم من قال اتخذه ولدا تشريفا كما اتخذ ابراهيم خليلا تشريفا فقوله لم يتخذ ولدا اشارة الى الرد عليه (ولم يولد) ونزاده شد از كسى أي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا أولاحقا وقال بعضهم الوالدية والمولودية لا تكونان الا بالمثلية فان المولود لا بد أن يكون مثل الوالد ولا مثلية بين هويته الواجبة وهوياتنا الممكنة انتهى وقال البقلي لم يلد ولم يولد أي لم يكن هو محل الحوادث ولا الحوادث محله والتصريح بانه لم يولد مع كونهم معترفين

بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بأنه لم يولد الاعتراف بانه لا يلد وفى كشف الاسرار قدم ذكر لم يلد لان من الكفار من ادعى ان له ولدا ولم يدع أحد أنه مولود (وفى التفسير الفارسى) لم يلد رد يهودست كه كفتند عزير پسر اوست ولم يولد رد نصاراست كه كويند عيسى خداست * قال أبو الليث لم يلد يعنى لم يكن له ولد يرثه ولم يولد يعنى لم يكن له والد يرث ملكه (ولم يكن له كفوا أحد) يقال هذا كفاؤه وكفوه مثله وكاء أفلا نا ماثله وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التأخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى أى لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله بل هو خالق الاكفاء ويجوز أن يكون من الكفاءة فى النكاح نفيا للصاحبة وأما تأخير اسم كان فلرعاة الفواصل ولعل ربط الجمل الثلاث بالعاطف لان المراد منها نفى أقسام الامثال فهى جملة واحدة منبه عليها بالجمل قال القاشانى ما كانت هويته الاحدية غير قابلة للكثرة والانقسام ولم تكن مقارنة الوحدة الذاتية لغيرها اذ ما عدا الوجود المطلق ليس الا العدم المحض فلا يكافئه أحد اذ لا يكافئ العدم الصرف الوجود المحض (وقال الكاشفى) رد مجوس ومشركان عربست كه كفتند او را كفو هست نعوذ بالله وكفته اند هر آيتى ازين سوره تفسير آيت پيشست چون كويند من هو تو كويى احد چون كويند احد كيست تو كويى صمد چون كويند صمد كيست تو كويى الذى لم يلد ولم يولد چون كويند لم يلد ولم يولد كيست تو كويى الذى لم يكن له كفوا أحد وقال بعضهم كاشف الوالهين قوله هو وكاشف الموحدين بقوله الله وكاشف العارفين بقوله أحد والعلماء بقوله الصمد والعقلاء بقوله لم يلد الخ وهو أى لم يلد اشارة الى توحيد العوام لانهم يستدلون على الصانع بالشواهد والدلائل وقال بعض الكبار ان سورة الاخلاص اشارة الى حال النزول وهو حال المجذوب فأولا يقول هو الله أحد الله الصمد الخ وحال الصعود يعتبر من الآخر الى جانب هو فيقول أولا لم يكن له كفوا أحد ثم يترقى الى أن يقول هو ولكن لا ينبغى للسالك أن يكتفى بوجدان هو فى القرآن بل ينبغى له أن يترقى الى القرآن الفعلى فيشاهده فى القرآن وهو محيط بالعوالم كلها وهو أول ما ينكشف للسالك ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع معارف الالهية والرد على من ألحد فيها جاء فى الحديث أنها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه وهو علم المبدأ وصفاته اذ ما عداه ذرائع اليه وقال عليه السلام أسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله أحد أى ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة وعنه عليه السلام سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة وعن سهل بن سعد رضى الله عنه جاء رجل الى النبى عليه السلام وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه أحد وان لم يكن فيه أحد فسلم على نفسك واقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة ففعل الرجل ذلك فأدر الله عليه رزقا حتى أفاض على جيرانه وعن على رضى الله عنه أنه قال من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الفجر احدى عشرة مرة لم يلحقه ذنب يومئذ ولو اجتهد الشيطان وفى الحديث أيعجز أحدكم أن يقرأ القرآن فى ليلة واحدة فقيل يا رسول الله من يطيق

ذلك قال أن يقرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات وروى أنه نزل جبريل عليه السلام بتبوك فقال يارسول الله ان معاوية بن المزنى رضى الله عنه مات فى المدينة أتحب أن أطوى لك الارض فتصلى عليه قال نعم فضرب بجناحه على الارض فرفع له سريره وصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة كل صف سبعون ألف ملك ثم رجع فقال عليه السلام بم أدرك هذا قال بحبه قل هو الله أحد وقراءته اياها جائيا وذهابا وقائما وقاعدا وعلى كل حال رواه الطبرانى وسميت سورة الاخلاص حين نزلت سبعون ألف ملك كما مر وابا أهل سماء سألوهم عما معهم فقالوا نسبة الرب سبحانه ولهذا سميت هذه السورة نسب الرب كما فى كشف الاسرار وسميت سورة الاخلاص لاخلاص الله من الشرك أو للخلاص من العذاب أو خالصة فى التوحيد قال الامام الغزالى رحمه الله تعالى

عقورى وثيقتى بالخلاص * واعتصامى بسورة الاخلاص

أو لانها سورة خالصة لله ليس فيها ذكر شئ من الدنيا والآخرة وقال الحنفى لانها تخلص قارئها من شدائد الآخرة وسكرات الموت وظلمات القبر وأهوال القيامة وقال القاشانى لان الاخلاص تمحيض الحقيقة الاحدية عن شائبة الكثرة

(تمت سورة الاخلاص يوم الاثنين الحادى عشر من جمادى الاولى من شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف)

(سورة الفلق خمس آيات مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أعوذ برب الفلق) الفلق الصبح لانه يفلق عنه الليل ويفرق فهو من باب الحذف والايصال فعل بمعنى مفعول كالصمد والقبض بمعنى المصمود اليه والمقبوض كما مر فان كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وذلك انما يتحقق بأن يكون الشئ مستورا ومحجوبا بآخر ثم يشق الحجاب الساتر عن وجه المستور ويزول فيظهر ذلك المستور وينكشف بسبب زواله وذلك الحجاب المشقق مفلوق والمحجوب المنكشف بزواله مفلوق عنه والصبح صار مفلوقا عنه بازالة ما عليه من ظلمة الليل يقال فى المثل هو أبين من فلق الصبح والفلق أيضا الخلق لان الممكنات باسرها كانت اعيانا ثابتة فى علم الله مستورة تحت ظلمة العدم فالله تعالى فلق تلك الظلمات بنور التكوين والايجاد فاظهر ما فى علمه من المكونات فصارت مفلوقا عنها وفى تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه انذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له فى الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه والاعاذة بربه قالوا اذا طلع الصبح تتبدل الثقلة بالخفة والغم بالسرور روى أن يوسف عليه السلام لما ألقى فى الجب وجعت ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل باذن الله تعالى يسأله ويأمره بان يدعو ربه فقال يا جبريل ادع أنت وأؤمن فدعا جبريل وأمن يوسف عليهما السلام فكشف الله تعالى ما كان به من الضر فلما طاب وقت يوسف قال يا جبريل وأنا أدعو أيضا وتؤمن انت فسأل يوسف ربه أن يكشف الضر عن جميع أهل البلاء فى ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض الا ويجد نوع خفة

في آخر الليل وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه قدم الشأم فرأى دور أهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم به من دنياهم فقال لا أبالي أليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع أهل النار (من شر ما خلق) أي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وبالفارسية از بدئ آنچه آفريده است از مؤذيات انس وجن وسباع وهوام فيشمل جميع الشرور والمضار بدنية كانت أو غيرها من ضرب وقتل وشتم وعض ولدغ وسحر ونحوها واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد وأما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالكلية وقرأ بعض المعتزلة القائلين بأن الله لم يخلق الشر من شر بالتنوين ما خلق على النفي وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل الله خالق كل شئ (ومن شر غاسق) تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولان تعين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة وأدعى الى الاعاذة أي ومن شر ليل مختلط ظلامه مشتد وذلك بعد غيبوبة الشفق من قوله تعالى الى غسق الليل أي اجتماع ظلمته وفي القاموس الغسق محركة ظلمة أول الليل وغسق الليل غسقا ويحرك اشتدت ظلمته فالغاسق الليل المظلم كما في المفردات وأصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا أو هو السيلان وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له لحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل أجزائه (اذا وقب) الوقب النقرة في الشئ كالنقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء ووقب اذا دخل في وقب ومنه وقبت الشمس اذا غابت ووقب الظلام دخل والمعنى اذا دخل ظلامه في كل شئ وتقييده به لان حدوث الشر فيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل أغدر الليل لانه اذا أظلم كثر فيه الغدر والغوث يقل في الليل ولذا لو شهر انسان بالليل سلاحا فقتله المشهور عليه لا يلزمه قصاص ولو كان نهارا يلزمه لانه يوجد فيه الغوث والحاصل أنه ينبعث أهل الحرب في الليل وتخرج عفاريت الجن والهوام والمؤذيات ونهى رسول الله عليه السلام عن السير في أول الليل وأمر بتغطية الاواني واغلاق الابواب وايكاء الاسقية وضم الصبيان وكل ذلك للحذر من الشر والبلاء وقيل الغاسق القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده لما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت أخذ رسول الله عليه السلام بيدي فأشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وشره الذي يتقى ما يكون في الابدان كالآفات التي تحدث بسببه ويكون في الاديان كالفتنة التي بها افتتن من عبده وعبد الشمس وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا في ذلك قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين واذا طلعت قلت الامراض والآلام وقيل هو كل شر يعتري الانسان ووقوبه هجومه ويجوز أن يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ولسبه وفي القاموس هو الذكر اذا قام وهو منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما وجماعة (ومن شر النفاثات)

وازيد منه كان من النفث وهو شبيه بالنفخ يكون فى الرقية ولا ريق معه فان كان معه
ريق فهو التفل يقال منه نفث الراقى ينفث وينفث بالضم والكسر والنفاثات بالتشديد يراد
منها تكرار الفعل والاحتراف به والنفاثات تكون للدفعة الواحدة من الفعل ولتكراره
أيضا (فى العقد) جمع عقدة وهى ما يعقده الساحر على وتر او حبل او شعر وهو ينفث ويرقى
وأصله من العزيمة ولذلك يقال لها عزيمة كما يقال لها عقدة ومنه قيل للساحر معقد
والمعنى ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها
وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر
لما روى ابن عباس رضى الله عنهما وعائشة رضى الله عنها انه كان غلام من اليهود يخدم
النبى عليه السلام وكان عنده اسنان من مشطه عليه السلام فأعطاها اليهود فسحروه
عليه السلام فيها ولذا ينبغى أن يقطع الظفر بعد التقليم وكذا الشعر اذا أسقط من اللحية
والرأس نصفين او اكثر لئلا يسحر به احد وتولاه لبيد بن أعصم اليهودى وبناته وهن النفاثات
فى العقد فدفنها فى بئر أريس وفى عين المعانى فى بئر لبنى زريق تسمى ذروان فمرض النبى عليه
السلام روى انه لبث فيه ستة أشهر فنزل جبرائيل بالمعوذتين بكسر الواو كما فى القاموس واخبر
بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فارسل عليه السلام عليا والزبير وعمارا رضى الله عنهم
فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر وهى الصخرة التى توضع فى أسفل البئر
فأخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فجاؤا بها النبى
عليه السلام فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام
خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كأنما أنشط من عقال
وجعل جبرائيل يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل شئ يؤذيك من عين وحاسد فلذا يجوز
الاسترقاء بما كان من كلام الله وكلام رسوله لا بما كان بالعبرية والسريانية والهندية فانه لا يحل
اعتقاده فقالوا يا رسول الله أفلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام أما أنا فقد عافانى الله واكره أن
أثير على الناس شرا قالت عائشة رضى الله عنها ما غضب النبى عليه السلام غضبا ينتقم لنفسه قط
الا أن يكون شيأ هو لله فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال
بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها فعلى هذا فالنفاثات هى جنس النساء
اللاتى شأنهن ان يغلبن على الرجال ويحولنهم عن آرائهم بأنواع المكر والحيلة فمعنى الآية ان
النساء لاجل استقرار حبهن فى قلوب الرجال يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأى الى رأى فأمر الله
تعالى رسوله بالتعوذ من شرهن اعلم ان السحر تخييل لا أصل له عند المعتزلة وعند الشافعى تمريض
بما يتصل به كما يخرج من فم المتثائب ويؤثر فى المقابل وعندنا سرعة الحركة ولطافة الفعل فيما يخفى
فهمه وقيل طلسم يبنى على تأثير خصائص الكواكب كتأثير الشمس فى زئبق عصا سحرة فرعون
والمعتزلة أنكروا صحة الرواية المذكورة وتأثير السحر فيه عليه السلام وقالوا كيف يمكن القول
بصحتها والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس وقال ولا يفلح الساحر حيث أتى ولان تجويزه
يفضى الى القدح فى النبوة ولان الكفار كانوا يعيرونه بانه مسحور فلو وقعت هذه الواقعة لكان
الكفار صادقين فى تلك الدعوى ولحصل فيه عليه السلام ذكر العيب ومعلوم ان ذلك غير جائز

وقال أهل السنة صحة القصة لا تستلزم صدق الكفرة في قولهم انه مسحور وذلك لانهم كانوا يريدون بكونه مسحورا أنه مجنون أزيل عقله بسبب السحر فلذلك ترك دين آبائه فاما أن يكون مسحورا بألم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره أحد وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه لا شيطانا ولا انسيا ولا جنيا يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله واما الاضرار به من حيث بشريته وبدنه فلا يبعد فيه وتأثير السحر فيه عليه السلام لم يكن من حيث انه نبي وانما كان في بدنه من حيث انه انسان وبشر فانه عليه السلام يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر من الصحة والمرض والموت والاكل والشرب ودفع الفضلات وتأثير السحر فيه من حيث بشريته لا يقدح في نبوته وانما يكون قادحا فيها لو وجد للسحر تأثير في أمر يرجع الى النبوة ولم يوجد ذلك كيف والله تعالى يعصمه من ان يضره أحد فيما يرجع اليها كما لم يقدح كسر رباعيته يوم احد فيما ضمن الله له من عصمته في قوله والله يعصمك من الناس وفي كشف الاسرار فان قيل ما الحكمة في نفوذ السحر وغلبته في النبي عليه السلام ولماذا لم يرد الله كيد الكائد الى نحره بابطال مكره وسحره قلنا الحكمة فيه الدلالة على صدق رسول الله عليه السلام وصحة معجزاته وكذب من نسبه الى السحر والكهانة لان سحر الساحر عمل فيه حتى التبس عليه بعض الامر واعتراه نوع من الوجع ولم يعلم النبي عليه السلام بذلك حتى دعا ربه ثم دعا فاجابه الله وبين له أمره ولو كان ما يظهر من المعجزات الخارقة للعادات من باب السحر على ما زعم أعداؤه لم يشتبه عليه ما عمل من السحر فيه والتوصل الى دفعه من عنده وهذا بحمد الله من أقوى البراهين على نبوته وانما أخبر النبي عليه السلام عائشة رضي الله عنها من بين نسائه بما كشف الله تعالى له من أمر السحر لانه عليه السلام كان مأخوذا عن عائشة رضي الله عنها في هذا السحر على ما روى يحيى بن يعمر قال حبس رسول الله عليه السلام عن عائشة سنة فبينما هو نائم أو بين النوم واليقظة اذ أتاه ملكان جلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فهذا يقول للذي عند رأسه ما شكواه قال السحر قال من فعل به قال لبيد بن أعصم اليهودي قال فأين صنع السحر قال في بئر كذا قال فما دواؤه قال يبعث الى ذلك البئر فينزح ماءها فانه ينتهي الى صخرة فاذا رآها فليقلعها فان تحتها كوبة وهي كوز سقط عنقها وفي الكوبة وتر فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فيحرقها بالنار فيبرأ ان شاء الله تعالى فاستيقظ عليه السلام وقد فهم ما قالا فبعث عليا رضي الله عنه الى آخر ما سبق وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله عليه السلام اذا اشتكى شيأ من جسده قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين في كفه اليمنى ومسح بها المكان الذي يشتكي وفيه اشارة الى الهواجس النفسانية والخواطر الشيطانية النفاثات الساحرات في عقد عقائد القلوب الصافية الطاهرة

الخبائث السمات العقلية وألواث الشكوك الوهمية والعياذ بالله منها (ومن شر حاسد اذا حسد) بالوقف ثم يكبر لان الوصل لا يخلو من الايهام أي اذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه ترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولا أو فعلا والتقييد بذلك لما ان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير وفي الكشاف فان قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرف النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات

ويجوز أن يراد بالحاسد قابيل لانه حسد أخاه هابيل والحسد الاسف على الخير عند الغير وفى فتح الرحمن تمنى زوال النعمة عن مستحقها سواء كانت نعمة دين أو دنيا وفى الحديث المؤمن يغبط والمنافق يحسد وعنه عليه السلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وأول ذنب عصى الله به فى السماء حسد ابليس لآدم فأخرجه من الجنة فطرد وصار شيطانا رجيما وفى الارض قابيل لاخيه هابيل فقتله قال الحسين بن الفضل رحمه الله ذكر الله الشرور فى هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليظهر أنه أخبث الطبائع كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما اكر در عالم از حسد بتر بودى ختم اين سوره بدان كردى * حسد آتشى دان كه چون بر فروخت * حسود لعين را همان لحظه سوخت * كرفتم بصورت همه دين شوى * حسد كى كذارد كه حق بين شوى * وفيه اشارة الى حسد النفس الامارة اذا حسدت القلب وأرادت أن تطفئ نوره وتوقعه فى الظلمة وكفران النعمة الذى هو سبب لزوالها وفى الحديث ان النبى عليه السلام قال لعقبة بن عامر رضى الله عنه ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس قوله ألم تر كلمة تعجب وما بعدها بيان لسبب التعجب يعنى لم يوجد آيات كلهن تعويذ غيرها تين السورتين وهما قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وفى الحديث دليل على أنهما من القرآن ورد على من نسب الى ابن مسعود رضى الله عنه أنهما ليستا منه وفى عين المعانى الصحيح انهما من القرآن الا انهما لم تثبتا فى مصحفه للامن من نسيانهما لانهما تجريان على لسان كل انسان انتهى اعلم ان مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حذف منه أم الكتاب والمعوذتان ومصحف أبى بن كعب رضى الله عنه زيد فيه سورة القنوت ومصحف زيد بن ثابت رضى الله عنه كان سليما من ذلك فكان كل من مصحفى ابن مسعود وأبى منسوخا ومصحف زيد معمولا به وذلك لانه عليه السلام كان يعرض القرآن على جبرائيل عليه السلام فى كل شهر رمضان مرة واحدة فلما كان العام الذى قبض فيه عرضه مرتين وكان قراءة زيد من آخر العرض دون قراءة أبى وابن مسعود رضى الله عنهما وتوفى عليه السلام وهو يقرأ على ما فى مصحف زيد ويصلى به قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه جميع سور القرآن مائة واثنتا عشرة سورة قال الفقيه فى البستان انما قال انها مائة واثنتا عشرة سورة لانه كان لا يعد المعوذتين من القرآن وكان لا يكتبهما فى مصحفه ويقول انهما منزلتان من السماء وهما من كلام رب العالمين ولكن النبى عليه السلام كان يرقى ويعوذ بهما فاشتبه عليه انهما من القرآن أو ليستا منه فلم يكتبهما فى المصحف وقال مجاهد جميع سور القرآن مائة وثلاث عشرة سورة وانما قال ذلك لانه كان يعد الانفال والتوبة سورة واحدة وقال أبى بن كعب رضى الله عنه جميع سور القرآن مائة وست عشرة سورة وانما قال ذلك لانه كان يعد القنوت سورتين احداهما من قوله اللهم انا نستعينك الى قوله من يفجرك والثانية من قوله اللهم اياك نعبد الى قوله ملحق وقال زيد بن ثابت رضى الله عنه جميع سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة وهذا قول عامة الصحابة رضى الله عنهم وهكذا فى مصحف الامام عثمان بن عفان رضى الله عنه وفى مصاحف أهل الامصار فالمعوذتان سورتان من القرآن روى أبو معاوية عن عثمان بن واقد قال أرسلنى أبى الى محمد بن المنكدر وسأله عن المعوذتين أهما من كتاب الله قال من لم يزعم أنهما من كتاب الله فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين

وفى نصاب الاحتساب لو أنكر آية من القرآن سوى المعوذتين يكفر انتهى وفى الاكمل عن سفيان ابن عيينة من قال ان المعوذتين ليستا من القرآن لم يكفر لتأويل ابن مسعود رضى الله عنه كما فى المغرب للمطرزى وقال فى هدية المهديين وفى انكار قرآنية المعوذتين اختلاف المشايخ والصحيح انه كفر انتهى

(تمت سورة الفلق من القرآن بعون الله الملك المنان)

(سورة الناس ست آيات مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أعوذ برب الناس) أى مالك امورهم ومربيهم بافاضة مايصلحهم ودفع مايضرهم قال القاشانى رب الناس هو الذات مع جميع الصفات لان الانسان هو الكون الجامع الحاصر لجميع مراتب الوجود فربه الذى أوجده وأفاض عليه كماله هو الذات باعتبار جميع الاسماء الجمالية والجلالية تعوذ بوجهه بعد ماتعوذ بصفاته ولهذا تأخرت هذه السورة عن المعوذة الاولى اذ فيها التعوذ فى مقام الصفات باسمه الهادى فهداه الى ذاته وفى الحديث (أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك) ابتدأ بالتعوذ بالرضا الذى هو من الصفات لقرب الصفات من الذات ثم استعاذ بالمعافاة التى هى من صفات الافعال ثم لما ازداد يقينا ترك الصفات فقال وأعوذ بك منك فاصر انظره على الذات وابتدأ بعض العلماء فى ذكر هذا الحديث بتقديم الاستعاذة بالمعافاة على التعوذ بالرضا للترقى من الادنى الذى هو من صفات الافعال الى الاعلى الذى هو من صفات الذات قال بعضهم من بقى له التفات الى غير الله استعاذ بأفعال الله وصفاته فأما من توغل فى بحر التوحيد بحيث لايرى فى الوجود الا الله لم يستعذ الا بالله ولم يلتجئ الا الى الله والنبى عليه السلام لما ترقى عن هذا المقام وهو المقام الاول قال أعوذ بك منك يقول الفقير فى الالتجاء الى الله فى هذه السورة دلالة على ختم الامر فان الله تعالى هو الاول والآخر واليه يرجع الامر كله وان الى ربك المنتهى وفيه اشارة الى نسيان العهد السابق الواقع يوم الميثاق فان الانسان لولم ينسه لما احتاج الى العود والرجوع بل كان فى كنف الله تعالى دائما (ملك الناس) عطف بيان جئ به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الشامل والسلطان القاهر فى ذكره فى ترجيح المالك على الملك من أن المالك مالك العبد وانه مطلق التصرف فيه بخلاف الملك فانه انما يملك بقهر وسياسة ومن بعض الوجوه فقياس لايصح ولايطرد الا فى المخلوقين لافى الحق فانه من البين أنه مطلق التصرف وأنه يملك من جميع الوجوه فلا يقاس ملكية غيره عليه ولا اتصاف النعوت والاسماء اليه الامن حيث أكمل مفهوماته ومن وجوه ترجيح الملك على المالك ان الاحاديث النبوية مبينات لاسرار القرآن ومنبهات عليها وقد ورد فى الحديث فى بعض الادعية النبوية لك الحمد لا اله الا أنت رب كل شئ ومليكه ولم يرد ومالكه وأيضا فالاسماء المستقلة لها تقدم على الاسماء المضافة واسم الملك ورد مستقلا بخلاف المالك ومما يؤيد ذلك ان الاسماء المضافة لم تنقل فى احصاء الاسماء الثابتة بالنقل مثل قوله عز وجل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا وذى المعارج وشبهها وأيضا فان الحق يقول فى آخر الامر عند ظهور غلبة الاحدية على الكثرة

فى القيامة الكبرى والقيامات الصغرى الحاصلة للسالكين عند التحقق بالوصول عقيب انتهاء السير وحال الانسلاخ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والحاكم على الملك هو الملك فدل على أنه أرجح وقد جوزوا القراءة بمالك وملك فى سورة الفاتحة لا فى هذه السورة حذرا من التكرار فان أحد معانى الاسم الرب فى اللسان المالك ولا ترد الفاتحة فان الراجح فيها عند المحققين هو الملك لا المالك (اله الناس) هو لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمور سياستهم والتولى لترتيب مبادى حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وأيضا ان ملك الناس اشارة الى حال الفناء فى الله كما أشرنا اليه واله الناس لبيان حال البقاء بالله لان الاله هو المعبود المطلق وذلك هو الذات مع جميع الصفات فلما فنى العبد فى الله ظهر كونه ملكا ثم رده الله الى الوجود لاقام العبودية فتم استعاذته من شر الوسواس لان الوسوسة تقتضى محلا وجوديا ولا وجود فى حال الفناء ولا صدر ولا وسوسة ولا موسوس بل ان ظهر هنالك تلوين بوجود الانانية يقول أعوذ بك منك فلما صار معبودا بوجود العابد ظهر الشيطان بظهور العابد كما كان أولا موجودا بوجوده وأيضا مقام الربوبية المقيدة بالناس هو لحضرة الامام الذى على باب عالم الملكوت وفيها يشهد وهى موضع نظره فانها ثلاث حضرات اختصت بثلاثة أسماء نالها ثلاثة رجال وهى حضرة الرب والملك والاله فرجالها الامامان والقطب والامامان وزيران للقطب صاحب الوقت وينفرد القطب بالكشف الذاتى المطلق كما ينفرد الامام الذى على يسار القطب بباب عالم الشهادة الذى لا سبيل للامام الثانى الذى على يمينه اليه وانما أضيف امام الربوبية للناس وهو مع الملكوتيات لانه لا بد له عند موت الامام الثانى المسمى بالملك أن يرث مقامه بخلاف غيره وفى الارشاد تخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين فى سلك ربوبيته تعالى وملكوته والوهيته لان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففى التنصيص على انتظامهم فى سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من هلكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما نطق به قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير بالاضافة فان ما الاشرف فيه لا يعبأ به ولا يعاد ذكره بل يترك ويهمل وقد قال من قال

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

والتضوع بوى خوش دميدن فلولا أن الناس أشرف مخلوقاته لما ختم كتابه بذكرهم (من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسة وهو الصوت الخفى الذى لا يحس فيحترز منه كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فبالكسر والفرق بين المصدر واسم المصدر هو أن الحدث ان اعتبر صدوره عن الفاعل ووقوعه على المفعول سمى مصدرا واذا لم يعتبر بهذه الحيثية سمى اسم مصدر ولما كانت الوسوسة كلاما يكرره الموسوس ويؤكده عند من يلقيه اليه كرروا لفظها بازاء تكرير معناها والمراد بالوسواس الشيطان لانه يدعو الى المعصية بكلام خفى يفهمه القلب من غير أن يسمع صوته وذلك بالاغرار بسعة رحمة الله أو بتخييل أن له فى عمره سعة وان وقت التوبة باق بعد سمى بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة لدوام وسوسته فقد أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بانه

الوسواس الخ ولم يقل من شر وسوسته لتعم الاستعاذة شره جميعه وانما وصفه بأعظم صفاته وأشدها شرا وأقواها تأثيرا وأعمها فسادا وانما استعاذ منه بالاله دون بعض أسمائه كما فى السورة الاولى لان الشيطان هو الذى يقابل الرحمن ويستولى على الصورة الجمعية الانسانية ويظهر فى صور جميع الاسماء ويتمثل بها الا بالله والرحمن فلم تكف الاستعاذة منه بالهادى والعليم والقدير وغير ذلك ولهذا لما تعوذ من الاحتجاب والضلالة تعوذ برب الفلق وههنا تعوذ برب الناس ومن هذا يفهم معنى قوله عليه السلام من رآنى فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى وكذا لا يتمثل بصور الكمل من أمته لانهم مظاهر الهداية المطلقة قال بعض الكبار الالقاء اما صحيح أو فاسد فالصحيح الهى ربانى متعلق بالعلوم والمعارف أو ملكى روحانى وهو الباعث على الطاعة وعلى كل ما فيه صلاح ويسمى الهاما * والفاسد نفسانى وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجسا أو شيطانى وهو ما يدعو الى معصية ويسمى وسواسا وفى آكام المرجان وينحصر ما يدعو الشيطان اليه ابن آدم فى ست مراتب المرتبة الاولى الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله فاذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه واستراح من تعبه معه وهذا أول ما يريده من العبد والمرتبة الثانية البدعة وهى أحب الى ابليس من المعصية لان المعصية يتاب منها فتكون كالعدم والبدعة يظن صاحبها أنها صحيحة فلا يتوب منها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الثالثة وهى الكبائر على اختلاف أنواعها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الرابعة وهى الصغائر التى اذا اجتمعت أهلكت صاحبها كالنار الموقدة من الحطب الصغار فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الخامسة وهى اشتغاله بالمباحات التى لا ثواب فيها ولا عقاب بل عقابها فوات الثواب الذى فات عليه باشتغاله بها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة السادسة وهى أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليفوته ثواب العمل الفاضل ومن الشياطين شيطان الوضوء ويقال له الولهان بفتحتين وهو شيطان يولع الناس بكثرة استعمال الماء قال عليه السلام تعوذوا بالله من وسوسة الوضوء ومنهم شيطان يقال له خنزب وهو الملبس على المصلى فى صلاته وقراءته قال ابو عمر والبخارى رحمهما الله أصل الوسوسة ونتيجتها من عشرة أشياء أولها الحرص فقابله بالتوكل والقناعة والثانى الامل فاكسره بمفاجأة الاجل والثالث التمتع بشهوات الدنيا فقابله بزوال النعمة وطول الحساب والرابع الحسد فاكسره برؤية العدل والخامس البلاء فاكسره برؤية المنة والعوافى والسادس الكبر فاكسره بالتواضع والسابع الاستخفاف بحرمة المؤمنين فاكسره بتعظيمهم واحترامهم والثامن حب الدنيا والمحمدة فاكسره بالاخلاص والتاسع طلب العلو والرفعة فاكسره بالخشوع والذلة والعاشر المنع والبخل فاكسره بالجود والسخاء (الخناس) الذى عادته أن يخنس أى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه (حكى) أن بعض الاولياء سأل الله تعالى أن يريه كيف يأتى الشيطان ويوسوس فأراه الحق تعالى هيكل الانسان فى صورة بلور وبين كتفيه خال اسود كالعش والوكر فجاء الخناس يتجسس من جميع جوانبه وهو فى صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء بين الكتفين فأدخل خرطومه قبل قلبه فوسوس اليه فذكر الله فخنس وراءه ولذلك سمى بالخناس لانه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر فى القلب ولهذا السر الالهى كان عليه السلام يحتجم بين كتفيه ويأمر بذلك ووصاه جبرائيل بذلك لتضعيف

مادة الشيطان وتضييق مرصده لانه يجرى وسوسته مجرى الدم ولذلك كان خاتم النبوة بين كتفيه عليه السلام اشارة الى عصمته من وسوسته لقوله أعاننى الله عليه فأسلم أى بالختم الالهى وشرح الصدر أيده وبالعصمة الكلية خصه فأسلم قرينه وما أسلم قرين آدم عليه السلام فوسوس اليه لذلك ويجوز أن يدخل الشيطان فى الاجسام لانه جسم لطيف وهو وان كان مخلوقا فى الاصل من نار لكنه ليس بمحرق لانه لما امتزج النار بالهواء صار تركيبه مزاجا مخصوصا كتركيب الانسان وفى الوسواس اشارة الى الوسواس الحاصل من القوة الحسية والخيالية وفى الخناس الى القوة الوهمية المتأخرة عن مرتبتى القوتين فانها تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست وتأخرت توسوسه وتشككه كما يحكم الوهم بالخوف من الموتى مع أنه يوافق العقل فى ان الميت جماد والجماد لايخاف منه المنتج لقولنا الميت لايخاف منه فاذا وصل العقل والوهم الى النتيجة نكص الوهم وأنكرها (الذى يوسوس فى صدور الناس) اذا غفلوا عن ذكره تعالى ولذا قال فى التأويلات النجمية أى الناسى ذكر الله بالقلب والسر والروح كما قال تعالى يوم يدع الداع بحذف الياء انتهى ومحل الموصوف الجر على الوصف فلا وقف على الخناس أو النصب أو الرفع على الذم فيحسن الوقف عليه ذكر سبحانه وتعالى وسوسته أولا ثم ذكر محلها وهو صدور الناس تأمل السر فى قوله يوسوس فى صدور الناس ولم يقل فى قلوبهم والصدر هو ساحة القلب وبيته فمنه تدخل الواردات عليه فتجتمع فى الصدر ثم تلج فى القلب فهو بمنزلة الدهليز وهو بالكسر ما بين الباب والدار ومن القلب تخرج الارادات والاوامر الى الصدر ثم تتفرق على الجنود فالشيطان يدخل ساحة القلب وبيته فيلقى ما يريد القاءه الى القلب فهو يوسوس فى الصدور ووسوسته واصلة الى القلوب قال بعض أرباب الحقائق للقلب أمراء خمسة ملكية يسمون الحواس كحاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الشم وحاسة الذوق وحاسة اللمس وأمراء خمسة ملكوتية يسمون أرواحا كالروح الحيوانى والروح الخيالى والروح الفكرى والروح العقلى والروح القدسى فاذا نفذ الامر الالهى الى أحد هؤلاء الامراء من القلب بادر لامتثال ما ورد عليه على حسب حقيقته وقس عليه الخواطر والوساوس فان عزم الانسان يخرج كلا منها الى الخارج ويجريها من طرق الحواس والقوى وقوله فى صدور الناس يدل على أنه لا يوسوس فى صدور الجن قال فى آكام المرجان لم يرد دليل على أن الجنى يوسوس فى صدور الجنى ويدخل فيه كما يدخل فى الانسى ويجرى منه مجراه من الانسى (من الجنة والناس) الجنة بالكسر جماعة الجن ومن بيان للذى يوسوس على أنه ضربان جنى وانسى كما قال تعالى شياطين الانس والجن والموسوس اليه نوع واحد وهو الانس فكما أن شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس أخرى فشيطان الانس يكون كذلك وذلك لانه يلقى الاباطيل ويرى نفسه فى صورة الناصح المشفق فان زجره السامع يخنس ويترك الوسوسة وان قبل السامع كلامه بالغ فيه قال فى الاسئلة المقحمة من دعا غيره الى الباطل فان تصوره فى قلبه كان ذلك وسوسة وقد قال تعالى ونعلم ما توسوس به نفسه فاذا جاز أن توسوسه نفسه جاز أن يوسوسه غيره فان حقيقة الوسواس لا تختلف باختلاف الاشخاص ويجوز أن تكون من متعلقة بيوسوس فتكون لابتداء الغاية أى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن انهم يعلمون الغيب ويضرون وينفعون ومن جهة الناس كالكهان والمنجمين كذلك

وفى الجنة اشارة الى القوى الباطنة المستجنة المستورة اذ سمى الجن بالجن لاستجنانه وفى الناس
الى القوى الظاهرة اذ الناس من الايناس وهو الظهور كما قال آنست نارا وفى هذا المقام لطيفة
بالغة وهى أن المستعاذ به فى السورة الاولى مذكور بصفة واحدة وهى أنه رب الفلق والمستعاذ
منه ثلاثة أنواع من الآفات وهى الغاسق والنفاثات والحاسد وأما فى هذه السورة فالمستعاذ
به مذكور بثلاثة أوصاف وهى الرب والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهى الوسوسة
ومن المعلوم أن المطلوب كلما كان أهم والرغبة فيه أتم وأكثر كان ثناء الطالب قبل طلبه أكثر
وأوفر والمطلوب فى السورة المتقدمة هو سلامة البدن من الآفات المذكورة وفى هذه السورة
سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر بهذا أن فى نظم السورتين الكريمتين تنبيها على أن
سلامة الدين من وسوسة الشيطان وان كانت أمرا واحدا الا أنه أعظم مرادا وأهم مطلوب
وأن سلامة البدن من تلك الآفات وان كانت أمورا متعددة ليست بتلك المثابة فى الاهتمام وفى
آكام المرجان سورة الناس مشتملة على الاستعاذة من الشر الذى هو سبب الذنوب والمعاصى
كلها وهو الشر الداخل فى الانسان الذى هو منشأ العقوبات فى الدنيا والآخرة وسورة الفلق
تضمنت الاستعاذة من الشر الذى هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من خارج فالشر الاول لا يدخل
تحت التكليف ولا يطلب منه الكف عنه لانه ليس من كسبه والشر الثانى يدخل تحت
التكليف ويتعلق به النهى وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما وقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل
أعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما رأسه ووجهه وما أقبل من
جسده يصنع ذلك ثلاث مرات وفى قوت القلوب للشيخ أبى طالب المكى قدس سره وليجعل
العبد مفتاح درسه أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من
همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد وليقل
عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ رسوله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا وبارك لنا
فيها الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحى القيوم * وفى اسئلة عبد الله بن سلام أخبرنى يا محمد
ما ابتداء القرآن وما ختمه قال ابتداؤه بسم الله الرحمن الرحيم وختمه صدق الله العظيم قال
صدقت وفى خريدة العجائب يعنى ينبغى أن يقول القارى ذلك عند الختم والا فختم القرآن سورة
الناس وفى الابتداء بالباء والاختتام بالسين اشارة الى لفظ بس يعنى حسب أى حسبك من
الكونين ما أعطيناك بين الحرفين كما قال الحكيم سنائى رحمه الله * أول واخر قرآن زجه باآمد
وسين * يعنى اندر ره دين رهبر تو قرآن بس * يقول الفقير أيده الله القدير ان الله تعالى انما
بدأ القرآن ببسم الله وختمه بالناس اشارة الى أن الانسان آخر المراتب الكونية كما أن الكلام آخر
المراتب الالهية وذلك لان ابتداء المراتب الكونية هو العقل الاول وانتهاؤها الانسان
ومجموعها عدد حروف التهجى وأول المراتب الالهية هو الحياة وآخرها الكلام ولذا كان أول
ما يظهر من المولود الحياة وهو حنين وآخر ما يظهر منه الكلام وهو موضوع لان الله تعالى خلق
آدم على صورته فكان أول الكلام القرآنى اسم الله لانه المبدأ الاول وآخره الناس لان الانس
هو المظهر الآخر والمبتدى يعرج تعلما الى أن ينتهى الى المبدا الاول واسمه العالى والمنتهى ينزل

تلاوة الى أن ينتهي الى ذكر الانس السافل وحقيقته أن الله تعالى هو المبدأ جلاء والمنتهى استجلاء وهو الاول بلا بداية والآخر بلا نهاية روى عن ابن كثير رحمه الله انه كان اذا انتهى في آخر الختمة الى قل أعوذ برب الناس قرأ سورة الحمد لله رب العالمين وخمس آيات من أول سورة البقرة على عدد الكوفي وهو الى وأولئك هم المفلحون لان هذا يسمى حال المرتحل ومعناه انه حل في قراءته آخر الختمة وارتحل الى ختمة أخرى ارغاما للشيطان وصار العمل على هذا في امصار المسلمين في قراءة ابن كثير وغيرها وورد النص عن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ان من قرأ سورة الناس يدعو عقب ذلك فلم يستحب أن يصل ختمه بقراءة شئ وروى عنه قول آخر بالاستحباب واستحسن مشايخ العراق قراءة سورة الاخلاص ثلاثا عند ختم القرآن الا أن يكون الختم في المكتوبة فلا يكررها وفي الحديث من شهد خاتمة القرآن كان كمن شهد المغانم حين تقسم ومن شهد فاتحة القرآن كان كمن شهد فتحا في سبيل الله تعالى وعن الامام البخاري رحمه الله انه قال عند كل ختمة دعوة مستجابة واذا ختم الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه ومن شك في غفرانه عند الختم فليس له غفران ونص الامام أحمد على استحباب الدعاء عند الختم وكذا جماعة من السلف فيدعو بما أحب مستقبل القبلة رافعا يديه خاضعا لله موقنا بالاجابة ولا يتكلف السجع في الدعاء بل يجتنبه ويثني على الله تعالى قبل الدعاء وبعده ويصلي على النبي عليه السلام ويمسح وجهه بيديه بعد فراغه من الدعاء وعنه عليه السلام انه أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يدعو عند ختم القرآن بهذا الدعاء وهو اللهم اني أسألك اخبات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقائق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك والفوز بالجنة والخلاص من النار وفي شرح الجزري لابن المصنف ينبغي أن يلح في الدعاء وان يدعو بالامور المهمة والكلمات الجامعة وأن يكون معظم ذلك أو كله في أمور الآخرة وأمور المسلمين وصلاح سلاطينهم وسائر ولاة أمورهم في توفيقهم للطاعات وعصمتهم من المخالفات وتعاونهم على البر والتقوى وقيامهم بالحق عليه وظهورهم على أعداء الدين وسائر المخالفين ومما كان يقول النبي عليه السلام عند ختم القرآن اللهم ارحمني بالقرآن العظيم واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله حجة لي يارب العالمين وكان أبو القاسم الشاطبي رحمه الله يدعو بهذا الدعاء عند ختم القرآن اللهم انا عبيدك وأبناء عبيدك وأبناء امائك ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤك نسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك او أنزلته في شئ من كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا وسائقنا وقائدنا اليك والى جناتك جنات النعيم ودارك دار السلام مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين برحمتك يا أرحم الراحمين * يقول الفقير رافعا يديه الى الرب القدير اللهم اني أعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقد أنجزت لي ما وعدتني انك لا تخلف المعاد وجعلت رؤياي حقا وأحسنت بي اذ أخرجتني من سجن الهم وخاطبتني عند ذلك بقولك سل تعط فجعلت منتهى

سؤلى رضالك وبشرتنى بقبول خدمتى هذه حيث قلت فتقبلها ربها بقبول حسن وكنت أدعوك باتمام النعمة واكمال المنة فلم أكن بدعائك رب شقيا فأنعم على فيما بقى من عمرى القليل باضعاف ما عودتنى به قبل هذا من أنواع آلائك وأصناف نعمائك واختم لى بخير وهدى ونور * وبكل بر وسعادة وسرور * وصل على نبيك النبيه الذى هو مفتاح الخيرات * ومصباح السائرين الى منازل القربات فى جنح الاوقات * وعلى آله وأصحابه القاده * ومن تبعهم من الساده

* هذا وقد تم تحرير روح البيان * فى تفسير القرآن فى مدة الوحى تقريبا

لما انقضى الاقدار رمتنى الى أقاصى أقطار الارض * وأيدى

الاسفار النائية تداولتنى من طول الى عرض * حتى أقامنى

الله مقام الاتمام * فجاء باذن الله التمام * يوم

الخميس الرابع عشر من جمادى الاولى المنتظم

فى سلك شهور سنة سبع عشرة ومائة

وألف * من هجرة من يرى من

قدامه وخلفه * وقلت فى

تاريخه نظما

انه من منّ جناب ذى المنن * ختم تفسير الكتاب المستطاب

قال فى تاريخه حقى الفقير * حامدا لله قد تم الكتاب

وقلت بحساب الحروف المنقوطة (وقع الختم بجود البارى) وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

تاريخ فخر الموالى عبد الهادى أفندى باقى زاده

ذا كتاب ندرت أمثاله * لاجرم من عظم الآثار

روضة اسطرها أنهار * أثمرت فاكهة الاسرار

اسمه روح بيان حقا * راحة القلب لدى الابرار

درّ من ألفه لله * قطب عصر هو فى الاقطار

فضله الظاهر فوق لرازى * علمه الباطن كالعطار

دام بالفضل وبالارشاد * صانه الله من الاكدار

ارخ الختم بذا التاريخ * لب تفسير كلام البارى

تاريخ فخر المدرسين محمد أفندى رمزى

كان تاريخ ختمه (المختوم)

تاريخ فخر الوعاظ السيد نورى أفندى

قاننا لدى تمامه * أرخ ولله ختامه

تاريخ ابراهيم اغا صاف المدانيورى

يم اسرار خدا

تم

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه يقول المتوسل الى الله بالجاه الفاروقى ابراهيم عبد الغفار الدسوقى

طبع هذا الكتاب المرة بعد المرة وتعدد طبعه الكرة بعد الكرة أقوى دليل على انجذاب القلوب اليه وانكباب الناس عليه وهو عند التحقيق أولى بذلك وحقيق كيف لا وهو للعلامة الالمعى الفهامة اللوذعى المنتظم فى سلك السلوك الواصل فى عبوديته الى مقام الملوك المرتقى الى أعلى درجات الترقى الشيخ أبى الفداء اسمعيل الملقب بحقى روح الله روحه ونور ضريحه وهذا التفسير الغنى عن المدحة الحائز بحلاوة التذكير غاية الصحة الجامع بين مشربى الشريعة والحقيقة ذات المعانى اللطيفة الدقيقة قد طبع اربع مرات وبلغ من كمال الصحة أعلى الدرجات بالمطبعة العامرة الزاهية الزاهرة المتوفرة دواعى مجدها المشرقة كواكب سعدها فى ظل من تعطرت بثنائه الافواه وبلغ من كل وصف جميل منتهاه صاحب الدولة الميمونة والطلعة التى هى بكواكب السعد مقرونة وارث الملوك الاماجيد وسلالة السراة الصناديد الجامع بين طارف المجد وتالده والمسند أحاديث الخديوية عن جده ووالده ذى الحلم الذى تستخف لديه الاطواد والمآثر التى لا يفى بها تعداد من ذلل بهممه الصعاب وقلد بمننه الرقاب صاحب المناقب الشهيرة والمآثر الكثيرة والعطاء الجزيل جناب أفندينا الخديو اسمعيل فله المنة العلية والمدحة السنية وجعل الذكر الباقى فى عقبه على ممر الدهر وحقبه خصوصا بأنجب أنجاله وأعظم أشباله الوزير الشهير النبيل الاصيل ذى الشرف الجليل والمجد الاثيل رب المعارف المشهورة والعوارف المشكورة من زادت به روح المعارف انتعاشا سعادة محمد توفيق باشا أكبر أنجال الحضرة الخديوية وولى عهد الحكومة المصرية لازالت الايام زاهية بحلاه متباهية بعلاه وكان تمام طبعه وتحرير تصحيحه ووضعه مشمولا بادارة من عليه أحاسن أخلاقه تثنى حضرة مدير المطبعة والكاغدخانه حسين بك حسنى ونظارة حضرة وكيله السالك جادة سبيله من لم يزل للمرد كائه يحيى محمد أفندى حسنى ولما حبست عن تصحيحه ادهم البراعة انطلق يقرظه فى ميدان البراعة فقال مؤرخا تمام طبعه منبها على حسن وضعه

شنف السمع يا أخا العرفان	بعبارات كشف روح البيان
وأدر لى حديث مدح كتاب	رصعته جواهر العرفان
للولى المنسوب للحق اسما	عيل حقى مفسر القرآن
بأساليب رائقات المعانى	مودعات معنى حسان الجمان
فهو بحر به لآلى فضل	يزدرى حسنها الآلى عمان
قل لمن رام ان يباريه فى	مابه فاق عن بديع الزمان
ارح النفس من مباراة شيخ	ماله فى البيان قط مدانى
ما لتفسيره البديع مثيل	فى بيان ومنطق ومعان
زاد حسنا بما حوى من سلوك	لسبيلين فى بيان المبانى
فاقتنى الشرع والحقيقة فيه	ببيان يسر كل معان

قد حلا مكرر الطبع حتى * تاه عجباً على اللاآلي الحسان
ثم لما وافاه مسك ختام * وكساه التكرير حلو المعاني
قلت عند الختام أرخ بنشد * طاب طبع تكرير روح البيان
٥٦ ١٢ ٨١ ٨٣٠ ٢١٤ ٩٤

١٢٨٧

وكان فراغه في أوائل المحرم الحرام افتتاح سنة سبع وثمانين بعد الالف والمائتين من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف وكان يرى من الامام كما يرى من الخلف صلى الله وسلم عليه وعلى آله وكل ناسج على منواله

ومن حيث ان هذا التفسير الجالب للانس يحتوي على كثير من لغة الفرس وكان المصحح لهذه اللغة البديعة صاحب الفطنة الرفيعة المشهود له بالمعرفة والاجاده محمد نجيب أفندي مفتي زاده اتحف تمام طبعه لحسن موقعه عنده ونفعه بتاريخ بديع المثال فقال مستعيناً بذي الجلال

داور مصر حكمران جليل * كه جناب خديو اسمعيل
مهر لطفش چو بر جهان تافت * أم دنيا عمارت دل يافت
بر شكفتست غنچهٔ مقصود * مكرش دور دور عيسى بود
منتظم كشت حال ادميان * خاصه أهل دانش وعرفان
بادروشن ناهل علم عيون * ميشود طبع هر لغات وفنون
طبع روح البيان كه شد حالا * شاد شد روح حقي دانا
چون بدين طرز خوش بطبع امد * كنج مصري بقيمتش شايد
كفت تاريخ نامش أهل قبول * طبع روح البيان كشت مقبول
٨١٠ ٢١٤ ٩٤ ٧٢٠ ١٧٨

١٢٨٧



الجزء الاول من صحيح امير المؤمنين
في الحديث الامام البخاري
وبهامشه شرحه المسمى بالنور
الساري من فيض صحيح
البخاري على التمام
والكمال

م